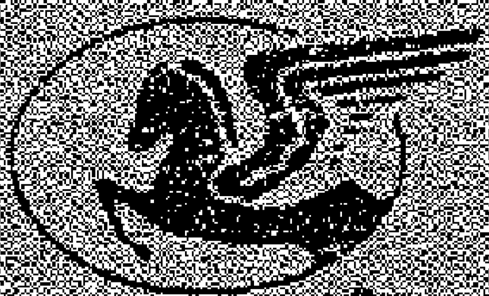
تموز (يوليو) ١٩٧٩ - شعبان ١٣٩٩

المختار



من ريدرز دايجست

اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون ريدرز دايجست في ١٨٠ بلداً بـ ١٥ لغة

لبنان ٤٥٠ق – سورية ٦٠٠ق – الاردن ٥٠٠ف – الكويت ٥٠٠ف – الامارات العربية
المتحدة ٦د – قطر ٦ر – البحرين ٦٠٠ف – السعودية ٦ر – مصر ٥٠٠م – السودان ٥٠٠م –
ليبيا ٦٥٠د – اليمن الجنوبية ٦ر – مسقط ٦ر – العراق ٦٠٠ف – تونس ٧٠٠م – المغرب ٣د –
الجزائر ٧د – فرنسا ٧ف – انكلترا ٧٥ب – اليونان ١٠٠د – كندا وامريكا الشمالية ٢٥٠

اختر اللقطة التي تروق لك -
واضغط على الزر فقط!

Polaroid 1000

بولارويد ١٠٠٠ تفعل الباقي.

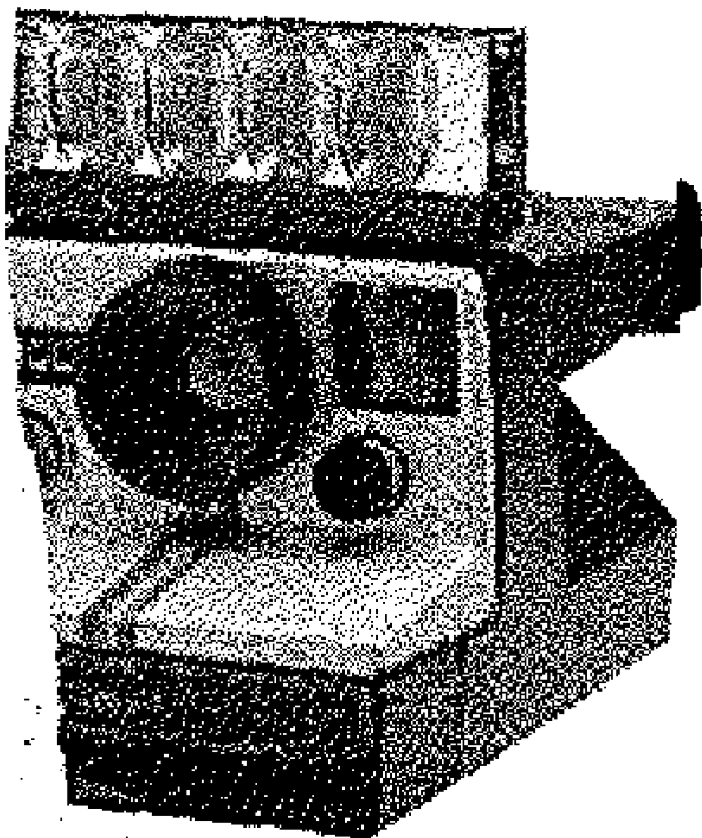
آلة التصوير التي يرغبها العالم أجمع!

ليس هنالك ماتعده ولاشيء تضبطه .. ماعليك سوى أن توجه آلة التصوير وتضغط على زر آلة التصوير الفوري بولارويد ١٠٠٠ الزهيدة الثمن التي ستقدم لك فورًا صور بألوان إس-إكس٧٠ الزاهية الخلابة التي تحمض نفسها تلقائيًا أمام عينيك.

ليس هنالك أسهل من هذه الطريقة لتسجيل اللحظات السعيدة وحفظها على مر السنين.

لاغرابة في أن العالم كله يرغب في إقتناء آلة التصوير الفوري بولارويد ١٠٠٠!

إتصل فورًا .. بوكيل بولارويد المعتمد.



Polaroid
ثلاثون عامًا في طليعة التصوير!

• بولارويد - و - اس - اكس ٧٠ - علامتان تجاريتان لمؤسسة بولارويد . كمبريدج ، ماساتشوستس ، الولايات المتحدة الامريكية . الحقوق محفوظة.



تأملات معاصرة

مفارقة الحضارة

الشعوب التي لم تخلف وراءها سوى النصب والتماثيل لتسجل وجودها تلاشت مع الزمن. اما الشعوب التي خلفت افكارا فقد بقيت حية. ان مجتمعا من دون افكار هو مجتمع من دون تاريخ.

ماكس ديمونت

اجتماع الضدين

تعلم الام الحانية طفلها السير وحده، فتقف بعيدة عنه ثم تمد ذراعيها وتومىء بوجهها كما لو كانت توحي اليه بمكافأة او تشجيع. ويجاهد الطفل بعناد للوصول الى ملجأه بين ذراعيها. لكن بعض الشك يخامره لانه، في اللحظة ذاتها التي يؤكد فيها حاجته الى أمه، يبرهن عن قدرته على الاستغناء عنها.

سورين كيركغارد

الطريقة الصحيحة

لقد تعلمت الكثير من الكلاب. فمنذ سنوات كان لدي جرو رعي الماني، وكنت احاول اجباره يوميا على تقبل ملعقة من زيت كبد الحوت. وذات يوم انزلق الكلب من بين ذراعي، وصب الدواء ثم أخذ يلعقه. فهو كان يحب الزيت، لكنه لم يحب طريقة اعطائي اياه.

وغالبا ما اطبق تلك الحكمة، على التدريس. فلعل الطالب راغب في الحصول على ما لدى المعلم من معرفة بشرط ايصاله اليه بطريقة صحيحة.

اجيلي ان سميث

الموت

الموت هو الانفصال النهائي عن كل ما عملنا وما بنينا، وعن كل ما هو قريب وعزيز علينا، ولكم يثير الاسى ان يكون الموت آخر ما نفعله، لانه يمكن ان يعلمنا الكثير عن الحياة.

روبرت هيرهولد

قوة الاعتذار

الاعتذار يصون الود، وله مفعول ترياق مضاد للكراهية، وهو ليس دليل ضعف، ولا يكلف المرء سوى غروره. لكنه يوفر دائما اكثر مما يكلف. انه أداة لا غنى عنها.

كاتب مجهول

ما يدمر الانسان

سياسة بلا مبادىء،
لذة بلا ضمير،
ثروة بلا عمل،
معرفة بلا خلق،
تجارة بلا فضيلة،
علم بلا روح انسانية،
عبادة بلا تضحية.



المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

المستشار الثقافي: مؤنس طه حسين.
رئيس التحرير: ادمون صعب.
رئيس التحرير المعاون: اديب صعب.
مدير التحرير: فؤاد غطاس كرم.
امانة التحرير: رينا نداف.
الاخراج: اروى سيف الدين.

الامتياز:
شركة النهار للمنشورات الدولية ـ باريس.

الناشر:
شركة راس الخيمة للمنشورات الدولية.

المؤسسون: غسان تويني، توفيق ابو خاطر، عثمان عائدي، لوسيان دحداح.

الخدمات الصحافية:
شركة الدراسات والمنشورات الدولية S.E.P.I

الادارة والتحرير والاشتراكات:

AL MUKHTAR min Reader's Digest
37, Avenue George V, 75008 Paris, FRANCE
Tel. 7204542 7237422 Telex 612687 F

الاعلانات:

TAMAM شركة تمام
28, Rue de Berri, 75008 Paris, FRANCE

التوزيع:
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات.

الصف والتنفيذ:
شركة المطبوعات العربية ـ باريس.

الطباعة:
بوليغرافيتشي اديتوريالي - بولونيا - ايطاليا.

الخط: محمد ماجد.

الطبعات الدولية لـ"ريدرز دايجست"
المدير العام: جون أ. اوهارا.
مدير التحرير: آلان دوليرو.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانماركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية اضافة الى العربية.

MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.
Nº DE LA COMMISSION PARITAIRE 3398RL

الغلاف: ساعات ومزاول شمسية.

AL MUKHTAR *min* Reader's Digest
July 1979 Nº8 *(New Series)*. Vol.1



POLIGRAFICI EDITORIALE SPA PRINTED IN ITALY

فافر لوبا

ساعة فافر لوبا قلب سويسرا النابض



QUARTZ

QUARTZ

QUARTZ

QUARTZ

FAVRE-LEUBA
Genève
"FLATLINE QUARTZ"

البحث عن لقاح ضد تسوّس الاسنان

منذ سنوات والعلماء يبحثون عن لقاح يقي الاسنان التسوس ويحفظها بيضاء سليمة. ويبدو ان هؤلاء حققوا تقدما ملحوظا في هذا المجال

قلما ينجو الانسان من نخر الاسنان او تسوسها، فهو مرض يصيب جميع الناس تقريبا، وقديم العهد قدم الانسان ذاته. ولقد تمكن العلماء حتى الان من التغلب على عدد من اصعب المشكلات الصحية التي واجهتها البشرية، بداية بالسل حتى شلل الاطفال. فلم لا يستطيعون التغلب ايضا على نخر الاسنان المتواضع الشأن والمسبب الاكبر للمشقة والازعاج وضياع الوقت وانفاق المال؟ ولم يتعذر عليهم الاهتداء الى لقاح يحول دون تآكل الاسنان؟

والواقع هو ان العلماء قد اصبحوا على وشك الوصول الى مثل هذا الحل الحاسم. فالباحثون يعلمون ان نخر الاسنان يعود امره، على نحو رئيسي، الى جراثيم معينة من فصيلة المكور العقدي المتغير. وعندما تجد هذه الجراثيم البيئة الملائمة لها في الفم تلتصق بالاسنان وتفرز فيها حامضا أكالا تتفتت من جرائه المينا التي يطلى بها سطح الاسنان. ويبدو ان الجسم بما له من مناعة طبيعية كفيل بالتغلب على المكور العقدي المتغير. وقد اكتشف العلماء حديثا فصيلة جديدة من الاجسام المضادة تسمى "أج أ"، تفرزها الغدد اللعابية، وتستعد لاداء مهمتها ما ان تدخل الفم مجموعة من المكورات العقدية المتغيرة.

ومن هنا، جاءت اثارة العلماء للبحث عن اللقاح. ويقول احد كبار الباحثين في هذا الصدد، مارت توجمان الذي يعمل في مركز فورسايت للاسنان في بوسطن: "نحن الان على وشك الوصول الى حل حاسم لتآكل الاسنان. وجميع الاختبارات التي اجريت على الفئران والجرذان والسعادين ادت الى نتائج ايجابية".

ولقد بدأت المساعي لاكتشاف اللقاح على اثر التحقق من ان نخر الاسنان مرض ممكن الانتقال بالعدوى. فمنذ مائة عام تقريبا قدر

الباحثان الامريكيان أ٠س٠ اندروود وو٠د٠ ميللر، ان نخر الاسنان ينتج من مسبب ميكروبي، وان هناك نوعا من الطفيليات في اللعاب يحول مادة السكر في الفم الى حامض لبني يؤدي الى تآكل اليمنا٠ ثم اكتشف الباحث الانكليزي ج٠ ك٠ كلارك في العشرينات كائنا عضويا، يعرف بـ"المكور العقدي" في فجوات الاسنان الناجمة عن التآكل٠ وينتظم المكور العقدي في شكل العقد او المسبحة او الخلايا المكورة، لكنه يتميز عن الجراثيم الكروية العادية التي تصيب الحلق بان شكله الكروي يتغير مع تفاقم التآكل فيتحول الى شكل عضوي٠ ومن هنا، اطلق عليه كلارك اسم "المكور العقدي المتغير"٠

انتقال النخر بالعدوى ـ وفي عام ١٩٥٤، توافر مزيد من الادلة على تسبب تآكل الاسنان من جراثيم الفم من نوع المكور العقدي، وذلك بفضل الاختصاصي فرانك اورلاند الدكتور في طب الاسنان من جامعة شيكاغو، بالتعاون مع لفيف الباحثين في جامعة نوتردام٠ فقد اجرى البروفسور اورلاند وزملاؤه تجارب على مجموعة من الفئران خالية تماما من الجراثيم، ونقلوا المكورات العقدية من فم الانسان الى هذه الفئران ثم غذوها بالسكر٠ وكان ان اصيبت الفئران بالمرض في حين ان مجموعة اخرى من الفئران التي لم تنقل اليها العدوى غذيت بالطعام نفسه فلم تصب بأي سوء٠

وعندئذ تهيأت السبل للذين سيتقدمون بتفسير التفاعل القائم بين هذا النوع من الجراثيم والنظام الغذائي٠ فاقدم كل من بول كيز الدكتور في طب الاسنان في المعهد الوطني لبحوث الاسنان وروبرت فيتزجيرالد الذي يعمل في مستشفى رجال الادارة القدماء في ميامي، على الخطوة الحاسمة في هذا المجال قرابة عام ١٩٦٠، عندما اكتشفا ان المكور العقدي المتغير يتميز عن جراثيم اللعاب بان الجرثومة التي تتسبب في المرض تستقطر من مادة "السكروز" نوعا من الغراء يمكنه من الالتصاق بالمينا ويتيح له بالتالي التغذي من السن٠ وفي اثناء هذه العملية يفرز المكور العقدي المتغير حامضا يتفاعل مع المواد الغذائية التي تحتويها السن، وبذلك يبدأ التآكل٠

وقد توصل كيز وفيتزجيرالد الى نتيجة اخرى مثيرة، وهي ان نخر الاسنان مرض قابل للانتقال بالعدوى الى حد ما٠ فقد وضعا في قفص واحد مجموعة من الجرذان المصابة بنخر الاسنان مع مجموعة اخرى سليمة، فاكتشفا ان العدوى قد انتقلت الى المجموعة الثانية٠

اكتشاف الاجسام المضادة ـ ثم توالت الاكتشافات في اواخر الخمسينات واوائل الستينات حين اجرى الدكتور الطبيب توماس توماسي الذي يعمل حاليا في عيادة مايو، مقارنة بين الاجسام المضادة في اللعاب والاجسام المماثلة لها في الدم فوجد فرقا كبيرا بين الحالين٠ وقد ادى ذلك الى اكتشاف الاجسام المضادة المسماة "أج٠ أ" والتي توجد خصوصا في الافرازات الخارجية (اللعاب والدموع وافرازات المناطق

المعوية والتنفسية والمهبلية) وفي انحاء الفم كذلك.

وعندئذ اصبح البحث عن اللقاح امرا جديا، فحقق موريس واغنر في جامعة نوتردام اول محاولة ناجحة في هذا المجال، عندما اكتشف ان حقن مجموعة من الفئران الخالية من الجراثيم بالجرثومة العقدية الميتة يؤدي الى شن الاجسام المضادة "اجأ" هجوما مضادا. وعندما اعطيت هذه الفئران مجموعة من العقديات الحية عن طريق الفم، لم تصب بأي نخر بفضل المناعة التي زودتها بها الاجسام المضادة السابقة الذكر.

وفي ١٩٦٩ اعلن وليم باون الذي يعمل في كلية الجراحين الملكية في لندن انه لقح ثلاثة قرود بخلايا عقدية حية وغذاها بالكعك والحلوى فوجد بعد سنة ان ما اصاب اسنانها من فجوات النخر كان اقل مما اصاب غيرها من القرود التي لم يجر تلقيحها. وواصل باون جهوده فاجرى مزيدا من التجارب التي استخدم فيها شتى المستحضرات وتبين بعد خمس سنوات ان مجموعة من خمسة قرود لقحت بالمكورات العقدية الميتة لم تصب بأي نخر، بينما هناك مجموعة من الحيوانات التي لم تلقح اصيبت باربع وستين فجوة في اسنانها.

وثمة عدد من الباحثين يعني باجراء التجارب من زوايا مختلفة. ففي مركز فورسايت للاسنان يحاول مارتن توبمان وزملاؤه استخراج لقاح من انزيم مستمد من المكورات العقدية المتغيرة. ولقد يكون هذا الحل اقل مجازفة من استخدام المكورات العقدية ذاتها التي ربما ادت الى آثار جانبية لا يؤدي اليها استخدام الانزيم المستمد منها.

ولئن كانت هناك في الواقع حماسة كبيرة للبحث عن لقاح مضاد لتآكل الاسنان، الا ان هناك ايضا بعض المشكلات التي تواجه البحث في هذا الميدان. ففي رأي اروين ماندل الاستاذ في كلية جراحة الاسنان والفم في جامعة كولومبيا ان تآكل الاسنان قد يعود الى عوامل اخرى عدا المكورات العقدية المتغيرة. وهو يحذر في الوقت نفسه من الاستسلام للمجازفات الخطرة في هذا الصدد.

غير ان جيمس كارلوس الاختصاصي في طب الاسنان ومدير البرنامج الوطني لمقاومة نخر الاسنان، لا يساوره اي شك في ان ايجاد لقاح مناسب ضد النخر في غضون السنين العشر او الخمس عشرة المقبلة، سيكون له وقعه البعيد المدى على مهنة طب الاسنان وعلى المجتمع.

ويضيف: "لكنني لست اتوقع من وراء هذا الامكان القضاء على مهمة طبيب الاسنان، وانما يبدو انه سيركز اهتمامه آنذاك على بعض النواحي المتعلقة مثلا بعيوب انطباق الاسنان (القضم) او بالحوادث التي تجر الى فقد الاسنان وغير ذلك من المشكلات. واهم ما في الامر هو ان المريض لن يضيع بعد ذلك ما يضيعه الان من وقت ومال في التردد على عيادة طبيب الاسنان، ناهيك بالالم والمعاناة، باعتبار انه سيتسنى للناس الاحتفاظ باسنانهم لمدة اطول وفي حال صحية افضل".

■ لي ادسون

اكتب واربح

منذ صدور العدد الأول من "المختار" تدفقت على قلم التحرير في المجلة، على نحو فريد، مئات الرسائل من القراء العرب في العالم العربي والخارج، حاوية الطرائف والنكات والقفشات والتجارب الشخصية المنوعة.

وقد فرزت الدفعات الاولى من هذه الرسائل حسب تاريخ ورودها ثم صنفت ابوابا مقابلة لابواب المجلة، وبوشرت عمليات مراجعتها واختيار المناسب منها وقد اخذ المسؤولون عن باب "اكتب واربح" بالشروط التي نشرت في "المختار" والتي في ضوئها يتم تقويم الرسائل.

ولاحظ هؤلاء المسؤولون ان كثيرا من القراء لا يتقيدون بهذه الشروط مما يؤدي الى اهمال رسائلهم. ومن اجل تفادي الوقوع في هذا المحظور وتوفيرا للجهد الذي يبذله القراء في هذا المجال ويقدره "المختار" ويعتز به، نود ان نلفت القراء - الكتاب الى الامور الآتية:

○ كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.

○ كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك - حديقة أفكار...) وايجاد ابعاد معقولة بين الفقرة والفقرة او بين الطرفة والطرفة تسهيلا لمراجعتها وتصنيفها...

○ عدم الاعتداد بكمية ما يرسل بل بنوعيته. وفي هذا المجال، القارىء هو افضل من يختار مما لديه، وعليه ان يرسل النخب الافضل.

○ في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد.

○ ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة أفكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة.

ان المواد التي يساهم بها القراء تخضع للمراجعة والتدقيق قبل نشرها لذلك لا بد من ذكر المصدر للعودة اليه.

○ تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية لان الهدف من اشراك القراء في تحرير ابواب المجلة هو تعزيز المادة العربية الاصيلة.



هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة وأكتب ما لديك وارسله: الى "المختار" وهو يدفع لك في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

☐ **صور من الحياة: ٥٠ دولاراً**

القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة وتتحدث عن تجربة شخصية وعن موضوع جدي لا يخالف السلوك والاخلاق ويكون طريفاً وجذاباً ومثيراً للاهتمام.

☐ **الضحك خير دواء**

ينطبق على هذا الباب ما ينطبق على الباب السابق. ويدفع ٥٠ دولاراً عن النكتة الاصلية و٢٥ دولاراً عن النكتة المنشورة.

☐ **تأملات معاصرة: ٥٠ دولاراً**

مقاطع ذات مغاز حكمية حول موضوع معين. (راجع الباب الخاص في صفحة اخرى).

☐ **حديقة افكار**

اقوال مأثورة للاعلام العرب.

تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

☐ **السدات**

هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

☐ **المقالات**

يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية (يراجع المقال المتعلق بهذا الموضوع في صفحة اخرى) او التجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل.

يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

● **شروط خاصة** ●

- الحد الاقصى لطول النص: ٣٠٠ كلمة للباب و٢٥٠٠ كلمة للمقال.
- لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.
- يستحسن ارسال قصاصة عن النص المنشور او صورة عنه.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي:

AL MUKHTAR
min Reader's Digest
S.E.P.I.
37, Avenue George V
75008 Paris, France

عرس الشمس والظلّ

الشمس التي يستحم فيها العالم هي مصدر الوعي، بل مصدر الحياة ذاتها. على ان النور للعين اليقظة قد يكون ايضا مصدر ابتهاج لا يحد

تضفي الشمس سحرا على حياة اولئك الذين يعوّدون انفسهم الرؤية. وللنور، كما للنبيذ المعتّق او للموسيقى العظيمة، سمات وظلال متعدّدة. والحق اني احسّ، حينما أسترجع الماضي، بأني عمدت مرارا وتكرارا الى السعي الجاد عن جمال النور. فكنت استيقظ باكرا مع الفجر وأصرف ساعات يوم من ايام الصيف المشجّعة على الكسل وأنا اراقب اطوار ضوء الشمس المتبدلة وهي تسبغ وهجا شفّافا على جناحي فراشة او تلقي ظلالا مخرّمة على جدار حجري خشن او تتراقص كسلسلة من الجواهر في بركة ماء صغيرة.

يتباين اشعاع النور لا حسب الاوقات فقط وانما بحسب الاماكن ايضا. وقد عشقت في حياتي ثلاثة أقطار من النظرة الاولى: ولاية تكساس الامريكية وجزيرة نيوفاوندلاند الكندية واليونان. فهذه الاقطار، وان بلغ الاختلاف بينها حد المسافات الشاسعة التي تفصل كلا منها عن الآخر، الا انها تتعايش في قلبي كوحدة لا تنفصم بسبب تلك السمة الحيوية الفريدة من النور الذي ينساب فوقها جميعا.

ان النور في تكساس ساكن وساطع

وقاس ، يسفع الارض سفعا كناقوس يجلجل في السكون، فيرتعش السراب ويتوهج في العراء. وفي نيو فاوندلاند تتلألأ الشمس بصفاء وتحف بالمنازل والناس مظهرة معالمهم في تباين واضح وحاد كحد سكين ماضية. أما في اليونان، فيا له من ضياء! النور هنا مثل حبيب من بني البشر، ذو طابع شخصي ينساب في الارض ويتهلل جذلا كأنما الارض كونت لاحتوائه.

مجد النور – كان النور ولا يزال، منذ أقدم العصور، محورا ترتكز عليه حياتنا. وتجدر الاشارة الى ان اسم "زيوس"، كبير آلهة الأغريق، يعني "السماء اللامعة". فهل من عجب بعد في ان يكون الناس، الذين احسوا بالورع ازاء مجد النور الذي يضرم الأفق نارا كل صباح، قد عبدوا الشمس؟

كلنا يعلم اليوم أن الشمس ليست عربة تجرها الجياد عبر السماء، ولا هي بالالهة التي تعبد، لكنها لا تقل حسنا او روعة. والواقع ان عبادة الشمس نشأت عن فطرة سليمة، لأن سر حياتنا كامن في تدفق النور من ذلك النجم الملتهب. والحياة، من أبسط أشكالها في هيئة متمورة (اميبا) الى اعظمها في هيئة النوابغ من امثال شكسبير واينشتاين، انما هي مستمدة من النيران النووية في الشمس.

ولا يتوقف ذلك النور، الذي يجتاز مسافة ١٤٨ مليون و٨٠٠ الف كيلومتر، عند حد اضاءة كوكبنا فحسب، بل يكون على سطحها الرقيق ضروريات الحياة نفسها. فالنور كيميائي عجيب. وما أوراق الشجر سوى معامل كيميائية يتحول فيها ضوء الشمس والماء الى طعام، ومنها يتدفق الاوكسيجين في الهواء الذي يستنشقه الانسان.

اننا ندير وجوهنا مع الشمس كما تفعل زهرة عباد الشمس، ونعتمد عليها من الناحيتين الجسدية والنفسية. ولشد ما أحسست بذلك صباح يوم من ايام الربيع خارج مدينة اثينا. فبينما كانت الشمس الاغريقية تسكب نورها على الجدران البيض وتتلألأ في اجنحة الطيور، توقف شاب وحيد ورفع وجهه نحو السماء. وكنا على مقربة منه لا تعدو ثلاثة امتار، لكنه لم يبصرنا لأنه كان كفيفا. ولم ينطق الشاب بكلمة واحدة، الا ان حركاته كانت بليغة كالنطق. فقد أدار وجهه متتبعا دفء النور، ومد يديه متحسسا. وفي حدة تخيلي فقدان حاسة البصر، رأيت، كما للمرة الاولى، مدى روعة هذه الزخرفة من النور والظل.

بهجة الالوان – ينتقل النور الينا عبر الجو على موجات ذات أطوال مختلفة، تحمل كل واحدة منها لونها الخاص. ولا ترى العين سوى شطر صغير من هذا المدى الهائل للموجات، إذ لا تمكنها رؤية ما هو دون الموجة البنفسجية وفوق الموجة الحمراء. ومع ذلك، فان هذا المدى الضئيل من اطوال الموجات كاف لأن يغمر العالم بألف بهجة وبهجة من تباين الالوان، بينها طيور صفر الصدور وأقواس قزح ومغارب شمس قرمزية وبحار في زرقة الياقوت اللامع.

ويمكن لأي شخص ان يرى كيف

الترحيب بالزائرين ..

طقسنا يتغير، وهذا يحدث غالباً، والمناظر الطبيعية الخلابة تتغير أيضاً كلما اجتزت بضع كيلومترات، ولكن على هذه الأرض الخضراء المضيافة هناك شيء واحد لا يتغير:



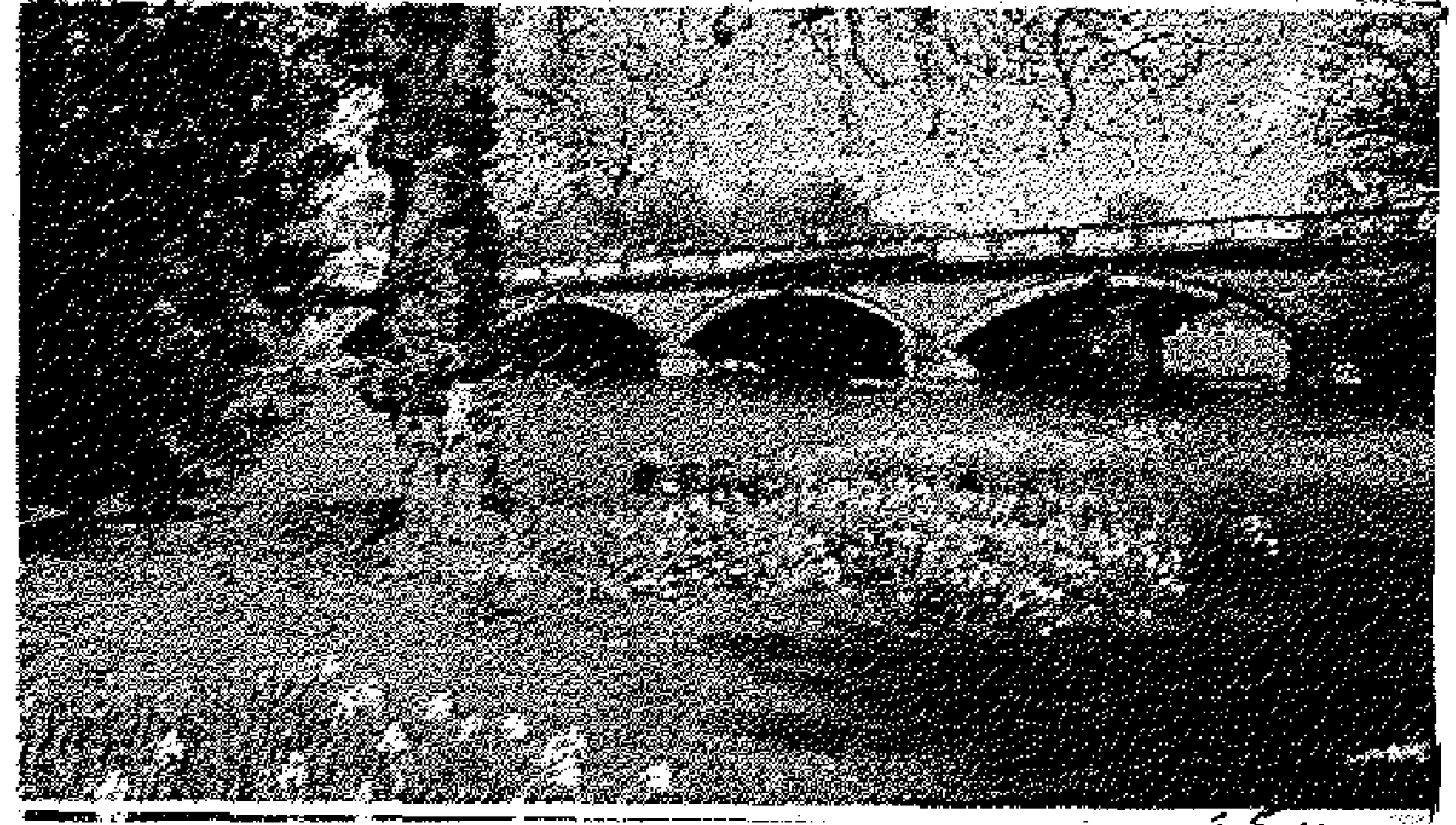
شارع برعول

حفاوتنا بالزائرين، حفاوة صديقة، حارة تهتم بك كل الاهتمام تماماً كما تريده أن يكون.

إن مكاتب الخطوط الجوية البريطانية هي أول مكان تشعر فيه بنوعية هذه الحفاوة. إتصل بنا فنوفر لك بكل سرور جميع المعلومات عن برنامج عطلات الخطوط الجوية البريطانية واقتراحات مفيدة أخرى بما

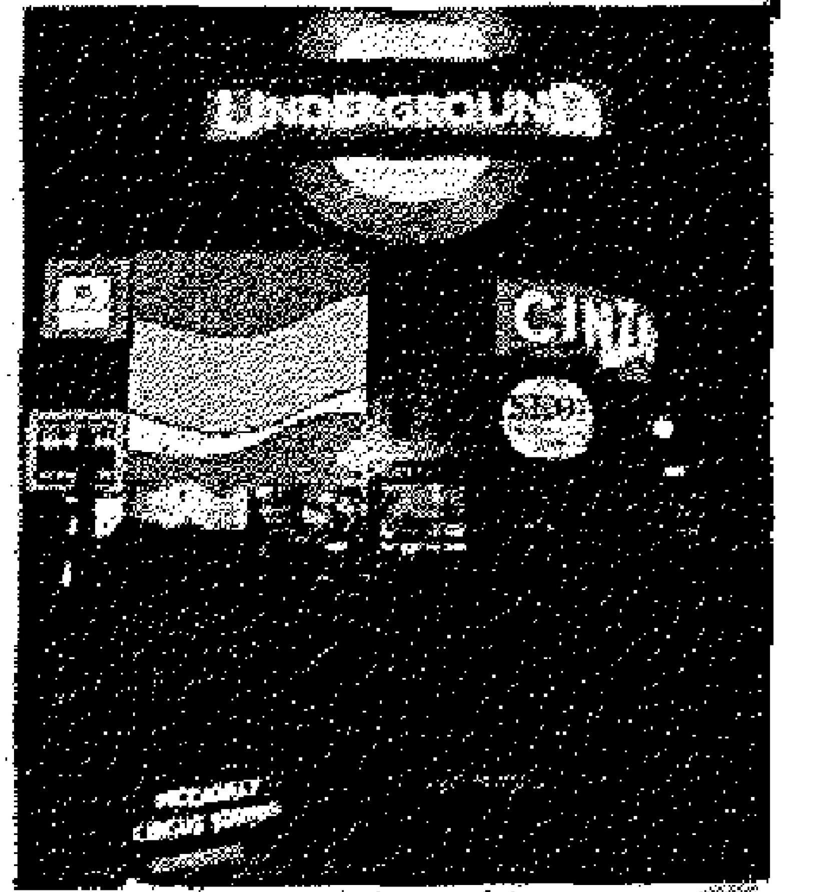
حرس ملكي في هايد بارك

تقليد قديم في بريطانيا.


حدائق كنسينغتون

يساعد العائلة بجميع أفرادها على التمتع بعطلتها على أكمل وجه بأقل قدر من الإزعاج.

عطلتنا تبدأ بالطبع بلندن وبمحلاتها الشهيرة بكل ما تحتويه من القيم المفيد. لكن تذكر دائماً أنه يمكنك جمع التسوق إلى أنواع كثيرة أخرى من المتعة كالتنزه في بوند ستريت والتمتع



بيكاديللي سيركس

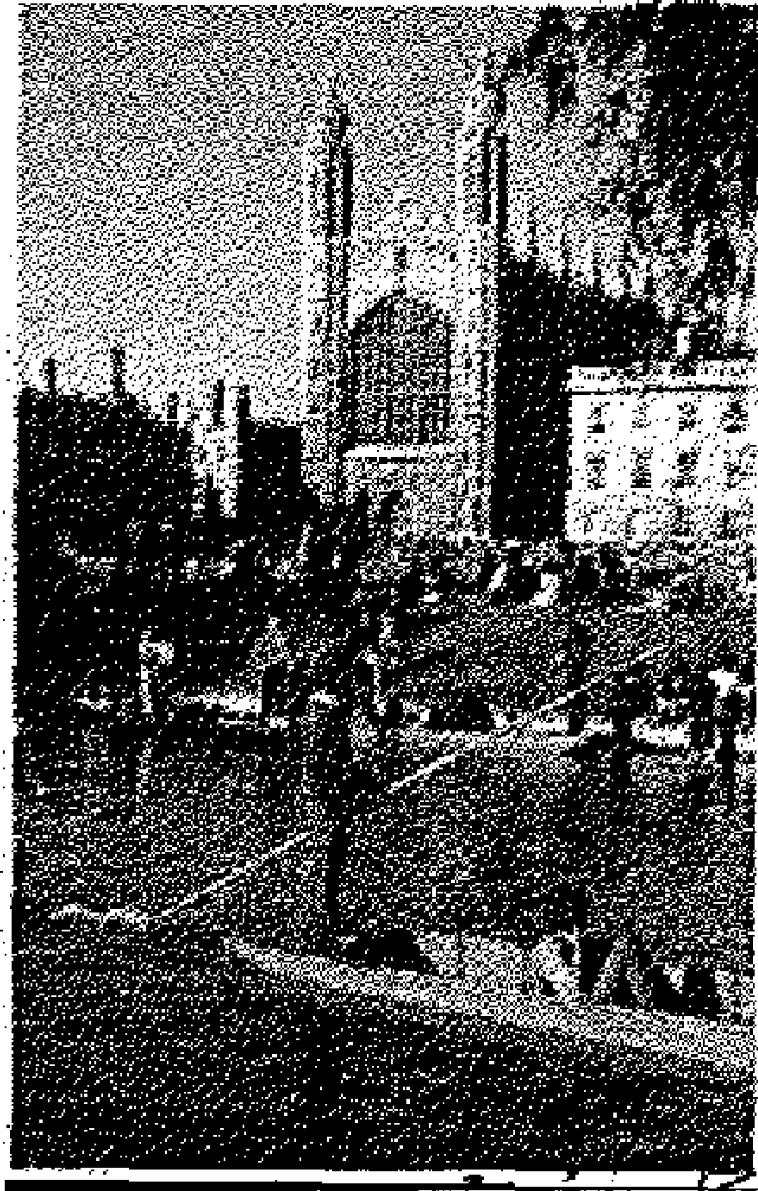
بمشاهدة كنوزه واجداً نفسك في نهاية المطاف وسط خضار "بركلاي سكوير" وأشجاره الرائعة التي تعود إلى القرن الثامن عشر. إجتز شارع أكسفورد بكامله وهناك إلى الناحية الأخرى



شارع ريجنت

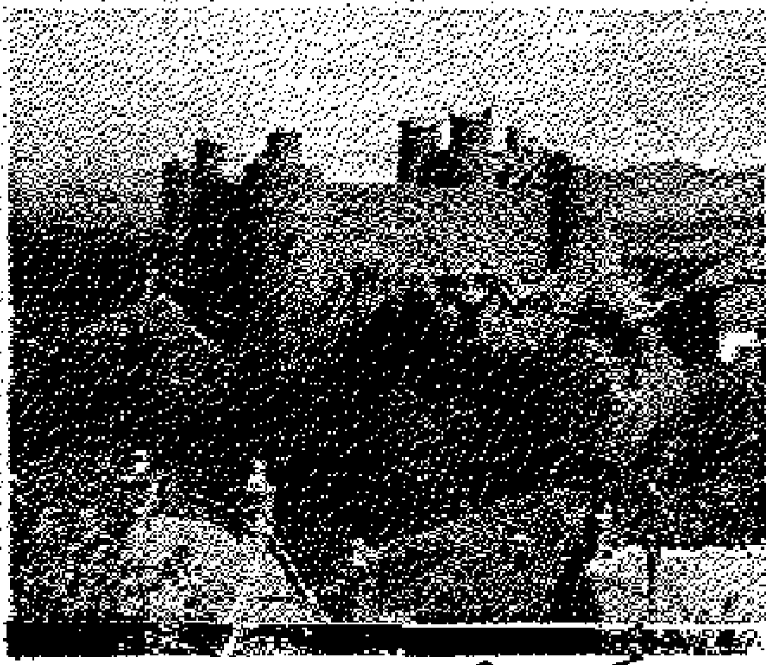
من "ماربل آرش" تمتد أمام ناظريك المساحات الخضراء الجميلة التي تكون حدائق هايد بارك.

شاهدوا لندن أولاً بكل ما في الكلمة من معنى. انتقلوا بواسطة الأتوبيس في رحلاته حول لندن أو استعملوا القطار فهما في متناول يدكم أينما كنتم والتعرف على المحطات سهل للغاية. ولكن بما أنكم لا تستطيعون شراء كل شيء من محل واحد فلا تنتظروا مشاهدة بريطانيا بكاملها


كامبريدج

في لندن. قوموا إذاً برحلة يوم واحد إلى خارج لندن وقارنوا ضجيجها بهدوء جامعات أكسفورد وكامبردج. اكتشفوا هندسة برايتون التي تعود إلى العهد الوصاية وتمتعوا

بمقاهيها ومبانيها وشوارعها الضيقة التي تسر الفضول.


قصر وارويك

بريطانيا تحتفي بك بأشياء متناقضة تنتظرك يومياً عند كل زاوية: من القصور إلى الحقول الخضراء الفتية.


روست بيف

من المحلات التي تبيع الأشياء الأثرية إلى المطاعم الفخمة، ومن الشمس المشرقة إلى الأمطار الناعمة.

منذ اللحظة الأولى التي تأتي بها إلينا لتقرر فيها برنامجك مع عطلات الخطوط الجوية البريطانية وحتى اللحظة التي تعود بها إلى بيتك سالماً سنحيطك بعناية أكبر.

ينحل الابيض الى الالوان المختلفة اذا ما أمسك بموشور انكساري على مجرى حزمة من شعاع الشمس المتسربة الى غرفة معتمة وعكس ما يصدر عن الموشور على شاشة بيضاء. فهو سيكتشف عندئذ ذلك الخط الملون الذي نسميه الطيف الشمسي. ومن جهة مماثلة، تتكون اقواس القزح نتيجة انكسار ضوء الشمس وانعكاسه على حبات المطر اثر زوال عاصفة. أما عظمة غروب الشمس فتتجلى حين تنسل خيوط الشمس الآخذة بالانخفاض الى جو الارض. وما النجوم كذلك الا جواهر متلألئة بالالوان. وهي وان كانت تبدو لنا فضية، الا انها تظهر للفلكيين الذين يراقبونها بالتلسكوب متوهجة اللون. وقد تحدّث رواد الفضاء عن رؤية أشعة مديدة متألقة تخترق اسوداد الفضاء.

وكم من مرة نجد، حين نستعيد لحظات قبضنا فيها على السعادة، ان النور كان متألقا فيها! وتعود بي الذاكرة الى وقت انتقلت اسرتي، وانا في الثانية عشرة، الى بلدة صغيرة في محاذاة البحر. وكانت باحة دارنا تنحدر حتى تتصل بالماء. وعلى مقربة من الامواج المتكسرة ارتفعت شجرة حور فضية ضخمة، للريح بين اوراقها همس وحفيف. وقد تدلت من اغصانها ارجوحة لي لا أزال أذكرها كلما تملكني الارهاق في رجولتي. وأذكر ان جزءا من تلك الشجرة ومساحة من مياه المحيط كانت تتلألأ تحت ضوء القمر وكنت أطير الى اوراق الحور وألج بقاعا عجيبة من النور مثلما ولجت الفتاة آليس في القصة الشهيرة، بلاد العجائب من خلال مرآتها.

ولكم حاول الفنانون أن يدمجوا الضوء في لوحاتهم، بل ان اللوحة تموت او تكتب لها الحياة بمقدار جودة ضوئها. وأذكر في هذا المجال اني علقت على حائط مكتبي ملصقا اعلانيا ضخما يمثل شارع "مونمارتر" في باريس، تبدو فيه السماء ذات زرقة تخطف الابصار. وقد رسم الفنان ضوء الشمس على حجار الرصيف وغسل جدران المنازل بضوء لامع يجعل في مقدورنا رؤية الالوان المتعددة في شارع باريسي. وتومض الشمس في هذه اللوحة على ازهار ابرة الراعي (الجيرانيوم) وعلى القلنسوات البيض التي تتوّج رؤوس الراهبات وهنّ يعبرن الشارع. وتأتي الظلال لتضفي عمقا على الأزقة وغموضا على هؤلاء الاشخاص الذين يوشكون على العبور من الساحة المستحمة بالشمس الى عتمة الظل. والانطباع العام الذي يخرج منه الناظر هو أن الفنان استخدم النور ليغمر لوحته بالبهجة.

افتح عينيك – على ان معظمنا ليس من الفنانين، فكيف يتسنى لنا نحن ايضا ان نتعلم تقدير الضوء واستخدام سحره؟ أنَّى لنا أن نقبض على شعاع النور ونجعله جزءا من حياتنا اليومية؟

ان أول ما يجدر بنا فعله هو أن نفتح أعيننا لنرى كم هي كثيرة الاشياء التي تجدر رؤيتها. فلكَ ان تتابع في ليلة خريفية صافية مسار القمر وانتشار النجوم. ولك ايضا ان تنهض عند الفجر وتشاهد انبلاج

طلائع النور. كما يمكنك أن تراقب دوران شمس الصيف وظلالها فوق حقل من العشب والبرسيم وأن تكتشف التنوعات الضوئية على غصن شجرة.

انه لجدير بك ان تدرب نفسك على ملاحظة تبدّل الاشياء بفعل مرور الضوء. واذا كنت على مقربة من الماء، فانظر كيف يغير النور سطح البحر وكيف ينشر ظلاله ويرسل خيوطه الوضاءة على صفحة جدول في غابة. كذلك، حدد النظر الى سحب النغّاض المؤلفة من اكداس مدورة ذات قاعدة مسطحة، او الى النور الباهت بعد مغرب الشمس، أو راقب لمعان النجوم على صفحة بحيرة معتمة.

وقبل أي أمر آخر، تعلّم أن تحتفل بالنور. وأذكر ان فريقا منا سهر الليل بطوله على متن طائرة متجهة الى اوروبا فوق المحيط الاطلسي بانتظار بزوغ اول خيط ذهبي عند الأفق لنشرب نخبه. وفي اليابان تقام حفلات مراقبة القمر، فيجلس الضيوف بصمت ينتظرون ارتقاء القرص الذهبي قبّة السماء حتى تجلو الأنوار رؤوس الشجر وتجلل أوراقها بغمرة الأشعة.

اننا نفوق الأسلاف علما في ما يتعلق بالنور. وقد بلغت بنا المعرفة حدا يمكننا من استخدام سرّ الشمس للوصول الى النجوم أو الى... إنهاء الحياة على الارض. ويعلم الله ما سيقع عليه اختيارنا مستقبلا. اما الان فيكفينا أن ندرك ان النور يتساقط من السماء كتساقط تويجيات الأزهار، وان كل قطرة ندى هي مجد مصغر من الامجاد، واننا، نحن المنتفعين بنعمة تلك النجمة القصية، قادرون على ان نتعلم كيف "نرى النور" ونبتهج به.

■ اردیس ويتمان



وصف ريفارول، الصحافي الفرنسي الذي عاش في القرن الثامن عشر، خطيب الثورة الفرنسية ميرابو بأنه "لا يتوانى عن القيام بأي عمل طمعا بالمال، حتى وان اضطره ذلك الى اداء عمل صالح".

اخلاق رياضية

برز ولدي كريغ ذو الاعوام الثمانية اخيرا كنجم في لعبة كرة القدم بين الناشئين. فخلال النصف الاول من اللعبة، حقق اربعة من اهداف فريقه الخمسة، فيما اخفق الفريق الاخر في تحقيق اي هدف.

وقبيل انتهاء اللعبة، ناور كريغ من جديد بالكرة حتى بلغ فوهة الهدف، وكان الهدف الجديد مؤكدا. لكنه - لدهشة الجميع - اسقط الكرة وراء قائمتي الهدف من دون ان يصيبه.

وبعد انتهاء اللعبة سألت كريغ: "ولكن لم فعلت ذلك يا بني؟ لقد كان في امكانك تسجيل هدف اخر".

فأجاب ولدي بحزن: "رأيت حارس المرمى يبكي يا أبي".

هـ.و.غ.

Luxury in solid gold, from Omega

الرفاهية والأبهة بالذهب، من أوميغا





هذه قصة كوكو، القردة المرموقة التي تستعمل لغة بمفردات يومية لا تقل عن ٣٧٥ اشارة، وتتمتع بشخصية تبدو انها تحطم بعض الحواجز التي تفصل بين الانسان والحيوان

القردَة النَاطقة

كوكو غوريلا "ناطقة" عمرها سبعة اعوام ووزنها ستون كيلوغراما. وهي موضوع عملي كعالمة نفسانية تطويرية، كما انها اصبحت صديقة عزيزة علي. ومن خلال اتقانها لغة الاشارات، كاللغة المألوفة التي يستعملها الصم، جعلتنا كوكو ندرك ان سلالتها المعنية وتشارك في الحساسيات التي يظن عموما انها تقتصر على بني الانسان.

ولنتطرق الى احساس كوكو المثير للعاطفة نحو بني جنسها من الحيوان. فلدى مشاهدتها حصانا في فمه لجام، اشارت اليه: "حزين حصان". وعندما سئلت عن سبب حزنه، ردت بالاشارة: "اسنان". وعندما شاهدت صورة "سنوفليك"، قرد الغوريلا الشهير الابيض الفروة وهو يكافح للتملص من الاستحمام، اشارت كوكو، التي تكره الاستحمام ايضا، بما معناه "انا ابكي هناك" (اي في الصورة).

ان كوكو تتجاوب مع حوافز اكثر تعقيدا ايضا. وهي تحب الدخول في حوار ولا تتقاعس عن توجيه الشتائم والاهانات، كما انها تلجأ الى الكذب للخروج من مشكلة. وبعد العمل معها ست سنوات ونصف سنة، صرت اعشق كذبها واستطيب حجتها واتوق الى شتائمها. والذي يزيد من روعة ذلك كله هو ان سلوكا من هذا القبيل ظل يعتبر، من وجهة نظر تقليدية، وقفا على الانسان. ولكن ها نحن امام قردة غوريلا تستعمل لغة وتستغلها كما يفعل الانسان.

طفلة الالعاب النارية – عندما التحقت بجامعة ستانفورد في كاليوفرنيا كطالبة دراسات عليا عام

١٩٧٠، اخترت موضوعا لابحاثي حيوانات الطبقة الاولى من غير الانسان. وفي عام ١٩٧١ وفد عالما النفس ر. الن وبياتريس غاردنر لالقاء محاضرات. وكانا قد تمكنا اصلا من تلقين القردة "واشو"، وهي من فصيلة الشمبانزي، لغة الاشارات (اميسلان) الامريكية التي يستخدمها قرابة ٢٠٠ الف من الصم في الولايات المتحدة. وتتألف اللغة من ايماءات تدل كل واحدة منها على كلمة او فكرة. وبحلول عام ١٩٧٠، كانت واشو قد اكتسبت ١٣٢ ايماءة تعبيرية واستعملتها في تبادل الاتصالات، ولكنها كانت قادرة على فهم اشارات كثيرة اخرى.

وامكن، من خلال مزيد من التجارب، اقامة تخاطب او اتصالات مع قرود منفردين من الشمبانزي الذين تبادلوا التخاطب باستعمال رموز بلاستيكية او بواسطة عبارات مطبوعة على لوحة مفاتيح دماغ الكتروني كانت مرتبطة مسبقا بصيغ رمزية. وساعدت هذه التجارب المهمة على اضمحلال الشكوك حول مقدرة القردة على استعمال اللغة.

وقررت المشاركة في البحوث اللغوية على قرود الشمبانزي من اجل متابعة الموضوع في ما يختص بالانسان. غير اني، وانا في حديقة سان فرانسيسكو للحيوان في احد الايام، شاهدت طفلة غوريلا وقد التصقت بامها بكل ما اوتيت من عزم. واطلق عليها اسم "هانابي - كو"، وهي عبارة يابانية تعني "طفلة الالعاب النارية"، وذلك لانها ولدت يوم الرابع من يوليو (تموز)، عيد الاحتفالات الامريكية بذكرى الاستقلال. الا ان ذلك الاسم اصبح "كوكو" للتحبب. واندفعت بحماسة الى مدير حديقة الحيوان سائلة اياه عما اذا كان مسموحا لي محاولة تلقين كوكو لغة الاشارات. فكان جوابه النفي، وكان على صواب، اذ ان كوكو في الشهر الثالث من عمرها لا يمكن فصلها عن والدتها. غير ان ذلك النفي لم يثبط عزيمتي، فبدأت اتعلم الاميسلان. وفي يوليو (تموز) ١٩٧٢، بعد انقضاء تسعة اشهر، كررت الطلب للعمل مع كوكو والاعتناء بها. وكان الجواب هذه المرة ايجابيا، لانها فصلت بسبب المرض عن مجموعة الغوريلا وباتت في حاجة الى ام وصية.

ان قرود الغوريلا يساء فهمها الى حد يبعث على الحزن. وعلى رغم كونها خجولة وهادئة ولا تضمر العداء لاحد، فالمأثور عنها انها شرسة، تسعى الى النيل من الانسان وقتله. وقد تبين من استطلاع رأي قطاع من تلامذة المدارس البريطانيين انهم يضعون الغوريلا في مصاف الجرذان والافاعي والعناكب من بين الحيوانات غير المستحبة.

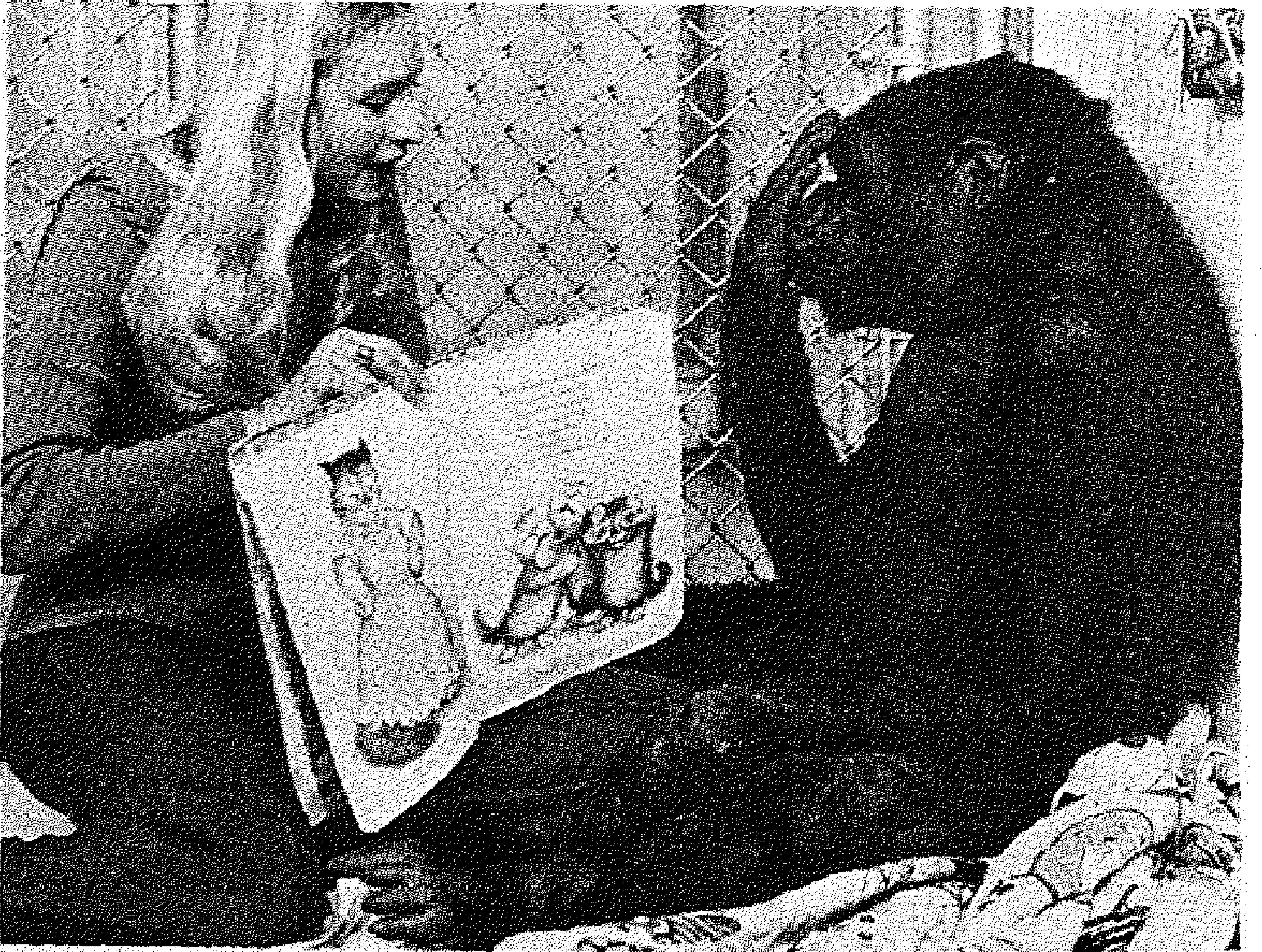
في لقائنا الاول، لم تفعل كوكو شيئا من اجل تنمية علاقات القرود العامة. فقد عضتني في ساقي تلك القردة الصغيرة التي كان وزنها عندئذ تسعة كيلوغرامات. الا ان ذلك لم يثنني عن عزمي. واليوم يسألني البعض عما اذا كان يساورني اي قلق من التفكير في التعامل معها عندما يكتمل نموها ويصبح وزنها قرابة ١١٥ كيلوغراما. وجوابي عن ذلك هو "لا"،

ولكن ببعض تحفظ. ومع ان وزنها الان ستون كيلوغراما، فهي اثقل مني، كما انها قوية الى حد يثير الاستغراب. وبينما يزداد العمل صعوبة مع قرود الشمبانزي في الاسر وهي تقترب من سن البلوغ. الا ان مزاج قرود الغوريلا يبدو مختلفا تماما.

ولجعل كوكو تعبر بواسطة الاشارات والايماءات، استخدمت اسلوب "التشكيل"، اي وضع يديها على شكل الاشارة الدالة على عمل او شيء معين. وعندما يبدأ الحيوان بالربط بين حركة اليد والمعنى الذي تشير اليه الحركة، يأخذ المروض بتخفيف اشاراته الى ان يعتاد الحيوان اصدار الحركة او الاشارة تلقائيا. وكانت كوكو تحاول عضي في بداية الامر عندما كنت اقبض على يديها.

وفي حديقة الحيوان مشكلة اخرى هي تشويش الانتباه. ولذلك، كان من بواعث الشعور بانفراج كبير اني نقلت كوكو الى منزلها الخاص المتنقل، وهو قائم اليوم على ارض جامعة ستانفورد في كاليفورنيا. ومنذ ذلك الحين اتولى، بمساعدة زملاء لي، تسجيل الاشارات التي

الكاتبة تقص على كوكو حكاية الهرر الثلاث الصغيرة التي ضيعت قفافيزها وأزعجت بذلك امها. وتحرك كوكو يدها باشارة: "هذا سيء".




حين طلب منها التزحلق على قطعة خشب ذات عجلات، سجلت كوكو مشاعر متناقضة.

كانت تصدر عفوا عن كوكو والمحادثات والالفاظ التي تخاطب بها نفسها. وقد سجلت تلك الاشارات على شريط صوري صوتي.

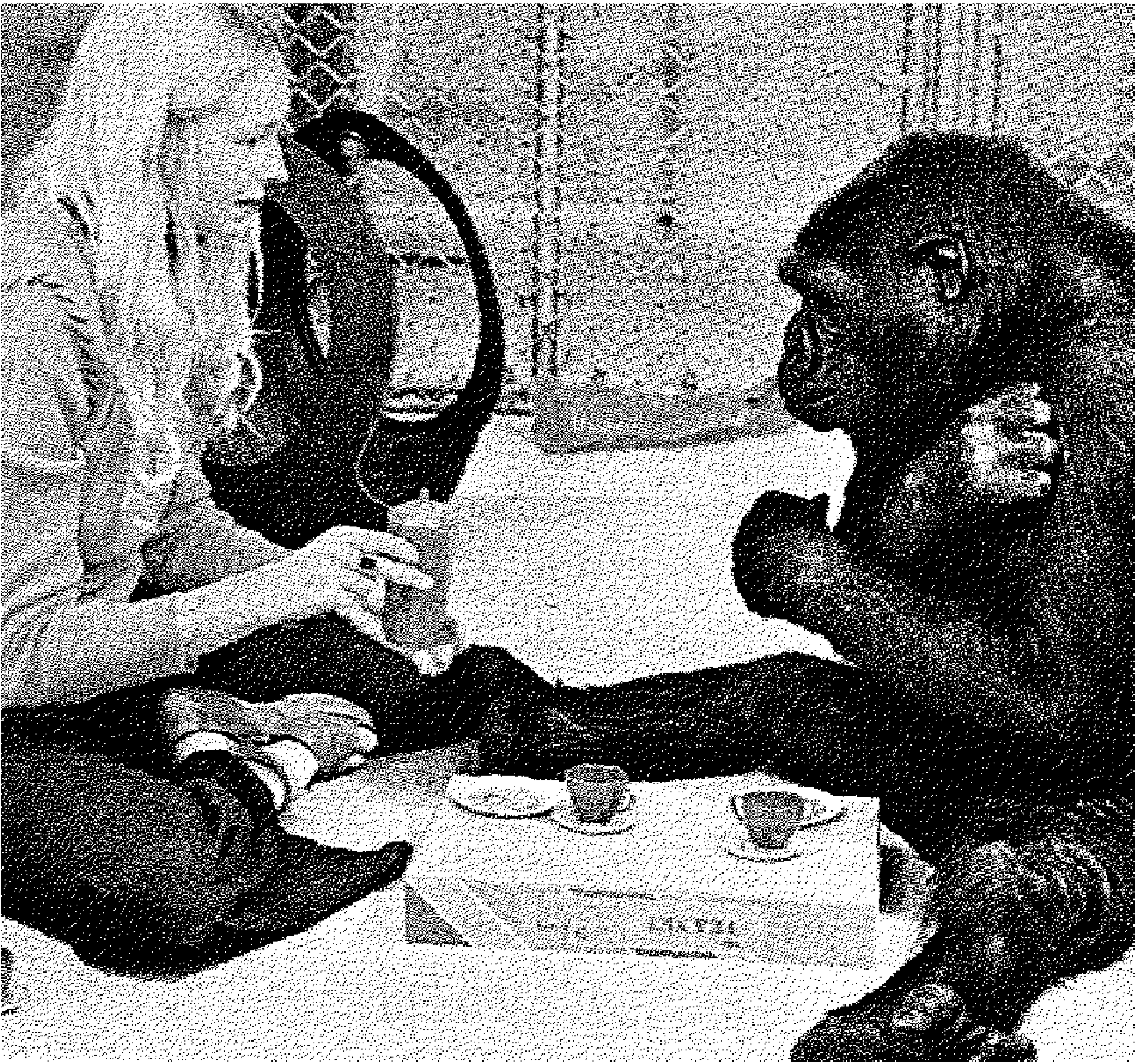
يوم النجم المتألق - ان ابتكار المفردات من افضل الدلائل على ذكاء الانسان. وقد تعلمت كوكو الاشارة الدالة على كلمة "اشرب" و"مزيد" في غضون اسابيع قليلة. وفي العام ونصف العام الاول، كانت تتعلم اشارة واحدة كل شهر. اما مفرداتها العملية الحالية، وهي المفردات التي تستعملها بانتظام في الحالات المناسبة، فتبلغ ٣٧٥ مفردة، من بينها: طائرة، سرة، مصاصة حلوى، صديق، سماعة طبيب.

تحولت غرفة المعيشة في منزل كوكو المتنقل الى حديقة اطفال وحقل تدريب بعد تركيب صندوق نوم معدني (حيث تفترش سجادتين وثيرتين موضوعتين على اطار دراجة نارية) وقضيب تمرينات وارجوحة بهلوان. وبعد وصول قرد الغوريلا الثاني "مايكل" في سبتمبر (ايلول) ١٩٧٦. وعمره ثلاث سنوات ونصف سنة، حولنا حجرة النوم الرئيسية الى حجرة تدريب ثانية. ويفصل الغرفتين باب خشبي قوي بمصراعين. وعند فتح الباب على مصراعيه، تصبح الغرفتان قاعة تدريب مشتركة كبيرة.

تفيق كوكو من نومها في الثامنة او الثامنة والنصف صباحا. وبعد ان تتناول فطورا من مشتقات الحبوب او خبز الارز المحشو بالزبيب، تشارك في تنظيف غرفتها. وتقضي كوكو نصف ساعة كل صباح تقريبا في درس على آلة كاتبة كهربائية. ولدى شعورها بالتعب من ذلك الدرس، تقول لي: "ادخلي مايكل". ويلعب الاثنان معا قرابة ساعة، ثم يأتي دور تعليم الاشارات.

تتناول كوكو وجبة خفيفة في الساعة الواحدة بعد الظهر. وفي الثانية او الثانية والنصف تتناول شطيرة خبز مع زبدة الفستق او المربى. وفي بعض الايام اخرج مع كوكو ومايكل في نزهة او رحلة قصيرة بالسيارة. واحيانا تصدر كوكو التعليمات الي باشارات تقول فيها: "اتجهي الى هناك" (حتى لا نعود الى البيت) او: "اسرعي بنا لكي نشرب"، مشيرة الى آلات كهربائية تعطي الشراب بعد وضع النقود الصحيحة فيها.

وتتناول كوكو طعام العشاء في الساعة الخامسة مساء كل يوم، وهو يتألف من خضار طازجة، مثل عرانيس الذرة الصفراء والصماطم



كوكو تستجيب لوعاء الحليب المقدم لها باشارتين: "كوكو" (بيدها اليمنى) و"محبة" (بيديها الاثنتين)·

(البندورة)· وعندما تأتي كوكو على كل ما في صحنها، تحصل على مكافأة من الحلوى، مثل الجلاتين المحلى او الفاكهة المجففة او قطعة جبن مع بسكوتة· وربما قضت فترة استراحة بعد العشاء وهي تتصفح كتابا او مجلة، وتشير باصابعها الى صورة ("ثلاث زهرات") وتتغطى بلحافها ("ذاك طري")او تضع اذن دميتها على اذنها ("تلك اذن")·

وبعد تنظيف الاسنان بالفرشاة ووضع زيت اطفال لوقاية الجلد، يتناول قردا الغوريلا كوكو ومايكل في حدود السابعة مساء وجبة ليلية اخيرة من الفاكهة، لجعل وقت النوم باعثا على السرور· وفي معظم الليالي، تأخذ كوكو بالبكاء عندما اتركها·

سجل التعليم – منذ بدء مراقبتي كوكو، طبقت عليها تجارب اختبار الادراك الانساني· وقد راوح معدل ذكائها بين ٨٤ و ٩٥، وهو اقل من معدل مستوى ذكاء طفل بشري بمقدار ضئيل، على رغم الانحياز الثقافي الذي تنطوي عليه التجارب· وعلى سبيل المثال، تطلب احدى هذه التجارب من الطفل ان يختار المكان الذي سيتوجه اليه لاتقاء المطر: قبعة، ملعقة، شجرة، بيت· ومن الطبيعي في هذه الحال ان تختار كوكو الشجرة· لكن التعليمات تقضي بتسجيل جوابها على انه خطأ·

وهناك "اخطاء" اخرى تتيح القاء نظرة فاحصة عميقة على شخصية غوريلا في سن المراهقة· فقد شاهد احد زملائي كوكو وهي تفعل الاشارة الدالة على عبارة "ذاك احمر" بينما كانت تبني لنفسها عشا من منشفة بيضاء· واصرت كوكو بالاشارة على ان المنشفة "حمراء"، حمراء، حمراء"· واخيرا امسكت بخيط رفيع من الكتان الاحمر كان عالقا بالمنشفة البيضاء وقد علت وجهها ابتسامة عريضة لادراكها انها كانت صادقة·

يبدو احيانا ان كوكو شغوفة بفعل نقيض ما يطلب منها· وقد تمكن احد مساعدي من ايقافها عن كسر الملاعق البلاستيكية عن طريق اعطائها تعليمات بما معناه: "حسنا،

اكسريها!" فامتنعت كوكو عن ثني الملاعق وكسرها، وصارت تقبلها توددا. كما انها تدرك متى تسيء التصرف. فحين شعرت مرة بالغضب، اشارت الى نفسها بعبارة وصفية دقيقة: "طفل عنيد".

وبالمقدار عينه من الدقة، تحتفظ كوكو بمفردات تستعملها لتوجيه الاهانات، مثل: "نتن"، "شاذ"، "ارعن"، الى من يسيئون التصرف في نظرها. وعندما استاءت مني مرة، اشارت الي بعبارة: "شيطانة قذرة كالمرحاض".

وهناك من الشواهد الواضحة ما يدل على قدرة كوكو على اصطناع المواقف كما هي الحال بالنسبة الى بني البشر. وقد اكتشفت، وهي في الخامسة من عمرها، منفعة الكذب. ففي احد الايام شاهدتها مساعدتي كيت مان ترتطم بمغسلة وتكسرها. ولما سألت كوكو في ما بعد عمن فعل ذلك، اشارت الى المغسلة بما معناه: "كيت اساءت هناك". (ولم تكن تعرف اني سأكشف تضليلها).

غير ان بعض كذب كوكو ينطوي على براعة مذهلة. فبينما كنت منهمكة بالكتابة في احد الايام، التقطت كوكو قلم تلوين شمعيا احمر وراحت تعلكه. وحين رأيت ما كانت تفعله بالقلم، سألتها اذا كانت تعلكه. فاشارت كوكو الى شفتها، واخذت تحرك القلم على شفتها العليا ثم السفلى وكأنها تتزين باحمر الشفاه.

ازدواج اللغة ـ ثمة تحد جديد يواجه كوكو اليوم. فهي تفهم مئات الكلمات المنطوقة وتتجاوب معها. ونضطر احيانا الى تهجئة كلمات مثل ح - ل - و - ي - و - ع - ل - ك - ة حتى لا تعرف عما نتحدث. كما انها تحاول النطق بدافع ذاتي، وقد حاولت استعمال الهاتف! اما الان فان الاستاذ باتريك سابس وزملاءه في معهد ستانفورد للرياضيات المطبقة على العلوم الاجتماعية صمموا لوحة مفاتيح موصولة بدماغ الكتروني يتيح لكوكو الحديث من خلال جهاز لتركيب الكلام. والهدف الرئيس من هذا الجهاز هو تقييم ادراك الغوريلا لترتيب الكلمات المنطوقة.

وعندما تضغط كوكو على مفاتيح آلة كاتبة كهربائية، يصدر عن ذلك كلمات منطوقة. وبالاضافة الى الحروف والارقام التي تحملها الآلة، فقد دهنت مفاتيحها على نسق هندسي بسيط بحيث يمثل كل مفتاح كلمة. واذا وضعت تفاحة مثلا امام كوكو، فهي قد تضغط على مفاتيح كلمة "اريد" و"تفاحة" و"آكل" باحدى يديها، بينما توضح ذلك في الوقت نفسه باشارة من يدها الاخرى. وفي هذه الاثناء يحول الدماغ الالكتروني رسالتها الى كلام منطوق تجاوبا مع المفاتيح المضغوطة. انها غوريلا تستعمل كلتا يديها بسهولة متساوية، كما انها مُزدوجة اللغة.

وقد تولت كوكو الان مهمة تعليم مايكل (الغوريلا الذكر) كيف يؤدي اشارات معينة. لكنه لا يفعل ذلك بالسرعة الكافية. فقد حاول مرة في العام الماضي ان يؤدي اشارة يطلب فيها السماح له بالدخول للعب مع كوكو. وبعدما اومأ باشارة "الخروج"، اخذت كوكو تتبرم في

غرفتها لان صبرها عيل. واشارت الى مايكل من خلال الشبكة الحاجزة بعبارة "اسرع في التفكير". وعندما اضاف القرد الذكر عبارة "كوكو"، ابدت هذه ارتياحا عظيما واثنت عليه باشارة "مايكل يفهم جيدا"، ثم "ادخل مايكل".

اما الان وقد اصبحت ولية امر قردين من الغوريلا، فاني بت ادرك مسؤولياتي تجاه هذه الفصيلة المهددة. ومن هذا القبيل اني انشأت "مؤسسةالغوريلا" (★)لتوفير الدعم المالي للمشروع وحماية متسقبل كوكو ومايكل. واكبر امل لدي هو ادخالهما الى مكان مخصص لدارسة الغوريلا والحفاظ على هذه الفصيلة في ظروف من الحرية النسبية.

ان فنون التعبير والاتصال لدى كوكو تزداد مرونة ودهاء. وبات في امكانها ان تحدد الاشياء من حيث وظائفها. فحين اسألها: "ماذا نفعل بالفرن؟" تجيب: "نطبخ فيه". وهي تدرك الخطأ من الصواب، لكنها حساسة عند توجيه اللوم اليها. وحين تحاول سرقة بعض العنب من وعاء، اوبخها بقولي: "لا تكوني شرهة على هذا النحو. بل كوني مهذبة واطلبي الشيء مني. فالسرقة كالعض والاذى، خطأ، خطأ، خطأ".

ثم اسألها: "وما الذي افعله انا من اخطاء؟ "فتقول كوكو: "تكسرين اشياء، تكذبين، تطلبين مني ان اكون مهذبة عندما اكون شديدة الجوع".

واخيرا، تتعلم كوكو تقدير الذات. فهناك صحافي يسأل عنها وكأنها شخص. فاستدير الى كوكو واقول: "هل انت حيوان ام انسان؟"

وترد كوكو باصرار: "حسنا، حيوان غوريلا".

■ فرانسين باترسون

(★) في امكان القراء مساعدة المؤسسة وتسلم نشرتها بعد ارسال مبلغ عشرة دولارات الى:

The Gorilla Foundation
P.O.Box 3002 STANFORD, CALIFORNIA 94305

سبب معقول

اصطدمت سيارة شحن ذات حمولة عشرة اطنان بسيارة اجرة، واخذ عابرو السبيل يتجادلون حول الحادث. فسأل احدهم: "كيف حدث الأمر؟".

فأجاب اخر: "لا احد يعرف، ولكن يبدو انهم كانوا يتسابقون لدهس احد المشاة".

(صحيفة "وجهة نظر - صور من العالم"، فرنسا)

منطق

كان احد ضيوف صديقتي يلاطف ابنتها ذات الاعوام الخمسة، فسألها: "ماذا ستصبحين حين تكبرين؟" وذهل الجميع حين اخذت الطفلة المعروفة بالمرح تبكي. واستغرق الامر بضع دقائق لمعرفة سبب انزعاجها. فقد مسحت الصغيرة دموعها وقالت بحزن: "هل تتحول الفتيات الصغيرات الى اشياء؟".

ف.ب.

حضنت هذه الارض عددا لا نظير له من الاساطير والآثار والرجال بحيث بات نادرا ان نقع على ارض اخرى صقل ماضيها حاضرنا على نحو أبلغ أثراً.

تركيا خليط شعوب وملتقى حضارات

كنيسة القديس بطرس في انطاكية، وهي الكنيسة المسيحية الاولى.

في هذه الارض خرج نوح من فلكه ليطأ قمة الجبل الشامخ آرارات. وهنا ازدهرت طروادة بأبهتها وشُيدت اثنتان من عجائب العالم القديم السبع هما معبد آرتميس والضريح الفخم. وفي هذه الارض قطع الاسكندر الكبير بسيفه عُقدة غورديوس ملك فريجيا. وهنا التقى انطونيو للمرة الاولى كليوباترا. وعلى هذا التراب أبلغ يوليوس قيصر قومه، بعد انتصار خاطف، قولته المأثورة: "جئتُ ورأيتُ، فاستوليت". وهنا أنشأ رسل المسيح أولى الكنائس. وفي هذا المكان قيل ان مريم العذراء أسلمت الروح. وعلى سطح هذه الارض عاش القديس نيقولاوس الذي انطلقت من كراماته اسطورة سانتاكلوز (بابانويل) العالمية.

من ذا الذي كان يظن ان هذه الصنوف المتباينة من معالم البشرية

قد اجتمعت كلها في ما أصبح يسمى "الجمهورية التركية" اليوم؟

ينشأ البر" التركي من الكتلة الآسيوية الوعرة على هيئة شبه جزيرة مستطيلة حتى يلامس شواطىء الريفييرا الاوروبية عند مضيقي البوسفور والدردنيل. وتمور الارض من قمة أزارات على الحدود الشرقية مندفعة غربا مسافة ١٦٠٠ كيلومتر على شكل أنجاد مموجة وملو"نة بألوان الظبي، الى ان ترتفع أخيرا كقشرة الفطيرة وتختفي في هامات سلسلة الألب الجليلة. وتنبسط في أسفل الهيكل الجبلي المثلم الذي يطوق تركيا من ثلاث جهات سهول ساحلية خضر تغسل شطآنها أمواج البحر الاسود العاصف شمالا والبحر الابيض المتوسط المتألق بأنوار الشمس جنوبا وبحر ايجه غربا.

السواحل المغرية ـ ولطالما أغرت تلك السواحل الممتدة على طول ٨٠٠٠ كيلومتر، قبل أن تكتسب اسمها وحدودها الحاليين، الغزاة والمهاجرين من الجيران المحيطين بها. فاكتسحت ارضها عبر القرون ذهابا وايابا جحافل الفرس من البلاد التي ندعوها اليوم ايران، ومن الدوريين والأيونيين الاغريق، ومن الرومان والسلتيين والغال والقوطيين والصليبيين الذين دخلوها من اليونان. كما أبحر السلافيون اليها من روسيا وبلغاريا وجالوا فيها، وولجها العرب من مناطق العراق وسورية. وأخيرا دهمها فرسان البدو الأتراك ذوو البشرة البيضاء من مناطق آسيا الوسطى وخاضوا غمار هذا المعترك، بل هذا الجسر البشري ايضا، وكأنما جاء غزوهم عنصرا أخيرا في اول بوتقة انصهارا بشري في العالم بعد ألف سنة من الميلاد.

يعتبر البر التركي في الاناضول، بهذا الخليط المتجانس، بداية الشرق. وتشكل مساحته ٩٧ في المئة من الاراضي التركية بالقياس الى ذلك المثلث الصغير من الارض الذي تتكو"ن منه تركيا الاوروبية ويدعى تراقيا. ويد"عي بعض المؤرخين وعلماء الحفريات ان حوض الاناضول هو مهد المدنية الاول حيث برزت معالم الحضارة الغربية. فهذه الارض هي آسيا الصغرى التي راجت حولها الخرافات والاساطير. وهي المسرح الذي لعبت الاحداث على خشبته ادوارها ردحا من الزمن يقرب من تسعة آلاف سنة.

وهذا الممر القاري" كان فعلا مهد كثرة لا نظير لها من الاساطير والآثار والرجال، بحيث لا توجد أرض أخرى في تاريخنا صقل ماضيها حاضرنا على نحو أبلغ أثرا. وينبض تاريخ هذه الارض الديني والثقافي بأسماء مجيدة ومآثر كبرى لا يزال يشار اليها في يومنا هذا.

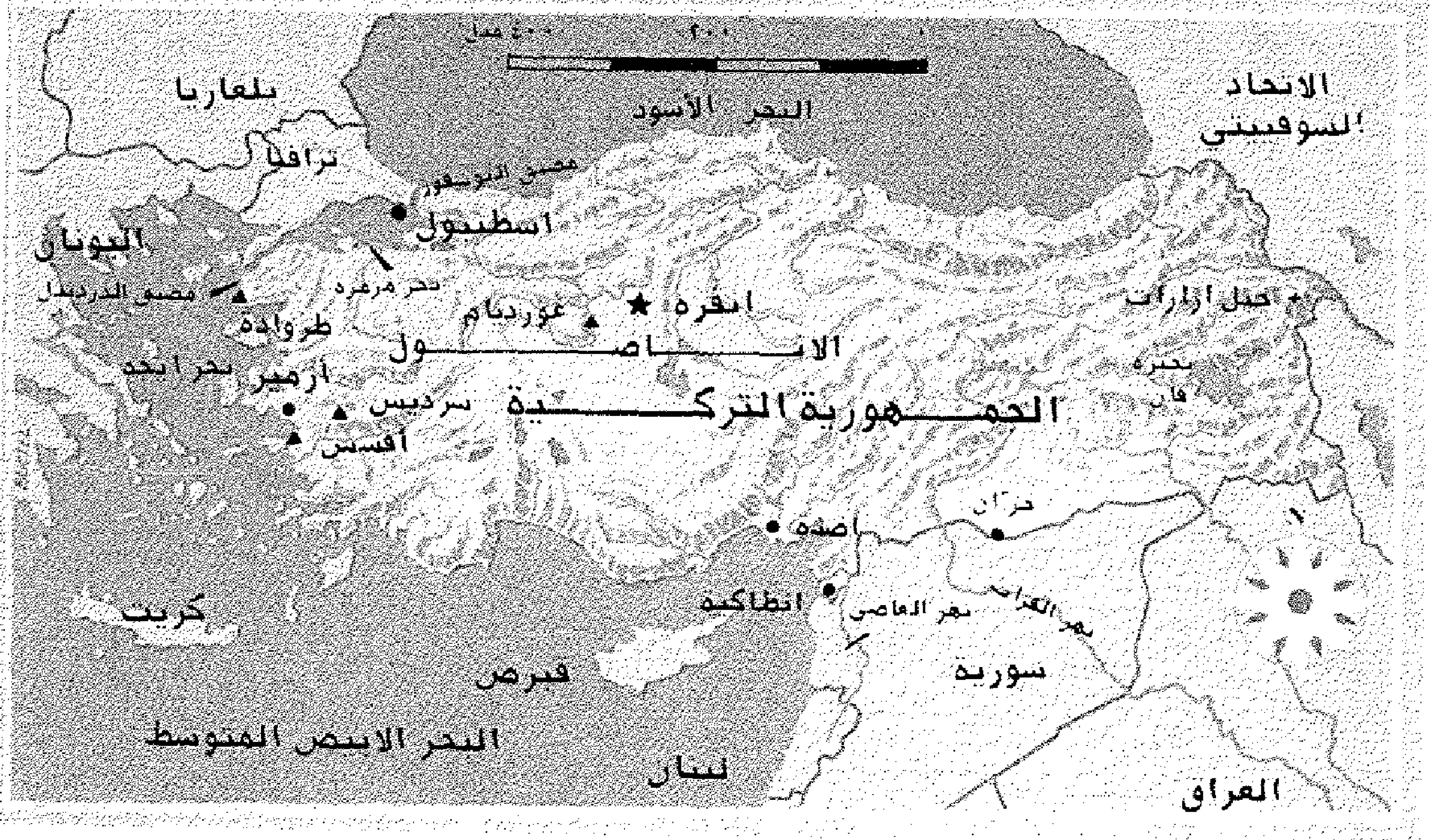
انطلقت في سفري - وكان معظمه بواسطة "الدولموس"، وهي سيارة عمومية يتشارك ركابها في الاجرة والاتجاه - متوجها الى تلك القطعة من الفسيفساء النابضة بالحياة، وهي الأناضول. واكتشفت للتو" ان تركيا اليوم توفر للسائح كل ما يحتاج اليه تقريبا، من آثار مدنيات دارسة الى مشاهد طبيعية خلا"بة. أما طقسها المشمس فيكاد لا يضاهيه طقس آخر. وتستمر السباحة هنا في أنظف


جبل ارارات٠

مياه البحر الابيض المتوسط طوال ثمانية أشهر من السنة٠ أضف الى ذلك المأكولات الطازجة الشهية والمعشر الطيب٠ فالناس هنا ودودون بصفة استثنائية، وكثيرا ما يتغلبون على حواجز اللغة بالحركة والاشارات المضحكة٠

وحدة في التعدد ـ تتألف تركيا المعاصرة في حقيقة الامر من ثلاثة بلدان، لا بلد واحد، من حيث المكان والزمان٠ فهناك المنطقة البدائية المعزولة من الأناضول في شرق البلاد ووسطها، حيث يعيش الناس في تقشف شبيه بما ترويه التوراة٠ فعلى سهوبها التي تحرقها أشعة الشمس احيانا وتغطيها طبقات الثلج احيانا أخرى، يعيش الفلاحون الكادحون داخل اكواخ مجبولة بالطين والحجر ولا نوافذ لها٠ ومن هنا جاءت تسميتهم بـ"التُرك"، ومعناها الأشداء٠ وهم يرعون الماشية من الخراف والماعز من أجل أجبانها وجلودها، ويزرعون أهم محصول تركي، وهو القمح٠ فالخبز ذو القشرة السميكة يُزوّد السكان بنصف السُعر او الوحدات الحرارية التي يحتاجون اليها في حياتهم٠ والجانب المبهج الوحيد في حياة هؤلاء الناس الذين يقاسون الأمرّين من الفقر المدقع هو ظهور أزهار البراري في فصل الربيع، وهي الأزهار التي تحاكيها النسوة في ما ينسجنه من البسط٠

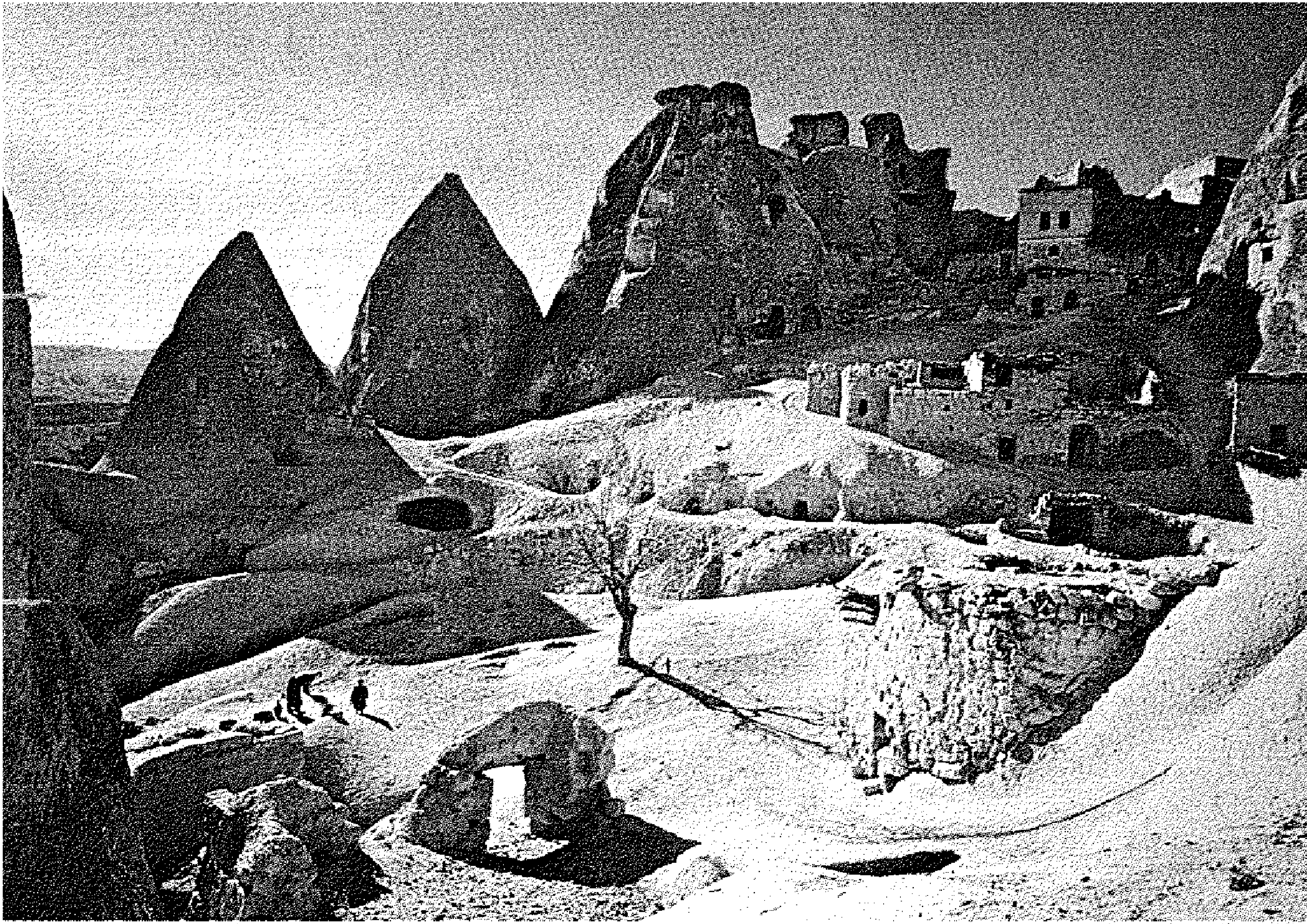
أما تركيا الثانية فهي الطوق



الساحلي المحيط بها كأنه سجادة صلاة نسجت خيوطها الازهار وفرشتها ابتهالا عند سفوح جبال الالب الشديدة الانحدار والتي تكلل قممها الثلوج. ووسط كتلة من نباتات البوغنفيلية المعترشة والميموزا والدفلى والورد، يعيش المزارعون الميسورون نسبيا في بيوت من الجص متباينة الألوان: فمنها ما هو بلون المغرة الصفراء، ومنها القرنفلي والأخضر اليشبي والأزرق. أما اللون المفضل اجمالا فهو الأرجواني الباهت. وقد صنعت سطوح المنازل كلها من القرميد الاحمر البهيج.

وفي الساحل الغربي، حيث تكيّف الناس بالاتجاه الاوروبي والأعمال التجارية، يتولى التجار المتمرسون بيع التبغ الآجي والتين الشهي والعنب وزيت الزيتون والمشمش والدرّاق، بالاضافة الى الصناعة السياحية طبعا. فهنا تقبع الآثار الفريدة من العصر الهليني اليوناني، حيث كان اليونانيون بخوذهم والرومان بتنانيرهم يختالون تيها في مدنهم العظيمة، وحيث يجوب الان القرويون بسراويلهم الفضفاضة على ظهور حميرهم دروب الشواطىء الرائعة ومسالك الهضاب المتوّجة بأشجار الصنوبر.

أرض خيرات — وينعم المزارعون في سواحل البحر الابيض المتوسط بمناخ شبه استوائي، مما ييسر لهم زراعة الحمضيات كالبرتقال والليمون من ناحية، وزراعة القطن من ناحية اخرى. والواقع ان الارض خصبة الى الحد الذي يتبجح معه الاهالي بقولهم: "لو زرعت عصا هنا لنبتت لها فروع وأوراق في ربع ساعة". وفي المدارج الزراعية فوق ساحل البحر الاسود وعلى مقربة من الحدود الروسية، يُزرع الشاي التركي ذو المذاق الحاد. وربما رأيت في القرى



كهوف كبادوكيا الصخرية في سهل الاناضول، التي كوّنتها انفجارات البراكين وعاش فيها الرهبان المسيحيون الأوائل.

أحيانا صفوفا من رجال طويلي القامة نابضين حيوية، وقد راحوا يتمايلون جذلا او يقفزون في الهواء على الطريقة القوقازية في رقصات متهللة بعد صيد وافر من سمك الحفش الذي يُستخرج منه الكافيار أو من سمك التن.

اما تركيا الثالثة فتتكون من بضع مدن غربية الطراز، ومنها مدينة انقره في وسط الاناضول، التي اصبحت عاصمة البلاد منذ ٥١ سنة. وهي تتكشف لك في حُلة من بنايات تتزايد علوا باستمرار ومبانٍ حكومية ومنشآت صناعية. وقد أخذت جنباتها تتوسع في امتداد مدني لاستيعاب أكثر من مليون نسمة. وتقع انقرة في تجويف جبلي حافل بسحب الدخان والضباب حتى انها تعتبر في السجلات الرسمية أسوأ بيئة في العالم من حيث التلوّث. أما ميناء أزمير الرائعة على بحر ايجه فهو الميناء الرئيسي لتصدير الانتاج الزراعي الوافر وكميات متزايدة من المنتجات الصناعية. وفي الجنوب تتولى مدينة أضنه جمع القطن وتصنيعه، وقد أصبح القطن أكبر محصول تركي لكسب العملة الاجنبية.

قارتان في مدينة – وفي الشمال الغربي تقع مدينة اسطنبول العريقة التي يمتد تاريخها زهاء ٢٦٠٠ سنة الى الوراء. وهي المدينة الوحيدة في العالم التي تضم طرفي قارتين، حيث



هيكل الامبراطور ادريانوس في أفسس.

تتلاقى ضواحيها الآسيوية عبر جسر معلق فوق البوسفور مع الطرف الرئيسي من المدينة الذي يقع في القارة الاوروبية. وقد تم بناء الجسر حديثا، ويبلغ طوله ١٦٠٠ متر. وتتباهى اسطنبول بوجود ٩٠٠ كنيسة ومسجد تقريبا، يعود تاريخ عدد كبير منها الى أيام القسطنطينية الباهرة والى العهد العثماني حيث كانت المدينة "بوابة السعادة" في نظر السلاطين. ويبلغ عدد سكانها اليوم أربعة ملايين نسمة. وهي تمتد طولا مسافة ٩٦ كيلومترا. وتعتبر الميناء الاول في تركيا والمركز الرئيسي للتجارة والملاهي.

هذا الصراع العنيف بين المدينة والريف يجعل من التجوال في تركيا مغامرة متصلة من التباين والتقابل. وبينما ترى القرويين يسوقون عربات تجرها الخيول، ينطلق أهل المدن في سيارات المرسيدس، وفي حين يصوم الريفيون الممتنعون عن المسكرات طوال شهر رمضان المبارك بوازع من البر والتقوى، يتزود رجال المدينة بأقداح "الراكي" او العرق المصنع من كحل اليانسون، وقودا لحفلاتهم الليلية العامرة بهز البطون. وفي الوقت الذي تُباع الفتيات الفلاحات بأثمان العروسة، ترى نساء المدن العصريات من حملة شهادة الدكتوراه يوجهن برامج برلمانية وأخرى في مجالات علم النفس.

على انه، مهما تفاوتت مستوياتهم الثقافية وأوضاعهم المادية، فان الاتراك جميعا متساوون من حيث تقاليد الضيافة والكرم. فالزوار والاغراب يوضعون دائما في المقام الاول، واليهم يُقدّم أفضل ما في

متناول اليد. "انه واجب علينا، فانتم الضيوف": هذا ما يقوله الاتراك على الدوام مع انحناءة خفيفة، مسندين أكفهم الى الصدور.

ويعتمد كل شيء تقريبا لدى هذا الشعب المسلم في ايمانه على القرآن الكريم ومشيئة الله. لكن تركيا شهدت مع ذلك تطورات عدة، يهودية ومسيحية حيوية، بحيث انها وُصفت بـ"أرض الله عزّ وجل بعد القدس الشريف".

يُعرّف سفر التكوين قمة أرارات المغطاة بالثلج بأنها المرسى الذي حطت فيه سفينة نوح المطلية بالقار إثر انحسار الطوفان. وعلى سفح هذا الجبل الذي يرتفع ٥٠٨٣ مترا، ابتسم في وجهي الدليل الكردي قائلا بمنتهى التسليم: "هناك فلك نوح". وثمة كثيرون سواه يؤمنون بالشيء نفسه. لكنّ المتسلقين لم يعثروا في مسالكهم الا على خيام الرعاة والدببة، ولم يشهدوا في قممه سوى الغيوم والاعاصير الثلجية.

وفي منأى الى الجنوب من مرتفعات أرارات وسحرها المبهم، وبعد اجتياز جوهرة الكوبالت في بحيرة فان، تقصَّيتُ في أسفاري آثار حرّان التي ورد ذكرها في التوراة، وهي مراعٍ فسيحة جدا يحدّها نهر الفرات.

انطاكية السورية ــ وعلى بعد ٣٢٠ كيلومترا فقط الى الغرب من حرّان، قامت أول كنيسة مسيحية في قلب أكثر المناطق التركية عروبة اليوم، والتي تمتد الى هضاب سورية الخضراء المطلة على المتوسط. ووقفتُ في غار القديس بطرس غير المضاء والمنحوت في جوف الجبال الكلسية ذات الاجراف المتحدرة، وقد قامت في أسفلها مدينة انطاكية المغبرة فوق طبقتين متباينتين ارتفاعا حيث ينساب نهر اورونتس (العاصي).

وهناك كنيسة أخرى، يرجع عهدها الى القرن الرابع الميلادي على مسافة الى الغرب من انطاكية. ففي ميناء دير الصغير على ساحل المتوسط وهي بلدة تكتنفها بساتين الحمضيات، قامت كنيسة القديس نيقولاوس العزيز على قلوب الاطفال. ولا يزال على جدران الكنيسة رسم بَهُتت معالمه لذلك الاسقف المتقشف ذي الجسم الناحل واللحية الشعثاء. ولم أدر، وانا ادقق النظر في رسمه، كيف حوّلت اسطورة سانتاكلوز (بابانويل)، التي ابتدعتها اوروبا وامريكا، هذا الرجل الجليل الى رجل بدين وضاحك يرتدي بزّة حمراء.

ان جميع الاديان التي هيمنت في سماء الاناضول دعت الى التوحيد. وبين الاضرحة المقدسة في تركيا ضريح يؤمه سنويا ٢٠٠ ألف زائر من المسيحيين والاهالي المسلمين على حد سواء. وذلك هو ضريح السيدة مريم العذراء الذي شُيّد حوله معبد من الحجر والقرميد على جبل البلبل فوق ميناء أفسُس القديم على ساحل ايجه المختنق بنباتات القصب. وهناك ايضا آثار كنيسة القديس يوحنا الواقعة على هضبة أفسس حيث كتب القديس يوحنا انجيله وحيث وافته منيته بعد عمر مديد في نحو السنة المئة بعد الميلاد.

طروادة الاغريق ــ على ان اعظم الكنوز الأثرية في تركيا هي، بلا

منازع، انقاض طروادة التي تقع وسط بساتين الزيتون الفضية الخضراء على سفح هضبة آسيوية تبعد مسافة ٢٤٠ كيلومترا شمال مدينة ازمير. وهي في محاذاة ايجه وتنخفض قليلا عن مضيق الدردنيل. ولم يتم اكتشاف اي من مدن الاساطير الطروادية التسع الا في الحفريات التي جرت عام ١٨٧٠. وكان منظرها فاتنا وخلابا كملحمة هوميروس الخالدة التي تحكي قصة ذلك الوجه الذي من أجل محاسنه أبحرت الف سفينة للقتال. وإذ وقفتُ على مشارف مدن طروادة التسع - وهي تسع طبقات من الجدران السميكة والاستحكامات والمتاريس - أطلقتُ العنان لأحلام اليقظة ورحت أملأ السهل الفسيح، الذي تموج فيه سنابل القمح، بالأبطال الخالدين من أمثال أخيل وفطرقل وهكتور.

ثم انطلقتُ شرقا مسافة ٤٨٠ كيلومترا الى أنجاد غورديام المتموجة، فدخلتُ بوابتها الجدارية الهائلة التي كشفتها التنقيبات اخيرا، وهي البوابة التي فُتحت للاسكندر. وعلى مقربة من العاصمة الحصينة تقوم تلة تراب يرقد تحتها الملك ميداس الذي عاش في القرن الثامن قبل الميلاد. والى جانب كونه أول من يُكنّى بـ"الاصبع الذهبي"، فان ميداس يُذكَر بأنه باني مدينة انكيرا القريبة الى هذا المكان، والتي دبّت فيها الحياة من جديد باسم انقره. وفي جبال هذه المنطقة تعيش ماعز الانغورا ذات الصوف الابيض الحريري المعروف باسم "موهير".

وفي ظلال وادي سرديس الوارفة المتدثرة بكروم العنب الكثيفة والمشرئبة بأشجار الحور، عاش الملك كرويسس أغنى رجال الارض "طرّاً". ويعود الفضل في ثروته الى الليديين الذين سَكّوا له أول قطع نقدية من الذهب في العالم، وكان ذلك في حدود عام ٦٨٠ قبل الميلاد. ولا يزال في الامكان رؤية عشرات الاحواض الارضية الضحلة او البوتقات بطول ثلاثين سنتيمترا حيث كان الصَّياغ ينقون هذا المعدن الثمين من شوائبه تحت الحراسة. لكن فخيرة الذهب ولت منذ زمن طويل، ولم يبق من بلاط كرويسس سوى اساطير ايزوب الذي قيل انه كان القاص الملكي في بلاط ذلك الحاكم.

لكن ما من شيء أثارني مثلما أثارني دخول المسرح الاغريقي الضخم في أفسس. وكان بعض السياح يصيحون: "عظيمة هي آرتميس الأفَسُسيين"، اشارة الى ما ورد في سفر "أعمال الرسل" من العهد الجديد - وهي صيحة الفزع التي أطلقها صُيّاغ أفسس من جراء ما فعله القديس بولس الرسول اذ استمال اعدادا كبيرة من الناس الى دينه.

وكان من أثر الهداية المسيحية ان تدنت مبيعات الصياغ من تماثيل الألهة أرتميس الذهبية... هذا المشهد، وغيره من المذكرات النابضة بالحياة لهذا الأرث الفريد، جعلني أدرك ان اسفاري في تركيا أضافت الى عمري آلاف السنين التي تعود بالأيام الى عهد نوح بل الى قرون قبله.

■ آن تيرنر برونو



اصداء من عالم الطب

خفض اخطار زراعة الكلى

أدت الاساليب المتبعة في مستشفى بيتر بينت برايام في بوسطن الى تقليص مذهل لاخطار التلوث المميت المصاحب لعمليات زرع الكلى، بحيث غدت الجراحة "بديلا جذابا" لعملية التحليل المائي (الدياليسيس) • ويفيد تقرير نشر في مجلة (نيو انغلاند) الطبية بان خطر الموت تدنى بنسبة ٢ في المئة لدى المرضى الذين يتسلمون كلى من اقاربهم الاحياء وبنسبة ٥ في المئة حين يكون مصدر الكلى متبرعين بعد الوفاة •ومن ناحية ثانية،تراوح نسب الوفاة في عدد كبير من المستشفيات الامريكية الاخرى بين ٥ و٨ في المئة بالنسبة الى من يتسلمون كلى من اقاربهم الاحياء و١٤ في المئة بالنسبة الى من يحصلون عليها من أشخاص متوفين •

ويتولى الدكتور نيكولاس تلني وزملاؤه في مستشفى بيتر بينت برايام خفض كمية العقاقير التي تعطى عادة للمرضى بهدف اعاقة رفض الكلية المزروعة عبر كبت جهاز المناعة في جسم المريض• لكنهم يزودون الجسم في الوقت نفسه بجرعة واحدة قوية من المضادات الحيوية خلال العملية• ويؤدي هذا التغيير الى تقليص خطر الموت الناجم عن المضاعفات عبر تمكين الجسم من مكافحة الاصابة من دون زيادة خطر رفض الكلية•

ويقول الدكتور تلني: "لقد حاولنا مرارا في الماضي انقاذ الكلية على حساب سلامة المريض• اما الان فما نفعل هو العكس تماما• فاذا اخذت الكلية بالعمل، كان ذلك خيرا على خير• واذا لم تعمل كما يرجى، فان علاجنا يلحق ضررا بالمريض• ويمكنه العودة الى عملية التحليل، لا بل يمكنه أن يقصدنا ثانية لاجراء عملية زرع الكلية من جديد" •

(اسوشيتدبرس)

هل تود ان تعرف ؟

هل يرغب المصابون بداء مميت معرفة ذلك؟

هذا السؤال بنصه كان محور استفتاء لمؤسسة غالوب، اشرف عليه الدكتور مايكل بلومنفيلد وزملاؤه في المركز الطبي لوسط مدينة نيويورك، ونشر في باب "رسائل الى المحرر" في مجلة "نيو انغلاند" الطبية• وكانت النتيجة أن ٨٧ في المئة من النساء و٩٢ في المئة من الرجال ابدوا رغبتهم في معرفة ذلك، على رغم ان بعضا من هؤلاء، كما يعترف بلومنفيلد وزملاؤه ربما غير رأيه اذا كان مصابا فعلا بمرض خطر•

(المجلة الطبية البريطانية)

النظام الغذائي الفعّال

هناك اربعة عناصر ترتكز عليها أية خطة ناجحة لضبط الوزن، وهي: الانتظام على التمرين الجسماني والتغذية السليمة ومراعاة انماط السلوك، اضافة الى الالتزام بالحمية في طبيعة الحال. ومن شأن كل من هذه العناصر ان يتسبب في بعض التغيير، كما ان من شأن كل تغيير ان يسفر عن بعض الانخفاض في الوزن الكلي للجسم، كما ان العناصر الاربعة تفضي، معا، الى نتائج اكثر سرعة وابعد اثرا باعتبار انها تكوّن خطة مثلى لانقاص الوزن في الامد الطويل.

ان تاريخ الحميات الغذائية الطويل الموحش يكاد يكون مليئا بالتغييرات الجذرية التي لا يلبث المرء ان يتخلّى عنها. والدرس الذي يستخلصه الانسان من ذلك هو ان افضل النظم الغذائية هو النظام الذي يتطلب اقل مقدار من التضحية لاطول مدة ممكنة.

ولئن كانت الخطة المثلى، اسوة ببقية نظم الحمية، يعتورها النقص وتقصر عن استمالة المحميين وكسب عطفهم، الا انها تعوض ذلك وأكثر بنتائج فعاليتها، وهي نتائج اكيدة!

ولقد كان لكل من النصائح التي نوردها هنا حسناتها الخاصة بالنسبة الى هذا او ذاك من الناس. فما عليك الا ان تكتشف بنفسك ايها تناسب حالتك اكثر من الاخرى:

المرحلة الاولى:

التمرين الجسماني: ان الميزة الخاصة بالتمرين الجسماني هي انه يتيح انقاص الوزن من دون اي تغيير في العادات الغذائية الاساسية. الا ان التمرين يعتبر مفيدا عموما بصفته عاملا مساعدا للبرنامج السليم لتخفيض الوزن اكثر منه عنصرا اساسيا لهذا البرنامج.

واذا ما تركّز الاهتمام على خفض الوزن، فان الانتظام على التمرين الجسماني له فائدة كبرى في هذا الصدد اذ ان السعرات الحرارية التي "يحرقها" الجسم يتوقف عددها على ثقل الجسم وتحريكه على مدار اليوم. ومن ثم، فان ايسر طريقة لحرق السعرات الحرارية تقوم على تحريك الجسم بكامله لفترات طويلة.

تجنب الرياضة الجمبازية العنيفة: ان برامج التمارين الرياضية المفتعلة

لا تبعث على الارهاق والوهن فحسب، بل انها ايضا غير فعالة كوسيلة لخفض الوزن. فالمشي بنشاط مدة نصف ساعة يساعد الجسم على حرق، مقدار من السعرات يفوق ما تسبب في حرقه ١٥ دقيقة من تمارين "التخفيض المركّز" للوزن، فضلا عن ان المشي أقل ارهاقا.

استخدم عدّاد الخطى (لقياس مسافة السير) واحمله طوال اليوم، وقس المسافات التي تقطعها. ولا تنس تسجيل المجموعات الجزئية ايضا قبل كل وجبة، ثم ادرس جدول المسافات وانظر ما ينبئك به: هل هو يشير الى قلة نشاطك في الصباح؟ ام الى انخفاضه كثيرا بعد الرابعة مساء؟ ام الى انك لا تكاد تتحرك على الاطلاق يوم الاحد؟ وما هو تأثير نمط نشاطك اليومي على ما تأكله؟

ان التمارين الجسمانية ذاتها لا تتسبب في الجوع، ولكن اذا تبين لك، مثلا، ان الفترة التي يبلغ نشاطك فيها ذروته هي نهاية الصباح، وانك تقبل بنهم، لدى خروجك من هذه الفترة، على طعام الغداء، فقد يكون من الافضل ان تؤجل بعض هذه الانشطة الى ما بعد فترة الغداء مباشرة.

امش الخطوة الزائدة: سر على قدميك الى الجهاز التلفوني الابعد، والى صندوق البريد البعيد، واوقف سيارتك في ابعد مكان تجده في موقف السيارات. واذهب مشيا الى بعض الاماكن التي تتوجه اليها عادة بسيارتك، مثل عودتك الى البيت من مكان العمل او من محطة القطار. وزد المسافة التي تمشيها كل يوم، وزد كذلك سرعتك في المشي بأن توسع خطوتك عن عمد، لان ذلك يزيد من السعرات التي تحرقها.

السلم خير لك من المصعد: في مستشفى "مايوكلينيك" طبيب في مستهل الستين من عمره مشهور بجدوى جولاته بين المرضى. وهو لا يستخدم مصاعد المستشفى اطلاقا وانما يفضل صعود السلالم على قدميه مثنى، مثنى. وهناك بعض الاطباء المقيمين في المستشفى يعانون زيادة في الوزن مما لا يعانيه هذا الطبيب. فصعود السلالم يحرق ضعف السعرات التي يحرقها المشي، كما انه يحسن طاقة القلب والرئتين.

قف على قدميك: انك عندما تقف - وان بلا حركة - تحرق من المواد الدهنية مقدارا اكبر مما تحرقه وانت جالس. واذا قضيت ساعة اضافية وقوفا كل يوم، فيسعك ان تفقد ربع كيلوغرام من وزنك في الشهر الواحد. واذا ازعجك الوقوف فتمشَّى، لان هذا يساعدك على ازالة بعض التوتر، كما انه يريحك من ثلاثة كيلوغرامات اخرى في العام.

اجمع بين النشاط والتسلية: مارس السباحة او كرة المضرب. واذا تمكنت من الجمع بين متعة التمارين المنشطة ومتعة الاجازة، فيسهل عليك بعد ذلك الانتظام على هذه التمارين في حياتك اليومية.

المرحلة الثانية:

التغذية: ان محلات المواد الغذائية تعرض للبيع مختلف مقومات الطعام المتوازن، فيتوقف عليك ان تهتدي الى الاختيار السليم، ولا يكلفك ذلك الا مراعاة الحكمة.

المواد الدهنية تزيدك سمنة بسرعة: ان الغرام الواحد من الدهن يحتوي على ضعف السعرات التي يحتويها الغرام الواحد من المواد الكربوهيدراتية او البروتينية، ولذا فان اول مبادىء التغذية السليمة هو ان تتناول ادنى حد ممكن من الدهن. ويمكنك ان تتبين من اي جدول للسعرات مقدار الدهون والزيوت الطبيعية التي تحويها الاغذية (كلحم الضأن والافوكادو وجوز الهند والسردين وسمك ابو سيف الضخم والطويل المنقار والفواكه الجافة مثل الكاشيو والجوز الامريكي، الخ)، او التي تحتوي على كمية اقل من هذه الدهون والزيوت (كاللحم البقري الهبر ولحم الدجاج المسلوخ الجلد والخضر، السلطة والمهروسة، والقريدس (الجمبري) وسمك موسى وبعض الاسماك الاخرى، وبقية انواع الفاكهة). ومن اسهل الطرق لتخفض ما تتناوله من الدهون ان تتجنب ما يضاف منها الى الطعام في اثناء اعداده، ومثال ذلك:

١ - تجنب طلب الاطباق المقلية عندما تتناول الطعام خارج بيتك، لان هذه الطبقة الدهنية التي تغطي المقليات كفيلة بتحويل الخضر الاقل احتواء للسعرات، مثل الكوسى والبصل، الى نوع من "الكابوس" الغذائي.

٢ - تعود الطهي من دون مادة زيتية. فجميع الدهون والزيوت، سواء كانت مشبعة او غير مشبعة، تضيف سعرات الى الاغذية التي تطهى بها. ومن الافضل استخدام اوعية الطهي التي لا يلتصق بها الطعام ولا تستلزم اي زيوت او دهون، كما ان اللحوم المسلوقة وحدها لا تقل في لذة طعمها عن اللحوم المقلية في الدهن او الزيت.

٣ - اسلق الاطعمة التي درجت على قليها، واطه بالبخار الاطعمة التي اعتدت ان تقليها بسرعة في قليل من الدهن، وستجد ان الاسماك والخضر المطهية على هذا النحو تحتفظ بطعمها المتميز بدلا من ان يتيه طعمها في طعم الدهن، لانها تحتفظ بمقدار اكبر من لونها الطبيعي وقيمتها الغذائية ونكهتها الاصيلة.

ركز اهتمامك على الخضر: ان الخضر تزودك بكميات وفيرة من الفيتامينات الطبيعية والالياف، مع انخفاض شديد في محتواها من السعرات بالنسبة الى احجامها. جرب الخضر الطازجة المخلوطة بملء ملعقة من اللبن (الزبادي) وعصير الليمون مثلا، او مع قليل من المايونيز المنخفضة السعرات وصلصة الفلفل.

قوة البطاطس: ان البطاطس هي اكثر الاطعمة المعرضة للتشهير من دون سبب في ما يختص بالحمية، وهي اول ما يتخلى عنه الذين يعملون على خفض اوزانهم. وحقيقة الامر هي ان الثمرة الصغيرة الكاملة من البطاطس قد لا تحتوي على اكثر من ٧٠ سعرا حراريا، واذا اضيف اليها قليل من الملح والفلفل الاسود الخشن، فانها تصبح من اشهى الاطعمة المغذية المشبعة، مع تميزها بانخفاض سعراتها.

الاغذية الطازجة المحفوظة: كثيرا ما تضاف السعرات، في شكل سكر مكرر، في كل واحدة من مراحل تصنيع الاغذية المحفوظة. ومثال ذلك ان كوبا مليئا بالفاصوليا الخضراء الطازجة لا يحتوي عادة على اكثر من ٣٥ سعرا حراريا، بينما هو يحتوي على ٤٥ سعرا في حالة الفاصوليا

المعلبة، ويرتفع هذا الرقم الى ٦٠ سعرا في الكمية المماثلة من الفاصوليا المجمدة. اما الفاكهة المحفوظة فتحتوي عادة على ثلاثة اضعاف السعرات الموجودة في نظائرها الطازجة. فتذكر اذا عندما تذهب الى محل بيع الاغذية ان تختار الخضر والفاكهة الطازجة او تلك التي تكون محفوظة او مجمدة ولكن من دون اضافة سكر اليها... وعليك ان تقرأ البطاقات الملصقة على العلب والاغلفة للتأكد من ذلك.

قدر قيمة الهواء: ان الاغذية المنفوخة ذات الحجم الظاهري الكبير تحتوي عادة على مقدار قليل من السعرات. فالارز المنفوخ، مثلا، الذي يمكن تناوله على شكل حبوب او بسكويت لا يحتوي الكوب المليء منه على اكثر من ٥٥ سعرا. وينطبق هذا القول ايضا على الفشار (البوبكورن) الخالي من الزبدة، كما ينطبق على الارز ودقيق الشوفان والطحين التي تنتمي كلها الى هذه الفئة. ومن اقوى الاسباب التي تدعو الى تناول الحبوب غير المحلاة في طعام الصباح انها تمثل مصدرا جيدا للالياف كما ان محتواها من السعرات معتدل.

انتبه لما تتناوله من السكر: ان السكر المكرر مشحون بالسعرات، وهو، مثل الملح، من المواد الغذائية التي تعتادها عن طريق الاكتساب. واننا، لسوء الحظ، نكتسب حب السكريات في سن مبكرة جدا، فيصبح ذلك عادة عميقة الجذور لدينا. وعلى رغم هذا، فان في استطاعة أي من الكبار ان يتحرر من تعلقه الزائد بالسكر، وذلك بان يقلل بالتدريج من الكميات التي يستخدمها منه بما لا يزيد في كل مرة على ملعقة صغيرة.

المرحلة الثالثة:

تعديل السلوك: من الارجح ان تكون عاداتك في تناول الطعام خاضعة، الى حد كبير، للمؤثرات الخارجية، بمعنى انك تستجيب لمنظر الطعام ورائحته وشهيته اكثر مما تستجيب للجوع وحده، وذلك حتى اذا كان وزنك يزيد على المعدل الطبيعي بنسبة ١٥٪. وقد يكون الحل في هذه الحال عن طريق تغيير طريقة تناولك للطعام وليس بتغيير الطعام نفسه.

ولكي تفعل ذلك، احتفظ بمسجل شخصي تدوّن فيه كل يوم، وباكبر مقدار من التفصيل، ما اكلته ومتى وكم استغرقت من الوقت في تناول الطعام وكيف كان مزاجك وانت تتناوله ومن الذي تناول الطعام معك. وكلما كان هذا السجل اليومي مفصلا كلما كان اكثر فعالية كوسيلة للتحكم في السمنة والوزن. فتعديل السلوك يعني احداث تغييرات طفيفة، ولكنها ذات اثر في عادات تناول الطعام. ومثال ذلك:

- لا تشتر الاغذية الا على اساس قائمة تعدّها سلفا، فالنظام الغذائي يبدأ تنفيذه في محل بيع المأكولات. ولا شك في ان الامتناع عن شراء الفطائر المحلاة اسهل من الامتناع عن اكلها اذا استقرت في مطبخك. وعليك ان تدرب نفسك على ذلك.

- اجعل من ثلاجتك شيئا مملا كي تنهى نفسك عن الاكل المتكرر في ساعات الليل المتقدمة، وتحمي وزنك من اغراء عينك الشرهة الى

الاطايب. ويمكنك ان تخزن الاطعمة ذات المحتوى العالي من السعرات داخل ثلاجتك في اوعية غير شفافة. واذا ثبت ان هذا غير كاف لصدك عن شراهتك، فجرّب ان تنتزع المصباح الذي يضيء جوف الثلاجة.

- تناول طعامك دائما في مكان واحد لان الوجبات الخفيفة تبدو لك وكأنها كاملة كما يبدو محتواها من السعرات واضحا لك عندما تتناولها جالسا الى المائدة. وضع في طبق كل شيء تريد ان تأكله، مهما كان صغيرا، لان اخطر انواع "اللقيمات" هي تلك التي تتناولها من اوعيتها مباشرة، قطعة تلو قطعة.

- استعمل طبقا صغيرا، لان الكميات الصغيرة تبدو مشبعة اذا وضعت في طبق صغير، حيث يؤدي الانطباع البصري بالوفرة الى بعث الاحساس النفسي بالكفاية الكمية. ومما يساعد على ملء الطبق ايضا ان تضيف اليه بعض الخضر الطازجة، كغصين من البقدونس، وورقة خس، الخ.

- امضغ كل ما تأكله بعناية لان استجابة مركز الاحساس بالشبع، في المخ، تأتي لاحقة لاستهلاك الطعام بالفعل. ولهذا فان استهلاك الطعام غالبا ما يتجاوز الكمية التي يتطلبها الجوع بالفعل. ووسيلة التغلب على ذلك هي اطالة المدة التي تستغرقها الوجبة مع خفض كمية الطعام مقدار الامكان. ومن الطرق الناجعة في تحقيق ذلك ان تضع شوكتك من يدك بعد كل لقمة.

- تعمد ان تفشل احيانا فقد ثبت لاختصاصيي علم النفس، ولاسباب لم يستطيعوا تفسيرها تفسيرا كاملا حتى الان، ان "الانزلاقات" العرضية من شأنها دعم العادات الحديثة العهد بدلا من افسادها. فمجرد توصلك الى اكتشاف هذا "الاحتيال" معناه انك قد تعلمت التمييز بين الاسلوب الصحيح والاسلوب الخاطىء في تناول الطعام.

المرحلة الرابعة:

الحمية الغذائية: يقول بنيامين فرانكلين (البدين)، في كتابه "تقويم ريتشارد الفقير" محذرا قراءه: "اختصر في طعامك كي يطول عمرك". ولم يهتد الطب حتى الان الى افضل من هذه النصيحة، لكن معظم الاطباء لا ينجحون كذلك في تحديد "القليل" الذي يمكن حذفه من الطعام لكي يؤدي بصاحبه الى خفض وزنه.

فأنت تستطيع ان تخفض وزنك باطراد وعلى نحو دائم بفضل تعديلات ضئيلة في غذائك. فاذا استغنيت، مثلا، عن قطعة من الزبدة كل يوم امكنك التخلص من كيلو غرامين ونصف كيلوغرام في العام. واذا شربت الماء القراح بدلا من زجاجة مياه غازية محلاة كفل لك ذلك التخلص من خمسة كيلوغرامات خلال السنة. واذا حذفت قطعة (توست) خبز خاص بالحمية واحدة كل صباح لنقص وزنك ثلاثة كيلوغرامات في العام. وربما فضلت ان تستغني عن واحد من هذه العناصر في (اسبوع، ثم تستغني عن الآخر في الاسبوع التالي. ويحسن بك ان تختار الاشياء التي يسهل عليك الاستغناء عنها

اكثر من غيرها لان هذا يقلل شهيتك لما حرمت نفسك منه. ولكن، ايا تكن التضحيات التي تقوم بها، احرص على ما يأتي:

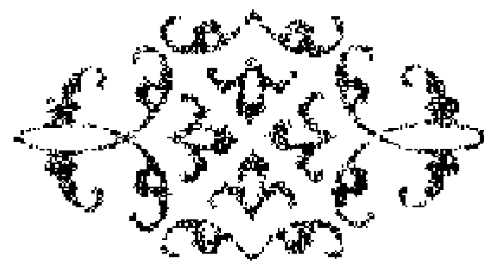
لا تعد السعرات: لان عدها يقوي اقتناعك بأن اتباع الحمية الغذائية حال مصطنعة تنطوي على حرمان موقت، في حين ان البرنامج الناجح للتحكم في الوزن هو نقيض ذلك تماما، باعتبار انه شيء دائم وطبيعي وغير فضولي.

لا تزن نفسك اكثر من مرة واحدة في الاسبوع: فمن الاسباب الرئيسية لفشل الحمية الغذائية هو ان من يتبعونها، كثيرا ما يتخلون عنها قبل ان تاح لهم فرصة النجاح. والباعث الاساسي على ذلك هو ان معظم الحميات الغذائية تنذر بفشلها منذ البداية، ذلك ان الجسم قد يظل محتفظا بسوائله فلا يبدو، بعد الاسبوع الاول او نحو ذلك، اي انخفاض ظاهر في الوزن على مدى اسابيع. وعلى رغم احتراق الانسجة الدهنية بالفعل، الا ان ذلك لا يظهر اثره فورا على الميزان. واما اذا امتنعت عن وزن نفسك خلال هذه الفترة، فلن تعطي الفرصة للميزان كي يثبط عزمك.

تناول وجبات صغيرة بينية (خفيفة او "سناك"): ربما بدا هذا التدبير من اغرب الاقتراحات على الاطلاق، ولكنه قد يكون انجعها. ذلك ان عملية الاكل بالذات، مقترنة بادنى مقدار من السعرات يمكن التزود به قبل موعد الطعام بساعة واحدة، تؤدي الى تقليل الاحساس بالجوع في اثناء الوجبة نفسها، مما يتيح لك ان تبلغ الشبع في الوجبة الرئيسية بعد استهلاك كمية من الطعام تقل عن المعتاد. لكن المهم هنا هو ان تتأكد من اختيار الوجبة البينية التي تحتوي على كمية كبيرة من الماء والخضر الكبيرة الحجم القليلة السعرات، وعصير الفاكهة الطبيعي او الفاكهة الطازجة او الخضر الطازجة.

ولا حدود هناك للتركيبات الناجحة التي يمكن التوصل اليها من الجمع بين بعض هذه الاقتراحات. وامر الاختيار متروك لك انت. وقد لا يكون كل واحد من هذه الاقتراحات ناجعا في كل حال، لكن احدها سينجح بلا ريب في حالك. فلا تخش ان تجرب عناصر هذه الخطة فتختار من بين اقتراحاتها ما يناسبك منها.

■ ادوين بيرد



محطة بطاطا

عندما بدأ شقيقي بيع أكياس البطاطا زنة ٤٥ كيلوغراما في محطة البنزين التي يملكها أثار عمله هذا غضب بائعي المواد الغذائية المحليين. وذات مرة جاء الى المحطة رجل يملك "سوبرماركت" وسأل شقيقي: "منذ متى تبيع المواد الغذائية؟"

فرد أخي: "منذ اليوم الذي بدأت تبيع فيه سائل منع التجمد".

كلّنا في حاجة الى الأحلام

يبدو اننا جميعا في حاجة الى الاحلام. والذين يحرمون الاحلام تنتابهم تغيرات خفية في الشخصية، منها فقدان القدرة على التركيز

اعتبرها سقراط ممثلة لصوت الضمير. ونبذها فولتير لكونها اثرا اعتباطيا لتوعكات جسدية. ودعاها فرويد "الطريق الملكية الى اللاوعي". لكن مهما شعر الانسان حيال الاحلام، فانها تظل ينبوعا لا ينضب من السحر والافتتان. وهي، في السنوات الاخيرة، غدت مصدرا لتدفق عدد من اكثر الكتب رواجا. وتفرعت بسببها "معامل" وحلقات دراسية وتألفت جماعات العلاج بالاحلام.

وفي موازاة تزايد الاهتمام الشعبي العام بها، هناك نمو واضح في مدى الاهتمام العلمي الذي كرس لدراسة الاحلام. فقد اصبحت الصلات التي تربط بين٢٥ في المئة من اوقات النوم التي نقضيها حالمين وانواع المزاج والذكريات والمشاعر التي تعترينا في ساعات الصحو موضوعا لبحوث مستفيضة هذه الايام. وعلى رغم الخلافات الجمة التي لا تزال قائمة في صددها، الا ان اطارا عاما لنظرية جديدة آخذ في التبلور شيئا فشيئا. وان شئنا المبالغة في التبسيط، قلنا ان النظرية ترى البشر كمعامل لتنظيم المعلومات مجهزة للعمل في اتجاهين لتدبير شؤون عالم غير متناه في تعقيداته.

ويشمل الاتجاه الاول نصف الدائرة الايسر من الدماغ، وهو الجانب الذي نعتمده خلال ساعات الصحو ليسوس بفعالية متناهية سيلا دفاقا من الحقائق التي ينبغي التحكيم فيها: فاما قبولها لانها ذات معنى واما نبذها لخلوها من المعنى. اما الاتجاه الثاني فيشمل نصف الدائرة الايمن من الدماغ، ويعنى بالمشاعر المحسوسة اكثر مما يعنى بالحقائق المجردة. وهذا هو الطابع الذي يغلب على العقل الحالم. فالمشاعر التائهة ولمحات العواطف المتفرقة التي سجلها الدماغ في النهار من دون التعرف عليها والتدقيق فيها، تجب معالجتها في اثناء النوم لرؤية مدى تناسبها مع انفسنا.

عملية توفيق – وتقول روزاليند كارترايت: "هذا النوع من تنظيم المعلومات هو من اختصاص نوبة العمل الليلي المنتظمة التي تعنى على الغالب بالمعلومات المتعلقة بماهية انفسنا. فنحن نعمد في الليل الى التوفيق بين المعلومات الجديدة

وذاتنا القديمة والجمع بينهما بحيث يمكننا النهوض في الصباح لمواجهة يوم آخر من الكفاح".

تتخلل الاحلام ساعات النوم مرات عدة في كل ليلة من سني حياتنا. وهذه سمة تشاركنا فيها القطط والكلاب وبقية فصيلة الثدييات تقريبا التي جرت دراستها. وان ذاك النسيان اللطيف الذي نقرنه بهدوء السبات لا وجود له في واقع الامر، لان الرقاد ليلا هو الوقت الذي ينشط فيه اداء الاعضاء لوظائفها السوية والعمليات الذهنية المجهدة.

وحتى تلك الحال الهادئة من الضبابية التي تغشى العقل الواعي والتي نقرنها عادة بالغفو ما هي الا وهم خادع. فقد اظهرت التجارب التي اجريت على عدد من الاشخاص شدت جفونهم شدا بمواد لاصقة لابقاء عيونهم مفتوحة ان هؤلاء الاشخاص يعون ما يحيط بهم لبرهة من الزمن ثم تعمى العيون عن الرؤية على انفتاحها.

وبعد عشر دقائق من السبات يبدأ النائمون بالهبوط التدريجي خلال نصف الساعة التالي في اربع مراحل من الرقاد تتميز كل واحدة منها بذبذبات دماغية معينة يصعب معها تنبيه النائمين. وعند نهاية المرحلة الرابعة يبدأ التصاعد من جديد الى مراحل النوم الخفيف. ويستغرق هذا الصعود من عمق النوم مدة تراوح بين عشر دقائق وعشرين دقيقة. وهذا التصاعد او "الاستيقاظ" يمثل مرحلة محفوفة بالمرعبات والسير خلال النوم وتبليل الفراش. كما ان معظم كلام النوم يحدث في هذه المرحلة.

وبدلا من الاستيقاظ لدى وصولنا الى اخف مراحل السبات، فاننا ندخل في طور يسميه الباحثون "تحرك العين السريع". ولهذا الطور صلة وثيقة بنشاط محموم من الاحلام، وفيه ينقطع النائمون فجأة عن التقلب في الفراش، ويتوقف الغطيط، ويتبدل التنفس على نحو يعوزه النظام، بل قد يتوقف كليا بضع ثوان وترتفع درجة حرارة الدماغ ويزداد تدفق الدم اليه ، ويغدو جسم النائم رخوا كلعبة من الخرق، وتشل العضلات الكبيرة في الذراعين والساقين والبدن ما بين الوركين والرقبة، فلا يشهد المراقب سوى ارتعاش طفيف في اليدين والوجه. وفجأة تبدأ العينان بالتحرك السريع من جانب الى آخر ويتبين، اذا ما فتح الجفنان برفق، ان النائم ينظر الى شيء محدد، وفي الوقت نفسه تنقبض العضلات وسط صحني الاذنين، كأنما النائم ينصت الى بعض الاصوات.

الماء الاخضر — واذا اوقظ النائمون في نهاية هذه الفترة وجد ان غالبيتهم يصفون الاحلام باسلوب يختلف عن النهج الواقعي في الوصف حين يفيقون من نومهم في غير طور تحرك العين السريع. فبدلا من ان يقول النائم مثلا باسلوب واقعي: "كنت افكر في الذهاب في نهاية الاسبوع الى السباحة"، ربما قال: "يا للروعة! كنت استحم في حوض من المرمر بلون القرنفل وكان الماء اخضر!" ويستمر طور تحرك العين السريع في البداية مدة عشر دقائق، يبدأ النائم على اثرها بالهبوط في مراحل النوم العميق من جديد.

ويدلف النائم الى طور تحرك العين السريع من اربع مرات الى ست مرات في الليلة الواحدة على فترات تفصل الواحدة منها عن الاخرى تسعون دقيقة تقريبا. وفي كل مرة تالية يعبر فيها النائم طور تحرك العين السريع تطول مدة مكوثه فيه تباعا بحيث يدوم هذا الطور عند بلوغ الحلم الرابع او الخامس ساعة كاملة من الزمن. وثمة اكثر من مئة وظيفة جسدية مختلفة، من انكماش المعدة الى افراز الهورمونات الى عمليات ذهنية متعددة، تتكرر في دورات كل تسعين دقيقة.

ويقول العالم النفسي بول باكان: "في كل ليلة، وفي اثناء فترة الحلم القصيرة، يغدو الجانب الايمن من الدماغ، وهو الجانب اللامنطقي العاطفي المفعم بالصور، منعتقا من ربقة الجانب الايسر العقلاني. وهذا هو السبب في اندفاع طوفان الصور والاصوات والمشاعر التي نسميها حلما". فالصور تتلاحق بالوانها الباهرة (وكل الاحلام بالالوان) في "تيار الحلم" وتضرب قوانين المنطق عرض الحائط في كثير من الاحيان فاذا بشجرة الصنوبر الباسقة تنمو، في هذا العالم الغريب، في الرف الاسفل من الثلاجة، وبالهر الصغير الاليف يتحول الى وحش ضار طوله ثلاثة امتار.

ظواهر غير طبيعية ـ يبدو اننا جميعا في حاجة الى الاحلام، وانه كلما صغرت السن عظمت الحاجة. حتى ان الاطفال يقضون زهاء نصف نومهم في طور تحرك العين السريع. وقد اثبت الباحثون ان الاشخاص الذين يحرمون الاحلام تنتابهم تغييرات خفية في الشخصية، فتراهم يزدادون مشاكسة وانفعالا وقلقا، وكثيرا ما يفقدون القدرة على التركيز.

وقد ظهرت لدى احد الاشخاص الذين هم قيد الدراسة عوارض جنون التشكيك والارتياب بعد انقطاع الاحلام لديه، بينما راح شخص آخر يغش الخادمات في المطاعم لدى دفع الحساب. وما ان يزول الحرمان من طور تحرك العين السريع حتى يندفع المحرومون في "عرس من الاحلام" فيكثروا من الفترات التي يقضونها في طور تحرك العين السريع حتى يستهلك هذا الطور احيانا نوم الليل بأكمله.

على ان الانغماس في الاحلام يؤذي بمقدار ما يؤذي انعدامه. ويقول احد الباحثين: "اذا انت واصلت الصبحة او نومة الغداة الى ساعة متأخرة، خصوصا ايام الاجازة الاسبوعية، فغالبا ما تشعر لدى نهوضك بالتعب الشديد. والسبب في ذلك انه كلما طال نومك طالت احلامك. والاحلام عمل مرهق". والمعروف ان للاقلاع عن الكحول وانواع المسكنات والمنومات والمهدئات من البربيتوريت والامفيتامين وغيرهما - ومن عادتها تخفيف نسبة الاحلام في النوم - نتائج جانبية، من اسوأها صرف الليالي المرهقة في احلام تغلب عليها صفة الكوابيس.

لماذا نحلم؟

يبدو ان عملية الحلم تساعد في تدبر مشكلاتنا والتغلب عليها. ويظهر

ان الناس حين يواجهون اوضاعا صعبة، كمقابلة من اجل وظيفة جديدة او الانهماك في اتقان عمل جديد وما شابه ذلك، يظهرون عادة زيادة حادة في مدى الوقت الذي يقضونه في طور تحرك العين السريع لدى النوم.

وقد تحير الباحثون من قدرة العقل الحالم على اعطاء حلول لمشكلات مستعصية. وهناك عشرات من عباقرة المبدعين، امثال البرت اينشتاين وموزار وادغار الن بو، ممن اعتمدوا الحلم بصورة منتظمة ليفتح لهم البصيرة من الداخل. وهناك ايضا فريدريك كيكوله، العالم الالماني الذي صرف سنوات بلا طائل محاولا اكتشاف بنيان الجزيء من سائل البنزول او البنزين الملتهب. لكنه ذات ليلة رأى في حلم افعى تتلوى داخل دائرة، فادرك ساعة نهوضه من النوم ان الافعى شكلت في تلويها شكلا مسدسا، وان جزيء البنزين هو فعلا سداسي الشكل. وكانت هذه الومضة من ومضات البصيرة من المع النبوءات في تاريخ الكيمياء العضوية.

منطق الاحلام – ويتبع معظم الاحلام تسلسلا موحدا ومنظما الى حد بعيد. فأول الاحلام واقصرها يتخذ عادة صيغة الزمن الحاضر. وهو بمثابة مقدمة للاحلام التالية، وغالبا ما يدور موضوعه حول مشكلة شغلت العقل قبل الخلود الى النوم. ويمهد هذا الحلم الموضوع الرئيسي للاحلام اللاحقة. اما الحلمان التاليان فيدمجان مشاعر من الحاضر، الا انهما اكثر اهتماما بالماضي. واما الحلم الرابع فيكون في الغالب نوعا من التمني (كيف اغدو لو تخلصت من هذه المشكلة؟) ويستخدم الحلم الخامس، الذي قد يكون الاخير لدى معظم الناس، مواد من جميع الاحلام السابقة، فيبني منها صرح خاتمة فخمة في صيغة الزمن الحاضر.

ولئن كانت الاحلام معروفة باختفائها في طيات النسيان بعد بضع دقائق من الاستيقاظ، الا ان ما يبقى في الذاكرة منها، في احد المستويات على الاقل، هو اكثر مما تقر به عقولنا الواعية. فقد تبين ان امزجة عدد من الاشخاص الذين هم تحت الدراسة تنوعت بحسب احلام الليلة السابقة، على رغم انهم لم يقدروا احيانا على استعادة تفاصيل احلامهم. والاهم من ذلك – وقد لا يكون هذا مجرد مصادفة – ان الناس الذين يواجهون مشكلات مقلقة ينزعون الى التيقظ لدى نهاية كل طور من اطوار تحرك العين، مما يزيد من فرص تذكرهم للاحلام. ويقول باحث في علم النفس: "من المرجح ان تستعيد ذكرى احلامك على نحو جيد اذا كنت منغص البال. ومن يدري؟ ربما لا يكون من الحكمة تناول حبة المنوم. ولعل من الخير لك ان تحلم بالموضوع الذي يقض مضجعك".

وغالبا ما يقتبس الباحثون ملاحظة العالم كيكوله الذي انهى خطابا له في مؤتمر علمي عقد لبحث اكتشافه تركيب جزيء البنزين، قائلا لمستمعيه المشككين: "دعونا ايها السادة نتعلم كيف نحلم، ومن ثم ربما وفقنا الى اكتشاف الحقيقة!"

■ **لورنس شيري**

أزمة الصّناعة الأوروبيّة

ثمة حاجة ملحة الى جهود جبارة من أجل تأمين سبل العيش لعشرات الآلاف من العمال الاوروبيين الذين يواجهون البطالة في ميادين صناعية مختلفة

قلما عرفت اوروبا الغربية، منذ اندلاع الثورة الصناعية التي تواجهها، مثل هذا التحول العنيف في زمن السلم. فاقتصادياتها الصناعية تنتقل من عصر رخاء لم يسبق له مثيل الى مستقبل من النمو الاقتصادي الغامض، عبر ازمة يتعذر معها سهولة التحديد ووصف العلاج، وان كانت اعراضها مألوفة تماما: تقاعس الانتاج في الصناعات الكبرى وتزايد التضخم في عدد من البلدان وتفاقم البطالة بشكل مقلق واتجاهها الى الاستفحال في بعض المناطق. ولم تدرك الجماهير الا بالتدريج مدى التغير الذي تجتاح امواجه الانماط الصناعية القديمة في اوروبا.

ولقد كان لهذا التحول وقعه القاهر على عشرات الالوف من العمال في طائفة من المناطق المصابة والمرتكزة على صناعة واحدة، انطلاقا من جنوب ايطاليا حتى اسوج. وفي شهر سبتمبر (ايلول) ١٩٧٨، اضرب عمال الصلب في مقاطعة اللورين الفرنسية يوما واحد احتجاجا على الخطة التي ارتأتها الحكومة لانقاذ صناعتهم من الافلاس، والتي تقضي – ضمن اشياء اخرى – بالغاء ٢٠ ألف وظيفة من الآن حتى عام ١٩٨٠. وفي اوائل عام ١٩٧٩ الحالي، اضرب من جديد آلاف العمال في اللورين، واوقفوا القطارات واقفلوا عددا من مدن صناعة الصلب احتجاجا على تسريح العمال الاخير. وفي مدينتي مرسيليا الفرنسية وهامبورغ الالمانية، حيث تم اغلاق عدد من احواض بناء السفن، تظاهر العمال لمطالبة الحكومة باتخاذ اجراءات تحول دون المزيد من اغلاق الاحواض. وقبل ذلك ببضعة اشهر سار عمال الغزل والنسيج في منطقة الفوج الفرنسية في مظاهرات

اخترقت المدن الصناعية اعرابا عن استيائهم من تسريح العمال والغاء الاشغال على أثر انهيار امبراطورية "بوساك" الجبارة للغزل والنسيج.

تدهور الصناعات الضخمة — ويعود سبب الخطر الاجتماعي والاقتصادي الرئيسي، في ما يبدو، الى تدهور تلك الصناعات الضخمة، ولا سيما صناعات الصلب والغزل والنسيج وبناء السفن، التي تكفل اسباب الحياة لأربعة ملايين و٣٠٠ الف اوروبي. ذلك ان كثيرا من الشركات الصناعية القائمة في هذه القطاعات المتعبة قد اصابها ما اصاب الدينوصور من حيث انها تضخمت الى احجام تصعب السيطرة عليها وتدنت جدارتها الى مستوى اصبحت معه عاجزة عن التنافس في عالم متغير قاس. ولكي تتمكن هذه الشركات من البقاء، فقد اصبحت مكرهة على الانكماش والتطور والتجديد.

ويوجه القادة السياسيون والاقتصاديون انذارات حذرة حول الاضطرابات التي قد يفضي اليها هذا الوضع. فيقول وزير مالية المانيا الغربية هانز ماتهوفر: "اننا بلد يتميز بارتفاع الاجور وارتفاع كلفة التأمينات الاجتماعية فيه، ولن نسعى ابدا لنكون من جديد بلدا منتجا للصلب والمنسوجات على نطاق واسع او لنعودمرة اخرىبلدا منكبارالبلدان بناة السفن". ويصفايتيان دافينيون، مفوض المجموعة الاوروبية للشؤون الصناعية التحدي القائم بقوله: "ان الامر لا يقتصر على احتمال اجراء التغييرات، وانما يجب علينا ان نوجد الوظائف البديلة للوظائف الملغاة".

والسبب الاكبر لقلق الاوروبيين ازاء المستقبل مرده الاقتحام الاستفزازي للاسواق العالمية الذي قامت به بعض البلدان مثل كوريا الجنوبية والبرازيل وتايوان وسنغافورة. فقد اتقنت هذه البلدان المتخلفة النمو تطبيق القواعد في عدد من الصناعات القليلة التعقيد نسبيا، واصبحت تعرض مجموعة من السلع المراوحة من قمصان الفلانيلة الى قضبان الصلب الضخمة باسعار تقل كثيرا عن اسعار المنتجين الاوروبيين.

وقد احدث هؤلاء الوافدون الجدد اكبر مقدار من الاضطراب في اسواق صناعة النسيج. ففي عام ١٩٧٨، كانت نسبة المنتجات القطنية التي اشتراها الاوروبيون من خارج اوروبا ٤٠ في المئة، بل انها كانت احيانا من انتاج مصانع انشأها بعض الاوروبيين في الخارج. وكان ابرز الموردين هونغ كونغ وتايوان وكوريا الجنوبية. فان هذه البلدان وغيرها تستفيد بكل بساطة من الاجور العالية التي يتقاضاها عمال النسيج في اوروبا. ففي بلجيكا يبلغ متوسط اجر العامل في الساعة الواحدة ستة دولارات امريكية، وفي المانيا الغربية ستة دولارات ونصف دولار، وفي ايطاليا ثلاثة دولارات، في حين ان عمال النسيج في هونغ كونغ يتقاضون اقل من دولار واحد في الساعة، ويتقاضى نظراؤهم في كوريا الجنوبية اكثر قليلا من نصف دولار.

العالم الثالث ينتج الصلب — بعدما كان العالم الثالث يستورد الصلب من اوروبا، بات يعمل الآن على انتاجه

بنفسه. وقد بلغت البرازيل والمكسيك مرحلة الاكتفاء الذاتي في انتاج صلب البناء وبدأتا تتجهان الى تصديره. وكذلك الارجنتين وشيلي، فان طاقتهما الانتاجية تتزايد باطراد. وفي ميدان بناء السفن، يوجد لدى كل من البرازيل وكوريا الجنوبية عدد من الاحواض التي تضاهي احدث احواض اوروبا الغربية. وهما تستطيعان - ومثلهما في ذلك مثل بولونيا وتايوان - انتاج سفن الشحن وناقلات النفط باسعار تقل حتى عن الاسعار اليابانية.

غير ان كثيرا من الاقتصاديين يسلمون في الوقت نفسه بان المنافسة الاجنبية المتدنية الاسعار ليست العامل الوحيد الذي ادى الى تدهور صناعات الصلب والنسيج وبناء السفن. بل ان سوء التخطيط - كالزيادة المفرطة في الطاقة الانتاجية واهمال الادارة - يلعبان دورا مهما في هذا الصدد. كما يشكو المخططون الاقتصاديون وقادة الاعمال في اوروبا من ان هناك اسبابا اجتماعية وسياسية جعلت من الصعب تسريح العمال الفائضين. ومن نتائج ذلك ان الشركات التي يتناقص انتاجها لا تستطيع خفض نفقاتها، بل تضطر الى الاقتراض، لا لكي تستثمر الاموال المقترضة في تقنيات ومعدات جديدة، بل لمجرد الاحتفاظ بتشغيل مصانعها.

ويقول هنري دو بودينا، الخبير الباريسي في مشكلات الصناعة لدى مؤسسة آرثر ليتل الاستشارية الامريكية: "من القواعد الاساسية للرأسمالية ان القطاعات الصناعية تبلغ مع تطورها حدا اقصى من النمو ثم تبدأ بالتدهور. فقد حدث ذلك لسكك الحديد، كما هو يحدث الآن لصناعة الصلب. ومن المحتمل ان تواجه صناعة السيارات المشاكل بعد عشر سنوات". ويرى بودينا ان ما جعل من عملية التكيف الصناعي ازمة حادة هو الاحجام عن ابدال الصناعات المتدهورة واحلال صناعات اخرى محلها. ويلاحظ دو بودينا "ان الاقتصاديات الرأسمالية فقدت مرونتها". فالبنوك تنفر كثيرا من تقديم القروض للمغامرة في احياء المشروعات المخفقة، كما ان الحكومات كثيرا ما تثبط عزائم القيمين على مثل هذه المشروعات باغراقهم في متاهات الاجراءات الادارية.

ويقول بودينا: "اذا حدث لمشروع صغير او متوسط الحجم ان اعترضته مشكلة وقتية تتعلق بالسيولة النقدية، فانه ينتهي على الارجح الى الافلاس. اما الصناعة الضخمة التي تعاني سكرات الموت فتستطيع، بصفة عامة، ان تعتمد على الاعانات الحكومية. وهذا امر مناقض تماما لقاعدة "بقاء الاصلح"، باعتبار انه يحافظ على بقاء الديناصورات الهائلة الحجم ويبيد في الوقت نفسه الغدد الثديية".

أوضاع القطاعات ــ بعد هذا لا بد من التساؤل عن مدى احتضار الديناصورات في اوروبا الصناعية واستعراض اوضاع الصناعة قطاعا بعد اخر:

الصلب: يقول دافينيون: "لو اتيح لقوى السوق ان تؤدي دورها بحرية،

لافضى ذلك الى اضمحلال ثلث صناعة الصلب الاوروبية تقريبا"٠ غير ان المعاناة التي تنجم عن مثل هذه التصفية قد تبلغ حدا لا تجرؤ معه الحكومات الوطنية ولا السوق المشتركة على اباحة مقدار كبير من الحرية لقوى السوق٠ ففي الاعوام الثلاثة الماضية وحدها الغيت في هذه الصناعة ٦٠ ألف وظيفة مع استبقاء ٦٩٠ الف وظيفة يشغلها عمال يفترسهم القلق٠ ويقدر خبراء السوق الاوروبية المشتركة ان العودة بالصناعة من جديد الى وضع يمكنها من المنافسة تقتضي الغاء عدد اخر من الوظائف يراوح بين مئة الف و١٤٠ الف وظيفة من الآن حتى عام ١٩٨٥٠

النسيج والغزل: لا تزال هذه الصناعة تسجل اكبر عدد من الوظائف في القارة (٢،٩ مليون عامل)٠ ولقد كان هذا القطاع اول القطاعات التي عانت الامرين من الواردات المنخفضة الكلفة٠ ثم تفاقم الامر من جراء التوسع في استخدام الآلات التي تحل محل العمال فضلا عن تناقص الطلب، مما ادى الى انكماش عنيف في الصناعة٠ وقد حدث على مدى السنوات الخمس الماضية (١٩٧٤ - ١٩٧٨) ان تم اغلاق ٣٥٠٠ مؤسسة على الاقل في هذا الميدان، فاسفر ذلك عن الغاء نصف مليون وظيفة٠ ويقدر الخبراء عدد العمال الذين ستضطر هذه الصناعة الى الاستغناء عنهم من الآن حتى ١٩٨٥ بمليون عامل آخر٠

بناء السفن: انتهى فجأة العصر الذهبي لهذه الصناعة عام ١٩٧٤ مع صدمة ارتفاع اسعار النفط الى اربعة أضعاف ما كانت عليه، وما اعقب ذلك من انكماش اقتصادي٠ ومنذ ذلك التاريخ، تفيد التقديرات ان حكومات دول المجموعة الاوروبية صرفت ما يقرب من ٦٥٠ مليون دولار سنويا على اعانات مختلفة في سبيل المحافظة على استمرار تشغيل احواض بناء السفن وابقاء ١٦٠ ألف عامل في وظائفهم٠ اما الآن فان موظفي السوق الاوروبية يخططون لاجراء خفوضات كبيرة٠ ففي عام ١٩٨٠ لن تتجاوز طلبات بناء السفن لدى الاحواض التسعة نصف الحجم الذي كانت عليه عام ١٩٧٧ (٤،٥ مليون طن قائم)، وقد تستوجب الحال الاستغناء عن ٧٥ ألف عامل٠ غير ان الدول التجارية الرئيسية تلح باصرار على حماية هذه الصناعة٠

والالمان الغربيون هم الوحيدون في اوروبا الذين يجاهرون بمعارضة تدابير الحماية٠ ويشكو احد خبراء وزارة الاقتصاد في بون من "ان هذه الحماية هي مجرد تغطية لاولئك الذين ليسوا على استعداد للتغيير"٠

اما الزعماء السياسيون وقادة الاعمال الآخرون فيرون ان هذه الحماية شر لا بد منه ولو موقتا٠ لكن الحماية، مهما كانت مبرراتها في الامد القصير، فانها تبعث على خلق المشكلات اكثر مما تبعث على تحقيق الفوائد٠ ولا شك في ان المغالاة في سياسة الحماية في الثلاثينات ساهمت بقسط كبير في اندلاع الازمة الاقتصادية٠ وانه لمن الجدير بالصناعات الاوروبية المهددة ان تستغل المهلة الزمنية التي توفرها تدابير الحماية و"طعام الكفاف" الذي

تقدمه الاعانات، لكي تعمل على انجاز عملية التحديث الواسعة النطاق، وقد بدأت هذه العملية فعلا. ويرى الخبراء ان هذه الصناعات، مهما تفاقمت علتها، فهي غير محكوم عليها بالفناء. ويقول الرئيس الفرنسي فاليري جيسكار ديستان: "خلافا لكل ما كتبه الكثيرون، ليس هناك اي قطاع مهدد بالموت، وانما هناك مؤسسات تحتاج الى اعادة النظر في تنظيمها، وهو امر اخر مختلف تمام الاختلاف".

وفي المانيا الغربية، نجد ان عبارة "التغيير البنيوي" تتردد باستمرار على شفاه رجال الصناعة والسياسة والاقتصاد ورؤساء نقابات العمال. ويشمل هذا الاصطلاح مجموعة متنوعة من التدابير، منها: التحول الى انتاج منتجات مربحة، والاستثمار الضخم في شراء آلات جديدة مختلفة عن الآلات الحالية، واعتماد العقل والمنطق في تحديد القوى العاملة او خفض حجمها عند الاقتضاء، واعادة تدريب العمال الذين يفقدون وظائفهم تمكينا لهم من تولي اعمال اخرى، وحتى الاهتمام بتحويل النظام التعليمي عن ميدان العلوم الانسانية وتوجيهه الى التدريب التقني على الصناعات الجديدة.

تعديل النظام - ولا شك في ان الالمان سبقوا غيرهم، وبنشاط اكبر، في تعديل نظامهم الصناعي على نحو جذري، كما يبرهن على ذلك الفائض الكبير في الميزان التجاري لالمانيا الغربية. ويقول المستشار هلموت شميدت: "يتعين على صناعتنا ان تنتج انواع السلع التي لا يزال الآخرون قاصرين عن تسويقها وانتاجها في السنوات العشر المقبلة. وهذا معناه السعي لايجاد تكنولوجيا جديدة واسواق جديدة. وليس امامنا بديل اخر عن ذلك". ويبدي الفرنسيون الرأي نفسه. فيقول وزير الصناعة الفرنسي اندريه جيرو: "ان خروجنا من هذا المأزق مرهون بان نصنع منتجات لا ينتجها الآخرون او لا يصنعونها بالجودة ذاتها".

والحقيقة ان هذا الجو المتشائم لا يخلو، مع ذلك، من بعض مظاهر النجاح المدهشة. ففي ميدان المنسوجات، تنهض بلجيكا بصناعة نشطة للسجاجيد، الى جانب محافظتها على قدرتها التنافسية في مخمل المفروشات. وتحتل كل من فرنسا وايطاليا مركز الصدارة في صناعة ازياء الرجال والنساء. وفي ميدان انتاج الصلب تتولى المصانع الصغيرة، التي يستقر معظمها في شمال ايطاليا بالقرب من "بريشيا"، استخدام الافران المزودة بالاقواس الكهربائية، فيجيء الصلب المنخفض الدرجة الذي تنتجه لاغراض البناء رخيص الثمن، لا يقبل المنافسة. ومن ثم فقد تمكن هؤلاء المنتجون في اواخر ١٩٧٨ من الاستئثار باكثر من نصف السوق الاوروبية لصلب البناء. وفي مجال بناء السفن، اخذ الالمان يتحولون عن بناء السفن البسيطة لشحن البضائع الى بناء سفن الصهاريج المعقدة وحاطمات الجليد وسفن الثلاجات والمصانع القائمة. وركز الفرنسيون من جهتهم على بناء ناقلات الغاز الطبيعي السائل.

وتعتبر سويسرا مثال البلد الذي

يرفض باستمرار تقديم العون المالي للصناعات الخاسرة. فعندما بدأ صانعو الساعات في منطقة جبال الجورا يفقدون سوقهم لصالح الساعات اليابانية الالكترونية، عمد السويسريون بكل بساطة الى اغلاق المصانع القديمة الطراز وسارعوا الى الانتقال الى ميدان الالكترونيات، فغدت سويسرا من اهم المنتجين والمنافسين في صناعة ساعات "الكوارتز".

ويتوقع اسار ليندبيك، اختصاصي الاقتصاديات الكبيرة في معهد ستوكهولم للدراسات الاقتصادية الدولية في اسوج، ان ينتقل جانب كبير من الانتاج الصناعي الموحد النوعية الذي ابتكرته اوروبا الى البلدان النامية. وهو يتنبأ بان يستولي المنتجون الصناعيون في العالم الثالث في اواخر القرن الحالي على ٤٠ في المئة من الانتاج الصناعي العالمي مقابل ٧ في المئة الآن. وسيؤدي هذا التحسن الى رفع مستوى المعيشة في تلك البلدان وتمكينها من زيادة مشترياتها من البلدان الاخرى. وينتظر، في الوقت نفسه، ان ترتفع كلفة الايدي العاملة في العالم الثالث.

غير ان ليندبيك وقرناءه لا يتوقعون لاوروبا ان تصبح قارة مليئة بالتقنيين ذوي المعاطف البيضاء الذين يعملون في مختبرات حديثة لا تشوبها شائبة. فسوف تستمر الصناعة الثقيلة على نحو او آخر. ويقول دافينييون: "ان الفكرة القائلة بان العالم المتنامي سيتولى امر اليد العاملة الكثيفة بينما نتولى نحن امر العمل التكنولوجي الكثيف، فكرة مردودة لا يتقبلها التفكير". وهناك في الامد الطويل عدد من البدائل الاخرى. فصناعات الخدمات - كالسياحة والترفيه والبحوث - تتميز من ناحية العمالة بضخامة امكانات النمو في اوروبا والواقع ان ثلثي السكان العاملين في الولايات المتحدة الامريكية يشتغلون في قطاع الخدمات والمساندة، في حين ان النسبة المناظرة في اوروبا لا تتجاوز الخمسين في المئة.

عبرة الازمة - الا انه قبل حدوث هذه التحولات التدريجية، لا بد اولا من حل مشكلة اسباب مقومات الحياة لعشرات الآلاف من عمال المصانع الاوروبيين الذين تتلاشى وظائفهم تدريجا. ولعل الزعماء السياسيين وقادة الاعمال يتعظون بالدرس الواضح الذي ابرزته الازمة الحالية، وهو: ان حيوية الصناعة لا تتوقف على مجرد القيام بتكييف واحد لبنيتها، وانما هي ترتهن ايضا بالعودة الى نظام اقتصادي اكثر مرونة يتيح الاستجابة السريعة لتطورات السوق. وقد اظهر الرئيس الفرنسي جيسكار ديستان ادراكه للمشكلات القائمة في هذا الصدد عندما امر الجهاز الحكومي المرهق الذي سيطر على الحياة الاقتصادية طيلة الثلاثين عاما الماضية، بأن يتيح للمنشآت الفرنسية مقدارا من الحرية لم يسبق له مثيل.

ولا شك في ان هذا التغير الكاسح الشامل في ميدان الصناعة سيسفر عن تفاقم التوتر من جميع الانواع في المجتمعات الاوروبية المقيدة بالتقاليد. غير انه كلما طال تأجيل اتخاذ القرارات الصعبة، تعسر التحول واصبح موجعا.

■ **مقال من مجلة "تايم"**



مجد الباليه أعطي له

مارغو فونتين تروي حكايتها الفنية مع رودولف نورييف الذي رافقت شهرته خطوة خطوة حتى غدت رفقتهما اسطورة في تاريخ الباليه المعاصرة

لقد امتدت حياتي الفنية اجلا طويلا غير مألوف في الوسط الفني ورقصت مع عدد كبير من الزملاء الذين امتازوا جميعا بالوسامة والشهامة. لكن اشتراكي مع بعضهم في اداء ادوار البطولة يترك في نفسي اثرا خاصا. واني لاذكر بوضوح بدايات احدث زمالة فنية منذ ١٩٦١.

كنت، بوصفي الراقصة الاولى في فرقة الباليه الملكية في انكلترا، محاطة بالمال والشهرة والاصدقاء ومتنعمة، فوق كل شيء، برجل ديبلوماسي من بناما اسمه روبيرتو (تيتو) ارياس، انقذ القلب البشري من سجنه بين ضلوع راقصة الباليه. لكن تيتو لم يطلب مني اعتزال الفن بعد زواجنا، وانما انا التي وجدت في الانفصال عنه فترات طويلة، خلال تجوال فرقتنا في ارجاء العالم، امرا لا يطاق. اضف الى ذلك ان اصابة قدمي كانت تسبب لي آلاما مبرحة. ولهذا فكرت، اذ نظرت في المرآة

ذات يوم، انه لا يمكنني الاستمرار زمنا طويلا . وما كنت لاصدق آنذاك اني سأظل ارقص، حتى بعد ١٥ عاما وانا في الخامسة والخمسين، مع نابغة شاب لم أكن تعرفت عليه بعد. فما احكم ما قاله لي احد الاصدقاء: "ثمة مثل صيني قديم: لا تقل ابدا من اي بئر لن تشرب".

توجهت فرقة البالية الملكية في شهر يونيو (حزيران) من ذلك العام الى روسيا، وبدأت جولتنا على مسرح كيروف الشهير في لينينغراد. وتقرر، في مقابل زيارتنا، ان تحيي فرقة كيروف للباليه حفلاتها على مسرح "كوفنت غاردن" في لندن اثر زيارتها الى باريس. وبعد مضي ثلاثة ايام على الافتتاح، سمعت احدى الراقصات في فرقتنا، بعد مخابرة زوجها في لندن، ان افضل راقص شاب في فرقة كيروف هجر فرقته وطلب حق اللجوء الى باريس.

انف النابغة - كان ذلك الشاب رودولف نورييف. وسرعان ما توافرت الاسباب لتذكيري باسمه لدى عودتي الى انكلترا حيث بدأنا نبحث عن عنصر فني فذ لاجتذاب الجمهور الى احتفال كبير لجمع الاموال خلال شهر نوفمبر (تشرين الثاني). وقالت كوليت كلارك، وهي من عاشقات الباليه التي دأبت على تنظيم الاحتفالات: "سمعت ان الولد الذي فر من فرقة كيروف رائع". واذا باللجنة المسؤولة عن الاحتفال توافقها الرأي: "يا لها من فكرة لامعة". وللتو شرعت كوليت في تقصي اخباره هاتفيا، وتبين لها انه كان يعمل في كوبنهاغن مع فيرا فولكوفا التي كانت معلمتي قبل سنوات. وتبودلت الاحاديث بين فيرا وكوليت، ونقلت فحواها الى نورييف والي شخصيا. واذكر ان الحديث في لندن دار على النحو الآتي:

كوليت: انه يريد ان يرقص معك.

مارغو: لكني سألت جون غيلبن ان يرقص معي. بالله اسألي فيرا اذا كانت تظن انه راقص جيد.

كوليت (في اليوم التالي): فيرا تقول انه يصر بعناد على الرقص معك انت. وهي تقول انه راقص رائع.

مارغو: أف كم يبدو لي انه شخص مضجر. لم يريد ان يرقص معي وهو لم يتجاوز الثالثة والعشرين من عمره ولم تقع عيناي عليه قط؟

كوليت: يقولون ان له حضورا مسرحيا. يكفي ان يمشي فوق خشبة المسرح ويرفع ذراعيه حتى تبصري البجع عند البحيرة! فيرا تقول ان لانفه "فتحتين". وأنت تعرفين ان للنوابغ "فتحات انف".

وأوسعت فيرا فتحتي انفها للتدليل على ما تقول.

واخيرا تخلى رودولف عن اصراره على الرقص معي - الى حين - وطالب بشيء آخر: هلا هيأ فريدريك اشتون، مصمم رقصات فرقتنا، مشهدا منفردا له؟ ووافق فريدريك على ذلك باضطراب كبير، وتم ترتيب كل شيء.

ولما كان رودولف شغوفا برؤية لندن فقد وجهنا اليه الدعوة للحضور سرا لمدة ثلاثة ايام والنزول في دار السفارة البنامية مستخدما اسما مستعارا لئلا يكتشف الصحافيون امر وجوده. واصبح من المقرر ان يصل

مساء احد الايام في تمام الساعة الخامسة والنصف. وفي الساعة الثالثة والنصف رن جرس الهاتف، وقال صوت رخيم عميق. بلكنة اجنبية واضحة: "انا نورييف". فسألته: "اين انت؟" اجاب: "انا في مطار لندن منذ ساعة". فقلت: "اوه! توقعنا وصولك في وقت لاحق. انتظر وسأرسل لك سيارة".

- ساستأجر سيارة تاكسي.

□ لا، لا تفعل، المسألة معقدة. نتظر حيث أنت!

وأنطلق السائق بالسيارة الى المطار.

وبعد ٤٥ دقيقة، رن جرس الهاتف مرة اخرى:

- انا نورييف!

□ ألم يجدك السائق؟

- كلا.

لقد استأجر سيارة تاكسي على رغم كل شيء؟ واذ ترجل من السيارة بينت انه اصغر حجما مما توقعت. قد كان وجهه صغيرا ونحيلا وشاحبا على نحو غريب. ولاحظت فتحتي انفه على الفور.

ورحت اتفحصه خلال تناول الشاي محاولة تكوين رأي فيه. وفعل هو الشيء نفسه بالنسبة الي. وكان في غاية اللطف والدماثة، وتكلم معي بوضوح من ضمن معرفته المحدودة للغة الانكليزية. وكانت جميع افكاره تنعكس في وجهه الذي تبدل من حال الى حال في سرعة البرق. ولحظت مرة او مرتين فتورا يطرأ على عينيه، واني لادرك الان ان ذلك لم يكن سوى مظهر من مظاهر خوفه الذي ظل قابعا تحت غطاء سطحي، متأهبا للبروز لدى أقل اشتباه بالمهاجمة. الا ان رودولف كان يضحك ويفقد حيطته وتوجسه كلما تحدثت اليه في امور طفيفة لا قيمة لها.

لحم الضأن ولحم الحمل – وفي وقت لاحق راقبت رودولف في التمرين الاول الذي يتولاه بمفرده على المشهد المسرحي الجديد، ولاحظت توتره واضطرابه وهو يكرر اداء كل خطوة من خطواته المرة تلو المرة بكل ما اوتي من قوة، حتى كاد ان يصرع نفسه من فرط جهوده. وأحسست بانه لن يقوى على انهاء مشهده المنفرد الطويل اذا ما فتىء يشحن كل حركة من حركاته بأقصى طاقاته.

والحق انه لم يكن هناك داع للقلق. وعندما ارتفعت الستارة عن اول عرض له في لندن، كان رودولف يقف متدثرا بعباءة حمراء طويلة. ثم اندفع الى الامام نازعا دثاره ليرقص بحرية وقوة على الحان سكريابين الجياشة العاطفية. وسواء أكان جمهور الناس الذين اسبغوا على العباءة الحمراء المقيدة للحركة تفسيرا رمزيا محقين في رأيهم، ام لا، فالذي لا شك فيه هو ان الاثر المسرحي كان هائلا.

وكذلك كان دور رودولف في الرقصة الثنائية في "بحيرة البجع". وبعد انتهاء الاحتفال تجمهر الناس حوله وطوقوه خارج المسرح. واتضح لي انه سيكون، ولا ريب، حديث الناس المثير ذلك العام.

وبعيد الاحتفال ابلغتني نينيت دو فالوا، المديرة العامة لفرقة الباليه الملكية، ان رودولف سيرقص في تمثيلية "جيزيل" على مسرح "كوفنت غاردن" في شهر فبراير (شباط)

وأردفت: "هل تودين ان ترقصي معه؟" وكان رد فعلي الاولي هذه المرة: "الا تظنين ان الزمن فاتني؟ لشد ما اشعر بان الرقصة ستبدو كالجمع بين لحم الضأن ولحم الحمل!" لكني بحثت الموضوع مع زوجي تيتو، وقر رأينا على ان من الخير لي ان التحق بالركب، والا فالاعتزال اولى بي.

ولما حان وقت التمرين الاول، كنا كلانا منفعلين ومتوترين. ولا عجب في ذلك. فالرقص مع شريك جديد يقتضي شيئا من حذق النجار للجمع والتوفيق بين طرفين مختلفين. والذي يحدث عادة هو ان يواصل كل من الراقص والراقصة اداء دوريهما على ما الفاه سابقا، الى ان تجيء مرحلة يتعذر معها الانسجام. وجرت العادة حينذاك على ان يقول الراقص للراقصة: "ما الذي تفعلينه الان؟ ساحاول انا ان افعل الشيء نفسه". الا ان رودولف كان يعلم ما يريده بالضبط، فقال: "الا تظنين ان هذه الطريقة افضل؟" ثم دخلنا في مفاوضات، وبدل كل منا بضع خطوات مجاراة للآخر، ومرت ساعتان خلتهما طرفة عين. ولكم كان لسهولة العمل معه، على غير توقع، من اثر عميق في نفسي.

لقد ظن الجميع ان رودولف شرس الطباع، عفوي الحركة، خصوصا لانه ابن فلاح، نشأ في الجمهورية التتارية الغريبة التقاليد الواقعة في الجزء الشرقي من روسيا الاوروبية، ولم يحظ بالقبول في فرقة كيروف الا بعد سنوات من الكفاح. ولكن من المتناقضات ان يكون هذا الشاب التتاري "الشرس" متحمسا للتقيد باصول الرقص واحكامه، بينما انا، الراقصة الانكليزية ذات المزاج "البارد"، اشد اهتماما بالتعبير عن المشاعر. وكان رودولف يريني، بدقة غير متناهية، كيف لي ان احسن بعض خطواتي، خصوصا لان قدمي اليسرى لم تعد تؤلمني. ومع ذلك فان اشد ما اثار اهتمامي كان مدى اندماجه وتفاعله مع دوره. فقد تقمص شخصية الكونت البرخت تماما، كما اصبحت انا جيزيل، الفتاة الفلاحة الحيية التي اودى بها حبها له الى الخيانة والجنون. وكان هناك انسجام عظيم فوق العادة في تشخيصنا للدورين، حتى اني نسيت عقدتي في ما يتعلق بلحم الضأن والحمل.

وفي هذه الاثناء راح رودولف يكتشف لندن والحياة اللندنية. وتبينت من اول مؤتمر صحافي له ان في امكانه تدبر شؤونه على خير وجه. ومع ذلك، فقد كانت فيه مسحة من الصبي الضائع تبعث الآخرين على حب مساعدته. ومن دفاعاته عن نفسه في سنيه الاولى تلك الانتقادات اللاذعة. فكأنما كان يتوقع ان يجد في انكلترا فردوسا حقيقيا تسكنه مخلوقات لامعة على جانب عظيم من الجمال. ولهذا كنا، بطبيعة الحال، مصدر خيبة لآماله. واعتذرت له مرة عن بشاعتنا، فأجاب: "انا لم أقل اني لا احبكم. ثم ان البشاعة قد تكون جذابة وفاتنة".

وبدت له بعض العبارات في حياتنا الاجتماعية، مثل "شكرا لمساعدتك"، زائفة ومتكلفة. لكنه في نهاية

العرض الاول لباليه "جيزيل" وامام جمهور متحمس ايما حماسة، بلغت به العاطفة حد الركوع على احدى ركيتبه وتقبيل يدي. وتلك كانت طريقته في التعبير عن صادق مشاعره من دون شوائب الكلام. ومنذ ذلك الحين ترسخ بيننا ارتباط غريب لم نستطع له تفسيرا. ويمكن وصفه بانه رباط من المودة العميقة او الحب، ولاسيما اذا كان المرء مؤمنا بان للحب اشكالا ودرجات متعددة.

وفي يوليو (تموز) ١٩٦٢، رقصت مع رودولف في باليه "بحيرة البجع" في ايطاليا. وكان رودولف قلقا من جراء مشهد لم يعد جزءا من الباليه الروسية، وهو المشهد الذي اقص فيه انا الحكاية بالايماء. وقد ظن رودولف انه سيبدو سخيفا اذا وقف امامي بلا حراك. وقال: "اخشى ان افسد عليك بحيرتك". فأجبته بهدوء: "ما عليك الا ان تحاول فقط". وعندما بدأنا التمرين الاول، اعترضت على التغييرات التي اقترح هو ادخالها قائلة: "اتعلم اني امثل هذه الباليه منذ ١٩٣٨؟" فغرق رودولف في الضحك واستدركت بسرعة: "لا اظن انك كنت مولوداً". واجاب:بلى. انه العام الذي ولدت فيه". ولم نستطع بعد ذلك مواصلة العمل. وفي اليوم التالي اوقفنا التمرينات بعد الاختلاف مرة ثانية، وذهبنا لتناول الغداء والضحك على امور اخرى. وكان ذلك - باستثناء صباح واحد قضيناه على خشبة المسرح - مجمل تمريناتنا على التمثيلية الراقصة.

طعام للشائعات ــ كان رودولف لا يزال غرا قليل التجارب في أول عهدنا بالعمل معا. وكان يرقص بما يشبه حماسة الهاوي غير المحترف. وتعلم في ما بعد ان يصطنع الانفعال قبيل كل عرض مسرحي باغضاب نفسه. ذلك لانه ايسر للراقص ان يؤدي دوره وهو في حال انفعال واحتدام من ان يؤديه في حال من الفتور او تعمد الحركات. وكنت اراقبه وهو يفتش عن عذر لكي ينفجر بالتعنيف او التجديف مرة او مرتين قبل ارتفاع الستارة عن عرض ذي أهمية. والواقع اني كنت اتفهم اسلوبه ذاك خير تفهم، لاني عمدت شخصيا الى اسلوب مماثل لا باظهار الغضب، وانما بادخال الرعب في نفسي.

وتعاظمت قوة رودولف في رقصه على مر الايام حتى غدت حركاته، عندما أدينا معا ثنائية باليه "كورسير"، وكأنها من لحمة الاساطير وسداها. وبدا، وهو يقفز عاليا في الهواء طاويا قدميه تحته، اشبه ما يكون بالمتربع على بساط سحري غير منظور. واثارني رقصه الى حد نسيت معه اضطرابي واندمجت في اداء ادواري بحرارة ونشوة وابتهاج. وفي اثناء جولة فرقة الباليه الملكية في امريكا صفق لنا الجمهور في نيويورك ما لا يقل عن عشرين دقيقة متواصلة. ولم ينقطع التصفيق الا بعدما رفعت الستارة عن المشهد التالي.

وجاءت بعد ذلك فترة حرجة في حياتنا الفنية، حيكت فيها حول رودولف وحولي خيوط علاقة عاطفية شاعت حكاياتها المختلفة بين الناس ايما شيوع. وانا لا اخفي اني كنت اكن له اعمق الحب والتقدير، الا ان شعوري نحوه غدا منطلقا لكل من اراد

ترويج الشائعات. وبلغت الضجة ذروتها لدى جولتنا الثانية في انحاء امريكا. فقد حدث ان دعينا مع رهط من الاصحاب خلال زيارتنا لسان فرانسيسكو الى حفلة في منطقة الاحداث المتمردين على التقاليد المعروفين بـ"الهيبيين". ولما كان يحفزني فضول كبير للتعرف على المكان، ذهبنا الى تلك البقعة حيث قدمت الينا فعلا لفافات "الماريجوانا"، ولكن احجمنا عن تناولها نظرا الى كوننا من غير المدخنين. وحين اوشكنا على مغادرة المنطقة، حضر رجال الشرطة واعتقلوا جميع الموجودين. ولم نخرج من السجن الا بعد تدخل مدير فرقة الباليه الملكية. ولم ننج حنيذاك من مداهمة الصحف وحملاتها. غير ان رودولف احسن مواجهة الهجوم، علما بأنه لم يرد اصلا الذهاب الى تلك الحفلة. ومع ذلك، لم اسمع منه او من زوجي تيتو الذي كان يخوض آنذاك معمعة الانتخابات في بناما كلمة تأنيب واحدة. ومنذ ذلك الحين عزمت على ان أراعي في المستقبل نفوري الطبيعي من ارتياد الاماكن السياحية.

اما بالنسبة الى الشائعات والفضائح التي حامت حول رودولف وحولي، فلم يسعني سوى الصبر وانتظار هدوء الزوبعة. والحق اني، طوال عملي مع رودولف والخروج بصحبته، لم أره في يوم من الايام يدخل باب داره. فهو كان يذهب وحده تحت جنح الظلام، ويبدو وهو ينأى عبر الشارع المهجور كطيف وحيد يتلاشى شيئا فشيئا في بطن الظلام، ولوقع خطاه المبتعدة رنة حزن بعد صخب مائدة العشاء والضحك. وهذه في الغالب حال اهل المسرح الذين يدفعون ثمنا للظهور تحت الاضواء الساطعة بالتوجه وحيدين الى بيوتهم في غمرة الظلام والمطر.

لقد اختفت نظرات الحيطة والحذر من عيني رودولف منذ وقت طويل. ولكم كان سعيدا خلال جولتنا في اوستراليا عام ١٩٦٣ حيث رقصنا على المسرح ليليا. اما انا فقد وجدت في تلك الجولة ارهاقا جسديا، ولكن رأيت من المهم للجمهور ان يشاهد رودولف، لانهم بمشاهدته يفوزون باضعاف ما بذلوه في الحضور. وكثيرا ما سئلنا عن سر شراكتنا ولم ندر بماذا نجيب. ولكن عدنا فعللناه على اعتباره تواردا في الافكار وتوازيا في ما كنا نفعله على المسرح، حيث يلهب الواحد منا خيال الآخر ويلهمه في الابداع والتفوق من ضمن النهج الذي سرنا عليه.

لا وقت للتقاعد - تعلمت، ولا شك، الشيء الكثير من مجرد مراقبة رودولف. وهو الذي اقنعني بالتتلمذ على ايدي اساتذة جدد، كما شجعني في وقت متقدم من حياتي على ان اضيف الى حصيلتي من ادوار الفتيات المتيمات بالحب ادوارا جديدة. وعلق على ذلك كله بقوله:"انني اتعلم منك، ولهذا يجب ان تبقى قدرك مصقولة وفي غليان مستمر".

وبقي رودولف صديقا صادقا ايام الشدة. وحين بلغني النبأ المفزع في ٨ يونيو (حزيران) عن اطلاق احد المنافسين السياسيين في بناما

الرصاص على تيتو، كنا في غرب انكلترا نستعد لتقديم الباليه في مهرجان مدينة باث الموسيقي السنوي. وكان رودولف هو الذي عثر علي وانا انتحب في خلوة القاعة غير المضاءة في الفندق حيث اختبأت لاني لم اقو على تحمل التفكير في موت تيتو.

غير ان تيتو لم يمت، بل اصيب بشلل فوري. ومع مرور الوقت تمكنت من تفهم ما كان يدركه كل شخص سواي، وبالتالي، من قبوله، وهو احتمال بقاء تيتو مشلول الاطراف مدى الحياة. ومع مرور الوقت ايضا، تحسنت حالته الصحية الى حد سمح لي بالعودة لمزاولة الرقص، علما بان القلق المالي الذي بدأ يدهم حياتنا ازال كل تفكير في اعتزال الباليه والتقاعد. كما ان مقدرتي على الرقص اصبحت الان اشد مضاء مما مضى، نظرا الى الضرورة، التي حتمت علي المحافظة على مقدار من القوة مواز لما يتمتع به الراقص التتاري الممتلىء حيوية وعنفوانا والذي اوشك على الدخول في اوج حياته الفنية.

لكن الظروف شاءت ان تكتنف حياتي بكابوس جديد. ففي مدينة سبوليتو الايطالية، حيث كنت استعد مع رودولف لتقديم باليه "ريموندا" جاءني نبأ من انكلترا قبيل التمرين السابق للافتتاح يستوجب العودة الى دياري على جناح السرعة لان تيتو، الذي كان يتلقى المعالجة في احد المستشفيات لاعادة تأهيله جسمانيا، اصيب بتشنج افقده الوعي ولم يعد من المحتمل بقاؤه على قيد الحياة.

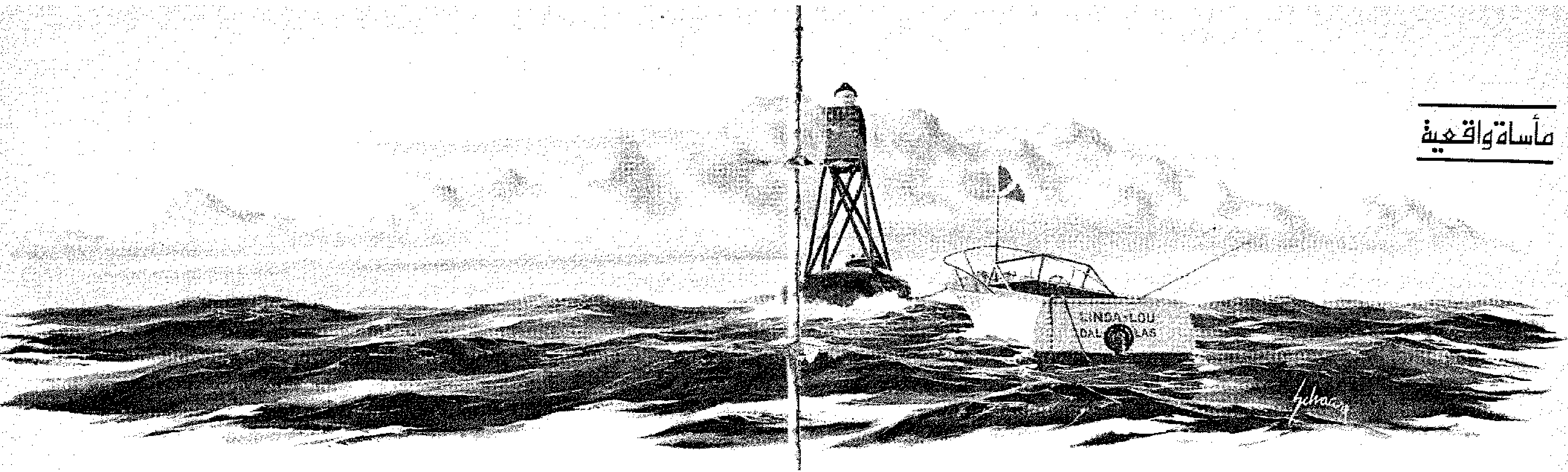
وكنت ادرك مدى اهمية "ريموندا" بالنسبة الى رودولف، ولكنه قال لتوه: "اذهبي فورا ولا تفكري في الباليه". وبعد يومين افاق تيتو من غيبوبته. ولكم افرحني انه استطاع في غضون عام واحد، ان يتعافى ويحضر حفلة افتتاحنا لباليه "روميو وجولييت" في اخراج جديد.

بقي تيتو في المستشفى مدة عامين، ثم اصر على العودة الى بناما حيث حرارة المناخ الاقليمي المفيدة تساعده على التخفيف من لوعته بعدما اصبح اسير كرسي للمقعدين كالبعض ممن تعرضوا لذلك.

ولا تزال التزاماتي الفنية تقصيني عن تيتو بين الحين والآخر. ولا ازال ايضا مقيدة - ان في حياتي اليومية او في الرقص او في حبي للباليه - بروابط لا تنفصم، من بينها الرابطة مع رودولف نورييف الذي جاءني بالتجديد في حياتي الفنية وكأنه وهج حمرة خريفية.

ان رودولف يواصل الان حياته الفنية بحماسة لا تعرف الوهن، كراقص فذ في عالم الباليه. وهو ليس راقصا مبدعا ورائعا فحسب، وانما له كذلك شخصية فذة. ولعل احب ما فيه الي بديهته وسرعة خاطره في اختيار الكلمات والتعابير. واني لاعتز كثيرا بملاحظته التي ابداها عندما سأله صديق مشترك في اثناء جولته مع فرقة الباليه القومية الكندية قبل وقت قريب: "اين مارغو الان؟" فأجابه رودولف بعدما تقنع بوجه مأساوي: "انها تراقص شابا أصغر مني!".

■ **مارغو فونتين**



ضائعون في البحر

كان الرجال الثلاثة من امهر الغطاسين، لكنهم ارتكبوا غلطة اذاقتهم الامرين وكادت ان تودي بهم، فلم ينقذهم سوى الحظ

القى هال سولز نظرة على ابرة بوصلته للتأكد من صحة الاتجاه، فوجد انها تشير الى ١٤٠ درجة، اي الجنوب الغربي بالنسبة الى خليج ماتاغوردا في تكساس. وكان من المتوقع للمركب الصغير "ليندا لو" الذي ينقله مع رفيقيه والذي لا يتجاوز طوله سبعة امتار، ان يصل في غضون ساعتين الى موقع السفينة "ليبرتي" الغارقة على بعد خمسين كيلومترا في خليج المكسيك. وهناك، كان ينبغي للرفقاء الثلاثة ان يرتدوا ملابس الغطس ويتأكدا من سلامة عدتهم وينزلوا في الساعة الثالثة على اكثر تقدير الى الماء حيث يقضون ١٥ دقيقة بين فحص السفينة على عمق ٣٠ مترا والاستمتاع بالمناظر البحرية الجوفية، قبل ان يعودوا الى مركبهم "ليندا لو"، فيتلهون على متنه بصيد الاسماك او ينعمون بحرارة شمس الخليج الرائعة، وكان ذلك اليوم الجمعة الموافق التاسع عشر من مايو (آيار) ١٩٧٨ يوم عطلة واستجمام لهؤلاء الثلاثة من ابناء دالاس.

ولم يسبق لاي منهم ان مارس الغطس في خليج المكسيك، الا انهم قد تهيأوا من قبل للقيام بمهمتهم وحسبوا لكل شيء حسابه. فقد تدرب الثلاثة معا (نورمان جين، سمسار البورصة الحذر المتحدر من اصل صيني والبالغ ٢٩ سنة من العمر، وجو مارشال تاجر السلع المستعملة، والاجتماعي المعشر وعمره ٣٦، وهال سولز الرسام الهندسي الذي يناهز الاربعين) على الغطس طوال ثلاثة اعوام، وحقق كل منهم ما لا يقل عن ثلاثين غطسة، فضلا عن انهم قد غطسوا من قبل الى عمق مماثل في البحر الكاريبي. وكانوا يعلمون ان ليس في مقدورهم البقاء على عمق ٣٠ مترا اكثر من ١٧ دقيقة، خصوصا ان المياه هنا قد تكون اكثر هياجا واضطرابا من مياه الكاريبي. وانما القواعد الاساسية تظل هي ذاتها في كلا الحالين، اي انه يقتضي ان يبقى كل من الغطاسين على مرأى رفيقيه الاخرين، وان يتصرفوا جميعا بتؤدة وهدوء وان يراقبوا ساعاتهم لضبط الوقت. وكان الطقس في ذلك اليوم جيدا: الرياح معتدلة، والسماء صافية.

وفجأة ظهرت لهم عوامة الارشاد مشدودة بسلسلة الى بدن السفينة الغارقة. وبدت السفينة في القاع وكأنها حيد (صخر) بحري اصطناعي على عمق ٣٠ مترا. وربط الغطاسون زورقهم بالطافية واخذوا يستعدون للنزول. فارتدى كل منهم ثياب الغطس من "النيوبرين" المبطن بالنايلون وسترة للنجاة زاهية اللون وشدوا الى اجسامهم احزمة الثقل وخزانات الهواء المضغوط والزعانف التي يبلغ طولها ٤٥ سنتيمترا. واخيرا نظفوا اقنعتهم وانابيب التنفس.

الكوكب الغريب ـ كان نورمان اول من نزل على حبل الهبوط. وتلاه هال. اما جو فقد نزل في الوقت نفسه

مباشرة الى الماء على بعد مترين تقريبا. ولما لحق هال بنورمان تلفظ الاخير باسم جو، وهو يهز كتفيه كأنه يتساءل: اين جو؟". واومأ هال برأسه نحو السطح وانتظرا قليلا ثم اشار نورمان بالهبوط علما منه بوجوب الاقتصاد في استهلاك ما لديهما من هواء كيما يتسنى لهما البقاء ١٧ دقيقة تحت الماء. فقد مضت على وجودهما في الماء ثلاث دقائق، واذا هما لم يسرعا فلن يتوافر لهما الوقت الكافي لتفقد السفينة. ولعل جو قد عاد الى المركب "ليندا لو".

وافلت هال ونورمان الحبل واخذا يغوران في اللجة الرمادية الخضراء وكأنهما يهبطان بالمظلة من احدى الطائرات في دماسة الليل. وفي قاع المحيط، كانت المياه هائجة كدوامة من الرمال والطحلب البحري، لكنهما بعد ان عثرا على بدن السفينة الصلبي وارتفعا الى مستوى ظهرها وجدا الماء هادئا هدوءا عجيبا، صافيا صفاء رائعا، والرؤية واضحة تمام الوضوح. ووقع نظر سولز على افواج من مختلف الاسماك ما بين صغيرة تنزلق بخفة ورشاقة وكبيرة تتحرك بتثاقل ويبلغ طول بعضها احيانا مترين ونصف متر. ورأى سولز فجأة سمكة ضخمة تفغر فكيها عن فم يتسع لرأس انسان.

اهذه روعة الغطس؟ – ذلك هو السؤال الذي تبادر على الفور الى ذهن سولز وهو يتلفت من حوله بحثا عن نورمان. وهل كان المشهد يبرر مثل هذا العناء؟ المرحلة التي استغرقت سبع ساعات من دالاس الى هناك ومشاق الاستعداد للقيام بها. فمن لم يجرب الغطس لا يستطيع ان يدرك ما يجري في القاع ولا يمكن ان ينتابه هذا الشعور بأنه يزور كوكبا غريبا ينفرد بلغته وشرائعه.

وبعد الثالثة والدقيقة العشرين بقليل اخذ سولز ونورمان يبحثان عن حبل الهبوط المثقل ولما لم يعثرا له على اثر قررا ان يصعدا من دون الاستعانة به، وقدرا انه اذا حدث وبلغا السطح عند نقطة بعيدة عن المركب، فان جو سيسارع ولا شك الى انتشالهما.

ولكن جو مارشال كان حينذاك عاجزا عن ان يصدق ما يجري له. فها هو يسبح منذ عشر دقائق طلبا للنجاة بحياته لكنه ما زال يبتعد عن "لنيدا لو" بدلا من الاقتراب منه. فكيف حدث ذلك؟ لقد نزل الى الماء على بعد مترين تقريبا من حبل الهبوط وغطس بسهولة واحكام حتى وصل الى عمق ١٥ مترا لكنه لم ير هناك اثراً لهال ونورمان فقرر ان يعود فورا الى السطح لعله يهتدي الى موقعهما وما ان بلغ السطح حتى ادرك ان هناك ما يبعث على الحرج والقلق في موقفه. فقد ابتعد عنه المركب حوالى ٦٠ مترا واصبح مضطرا الى السباحة باقصى طاقته كي لا تتسع هذه المسافة، ثم خفف سرعته طلبا لبعض الاسترخاء واراحة عضلاته التي اوجعها الالم. وخطر له ان يسبح تحت التيار فشهق شهقة عميقة من خزان الهواء في فمه وحرر الهواء من سترة النجاة المنتفخة ثم غطس الى عمق سبعة امتار ونصف متر وسبح خمس دقائق لكنه عندما طلع الى السطح تبين انه لا يزال بعيدا عن المركب. فتساءل اين اذا هال ونورمان؟ وقال في نفسه: "لا بد انهما قد عادا الى

السطح الان، وانما لا يسعني ان انتظرهما، والامر يضطرني الى مواصلة السباحة.

والقى جو نظرة عجلى هنا وهناك، في كل الاتجاهات فلم ير الا الافق المنبسط الخالي. وتضرع الى الله كي يشد ازره ويمده بالعون.

اما هال سولز ونورمان جين فقد ارتفعا في آن الى السطح واتجها على الفور نحو المركب الرابض على مسافة تراوح بين ٥٠ و٧٥ مترا من موقعهما، وكانت الامواج تؤرجحه برفق. وسبح الاثنان طوال عشر دقائق ولكنهما لاحظا انهما لم يتقدما شبرا واحدا. وغمغم سولز: "ماذا جرى؟" واستأنف السباحة بشدة وحدة، من دون ان يحرز اي تقدم. ونادى باعلى صوته: "جو، يا جو! تعال وانتشلنا. نحن هنا"، معتقدا ان جو موجود على المركب، وانه لن يعتم ان يجيء لنجدتهما.

شعر سولز بتشنج عضلي فقرر ان يستريح قليلا، ونظر الى الوراء فرأى نورمان الى يمنيه يتخبط في الامواج، وبدا له ان ثمة وراء نورمان قناعا آخر وانبوبا للتنفس فقال: "هذا هو جو اذا".

سمك القرش المفترس — ورأى سولز رفيقيه نورمان وجو ينحدران نحو الافق في الساعة الرابعة والدقيقة الثلاثين. وفي الساعة الخامسة والدقيقة العاشرة غاب المركب عن مرآه. فهو اذا اصبح وحده الان، لكنه تمكن بفضل سترة النجاة من ان يحتفظ برأسه وكتفيه فوق سطح الماء فاستبعد عنه احتمال الغرق وركز امله على بوصلته لعلها الوسيلة الوحيدة التي تيسر له العودة الى المركب. في الصباح، رأى سولز على بعد سنادا يمكنه الارتكاز عليه فراح يسبح في اتجاهه معللا الامل بسكون التيار والافلات من الخطر.

وخطر له ان ينزع البوصلة من خزانتها البلاستيكية وان يضعها في ثوبه الرطب فاخرج مديته من قرابها واخذ يعملها في خزانة البوصلة. ثم خيل اليه انه ازاء مشهد سينمائي بطيء بحيث انه رأى المدية تقطع عقدة الاصبع الوسطى من يده اليسرى فانتابته رعبة حقيقية لعلمه بان قليلا من الدم يكفي لاجتذاب سمك القرش المفترس.

وسارع الى سد الجرح بابهامه اليسرى واخذ يضغط عليه فتزايد الالم حتى بات لا يطاق. ثم اخذ النزف يخف بالتدريج، وانما كان هو ملزما بالاحتفاظ باصابعه في وضع معين طالما بقي في الماء. لكنه حتام يبقى في الماء؟ فلا مفر له من الانصياع للواقع: كان الوقت قد داني الغروب من يوم الجمعة. وكان الجميع يجهلون موقعهم ذلك انهم قد انصرفوا على عجل في الصباح من دون ان يملأوا "خطة الطفو" الواجب تقديمها الى خفر السواحل. اضافة الى ان اسرهم لم تكن تتوقع عودتهم قبل الساعات المتقدمة من ليل الاحد.

والواقع ان مخفر السواحل في بورت اوكونر لم يتلق نداء الاستغاثة الا قرابة الاولى والنصف بعد ظهر السبت، عندما بلغه اشعار سفينة الصيد "تروفي" التي كانت تتنقل في جوار السفينة الغارقة "ليبرتي"، فوجدت المركب "ليندا لو" مشدودا الى عوامة الارشاد وعليه راية الغطس غير انه لم يبد على ظهره اي اثر لانسان، طوال ساعات.

وتحسر رئيس مخفر السواحل مارتن دوبرين آسفا: "لماذا لا يتعظ الناس؟ لماذا لا يفهمون ان خليج المكسيك غير مأمون؟ فتياراته تتبدل بسرعة تضاهي تقلبات النسيم الصيفي. وارجح الاحتمالات هو ان الغطاسين قد اهملوا ابقاء احدهم على السطح. فلما عادوا من القاع وقعوا فريسة التيار الجارف مما يعني انهم يتخبطون الان في مكان ما في عرض الخليج؟". واخذ دوبرين يعد خطة لبحث عن الغطاسين الضائعين.

وفي هذه الاثناء كان هال سولز مستلقيا على ظهره في الماء يرقب الشمس وهي تختلس النظر من خلال السحب. وما اصعب ان يضيع المرء في عرض البحر طوال عشرين ساعة، فتلك تجربة مخيفة رهيبة وتشكو أساسا من انها ايضا مثيرة للضجر.

واما في الليل فهناك الاهوال، عندما تتلاعب الظلال بحواس الانسان وتبدو الامواج المزبدة وكأنها تلال رهيبة ويتعالى دويها المتضخم وكأنه الخطر الداهم. وهناك البرد القارس الذي تقشعر له المفاصل. وقد تشنجت ابهام سولز وتخدرت من فرط ضغطها على اصبعه المجروحة. وتورم لسانه وجف حلقه ظمأ وتشققت شفتاه بفعل الماء المالح وانحصر معه البول.

وما عدا ذلك، كان هناك سمك اللشك البغيض الذي يحمل في اعلى رأسه قرصا ماصا يلتصق بالجسم والذي يعيش على الجيف، فكان يحيط به طوال الليل ويتحسس ضلوعه وساقيه. ويبدو ان هذه الاسماك الصغيرة الكريهة ظنته نوعا من سمك القرش فراحت تحاول الالتصاق به.

وانقشعت كآبته مع شروق الشمس، لكن شعوره بالظمأ صار يلح عليه وما زالت اصبعه تدمى وان بدأت عليها بوادر التجلط. ثم انتزع جيبي سترة النجاة لكي يحشو بها قناعه عندما ترتقي الشمس الى سمتها وبذلك يقي عينيه.

وعند الاصيل استلقى سولز على ظهره طلبا للاسترخاء واخذ يتلهى بصفع الماء بزعنفتيه ومضى يرقب القطرات تتطاير في الهواء وتتساقط على السطح من جديد. ثم ومضت في خاطره فكرة مباغتة: وماذا عن سمك القرش؟ فهذا السمك لا يعبأ عادة بأي شيء يلقاه ساكنا لا حراك به. واما اذا بدت اي حركة في الماء فلا بد ان تعني له ان ثمة سمكا وبالتالي غذاء له. وعندئذ انقلب على نحو عمودي في الماء ولم يلبث ان شعر بشيء يرتطم بباطن ربلته (بطة ساقه) اليمنى فتلفت من حوله متوقعا ان يرى بعض الزعانف الظهرية لكنه لم ير اثرا لها. وانزل قناعه تحت سطح الماء واخذ يتفحص مقدم ثيابه المبتلة وساقيه.

ورأى عينين تحملقان فيه، بيضاويتين، سوداوين، واسعتين لا تقل المسافة في ما بينهما عن نصف متر. لقد كانتا عيني قرش. وتطاير عقل سولز، لكنه احتفظ بسكونه من دون الاتيان بادنى حركة. واخذت تتبلور في ذهنه خطة التصرف في هذا الموقف الحرج. فظن، خطأ، ان القرش يهاب الدرافيل حتى وان يكن هناك درفيل واحد، فما كان منه الا ان خرج على رأي الخبراء وراح يقلد حركة الدرفيل بما فيها من تموج وايقاع، ولو انه توقع في كل لحظة ان تدهمه الفكان الضخمتان.

وبعد بضع دقائق، استجمع سولز اطراف شجاعته وعاد يتفحص الماء فلم يجد شيئا على الاطلاق. لقد خدمه الحظ، ومضى القرش في سبيله، وعندئذ قرر سولز ان يستلقي على ظهره وان يلزم الهدوء، تقديرا منه بان تلك هي الطريقة الوحيدة لكي يبقى على قيد الحياة.

بغل التحميل — منذ غاب المركب عن البصر لم يتوقف جو مارشال عن السباحة، اي منذ عشرين ساعة. وكانت تلك الليلة قاسية اضنت جسده وسببت له ألما مبرحا حمله على التفكير جديا في الانتحار، لكنه تمكن من اقناع نفسه بالعدول عن هذا الحل وقال لنفسه: "اذا كان لا بد ان اهلك، فلأهلك وانا اقاوم". وقد كان في استطاعته، وهو يسبح نحو اليابسة بدلا من السباحة ضد التيار، ان يقطع مسافة تراوح بين ٧٠٠ و ٨٠٠ متر في غضون ساعتين، وان ذلك قد يتيح له ان يصادف في طريقه مزيدا من المراكب والقوارب.

وقد افضى به التفكير الى ابراز تلك الغلطة الساذجة الغبية التي قلما يرتكبها غطاسو المحيط، وهي انهم لم يفطنوا الى ابقاء واحد منهم على سطح الماء. فلكم حاول مدربوهم على الغطس ان يرسخوا هذه القاعدة البسيطة في اذهانهم. وتضرع الى الله طوال الليل، وتابع السير.

وقد رأى عند الاصيل شكلا ضخما في الافق تخيل انه جهاز لرفع الاثقال، فاستجمع قواه وشق الماء في اتجاهه بكل عزيمة ومن دون كلل كبغل التحميل. ولم تمر ثلاثون دقيقة الا وكاد ان يصل الى الهدف حيث يصبح في امكانه، بعد بضع دقائق، ان يتمسك بجسم صلب. وما ان بلغ الرافعة الضخمة ومد يده نحوها حتى اختفى اثرها على الاطلاق. فعيناه لم تريا الا اضغاث الاحلام والاوهام.

الدرفيل الاملس — اما نورمان جين فكان ينعم بنوم عميق، وقد تسنى له في اثناء الليل ان ينام لفترات تطول حتى تبلغ عشرين دقيقة، لكن الليل كان مليئا بالمتاعب من جراء حركة السفن العابرة التي كانت مزعجة للغاية. وقد حدث كذلك مرة في ضوء القمر ان تفجر الماء من حوله وتكشف عن اشباح رمادية براقة تشبه الصواريخ وتشق العباب. فتساءل: "اهل هي مجموعة من سمك القرش؟" ثم تبين انها حشد من الدرافيل. ومد يده فاحس بجسم املس ينسل تحتها ويمسحها. وكاد ان يقول للدرفيل: "لقد ضللت طريقي، فواكبني الى الشاطىء"، لكن الدرافيل سرعان ما اختفت.

وقد اوحت له غريزته بان يستلقي في سكون وان يمتنع عن تبديد قواه. فقد علمته ممارسته للجودو والكاراتيه على الصبر والصمود، وقرر ان يتصرف كما لو كان جزءا لا يتجزأ من البحر وان يتحرك مع التيار بدلا من مواجهته.

وفي اصيل يوم السبت اغمض عينيه وراح يحلم بثمار الخوخ والاجاص المليئة بالعصير الشهي. وتخيل انه في احد المقاهي المكسيكية يرتشف عصير الاناناس المثلج. غير ان هذه الخواطر العذبة لم تبرح من دون ان تعقبها فكرة مزعجة، فقد حضرته، قبل ان يغفو مرة اخرى، صورة صديقه جو طافيا على ظاهره فاغرا فاه ميتا.

النجدة ! النجدة! - واستدار هال سولز على ظهره والقى نظرة على ساعته فكانت الرابعة والنصف بعد الظهر، وكانت اشعة الشمس قوية موجعة احرقت شفتيه فصارتا تؤلمانه الما ممضا. وحاول ان يرقب الافق مرة اخرى لعله يهتدي الى سفينة مقبلة. وانتزع قناعه وبطانة النايلون البرتقالي التي كانت تحمي عينيه.

ولاحت في الافق سفينة كبيرة منمقة الطراز. وقال سولز لنفسه: "ليس هذا سوى ضرب من الوهم"، لكنه لم يلبث ان سمع هدير المحركات. وكانت السفينة حاملة النفط تتقدم في اتجاهه فراح يسبح باندفاع لم يعهده من قبل. وما ان اقتربت السفينة الضخمة حتى رأى سولز زورق خفر السواحل الرقم ٤١٤٠١ يجري حول مقدمها ويطلق العنان لصفاراته.

وعلا صياح سولز: "النجدة! النجدة!" ثم اندفع نحو حبل الانقاذ وقبض عليه كالكلاّب. وتم انقاذه وانتهت محنته وتملكه الشعور بالخطأ والذنب..

وفهم رئيس المخفر دوبرين من التقرير الصادر عن الزورق الرقم ٤١٤٠١ ان العثور على سولز قد جرى على بعد ١٠ كيلومترات تقريبا الى الغرب عن "ليندا لو"، بعد ان قضى في الماء قرابة ٢٥ ساعة.

وكان رجال خفر السواحل لا يزالون منذ اربع ساعات يقومون ببحث شامل لانقاذ الغطاسين الآخرين. لكن الشمس قد انحدرت صوب الافق واخذت السحب تتجمع. فاذا مرت ليلة اخرى على الرجلين امتدت فترة بقائهما في الماء الى ٣٦ ساعة واصبحا بالتالي على وشك الانهيار، ومن المعروف ان تناقص الماء في جسم الانسان، من جراء تعرضه للعوامل الجوية، يؤدي الى تركز الملح فيه مما يؤثر بدوره على الدماغ ويفسد قدرته على التفكير السليم.

فلا بد اذا من العثور على الرجلين الباقيين والا انتحرا.

•

كانت الساعة قد تجاوزت السابعة بقليل من صباح الاحد، واخذ الدكتور ايد بويير يستنشق هواء البحر الرطب باستمتاع. وقد درج على الابحار في زورقه في نهاية الاسبوع طلبا للاستجمام من عناء مهنته كطبيب، فلا يسمع الا صدى تلاطم الامواج وحفيف الريح والشخير الهادىء الرتيب الصادر عن احد رفاقه النائمين في اسفل الزورق. واذا به يسمع صوتا من نوع آخر، خافتا، بعيدا، وكأنه صوت طفل يئن في اثناء نومه. وأجال بويير نظره في الماء بحثا عن مصدر الصوت فرأى شبحا يطفو على قمة موجة فظن انه جذع شجرة. ثم بدل ظنه وقال: "بل هو ذراع بشرية تلوح في هلع". وكان الرجل يرتدي ثياب الغطس ويصيح: "النجدة! النجدة!"

وسارع بويير الى تغيير اتجاه زورقه حتى صار في محاذاة المستنجد، واستعان برفاقه في رفع الرجل المنهك الى الزورق واجلسوه في مؤخره واطعموه وسقوه. ولم تمض دقائق حتى وصلت احدى طائرات الهليكوبتر التابعة لخفر السواحل فانتشلت نورمان جين في كرسي الانقاذ، وما ان وصل الى الطائرة حتى تهاوى على احد المقاعد فاحكم حزامه قبل ان يتملكه الانهيار.

صرخة الفرح — ووقف رئيس مخفر السواحل كينيث بيرد على منصة ربان الزورق "بوينت بيكر"، واخذ يتفرس في الافق الرمادي، فلقد انتشل الغطاس الثاني نورمان جين بعد ان قضى ٤٠ ساعة في الماء. وأذهل الباحثين ان يكون موقع اكتشافه لا يبعد اكثر من ثلاثة كيلومترات عن الشاطىء، وقد استنتجوا من ذلك ان المياه قد جرفته على مسافة ثلاثة واربعين كيلومترا.

ولم يكن من السهل بعد هذا ان يهتدي الباحثون الى موقع الغطاس الثالث. فلقد كانت المسافة بين موقعي العثور على الغطاسين الاولين لا تقل عن ٣٠ كيلومترا تولت تفتيشها طائرات الهليكوبتر والزوارق مترا فمترا. واما الان، فلم يبق امام الباحثين متسع من الوقت لاكتشاف الرجل الثالث على قيد الحياة. ومع هذا، فكان جو مارشال يجهل تماما نقطة موقعه من الخليج، وقد قضى ليلة ثانية في البحر محفوفة بالرعب والذعر، ومليئة بالاهتلاس والاوهام وخداعات السراب، وما فتئت اذناه تسدعان طوال الليل دوي محركات السفن ومكبرات الصوت وترصد عيناه الانوار البراقة. وسرعان ما تتلاشى الاصوات وتختفي الاضواء لكي تبرز احيانا من جديد في اشكال مختلفة توهمه بالنجاة.

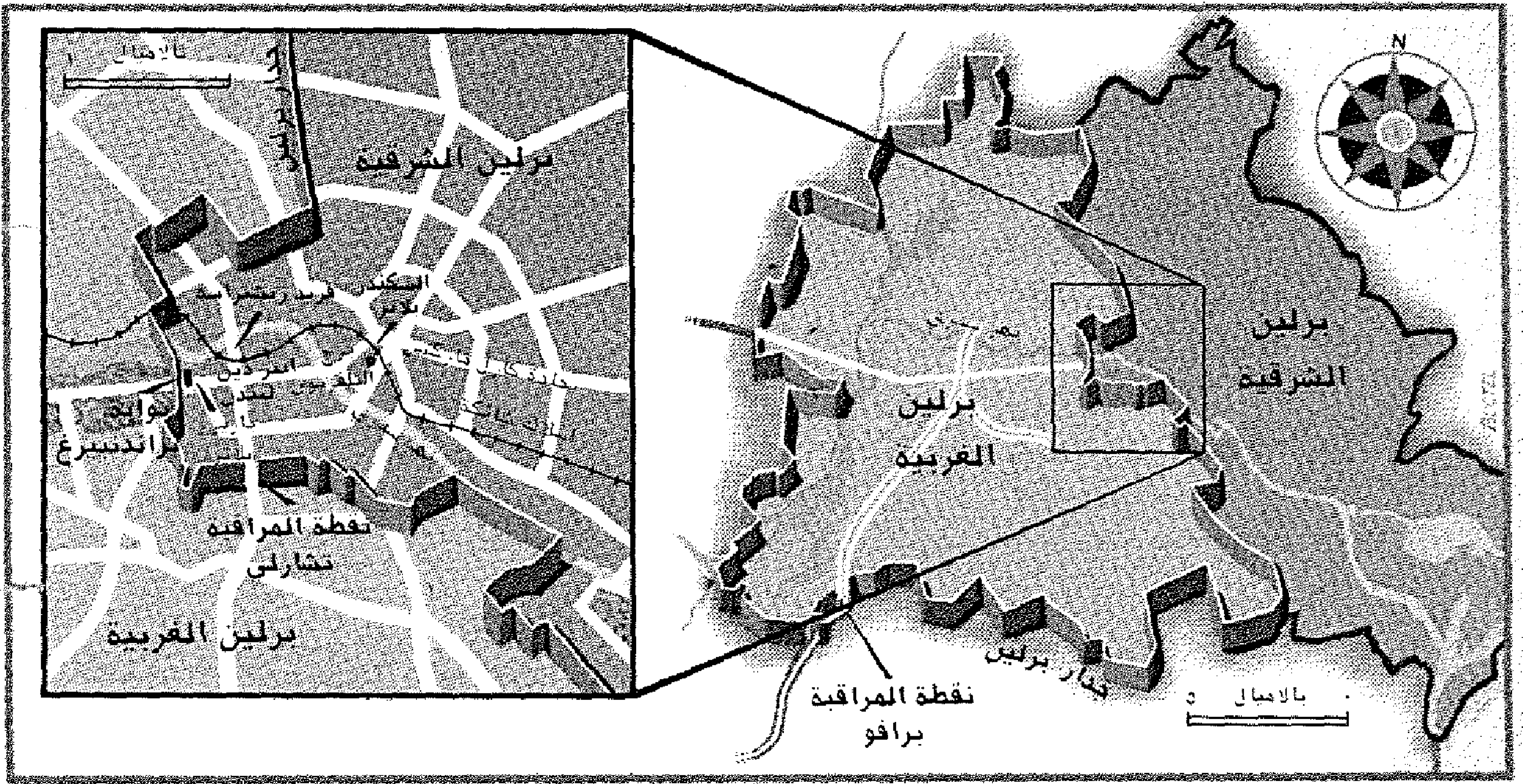
وبالكاد لاحظ بزوغ فجر يومه الثاني في البحر. فقد تسلخت عنقه وكاحلاه وصارت تدمى نتيجة لاحتكاكها بثياب الغطس. وتقرح فمه بعد ان ظل طوال يومين تقريبا يصارع مياه الخليج. وبدا له ان الغلبة ستكون في النهاية للبحر. وانتزع مارشال ثياب الغطس ونشرها على الماء واسند رأسه اليها، فتسنى له بذلك، للمرة الاولى ان يذوق طعم النوم الخالي من الآلام.

وعندما دوت صيحة الفرح التي اطلقها الباحثون من منصة ربان الزورق، ادرك رئيس المخفر بيرد مغزاها على الفور. وعندما انتشلوا مارشال منهكا بضراوة البحر واجلسوه في وضع مريح، قال الغطاس في صوت خافت: "ها هي خطيبتي على مرمى البصر فاذهبوا واخبروها انني هنا". وبدت في عيني مارشال نظرة عميقة رقيقة لن ينساها ابدا رئيس المخفر بيرد لانه لم ير مثلها طوال الواحد والعشرين عاما التي قضاها في خدمة خفر السواحل.

بلى، ليس في مقدور احد ان يأتمن خليج المكسيك، ويدير له ظهر اللامبالاة.

في المستشفى — ادخل نورمان جين وجو مارشال المستشفى لمعالجتهما من آثار التعرض للعوامل الجوية والانهاك، لكن احدا من الرجال الثلاثة لم يصب بضرر بالغ. فما ان جاء يوم الاربعاء حتى استعد الثلاثة للعودة الى دالاس. وبعد انقضاء ثلاثة اشهر على ذلك، سافر الرفاق الثلاثة في منتصف اغسطس (آب) الى كيمان الكبرى في جزر الهند الغربية البريطانية. وفي عصر اليوم الاول لوصولهم ارتدوا ثياب الغطس والزعانف والاقنعة وبادروا الى الغوص لكن المياه هذه المرة كانت ساكنة، واقل عمقا، واقرب مسافة الى الشاطىء.

■ جيم اتكينسون



برلين... وراء الجدار

باتت برلين الشرقية، بعد ترميمها، مدينة عامرة توفر طمأنينة مادية لسكانها • لكن شبحا قاتما يخيم على مظاهر التألق فيها

عندما تصل الى برلين الشرقية قادما من الغرب، تجد المدينة كئيبة وخالية مما يثير الاقبال كأنما تشاهد اعادة عرض شريط سينمائي جاسوسي يعود الى الخمسينات • وتتراءى لك لمحات وصور متوقعة • فهناك جدران كنيسة مزقتها القنابل وواجهات مبنى سكني ضخم خلا من أي زينة معمارية او ما يسر الخاطر، كما ترى اناسا يسيرون بكآبة في وسط مدينتهم المرمم وجنودا واقفين باحذيتهم السود العالية عند زاوية كل شارع •

ولكن بعيدا عن هذا المنظر الكئيب، يرتفع شعار عاصمة المانيا الشيوعية المولودة من جديد، متمثلا في برج التلفزيون الشاهق الذي يعلو ٣٦٥ مترا • وهو واحد من اطول الابراج في اوروبا • وفي داخل كرة من الفولاذ غير القابل للصدأ عند ثلثي المسافة

الى القمة، يستطيع الزوار الذين تجرأوا على ركوب المصعد ان يتناولوا العشاء في مقهى دوار ويحملقوا في آفاق الغرب المحرم عليهم.

على ان الاوفياء للحزب الذين يتوافدون على المدينة المشطورة من الشرق يجدون في البرج مفخرةواعجوبة، وكذلك في كل شيء آخر يطلون عليه من البرج. وبرلين الشرقية هي، في اعين الزوار التشيكيين والبولونيين، مركز التسوق للكتلة السوفييتية. وعندما قمت انا وزوجتي في الشتاء الماضي بزيارة برلين الشرقية، قال لي مواطن روماني: "ان الغرب حرام علينا. وسفرنا من بوخارست الى صوفيا لا ينطوي على تغيير. لكن القدوم الى برلين يعني العيش قليلا".

دلائل ازدهار – ان برلين الشرقية، التي قادت جمهورية المانيا الديموقراطية الى مكانة بين الدول العشر الاولى الصناعية في العالم، هي في الواقع اكثر مدن اوروبا الشرقية احتواء لاجناس متعددة من البشر. فمتاحفها ومسارحها التي تعود شهرتها العالمية الى ما قبل الحرب، رممت بدقة وعناية. واعيد بناء ميدان الكسندر بلاتز الواقع على الجانب الشرقي من وسط المدينة القديمة فاصبح بيضوي الشكل تكتنفه فنادق شاهقة ومتاجر كبيرة تزخر بالملابس الحديثة الطراز والادوات والاجهزة الالكترونية. وحيث ينتهي قطاع انتر دن ليندن عند نهر سبري، هدمت قلعة قياصرة هوهنتزوليرن من اجل بناء مركز مدني ضخم من الرخام والزجاج يضم قاعة مؤتمرات تتسع لخمسة آلاف مقعد فضلا عن برلمان جمهورية المانيا الديموقراطية وقرابة عشرة مطاعم وحانات ومسرح ومعرض لوحات فنية وعدد من حمامات السونا.

يبلغ عدد سكان برلين الشرقية مليون ومئة الف نسمة. ويعيش نصف هؤلاء على الاقل في بيوت مبنية منذ الحرب. وايجار الشقة الجديدة المؤلفة من اربع غرف يكلف شهريا ١٢٠ ماركا المانيا. وقد التقينا ارملة عاملة تسكن شقة اصغر واقدم عهدا، ولكنها مجددة كليا، وتدفع ايجارا شهريا مقداره خمسون ماركا المانيا. وهي شكورة لما تؤمنه الدولة لها من طمأنينية مادية، اذ تقول: "لا بطالة هنا، ومعاشي التقاعدي مضمون ايضا. كما ان حصولي على افضل رعاية طبية لا يكلفني شيئا، ولن اكون عبئا على كاهل ابنائي مطلقا".

وسألتها: "ولكن لو خير لك ان تطلبي من الحكومة شيئا آخر، فما تراه يكون؟"

كنا في تلك اللحظة واقفين قرب ميدان باريزربلاتز على بعد بضعة امتار من جدار برلين الذي يرتفع اربعة امتار ونصف متر ويشطر المدينة قسمين. ولعلي ادركت الجواب عن سؤالي في هذا الموقف حتى قبل ان تجيب، لانه لا يلزم المرء سوى فترة وجيزة في برلين الشرقية لكي يدرك ان الجدار المدجج بالحراس هو الواقع المحوري للحياة هناك، وانه لم يبن لابقاء الاغراب مثلي خارجا، بل لابقاء السكان امثالها داخلا.

المطلوب هو الحرية – وأخيرا شرعت الارملة بالرد على سؤالي،



فقالت: "سأطلب ما يطلبه اي شخص آخر، وهو ان نكون موضع ثقة وان تكون لنا الحرية لزيارة الجانب الآخر والحرية لنسافر". وطأطأت رأسها ثم أضافت: "فقط ان اكون حرة طليقة الجناح".

ان المنافذ الوحيدة بالنسبة الى المسافرين عن طريق البر على امتداد الحاجز الذي يبلغ طوله ١٦٠ كيلومترا والمحيط ببرلين الغربية هي ثلاث نقاط مراقبة، يشرف على اثنتين منها - وتدعيان برافو وتشارلي - الحلفاء الغربيون. وقد توجهت انا وزوجتي صباح احد الايام الى جادة فريدر يشتراسه بالسيارة مارين بالاكشاك العسكرية الثلاثة البيضاء والمعروفة باسم "نقطة المراقبة تشارلي". واجتزنا فورا من القطاع الامريكي الى عالم يبعث القشعريرة في الجسم، حيث ظل اسم الشارع من دون تغيير بينما ظهر كل شيء آخر مختلفا.

وبلغنا نقطة المراقبة التابعة للالمان الشرقيين وعرضها تسعون مترا، بما فيها من عراقيل للدبابات وشبكة من حواجز الطرق المتعددة التي يبلغ ارتفاع الواحد منها اعلى من الخصر، ويخفرها افراد من "شرطة الشعب" ببنادقهم الرشاشة المعبأة. وكنا نعرف ان بنادقهم معبأة لانه، منذ اقامة الجدار عام ١٩٦١، قتل على الاقل سبعون المانيا شرقيا، في اثناء محاولتهم العبور الى الجانب الآخر.

وتم التدقيق في جوازي سفرنا وقورنا بقائمة "أعداء" جمهورية المانيا الديموقراطية. ودفعنا عشرة ماركات المانية رسما لتأشيرتي دخول صالحتين حتى منتصف الليل وعشرة ماركات اخرى ضريبة طريق. ثم كان

مطلوبا ان نحول مبلغا ادنى مقداره ستة دولارات ونصف دولار ، اي ١٣ ماركا، الى ماركات المانية شرقية (على ان يتم صرف هذا المبلغ خلال فترة الاقامة، والا كان علينا تسليمه قبل المغادرة). وأخيرا بدأ شاب متجهم الوجه بتفتيش سيارتنا بحثا عن كتب او مجلات او صحف، ظنا منهم ان جل ما يطبع في الغرب هو دعاية. وبذلك اصبح ادخال المطبوعات محظرا (باستثناء الاوراق النقدية). وبعد اربعين دقيقة من وصولنا سمح لنا بالمرور.

ان الجدار يشطر برلين منذ سبعة عشر عاما، لكن تاريخها كمدينة واحدة يعود الى سبعة قرون خلت. وقد تعرضت للتجارب والمحن مرات ومرات، ولكن لم تكن تجاربها الماضية بالقساوة التي خضعت لها ابان الحرب العالمية الثانية. وبعد الحرب تولى الناجون من نساء واطفال ورجال طاعنين في السن، حمل المجارف لازالة قرابة ٧٥ مليون متر مكعب من الركام والانقاض.

وعندما اكتمل تعمير المدينة تركت المساحة المحيطة بميدان اريزربلاتز - وتعتبر اثمن عقار في برلين الشرقية - خلاء يملأه العشب. وكانت تقوم عليها اكثر مباني المدينة انفة وشموخا مثل رئاسة الرايخ وفندق ادلون والسفارتان الفرنسية والامريكية. اما الان فان ميدان باريزربلاتز متروك بلا حدود، وقد باتت بوابة براندنبيرغ - وهي قوس النصر الذي يرمز الى الكثير من احداث التاريخ الالماني - مسدودة من غير منفذ. ويبدو الشيوعيون كأنما شعروا باضطرارهم الى ابعاد حدود نصف المدينة الذي يسيطرون عليه الى اقصى مسافة ممكنة عن النصف الآخر.

استفتاء الاقدام - وفي يونيو (حزيران) من عام ١٩٥٣، اصبح سكان برلين الشرقية في عداد الملايين المحصورين في الفلك السوفييتي الذين يثورون بخوض معارك جريئة ولكن بلا امل، مستعملين الطوب والايدي المجردة في مواجهة دبابات الجيش الاحمر. وفي غضون سنوات قليلة، وفي غمرة ما اصبح يعرف بـ"استفتاء الاقدام" فر مليونان من الالمان الشرقيين الى الغرب. وما كان من جمهورية المانيا الديموقراطية، التي واجهت نقصا شديدا في الايدي العاملة واذلالا في اعين العالم، الا ان ردت نهائيا على موجة الفرار تلك بوحشية. فقد اقامت ليلة ١٢ - ١٣ اغسطس (آب) من عام ١٩٦١ جدارا بين البرلينين ووضعت جيشا على امتداد الجدار لاطلاق النار على كل من يحاول العبور.

وعلى مسافة قصيرة من الجدار، ذلك الرعب العصري، وصلنا انا وزوجتي في حافلة كهربائية الى برلين شرقية ربما توقف فيها الزمن قبل خمسين عاما. فهناك عالم من الاراضي الزراعية والقرى الصغيرة ذات الشوارع الضيقة التي تحيط بها منازل من الطوب الاحمر بسطوح مسنمة. وهناك داخل حدود المدينة احراج تخترقها مسالك طولها ١٥٠ كيلومترا وتتخللها بحيرات وجداول. وقد ساهمت في خلق هذا الجو الريفي قلة حركة السيارات. وبسبب نقص

السيارات وارتفاع اثمانها، فان واحدا فقط من كل سبعة اشخاص يملك سيارة في برلين الشرقية (بالمقارنة مع واحد من بين اربعة في برلين الغربية).

لقد كانت برلين، في وقت من الاوقات تضم من القناطر اكثر مما في البندقية وتؤوي من التماثيل اكثر مما في روما. وجاء الانقسام بعد الحرب ليترك معظم هذه المعالم في وسط العاصمة القديمة. وقد رممت المعالم التاريخية على النحو الذي يتناسب والعقيدة السائدة هناك، واضيفت اليها تماثيل لبعض ابطال الماركسية. وبمزيج من حسن الحظ وتخصيص ملايين الماركات، تمكنت جمهورية المانيا الديموقراطية من استرجاع الكثير من الكنوز الفنية التي بعثرتها الحرب، كما بنت متاحفها التي دمرتها القنابل. وهذه معالم تقوم بخدمة جلّى في مجال الخدمات العامة لحساب نظام الحكم هناك، اذ انها تجتذب سنويا ثلاثة ملايين ومئة الف زائر.

وازدهر المسرح ودور الاوبرا ايضا. فهناك فرقة برلين الفنية التي ظل بيرتولت بريخت يديرها حتى وفاته عام ١٩٥٦. وهي تواصل نشاطها بانتاج اعمال بريخت الذائعة الصيت بانتظام، مع العلم بان بعض هذه الاعمال لن يلقى قبولا في موسكو. غير ان محط اعتزاز برلين الشرقية الثقافي هو دار اوبرا الدولة حيث لا بد من مشاهدة زعماء شيوعيين عالميين في اي امسية.

بؤس الحياة اليومية – غير ان حركة الحياة اليومية في برلين الشرقية تشكل مفارقة بينة مع هذه الروعة. فهناك صفوف بطيئة من الناس، واصوات اختام مطاطية ترتطم على نماذج لا تحصى لتثبيت قرارات الدولة، فضلا عن بقية المناظر والاصوات التي تتميز بها المدينة. وبما ان المساكن لا تزال في نقص، فان المواطن الاعزب الذي يود مغادرة منزل والديه لن يأخذ على الارجح موافقة حكومية للحصول على شقة خاصة، حتى ولو تمكن من العثور على شقة. ومن ناحية اخرى، لا بد من تخصيص شقة لكل موظف حزبي في الحي الراقي الذي يحمل اسم كارل ماركس. وكلما كان اللقب ارفع، زادت الشقة اتساعا.

ان الحماسة التي تعامل بها الحكومة اولئك الذين يتمتعون بامتيازات تبعث فعلا على الاستياء الدائم بين مواطنين ظلوا على مدى ثلاثين عاما، يستمعون الى عبارات متكررة حشيت بها اذانهم عن المجتمع اللاطبقي. ومع تهكمه على القيم الاستهلاكية البورجوازية، فان نظام الحكم اقام مجموعة من المتاجر العالمية لحاجته الى عملة قابلة للتحويل بسهولة من اجل التجارة الخارجية. وتبيع تلك المتاجر البن المستورد ومستحضرات التجميل وسراويل الجينز الازرق، وحتى السيارات لمن يستطيع تأمين الثمن بعملة صعبة من الغرب. وقد ادى ذلك الى انقسامات طبقية اعمق بين اولئك الذين يستطيعون الوصول الى العملات "الصعبة" – ومعظمهم برلينيون شرقيون على اتصال بالزوار او الاقارب الغربيين عبر الجدار –

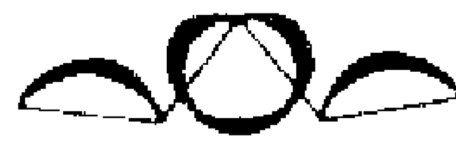
واولئك الذين لا امل لهم حتى في رؤية اي عملة اطلاقا من ذاك القبيل. وقد بلغ ذلك التمييز اخيرا حداً من الاغاظة طالب معه عمال في مصنع ادوات كهربائية، ولكن من دون جدوى، بدفع ٢٠ في المئة من اجورهم بالعملة الالمانية الغربية. ومع ان الدولة تدعي ان سعر تبادل العملتين الالمانيتين هو مارك مقابل مارك، الا ان الصيارفة في برلين الغربية سيعطونك اربعة ماركات شرقية، مقابل مارك غربي واحد.

ولكن في امكان سكان برلين الشرقيةان يديروا اجهزة تلفزيوناتهم لالتقاط برامج تلفزيون المانيا الغربية - ومعظمهم يفعل ذلك - ومشاهدة عالم يتحدث فيه الناس كما يشاؤون دونما خوف من عقاب، والسفر الى حيث يختارون من غير حاجة الى طلب اذن او تصريح. وبما ان شوارعهم تزدحم بالسيارات، فلا حاجة للانتظار مدة ست سنوات قبل اقتناء سيارة.

لقد ادى الجدار مهمته، وباتت فرص النجاة نادرة. غير ان الخروج على النظام في ازدياد. وقد تقدم آلاف المواطنين بطلبات الهجرة وعلى رغم المجازفة في مواجهة مضاعفات خطرة مع فرصة ضئيلة في الحصول على موافقة حكومية، فقد ادلوا ببيان عن كيفية تسيير شؤون شعبهم من خلال الطريقة الوحيدة الممكنة.

وهكذا، بينما تزدحم المسارح والمطاعم وتتألق المدينة المتجددة البناء تحت شمس الشتاء، فان الشعور السائد لدى عامة سكان برلين الشرقيةتغلب عليه الكآبة. واذا نظر البرليني الى خريطة مدينته، فهو يرى فراغا ابيضوراء الجدار. وفي امكانه ان ينظر الى الساعة العالمية الشهيرة في ميدان الكسندر بلاتز ليتعرف بالضبط على الوقت في مدن لا حصر لها ولكن لن يتمكن من زيارتها مطلقا. وهو يعرف ان اكثر القرارات تأثيرا على حياته تتخذ في موسكو، وان على ارض المانيا الشرقية ٤٠٠ الف جندي سوفييتي لضمان امتثاله لتلك القرارات.

■ لورنس اليوت



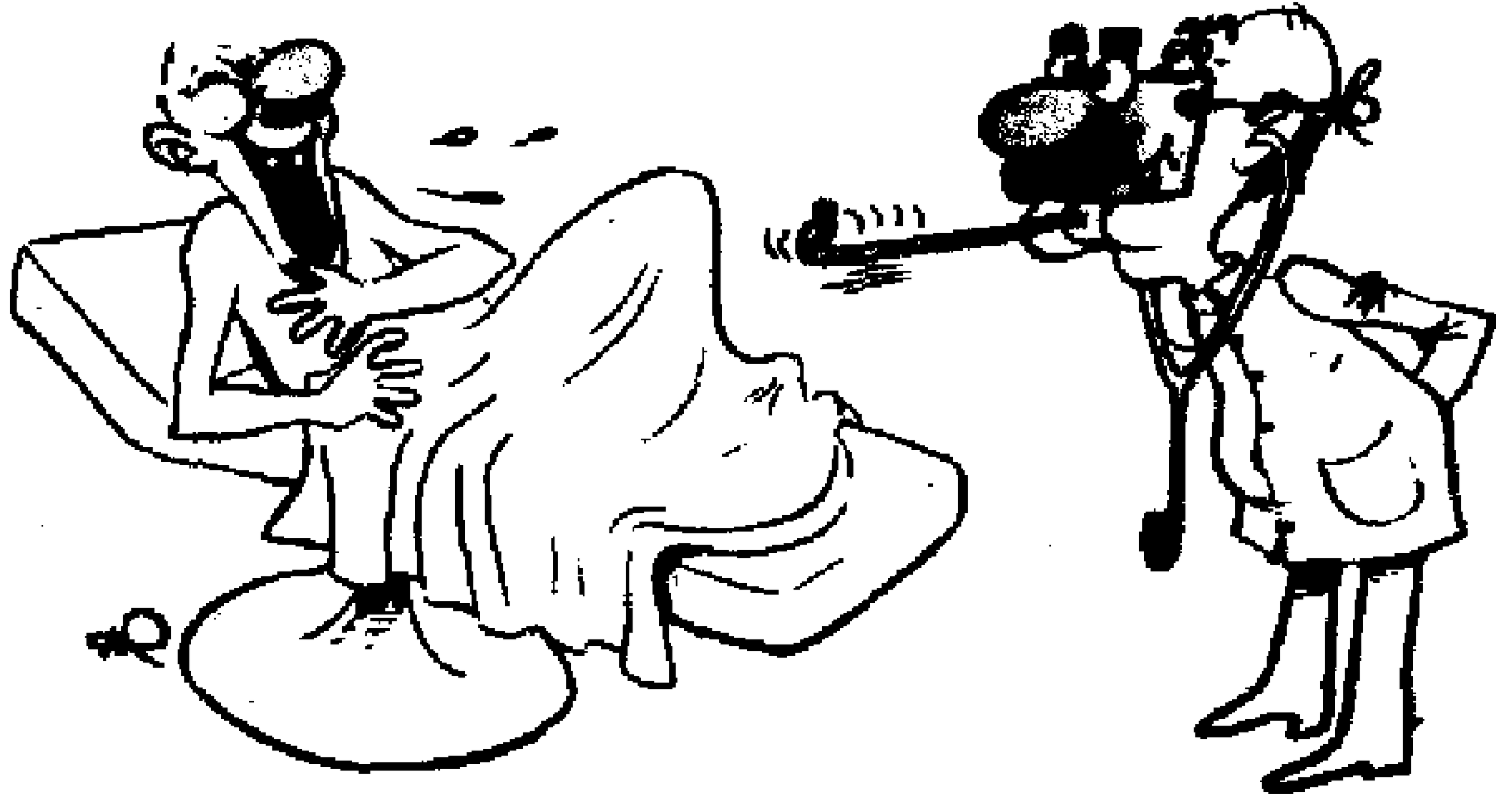
ردا على السؤال: "اي العناصر اكثر اهمية لتحقيق النجاح - المال ام العمل الدؤوب ام العقل؟"، اجاب فيكتور هيغو ببساطة: "عندما تقود دراجة من ثلاث عجلات، فأي عجلة هي الاهم؟".

(صحيفة "أسود وأبيض"، فرنسا)

أفضل عقاب

في فترة عودة الملكية الى فرنسا، حوّل بانتيون باريس (مدفن العظماء) الى كنيسة، وراج الحديث حول اخراج جثمان فولتير (وكان ملحدا) من هناك. لكن الملك لويس الثامن عشر امر باخفائه قائلا: "دعوه يقاسي من سماع القداس كل صباح".

الضحك خير دواء



المعطف والكنزة

كان طالبان جامعيان يتقاسمان غرفة في القسم الداخلي. ولما كان قياسهما واحداً، فغالبا ما ارتدى احدهما ملابس الآخر. وذات صباح غزير المطر، صحا احدهما متأخرا فوجد رفيقه يرتدي معطفه المطري. فسأله ساخطا:

- لماذا ترتدي معطفي المطري؟

وجاء الجواب: "هل ترضى بان تتبلل كنزتك؟"

د.ن.

امين صندوق

- علمت ان المصرف يبحث عن أمين للصندوق.

□ اظن انهم عينوا واحدا قبل شهر.

- بالضبط، وهم يبحثون عنه الان.

ك.ف.

من دون رصيد

كان الشاعر يتمتم متذمرا: "انه عالم جائر". فسأله صديق: "كيف؟" فأجاب الشاعر: "لو كتب صيرفي قصيدة سيئة، فان احدا لن يتساءل منه، ولكن ويل للشاعر اذا كتب صكا سيئا!"

ونستون بندلتون

سرقة "اوكازيون"

كان صاحب المخزن الذي تعرض للسرقة قبل ليلة يحاور المفتش المكلف بالقضية، فقال التاجر:

- من حسن الحظ ان اللص لم يقتحم المخزن الا ليلة امس.

فسأله المفتش: "لماذا؟"

- لاني خفضت اسعار جميع السلع بنسبة ٤٠ في المئة صباح امس.

ج.ن.

قصد رجل طبيبا نفسانيا. فشخص هذا مرضه بانه "ادمان العمل". فاضطر المريض الى البحث عن عمل اضافي لتأمين اجور العلاج.

(مجلة "الازمنة المتغيرة")

ثقيل يعرف نفسه

في حفلة عشاء، اضطر الكاتب البريطاني الساخر برناردشو الى الاستماع الى حديث طويل ممل من مدعو اراد ابراز نفسه امامه. واخيرا عيل صبر شو، فقال لمحدثه: "الا تظن اننا نعرف كل ما تجب معرفته؟" فأجاب المحاور المتحذلق: "حقا".

عندئذ قال برنارد شو: "يبدو انك تعرف كل شيء عدا كونك ثقيل الظل" فرد المحاور: "هذا ايضا اعرفه".

(مجلة "العالم الضاحك")

مفتاح النجاح
التغلّب على التعب

النعب النفسي هو نوع من الانذار المبكر بأن هناك شيئا لا يبعث على الارتياح، فلا بد من معالجته، وانما عن غير طريق الاستراحة والسكون

ربما كان الاخفاق في اداء الواجب المنشود واحدا من اكبر اسباب الاجهاد العصبي في حياة الانسان. فليس هناك ما يوهن العزيمة اكثر من القصور عن النجاح والتخلف حيال جدار يسد الطريق ويحول دون التقدم فينتهي الامر بالدوران في حلقة مفرغة: الفشل يولد التعب والتعب يبعث على استصعاب العمل وبالتالي يفضي الى الاخفاق.

ويعاني المرء وطأة التعب في مجالين رئيسيين: تعب البداية، وتعب الاداء. ففي الحال الاولى، يستمر المرء في تأجيل الشروع في عمل هو ملزم على نحو ما بانجازه، وذلك اما بسبب طبيعة العمل المملة او بسبب صعوبته، فيميل الى التهرب منه. وكلما طالت مدة التأجيل كلما تزايد شعور المرء بالتعب.

تعب البداية – وتعب البداية تعب حقيقي بالفعل، وان لم يكن في الواقع تعبا بدنيا ينتاب العضلات ويرهق العظام. ولهذا النوع من التعب، تعب البداية، علاج جلي واضح، على رغم انه غير سهل التطبيق، عنيت به ممارسة الارادة. عندما اشعر بأنني اتأبى القيام فورا بعمل معين واحاول ان اتنصل منه فأدسه تحت كومة من الملفات الاخرى التي يتعين علي اداؤها، فسرعان ما ابادر الى اخلاء مكتبي من كل الملفات ما عدا ملف هذه المهمة بالذات وأتصدى لانجازها قبل سواها على الاطلاق. وان شئت ان تتجنب

"تعب البداية"، فعليك دائما بالتصدي اولا لاصعب المهمات.

ومنذ سنوات، حينما كنت اعد للنشر سلسلة "الروائع في عالم الغرب"، شرعت في كتابة مئة ومقالين يتناول كل منها الفكرة الكبرى التي ناقشها كل من مؤلفي تلك الكتب. وقد استغرقت مني كتابة هذه المقالات التي كنت اعنى بها الى جانب اعمالي الاخرى، عامين ونصف عام، طوال سبعة ايام في الاسبوع. ولو كنت سمحت لنفسي بان اتصدى اولا للافكار التي بدت لي سهلة بالنسبة الى غيرها لما كنت انتهيت ابدا من ذلك العمل، ولكنني التزمت بالقاعدة التي وضعتها لنفسي فصممت على ان اكتب المقالات بالترتيب الابجدي الصارم من دون ان اتخطى اي فكرة صعبة. وكنت ابدأ يومي دائما بالعمل الصعب الذي تمثله كتابة المقالات. وفي النهاية اثبتت الخبرة، مرة اخرى، ان هذه القاعدة مثمرة تماما.

... **وتعب الأداء** ـ اما تعب الاداء فهو امر تتطلب معالجته مزيدا من الصعوبة بحيث ان المرء، في هذه الحال، لا يتقاعس عن الشروع في العمل وانما يبدو قاصرا عن انجاز المهمة التي يقوم بها، لاسباب لا يمكنه التغلب عليها مهما بذل من الجهد، فينتابه الفشل تلو الفشل وتتراكم صدماته عليه ويتفاقم لديه، من جراء ذلك، عبء الشعور بالاجهاد العقلي. ففي مثل تلك الظروف، ينبغي بذل اقصى المستطاع من الجهد ثم ترك الامر في عهدة العقل الباطن.

عندما كنت اخطط للطبعة الخامسة عشرة من "دائرة المعارف البريطانية"، كان علي ان اضع قائمة محتويات موضوعية لمقالات الموسوعة وفقا للترتيب الابجدي، وبما انه لم يسبق لهذا العمل مثيل، ظللت اتطلع الى الحلول يوما بعد يوم ولكنها كانت تقصر كلها دون الهدف المنشود، فتراكم علي التعب الذهني حتى كاد ان يغلبني.

وذات يوم، وقد انهك عقلي، دونت على الورق امامي جميع الاسباب التي حالت دون حل هذه المشكلة واخذت اقنع نفسي بان ما يبدو غير قابل للحل هو "بالفعل" غير قابل للحل وان مصدر الحرج كامن في المشكلة ذاتها وليس في انا. وبعد ان انتهيت من ذلك الى مقدار من الاحساس بالارتياح اتخذت مقعدا مريحا واستغرقت في النوم.

وبعد ساعة تقريبا، استيقظت فجأة لاجد الحل واضحا في ذهني. وفي الاسابيع التي اعقبت ذلك كانت كل خطوة في تقدم العمل تحمل الي دليلا جديدا على صواب الحل الذي استنبطه عقلي الباطن. وعلى رغم ان مشقة هذا العمل لم تقل عن ذي قبل - ان لم تكن قد زادت - الا ان هذا العناء لم يصاحبه اي احساس بالسأم او الارهاق وغدا النجاح الآن حافزا لي ومشجعا، بمقدار ما كان الفشل باعثا على التخاذل والوهن. واحسست بتلك البهجة الناشئة عما يطلق عليه علماء النفس اسم "التدفق". وقلما تمتعنا الحياة بمثل مصادر السرور التي تأتينا بها الممارسة الناجحة لقدراتنا وتبعث فينا الحيوية والنشاط فتطلق

في نفوسنا طاقات ضخمة لمواصلة العمل.

وقد لا يكمن الشرك احيانا في المشكلة نفسها وانما في الظرف الاجتماعي بالذات، او هكذا يبدو الامر، وكأن الآخرين يقفون على نحو ما حجر عثرة بيننا وبين النجاح. ولقد قال شكسبير: "ليست النقيصة، يا عزيزي بروتوس، في طالعنا وانما هي فينا نحن". ولماذا ننحي باللائمة على الآخرين ونتهرب من مسؤوليتنا نحن في سوء الفهم؟ ان النجاح في اداء مهمة ما معناه القيام بكل ما يستلزمه هذا النجاح، بما في ذلك كسب تعاون الآخرين.

العائق الشخصي – وكثيرا ما يكون العائق الذي نصطدم به عائقا شخصيا محضا. فنحن نترك انفسنا نهبا لبواعث التشتت الانسانية ونتيح للمشكلات الشخصية ان تثقل كواهلنا بما يؤدي بنا الى "التعب الفاشل" الذي يصد امامنا سبل الانتاج في كل مد

بـ

مـ

سـ

على ارتباد...

على سرها بعد ان انتزعت منها وعدا بكتمان الامر. واستمرت المشكلة تقلق الام وتفرض عليها عبء الشعور بالذنب لكتمانها السر فانهكت قواها وانعكس ارهاقها النفسي على عملها فتحول نجاحها فيه الى فشل متكرر. ولم ينقذها من الانهيار العصبي الخطير الا بعض الاشخاص الذين تطوعوا لابلاغ الاب فلم يتخذ الموقف السلبي المنتظر منه. وقد يصعب التسليم بان يسمح المرء لنفسه بان يصبح عرضة للانسياق على هذا الشكل لكن الامور تستفحل ولا شك اذا تلكأنا عن مواجهتها بحزم فور ظهورها.

ان أول خطوة ينبغي ان نخطوها هي ان نتخذ من التعب الذي يتعذر تعليله ولا يعود امره الى سبب بدني نذيرا يحملنا على رد هذا التعب الى مصدره الحقيقي، فنجد في البحث عن الهزيمة التي نحاول سترها ولا نبغي الاعتراف بها. وعلينا بعد ذلك ان نشخص سبب هذا الفشل. وقد نجد في بعض الحالات النادرة ان المهمة في حقيقة الامر صعبة التحقيق وانها تتجاوز طاقتنا. فاذا كانت الامور كذلك، فما علينا الا ان نسلم بحقيقة الوضع ونعتذر عن المضي فيه. وقد تكون العقبة كامنة في تأبينا مواجهة المشكلة، وهنا يكون الحل في معظم الحالات توجيه اهتمامنا بصبر ومثابرة الى العمل المطروح ومعالجته

تحاصر نفسك، على غرار الساحر هوديني حين يضع نفسه داخل صندوق محكم، بحيث لا يبدو امامك اي منفذ ممكن، وانك في هذا الوضع فقط سيمكنك الخروج من الحصار، اسوة ايضا بهوديني. واذا ما ساورتك المشاكل المستعصية، توقف بعض الوقت عن التفكير الواعي فيها،

وافسح المجال لعقلك الباطن كي يعينك على حلها، فانه لن يخذلك في تسع حالات من عشر ويوحي اليك بايجاد الحل.

واما الخطأ الاكبر فهو ان نعتبر التعب العقلي وكأنه تعب بدني. ففي حال التعب البدني، نستطيع ان نبرأ منه بان نتيح لاجسامنا فرصة الراحة، لكن التعب العقلي الناتج عن الفشل فلا يمكن التخلص منه بالاستسلام له واللجوء الى الراحة لان ذلك يزيد المشكلة تعقيدا. وايا تكن العقبة النوعية التي تعترض الطريق، فلا بد من ازالتها، وبسرعة، قبل ان يكتسحنا تعب الفشل.

وأنني اعتقد انه لا بد للانسان من ان يحاول احراز النجاح باعتبار ان هذا السعي امر ضروري يستدعيه تكويننا الاحيائي. ويكفي القول ان النجاح، من دون ان اتعرض هنا لتحديد فحواه، مرتبط بممارستنا المستمرة الرفيعة لقدراتنا، وبأداء المهمات وحل المشكلات فور ظهورها. فالنجاح هو مصدر تلك النشوة والبهجة و"التدفق" التي يجنيها الانسان من ممارسته الطليقة لطاقاته. بل ان النجاح في اختصار، يكمن في التفوق على التعب.

■ مورتيمور آدلر

مورتيمور آدلر هو، كما يذكر في سيرته الذاتية، "فيلسوف متجول". وهو مدير معهد البحوث الفلسفية، في مدينة شيكاغو في ولاية الينوي الامريكية، كما يرئس مجلس تحرير "دائرة المعارف البريطانية". وهو الف ٤٨ كتابا، من بينها "ذخيرة الفكر الغربي" و"ارسطو في متناول الجميع".



لغة الشعر

للشعر لغة بليغة. فلو زينت ذقنك بلحية، فكأنك تريد القول: "اي مثقف أنا!" ولو اسدلت خصلات شعرك الى الكتفين، فكأنك تمنح نفسك شهادة ثائر. ولكن أتعلم من كان اول المسدلين شعورهم؟ انه رجل قديم حقا، "كان شعره مفروقا عند الوسط، وقد انسدلت خصل كثيفة منه الى أسفل من دون ان تنزل تحت مستوى الكتف". انه ابونا آدم الذي نسق شعره على هذا النحو الذي وصفه لنا الشاعر الانكليزي جون ملتون في كتابه "الفردوس المفقود". وبعبارة اخرى، لم ينقص ادم سوى قيثارة وجمهور لكي يكون اول المتمردين.

جيمس دو كوكيه (جريدة "الفيغارو"، باريس)

مدينة النور

اجرى الدكتور رايموند مودي، منذ صدور كتابه الرائج "حياة بعد الحياة"، مقابلات مع العديد من اولئك الذين "ماتوا" ثم عادوا الى عالم الاحياء. واعتبر الاطباء بعض هؤلاء، كما ذكر مودي في دراسة سابقة، موتى من الوجهة العيادية. كما ان قسما آخر منهم كان على وشك الموت اثر تعرضه لاصابة او حادث خطر. وظهرت من جديد، خلال المقابلات هذه، الظواهر عينها التي رافقت رؤى هؤلاء والتي نوقشت سابقا في الكتاب المذكور. كما وقع مودي على تجارب أخرى خارقة ذكرها في كتابه الجديد "تأملات في الحياة الاخرة" الذي نقتطف منه هذا المقال.

على سرير في أحد المستشفيات رجل يلفظ انفاسه الاخيرة. وبينما تتصاعد حشرجات الموت من اعماقه، يتناهى الى مسمعه صوت طبيبه مخبرا آله وذويه بوفاته. ويطرق اذنيه رنين وازيز صاخبان، ويحس في اللحظة عينها بانه يتحرك بسرعة عبر نفق طويل مظلم. وفجأة يشعر بانه غادر جسده الهيولي الذي يراه عن بعد كما لو كان جسد انسان آخر. ويرى، من مكانه المتقدم هذا، محاولة احيائه وبعثه. ويلاحظ انه لا يزال يملك جسدا ذا طبيعة وقوى تتغاير تماما عن جسده المادي الذي انفصل عنه منذ لحظات.

وبعد هنيهة يقع بصره على جمع من الارواح يتجه نحوه للقياه ومد يد العون اليه. ويتراءى له بينها ارواح اصدقاء واحباء غيبهم الردى قبله.

وعلى حين غرة، تظهر امامه روح حنونة متألقة بالضياء، تطرح عليه سؤالا، طالبة منه ان يقيم حياته. وتساعده على هذا الامر بعرضها امامه، خلال وقت قصير، الاحداث المهمة التي طبعت حياته.

وفي نهاية المطاف يجد نفسه مقتربا على مهل من حاجز يمثل، كما يبدو، الحد الفاصل بين الحياة الدنيا والحياة الاخرة. ويرى، على رغم هذا، ان لا مفر من العودة الى عالم الارض وان ساعة وفاته لم تحن بعد. ولكنه يقاوم هذه الفكرة ويود لو يبقى في الاخرة مفضلا اياها على الدنيا. وتغمره مشاعر جامحة من الحب والفرح والسلام، ولكنه يعود ويلاقي جسده المادي الاول، ويتحد معه ليبعث حيا من جديد.

يجسد وصفنا هذا العناصر

المشتركة لتجربة نموذجية عاشها انسان واجه الموت عن كثب، وهي تجربة ذكرتها اصلا في كتابي "حياة بعد الحياة". بيد اني وقعت، منذ انتهائي من خط هذا الكتاب، على ظواهر جديدة متعددة اقتصر حدوثها كلها على اناس واجهوا الموت عن كثب لفترة من الزمن.

وروى لي كثيرون انهم لاحظوا، خلال لقائهم العابر مع الموت، حياة اخرى بدت فيها كل اشكال المعرفة، الماضية منها والحاضرة والمقبلة، متعايشة تعايشا ابديا. وقارن بعضهم هذه التجربة بومضات من البصيرة الشاملة او بمجمل المعلومات التي يمكننا الحصول عليها من الجامعات والمعاهد والمكتبات. واتفقوا جميعا على ان هذا الشعور بالمعرفة التامة غاب واضمحل فور رجوعهم الى الارض، ولم يبق في ذاكرتهم شيء منه.

وفي ما يأتي نص حوار اجريته مع احدى النسوة اللواتي عاين الموت:

- ذكرت سابقا انك شعرت، على ما يبدو، بالمعرفة تغمر كيانك. ارجو ايضاح هذا الامر واعطائي بعض التفاصيل.

☐ بدا لي، بعدما شاهدت حياتي تعبر من امام ناظري، اني امتلكت المعرفة، وخيل الي، لهنيهة واحدة - اني افقه اسرار العصور والمعنى المطلق للعالم والنجوم والاشياء كلها.

- كيف عرضت عليك هذه المعرفة؟

☐ عرضت بجميع اشكال الاتصال وانماطه: بالنظر والسمع والفكر. وبدا لي اني امتلكت اسرار العالم برمته واسرار العلوم والفنون باسرها.

وفي مقابلة اخرى قال لي شاب يافع:

"شعرت بوجودي في مدرسة لم يكن فيها اي انسان، ولكن مع ذلك كان هناك جمع غفير. فلو نظرت حولك لما رأيت احدا قط، لكنك لو انعمت النظر لاحسست بوجود كائنات تحيط بك من كل صوب".

وقلت للشاب: "لقد اخبرني رجل آخر انه دخل الى ما دعاه مكتبات وجامعات. فهل تشبه هذه الرؤى تلك التي تحاول اخباري عنها؟" فأجاب:

- بالضبط. ان سماعي قصة هذا الرجل يدفعني الى القول باني اعلم حقا ما يعنيه، وانه مر بالتجربة عينها التي مررت بها. لكني ساستخدم كلمات مغايرة لكلماته لانها ليست من نوع الكلام الذي نعرفه. والمكان الذي رأيته هو المعرفة في ذاتها. ويكفي ان تركز ذهنك على ركن واحد من تلك المدرسة لكي ينبجس ينبوع المعرفة حولك تلقائيا.

مكان رائع - ذكرت في كتابي "حياة بعد الحياة" اني لم اسمع من احد وصفا للسماء كالوصف التقليدي الذي نعرفه. بيد اني تبادلت اطراف الحديث مع العديد من الاشخاص الذين تحدثوا بترابط منطقي عن رؤيتهم لعوالم أخرى، في امكاننا تسميتها عوالم سماوية. كما لفت نظري، في روايات عدة سردت امامي، ورود عبارة "مدينة النور" لوصف هذه العوالم.

واخبرني رجل اربعيني تعرض لذبحة قلبية:

- أني اتذكر كل شيء بوضوح تام. لقد شعرت فجأة بخدر يسري في

اوصالي. وفيما اخذت ملامح الاشياء تختفي من امامي، تناهى الى سمعي صوت يعجز اللسان عن وصفه. كان صوتا شبيها بقرع سريع للطبول او بخرير الماء المنساب بسرعة هائلة عبر مضيق. وبدا لي بعد برهة اني احلق في الاعالي. وكان الظلام حالكا في هذا المكان الشبيه بالنفق. ثم ظهر ذاك النور الساطع الذي اخذ يتعاظم. وخيل الي اني اخترق اشعته الدافئة. وفجأة شعرت باني في مكان آخر. واحسست بان هناك نورا ذهبيا يشع في كل مكان. يا الهي ما كان اجمل هذا المنظر! وبعد قليل طرقت اذني انغام موسيقية وخيل الي اني احيا في احد الارياف محاطا بالجداول والاشجار والاعشاب السندسية والجبال الشاهقة. لكن وجود اناس هناك، بلا شكل ولا جسد، كان اعجب الامور واغربها بالنسبة الي.

ووصفت امرأة هذا المنظر بقولها:

- بعدما طفت محلقة، عبرت هذا النفق المظلم واصطدمت بالنور الساطع المشع خارجه. وأحسست بوجودي مع جدي ووالدي واخي الذين ماتوا منذ سنين طويلة. وكانت الانوار الساطعة تحيط بنا. لله ما كان اجمل هذا المكان وأروعه! الالوان زاهية وفتانة وبعيدة كل البعد عن الانوار التي نراها في عالمنا الارضي. ولمحت اناسا هناك، اناسا سعداء، وكان بعضهم يتعلم. وتراءى لي في البعيد مدينة تنتصب في وسطها مبان لامعة براقة. ولمحت على مقربة منها مياها متلألئة وينابيع. واعتقد ان أفضل اسم نطلقه على هذه المدينة هو "مدينة النور".

أرواح مقيدة - لقد ذكر اناس عديدون انهم لمحوا كائنات، غير تلك الكائنات، تعيش حياة تعيسة جدا. ويتفق اولئك الذين يصفونها على بضع نقاط، اولها ملاحظتهم عجز تلك الكائنات عن التخلي عن تعلقها بالعالم المادي، وثانيها كون وعيها محدودا بالمقارنة مع وعي الاخرين، وثالثها الاعتقاد ببقائها في مكانها هذا الى ان تجد المشكلة التي وضعتها في تلك الحالة طريقها الى الحل.

وهذه النقاط تتردد في مقابلة اجريتها مع امرأة ظن الاطباء، لخمس عشرة دقيقة، انها انتقلت الى العالم الآخر:

- ذكرت سابقا انك رأيت هذه الارواح التي بدت عليها امارات التشوش التام والقلق. فهل لك ان تعطي تفاصيل أكثر عنها؟

☐ لست اعلم بالضبط ما اذا كان بصري وقع عليها. لكني، خلال تجوالي، رأيت هذه المنطقة التعسة المختلفة عن المنطقة التي يعمها النور. وكان الناس في تلك المنطقة التعسة اكثر شبها بالانسان. وخيل الي انهم يسيرون بخطى متثاقلة، كما بدت على سيمائهم دلائل الارهاق والخمول والكآبة.

- هل بدا انهم على وعي بالعالم المادي؟

☐ ربما كانوا على اتصال بالعالم المادي. فقد لاحظت انهم ينظرون الى اسفل - ربما الى عالمنا المادي او الى سلوك ما كان عليهم فعله او عدم فعله هناك.

جحيم أشد هولا - في بحثه لكتابي "حياة بعد الحياة"، قال احد الكتاب:

"لا شك في ان المقطع الذي يدور حول انماط الحياة الاخرة سيثير جدلا بين الطوائف الدينية على اختلاف معتقداتها. فان معظم الذين جرت مقابلتهم لم يمروا امام القديس بطرس او سواه لامتحانهم من ناحية الثواب والعقاب قبل السماح لهم بالمرور الى الحياة الآخرة، كما هي الحال وفقا للعقائد الدينية التقليدية".

وقد اثار كثيرون هذه النقطة بالذات، بحيث بات ملائما ان ندرس هذا الوجه من وجوه تجارب لقاء الموت عن كثب الذي يشبه مفهوم الدينونة في المعتقدات التقليدية. وفي مرات متكررة اتى اولئك الذين مروا بهذه التجارب على وصف رؤيتهم لمشهد شامل، ملون ثلاثي الابعاد للاحداث التي مرت في حياتهم. وذكر مرارا ان هذه الرؤية تمت في حضور "كائن نوراني" رأى فيه بعض المسيحيين المسيح عينه. وقالوا انه وجه اليهم سؤالا حول ما فعلوه في حياتهم.

اذا ، يمكننا القول ان محاكمة من نوع ما قدجرت لهؤلاء، لأنهم احسوا باسى عميق عندما رأوا التصرفات الانانية التي قاموا بها في حياتهم الماضية. كما غمرهم شعور جامح بالرضى عند رؤيتهم تلك التصرفات التي اظهروا فيها محبة وعطفا تجاه الآخرين. وعلق احدهم: "لقد اجتاحتني رغبة جامحة، لدى عودتي الى عالم الارض، لفعل شيء ما من اجل الآخرين. لقد احسست بخجل عميق من جراء التصرفات التي فعلتها والتي لم افعلها في حياتي".

وعلى رغم ان احدا من الذين قابلتهم لم يصف الجحيم التقليدي، الا انه بدت عليهم امارات الطيبة والعقلانية وبعدهم كل البعد عن اولئك الذين يستحقون نار جهنم وعذابها.

لكن يبقى سؤال يطرح ذاته: ترى ما سيحدث لاناس ارتكبوا افظع الجرائم واشنعها، خصوصا اذا رأوا، عند مواجهتهم الموت، تصرفاتهم الانانية ونتائجها على الآخرين. ويخيل الي ان الذين دبروا الحروب والفظائع وخططوا لها اناس انعدم الحب من اعماقهم الى حد رغبوا معه في القضاء على ملايين الابرياء. وخلاصة القول ان انعدام الحب ادى الى مآس شخصية لا تحصى، والى انفصال الابناء عن ذويهم والازواج عن زوجاتهم والخلان عن خلانهم. وليس في وسعي، حتى ولو جمح بي الخيال، تصور جهنم افظع واشد هولا من تلك التي ستكوي نارها اولئك الذين استهتروا بحياة الابرياء.

■ رايموند مودي

مفلس مدمن

- هل تذكر ما حدث في العام الماضي عندما قلت لك أني مفلس تماما فساعدتني، وقلت لك آنئذ اني لن انسى لك صنيعك؟
- نعم اذكر جيدا.

حسنا، هأنذا مفلس تماما مرة اخرى!

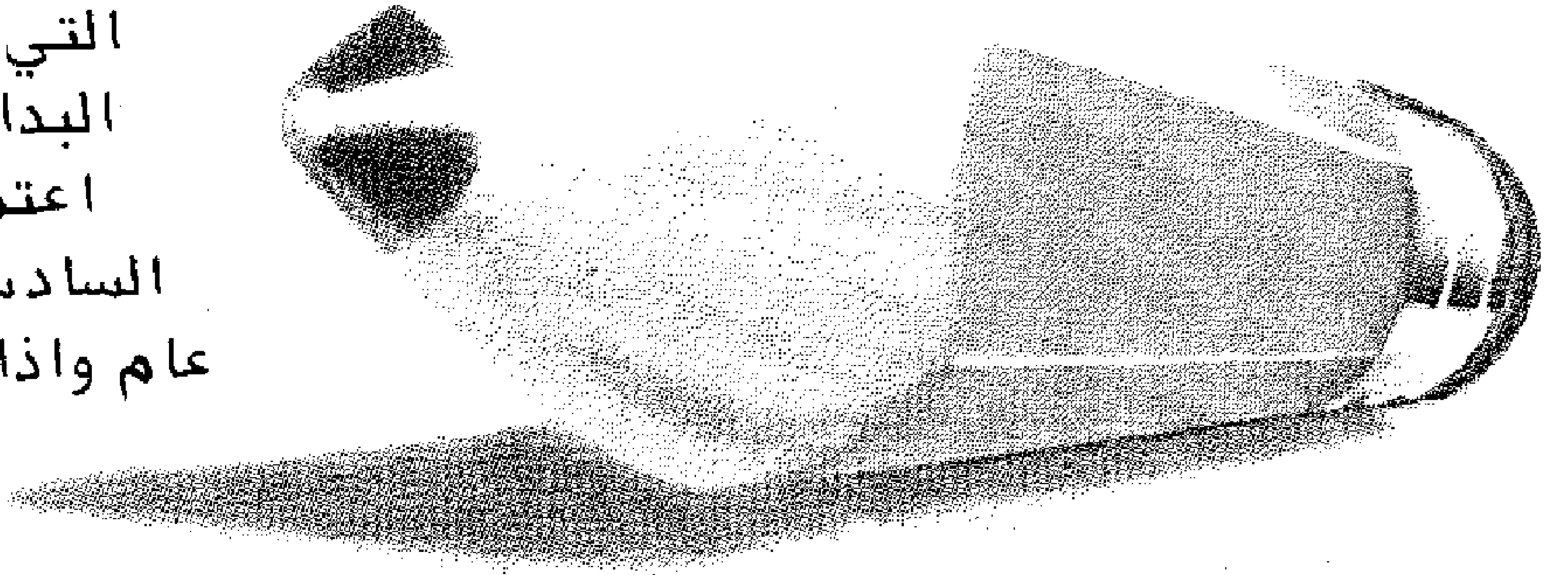
ا.س.

بالقلم يبدأ كل شيء

للقلم قصة طريفة جديرة باهتمام القارىء. فلكم يستخف المرء بهذه الاداة الصغرى مع انها كثيرا ما تكون من اخطر الوسائل التي ابتدعها الانسان للتعبير عن نفسه

هذا القلم العجيب الذي نستخدمه لحل المسائل الحسابية، وتدوين قوائم التسويق والاسعار وتسجيل الرسائل التلفونية، اولمجرد "الخربشة"، والذي نتناوله اختلاسا في بعض الاحيان عن مكاتب الاخرين او نستعين به في مزج المشروبات او دعم النباتات او في ترويج الدعايات التجارية والشعارات السياسية، كثيرا ما يكون جزاؤه منا قلة الاكتراث فنفقده من دون مبالاة او ننبذه او نرميه او نبريه حتى التلاشي.

كان القدماء واقصد بهم القلة التي تمكنت من اجادة اشكال الكتابة في حضاراتها، يستعملون الفراشي الصغيرة الرائعة او اقلام القصب التي يغمسونها في المحابر البدائية، او ريش الاوز التي اعتمدتها اوروبا خلال القرن السادس. وتوارى الزمن الف عام واذا بعاصفة عنيفة تهب في سنة ١٥٦٤ وتقتلع شجرة ضخمة قرب بلدة "بورودیل" في كنبرلاند في انكلترا، فتبرز من بين جذورها الضخمة كتلة سوداء معدنية الشكل، كانت عرقا رئيسيا من الغرافيت او "الرصاص الاسود". ولم يكن ذلك العرق سوى صنف من اصفى انواع الغرافيت التي اكتشفت في بريطانيا.



وعمد الرعاة في المنطقة الى استخدام قطع من هذه المادة لوسم خرافهم. ولم يطل الامر حتى فطن النجباء من اهل المدينة الى تقطيع المادة قضبانا رفيعة والتجول بها في شوارع لندن وبيعها بالمناداة عليها باسم "الاحجار الواسمة"، حيث اخذ

التجار يشترونها ويستخدمونها في وسم اقفاص الشحن والسلال التي يصدرونها. ثم استولى الملك جورج الثاني، في القرن الثامن عشر، على منجم بورودييل واحتكر استغلاله لمصلحة المملكة باعتبار ان الغرافيت كان مادة لا غنى عنها في دقة صنع القذائف المستديرة للمدافع. وقد بلغت حماسة المملكة لحماية مصالحها في هذا الصدد ان البرلمان فرض عقوبة الاعدام على كل من تسول له نفسه اختلاس الغرافيت من هذا المنجم او من المناجم الهامشية المتفرعة عنه في المنطقة. وكان العمل في المنجم يقتصر على بضعة اشهر كل عام حرصا على قلة المعروض من الغرافيت وارتفاع الاسعار، كما كان العمال يخضعون للتفتيش قبل مغادرتهم موقع المنجم.

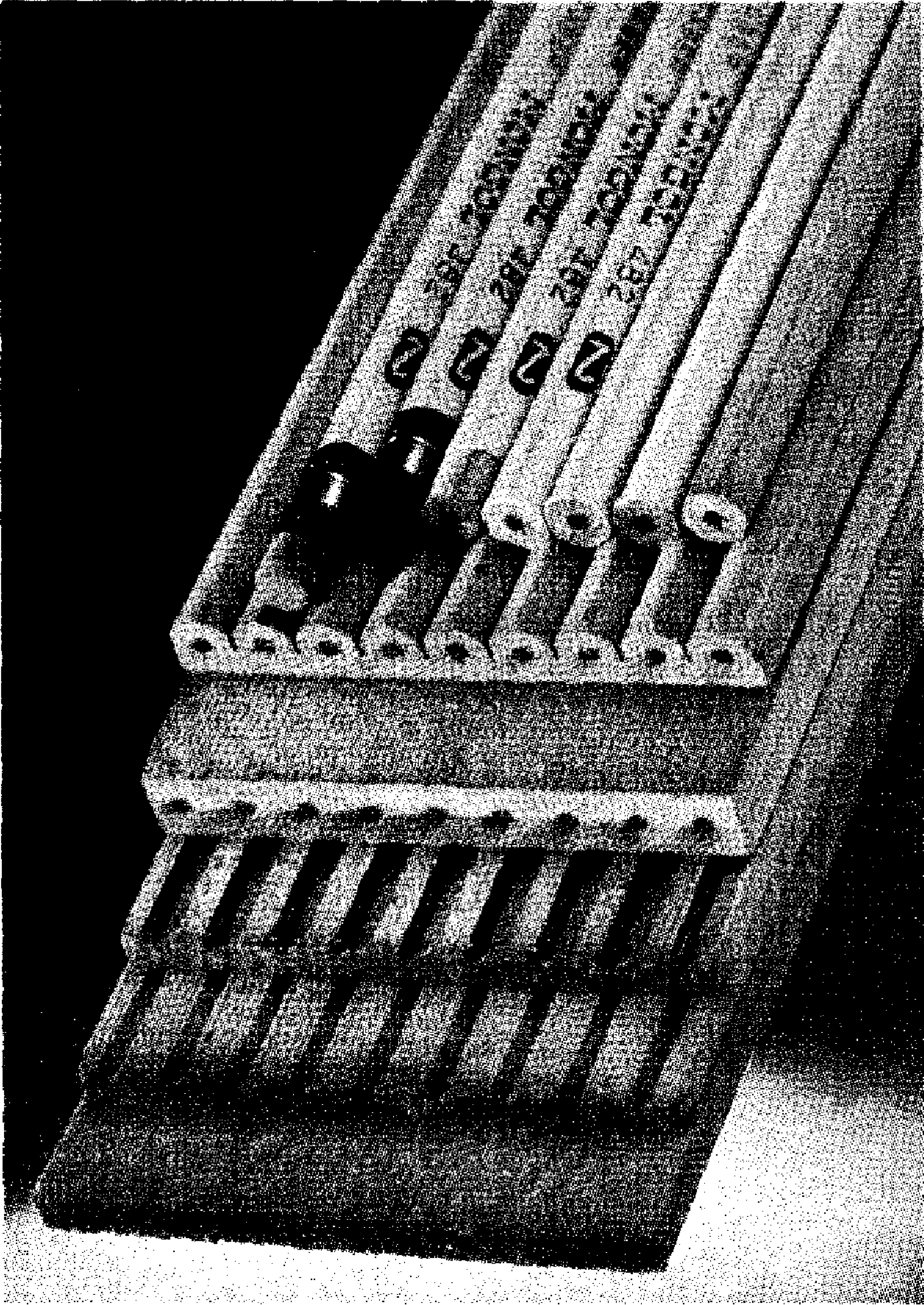
القضبان الاولى - وكانت القضبان الغرافيتية الواسمة الاولى تشكو من نقصين بارزين: تلويث اليدين وسهولة الكسر. واقدم احد النابغين المجهولين على حل مشكلة التلويث بان لف خيطا حول القضيب بكامله مع فض هذا الخيط بالتدريج تبعا لتآكل الغرافيت. واما سرعة الانكسار، فقد عني بحل مشكلتها في عام ١٧٦١ رجل اسمه كاسبار فابر يعمل صانعا حرفيا في بافاريا (المانيا) ويتعاطى الكيمياء في بعض الاحيان الى جانب مهنته. فقد خلط فابر الغرافيت المسحوق بالكبريت والانتيمون وبعض الراتينغات الصمغية، وصنع من هذا الخليط المعجون نوعا من القضبان تبين انها اكثر تماسكا بكثير من الغرافيت الصرف. وبذلك اصبحت الحاجة مقصورة على ايجاد غلاف مناسب لمادة القلم التي يطلق عليها اسم "الرصاص" (والواقع ان الاقلام لا تحتوي على اي مقدار من الرصاص الحقيقي. والمعروف عن الرومان انهم كانوا يصنعونها من هذا المعدن الذي يترك وراءه اثرا اسود، فترسم خطوطا تحتذيها كتابتهم، الا انه كان دائما اندر من ان يتوافر بكميات تصلح لهذا الغرض، كما ان تصفيته كانت صعبة التحقيق، فضلا عن ارتفاع كلفته بما يتعذر استخدامه اداة للكتابة).

وفي عام ١٧٩٠، لم يرق نابليون بونابرت ان تسفر الحرب التي شنها لاجتياح اوروبا عن حرمانه احدى ادواته المفضلة المستوردة من المانيا وانكلترا، وهي اقلام الغرافيت. والواقع ان هذه الاقلام كانت قد اصبحت عزيزة لدى البيروقراطية الفرنسية، وآلة الحرب النابليونية بالذات. فصدرت الاوامر الى نيقولا جاك كونتي، احد كبار الكيميائيين والمخترعين الفرنسيين، بان يستولي على كل ما يمكنه الاهتداء اليه في البلاد من الغرافيت وان يشرع في انتاج الاقلام. وقد احرز كونتي نجاحا باهرا في هذا المسعى، سواء اكان حافزه الخوف من الفشل او الامل في المكافأة الضخمة.

وبالنظر الى قلة الكميات التي وجدها كونتي في فرنسا، والى رداءة صنفها، فهو عمد الى مدها بالصلصال وخبز المزيج في اتون فخرج من ذلك بقضبان على درجة من التماسك تفوق التصور وبمادة تصنع منها افضل القضبان الراسمة في العالم والتي يمكنها الصمود للاستعمال بدرجة

معقولة. وفضلا عن ذلك فقد توصل كونتي بفضل تحكمه بكمية الصلصال الممزوجة مع الغرافيت الى انتاج اقلام مراوحة الدرجات بين اللين والصلب، ومراوحة الالوان بين الاسود الفاتح والاسود الداكن.

ثم نشبت الحرب عام ١٨١٢ بين انكلترا والولايات المتحدة، فحرمت الامريكيين الاقلام التي كانوا يستوردونها من بريطانيا. وفشلت جميع المحاولات والمواد التي مزجت مع الغرافيت الامريكي الرديء الصنف في انتاج قضبان تظل متماسكة داخل الاغلفة الخشبية الخشنة المستخدمة آنذاك.



مراحل صنع الاقلام الرصاص:
من اسفل: ١ - شريحة خشب الارز. ٢ - الشريحة المحفورة. ٣ - الشريحة المرصعة. ٤ - غلافا المادة الرصاصية. ٥ - الشحن والفرز. ٦ - من اليمين: الصقل والتنعيم، طلاء الخشب، الدمغ، شذب اطراف المحاة.

رجل الساعة وتصدى لمعالجة المشكلة رجل اسمه ويليم مونرو من بلدة كونكورد في ولاية ماساتشوستس الامريكية، يعمل نجار موبيليا وحرفيا سمكريا، ولم يلبث ان اصبح رجل الساعة. فقد صنع في ورشته آلة تنتج قضبانا خشبية موحدة الشكل والحجم، ضيقة، يراوح طول الواحد منها بين ١٥ و ١٨ سنتيمترا وفي داخله مجرى ناعم دقيق يمتد بطوله كله وبعمق يعادل بالضبط نصف سمك اسطوانة دقيقة من المزيج الغرافيتي. ووضع مونرو اسطوانة الغرافيت في مجرى قضيب خشبي ثم الصق فوقها بالغراء قضيبا آخر فاصبح القضيبان الخشبيان يحتضنان

بينهما باحكام اصبع الغرافيت. وهكذا ولد القلم الرصاص الحديث! ونظرا الى رخص ثمنه وسهولة استخدامه ونقله، فقد انتشر القلم الجديد بسرعة البرق بين جموع الكتبة والصناع والمديرين المتحدرين من الثورة الصناعية، وتقهقرت ريشة الاوزة والحبر الى مكان ثانوي.

والقلم الرصاص الذي بين ايدينا اليوم، بطوله البالغ ١٨ سنتيمترا يكفي لرسم خط طوله ٥٥ كيلومترا، ولكتابة ٥٠٠٠٠ كلمة عربية، كما انه يتحمل البري ١٧ مرة حتى يصبح طوله خمسة سنتيمترات. وهو يحمل عادة في طرفه حلقة معدنية نحاسية اللون تضم ممحاة من المطاط الممزوج بالخفاف (★). الاصفر لون الحلقة المعدنية. فقد جرب المنتجون الوانا اخرى في هذا الصدد، مثل الاخضر والاسود والازرق، لكنها لم تجد لدى المشترين رواجا.

وذات مرة قام احد صانعي الاقلام بتجربة عملية، فامد احدى المنشآت التي تستخدم كميات كبيرة من الاقلام الرصاص بـ٥٠٠ قلم صفراء اللون و٥٠٠ قلم اخرى خضراء. ولم تمض اسابيع قليلة حتى تكاثرت الشكاوى من الاقلام الخضراء: فاسنانها تنكسر بسهولة، وهي صعبة البري وتحدث خدوشا في الورق او بقعا الخ... بيد ان تلك الاقلام كانت مطابقة تماما لنظائرها الصفراء ولا تختلف عنها الا في اللون وحده.

٣٠٠ نوع و٤٠ مادة — ويشتمل القلم الرصاص الحديث على ٤٠ مادة مختلفة. وترد افضل انواع الغرافيت من سري لانكا ومدغشقر والمكسيك كما ترد افضل انواع الصلصال من المانيا. واما المطاط الذي تصنع منه الممحاة فيأتي من ماليزيا، والشمع من البرازيل. وهناك نوع من الحصى بحجم البيضة من حجر الصوان الذي يستخدم في اجهزة مزج الغرافيت والصلصال يأتي من بلجيكا والدنمارك.

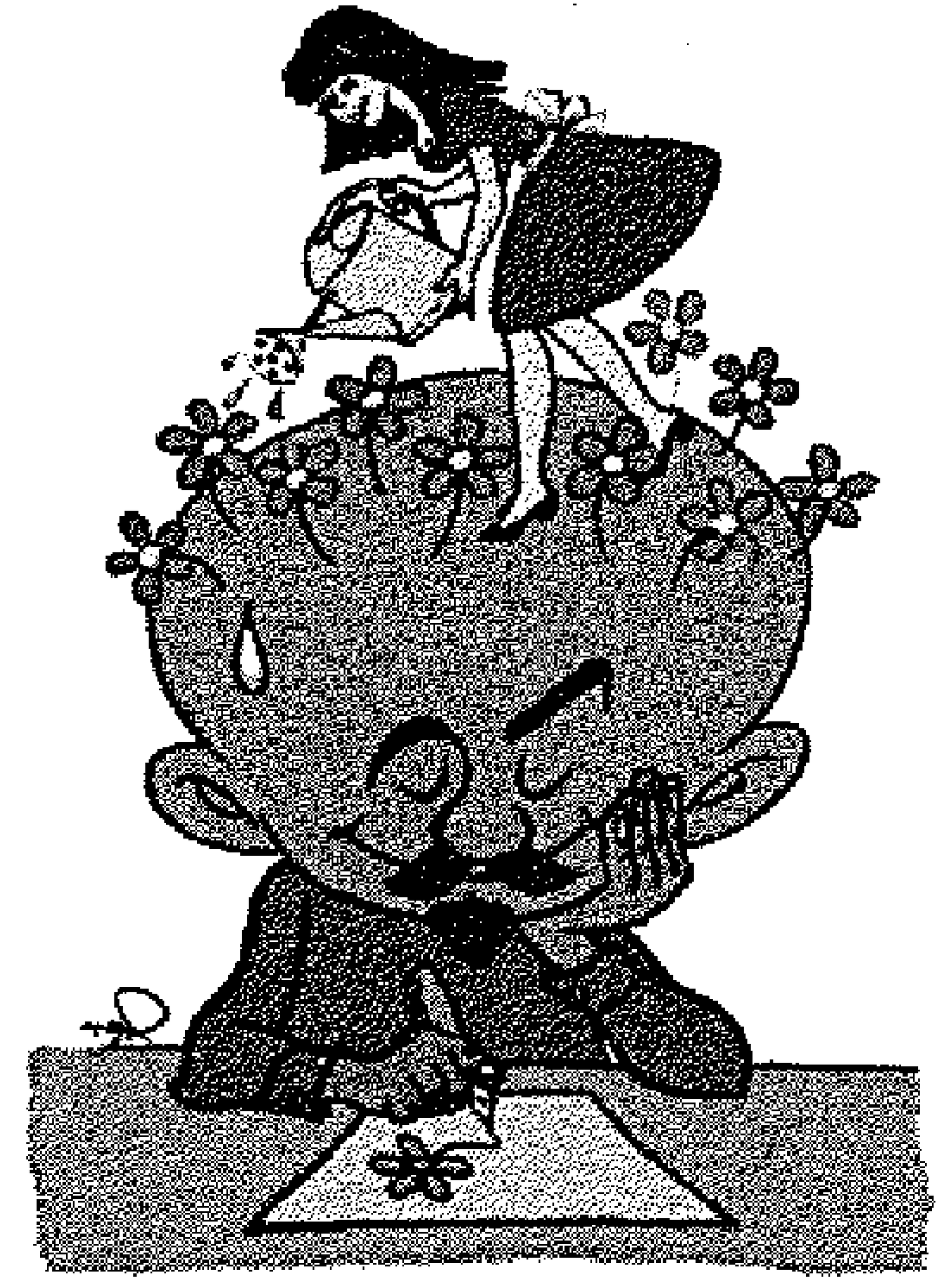
ويرد معظم كميات الخشب المستخدم في صنع اغلفة الاقلام من اشجار الارز في السييرا العليا في كاليفورنيا التي تعمر زهاء مئتي سنة وتتميز باستقامة تعرقها وانتظام نسيجها ولينه النسبي مما يجعل خشبها نموذجيا لا في عمليات القطع الدقيق فحسب وانما ايضا في عمليات التلوين والتشميع والبري. ويقطع الخشب كتلا متربعة عرضها ٧٥ مليمترا وسمكها ٧٥ مليمترا ويجفف، ثم يعاد قطع هذه الكتل شرائح سمك كل منها خمسة مليمترات (نصف سمك القلم) وعرضها ٧٠ مليمترا وطولها ١٨٥ مليمترا. وتصبغ هذه الشرائح وتلمع بالشمع.

وعلى هذا النحو يتم انتاج ٣٠٠ نوع مختلف من الاقلام، من بينها نوع يستخدمه الجراحون لرسم مجال عملياتهم الجراحية فوق جلد المرضى. ولقد قال احدهم ذات مرة: "كل شيء يبدأ باستخدام القلم الرصاص، سواء اكان ذلك في تصميم الازياء الجديدة او البوارج الحربية او قفافيز المبارزة او بيانات النظريات النووية".

والحق ان هذا القلم الرصاص العادي الشائع ربما كان هو أخطر ادوات الافصاح عن الفكر في تاريخ البشرية واقلها حظوة بالتقدير والاهتمام مع ما له من الفعالية التي لا تفوقها سوى فعالية العقل البشري.

■ **جيروم بروند فيلد**

(★) زجاج بركاني خفيف يستعمل في الصقل.



حديقة افكار

■ من لا يعتقد ان لكل حجة جانبين ، لا بد من أن يكون في واحد منهما .

س.ب.

■ الفطنة تدهش ، والدعابة تنير .

ي.س.

■ الفيلسوف هو من يقدم النصح للآخرين حول مشاكل لم يمر بها .

و.ر.

■ من أكبر مثالب السرعة انها تستغرق وقتا طويلا للغاية .

ج.ك. تشيسترتون

■ المصادفة معجزة صغيرة اختار الله فيها البقاء في الظل .

هـ.ك.

■ اختر كاتبك كما تختار صديقك .

و.د.

■ كثير من التصرفات يكسب الود ، وتصرف واحد يصنعه .

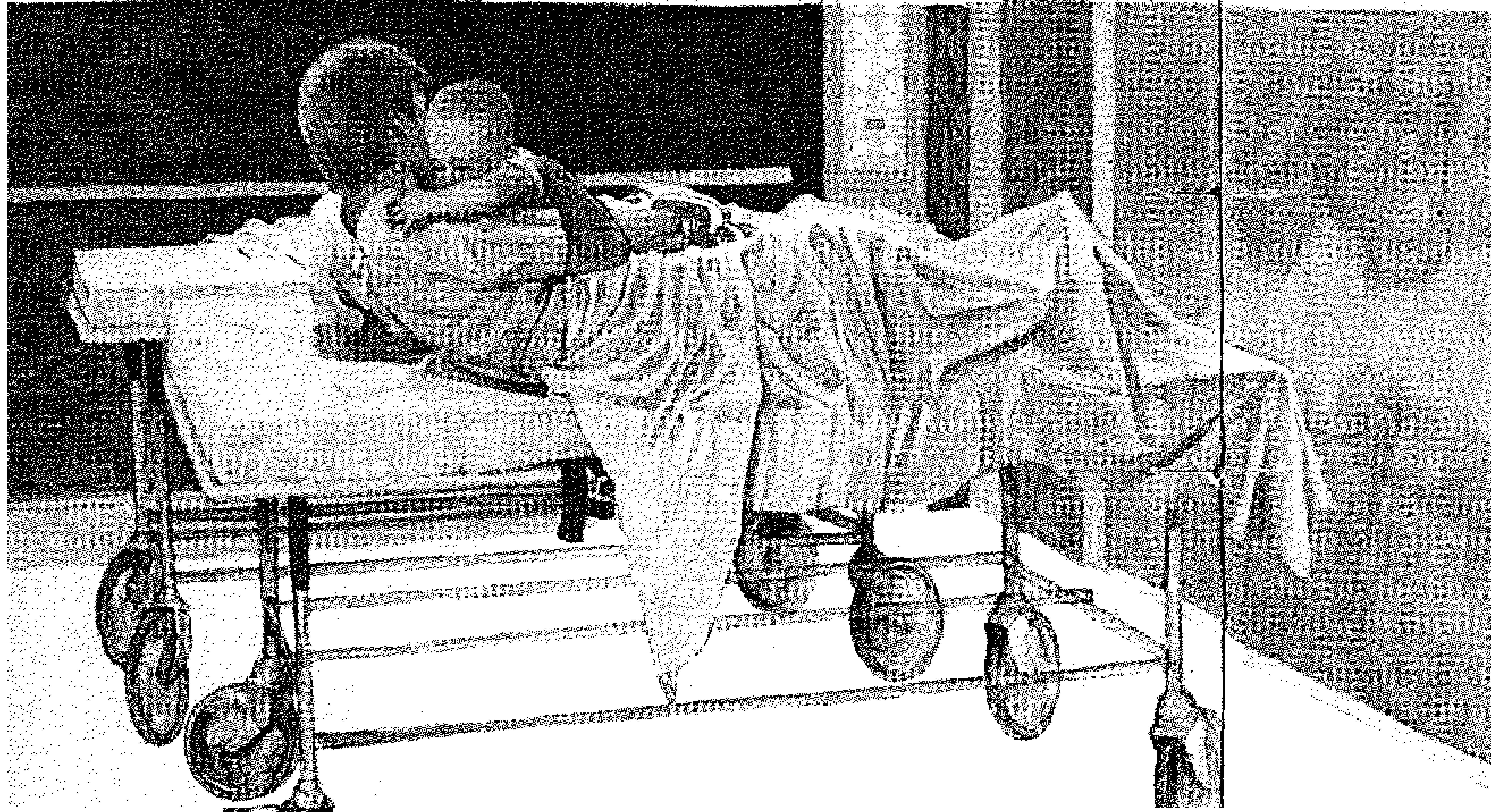
د.س.

■ حين يزحف الخوف ، يتراجع المنطق .

ل.ف.

■ يعرف كل سياسي ذكي ان أفضل موقع يحتله هو أن يكون الى يسار اليمين والى يمين اليسار وفي مواجهة آلات التصوير .

ح.ش.



خُذْ كليتي... فأنت أخي

كان حلمه ان يصبح نجما من نجوم كرة القدم، ثم جاءه اخ اصغر تمنى له مستقبلا ابهى

كانت كرة القدم اهم شيء في الحياة في نظر تود كونر البالغ من العمر ١٤ عاما، الى ان ولد اخوه الن في ٧ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٥. فلم يلبث هذا الرضيع المتلوي الذي لا يتجاوز وزنه اربعة كيلوغرامات ان سحر نجم كرة القدم العتيد وخلب لبه، حتى ان تود راح ينافس شقيقته لوري - آن البالغة خمسة عشر عاما في انتهاز الفرص لمساعدة امهما على العناية بالوافد الجديد.

وفي اصيل ذات يوم من شهر نوفمبر (تشرين الثاني)، قبيل ستة اسابيع من مولد الطفل، كان تود يحتضن الن بين ذراعيه المعقوفتين، وكأنه كرة قدم. وبينما هو ينحني ليضعه في مهده، لاحظ ان رأس الرضيع يبلله العرق. ومد تود اصبعه فالتفت حولها على الفور خمس اصابع صغيرة. وفجأة احكمت اليد الطرية اغلاقها على اصبع تود في تشنج عنيف، ثم ارتخى جسد الرضيع ارتخاء تاما.

وصاح تود: "اماه! هناك شيء يبعث على القلق!".

وحين عجزت كارولين كونر عن انعاش طفلها الرضيع، اسرعت به الى مستشفى هنريتا ايغليستون للاطفال في مدينة اتلانتا، على بعد ٣٠ كيلومترا من بيتهم في بلدة كونييرز في ولاية جورجيا. وفي المستشفى، حلق الاطباء خصل شعر الرضيع الذهبية وثقبوا البقعة الطرية في رأسه بابر تدخل عن

طريق الاوردة وتتصل بانابيب. وراح الاطباء يجسون ويفحصون ويصورون بالاشعة، وراح الفنيون يخزون الاصابع الدقيقة ليسحبوا منها الدم ثم ينصرفون بانابيبهم النحيلة المدرجة وبشرائحهم المكسوةبالبقع وبرقع التعريف والتوضيح. وراحت الممرضات يجمعن عينات البول ويسجلن كميات السوائل التي تدخل جسم الرضيع، ويقسن ضغط دمه وحرارته.

وتبين من التشخيص بعد يومين ان الن مصاب بعجز مستمر في الكليتين من جراء توقف صمامي المجريين المؤديين من الكليتين الى المثانة البولية، مما جعل البول يرتد مندفقا الى الكليتين ويؤذيهما اذى شديدا.

وكان لا بد من اجراء عملية جراحية لالن من اجل اصلاح الصمامين ووقف ارتداد البول. لكنه كان أصغر وأضعف من ان يتحمل مثل تلك العملية المعقدة. فلجأ الجراحون، بدلا من ذلك، الى شق بطنه وادخال انبوبة مطاطية في مجرى البول لتفريغ الفائض من المثانة، واجلوا الجراحة الكبرى اللازمة الى ان يبلغ وزن الرضيع سبعة كيلوغرامات وربع كيلوغرام على الاقل.

وعندما رأى تود شقيقه الرضيع للمرة الاولى وقد غرست الابر في اوعيته الدموية تحت جلدة رأسه، لم يتمالك من تحويل نظره عن هذا المشهد، وسأل بصوت ضعيف: "هل

يؤلمه ذلك؟" فأكد له ابوه بيري كونر وامه والممرضات جميعا ان الن لا يشعر بوخز الابر. الا ان رأس تود اخذ يؤلمه لفرط تعاطفه مع شقيقه الصغير.

بالونات العيد ـ وبعد انقضاء سبعة اسابيع على دخول الن المستشفى، سمح له الاطباء بالعودة الى بيته. وكانت الجراحة الموقتة اعادت اليه الحياة، فتعلم ان يجلس ويحبو. غير ان وزنه تدنى فاصبح، في شهره السابع أقل مما كان عند ولادته.

وذات يوم وجده تود نائما في غرفة الجلوس وقد بدا جلده ابيض منطفئا مثل مسحوق "التالك". فصاح قلقا ينادي امه التي جاءت على الفور وامسكت بجلد الطفل عند بطنه بين ابهامها وسبابتها ثم اطلقته. وبدلا من ان يعود الجلد بمرونة الى وضعه الطبيعي، ظل الجزء الذي قرصته بخفة متجمعا، فقالت: "انه يعاني نقصا في السوائل"، وحملته وانطلقت به الى المستشفى.

وانقضت هذه المرة خمسة اسابيع قبل ان يسمح الاطباء بعودة الطفل الى البيت. فسارعت الاسرة الى عقد اجتماع للتشاور في الامر. وقالت كارولين بصوت مرتجف: "يقول اختصاصي الكلى ان الن قد يصاب بعجز الكليتين قبل ان يتم عامه الاول".

لكن حال الن استقرت خلال الاسابيع التالية بفضل التغذية السليمة والادوية الكثيرة. وحل العيد الاول لميلاده، فنظم له تود حفلة مليئة بالكعك وعصير الفاكهة والبالونات. وانقضى العيد بسلام.

وتعلم الرضيع ان يمشي ويقف على رأسه ويصفر وينتزع ملابسه. وكانت تسليته المفضلة ان يعتلي ظهر شقيقه تود ليعدو به في انحاء المنزل وهو يصيح: "هيا يا حصاني!".

وفي ١٥ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٦، ارتفع وزن الن الى سبعة كيلوغرامات وربع كيلوغرام، وقال اختصاصي الكلى في مدينة اتلانتا لكارولين كونر ان الطفل اصبح قادرا على تحمل جراحة زرع الصمامين.

وكان الن يعلم من المرات السابقة التي دخل فيها المستشفى ان "ضياع" حذائه يعقبه الالم. فما كان من تود، عندما جهز الوالدان طفلهما النحيل لدخول المستشفى، الا ان انحنى نحو شقيقه وعقد رباط حذائه عقدة مزدوجة وقال له بمحبة وحنان: "تمسك بحذائك هذا يا ولد". وعندما تحركت السيارة بالن وهو يلوح بيده الصغيرة مودعا اخاه، قال تود متضرعا: "اتوسل اليك يا ربي ان تعيده سالما".

وانقضت العملية بسلام وعاد الن الى البيت ليلة عيد الميلاد وقد هبط وزنه الى اقل من ستة كيلوغرامات. وكانت هدية تود افضل لعبة تلقاها الن بمناسبة العيد: ضفدعة خضراء كبيرة يستطيع ان يمتطيها حتى عندما تسوء حاله ويعجز عن المشي. وعاد الطفل الصغير يتحكم بأخيه تود ويمتطيه حصانا ويتخذ منه خادما مطيعا معظم الاحيان.

اعطوه كليتي ـ واستمر الن في حال حسنة حتى يوليو (تموز) ١٩٧٧. واذا به يفقد شهيته ويمتنع - على رغم اغراءات تود وملاطفاته - عن تناول

ما يكفي من الغذاء للمحافظة على وزنه٠

واقترح الاطباء التغذية الاجبارية من خلال انبوب يخترق انف الن ويمتد الى معدته٠ وتتابعت هذه التغذية اربع مرات في اليوم الواحد بطعام مرتفع السعرات الحرارية، فزاد وزن الطفل قليلا وزاد طوله سنتيمترين ونصف سنتيمتر، كما تبين من تحاليل الدم، يوما بعد يوم، استمرار الكليتين في اداء وظيفتهما٠

وفي شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٧٨، كشفت الاختبارات والتحاليل فجأة عن حدوث مزيد من التدهور٠ ولم يبلغ الشهر منتصفه حتى اصبح الن يمشي بصورة غير معتدلة٠ ومنذ منتصف فبراير (شباط)، أخذ الطفل يتعثر في مشيه٠ وحملته الاسرة مرة اخرى الى اختصاصي في مدينة اتلانتا، فقرر ان الطفل مصاب بمرض في العظام يلازم عجز الكليتين٠

ومع حلول شهر مارس (آذار) كاد الن ان يعجز عن المشي، فراح تود يحمله وهو ينوء بثقل ما يعرفه عن حال شقيقه اكثر كثيرا مما ينوء بثقل وزنه٠ وفي كل مرة كانوا يحملون الطفل للمعاينة الطبية، كان تود يصر على الحصول على تقرير كامل٠ وقد بلغ عدد المرات التي حلق فيها رأس الن لتغذيته عن طريق الاوردة، خمسا وعشرين مرة٠

ثم تلفظ الاختصاصي بكلمة جديدة: يقتضي ان يذهب الن الى مستشفى جامعة مينيسوتا لاجراء تحليل غشائي للدم، وهو عملية تستهدف تنظيم الدم تعويضا عن عجز الكليتين في اداء هذه المهمة٠

وقالت كارولين كونر تطمئن اسرتها: "ان لهذا المستشفى شهرة عالمية لنجاحه في علاج امراض الكلى لدى الاطفال الصغار جدا"٠ ثم اضافت بعد فترة صمت طويلة: "لا بد من ان يجري لالن عملية لزراعة كلية جديدة خلال هذا الصيف٠ واذا نجحت هذه العملية فانها ستنقذه من مرض عظامه ايضا"٠

وانعقد لسان تود برهة، ثم رفع عينه نحو والديه وقال: "كليتي انا٠ اود ان اعطي الن احدى كليتي"٠

فأجاب ابوه: "تود، لقد فكرنا، امك وانا، في انك ستتطوع بهذه الهبة٠ لكننا لا نوافق على ذلك٠ فاذا تطوعت انت او شقيقتك بوري باعطاء كلية اي منكما ثم لم تنجح العملية وحدث بعد ذلك شيء للمتطوع منكما، فاننا٠٠٠٠" وغص الرجل بالكلمات ثم تابع: "كما انه قد يتعذر عليك ان تلعب الكرة وانت بكلية واحدة"٠

فانفجر تود قائلا: "انا لا يهمني ذلك٠ ان الن يحتاج الى كلية٠ وعندما تحمله تلك الطائرة الى مينيسوتا اريد ان اكون فيها الى جانبه٠ ولا بد من ان تسمحا لي باجراء الفحوص الطبية اللازمة لهذا الغرض"٠

احلام المجد – وبعد اسبوع، كان تود وشقيقته لوري – آن التي تبرعت هي الاخرى بكليتها واصرت على ان تجرى عليها الفحوص جالسين مع والديهما في مكتب الدكتور جون نجاريان في مستشفى جامعة مينيسوتا٠ وقال نجاريان: "ان المشكلة الرئيسية هي نبذ الجسم للعضو الدخيل، ولذلك فاننا نبدأ

بالتثبت من انسجام الانسجة. اما انماط الانسجة فيتم تحديدها عن طريق اربعة مؤشرات وراثيـة تسمى "انتيجينات". ولكي يتحقق الانسجام النسيجي بين المانح والمتلقي، لا بد من ان يتطابق اثنان على الاقل من هذه الانتيجينات الاربعة. فاذا شمل التوافق الانتيجينات الاربعة لدى احد اشقاء الدم، ارتفعت نسبة النجاح الى ٩٠ او ٩٥ في المئة. واذا كان المانح احد الابوين، راوحت نسبة النجاح بيـن ٧٠ و٧٥ فـي المئـة. وتتدنى النسبة الى ٥٠ في المئة اذا كان المانح عضوا اخر من اعضاء الاسرة".

وتبين من الاختبارات ان الانسجام بين انسجة الطفل وانسجة كل من بيري وكارولين كونر وابنتهما لوري لا يتجاوز اثنين من الانتيجينات، بينما كان الانسجام مع انسجة تـود شاملا للانتيجينات الاربعة. بل ان انسجام انسجة الن مع انسجة تود بلغ حدا لا يفوقه الا انسجام انسجة التوائم المتماثلة. ووافق الوالدان على اجراء عملية نقل الكلية.

وبينما كان الن - الذي بلغ عمره آنئذ عامين ونصف عام - يواصل الخضوع لعمليات التحليل الغشائي لتنقية دمه في العيادة الخارجية، بدأ تود يجتاز الاختبارات النفسية التي تتطلبها مثل هذه الجراحة. وذات يوم دار الموضوع حول الالعاب الرياضية، فسأله اختصاصي علم النفس: "هل تظن انك تجيد لعبة كرة القدم؟".

فغمـغـم تـود: "مـن المسـتـوى المقبول".

وعـاد الاختصاصـي يسـأل: "هـل حلمت مرة بان تصبح اسرع ظهير او اعظم هداف؟".

فأجاب تود: "نعم. لقد فكرت في ذلك". وكان صوته عاليا يشيع فيه التوتر.

وبعد انتهاء الجلسة، ذهب تود الى قسم التحليل الغشائي في المستشفى ووقف خارج الباب ينصت الى الازيز الخفيف للآلات التي تنظف دم اخيه في عمليـة تستغـرق اربـع ساعـات وتتكرر ثلاث مرات كل اسبوع. وحرك ابهام قدمه كما كان يفعل قبل ان يركـل الكرة فـي رميـة محسوبـة، وتسـاءل فـي نفسـه كيـف سيفسـر الاختصاصي احلامه تلك. اجل. ان هجر الرياضة سيوحشه، ولا سيما كرة القدم. لكن هناك شيئا اخر افضل منها الف مرة، سيعوضه عنها، وهو ابدع شقيق صغير في العالم.

المكان الخانق - في يوم ١٠ مايو (أيار) ١٩٧٨، استيقظ تود باكرا قبل الجراحة التي حدد موعدها في الساعة ٦،٣٠ صباحا. ولم تفلح الاقراص التي اعطيت له في تهدئة اعصابه، بل بقي متوترا بعض الشيء وكأنه مقبل على مباراة حاسمة. وجاء احد ممرضي المستشفى يدفع الباب بسرير على عجلات، فصعد اليه الفتى ابن الستة عشر عاما، وانطلق به الممرض في اتجاه غرفة الجراحة.

"تود!". سمع الفتى صوت شقيقه يناديه وقد هزته رعشة الدموع. وجاء ممرض آخر يدفع سريرا آخر عليه كتلة صغيرة مغطاة بالملاءات - وكان ذلك الن. وبدا الطفل باهت اللون يتملكه الخوف، لكنه اخرج ذراعه اليمنى من تحت الملاءات ولوح لاخيه مبتسما.

ودفع الممرضان السريرين داخل مصعد واحد، فرفس آلن ملاءته وبان سرواله الاحمر وقد عقد عقدة مزدوجة. وتسلق سرير اخيه واحاط عنقه بذراعيه النحيلتين.

وقال تود بصوت اجش: "بعد اليوم لن تتألم ابدا".

فرد الن: "اعرف!" وفجأة بدأ ذقنه يرتعش وقال: "تود، عندما يعطونني جزءا منك، هل سيؤلمك ذلك؟".

لقد سبق لشقيقه الصغير ان قاسى اهوالا شديدة، وها هو الآن يقلق على تود. وقال تود وهو يضم الن: "كلا، لن يؤلمني ذلك لانك اخي".

وانفتح باب المصعد وانطلق بهما الممرضان الى غرفتي جراحة متجاورتين.

وتجمعت حول الن حلقة من الاطباء والممرضات في ملابسهم الخضر. وشق المبضع فتحة في وسط بطنه، ورفعت كليتاه الذابلتان. ثم ذهب الدكتور نجاريان الى غرفة الجراحة المجاورة حيث كان فريق آخر من الجراحين شق بطن تود على طول منتصف الخصر في احد الجانبين لانتزاع كليته اليمنى. وعاد الدكتور نجاريان للتو وهو يضم في راحتيه الكبيرتين شيئا يشبه ثمرة بطاطس لامعة مبللة، وضعه في محلول معقم كي يغسل عنه الدم ويبرد الكلية من اجل أن يقبلها جسم الن قبولا حسنا. وفي الوقت نفسه، شرع فريق الجراحين حول تود باقفال جرحه، ثم نقل بسرعة الى غرفة الانعاش.

وبدا ان التجويف المفتوح في بطن الن اصغر كثيرا من ان يتسع لكلية اخيه التي يبلغ حجمها ثلاثة اضعاف حجم كليته تقريبا. لكن الاطباء كانوا يعرفون ان الكلية لن تلبث بعد العملية ان تنكمش الى الحجم الذي يوافق الن، ثم تعود فتنمو تدريجا مع نموه بمعدل طبيعي. وانقضت ست ساعات كاملة قبل ان يقبل الدكتور نجاريان وهو يبتسم مطمئنا، لينبىء آل كونر بان كلية تود اخذت تمارس وظيفتها في جسم الن.

وفي اليوم التالي طلب تود ان يجر سريره الى غرفة الن. وتبادل الشقيقان القبلات من خلال اسوار السريرين، واخذ كل منهما يلهج باسم الاخر مرة تلو الاخرى. وظل الن خلال الاسبوعين التاليين يتلقى، بواسطة انبوب ركب في عنقه اثناء الجراحة، جرعات المصل المضاد لنبذ الاعضاء.

وعاد تود الى ممارسة كرة القدم بموافقة طبيبه، بينما اخذ الن يركض حول البيت بنشاط فائق. وتصحبه امه مرة في الشهر الى عيادة قريبة لاجراء فحوص الدم، ثم تبلغ النتائج بالهاتف الى مستشفى مينيسوتا لمتابعة حالته. وسيظل الن بقية حياته يتناول ادوية مضادة لنبذ الاعضاء. لكن هبة تود الثمينة كفلت مستقبلا مشرقا لهذا الطفل المفعم بالحياة وفتحت له مجال التمتع بالبهجة وتذوق طعم الهناء.

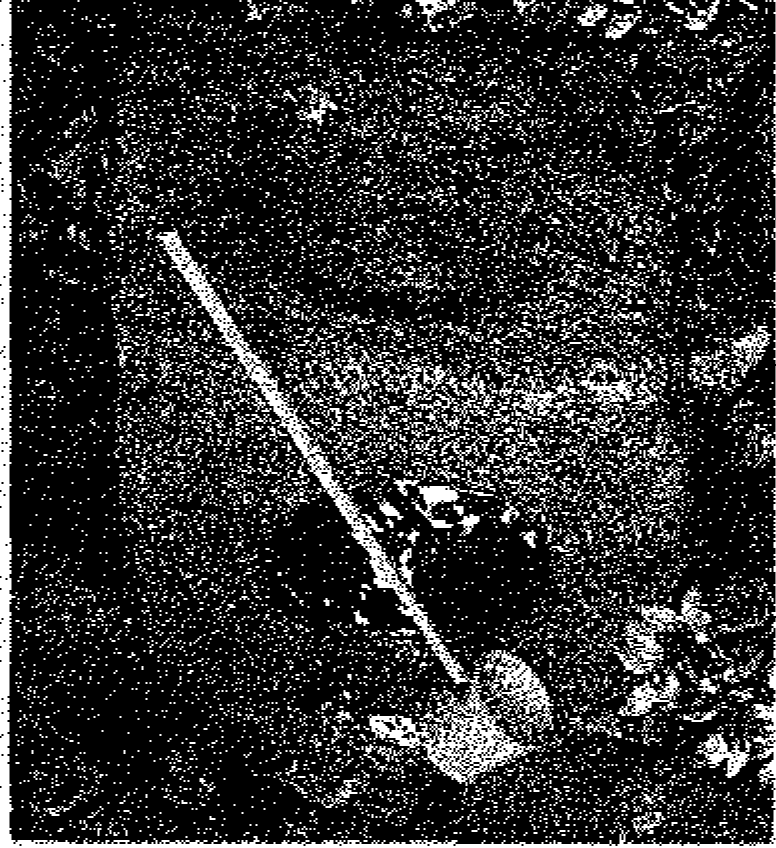
■ **نيلا رودجرز**



لم يفض استعمال الترانزيستور الى تزايد سخافة الانسان فحسب وانما علا معه صوت البلاهة.

("قلق عالم الاحياء")

حدائق من الشرق



وسط حوض ماء في حديقة.

تختلف حدائق اليابان التقليدية اختلافا كبيرا عن النموذج الغربي للحدائق بأحواضها ذات الالوان الصارخة. وذات مرة، بعد جولة على أهم الحدائق حول مدينة كيوتو عاصمة اليابان القديمة، علّقت سائحة غربية: "هذا طريف جدا. ولكن متى سنرى الحدائق؟ يحب اليابانيون ان يروا الزهر في كل مكان، الا في حدائق التأمل التي تتكون غالبا من شجيرات مشذّبة وحجار منسقة وحصيّ سوّيت بدقة بالغة لكي تشبه المياه المترقرقة.

ويصمم اليابانيون حدائقهم بناء على نظرتهم الى الطبيعة. وانطلاقا من مفاهيم الديانة البوذية من نوع "زن" السائدة في بلادهم، يسعى اليابانيون الى توكيد قيم مثل وحدة الانسان والطبيعة، الانسجام، الانعتاق من الزمن.

GRATEFUL ACKNOWLEDGEMENT IS MADE TO GEORGE S. AVERY, FORMER DIRECTOR OF THE BROOKLYN (N.Y.) BOTANIC GARDEN FOR HIS HELP WITH THIS ART FEATURE

جزيرة وسط بحر من الحصباء في حديقة دانجو - ان في كيوتو.

هذه الاعمال الفنية الرائعة تنقل المتأمل من ظواهر الاشياء الى بواطنها، وبهذا تتحدى الخيال وتحث الانسان على التفكير في مكانه من الطبيعة

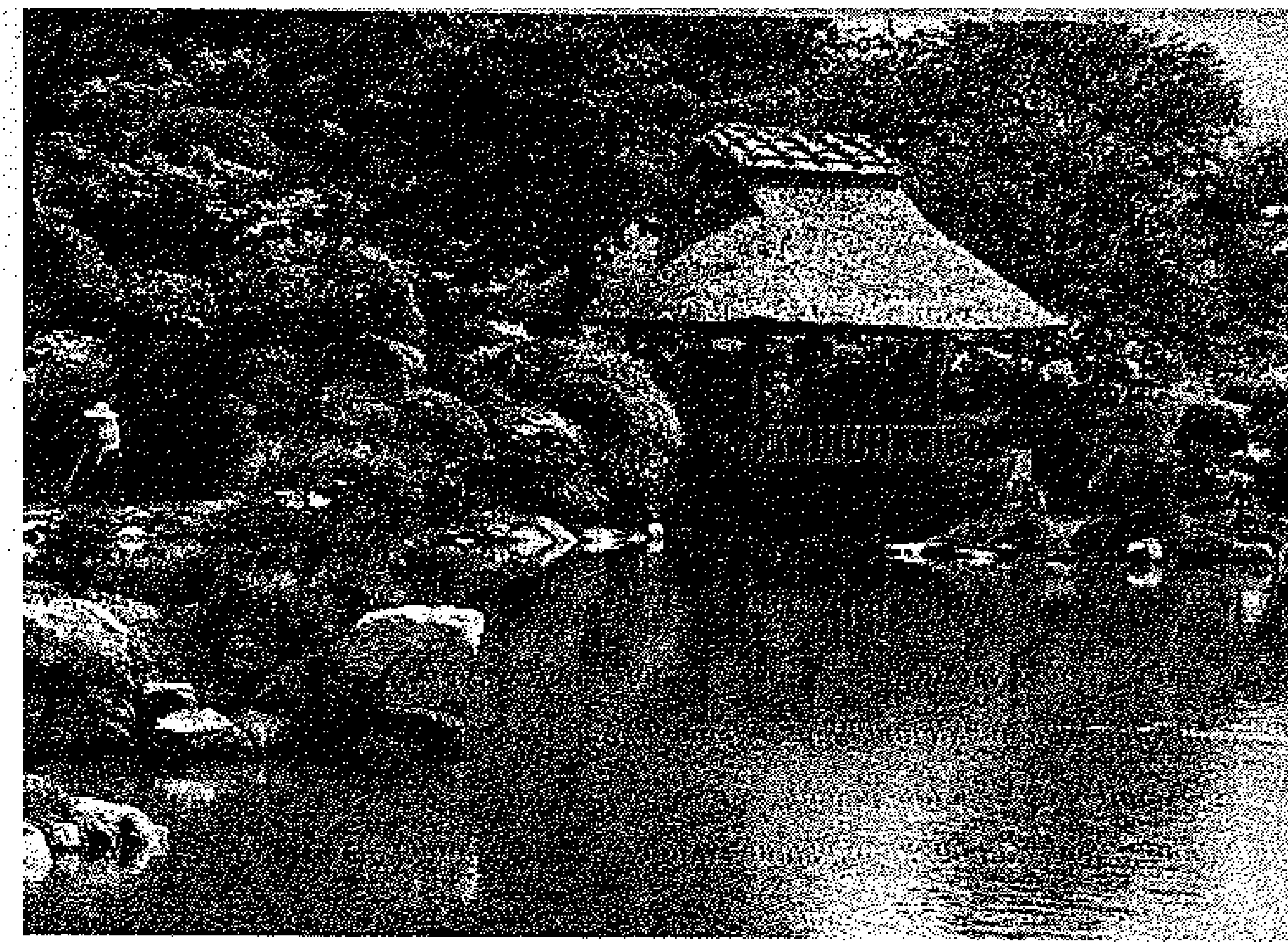
ان كل حديقة يابانية ترمز بظواهرها الى ما وراء الظواهر. فالنبت الدائم الخضرة يمثل الحياة الطويلة أو الخلود. والخيزران صنو القوة. وبراعم الخوخ، وهي الاولى التي تطل مع الربيع، ترمز الى الشجاعة. أما شلالات الماء فتصور الحياة في غيابها وعودتها. والصخور هي العظام الممتدة في جسد الارض.

ان الاعتدال والصفاء اللذين يميزان حدائق اليابان التقليدية المعروفة اليوم يقدمان مثلا حاسما على الفرق الشاسع بين نظرة الغرب ونظرة الشرق الى الطبيعة. فالغرب يؤمن بأن الانسان مقياس جميع الاشياء وأن الطبيعة، بالتالي، يجب اخضاعها. أما في الشرق فالطبيعة هي المهيمنة، والانسان يعترف، شاكرا، بأنه جزء منها.

حديقة شيسندو المنبسطة تعطي انطباعا بكبر المساحة. وقد ُجزّت شجيراتها على هيئة جبال.

حديقة شهيرة خارج معبد رايوان - جي في كيوتو، بناها كهنة بوذيون بالحجار لخلق حس بالانسجام والانعتاق من الزمن.

هذه المقصورة المذهبة والمرصعة بالثلج تقوم في حديقة معبد روكون - جي في كيوتو.

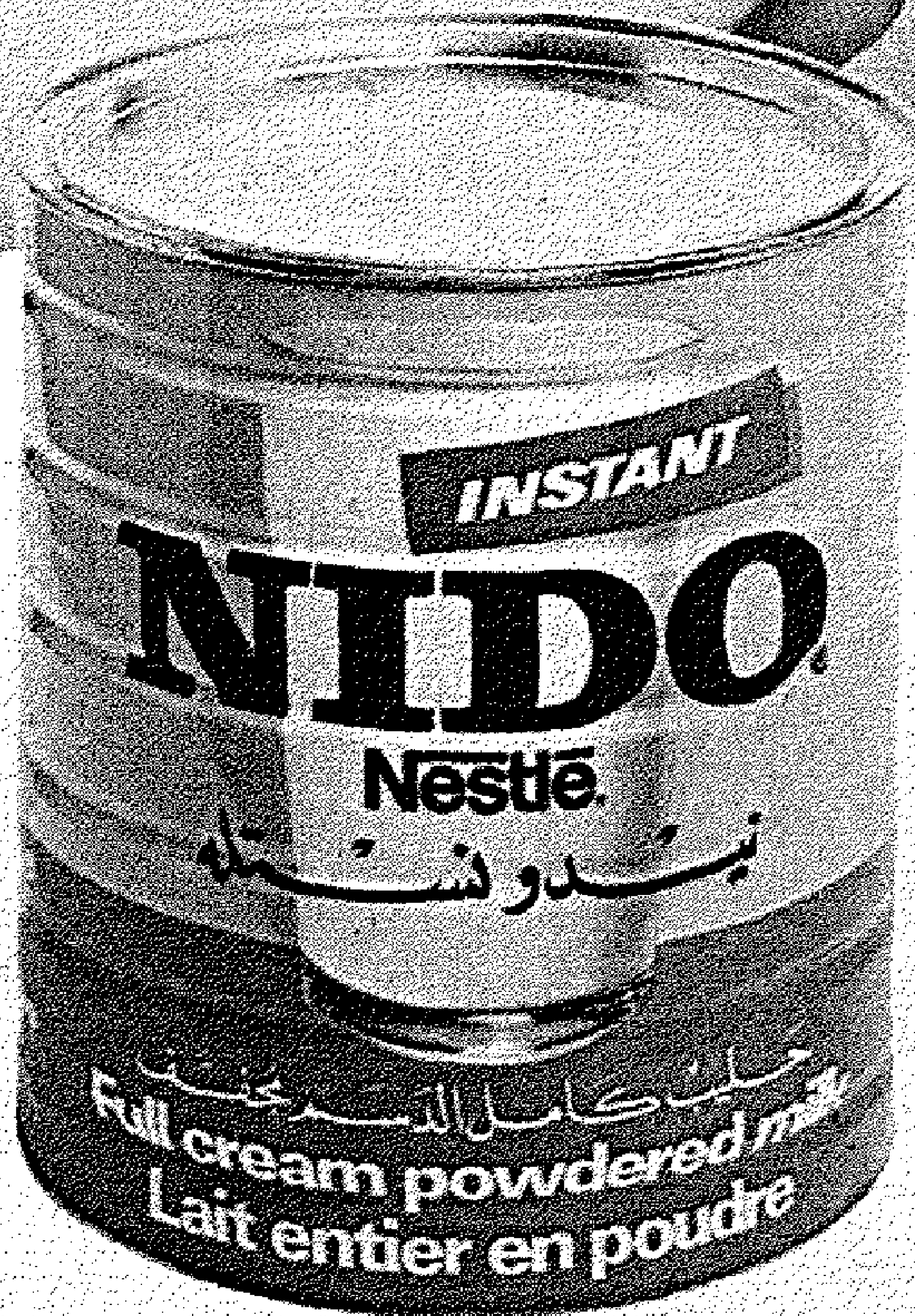


يويو - تي حديقة دائمة الفتنة داخل منتزه شوكي - ان في هيروشيما·

مقصورة وسط زهر الازاليا وشجر الورد في حديقة تقليدية تبقى على لون واحد، هو الاخضر، الى ان تظهر البراعم فتغدو عرسا من الالوان·



على ارض معبد ميوشين - جي في كيوتو تقوم حديقة تايزو - ان التي تتميز بنبت معتدل وسط وفرة من الحجار المنسّقة·



نيدو السريع الذوبان
ليَنعمَ أولادكُم بالعافيَة والصّحة

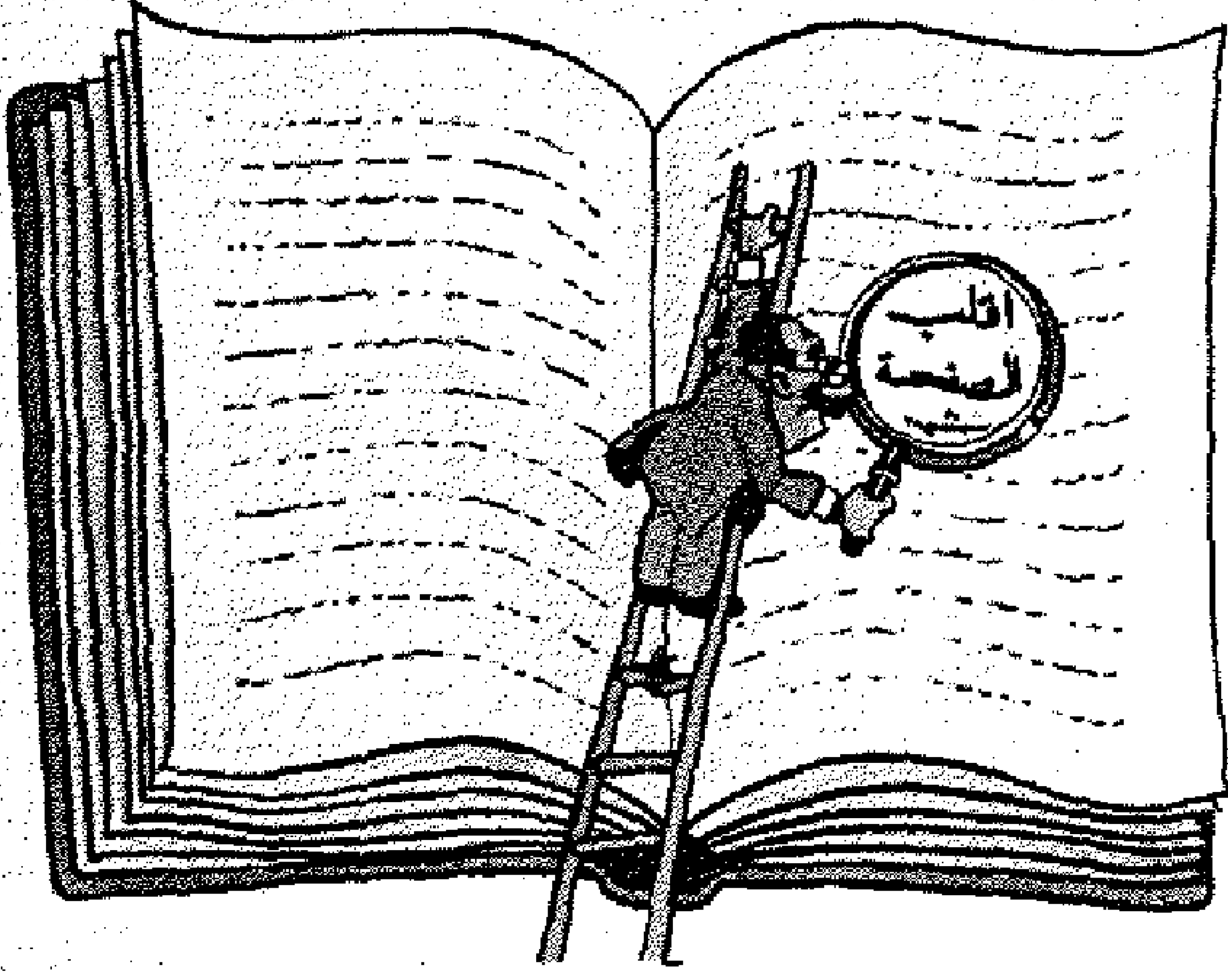
لدى تناولهم ، كل صباح ، كوباً من حليب نيدو النقي والصافي يبدأ أولادكم نهاراً مليئاً بالحيوية والنشاط .

نيدو السريع الذوبان يؤمن لأولادكم خلال مراحل نموهم ، معظم العناصر الغذائية التي تحتاج اليها اجسامهم .

نيدو السريع الذوبان ... لذة طعم الحليب الطازج يشربه أولادكم بشهية ويتمتعون بالعافية .

نيدو السريع الذوبان
لصحة كافة أفراد العائلة

NESTLÉ تضمنه نستله



دائرة المعارف

كلمات الدائرة في هذا العدد اسماء مفردة يراد جمعها.

وقد وضعت أمام كل اسم أربعة جموع، واحد منها فقط صحيح. والمطلوب من القارىء، اختبارا لمعرفته اللغوية، أن يختار الكلمة التي يعتبرها صحيحة، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١ - جَنَّة : جُنَن - جَنائِن - جَنات - آجان.

٢ - مَدى : أمْداء - آماد - أمادٍ - مُدِيّ.

٣ - أَيِّل : أَيِّل - أُيَّل - إيال - أيائل.

٤ - قَوْس : قِسِيّ - قَواسٍ - قُوس - قِيسان.

٥ - نِيَّة: نُوى - نُوِيّ - نَوايا - نِيّات.

٦ - وادٍ : أوادٍ - أوْدية - وِدْيان - وِهاد.

٧ - حافِز : حَوافِز - حَفائِز - مَحافِز - حَفْز.

٨ - قِلادة : قِلادات - أقْلاد - قَلائِد - أقاليد.

٩ - نِداء : أَنْداء - نَوادٍ - نِداءات - أنْدية.

١٠ - مِدْيَة : أَمْداء - مُدى - أمادٍ - مِدِيّ.

١١ - قَفير : قُفْر - أقافير - أقافِر - قُفْران.

١٢ - غَيْث : غُيوث - غَوائث - غِيات - أغْيات.

١٣ - لَجْنَة : لِجان - لُجَن - لجائن - أَلْجان.

١٤ - كَثيب : كثائب - أكثاب - كُثْبان - كُثُب.

١٥ - تِنين : تُنَن - أتْنان - تنائن - تنانين.

١٦ - وِثاق : أوْثاق - وُثُق - وُثُق - أوثِقَة.

١٧ - مِحْنَة : مِحان - أمحان - أماحِن - مِحَن.

١٨ - هَواء : هَواءات - أهْواء - هُوى - أهْوِيَة.

١٩ - وَضْع: أوضاع - وضائع - مواضع - وُضْعان.

٢٠ - ناي : أنْواء - نَوايا - نايات - نُوِيّ.

٢١ - كُلْيَة : كِلى - كُلى - كِلِيّ - كَلايا.

٢٢ - أبْكَم : أباكم - بَواكم - بُكْم - بُكَماء.

٢٣ - حاسِد : حَسودون - حُسّاد - حُسْد - حَواسِد.

٢٤ - دواء : أدْواء - أدْوِية - دَوايا - دُوِيّ.

٢٥ - قَناة : قَنَوات - أقناء - أقْنِيَة - قُنِيّ.

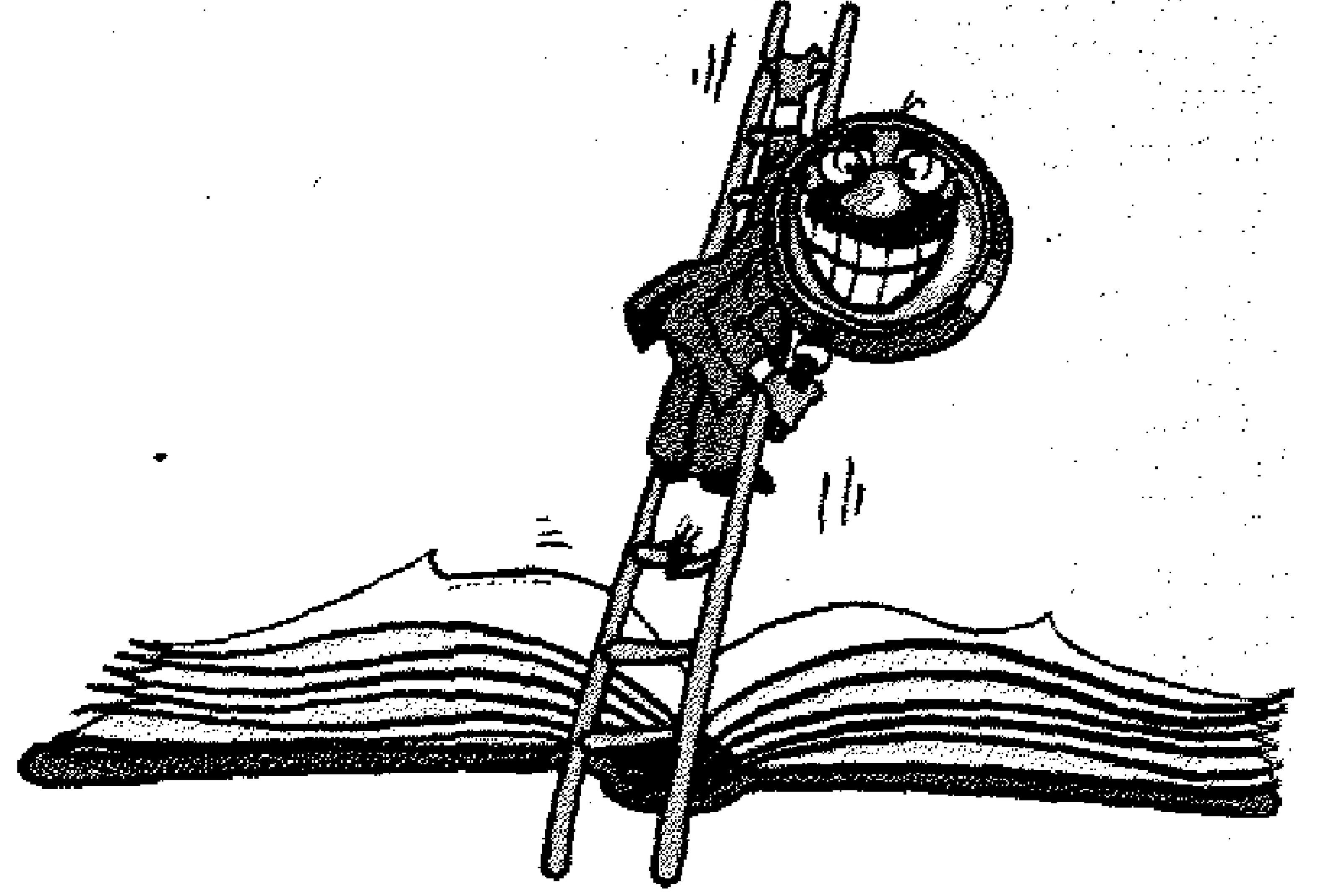
٢٦ - شِيمة : شِيام - شوائم - شيمات - شِيَم.

٢٧ - كُوَّة : كُوّ - أكواء - كُوى - كُوِيّ.

٢٨ - نَبيذ : نُبْذ - نبائذ - أنْباذ - أنْبِذَة.

٢٩ - قُبَّة : قُبَاب - قِباب - قُبّات - قُبَب.

٣٠ - نَهار : أنْهُر - نَهائر - نهارات - أنْهار.



الأجوبة الصحيحة

١٠ جَنَّة : جِنان وجَنّات٠ حديقة مشجرة تستر الارض بظلالها٠ الفردوس (الارضي او السماوي)٠

٢٠ مَدى : أمداء٠ الغاية والمنتهى٠ المسافة٠

٣٠ أيّل : أيائل٠ حيوان من ذوات الظلف٠

٤٠ قَوْس : قِسِيّ وقُسِيّ وأقْواس وقِياس وأقْوُس وأقْياس٠ آلة لرمي السهام٠ والكلمة مؤنثة وقد تذكّر٠

٥٠ نِيَّة : نِيّات ونِيات٠ قَصْد٠

٦٠ واد : أودِيَة وأواديَة واوداء (والعامة تقول ودْيان)٠ منفرج بين جبال يكون منفذاً للسيل٠

٧٠ حافِز : حوافز٠ دافع٠

٨٠ قِلادَة : قَلائد وقِلاد٠ ما جُعل في العنق من حَلْيٍ٠ قلائد الشِّعْر : أبياته النفيسة المحفوظة٠

٩٠ نداء : نداءات٠ الدعاء٠ الصوت٠

١٠٠ مِدْيَة : مُدىً ومِدىً ومُدْيات ومُدَيات : الشفرة الكبيرة٠ وقد سُميت كذلك لأنّ بها انقضاء المدى٠

١١٠ قَفير : قُفْران٠ خلية النحل٠

١٢٠ غَيْث : غُيوث وأغْيات٠ المطر او العشب الذي ينبت بماء المطر٠

١٣٠ لَجْنَة : لِجان٠ الجماعة يجتمعون للنظر في أمر٠

١٤٠ كَثيب : كُثُب وكُثَب وكُثْبان وأكْثِبَة٠ تلّ الرمل٠

١٥٠ تِنين : تَنانين٠ الحوت٠ الحية العظيمة٠

١٦٠ وِثاق : وُثُق٠ ما يُشَدّ به من حبل او قيد او سواهما٠

١٧٠ مِحْنة : مِحَن٠ ما يُمْتَحَن به الانسان من بلية٠

١٨٠ هَواء : أهْوِيَة٠ الجوّ٠ الخلاء٠ ما نستنشقه٠

١٩٠ وَضْع : أوضاع٠ الموضع٠

٢٠٠ نايٌ : نايات٠ آلة من آلات الطرب ينفَخ فيها٠

٢١٠ كُلْيَة : كُلىً وكُلْيات٠ غدّتان وظيفتهما أفراز البول من الدم٠

٢٢٠ أبْكَم : بُكْم٠ أخرس٠

٢٣٠ حاسِد : حُساد وحَسَدَة وحُسَّد٠ الذي يتمنى زوال نعمة الآخر وتحوّلها اليه٠

٢٤٠ دَواء : أدْوِيَة٠ ما يُعالج به المرض٠

٢٥٠ قَناة : قَنىً وقِناء وقَنَوات٠ ما يحفَر في الأرض لتجري فيه الماء٠

٢٦٠ شِيمَة : شِيَم٠ الخُلُق والطبيعة٠ العادة٠

٢٧٠ كَوَّة : كِواء وكُوىً وكَوّات وكُوّات٠ خرق او ثقب في الحائط٠

٢٨٠ نَبيذ : أنْبِذَة٠ الخمر المعتَصَر من العنب او التمر٠

٢٩٠ قُبَّة : قِباب وقُبَب٠ بناء سقفه مستدير مقعَّر٠

٣٠٠ نَهار : أنْهُرٌ ونُهُر (والعامة تقول نهارات)٠ الوقت من الصبح الى المغرب٠

المستوى:

٢٥ - ٣٠ : ممتاز
١٩ - ٢٤ : جيد
١٣ - ١٨ : مقبول

العرس الذهبي

في العيد الخمسين لزواج والديها
تعلمت الابنة كيف تدوم المحبة الى الابد

كانت المناسبة الاخيرة التي التأم فيها شمل عائلتنا الاحتفال بالذكرى الخمسين لزواج ابي وامي. فقد احتشدنا جميعا داخل المنزل بصياح وجلبة، نتبادل التهاني. ويعانق بعضنا بعضا. وتناثرت حقائب السفر هنا وهناك، ولم ينقطع جرس الهاتف عن الرنين، وتوافد الاصدقاء والاعمام والعمات والاخوال والخالات وابناؤهم وبناتهم، وتعالت اصداء الضحك والروايات عن مغامرات الطفولة واستعادة ذكرياتها وتجشم متاعبها وتذوق مسراتها.

خمسون عاما قضياها معا دفعة واحدة، فأذهلني طول امتدادها، ولو انها قد تجمعت، عاما اثر عام، كندف الثلج الكثيفة المتراكمة فوق الارض لتكسوها بساطا ابيض تتخلله جبال ناعمة ملساء من الحب والرعاية، ولربما تجمدت قمم بعضها بفعل الزمن والعادة.

وفيما انا اتأمل تلك السنوات الطويلة لزواجهما، ارنو الى سنوات زواجي الثلاثين وهي تتراكم بعد ان مرت واحدة تلو اخرى كما تطوى صفحات الكتاب، بعضها يضم فصولا افضل مما يضمه الاخر، وبعضها مليء بالكرب والاكتئاب، وبعضها الآخر عامر بالاثارة او مثقل بالرتابة والارتباك. ترى هل هكذا الامر ايضا بالنسبة اليهما؟ وما الذي تعنيه صحبة كل تلك السنين؟ سنوات من الفة الاشياء ذاتها واعادتها الى مواضعها العادية، ومن الرتابة والتأثر باحداث الحياة وازماتها. ومسافات طويلة من ارضيات الغرف المنظفة والممسوحة واطنان الملابس المكوية. وايام لا نهاية لها قضاها ابي في العمل ونزهات لا حصر لها في الخريف ووجبات العشاء ايام الآحاد. وتلك المرة التي اصبنا فيها بجدري الماء نحن الاطفال الثلاثة جميعا، او تلك المرة الاخرى التي كسر فيها اخي ديفيد ذراعه وهو يركب دراجته، وحادثة اخي جيري وهو في سن الرابعة عشرة عندما عاد من توزيع الصحف ثملا بالنبيذ الرخيص. يضاف الى ذلك سهرهما على انضباطنا

وتأديبنا والعناء الذي لقياه معنا وتشجيعهما لنا على الدراسة والتزام الاستقامة والصدق في علاقاتنا، والمناسبات التي اضطرا فيها الى التنحي عنا على مضض ليتركانا وشأننا. وتلك الكنوز الصغيرة النابعة من هنيهات المقربة الحميمة.

ولقد اثرت فيّ المناسبة اكبر تأثير لحظة الحفلة، عندما هدأت الردهة الكبيرة ووقفنا نحن الاطفال الثلاثة امام الجمع الحاشد، واخذت اتلو التحية القصيرة التي كتبتها لوالدينا:

طول البقاء السعيد – "اننا نشكركما نحن ابناؤكما على هبة الحياة وتوجيه خطواتنا نحو المسؤولية والقدوة التي تمثلها لنا حياتكما في الرعاية والمحبة المتبادلتين. ولقد كان بشر المحبة والوئام بينكما معيارا لوجودنا، وكان الالم والاسى معيارا لتوكيد هذا الوجود، وكان دوام اتحادكما اثباتا لكياننا. فنحن - اسرتكما واصدقاؤكما - نحييكما لمناسبة انقضاء نصف قرن على حياتكما المشتركة، ونشاطركما البهجة في هذا الاحتفال، متمنين لكما طول البقاء والسعادة".

وقد وجدتني اشكرهما الان على ما كنت اعارضهما فيه واتمرد عليه من قبل، اي اسلوب حياتهما الذي بدا متينا ومليئا بالثقة الى درجة كابتة، وخاليا من الاحداث المثيرة الى درجة تثير الملل، وصارم الالتزام بمعايير متزمتة. ومع ذلك، فان هذا التضامن الوطيد الباقي الذي يمثلانه هو عينه الذي ترك اكبر اثر في نفسي. كما ان هذا الرسوخ بعينه وتلك القدرة على التحمل والمثابرة هما اللذان اعاناني على اجتياز الكثير من المحن والازمات.

ولم يقتصر والدانا على كونهما والدين فحسب، بل انهما كانا زوجين يعيشان زواجا خاصا بهما. وحاولت ان اتصورهما في بداية زواجهما: واقفين امام المذبح في تلك الكنيسة الصغيرة على قمة الجبل قرب مزرعتهما، حبيبين مفرطين في التفاؤل، ابي بشعره الاسود الفاحم وشاربه المنسق، وامي برشاقتها وجمالها وضفيرتي شعرها الكستنائي.

تجديد عمود الزوجية – وفي ساعة مبكرة من صباح العيد الخمسين لزواجهما توجها الى الكنيسة وكررا عهودهما الزوجية وقت القداس، حيث وقفا معا امام المذبح، مع الفارق ان امي اصبحت بدينة اكثر بقليل منها قبل خمسين عاما واقل اطمئنانا الى مشيتها واصبح شعرها الكستنائي خصلا قصيرة متناثرة كستها جمة (باروكة) من الشعر المستعار. اما ابي فكانت كتفاه لا تزالان عريضتين قويتين، وان كان شعره قد نحل وانتشر فيه المشيب. وكانت يداهما متماسكتين.

ووقفت ابنتهما وابناهما وسائر افراد الاسرة والاصدقاء ينظرون مأخوذين، وهما يكرران عهودهما بالحرارة والايمان نفسيهما بالتقاليد التي تعاهدا على الالتزام بها قبل خمسين عاما. ولكنهما لم يكونا وحدهما وانما كانت تلتف حولهما كل تلك السنين التي تقاسماها، في

صحبة حميمة لا يضاهيها اي حشد من المهنئين والمتمنين خيرا لهما ·

وادركت الامتياز الذي نحظى به في مشاركتهما في هذا الاحتفال، فما اندر امثاله وما اشد ما ستزداد هذه الندرة··· فقد كنت اعرف مدى هشاشة الزواج واتذكر كيف اعاننا هذان الوالدان على اجتياز السنوات القلقة المتصدعة التي تعرض فيها زواجنا لمحنة تلو اخرى، وكأنها اختبار لمتانة عهودنا· وتساءلت عما ستؤول اليه حالنا بعد عشر سنين او عشرين او خمسين سنة من الان· وانما لم يطل تساؤلي اكثر من برهة قصيرة، تجاوزتها عندما رأيتهما امامي شاهدين على بقاء التضامن الوطيد واستمرار المحبة·

ولم يفتني ما هناك من الفروق بين زواجهما، ولا التباين بين الاطر الزمنية التي وضعتهما فيها الحياة· ولم تبرح خاطري هذه الفروق على رغم تثبتي خلال الاحتفال من طول عهد زواجهما· وان أنسى فلا انسى كيف ان الضغوط الحديثة - كالرغبة في المساواة وتحقيق الذات - قد اثرت على زواجي وزواج اصدقائي، وكيف كان علينا ان نصمد امام التبدل السريع ونفوذ وسائل الاعلام والتغيرات المنهمرة من كل حدب وصوب·

لقد صمدا ـ ولم اتساءل ابدا عن سبب صمود ابويّ في ظل التقاليد والعرف والواجب وايمانهما الديني· لقد صمدا، وهذا كل ما في الامر· نعم لقد شدّهما حبل الحب المتبادل، ولكن الم يكن ذلك ايضا بمثابة عادة بالنسبة الى كل منهما؟ ولقد ساءني بعض الشيء ان لم يخطر في بالهما ان يستجوبا نفسيهما في شأن زواجهما، وان تكون الحياة الرتيبة هي مصدر كل هذه الثقة بنفسيهما· واوشكت ان اتصور اننا نعيش، هما ونحن، في عالمين مختلفين·

غير انني حين عدت الى بيتهما هذا العام لاحظت ان رأيي قد تغير عما قبل وان بصيرتي كانت عمياء الى درجة عجزت معها عيناي عن رؤية امور جوهرية واضحة· والان، بعد الاحتفال باربعة اعوام، فانني لا احاول ان ابحث عن الفروق، بل عن الامور الجوهرية التي نشترك فيها جميعنا، تلك الاسس العميقة الراسخة التي تقوم عليها كل الزيجات· لقد تقدم والديّ في السن الان، وظهرت عليهما تلك التغيرات السريعة التي تجيء بها اربع سنوات الى من جاوزوا السبعين من العمر·

لاحظت ان امي تستمع الى المذياع ولكنها نادرا ما تدير جهاز التلفزيون، وتقول لي ان بصر احدى عينيها اخذ يشحّ، واصبح لا بد لها من اجراء عملية جراحية لترقيع القرنية· ولاحظت ان ابي يقوم بكل اعمال المنزل، من طهي وشراء الحاجيات، الخ· وقد انتحى بي جانبا وطلب الي ان اتغاضى عن الامر اذا ما رأيت آثار البيض على احدى الملاعق "لان امك لم تعد تبصر جيدا"· ثم اعاد ترتيب البيت، فنقل غرفة النوم الى موضع حجرة الطعام كي لا تضطر امي الى صعود الدرج· ورحت اراقب ابي كيف يعتني بها ويعبر عن اخلاصه لها بالف طريقة وطريقة، اخلاص لا ينبعث من مجرد الرغبة في المداراة او التزام

بالواجب بل ينبع من اعماق المحبة الصافية. فلقد ظل كل منهما يعتني بالآخر ويرعاه طوال حياتهما الزوجية، ولم يختلف امرهما الان عن ذلك في شيء.

الزواج وثراء الحياة – وتذكرني حياة والدي الزوجية طوال ٥٠ عاما بان الزواج وثراء الحياة لا يتحققان بلا مقابل، فليسا هما نتيجة التضحية بل ثمرة الرعاية والمحبة المتبادلتين. ويطيب لي ان اتثبت من خلال حياة والدي ان المحبة تستمر حرارتها الى الابد، وان الفضائل والقيم التي كنا نعتبرها حلية الانسان لا تزال حية وبخير.

اما اليوم، فقد اصبح الناس ينظرون ببعض السلبية الى مثل هذه الروابط، خصوصا الاتكال المتبادل، ويعتبرون التواكل بين الزوجين كدليل على خلل في الزواج، نقيض للحرية والفردية والذاتية.

لا شك في ان الفرد عنصر ثمين جدا في ذاته، لكن اهميته الحقيقية لا تقدر الا بقيمة الروابط التي تشده الى الاخرين. فالخير المشترك الذي اتسمت به حياة والديّ ليس الا حصيلة الخير الفردي لكل منهما. ولئن كان من الصحيح ان الانتهاء الى اختيار امر ما يفترض التخلي عن حرية القيام بأمر آخر، فانه لمن الصحيح ايضا اننا في الوقت نفسه ننعم بذلك المقدار الاكبر من الحرية الذي يسبغه علينا ضميرنا وارتياحنا الى انفسنا. ولا ريب في ان والديّ يعززان في تصرفهما تلك المعادلة المطلقة بأن قيمة كل منهما لدى الآخر تفوق قيمة اي شيء آخر في العالم.

وانني ادرك الان مغزى الالتزام تمام الادراك، بمعنى ان تكون انت أهم شخص في العالم في نظر شخص آخر وان يكون هو في نظرك اهم شخص في العالم. وادرك ايضا حرارة الاسرة التيحدث في نطاقها كل ذلك. فالزواج لم يُفقد اياً من والديّ ذاتيته وتفرده، ولو انه كان زواجا تقليديا. بل انه، على نقيض ذلك، قد عزز تمايزهما كفردين كاملين في نظري، وما ارتباطهما بالاسرة والاصدقاء سوى امتداد لالتزامهما بارتباط كل منهما بالاخر. واما مشاكلهما واحزانهما فهي جزء من صميم سعادتهما، لا تنقص منه ولا تزيد.

فالحياة، لسوء الحظ، لا توزع السعادة بالعدل والقسطاس، وليست هي امتيازا تجيئنا به الولادة، وانما هي موجودة في متناول كل منا تتطلب منه الاهتمام بجعلها حقيقة واقعة من شروط حياته الخاصة.

■ نينا اونيل

جرى الحديث الآتي بين زوج وزوجته حول رقعة الشطرنج:
قالت الزوجة: هذا يذكرني بايام كنا نخرج معا قبل الزواج.
ورد الزوج: ولكننا لم نلعب الشطرنج آنئذ!
فقالت الزوجة: هذا صحيح، ولكنك، حتى في تلك الايام، كنت تستغرق ساعتين كاملتين لتتقدم خطوة واحدة".
ر.س.

المُزارع الرسّام

قالت زوجته: "لقد اعلن فجأة اعتزامه الانقطاع عن العمل بعد الآن، وتكريس بقية حياته للرسم، ورغب الي في ان اتكفل وحدي باعالة الاسرة".



كان ذلك عقب العيد الخمسين لميلاد هونغ تونغ وكان الفلاح الامي في كوخه في قرية نان كون شن الصغيرة التي تبعد قرابة ساعة بالسيارة عن مدينة تاينان في تايوان، يراقب ابنه الاصغر وهو يتدرب على الخط. ولاحظ هونغ ان للحروف اشكالا تشابه اشكال الانسان او الحيوان. فالتقط في الحال قلما مزودا بطرف من اللباد وبدأ يرسم، مضيفا هنا وهناك بعض الرؤوس والاطراف حتى بدت الاشكال وكأنها هيئات انسانية. وقد غمرته البهجة الى درجة انه اغفل طعام العشاء وملأ كراسد كاملة بالرسوم. ولم يكن في حسبان هونغ او زوجته ان تكون تلك هي بداية حياة مهنية ستكسبه شهرة دولية.

وبعد بضع سنوات، حين عرضت اعمال تونغ في مارس (آذار) ١٩٧٦ في مركز لنكولن في تايبيه في رعاية مجلة "الفنان" احتشد الناس حول المبنى وقال احد الصحافيين معلقا على هذا الحدث: "انه يستقطب جمهورا يفوق عدده ذلك الذي تجمع لمشاهدة الحجار التي عاد بها رواد الفضاء من القمر".



اليتيم الفقير ـ توفي والدا هونغ تونغ وهو لا يزال طفلا ، وتولى تربيته عم له كان فقيرا جدا فلم يتمكن من ارساله الى المدرسة. وقد عمل هونغ في سن المراهقة راعيا للابقار ومساعدا في حقول الجيران واحواض صيد الاسماك. وعندما بلغ الخامسة والعشرين من عمره تزوج من ليوليه - جو. وعاش الاثنان على زراعة البطيخ الاصفر والذرة والفول السوداني. ولم يلبثا ان انجبا ثلاثة ابناء وابنتين، فاضطر هونغ تونغ الى العمل في حقول الجيران لكسب دخل اضافي، بينما راحت زوجته تبيع التذكارات في معبد القرية.

وبعد خمسة وعشرين عاما، ابى تونغ الاستمرار في مثل هذا العمل، وراح يقضي ليله مكبا على الرسم في حجرة صغيرة من كوخه. وبعد حين، اقام لنفسه مرسما في حظيرة مهجورة. وكان يتوسل الى زوجته لتشتري له الورق والفراشي والالوان، فتضطر المرأة الى اقتراض النقود اللازمة من الجيران.

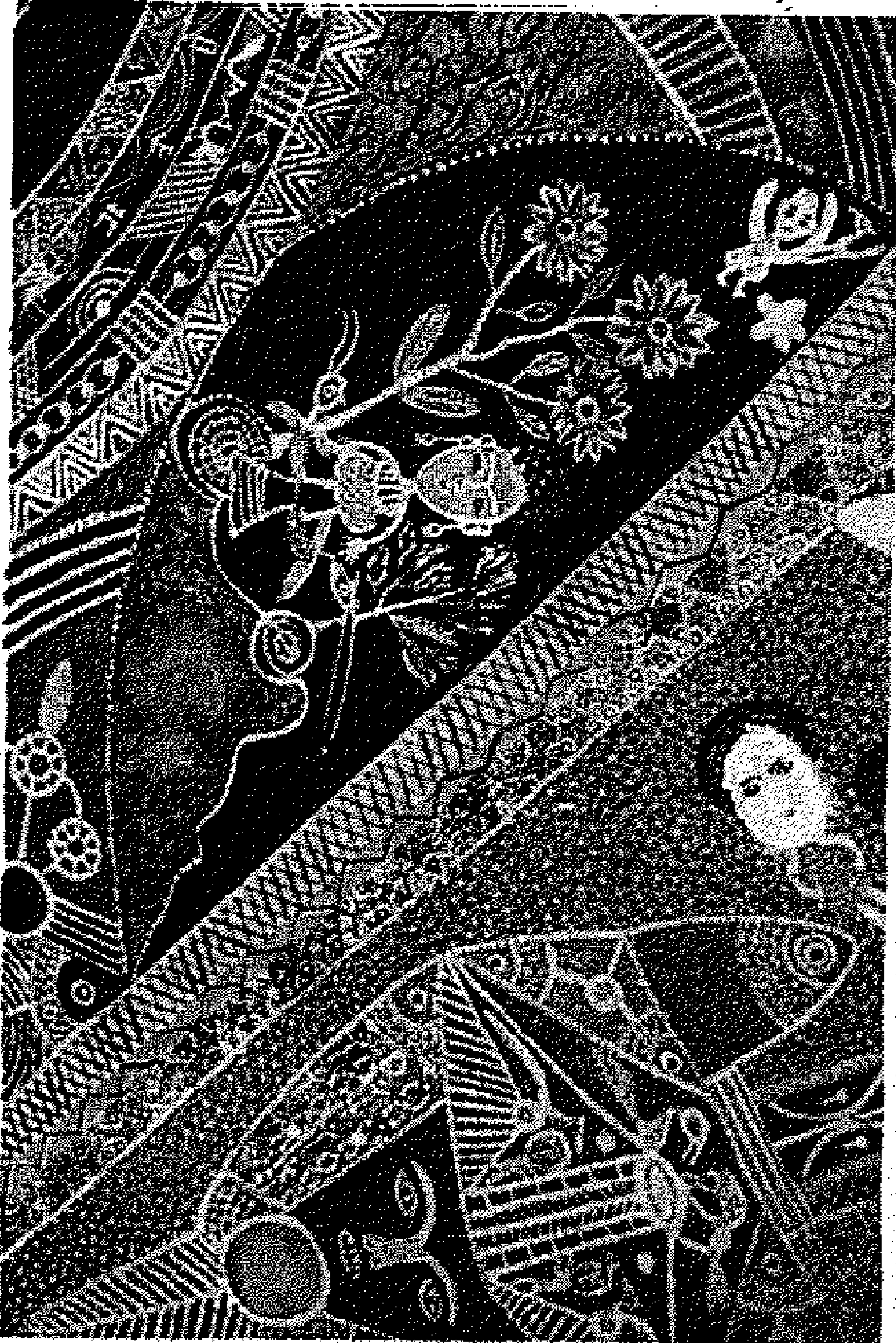
سخرية القرويين ـ وحين اخذ هونغ تونغ يعرض رسومه خارج معبد القرية، كان القرويون يرددون: "ان اطفالنا يستطيعون ان "يشخبطوا" افضل من ذلك". وكانوا يقولون ايضا: "هل جن هذا الرجل؟"

وملاء هونغ تونغ جدران بيته وبابه برسوم التنانين والزهر الملون والرموز الكتابية التي لا يستطيع احد قراءتها، كما اقام امام كوخه صليبا خشبيا. وانتشرت الاشاعات بانه "مسكون" خصوصا عندما كان يقول: "انني ارسم ما في قلبي، فاشعر بالارتياح، فلماذا ينبغي ان يفهم الاخرون ما افعله؟"

ولعل الفرد الوحيد في الاسرة الذي استطاع ان يفهم هونغ تونغ هو ابنه البكر هونغ ين، العامل في احد المصانع والذي كان يختار الهدايا لابيه، من أدوات الرسم. فكان ين يفكر في ان السن قد تقدمت بوالده، وان الوقت قد حان له لكي يستمتع بالحياة.

ولكن ين لم يلبث ان توفى على اثر مرض في كبده، فاصبح هونغ تونغ منطويا على نفسه. وذات يوم حار من شهر يوليو (تموز) ١٩٧٠، طرق باب بيتي في تاينان رجل تعلو وجهه

احدى لوحات هونغ تونغ الاولى، وهي تصور مجموعة من الوجوه الملونة مرسومة على قرطاس من الورق الاحمر.



ملامح الحزن الشديد، وقال: "هل يمكنني ان اسألك رأيك في بعض الرسوم؟" وقد تأثرت، وانا مدرس للفن، بقوة ما عرضه علي الرجل من الاشكال الغريبة والالوان الحية والرسوم المتشابكة الخطوط. واجبت هونغ‌تونغ انني اجد عمله فريدا ومليئا بقوة بدائية، ودعوته الى حث الرجل الذي وضع تلك الرسوم على الاستمرار في هذا العمل. فسألني عند ذاك، وقد بدأ وجهه يتألق: "هل هناك امل لي اذا؟" واعترف بحياء انه هو صاحب الرسوم.

وظل هونغ تونغ يتردد على مرسمي مرة كل يوم احد على فترة عامين تقريبا. واطلعته على مواد وطرق جديدة للرسم، ولم ابخل عليه بنقد اعماله.

وكان هونغ تونغ عنيدا ونافذ البصيرة ومليئا بحب الاستطلاع. ولعل اكثر ما كان ينقصه هو الثقة بالنفس التي افقدته اياها ملاحظات القرويين الساخرة.

وكان يرسم في البداية على قراطيس الورق الاحمر الذي يستخدمه الصينيون في الاحتفالات والمهرجانات. ثم انتقل الى ورق القطن والكتان السميك. وكان يرسم نساء وجوههن حمراء وخضراء وصفراء، واسماكا واوراق شجر تنبت من رؤوس بشرية ملتوية، ومباني تشبه القصور، واشكالا هندسية، ونباتات.

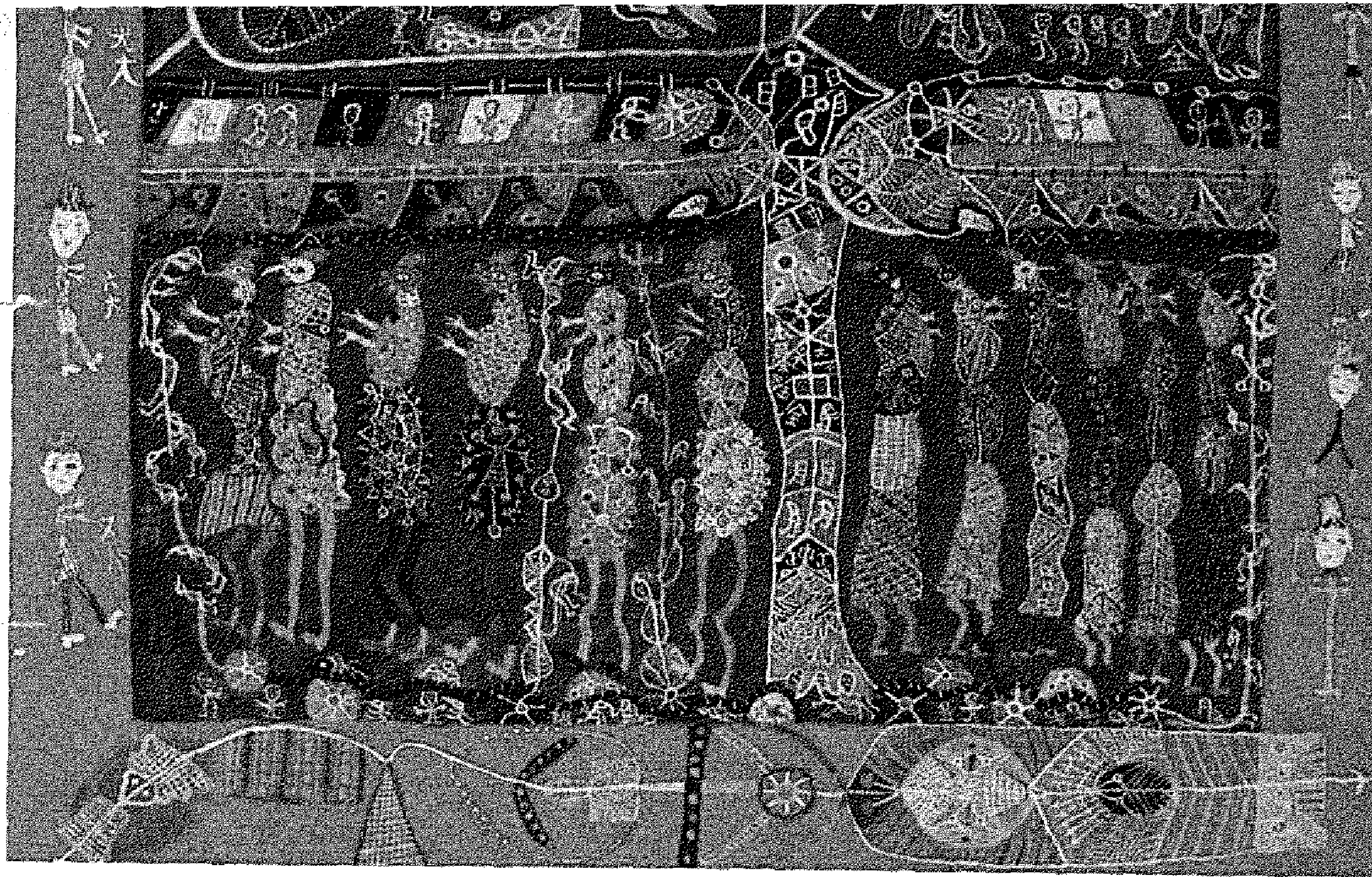
لوحات بلا عناوين - وعلى رغم ان لوحاته خالية من اي عناوين، الا ان بعضها يحمل كلمات بسيطة، مثل "الشمس"، "القمر"، "التل"، وكان



لوحة استكملت في عام ١٩٧٣، فأثارت سخرية القرويين، واجتذبت انتباه نقاد الفن.

الكثير من هذه التسميات متعذرا على الفهم. وقد قال هونغ تونغ في ذلك: "انني ابتكر كلمات تخصني وحدي". وربما كان في اعماقه توق لاشعوري وصراع قوي في سبيل العلم.

وعام ١٩٧٤، رأى مخبر صحافي من مجلة "الصدى" رسوم هونغ تونغ الزاهية الالوان فاجتذبته الاشكال الغريبة المبتكرة وكتب مقالا عنوانه "الفنان المجنون"، لفت اهتمام الاوساط الفنية في تايبيه. ولم تلبث المجلات والصحف الاخرى ان نشرت مقالات عن ذلك الرجل الهرم الغريب وعن اعماله الفنية العظيمة. وشبهه البعض بـ"الجدة موزيس" في الولايات المتحدة، وهي سيدة امريكية اصبحت



فنانة شهيرة بعد ان طعنت في السن.

وكان هونغ تونغ، طوال السنوات الثماني التي انقضت على مباشرته الرسم، يمتنع عن بيع ما انتجه من مئات اللوحات، لانها، كما كان يقول، "جزء من لحمي ودمي". الا ان الفقر والمرض قد ارغماه اخيرا على اختيار ١٦٠ منها وعرضها للبيع.

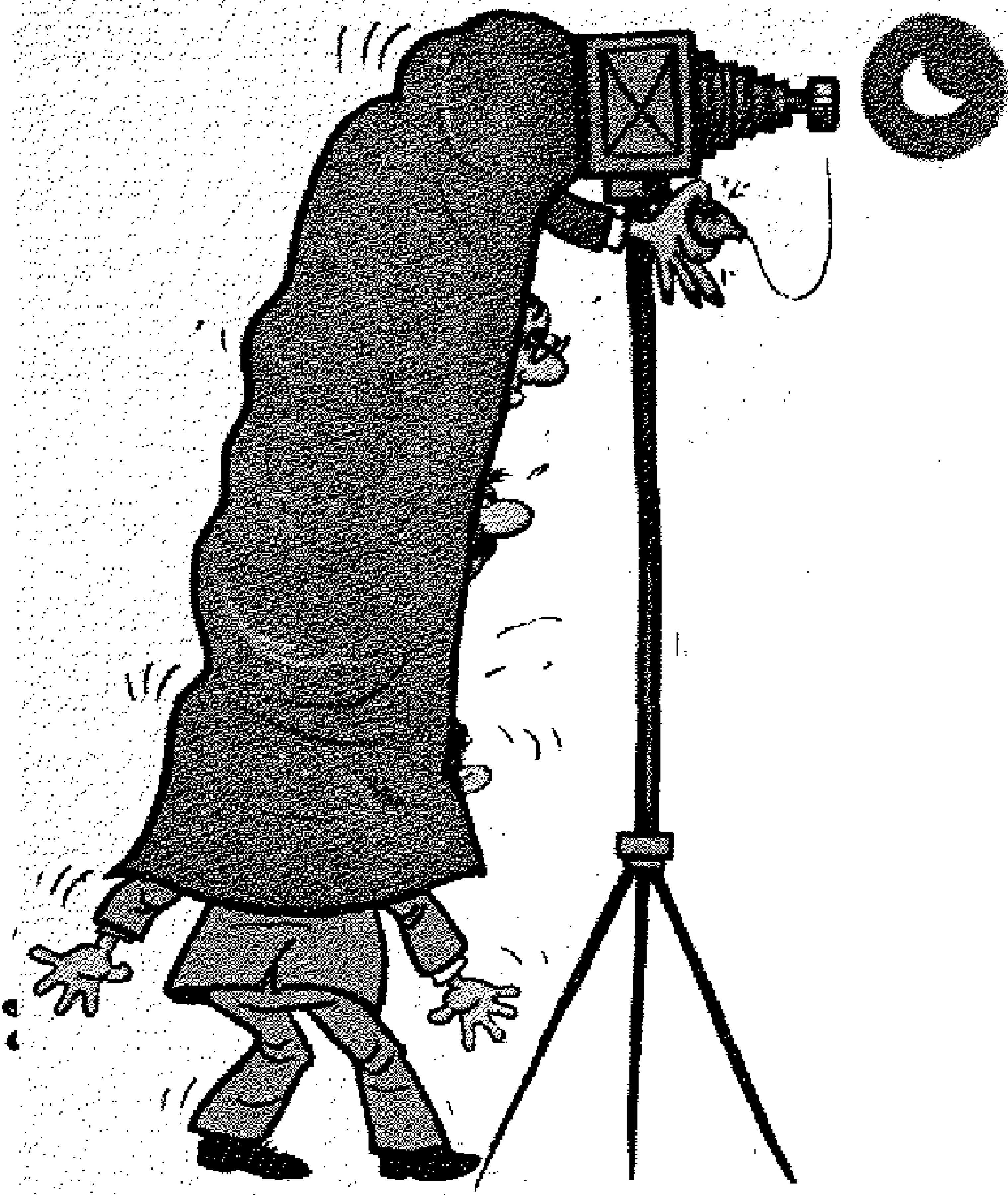
وما زالت رسوم هونغ تونغ تكسب المزيد من التقدير. ويقول الناقد الفني هو تشينغ كوانغ، في مجلة "الفنان": "ان اعمال هونغ تونغ تكشف عن عقلية طفل "هرم"، نقية وبريئة. ولكنه يتحلى بالصبر والقدرة والتقنية والاحساس باللون، مما لا نجده في فن الاطفال".

وقد شهد هونغ تونغ يوما رائعا عندما التقى رجال الصحافة في تايبيه، عشية افتتاح معرضه. وقد وصل متأخرا عن الموعد بما يقرب من الساعة وهو يرتدي قميصا رسم بيده على ظهره صورة رجل مسن يدق طبلة بحجر وقال للصحافيين تعليقا على هذا الرسم: "ان الصوت الذي تحدثه الطبلة هو "تونغ" وهو اسمي".

ان المرء ليتساءل عما اذا كانت رسوم هونغ تونغ هي اعمال رجل فذ ام رجل مجنون؟ وفي هذا الصدد، يقول الفنان والاختصاصي في النظريات الفنية ليو - تشي - وي: "هناك قدرة ابداعية يسودها الارتعاب، تنبثق من اعماق هونغ تونغ المترامية وراء نطاق الوعي، فتتيح له ان يهزأ، من ناحية، بعالمنا الحقيقي الواقعي القذر، وان ينثر، من ناحية اخرى، آيات التمجيد والتبجيل على دنياه التي لا شكل لها. فاعماله نابعة من شخصية فريدة وهي الفن الحقيقي".

■ تسينغ بي - ياو

صور من الحياة



لا تحب الثرثرة

في صالة العرض التابعة لوكالة السيارات التي اعمل فيها تقف سيارة من طراز فولكسفاغن ١٩٥١ وقد تم تجديدها في شكل أنيق وعرضت الى جانب النماذج الجديدة من السيارات. وذات يوم دخلت سيدتان مسنتان الى معرضنا فتوليت تعريفهما الى انواع السيارات المتوافرة حتى وصلنا الى الفولكسفاغن فاشارت احدى السيدتين اليها وسألتني عن طرازها. فبدأت بالشرح قائلا انها فولكسفاغن من طراز ١٩٥١، لكنها اعترضتني قائلة: "يا الهي! اولم تستطيعوا بيعها حتى اليوم؟".

ب. س.

صحافي جيد

منذ سنوات عدة توفي صديق حميم لمالك صحيفة "اريزونا ريبوبليك" يوجين. س. بوليام، وكان الصديق محاميا بارزا وكاتبا ووجها سياسيا، فطلب بوليام من هيئة تحريره ان تجمع اخبار تأبينه بالتلفون من ارجاء البلاد.

وفي الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والخمسين مساء اتصل بوليام بمكتب الصحيفة في المدينة واستفسر عن سير الامور من غير ان يحدد هويته.

ففرد المنقح متذمرا: "بخير، من المتحدث؟".

- انا جين بوليام.

- اذا كنت جين بوليام حقا، فأحرى بك ان تعرف ذلك من دون ان تتصل قبل الموعد النهائي لانهاء الصحيفة. بخمس دقائق.

واغلق المنقح الخط في وجه مالك الصحيفة. فاتصل بوليام بمدير التحرير وسأله عن اسم المنقح ولما حصل عليه قال بوليام:

- امنحه علاوة. انه صحافي جيد.

بول دين عن "فينكس اريزونا ريبوبلك"

اضاف الطبيب الى صالة الانتظار في عيادته تشكيلة من النباتات الصناعية الخضراء الجميلة، وقد اكتشف احد المعجبين من المرضى، بعد تفحص دقيق، ان اوراق النباتات الصناعية تحاكي اوراق اللبلاب والسماق السامين (وهما نبتتان تولدان نوعا من الطفح الجلدي الشائع). وكان الطبيب، بالطبع، مختصا بالامراض الجلدية.

س. هـ.

الهدية المفضلة

كان مضى على مباشرتي العمل في سوق صغير لبيع الحاجيات المنزلية يومان حين دخل رجلان يبحثان عن بطانية من الصوف الخالص. ولما لم نكن نبيع هذا الصنف فقد عرضت عليهما بطانية من النسيج الصناعي (الاورلون) واسرفت في اطراء مزايا الاورلون على الصوف فقلت لهما انه لا يثير الحساسية وأكثر قابلية للغسل ويستخدم في الملابس الراقية ويوفر نعومة مترفة. ثم

ختمت اعلاني الدعائي باسلوب مغر متسائلا: "الا تتفقان معي على ان بطانية الاورلون اكثر نفعا في كل الاحوال؟".

فابتسم زبوناي وعلق احدهما "الا في حالنا. فنحن نبحث عن جائزة لنقدمها في حفلة غداء للاتحاد الوطني لمنتجي الصوف".

د.ب.

دجاجتا المصرف

كان المكيانيكي الشاب يكد ويجهد في ضبط وتزييت ماكينة تعبئة الصكوك في المصرف الذي اعمل فيه. وعلى رغم الساعات الطوال التي امضاها في العمل فانه لم يتوصل الى كتم صريرها المزعج. وحل موعد اغلاق المصرف والعامل ما زال يكد. وبعد ساعات، وفيما كان المسكين يريح ما بدا انه اخر الاجزاء المتحركة في الماكينة، دخلت موظفة من قسم المحاسبة وحملت صندوقا صغيرا في داخله دجاجتان تصيئان اشترتهما لعيد الفصح. وما ان رحلت حتى انقطع الصرير الذي قضى الميكانيكي طوال النهار يحاول معالجته.

ر.و.م.

الشرقي "الجاسوس"

حين اضطررت الى استخدام سيارة العائلة، بعد ان تسلمت وظيفة جديدة، قرر زوجي وهو رجل شرطة اصلاح سيارته القديمة من طراز فورد ١٩٢٨ ليستقلها الى محل عمله. وذات مرة كان يقودها حين توقف امام اشارة المرور واذا بسائق دراجة نارية يقف في الممر الموازي له ويلقي عليه نظرة ازدراء ثم يصرخ: "يبدو انكم مستعدون للتخفي بأي شكل للتجسس علينا، اليس كذلك؟".

أ.س.

بعض اطيب التمنيات

حضرت استقبالا اعداديا لحفلة زفاف وقد طلب من جميع المدعوين ان يكتبوا نصائح للعريسين. وكان بين المدعوين مدرسة سبق ان تتلمذ العروسان على يديها فقدمت اليهما النصيحة ذاتها التي قدمتها اليهما عندما كانا طالبين: "لا تدعا التلفزيون يشغلكما عن واجباتكما البيتية".

م.ه.و.

البديل المناسب

كنت واختي توأمين متماثلين، وكان الارتباك الناجم عن ذلك مسليا لنا. لكن السخرية ارتدت علي حين بادرتني ذات يوم لتقول من دون مقدمات:

- قابلت صديقا قديما امس، لكني بدوت مضجرة.

فأبديت تعاطفي معها وعلقت: "يا للخيبة".

فاجابت: "ليس تماما، فقد قلت له انني انت".

د.ل.

قميص السعادة

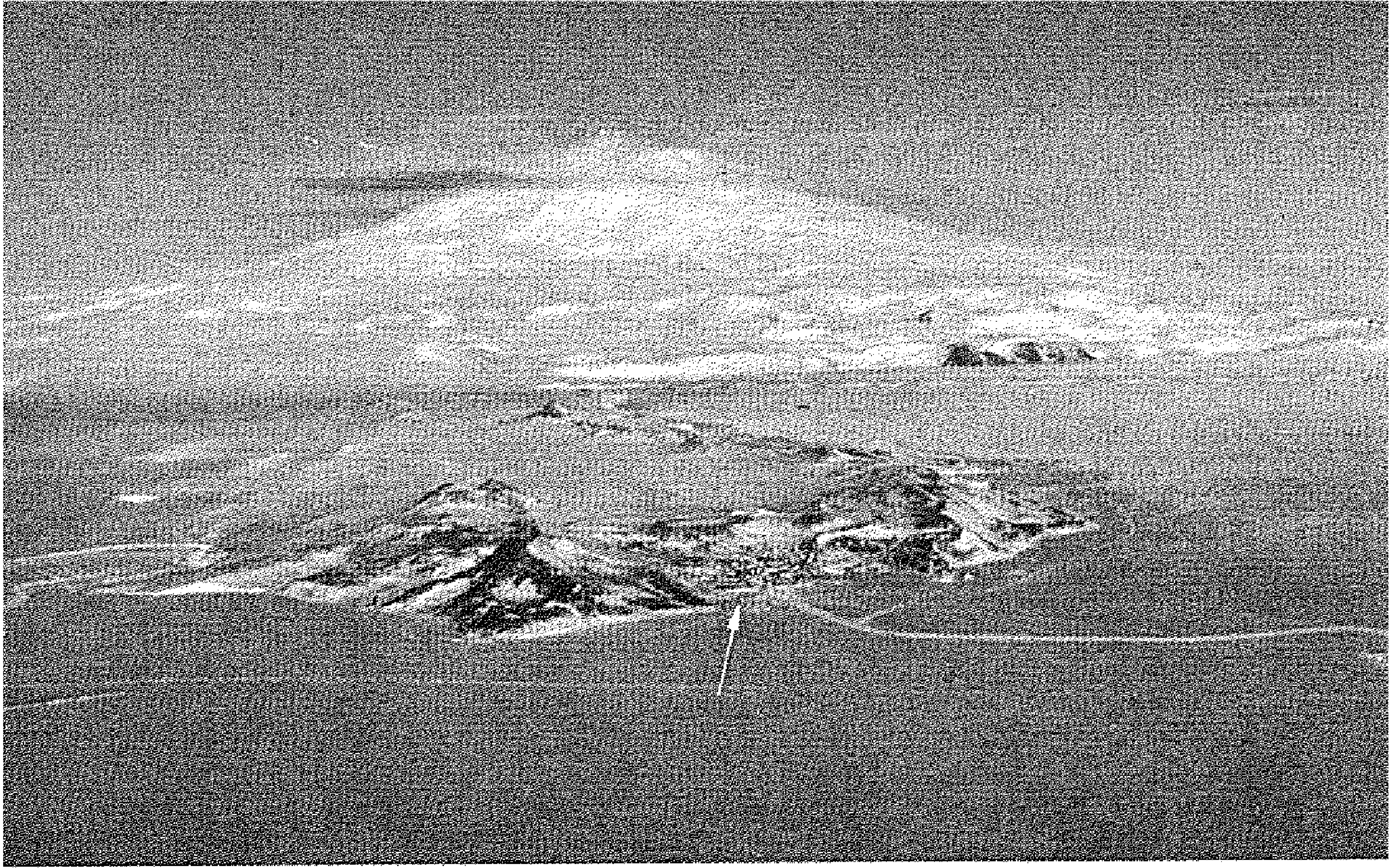
شعرت بالذنب والتقصير لان ولدي اضطر لليوم الثالث على التوالي الى الانتظار بعض الوقت في الصباح لكي قميصه الذي ارتداه للذهاب الى المدرسة. لكني غيرت نظرتي واستعدت ثقتي بنفسي تلك الليلة حين زرت قاعة الصف الثالث حيث يدرس ولدي، ووجدت على لوحة خاصة بالطلاب ما كتبه مع زملائه تحت عنوان "ثلاثة اشياء تجعلني سعيدا". فقد كان رأي ولدي ان: "السعادة هي ان ترتدي قميصا لا يزال دافئا من أثر الكي".

م.ي.

عالم عجيب

ذات صباح عاصف، اتصلت ام بدا عليها قلق واضح بادارة مدرستنا سائلة اذا كانت السيارة التي تنقل ابنها قد وصلت الى المدرسة. وحين سألتها عن اسم ابنها وصفه قهقهت ثم اجابت بعد برهة: "في الواقع، انه ليس تلميذا بل هو سائق السيارة".

ب.م.



رحلة الى قاع العالم

مجاهل قارة القطب الجنوبي تحمل اسرارا حيوية بالنسبة الى مستقبلنا

في قاع العالم مكان تنخفض فيه الحرارة الى ٨٨ درجة مئوية تحت الصفر. هنا تعول الريح كأنها قطار منطلق بسرعة خاطفة على صفيحة جليد تبلغ سماكتها ثلاثة كليومترات. وما من أثر حتى لشجرة واحدة. هنا كان الناس يموتون. غير ان طفلا واحدا فقط ولد على هذه القارة المتجمدة.

كنت قد سمعت اخبارا كثيرة عن قارة القطب الجنوبي، ولكن، مع ذلك كنت، غير مهيأ لجمالها الرهيب وصمتها المخيف وتناقضاتها. هنا تشرق الشمس ٢٤ ساعة يوميا طوال اشهر، لكن معدل الحرارة السنوي يبقى دون ٣٧ درجة مئوية تحت الصفر. وقد صنفت قارة القطب الجنوبي في عداد الصحارى لان المطر الذي يسقط فيها قليل جدا. غير ان مساحتها البالغة ١٤ مليون كيلومتر

مؤسسة سوثبي
لندن - تمام الساعة ١١ صباحا



وسط جو الزحام المتوتر في الردهة الرئيسية، يقف بيتر ويلسون، رئيس مجلس ادارة مؤسسة سوثبي، ليباشر صفقة بيع بالمزاد.

وهو يوفق بين العروض بمهارة لا تخطيء، ومع ذلك فانه يشيع حوله في الوقت نفسه جوا من الاسترخاء يبعث على الدهشة. ويقول بيتر ويلسون: "لا يمكنني النظر الى المزادات على انها مناسبات ينبغي أن تسودها الفخامة والعنجهية. فلست أرى في نفسي أكثر من مجرد سمسار ودود".

لقد أشرف بيتر ويلسون حتى الان على أكثر من ١٥٠٠ مزاد لكن الاثارة والاستعدادات التي تحيط بكل مزاد جديد تظل دائما موضع اهتمام فائق.

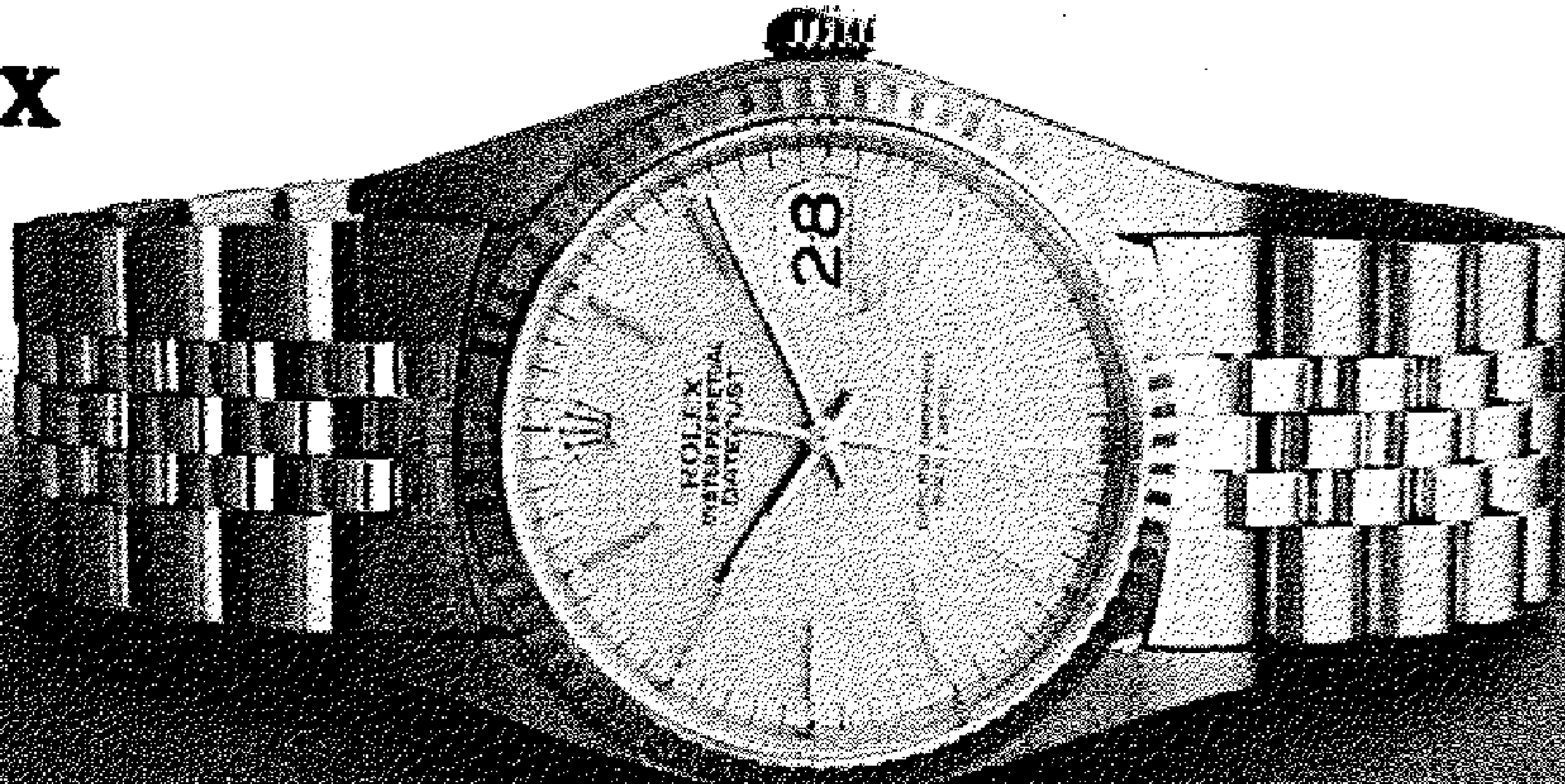
فهو يتقيد بمبدأ صارم، وهو ألا يعرض شيئا في مزاد قبل أن يكتسب دراية كافية به، سواء أكانت قيمته المنتظرة ٥٠ جنيها أو ٥٠٠٠٠ جنيه. ومنذ ما بدأ بيتر ويلسون عمله لدى سوثبي، نمت الشركة من مؤسسة صغيرة يعمل فيها ٣٦ موظفا حتى أصبحت مركزا لعالم الفن بلا منازع، تتولى تنظيم المزادات في نيويورك ومونت كارلو وهونغ كونغ وزوريخ، ويزيد عدد العاملين فيها على ١٠٠٠ شخص وليس هذا النمو بالانجاز الضئيل اذا ذكرنا أن بيتر ويلسون بدأ عمله أصلا كموظف تحت التجربة وبعقد لا تزيد مدته على ستة أشهر.

ويقضي بيتر ويلسون ربع عامه تقريبا في السفر متنقلا بين مكاتب مؤسسة سوثبي في مختلف أنحاء العالم. ولذا فان ضبط الوقت بالنسبة اليه عامل بالغ الأهمية.

والساعة التي يلبسها حول معصمه هي ساعة "روليكس ديتجست".

ويعترف بصراحة قائلا: "الحقيقة اني لست على اطلاع في الامور الميكانيكية، ولكنني أحترم الكمال في الصناعة أيا كان ميدانها".

وفي ما يتعلق برولیکس وضبط الوقت، فليس من قبيل الصدمة ان تجد في كل كتالوغ من كتالوغات سوثبي أن وقت البيع يحدد موعده "في تمام الساعة ١١ صباحا".



في الصورة: ساعة "روليكس ديتجست" من الصلب والذهب الابيض، ويمكن الحصول عليها أيضا مصنوعة من ذهب عياره ١٨ قيراطا أو من الصلب الذي لا يصدأ، مع سوارها المناسب.

مربع تشتمل على ٩٥ في المئة من ثلج العالم وجليده٠ واذا كانت البحار التي تحيط بالقارة تعج بالمخلوقات المائية، فان عددا قليلا فقط من الحشرات المجهرية ظهر في هذه الكتلة الارضية وبقي عليها٠ ومختصر القول ان لقارة القطب الجنوبي بيئة هي اقسى البيئات واشدها عداء في العالم٠ ومع ذلك، فان ٣٣٥ عالما من الولايات المتحدة قاموا عام ١٩٧٧ بمغامرة فيها لاجراء تسعين مشروعا مستقلا للبحوث في اشراف مؤسسة العلوم القومية٠

ويبدو بعض مشاريعهم شديد الغرابة حقا٠ على ان لبعضها الآخر علاقة واضحة وعملية بالحياة البشرية في الوقت الحاضر٠ هل يعمل الهباء العالق في الهواء على تدمير طبقة الاوزون التي تقي الارض اشعة الشمس فوق البنفسجية، ولمعرفة الجواب، يتولى العلماء في القطب اخذ عينات من مادة الكلوروفلور الكربونية من طبقة الستراتوسفير٠ وهل الصفيحة الجليدية غرب القارة آخذة في الانهيار؟ لقد تأكد باحثو مؤسسة العلوم القومية ان هذه الصفيحة تقلصت نحو ألف كيلومتر خلال ١٧ ألف عام٠ والنتيجة المرتقبة لذلك في المستقبل هي احتمال ارتفاع مستويات المحيطات في الكرة الارضية نحو خمسة امتار ونصف متر او ما يزيد على ذلك، وهو ارتفاع كاف لاغراق مدن كنيويورك ونيو اورلينز وبالتيمور٠ ثم هل يتوقع ان تكون قارة القطب الجنوبي مصدرا للطاقة ؟

عد الايام — منذ فترة وجيزة توجهت بصحبة ستة مراسلين آخرين الى قارة القطب الجنوبي بالطائرة للحصول على اجابات عن مثل هذه الاسئلة٠ وبعد رحلة جوية شاقة استغرقت ٣٦ ساعة قطعنا فيها ١٥٦٦٠ كيلومترا من بوينت موغو في كاليفورنيا عبر كرايست تشيرتش، في نيوزيلندا، وصلنا الى محطة ماكموردو، وهي كبرى قواعد الولايات المتحدة الاربع في قارة القطب الجنوبي٠ (هناك على كل حال، ٣٢ محطة عاملة طوال السنة تحت ١٢ جنسية)٠

ومحطة ماكموردو مبنية على تلال من رماد بركاني اسمر اللون، في الرأس الجنوبي لجزيرة روس٠ وهي ذات شوارع غير ممهدة وابنية رتيبة متشابهة تشابه المساكن الجاهزة٠ وهناك الوف الامتار من الاسلاك والكابلات والانابيب المنتشرة المتشابكة كمتاهة محيرة٠ وخلال الصيف الجنوبي الذي يمتد من اوائل اكتوبر (تشرين الاول) حتى نهاية فبراير (شباط)، تغدو هذه المحطة مسكنا لمعظم العلماء وللقسم الاكبر من ٦٠٠ عسكري ومدني يساعدون العلماء في نشاطاتهم٠

وعلى رغم وفرة التسهيلات الترفيهية في القاعدة، فان كثيرين من العاملين فيها يشعرون بانه لا مجال هنا لنشاط واسع "غير الاكل والنوم وعد الايام حتى موعد الاياب الى الوطن"، اما العلماء فليسوا كذلك٠

بعد ظهر اليوم الاول، التقينا آرثر ل٠ ديفريس، العالم الفيزيولوجي من جامعة ايلينوي الامريكية، البالغ ٣٧ عاما، في "كوخه السمكي" على الجليد٠ كان يقوم بعمله اليومي، وهو

التقاط سمك القد القطبي الكبير الحجم، البالغ نحو ٧٠ كيلوغراما، على كابل فولاذي مرقم لتحديد الاوزان، وهو يمتد على عمق ثلاثة امتار تقريبا في الجليد، الى قاع بحر روس الواقع على مسافة ٥٠٠ متر. اما الاسماك الاخرى فتتجمد في المياه التي تتدنى حرارتها الى ١،٩ درجة مئوية تحت الصفر. لكن هناك شيئا ما في دم القد القطبي الجنوبي يمكنه من البقاء حيا، وهو الغلوكوبروتيين الشبيه بالمادة التي نضعها في سياراتنا لمقاومة التجمد. لقد صرف ديفريس، الذي اكتشف الغلوكوبروتيين، بضع سنوات في تحليله. وربما كشفت دراساته ذات يوم كيفية اختزان دم الانسان و"العقاقير السحرية" لفترات اطول من الماضي. يضاف الى هذا ان اكتشافاته قد تساعد زارعي الاشجار الحمضية على تمكين مواسمهم من مقاومة الصقيع.

مكان رهيب – وفي الصباح الباكر من اليوم التالي صعدنا طائرة تابعة للبحرية من طراز "هيركولز ال – سي – ١٣٠" مجهزة بمعدات التزلج، للانتقال الى القطب الجنوبي على مسافة ١٣٥٠ كيلومترا. وكان المكتشف الانكليزي روبرت فالكون سكوت قضى شهرين ونصف شهر عام ١٩١٢ لاجتياز هذه المسافة التي قطعناها في ثلاث ساعات. وبعدما وقع نظره على القطب للمرة الاولى كتب سكوت: "يا الهي! هذا مكان رهيب". وما ان نزلت من الطائرة حتى ادركت ما عنى بهذا القول. ان الرجال الذين "يقضون الشتاء" هنا يبقون ثمانية اشهر من السنة منقطعين عن العالم لولا الراديو. وتمتد في الاتجاهات كلها مساحات شاسعة من البياض تتخللها تموجات رقيقة من الثلج. والهواء هناك رقيق، تتألف فيه بلورات جليدية. والسير على ارتفاع ٢٨٠٠ متر يقتضي جهدا يجعل القلب يخفق بقوة.

ان قاعدة الولايات المتحدة هنا مكونة من قبة ذات الواح الومنيوم مشدودة للوقاية من الثلج الزاحف باستمرار. وداخل هذه القبة تقوم الابنية التي يتناول فيها الرجال طعامهم وينامون ويقومون بالبحوث.

ولما كانت قارة القطب الجنوبي منشأ الطقس في نصف الكرة الجنوبي، فانها توفر للعلماء فرصة لدراسة انماط الاحوال الجوية في العالم. ولما كانت هذه القارة خالية عمليا من الزلازل، فان القطب يشكل ايضا "محطة اصغاء" او "محطة التقاط" مثالية لقياس قوة الزلازل في مواقع اخرى. ثم ان القارة مكان فريد لاجراء البحوث الطبية. وقد عبر طبيب المحطة، الدكتور فريدريك كورنر، عن ذلك بقوله: "ان البيئة الخارجية هنا خالية من الجراثيم بسبب الانخفاض الكبير في كثافة السكان". وفي هذا الجو النقي، الخالي من الجراثيم، يشترك الدكتور كورنر بدراسة متواصلة لمؤسسة اوكلاهوما للبحوث الطبية من اجل معرفة ما اذا كان عزل الانسان لفترة طويلة يؤدي الى خفض مناعته حيال المرض.

عجول البحر – وفي موقع يسمى هاتون كليفس، على مسافة ١١٩٠

كيلومترا شمال القطب، يتولى عالم الثدييات البحرية دوغ ديماستر وزوجته جانيت توماس الباحثة في ميدان العلاقات بين العضويات الحية وبيئاتها، من جامعة مينيسوتا، دراسة العجول البحرية او الفقمات. وهناك مولد كهربائي يمكن حمله لتوليد الطاقة في كوخ الزوجين الخشبي البالغ ستة امتار طولا وثلاثة امتار ونصف متر عرضا. وفي داخل الكوخ ارتني جانيت الاجهزة المتوافرة لهما، وهي: مسجل ينبئهما بوجود عجول بحرية على السطح في اي وقت من الاوقات، وسلسلة من مكبرات الصوت واشرطة تسجيل موصولة بمسماع للصوت موضوع تحت الماء، مما يمكنهما من سماع صرخات العجول البحرية، وجهاز تلفزيون يمكنهما من مراقبة العجول البحرية وهي تلعب تحت الجليد على مسافة مئة متر.

وادارت جانيت مفتاحا، فرأينا اما وصغيرها يسبحان ببطء امام عدسة التلفزيون. ثم ادارت مفتاحا آخر، وترددت في الكوخ اصداء "اصوات" سحرية وخشنة من تحت الماء، كان بعضها شبيها بازيز القنابل في الحرب العالمية الثانية. ترى هل تطلق هذه العجول البحرية صرخات فوق صوتية مما لا تستطيع المخلوقات البشرية سماعه؟ واذا كان الامر كذلك، فلماذا؟ هذان سؤالان من الاسئلة التي كانت جانيت تريد ان تجد لها جوابا.

وبعد ذلك قفزنا نحن الثلاثة، دوغ والباحثة المساعد اورين ج. رونغستاد وانا، الى عربة تشبه الدبابة وتشق الارض شقا، لنتولى عد العجول البحرية شمال رأس اريبوس الجليدي. وفي عام ١٩٧٥ كان ديماستر وثلاثة من زملائه في مهمة مماثلة في مثل هذه العربة الدبابة حين اخترقت الجليد. وارتفعت المياه الشديدة البرودة الى خصر دوغ قبل ان يتمكن من انقاذ نفسه بالصعود الى السطح المتجمد. وكانت العربة قد غرقت في مياه عمقها ٤٥٠ مترا، وغرق احد زملائه معها. وعلمت هذه الخبرة دوغ ان الهلاك ليس ببعيد ابدا حتى في ارض السلام هذه.

ووظيفة دوغ هي احصاء العجول البحرية في بقعة مساحتها مئة كيلومتر مربع، ثم تحليل قدراتها على التناسل والحياة والحركة. وليس هذا الموضوع اكاديميا.

موارد كثيرة — وقد يكون النفط موجودا على مسافة غير بعيدة من هاتون كليفس. وترتفع تقديرات احتياطي القارة منه الى نحو ٤٠ مليار برميل. على انه قبل ان تستخرج المؤسسات هذا النفط، لا بد من الاجابة عن اسئلة عدة حول تأثير استخراج النفط على المخلوقات الحية في المنطقة. وسيساهم فريق البحوث من جامعة مينيسوتا في تأمين الاجابات المطلوبة.

وما النفط سوى واحد من موارد كثيرة قد تكون دفينة تحت الجليد او في البحار المجاورة. وهناك مورد آخر من السمك القشري الشبيه بالقريدس، من ذوات الارجل المتعددة. وهو غني بالبروتيين وصالح للاستهلاك البشري وموجود بكثرة في هذه المياه. وقد اكتشف العلماء دلائل على احتمال وجود الغاز

الطبيعي مقابل طبقة روس المتجمدة. كذلك وجدت كميات من الكوارتز والحديد الخام في منطقة كوين مودلاند، بينما عثر المكتشفون في شبه جزيرة قارة القطب الجنوبي على معادن الكروميوم والنيكل والكوبالت والمنغنيز. وفي موقع اقرب الى ماكموردو توجد طبقات من الفحم والبوكسيت. ثم ان علماء من جامعة كانساس كانوا، خلال زيارتنا، يستخدمون الطوافات بحثا عن عروق من الاورانيوم. ومن الواضح ان قارة القطب الجنوبي يمكن ان توفر العون المطلوب لعالم في اشد الحاجة الى الموارد الطبيعية.

ومع هذا كله، فان احدا لم يحاول حتى الان ان يستثمر هذه الثروات. ومن اسباب ذلك الكلفة الباهظة لاستخراج الموارد من قاع العالم ونقلها. وهناك سبب آخر اكثر خطورة هو معاهدة (١٩٦١) في شأن قارة القطب الجنوبي، وقد صدقتها ١٩ دولة. وبموجب هذه المعاهدة، اتفقت الدول المعنية على تعليق خلافاتها حول مطاليبها من الارض. ولعل الروح التي تكمن وراء هذه المعاهدة وجدت التعبير الافضل عنها في الكتابة الموجودة على تمثال نصفي من البرونز، للادميرال رتيشارد اي. بيرد، مشرف على مضيق ماكموردو. وهي تنص على "ان قارة القطب الجنوبي، في ثوبها الرمزي الابيض، سوف تبرز كقارة للسلام، فيما تقدم الامم مثلا على التعاون الدولي".

ويعترف العلماء العاملون في قارة القطب الجنوبي بان مشاريعهم ليست كلها ذات اهداف تطبيقية مباشرة. ومع ذلك، فانهم يشعرون بان البحث الاساسي امر قيم ولا بد منه. ويكلف مشروع الولايات المتحدة ٤٨ مليون دولار في السنة، ونصفه تقريبا مخصص للعلوم. لكن العلماء يصرون على ان هذه النفقات تبدو ضئيلة اذا ما قيست الى المكاسب المتوقعة.

وبعد قضاء نحو اسبوع في القارة المتجمدة، لم اجد بدا من موافقتهم على ذلك. وأدركت كذلك سبب عودتهم عاما بعد عام الى هذه البيئة المعادية. وعبر دوغ ديماستر عن ذلك بقوله: "لقد ثبت ان فرصة العمل في قارة القطب الجنوبي خبرة لا تقدر بثمن. ولعل هذه السنوات هي افضل سني حياتنا".

■ تريفور آرمبريستر

ملكات العالم الواعي

دخل دب ضخم احد البارات وطلب كوبا من البيرة، فجاء احد السكارى واحتضن الدب وضمه اليه بقوة فما كان من الدب الا ان امسك به وقذفه الى الخارج على قارعة الطريق.

فغمغم السكران وهو يلملم اطرافه متعثرا:

"بعض النساء اذا ملكن معطفا من الفراء حسبن انهن ملكن العالم!

ج.د.

ذات الرئة لاتزال فتّاكة

على رغم العقاقير المضادة للجراثيم
ولقاح جديد يبشر بالخير، فان هذا المرض الغدّار
يشكل احد أسباب الوفاة الرئيسية

على رغم ازدياد زكامه سوءا، فان ديفيد تجاهله لانه لم يشأ التغيب عن عمله من جراء ما كان يبدو انه مرض خفيف، وبقي يعمل ١٤ ساعة يوما بعد يوم حتى عندما بلغت حرارته ٣٩،٥ درجة مئوية.

لكنه أخذ يشعر بألم في صدره ويتنفس بصعوبة، فبادر الى استدعاء طبيبه. وبدا ان الوقت فاته، لان الالتهاب الذي نشأ أثر الزكام انتشر في رئتيه انتشارا واسعا بحيث لم يعد من مجال لانقاذ حياته سوى العناية الفائقة في المستشفى.

لقد كان ديفيد محظوظا. ففي حين يظن كثيرون منا أنه تم التغلب على مرض ذات الرئة منذ أمد طويل، الا انه لا يزال في الحقيقة مرضا غداراً يفتك بمن يصيب. وتجدر الاشارة الى ان هذا المرض "انتهازي"، يصيب تكرارا وبعنف اولئك الذين أوهنت أجسامهم متاعب أخرى.

فان كنت تحت وطأة الانفلونزا او السكري او فقر الدم الناجم عن الخلايا المنجلية او الخلل الاحتقاني في القلب، فانك تكون هدفا اوليا لهجوم ذات الرئة. وان كنت تعاني متاعب في جهاز التنفس كالربو او انتفاخ الرئتين او التهاب الشعب الهوائية، فانك تواجه خطرا قويا من الاصابة بذات الرئة. وكذلك يهيىء التدخين احيانا مجال الاصابة بذات الرئة وعلى الاخص بالنسبة الى المرضى الذين يعانون متاعب في جهاز التنفس كالتهاب الشعب الهوائية وانتفاخ الرئتين.

ان ذات الرئة علة تقتصر في العادة على الصغار جدا ومن تجاوزوا الخمسين من عمرهم. كما أن قسوة

فصل الشتاء ترفع نسبة الاصابة. وتهاجم هذه العلة بشدة اولئك الذين اعترى نظام مناعة اجسامهم ضعف، وهو النظام الذي يدافع عن الجسم ضد الامراض. ومن بين اولئك مرضى السرطان والذين أجريت لهم عمليات زرع اعضاء او الذين يعانون امراضا يشن فيها نظام مناعة الجسم حربا ضد انسجة الجسم ذاته، ويبقون على قيد الحياة عن طريق تعاطي عقاقير كابتة للمناعة. وبما ان الاجسام الحية القادرة على انتاج مرض ذات الرئة موجودة في كل مكان، فان التقديرات تشير الى أن ما بين ٣٠ و٧٠ في المئة من الناس يحملون في اي وقت من الاوقات نوعا من الجراثيم القادرة على انتاج هذا المرض. ويكون المريض الذي يتعاطى عقاقير كابتة للمناعة في خطر مطرد من الاصابة بذات الرئة.

هجوم ودفاع — ان المراحل التي يمر فيها مرض ذات الرئة لا تتغير سواء أكان سببه الجراثيم او الفيروس او الفطر. وعندما يكون المرء في حالة وهن جسدي، يتولى أحد الاجسام الحية المسببة للالتهاب الرئوي غزو الرئتين. وبعد ان تكون قد ترسخت وأخذت في التكاثر، تتدفق سوائل من الشعيرات الدموية الى اكياس الهواء التي تتكون منها الرئتان. ومن ثم تبدأ وسائل الدفاع في الجسم، اي نظام مناعته، بشن هجوم مضاد. وتتوجه كريات الدم البيضاء، وهي في عداد اسلحة نظام المناعة، الى الرئتين لمكافحة المعتدي الدخيل.

وبسبب امتلاء أكياس الهواء في الرئتين بالعنصر الدخيل والكريات البيضاء والسوائل لا يبقى فيها متسع كاف لاستيعاب الاوكسيجين. ويبدأ المصاب بسعال يكاد لا ينقطع سعيا منه الى اخراج البلغم الذي يسد الرئتين، ويشهق لادخال الهواء من اجل توفير مزيد من الاوكسيجين للجسم.

والالتهاب الرئوي الجرثومي هو من بين انواع ذات الرئة الرئيسية، وهو مسؤول عن أعلى نسبة وفيات بين المصابين بهذا الداء، اذ ان الالتهاب الرئوي الناجم عن الفيروس او الفطر يكون عادة اخف وطأة. وفي امكان المصاب الذي لا يعاني اي مرض آخر ان ينجح، وغالبا ما يستطيع ان ينجح، في مقاومة هذين النوعين من الالتهاب الرئوي من دون مساعدة طبيب. الا ان الالتهاب الرئوي الجرثومي يمكن ان ينتشر ويصل الى الغشاء الخارجي الذي يحيط الرئتين والى التجويف الصدري وحدود القلب. وفي امكانه ان يدمر - كما يفعل حقا - الانسجة الرئوية، حتى انه في حالات المعالجة المبكرة الصحيحة يقضي الالتهاب الرئوي الجرثومي - وهو اكثر انواع الالتهابات الرئوية شيوعا - على ٥ في المئة ممن يصابون به. واذا انتشر في الدم كما يحدث عادة في ربع الحالات، فان نسبة الوفيات ترتفع ارتفاعا حادا الى ٢٠ في المئة حتى مع استعمال العقاقير المضادة للجراثيم بمقادير كبيرة.

وبما انه يلزم بعض الوقت لاجراء تجارب مخبرية بقصد التأكد تماما من نوع مسبب ذات الرئة - هل هو جرثومة او فيروس او فطر - فان كثيرين من الاطباء يختارون استعمال مضادات الجراثيم على أساس

عشوائي على رغم كونها غير فعالة ضد الفيروس.

المضادات والاخطار - وفي حال ترك الالتهاب الرئوي الجرثومي من دون علاج، وان لفترة قصيرة تراوح بين ثلاثة ايام وخمسة ايام، فان المرض يكتسب في هذه الفترة زخما كافيا للقضاء على المصاب على رغم المعالجة في آخر لحظة باستعمال مضادات الجراثيم. وظنا منهم بأن حقنة واحدة سريعة من البينسلين ستنقذهم في أي وقت، فأن بعض مرضى ذات الرئة يؤجلون زيارتهم للطبيب حتى الدقيقة الاخيرة، غير عالمين انهم بذلك يجازفون بحياتهم.

ومضادات الجراثيم عقاقير لا تخلو فعلا من الاخطار، وقد يعطي بعض الاطباء مرضاهم الذين يعانون اصابة شديدة بذات الرئة البنسلين من دون ادخالهم المستشفى، قناعة منهم بأنه عقار شامل الفعالية. بينما يعطي اطباء آخرون مضادات الجراثيم في حالات امراض الجهاز التنفسي من غير مبرر لاستعمالها. وهذا قد يؤدي الى موقف سلبي من هذا العقار، يمنع استعماله في وقت لاحق عندما يكون ضروريا. واستعمال مضادات الجراثيم بلا تمييز على هذا النمط قد يزيد من قابلية المرء للاصابة بذات الرئة، لان العقاقير تقضي على الجراثيم التي تعيش بلا ضرر في المداخل العليا المؤدية الى جهاز التنفس. فالجسم نظام حيوي بيئي دقيق التوازن. وتلك المناطق في الفم والحنجرة حيث كانت تعيش الجراثيم التي قضي عليها، لن تبقى خالية. ستنتقل اليها جراثيم جديدة قد تكون من النوع الصامد طبيعيا لمضادات الجراثيم، ويمكنها ان تسبب لاحقا اصابة شديدة بذات الرئة تصعب معالجتها.

ويظن بعض الخبراء ان الحماسة المفرطة في استعمال مضادات الجراثيم قد تسبب خطرا آخر عن طريق تمكينها بعض انواع جراثيم ذات الرئة التي كانت تتأثر بمضادات الجراثيم من اكتساب حصانة ضد هذه العقاقير.

وبما ان مضادات الجراثيم لم تثبت فعاليتها التامة غير المنقوصة ضد مرض ذات الرئة الجرثومي، وبما ان كثيرا من الامراض المختلفة والمعالجة الطبية يمكن ان ترفع خطر الاصابة بذات الرئة، فقد سارع العلماء الى البحث عن لقاح جرثومي ضد هذا المرض في الولايات المتحدة الامريكية. وأدى هذا الجهد أخيرا الى لقاح يعمل ضد الجرثومة المؤدية الى ثلاثة ارباع الحالات في مرض ذات الرئة الجرثومي. وثبت في التجارب التي أجريت على ٢٧ ألف متطوع ان اللقاح فعّال بنسبة ٨٠ في المئة لمنع الاصابة بذات الرئة.

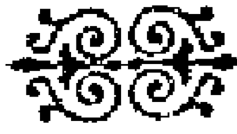
ويتوقع الباحثون ان يسلب هذا اللقاح جل ما ينطوي عليه الالتهاب الرئوي الجرثومي من قوة، خصوصا بعدما أضحى الان في متناول المرضى ذوي الاصابات القوية.

البحوث مستمرة - على اي حال، فان العلماء يشعرون بأن البحوث حول ذات الرئة يجب ان تستمر ويتسع نطاقها. فهم يريدون ان يعرفوا لماذا تسبب الجراثيم الرئوية الموجودة في كل مكان التهابا لاشخاص يبدو انهم في حال صحية جيدة، ولا تسبب

التهابا مماثلا لاشخاص آخرين٠
وأخيرا - وربما كان هذا أهم ما في الامر - يسعى خبراء الالتهابات الرئوية جاهدين الى اكتشاف سر القوة الفتاكة في ذات الرئة٠ فهم يعرفون كيف يبدأ المرض وكيف ينتشر، لكنهم يجهلون لماذا تعسر معالجته أحيانا في حالات مبكرة من الاصابة٠

وعلى رغم التقصير في انواع المعالجة الراهنة لمرض ذات الرئة، فان الاطباء يشددون على ان العناية الفورية يمكن ان تقطع مدى بعيدا نحو السيطرة على العلة٠ فان كنت تعاني مشكلات صحية أخرى كأمراض القلب او التهاب الشعب الهوائية، فعليك استشارة الطبيب لدى شعورك ببوادر برد أو زكام٠ وان كنت تتمتع بصحة جيدة ولكن كان معك زكام او انفلونزا، فاعتن بنفسك على خير وجه٠ وان كنت تظن ان مرض ذات الرئة برز معك على رغم ما تبذله من جهود، فعليك بطلب العون٠ ويقول احد الخبراء: "عندما تبرز لديك أعراض صدرية ملحوظة مثل ألم او سعال عميق، فلا تهمل ذلك، بل راجع طبيبك فورا"٠

■ جون فريد



تأمين التأمين

في يناير (كانون الثاني) ١٩٠٥، بينما كان مدير منجم الماس الرئيسي في جنوب افريقيا يتنزه بين الحفر خلال فترة الغداء، رأى بريقا ظنه للوهلة الاولى قنينة مكسورة٠ وحين حاول انتزاعه بعصاه من بين الحجار التي طمر فيها، وجد انه ماسة في حجم ليمونة٠

وعرفت هذه الماسة الباهرة في ما بعد باسم "كالينان"٠ وهي اكبر ماسة اكتشفت حتى اليوم، اذ تزن ٧٣٠ غراما وتبلغ أبعادها ١٠×٣،٦×٥ سنتيمترات، وتتخذ شكل حجر ناصع البياض٠

وقد اشترت حكومة ترانسفال ماسة "كالينان" وأهدتها الى ملك بريطانيا ادوارد الثامن٠ وهنا ثارت مشكلة: من يتكفل بنقل هذه الجوهرة الى انكلترا في أمان؟

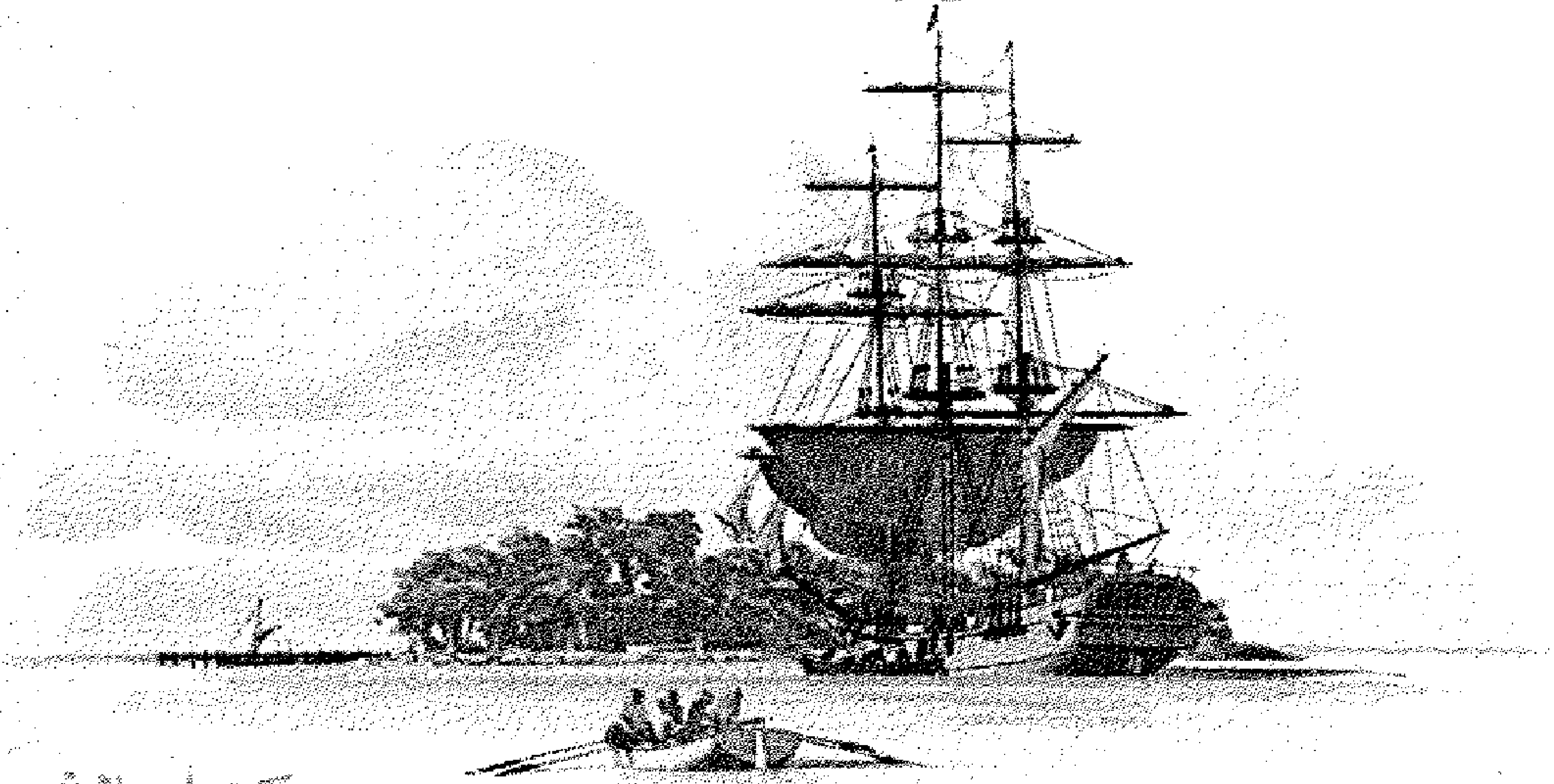
وبعد جدل طويل ودعايات صحافية كثيرة، غادر اربعة رجال مدججين بالسلاح المنجم الرئيسي، يحملون معهم حقيبة بريد جلدية٠ وبعدما قطعوا مسافة ٤٨ كيلومترا من المروج المكشوفة للوصول الى بريتوريا وهم تحت حراسة مشددة، استقلوا عربة خاصة ملحقة بقطار البريد المسافر الى مدينة الكاب٠

وفي الباخرة التي اقلتهم الى انكلترا، اعدت خزانة خاصة وضعت فيها حقيبة البريد هذه حيث يرابط اثنان من الرجال الاربعة نهارا وليلا الى جانبها٠ وفي ميناء ساوثامبتون كان في انتظارهم قطار اقلهم الى لندن٠ وكانت تحف به حراسة مشددة من الشرطة حتى اوصلت الحقيبة الى المصرف الذي اوكلت اليه مهمة تسلم الماسة٠

وحين فتح الطرد في حضور مجموعة من كبار الموظفين، لم يكن يحوي ما هو اثمن من كتلة فحم! اما الماسة فقد غلفت بقطن طبي وبعض القماش، ووضعت في صندوق من الورق المقوى وارسلت الى انكلترا عبر بريد الطرود من دون ان يشعر احد، حتى مدير البريد، بانها ضمن البريد العادي٠

أ٠ باول في كتاب "هناك تكمن المغامرة"

الجذور



كتاب الشهر

ملخّص من كتاب بقلم اليكس هيلي

هذه قصة الامريكيين السود.

ان قصة كونتا كينتي، السلف الافريقي لاليكس هيلي، لا تقتصر على وصف الالام المبرحة التي قاساها رجل فرد فحسب، وانما هي تعبر باجلى المعاني عن جوهر الكفاح الملحمي الذي قام به الامريكيون السود.

وفي هذا الجزء الاول من القصة، يصور هيلي طفولة كونتا وصباه، ثم وقوعه اسيرا في ايدي تجار الرقيق خلال عام ١٧٦٧ والمحنة التي كابدها عبر الاطلسي على متن احدى سفن العبيد المسترقين.

اما الجزء الثاني الذي سننشره في عددنا المقبل، فانه ينتقل بنا مع كونتا الى عالم العبودية والقسوة في امريكا.

الجذور

في بواكير الربيع من عام ١٧٥٠ رزق عمر كينتي وزوجته بينتا كيبه طفلا ذكرا، في قرية جوفوري التي تقع علىمسيرة أربعة ايام صعودا في النهر من ساحل غامبيا في افريقيا الغربية. وما ان انسلخ هذا الطفل عن امه الفتية المتينة البنية والسوداء البشرة وتغشى حبيبات دمها جسمه الزلق، حتى تعالى منه الصراخ، بينما ارتسمت ابتسامات الابتهاج على ثغري القابلتين العجوزين المتجعدتي البشرة نيوبوتو وجدة الطفل لابيه يايبسا، ودوت قهقهات ضحكتهما المتقطعة حين تبين لهما انه طفل ذكر.

ويعتبر الطفل البكر اذا جاء ذكرا - حسب اعتقاد الاسلاف الذين اعتنقوا الاسلام منذ مئات المواسم السنوية الماطرة - فألا طيبا بنعمته تعالى.

وتمت الولادة ساعة واحدة قبل صياح الديك، وكانت خيوط الدخان الازرق تتصاعد في شكل لولبي من نيران الطهي وتنتشر معها رائحة الاطعمة النفاذة المستحبة عبر القرية الصغيرة المتربة المؤلفة من اكواخ الطين المستديرة. وتوافد الرجال بخطى سريعة الى المسجد لاداء اولى الصلوات الاسلامية الخمس خلف امام القرية الذي كان صوته يصدح بالآذان: "الله اكبر الله اكبر، اشهد ان لا اله الا الله". وبعد الصلاة، راح عمر يتنقل بينهم متحمسا، مشرق الاسارير، ويحيطهم علما بمولد ابنه البكر. وتمشيا مع العادات القديمة، قضى عمر الايام السبعة التالية مشغولا باختيار اسم لابنه له منزلته المرموقة في مجال التاريخ ومليء بالبشائر والوعود، وذلك لاعتقاد قبيلة عمر الماندينكا ان الطفل يتحلى عادة بسبع من خصال الشخص الذي يتيمن باسمه.

وفي عشية اليوم الثامن، تجمع اهل القرية امام كوخ عمر وامسكت بينتا ببكرها في اعتزاز، بينما كان مقربون يقطعون خصلا من شعره الاول، كما درجت العادة، وراح النسوة يتبارين في ابداء اعجابهن بحسن تكوين الرضيع، فيما طبال القرية يغرق في قرع طبوله الصغيرة.

وتلا الامام بعض الصلوات وبارك بها قرعات الكسكسي وكعكات المونكو المصنوعة من الارز المطحون

وعسل النحل الذي جاء هدية من أهل القرية. ثم تلا صلاة يبارك بها الطفل ويدعو الله ان يهبه طول الحياة وقوة الجسد والروح كي يشرف الاسم الذي يحمله.

ثم خطا عمر الى جانب زوجته، وانحنى فوق الرضيع على مرأى من الجميع ووشوش ابنه الاسم الذي اختاره له. فقد كانت قبيلة عمر تؤمن بأن الكائن البشري ينبغي ان يكون هو اول من يسمع اسمه.

ودوت الطبول ثانية، وعاد عمر يهمس بالاسم في اذن زوجته بينتا، فابتسمت هي في اعتزاز. ثم همس بالاسم في اذن معلم مدرسة القرية الذي رفع صوته معلنا: "ان الابن البكر لعمر كينتي وبينتا كيبه قد سمي كونتا!"

وقد اعطي كونتا اسم جده لابيه، القريب الى ربه كيرابا كونتا كينتي الذي كان هاجر من موطنه في موريتانيا الى غامبيا حيث ادت مثابرته على الصلاة طوال خمسة ايام الى انقاذ اهل قرية جوفوري من المجاعة. وقد تزوج كونتا كونتي بعد ذلك في القرية من يابيسا، وظل يخدم جوفوري بصدق وامانة كامام لها حتى وفاته. وكان هذا السلف الكريم موضع اعجاب الجميع واحترامهم.

وفي تلك الليلة اتم عمر طقوس تسمية ابنه في الهواء الطلق في ضوء القمر والنجوم، فوقف الى جوار المسجد الصغير المبني بالطين والمسقوف بالقش، ورفع طفله الرضيع نحو السماء وقال يخاطبه: "انظر الى الشيء الوحيد الاعظم منك".

وكانت بينتا تطري جلد رضيعها كل مساء في كوخها بدهنه من قمة رأسه حتى اخمص قدميه الصغيرتين بزبدة شجيرة الشيح، ثم تحمله بفخر عبر القرية الى كوخ الجدة يابيسا، حيث كانت الاثنتان تشبعان الطفل قرصا وضغطا على انفه الدقيق واذنيه وشفتيه ورأسه الصغير فتكرهانه على التذمر والبكاء.

وكثيرا ما كان عمر يبعد ابنه عن الامرأتين ويحمله الى كوخه الخاص - لان الازواج كانوا يقيمون دائما منفصلين عن زوجاتهم - حيث كان يترك لعيني الصبي واصابعه استكشاف حقيبة الصيد المكسوة بالاصداف والحربة الداكنة الرشيقة التي انصقلت عصاها من كثرة الاستعمال. وكان عمر يتحدث الى كونتا عن اعمال الشجاعة التي سيأتيها حين يكبر.

وعندما بلغ كونتا شهره الثالث عشر، حاول اولى خطواته المتعثرة، ولم يمض وقت طويل حتى اصبح يدرج بخطواته من دون مساعدة.

وانقضت ثلاثة مواسم ماطرة، فبدأ كونتا الصغير يمضي ايامه لاعبا لاهيا تحت انظار الجدات العجوزات اللائي يرعين ما كان يسمى الفوج الاول (الكافو) الذي يضم جميع الاطفال ممن يقل عمرهم عن خمسة مواسم ماطرة (خمس سنوات). وكان الصبيان والبنات يقفزون عراة في ساحة القرية كصغار الحيوانات، وهم يضحكون، ويصيحون ويلعبون ويشتتون شمل الكلاب والدجاج ويتعقبونها وراء اشجار الخيزران العالية التي تسور القرية.

ولكن سرعان ما كان الاطفال يتراكضون للجلوس في صمت وسكون عندما تعدهم احدى الجدات بحكاية، ولا سيما الجدة المحبوبة نيوبوتو ذات الرأس الاصلع والتجاعيد العميقة والسواد الفحمي الذي يشبه قعر وعاء الطهي القديم، والاسنان القليلة الباقية البرتقالية اللون لكثرة ما مضغت من حبات الكولا. وكانت نيوبوتو تتأهب لمهمتها بزمجرة خافتة ثم تستوي فوق مقعدها المنخفض وتبدأ حكاياتها دائما بالمقدمة التي درج عليها جميع قصاصي الماندينكا: "كان يا ما كان، في ذلك الزمان، في تلك القرية حيث كان يعيش فلان...".

وتحدثت العجوز عن تلك الفترة الشاقة التي تتذكرها، عندما شح المطر. وعلى رغم الصلوات والابتهالات، وقيام النساء برقصة المطر المتوارثة عن الاسلاف، وتقديم القرابين بذبح عنزتين وعجل كل يوم، فان المطر لم يهطل وساد الجفاف، ونضبت حفر المياه الضحلة في الغابة وساق الظمأ الحيوانات المفترسة الى بئر القرية وتزايد عدد المرضى وعبث الموت بكبار السن والضعفاء.

وقالت نيوبوتو: "في ذلك الوقت العصيب هدى الله سبحانه وتعالى خطى المغفور له كيرابا كونتا كينتي الى القرية فراعته محنة اهلها فركع وصلى متوسلا الى الله ان يرد عنهم ذلك البلاء. وواصل الرجل الصلاة طوال الايام الخمسة التالية، بلا نوم تقريبا ومن دون غذاء سوى جرعات قليلة من الماء. وفي مساء اليوم الخامس هطل المطر كالطوفان فانقذ جوفوري".

وعندما انتهت نيوبوتو من حكايتها، راح الاطفال ينظرون باحترام جديد الى رفيقهم كونتا الذي يحمل ذلك الاسم الشريف.

الذ من لحم الماعز!

وتعاقبت الفصول، فحل اولا فصل الزرع، وسارعت بينتا وسائر الزوجات الى القوارب الطويلة المنحوتة في جذوع الاشجار والراقدة على ضفاف نهر القرية الصغير، وهو أحد الفروع المتعددة التي تشق طريقها المتعرج في الداخل الى ان تصب في نهر غامبيا، ومضين بها يجدفن حتى بلغن الحقول حيث تزرع نساء جوفوري ارزهن منذ اجيال. وكدس الرجال في الحقول الاخرى كوما عالية من الاعشاب الجافة واشعلوا فيها النار لتغذية التربة. وحين تساقطت الامطار الخفيفة الاولى بدأ الرجال يبذرون الفول السوداني وغيره، ثم جاءت الامطار الغزيرة وبعدها الحصاد الذي تلاه فصل الجفاف القائظ.

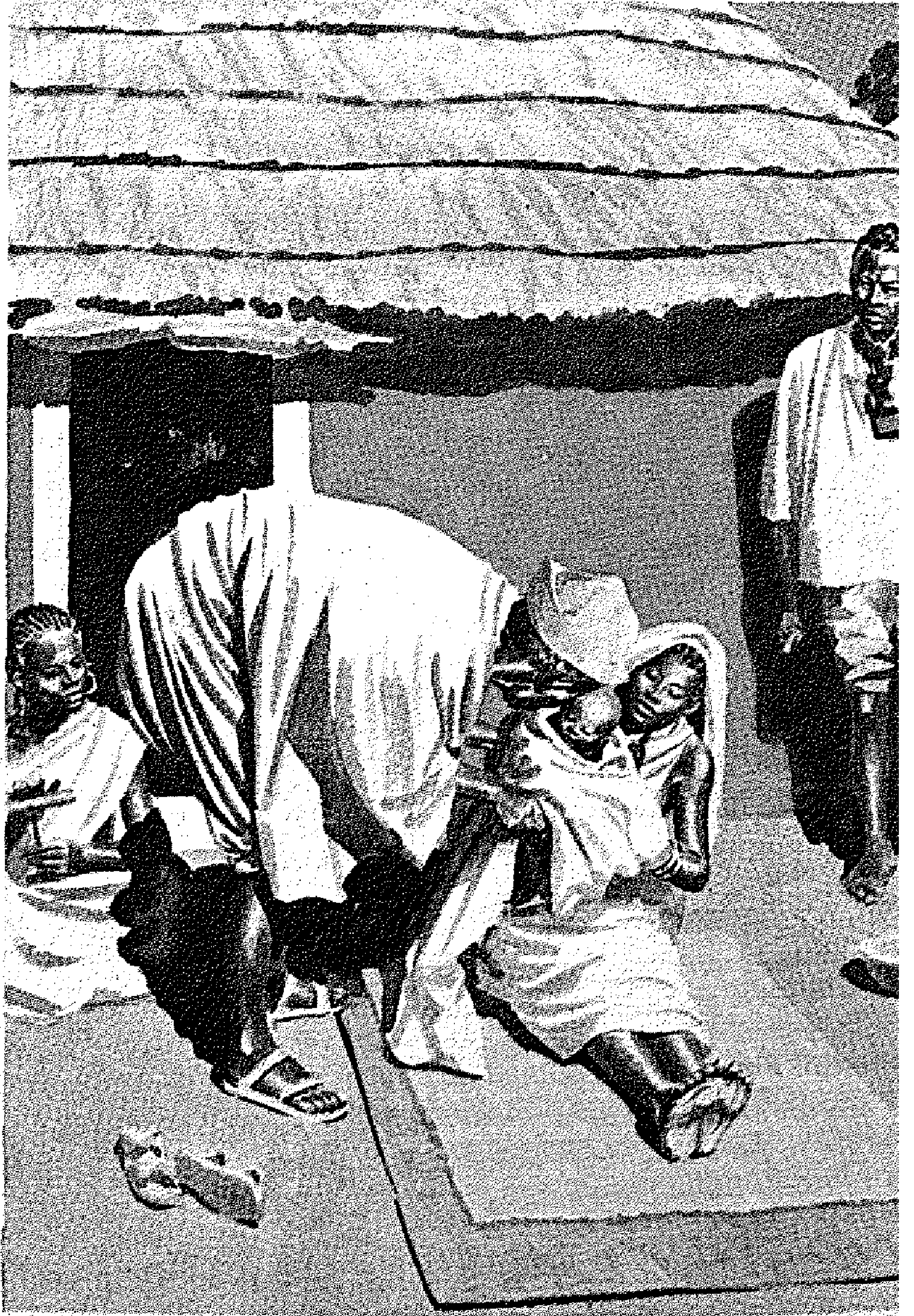
وبدأ كونتا ورفاق فوجه (الكافو) يشعرون بان اعمارهم تزيد على عدد المواسم الماطرة التي اصبحت تراوح بين الخمس والتسع سنوات، ويحسدون الاولاد الاكبر سنا من ابناء الفوج الثالث على رعي الماعز الذي يوكل اليهم، وعلى الاثواب القطنية الطويلة (الدونديكوس) التي يرتدونها، وبدأوا يأنفون البقاء عراة بعد بلوغهم هذه السن واصبحوا يتجنبون الاطفال الرضع والصغار من امثال لامين شقيق كونتا الجديد، كما يتجنب المرء الوباء، وبدأوا يستطيبون البقاء قرب الكبار املا في ان يكلفوهم بعض المهمات.

وفي صباح اليوم الثاني من ايام الحصاد، بينما كان كونتا خارجا من كوخ امه، قالت له، بينتا في خشونة مصطنعة تشي بالود: "لماذا لا ترتدي ثيابك؟" فاستدار كونتا ورأى فجأة ثوب "دونديكو" جديدا يتدلى من ملـقط غسيـل، فحـاول ان يخـفـي اضطرابه وارتداه على الفور وخرج مختالا من الباب. وكان في الساحة عدد من رفاقه وقد ارتدوا الدونديكو مثله للمرة الاولى في حياتهم وهم يتواثبون ويصيحون ويضحكون في جذل لتمكنهم في النهاية من ستر اجسادهم العاريـة، وارتقـوا بذلـك رسميا الى فئة "الكافو" الثانية، في طريقهم الى بلوغ الرجولة.

وفي اليوم التالي، عندما اعطى عمر كونتا مقلاعا جديدا اوشكت انفاس الصبي ان تتقطع انفعالا، ووقف رافعا بصره الى ابيه في اكبار وهو لا يجد ما يقوله، فتكلم عمـر وقـال لـه: "بما انك قد اصبحت الآن مـن فئـة الكافـو الثانية فان ذلك معناه ان تذهب الى المدرسة وترعى الماعز. وعليك ان تذهـب اليـوم مـع توماني توري".

انطلق كونتا كالسهم وانضم الى رفاق فئته الذيـن تجمعـوا قـرب حظائر الماعز حيث كان الاولاد الاكبـر سـنا يفتحـون البوابـات للخروج الى الرعي في ذلك اليوم. ولم تلبث الماعـز ان سـرحـت بمعاونة كلاب "الوولو" وتمـادى رتلـهـا علـى الطـريـق المغبـاري، وتعالى ثغاؤها، بينما الصبية من رفاق كونتا يهرولون وراءها ووراء رعاتها في حيرة.

واخذ توماني توري يعامـل كونتـا وكأنـه



حشـــرة صغيـــرة . فسأله: "هل تعرف قيمة الماعز؟" وقبل ان يعترف كونتا بانه ليس واثقا تماما من ذلك، قال توري: "حسنا، انك اذا فقدت معزاة منها فسوف يوضح لك ابوك الامر". ثم انطلق توماني توري في الحديث عن رعي الماعز، فقال: "اذا ما شردت عنزة في الغابة، فهناك الاسود والفهود تشب من مكانها وسط الاعشاب وتنقض عليها بوثبة واحدة فتمزقها، واذا حدث وكان هناك صبي على مقربة منها، فان لحمه الذ من لحم الماعز!"

وفي الصبـاح التالـي بـدأ كونتـا ورفاقه دروسهم الدينية. وقال لهم المعلم بريمـا سيسـاي: "انكـم لـم تعودوا اطفالا، فقد دخلتم الفئة الثانيـة، ومعنـى هـذا ان عليكـم مسؤوليات معينة". وبدأ منذ مساء ذلك اليوم، يتلو عليهم آيات من القرآن الكريم ليحفظوها. ولم يبق بعد الان لدى كونتا متسع من الوقت للعب فعليه ان يرعى الماعز طوال اليوم وان يتلقى دروسه بعد الفطور والعصر وان يتمرن على استخدام المقلاع في ما تيسر له من وقت قبل حلول الظلام. ثم ان حلول مهرجان الحصاد بعد اقل من شهر، وهو يستمر سبعة ايام، فرض على كونتا ان يرعى شقيقه لامين الصغير الشقي الكثير الحركة امسيات عدة كانت امه خلالها تغزل القطن لينسجه الرجال بعد ذلك ثيابا جديدة للاسرة.

وفي فجر اليوم التالي لظهور القمر الجديـد دوت "التوبـالـو" (طبلـة الاحتفالات الضخمة) وبدأ مهرجان الحصاد صباحا بالرقص. واتسعت عينا كونتا وهو يرى اباه ينضم الى حلقة من الاجساد التي تدور وتثب وقد ارتدى بعضها ملابس واقنعة مخيفة بينما ظلت وجـوه اخـرى سافـرة. وكانت ركبتا عمر تدوران في الهواء وقدماه تثيران سحابات من الغبار. وانطلقت من عمر صيحات ثاقبة وهو يميل الى الخلف وعضلاته ترتعش، ثم اندفع الى الامام وهو يدق صدره بقبضتيه وراح يثب ويتلوى في الهواء ثم يهبط الى الارض فتتصاعد من رئتيه انفاس ثقيلة.

لقد سبق لكونتا ان شهد مهرجانات اخرى في مواسم الحصاد والبذار والصيد والاعراس واحتفالات الولادة والوفاة، لكنه لم يلمس الرقص شغاف نفسه ابدا مثل هذه المرة. فقد بدا وكأن دقات "التان - تانغ" (الطبول الصغيرة) تنبض في اطرافه وفيما يشبه الحلم، احـس بكامـل جسمـه يرتعش وبذراعيه تضربان الهواء، ولم يلبث ان قفز صائحا مع الاخرين. وبقي الجميـع، الصغـار والعجائـز، يرقصون... ويرقصون طوال اليوم.

واستمر المهرجان سبعة ايام اخرى تخللتها المواكب والمآدب والاسواق الشعبية ومباريات المصارعة ورواية القصص والحكايات على لسان الرواة (الجريوت) المتجولين وهم ينشدون قصائد لا نهايـة لـهـا عـن الملـوك القدامى والعشائر والمعارك الكبرى واساطير الماضي. وكان كل يوم يأتي بعـدد مـن الموسيقييـن المتجوليـن وامهر العازفين على "الكورا" ذات الاربعة والعشريـن وتـرا وعلـى "البـالافـون" العذبـة النـغمـات والمصنوعة من القرع المجفف والتي

يدق عليها بعصا دقيقة ومكورة الاطراف٠
وفي اليوم الاخير من المهرجان، ايقظت اصداء الصياح كونتا فانتشل ثوبه الدونديكو والقاه على جسده واندفع خارجا حيث رأى مجموعة من الرجال واقفين امام الاكواخ وهم يضعون اقنعة رهيبة على وجوههم ويغطون رؤوسهم بقبعات طويلة واجسادهم بالبسة من اوراق الشجر ولحائها٠ وارتعب كونتا عندما رأى ان كلا من هؤلاء الرجال يدخل كوخا ويخرج منه وهو يجر صبيا مرتجفا من فئة الكافو الثالثة وقد غطي رأسه بعمامة كثيفة من القطن الابيض٠ وعندما تجمع كل الفتيان الاكبر سنا، شق الرجال طريقهم وهم يدفعون الصبيان معهم الى خارج بوابة القرية٠

كان كونتا يعلم ان الرجال يجمعون الفتيان الاكبر سنا مرة كل خمس سنوات ويأخذونهم الى خارج جوفوري ليتلقوا تدريب الرجولة، الا انه لم يكن يعرف ان الامر يتم على هذه الصورة٠ وقضى كونتا الايام التالية هو وسائر ابناء فئته لا يستطيعون التفكير الا في الاشياء المخيفة التي تناهت الى علمهم عن هذا التدريب٠ فقد بلغهم ان القمر سيصير بدرا مرارا كثيرة ويتوارى مرارا كثيرة ايضا قبل عودة الفتيان٠ وقيل لهم كذلك ان الفتيان يتعرضون للضرب كل يوم وانهم يرسلون منفردين في حلك الليل الى اعماق الغابة الكثيفة غير ان اسوأ ما تناهى الى علم كونتا، وجعله فريسة للقلق كلما اضطر الى التبول، هو ان تدريب الرجولة يتضمن قطع جزء من الفوتو (عضوه التناسلي)٠

الـ"توبوب" المجهول

ومر موسمان ماطران وحبلت بينتا مرة اخرى واحتد مزاجها، فكان كونتا يحمد الله كل صباح عندما يتيح له رعي الماعز وغيره من المهمات ان يهرب من الكوخ ساعات قليلة٠ وكان يأسف لصغر سن لامين وعدم تمكنه من مغادرة المنزل وحده٠ ولم يكن منه الا ان سأل بينتا ذات يوم عما اذا كانت تأذن له باصطحاب لامين في احدى المهمات٠

وبعد ذلك درج كونتا على اصطحاب اخيه كل يوم تقريبا، وراح يعلمه المصارعة والصفير من خلال اصابعه ويريه اوراق النبات التي تصنع منها امهما الشاي، ويوصيه بالامتناع دائما عن الامساك بالخنافس الكبيرة اللامعة التي كانا يريانها تزحف في الكوخ ووضعها على الارض بدقة٠ وان يتجنب إيذاءها لان ذلك مجلبة للحظ السيء مثل الشوكة في رجل الديك٠

وكان لامين يسير الى جانب كونتا ولا يكف عن امطاره بسيل لا ينقطع من الاسئلة:

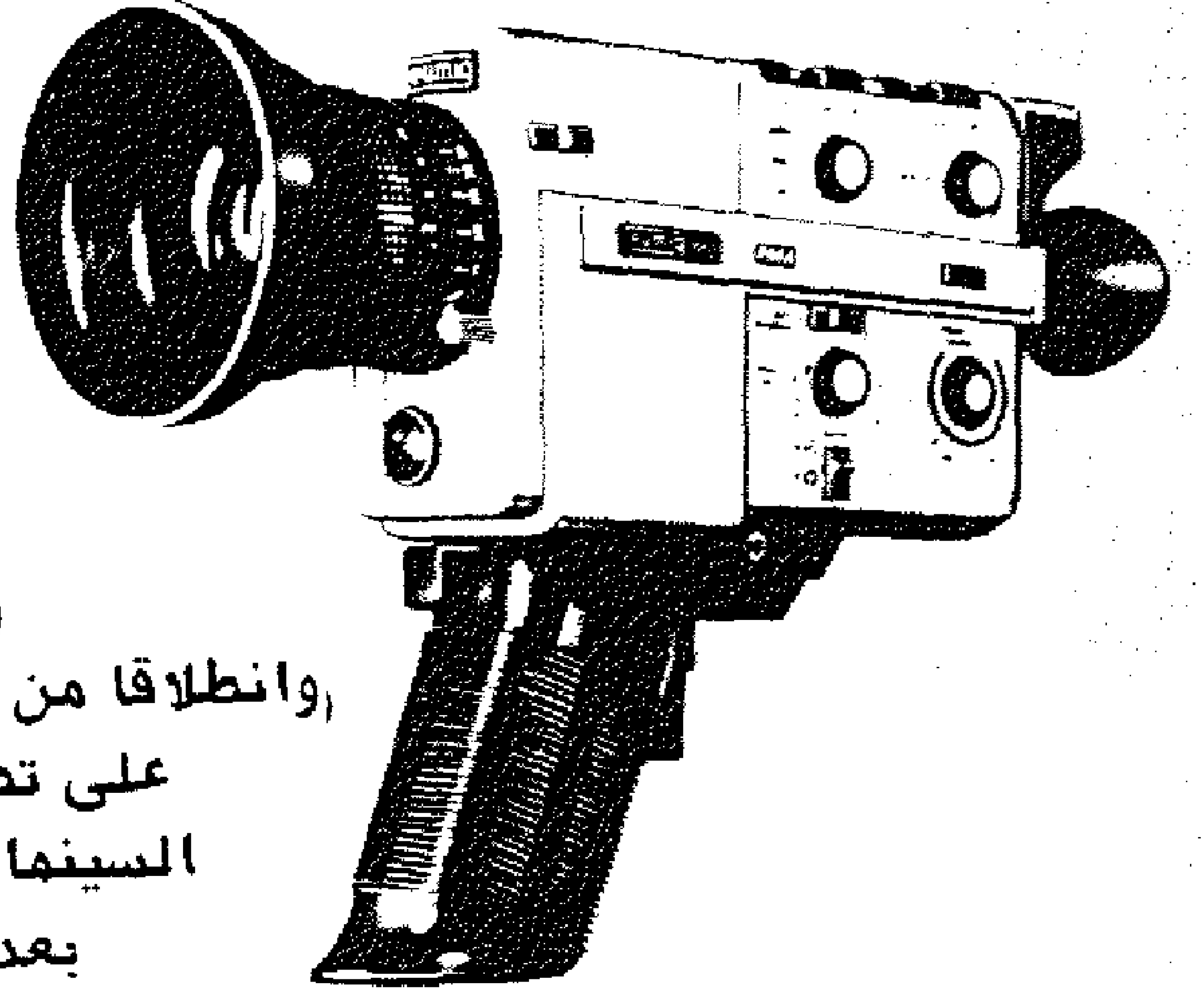
- لماذا يمتنع الناس عن ايذاء البوم؟

"لان ارواح جميع اسلافنا الموتى تسكن اجساد البوم"٠

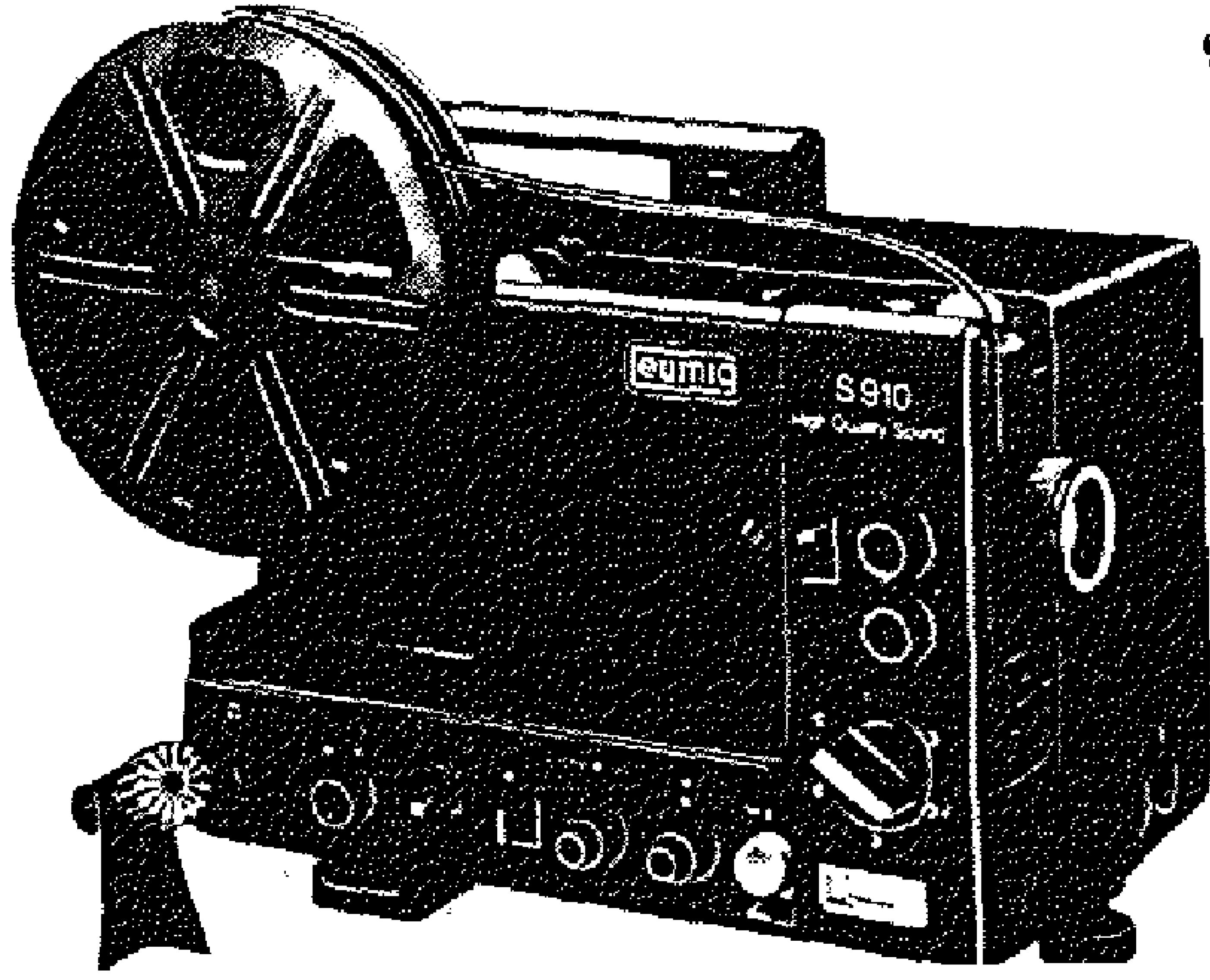
وكان لامين يسأل من وقت الى آخر، عن امر لا يعرف عنه كونتا شيئا على الاطلاق: "هل الشمس مشتعلة"؟ او "لماذا لا ينام والدنا معنا؟"

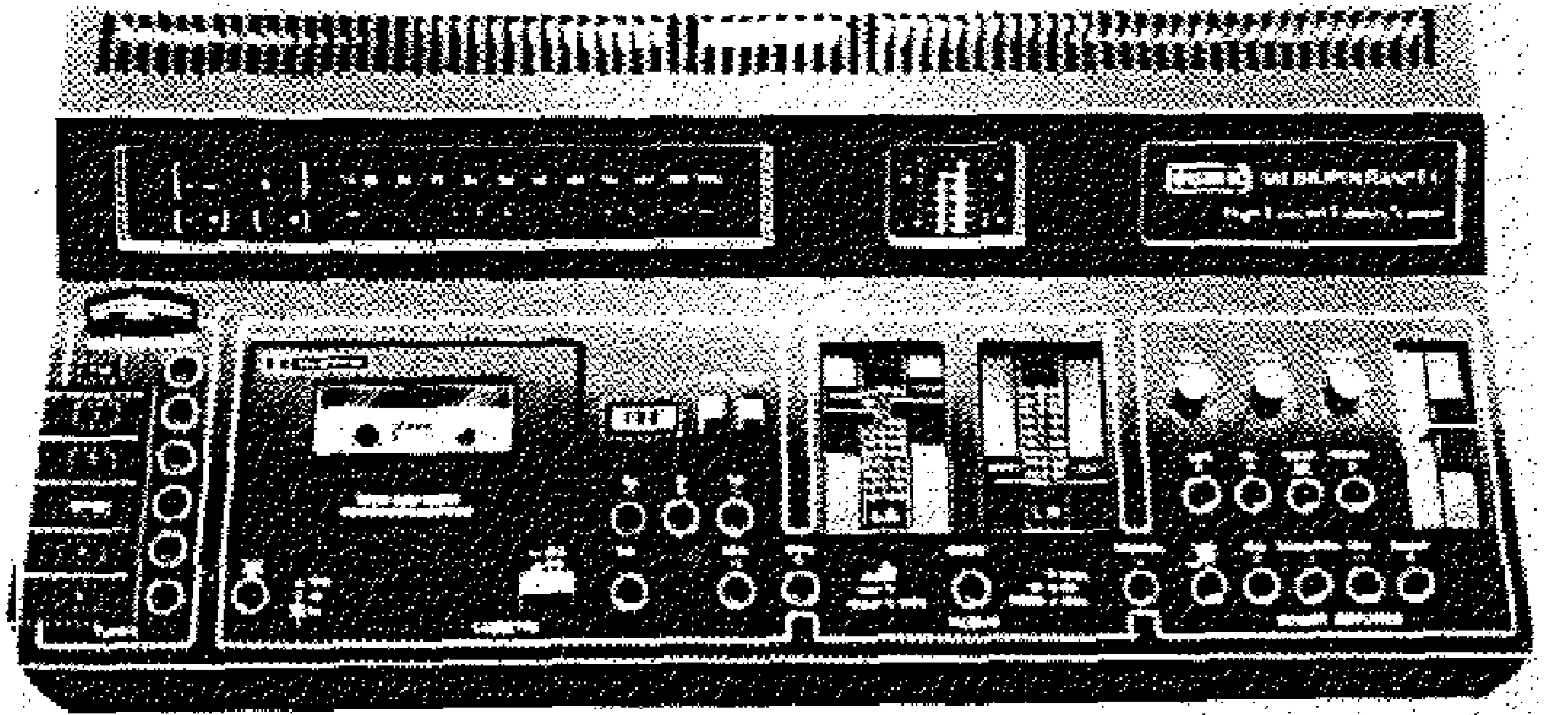
في مثل هذه المناسبات كان كونتا يصمت، تماما كما كان يفعل عمر عندما تضايقه اسئلة كونتا مع الفارق انه كان يطرح بعد ذلك الاسئلة نفسها على ابيه للحصول على اجابات عنها٠

النجاح يولّد النجاح



إن الخبرة التقنية وانجودة والدقة المتناهية وضعت
eumig في مقدم اجهزة العرض السينمائي الناطق ٠
واصبح النجاح حليف اجهزة eumig في العالم بأسره ،
بل اصبحت هي قدوة تحتذي بها الصناعة بأجمعها ٠
وقد عقد eumig العزم على متابعة هذه الخطة
ومواجهة المستقبل بكل ثقة في انجاز الاصناف الممتازة ٠
وانطلاقا من ذلك ، فان eumig يعمل دائما في الطليعة
على تطوير الكاميرات
السينمائية المزودة
بعدسات PMA
والكفيلة باعطاء
صور كبيرة ومتسعة في الاجهزة السينمائية الناطقة
او الصامتة على السواء ، علما بان منتجات
eumig توفر التسلية لملايين البشر في انحاء العالم ٠
هذا ، وبالاضافة الى كونه في طليعة صانعي
الكاميرات السينمائية واجهزة العرض ، فان eumig
يشغل كذلك مركزا فريدا بين صانعي منتجات HI-FI
"هاي في" ، بالنظر الى الجودة الفائقة التي يوفرها
لمراكز الحفلات الموسيقية المزودة باجهزة eumig وللكاسيت الموسيقية ٠ فهي تمثل
ذروة ما وصل اليه التطور في تقنيات الكاسيت واكتمال تزامن التعشيق ، اي الجودة
الصوتية الرفيعة الطراز بين احسن التسجيلات الشريطية والاجهزة الفونوغرافية ٠ وان eumig
مصمم على المحافظة على هذه المكانة
الفريدة ، وبالتالي فان eumig مصمم على
بقاء منتجاته في طليعة الصناعة المتنافية
لاجهزة الفيديو ، بفضل الخبرة التي احرزها
eumig وانجازاته التقنية المرموقة
وحرصه الاكيد على الجودة والاتقان ٠ ومن
الطبيعي اذا ان يكون eumig هو السباق
الى صنع المنتجات الممتازة المتقنة ،
اقتناعا منه بان النجاح يولد النجاح ٠
وبان سر النجاح يقوم على متانة الانتاج وجودة المنتجات ٠





eumig®

وذات يوم، سأل لامين: "من هم العبيد"؟ ولم يكن كونتا يعرف الرد، ولذلك وجه السؤال نفسه في اليوم التالي الى ابيه، فصمت عمر فترة طويلة ثم قال: "ليس من السهل دائما تمييز العبيد من غير العبيد". وشرح لكونتا ان الناس يصبحون عبيدا بطرق مختلفة. فبعضهم يولدون لامهات من العبيد، وذكر له عددا من هؤلاء يعيشون في جوفوري. وهناك آخرون تهددهم الموت جوعا في قراهم خلال فصل الجدب فقدموا الى جوفوري آملين في ان يستعبدهم احد اهل القرية ويتولى اعالتهم، وهناك فئة اخرى من العبيد كانوا اعداء ثم وقعوا في الاسر.

واضاف: "ولكن لهؤلاء العبيد، على رغم وضعهم، حقوقا ضمنتها قوانين اسلافنا". واوضح ان الواجب يقضي على كل سيد بان يكفل لعبيده الغذاء والكساء والمسكن، وقطعة ارض زراعية يفلحها ويقتسم غلتها مناصفة مع وليه وزوجة او زوج اذا كان الرقيق انثى. كما ان العبد يستطيع شراء حريته بما يدخره من اتعاب عبوديته. واذا تزوج الرقيق الذكر او الانثى من احد افراد الاسرة التي تملكه فان هذا يضمن له الا يباع او يوهب للاخرين.

وتمنى كونتا ان يعرف المزيد، فقد روى له توماني توري ان الرجال البيض من ذوي الشعر الكثيف (التوبوب) يهاجمون القرى في بعض الاحيان ويحرقونها ويستولون على ابنائها وينقلونهم الى امكنة بعيدة. ولكن اباه التزم الصمت. وبعد بضعة ايام دعاه واخاه لامين الى مرافقته خارج القرية لجمع بعض الجذور. وهناك، اخذ الوالد يروي لهما حكاية الرحلة التي قام بها بصحبة شقيقيه منذ مواسم عدة ماطرة عندما سار الثلاثة خفية على ضفاف نهر غامبيا بولونغو حتى وصلوا اخيرا الى مكان من النهر يرسو فيه عشرون قاربا ضخما من قوارب التوبوب، يكفي الواحد منها لاستيعاب اهل جوفوري باجمعهم، وقد زود كل قارب منها بقطعة هائلة من القماش الابيض مشدودة بالحبال الى عمود في شكل شجرة ويعادل ارتفاعه قامات عشرة رجال. وكان هناك عدد كبير من التوبوب، يروحون ويجيئون، ومعهم عدد من السلاتي (المعاونين السود). وكانت هناك ايضا قوارب صغيرة تنقل الى القوارب الضخمة طائفة من الاشياء مثل اصباغ النيلة المجففة والقطن وشمع العسل وجلود الحيوانات. لكن الشيء الفظيع الذي يفوق كل وصف، حسب قول عمر، كان الضرب المبرح وغير ذلك من صنوف القسوة الوحشية التي رأوها تكال لاولئك الذين اعتقلهم التوبوب كي يأخذوهم بعيدا. ثم نظر عمر الى كونتا مليا، وقال: "ان بعض الماندينكا يبيعون عبيدهم للتوبوب، وهؤلاء الماندينكا خونة مارقون، ولا يجوز ابدا مثل هذا الفعل لاحد من آل كينتي".

وجلس كونتا ولامين وقد جمد الدم في عروقهما فزعا، وقال لامين: "ابي! الى اين تأخذ القوارب الضخمة اولئك الناس المسروقين؟"

فاجاب عمر: "يقول الشيوخ انها تأخذهم الى توبابودو، وهي ارض

المفتاح المثالي لأعمالك في الكويت والخليج

بنك الكويت الوطني أول وأكبر بنك في الكويت منذ ٢٥ سنة.

بنك الكويت الوطني البنك الذي نما مع الكويت لتلبية التطور الاقتصادي والانمائي.

بنك الكويت الوطني يقوم بجميع الخدمات الاقتصادية والتجارية والاستشارات المصرفية.

بنك الكويت الوطني شبكة من المراسلين في جميع انحاء العالم. قبل ان تقدم على اي عمل في الكويت او في الخليج استعمل المفتاح الذهبي واستشر جهازنا المصرفي العالمي.

القسم المصرفي الاستثماري والتجاري
تلفون ٤٢٢٠١١، تلكس ٢٠٤٣/٢٤٥١/٢٧٠٤ كويت،
قسم الصرف المالي، تلفون ٤٤١٠٠٨/٩،
تلكس ٣٣٢٧/٣٢٢٧ كويت.



بنك الكويت الوطني ش م ك

ص ب ٩٥، تلكس ناشيونال ٢٠٤٣ كويت، تلفون ٤٢٢٠١١ (الفرع الرئيسي)
دينار كويتي = ٣٫٦٨ دولار في ٣١ ديسمبر ١٩٧٨
الموجودات تفوق ٣٫٨ بليون دولار

Graphics - McCann

يباع فيها العبيد للمتوحشين من اكلة لحوم البشر يسمون توبابوكومي، فيأكلوننا. ولا يعرف احد شيئا اكثر من ذلك".

رحلة القمر الجديد

وبعد بضعة ايام، دوت القرية فجأة، في عصر هادىء حار، باصداء الطبول الحادة، فاندفع كونتا الى كوخ طبال جوفوري حيث وجد حشدا من القرويين قد سبقوه لاستجلاء الاخبار. وكان هناك رسول من القرية المجاورة يتحدث الى عمر. وفهم كونتا ان عميه جانح وسلوم كينتي يبنيان قرية جديدة على مسيرة خمسة ايام في اتجاه شروق الشمس، وقد اوفدا الرسول لدعوة شقيقهما عمر كي يحضر حفلة تدشين القرية ومباركتها مع اشراقة القمر الثاني الجديد.

وبعد ان انهى الرسول حديثه، اجاب عمر انه سيكون هناك في الموعد المضروب باذن الله.

وقبل رحيل عمر بايام قلائل، تملكت كونتا فكرة اذهلته ضخامتها حتى الارتياب: هل يحتمل ان يسمح له عمر بمصابحته في هذه الرحلة؟ لقد كان يحدث من وقت الى آخر ان يصطحب والد ابنه في رحلة، وانما لم يحدث ذلك ابدا لصبي لم يتجاوز عمره الثمانية مواسم ماطرة. واحس كونتا بان امه ستعترض على تحقيق حلمه هذا، فادرك ان امله الوحيد يكمن في توجيه طلبه مباشرة الى ابيه.

وقبل رحيل عمر بثلاثة ايام، كان كونتا يرعى قطيعه وقد اوشك اليأس ان يتملكه، واذا به يرى اباه يغادر كوخ بينيتا، فتخلى عن عنزاته وعدا كالارنب البري حتى وصل الى ابيه، فوقف امامه وقد تقطعت انفاسه، ورفع رأسه اليه في رجاء صامت بينما ارتسمت علائم المفاجأة على وجه ابيه. وغص الصبي وعجز عن تذكر كلمة واحدة مما كان يعتزم ان يقول.

وتفرس عمر في وجه ابنه برهة ثم قال: "لقد انبأت امك للتو"، وواصل طريقه...

وانقضت بضع ثوان قبل ان يدرك كونتا مغزى ما قاله ابوه، ثم صاح: "آي!"، ووقع على الارض مستلقيا على بطنه، ثم قفز في الهواء كالضفدع، وعاد ركضا الى عنزاته. وعاوده الهدوء فجأة واطمأن، لاقتناعه بان اباه كان يفكر فيه منذ ان بلغته الرسالة.

وفي صباح سفرهما، مشى عمر وتبعه كونتا خطوتين في التراب امام كوخ عمر، ثم استدار كل منهما وانحنى يكشط التراب، حيث ارتسمت آثار قدميه، ويضعه في حقيبته تأمينا لعودة هذه الاثار الى ذلك المكان. وكانت بينتا تراقبهما وهي تبكي عند باب كوخها. وحين سار الاثنان عبر القرية، ادار كونتا وجهه لالقاء نظرة اخيرة، ولكنه لاحظ ان اباه لا يلتفت، فوجه بدوره عينيه الى الامام وسار بخطى سريعة قاربت الهرولة، محافظا على مسافة الخطوتين المناسبة بينه وبين ابيه.

وبعد ساعة تقريبا خف اهتياج كونتا بمقدار ما تباطأت خطواته. وبدأ يشعر بتزايد ثقل الصرة التي يحملها فوق رأسه وبالالم في عضلات ساقيه في اسفل الركبتين، واخذ العرق يتصبب من وجهه. وحين

توسطت الشمس كبد السماء تقريبا، بدأ كونتا يعتقد انه لن يقوى على مواصلة السير، فانتابه احساس بالذعر. وهنا توقف عمر، بعد ان بقي صامتا ولا يلتفت الى خلفه، والقى ارضا الصرة التي تعلو رأسه بجانب بركة من الماء الصافي. وارتشف الاثنان جرعات عذبة من مياه النبع الباردة وشويا اربع حمامات سمينة اصطادها عمر بقوسه وسهامه وتغدياها ثم استأنفا مسيرتهما.

وبعد ان قطعا مسافة كبيرة قال عمر:"ان التوبوب يأتون بقواربهم الى مكان على مسيرة يوم واحد من هنا فاحرى بنا ان ننام الليلة في قرية". واستأنف عمر السير بمزيد من السرعة واصابعه تلامس خنجره في غمده.

وكانت كرة الشمس البرتقالية تقترب من الارض حين رأى عمر وكونتا خيطا رفيعا من الدخان يتصاعد من قرية على مسافة قصيرة امامهم. وبدا لهما، وهما يقتربان من القرية، ان هناك شيئا لا يبعث على الارتياح. اذ لم يتراكض الاطفال الى لقائهم. وحين مرا في القرية بجانب شجرة "الباوباب" العريضة الجذوع، لاحظ كونتا ان جانبا منها قد احترق. وبدا ان اكثر من نصف اكواخ الطين خالية وان سكان القرية كلهم من العجائز او المرضى، وكان معظمهم راقدا على اعتاب الاكواخ.

وتقدم عدد من العجائز ببشراتهم المليئة بالتجاعيد فاستقبلوا المسافرين، بضعف ووهن، واخذوا يقاطعون بعضهم البعض في تسابقهم على شرح ما حدث: لقد اغار النخاسون على القرية وخطفوا او ابادوا شبيبتها بأجمعهم.وأضاف أحد الكهول موضحا ومشيرا الى عمر ثم الى كونتا: "من عمرك الى عمره.. اما نحن العجائز فقد ابقوا علينا".

وتابع عمر وكونتا المسير طوال الايام الثلاثة التالية بلا توقف، يتجاوزان القرى ويفترشان الاغصان الرطبة وينامان على حافة الطريق. وكان يبدو لكونتا انه لا يكاد يستغرق في النوم حتى يهزه ابوه ليوقظه عند بزوغ الفجر. وتبثرت قدما كونتا ودب الالم في كل جسمه، ولكنه تحمل ذلك وواصل سيره خلف عمر وهو يوهم نفسه بانه يجتاز مرحلة تدريبات الرجولة، وانه عقد العزم على ان يكون آخر من يعرب عن المه من فتيان الكافو جميعا.

وفي اليوم الرابع بلغ عمر وكونتا قرية لم يجدا فيها نسمة واحدة على الاطلاق ولم يسمعا فيها غير اصوات الطيور والقرود. وانتظر كونتا عبثا ان يشرح له عمر سر ذلك. ولكن ما ان اطلا على القرية التالية حتى راح الاطفال يروون الامر فقالوا وهم يشيرون الى قريتهم خلف الطريق ان اهل القرية قد نفروا من تصرفات زعيمهم النابية فقرروا في النهاية اخلاء القرية خلسة، وتحينوا فرصة استغراق الزعيم في النوم ليلا فهبوا وجمعت كل اسرة ما تملكه ولاذت ببيوت الاقارب والاصدقاء في القرى الاخرى. وترك اهل القرية زعيمهم وحيدا فراح ينتقل من مكان الى آخر ملتمسا الصفح منهم ومتعهدا بتحسين سلوكه اذا هم رجعوا الى القرية.

وفي هذه القرية الثانية، تدبر عمر الامر مع الطبال لاعلام شقيقيه بقرب

وصوله. وقد فهم من الرسالة ان عمر لن يلبث ان يصل، وانما لم يتضح منها ان كونتا بصحبته. ومع هذا، فقد ملأ الاعتزاز جوانح كونتا لقطعه كل تلك المسافة مع ابيه، وترددت في رأسه اصداء دوي الطبول اعلانا لقدومهما.

وفي اليوم الخامس حين بدأت الشمس ترتدي لونها القرمزي فوق افق المغيب، ابصر كونتا دخانا يتصاعد من قرية اصبحت قريبة. ولم يلبث ان بدأ يسمع عن بعد دوي الطبلة الضخمة (توبالو) ودقات الطبول الصغيرة (تان - تانغ) وقعقعة الراقصين. ثم انعطف بهما الطريق فاذا هم امام القرية.

ولم تعد كونتا قدما تشعران بالارض تحتهما. وتزايد دوي الطبول، ثم ظهر الراقصون فجأة، يزمرون ويصيحون في ارديتهم من اوراق الشجر ولحائه، ويندفعون خلال بوابة القرية لاستقبال الزائرين الكريمين. وتقدم رجلان يشقان طريقهما خلال الحشد، فسقطت الصرة ارضا من فوق رأس عمر وهرع نحوهما. واذا بكونتا يلقي صرته هو الآخر ويعدو بدوره.

كان الرجلان يتبادلان مع ابيه العناق والتربيت على الظهر، ثم قالا: "ومن هذا؟ ابن اخينا؟" ورفعاه عن الارض وراحا يحتضنانه ويقبلانه وسط صيحات الابتهاج. ودق العم سلوم قبضته على رأس كونتا وقال: "اننا لم نتقابل منذ تسميته. ها هو الان امامنا "كم موسما ماطرا عمرك يا كونتا ابن اخي؟"

فاجاب كونتا بلطف وكياسة: "ثمانية مواسم ماطرة يا عمي."

فصاح عمه: "قاربت التأهيل لتدريبات الرجولة!"

وسرعان ما هبط الظلام، فاشعلت القرية نيرانها وتجمع الناس حولها. ثم خطا جانح وسلوم داخل دائرة المستمعين يرويان الحكايات عن مغامراتهما. فهما كانا قبل بناء هذه القرية من اهل التجارة المتجولين التي يشتهر بها رجال قبيلة الماندينكا. وتحدثا عن حيوانات غريبة لها ظهور مسننة. وقال سلوم: "انها تسمى الجمال، وتعيش في ارض تكسوها رمال لا نهاية لها".

وبسط جانح قطعة كبيرة من الجلد المدبوغ عليها رسم. وقال: "هذه هي افريقيا". وراح يتابع باصبعه على الرسم منطقة قال لهم انها صحراء رملية شاسعة تزيد مساحتها اضعافا كثيرة على مساحة مملكتهم.

واوضح سلوم ان سفن التوبوب تأتي الى ساحل افريقيا الشمالي بالخزف والتوابل والاقمشة والجياد واشياء اخرى لا حصر لها، تصنع بواسطة الآلات، ثم ينقل الرجال والجمال والحمير هذه السلع الى مدن الداخل، مثل سجلماسه وغداميس ومراكش. وكان جانح ينتقل باصبعه على الرسم ليبين مواقع هذه المدن للمستمعين.

ثم اخذ سلوم الرسم المخطوط على الرق المدبوغ وبدأ يشير باصبعه الى الاماكن الاخرى التي بدأ جانح يتحدث عنها. وقال جانح: "ان سلعنا الافريقية تنقل الى كثير من المدن الكبيرة التي نصدر اليها الذهب والعاج والجلود والزيتون والتمر

والقطن والنحاس والحجار الكريمة. وبينما نحن جلوس هنا الليلة، هناك كثير من الرجال ينقلون على رؤوسهم احمالا ثقيلة ويخترقون بها غابات كثيفة كي يصلوا بها الى سفن التوبوب.

وكان كونتا يجلس الى جانب ابيه في وقار وكبرياء، ويستمع معجبا، الى ذلك كله، واقسم صامتا بينه وبين نفسه ان يقوم يوما، هو ايضا، بمغامرات الى تلك الاماكن المثيرة.

كتبوا اسماءهم بالعربية

بلغ عمر كونتا موسمه الماطر الثاني عشر، واوشك ان يتم، هو وافراد فئته، التعليم الذي كانوا يتلقونه مرتين كل يوم منذ السن الخامسة. وعندما جاء يوم التخرج، جلس آباء الفتيان في فناء كوخ المعلم وقد اشرقت وجوههم بالاعتزاز. ثم وقف المعلم بريما سيساي واجال الطرف في تلاميذه، ووجه سؤالا الى كونتا: "ماذا كانت مهنة اسلافك القدامى يا كونتا كينتي؟".

فاجاب كونتا بثقة: "منذ مئات المواسم الماطرة كان رجال كينتي في ارض مالي يشتغلون حدادين، وكانت نساؤهم تصنع الاواني وتغزل القطن".

وجاء بعد ذلك دور الاحاجي والالغاز، ثم كتب التلاميذ اسماءهم على الواح حجرية باللغة العربية، كما تعلموا ان يكتبوا. واخيرا طلب المدرس من كل متخرج ان يقف لدى مناداته باسمه: "كيرابا كونتا كينتي". فوقف كونتا وهو محط عيون الجميع، يملؤه التفاخر باسرته الجالسة في مقدم صفوف المشاهدين، بل وباسلافه الراقدين في المدافن وراء القرية. وقرأ كونتا بصوت عال آية من القرآن الكريم. وما ان انتهى من قراءتها حتى رفع المصحف الى جبهته وقال: "صدق الله العظيم". وبعد ان انتهى جميع الخريجين من القراءة واحدا تلو الآخر، اشترك الجميع في هتاف مرح عاصف.

وتلاحقت الاشهر المتتابعة في الفصول حتى انقضى عام آخر تولت فئة كونتا خلاله تعليم فئة لامين طريقة رعي الماعز. ثم اخذ الموعد الذي طال انتظاره يقرب شيئا فشيئا. فلن ينتهي مهرجان الحصاد التالي الا وتبدأ تدريبات الرجولة لافراد فئة الكافو الثالثة، اولئك الفتيان المراوحة اعمارهم بين ١٠ اعوام و١٥ عاما. وحاول كونتا ان يتناسى تلك الذكرى الحية العالقة في ذهنه منذ خمسة مواسم عندما تملكه الرعب هو ورفاقه وهم يرقبون الفتيان الذين غطيت رؤوسهم بالعمامات البيضاء وانتزعتهم من القرية عصبة راقصي "الكانكورانغ" المقنعين الصاخبين.

ولم يلبث ان دوى الطبل الكبير معلنا بدء الحصاد الجديد وانضم كونتا الى القرويين المنتشرين في الحقول، مرحبا بايام العمل الشاق الطويلة لانها تصرفه بمشاغلها الكثيرة ومتاعبها الشديدة عن التفكير في ما يخبئه المستقبل. وحين بدأ المهرجان، وجد نفسه عاجزا عن الاستمتاع بالموسيقى والرقص والقصف، مثلما يفعل الآخرون.

وفي الليلة التي سبقت اليوم الاخير من المهرجان، كان كونتا في كوخ عمر يوشك على الانتهاء من وجبة

المساء، حين دخل خاله الكوخ وتقدم نحوه ووقف خلفه. ولمح كونتا بطرف عينه خاله يرفع شيئا ابيض، وقبل ان يتمكن من الالتفات كانت الغماءة الطويلة قد هبطت فوق رأسه. واجتاح كونتا ذعر كاد ان يشله، وشعر بيد تقبض على زنده وتحثه على الوقوف، ثم تدفعه الى الوراء وترغمه على اقتعاد كرسي منخفض.

وجلس في سكون تام محاولا ان يألف الظلام، وقد خيم الهدوء على الكوخ. وكبت كونتا خوفه علما منه بان اي فتى يفشل في تدريبات الرجولة يعامل بقية حياته معاملة الاطفال ويتجنبه الآخرون ولا يسمح له بالزواج خشية ان ينجب ابناء على شاكلته.

وانقضت ساعات، وتوقف قرع الطبول وصياح الراقصين التي كانت تبلغه اصداؤها من بعيد. وغلبه النعاس لحظة ولكنه انتفض مستيقظا، ثم استولى عليه من جديد نوم متقطع.

وحين دوى فجأة صوت الطبل الضخم (التوبالوا) اعترته الرعبة وكادت نفسه ان تثب من جلده. وبدأ يتخيل مظاهر الحياة الصباحية من خلال الاصوات التي تلتقطها اذناه، صياح الديوك، ونباح كلاب (الوولو) واصداء اجران النساء وهن يدققن الحبوب لوجبة الفطور. وبعد فترة قصيرة، بلغت اذنيه اصوات متزايدة العلو، واعقبها دق الطبول، فبدا هنيهة وكأن قلبه اوشك ان يتوقف حين احس فجأة بشخص يندفع داخل الكوخ. وقبضت يدان على معصميه واندفعتا به خلال باب الكوخ وسط ضجيج يصم الآذان: من دق الطبول

وصيحات راقصي الكانكورانغ التي تجمد الدم في العروق. وكان الضجيج يخفت قليلا ليعود الى الارتفاع المسعور، كلما حان سحب صبي آخر من احد الاكواخ.

وادرك كونتا، بفضل السمع، انه انضم الى رتل من المشاة على ايقاع الطبول السريع الحاد. وخلال اجتيازه بوابة القرية، بدأ ضجيج الحشود يخفت ويتقلص واحس كونتا بالدموع الساخنة تتصاعد الى مآقيه لتنساب على خديه، فادرك ان ما يخلفه وراءه هو أكثر من ابيه وامه واخوته ومسقط رأسه، فتملكه الحزن بمقدار ما استولى عليه الذعر.

وانما كان كونتا يعرف ان ذلك امر لا مفر منه، وقد اتاه ابوه من قبله، وكما سيأتيه ابنه هو ذات يوم، وانه سيعود من هذه المحنة، رجلا، او لا يعود على الاطلاق.

بين الخوف والغضب

وتراءى لكونتا انه يقترب الآن من غيضة (دغل) خيزران. فقد استشم من خلال غماءته العبير القوي المتصاعد من سيقان الخيزران التي قطعت حديثا. وبعد بضع خطوات، انكتم دوي الطبل في مقدم الرتل، وكأن المشاة قد دخلوا مكانا مسورا، ثم سكت الطبل وتوقف السائرون واستمروا بضع دقائق وقوفا في سكون وصمت. وتذكر كونتا انه عرف مثل هذا الاحساس مرة من قبل عندما كان يرافق اباه في رحلته. فقد اشار اليه عمر فجأة، عند ذاك، بان يظل جامدا بلا حراك على الاطلاق، الى ان مر على مقربة منهما قطيع اسود في غبش المساء. وارهف كونتا اذنيه لعله يلتقط صوتا يهتدي به الى المكان الذي بلغه. لكنه لم يفلح بسبب صياح الطيور وثرثرة القردة في اعالي الشجر.

وفجأة، انتزعت غماءة كونتا عن رأسه، فراح يرمش بعينيه في الشمس الساطعة في باكورة العصر، وقد وقف امام كونتا ورفاقه مباشرة رجل متجهم ومجعد الوجه اسمه سيلا باديبا، احد كبار شيوخ جوفوري، وهو يتفحص وجوههم بعينيه وكأنه يرقب ديدانا زاحفة. وادرك كونتا ان الرجل لا بد ان يكون هو "الكينتانغو" الذي يتولى امرهم خلال تدريبات الرجولة. ووسع كونتا نطاق نظرته لحظة، وهو حريض على الا يحرك رأسه، فتبين له انه ورفاقه يقفون في ساحة يحيطها سور ويتناثر فيها عدد من اكواخ الطين المسقوفة بالاعشاب، وكان السور من اعواد الخيزران التي قطعت حديثا.

وقال الكينتانغو بصوت عال: "لقد غادرتم قرية جوفوري اطفالا. واذا كان مقدرا ان تعودوا اليها رجالا، فلا بد من استئصال مخاوفكم، لان الذي يستولي عليه الخوف يكون شخصا ضعيفا، وان الشخص الضعيف يكون خطرا على قبيلته".

وما ان فرغ سيلا باديبا من هذا الكلام حتى انصرف، وفي الحال وثب الى الامام اثنان من مساعديه وراحا يوزعان الضربات بالعصي على الفتيان في كل اتجاه، موجهين اياها الى اكتافهم واسفل ظهورهم وهما يدفعان بالفتيان الثلاثة والعشرين الذين تضمهم فئة الكافو، ويحشدانهم داخل اكواخ الطين الصغيرة.

وبقي كونتا مع اربعة فتيان آخرين في كوخهم ساعات طويلة وهم لا يجرؤون على الكلام. وبعد غروب الشمس مباشرة، بينما اخذ الجوع يعض بانيابه بطن كونتا، اندفع مساعدو الكينتانغو داخل الكوخ صائحين: "تحركوا!". وانقضت العصا على كتفيه بضربة شديدة اثناء اندفاعه في غبش المساء الى الخارج، حيث القى الكينتانغو على الفتيان نظرة متجهمة قاسية واعلن انهم سيقومون على الفور برحلة ليلية في الغابة المجاورة، وصدر الامر بالسير فخرج رتل الفتيان الطويل منطلقا على الدرب في تشوش فوضوي، وانهالت العصي صاعدة هابطة على اكتافهم لفرض النظام.

وكان الفجر على وشك البزوغ حين عاد الفتيان بخطى متعثرة ليدخلوا ساحة الجوجو (مقر التدريب) وقد خارت قواهم وتكاثرت القروح والخدوش في اقدامهم وشعر كونتا انه يوشك ان يموت من العياء فتكابر على نفسه حتى بلغ كوخه، ولم يكد يدخله حتى خانته قدماه فتعثر وسقط على ارضه القذرة، واستغرق في النوم على الفور حيث سقط.

وتكررت المسيرات في الليالي القليلة التالية، وكل منها اطول من سابقاتها. وشرح الكينتانغو للفتيان كيف يسترشد الرجال بالنجوم وهم في اعماق الغابة، وتعلم كل فتى في فئة الكافو كيف يقود رفاقه ليعود بهم الى معسكر التدريب.

وقال لهم الكينتانغو ان الحيوانات تعتبر افضل المعلمين لفن الصيد. وكان معاونوه يشيرون الى المواضع الحديثة التي كمنت فيها الاسود ويعلمون الفتيان كيف يتعقبون الظبى ويتفحصون شقوق الصخور التي تختبىء فيها الذئاب والضباع. وتعلم الفتيان تقليد اصوات الحيوانات والطيور، فملأوا الجو بغمغماتهم وصفيرهم. وسرعان ما اصبحت كل قطعة لحم في مؤونة المعسكر تأتي اما من الفخاخ التي ينصبها الفتيان او من نتاج اقواسهم وسهامهم.

غير ان الكينتانغو العجوز لم يكن يتكرم بالرضا ابدا، مهما ازدادت معارف الفتيان ونمت قدراتهم ومهاراتهم. وظل متشددا في مطالبه وصارما في ما يفرضه عليهم من انضباط، الى درجة جعلت الخوف والغضب يتوزعانهم معظم الوقت. وكان اي امر يصدر الى اي فتى منهم ولا ينفذ بكامله على الفور يسبب الضرب المبرح على رؤوس فئة الكافو بمجموعها. وكان المانع الوحيد الذي يصد كونتا والآخرين عن ضرب هذا الفتى او ذاك، ممن تصدر عنهم بعض الاساءات، هو اقتناعهم التام بان مثل هذا التأديب يبعث على الاقتتال والعراك. ولقد كان اول الدروس التي تعلموها في حياتهم، قبل ان يجيئوا الى معسكر التدريب بزمن طويل، انه لا يجوز اطلاقا لافراد الماندينكا ان يقتتلوا في ما بينهم.

رجال جوفوري

جرى الحادث من دون سابق انذار. فذات يوم عند الظهيرة وقد توسطت الشمس كبد السماء أصدر أحد معاوني الكينتانغو أمرا - بدا روتينيا عاديا في ذاته بان يصطف أفراد فئة الكافو في ساحة معسكر التدريب، ثم أقبل الكينتانغو من كوخه وراح يتمشى

أمامهم. وقال آمرا: "أبرزوا أعضاء التناسل".

وفكر كونتا ان الساعة قد دقّت لحدوث ما كان يخشاه: عملية الختان (الكاساس بويو) التي تطهّر الفتى وتعده لان يغدو أبا لأطفال كثيرين. وتردد الفتيان وهم لا يريدون تصديق ما سمعوا، فصاح فيهم الكينتانغو: "الآن، هيا!" فأطاعوا في بطء، وقد نكس كل منهم عينيه الى الارض وهو يمد يده داخل مئزره.

وجاء معاونو الكينتانغو فلفوا حول رأس عضو التناسل لكل فتى قطعة قصيرة من القماش مدهونة بعجينة خضراء مصنوعة من نوع من ورق الاشجار المسحوق. وقال الكينتانغو: "عما قليل ستتخدّر اعضاؤكم التناسلية". ثم أمرهم بالعودة الى أكواخهم.

وتجمع الفتيان داخل الاكواخ وقد غلب عليهم الخجل والخوف وتملكهم الصمت حتى انتصف العصر، فجاءهم الامر بالخروج ثانية الى الساحة، حيث اصطفوا وشاهدوا عددا من رجال جوفوري - آباء واخوة كبارا وأخوالا وأعماما وهم يدخلون واحدا تلو الآخر من البوابة، وبينهم عمر. واصطف الرجال في مواجهة الفتيان وهم ينشدون معا: "هذا الذي سيتم... قد جرى لنا أيضا... كما جرى لأسلافنا من قبلنا... حتى تصبحوا أنتم أيضا... مثلنا... فنغدو جميعا رجالا معا". ثم صرف الكينتانغو الفتيان مرة اخرى الى أكواخهم.

وعند الغروب بلغتهم فجأة اصداء الطبول الكثيرة العدد، وجاءهم الامر بالخروج مرة أخرى. فوجدوا الآباء والأخوال والاعمام والاخوة واقفين على مقربة منهم وهم ينشدون هذه المرة: "قريبا تعودون الى بيوتكم... وفي الوقت المناسب ستتزوجون... وستنطلق الحياة الابدية من عورتكم".

وراح أحد مساعدي الكينتانغو ينادي كل فتى باسمه ويومىء اليه بان يتوارى خلف ستار طويل من الخيزران المحبوك. وبعد لحظات قليلة يخرج الفتى من خلف الستار وقد ظهرت بين ساقيه قطعة قماش ملوثة بالدم. وجاء اخيرا دور كونتاكينتي:

ذهب كونتا الى خلف الستار فوجد أربعة رجال، امره أحدهم بأن يستلقي على ظهره فأطاع، ولم تكن ساقاه المرتجفتان قادرتين على حمله الى أبعد من ذلك على اي حال، ثم انحنى الرجال وأمسكوا به بقوة ورفعوا فخذيه الى أعلى. وقبل ان يغمض كونتا عينيه رأى الكينتانغو ينحني فوقه وقد أمسك شيئا بيديه ثم أحس بألم القطع. وفي لحظة قصيرة كان جرحه قد ضمّد باحكام وأعانه خاله على الخروج من خلف الستار. فقد تم له الان ما كان يخشاه أكثر من أي شيء آخر.

وبينما كانت جروح الفتيان تلتئم، خيّم على معسكر التدريب جو من الابتهاج، فقد تحرر الفتيان الى الابد من عار البقاء اطفالا من الناحيتين الجسدية والعقلية. وها هم الان قد أوشكوا ان يكونوا رجالا مكتملين. بل ان الكينتانغو نفسه أصبح يخاطبهم بقوله: "انتم الرجال..."

وكان لذلك وقعه الرائع في نفوس كونتا ورفاقه.

وذات مساء قال "الكينتانغو": "عندما ينتهي تدريبكم ستبدأون

خدمة جوفوري بأن تصبحوا عيونها وآذانها · فسيتعين عليكم أن تحرسوا القرية، خارج بوابتها، كي ترصدوا من يقترب منها من المغيرين او الهمج· وستقع عليكم أيضا مسؤولية التفتيش على اوعية الطهي التي تستخدمها النساء لتتأكدوا من نظافتها، وعليكم أن تؤنبوهن بأقصى شدة اذا وجدتم في الأوعية اي قذارة او حشرات"·

وبعد ذلك، سيتولى هؤلاء "الفتيان الرجال" مهمات اكثر اهمية مع تتابع المواسم الماطرة (الاعوام)· فالرجال الذين في سن عمر - فوق الثلاثين - يرتقون تدريجا في الرتبة والمسؤولية حتى يبلغوا المركز المشرّف الذي يشغله شيوخ القرية ويصبحوا أعضاء في مجلس المسنين·

ولم يمض وقت طويل حتى بدأ الفتيان يدركون أن رفاهية الجماعة تتوقف على كل فرد منهم - كما أن خير قبيلتهم ورفاهيتها سيتوقفان على كل منهم ذات يوم فلم تلبث ان تضاءلت مع الوقت انتهاكاتهم للقواعد المتبعة حتى اصبحت محصورة في زلات طفيفة تحدث من وقت الى آخر، وتضاءلت بالمثل عقوبات الضرب، فتطاير بالتدريج ذلك الخوف الذي كانوا يشعرون به تجاه الكينتانغو وحل محله احترام لا يعادله سوى احترامهم لآبائهم·

ومع ذلك، فقلّما كان يمضي يوم واحد من دون أن يتعرض كونتا ورفاقه لنوع من الحرج يشي بوقوعهم في الجهل من جديد. وبدت لهم الامور التي يعيها الرجال ويجهلها الفتيان متعددة لا تقع تحت حصر. فقد أدهشهم مثلا ان يعرفوا ان قطعة من القماش تطوى وتعلق في شكل معين قرب كوخ أحد الرجال تكفي لافادة سائر رجال الماندينكا عن موعد عودة ذلك الرجل، او ان وضع حذاءين متقاطعين بأشكال معينة أمام كوخ رجل يفيد أشياء كثيرة لا يفهمها سوى الرجال الآخرين. ولكن "السيراكانجو" كانت الاكتشاف المدهش الاكبر في نظر كونتا، فهي نوع من رطانة رجال الماندينكا تتغير فيها أصوات الكلمات ومخارجها على نحو حاذق بارع.

وتذكر كونتا مرات كان يسمع فيها أباه يتحدث بسرعة كبيرة الى رجل آخر من دون ان يفهم كونتا شيئا ومن دون ان يجرؤ على الاستفسار عنه. وها هو كونتا نفسه الان يتعلم تلك اللغةالسرية التي يتعذر فهمها على شخص لا دراية له بالامر. وسرعان ما أصبح كونتا ورفاقه يقتصرون تقريبا على استخدام هذه اللغة السرية.

مدن الاسلاف العامرة

وقضى كونتا ورفاقه طوال الشهر التالي يتعلمون اساليب المحاربة. وقال لهم الكينتانغو: "انكم تعلمون أن الماندينكا هم أبرع المحاربين وادهاهم".

وأخذ الكينتانغو يرسم على التراب أشهر استراتيجيات الماندينكا، فيعيد الفتيان تنفيذها في معارك وهمية. ثم تعلموا كيف يصنعون الحراب المزودة نصالها بالاشواك المسمومة. واعقبتها دروس المصارعة على يد أبطال هذا الفن في جوفوري. ثم جاء دور تعليمهم تاريخ القبيلة.

وقدم الى المعسكر راوية هرم بدا الكينتانغو أمامه وكأنه غضّ الشباب. وجلس الراوية يحيط به الفتيان متربعين في نصف دائرة، وأخبرهم كيف أن الراوية يحتفظ في أعماق عقله بتاريخ الأسلاف... والا فكيف لكم ان تطلعوا على المآثر التي قام بها القدامى من الملوك والقديسين والصيادين والمحاربين منذ مئات المواسم الماطرة؟ فمن هنا ينطلق تاريخ شعبنا الى المستقبل". ونقر بأصابعه رأسه الذي انتشر فيه بياض الهرم.

وظل الراوية حتى ساعة متقدمة من الليل يقص عليهم الحكايات التي خلّفها له أبوه عن عظمة الامبراطوريات السوداء التي كانت تحكم افريقيا منذ مئات المواسم الماطرة.

وقال الراوية العجوز: "قبل أن يحط التوبوب أقدامهم في افريقيا بزمن طويل، كانت تقوم في غانا امبراطورية الاسلاف التي أفردت مدينة بأكملها لسكن أفراد البلاد الملكي. وكان أشهر ملوكها يدعى كانيساي وكان يملك ألف جواد، لكل منها ثلاثة خدم ومبولته الخاصة من النحاس. وفي كل مساء، حين كان الملك كانيساي يخرج من قصره، كانت توقد ألف نار فتضيء كل ما بين السماء والارض. وكان الملك

يجلس على شرفة من الذهب ومن حوله جياده باعنّتها وسروجها الذهبية وكلابه باطواقها الذهبية ايضا وحرسه بدروعهم وسيوفهم المصنوعة من الذهب وأبناؤه الامراء تزين رؤوسهم الحلي الذهبية.

"ومع هذا، فلم تكن غانا أغنى الممالك السوداء، وانما كانت مملكة مالي القديمة أعظمها ثراء وعراقة بفضل طرقها التجارية المتفرعة الى كل حدب وصوب، وتجارتها في الملح والذهب والنحاس. وكانت القوافل التي تضم آلاف الجمال مشاهد شائعة مألوفة في كثير من المدن، مثل تاكيده ونيامي، حيث كانت تنتظم المهرجانات والاحتفالات الضخمة في كل يوم تقريبا.

"وكانت مساحة مالي تقاس بأربعة أشهر من السفر طولا وأربعة أشهر عرضا. وكانت عظمى مدنها تمبوكتو الاسطورية، التي كانت تحوي ٦٠٠٠ منزل للسكن وعددا من المساجد الفخمة. وكانت المركز الرئيسي للعلوم في افريقيا كلها، يقيم فيها آلاف العلماء اضافة الى موكب لا ينقطع من أهل الفكر الزائرين الراغبين في اغناء معارفهم، وقد بلغت اعدادهم حدا تفرّغ معه بعض كبار التجار لبيع الرقاق والكتب. ولم يبق رجل صالح أو معلم في أصغر القرى الا واستقى جزئيا على الاقل، من معين المعرفة في تمبوكتو".

وكان الزائر التالي لمعسكر التدريب منشد شهير (غالي كيا) تولى قيادة الفتيان في أغان جماعية عن عظماء الصيادين وزعماء الماندينكا الحكماء الشجعان

الاقوياء. ولم يكد يغادر المعسكر حتى خلفه مورو شهير من أئمة المعلمين، فتلا عليهم ما تيسر من القرآن الكريم، ثم قرأ لهم من كتب لم يسمعوا بها من قبل، مثل اسفار موسى الخمسة الاولى من العهد القديم، ومزامير داود النبي، وكتاب أشعيا. وحين انتهى العجوز من ذلك، كلمهم عن الاحداث المهمة التي وردت في الكتاب المقدس كتلك التي تتناول آدم وحواء ويوسف وأخوته وداود وسليمان.

وكان كونتا يرقد يقظا في كوخه ليلا، يفكر كيف ان كل الاشياء التي يتعلمونها تكاد تترابط في ما بينها، فالماضي يبدو مصاحبا للحاضر، والحاضر مصاحبا للمستقبل، والموتى هم زملاء الاحياء وزملاء من لم يولدوا بعد، والكل يعيشون في رحاب الله. وأحس بأنه ضئيل جدا، وبأنه كبير جدا في الوقت ذاته، وقال لنفسه: هذا هو ولا شك معنى بلوغ الرجولة.

وذات ليلة، والقمر بدر في قلب السماء، تلقى فتيان الكافو أمرا من مساعدي الكينتانغو يدعوهم الى الانتظام صفا في الساحة بعد وجبة العشاء بقليل.

ترى هل جاءت اللحظة التي كانوا ينتظرونها؟

أجال كونتا النظر حوله بحثا عن الكينتانغو في أرجاء المعسكر، حتى رأى الرجل أخيرا يقف عند البوابة الخارجية يدفعها لتنفتح على مصراعيها. ولم يلبث الكينتانغو ان التفت اليهم وصاح: "هيا بنا الان يا رجال جوفوري، فقد حان موعد عودتكم الى قريتكم!"

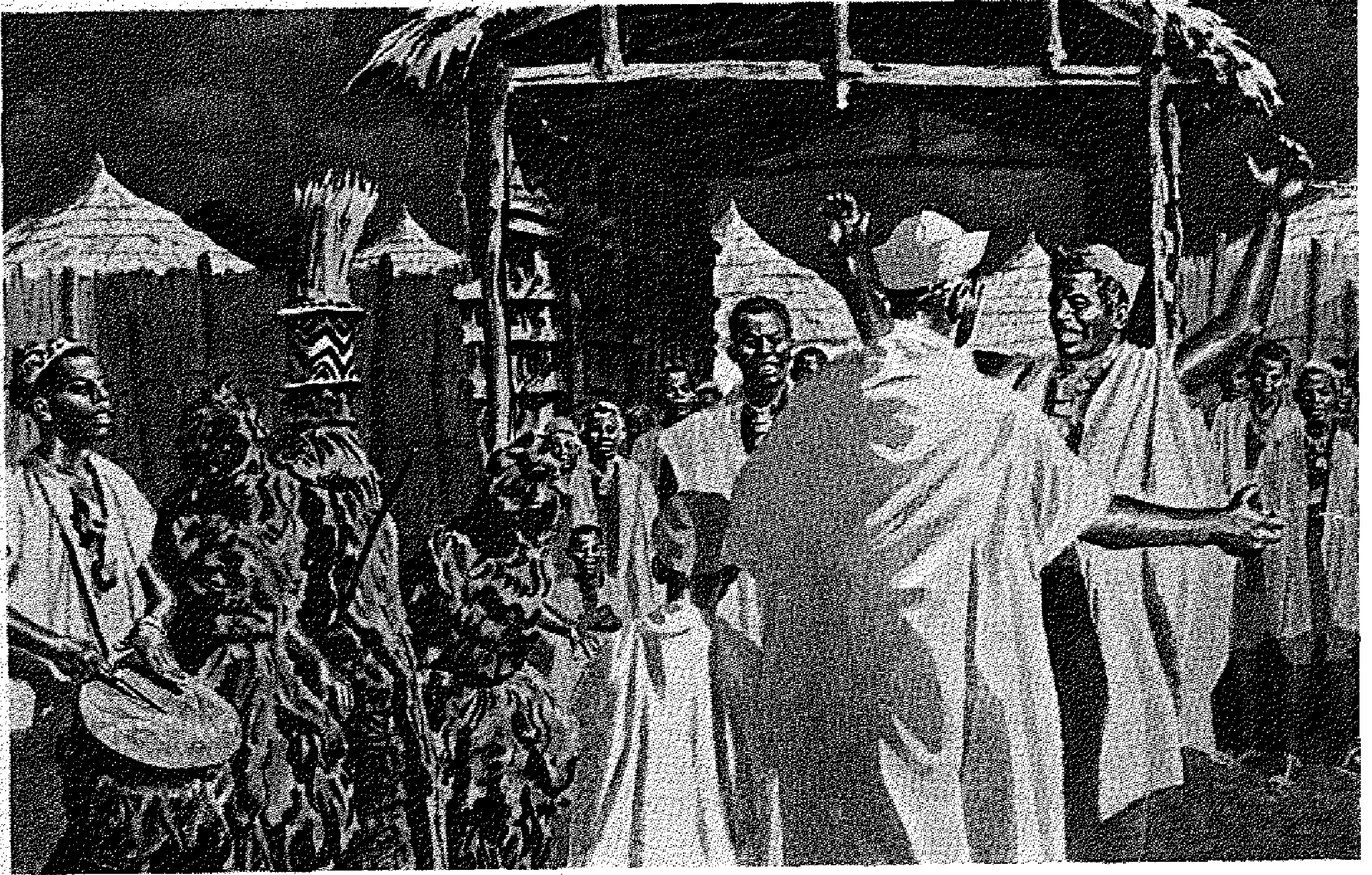
فوقفوا لحظة جامدين في أماكنهم، ثم اندفعوا وهم يتصايحون، نحو الكينتانغو ومساعديه وراحوا يحتضنونهم، فنفر هؤلاء من مثل هذه الوقاحة والاجتراء... ثم اتجه الفتيان بأفكارهم الى بيوتهم.

الأسر

حين عاد كونتا الى قريته، وجد أن أباه قد خصص له كوخا مستقلا كي يسكنه بمفرده كسائر اعضاء مجموعته. غير ان بينتا استمرت تطهو له الطعام، كما أنها زودت كوخه بفراش للنوم وبعض الاوعية وبمقعد وسجادة للصلاة. ومضى كونتا بدوره يساوم بمهارة لشراء أشياء أخرى يستكمل بها أثاث كوخه، فيقايضها بالحبوب والفول السوداني الذي زرعه بيده في قطعة أرض صغيرة منحه اياها مجلس شيوخ القرية. وكان يعرف ان الشاب الذي يحسن الاهتمام بمحاصيله ورعاية عنزاته يستطيع ان يغدو رجلا ميسورا متى بلغت سنه ٢٥ أو ٣٠ موسما ماطرا، فيبدأ التفكير حينئذ في اتخاذ زوجة له وتربية أبناء من صلبه.

وكان كونتا في كل صباح يحمل سجادة الصلاة وينضم الى أفراد فئته فيسيرون الى المسجد برؤوس خاشعة خلف الرجال الاكبر سنا. وكانت بينتا تأتيه بفطوره بعد الصلاة، ثم ينضم الى رفاقه في أداء واجباتهم التي كانوا يباشرونها بحماسة ودقة يثيران فضول من يكبرونهم سنا.

وقلَّما كانت النساء يلتفتن حولهن من دون ان يجدن احد هؤلاء الرجال الجدد يطالبهن بالتفتيش على أوعية الطهي ليتأكد من خلوها من



الحشرات. وكان الفتيان كلما قاموا بجولة استكشافية حول سور القرية عثروا هناك على مئات المواضع التي تشكو من سوء الترميم وفقا للمعايير الدقيقة التي حددوها. وتوجه بضعة عشر منهم سوية الى بئر القرية فاستخرجوا منها ملء دلاء عدة، تذوقوها بعناية من قرعة الاغتراف للتحقق من احتوائها اي ملوحة او اطماء او أي شيء آخر غير صحي. فخاب ظنهم، ولكنهم، على رغم ذلك، افرغوا البئر من الاسماك والسلاحف المائية التي كانت فيها لتتغذى على الحشرات وتبيدها، وابدلوها باسماك وسلاحف أخرى جديدة.

وعندما كان يأتي دور كونتا في حراسة القرية، كان يتوجه عند هبوط الليل الى خارج سورها عبر الشجيرات الشائكة المتراكمة خلفه والاوتاد المدببة المغروسة تحتها، الى ان يبلغ المخبأ المتستر بأوراق الاشجار فيكمن فيه لمراقبة الجوار والسهر على سلامة القرية من اي مكروه يهددها. وذات ليلة، بعد انقضاء عام كامل على تخرجه في تدريبات الرجولة، ذهب كونتا الى موقع حراسته وتزوّد هذه المرة ببلطة اضافة الى حربته وقوسه وسهامه، لاعتزامه اختيار بعض الاخشاب في صباح الغد وقطعها وتجفيفها ليجعل منها اطارا لطبل كبير للقرية. وحين

بلغ موقع الحراسة، تسلق بسرعة القائم الخشبي المتين الذي يحمل منصة المراقبة على ارتفاع مترين ونصف متر تقريبا٠

وكان كونتا في أوائل عهده بنوبات الحراسة الليلية المنفردة يتوهم ان كل حركة، سواء صدرت عن قرد او ضبع أو فهد، هي نذير باقتراب عدو، ولكن ليالي المراقبة الطويلة شحذت أذنيه وعينيه الى حد بعيد، حتى أصبح في مقدوره ان يوكل الى حاستيه البصرية والسمعية أمر الرقابة اليقظة من دون الاضطرار تقريبا الى الاستعانة بالارادة، فيتسنى له بذلك ان يطلق لذهنه العنان في سبر افكاره الخاصة٠

راح كونتا، منذ بلوغه مرحلة الرجولة، يفكر في القيام برحلة من نوع نادر، متمنيا لو وطئت قدماه تراب ذلك المكان الذي يسمى مالي، حيث نشأت، حسبما يقول أبوه عمر وأعمامه، عشيرة كينتي منذ ٣٠٠ أو ٤٠٠ موسم ماطر٠ وكان معلم المدرسة رسم خريطة لرحلته، وقدر انها ستستغرق قمرا كاملا تقريبا في الذهاب والاياب٠ ومن ذلك الحين اخذ كونتا يرسم مرارا وتكرارا هذه الخطة على تراب ارضية كوخه ويدرسها بكل عناية٠ ولم يلبث ان دوى فجأة نباح كلبه فتطايرت الافكار من رأسه، ووقف على منصته، وراح يصرخ ملوحا بذراعيه ليطرد القردة الكبيرة التي استجمعت شجاعتها واندفعت من وسط الاعشاب المتنامية في جوار الحقول لتختطف بعض الفول السوداني ثم تكر راجعة الى الاختفاء في الآجام٠ وقد شنت القردة غارتين أخريين من هذا الطراز في تلك الليلة، ولاحظ كونتا أن جرأتها قد ازدادت مع اقتراب الفجر٠

وما ان لاحت في المشرق خيوط الضوء الاولى حتى جمع كونتا اسلحته وحمل بلطته وهبط ارضا وقد تصلبت أطرافه قليلا، فبادر الى تليينها ببعض الحركات، ثم انطلق على طول ضفة النهر نحو دغل من أشجار المانغروف لعله يجد فيه ما يلزمه من خشب٠ ومر خلال الاشجار الاولى المتناثرة من دون اكتراث، علما منه بان الناحية الكثيفة من الدغل تتيح له مجالا أكبر للاختيار٠ وعندما بلغ مقصده أسند أسلحته وبلطته الى شجرة ملتوية الجذع، وأخذ ينتقل هنا وهناك ويجيل النظر بحثا عن الجذوع٠

وبلغ أذنيه صدى غصن جاف يتكسر بعنف ويعقبه طائر يطلق صوتا قصيرا حادا، فخيل اليه في اول الامر ان كلبه يعود على أثر تعقبه ارنبا بريا، ثم فطن الى ان الكلب لا يقوى على كسر الاغصان الجافة، فاستدار فجأة ليرى وجها شاحبا مختلط الملامح يندفع صوبه، ولمع فورا في ذهنه شيئان: التوبوب وسلاحه البعيد عن متناول يده٠

وساوره القلق: "يخطفونني... يأكلونني؟" وانطلقت قدمه الى أعلى فأصابت التوبوب في بطنه، لكن شيئا ثقيلا من الخلف هوى محتكا برأسه ثم هبط على كتفه فانفجر منه الالم٠ واذ بالتوبوب الذي ركله كونتا ينحني ويهوي الى الامام، وما ان استدار كونتا وهو يضرب بقبضتيه حتى رأى رجلين أسودين من "السلاتي" (مساعدي البيض) يصحبهما توبوب

آخر ينقض بهراوة قصيرة غليظة، تفاداها كونتا بوثبة جانبية خاطفة.

واندفع الاسودان نحوه، وكان عقله يتوجع في طلب السلاح، أيا يكن السلاح - فوثب كونتا فيهما يخدش هذا وينطح ذاك ويكيل الضربات لكليهما بركبته يحاول قلع عيونهما باصابعه، واذ سقط الثلاثة معا ارضا هبطت على ظهره ضربة هراوة أخرى واندفعت ركبة تسحق كليتيه حتى شهق من الألم. والتقى فمه المفتوح بلحم فأطبق عليه أسنانه يقطع ويمزق، ووقعت أصابعه على وجه فأغار أحدها في عين تلمسها، ثم أحس بضربة هراوة ترطم رأسه، فدارت به الدنيا وتناهى الى سمعه صوت كلبه يعوي مستنجدا، فهب واقفا وهو يتلوى ويبدي حركات سريعة ليتفادى الضربات، وقد نزف رأسه بغزارة، ولمح واحدا من التوبوب واقفا قرب الكلب الذي تحطمت جمجمته.

واتقد غيظ كونتا، فهجم على التوبوب وكاد ان يختنق من رائحة هذا الرجل الكريهة، وحاول في استماتة ان ينتزع منه الهراوة. وراح يؤنب نفسه: لماذا لم يسمعهم؟ ولم يحس بهم؟ ولم يشم رائحتهم؟ ولاحت لعينيه في لحظة خاطفة صورة أسرته وكل أهل جوفوري، وتذكر ان المحارب الذي يموت وهو يقاتل بشجاعة يصبح في عداد الاسلاف النبلاء. وعاودته تفاصيل الاعمال التي انجزها خلال أعوامه الستة عشر. وثار على ضعفه علما منه بأنه يقاتل في سبيل شيء أعظم من حياته. ثم نزلت هراوة التوبوب الثقيلة بضربة مباشرة فوق أذنه وصدغه، افقدته صوابه.

زورق التوبوب

عاد كونتا الى وعيه بالتدريج وبجهد كبير، ليجد نفسه محكما، معصوب العينين وقد قيد معصماه قيدا شديدا خلف ظهره وربط كاحلاه الى بعضهما بحبل آخر. ورفعه مجهول ليقف على قدميه، وأحس بعصي حادة تنخسه لتحثه على السير وهو يتعثر في خطاه، وما ان بلغ ضفة النهر حتى دفعت به يد عنيفة الى داخل الزورق. وعندما رسا الزورق، عاد الى السير مرة اخرى حتى بلغ مع آسريه في تلك الليلة معسكرا حيث ربط الى عمود خشبي سميك ثم رفعت عصابته عن عينيه، وتركه آسروه وحيدا على تلك الحال. ومع اشراق الفجر استطاع كونتا ان يرى أسرى آخرين مثله مشدودين الى أعمدة مشابهة، كانوا ستة رجال وثلاث فتيات وطفلين وقد انتشرت على أجسامهم العارية الدماء والرضوض من ضرب الهراوات.

وجنّ جنون كونتا واخذ يراوح اماما وخلفا محاولا فك قيوده، لكن ضربة شديدة اخرى عادت فأفقدته الوعي. وحين استعاد حواسه مرة اخرى وجد نفسه عاريا ايضا وقد حلق شعر رأسه ودهن جسده بزيت النخيل الاحمر. وبعد برهة قصيرة، قدم الى المعسكر اثنان من التوبوب لم يرهما من قبل، احدهما قصير بدين أبيض الشعر. وجاء السلاتي (المعاونان الاسودان) وقد انتشر على ملامحهما ابتسام بشع فحلاّ ميثاق الاسرى وجمعاهم في صف واحد. واشار الرجل الابيض الشعر

الى كونتا، فصرخ كونتا رعبا حين شعر بأحد السلاتي خلفه وهو يرغمه على الركوع ويجذب رأسه الى الخلف: وتقدم التوبوب الابيض الشعر بهدوء ففتح شفتي كونتا المرتعشتين وفحص اسنانه. وعاد كونتا مرغما الى الوقوف بينما راحت اصابع التوبوب. تستكشف عينه وصدره وبطنه، ثم امسكت الاصابع بعضوه التناسلي، وأخيرا ارغمه اثنان من السلاتي على الانحناء بشدة، واحس مرتعبا بيدي التوبوب تباعدان بين ردفيه الى أقصى حد.

ومضى التوبوب الابيض الشعر يجري فحصا مماثلا لسائر الاسرى واحدا تلو الاخر، ولم يتورع عن فحص مواطن العضة في اجساد الفتيات. ثمّ اشار الى احد التوبوب الآخرين الموجودين في المعسكر ليقترب ولوّح باصبعه مشيرا الى اربعة رجال - منهم كونتا - وفتاتين.

وعاد كونتا يكافح من جديد وهو يزأر غضبا حين امسك به السلاتي السود ثانية ودفعوه الى الجلوس وظهره محنى الى الأمام. وعاوده الرعب وهو يرى احد التوبوب يسحب من النار قطعة طويلة رفيعة من الحديد، وفيما هي تحرق ظهره ارتفع صراخه وهو يتلوى في عنف، ولم يلبث المعسكر ان ردد اصداء صرخات الآخرين الذين وقع عليهم الاختيار. ثم جيء بزيت النخيل الاحمر فدهنت به علامات الحرق البيضاء التي بدت على الظهور في حرفي "ل.ل".

وبعد ايام قلائل، مشى الاسرى جميعا وهم مربوطون معا في صف واحد، تحثهم هراوات السلاتي التي تهبط فورا على اي شخص يتباطأ. وقد اكتسى ظهر كونتا وكتفاه بالرضوض والدماء حين وضع الاسرى في قوارب انطلقت بهم مجاديفها في حلك الظلام. وما ان ابصرت عينا كونتا ذلك الهيكل الداكن الضخم الذي يتوجهون نحوه ثار من جديد على قيوده، فأخذت ضربات الهراوات الثقيلة تتهاطل عليه كالمطر بينما كان القارب يصطدم بجانب الهيكل، ثم سمع صيحات كثرة من التوبوب تأتي من أعلى، والتفت حوله حبال عجز عن مقاومتها، ووجد نفسه يرتفع نصف مدفوع ونصف مجذوب على سلم من الحبال.

ولمح كونتا في ضوء المصابيح الظليل الضارب الى الصفرة ذلك التوبوب القصير البدين الأبيض الشعر يدون بهدوء ضربا من العلامات في دفتره، ثم وجد نفسه مدفوعا على نزول درجات خشبية فكادت ان تزل به قدمه، وادت به الى مكان حالك الظلام تتصاعد منه رائحة العفن بما لا يتصوره العقل، ودوت أذناه بأنات الكرب الصادرة عن مجموعة كبيرة من الرجال. وجاءته دفعة عنيفة رمته الى اسفل راقدا على ظهره، فتوهم للحظة خاطفة انه يحلم، ثم تداركته رحمة الوقوع في الغيبوبة.

"أعنّي يا الله!"

لم يكن كونتا يصحو من غيبوبته حتى اخذ يسائل نفسه عما اذا كان قد مسه الجنون. فها هو يرقد عاريا بين رجلين اخرين تهزه الرجفة وتكبله السلاسل في ظلام دامس يطفح بالحرارة ورائحة العفن ويسوم جنباته كابوس مروع تختلط فيه اصداء

البكاء والصلاة والقيء. واحتك خده بجلد جرذ سمين فاندفع برأسه الى اعلى، واذا به يصطدم بسقف لا يكاد ارتفاعه يزيد على ثلاثين سنتيميترا. واصابته الصدمة بدوار فشهق الما وتكوم في مكانه يشتهي الموت:

"انني اسير مثل الفهد الواقع في الفخ!" واخذ يقاوم الهلع، وظن ان هذه الظلمة الكريهة تضم كثيرا من الرجال المكبلين بالسلاسل على رفوف هذه الالواح الخشنة، وربما كان بعضهم يرقد على رفوف يقل علوها عن الرف الذي يرقد عليه. وسمعهم يتحدثون بخليط من اللغات، منها: الفولاني والسيريري والوولو والماندينكا. وكان الرجل الراقد الى يمينه والمقيد اليه من رسغه وكاحله يهمهم لنفسه في غضب بلغة الوولوف، اما ذلك الراقد الى يساره فلم يكن يصدر عنه سوى أنين مستمر.

ورقد كونتا فترة ينتحب وقد تخدر عقله وعلى رغم عجزه عن الجثو، او عن الاهتداء الى ناحية الشرق، الا انه اغمض عينيه وتضرع الى الله ملتمسا منه العون.

وكانت الظلمة التي تلفه في قاع السفينة الضخمة لا تتيح له ان يعرف ما اذا كان الوقت نهارا ام ليلا، الا عندما تنفتح الكوة في أعلى الدرج ليهبط منها عادة أربعة من التوبوب، اثنان منهم يحملان السياط والمصابيح والآخران يدفعان بأواني الطعام عبر الممرات فوق الاقذار

المتراكمة بين الرجال المقيدين بالسلاسل الى بعضهم البعض. غير ان كونتا اطبق فكيه في تحد عنيد، مفضلا ان يموت جوعا، حتى بلغت الام معدته حدا اصبح الجوع معه عذابا لا يقل هولا عن الامه الاخرى.

وبعد ايام، التقطت اذنا كونتا، على اثر وقت الطعام، صدى تردد فوق رأسه من خلال الواح الخشب، وكأنه اقدام كثيرة تتحرك بسرعة جيئة وذهابا، ثم بلغه صرير شيء ثقيل يندفع ببطء الى اعلى. ولم تلبث احشاؤه ان تقبضت فزعا حين ادرك: "ان هذا المكان يتحرك ليمضي بنا بعيدا!"

وفجأة، تملكت الاسرى المقيدين في قاع السفينة نوبة عنيفة من الصراخ، وراحوا يضربون رؤوسهم بألواح الخشب ويخشخشون بسلالهم. وصاح كونتا وسط هذا الهرج والمرج: "يا الله، اسمعني! ساعدني!". وحين بح صوته من الصراخ، ظل عقله يصرخ في غيظ وعجز: "الموت للتوبوب!"، ثم همد في مكانه اعياء واخذ ينتحب.

وحين ارتفع صرير الكوة ايذانا بفتحها مرة اخرى، ترددت في ذهنه جملة قالها الكينتانغو ذات مرة: "يجب على المحاربين ان يتغذوا جيدا كي تتوافر لهم قوة كبيرة". ورأى ان الضعف الناتج من الجوع لن يتيح له ان يقتل التوبوب ولذلك، فعندما وضع الى جانبه وعاء الصفيح هذه المرة، دفع كونتا بأصابعه في العصيدة السميكة من دقيق الذرة المغلي وزيت النخيل، واخذ يبتلعها على مضض قبضة بعد اخرى حتى احس بالطعام وقد اصبح مثل الكتلة المتحجرة في بطنه، ولم تلبث ان اصابته نوبة عنيفة من القيء المتكرر.

رقصة الموت

وتوالت الايام على الاسرى وهم مقيدون في قاع السفينة، فتراكمت عليهم الاقذار من قيئهم وافرازاتهم وبرازهم وهم يئنون بلا حول ولا قوة، وتكاثر عليهم القمل بالملايين واصبح يزحف من حولهم في كل مكان. واخيرا، هبط من الكوة ثمانية من التوبوب العراة وهم يشتمون ويلعنون بأصوات عالية، وكانوا يحملون بدلا من الطعام فؤوسا طويلة الايدي ودلاء كبيرة، ومضوا يتحركون كل اثنين معا على طول الممر وهم يمدون فؤوسهم الى رفوف الاسرى ويجرفون بها الاقذار المتراكمة ليجمعوها في الدلاء. بيد انهم حين انتهوا من مهمتهم لم يبد اي فرق في مستوى الرائحة الكريهة الخانقة التي تملأ بطن السفينة. وبعد ذلك بفترة قصيرة نزل عدد كبير من التوبوب، قدر كونتا انه يبلغ العشرين من قرقعة اقدامهم على الدرج. وكان بعضهم يحملون سياطا وبنادق، تلك الاسلحة المعدنية التي ينطلق منها النار والدخان والتي طالما سمع كونتا اخبارها من الناس وهم يتحدثون عن التوبوب في جوفوري. وتجمعت في احشائه عقدة من الخوف حين بلغت اذنيه الاصداء المعدنية الغريبة، واعقبتها قعقعة ثقيلة. وفجأة، فكت قيود الكواحل وبدأ كاحله الايمن يرتجف. ثم بدأ التوبوب يصيحون ويضربون بالسياط من حولهم. وسمع كونتا اصوات الاسرى يتوسلون

بلغاتهم المختلفة الى التوبوب كي لا يأكلوهم.

وبدأ الرجال يتحركون كل اثنين معا مقيدين من معصميهما، وينزلون من الرفوف الى الممرات زوجا وراء زوج، وتقبضت عضلات كونتا التي طال خمولها بالالم، وتلقى هو وزميله في القيد دفعات وركلات في الظلام. وحين تعثر وهو يصعد الدرج، صدمه ضوء الشمس بقوة كالمطرقة فأعماه. وتلمس طريقه الى الامام، وفتح شفتيه المشققتين وهو ينهل هواء البحر المالح فتقبضت رئتاه واوشك على الاختناق. وهوى فوق سطح السفينة مع رفيق قيده الذي ينتمي الى قبيلة "الوولوف".

وبدا التوبوب في النور اكثر بشاعة وشحوبا من شكلهم في جوف السفينة المظلم، وظهرت الوان شعرهم الطويل الاصفر والاسود او الاحمر، بل كان لبعضهم شعر ايضا حول افواههم وتحت ذقونهم وفي وجوه بعضهم الآخر واجسادهم ندوب قبيحة من آثار الطعن بالمدى والنصال، وبينهم من فقد احدى يديه او احد اطرافه او احدى عينيه، كما كانت تنتشر على ظهور الكثيرين منهم ندوب متقاطعة عميقة من اثار السياط. وكان عدد كبير من التوبوب يقفون على مسافات متساوية على طول اسوار السفينة وهم يحملون سيوفا او بنادق. والتفت كونتا فرأى حاجزا عاليا من الخيزران ممدودا بعرض السفينة الضخمة، وقد برزت عند وسطه فوهة مدفع سوداء.

وللمرة الاولى تمكن كونتا من مشاهدة فريقه الوولوف في النور. وكان الرجل في مثل حاله، هو، قد اكتسى جسده بطبقة سميكة من الاقذار الجافة، وكان الصديد ينزف من الدمغة التي طبعت على ظهره بحرفي "ل.ل". وأجال كونتا نظره في ما حوله فرأى رجالا اخرين، وقد اشتد بهم العناء.

ثم ربط الاسرى بالسلاسل معا من خلال قيود كواحلهم مجموعات تضم كل منها عشرة افراد، واغرقوا في اغتراف الدلاء من ماء البحر، بينما راح التوبوب يحفون اجساد الرجال العارية بفراش مستطيلة الايدي. وصرخ كونتا متألما حين مسه ماء البحر فلسعه كالنار في آثار السياط المنتشرة في جسده، ثم صرخ مرة اخرى فاخذت الجروح تنزف من جديد. عندما راحت شعرات الفرشاة الغليظة تمزق القرف (قشور الجروح) اللاصقة بظهره وكتفيه، وجمع كونتا ورفاقه وسيقوا كالقطيع عائدين الى منتصف متن السفينة، حيث انهاروا على الارض رعبا في كتلة واحدة.

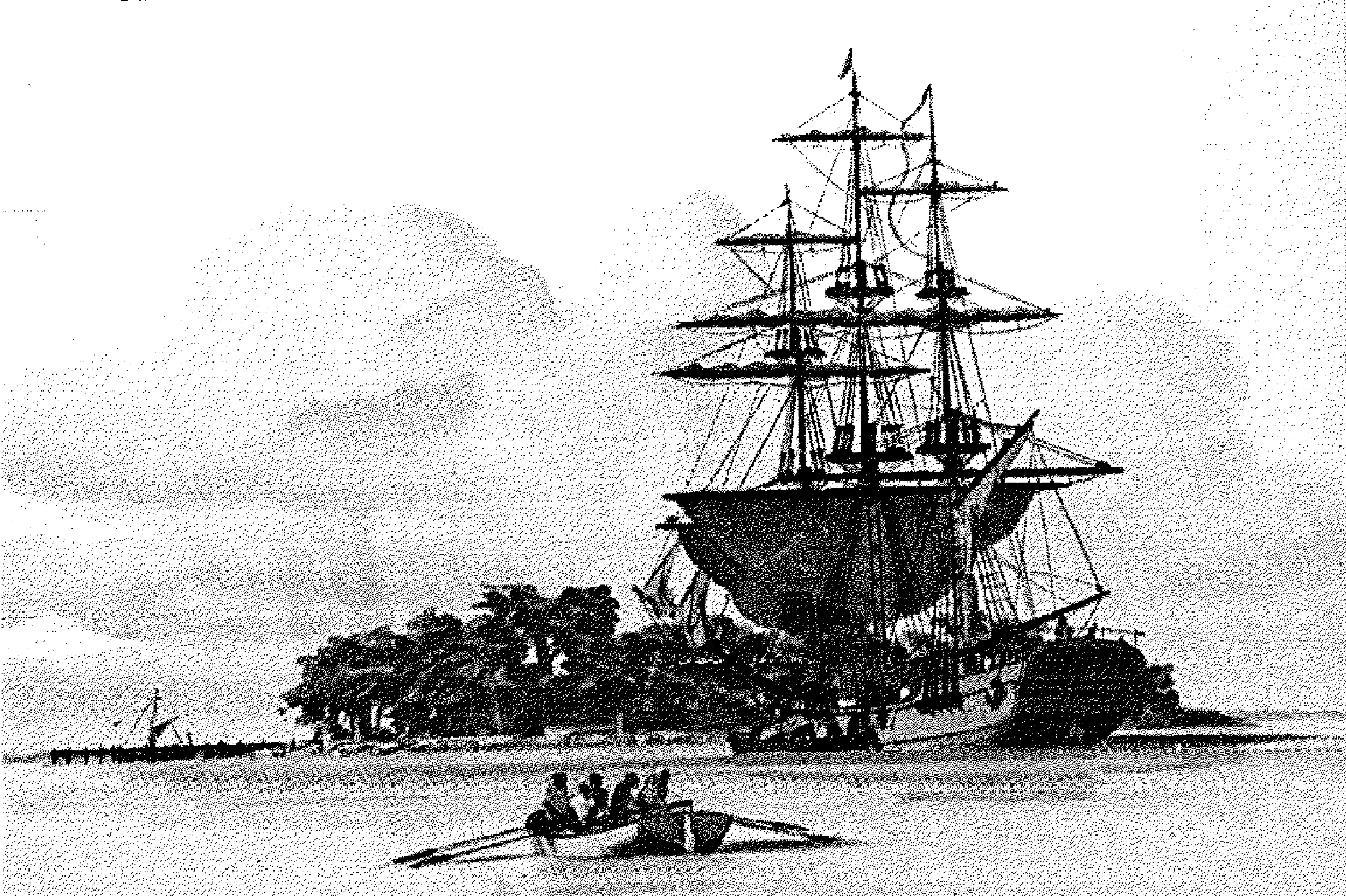
وعلا فجأة صراخ نساء لم يلبث ان هزّ دهشة الرجال المقيدين فهبوا واقفين، ورأوا قرابة عشرين امرأة يقبلن راكضات من خلف الحاجز وهن عاريات وبلا قيود. ولاحظ كونتا في ثورة من الغضب ان التوبوب ينظرون شزرا اليهن بخبث ووقاحة. ثم اخذ احد التوبوب الواقفين قرب سور السفينة ينشر ويطوي بين يديه شيئا غريب الشكل تصدر عنه موسيقى صافرة، وراح اخر يدق على الطبل، بينما مضى توبوب اخرون يقفزون قفزات قصيرة على ايقاع دقات الطبل وهم يلوحون للرجال المكبلين الذين صعقهم الرعب بان يفعلوا مثلهم.

وفجأة ، صرخت كبرى النساء بلغة الماندنيكا: "اقفزوا! اقفزوا حالا واقتلوا هؤلاء التوبوب!"، وراحت المرأة تثب وتنطلق ذراعاها بحركات رقصة المحاربين. وعندما استقر مغزى كلام المرأة في نفوس المكبلين بدأوا يثبون زوجا بعد اخر في ضعف متعثر وسط جلبة السلاسل وقرقعتها وهي تصطدم بسطح السفينة. واحس كونتا ان ساقيه لم تعودا تحملانه واصبحتا كالعجينة اللينة تحته وهو يستمع الى غناء النساء من دون ان يتبين ما يقلنه بوضوح، ثم ادرك فجأة انهن يقلن في غنائهن ان التوبوب كانوا يأخذونهن الى اركان السفينة المظلمة ويقضون معهن وطرهم. وصاحت النسوة "الموت للتوبوب!" ورحن يثبن الى اعلى في عصبية متشنجة، بينما يصفق التوبوب ضاحكين مهللين.

"يجب ان نصبح قرية!"

بعد ان عاد كونتا الى قيده وسلاسله في قاع السفينة الناضح برائحة العفن، لاحظ بالتدريج ان هناك اصواتا تتهامس في الظلام. وكان قد تبادل من قبل مع زميل قيده (رجل الوولوف) همسات حذرة بين حين واخر، فتعلم الواحد منهما بضع كلمات من لغة رفيقه كما يتعلم صغار الاطفال من فئة الكافو الاولى كلمات بعضهم بعضا. اما الآن وقد شاهد كل من الرجلين زميله في ضوء النار، فقد اصبح لهمسهما صفة جديدة، وكأنما نشأ بينهما للمرة الاولى احساس بالاخوة.

ومع ازدياد التفاهم بين الرفاق في محنة الاسر، تكاثرت الاسئلة بينهم في الظلام. وكان احد الاسئلة: "كم هي المدة التي قضيناها هنا؟" فأفضى ذلك الى تخمينات كثيرة،



حتى تمكن احد الرجال اخيرا من احصاء اضواء النهار التي كان يراها خلال فتحة صغيرة للتهوية، فقال انه قد عدّ ١٨ يوما منذ تحرك المركب الضخم واستعلم البعض عما اذا كان في قاع السفينة احد ينتمي الى القرى التي جاؤوا منها واوشك كونتا ذات يوم ان ينفجر اهتياجا عندما نقل اليه زميله الوولوف سؤالا عما اذا كان على السفينة احد من قرية جوفوري.

فهمس لاهثا: "كونتاكينتي!" وبقي متوترا ينتظر طوال الساعة التي استغرقتها عودة الرد: "نعم. لقد كان ذلك هو الاسم. فقد سمعت الطبل يعلن الحداد عليه في قريته". واخذ كونتا ينشج منتحبا حين سمع ذلك، وعقله يتمثل اسرته وهي تنتحب وتندب ابنها كونتا كينتي، الذي غاب عنها الى الأبد.

كيف يمكن مهاجمة التوبوب على المركب الضخم وابادتهم؟ وكم هو عددهم؟ لقد انقضت ايام كاملة في توجيه هذه الاسئلة والبحث عن اجابات عنها. وفي النهاية جاءت المعلومات المجدية من اغاني النساء في اثناء رقص الرجال في سلاسلهم على متن السفينة. فأفادت النساء ان هناك قرابة ٣٠ توبوب باقين في السفينة، بعد ان وضع خمسة من موتاهم في قماش ابيض خيط عليهم قبل ان تلقى جثثهم في المياه الزرقاء التي لا نهاية لها. وثار الجدل حول طريقة قتل التوبوب. واراد البعض ان يهاجموهم في المرة التالية عندما يساقون الى سطح المركب، بينما رأى اخرون ان من الحكمة التزام اليقظة والتريث. وتفاقم الخلاف المرير في الظلام المفعم بالرائحة الكريهة، حتى رن ذات يوم صوت رجل كهل يقول: "اصغوا الي! على رغم اننا ننتمي الى قبائل مختلفة ونتحدث لغات مختلة، الا اننا يجب في هذا المكان ان نتحد معا وكأننا قرية واحدة! وعلينا ان نكون كرجل واحد خلف قائدنا!" وحين سمع الجميع ذلك، ترددت هممهات التأييد والموافقة في باطن السفينة المظلم.

وتزعم رجل رهيب الشكل من الوولوف الرأي القائل بشن الهجوم على التوبوب فورا. وقد سبق للجميع ان رأوا وجه هذا الرجل على ظهر السفينة وهو يرقص بعنف في سلاسله ويكشر عن اسنانه الحادة المسنونة في وجه التوبوب الذين صفقوا له وهم يحسبونه يبتسم لهم.

اما المجموعة التي رأت وجوب التريث والاعداد اليقظ، فقد تزعمها رجل من الفولا كئيب السحنة يمتلىء ظهره بندوب السياط. ولم يكن لدى كونتا ادنى شك في قدرة رجل الوولوف الجريء الوحشي الهيئة على قيادة جيش بأكمله، ولكنه أيد اختيار رجل الفولا، لأن من الحقائق التي يعرفها الجميع ان اي رجل من الفولا على استعداد لان ينفق سنوات طوالا - بل وان ينفق عمره بكامله - كي يثأر لنفسه ثأرا قاصما اذا ما اصابه ظلم جسيم.

ولم يطل بهم الوقت حتى سيقوا مرة أخرى الى سطح السفينة، حيث حاولوا، اطاعة لامر رجل الفولا، ان يتظاهروا في تصرفاتهم بالرضا كي يخفف التوبوب من حذرهم. وعلى

رغم ذلك فقد انتاب القلق كونتا خشية ان يحس التوبوب بالفرق المتزايد في طريقة رقصهم، لأنهم لم يعد في مقدورهم الآن ان يمنعوا اجسامهم من عكس الخواطر التي تدور في أعماق اذهانهم. ولم يبد على التوبوب المبتسمين ما يدل على ان الشك قد تطرق الى نفوسهم.

وذات يوم وهم على سطح السفينة، جمد كونتا دهشة في مكانه وهو يرقب الاف الاسماك تطير فوق سطح الماء مثل الطيور الفضية، حتى انتزعته من تأمله فجأة صرخة عالية مثل صرخة الحيوان، فدار على عقبيه بسرعة ليرى رجل الوولوف العنيف وهو ينتزع البندقية من احد التوبوب ويلوح بها في الهواء كأنها هراوة، ثم يهوي بها على رأس التوبوب في ضربة عنيفة تناثرت لها جمجمته. واستمر الوولوف يزأر في غضب وينقض ضربا على التوبوب الآخرين الذين تجمعوا من حوله ليهاجموه، حتى لمع في الهواء نصف سيف، وسقط رأس رجل الوولوف منفصلا عن جسده، ثم انفجرت ماسورة المدفع السوداء الضخمة بزئير كالرعد وخرجت منها موجة من الحرارة والدخان فوق رؤوس الرجال المقيدين، فصرخوا وتساقطوا فوق بعضهم البعض في كومة يضمها الخوف والارتعاب.

وارتفعت صيحات التوبوب وهم يسارعون بدفع الاسرى المقيدين نحو الكوة ببنادقهم وسيوفهم. وقبل ان يدرك الرجال ما حدث، وجدوا انفسهم مرة اخرى في بطن السفينة مقيدين بالسلاسل في أماكنهم المظلمة، وقد اطبقت عليهم فتحة الكوة. وانقضت فترة طويلة قبل ان يجرؤ احد حتى على الهمس. وامتلأت نفس كونتا بالمرارة وهو يتساءل: لماذا لم تصدر الاشارة بالهجوم. واتضح من الهمهمات المطردة الارتفاع حوله ان كثيرا من الرجال يشاطرونه افكاره. ولم تلبث الكلمة ان جاءت من رجل الفولا بان الهجوم سيجري في المرة المقبلة عندما يساقون الى سطح السفينة لغسل ابدانهم.

ولكن كونتا سمع في تلك الليلة صوتا جديدا يأتيه من سطح السفينة، فاعتقد ان الرياح العنيفة تتلاعب بقطع القماش الكبيرة البيضاء (القلوع) المنتصبة فوق السطح بشدة تفوق المعتاد، ثم بلغ سمعه صوت آخر وكأن قطرات المطر تطرق سطح السفينة. وبدأت السفينة الضخمة تتأرجح وترتج بلا انتظام. بينما تعالت من الرجال صرخات الالم مع احتكاك اكتافهم واذرعهم والياتهم المتقرحة الدامية بالالواح الخشنة.

وشعر كونتا وهو على حافة الغيبوبة بصوت الماء يتسرب بكميات كبيرة الى جوف السفينة، واعقبت ذلك طرقات الخطوات، وتلاها صدى صوت اشبه بقماش ثقيل ينسحب عبر السطح، الى ان انخفض صوت الماء المتساقط عندما غطيت الفتحات. ولكن الحرارة والرائحة الكريهة اصبحتا محصورتين في جوف السفينة، فأخذ كونتا يشهق مكافحا كي يتنفس وقد انتابه الغيثان.

وعاد الى وعيه في تلك الليلة ليجد نفسه فوق سطح السفينة وهو يتنفس

باضطراب هواء البحر المنعش. ورأى في ضوء المصابيح بعض التوبوب وهم يصعدون متعثرين خلال الكوة لانـزلاق اقدامـهـم فـي الـقـيء، ويسحبون اجساما هامدة مقيدة على السطح ليلقوا بها على الارض قريبا منه. وكان المركب الضخم لا يزال يتأرجح بشدة تعذر معها على رئيس التوبوب الابيض الشعر ان يحافظ على توازنه وهو يدقق فاحصا الاجسام الملقاة على السطح، وكان يشتم ويلعن بمرارة في بعض الاحيان، ويصرخ آمرا، فيأتي توبوب آخرون يسحبـون جسـدا هامـدا الـى سـور السفينة ويلقون به في المحيط. فقد لقـي اولئـك حتفهـم فـي الجحيـم السفلي، وقد حسد كونتا على هذا المصير.

الهذيان

صفا الجو مع بزوغ الفجر، فاجال كونتا النظر حوله بتثاقل ليرى رفاقه الاسرى مستلقين على سطح السفينة وبينهم كثيـرون تنتابهـم تقلصـات شديدة، وكان رئيس التوبوب يتنقل بين الرجال المكبلين بالسلاسل ليضع الادهنة والمساحيق على جروحهم، ويفتح في بعض الاحيان افواه الرجال عنوة ليدفع الى حلوقهم بسائل من قنينة سوداء، وعندما اقترب التوبوب من كونتا ليضع شيئا كالوهن على جسده حول كونتا نظره الى الناحية الاخرى، مفضلا لسع السياط على ملمس هاتين اليدين الشاحبتين.

وقضى الايام التالية في ضباب من الالم والمرض، مستلقيا في مكانه من قاع السفينة وسط الاقذار وهو لا يعرف ما اذا كانت قد انقضت عليه في احشاء سفينة التوبوب اشهر او عام بأكمله، لان الرجل الذي كان يعد الايام مات كما مات رفيقه في القيد، وجاء التوبوب ففصلوه عن كونتا وسحبوا جسده المتصلب الى حيث لا احد يدري. وظل كونتا راقدا وقد شل الخوف والصدمة جسده، ومضى يصرخ في الظلمة: "الموت للتوبوب!" بعد ان بلغ المرض والضعف منه مبلغا لم يعد يكترث معه كثيرا لقتل أي شخص.

وطرأ حادث جديد عندما اصبح عدد من الرجال الذين في بطن السفينة يصرخـون صرخـات اليمـة مخيفـة، ويخرج من امعائهم خليط من كتل الدم والمخاط الاصفر السميك. وحين اقبل التوبوب الذين يحملون الطعام ورأوا وشموا للوهلة الاولى رائحة هذا الافراز العفن، بدا عليهم الاضطراب الشديد. وبعد بضع دقائق هبط رئيس التوبوب، وفـي فمـه كيـس كافـور يمسك به بين اسنانه الا انه لم يلبث ان انتابه الغثيان، واصدر اوامره باشارة حادة من يديه فحمل اعوانه المرضى الجدد الى اعلى من خلال الكوة.

ولكن ذلك لم يجد فتيلا، لان عدوى الافراز الدمـوي انتشـرت بسرعـة، ونقلت معها الى معظم الرجال آلاما شديدة في الرأس والظهر وحمى ملتهبة ورعدة مرهقة. وحين احس كونتا بالاحتراق الفظيع في امعائه انفجرت مـن حلقـه صرخـات الالـم لتضيف المزيد الى الضجيج الرهيب المتصاعد من بطن السفينة. وانتابه الهذيان فاخذ يصيح باسماء ابيه وجده: "عمر - عمر ثاني الخلفاء هو الثالث بعد محمد رسول الله القريب

الى اللـه· القـريـب الـى اللـدرجـل الاسلام"·

ودرجت العادة في كل يوم ان يسحب المرضى المقيدون بالسلاسل الى الهواء الطلق على سطح السفينة بينما يحمل التوبوب دلاء ملأى بالخل والقار المغلي لتبخير بطن السفينة· وعلى رغم ذلك فقد كان كل يوم يحمل معه الموت الى شخص او اكثر يلقي بهم في البحر، ومن بينهم احيانا بعض التوبوب·

وذات يوم، عندما صعد كونتا الى النور والهواء، رأى في غير وضوح ان قطـع القمـاش البيضـاء الكبـيـرة (الاشرعة) المنشـورة علـى الاعمـدة العالية تبدو متهدلة مرتخية· وكانت الرؤية صعبة، لان عيني كونتا اللتين كانتا حادتـي النظـر اصبحـتـا الان ممتلئتين بافراز صمغي اصفر، ولكن المركب الضخم بدا ساكنا تقريبا فوق طبقة من اعشاب البحر الذهبية اللون، بعد دخوله بحر سارجاسو (منطقة في المحيط الاطلسي تسكنها الرياح في بعض الاحيان)·

وتوقفت ضربات السياط، عن ظهور الرجال، واصبحوا يحظون بمقدار اكبر من الطعـام والمـاء· وكـان بحـارة السفينة يجتذبون الاسماك الطائرة كل ليلة بالمصابيح فينالون منها قرابة ٥٠ كليوغراما في كل مرة، يضاف لحمها الى جريش الذرة الذي يقدم الى الاسرى· وعلى رغم ذلك فقد جاء في النهاية وقت عجز كونتا عن الاكل من دون معونة، لان بقايا العضلات في ذراعيه لم تعد تمكنه من رفع يديه لكي يتناول الطعام باصابعه من صحفته· وهنا جاء احد التوبوب فوضع في فم كونتا انبوبة مجوفة واخذ يصب الحساء في طرفها الآخر·

واخيرا بدأ النسيم يهب، وعاد المركب الضخم يشق عباب الماء بصوت كالفوران· ومع مرور الايام احس كونتـا بنـوع مـن الاضطـراب يسري بين التوبوب· وذات صباح بدا على وجوههم الابتهاج الشديد وهم يندفعون الى جوف السفينة ليساعدوا الرجال المرضى على الصعود من خلال الكوة· وحين تغلب كونتا على انبهار عينيه بضوء الصباح الباكر رأى جميع التوبوب الآخرين يضحكون ويهتفون ويشيرون بأيديهم في فرح بالغ· وظل كونتا يركز عينيه المليئتين بالافراز الصحفي وينظر من بين ظهور رفاقه المليئة بالقشور والقروح والقمل، ثم جمد في مكانه فزعا·

فقد ظهرت له على البعد غائمة كالضباب، قطعة من ارض الله لا تخطئها العين·

ارض "توبوب دو"

حين بدا للعين ميناء كيب هنري في ولاية فيرجينيا ، دخل الكابتن توماس ديفيز، قمرته وبدأ يعرض رحلته بأكملها، وهي اول رحلة يقوم بها كربان بعد سنوات عدة قضاها ضابطا على سفن الرقيق· وكانت الرحلة ايضا هي اول رحلة لسفينته المسماة "لورد ليفونر" التي بنيت قبل اقل من عامين في مستعمرة نيو انغلاند والتي يبلغ طولها ٢١ مترا تقريبا وحمولتها ١٥٠ طنا·

واستخرج الكابتن ديفيز وثيقة من درج مكتبه وأخذ يعيد قراءة امر الابحار الصادر اليه: "اننا نطلب اولا الا يؤخـذ مـن الزنـوج الا الشبـاب

سوني
SONY



KV-2012ME

في البداية ترينيترون، والآن بيتاماكس
سوني تعطيك الابتكار العظيم تلو الآخر



SL-8000E
بال / سيكام
للتسجيل وإعادة المشاهدة

في البداية انطلقت سوني بتكنولوجيا الفن التلفزيوني الى مستوى جديد بواسطة تلفزيون ترينيترون الملون. هذه التكنولوجيا تقدم لك الآن بيتاماكس، أول مسجل تلفزيوني للبيت. أربط بيتاماكس بجهازك التلفزيوني لتسجيل أي شيء ترغب بمشاهدة عرضه من جديد.
فإذا كان لديك برنامجان مفضلان في نفس الوقت، يمكنك مشاهدة احدهما في الوقت الذي يسجل فيه بيتاماكس الآخر.
ولتسجيل البرامج المفضلة أوتوماتيكيا وأنت خارج البيت، ما عليك إلا ضبط جهاز الوقت اليومي كما وإن بإمكانك مشاهدة عرض التسلية المسجل مسبقا في أي وقت تشاء. حول غرفة الجلوس الى مسرح في البيت بواسطة الأفلام العادية والرومانسية. والبرامج العائلية من مختلف الأنواع.
بيتاماكس يستخدم أصغر فيديو كاسيت وأوفره كلفة في العالم. وهو سهل التوضيب والتعامل معه، وبالرغم عن أنه يتسع لشريط أطول من أي كاسيت آخر بالنسبة لحجمه، ويدوم أكثر من ثلاث ساعات.
كما وإن جهاز بيتاماكس يو-لودنغ الذي أنتجته وطورته سوني، أثبتت التجربة أنه الأشد اعتمادا والأكثر متانة وحمولة اذاعية بين سائر أجهزة التسجيل التلفزيوني.
عشرون عاما من الاختبار في حقل التكنولوجيا، حققت لك أولا الترينيترون، وتحقق لك الآن بيتاماكس... الابتكار العظيم بعد الآخر.

Sony Betamax سوني بيتاماكس
شاهد ما فاتتك مشاهدته

قسيمة اشتراك

اشترك في المجلة التي يقرأها أكثر من ١٠٠ مليون في ١٥ لغة

املأ هذه القسيمة وارسلها مرفقة بالقيمة المطلوبة الى "المختار" فتصلك المجلة فوراً.

الأسم	NAME
العنوان	ADDRESS
....	
....	
المهنة	PROFESSION
التوقيع	SIGNATURE

أود الاشتراك في "المختار" لمدة سنة كاملة
أرفق قسيمة إشتراكي بشيك مصرفي بأسم:

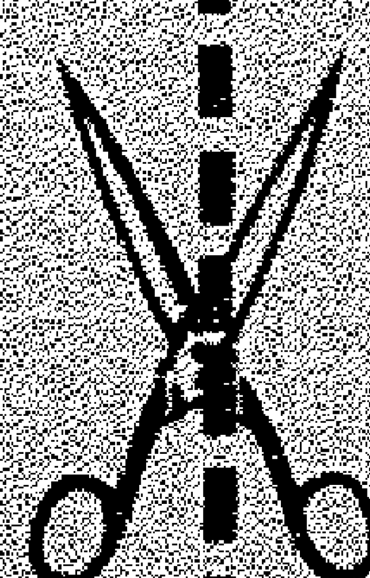
AL MUKHTAR min Reader's Digest

قيمة الاشتراك السنوي بما فيه بدلات الارسال الجوي:

☐ أوروبا وشمالي افريقيا	٢٢ دولاراً أمريكياً
☐ البلدان العربية	٢٥ دولاراً أمريكياً
☐ الولايات المتحدة - كندا وامريكا الجنوبية	٢٧ دولاراً أمريكياً
☐ أوستراليا والبلدان الأخرى	٣٠ دولاراً أمريكياً

عنوان "المختار":

AL MUKHTAR min Reader's Digest
37, Avenue George V, 75008 Paris, FRANCE



الاصحاء الاقوياء ذوي التكوين السليم والابدان المتينة وثانيا اي شحنات اخرى يمكن ان يوجد لها فراغ بسبب نقص عدد العبيد المأخوذين"٠

ولما كان الكابتن الابيض الشعر صريحا مع نفسه الى ابعد حد ممكن، فانه لم يجد بعد المراجعة انه قد ارتكب اي خطأ يعتد به٠ اما العاصفة والمرض، والموت التي اختطفت ٤٢ من الزنوج وعددا من بحارته، فقد رأى انها جميعا امور مرهونة بمشيئة الله٠ وسوف يعود على اصحاب السفينة ربح ضخم من الـ٩٨ عبدا وعبدة الذين بقوا على قيد الحياة٠ اما اجره هو فيبلغ ١٢٠٠ دولار يضاف اليها ٣٠ دولارا عن كل عبد يسلمه٠

وكان الكابتن ديفيز قد ابحر بسفينته "لورد ليفونر" في البداية من ميناء انابوليس الى ميناء غريفسند في انكلترا بحمولة من شراب الروم لم يجد صعوبة في بيعها، واشترى بجزء من ارباح تلك الصفقة ٤٥٠ مجموعة من اصفاد المعاصم والكواحل، واثنتين وسبعين قطعة من سلاسل القيد طول كل منها ستة امتار، وحديدتين للوصم عليهما الحرفان الاولان من اسم السفينة، وكمية كبيرة من السلع الرخيصة الزاهية الالوان لاستخدامها في التجارة في ساحل افريقيا٠

وبعد ان اضاف الى بحارته عددا من الرجال، ابحر بسفينته متوجها الى افريقيا في شهر يوليو (تموز) عام ١٧٦٦٠ وجهزت السفينة في اثناء الطريق لاستقبال العبيد، اذ رفع النجار فتحات التهوية على السطح وبنى رفوفا طويلة من الالواح في العنبر السفلي، ثم استخدم المسطرة والدهان ليحدد على هذه الرفوف مسافات عرض كل منها ٤٠ سنتيمترا للعبد الواحد٠ وتولى المدفعي صنع قذائف للمدافع المتحركة، واستخدم الضابط اشرطة من الجلد الخام ليجدل منها كمية من السياط ذات الشعب٠ وبعد ثمانية وستين يوما قضتها السفينة في بطء وخيبة لعبور المحيط، رأى الربان ديفيز الارض، ودخل بها في مصب نهر غامبيا حيث دفع ضريبة لملك ايساو الاسود الذي يحكم المنطقة، ثم صعد بالسفينة في النهر حتى رسا بها امام قلعة "فورت سانت جيمس" التي تملكها بريطانيا، والتي كان يشحن منها قرابة ٢٠٠٠ من العبيد سنويا٠

وحرص ديفيز بادئ الامر، على ايفاد عدد من رجاله الى الشاطيء لشراء الخشب والقش من اشجار "المانغروف" لكي يقيم منها حاجزا فوق سطح السفينة، يركب في فتحة من احد جدرانه مدفعا متحركا تحوّطا لثورة قد يقوم بها العبيد في عرض البحر٠ ثم زار الربان عددا من السفن الاخرى الراسية في الميناء، فأنذره ربابنتها بان اسعار العبيد مرتفعة وتبلغ ١٢٥ دولارا للشاب، منهم، وان المعاونين السود لم يعودوا يقبلون الحلى الرخيصة ثمنا لمعاونتهم، وانما هم يصرون على النقود ولا يرضون بغيرها، غير ان ديفيز صمم على الامتناع عن دفع مثل هذه الاسعار الباهظة مؤثرا ان يستوفي ثمن حمولته بسرعة فاختار الاعتصام بالصبر، وشراء عبيده واحدا واحدا بعد التدقيق والتمحيص والاقتصار

على شراء الزنوج الذين يكفلون له الحصول على أعلى الاسعار في انابوليس.

وذهب ديفيز بعد ذلك لفحص بعض العبيد، فاشترى شابين منهم من الطراز الممتاز، ذكر وانثى، وتحمل صراخهما عندما احرقت حديدتا الوصم الجديدتان لحمهما بين الكتفين لدمغ جسديهما بحرفي "لل" رمز السفينة، وحين بلغ بهما السفينة، دون في سجلها العبارة التقليدية التي ترمز الى اول ذكر وانثى في الكون: "آدم وحواء على ظهر السفينة".

واستمر ديفيز يتعامل مع تجار الرقيق من الافراد، ويحصل منهم على العبيد الذين يختارهم، الا ان تعاقب الاشهر قد اضطره الى التعامل على نحو متزايد مع وكالات العبيد الكبيرة الباهظة الاسعار، وكان عددها يبلغ الثلاث عشرة على طول نهر غامبيا، يتولى عادة ادارتها ربابنة سابقون فاشلون ويتولى حراستها خفراء من السلاتي (المعاونين السود). وكانت هذه الوكالات تشتري العبيد باسعار الجملة. فتستولي على مجموعات كبيرة منهم يتم اعتقالها في اثناء غارات تشن على القرى.

وفي آخر شهر مايو (ايار) عام ١٧٦٧ لم يبق لدى ديفيز سوى ١١٨ عبدا، بينما كانت السفينة تتسع لمئتين منهم بحيث يوضع الذكور في العنبر السفلي والاناث والاطفال في المسكن المتصل بالحاجز. وكان عدد من السفن التي وصلت بعد "لورد ليغونير" قد اقلعت للعودة بعد ان استوفت حمولتها من عبيد الدرجة

الثانية· وسوف يبلغ ولا شك نبأ مجيئها وعودتها السريعة اصحاب سفينته الذين سيعجبون عندئذ لتأخره كل هذا الوقت الطويل·

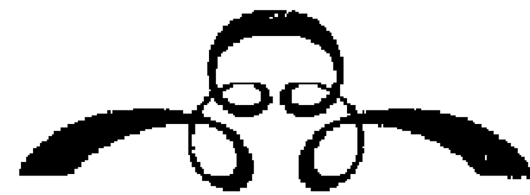
واخيرا، في ٥ يوليو (تموز) بعد ان اشترى ديفيز ٤٢ عبدا آخرين وملأ الاماكن الباقية الفارغة في السفينة بـ١٢٥٠ ناب فيل و١٧٠٠ كيلوغرام من شمع العسل، و٣٥٠ كيلوغراما من القطن و٩٠٠ غراما من الذهب، بادر الى نشر اشرعته وبدأ رحلة العودة، فبلغ ميناء "كيب هنري" في الاسبوع الثالث من شهر سبتمبر (ايلول)·

وانكب ديفيز في قمرته على مراجعة حساباته، فوجد ان لديه ٩٨ من العبيد لا يزالون على قيد الحياة، ولن يقل ثمن الواحد منهم عن ٦٠٠ دولار، فيكون مجموع ثمنهم ٥٨٠٠٠ دولار على اعتبار ان سعر الاطفال يقل عن سعر البالغين· ويضاف الى ذلك ١٠٠٠ دولار اخرى ثمن الشحنات الجانبية التي نقلها· واذا طرحت من ذلك اجور البحارة (بمعدل ٥ دولارات للبحار الواحد شهريا) والنفقات النثرية وتكاليف السفينة، فان اصحابها سيحصلون على ربح صاف مقداره ٣٦٠٠٠ دولار· ومعنى ذلك انه قدم اليهم خدمة طيبة، ولا شك في انهم سيمنحونه في المقابل مكافأة طوعية طيبة علاوة على ما يستحقه من اجر· واذا تمكن من القيام برحلات اخرى مثل هذه، فانه لن يلبث ان يصبح قادرا على التقاعد وهو ميسور الحال·

اخذ كونتا يتطلع بعينين نصف مغمضتين الى الارض التي لا تزال غائمة في الافق البعيد وراح جسده يرتعد والعرق يتلألأ علىجبينه· وانسابت الدموع فاحالت كل شيء في عينيه الى ضباب رمادي، وغمر جوانحه احساس بالشؤم والتطير من المستقبل·

اذا فان لهؤلاء التوبوب مكانا يلقون اقدامهم عليه ارض "توبوب دو"! وادرك كونتا في اعمق اعماقه ان ما تخبئة له الايام سيكون ولا ريب اسوا من كل ما عاناه من قبل·

القسم الثاني في العدد المقبل



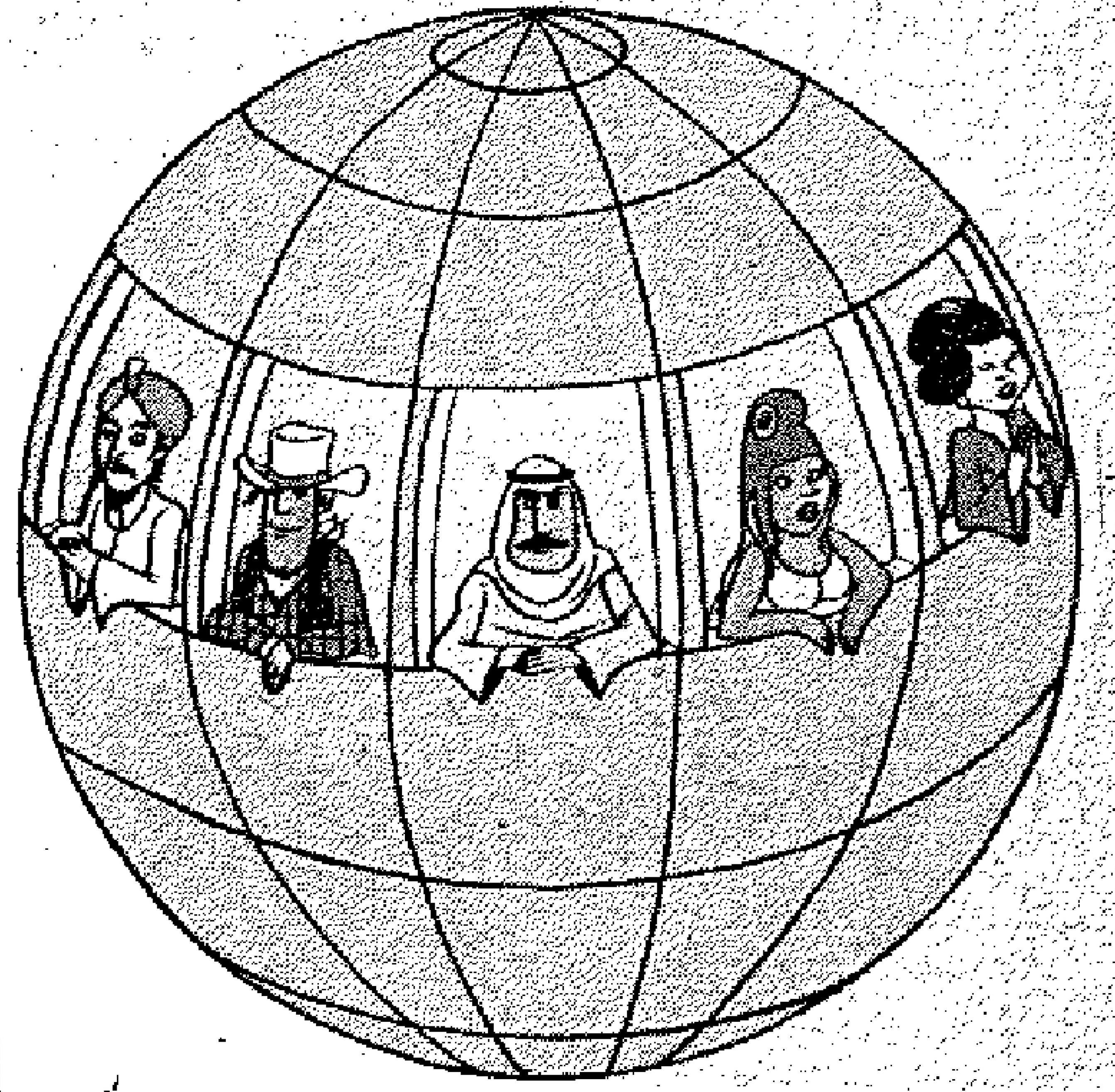
بلغ الرجل اواسط العمر من دون ان يحقق الكثير في حياته· وعلى رغم ذلك، فقد ظل يفاخر اباه الجنرال المتقاعد بقوله: "ان ولدي أفضل من ولدك"، ويفاخر ابنه الطبيب بقوله: "ان ابي افضل من أبيك"·

هـ·م· ش·

بعد فوات الأوان

على جدار عال في مدينة ادنبرة في اسكوتلندا اعلان رسمي يقول: "التدخين يعوق نموّك"· وفي اسفل الجدار، وعلى ارتفاع لا يزيد على ستين سنتمترا عن ارض الشارع، كتب احدهم: "أجئت الآن تعلمني؟"

(مجلة "العالم الضاحك")



حكايات صغيرة من العالم

اثمن سيارة قديمة

طوال ٤٨ سنة، ظل واين بريتشارد، وهو امريكي يملك مرآبا للسيارات، يعمل على تفكيك سيارة بالية من طراز بيرس - آرو تعود الى عام ١٩٣٠، كان كلفه شراؤها ٢٤٠٥ دولارا. ثم كسا كل قطعة فيها بالفضة والنيكل او الذهب من عيار ٢٣ قيراطا، واعاد تركيب كل تلك القطع الثمينة بحيث باتت هذه السيارة، الوحيدة المصنوعة من النيكل والذهب والفضة في العالم. وقد اشتراها منه متحف تجاري في لانكاستر (ولاية بنسلفانيا) بسعر ١٨٠ الف دولار، وهو اعلى سعر على الاطلاق.

س.م.

من منافع العجلات

وقفت الامريكية وهي لا تصدق عينيها، اذ رأت سجادة فارسية فاخرة مصنوعة باليد، يقدر ثمنها بثلاثة آلاف دولار، وقد بسطت امام سيارتها في احد شوارع طهران. ولشد ما اثار خوفها مرور السائق بسرعة فوقها من دون القاء نظرة.

وضجت السيدة بالشكوى وسألت السائق: "لم يسمحون للسيارات بالمرور فوق هذه السجادة الرائعة؟"

فهز السائق كتفه بلا مبالاة واجاب: "هكذا يفضلها الامريكيون".

ولم يكن الرجل على خطأ. فالسجادة القديمة تقدر بسعر اعلى من قبل المشترين الاجانب. ولتسريع عملية "التعتيق" هذه، يلجأ تجار السجاد احيانا الى طرح سجادة جديدة في الشارع.

ج.ا.

وصية فنان

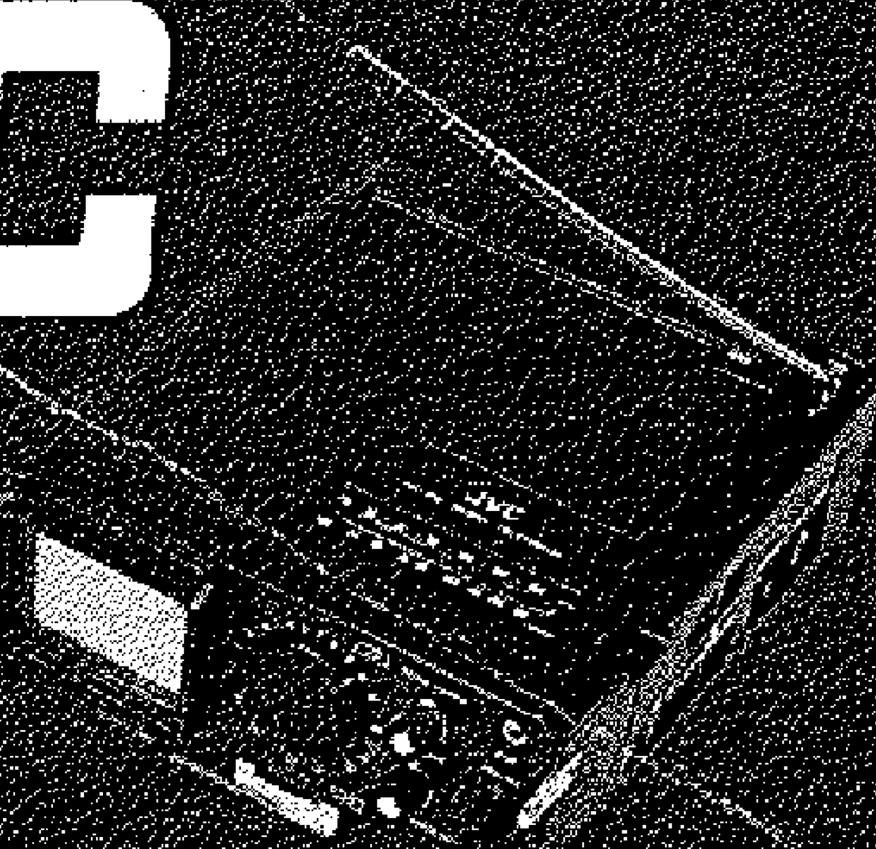
على رغم ان عازف الاوبرا جيان كارلو مينوتي يحب الحياة الا انه يفكر في الموت او في قراءة وصيته على الاقل، برباطة جأش. فالامران بالنسبة اليه اشبه بحدث مسرحي. ويؤثر عنه قوله: "طالما شعرت بان الانسان يخون اصدقاءه في وصيته. لذلك كتبت فقرة في وصيتي ذكرت فيها كل من احببت او من كانوا لطفاء معي، وتركت لكل منهم شيئا صغيرا - قليلا من المال او حاجة ما. وبعدما حاولت ان اتذكرهم جميعا، كتبت وصيتي. واذا بمحاميّ ينظر الي بخوف ويقول: ولكن، يا سيد مينوتي، هذه ليست وصية.. انها اعلان بيع بالمزاد".

ج. غروين، "حياة مينوتي"


الحَجم ليس وحده المهم في أصغر جهاز تلفزيون راديو في العالم



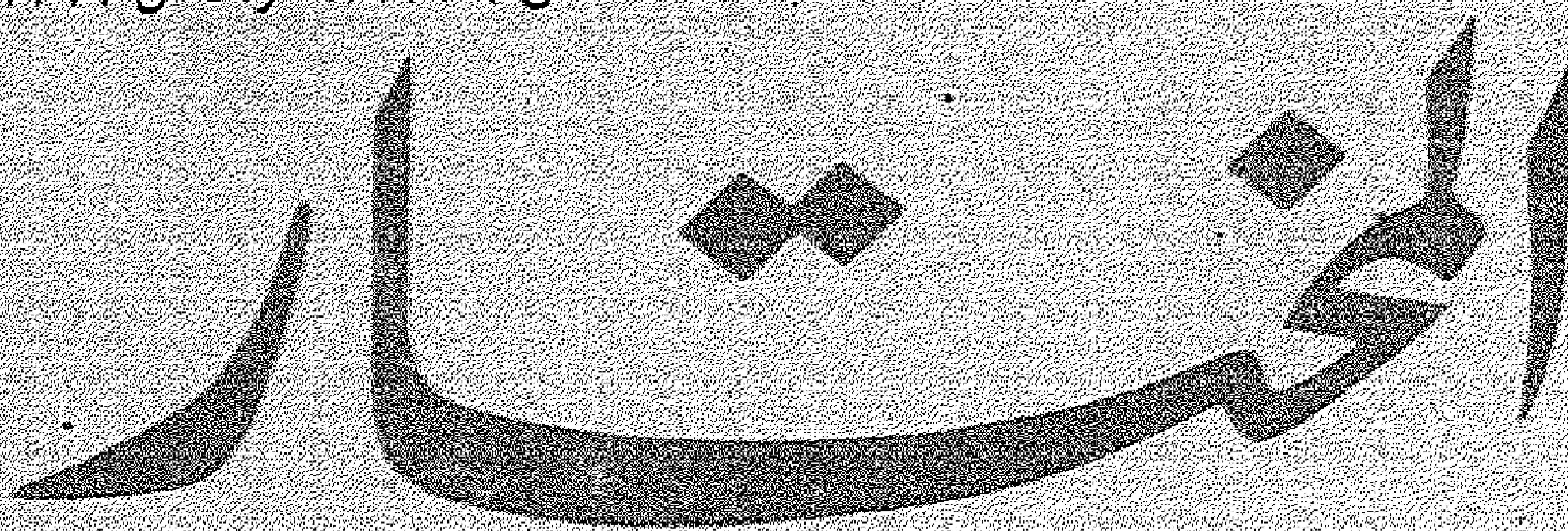
انك متأكد بالطبع من ان جهاز
التلفزيون / راديو المتناهي الصغر الذي تبلغ
مقاييسه ٥٣×١٤٨×١٨٧ ملم ووزنه ١،٠٠٠ غرام، شيء جدير
بالاهتمام. الا ان الواقع هو ان اكثر ما يثير اهتمامك في الجهاز
"ب-١٠٠" هو انه يتسم بالمميزات نفسها ويوفر لك جودة الاداء نفسها التي تتوقعها من
انتاجنا ذي الحجم الطبيعي. فأنبوب الصورة، مثلا، من الطراز الذي يظهر فورا. ويعطيك مكبر
الصوت المبيت والمتكامل الدوائر صوتا وقد صممت اجهزة التحكم بحيث تلائم اصابعك.
وأكثر من ذلك ايضا ان تقنيات التصغير المتناهي لمنتجات الترفيه الالكترونية في "جي في سي"
JVC اكثر تقدما منها في اي شركة اخرى
في العالم. لقد توصلنا الى صنع اصغر
اجهزة الكترونية عرفها الانسان، ونحن
نعرض عليك اصغر جهاز يمكن ان تقتنيه
يجمع بين الراديو والتلفزيون والكاسيت.
وتذكر ان "جي في سي" **JVC** هي الشركة
التي ابتدعت الاجهزة الالكترونية السمعية
البصرية وطورتها خلال ٥٢ سنة من الخبرة.
وللتفاصيل اهميتها في نظر "جي في سي"
JVC ولهذا فيمكنك ان تعتمد علينا دائما
للحصول على التسلية المنزلية الحقيقية.



اقصد اقرب بائع مفوض لشركة "جي في سي"


XII

آب (اغسطس) ١٩٧٩ - رمضان ١٣٩٩





من ريدرز دايجست

اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون ريدرز دايجست في ١٨٠ بلداً بـ ١٥ لغة

لبنان ٤٥٠ق - سورية ٦٠٠ق - الاردن ٥٠٠ف - الكويت ٥٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٦د - قطر ٦ر - البحرين ٦٠٠ف - السعودية ٦ر - مصر ٥٠٠م - السودان ٥٠٠م - ليبيا ٦٥٠د - اليمن الجنوبية ٦ر - مسقط ٦ر - العراق ٦٠٠ف - تونس ٧٠٠م - المغرب ٣د - الجزائر ٧د - فرنسا ٧ف - انكلترا ٧٥ب - اليونان ١٠٠د - كندا وامريكا الشمالية ٢د



المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

المستشار الثقافي: **مؤنس طه حسين**
رئيس التحرير: **ادمون صعب**
رئيس التحرير المعاون: **اديب صعب**
مدير التحرير: **فؤاد غطاس كرم**
امانة التحرير: **رينا نداف**
الاخراج: **اروى سيف الدين**

الامتياز:
شركة النهار للمنشورات الدولية ـ باريس

الناشر:
شركة رأس الخيمة للمنشورات الدولية

المؤسسون: **غسان تويني، توفيق ابو خاطر، عثمان عائدي، لوسيان دحداح**

الخدمات الصحافية:
شركة الدراسات والمنشورات الدولية SEPI

الادارة والتحرير والاشتراكات:

AL MUKHTAR min Reader's Digest
37, Avenue George V, 75008 Paris, FRANCE
Tel 7204542 7237422 Telex 612687 F

الاعلانات:

TAMAM **شركة تمام**
28, Rue de Berri, 75008 Paris, FRANCE

التوزيع:
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات

الصف والتنفيذ:
شركة المطبوعات العربية ـ باريس

الطباعة:
بوليغرافيتشي اديتوريالي ـ بولونيا ـ ايطاليا

الخط: **محمد ماجد**

الطبعات الدولية لـ**"ريدرز دايجست"**
المدير العام: **جون أ. اوهارا**
مدير التحرير: **آلان دوليرو**

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الاميركية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الاميركية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانماركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية اضافة الى العربية.

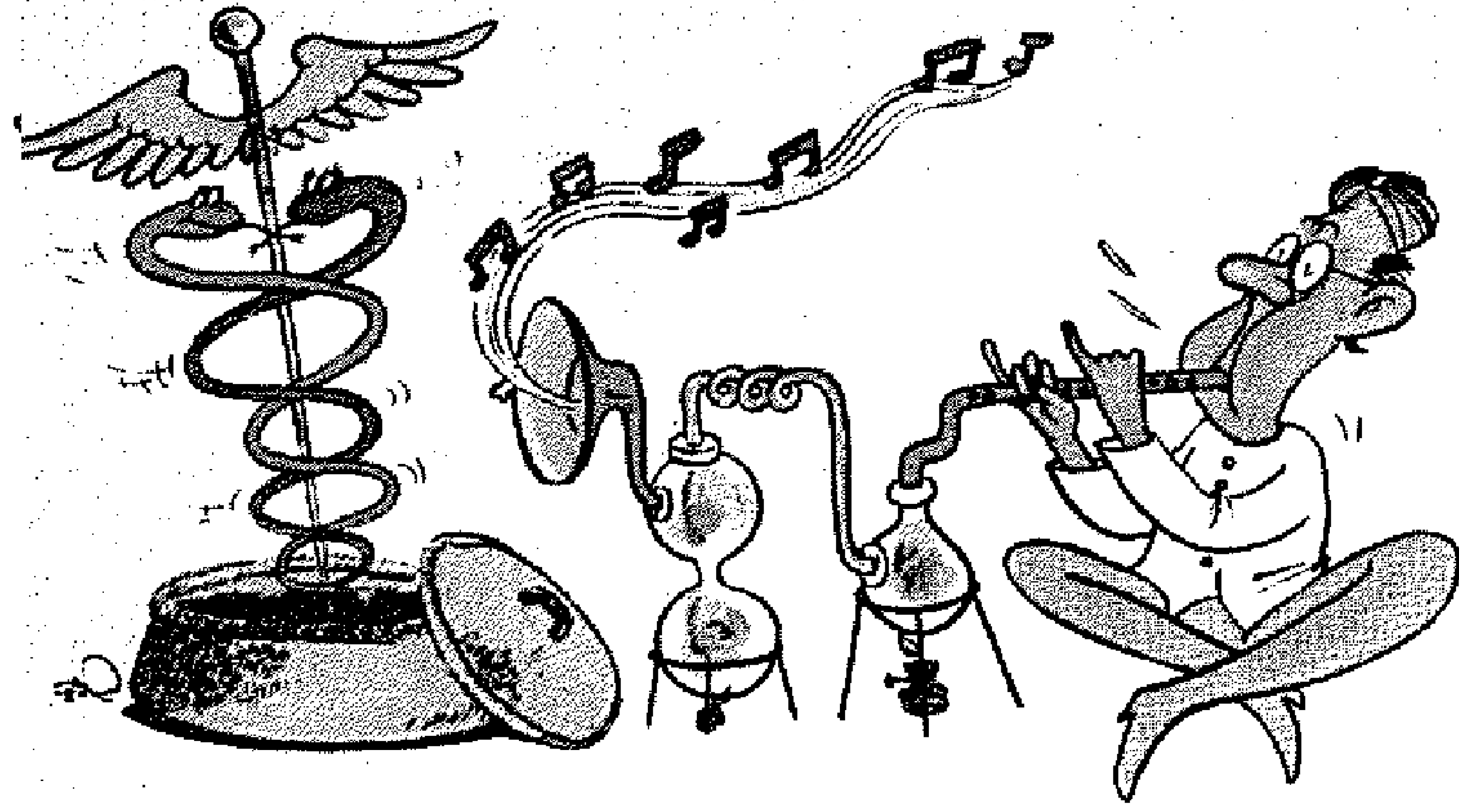
MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.
Nº DE LA COMMISSION PARITAIRE 3398RL

الغلاف: هدية عرس مطرزة لفنان هندي مجهول

AL MUKHTAR *min* Reader's Digest
August 1979 Nº9 *(New Series)*, Vol.1



POLIGRAFICI EDITORIALE SPA PRINTED IN ITALY



اصداء من عالم الطب

سر اطفال انابيب الاختبار

كشف الطبيب الانكليزي باتريك ستيبتو اخيرا كيف توصل مع الفيزيولوجي روبرت ادواردز الى توليد طفلين بواسطة انابيب الاختبار. فقد استطاعا تكوين اجنة لدى النساء اللائي يعانين انسداد قناة فالوب التي تنقل البييضات من المبيض الى الرحم او اللائي لا وجود لهذه القناة لديهن بينما لا يواجهن خللا في عمل المبيض او الرحم، عبر الطريقة الآتية:

بعد اكتمال فترة الحيض، يترقب الاطباء ظهور اعراض نضوج البييضة في مبيض المرأة. وقد غدت هذه العملية الاساسية اليوم اكبر سهولة بفعل اختبار جديد للبول يرصد "تدفق الهورمون اللوتيني" المسؤول عن انبثاق البييضة. ذلك لان الارتفاع الكبير في نسبة هذا الهرمون الذي تفرزه الغدة النخامية يعني ان عملية الاباضة (انتاج البيض) باتت وشيكة. وعند ذاك يقحم جهاز كاشف للاحشاء الداخلية (لاباروسكوب) عبر جدار البطن لتمكين الاطباء من تحديد المنطقة التي تنضج فيها البييضة. وبالاستعانة بابرة وحقنة، تستخلص بييضة واحدة وتوضع في وعاء مخبري لزراعة الانسجة، حيث تغمر في سائل مغذ خاص وتلقح بمني الاب. وخلال ثلاثة ايام تقريبا، تنقسم البييضة الملقحة الى ثماني خلايا او ست عشرة خلية. وعند ذاك توضع على طرف انبوب مطاطي خاص لتحقن ثانية في رحم الام عبر المهبل، ومن ثم تأخذ بالتطور. وكان الخبراء يظنون سابقا ان من الضروري نمو الجنين في الوعاء حتى يكتسب اكثر من مئة خلية.

ويقول الدكتور ستيبتو في معرض تحذيره من موجة الاقبال على اطفال انابيب الاختبار: "ان الطريقة تحققت، لكنها ليست سهلة على الاطلاق". والواقع انه من بين ٣٢ محاولة تلقيح بانابيب الاختبار، لم يعمر سوى طفلين.

ر.س.

القرحة الموروثة

يسلم الاطباء بان قرحة المعدة تنجم عن عوامل وراثية وبيئية في آن واحد. لكن مشكلة تحديد العوامل المسببة لها ظلت قائمة. وقد نشر الدكتور جيروم روتر من مستشفى هاربور العام في تورانس (ولاية كاليفورنيا)، بالاشتراك مع فريق من زملائه

تقريرا في "مجلة نيو انغلاند الطبية" يتضمن اقوى ما تم التوصل اليه حتى الان من ادلة حول العلاقة بين الوراثة وانواع كثيرة من قرحة المعدة. وبالتحديد، فان احتمال اصابة الاشخاص الذين ورثوا نسبة عالية من مادة مولد الببسين الكيميائية في دمهم (والببسين خميرة الهضم في المعدة) بأحد انواع القرحة، اكبر بخمسة اضعاف بالمقارنة مع الذين لم يرثوا هذه المادة.

وقد درس الاطباء عائلتين كبيرتين لهما سوابق في الاصابة بقرحة "الاثني عشر" فوجدوا ان نسبة مولد الببسين المرتفعة لديهم هي خاصة وراثيةيمكن انتقالها عبر الام او الاب. كما ان ٤٠ في المئة من حاملي هذه المادة مصابون بقرحة الاثني عشر"، بينما لم يصب أي ممن خلوا من هذهالمادة بالمرض. وتوحي هذه الادلة بأن بعض الاشخاص معرضون بالوراثة للقرحة، لكن العوامل البيئية غير المحددة بعد قد تطلق العنان للمرض.

ويعد هذا البحث خطوة نحو الوقاية من المرض، اذ يمكن للاطباء تحديد الاشخاص المعرضين للقرحة نظريا، ومن ثم يستطيعون تمييز العوامل البيئية المحيطة بمن يصاب من هؤلاء فعلا بالقرحة.

ت.ف.

علاج جديد لامراض اللثة

يطبق الدكتور بول هـ. كايس علاجا قليل الكلفة لامراض اللثة الخطرة ضمن برنامج تجريبي في المعهد القومي الامريكي لبحوث طب الاسنان. ويبدو ان النتائج المحققة طيبة.

يتم اولا فحص الجراثيم المسببة للمرض والمتجمعة حول السن تحت حافة اللثة، ثم ينظف السن وتزال القشرة الموبوءة وتنظف جيوب اللثة، اي الفراغ المكون حول جذور السن بفعل الجراثيم).

واخيرا يدرب المرضى على تنظيف اسنانهم باتقان وعلى دلك اللثة بمعجون مصنوع من صودا الخبز وبروكسيد الهيدروجين المحتوي على نسبة عالية من الاوكسيجين، وتغذية جيوب اللثة بمحلول ملحي قوي تضخه أداة كهربائية. وهذه اجراءات يجب فعلها يوميا. ويتم اللجوء الى المضادات الحيوية عند الضرورة للسيطرة على الجراثيم.

وتجدر الاشارة الى ان اشراف الطبيب على متابعة العلاج امر ضروري. وعند كل زيارة للطبيب، يتمكن المرضى من التعرف على ما حققوا من تقدم بفضل استخدام الدكتور كايس مجهرا مربوطا بآلة تصوير تلفزيونية تتولى عرض الجراثيم المنتزعة من حول الاسنان على شاشة تتيح للمرضى القاء نظرة دقيقة عليها.

و.هـ.

السجائر القاتلة

جاء التقرير الجديد لرئيس خدمات الصحة العامة في الولايات المتحدة عن اخطار التدخين على الصحة اكثر ترويعا من التقرير الذي اصدرته دائرته ذاتها قبل ١٥ سنة. فالادلة على ارتباط التدخين بامراض القلب والسرطان قويت كثيرا. وتربط المعطيات الجديدة بين التدخين وعدد متزايد من امراض القصبات الهوائية والحساسية والاستجابات المعاكسة عند تناول العقاقير. اما بالنسبة الى الحوامل والاطفال والعمال المعرضين للكيميائيات السامة، فالتدخين أشد خطرا.

ويجمل وزير الصحة الامريكي السيد جوزيف كاليفانو الامر بقوله: "يبدو التدخين اليوم اشد خطرا بكثير مما كان يبدو عام ١٩٦٤".

ولن يثير هذا الاستنتاج استغراب أحد في الواقع. فمعظم المدخنين يعي الخطر جيدا. كما ان اغلبهم حاول الانقطاع عنه او انه يود ذلك. لكن المشكلة تظل قائمة: كيف نقضي على "عادة التبغ"؟

وحول هذه النقطة لا يعطينا التقرير سوى ارشادات عامة. اذ من الغريب اننا لا نعرف الا القليل عن الاسباب التي تدفع الناس الى بدء التدخين او عن طريقة مساعدتهم للتوقف عنه. لذلك لا بد من ان ينتقل تركيز البحوث من التثبت من الاخطار الى استكشاف العلاجات.

(صحيفة "النيويورك تايمس")

عَاشق الجُزر

كانت الجزر في حاجة الى من··· يعشقها فجاء هذا الكاتب وحقق رغبتها

تتملكني الرغبة منذ سنوات في ادخال كلمة جديدة على اللغة هي لفظة "نيسومانيا" المشتقة من الكلمتين اليونانيتين "نيسوس" بمعنى الجزر "ومانيا" الجنون· واقصد بكلمتي الجديدة ان اعبر عن ذلك الداء المحبب الذي عانيته معظم حياتي· والحق انني مولع بالجزر حتى الجنون· فأنا استجيب لها، وهي تستجيب لي، فترتاح نفسي كلما اقتربت اليها وينشرح صدري عندما الوذ بحماها·

بورا - بورا، "أجمل جزيرة علي الارض"



وقد الهبت الجزر مشاعري منذ عهد طفولتي، فيما كنت اطالع الكتب فأقول لنفسي، مثلا، لولا اعتزاله في الجزيرة لكان روبنسون كروزو شخصا عاديا بمجرد ان يخوض المياه الضحلة الى تربة القارة. اما بقاؤه فوق جزيرته فقد جعل منه رمزا واسطورة تتحدى الزمن. كذلك نابليون فلو انه نفي الى القرى لما كان من محارب سابق يعاني عسر الهضم ولكنه اصبح بطلا اسطوريا فوق جزيرته السامقة المنعزلة.

وقد انقلب جنون الجزر عندي الى مرض عضال خلال عام ١٩٣١ عندما ذهبت الى اسكوتلندا لمتابعة دراستي العليا واستولت علي في اثناء شتاء قضيته بعيدا عن اليابسة على تلك الجزر الخلابة عبر ساحل اسكوتلندا الغربي، واعني بها جزر الهبريد.

ما اصغر تلك الجزر الغيلية وما انأى موقعها في المحيط الكبير الذي تتوق اليها امواجه وتتراكض على اعتابها، وكم تأصلت جذورها في اعماق الزمن. فقد عشت هناك مع اناس تعود عاداتهم ومواقفهم من الحياة الى القرن الخامس عشر ويتكلمون لغة قديمة ويخوضون حربا لا هوادة فيها مع البحر.

في فصل الشتاء تشرق الشمس في التاسعة صباحا وتبدأ افولها في الثالثة بعد الظهر، وكنا نقضي الليالي الطويلة في الغناء ورواية القصص البطولية وننام على سيرة مغامراتنا مع المحيط. ولم أدرك آنئذ ان ولهي بالجزر الصوفية الهادئة سيكون له مثل هذا الصدى البعيد على حياتي كلها.

ثم اندلعت الحرب العالمية الثانية فأوفدت الى جزر نيوهبريد (في جنوب غرب المحيط الهادىء)، المكسوة بالغابات الحارة الرطبة حيث دارت بي الحياة دورة كاملة، وباشرت هناك تأليف كتابي "حكايات جنوب المحيط الهادىء" الذي وان يكن نتاج خبراتي المباشرة في جزر نيوهبريد، الا ان مصدر وحيه الروحي قد استقيته من ذكرياتي عن جزر هبريد القديمة، حيث تعلمت مغزى الجزر وجوهرها.

واتيح لي في السنوات التالية ان ازور معظم جزر العالم المهمة، مثل جزر نيوغينيا الكالحة التي تعد عالما قائما بنفسه، وجزيرة بالي الفاتنة، حيث كل شيء تحفة فنية بما في ذلك ابواب البيوت، وجزر فولكلاند العاصفة بها الرياح، وجزيرة بيتكيرن المتجهمة الوعرة التائهة في البحار الجنوبية، وتاهيتي جزيرة الاحلام، ثم بورا - بورا اجمل جزيرة في العالم والتي تتنافس موسيقاها مع موسيقى اسمها وتزهو كمالا يفوق كمال سلسلة الصخور المرجانية التي تساور بقاياها البركانية.

جوهر الجزر - والان بماذا تتميز الجزر، واي جوهر ذاك الذي هو جوهرها؟

انها تتميز، اولا، بان المحيط الفسيح يهفو اليها ويحتضنها في عزلة حميمة، منفردة، مستقلة، فاذا بها شيء لا يضاهيه شيء آخر من حوله، وعالم صغير في ذاته. وتتخذ الاشياء الصغيرة على الجزيرة نوعا من الاهمية: سمكة تسبح في البحيرة الضحلة على الشاطىء: مقدار المصيد من السمك في اليوم الواحد، وتجفيف ثمار جوز الهند، فتاة شابة تسافر

لرؤية نيوزيلندا، ومركب مقبل من تشيلي. وفي يقيني انني تلمست الحياة على الجزر النائية بانفعال عميق وقوي لم اختبره في المدن الكبيرة على القارة بسبب ما تكتسبه احداث اليوم العابر الطفيفة من اهمية واقعية. فلا يستطيع المرء ان يقيم فترة طويلة على الجزر من دون ان تغمره مآسي البشر او تبهجه افراح نجاحهم.

والميزة الثانية هي ان الجزيرة مقيمة اطلاقا على صلة وثقى بالطبيعة. فالبحر موجود في كل مكان وفي جميع الاوقات، والطيور تجيء وتروح، والنجوم تتألق في السماء قريبة من الارض، وشمس الظهيرة الساطعة حقيقة لا سبيل الى تجاهلها.

وعندما تعصف الرياح وتثور الامواج، يبقى هناك احتمال بان تجرف مياه الاعصار سطح الجزيرة وتغسلها بأكملها.

والميزة الثالثة ان الجزيرة يتم تطورها تبعا للطريقة الخاصة بها، كما حدث، مثلا، لتلك الجزيرة الكبيرة الجميلة سري لانكا، (سيلان سابقا)، التي تطورت بعض الشيء في ظل تأثير الهند المجاورة، ولكنها تطورت في الجانب الآخر على طريقتها المستقلة بتقاليدها الاصيلة واسلوبها المتميز. ومن اين كان للثقافة الفرنسية ان تتسم بمثل ذلك الافراط في التعبير الذي تبدو به في المارتينيك لو لم يكن هذا البلد جزيرة لها مطلق الحرية في ان تنقل نقلا حرفيا او ان تتصرف بما تنقله على النحو الذي يلائمها؟

وتعتبر هاواي من انجح الامثلة لسنة التميز الذاتي التي ادت بها الى تكوين شخصيتها الفريدة الجامعة في مزيجها الباهر بين العناصر البولينيزية وعناصر نيو - انغلاند الامريكية والعناصر الشرقية.

والميزة الرابعة هي ان الجزيرة كثيرا ما تكون صغيرة الحجم مما يتيح سهولة فهمها. فمن ذا الذي يستطيع ان يفهم البرازيل التي تضم عشر قوميات على الاقل، او الاتحاد السوفييتي الذي يقارب عدد قومياته المئة؟ ولكن يستطيع اي انسان ان يذهب الى جزيرة موريا، تلك الجوهرة المتلألئة من الجبال الخضراء والبحيرات الزرقاء، وان تتاح له فرصة طيبة لرؤية كل ما تمكن مشاهدته والتعرف الى الناس الذين يسكنون الجزيرة. وربما كان من بواعث الاطمئنان في عصر تسيطر عليه الضخامة ان نعرف ان ثمة في البحر الكاريبي جزيرة مثل "سان بارتلمي" يسكنها ٢٥٠٠ نسمة ومساحتها ١٦ كيلومترا مربعا، وتضم جبالا رائعة وشواطىء جذابة ومطارا هائلا يثير الرعب.

والميزة الخامسة هي ان الجزيرة، خصوصا اذا كانت بعيدة، تجتذب الشخصيات الغريبة الاطوار، وان التعرف عليها امر مسل للغاية. وقد كنت ذات مرة في جزيرة تاهيتي عندما وصل اليها من النمسا شاب حسن الهيئة مدعيا انه بارون تهرب من قصر اجداده بسبب متاعب عائلية. وقد فهمنا انه ليس بارونا لكن اهل الجزيرة قالوا: "ما دام ليس لدينا بارون في تاهيتي بينما لدينا ذلك الكونت المخبول واثنان من الامراء، فلماذا لا نضيف اليهما هذا البارون". ولم تمض بضع سنوات

حتى اصبح هذا الشاب بارونا بالفعل، بل يفوق في شكله اي بارون آخر في اوروبا.

واخيرا فان اهل الجزر، حتى وان كانوا "محكومين"، يميلون الى مواصلة الحياة على طريقتهم بلا عقد. فرجال الحكومة والادارة الذين يوفدون الى الجزر قد يتعذر عليهم فرض الانضباط على السكان الاصليين. وهناك في مكان ما من ملفات اسطول الولايات المتحدة الامريكية تقرير كنت وضعته عن الاحداث التي وقعت في جزيرة اسمها "مونوريفا" ان لم تخني الذاكرة، في اثناء الحرب العالمية الثانية. فقد جاء الى الجزيرة ضابط بحري متحمس من تكساس قرر ان يفرض بعض النظام والانضباط على هذا الفردوس الناعس خلال تلك الايام الكسولة بعد ان انتقلت منها رحى الحرب الى الشمال. ثم اوفدني الاسطول الى الجزيرة لاكتشف ما حدث للقبطان "دايكس"، اذا كان هذا هو اسمه" وللمستودع الرقم ٢.

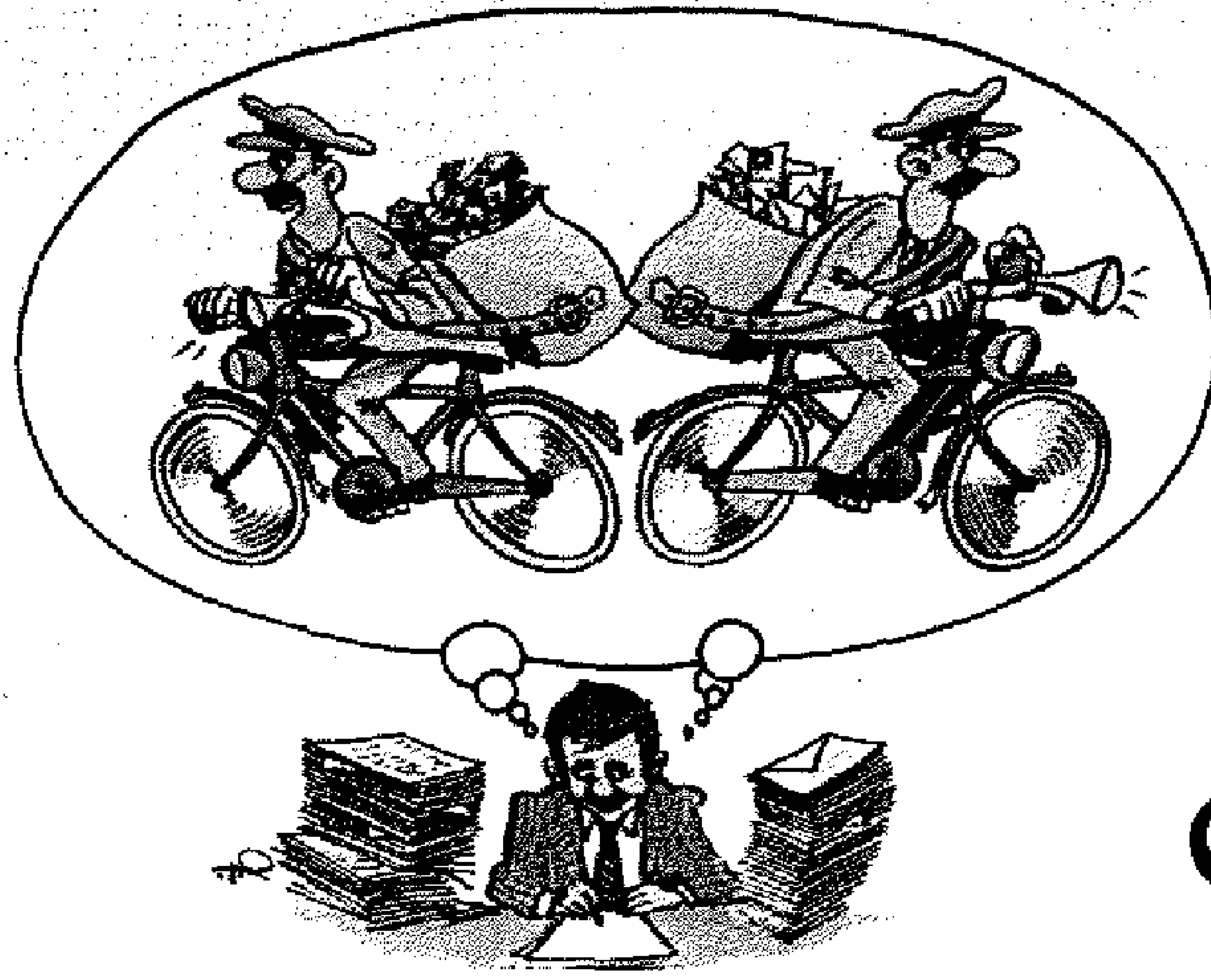
كانت احوال دايكس سيئة... بل تكاد تكون ميؤوسا منها، لان فتاة الجزيرة ذات الشعر الاسود التي دعاها الى مشاركته في مقر اقامته لم تكتف بالقبول فحسب، وانما نقلت دعوته ايضا الى سبعة او ثمانية من اقربائها. وقررت انا ان هذه المشكلة شخصية تتعلق بالقبطان دايكس نفسه، ولم اذكر في تقريري الاول شيئا عما يعانيه من تعقيدات بيتية. غير اني عندما استفسرت عن امر المستودع الرقم ٢، سمعت ذكرا لسيارة نقل حمراء صغيرة. وحين تابعت الموضوع تبين ان فتاة القبطان لها شقيق استولى على احدى سيارات النقل الخاصة بالاسطول ودهنها باللون الاحمر.

ثم مضيت اتفقد المستودع الرقم ٢، فوجدته على خير ما يرام من الخارج: الحرس في أماكنهم يؤدون واجبهم، والابواب مدهونة، والممرات حول المخزن مخططة ومفروشة بالحصى المرجاني... ولكن الداخل كان شيئا آخر، اذ وجدت ذلك المبنى الفسيح مليئا بـ"لا شيء على الاطلاق". وقد احدثت فتحة واسعة في مؤخر المخزن ونقلت محتوياته من خلالها في السيارة الصغيرة الحمراء: مولدات الكهرباء والبنزين والاغذية المعلبة بل ومظلات الهبوط التي خاطت منها الفتيات في الجزيرة اثوابا لهن.

وعندما يحملني الفكر اليوم الى الجزر ارى بعين خيالي تلك العواصف الملتفة بمياه البحر تتقاذف الامواج وتنثر الزبد كما ارى اولئك المسترخين الهانئين في الظل، من مقيمين وزائرين. وارى احد المغامرين يعتلي سيارة النقل الصغيرة الحمراء ويتجه بها الى المستودع. واشاهد موفدا رسميا كفيا قادما من لندن او كانبيرا او باريس او واشنطن، ويتسلم منصبه مصمما على تنظيم كل شيء. فأبتسم، وانا اخبر بالجزر وما يتولد فيها من وله، ما لن ينقضي وقت طويل حتى يختبره الموفد الرسمي بنفسه.

■ **جيمس ميتشينر**

المؤلف حائز جائزة "بولتيزر" وله كتب كثيرة لاقت رواجا واسعا، منها ثلاثة عن الجزر، هي: "حكايات جنوب المحيط الهادىء"، و"العودة الى الفردوس"، و"هاواي".



اكتب واربح

هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله: الى "المختار" وهو يدفع لك في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

☐ **صور من الحياة: ٥٠ دولارا**

القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة وتتحدث عن تجربة شخصية وعن موضوع جدي.

☐ **الضحك خير دواء**

ينطبق على هذا الباب ما ينطبق على الباب السابق. ويدفع ٥٠ دولارا عن النكتة الاصلية و٢٥ دولارا عن النكتة المنشورة.

☐ **تأملات معاصرة: ٥٠ دولارا**

مقاطع ذات مغاز حكمية حول موضوع معين.

☐ **حديقة افكار**

اقوال مأثورة للاعلام العرب.

تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

☐ **السدات**

هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

☐ **المقالات**

يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية والتجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل.

يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

الشروط

○ كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.

○ كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك - حديقة أفكار...).

○ في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد.

○ ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة أفكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن.

○ تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر أجنبية.

○ لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي:

AL MUKHTAR
min Reader's Digest
S.E.P.I.
37, Avenue George V
75008 Paris, France

إبني والتعليم المهني

لقد اخفق الابن في تحقيق حلم ابيه واقتفاء خطاه، لكنه لمع في المجال المهني واقنع والده بجدواه

كل رجل يطمح الى ان يكون ابنه نسخة عنه، ليس من حيث المظهر بل من حيث النهج. ولكن بينما تتقدم السن بالابن، فان الاب يشيخ ايضا وتصبح اهدافه، وطموحه للفوز بجائزة كبرى بعيدة المنال. ويبدأ بالادراك ان اعظم مكافآت الحياة لن تؤول اليه اطلاقا.

ولكن آه ثم آه! لو اقتفى الابن خطى ابيه، لتمكن من تحقيق ما كان والده يصبو اليه. وهكذا تكون انجازاته قد جلبت الغبطة الى قلب ابيه.

ذلك ما تريده كأب، وذلك ما ترجو ان يحدث، لكن الحذاء يمكن ان يتسخ بالوحل، فيتحرك في اتجاهات مختلفة.

تقول والدتي ان ابني جودي كان مثلي تماما عندما كنت في السابعة عشرة من عمري. فقد كره المدرسة منذ اليوم الاول في رياض الاطفال. وكان يتجاهل الواجبات الدراسية المنزلية ويهمل اختباراته في المواضيع العلمية حتى اللحظة الاخيرة. ولم يكن يكتب مقالاته النقدية عما يقرأه من الكتب الا بعد الانذار الاخير.

ادمان المحركات – طوال حياتي العملية، كنت منغمسا في الصحافة واصدار الصحف. وزوجتي ممرضة

قانونية اكتسبت مزيدا من الثقافة مع السنين، بينما تخرجت ابنتي بشهادة جامعية في اللغة الانكليزية، وهي تتابع دراستها للحصول على شهادة الماجستير. ولكن ماذا عن جودي؟ لقد اصبح، بعد دخوله الصف العاشر، طالبا مهنيا. ويشار الى من يتلقون التدريب المهني بعبارة "ورشيين"، نسبة الى وصف صفوفهم الدراسية بالورشة، او بعبارة "مدمني المحركات"، وذلك من قبل أقرانهم الطلبة العاديين.

لقد اصبت بصدمة عندما اشارت سكرتيرة شابة في مكتبي الى ابني للمرة الاولى بكلمة "ورشي". وردا على احتجاجي اجابت: "قصدت القول انه صبي طيب وحاذق حقا". اما بالنسبة الي، فقد كان ذلك التعبير شائنا يحط من القدر.

غير اني ادركت، خلال السنتين الماضيتين، ان "الورشيين" مختلفون حقا. فايديهم عادة متسخة، وعلى ملابس العمل التي يرتدونها لطخ من الشحوم، فضلا عن ان اجادتهم في المدرسة تمر دونما تنويه.

ان كوني ابا لطالب مهني هو، في ذاته، خبرة تربوية. فنحن الذين نكدح بقمصاننا النظيفة وراء الآلات الكاتبة في المكاتب لا يتوافر لدينا ما يتوافر لدى "الورشيين" من قدرات. وقد بدأت ادرك ذلك عندما حطم ابني سيارته، اذ بلغ تقدير كلفة اصلاحها ٨٠٠ دولار. لكنه قال: "انني استطيع اصلاحها بنفسي، وان "كريزي اد" (اي ادوارد المجنون) سيساعدني في ذلك". اما انا فقد نظرت الى ذلك بعين الارتياب.

ودخلت الى البيت وقلت لزوجتي: "انه يريد صبيا اسمه كريزي اد ليساعده في اصلاحها".

فما كان منها الا ان اجابت بانفعال: "اللهم نجنا!" ولكن سمحنا له بذلك لانه ليس هناك ما سنخسره.

اما كريزي اد فقد تبين انه شاب وسيم حسن الخلق، وانما حصل على لقبه ذاك لانه اقدم على السباحة في يوم شتاء بارد. وتمكن ابني واد، مع مجموعة "ورشيين"، من اصلاح السيارة. فقد جاؤوا بقطع غيار من سيارات بالية، مع قدرة على تركيبها مما اكتسبوه في الصفوف الدراسية المهنية. وكانت الكلفة ٤٥ دولارا بدلا من ٨٠٠ دولار.

مواهب متعددة – منذ عملية الاصلاح الاولى تلك، انجز عمليات اخرى مثل تبديل قابض (دبرياج) سيارتي الجيب مقابل ١٦ دولارا، واصلاح مكيف هواء وغسالة وسخانة خبز كهربائية. واوكل جيراننا وزملائي العمال مهمة تصليح سياراتهم اليه.

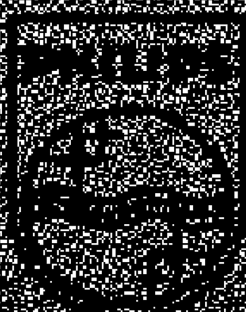
وفضلا عن ذلك، بدأ يعمل طابعا للصحيفة التي اصدرها. ففي امكانه ان ينضد الحروف ويجهز الاعلانات الدعائية ويستعمل آلة التصوير الضخمة المستخدمة في انتاج الصحيفة.

وتتوافر لدى "الورشيين" كذلك مواهب فطرية غير مألوفة. فلو صدف وتعطلت سيارة احدهم ليلا في طريق جانبية غير مطروقة كثيرا، فلا بد من ان يمر "ورشي" آخر بالمكان. وما ان يرفع احدهم غطاء محرك سيارته ليتقصى العطب حتى تجد، في غضون نصف ساعة، ان عشرين من رفاقه

من فيليبس - الراديو والمسجّل "كاسيت ستيريو" الرائع السّهل الحمل

استمع الى ارسالات الاذاعي المفضل في جهاز ستيريو رائع. تتكلت حركة سريعة او تسجيل رواحلك على مسجل فيليبس كي تستمع اليه مرة اخرى فيما بعد (والروعة دائما). ألا تنس ان فيليبس هي التي اخترعت الكاسيت. ا سجل من اسطوانة او ميكروفون. فكل ما تحتاج هو ان تضع كاسيت صغيرة. استمع الى ما سجلته في اي مكان تحب. في البيت او في الهواء الطلق. فكل ما تريده موجود في جهاز صغير انيق. انه جهاز ستيريو من ار ٧٧٨ الذي يعمل بالبطارية او الكهرباء. ويضم راديو من اربع موجات بما موجة FM ومجهز بمقابض سهلة الاستعمال.

ومزايا متداخلة، ويضطر للعمل. أما مستوى الصوت المسجل فيتم ضبطه تلقائيا. ثم ماذا عن الجودة؟ يكفي أن نقول إن الجهاز من صنع فيليبس. هنالك مجموعة كاملة من الأجهزة بطرازات تتفاضل بينها. ولكن عليك ان لا تكتفي بتأمل منظرها والاعجاب به، بل تستطيع ان تطلب تشغيلها. فطرازات من هذه التجهيزات لا يمكن أن تصنعها الا شركة تتمتع بالموارد الضخمة والخبرة العالمية التي تتمتع بها شركة فيليبس. الشركة التي تعتبر اليوم، اكثر من اي وقت مضى، واحدة من اكبر الشركات العالمية من رواد التكنولوجيا الحديثة.



فيليبس الأفضل لكم دوماً

احاطوا به كالنمل، بعضهم حول السيارة والبعض الآخر تحتها. وهذا يحملنا على الظن ان ثمة اشارة لا يسمعها غير "الورشيين"، تناديهم فيتنادون مسرعين.

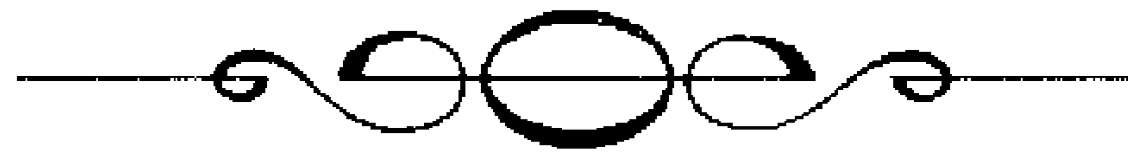
ولعل اسعد لحظات هؤلاء الصبية تتحقق حين يعبثون بشيء ما. فتراهم يتمازحون ويقهقهون ويعيشون في عالمهم الخاص الخالي من التوتر وشواغل الفكر. ولا يخدعنك مظهرهم. فعلى رغم ايديهم الملوثة بالزيوت والشحوم، فان ادمغتهم المعيه وقادرة على استيعاب المسائل الجديدة.

لقد تعلمت الكثير من ابني "الورشي" - تعلمت ان الناشرين لا يساوون شيئا من دون طابعين، وان المهندسين يحتاجون الى ميكانيكيين، وان البنائين يحتاجون الى فنيين يتولون عمليات لحام المعادن. والاهم اني تعلمت ان الآباء لا يحتاجون الى ابناء يقتفون خطاهم ويكونون نسخة عنهم.

ان ابني قد لا يكتسب مقاما رفيعا على الاطلاق في لائحة الشرف المدرسية. ولكنه اكتسب ذلك التقدير فعلا مني.

■ **روبرت بويل**

الكاتب ناشر ورئيس تحرير صحيفة "الفارديان" التي تصدر في بوتستاون في ولاية بنسلفانيا الامريكية.



ما في اليد حيلة

يتساءل الفنان جان - لوي فوران: "لماذا يكون المرء فظا، اذا كانت الكياسة تتيح لنا ممارسة كل اشكال الوقاحة؟"

(مجلة "القهقهات"، فرنسا)

تقدير كاريكاتوري!

قال رئيس تحرير احدى الصحف لافضل رسامي الكاريكاتور في صحيفته: "انت ثاني اعظم رسام كاريكاتور في العالم". وكان احد المحررين واقفا، فسأل رئيس التحرير عمن يكون أعظم رسامي الكاريكاتور في العالم، فرد رئيس التحرير: "لا أعرف، ولكني اقول له ذلك حتى يحاول على الدوام ان يحسن انتاجه".

ب.ب.

تربية...

حدث منذ سنوات ان انتشرت بين طلبة جامعة اوكسفورد عادة التقاذف بالطعام. وذات يوم وجد الطلبة لافتة معلقة تقول: "السادة الذين جاؤوا من بيوت اعتاد اهلها على التقاذف بالخبز على مائدة الطعام ويجدون صعوبة في ان يلتزموا فجأة بالقيود التي تفرضها حضارة اسمى: يسمح لكم بمواصلة هوايتكم المنزلية هذه في مقابل دفع خمسة شلنات عن كل رمية".

ف.ن.

مكافحات الأتربة والأوساخ "هوفر"

كل ماكينة من ماكيناتنا مشحونة بالسمات والمزايا التي استنبطت من أجل مساعدتك على الفوز في مكافحة الأتربة والأوساخ. سمات وخصائص تجعل التنظيف أسهل وأسرع وأكمل مما كنت تظنينه ممكناً من قبل.

مهما كان نوع جهاز التنظيف الذي تبحثين عنه. أصرّي على طلب هوفر – أعظم أجهزة التنظيف جداً وكداً في مكافحة الأتربة والأوساخ. يمكنك شراؤها على الاطلاق.

«هوفر كيماتيك ١١٠٠»

أعظم الغسّالات تقدّماً اليوم.

«هوفرماتيك دي لوكس»

أعظم غسالة أوتوماتيكية ذات برميلين.

«هوفر سينيور كلينر»

أروج جهاز تنظيف في العالم

«هوفر إلكترونيك ١٠٠٠»

قوّة ١٠٠٠ واط تحت سيطرتك التامة.

هـوفـر – كل ما تختارينه منها مثالي لك.

HOOVER®



عندما هبط النسر على سطح القمر

يوم ٢٠ يوليو (تموز) من هذا العام احتفل في واشنطن بالذكرى العاشرة لواحدة من أهم لحظات التاريخ الانساني: لحظة خطا الانسان خطواته الاولى على القمر.
رحلات اخرى انطلقت الى القمر منذ ذلك الحين، وصواريخ آلية موجهة اخترقت الفضاء بنجاح باهر، ولكن لم تحظ رحلة من رحلات الفضاء بالشحنة العاطفية التي احاطت بالرحلة الاولى قبل عشر سنين.
هل تذكرون كيف كانت الحال خلال هذا الاسبوع التاريخي عندما لمس الانسان القمر للمرة الاولى باصبع فضية فتلمس بذلك نبض عالمه؟

الرجال الذين قاموا بالرحلة الملحمية بدوا، على أي حال، عاديين ولم يكونوا افضل المرشحين للخلود. نيل ارمسترونغ، ادوين (باز) الدرين ومايكل كولينز جميعهم قاربوا الاربعين من العمر وكانوا، وما زالوا، يميلون الى الوحدة ويدافعون بقوة عن عزلتهم.

مع ذلك فقد كان هؤلاء الرجال يتحلون بالصفات عينها التي بحثت عنها وكالة الفضاء الامريكية الوطنية: البراعة الفريدة في الطيران، الذكاء والقوة، القدرة على التركيز واستيعاب المعلومات، البرود الكامل وغريزة المقامر الذي يرتفع دائما الى مستوى التحديات. فاذا بهؤلاء الرجال ضمن رجال الفضاء الثلاثين الاوائل الذين قبلوا للقيام بهذه الرحلة التي بدت آنذاك مغامرة جنونية.

ان الرحلة الامريكية الى القمر لم تكن لتتم في هذا الحين لولا السوفييت. ان تفوق السوفييت المبكر في مجال الفضاء، بما فيه ارسال اول جرم اصطناعي الى مدار

حول القمر ووضع اول جرم مأهول في مدار حول الارض، هذا التفوق دفع الرئيس كينيدي عام ١٩٦١ الى التعهد بارسال رجل الى القمر "قبل نهاية العقد".

في ١٦ يوليو (تموز) ١٩٦٩ كانت السفينة "ابولو ٢" مستعدة للانطلاق الى القمر. اما اختيار ارمسترونغ والدرين وكولينز لتشكيل طاقم السفينة فقد جاء في اطار النظام الدوري لرحلات الرواد واسندت الى ارمسترونغ قيادة السفينة لانه كان سبق زميليه في التدريب.

قلما عمل رجال استعدادا لمهمة ما كما فعلوا هم. فلمدة ست عشرة ساعة متوالية تولوا تشغيل آلات شبيهة بتلك التي سوف يستخدمونها لقيادة السفينة والهبوط بها على القمر. عملوا وهم غارقون في الماء ليألفوا انعدام الجاذبية واجبروا على مواجهة عدد لا حصر له من الطوارىء المفتعلة من خلال لوحة قيادة تضم مئات الاجهزة. تلقوا دروسا سريعة في علم الفلك والملاحة الفضائية وتشغيل الصواريخ والعقول الالكترونية وجيولوجيا القمر. وكانت الرحلة محببة ومريحة بالمقارنة بما كانوا قد عانوه خلال الاعداد لها.

حانت ساعة الحشر - وقفت "ابولو ٢" على منصة الانطلاق وهي تنفث سحبا من غاز الاوكسيجين، وبدت باطنانها الـ٣١٠٠ كوحش هائل حي يرتفع الى مستوى ٣٦ طبقة. سطح السفينة الاملس يخفي وراءه كمية هائلة من الآلات والاجهزة تأخذ بالالباب وتشمل ٨ ملايين قطعة و٩١ محركا. وعلى ارتفاع ٣٣ طبقة من الارض تبرز عربة القيادة "كولومبيا" حيث رقد رجال الفضاء الثلاثة على "اسرتهم" يتابعون العد العكسي.

لحظة الانطلاق في جزيرة مريت لن تنسى اطلاقا، فقد كان هناك مليون شخص عبر النهر في كيب كانافيرال و٥٠٠ مليون مشاهد خلف اجهزة التلفزيون في انحاء العالم، يتابعون العملية. تسع ثوان كاد ان يتوقف خلالها القلب عن الخفقان. محركات صاروخ "ساتورن ٥" الضخمة تقذف اللهب في قرقعة مخيفة، لكن الصاروخ الهائل لا يتحرك. ثم بدأ يتحرك ويرتفع وهو يتمايل الى اليمين على عمود من النار متحاشيا برج المراقبة، ثم زادت سرعته تدريجا حتى اختفى عن الانظار.

انطلقت صواريخ المرحلتين الاولى والثانية، تتابعها شبكة اتصالات تمتد حول الارض وفوقها من مركز المراقبة المأهول في هيوستن الى هوائيات ضخمة في اسبانيا واوستراليا وكاليفورنيا فالى شبكات عربة القيادة والسفينة القمرية اللتين تدوران حول الارض مرة كل مدة ساعتين ونصف ساعة. وترمي هذه المتابعة الى التأكد من قدرة السفينة على متابعة رحلتها القمرية.

وبعدما اشتعلت المرحلة الثالثة من الصاروخ فوصلت سرعته الى ٦٥٠ كيلومترا في الدقيقة تحررت "ابولو" من جاذبية الارض واخذت طريقها نحو القمر.

وعلى بعد ثلاثة آلاف ميل (٤٨٠٠ كيلومتر) من الارض انفصلت عربة القيادة عن الطبقة الثالثة من الصاروخ، وأدخل مايكل كولينز الطرف المدبب لـ"كولومبيا" في اعلى السفينة القمرية، واحكم التصاق "النسر" بها.

٩ مخاوف جنسيّة منتشرة بين الرجال ص ٣٥

النسر الذي هبط على سطح القمر ص ١٧

سيطر على الغضب قبل ان يغلبك ص ١١٣

لبنان ٤٥٠ق - سورية ٦٠٠ق - الاردن ٥٠٠ف - الكويت ٥٠٠ف - الامارات العربية
المتحدة ٦د - قطر ٦ر - البحرين ٦٠٠ف - السعودية ٦ر - مصر ٥٠٠م - السودان ٥٠٠م -
ليبيا ٦٥٠د - اليمن الجنوبية ٦ر - مسقط ٦ر - العراق ٦٠٠ف - تونس ٧٠٠م - المغرب ٣د -
الجزائر ٧د - فرنسا ٧ف - انكلترا ٧٥ب - اليونان ١٠٠د - كندا وامريكا الشمالية ٢د٠

AL MUKHTAR *MIN* Reader's Digest August 1979 N° 9



"النسر" بعد هبوطه.

الصعوبة الكبرى التي واجهت طاقم الصاروخ في رحلته التي دامت اربعة ايام هي ضرورة التحرك والعمل في الحيز الضيق الذي انعدم فيه الوزن. كانت الغرفة مخروطية الشكل ويبلغ قطرها ١٢،٨ قدما (٣،٨ امتار) وارتفاعها ١١ قدما (٣ امتار)، ولكن مساحتها الفعلية لم تزد على مساحة عربة تكسي من الداخل، لان لوحة التحكم في الصاروخ كانت تشغل حيزا كبيرا من "الارض" الى "السقف"، ومعها ايضا خزانات للمؤن والاسرة المعلقة التي ينزلق فيها الرجال حتى لا يسبحوا في فضاء "الغرفة".

كانوا في عمل دائب يراقبون الاجهزة وينسخون معلومات الدماغ الالكتروني واجهزة الاختبار. ولا يتكلمون الا لماما. وكانت مجموعة المراقبة الارضية تحثهم على ان يقولوا شيئا "حتى نتأكد من انكم ما زلتم هناك". لكن الايام الهادئة والعمل الرتيب كان لها ما يعوض: مراقبة النجوم الساطعة في حلكة السواد اللانهائي لدى تحليقهم فوق الجانب المظلم من القمر، روعة قرص الشمس وتاج الوهج عندما يمر القمر امامهما، ورقة الارض بلونها الازرق وهي تختفي في الافق. وكان القمر اكثر المشاهد اثارة بالنسبة اليهم، خصوصا عندما تنيره الارض فيبدو ذا ابعاد ثلاثة.

وفي اليوم الثالث تأرجحت "كولومبيا" و"ايغل" الى ما وراء القمر وانقطعت صلة الاتصال بينهما وبين قواعد الرادار على الارض لمدة ٣٣ دقيقة تمكن خلالها رجال الفضاء من اطلاق الصاروخ الرئيسي لابطاء سرعة السفينة ودخول مدار القمر.

قاعدة بحر الهدوء — في اليوم الرابع وبينما السفينة تنجز دورتها الحادية عشرة حول القمر، ارتدى ارمسترونغ والدرين ملابس الفضاء وزحفا، في ما يشبه النفق، الى داخل السفينة القمرية لاجراء الفحص النهائي لاجهزتها قبل انفصالها عن "كولومبيا". وقبل الدورة الثالثة عشرة بدقيقتين، وبعد ٢٤ ساعة على

وجود العربتين في المدار القمري، جاءت التعليمات من قاعدة هيوستون ببدء الهبوط. وامسك رجال القاعدة انفاسهم في الدقائق الاربعين التالية حتى ظهرت السفينة من وراء القمر وسمعوا صوت ارمسترونغ يقول بهدوء: "اصبحت للنسر اجنحة".

وبقي كولينز في "كولومبيا" وكان ينقطع اتصاله بزملائه وبالارض ٤٠ دقيقة في كل دورة. ووصف مسؤول في "ناسا" ذلك بالآتي: "لم يشعر رجل بمثل هذه الوحدة منذ خلق آدم".

وبينما "النسر" يهبط على القمر وسط قرقعة اجهزته وازيزها، اذا بالدماغ الالكتروني الخاص به يصدر اضواء التحذير بانه بات عاجزا عن القيام بكل الحسابات تحت وطأة ما قام به من مراجعة مداخلات اجهزة عدة في آن واحد. لكن المهندس ستيفن بالز في قاعدة القيادة الارضية كان تهيأ لمثل هذه الطوارىء واستخلص من حساباته ان الدماغ الالكتروني للسفينة لن يتوقف عن العمل، ولان الوقت لم يسمح له باستشارة زملائه من المهندسين فقد اصدر تعليماته الى طاقم السفينة بالهبوط.

مشكلة ثانية حدثت على ارتفاع مئات الاقدام فوق سطح القمر. عجلة القيادة الآلية التي تحمل برنامجا معدا لانزال "النسر" في منطقة آمنة في بحر الهدوء، بدأت توجه السفينة نحو فوهة بركانية مليئة بالصخور. لكن مئات الساعات من التدريب على الهبوط المفتعل انقذت الموقف، وقف ارمسترونغ بعد ان تولى بنفسه القيادة عن الدماغ الالكتروني، وادار السفينة بعيدا، نسبيا، عن الصخور. وجاء صوت يعلن الارتفاع على المكبر "١٠٠ قدم ٥٠٠٠ ٢٥".

وانطلق صوت ارمسترونغ اخيرا: "هيوستون... هنا قاعدة بحر الهدوء. لقد حط النسر على القمر".

مزق هذا الاعلان الهادىء الصمت والهدوء في القاعدة الارضية فارتفعت الاصوات تهلل وتضحك وتبكي وتصفق.

منظر جميل وساحر — وبعد ست ساعات ونصف ساعة من الاعداد الدقيق بدأ ارمسترونغ الهبوط على السلم. ولما وصل الى اسفلها. ادار ارمسترونغ قدمه اليسرى وطبع اول أثر لقدم الانسان على سطح القمر ثم نطق بالعبارات المعبرة الآتية: "انها حقا خطوة صغيرة بالنسبة الى رجل واحد ولكنها قفزة عملاقة للبشرية".

ولما تأكد ارمسترونغ انه لن يواجه اي خطر في جو القمر المنخفض الجاذبية وانه لن يغوص الى رأسه في تراب القمر الناعم، حسب تنبؤات بعض علماء الفلك، بدأ الدرين النزول وقد تثبت من انه لم يغلق باب السفينة وراءه. ونظر الى ارض القمر المكسوة بحفر شبيهة بفوهات البراكين ثم قال: "انه قفر رائع".

كانت حركة رجلي الفضاء تشبه حركة الدمى الآلية بسبب الجاذبية المنخفضة. وعلى رغم ان لباسهما الفضائي الضاغط لم يمكنهما من التحرك بحرية فانهما نجحا في ساعتين و٢٠ دقيقة في تركيز آلة تصوير تلفزيونية وغرسا علم الولايات المتحدة الامريكية واديا له التحية، ثم نشرا رقاقة من الالومينيوم ليلتقطا على سطحها ذرات من الرياح الشمسية، ثم وقفا يقظين لتلقي تحية

الرئيس ريتشارد نيكسون، ثم ثبتا جهازا عاكسا لأشعة ليزر خاصا بالمسافات القمرية، ووضعا بعد ذلك، مقياسا لتسجيل الزلازل والارتجاجات القمرية كما جمعا ٢٤،٥ كيلوغراما من الصخور والاتربة القمرية.

ولما عادا الى "النسر" تركا وراءهما على سطح القمر، بين اشياء اخرى، اجهزة وادوات تبلغ قيمتها مليون دولار ولوحة تحمل رسالة انطوت على تحيات قرابة ٧٣ من رؤساء الدول اضافة الى خمس ميداليات احياء لذكرى رجال فضاء سوفييت وامريكيين قضوا نحبهم. كما تركا وراءهما آثار اقدام ستظل نحو نصف مليون عام على سطح القمر حتى تختفي بفعل تأثير الشهب الدقيقة المتساقطة.

بعد مرور ٢١ ساعة على هبوط رجلي الفضاء على سطح القمر جاءت تعليمات هيوستون بالاقلاع فأجاب ألدرين مازحا: "افهم من ذلك ان لنا الأولية على السفن الاخرى". كانت الدعابة تخفي توترا. لقد تم اختبار محرك الاقلاع للسفينة "النسر" اكثر من ٣٠٠٠ مرة. ولكن اذا فشل المحرك هذه المرة فسيبقى الرجلان على سطح القمر يواجهان الموت بعد نفاد ما يحملانه من غاز الاوكسيجين.

انطلق المحرك وارتفعت بهما السفينة حتى وصلت الى مدار منخفض بعد سبع دقائق. وصرخ الدرين، فيما السفينة الفضائية ترتفع: "رائع، لطيف، اقلاع هادئ".

عندما التحم "النسر" بـ"كولومبيا" مجددا بدا لكولينز وكأن "جهنم فتحت ابوابها" فأهتزت السفينتان ثم تم الالتحام النهائي وانتقل الرجلان الى "كولومبيا" مع ما احضراه معهما من القمر. واكتفى الرجال الثلاثة بأن شدوا على ايدي بعضهم البعض، بينما كان من الممكن لغيرهم من الرجال العاطفيين ان يتعانقوا ويبكوا، بعد هذه الرحلة المحفوفة بالاخطار.

فصلت السفينة "النسر" عن "كولومبيا" واستدارت هذه، بعدما ارتاح الرواد، متجهة، بدفع من محركها الهائل، نحو الارض وهبطت في المحيط الهادئ بعد نحو ستين ساعة من انطلاقها.

لم يتوقع رجال الفضاء ما تبع هبوطهم من تهليل. تحدثوا امام الكونغرس ومنحوا ميداليات الحرية. ومشوا في مواكب عبر الولايات وزاروا ٢٣ دولة وداموا على هذه الحال سنة رجعوا بعدها الى اسرهم. ويقول الدرين: "كانت هذه السنة اصعب مراحل مهمتنا".

وبعد ان حققوا هذا الانجاز سادهم التوتر ولم تسمح لهم شهرتهم بالعودة الى رتابة برنامج الفضاء العادي، فانضم مايكل كولينز نهائيا الى مؤسسة سميثونيان في واشنطن، اما نيل ارمسترونغ فقد استقال ليصبح استاذا فيجامعة سينسيناتي وعاد باز الدرين الى سلاح الطيران ثم تقاعد عام ١٩٧٢ ليقوم بسلسلة من الاعمال الحرة وهو اصيب بانهيار عصبي بعد ذلك ويعمل الان مستشارا هندسيا في لوس انجيليس.

وكما غيرت الرحلة الى القمر حياة رجالالفضاء، كذلك غيرت الرحلات الخمس التالية حياتنا نحن البشر. لقد وسعت هذه الرحلات آفاق معرفتنا

واثارت اسئلة عدة جديدة تتعلق بعلم طبقات الارض والنظام الشمسي واصل الكون. وانبثقت من تكنولوجيا الفضاء عشرات الصناعات التي تبلغ قيمتها مليارات الدولارات (الترانزيستورات والاقمشة والمعادن) فضلا عن ثلاث فئات من الاقمار الاصطناعية (اطلق عليها اسم الاجرام التطبيقية) استهدفت توفير الافادة الاقتصادية المباشرة للانسان. وتتضمن هذه الاقمار اجرام الملاحة واجرام البحث عن الثروات الارضية ومراقبة تلوث الهواء والماء وتقدير المحاصيل وتحديد المصادر الجديدة للمياه والمعادن والنفط والغاز الطبيعي. كذلك تمثل الاجرام الاصطناعية دورا متزايد الاهمية في حقل الاتصالات العالمية.

لكن الذين شاهدوا الرحلة الاولى الى القمر لم يفكروا في هذه الفوائد المادية.

ولم يبق في ذاكرتنا الا الاثر الذي تركته الرحلة في نفوسنا وخيالنا ومعنوياتنا. فهي فتحت نافذة كنا في امس الحاجة اليها في ارضنا المزدحمة، وفسحت لنا مجالات نفسية كنا نحتاج اليها.

من خلال هذه النافذة سنشارك شعوريا الذين سيتابعون استكشاف المجهول، فتسمو نفوسنا ويتجدد اعتزازنا بالانجازات الانسانية.

■ رونالد شيلر



النجوم البشرية

كان فريق كشفي بريطاني مكون من ١٢ فتى يقوم بجولة ليلية عبر منطقة ويلتشير، فضل طريقه على رغم اعتماد الفتيان مسار النجوم لتحديد وجهتهم تحديدا دقيقا. وفسر قائد البعثة دون ايفانز الأمر في ما بعد كالآتي: "حين انطلقنا، اخترنا اكثر النجوم بريقا. ولكن لسوء الحظ، ظهر ان النجم ليس الا مركبة فضائية من صنع بشري".

(صحيفة "دايلي ميرور"، لندن)

بحار محترف

دعت الملكة فيكتوريا الاميرال فولي الى الغداء لكي يروي لها تفاصيل المحاولات التي جرت لانقاذ باخرتها "يوريديس" التي غرقت قرب ساحل بورتسموث. وبعدما اشبع الاميرال هذا الموضوع الممل وصفا، استفسرت الملكة عن صديقتها الحميمة المشتركة ولما كان هذا يعاني صعوبة في سمعه، فقد تابع الحديث بصوته الجهوري: "في الواقع، يا سيدتي، لم يبق الا ان اقلبها على وجهها واتفحص مؤخرها، ثم اشرف على صقلها جيدا".

فرجينيا كولز، في كتاب "الامبراطور"



مأساة واقعية

لقد بقي الصبي الذي يبلغ العامين من العمر ٤٠ دقيقة مغمورا تحت الماء... والاطباء الذين استطاعوا انقاذ حياته لن يتقاعسوا عن شفاء دماغه

طفلي كاد يغرق تحت سيّارتي

غاصت مارنا مارتن حتى خصرها في المياه الثلجية الموحلة وهي تبذل الجهود اليائسة لزحزحة سيارتها الكبيرة الـ"ستايشن" وانتشال ابنها الصغير الاشقر ماتيو، الذي لا يتجاوز العامين، من تحتها. وعلى رغم ان السيارة كانت مائلة الى الامام وقد ارتفع نصفها الخلفي، الا انها تسمرت في مكانها ولم تتحرك.

كان ماتيو مغمورا بالماء منذ أكثر من خمس دقائق، وهي فترة تكفي للقضاء عليه غرقا. وكانت مارنا ممرضة قانونية وتدرك بالتالي ان ماتيو، وان بقي على قيد الحياة، سوف يتأذى دماغه ولا شك بسبب نقص الاوكسيجين. فأذهلتها الوحدة

والتجأت الى الصياح طلبا للنجدة.

وكانت مارنا امرأة نحيلة البنية في التاسعة والعشرين من العمر، يهمها امر اسرتها. فقد جمعت اطفالها ووضعتهم داخل السيارة قبل وقوع الحادث بعشر دقائق، لكي تنقل ماتيو من بيتهم في بلدة ميلتون في مقاطعة اونتاريو (كندا) الى بلدة اوكفيل المجاورة حيث يتابع تدريبه في مبنى الالعاب الرياضية. وقد ربطت ماتيو وشقيقته اماندا التي تبلغ الثلاثة اعوام بحزامي الامان في مقعد السيارة الخلفي، ثم وضعت جاي مايكل، الصغير ذا الأشهر الثمانية، في كرسيه الخاص الى جوار مقعد القيادة وزنّرته بحزام الامان، وادارت محرك السيارة وهي واقفة لتحميه. وكان صباح ذلك اليوم - الخميس ٢٤ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٧ - باردا، ففتحت مارنا الباب المجاور لمقعد السائق واندفعت بسرعة الى المنزل لاحضار معطف اكثر دفئا.

وبينما كانت مارنا تفتح باب المطبخ لتخرج منه الى موقف السيارة، سمعت صرخة وتملكها الرعب عندما رأت السيارة تتراجع حتى بلغت الجزء المنحدر من الممر، فانحرفت بين شجرتين ثم اصطدمت بحاجز خشبي فهدمته، ودارت نصف دورة قبل ان يغرق مقدمها وتتوقف في بركة ضحلة بجانب المنزل.

أين ماتيو؟ - واطار الخوف صواب مارنا، فاسرعت الى السيارة التي كانت تقف مائلة وقد انحدرت من الامام وارتفعت من الوراء، ورأت ان اماندا والصغير جاي مايكل في مكانيهما، فصاحت: "اين ماتيو؟" فاجابتها اماندا وهي تشهق بالبكاء: "كان يقود السيارة يا ماما، واختفى!"

وشقت مارنا طريقها في الماء في اتجاه السيارة ودارت حولها حتى بلغت بابها المفتوح المجاور لمقعد السائق، فلم تجد اثرا لماتيو. وراحت تعاتب نفسها بقولها: "كان يجب علي ان اوقف المحرك، علما مني باحتمال خروجه من مقعده في السيارة. ولا بد من أن يكون غير وضع ناقل الحركة وادار مقود السيارة". وركضت الى المنزل لتتصل تلفونيا بالشرطة، ثم عادت الى موضع السيارة التي كانت على وشك ان تغمرها المياه بعدما غاصت في الوحل على حافة البركة. ومدت يديها الى الداخل فانتزعت حزامي الامان، واخرجت اماندا وجاي مايكل ووضعتهما على الضفة، وعادت تخوض الماء وتبحث بحثا جنونيا عن ماتيو.

وفيما هي تدير رأسها بعد هنيهة، رأت اماندا وجاي مايكل يرتجفان بردا، فحملتهما الى داخل المطبخ ووضعتهما على الارض. ثم اتصلت تلفونيا بمكتب زوجها المحامي فوجدته غائبا في المحكمة، فطلبت من السكرتيرة ان تعلمه باختفاء ماتيو. وبعد ذلك سارعت مارنا بالعودة الى البركة تفتش من جديد في الماء، ولكن من دون جدوى. وكانت تدري ان ماتيو تحت السيارة، وانها بالتالي تعرضه للموت دهسا اذا هي حاولت ان تدير محركها لتخرجها من البركة، كما انه لا يمكنها ان تزحزح السيارة لكي تبحث تحتها.

ولم تمض اكثر من خمس دقائق منذ اتصلت مارنا بالشرطة، ولكن بدت لها هذه الدقائق وكأنها دهر ابدي.

ولم يلبث ان ارتفع هدير سيارتين من سيارات دوريات الشرطة وسطعت اضواؤهما البراقة. وما ان اجتازتا الممر حتى ترجّل منهما على الفور الشرطيان ستيف اميس وتوماس سينكوفيتش، وفكا حزامي مسدسيهما والقيا بهما على الارض، واندفعا يخوضان البركة ويبحثان في المياه العكرة حتى نفذ البرد الى عظامهما فراحا يرتجفان. ولكنهما كانا علي يقين، مثل مارنا، من ان ماتيو سقط من الباب المفتوح المجاور لمقعد السائق وانحصر تحت السيارة.

ونظرت مارنا الى الوراء نحو الطريق، فرأت سيارة نقل ذات رافعة تتباطأ في سيرها، فاستغاثت بها: "ان طفلي يغرق!" وللحال تحولت هذه السيارة عن طريقها ودخلت الممر، وكان فيها جاك نوب وآندي اندرسون، وهما تاجرا سيارات مستعملة كانا متوجهين للاشتراك في مزاد للسيارات. والى جانب الرافعة الكبيرة كانت سيارة النقل مزودة بـ١٥ مترا من اسلاك الصلب وسلسلة للرفع. وتراجع نوب بسيارته حتى اصبح مؤخرها عند حافة البركة، وتولى الشرطي اميس لف سلسلة الرفع حول عمود الباب في السيارة الغارقة، فيما راح نوب يشغّل الرافعة حتى اصبحت السيارة الغارقة متدلية في الهواء في وضع شبه عمودي. ولاحظ اميس ان مارنا ترتجف بردا، فاعادها الى البيت لكي تغير ملابسها بملابس اخرى جافة. وكانت لا تزال تحت تأثير الصدمة. واذا بها ترى سيارتي اسعاف تجتازان الممر، فاصطحبت اماندا الى الدور العلوي والبستها ثوبا من الصوف. وهنا قالت اماندا بهدوء بدا غير طبيعي: "ان ماتيو يسبح في البركة". فاجابتها مارنا: "سيعيد البوليس ماتيو الينا".

تحت الماء ــ ولم تكن تدري في تلك اللحظة ان البوليس عثر للتو على ماتيو. فقد القى جاك نوب بنفسه عبر غطاء السيارة، ولمح شعر الصبي الاشقر طافيا في البئر التي حفرتها العجلة الامامية اليسرى. فرفعه من ياقة قميصه وصاح: "لقد عثرت عليه".

وكان ماتيو قد بقي ٢٠ دقيقة تحت الماء. وسلّم نوب الصبي الى جيم سبنسر، مندوب الاسعاف. وبعد دقيقة واحدة كان سبنسر يتجه بسيارة الاسعاف جنوبا نحو مستشفى اوكفيل - ترافلغار التذكاري، بينما اخذ زميله مارسيل زولمان يحاول اسعاف الطفل بالتنفس الاصطناعي عبر الفم وبتدليك الصدر. وقطعت سيارة الاسعاف المسافة الى المستشفى، التي تبلغ ١٢ كيلومترا، في فترة لا تتجاوز الدقائق الست.

وعندما وصلت سيارة الاسعاف الى المستشفى، كان يبدو ان ماتيو قد فارق الحياة. فهو كان غائبا عن الوعي، وكان جسمه باردا ومرتخيا ومرقشا ولونه بالغ الشحوب وتنفسه شبه منقطع، وكان قلبه يدق ببطء شديد لا يتجاوز الـ٣٥ نبضة في الدقيقة. غير انه دخل المستشفى، لحسن الحظ، الساعة ٩،٥٢ صباحا، في موعد يكثر فيه الاطباء. وتسلمه

في عيادة الاستقبال الدكتور مايكل كيتون، الذي جمع على الفور فريقا من الاطباء الاختصاصيين واختصاصيي المهن المعاونة.

وكانت الممرضات قد تلقين اشعارا بالراديو من سيارة الاسعاف وهي في الطريق، فاعددن غرفة الانعاش على الفور بحيث كانت جاهزة لحظة وصول الطفل. ووقفت باتريشيا والتون، رئيسة ممرضات الطوارىء، عند رأس سرير ماتيو وهي تضغط بانتظام على كيس يدفع الهواء في انبوب يوصله من انف ماتيو الى رئتيه.

وكانت حرارة ماتيو بالغة الانخفاض، لا تزيد على ٢٧،٥ درجة مئوية، اي اقل من المستوى الطبيعي بتسع درجات ونصف درجة، مما حمل الدكتور كيتون على الارتياب في الامر، فراح يقيس الحرارة بموازين مختلفة ليستوثق من صحتها. وخطر في باله ان ذلك قد يكون "رد فعل الغطس". ذلك انه عندما تغطس الثدييات البحرية وصغار الاطفال في الماء البارد، تنقبض القصبة الهوائية وكأنها تؤمن حماية صاحبها من استنشاق الماء، بينما يتباطأ في الوقت نفسه معدل النبض والدورة الدموية في الاطراف توفيرا لكمية الاوكسيجين المحدودة المتاحة للقلب والدماغ. وانطلاقا من هذا الرأي، اعتبر الاطباء ان تسخين جسم ماتيو ربما ادى الى خفض تزويد هذين العضوين الحيويين بالاوكسيجين، فقرروا ان يتركوا جسمه على حاله الطبيعي لكي يستعيد حرارته العادية تدريجا.

وفي الوقت نفسه، قرر فريق الاطباء اعتماد نظامين، يستهدف احدهما تنشيط جسم ماتيو والثاني مراقبة حيويته. وانزل الجراح مبضعه في اربية ماتيو اهتداء الى عرق دقيق ينقل محلولا قلويا داخل جسم الطفل ويتيح له ان يقاوم الالتهاب الحمضي الذي يعتري قلبه المفتقر الى الاوكسيجين، وذلك تفاديا لتوقف الخفقان.

احتمال توقف القلب – وقد تبين من الصورة الكهربائية لعمل القلب، بعد تسليطها على مرسمة الذبذبات، ان النبض يخفق على نحو بطيء ومنتظم، الى ان يحدث اضطراب مفاجىء ينذر باحتمال توقف القلب. فأخذ احد الاطباء يدلّك الصدر، بينما تولى طبيب آخر حقن الادرينالين في القلب مباشرة لكي يستمر في الخفقان.

واتصل طبيب الاطفال، الدكتور انجيلو مادابولي، بمستشفى الاطفال في مدينة تورنتو، فتثبت من صحة ما يتوقعه فريق الاطباء: وهو انهم اذا تمكنوا من انقاذ حياة ماتيو، فمن المحتمل ان يتمكنوا ايضا من انقاذ دماغه. ذلك لان فريقا من الاطباء، برئاسة الدكتور الان كون، مدير وحدة العناية الفائقة في مستشفى الاطفال في تورنتو، قد اهتدى، من دون علم فريق الاطباء في مستشفى اوكفيل، الى طريقة تقوم على استخدام الـ"هيبوتيرميا" – اي خفض الحرارة الى مستوى اقل من الطبيعي بكثير – للحد من كمية الاوكسيجين التي يحتاجها الدماغ، فيحول ذلك دون حدوث الضغط داخل الرأس وتتاح فرصة التعافي للمخ. وقد نجح الدكتور

كون بهذه الطريقة في انعاش ١٢ طفلا غرقوا لفترات متفاوتة اقصاها تسع دقائق. اما ماتيو فقد قضى تحت الماء ٤٠ دقيقة كاملة.

ويبدو انه لو كانت البركة اكثر برودة او دفئا، لمات الطفل ماتيو قبل استخراجه منها. لكنه اصبح الان - بفضل ما تلقاه من علاج عاجل - مرشحا ممتازا لاختبار طريقة الدكتور كون باعتبار ان الاحتفاظ ببرودة جسمه يساعد على احتمال انقاذ خلايا دماغه واستعادة سلامته.

وفي الساعة ١٠،٤٣، اي بعد قرابة ساعة من سقوط ماتيو في البركة، شعرت رئيسة الممرضات بات والتون بانه بدأ يتنفس وحده تدريجا: مرة عند كل رابع ضغطة على كيس دفع الهواء، ثم مرة عند كل ثالث ضغطة، الى ان عادت اليه الحياة، فملأ الابتهاج نفوس اعضاء الفريق الطبي.

وفي الساعة ١١،١٥، اي بعد ثلاث دقائق من اول مرة حرك فيها ماتيو ذراعيه وساقيه، بدأ بطنه ينتفخ، فاعطي عقاقير، من خلال انبوب حقن في العروق، تساعد على التحكم في التقلصات المعوية وتلافيها. وبعد ذلك بعشر دقائق، بدا وكأنه عرضة للتشنج. وبما ان الاطباء كانوا يدركون ان لا فائدة من العلاج بخفض الحرارة (الهيبوتيرميا)، ما لم يكن جسم المريض جامدا لا يتحرك، فقد حقنوه في الشرايين بعقاقير مهدئة تبعث على الاسترخاء، واعقبوها بكمية من كريات الدم الحمراء لوقايته من الصدمة وتجنب اصابته بفقر الدم.

ما كان ضرّني...؟ - لم يصل روبرت مارتن، والد الطفل، الى بيته الا بعدما نقلت سيارة الاسعاف ماتيو الى المستشفى. وقد انذره رجال الشرطة بان الاحتمال ضئيل في نجاة ابنه. وشهقت زوجته مارنا وهو يحتضنها: "آه يا روب. ما كان ضرني لو لم اترك محرك السيارة دائرا؟"

وجاء الاصدقاء لمؤاساتهما والعناية باماندا وجاي. وحين وصل غراهام سوانسون، طبيب الاسرة، ظنت مارنا انه "جاء لينبئنا بوفاة ماتيو". وما ان وضع الدكتور سوانسون يده على كتفها حتى انفجرت بالبكاء والنحيب قائلة: "لقد توفي ماتيو، اليس كذلك؟" ومن فرط دهشته قال سوانسون: "لست ادري. هل توفي فعلا؟" وذهلت مارنا، اذ تبينت ان الطفل الذي بدأت تنعاه ربما كان لا يزال على قيد الحياة.

وتوجه الدكتور سوانسون وآل مارتن بالسيارة الى المستشفى حيث كانت مارنا تعمل بعض الوقت. ورأت هي وزوجها طفلهما ماتيو للمرة الاولى منذ وقوع الحادث. وكان جلده ابيض - ازرق وباردا، وارعبتها غشاوة عينيه شبه الزجاجية، وارتعدت خوفا حين رأت جسمه العاري المغطى بملاءة يُحمل الى الخارج على نقالة الجرحى. وخرجت مارنا مع زوجها والدكتور سوانسون، وساروا وراء سيارة الاسعاف التي كانت مزودة بوحدة مصغرة للعناية الفائقة، يتولى امرها الدكتور جورج مونتيز، والتي اتجهت الى مستشفى الاطفال في تورنتو.

وفي المستشفى، شرح الدكتور

مونتيز كيف يأمل فريق الاطباء في احياء الخلايا المعطلة في دماغ ماتيو وذلك بأن يبقوا الطفل في حال جمود كامل لفترة ٤٨ ساعة على الاقل، مع السهر على بقاء حرارته منخفضة بين ٣٠ و٣٢ درجة مئوية، والتحكم الاصطناعي بتنفسه لتزويده بكمية كبيرة من الاوكسيجين وخفض كمية ثاني اوكسيد الكربون في مجرى دمه. وستتم تغذيته عن طريق الحقن في الشرايين مع خفض الكمية الى نصف ما يحتاج اليه عادة طفل في مثل حجمه، واضافة عدد من العقاقير، بعضها مدر للبول لضمان سرعة تدفق بوله وبعضها مهدىء، فضلا عن جرعات من حامض الـ"باربيتيورات" المسكن تكاد تقرب من حد الخطر، لمنع الحركات اللاارادية مثل الرعشة والسعال وتشنج العضلات.

ونظرت مارنا الى ماتيو في حجمه الصغير الساكن وسط شبكة من الاسلاك والانابيب والآلات. وكان يتردد في اعماقها واعماق زوجها سؤال لم يجرؤ على الافصاح عنه والاقدام على مناقشته: "هل يمكنهما ان يعتنيا بطفل مصاب بتخلف عقلي شديد؟" وذات مرة دخلت مارنا كنيسة المستشفى وتضرعت قائلة: "اتوسل اليك رباه الا تدعه يعيش بلا عقل". ثم ادركت ما تقول، فأخذت تردد في قرارة نفسها: "كيف اجرؤ على الصلاة كي يموت ولدي؟"

وكان الزوجان يتوجهان كل صباح الى المستشفى. وفي زحمة المرور، كانت مارنا تستغرب ان ترى الناس يقودون سياراتهم بهدوء اعصاب وهم ذاهبون الى اعمالهم، بينما كانت ترى ان الدنيا توقفت بالنسبة اليها. وكانا يعودان في المساء وقد نال منهما العياء، ولا يستطيعان الاجابة حتى عن السؤال الذي يوجهه اليهما الجميع: "كيف حاله الآن؟"

بل ان هذا الجواب كان يتعذر على الدكتور كون نفسه. فهو ركز جهده على الحؤول دون تنفخ دماغ ماتيو الى ان تستعيد خلاياه حيويتها. وكان ادق المؤشرات لديه جهازا يسمى "فلاووظ ريتشموند"، وهو انبوب ادخل في جمجمة ماتيو من خلال ثقب صغير فتحه جراح اعصاب بمثقاب دقيق واستقر على الغشاء الداخلي المتين الذي يكسو الدماغ، لكي يقيس به الطبيب ادنى زيادة تحدث في الضغط داخل الجمجمة.

وفي الساعة ٥،٣٠ من مساء الاثنين كان دماغ ماتيو قد بقي في حالة مستقرة لمدة ٤٨ ساعة، فبدأ الدكتور كون يعمل بحرص شديد على انتزاع العقاقير ومختلف وسائل الاعانة.

وقضى آل مارتن يوم الثلاثاء بجانب سرير ماتيو، ينتظرون عبثا ظهور دلائل الحياة على الطفل. وفي الصباح التالي تلقيا مكالمة هاتفية من احدى الممرضات تنبئهما بان ماتيو فتح عينيه مدة عشر ثوان.

ماما... جدّو... بابا! — وانضم اليهما والد روبرت مارتن عند باب المستشفى، واحاط الثلاثة مع الدكتور كون بسرير ماتيو. واذا بماتيو يفتح عينيه ويقول بنبرات واضحة: "ماما، البيت"، ثم تقلب في سريره الى الناحية الاخرى ورأى جده، فقال له: "جدّو"، ثم قال لابيه: "بابا، انا مريض".

هنالك ازدحمت الحجرة بالاطباء والممرضات. وحاول الدكتور كون ان يجري اختبارا حاسما، ليعرف ما اذا كان ماتيو يفهم امرا صادرا اليه ويمارس ما يستلزمه تنفيذ هذا الامر من تحكم حركي دقيق. وقال الدكتور كون لماتيو: "ماتيو، اخرج لسانك"، فانفتح فم الصبي وبرز منه لسانه الصغير. ولم يتمالك كل من في الحجرة انفسهم، فانفجرت عيونهم بالدموع.

وغادر ماتيو المستشفى يوم ٥ ديسمبر (كانون الاول)، وعاد اليه بعد ثلاثة اسابيع لاجراء فحص شامل اثبت عدم وجود اي تلف عصبي من اي نوع. وسرعان ما عاد الصغير الى ممارسة الانزلاق ببهجة بالغة فوق السطح المتجمد لتلك البركة التي اوشك على الغرق فيها. وما ان اقبل الصيف حتى بدأ يتعلم السباحة.

لقد تعاون اكثر من ١٠٠ شخص على انقاذ حياة ماتيو مارتن، وشاركوا بذلك في تجربة قلما ينساها احد منهم. ويتذكر الشرطي ستيف اميس حال الكآبة التي غمرت نقطة بوليس ميلتون حين اخذ يغير ملابسه المبتلة باخرى جافة، والمكالمة التلفونية التي جاءته من الجاويش تنبئه بان ماتيو حي يتنفس، فتشيع بسمة الابتهاج على وجوه رجال الشرطة الضخام الذين امتلأت بهم الغرفة. وتتذكر الممرضة باتريشيا والتون عندما اخذت تضغط على كيس التنفس الاصطناعي لتدفع الهواء الى رئتي طفل ضئيل بدا شديد الشبه بطفلها الذي يبلغ العامين ايضا، كما تتذكر يده اليسرى الملوثة بالشحم دليلا على ما بذله من كفاح ليخرج من تحت السيارة. وتتذكر مارنا مارتن ان بات والتون، التي كانت غريبة عنهم تماما حتى ذلك الحين، قد حملت ملابس ماتيو الى بيتها حيث غسلتها وكوتها. اما جيم سبنسر، مرافق سيارة الاسعاف، فقد قضى اياما وهو يتساءل: "هل اننا انقذنا مخلوقا بشريا بلا عقل كالنبات؟" ولم يكد ماتيو يصل الى بيته حتى ذهب سبنسر ليزور آل مارتن. وكان ماتيو لا يألف الغرباء قبل اقامته في المستشفى، ولكن ما ان رأى سبنسر حتى سارع الى لقياه واثبا الى ذراعيه المفتوحتين. وعندما اقبل جاك نوب لزيارة الاسرة، كان نصيبه قبلة من ماتيو.

ووجدت مارنا ان المحنة اثّرت فيها تأثيرا خفيا وحملتها على تغيير مرتبة الاولويات التي تهتم بها. فقد اكتشفت ان الاشياء التي كانت تعتبرها مهمة كالارضيات اللامعة والخزائن المرتبة والبيت النظيف المنظم الذي لا تشوبه شائبة، اصبحت في الحقيقة اشياء تافهة. ومن ثم توفر لديها الوقت الكافي لتهدئة مخاوف اماندا التي اخذت تنتابها الاحلام المروعة عن اختفاء ماتيو وتأبى ركوب السيارة من دون ابويها. وكانت مارنا وثيقة الارتباط دائما بزوجها، ولكنها لم تدرك تماما من قبل مدى صلابته في مواجهة المحن. وهي تقول الان: "لقد جعلنا الحادث ندرك ان لا شيء في الحياة يسمو في جوهره على الاسرة، اذ ان كل الاشياء بدونها تصبح تافهة وباطلة".

■ جانيس تيرويت

وصفوها بانها جامدة وباردة ومتسلطة وقوية. وكثيرا ما يكتب الصحافيون عنها فيشيرون الى "نظرتها النفاذة كأشعة الليزر"، و"اعصابها غير القابلة للاحتراق"، و"غريزتها القاتلة المدمرة". مع ذلك، فان مارغريت تاتشر اثارت انتباه الاوساط السياسية في العالم اجمع باعتبارها اول امرأة تتزعم حزب المحافظين. وأول انكليزية تتولى رئاسة الحكومة في بلادها

سيّدة بريطانيا



في فبراير (شباط) ١٩٧٥، حطم الـ"توريز" المحافظون فجأة حواجز الجنس. فمن بين ٢٧٦ عضوا في البرلمان لا يزيد عدد النساء بينهم على ٧، اختيرت مارغريت تاتشر زعيمة للحزب بعد ادوارد هيث.

انتخبت عضوا في البرلمان عام ١٩٥٩ وتبوأت الصفوف الامامية في الحزب منذ عام ١٩٦١، ثم شغلت منصب وزيرة دولة للتربية والعلوم عام

١٩٧٠، وظلت في هذا المنصب حتى سقطت حكومة هيث في ١٩٧٤. ولكن لم يسبق لامرأة ان تزعمت حزبا من الاحزاب السياسية البريطانية الكبرى.

ان المؤسسة المحافظة التي ورثتها السيدة تاتشر عن ادوارد هيث كانت تعاني شعورا بالخيبة بعدما خسرت ثلاثا من الجولات الانتخابية العامة الاربع التي خاضتها، كما انها تأثرت بعدد من المعارك الداخلية الضارية. كان الشغل الشاغل للنواب المحافظين التخلص من هيث. ولو وجدوا، قبل بدء التصويت على زعامة الحزب، رجلا يلتزم بالدخول في المعركة ضد هيث حتى النهاية لما اختاروا مارغريت تاتشر. وهي قررت "ان تركب الموجة" وتتقدم لزعامة الحزب. ومما قالت في هذا الشأن "احيانا تسنح الفرص التاريخية التي لا يمكن الشخص ان يتركها".

وظن البعض ان حزب المحافظين تلزمه السنوات الطوال للتغلب على صراعاته الداخلية ولاستعادة معنوياته ولكن سرعان ما بهرت مارغريت تاتشر الجميع. ومن اصعب المهمات التي واجهتها التفاهم مع زعيمها السابق، ولكنها نجحت فيها بفضل مثابرتها.

فاذا هيث يعلن في يوليو (تموز) ١٩٧٨: "لا بد لنا ان نكافح سويا بشدة حتى نبلغ النصر الذي ننشده".

اكتسبت مارغريت تاتشر اعجاب الكثيرين خلال رحلاتها الى الخارج كزعيمة لحزب المحافظين. وبعد زيارتها لواشنطن كتب عضو من اعضاء "الكونغرس الى السفير البريطاني هناك" : "اذا لم تسر الامور لمصلحة السيدة تاتشر هناك، فاننا في اشد الحاجة اليها هنا".

في الواقع ليس هناك جديد في شعارات السيدة تاتشر المحافظة: "حق الانسان في ان يعمل كما يشاء وان ينفق ما يربح وفي ان تكون له ملكية وان تكون الدولة خادما له لا سيدا". ثم هناك نداؤها: "لقد خذلت الاشتراكية امتنا فلنتخلص منها قبل ان تنجح في انزال الضرر النهائي بنا"، وهو نداء كان من الممكن ان يبدو باليا منذ بضع سنوات او متأخرا نوعا ما بعد بضع سنوات، ولكنه جاء في توقيت يبدو سليما.

المآخذ على العمال - منذ تسلمت حكومة العمال السابقة مقاليد الامور في مارس (آذار) ١٩٧٤ والاوضاع الاقتصادية في بريطانيا تدعو الى القلق العميق: تضخم رفع معدل الاسعار بنسبة تزيد على ٩٠ في المئة، ديون بريطانيا الخارجية تضاعفت أربع مرات حتى وصلت الى رقم مخيف هو ١٢ مليار جنيه استرليني. تحسنت الانتاجية قليلا عما كانت عام ١٩٧٤ خلال اضرابات عمال المناجم التي خفضت العمل في الصناعة الى ثلاثة ايام في الاسبوع. زادت البطالة اكثر من الضعف حتى بلغ عدد العاطلين عن العمل مليونا ونصف مليون. ارباب العمل الذين كانوا يشعرون بان في امكانهم فتح مجالات عمل جديدة كانوا يترددون في الاقدام على ذلك خشية الضرائب والانظمة والقوانين التي تضيق عليهم الخناق. اما العمال فتتهددهم تشريعات الاتحادات النقابية التي تحول دون حصولهم على تعويض مالي اذا هم طردوا بسبب رفضهم

الانضمام الى اتحاد ما، والتي تسمح بطردهم عنوة اذا ما طردوا من اتحاد ما او اذا ما رفض طلب عضويتهم فيه.

كان البعض يقول ان رئيس الوزراء السابق السيد جيمس كالاغان يميل الى موقف يقع الى يمين موقف الوسط في حزب العمال، لكن السيدة تاتشر سرعان ما اوضحت ان حزب كالاغان ما زال عند التزامه بتأمين قطاعات غير محددة من الصناعات المصرفية والتأمينية والانشائية.

ان الامتحان الحقيقي الذي ستواجهه السيدة تاتشر هو الطريقة التي ستحول بها اتجاه الاحداث المؤسفة الاخيرة.

ان ما تسميه مارغريت تاتشر "الحصول على حقها" يعني، بالنسبة اليها، التخلص من الصورة السائدة عنها، وهي صورة السيدة الانيقة في تحفظ، الدائمة التحكم في النفس، التي تتحدث بلهجة خريجي اوكسفورد وتشبه كل مثيلاتها من سكان الضواحي. السيدة تاتشر احتفظت، وقد بلغت من العمر ثلاثا وخمسين سنة، بجمال انكليزي كلاسيكي وقوام معتدل، لكن هذه السيدة المتميزة تتحلى ايضا بصفات عدة اخرى. فهي تسعى دائما ومن دون هوادة الى الفعالية والاتقان. وهي تعمل معظم الوقت، ويصل يوم العمل لديها الى ثماني عشرة ساعة. في البرلمان تحب الجدل، واسلوبها فيه لاذع وقوي، وكثيرا ما يكون لماحا يستند دائما الى مقدار كبير من العلم ببواطن الامور.

نادرا ما يضارعها عضو آخر في مناقشة القضايا المعقدة. لمحات الدعابة عندها نادرة ولكنها موجودة. سئلت مرة في مؤتمر صحافي عن شعورها بالنسبة الى الشؤون الخارجية فأجابت "انني احبها كل الحب".

ولدت مارغريت روبرتس عام ١٩٢٥، وهي الابنة الثانية لرجل ميسور يملك محل بقالة في بلدة غرانتهام في مقاطعة لنكولنشير. لعب والدها دورا كبيرا في تكوين طباعها، وقد كان رجلا صارما لا يشرب الخمر، بل ويلقي العظات وينتمي الى الكنيسة المنهجية (الميثودية). وكان يقرأ في نهم ويهتم بالسياسة، حتى انه عين عمدة لغرانتهام بين ١٩٤٥ و١٩٤٦. كان يكره البذخ الى حد انه ظل يعيش فوق حانوت البقالة في منزل ليس فيه مرحاض داخلي الى ان بلغت مارغريت من السن التاسعة عشرة.

نشأت مارغريت على الايمان بالعمل الشاق وامساك اليد عن الانفاق والاعتماد على النفس. زميلاتها في مدرسة البنات في غرانتهام يتذكرنها بحقيبتها الملأى باستمرار بالكتب وبأنها الفتاة التي لم تحمل يوما اسما للتدليل (او الدلع) والتي كانت الاولى في فصلها على الدوام باستثناء سنة واحدة.

عندما قررت الالتحاق بجامعة اوكسفورد، استعانت بقدرتها الكبيرة على التحكم في النفس. فهي لم تكن قد درست اللغة اللاتينية التي تعد من شروط الالتحاق بهذه الجامعة، فاقنعت والدها بدفع نفقات دروس خصوصية في اللغة اللاتينية وانهت في اشهر دروسا تستغرق عادة ثلاث سنوات. وتقول عنها مديرة مدرستها: "كانت تحسب بدقة متناهية مقدار

المجهود اللازم للقيام بعمل ما".
عندما اختارت دراسة الكيمياء فعلت ذلك بناء على حسابات دقيقة ايضا. فالحرب دائرة والحاجة الى العلماء كبير. اما حبها الكبير فهو، لا شك، السياسة. فقد بهرتها منذ الطفولة المناقشات السياسية التي كانت تدور في حانوت والدها، فلما التحقت بجامعة اوكسفورد انضمت الى اتحاد الطلاب المحافظين في الجامعة وما لبثت ان اصبحت رئيسة لهذا الاتحاد. وكلفها انهماكها في السياسة غاليا، فلم تتخرج بامتياز.

ولفتت رئيس اتحاد المحافظين في بلدة دارتفورد في مقاطعة كنت عندما اشتركت في مؤتمر لحزب المحافظين عام ١٩٤٨. وبعد ذلك بسنتين اصبحت مرشحة حزب المحافظين عن دارتسفورد وهي في سن الرابعة والعشرين. وكانت اصغر امرأة في معركة الانتخابات العامة.

لم يكن ثمة امل في ان تنجح في الانتخابات العامة الاولى ولا في التالية، ولكنها كانت تتقدم دائما بشجاعة وتتحدث بطلاقة وذكاء وتعمل بحماسة ومن دون كلل وتتحلى بروح الصداقة دائما. ونجحت خلال هذه الفترة في الاحتفاظ بوظيفتها كباحثة كيميائية، كما اعلنت خطبتها الى زوج المستقبل آنذاك.

يكبر السيد دنيس تاتشر زوجته بعشر سنين وهو ايضا من اعضاء حزب المحافظين. ولقد خفف هو من عبء المسؤوليات الواقعة على كاهل زوجته، وهي تدرس القانون وتنشىء اطفالها، بينما كان يعمل مديرا لشركة الدهان التي تملكها اسرته ثم مديرا لشركة بورما لتجارة النفط.

وليس بالغريب على مارغريت تاتشر انها اختصرت مهمتها كأم بانجاب توأمين مرة واحدة، ذكر وانثى. وظلت تذاكر في كتب القانون حتى يوم الوضع، وادت امتحان الاجازة بعد الوضع باربعة اشهر.

تابعت السعي عبثا للحصول على مقعد في البرلمان. اصبحت مارغريت تاتشر محامية في مجال الضرائب يخشى جانبها، واجادت الطهي اجادة تامة كما اصبحت زوجة واما مثالية. تقول عنها جريدة الغارديان: "انها مثال المرأة العصامية التي تؤمن بان المرأة الحقيقية تستطيع الوصول الى القمة من دون مساعدة". هذا، في اختصار، ما فعلته مارغريت تاتشر على مدى العشرين سنة الماضية منذ اختارها ناخبو منطقة فنشلي، التي تقع شمال لندن، لتمثلهم في البرلمان عام ١٩٥٩.

السيدة الحديدية وقبل ان تفلح في اقتحام دوائر حزب المحافظين المغلقة، نجحت في اكتساب احترام زعماء الحزب لها ولفكرها الحاد، ولكنها نالت نصيبها من النقد والهجوم. ولما تولت وزارة التعليم، الغت وجبة اللبن المجانية في المدارس للاطفال بين سن ٨ و١١ فسميت "تاتشر - خاطفة اللبن" على رغم انها اضطرت الى اتخاذ هذه الخطوة بسبب الازمة المالية.

وفي يناير (كانون الثاني) ١٩٧٦، اطلق عليها السوفييت اسم "السيدة الحديدية" التي تشعر "بكراهية فطرية للشيوعية". وكان الباعث على هذا الهجوم خطابا، لاذعا حذرت فيه من خفض ارقام موازنة الدفاع البريطانية، ومما قالت: "ان

السوفييت يضعون المدافع قبل الخبز بينما نحن نضع كل شيء قبل المدافع".

وقد آمن معظم اعضاء حزب المحافظين بانها تستطيع قيادتهم الى النصر، وانها قادرة على المناداة من دون هوادة بالاعتماد على النفس وبالعمل الشاق والاقتصاد والرأسمالية والملكية الخاصة والارباح..

برنامج المحافظين – والبرنامج الحزبي الذي اعتمدته يطالب بـ:" ان نعيش في حدود امكاناتنا وان ندفع ما علينا في هذا العالم، وان نتغلب على التضخم وان نحيي النواحي الخلاقة المربحة في اقتصادنا ونشجع العناصر التي يعتمد عليها. كل ذلك يتطلب الحد من البيروقراطية والاقلال من التشريعات والضرائب والقروض وزيادة الارباح لتشجيع الاستثمار وزيادة العمالة حتى يشعر من يقوم بالعمل الشاق بانه ينال مكافأته".

ان التأييد الذي حصلت عليه السيدة تاتشر من النساء لعب دورا مهما في الانتخابات اللاحقة. وهي، وان لم تكن تنادي بتحرير المرأة، الا انها لا تقلل من شأن العقبات التي تواجهها المرأة، ولاسيما الام، في حياتها العملية.

وهي تحدثت بصراحة في لقاء صحافي عن المشاكل التي تواجه المرأة في مجال السياسة والمسؤوليات السياسية، من ناحية، والالتزامات العائلية من ناحية اخرى. فقالت: "انني محظوظة لاني اعيش في لندن وامثل دائرة لندنية وان زوجي يؤمن بان من حق كل امرأة ان تحقق ذاتها". ملايين من النساء تأثرن بموقفها المتناسق الذي يتسم بالتوازن، وفضلن هذا الموقف على المواقف النسائية المتطرفة.

بعدما كسبت مارغريت تاتشر معركتها واصبحت رئيسة للوزارة، بات عليها ان تفوز في الحرب الداخلية النهائية التي تخوضها بلادها.

ان نجاحها في الانتخابات يعني ايضا ان عليها ان تواجه ديون بريطانيا الخارجية الثقيلة حتى قبل ان يتدفق المال الذي سيأتي من نفط بحر الشمال.

وقالت لي: "لم يكن في استطاعة السيد كالاغان ان يقوم باللازم بسبب العناصر اليسارية التي كانت تسعى الى اسقاط الرأسمالية. لا اعرف دولة تعيش فيها الحرية بعد سقوط الرأسمالية. وانا لا تعوزني العزيمة. نحن نرى ما يحدث للبسطاء من الناس، وسندافع عن حقوقهم. ان المسألة تتعلق بنوعية حياة معينة".

وقد يكون هذا هو بالضبط ما يهم المواطن البريطاني في هذه المرحلة من تاريخ بلاده.

■ **كلير ستيرلينغ**



بالديموقراطية وحدها

لا أحد يزعم ان الديموقراطية نظام كلي الاتقان او الحكمة. وقد قيل فعلا ان الديموقراطية هي اسوأ اشكال الحكم، باستثناء تلك الاشكال التي جربت من وقت الى آخر.

السير ونستون تشرشل

٩ مخاوف جنسيَّة منتشرة بَين الرجَال

الحياة الجنسية لا تزال، على رغم الوعي والانفتاح وتوافر مصادر المعرفة المختلفة، مصدر قلق لعدد كبير من الناس. وفي هذا المقال يحلل خبير بارز في شؤون الجنس تسعة من أكثر المخاوف الجنسية انتشارا بين الرجال، ويقترح وسائل للتغلب عليها

١ - خوف الرجل من أن يكون مختلفا

من بين جميع الاسئلة التي وجهت الي تكرارا، على مدى السنين، كان الأكثر تكررا هو: "هل أنا طبيعي؟". فالرجال يريدون أن يعرفوا اذا كانوا يشبهون الرجال الآخرين في سلوكهم الجنسي، واذا كان نوع نشاطهم الجنسي هو النوع "المقبول" و"الطبيعي" لممارسة الجنس. والرجال الذين يعانون هذا الخوف من الاختلاف يشعرون براحة كبيرة عندما يعلمون أن مفهوم السلوك الجنسي "الطبيعي" شيء لا معنى له اطلاقا. فبدلا من اهدار الوقت في مقارنات عديمة الفائدة، يحسن بالرجل أن يهتم بما اذا كان سلوكه الجنسي يؤدي الى الحاق ضرر أو ألم جسدي او مادي به شخصيا او بشخص آخر، واذا كان يستمتع حقا بالنشاط الجنسي الذي يمارسه.

٢ - الخوف من العنة

اذا كان للمخاوف الجنسية لدى الذكور ان توضع في قائمة حسب ترتيب انتشارها، فان الخوف من العنة قد يحتل رأس القائمة. ومن سخرية القدر ان هذا الخوف نفسه هو أكبر أسباب العنة.

فمعظم الرجال يعانون صعوبات

جنسية عندما يفرطون في الشراب، أو يكونون في حال تعب شديد أو ارهاق، او تشغل بالهم الهموم، فهم في هذه الحالات يفتقدون الرغبة في ممارسة الجنس. ولسوء الحظ أن مشكلاتهم هذه تسفر عن أعراض مباشرة ومرئية، هي عدم القدرة على الممارسة. والأسوأ من ذلك أن الفشل في الانتصاب في مناسبة معينة، وهو أمر يحدث لكل رجل تقريبا عاجلا أم آجلا، قد يؤدي الى قلق دائم لدى الرجل مما قد يحدث في "المرة التالية"، وقد يصبح هذا القلق بمثابة نبوءة ذاتية التحقيق، اي يسعى الشخص الى تحقيقها.

ليست هناك اطلاقا وسيلة تتيح تحقق الانتصاب استجابة لقوة ارادة الرجل وحدها، غير ان هناك بالفعل امرا يمكن عمله في حال العنة الموقتة. ذلك ان تحويل الاهتمام من التركيز على الهدف المباشر، أي تحقيق الانتصاب، الى عملية المداعبة المتبادلة التي تؤدي الى الاثارة غالبا ما ينتهي بالرجل المصاب بالعنة الموقتة الى تحقيق الانتصاب الفعلي.

واذا كانت هناك حقا بعض الاسباب المؤدية الى العنة البدنية الفعلية، الا ان أسبابها النفسية كثيرة ومعقدة. غير ان السنين العشر الاخيرة قد شهدت تقدما كبيرا حققه المعالجون الجنسيون في مجال تحديد أسباب هذه الحالات وعلاجها باستخدام وسائل طبية متعددة.

٣ - الخوف من سرعة القذف

هذه المشكلة تصيب الرجال من جميع الاعمار، وكثيرا ما يصبح الخوف من تكرارها نبوءة أخرى ذاتية التحقيق. ان سرعة القذف تعود، تقريبا، الى اسباب نفسية. فالمخ يتلقى اشارة بأن القذف وشيك، لكن أسبابا عاطفية متعددة تؤدي الى اخفاق هذه العملية على نحو طبيعي.

ان تكرار عمليات الاتصال الجنسي من شأنها تمكين كثير من الرجال من تأخير القذف في المرة الثانية او الثالثة، ولكن من الطبيعي ان يكون هذا الاسلوب اسهل اتباعا لدى الشباب الذين يستطيعون العودة الى تحقيق الانتصاب بعد القذف في المرة الاولى بوقت قصير. ومع ذلك فان الرجال الاكبر سنا يمكنهم القيام بالعمل نفسه اذا أتيح لهم قليل من الوقت واعتصموا ببعض الصبر.

وقد حقق معظم المعالجين الجنسيين نجاحا ملحوظا في معاونة الرجال على حل هذه المشكلة. كما ان بعض الرجال، ولا سيما أولئك الذين يتفهمون شريكتهم، قد نجحوا في معاونة أنفسهم بتحليل الصعوبة التي يواجهونها وتحديد أسبابها النفسية بدقة، ثم تعلم ممارسة السيطرة على القذف والتحكم به الى درجة مقبولة.

٤ - الخوف من الفشل في الممارسة

قد لا تبدو على الرجل اي علامة أو نذير بالعنة ولا تعترضه صعوبة في التحكم بالقذف، ومع ذلك يكون كل اتصال جنسي بالنسبة اليه موقفا يثير القلق والمخاوف. وهنا نجد مرة أخرى أن الحواجز نفسية، اذ ان هذا الخوف من الفشل يكمن وراءه خوف آخر أساسي، هو الخوف من أن يجد الرجل نفسه مرفوضا.

والخوف من الممارسة مشكلة يصعب التغلب عليها. واذا كان الرجل

محظوظا فان شريكته ستبدي تفهما لوضعه في كل مرة تطلب هي ذلك. كما ان الرجل الذي يعاني هذا القلق يمكنه ان يساعد نفسه ايضا اذا تفهم ان الاداء لا يعني بالضرورة ايصال العملية الجنسية الى نهايتها، لان النشوة لدى الانثى يمكن تحقيقها بوسائل أخرى.

٥ - الخوف من الحجم

كثير من الرجال يتملكهم القلق في ما يتعلق بحجم عضوهم التناسلي ويعود هذا القلق الى الاعتقاد الخاطىء الشائع بأن العضو المرتخي يزداد حجمه بالنسبة نفسها لدى الانتصاب. وعلى رغم ان اعضاء الرجال تختلف في أحجامها، وهي مرتخية، الا انها تتقارب كثيرا في أحجامها لدى الانتصاب. والامر الذي يبعث على السخرية هنا هو ان معظم النساء لا يتأثرن بالحجم.

٦ - الخوف من الشيخوخة

أكبر مصدر لخوف كثير من الرجال من الشيخوخة هو أنها ستبلغ بهم مرحلة يعجزون عن الممارسة الجنسية. والذكور يبلغون قمة قدراتهم الجنسية في السن الثامنة عشرة. غير ان الباحثين قد أثبتوا منذ زمن طويل ان انحدار القوى الجنسية بعد تلك السن يسير وئيدا وطفيفا على مدى العمر كله. وعلى رغم ذلك فان ثمة امرا شائعا بين الرجال هو ان هؤلاء يوحون لأنفسهم، بالفعل وباصرار، ان حياتهم الجنسية ستتوقف عند سن معينة يحددونها لانفسهم عن وعي او من دون وعي، كأن تكون سن الـ٥٠ أو ٦٠ أو (اذا كانوا متفائلين) الـ٧٠، وهم بهذا الايحاء يصيبون أنفسهم في السن المذكورة بعنة ذات اسباب نفسية بحتة.

والواقع أن من الامور الجديرة بالدرس فرز الرجال الذين لحقتهم العنة في سن السبعين بسبب المرض الجسماني عن الذين اصيبوا بها نتيجة لحواجز نفسية، اذ ليس هناك سبب بدني يؤدي الى عجز الرجل عن تحقيق الانتصاب طالما هو حي، شريطة ان يكون صحيح البدن.

٧ - الخوف من المطالب المفرطة

ان ما نشهده ونقرأه من كتب ومجلات وأفلام سينمائية والكلام الكثير الذي يصاحب الحركات النسائية يضخم لنا امرا كان في ما مضى من المشاكل الصغيرة لدى الرجال، وأعني بذلك ما نتوهمه من صورة الانثى التي لا تشبع جنسيا. والحقيقة هي أن الحاجات الجنسية لدى النساء والرجال على السواء، تختلف اختلافا كبيرا في ما بينهم تبعا لاختلافهم هم أنفسهم عن بعضهم البعض.

ومن الحريات التي حصلت عليها النساء أنهن اصبحن يعرفن ان أجسادهن ملكهن، وليس هناك ما يرغمهن على الاستجابة لمطالب الرجل الجنسية اذا كن غير راغبات في ذلك. وسيكون التحرر مماثلا اذا اضفى نعمته على أولئك الرجال الذين يخشون من عدم قدرتهم على الوفاء بمطالب الشريكة اذا فهموا أنهم غير مرغمين على ذلك هم ايضا. وكلما تعلم الرجال والنساء ان يتقبل كل منهم الآخر كند متساو، وأدركوا ان كل فرد، ذكرا كان أم انثى، له

حاجاته الجنسية الخاصة المتميزة، كلما تناقص هذا الخوف بالتأكيد.

٨ - الخوف من الميل الشاذ الكامن

يكاد يكون كل رجل قد قرأ او سمع عن الرجال الذين يظلون على غير وعي بميولهم اللواطية حتى يطرأ حادث جوهري بعيد الاثر فيكشف لهم عن خبيئة أنفسهم. والرجال الذين يتميزون بنفور، تحريمي شديد ضد الشذوذ الجنسي يمكن ان يؤدي بهم مثل هذا الخوف الى خوف بالغ الشدة من وجود مثل هذا المجال المجهول في أنفسهم.

وحقيقة الامر ان الغالبية العظمى من الرجال الذين ينجذبون الى الجنس الاخر على نحو عادي وسوي لا ينبغي لهم أن يخافوا من تعرض نمط حياتهم الجنسية للانقلاب المفاجىء. وعليهم ان يتذكروا ان كل صبي تقريبا قد مر في طفولته الباكرة ومراهقته بنوع من أنواع الصلة التي تدخل في باب الجنسية المثلية، ولكنهم جميعا يتجاوزون ذلك في نموهم الطبيعي ويكبرون ليعيشوا حياة جنسية "سوية" لا "انحراف" فيها.

٩ - الخوف من انحراف الزوجة

ان الفكرة التقليدية الشائعة في ثقافتنا والتي يسودها الاتجاه الذكري هي ان الزوج هو الذي ينحرف والزوجة هي الشريكة التي تتألم من انحرافاته. غير أنه يحدث كثيرا هذه الايام ان يقع عبء الخوف على كاهل الرجل. فاحساس التملك الذي يؤلف جزءا مهما من عقلية "سيادة الذكر"، والغيرة التي تنبع بالضرورة من مثل هذا الاحساس، قد أديا على الدوام الى حالات لا نهاية لها من البؤس والعنف.

ولكن الرجل الميال الى السيطرة والتسيد والذي يعتقد انه يمتلك زوجته ولا يريد ان يمسها احد غيره ويشعر دائما بأن خيانتها له مسألة وقت وفرصة، هذا الرجل كثيرا ما يكون ضحية مخاوف وشكوك تساوره في مدى كفايته الشخصية. وثمة ضرورة اساسية لتغيير نظر، مثل هذا الرجل. والمرأة التي تفهم هذه الحقيقة وتعمل بهدوء لطمأنة زوجها تكون فرصتها في أن تنشىء معه علاقة سعيدة قائمة على المساواة أكبر كثيرا من فرصة المرأة التي تستجيب لغيرته بالغضب والاحساس بالمهانة.

وهناك رجال آخرون يعانون مشكلة في هذا المجال تختلف عن المشكلة السابقة ولكنها تتصل بها: فهم صادقو النية والالتزام بالوفاء لزوجاتهم ولكن لديهم تخيلات عن نساء أخريات ولا يدركون أن أمثال هذه التخيلات أمور ليس فيها أي شذوذ وانما هي طبيعية تماما. هؤلاء الرجال يخافون من الانزلاق الى تحقيق هذه التخيلات في الواقع بالدرجة نفسها التي يخاف بها الرجل الغيور من انزلاق زوجته. الا ان مخاوف هؤلاء الرجال تكون عادة بلا أساس. ولا بد للرجال والنساء جميعا من ان يدركوا ان التخيلات يمكنها ان تثري الحياة من دون ان تكون نذيرا مخيفا بالانزلاق الى ارتكاب ما فيها بالفعل.

ان الخوف والشعور بالذنب قد أحدثا من التلف والخسارة في الحياة

الجنسية للرجال والنساء مقدارا يتجاوز كل حساب وخيال. واذا كانت غالبيتنا تدرك ذلك، الا ان استخدام هذا الادراك والانتفاع به لتحسين حياتنا كثيرا ما يكون أمرا صعبا. والمرأة التي تتفهم حقا ما ينتاب الرجال من مخاوف وتدرك ما تؤدي اليه من آثار مدمرة على علاقات الحب والتعاطف يمكنها ان تحقق تقدما كبيرا في سبيل القضاء عليها. وقد تدعو الحاجة في النهاية الى التماس المشورة المهنية لكن الاستجابة لمخاوف الرجال الجنسية بالتفهم والتعاون هي أولى الخطوات وأهمها، وكثيرا ما تغني عن كل ما عداها. وليس في العالم رجل أو امرأة يعيش أو تعيش بلا مخاوف، ولكننا نستطيع ان نزيل المخاوف التي لا أساس لها في مجال الجنس والتي تعوق أو تحول دون اشباع رغبة من أهم الرغبات في حياتنا السعيدة.

■ واردل ب. بومروي



يشترك المتفائلون والمتشائمون في خطأ واحد: انهم يخافون الحقيقة.

تريستان برنار

عمل مشترك

سئل كاتب السير والمذكرات السير هارولد نيكلسون مرة اذا كانت له اعمال مشتركة مع زوجته الروائية فيكتوريا ساكفيل ويست، فأجاب: "نعم، لدينا ولدان".

"يوميات ورسائل"

غزل نبيل

لا شك في ان احد اكثر اشكال التودد والتعبير عن الحب فخامة ونبلا هو ما فعله دوق فيلاميديانا تجاه ملكة اسبانيا ايزابيلا. فحين طلبت منه ان يريها صورة المرأة التي يعشق، بعث اليها بمرآة.

(مجلة "اسود وابيض"، فرنسا)

بحثا عن الجديد

ذهب عروسان الى محل لبيع الاثاث، وعبّرا عن رغبتهما في شراء قطع غير مألوفة كليا لتأثيث شقتهما الجديدة. فقال الشاب: "نريد شيئا لم يجربه أحد قبلنا". فأجاب البائع: "حسنا، هناك شيء لم يجربه أحد قبلكما، وهو أن تدفعا نقدا مقابل اثاثكما".

(مجلة "لو هيريسون"، فرنسا)

الأسرة الحقيقية

هناك الاسرة التي نولد فيها وهناك الاسر التي تضمنا مع الاصدقاء المقربين الى قلوبنا وليس منا من لا يحتاج الى اسرة واحدة على الاقل ولو اننا نستمد ثراء حياتنا من اسر كثيرة

في بعض الايام يشبه خطي خط امي، مائلا في امل وبشيء من الاسراف نحو الشرق. وفي ايام اخرى يبدو خطي مثل خط ابي: حاسما وعموديا. وسيظل كل من ابوي حيا في اعصابي وعضلاتي وعقلي الى يوم وفاتي كذلك ستبقى شقيقتي. ولكنهم ليسوا الوحيدين.

ان مشكلة الاسر التي ولدنا فيها هي بالنسبة الى الكثرين منا ان اسرنا تعيش بعيدة عنا جدا. فنندفع عبر القارات، في حالات الطوارىء كي نقف الى جانب افرادها، كما يندفعون هم ليقفوا الى جانبنا. ولكن اقرباء دمنا كثيرا ما يكونون ابعد من ان يتمكنوا من مواساتنا بين يوم وآخر،ومن ثم فلا بد لنا من ان نعتمد في مثل هذه الحالات على الاسر التي ننشئها عن طريق الصداقة.

وهذه الاسر الجديدة تضم اما اصدقاء الطريق الذين نقابلهم عرضا، واما اصدقاء القلب الذين نتقرب اليهم عن طريق الاصطفاء. واصدقاء الطريق اولئك الذين نزاملهم في الدراسة او في العمل او نجاورهم في السكن وهم يعرفون اين نمضي عطلة نهاية الاسبوع وما اذا كنا لا نزال نعاني الزكام الذي اصبنا به. ومجرد وجودهم بالقرب منا يضفي عليهم اهمية في حياتنا كما يضفي علينا اهمية في حياتهم ولكننا اذا انتقلنا من جوار بعضنا البعض فان ستة اشهر او عامين قد تكفي لمحو احدنا من افكار الآخر، ما لم نكن قد اصبحنا من اصدقاء القلب.

وصديق القلب يراني في صورة من افضل صوري، فاذا ما كنا معا، امكننا رجاؤه عزف الموسيقى، كذلك

الاحتفاظ بالصمت من دون ملل. واننا نتصل ببعضنا تلفونيًا في مواعيد مبكرة او متأخرة عن المواعيد التي نجرؤ فيها على ازعاج الآخرين، كما اننا لا نخلط في علاقاتنا بين الادب والكرم، ونحن نتجادل في بعض الاحيان. ونحن نسافر معا ونتنقل معا: وعندما يضيق الوقت ويشح المال فاننا نكتفي عند ذلك بنزهة قصيرة عبر المدينة ايا يكن المكان، فالمهم هو ان نكون معا.

والصداقات تترابط بعلاقات مقدسة رائعة تتيح تحقيق المعجزات، بل اكثر من ذلك اذا ما تضافرت في بوتقة جماعية عشائرية. وقد خبرت هذا الامر باعتباري انتمي الى ست او سبع جماعات غير تلك التي ولدت فيها، مما حملني على تحديد السمات المشتركة بين نوعين من الاسر: اسرة الولادة واسرة الصداقة، فانتهت محاولتي الى النتائج الآتية:

- لكل اسرة حقيقية رئيس او بطلة او مؤسس هو شخص محاط بالاعجاب والتقدير لمنجزاته او صفاته، يجتمع حوله الآخرون ويقتدون به فيكون حافزا لهم على تحقيق انجازات مماثلة لانجازاته. وبعض الاسر التي يربطها الدم تنجب امثال هؤلاء الاشخاص بانتظام، في حين ان بعضها الآخر ينجبهم على فترات متباعدة قد تبلغ خمسة اجيال.

ولا شك في ان كل جماعة تحتاج الى شخص من هذا الطراز، من وقت الى آخر، بل ان ثمة جماعات من تلك القائمة على غير رابطة الدم يتوافر لها في بعض الاحيان عدد من امثال هؤلاء الاشخاص في وقت واحد.

- لكل اسرة حقيقية شخص يقوم بدور الساهر اليقظ، هو شخص لا غرض له سوى متابعة ما يفعله الآخرون. وهذا الدور ينهض به صاحبه من تلقائه ومن دون تكليف من احد، وهناك دائما من يتطوع للنهوض به، وكثيرا ما يشعر هذا الشخص بأنه مدفوع الى الاحتفاظ بسجل للقصاصات والبومات للصور تستطيع الجماعة ان ترى فيها دليل استمرارها.

- الاسرة الحقيقية مضيافة، علما من افرادها بان المضيفين يحتاجون الى ضيوف بمقدار ما يحتاج الضيوف الى مضيفين فيحملهم سخاؤهم على اجتذاب الضيوف كأعضاء "شرف" في جماعة الاسرة. ومن مثل هذه الجماعات ينضح احساس قوي بالحلقات المحيطة بها من اقارب وجيران ومعلمين وطلبة يتسطيع اي منهم ان ينضم الى الحلقة الداخلية التي يشدها مفهوم ضمني من الاقطاع العاطفي. ومعنى ذلك انك تستطيعين كامرأة ان تطلبي مني رعاية اطفالك طوال فترة الاسبوعين التي ستقضينها في المستشفى، وانني سأتدبر هذا الامر مهما كانت المتاعب التي يسببها لي، ومعنى ذلك ايضا انني استطيع ان اتصل بك تلفونيا في عصر يوم موحش كئيب وانا اعلن انك ستدعينني الى الحضور لديك على الفور.

- الاسرة الحقيقية تواجه المحن بشجاعة. ما أبأس الجماعة التي لا تضم بين افرادها واحدا على الاقل متوهجا، خارق الاطوار، ولكنها تقدره وتعزه. كذلك ما أبأس الجماعة التي تفترض انها تستطيع ان تتفادى المحن وهي تعد جزءا لا يتجزأ من تراث البشر. ومن يدري، فقد يحل

الجنون او الافلاس او الانتحار او غيرها من الاقدار التي لا تصدق، في انبل الجماعات، عاجلا ام آجلا. وما حياة الاسرة سوى مجموعة من الاحداث وكأنها بركات وليست لعنات.

- الاسر الحقيقية، وهذا لا يقتصر على الاسر ذات الرابطة الدموية، فحسب، تحتاج الى طريقة للارتباط بالاجيال اللاحقة. فماذا عسانا نفعل نحن الذين لا اطفال لنا؟ هل نبني بيوتا؟ هل نغرس اشجارا؟ هل نؤلف كتبا او سيمفونيات؟ او نسن قوانين؟ ربما. ولكن حتى مع هذا كله، لا بد من ان يكون ثمة اطفال على الخطوط الجانبية ان لم يكن في محور حياتنا. وانه لفقر محزن ان نحرم بانتظام من ان نشاهد ونحادث ونضاحك - وندلل - اشخاصا ينتظر ان يعيشوا بعدنا بضع عشرات من السنين.

- الاسر الحقيقية تحترم كبار السن فيها. كلما اتسع مجال الاعمار المتباينة كلما اشتدت قوة الجماعة. فقد تزايد الان عدد الاجداد والجدات زيادة كبيرة عما قبل حين كان يندر الوصول الى سن الشيخوخة اكثر من اليوم. اما اذا حرمت الاسرة اجدادا حقيقيين فلن يصعب عليها الاهتداء الى اجداد بديلين تضعهم موضع التكريم والاحترام الصادقين.

كنت ذات يوم في ردهة المبنى الذي تقيم فيه صديقة لي فرأيت ممرضتين تخرجان من المصعد وهما تحيطان بسيدة ذابلة ناحلة محدقة العينين تتكىء عليهما ولا يكاد وزن جسدها الضئيل يزيد على ٣٠ كيلوغراما. وجل ما كانت السيدة العجوز تستطيع القيام به هو ان تنزل درجات ثلاثاً الى رصيف المشاة حيث تنتظرها سيارة عند حافته كي تنقلها الى احدى دور الرعاية.

وقال بواب المبنى: "ان تلك السيدة تبلغ التسعين من عمرها وكانت تسكن المنزل منذ اربعين سنة. وقد وقعت في مسكنها ذلك الصباح واصيبت بأذى وقد توفي جميع اقاربها، واهملها اصدقاؤها القليلون الباقون على قيد الحياة.

وسألت صديقتي: "وكيف يكون ذلك؟ هل من الممكن حقا ان تبلغ بنا الوحدة الى هذا الحد؟"

فقالت صديقتي: "نعم، ذلك ممكن يا صديقي".

ولعلنا نستطيع ان نحول دون مثل هذا الوضع، بان نوجه مقدارا اكبر من المبالاة والتفكير الى الجماعات التي تضمنا وانواع الاسر المتعددة التي ننتمي اليها. فليس في نظري هدف ادعى من هذا الهدف واحرى منه بالتحقيق.

■ جين هوارد



أسرار التجارة

ضاعف بائع زهر في ساحة "تيمتر" في باريس دخله بتعليقه لافتة على نافذة المحل تقول: "ازهاري رخيصة بحيث يستطيع حتى الازواج تقديم بعض منها الى زوجاتهم".

أزمة الجوع في العالم

يهدد شبح الجوع مئات الملايين في العالم. والرد الواضح على هذا التهديد يكون بزيادة انتاج الاغذية مع كبح النمو السريع في تزايد عدد السكان. على ان كاتبي هذا المقال، وهما خبيران معروفان في مضمار الزراعة، يقولان ان ذلك ليس سوى جزء من الحقيقة، ويسوقان الادلة على ان الاعتماد على الذات في توفير الغذاء يمكن تحقيقه الان ومستقبلا في كل دول العالم.

الخرافة الاولى: ان الناس جياع بسبب قلة الاغذية المتوافرة لان حجم السكان يفوق المقدار المحدود لمصادر الطعام.

هل يصح اعتبار ندرة الاغذية سببا جديا للجوع علما بانه كانت هناك، ابان "الازمة الغذائية" في السبعينات، مقادير من الاغذية - كحبوب فقط - كافية لتزويد كل انسان بثلاثة آلاف وحدة حرارية يوميا وبالكثير من البروتيين كذلك؟

ليس لمثل هذه التقديرات العالمية اهمية كبيرة سوى انها تدحض الفكرة السائدة على نطاق واسع والقائلة باننا قد ادركنا الحد الاقصى لاستثمار الارض. والامر الذي يهمنا الان معرفته هو: هل ان المناطق التي تشكو من الجوع اكثر من غيرها تتوافر فيها مصادر مؤاتية لانتاج الاغذية.

ان تلك المصادر موجودة فعلا. ومن سبل قياسها النظر الى الفرق الشاسع ما بين الانتاج الحالي والانتاج الممكن تحقيقه. اذ لا يتجاوز نطاق الافادة من الاراضي الصالحة للزراعة في العالم حدود ٤٤ في المئة. فضلا عن ان معدل انتاج الحبوب في البلدان النامية هو ادنى من نصف انتاجها في الدول الصناعية ناهيك بان الاراضي التي تزرع مرة واحدة في السنة يمكن ان تصبح مصدرا لمحصولين أو أكثر سنويا اذا زرعت مرتين او اكثر.

والعوائق التي تحول دون المزيد من

الانتاج هي اجتماعية لا طبيعية، في اغلب الحالات، لان السيطرة غير العادلة على مصادر الانتاج هي المسؤولة عن اعاقة سبل تنميتها.

واننا لنجد في معظم الدول التي يشكو فيها الناس من الجوع مالكين كبارا يهيمنون على معظم الاراضي. وقد أظهرت الدراسات التي أجريت في ثلاثة وثمانين بلدا ان نسبة السكان الذين يملكون خمسين هكتارا فما فوق لا تزيد سوى القليل على

مصادر انتاج الاغذية لا تخدم سوى مصالح القادرين على الدفع. وينقسم القادرون قسمين: الطبقة الاجتماعية المحلية العليا، والاسواق الخارجية التي تدفع اسعارا مرتفعة. من هنا فان محاصيل الارض المعدة للتصدير تتزايد وتتوسع بينما تهمل وتتناقص محاصيل الاغذية الاساسية التي من شأنها سد الحاجات المحلية. ففي دول امريكا الوسطى وجزر البحر الكاريبي مثلا يعاني ٧٠ في المئة من

قلة تغتصب مصادر الغذاء

ثلاثة في المئة. وتسيطر هذه القلة على ٨٠ في المئة من مجمل الاراضي الصالحة للزراعة، كما ان محصولها السنوي من استثمار الهكتار الواحد يقل عما يمكن ان يحصله اصغر المزارعين لو اتيح لهم استثمار الاراضي بانفسهم. على ان صغار المزارعين في العالم الثالث ليسوا منتجين بالمقدار الذي تتيحه لهم امكاناتهم. ذلك ان القروض المعفاة من الفوائد والتسهيلات والخدمات والاسواق كلها حكر على كبار مالكي الاراضي الاوسع نفوذا.

وليست الاراضي في الدول التي يشكو فيها الناس من الجوع دون المستوى من حيث حجم الانتاج. بل هي كذلك اراض يساء استثمارها. ذلك بان غالبية السكان هناك لا تملك المال الكافي لجعل حاجاتها ملموسة او ذات أهمية في الاسواق ولهذا فان

الاطفال سوء التغذية، في حين تستغل نصف الاراضي الزراعية، وفي الغالب افضلها لانتاج محاصيل معدة للتصدير. والجدير بالملاحظة ان بعض الصادرات الزراعية من الاقطار الساحلية في افريقيا قد زادت في اوائل السبعينات على رغم الجفاف وانتشار المجاعة على نطاق واسع. وكانت معظم المواد الزراعية المستوردة التي دخلت اسواق الولايات المتحدة الامريكية آتية من بلدان كان يفترض انها تعاني نقصا في المواد الغذائية.

ولو كانت "كثرة الناس" سببا في الجوع لتحتم علينا توقع العثور على مزيد من الجياع في الدول ذات الكثافة السكانية الاعظم. ولكننا لم نستطع في ابحاثنا العثور على مثل هذا التناسب. ففي الصين مثلا يعيش من انتاج الهكتار الزراعي الواحد عدد

من الناس يفوق بنسبة ٥٠ في المئة عدد الذين يعتاشون في الهند من المساحة المماثلة ومع ذلك لا يجوع احد في الصين في هذه الايام. وقادتنا الاستقصاءات التي اجريناها في عدد كبير من البلدان، بما فيها البلدان "المنكوبة" مثل بنغلادش، الى الاعتقاد بانه ليس هناك في الحقيقة بلد واحد بلا مصادر زراعية مؤاتية لاطعام شعبه. فلا حجم السكان في هذه الايام ولا نسبة تكاثرهم هما

ترتفع اسعارها على نحو حاد. ومن شأن مثل هذا الارتفاع في أجور الارض جعل المستأجرين الزراعيين واولئك الذين يفلحون الارض بالحصة (اي لمصلحة المالك في مقابل جزء من المحصول) معدمين، بلا ارض. ومع تزايد الارباح يسعى الاقوياء الى شراء حصص صغار المزارعين ثم يُدخل كبار الوكلاء التجاريين الآلة في المجال الزراعي لتحاشي المشاكل العمالية.

وتزيد فقر العالم النامي

السبب في الجوع الحالي. ولكن من الواضح ان مستقبل سلامتنا سيتأثر تأثرا خطيرا اذا ما استمر تزايد عدد السكان بالنسب الحالية.

الخرافة الثانية: ان حلّ مسكلة الجوع يكون بانتاج مزيد من الطعام. منذ ثلاثين سنة والحكومات والوكالات الدولية والهيئات المتعددة الجنسيات عاكفة على تشجيع زيادة انتاج الارض بالوسائل العصرية مثل توسيع نطاق الري واستخدام المخصبات والمبيدات والآلات والبذور التي تزيد الانتاجية. ولكن التقنية الزراعية الجديدة حين تدخل نظاما حافلا بعدم التكافؤ لا تعود بالفوائد الا على المتنعمين بالارض والمال والنفوذ السياسي و"استحقاق" القروض. ومتى اصبحت الزراعة مجالا لمضاربات المستثمرين زادت المنافسة على استثمار الاراضي التي

والواقع ان اقصاء المرء عن وسائل انتاج الطعام غالبا ما يعني اقصاءه ايضا عن استهلاك هذا الطعام "لأنك اذا كنت لا تملك ارضا، فلن تحصل على كفايتك من الطعام حتى وان كانت الارض تعطي غلة جيدة". هذا ما قاله عامل زراعي في ولاية بيهار الهندية لا يتجاوز أجره اليومي ٣٦ سنتا (ثلث دولار تقريبا).

ليست هذه مناقشة نظرية، فالدراسات المتعددة في هذا المجال سجلت تدهورا في حياة عدد كبير من سكان الريف وتصاعدا في نسبة الجوع حتى في الوقت الذي تنتج نسبة اعلى من الاغذية بالمقارنة مع عدد السكان.

ومع ذلك فان الذين يسيطرون على مصادرهم الخاصة بالانتاج سيتمكنون، عن طريق استخدام ايديهم ومهارتهم، لا من اطعام

الانتاج الغذائي العربي

البلدان العربية ثلاث فئات من حيث انتاج المواد الغذائية:
١ - بلدان قليلة السكان، تفوق مساحة اراضيها القاحلة السبعين في المئة، مثل المملكة العربية السعودية والخليج.
٢ - بلدان تتمتع بوفرة من الماء والارض الصالحة للزراعة، الا ان زراعتها لا تزال غير نامية وغير موجهة نحو التصدير، مثل مصر والسودان والجزائر والمغرب.
٣ - بلدان تتمتع بمقدار كاف من الماء والارض الخصبة ولكنها تفتقر الى اليد العاملة والآلات الزراعية على نطاق واسع، مثل سورية ولبنان.

والعوائق التي تحول دون تطور الانتاج الزراعي العربي مادية (الأرض والآلة) وبشرية (اليد العاملة) اكثر منها اجتماعية كما هي حال معظم بلدان العالم الثالث. ووادي النيل الذي يزود اليوم ٣٥ مليون مصري بالغذاء، لن يستطيع الاستمرار على هذا المنوال بعد عشرين سنة عندما يتضاعف عدد السكان.

وفي بلدان الخليج لا تزال الآمال معقودة على بعض المشاريع الانمائية، خصوصا ان الاستعمار كان ركز في هذه المنطقة على زراعة المحاصيل غير الغذائية وغير المعدة للتصدير. وفي امكان مصر انتاج كميات كافية من القمح اذا هي حدت من انتاج القطن بقصد التجارة الخارجية.

اما في شمال افريقيا فهناك اهتمام متزايد بمشاريع الاصلاح الزراعي والتنمية الريفية بهدف تأمين الاكتفاء الذاتي من الاغذية.

وتجدر الاشارة الى ان العرب وضعوا آمالا كبارا على تحويل السودان الى "سلة غذاء" العالم العربي. وصناديق التنمية العربية على استعداد لتمويل المشاريع الطويلة الامد في هذا البلد. لكن التحدي الكبير يكمن في تنظيم الموارد البشرية. ويقول المدير العام لمنظمة الاغذية والزراعة الدولية التابعة للامم المتحدة السيد ادوار صوما (لبناني): "ان عدم الاستقرار هي الصفة الطاغية في جزء حيوي من المجتمع السوداني. والبدو هناك رعاة وليسوا مزارعين. وبما ان الزراعة تحتاج الى مزارعين، فالسودان يستقدم اكثر من ٦٠٠ الف من العمال الزراعيين سنويا للاهتمام بانتاجه من القطن".

بناء على العوامل المذكورة وما يتعلق بها ويتبعها، يتوقع ان يظل العالم العربي مستوردا للاغذية خصوصا الحبوب التي يستورد منها حاليا ما يزيد على العشرة ملايين طن سنويا، يذهب اكثر من ثلثها الى مصر. وهذا الاتكال الغذائي العربي القوي الذي يقع ثلثاه على الغرب، يؤدي احيانا الى صعوبات سياسية واقتصادية.

انفسهم فحسب بل كذلك من جعل تلك المصادر اعظم انتاجا. وان الطاقة البشرية تستطيع، اذا ما حفزت وشجعت ونظمت تنظيما حسنا، تحويل الصحراء الى ارض خضراء معطاء.

الخرافة الثالثة: ان أفضل امل للدولة النامية في التطور والنمو هو تصدير محصول زراعي تتميز به طبيعيا ثم الافادة من العائدات المالية لاستيراد المواد الغذائية والسلع الصناعية.

ليس هناك شيء طبيعي - بل ليس هناك على المدى الطويل ميزة في التركيز على انتاج بضعة محاصيل ذات قيمة غذائية منخفضة في معظم الاحيان. فالارض التي تنتج الكاكاو او الشاي او السكر، في امكانها انتاج انواع متعددة من المحاصيل

المغذّية. والذين يفيدون من الصادرات الزراعية ليسوا هم الذين كدحوا في انتاجها. ولئن ُاستخدم جزء من العملة الاجنبية المكتسبة بالتصدير في استيراد مواد غذائية، فان ما يستورد عموما ليس بالمادة التي يحتاج اليها الناس وانما هي منتجات تخدم مصالح سكان المدن الاكثر يسرا.

وعلى سبيل المثال، ُيستخدم جزء كبير من أرض السنغال في زراعة الفول السوداني (الفستق) بغية تصديره الى اوروبا، فيما ينفق جزء من العملة الصعبة الواردة لاستيراد القمح بغيةانتاج خبز على النمط الفرنسي يوضع في متناول سكان المدن!

والادهى من ذلك ان نجاح الزراعة التصديرية قد يكون، في ذاته، عاملا يضاعف من افقار سكان الريف الفقراء أصلا، وكثيرا ما تعني زيادة السعر العالمي لسلعة ما من سلع التصدير دخلا اقل للعامل الزراعي او الفلاح المنتج. والدليل على ذلك انه حين ارتفع سعر السكر قبل بضع سنوات في السوق العالمية اضعافا عدة ساهم في تضخم الاسعار على نحو لولبي، اذ انخفض الاجر الحقيقي الذي كان يتقاضاه عامل قصب السكر في جمهورية الدومينيكان.

يضاف الى ذلك ان الحكومات تجنح احيانا الى ابطال الاصلاحات العمالية اعتقادا منها بان الاصلاح قد يفسد قدرة الصادرات على منافسة السلع الاجنبية. وفي بعض الدول كالفيليبين مثلا تعفى الارض الزراعية المخصص انتاجها للتصدير من انظمة الاصلاح الزراعي وعلى هذا الاساس فان الحكومات لا تحافظ فقط على مستوى فقر اهالي الريف الذين لا يملكون ارضا وانما تساهم كذلك في خفض مستوى انتاج الاغذية الاساسية حيث يحوّل اصحاب الارض جهودهم الى زراعة المحاصيل الصالحة للتصدير تفاديا لانظمة الاصلاح الزراعي وتوزيع الاراضي على نحو اكثر عدالة.

وبالمقارنة مع ما سبق نجد ان السياسات الرامية الى الاعتماد على النفس في انتاج الاغذية لا تقيس النجاح بميزان الدخل من الصادرات بل بمدى رفاهية الشعب وسد حاجاته. وهذا المبدأ لا يعني الانعزال عن بقية العالم وانما يعني ان التجارة مع العالم الخارجي ستكون ثمرة لنمو عضوي وتطور طبيعي لا محورا مهلهلا يتعلق على مداره وجود الامة وبقاؤها.

الخرافة الرابعة: ان الجوع هو نزاع بين عالم غني وعالم فقير.

هذا الكلام يجعل الجياع يبدون وكأنهم تهديد للغالبية من المواطنين العاديين في الدول الاخرى. على ان الجوع فيواقع الامر ُيلم بالدرجات الدنيا من الناس في الدول النامية والمتقدمة على حد سواء. والتركيز المتزايد على السيطرة والتحكم بالارض والمصادر الاخرى لانتاج الاغذية هو عملية تجري الآن في كلا العالمين، المتقدم والنامي.

ففي الولايات المتحدة مثلا، تملك ٥،٥ من المزارع اكثر من نصف الاراضي الزراعية الامريكية. واما في ما يتعلق بصناعة الاغذية فان المؤسسات الاربع الكبرى العاملة في مجالات تصنيع الطعام هي

التي تسيطر عادة على أكثر من نصف الاسواق. وقد تبين ان احتكار القلة للسوق، على هذا النحو، يؤدي الى فرض اثمان باهظة للسلع الغذائية واحداث نقص في التغذية، بالتالي بالنسبة الى الكثيرين.

وثمة عدد متزايد من كبرى الشركات المنتجة للاغذية ينقل الان مكان انتاج المواد ذات القيمة العالية مثل الخضر والفاكهة والطحين واللحوم الى دول نامية حيث تكاليف اليد العاملة منخفضة الى حد يتعدى العشرة فيالمئة من تكاليف اليد العاملة المماثلة في الولايات المتحدة. وتجد هذه الشركات في النخبة المحظية في الدول الاخرى شركاء متحمسين"لان تلك النخبة تواجه سوقا داخلية كاسدة نظرا لتزايد الفقر في قطاع كبير من السكان المحليين.

وهكذا نرى ان شركات زراعية متعددة الجنسيات تنشط حاليا لاقامة "مزرعة دولية النطاق" تموّن سوقا عالمية ايضا. ويتوجب على اكثر الناس فقرا ان يتوجهوا، الى مثل هذه السوق، لشراء طعامهم من الرفوف نفسها التي يتوجه اليها مئات الملايين من المستهلكين حول العالم. بيد ان سعر السلعة في هذه السوق هو السعر نفسه الذي يكون المستهلك الاوسع ثراء، على استعداد لدفعه وبذلك يصبح المستهلك في الدول المتقدمة، من حيث لا يدري، قوة امتصاص تحوّل مصادر الغذاء في الدول النامية بعيدا عن اهلها وحاجاتهم.

ان مثل هذه السوق العالمية النطاق هي واحد من انماط الاعتماد المتبادل الذي لا يحتاج اليه احد. ومثل هذا "الاتكال المتبادل أو اعتماد الاشياء على بعضها البعض يصبح في عالم تتباين فيه القدرات والقوى تباينا متطرفا، ستارا من الدخان يحجب عن الاعين ما هو في الحقيقة اغتصاب القلة لمصادر الاغذية ووضعها في خدمتها.

■ **فرنسيس مور لابيه**
وجوزف كولينز

يشترك الكاتبان في ادارة معهد ابحاث الاغذية والتنمية في مدينة سان فرنسيسكو وهما وضعا معا كتاب "الطعام اولا" الذي صدر عن دار "هوتون ميفلين".



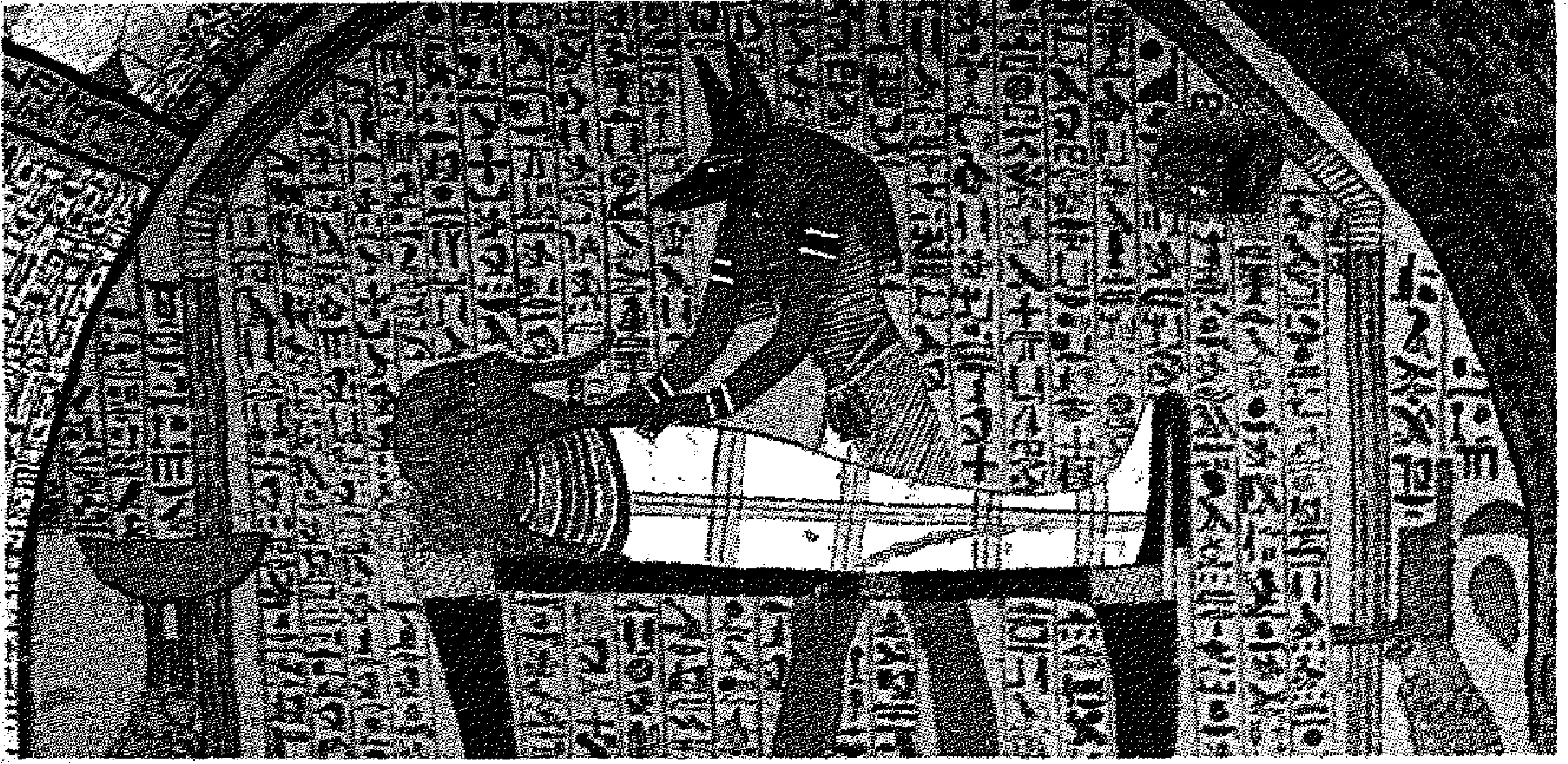
بلاغة المال

استقبل جورج كليمنصو، حين كان رئيسا لوزراء فرنسا، عمدة احدى البلديات المتواضعة، وقال له بخشونة: "ما الذي دعاك للقدوم لازعاجي؟ ليس لدي وقت اضيعه في سماع الخطب. قل لي بكلمة واحدة ماذا تريد".

اجاب العمدة: "المال".

فرد "النمر" (وهو لقب كليمنصو): "انك تعجبني". واعطاه ما اراد لبناء جسر مدينته وشق ساحة فيها.

(مجلة "لوهيريسون"، فرنسا)



يظهر المحنط منهمكا في العمل، وهو يرتدي قناعا يمثل ابن آوى. ويبدو وراءه رسم جداري من أحد مدافن طيبه يوم كانت عاصمة لمصر.

هذه الاوعية الرقيقة المعرضة للعطب تحمل في طياتها سجلات الماضي السحيق وتكشف لنا اليوم عن اسراره الدفينة

أسرار المومياءات المصرية

لقد درج الاطفال، لدى قدومهم الى اي من متاحف الآثار القديمة، على الاستعلام قبل كل شيء عن موضع المومياءات. كذلك هي الحال مع الكبار، فأنهم يتجمعون افواجا من حولها فيوقع مشهدها الدهشة في نفوسهم لما عسى الاحياء يستطيعون ان يجنوه من حفظ هذه الجثث المحنطة على مدى ألوف السنين.

فالسواد الاعظم من هذه المومياءات لم يأبه بالوف السنين، بل صمد للزمن، وكأن الزمن قد توقف عن مسيره وكأن المومياءات هي الرسل الصامتة الموفدة من عالم مفقود لتروي لنا الكثير عن الحضارة الرائعة التي انجبتها، وعن شعبها الذي يأبى التسليم بدوام الموت.

لقد كان الاهتمام بتحنيط جثث الموتى ودرء تحللها امرا خصه العالم بجهود حثيثة. فقد حنطت، مثلا،

جثة السيد المسيح المجرحة، حسبما ورد في انجيل يوحنا، بمزيج من "المر والعود مئة منا". وقد حفظ الاسكندر الاكبر في العسل، كما حفظ اللورد نلسون في البراندي، وحفظت في العصر الحديث جثتا لينين وماوتسي تونغ بطريقة فاتتنا معرفتها. غير ان مصر القديمة قد بلغت بفن التحنيط درجة الكمال.

فرمال مصر الدافئة من حرارة الشمس وجفاف الهواء تعد بيئة طبيعية ملائمة لحفظ المومياءات. وقد رأيت جثثا دفنت بلا كفن منذ خمسة آلاف سنة في قبوررملية سطحية. الا ان الفكرة شاعت في عهد الفراعنة لحفظ الجثث في قبور محكمة الاقفال، تفاديا لعبث الوحوش المفترسة وعوادي الزمن، فتطورت عمليات التحنيط واصبحت صناعة تنافس الطبيعة في محاولاتها العفوية الرقيقة لصون الاموات.

وكشواهد "حية" على ذلك فان اقدم المومياءات التي نعرفها تنطوي على حفنة من خليط المواد المفضلة لحفظ الجثث، ويعود تاريخها الى الاسرة الخامسة، اي قرابة السنة ٢٥٠٠ ق.م. وقد استمر فن التحنيط قرابة ثلاثة آلاف سنة من دون انقطاع، وبلغ عصره الذهبي قرابة السنة ١٠٠٠ (ق.م.

ومعظم هذه المومياءات، مع تغضن بشرتها واسودادها لا تبعث على الخوف او الاشمئزاز، وكأنها في هجوع سرمدي لم يغب عنه الطابع الانساني: فمنها المومياء المبتسمة ومنها المتجهمة والمنشدهة الفاغرة فمها والراضية المطمئنة والحالمة الهادئة. وتبدو مومياءات الذكور الملكية بذراعيها المتقاطعتين فوق صدرها بينما تحتفظ مومياءات الاناث بذراعيها منبسطتين الى جانبيها.

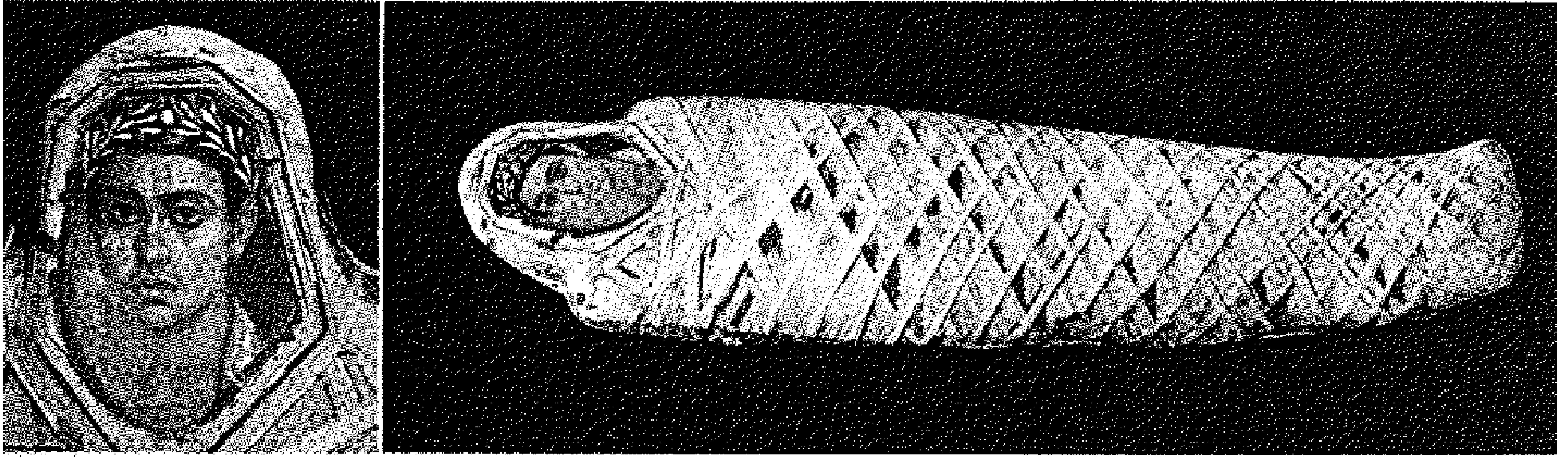
وكان الغرض من التحنيط المحافظة على شخصية الميت وراء عتبة الموت. وفي الواقع، اقام الفرنسيون استقبالا ملكيا لمومياء رمسيس الثاني في باريس عام ١٩٧٦ لمعالجتها من مرض خفي تسبب عن طفيليات هوائية تسربت الى الصندوق الزجاجي الذي كانت المومياء معروضة فيه في متحف الآثار المصرية. وكانت مومياء صاحب الجلالة هي المومياء الملكية الاولى التي تغادر مصر، فحيتها ثلة من الحرس الجمهوري الفرنسي لدى وصولها الى المطار. ثم عكف الاختصاصيون الفرنسيون على معالجة رمسيس الثاني ووفقوا فيها بفضل اشعة "الكوبالت ٦٠" واعادوها بعد ذلك الى موطنها في وضعها السليم.

سر المهنة – يشير المؤرخ الاغريقي هيرودوت الذي عاش في القرن الخامس ق.م.، وكان شاهد عيان لعمليات التحنيط في ذلك العهد، الى ثلاث فئات من المراسم الجنائزية كانت اغلاها جنازة الدرجة الاولى حيث كان الحمالون ينقلون الجثة الى مركب في النيل يتوجه بها الى الشاطىء الغربي، فتحمل هناك في موكب يتقدمه احد الكهنة الى خيمة التحنيط.

وبعد ذلك كانت الجثة تطهر بينما يتلو الكهنة الترانيم الجنائزية ويبدأ الحرفيون عملهم. اما رئيس المحنطين فكان يضع على وجهه قناعا يمثل ابن آوى، وربما كان ذاك القناع رمزا لطواف هذه الحيوانات

حول القبور السطحية في الصحراء، ولكنه اصبح بعد ذلك صورة للاله انوبيس ذي رأس ابن آوى، الذي يتزعم ارواح الموتى.

ويضيف المؤرخ اليوناني ديودوروس: "ثم يدخل الشخص الرهيب قاطع الجثة بسكينه الحجري بمادة النطرون الجاف، وهي مادة طبيعية تحتوي على بيكربونات الصوديوم وكلوريد الصوديوم، وتترك على هذه الحال بين ٣٥ و٤٠ يوما لاستخلاص السوائل منها. وقد أكدت التوراة ذلك فقد جاء فيها ان يوسف، عند موت يعقوب في مصر، امر خدامه



قبل ان يختفي فن التحنيط، بدأ استعمال رسوم للموتى. الى اليسار: صورة مومياء منقوشة على لوح خشب. الى اليمين: المومياء نفسها، وقد عثر عليها في مطلع القرن العشرين شمال هرم هوارد. ووجهها مغطى بالرسم الذي يمثله.

ليشق في الجانب الايسر من بطن الجثة جرحا طوله قرابة ١٥ سنتيمترا ويهرب بأقصى سرعته تلاحقه الصخور الطائرة واللعنات عقابا له لانتهاكه حرمة جسد بشري. وفي هذه الاثناء يتولى عمال آخرون استئصال معظم الامعاء وتحنيطها ثم وضعها في اربع اوان حجرية تدفن مع المومياء. وكان المخ ينزع بمهارة ويترك القلب وحده في موضعه باعتباره مأوى الضمير الذي يوزن في العالم الآخر. اما فراغات الجسد الخاوي، فكانت تغسل بنبيذ النخيل وتطلى بالزيوت وقاية لها من الجراثيم".

ان الماء في الجسم البشري يعادل ثلاثة ارباع وزنه. ويقوم فن التحنيط القديم على اخراج هذا الماء من دون اتلاف الانسجة. ويعتقد العلماء المعاصرون ان الجثة كانت تحزم من العلماء بتحنيط جثة ابيه. وكان ذلك يلزمه ٤٠ يوما وهي الفترة الضرورية للتحنيط.

وبعد تشريح الجثة، تأتي مهمة اختصاصيي التجميل، فيحشون الجسد بلفافات الكتان او بنشارة الخشب، ليستعيد شكله الطبيعي. ثم يغطي الاختصاصي جرح البطن بصفيحة ذهبية ويطلي اظافر القدمين واليدين بالحناء ويمشط شعر النساء على شكل ضفائر ويضع في محجري العينين حجرين شبه كريمين. وقد اولى قدامى المصريين عناية كبرى لملامح الوجه لانها الدليل الاول على شخصية الميت. بعدئذ كان الجسد يفرك بالعطر والطيب الذي لا تزال رائحته نفاذة حتى الان في بعض المومياءات ثم يطلى بطبقة من الصمغ القوي.

الان وقد انتهى تحضير الجثة التي

كانت انسانا قبل ذلك، بات من الممكن الاهتمام بتغليفها، وكانت عملية التغليف تستغرق اسبوعين ولفائف الكتان المستخدمة يصل طولها الى مئة وخمسين مترا مرفقة احيانا ببعض اللفائف الخارجية الملونة الفنية التنسيق.

الرحلة السوداء ــ وفي نهاية اليوم السبعين من عملية التحنيط، كانت المراسم الجنائزية تتوج بفتح فم المومياء للرمز الى تمكين المتوفي من التنفس وتناول الطعام والشراب والدفاع عن نفسه امام القاضي الاعلى. وفي اثناء هذا الاحتفال كانت المومياء تحفظ واقفة بينما كان احد الكهنة يمس الوجه الملفوف بقدوم نجار قائلا: "انك حي... انك شاب". وهكذا تستطيع المومياء اخيرا، بعد ان يودعها الاقارب والاصدقاء، ان تبدأ رحلتها السوداء خلال العالم السفلي لتمثل امام محكمة اوزيريس ابن السماء والارض.

وكان من المفروض ان "تصبح" المومياء البشرية اوزيريس في ما وراء الحياة وانما كانت الرحلة شاقة، تقود الميت عبر سراديب مظلمة رهيبة تشن فيها الشياطين غارات متكررة على مركب الميت، كما كان عليه ان يجتاز بوابة يحرسها ثعبانان رهيبان، حتى اذا ما تمت الرحلة بسلام، تمكن الميت اخيرا من مواجهة اوزيريس المتجهم الوجه والذي يحيط به اثنان واربعون من المساعدين فيأمرهم بوزن قلب الميت.

وكان الميت يحمل عليه داخل اللفائف جعلا مقدسا مصنوعا من الحجار الثمينة نقش عليه التماس بعدم اداء "الشهادة ضد صاحب هذا الجعل". واما اذا كان قلب الميت مثقلا بالاعمال الاثيمة، فكان عقابه في الحال ان يفترسه التمساح، آكل الموتى، بينما يتابع صاحب القلب النقي مسيرته الى السعادة الابدية في مكان مثالي رحب كأنه ارض مصر.

ولكي يطمئن الميت الى الاقامة في دار البقاء، كانت المقابر تزين برسوم ونقوش تعكس رغد الحياة وهناءها. فكان هناك الطعام والشراب والاثاث وادوات التزيين بما فيها الامشاط وامواس الحلاقة. وكان هناك الذهب للغني والقوي كأنما شعار ذلك هو: "ان في مقدورك ان تصطحب معك هذه الاشياء". وكان حفارو القبور يشقون طريقهم تحت الارض في خنادق مستطيلة للاستيلاء على هذه الكنوز. وهذا ما حمل على الشروع قرابة سنة الف وستمئة قبل الميلاد بدفن الملوك المتوفين في الوادي الصحراوي المليء بالعقارب غرب طيبة، في قاعات سرية اقيمت بعمق مئات الاقدام داخل جروف كلسية. وحتى هذه المقابر تعرضت للسطو كما تدل على ذلك آثار العنف البادية على بعض المومياءات الموجودة حاليا في القاهرة. وقبل ان يزول عهد التحنيط، ترك وراءه مأثرة فنية رائعة تجلت في رسم صورة المومياء على لوحة خشبية رقيقة مشدودة الى الوجه المعصوب. وكثيرا ما كانت هذه الصور مطابقة تماما للوجه الحقيقي، الى حد لم تغفل معه حتى الشعيرات الاولى النابتة على ذقن الشاب اليافع. وكان الغرض من هذه الدقة ابراز الميت وكأنه بعث من

مومياءه ليقول: "ها انني حي يرزق".

القراءة في كتاب الماضي - حين غزا نابليون بونابرت مصر عام ١٧٩٨، وكان لا يزال قائدا شابا يطمح الى بناء امبراطوريته، اصطحب معه عددا من العلماء اجروا اول مسح شامل لآثار مصر القديمة. وقد اذهلتهم المومياءات المخرجة من مدافنها عندما لاحظوا ان الاذن والانف والخد والشفة وجفن العين لا تزال طبيعية المظهر كما بدت لهم كل شعرة ثابتة تماما في مكانها.

وعندما اصبحت مئات المومياءات في المتاحف والاماكن الاثرية الخاصة، استولى على المجتمع شغف آسر بأولئك الموتى المصريين فراح احد الجراحين البريطانيين توماس يتيغرو المكنى بـ"المومياء" يشتري كل مومياء بمئة وخمسين دولارا وكان يخرجها من لفائفها، في مقابل رسم معين، امام جمهور المشاهدين. وقد راجت حينذاك تجارة المومياءات الزائفة حول الاماكن السياحية في مصر. اما الان فان مصر تمنع تصدير المومياءات التي لا تزال تكتشف بالمئات، فتستنير بها غوامض معلوماتنا عن الماضي. ويهتم العلماء "بقراءة" هذه المومياءات - ان جاز التعبير - بفضل اشعة اكس والمجاهر واجهزة القياس والوزن والعقول الالكترونية. وبفضل مثل هذه التقنيات امكن اكتشاف شخصية احدى المومياءات منذ ثمانين سنة، في قبر امنحوتب الثاني، فكانت هي الملكة طاي زوجة امنحوتب الثالث وجدة الفرعون توت عنخ آمون. وبعد ان تحقق المتحف المصري من صحة هذا الامر قرر نقل المومياء لكي تسجّى في نعش مكشوف الى جانب زوجها الشرعي، داخل المتحف.

وقد عثر على مومياء مدفونة مع الملكة ماكار، ظن في اول الامر انها جثة طفل، ولم يلبث ان تبين بفضل الاشعة انها مومياء قردح (نوع من القرود).

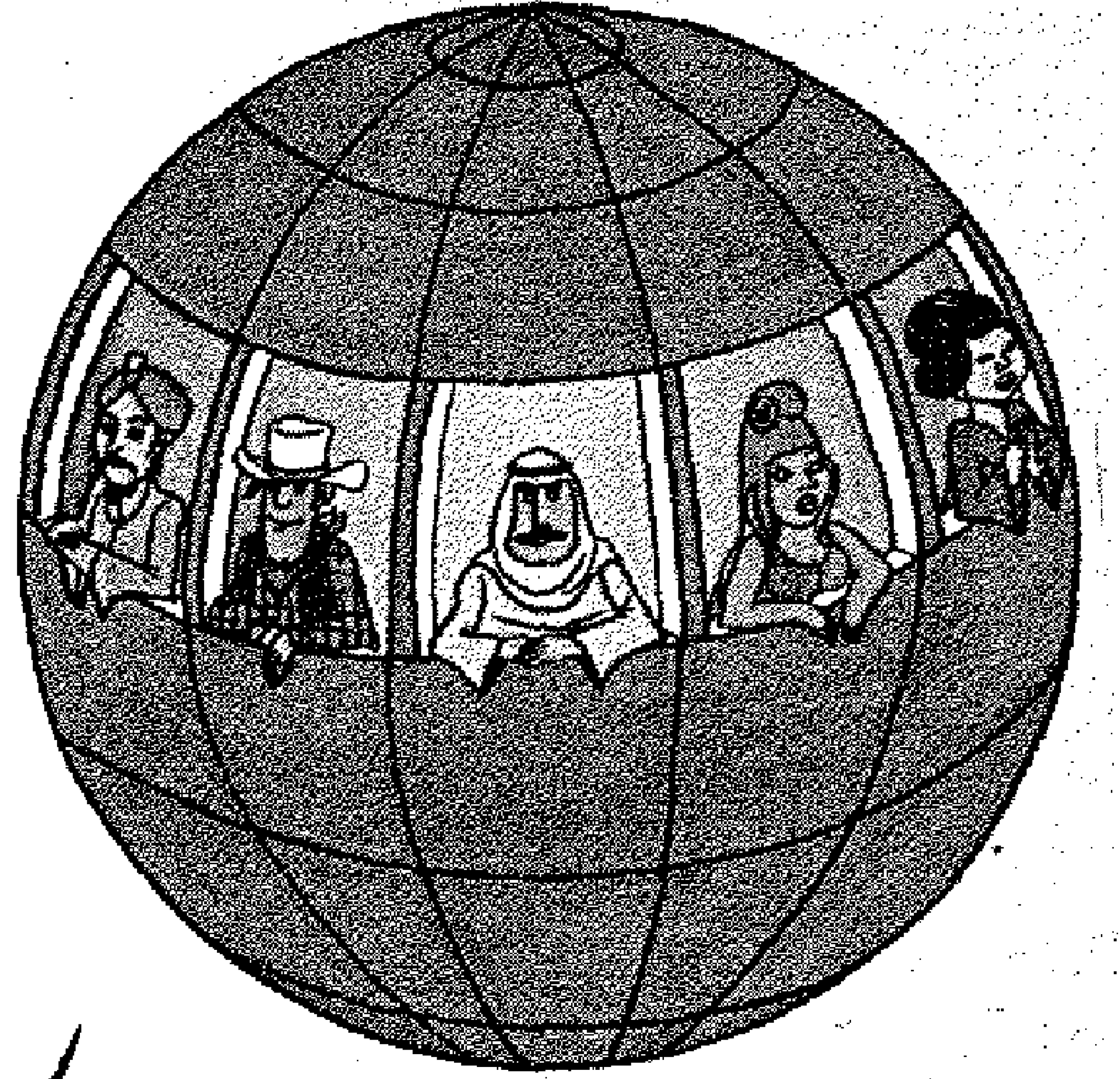
ونعلم الآن ان المصريين كانوا يعانون آلام الاسنان، ابتداء من الفرعون فما دون. فقد تمكن فريق من الباحثين من كلية طب الاسنان في جامعة ميتشيغان، في اثناء وجوده في القاهرة، من وضع قائمة حافلة بالاضراس المرصوصة والخراجات في الحنك والاسنان المتآكلة حتى قرمتها من جراء مضغ الخبز والخضر برمالها وحصاها. ولقد عانت مصر القديمة مختلف العلل التي نعرفها اليوم تقريبا، ما عدا الويلات الاخرى التي تترصد الانسان. فقد عثر، مثلا، على مومياء احد الفراعنة وعلى جبهته اثر جرح من ضربة فأس، كذلك عثر على مومياء احد الامراء وقد التوت قسمات وجهه من شدة الالم مما يدل على انه مات مسموما.

وقال البريطاني ج. ايليوت سميث، الاختصاصي في علم الانسان وعلم التشريح، عام ١٩١٢، "ان عرض المومياءات ودراستها قد يعتبران اهانة لها وتدنيسا". ولكنه اضاف: "غير ان وجود مثل هذه المستندات التاريخية القيمة، يوجب علينا العناية بدراستها بكل ما أوتينا من دقة".

■ **ارنست هاوزر**



من أقتفى اثر الآخرين لا يترك أثراً لقدميه. — جون برانون



حكايات صغيرة من العالم

مأدبة اباطرة

قبل بضع سنوات، أقام مطعم "امباسادور" في هونغ كونغ مأدبة استغرقت يومين، اطلق عليها اسم "مأدبة أباطرة الصين". ومن بين ما قدم من أطباق مترفة خرطوم فيل واقدام دببة وطبق اعد من ١٤٤ لسان من ألسنة الطير. واشرف على خدمة المدعوين الى هذه الوليمة التاريخية الجريئة اربع نادلات واربعة نادلين ارتدوا جميعا بذلات من الحرير الطبيعي. وبلغت كلفة الوليمة التي دعي اليها اثنا عشر شخصا من مشاهير اليابانيين قرابة ٤١ الف دولار.

وقد اعدت المأدبة على نسق الوجبات التي كانت تقدم الى اباطرة سلالة شينغ، واستغرق تحضيرها ثلاثة اشهر بما في ذلك الوقت اللازم للعثور على خرطوم فيل في تايلاند. وقد استغرق طهي اقدام الدببة حتى غدت صالحة للمضغ، ثلاثة ايام.

ف.ب.

الشطرنج الراقص

اذا اردت مشاهدة لعبة شطرنج كبيرة حقا، فعليك بزيارة مدينة ماروستيكا في ايطاليا. فهناك يعاد تمثيل مباراة اسطورية تعود الى القرن الخامس عشر مرة كل سنتين، حيث يقف ممثلون ارتدوا ازياء تجعلهم يشبهون قطع الشطرنج في ساحة من الرخام تتسع للعبة التنس، وهي مقسمة الى ٦٤ مربعا. وحين يعلن المنادي الحركة التالية،يتحرك الممثلون في ابهة تليق بالقرون الوسطى لتنفيذها.

وكانت المباراة الاولى من هذا النوع قد نظمت من قبل حاكم ماروستيكا كبديل لمبارزة بين شابين تقدما لطلب يد ابنته. ولكي يتمكن الناس من متابعة المباراة، لجأ الحاكم الى "قطع الشطرنج البشرية" لكي تعيد كل حركة يقوم بها احد المتباريين الفعليين على المربعات الرخامية للساحة المواجهة لقلعته.

ن.ب.

الجبل المقدس

مثلما يعتبر الامريكيون نصب الحرية رمزا قوميا، هكذا يعد اليابانيون جبل فوجي رمزا لهم، بحيث تمثل مراقبة بزوغ النور السماوي "غورايكو" عندما تشرق الشمس على الجبل، طقسا مقدسا.

لكن لليابانيين حكمة تقول:

"من لا يتسلق جبل فوجي مرة في العمر احمق، ومن يتسلقه مرتين اكثر حماقة".

(يونايتدبرس)

مركبة فضائية غير مقصودة

اختارت وكالة الطيران والفضاء الامريكية ان تستخدم في رحلاتها المأهولة آلة تصوير من طراز "هاسلبلاد"، وهي آلة التصوير التي اخترعها الاسوجي فيكتور هاسلبلاد في الاربعينات.
وخلال سير رائد الفضاء مايكل كولنز خارج مركبته عام ١٩٦٦، انفكت آلة التصوير عن رباطها ودارت فترةمن الوقت حول الارض، لتغدو بذلك الجرم الفضائي الاسوجي الوحيد.

(مجلة "تايم")

مؤشرات الطبيعة

من عادة المزارعين اليابانيين التطلع الى الجبال لمعرفة موعد حلول فصل الربيع. وفي منطقة هونشو الوسطى، الى الشمال الغربي من طوكيو، يهيئون شتلات الارز استعدادا لزراعتها حين يتخذ الثلج الذائب على جانب احدى القمم شكل شيخ يحمل سلة من الخيزران. وفي منطقة اخرى ينتظر الفلاحون ظهور شكل حصان اسود على سفح احد الجبال (من جراء تراكم تلقائي لكتل الصخور) يقف الى جانب بقايا حقل جليدي يتخذ شكل مهر حديث الولادة.

روث كيرك، في كتاب "الثلج"

القمامة الملكية

خلال الحرب العالمية الثانية، ساهمت ملكة بريطانيا العظمى بحماسة في الحملة الوطنية لجمع النفايات النافعة. فحيثما عثرت على قطعة عظم خبأها ثعلب او على شظية حديد قديمة، كانت تلتقطها وتعطيها لاحدى وصيفاتها، فتنقلها هذه الى البيت على مضض.
ويروى انها ذات نهار ربيعي رائق، عادت غانمة من نزهة على الاقدام وهي تجر وراءها قطعة حديد قديمة صدئة لكي تضيفها الى "القمامة الملكية". وبعد دقائق قليلة، حمل اليها الحاجب رسالة مستعجلة من مزارع يسكن قريبا تقول: "ارجوك يا صاحبة الجلالة – لقد عاد المدعو هودج الى حقله، فوجد ان صاحبة الجلالة اخذت محراثه. فهل تتكرمين، يا صاحبة الجلالة، باعادته اليه فورا، لانه لا يستطيع الاستغناء عنه؟"

ا. سيتويل

النساء اولا

نشرت صحيفة سوفييتية اخيرا نتائج "استفتاء" طريف اجرته على مئة عائلة. فمن بين هذه العائلات، وصفت تسعون زوجة انفسهن كربات للعائلة ووافق الازواج على ذلك، ووصف تسعة ازواج انفسهم كأرباب للعائلة، لكن الزوجات لم يوافقن. اما الزوج الوحيد الذي اعتبرته زوجته رب العائلة، فقد ابلغته الصحيفة انه نال جائزة، وحين طلب منه اختيارها، التفت الى زوجته وسألها: "ماريا، اي جائزة اختار؟".

(صحيفة "يو.اس. نيوز اند وورلد ريبورت")

بوصلة لمعرفة القبلة

اخترع ايراني اداة تشبه البوصلة، طبع عليها اسم ١٥٠ مدينة باللغة العربية. وما على المسلم سوى تحريك هذه الاداة حتى تشير الابرة نحو الشمال، ومن ثم توجيه القرص حتى يستقر على اسم المدينة التي يكون فيها. وعند ذاك سيشير سهم الى موقع مكة المكرمة التي تتجه نحوها ابصار المسلمين عند الصلاة.

م. س.

حظر الحظر

فرضت حكومة تاسمانيا حظرا على نشر قائمة المطبوعات المحظورة. واعلن المدعي العام انه اوقف نشر قائمة تضم اسماء الفي صحيفة، لانه وجد الاسماء فاضحة الى حد مقرف.

(مجلة "العصر"، اوستراليا)

خلف ايرنست طومسون سيتون، المتخصص في دراسة البيئة الطبيعية للحيوان والنبات، تركة لا تقدر بثمن من حكايات البراري وصور المخلوقات التي أغدق عليها حبه

العالم الأليف

قبل وقت طويل من شيوع عبارات مثل "عالم بيئة الاحياء" و"المتخصص في البيئة"، كان ايرنست طومسون سيتون (١٨٦٠ - ١٩٤٦) مهتما اهتماما كبيرا بمصادر الحياة البرية المتضائلة· وبما انه كان صيادا فقد طالب بوضع قوانين تحدد الصيد المسموح به وتقييد مواسم الصيد·

من بين الذئاب الرائعة في حديقة النبات في باريس، كثيرا ما اتخذ ذئب الصورة الزيتية هذه وضع النائم·

الظباء البيضاء الذيل (اودوكويلوس فيرجينيانوس) بين الشجيرات والمستنقعات. وهي تذود عن حماها بنفسها وتتكاثر على رغم الصياد والذئب. ويظهر هنا قطيع منها يتواثب للابتعاد عن منطقة يحتلها حيوان القندس.



يعيش كل مرموط (ماروموتا موناكس) وكأنه السيد السعيد لعرين حول بابه. ويتلخص سر حياته وحكمته بملازمة سطح الارض.

أنغام جبال روكي الكبيرة القرون (أوفيس كانا دينسيس) في "موسم الحب والحرب"، وهي طليقة الجناح. وتتلاقى، وهي منطلقة بسرعة ٣٢ كيلومترا في الساعة، وكأنها مطارق أوتاد.



أرانب البيكة (اوكوتونا) الصغيرة في منطقة الانهيارات الصخرية في الاحراج غرب الولايات المتحدة· ▼

▲ صورة تخيلها سيتون لقطيع ذئاب كما قد يبدو من مؤخر عربة جليد منطلقة بسرعة·



لـم يحالفنـي الـحظ اطـلاقـا لمشاهدة اسد الجبل (فيليس كونكولور)، مع اني لا اظن ان كثيرين شاهـدوه. وفـي هـذا الرأس الرائع والرسوم الدقيقة، ابرز سيتون اهم خصال القط الكبير في مخبأه.

كان سيتون عصاميا في علمه عن الطبيعة، كما كان المؤسس المشارك للحركة الكشفية الامريكية. واصبح رساما موهوبا وباحثا وكاتبا صلب العزيمة قوي التصميم فوضع ما يزيد على اربعين كتابا وقرابة خمسة آلاف رسم وصورة. ولم تتمكن الا قلة من الطيور من النجاة من تمحيصه، كما لم تنج من عينه وقلمه سوى قلة من الحيوانات.

كان سيتون، الانكليزي المولد، في السادسة من عمره عندما ارتحل والداه الى كندا. وهناك اندفع، برغبة جامحة، الى معرفة كل ما يستطيع معرفتـه حـول المخلوقـات البريـة. وتوافرت لدى ذلك الصبي مقدرة طبيعية على الرسم، كما كان شديد المثابرة على تدوين مذكرات عما كان يراه في الطبيعة. ثم درس الفن في لندن وباريس، وبلغ مستوى رفيعا جدا في علم التشريح. وكان يعرف كل عضلة وعظمة ووتر في الحيوان، كما كان شديد الحرص على التفاصيل الدقيقة التي امتاز بها عمله.

وهاجـر سيتـون الـى الـولايـات المتحدة عام ١٨٨٣، واصبح مواطنا امريكيا عام ١٩٣١. وكرس بقية حياته لاستكشاف الحقول والسهول والاحـراج. وتوخـى فـي كتابـاتـه الروائية نقل الحقائق الواقعية عن حياة الحيوان وانماط تفكيره.

وفي هذه الصفحات بعض من اروع رسـوم سيتـون المذيلـة بتعليقـات مستمدة منه.

مـن كتـاب "عوالـم ايرنسـت طومسون سيتون"



الشرابُ الشعبي

ليس لاي شراب آخر القدرة على التهدئة والاثارة معا، او على توفير هذا المقدار الكبير من السرور من غير ان يحدث اي اذى على الاطلاق، كما للشاي

"يشرب الانسان الشاي لينسى ضجة العالم". هكذا كتب الحكيم الصيني تيين ييهنغ.

ويقال ان القهوة للعالم عند منتصف الليل، اما الشاي فاننا نشربه حين نريد ان نتمتع بصفاء الذهن والهدوء والطمأنينة.

كل يوم تستهلك الوف الملايين من اكواب الشاي في العالم قاطبة، فالمسافرون في القطار عبر سيبيريا يرشفون الشاي المحضر في اناء خاص اسمه "السماور"، والسكان الاصليون في اوستراليا يشربونه من ركوات سود، والكينيون يستقبلون الضيف بقولهم: "كاريبو تشاي"، اي "على الرحب والسعة، فلنتناول بعض الشاي". وفي انكلترا اعلن عمال المصانع الاضراب مطالبين بفترات خاصة لشرب الشاي.

من أين لنا هذه الهبة التي يجب ان

نكون ممتنين لها امتنانا عميقا؟ ان نبتة الشاي صنف مدجَّن من نبتة الكاميليا البرية. وهي دائمة الاخضرار، ترتفع نحو تسعة امتار حين تكون برية، لكنها تشذب عند تدجينها بحيث لا تزيد على متر واحد. وهي افضل ما تنمو في الاتربة الحمضية وعلى منحدرات التلال ذات التصريف الحسن للمياه. كما يمكن ان تنمو في منحدرات الجبال التي ترتفع قرابة ٢١٠٠ متر. ويلزمها من المطر ما لا يقل عن متر و٢٥ سنتيمترا في السنة. والمعروف ان نبتة الشاي تعمِّر اكثر من مئة سنة.

ولئن كان يمكن زرع الشاي على الشواطىء الشمالية من البحر الاسود وعلى خط الاستواء، الا ان القسم الاكبر من الشاي في العالم يأتي من مناطق ارتبط اسم الشاي الفاخر بها، هي الهند والصين وسري لانكا (سيلان). اما افريقيا التي تنتج حاليا ١٢ في المئة من المحصول العالمي للشاي، فقد تصبح المصدّرة الاولى له في المستقبل.

ان العنصرين الرئيسيين اللذين يتكون منهما الشاي هما "الكافيين" و"التانين" واذا مزج هذان العنصران بـ"التيوبرومين" و"التيوفيلين" (وهما عقاران خفيفان لا يسببان الادمان) في الشاي المحضر تحضيرا جيدا، اثارا القلب والجهاز العصبي المركزي وقللا حموضة المعدة. ثم ان الشاي يحتوي على مواد نافعة من "الفلوريد" والتانين والزيوت القابلة للتبخر وفيتامينات "ب" - واربع سعرات (وحدات) حرارية فقط في كل كوب منه.

دواء كل العلل - "كان الصينيون القدماء يؤكدون ان الشاي مفيد لكل شيء - من البخَر (رائحة النفس الكريهة) حتى جعل العظام اخف".

وفي لندن، في القرن السابع عشر، كان مقهى "غاراواي" يعلن ان الشاي مفيد "لاوجاع الرأس والحصى في الكلية والاستسقاء والنعاس والارتخاء وانقباض المعدة". وقال وليم ايوارت غلادستون، السياسي البريطاني الكبير من القرن التاسع عشر: "اذا كنت تحس بالبرد، فالشاي يعطيك الدفء. واذا كنت ساخنا، فانه يعطيك البرودة. واذا كنت كئيبا، فانه يفرحك. واذا كنت ثائرا فانه يهدئك".

ويجمع مدمنو الشاي اليوم على انه ليس لاي شراب آخر مثل هذه القدرة على التهدئة والاثارة معا، وتوفير السرور الى هذا الحد من غير ان يحدث اي ضرر على الاطلاق.

ويُظَن ان الشاي زرع للمرة الاولى في الصين منذ نحو الفي عام، ثم انتقلت زراعته الى اليابان في القرن السادس للميلاد. وادخل الى اوروبا عام ١٦١٠ حين عاد تجار الشركة الهولندية للهند الشرقية من جاوا بعدد من صناديق اوراق الشاي. وفي هولندا بيع الشاي، اول ما بيع، في الصيدليات الى جانب البهارات الاجنبية.

وفي انكلترا حيث بدأ الشاي يغزو المقاهي اللندنية، كان ثمنه باهظا الى حد غير مألوف (اذ ان ثمن نصف كيلوغرام من ادنى انواع الشاي كان يبلغ نحو ثلث اجرة العامل الماهر الاسبوعية). ومع تقدم الزراعة والمواصلات، هبط الثمن في القرن التاسع عشر، وحل الشاي محل القهوة

كشراب قومي. وفي عام ١٨٤٠، بدأت دوقة بدفورد تقدم الشاي والحلوى عند الساعة الرابعة، لتخفيف "شعور بالكآبة" كان ينتابها عند تلك الساعة. وتحول الشاي بعد ذلك في انكلترا الى "وجبة طعام"، ولم يبق شرابا محضا.

وكان انتقال الشاي الى العالم الجديد في الوقت نفسه الذي انتقل فيه الى اوروبا. ففي القرن السابع عشر كانت السيدات الهولنديات يقدمن انواعا كثيرة منه، مستعملات ورق الزعفران او الدراقن كمادة منكهة. وفي مقاطعة نيو انغلاند الامريكية، حيث بلغ ثمن نصف كيلوغرام الشاي نحو ستين دولارا، كانت الزوجات يغلينه الى اقصى حد ويشربنه مرا، ثم يأكلن أوراقه - من فرط بخلهن - بالزبدة والملح.

وربما تسنى للشاي أن يصبح الشراب الامريكي القومي لو لم يفرض البريطانيون ضريبة عليه عام ١٧٧٣. وأثار ذلك الفعل غضب ابناء الجاليات، فصعد هؤلاء الى ثلاث سفن تابعة لشركة الهند الشرقية في ميناء بوسطن ورموا الى الماء ٣٤٢ صندوقا من الشاي. وفي السنوات التي اعقبت عملية بوسطن هذه، اختفى الشاي من الاسواق الامريكية.

منافع جانبية ـ وعلى رغم ذلك، فان امريكا قدمت ثلاث خدمات رئيسية في سبيل توزيع الشاي واستهلاكه. وكانت اولى تلك الخدمات تصميم السفينة الشراعية السريعة التي استخدمها البريطانيون، بعد ادخال تعديل عليها، للتجارة الصينية. وسرعان ما امتلأت الاسواق بكميات من الشاي بالسعر المعقول. وأعقب ذلك صنع اكياس صغيرة للشاي بإلهام من تاجر نيويوركي شاب اسمه توماس ساليفان، بدأ عام ١٩٠٤ يرسل نماذج من الشاي الذي لديه في اكياس حرير صغيرة مخاطة باليد. وسرعان ما اخذ زبائنه يضعون هذه الاكياس في الماء المغلي، ثم راحوا يطلبون المزيد منها. وفي السنة نفسها وجد الانكليزي ريتشارد بلتشيندن انه لا يستطيع جذب اهتمام جماهير المتصببين عرقا في معرض سانت لويس الدولي بما لديه من اقداح يتصاعد منها البخار من شاي الشرق الاقصى، فأخذ يصب الشاي في اكواب فوق قطع الثلج، وبذلك ابتكر الشاي المثلج.

ولئن كانت نباتات الشاي المعروفة في العالم تقل عن ستة انواع، الا انه يمكن القول ان هناك انواعا من الشاي بمقدار ما هناك من حقول وفصول واتربة، أو من خليط من هذه العناصر. والشاي يتأثر الى حد مدهش ببيئته بما فيها من تراب ومناخ وروائح. وهكذا، فان الشاي الصيني "لابسانغ سوشونغ" يدين بالكثير من نكهته الدخانية الى تربة منطقة فوكين الصينية، بينما يستمد شاي "دارجيلينغ" الهندي نكهته الفاكهية من التربة والاحوال المناخية في سفوح جبال حملايا. ولصنع شاي ياسميني، لا لزوم لمزج الشاي ببراعم الياسمين، وانما يكفي ان تضع اوراق الشاي قرب هذه الزهرات اياما قليلة حتى تنقل اليها نكهة الياسمين.

وخلال فترات القطاف الخمس او الست في السنة في حقول زراعة الشاي الشاسعة في آسيا، يلتقط القاطفون بعناية اعلى ورقتين في

الشاي عند العرب

من أكثر الامم عناية بشرب الشاي ونظافة آلاته وأدواته أهل ايران وتركيا والحجاز والعراق والمغرب. وهناك أكثر من كتاب عربي حول هذا الشراب.

ويسمى الشاي عند أهل المغرب "تاي" أو "أتاي". وغالبا ما يشربون الشاي الاخضر مع النعناع. ويغالي المغاربة في اتقان أدوات الشاي المعدنية والفضية. وكل يقتني منها بحسب مكانته وقدرته.

ويسمى الشاي عند أهل الجزيرة العربية "الشاهي". وهم مولعون به ويكثرون من شربه. وهناك نوع منه يسمى "الكابلي" ولا يستعمل الا هناك. وطريقة تحضيره ان يؤتى بالحليب فيغلى على النار غليا شديدا، ويوضع فيه الشاي الاسود او الاخضر او كلاهما ثم يغلى جيدا.

وهناك مربى الشاي الذي يعد بواسطة غلي مئة غرام من السكر المدقوق وعشرة غرامات من النشاء في ماء يكفي لحل المزيج حتى ينعقد مع بقائه شفافا. ويضاف الى المزيج، بعد ان يبرد، خمسون غراما من الشاي ممزوجة بخمسين غراما من السكر الناشف، فيصير لزجا ويفرغ في قوالب حيث يجمد.

نبتة الشاي وبرعما واحدا، ثم يضعون القطاف في سلال يحملونها على ظهورهم. ويستطيع القاطف الماهر ان يجمع بين ٣٠ و٣٥ كيلوغراما من الاوراق الخضر في اليوم الواحد. وتجفف الاوراق وتصنع ثم توضب اعدادا لانزالها الى الاسواق.

خبرة التذوق – ان القسم الاكبر من عملية تجارة الشاي العالمية يجري في لندن. ومنذ فترة وجيزة زرت مصنع توايننغ، والراجح انه اقدم مصانع انكلترا للشاي (١٧٠٦)، وادخلت غرفة في منتهى النظافة حيث كان ستة رجال يذوقون انواع الشاي من أجل تقييمها وتصنيفها. هنا يختبر الذائق نحو ٥٠٠ - ٦٠٠ نموذج في اليوم، وعلى حكمه تتوقف مبيعات بمئات الوف الدولارات. وهو يبدأ الاختبار بأن يشرب الشاي بملعقة، محدثا صوتا من جراء ارتشافه. ثم يدير هذا السائل في فمه بقوة، واخيرا ينفثه في مبصقة.

وفي استطاعة الذائق الخبير ان يسمى الحقل الذي نبت فيه الشاي، وحتى الوقت الذي جمع فيه. واذا اعجبه النوع الذي يذوقه، قال انه جذاب وذو زهرة جيدة التفتح ورائحة زكية وانه قوي ومنعش، اي انه شاي جيد الصنع، ذو لمعان جميل، وانه مثير للسرور وله رائحة عطرة. اما الشاي الذي يرونه غير ذي طعم أو نكهة طيبة، فانه لا يستحق ان يشترى.

ثم قادني سام توايننغ، مدير التصدير في المؤسسة، الى سوق لبيع الشاي حيث كان يقف اربعون رجلا موزعين في مجموعات، وهم يتكلمون بأصوات خافتة حذرة. ففي تجارة الشاي النبيلة تتم العمليات التجارية بكلمات قليلة يتبادلها الشاري والسمسار همسا او تمتمة. وقد يباع من الشاي في اليوم الواحد ما يبلغ ثمنه نحو خمسة ملايين دولار.

كيف نعد كوبا جيدا من الشاي؟ رد

توايننغ على ذلك بقوله: "المهم ان تعده على النحو الذي تفضله انت". لكنه مع ذلك اشار الى بعض اصول عامة:

احتفظ بالشاي في وعاء مغلق باحكام. واستعمل الماء البارد الطازج وسخنه حتى البدء بالغليان. قبل ذلك سخن ابريق الشاي (والمفضل ان يكون مصنوعا من خزف صيني). ضع الشاي فيه بين ثلاث دقائق وسبع دقائق - وهذا يتوقف على ما اذا كان الشاي الذي تستعمله صغير الورق او كبيره. واذا استعملت مصفاة عند صب الشاي، فالمصنوع منها من الفولاذ الذي لا يصدأ هو الاقل تأثيرا في طعم الشاي.

وماذا عن اكياس الشاي؟ لقد اجمع الذائقون الذين تحدثت اليهم على انه في امكانك ان تعد كوبا لذيذا من الشاي بكيس منه، شرط ان تختار صنفا جيدا.

طبق هذه الاصول البسيطة. واذا استعملت الشاي الزكي القوي الرائحة، ذا الزهرة المتفتحة تفتحا حسنا، فستحصل على ابريق من الشاي جدير بشخصية صينية كبيرة، أو قد تصبح مثل الكاتب الانكليزي الشهير سامويل جونسون - "شاربا للشاي مدمنا، لا يخجل منه، بل يتلهى به مساء ويبتهج في نصف الليل، وبه ايضا يستقبل الصباح".

■ توماس ستيرلينغ

بهجة الحياة

تسقط الورقة الشاحبة نتيجة امتقاع لونها، بينما تتحول الورقة الخضراء الى لون الذهب. ونحن الذين وجدنا في الشباب بهجة، سنجد البهجة في الشيخوخة ايضا.

ج.ك. تشيسترتون في كتاب "أشعار مختارة"

حكمة السنين

أحب الربيع، لكنه غض، طري العود.
أحب الصيف، لكنه شديد الغرور.
لذا افضل الخريف على الفصول جميعا،
لان أوراقه تميل الى الصفرة،
ولهجته أدق.
وألوانه اكثر ثراء،
وتشوبه مسحة حزن.
وغناه الذهبي يحدثك
لا ببراءة الربيع
ولا بصلف الصيف،
بل بالدعة والحكمة الحانية
اللتين تميزان الشيخوخة المقتربة.
انه يعرف حدود الحياة،
وهو قانع بذلك.

لين يو تانغ

انـنـا عـلـى شـفـا قـفـزة كـبـرى الـى الامـام فـي الـعـلـوم الـطـبـيـة لان هـنـاك اعـادة ضـبـط دوران "الـسـاعـة الاحـيـائـيـة" فـي الانـسـان بـحـيـث تـمـدّ ايـام شـبـابـه وتـطـيـل عـمـر كـهـولـتـه وتـقـلـل مـن شـأن فـتـرة شـيـخـوخـتـه وانـهـيـاره

الشَّبابُ الدائم

حدّدت التوارة أجل الانسان على الارض بسبعين او ثمانين سنة، حسب قوّته. وبعد ثلاثة آلاف سنة لم ير فرانسيس بيكون، العلاّمة الانكليزي الذي عاش في عصر الملكة اليزابيت الاولى (القرن السادس عشر) أي داع الى تبديل ذلك الرقم، وأكد على ان "أجل الانسان، منذ زمن موسى حتى هذه الايام، ظلّ في حدود الثمانين عاما".

وتجدر الاشارة الى ان أحدا - سواء أكان بيكون أو من حكماء العهد القديم- لم يخلط بين أجل الثمانين عاما وتوقعات التعمير. فقد تبلغ قلة محظوظة من الناس السبعين او الثمانين اذا استطاعت ان تصمد في وجه جيش من الامراض يهاجم الانسان طفلا وكهلا وشيخا. على ان توقعات الحياة - اي مدى تعمير الانسان على وجه الارض اذا كان متوسط الحظ - أمر مختلف تماما. وربما كان معروفا ان معدل التعمير في العصرين البرونزي والحديدي اللذين يشملان أزمنة التوراة كان في حدود ١٨ عاما فقط، وانه غدا في أيام بيكون قرابة ٣٥ عاما.

أما اليوم فان التقدم الطبي في بلدان العالم الاكثر ثراء رفع معدل توقعات الحياة ما يربو على الضعفين، حتى ان معدّل الحياة في امريكا خلال هذا القرن وحده ارتفع اكثر من ٢٠ عاما، فأصبح يراوح بين ٧٤ عاما للأناث و٧٠ عاما للذكور. ولا شك في ان الفضل كله تقريبا يعود الى القضاء على الاوبئة التي تفتك بالاطفال. ولكن على رغم هذا التقدم الباهر، فان معظم الناس يشعرون بأن أجل الانسان مسألة لا تقدم فيها لانها محددة وثابتة وستظل في منأى عن التدخل البشري او الوساطة الطبية أبدَ الدهر. غير اني شخصيا متأكد من خطل رأيهم، لان علم الشيخوخة - وهو العلم الذي يُعنى ببحوث الشيخوخة ومشكلات الشيوخ - يوحي باننا سنتمكن قريبا من الدفع بالاجل الطبيعي الى ما وراء الحدود التي اعتبرت ثابتة وغير قابلة للتغير منذ زمن سحيق.

مسألة وقت ـ لقد نظّمت شخصيا، عام ١٩٧٣، دورة في مجلس النواب الامريكي (الكونغرس)، تحدث فيها العلماء عن امكان تمتع الانسان، حتى بعد سن المئة، بصحة بدنية جيدة وحيوية ذهنية. ولدى انتهاء الدورة، أنشأ الكونغرس مؤسسة "التعمير" القومي ضمن مؤسسات الصحة الحكومية. ومنذ ذلك الحين وانا على اتصال بالتطورات في هذا المضمار، كما اتولى دوريا دعوة مجموعات من العلماء المختصين في بحوث الشيخوخة وخبراء الطب الاحيائي (البيولوجي) الى حضور دورات غير رسمية في مكتبي في مدينة واشنطن. والذي تعلمته من خلال مقابلاتي يحير العقل فعلا ويثير الدهشة. فقد بات الباحثون يسبرون، بمزيد من التعمق، اغوار تلك العملية الاحيائية الغامضة المسؤولة عن انحلال الخلايا والجزئيات وتحوّلها - اي عما نسميه نحن تقدم العمر والشيخوخة. وأخذ هؤلاء الباحثون يقنعون معظم علماء الشيخوخة بامكان اعادة بناء هذه العملية المسؤولة عن التعمير لما هو في مصلحتنا. فالمسألة لم تعد محصورة في ما اذا كنا نستطيع السيطرة على تقدم السن، وانما باتت مسألة وقت فقط، لان السؤال الحقيقي هو: متى سيتحقق ذلك؟

لقد تمكن العلم الطبي في الولايات المتحدة من الدفع بتوقعات الحياة الى حدود متاخمة كثيرا لحدود الاجل المنصوص عليها منذ القدم بعدما قضي على عدد من الامراض. وبناء عليه، لم يعد من المتعذر بلوغ تلك الحدود نفسها، اذ ارتفعت توقعات الحياة على نطاق قومي بمقدار ١٧ سنة بين ١٩٠٠ و١٩٥٠، ولم ترتفع الا بمقدار ثلاث سنوات في ربع القرن الماضي. ولكن ما ان يتمّ ترويض مرض السرطان والسيطرة على أمراض الاوعية القلبية - وهي من أفتك الامراض في الولايات المتحدة - حتى يصح لنا ان نتوقع تحقيق ذلك الفرق البسيط الباقي في عدد السنوات.

ان الطاعنين في السن، وان ارجىء أجلهم قليلا، سيستمرون في الموت حتى في عالم محرر من السرطان ومن السكتة القلبية أو الدماغية. ذلك لان تفاقم الانهيار البدني والذهني - وهو ما نسميه الشيخوخة - سيؤدي حتما الى الموت. والسؤال الذي يحضرني الان هو: ما الذي سيحدث اذا أزيلت الامراض الفتاكة، ولكن من دون ايجاد علاج لعملية التفسخ والانهيار في سن الشيخوخة؟ لربما واجهنا حينئذ انفجارا في عدد السكان الطاعنين في السن الذين يعولون على غيرهم في أمور معيشتهم.

اطالة الشباب ـ ان احتمال اطالة احلك سني حياتنا - اي الشيخوخة - من دون تحسين طبيعتها لهو احتمال مرعب حقا. ولهذا ارى من حسن الحظ ان علماء الشيخوخة يهدفون ليس الى اطالة آجالنا فحسب، وانما الى اطالة اكثر فترات حياتنا انتاجا وحيوية. وفي هذا الصدد يقول عالم الشيخوخة البريطاني أليكس كومفورت: "ان الشيخوخة ذاتها لن تكون اطول من ذي قبل، ولكنها ستجيء في مرحلة متأخرة أكثر من السابق".

والهدف من علم الشيخوخة - كما حدّده الكاتب العلمي البرت روزنفيلد، هو "ابقاء الناس فعّالين وبكامل مواهبهم حتى النهاية". واستنادا الى هذا، فانه اذا استطاع

علماء الشيخوخة التعرف على ذلك الشيء الذي يقدح زناد الشيخوخة ويتحكم في تسارعها، واستطاعوا ايضا تحديد موقعه في الجسم، باتت القدرة على تمديد حياة الانسان وسنيه الطيبة في متناول اليد.

ما هو الشوط الذي قطعه العلماء نحو تحقيق هذا الهدف؟

ان العلماء يملكون الان القدرة على اطالة سني الحياة كما يتبين من تجاربهم المخبرية على الحيوانات. لكنهم لا يزالون غير متأكدين من أمر "كيف" تسنى لهم ذلك. اي انهم، وان تمكنوا من معالجة عملية التعمير، فقد أخفقوا حتى الان في تحديدها.

الساعة البيولوجية – بيد ان نظريات الشيخوخة أخذت، على تشعبها، تتلاقى عند فكرة واحدة تقول بأن كل كائن حي يحمل في خفاياه "ساعة" بيولوجية هي التي تبرمج تسارع شيخوخته منذ الولادة. واذ تدور عقارب هذه الساعة باستمرار، تبدأ الخلايا على نحو غامض بفقد مناعتها امام شتى الهجمات والامراض، وبانحسار حيويتها شيئا فشيئا مع بقية الآلة العضوية التي هي الجسم.

ويرى بعض العلماء ان "ساعة" توقيت الشيخوخة قائمة داخل المادة الوراثية التي تنطوي عليها نواة كل خلية من خلايا الجسم. ويذهب آخرون الى القول بأن تلك "الساعة" تدق حسب نبضات ما يسمى "هورمونات الموت"، وهي الهورمونات التي تهاجم خلايا الجسم المسؤولة عن الصيانة والاصلاح، فتنهكها وتدكها من دون رحمة او هوادة. وربما كانت لتلك الساعة مراكز – او نوايا خلوية – متعددة، او ربما كانت تعمل من مركز واحد مهيمن كالغدة النخامية التي تفرز الهورمونات. ومع ان العلماء لا يعرفون بعد موقع هذه "الساعة" بالتحديد، الا انهم يجزمون بأن وجودها أمر ثبّتته التجارب مرة تلو الاخرى في كل محاولة ناجحة أجروها لكبح جماح الشيخوخة في خلايا الجسم.

ويظن دينام هارمان، العالم الكيميائي الاحيائي في جامعة نبراسكا الامريكية، ان الشيخوخة تحدث من جرّاء عوامل التلف والتمزق التي يسببها "الراديكاليون الاحرار" – اي قطع الحُطام الخلوي المنفصلة التي تحتشد حول الخلايا فتسدها أو "تصدّئها"، وبالتالي تعطلها عن اداء وظائفها. وقد دلت تجارب هارمان على ان الحمية والمركبات المقاومة للتأكسد، مثل فيتامين "هـ" E، تنجّي الخلايا من التلف الذي تحدثه قطع الحطام الخلوي. واستطاع هارمان، بتجاربه على الفئران في المختبر، اطالة اعمارها الى حد كبير.

محاولات ناجحة – ويعتدّ انصار نظرية المركز الهورموني المسيطر على عملية التعمير بالنجاح الذي حققوه في تبديل نسبة سرعة الشيخوخة تبديلا مذهلا في كثير من الحيوانات عبر ازالة مفعول بعض الغدد او اعاقتها. فقد أزيلت، مثلا، الدورة السريعة لوضع البيض والتعمير لدى سمك السلمون في المحيط الهادىء بعد استئصال الغدّة الكظرية، وهي فوق الكلية، لدى هذه الاسماك. كما عمد و. دونر دينكلا، وهو عالم شيخوخة، الى استئصال الغدة النخامية من ادمغة الفئران الطاعنة في السن، ثم حقنها

بهورمون الغدة الدرقية ("تايروكسين") وهورمونات حيوية أخرى. وتبين له خلال رصدها عن كثب ان عددا من وظائف الجسم لديها عاد الى كفايته المعهودة في سني الحداثة، وان جلود تلك الفئران بدأت تنمو حتى اصبحت كثيفة وناعمة مرة أخرى، كما غدت حركاتها سريعة ومفعمة بالحيوية ولم تظهر عليها اعراض الهرم والعجز الا قبل وقت قصير من موتها.

ربما بدت هذه الاساليب التي يتبعها روّاد البحوث الطبية الاحيائية بدائية او مضحكة في المستقبل. لكن ما حققته هذه الخطوات الاولية، من وسائل معالجة فعّالة وعقاقير، لا يستهان به، اذ انه يستخدم مع البشر حاليا - وان على نطاق محدود - لمعالجة الخرف المتقدم وبعض الاضطرابات الوراثية التي لا علاج آخر لها.

ان كل تقدم يحرزه علماء الشيخوخة في تطوير الاساليب العلمية وتحديد اهدافها انما هو فتح سيمكنهم، في آخر الامر، من اعادة ضبط حركة "الساعة" البيولوجية لدى البشر بدقة اعظم، مما قد يطيل فترتي الشباب والكهولة ويقلل من شأن فترة الانهيار التي تفضي الى الموت. واننا الان على شفا قفزة كبرى في علوم الطب، أقلّ ما فيها انها ستؤدي الى اعادة تحديد الحياة البشرية عينها.

المفتاح في أيدينا — متى يتمّ ذلك؟ يظن بعض المتفائلين ان مفاتيح طول العمر هي الان بين ايدينا، وان الهدف المنشود قد يتحقق في نهاية القرن الحالي. بينما يتكهن آخرون بانه - وان فاتنا علم جميع اسرار الشيخوخة - فاننا سنتعلم على الاقل ما يؤهلنا لتحقيق انجازات طبية رئيسية خلال بضعة عقود من الزمن على غرار ما حدث حين أقدمنا على استخدام عمليات التطعيم او التلقيح قبل ان نعرف اسباب الحصانة ضد الامراض وعللها. ومن هذه الانجازات الكبرى المتوقعة ازالة اسباب الشيخوخة التي تهدم الجسم بلا رحمة. ومتى تمّ ذلك فسيعيش الناس متحررين من المرض او العجز الى ان تدنو ساعة اجلهم فيتوفون من دون اجتياز مرحلة طويلة من الانذار بدنو الموت.

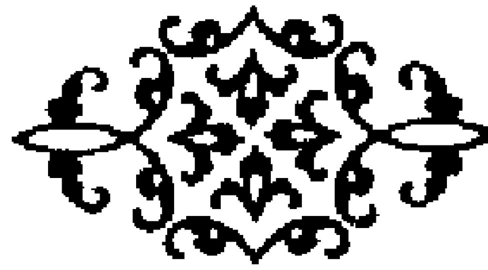
هل سنرث، نحن أو اطفالنا، مثل هذا الانجاز الثوري في حياة البشر؟ هذا ما سيقرره الحظ وكذلك التصرف البارع من قبل الافراد والجماعات. ذلك لان نسبة التقدم في هذا العلم منوطة بتوفر المال ومدى البرامج التي ننظمها من أجل تحقيق ما ننشده. ويقول اليكس كومفورت، العالم الذي سبق ذكره: "ان السيطرة على سرعة الشيخوخة عند البشر أمر محتم. اما متى سيتم تحقيقها، فهذا يعتمد على الضغوط الاجتماعية من أجل المباشرة بالبحوث، وعلى الحكمة والذكاء في تطبيقها".

ان كثيرا من الادلة الواعدة والتجارب الناجحة تهمل او توضع جانبا نظرا الى ضآلة الاعتمادات المالية واهتمام الناس بها. ومن اسباب هذا الضعف الهوّة التي تفصل بين الاختبارات الطبية وعدم التصديق العام الذي يكتنف التفكير في اطالة العمر، وكذلك عزوف المؤسسات العامة عن تشجيع الافكار التي تتحدى أيا من المعتقدات الراسخة او التي لا تكفل للمستثمرين فوائد مادية واضحة.

وتجدر الاشارة الى ان حكومة الولايات المتحدة خصصت هذا العام قرابة ٩٠٠ مليون دولار لبحوث السرطان و٥٠٠ مليون دولار لبحوث امراض القلب والرئتين. ومن حسن الحظ اننا لسنا جميعا نشكو من هذه الامراض. ولكننا جميعا بلا استثناء سنواجه الشيخوخة كلما امتد بنا العمر. ومع ذلك، لم يخصص لها سوى ٣٧ مليون دولار تصرف على البحوث التي ستشرف عليها الحكومة، ومنها جزء كبير يقتصر على الدراسات الاجتماعية والنفسية والاحصائية على المسنين. وهكذا يتضح ان نصيب الدراسات الاحيائية في عملية الشيخوخة ذاتها ليس الا جزءا طفيفا من هذه المخصصات التي سيقتطع قسم صغير منها لتمويل البحوث الرامية الى اطالة العمر.

ترى هل الخوف هو السبب في تحركنا البطيء نحو الغاية؟ أترانا نفكر بالاعباء التي سترهق كاهل الخدمات الاجتماعية والصحية في حال اضافة عشر سنين اخرى الى اعمارنا؟ كم ينبغي علينا ان نفكر من جديد! لانه اذا كانت سني انتاجنا هي التي ستدوم فترة اطول، فمعنى هذا ان مشكلة اعتماد الشيوخ اجتماعيا واقتصاديا ستتقلص وتنكمش مع مرور الايام. فالشيخوخة، اذا تحررت من وصمتها الحالية ومن ظواهر عجزها واصبحت على جانب من القوة يؤهلها لرفض الاجحاف بحقها الذي تقبل به الان، فان المجتمع بأكمله سيفيد من الحكمة التي نهدرها دونما تفكير ومن التجارب التي نبددها هباء منثورا.

■ **الان كرانستون**
عضو مجلس الشيوخ الامريكي



سر التناسل

حين اقترب موعد ولادة الهرة، اغتنم الاب الفرصة لكي يفسر لطفلته سر التناسل. وبدأ بالنحل، متدرجا الى الحيوانات الاخرى. واخيرا شعر بالارتياح لكفايته فسأل ابنته: "والآن هل فهمت لماذا ستنجب الهرة صغارا؟" فأجابت الطفلة: "بالطبع، لقد لسعتها نحلة".

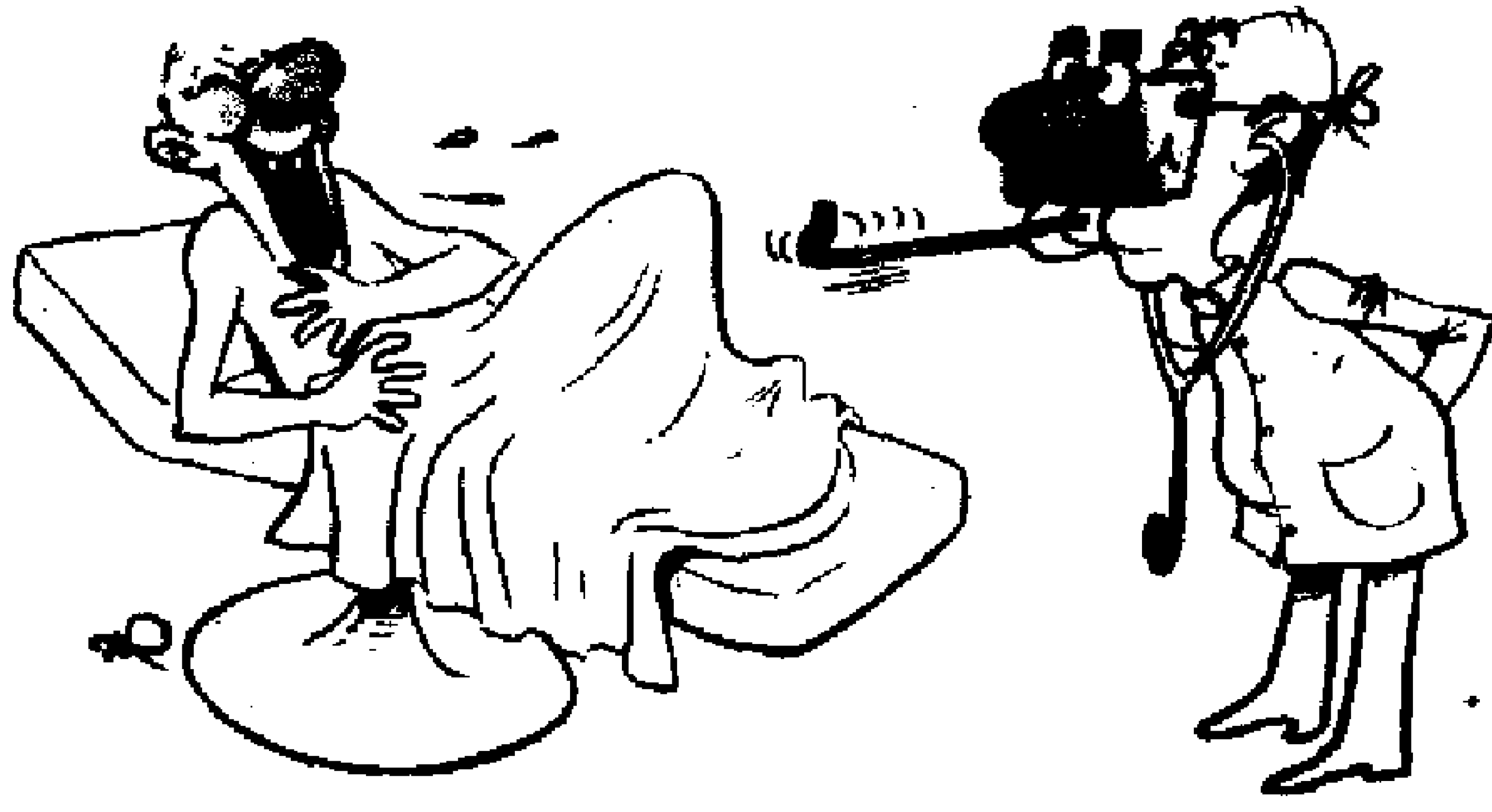
مينا واندريه جيلوا، في كتاب "٣٣٣ حكاية".

لتخفيف العبء

صوتت عضوات "نادي البيوت السعيدة" في المانيا لمصلحة الاحتفال بيوم للحموات، وذلك لاضفاء مزيد من السعادة على العلاقات العائلية. ولكي يكون للازواج رأي في الموضوع، اختيرت لجنة منهم لتحديد تاريخ العطلة الجديدة، فأختار الرجال اليوم التاسع والعشرين من شباط (فبراير)!

ن.هـ.

الضحك خير دواء



طرائف البخلاء

حين اعلنا خطوبتنا، حددنا موعد الزفاف بعد سبعة عشر شهرا بحيث يكون وضعنا المالي افضل. وبعد اربعة اسابيع اهدى الي خطيبي ست عشرة وردة تمثل كل منها ما تبقى من أشهر.
وطغى علي الفرح وأنا أقول: "ما اروع ذلك. في الشهر المقبل أستلم خمس عشرة وردة". لكنه اجاب: "كلا، ما عليك سوى التخلص من احداها كل شهر".

ن.ل.ت.

الغاية والنتيجة

لكي يبرهن على حبه لزوجته، قطع رجل اعمق الانهار اقفر الصحاري وتسلق اعلى الجبال. لكنها طلقته، اذ كان دائما خارج البيت!

ر.س.

حادث عرضي

تشاركني غرفتي في القسم الداخلي في الجامعة زميلة دائبة الحركة. فبالاضافة الى انهماكها في الدراسة تراها منتمية الى عدد من التجمعات الطالبية والى فريق العاب الساحة والميدان النسائي، كما تشارك في التزحلق على الجليد خلال كل عطلة نهاية اسبوع في الشتاء.

من هنا كانت دهشتي كبيرة حين عدت بعد ظهر ذات يوم الى غرفتنا، فوجدتها في الفراش. وحين سألتها عما حدث، تمتمت بضع كلمات فهمت منها ان هناك حادثا. وسألتها قلقة: "حادث؟ ما الذي حصل؟ فاجابت: "كنت ارتب الفراش، فسقطت فيه عرضا".

ا.م.

تواضع

بوب هوب: كم اكره قراءة اسمي في الصحف، وكم ابذل من جهد لتجنب المقابلات. واذا كان لا بد من بعض الدعاية، فلتأت في شكل طبيعي، هذا ما اقوله على الاقل لوكلاء دعايتي الثمانية.

م.ز.

رهان رابح

كان رجلان يحتسيان الخمر في حانة، فالتفت احدهما الى الآخر، وقال:
"اتراهن بمئة دولار على اني استطيع ان اعض عيني اليسرى؟ فوافق رفيقه. واذا بالاول يقتلع عينه الزجاج ويعضها.
وعاد الاول يقول: "والان سامنحك الفرصة لاسترداد مالك، واراهنك بمئة دولار اخرى على استطاعتي ان اعض عيني اليمنى".
ففكر الاخر: "لا يعقل ان يكون بعينين زجاجيتين". واخرج قطعة النقد وبسطها بقوة على الطاولة. فما كان من الاول الا ان

اخرج اسنانه الاصطناعية وعض بها عينه اليمنى.

ب.م.

مهارة الاغنياء

كان اثنان من رجال الاعمال يقضيان اجازتيهما على ساحل ميامي المترف، فأخذا يقارنان اوضاعهما.
قال الاول: "جئت الى هنا بفضل تعويضات التأمين، اذ حصلت على ٥٠ الف دولار عن اضرار حريق".
فرد الثاني: "وانا كذلك. لكني حصلت على مئة الف دولار تعويضا عن اضرار فيضان".
وبعد صمت طويل سأل الاول: "قل لي، كيف يمكنك احداث فيضان؟"

ج.م.

ما زاد عن لا ونعم

ذهب الرجل الى الكاهن ليعترف له بأنه يجد الحياة خاوية. وحين سأله الكاهن عن السبب، اجاب:
- لان المرأة التي احب رفضت عرضي للزواج منها.
فقال الكاهن بابتهاج:
- لا تدع الامر يثبط همتك. فحين تقول المرأة: "لا" فانها تعني غالبا "نعم".
فرد الرجل مكتئبا:
- لكنها لم تقل: "لا"، بل قالت: "هذا هراء يا أبله!"

د.م.ل.

وفاء!

قال الثري العجوز بشجاعة لزوجته الشابة: "حين أموت، اريد ان تتزوجي ثانية".
فاجابت الزوجة: "لا تقل هذا الكلام يا عزيزي".
- بل اريدك ان تهدي الى زوجك الجديد كل ملابسي بحيث يبدو عظيما حين يرافقك.
فشهقت الزوجة مقاطعة: "ارجوك الا تقول مثل هذا الكلام، فذلك مستحيل".
- ولماذا؟
- لان قياس ملابسك ٤٠ وقياسه ٤٤ من الصنف الطويل.

ا.ث.

اشغال الدولة

كان موظفان بيروقراطيان يراقبان مستخدما وهو يترنح حاملا اكداس الورق، فعلق احدهما: "اما وأن الدولة قررت حرق النفايات لتوليد الطاقة، فلعل احدا يقدر اخيرا قيمة عملنا وأوراقنا".

ت.ب.

حل معقول

يروي الممثل الكوميدي غروشو ماركس ان اباه دخل مرة احد مطاعم نيويورك وأراد ان يظهر بمظهر المتأنق، فطلب فنجانا من القهوة. لكن النادل لم يبال بهذا التكلف، واحضر القهوة في كوب كبير. فانفجر الاب صائحا: "لقد طلبت فنجانا صغيرا، وها أنت تقدم لي القهوة في كوب كبير". واذا بالنادل يجيب بعدم اكتراث "اذا اشرب قليلا منها فحسب".

س.هـ.

اقدم مهنة

كان ثلاثة رجال يتجادلون حول اي المهن ظهرت اولا على الارض، فقال الجراح: "مهنتي كانت الاولى، لان الكتاب المقدس ينص على ان حواء خلقت من ضلع آدم".
ورد المهندس بحزم: "ابدا. لقد خلقت الارض من الفوضى في ستة ايام، وذاك عمل المهندس.
اذا، فمهنتي اسبق".
وهنا اجاب السياسي بفخر: "اجل. ولكن من خلق الفوضى؟"

م.هـ.و.

اينشتاين (في مئويته الأولى): أنا جزءٌ مِن الطبيعَة

قبل ١٠٠ عام، في ١٤ مارس (آذار) عام ١٨٧٩، ولد ألبرت أينشتاين في مدينة أولم في المانيا. وقد عرف في أثناء حياته بأنه من أكبر العقول التي عرفتها البشرية في تاريخها، وأحدث ثورة في الفكر العلمي بنظريته العامة عن النسبية التي نشرها في برلين عام ١٩١٦. وكان أينشتاين يتلقى رسائل كثيرة من جمهور كبير يعجب به ويجله، ومن عديد من أصدقائه وزملائه. في ما يأتي مقتطفات منها اختارتها وأعدتها وأعدتها هيلين دوكاس، سكرتيرة أينشتاين، والاختصاصي في الفيزياء النظرية بانيش هوفمان، من كلية كوينز كوليج في نيويورك، وهو من معاوني أينشتاين السابقين.

كتب أينشتاين الى قريبة له شابة فاتتها فرصة لقائه في أثناء زيارة لمدينة شتوتغارت عام ١٩٢٠:

"عزيزتي الآنسة لي، لقد سمعت أنك غير راضية لأنك لم تقابلي عمك. دعيني اصف لك هيئتي: وجه شاحب وشعر طويل ومبادىء كرش صغير ومشية تفتقر الى الرشاقة وسيجار في الفم - اذا كان لدى عمك سيجار - وقلم في اليد أو في الجيب. ولكن عمك ليست له ساقان مقوستان ولا شامات مقززة، ومن ثم فانه على خط لا بأس به من الوسامة. ومن المؤسف حقا أنك لم تريني.

مع التحيات الحارة من عمك ألبرت أينشتاين".

وكتب أينشتاين الى صديقه الفيزيائي بول ايهرنفيست في ١٩٢٢:

"ما أتعس عجز الاختصاصي في الفيزياء النظرية وهو يقف أمام الطبيعة، وأمام طلبته!"

وكان أينشتاين يكره "سباق الفئران" من أجل الترقية. وفي مايو (ايار) ١٩٢٧، بينما كانت الدوائر العلمية في العالم تتساءل عمن سيخلف ماكس بلانك في كرسي الاستاذية في جامعة برلين، كتب أينشتاين الى ايهرنفيست:

"أحمد الله على ان لا علاقة لي بهذا الامر ولم أعد احتاج الى دخول جلبة المنافسة بين



العقول الكبيرة. ان المشاركة في هذا السباق كانت تبدو لي على الدوام نوعا من العبودية لا يقل شرا عن شهوة المال او السلطان".

اسمعوا... واصمتوا - وكان أينشتاين عازفا متحمسا على الكمان ويضايقه في بعض الاحيان ما يبدو من اهتمام الاخرين الشديد بجميع جوانب حياته. وفي ١٩٢٨ شاكسته احدى المجلات الالمانية طالبة أن تعرف أفكاره عن باخ، فرد عليها في اقتضاب صارم:

"اليكم ما لدي من كلمات عن أعمال باخ كلها: اسمعوا، واعزفوا، وبجّلوا وأغلقوا أفواهكم".

وفي العام نفسه، وجه مراسل صحافي الى العالم الكبير سؤالا عما اذا كان لنشاطه الموسيقي تأثير على مجال عمله الرئيسي، فأجاب أينشتاين

"ان الموسيقى لا تؤثر على العمل في البحث العلمي، لكن كليهما يتغذيان من نبع حنين واحد، وهما يكملان بعضهما بعضا بما يحققانه من انفراج للنفس".

وفي ١٩٢٩ وصلته تهنئة بعيد ميلاده من سيغموند فرويد الذي خاطب أينشتاين بقوله "أنت أيها المحظوظ"، فكتب اليه أينشتاين:

"لماذا تؤكد على حظي؟ لقد تسللت أنت تحت جلد أناس لا حصر لهم، ومع ذلك فلم تسنح لك الفرصة كي تتسلل تحت جلدي أنا".

وفي ١٩٣٠ جاءه خطاب من انكلترا يطرح السؤال الآتي: "اذ حدث لك على فراش الموت أن تأملت حياتك، فما هي الحقائق التي تستند اليها كي تحدد ما اذا كانت تلك الحياة ناجحة أو فاشلة؟"

فرد أينشتاين: "لن أطرح على نفسي مثل

هذا السؤال، لا على فراش الموت ولا قبل ذلك. ان الطبيعة ليست مهندسا او مقاولا، وأنا نفسي جزء من الطبيعة".

وغادر أينشتاين المانيا الى الابد عندما تولى هتلر السلطة فيها. وبعد وصوله بقليل الى جامعة برينستون في ولاية نيوجيرسي عام ١٩٣٣، سألته مجلة "ذي دينك" التي يصدرها الطلبة الجدد أن يكتب لها كلمة، فوافق وكتب ما يأتي:

"انني سعيد بالحياة بينكم أيها الشباب السعداء. واذا كان لطالب قديم أن يقول لكم بضع كلمات فهي ما يأتي: لا تنظروا الى دراستكم أبدا على انها واجب ولكن باعتبارها فرصة نادرة كي تتعلموا فيها معرفة أثر الجمال في المجال الروحي على تحرير الانسان، من أجل ابتهاجكم الشخصي ومن أجل نفع المجتمع الذي ينتمي اليه عملكم اللاحق".

وفي العام نفسه، تلقى رسالة من موسيقي محترف في ميونيخ تنوشه المتاعب والاكتئاب ويعاني البطالة، فأرسل اليه أينشتاين النصيحة الآتية:

"لا تقرأ الصحف، وحاول أن تجد بعض الاصدقاء الذين يفكرون كما تفكر، واقرأ للكتاب الرائعين من الازمنة الماضية، كانت وغوته وليسينغ، والاعمال الكلاسيكية في آداب البلاد الاخرى، واستمتع بروائع جمال الطبيعة حول ميونيخ، واعقد أواصر الصداقة مع بعض الحيوانات. عندئذ ستعود رجلا بشوشا ولن يستطيع شيء أن يعكر عليك صفوك".

رسالة الى المستقبل — وفي عام ١٩٣٦ كتب اليه ناشر أمريكي مشهور يطلب خدمة. فهو مهد الارض استعدادا لبناء جناح لمكتبة جديدة ملحقة ببيته الريفي، وأراد ان يضع داخل حجر الاساس صندوقا معدنيا محكما ضد تسرب الهواء يحتوي على أشياء يمكن أن تهم الاجيال المقبلة، ومن بينها رسالة من أينشتاين. وقد كتب العالم هذه الرسالة:

"أعزائي ابناء الاجيال المقبلة: اذا لم تكونوا قد أصبحتم أكثر انصافا ومسالمة، وأعقل منا (أو مما كنا عليه) عموما، اذاً فليتخطفكم الشيطان. واذ أعربت لكم، بكل احترام، عن هذه الرغبة التقية فانني (أو كنت) لكم المخلص، ألبرت أينشتاين".

وفي ١٩٣٦، كتب تلميذ في السنة الابتدائية السادسة يسأل اذا كان العلماء يصلّون، واذا كانوا يفعلون ذلك، فلمن يوجهون صلاتهم؟

ورد أينشتاين: "لقد حاولت أن أرد على سؤالك بأكبر مقدار استطيعه من البساطة. واليك ردي.

"أساس البحث العلمي هو الفكرة القائلة بأن كل شيء يحدث خاضع لقوانين الطبيعة، ومن ثم فان هذا ينطبق على أفعال الناس أيضا. ولهذا السبب فان عالم البحوث لا يميل الى الاعتقاد بأن الاحداث يمكن ان تتأثر بالصلوات، أي بأمنية او رغبة او دعاء موجه الى كائن فوق الطبيعة.

"على أننا يجب أن نعترف بأن درايتنا الحالية بقوانين الطبيعة هذه دراية ناقصة جدا وجزئية ومبعثرة، بحيث ان الاعتقاد بوجود قوانين اساسية شاملة في الطبيعة ينهض هو الآخر بالفعل على نوع من الايمان، وان كان هذا الايمان في الوقت نفسه قد وجد له حتى الان مبررات كافية جدا في ما حققه البحث العلمي من نجاح بيد أننا نجد من ناحية أخرى أن كل من مارس العلم ممارسة جادة لا يلبث ان يقتنع بأن هناك روحا سامية تبدو آياتها في قوانين الكون، روحا أسمى بمراحل هائلة من روح الانسان ولا نملك نحن

ازاءها، بقوانا المتواضعة، سوى الشعور بالضآلة".

وفي ١٩٤٣ كتبت اليه طالبة من واشنطن تقول ان مستواها في الرياضيات هو دون المتوسط مما يضطرها الى بذل جهد شاق في دراسة هذه المادة يفوق الجهد الذي يبذله زملاؤها.

فرد عليها أينشتاين: "لا تبتئسي لما تعانينه من صعوبات في الرياضيات، فأنا أؤكد لك ان الصعوبات التي أعانيها أنا في هذه المادة تفوق بكثير ما تعانين انت".

كيس بطاطا ــ وكتب اليه مزارع من ولاية ايداهو في ١٩٤٧ يخبره أنه قد أطلق على ابنه اسم ألبرت، ويتمنى لو أن العالم الكبير كتب بضع كلمات يمكنه أن يحتفظ بها بمثابة "حجاب" يستمد منه الطفل التشجيع في أثناء نموه. ورد أينشتاين بالكلمات الآتية:

"ان الاشياء والافعال الثمينة حقا لا يمكن أن تكون ثمرة الطموح أو الشعور بالواجب فحسب، وانما هي تنبع من الحب والاخلاص نحو البشر والاشياء الموضوعية".

ورد الاب المبتهج برسالة ضمنها صورة لألبرت الصغير وقال انه، على سبيل التقدير لكرم العالم العظيم، سيرسل اليه كيسا من بطاطا ايداهو.

وفي ١٩٤٨ كان أحد الناشرين يعد كلمة ليلقيها في مؤتمر الجمعية الامريكية للمكتبات، فكتب يشكو مما هو منتشر بين الناس على نطاق واسع من عدم الاكتراث بكتب العلوم المبسطة التي تنشر للقارئ العادي. فرد عليه أينشتاين:

"ان معظم الكتب التي تنشر عن العلم بزعم انها كتبت للقارئ العادي ترمي الى التأثير عليه أكثر مما تسعى الى ان تشرح له ببساطة ووضوح أهداف العلم ومناهجه الاولية. وبعد ان يحاول القارئ العادي الذكي قراءة بضعة كتب من هذا النوع ينتهي به الامر الى حال من التثبيط التام ويخرج بالنتيجة الآتية: انني أغبى من أن استطيع فهم هذه الامور ويحسن بي أن اتوقف عن المحاولة. يضاف الى ذلك ان كل الاوصاف والشروح التي تقدمها هذه الكتب غالبا، تصاغ بلغة مثيرة متحذلقة تنفر القارئ العادي الذكي.

"وليس الخطأ هنا خطأ القراء، وانما هو خطأ المؤلفين والناشرين. والذي ينبغي اتباعه هو ألا ينشر أبدا أي كتاب "شعبي" في مجال العلوم الا اذا ثبت ان في وسع القارئ العادي والذكي فهمه وتقديره".

وفي ١٩٥١، كتب أحد طلبة الدراسات العليا الى أينشتاين يسأله نصيحة. وكان الطالب يهودي المذهب أحب فتاة مسيحية من طائفة المعمدانيين، وقد نزلت الفتاة من نفس والدي الطالب منزلة طيبة، لكنهما عارضا زواجه منها باعتبارها مسيحية. ووجد الشاب نفسه ممزق النفس بين حبه للفتاة ورغبته في الاحتفاظ برضاء والديه وعدم ايلامهما. وقد كتب اليه أينشتاين الرد الآتي:

"يجب علي ان أقول لك صراحة أني لا أؤيد تدخل الوالدين للتأثير على قرارات أبنائهما التي ستحدد شكل حياة أولئك الابناء والبنات، لان مثل هذه المشكلات لا بد ان يحلها الانسان بنفسه ولنفسه.

"غير انك يجب أن تسأل نفسك: هل أنا اتمتع حقا في أعماقي بمقدار كاف من استقلال الشخصية يتيح لي أن اتصرف ضد رغبات والديّ من دون أن أفقد اتزاني الداخلي؟ فاذا لم تكن واثقا من ذلك، فان

الخطوة التي تعتزمها تصبح أمرا لا يمكن اقراره، حرصا على مصلحة الفتاة نفسها، لان هذا الاعتبار وحده هو الذي ينبغي أن يتوقف عليه قرارك".

نصيحة الى هندي – وكتب اليه هندي من دلهي عام ١٩٥٣ يخبره بأنه يبلغ من العمر ٣٢ سنة، وأعزب وفقير، وبأنه على رغم ضعفه في العلوم مصمم على متابعة دراسة الفيزياء والرياضيات. وهو ينفر من الاضطرار الى كسب رزقه بالعمل، لان هذا يتناقض مع "طبيعته الداخلية".

فكتب اليه أينشتاين: "لقد تأثرت كثيرا برغبتك الحارة في مواصلة دراسة الفيزياء. لكنني يجب أن أعترف بأني لا استطيع في أي حال الموافقة على موقفك. فنحن جميعا نحصل على الغذاء والمأوى بفضل عمل اخوان لنا، وعلينا ان نقدم بأمانة وشرف ما يقابل ذلك. وهذا المقابل لا يتحقق بعمل نختاره لمجرد ارضاء نوازعنا الداخلية فحسب، وانما أيضا بالعمل الذي تتفق آراء اخواننا هؤلاء، عموما، على أنه يخدمهم وينفعهم، والا فان الانسان يصبح طفيليا مهما تواضعت مطالبه وقلت حاجاته. وهذا يصدق خصوصا في بلادك حيث تتضاعف الحاجة الى جهد الاشخاص المتعلمين في هذه الفترة من الكفاح في سبيل التقدم الاقتصادي.

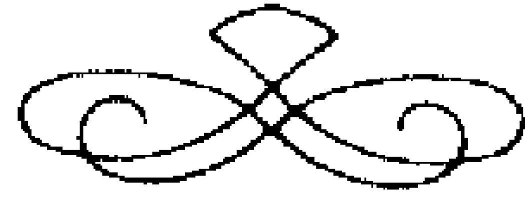
"هذا جانب من الموضوع، وهناك جانب آخر. ان السعي الجاهد في مجال العلم لا يحمل الا فرصة ضئيلة لتحقيق انجاز له قيمة حقيقية، حتى بالنسبة الى الموهوبين جدا، ولذا فان هناك على الدوام احتمالا كبيرا لان تجد نفسك فريسة لمشاعر الاحباط عندما تتجاوز السن التي ترتفع فيها الطاقة على العمل الى الذروة.

"وليس هناك الا سبيل واحد للخروج من هذا المأزق: خصص الجانب الاكبر من وقتك لنشاط عملي يوافق طبيعتك، ثم أنفق بقية وقتك في الدراسة، فيمكنك بذلك ان تعيش حياة سوية منسجمة من دون ان تحتاج الى البركات الخاصة لربات العلم والفن".

"ومتى سينتهي الامر كله؟" وجهت طفلة هذا السؤال شفويا ونقلته أمها الى أينشتاين، فكتب الرد الآتي:

"لقد ظلت الارض موجودة لمدة تزيد قليلا على مليار سنة. أما التساؤل عن موعد حلول نهايتها فان عندي في شأنه نصيحة واحدة: لننتظر حتى نرى!

"ملاحظة: ارسل لك طيه بضعة طوابع بريد لمجموعتك".



الشعر هو اللغة التي يستكشف بها المرء دهشته الذاتية.

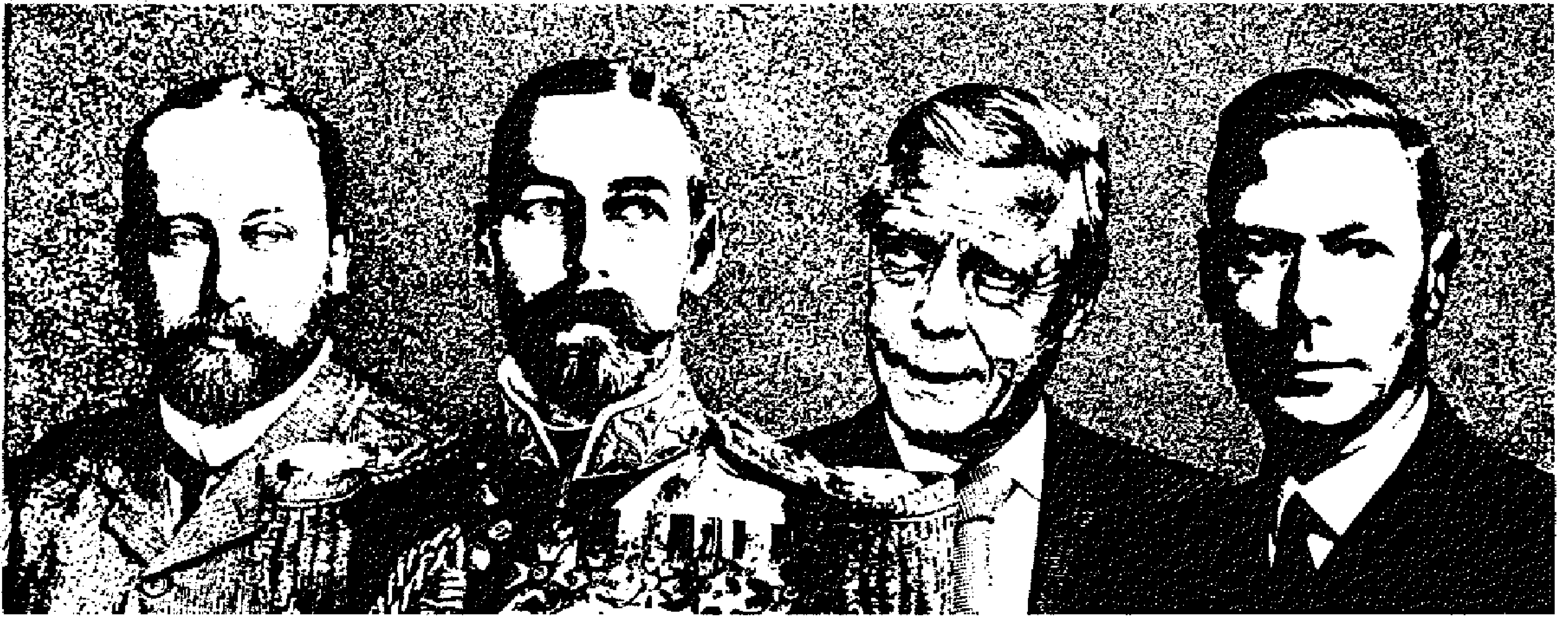
كريستوفر فراي

التفكير بالايطالية

كان كاتب السيناريو الفرنسي هنري جانسون يقضي اجازته في نابولي، فأرسل البطاقة البريدية الآتية الى الكاتب المسرحي مارسيل آشار، علما بأن الاثنين كانا على خلاف: "اني لا أفكر فيك. واذا صدف ان فعلت فسأحرص على التفكير بالايطالية لأني لا افهمها".

(صحيفة "إل ماتينو"، نابولي)

لولا التدخين لتغير مجرى التاريخ؟



... والملوك ايضا يدخنون ويقعون ضحايا ولا تشفع بهم التيجان

ان آخر اربعة ملوك لانكلترا كانوا مدخنين مدمنين. ومع ان ما يتسرب عن صحة الملوك الانكليز لا يتعدى النذر اليسير، فان ثمة ادلة قاطعة على مساهمة التدخين في القضاء عليهم.

■ ادوارد السابع، كأمير على ويلز وكملك لانكلترا في ما بعد، فعل، على الارجح، ما فعله اي شخص آخر لجعل التدخين عادة شعبية محترمة اجتماعيا. وبصفته سيد الزي الدارج في مختلف انحاء اوروبا، فهو اجاز عادة التدخين "بعد العشاء مباشرة". ويقول كاتب سيرته فيليب ماغنوس: "قبل الفطور، كان يتناول سيجارا صغيرا وسيجارتين حصرا، الا انه كان يدخن بعد ذلك ما معدله يوميا ١٢ سيجارا كبيرا و٢٠ سيجارة".

بدأ يعاني التهاب شعاب الصدر في الاربعينات من عمره. وقد نصحه

CONDENSED FROM HOW TO STOP SMOKING PAN BOOKS (c) OLIVER GILLIE 1977

اطباؤه بالتقليل من التدخين فلم يأبه لذلك. وفي الستينات بدأ يعاني ضيقا في التنفس. وبدلا من مطاردة الغزلان في حدائق قصر بالمورال صار عليه الان انتظار مجيئها نحو بندقيته.

وظهر ٦ مايو (ايار) ١٩٦٠، استقبل الملك في قصر باكنغهام، السير ارنست كاسل احد مستشاريه الماليين، ودخن سيجارا كبيرا. وبعد تناوله الغذاء في غرفة نومه انهار على شباكه المفتوح. وتلت ذلك سلسلة نوبات كان يكافح فيها لالتقاط انفاسه، الا ان رئتيه كانتا تضررتا على نحو لم يعد معه امل في شفائهما. وقد حقنه الاطباء بالمورفين لتخفيف آلامه. لكن الملك رحل تلك الليلة وهو في الثامنة والستين من عمره.

الثامنة والستون عمر معقول، ولكن، الم يكن ممكنا ان يعمر الملك عشر سنين اخرى من دون تدخين ومن دون معاناة تلك الالام؟

■ الملك جورج الخامس كان كوالده مدخنا مدمنا. وفي سن متقدمة المت به نوبات متكررة من التهاب الشعاب الصدرية، المرض الاكثر شيوعا نتيجة للتدخين وهو فتاك في اكثر الاحيان. وبحلول عام ١٩٣١ اصبح الالتهاب مرضا مزمنا ملازما له بقية حياته.

وفي فبراير (شباط) ١٩٣٥ ازداد الالتهاب حدة وامضى الملك معظم ايام السنة في حال صحية سيئة.

وفي يناير (كانون الثاني) ١٩٣٦ اضطر الى ملازمة فراشه مرة اخرى.

وفي ٢٠ يناير (كانون الثاني) عقد آخر اجتماع لمجلس الدولة لكنه لم يكد يقوى على توقيع اسمه، وتوفي تلك الليلة قبل منتصف الليل بخمس دقائق، عن سبعين سنة.

ويحتمل ان يكون السبب المباشر لموت جورج الخامس جرثومة التهاب كالانفلونزا، الامر الذي كان في المستطاع التغلب عليه بسهولة لو لم تكن رئتاه في مثل ذلك الضيق نتيجة سنوات التدخين الطويلة.

ان الرشوح الشتوية المعدية التي تسبب للشخص المعافى آلاما وضعفا، لايام قليلة، يمكن ان تودي بحياة من يعانون الالتهاب المزمن في الشعاب الصدرية.

■ اما جورج السادس واخوه ادوارد الثامن، دوق وندسور، فقد بدآ التدخين عندما كانا مرشحين في البحرية في مدرسة التدريب في اوزبورن في جزيرة وايت. كان ذلك في الثانية عشرة او الثالثة عشرة من عمرهما، ولكن تدخينهما بدا مقبولا في عائلة كان الاب والجد فيها مدخنين مدمنين.

وفي الثانية والخمسين من عمره، كان جورج السادس الذي اشتهر بتدخين ٤٠ او ٥٠ سيجارة في اليوم، يعاني انسدادا خطيرا في شرايينه، وهي حال مرتبطة على نحو وثيق بالتدخين. وبعد ثلاث سنوات، في سبتمبر (ايلول) ١٩٥١، اجريت له جراحة لعلاج سرطان الرئة وازال الجراحون رئته اليسرى المصابة باكملها. وعلى رغم ان استعادة الملك عافيته بدت مرضية، فان حظه في الحياة الطويلة كان ضئيلا. فقليلون هم الذين يعيشون اكثر من سنة او سنتين بعد السرطان الرئوي.

واعلن اطباء الملك ان صحته تتحسن على نحو مرض في نهاية يناير (كانون الثاني) ١٩٥٢، غير انه توفي في الصباح الباكر يوم ٦ فبراير (شباط) وهو على فراشه في قصر ساندرنغهام. ومن شبه المؤكد ان السبب المباشر لوفاته كان نوبة قلبية تاجية.

وللتدخين دور رئيسي في امراض القلب التاجية، كما انه السبب الرئيس لسرطان الرئة. ولو لم يكن الملك مدمنا التدخين لكان بقي حيا، على الارجح حتى اليوم.

ومثل هؤلاء كان دوق وندسور المدخن المدمن معظم ايام حياته. ففي مايو (آيار) ١٩٧٢، وبعيد قيام الملكة (التي لا تدخن) بزيارته في منزله في باريس، توفي بسرطان الحلق الذي يرجح ان تكون وراءه سنوات التدخين الطويلة.

لا يلام احد على كونه السبب في وفاة الملوك الاربعة. فالواقع ان اخطار التدخين على الحياة لم تكن مؤكدة على نطاق واسع يوم توفي جورج السادس عام ١٩٥٢. ومع ذلك فان مرض هؤلاء الملوك يبين كيف يمكن عائلة ان تتألم لثلاثة اجيال نتيجة شغفها بالتبغ. ولعل التاريخ كان تغير لو لم يدمن هؤلاء التدخين او لم يشجعوا على الترويج لعادته.

■ اوليفر جيلي

المراسل الطبي لـ"الصنداي تايمس"

تعليق شعري

ان الاعتقاد القديم القائل بأن الزوائد الشبيهة بثمرة الفريز (الفراولة) التي تظهر على اجسام الاطفال عند الولادة اذا كانت امهاتهم محرومات من هذه الثمرة، ما هو الا خرافة.

وحين رويت قصة حول هذا الموضوع على الكاتب اناتول فرانس، علق قائلا: "لا ازال انتظر رؤية طفل مولود بعقد لؤلؤ".

ج.ب.

(مجلة "بلانيت"، فرنسا)

الشبه المزعج

كان ملك بلجيكا البرت الاول يحب السفر متنكرا، كما يتمتع بالنهوض عند الفجر والتجول عبر المناطق المزدحمة في المدينة. وذات يوم وهو مسافر الى سويسرا في حافلة الدرجة الثالثة في القطار، حيث يمكنه الاستماع على نحو افضل الى احاديث عامة الناس ونكاتهم، قال له احد المزارعين: "انك تشبه الملك البرت الى حد مدهش".

فأجاب الملك: "حقا، لقد سمعت هذا من قبل، ولو كنت تعلم كم اوعجني ذلك".

ك.ب.

عاش اوغست رودان حياة مأسوية عاصفة،
الا انه ترك للعالم بعضا من أعظم الروائع الخالدة

رودان:

باعث الحيَاة في البرونز

يتقلب الذوق في الفنون من حال الى حال في سرعة مذهلة. وكان اصحاب الذوق الرفيع قبل ٢٥ سنة فقط يأنفون من اعمال اوغست رودان ويعدونه منمّقا، مبتذلا، خارجا على التقاليد المتبعة في النحت. ودونما ظهور اسباب واضحة، انقلب ميزان الرأي اليوم رأسا على عقب، واصبح رودان، الذى ولد عام ١٨٤٠، يعتبر اليوم علما بين الفنانين ووريثا اخيرا لعظماء الرومنطيقيين في مطلع القرن التاسع عشر. بل لعله بات أعظم نحّات عرفه الفن منذ ميكال آنجلو.



هاتان اليدان
سماهما رودان: "الكاتدرائية".

لقد كانت اصابع رودان اداته في القوة والطاقة على التعبير. وكانت يداه كيدي الشافي او مجبّر العظام، قادرتين على بعث الحياة بمجرد اللمس. وانبثقت عظمة اعماله وغناها الفني من اهتمامه بجسد الانسان اهتماما ملك عليه امره. ورأى ذلك الجسد كما لم تره سوى قلة من الفنانين عبر العصور. وكان، كلما استرعت انتباهه ايماءة او اثارته حركة، يبادر بسرعة جنونية الى رسمها او نحتها خشية ان تفلت منه فجأة. وتسنى له بهذا الاسلوب ان يكتشف، اكثر من اى مثّال آخر منذ روبنس، امكانات الجسم على التعبير.

وعلى رغم ان قلة من اكتشافاته حظيت بالقبول لدى الاوساط الفنية في عصره، الا ان رودان لم تضلله ابدا الاستجابات العامة او التيارات الشعبية. ولو شاء لكان من اليسير عليه ان يستغل الاسلوب الذي انتهجه في تمثاله الشهير "المفكر" (١٨٨٠) الذي قصد به ان يكون صورة رمزية للشاعر دانتي متأملا مبتكرات خياله. لكنه، بدلا من ذلك، حرص كلّ الحرص على اتباع ما يمليه عليه ضميره، مما أدى الى اثارة الاستنكار العام حيال اعماله الرئيسية باستثناء منحوتة "مواطني كاليه" التي يسهل فهمها على الجميع لان العنصر الدرامي فيها ينبع من واقع هؤلاء المواطنين أنفسهم وليس من خيال الفنان (★). كما ان "مواطني كاليه" يجسدون، في كل حركة من حركاتهم، مشاعر الناس المشتركة. وفي لحظة من الفطنة والبصيرة، طلب رودان ان يقام نصب "مواطني كاليه" وسط الساحة العامة في بلدة كاليه الفرنسية، وعلى مستوى أرضي يبدو "المواطنون" منه مثل سائر الاهالي الذين يطوفون حولهم، وبذلك يحس المارة احساسا حيا بمأثرة "المواطنين" البطولية.

قصة "بلزاك" ـ اما تمثاله الجبّار الآخر "بلزاك" فلم يحظ بالشعبية مطلقا، وكانت جمعية "أهل القلم" الادبية هي التي كلفته، عام ١٨٩٢، صنع تمثال لبلزاك، على أن ينتهي عام ١٨٩٤ لنصبه وسط القصر الملكي تخليدا لذكرى الروائي الفرنسي الكبير. غير ان رودان وجد صعوبة بالغة في عمله نظرا الى ان رؤآه السابقة كانت تستند الى امثلة حية. أما بلزاك فقد مضى على وفاته أربعون عاما، فضلا عن انه كان قصيرا وبدينا في الوقت نفسه، ولم يكن مظهره يدل على النبل او البطولة. ومع ذلك، توجب على رودان ان يقيم له تمثالا عملاقا يبلغ طوله مترين و٧٥ سنتيمترا. فأضحت هذه المهمة بمثابة امتحان له ولمبادئه في الصدق.

وما كان من رودان الا ان صنع سبعة نماذج كبيرة وعارية لبلزاك ووزعها في أرجاء مشغله للتأمل فيها ملياً. وعلى رغم انها كانت كلها تصور بلزاك بصدق وأمانة، الا ان اعضاء جميعة أهل القلم كانوا سيرفضونها حتما لو أتيحت لهم فرصة مشاهدتها في مشغل الفنان. لكن رودان لم يسمح لهم بزيارة مشغله. وبحلول عام ١٨٩٤ وانتهاء مهلة العامين لنحت التمثال، راح عدد كبير من اعضاء الجمعية يهاجمون رودان ويتهمونه بانه محتال ودجّال. ولم يأبه رودان لذلك، بل استمر على مدى سنوات يتأمل في تماثيل بلزاك السبعة العارية، وأخيرا قرّ رأيه على أن يكسو كلا منها بدُثُر مسبوكة على شكل معطف النوم البيتي. واختار واحدا من تماثيله وأرسله عام ١٨٩٨ الى الصالون الفني في باريس، وهو الصالون الذي أسس في القرن السابع عشر وكان افخم معرض للرسوم والتماثيل في البلاد واكثرها هيبة، اضافة الى ان هيئة المحكمين فيه

(★) تتلخص القصة في ان الملك الانكليزي ادوارد الثالث، عندما استولى على بلدة كاليه الفرنسية عام ١٣٤٧، تعهد بأن يصون حماها شرط ان يفتديها ستة من أبرز رجالاتها بأرواحهم. وبعدما تطوّع رئيس البلدية وخمسة آخرون لافتداء البلدة، لان قلب ادوارد الثالث وتراجع عن حكمه.



"اذا كان الحق لا يموت،
فاني أتنبأ بأن تمثالي سيشق
طريقه وحده" -
هذا ما قاله رودان عن تمثاله الرائع
"بلزاك" الذي كان موضع سخرية وازدراء في حينه.



"مواطنو كاليه" منحوتة رودان التي يقف فيها المواطنون أمام دار بلدية كاليه، مجسدين بالنحت مشاعر الناس المشتركة.

تتألف من المحافظين والمتعصبين ضد الافكار الجديدة. وكان في امكان هؤلاء ان يبنوا الفنان او يحطموه.

وفاق التمثال غير العادي ابعد التصورات والاماني التي كانت تراود اعداء رودان، فلم يجدوا، بعد مشاهدته، صعوبة في اقناع الجمعية وغالبية الناس بأن رودان معتوه وبأنه تعمد اهانة فرنسا بتمثاله هذا. وبالطبع، رفضت الجمعية تمثال "بلزاك" وأجمع المتفرجون في الصالون على نقطة واحدة، وهي ان وقفة التمثال مستحيلة، وانه لا يعقل ان يكمن تحت تلك الدثُر جسم انسان. وما كان على رودان الا ان يضرب تمثاله ضربة واحدة حتى تسقط الدثُر وينكشف الجسم من تحتها. لكنه آثر ان يسحب تمثاله من الصالون وينصبه وسط حديقة منزله في بلدة مودون.

وقال رودان في وقت لاحق: "اذا قضي على الحق بأن يموت، فان الاجيال القادمة ستمزّق "بلزاكي" إربا إربا. اما اذا كان الحق لا يموت، فاني أتنبأ بان تمثالي سيشق طريقه وحده. ان هذا العمل الفني هو تاج حياتي ومحور نظراتي الجمالية الفنية. انه بمثابة خطوة جذرية في تطوري أقمت بواسطتها رابطة بين التقاليد العظيمة المفقودة وهذا الزمن الذي اعيش فيه. وستنمو تلك الرابطة وتتعزز يوما بعد يوم".

والواقع ان تمثال "بلزاك" يحقق، في نظري، كل ما قاله رودان بالضبط. ففيه ينجز الفنان، بعد مغامراته في الاساليب الفنية الاخرى، شيئا فذاً يتفرد به على سواه، وان كان يبدو منبثقا من صميم تقليد عالمي في النحت. كما ان التمثال، في الوقت ذاته، هو احدث اعمال رودان من حيث ان محاكاة المظهر فيه خاضعة كليا لفكرة نحتية مسبقة.

لكن تصريح رودان بأن "بلزاك"

بداية مرحلة جديدة في تطوره يكشف عن سخرية مأسوية. ذلك لان "بلزاك" كان خاتمة اعماله العظيمة. فهو، وان ظل ينتج اعمالا ثانوية جميلة بعد "بلزاك" الا ان معين حياته الخلاقة نضب على ما يبدو. والراجح، حسب ظني، ان تكون مأساته الشخصية التي رافقت تلك المرحلة السبب في جفاف نبعه.

حياة عاصفة ـ أقام رودان، في وقت مبكر من حياته، مع امرأة عنيفة الطباع وشبه امية، اسمها روز بيريه. وكانت تساعده في سكب القوالب والعناية بها، وتخدمه خلال تناوله وجبات طعامه. الا ان رودان كان يخونها باستمرار. وفي ١٨٨٧ غرق حتى اذنيه في حب جارف مع احدى تلميذاته، وهي كاميل كلوديل شقيقة الشاعر بول كلوديل وقبلت كاميل بدور "مدام روز" في حياة رودان طوال عشر سنوات، ثم طالبته عام ١٨٩٧ بأن يتخلى عن روز ويتزوجها. وحين رفض رودان الاستجابة لمطلبها، أصيبت كاميل باختلال عقلي.

وأفضى به فقدانه لذلك الحب الجارف الى مغامرات حطت كثيرا من قدره ومقامه. واصبح رودان ضحية امرأة امريكية، تدعى دوقة شوازيل، دأبت على التطواف به في انحاء اوروبا داخل سيارة ليموزين مترفة سوداء. وكانت تلبسه قبعة حريرية ومعطفا اسود ينتهي عند الركبتين، فكان يبدو مثل دب راقص للفرجة والتسلية. وفي نهاية الامر أقنعه اصدقاؤه بالتخلص من "الدوقة المخيفة". لكن التخلص منها أدى الى هبوب موجة جديدة من المتطفلات اللائي اخذن يطرقن باب بيته واحدة بعد الاخرى. وأخيرا، في عام ١٩١٧، اي قبل اشهر من وفاته، أقنع رودان بالزواج من مدام روز، ففعل. ولكن من المؤسف ان يكون كلاهما بلغ من الخرف مبلغا لم يدرك معه الا القليل مما حل به.

وهذه القصة المحزنة تفسر عدم ظهور اعمال رئيسية في أواخر سني رودان. كما انها تنبئنا بشيء عن تدهور سمعته بعد وفاته. ذلك لان النقاد الذين تناولوا حياة رودان كانوا متحاملين عليه وفي ذاكرتهم صورة ذلك الرجل المتبرم، المستبد برأيه، المتدثر بمعطف ينتهي عند الركبتين والذي يتقبل أشنع انواع الاطراء بافتخار وخيلاء. وهكذا طغت على سيد قوالب السبك والنحت وعاشق المرئيات وحركاتها سمات الفيلسوف الزائف. ولكن في اعادة النظر من جديد الى "مواطني كاليه" و"بلزاك"، يحس المرء بأن التقاليد الرومنطيقية في النحت وجدت في رودان خاتمة طيبة حقا.

■ **كينيث كلارك**

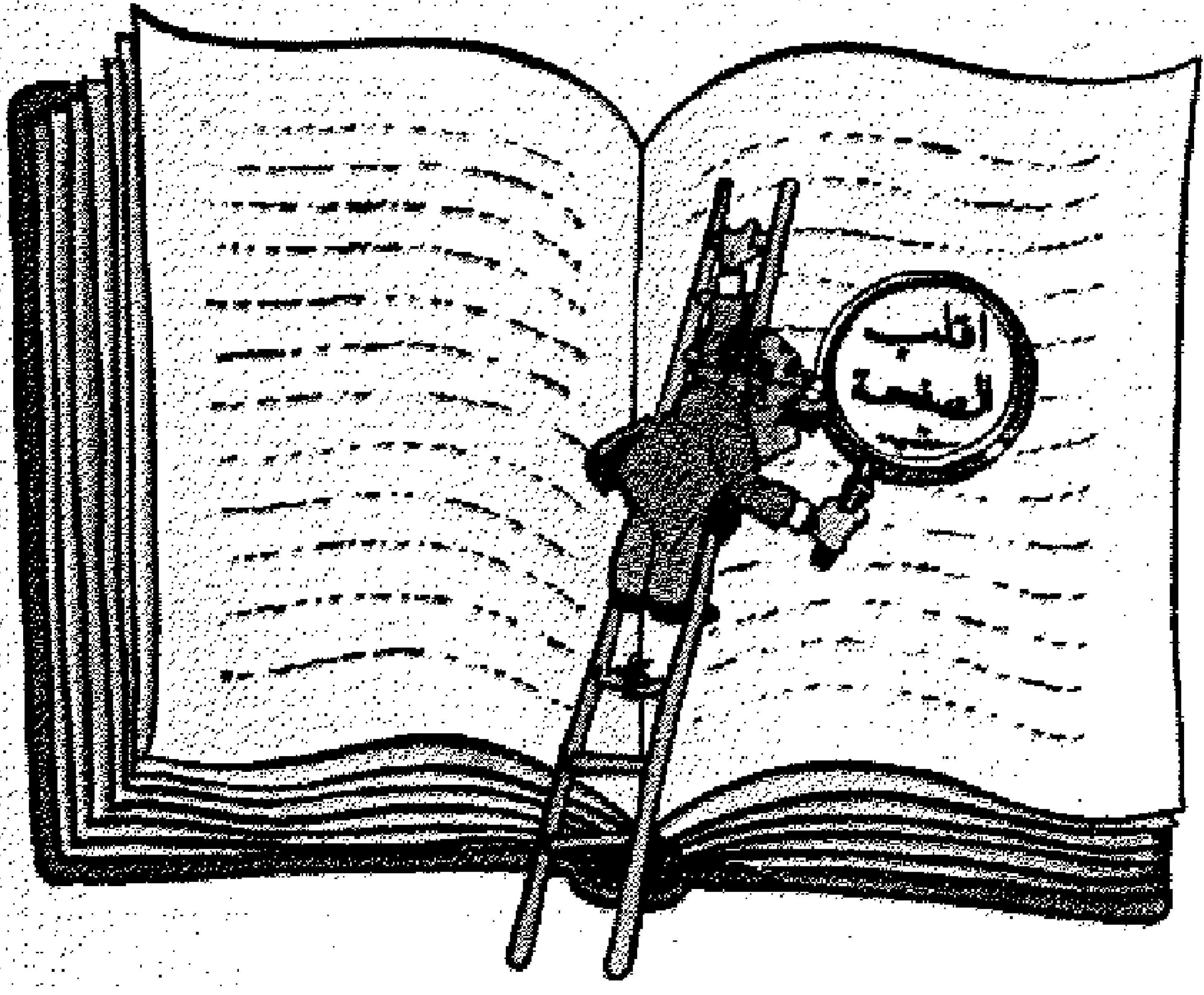


يقول الرسام الفرنسي الشهير ادغار لدوغا، متحدثا عن هواة الفن الذين يشترون اللوحات باثمان باهظة:

"عندما يدفع المرء ثلاثة آلاف فرنك ثمنا للوحة، فهذا يعني انه يحبها واما اذا دفع ثمنها ثلاثمئة الف فرنك، فذلك لأن اللوحة تستهوي الآخرين".

("لو هيريسون" - فرنسا)

دائرة المعارف



كلمات الدائرة في هذا العدد ذات علاقة اشتقاقية ببعض المقاييس: كبير، صغير، قريب، بعيد، طويل، قصير، واسع، ضيق.

وقد وضعت امام كل كلمة اربعة معان، واحد منها فقط صحيح. والمطلوب من القارىء ان يختار المرادف او المعنى الذي يعتبره صحيحا، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة.

١٠ كَبُرَ: فاق غيره سناً - طعن في السنّ - عَظُمَ - ارتفع.

٢٠ طائِل: وقت - معنى - قدرة - شوق.

٣٠ الصِّغْرَة: حداثة السنّ - أصغر الاولاد - العمل الوضيع - الضيم.

٤٠ تقاصرَ: تساهلَ - تكاسلَ - أحجَمَ - عجزَ.

٥٠ وَسِعَ: ضدّ ضاقَ - اغتنى - امتلأَ - وهبَ.

٦٠ الكِبَر: الشرَف - العناد - المشقة - التقدّم في السنّ.

٧٠ القُرابة: القرب المكاني - النسَب - الخاصرة - القريب او النسيب.

٨٠ الطَّوْل: الشوق - القدرة - الرفعة - العمر.

٩٠ صاغِراً: صغير السنّ - مطيع - خاشع - مهان.

١٠٠ القُصارى: الجهد والغاية - الكسَل - صغر السنّ - العجز.

١١٠ كَبِرَ: عظمَ - ارتفع - طعن في السنّ - فاق غيره سناً.

١٢٠ أطالت: اتّخذَت أعداء - وَلَدَت اولاداً طوالا - أعطت - اشتاقت.

١٣٠ سِعَة: ضدّ ضيق - غنى - عَطاء - قدرة.

١٤٠ القَصَرَة: التساهل - الجهد - الكسَل - القَصير.

١٥٠ الصَّغار: الصغيرة - العداوة - الذلّ - توافه الامور.

١٦٠ الكِبْر: التقدّم في السنّ - المشقة - الخطيئة - الشرَف.

١٧٠ المَضيق: قطعة من البحر - الفاقه - الحزن - الخطر.

١٨٠ باعِد: مشتاق - معتزل - معاد - هالك.

١٩٠ وَسَعَ: طفحَ - كثّر - وشى - ضدّ ضاق.

٢٠٠ قاصِر: كسول - لم يبلغ سنّ الرشد - قصير - محجم.

٢١٠ كَبُرَ: عَظُمَ وجَسُمَ - تقدّم في السنّ - فاق غيره سناً - تكبّر.

٢٢٠ الضِّيقَة: الموت - الحزن - المكان الضيق - سوء الحال.

٢٣٠ الوُسْع: العطاء - الكثرة - القدرة - الترَف.

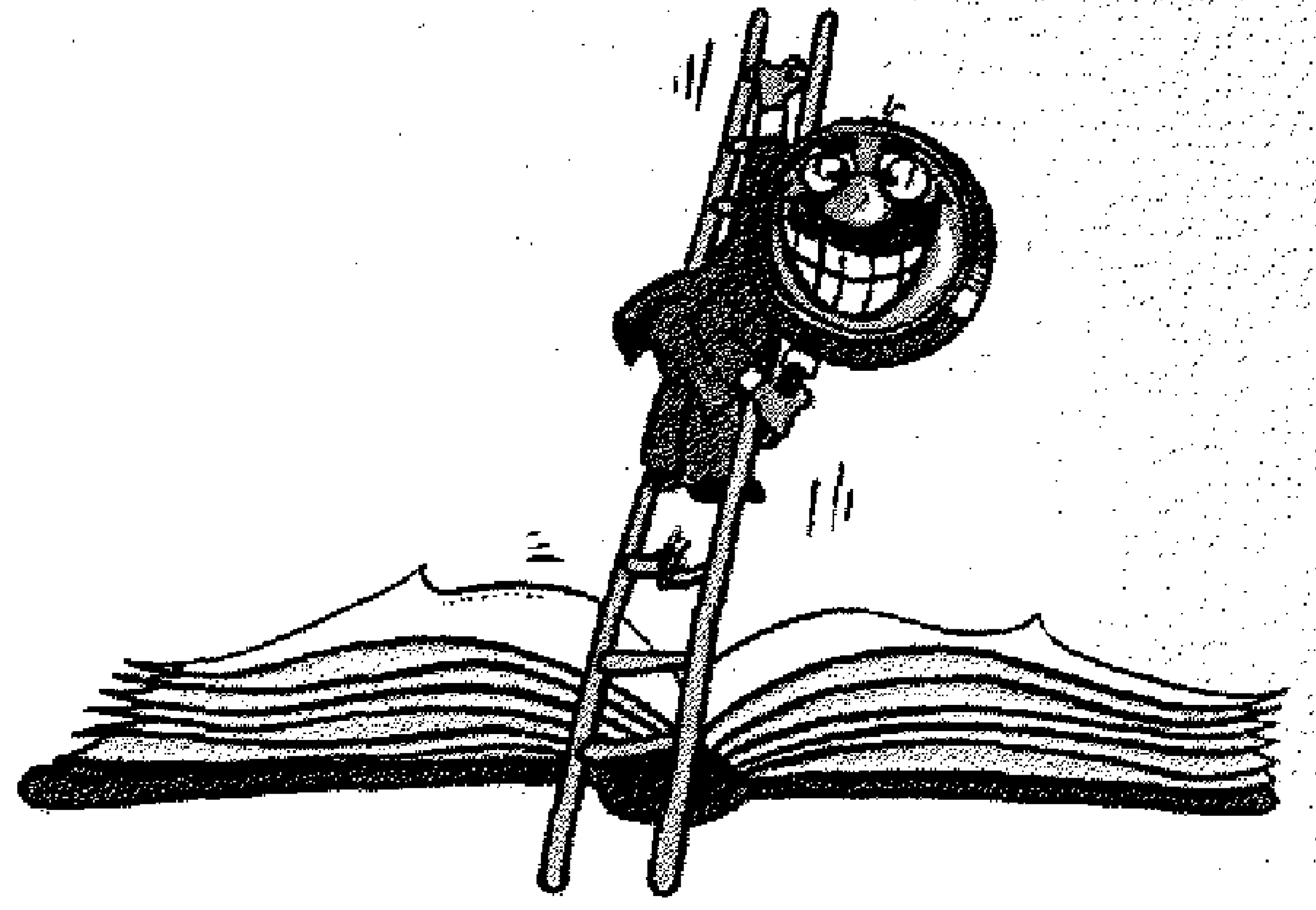
٢٤٠ القُصارة: صغر السنّ - المرأة القصيرة - الجهد والغاية - العجز.

٢٥٠ القُرْبان: جَليس الملك - الذبيحة لله - القريب في المكان - ذو القربى.

٢٦٠ الطُّولى: الحال الرفيعة - القدرة - العمر - الفراق.

٢٧٠ قَصَرَ: بَلَغَ الغاية - ترَكَ الشيء عن عجز - تساهل - أحجم.

٢٨٠ الكبيرة: المشقّة - العناد - الشرَف - الاثم الكبير.



الأجوبة الصحيحة

١٠ **كَبَرَ**: فاق غيره في السنّ كَبَرَ يكْبُرُ كَبْراً.
٢٠ **طائلٌ**: قدرة، غنى، فضل، نفع. يقال ايضا طائلة، وجمع الكلمتين طوائل.
٣٠ **الصغْرة**: أصغر الأولاد او القوم. "هو صغْرة أبويه"، أي أصغر اولادهما.
٤٠ **تقاصرَ**: أحجَمَ عن أمر: أمسك عنه مع القدرة عليه.
٥٠ **وَسِعَ**: ضدّ ضاق. يَسَعُ سَعَةً ويَسَعُ سِعَةً.
٦٠ **الكِبَر**: التقدُم في اسنّ. أيضاً الكَبْرة.
٧٠ **القُرابة**: القريب او النسيب.
٨٠ **الطّوْل**: القدرة، الغنى الفضل العطاء.
٩٠ **صاغِرٌ**: مُهانٌ، راض بالذلّ والضيم.
١٠٠ **القُصارى**: الجهد والغاية. أيضاً القَصار والقُصار.
١١٠ **كَبِرَ**: طعَن في السنّ. يكْبَرُ كِبَراً ومكْبِراً.

١٢٠ **أطالتْ (المرأة)**: وَلَدَت أولاداً طوالا.
١٣٠ **سعةٌ**: ضدّ ضيق.
١٤٠ **القَصَرَة**: الكسَل.
١٥٠ **الصّغار**: الذلّ، الضيم. أيضاً الصّغُر.
١٦٠ **الكِبْرُ**: الشرَف، الرفعة. معظم الشيء. أيضاً الكُبْر.
١٧٠ **المَضِيق**: قطعة ضيقة من البحر بين أرضين. ما ضاق من الأماكن او الامور.
١٨٠ **باعدٌ**: هالك، ميت. بَعَدَ (يَبْعَدُ) وبَعِدَ (يَبْعَدُ) بَعَداً: هلك ومات.
١٩٠ **وَسَعَ**: كَثُرَ. وَسَعَ عليه: أغناه. وَسَعَ يَوْسَعُ وَسْعاً.
٢٠٠ **قاصرٌ**: لم يبلغ سنّ الرشْد.
٢١٠ **كَبُرَ**: نقيض صغُرَ: عَظُمَ وجَسُمَ. كَبُرَ يكْبُرُ كَبَرا وكُبْراً وكُبارةً في القَدْر.
٢٢٠ **الضّيقَة**: سوء الحال، الفقر. أيضاً الضّيْقة.
٢٣٠ **الوُسْع**: القدرة، الطاقة. أيضاً: الوسْع والوَسْع.
٢٤٠ **القَصارَة**: المرأة القصيرة.
٢٥٠ **القَرْبان**: جَليس الملك. القَرْبان من الآنية: ما قارَبَ الامتلاء.
٢٦٠ **الطّوْلى**: الحال الرفيعة.
٢٧٠ **قَصَرَ**: كفّ عن الشيء وتركه مع العجز. قَصَرَ السهم عن الهدف: لم يَبْلُغه. قَصَرَ نفسَه على امر: لم يطمح الى سواه. قَصَرَ يَقْصُرُ قُصوراً.
٢٨٠ **الكبيرة**: الاثم الكبير.

المستوى

٢٣ – ٢٨ : ممتاز
١٧ – ٢٢ : جيد
١١ – ١٦ : مقبول



المدينة الدفينة - وبركان فيزوف - كما يبدوان اليوم·

بومبيي تنهض من الرماد

منذ ١٩٠٠ عام تجمد الزمن في هذه المدينة الرومانية، وها هي تتلألأ اليوم بما تضمه من كنوز نفيسة ومن شواهد الحياة والفن

يخيل الى الزائر الذي يرود بومبيي انه يطوف في جنبات حلم أخاذ او ان الحياة تعود به الى اعماق الزمن السحيق· فقد اختنقت معالم هذه المدينة فجأة عام ٧٩ الميلادي بسبب انفجار بركان فيزوف، واندثرت محنطة تحت ستة امتار من ركام الخفاف والرماد البركاني وتحجرت مع الوقت واكتست قشرة صلدة· ولم يلبث الزمن ان اسدل على هذا "الرمس" في بعض المواضع غطاء ترابيا يعلو مترين آخرين· واستمرت المدينة دفينة طوال ١٧ قرنا وكأن الحياة توقفت فيها فجأة وظلت معلقة

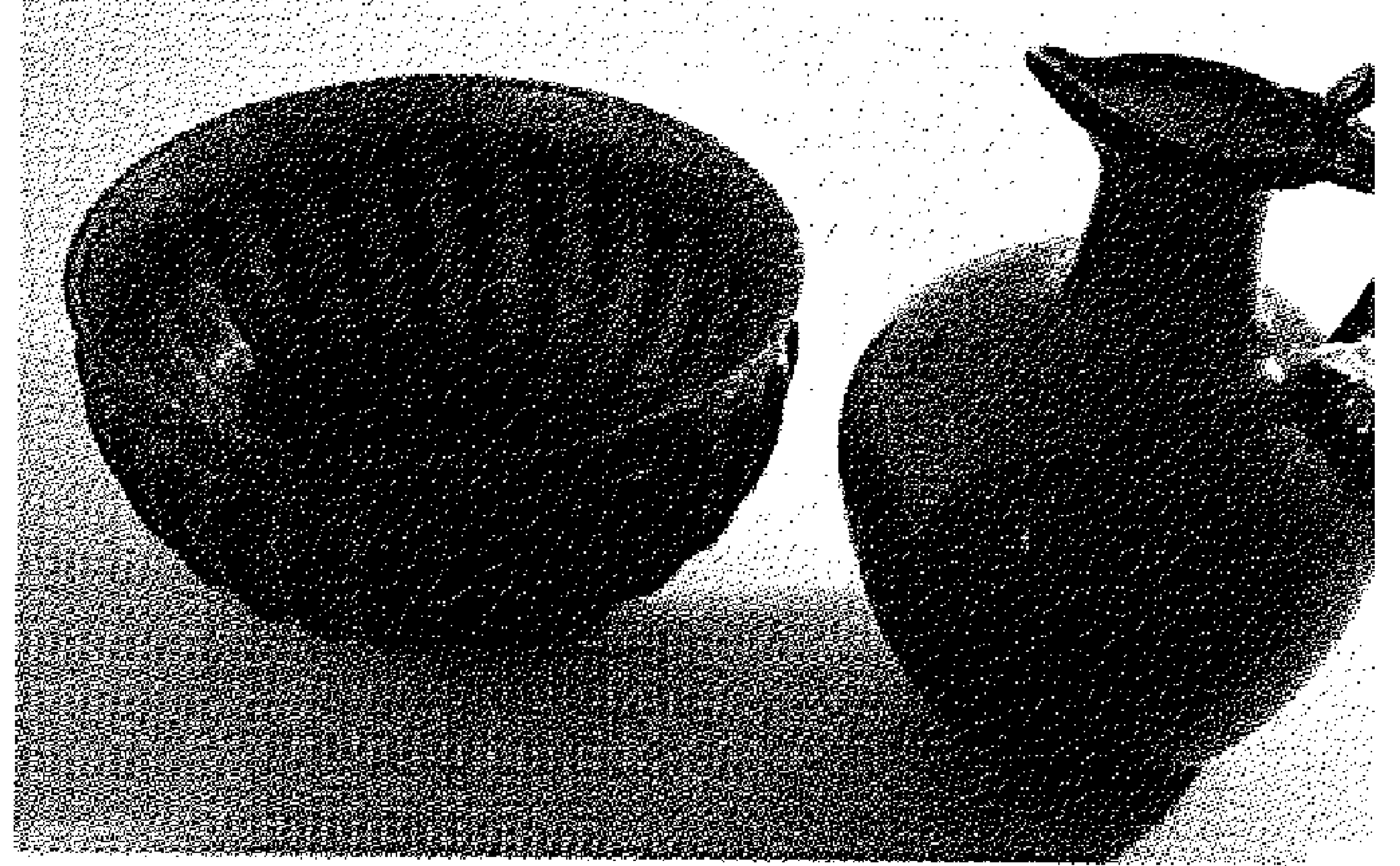
لم يطلها الفناء: فهناك الصحاف على الموائد لا تزال فيها وجبات الطعام وقد توقف اصحابها عن تناولها في منتصفها، وهناك البيض لا يزال سليما لم يقشر، وهناك ارغفة الخبز باقية داخل الافران، وهناك قطع النقود الصغيرة مودعه ادراج الدكاكين.

وقد بدأت الحفريات، في القرن الثامن عشر، لازاحة النقاب عن هذه الدفينة القديمة العهد، وهي لا تزال مستمرة حتى اليوم. وقد افضت الاعمال الى ابراز ثلاثة اخماس المدينة فبدت بومبيي بحلتها الرائعة المدهشة شاهدا من شواهد الحياة في المدن الرومانية الاقليمية، الى جانب ما تزخر به من كنوز فنية نفيسة لا تقدر بثمن، واصبحت في طليعة الاماكن السياحية الايطالية واكثرها استقطابا للزائرين وقد تزايد عددهم في عام ١٩٧٨ وحده على مليوني زائر.

وتقع هذه المدينة الرائعة الصغيرة على مسافة ٢٤٠ كيلومترا الى الجنوب الشرقي من روما، قرب خليج نابولي، وبلصق بركان فيزوف الذي يبلغ ارتفاعه ١٢٧٧ مترا من ناحية قاعدته الجنوبية. وهي تتوسط سهلا تشرق في جنباته بساتين الليمون والبرتقال، والفاكهة والكروم. ولئن كان عدد سكانها لا يتجاوز على الارجح ٢٠،٠٠٠ نسمة عندما نزلت بها الكارثة، الا ان المدينة تمتد على رقعة رحيبة الاتساع تبلغ مساحتها ٦٦ هكتارا (١٤٠ فدانا تقريبا)، ويحيط بها سور قديم له سبع بوابات واربعة عشر برجا.

والذي يزور المدينة اليوم تطالعه في ارجائها شوارع انيقة التخطيط، حسنة التنسيق، وازقة معشبة خضراء. فهناك مثلا شارع رئيسي في المدينة اسمه "شارع الوفرة" تبدو آثار عجلات العربات الرومانية على بلاط رصيفه وتقوم على جانبيه الحانات والمقاهي والحوانيت والبيوت الجميلة البناء. ويستطيع المرء بقليل من الخيال ان يتصور الماضي من خلال نظرته الى هذا الشارع الحافل بالحركة: حيوانات الركوب والجر السريعة المتمردة وصياح الحوذيين والتجار الانيقو اللباس والسياسيون والمنتفخون عجبا وغرورا وحشود العبيد والباعة المتجولين والسيدات المعطرات المنتقلات في المحفات (كراس محمولة). ويطالع الرائي على الجدران الاعلانات عن مؤسسات التنظيف والخمور المعتقة ومزايا المرشحين السياسيين. وتقول احدى اللافتات ان "بائعي الفاكهة يؤيدون ترشيح م.هـ. بريسكوس لمنصب رئيس القضاة".

وينتهي "شارع الوفرة" الى الساحة العامة حيث تدور المناظرات والمناقشات ويؤدي المواطنون واجباتهم المدنية والدينية وتنتظم اسواق الاغذية وتشتد المساومات على اسعار السمك الطازج. وتضم الساحة ميدانا مستطيل الشكل مسيجا من ثلاثة جوانب ومزدانا بتماثيل الشخصيات الشهيرة ويقوم على جانبيه معبدان لالهين من كبار الآلهة: "جوبيتر" و"أبولو". ومن هذه الناحية كان المتقاضون يدخلون الى مبنى "البازيليكا" الذي يضم المحاكم الشرعية والذي يعد اكبر مبنى في بومبيي. ويكتمل هذا المركز الحضري البديع بمبنى البلدية وسوق الحبوب



عثر المكتشفون تحت الركام البركاني على أشياء كثيرة سريعة العطب بقيت سليمة مثل هذا الابريق والوعاء الزجاجيين.

ومعبدين آخرين صغيرين ومبنى نقابة تجار الاقمشة ومبنى الاستفتاء لتسجيل اصوات المقترعين واحصائها حول الشؤون العامة.

النار في الاحشاء - كانت بومبيي مدينة صغيرة مزدهرة يرجع عهدها الى عام ٦٠٠ قبل الميلاد على الاقل، ثم استولت عليها روما عام ٨٠ قبل الميلاد. (ولا تزال جدران المدينة تحمل الندوب التي خلفها فيها حصار الرومان) فأصبحت المنطقة مرتعا للأغنياء يروده الرومان المتقاطرون على خليج نابولي للاستجمام وقضاء عطلاتهم في بيوت فخمة في المدينة نفسها او في دارات كبيرة مترفة على شاطىء البحر.

وقد بنيت المدينة على اساس من الصهير البركاني المتصلب الذي تخلف عن انفجار قديم لبركان فيزوف. ومع ذلك فان سكانها لم يأبهوا بالنيران المضطرمة في احشاء البركان وكانت سفوحه تكسوها خضرة الاراضي المزروعة. وفي عام ٦٢، في عهد الامبراطور نيرون، اصيبت المنطقة بزلزال عنيف يرجع اليه جانب كبير من التلف اللاحق بمباني المدينة. لكن البركان لم ينفجر آنذاك واستمر اهل بومبيي في البناء بعد ذلك التاريخ بسبعة عشر عاما، حتى يوم ٢٤ اغسطس (آب) من سنة ٧٩ الميلادية حين انفجر فيزوف انفجارا هائلا اطاح قمته.

وانهالت قذائف الصهير على بومبيي وابادت اولى ضحاياها، واعقب ذلك وابل من شظايا الخفاف وامطار جارفة من الرماد. وصاحبت الانفجار عاصفة كهربائية، وامحى ضوء النهار وتقلبت الابخرة الفاتكة من احشاء الارض وامتدت عبر السهل بأجمعه.

وقد بقي لنا من ذلك العهد البعيد وصف حي للكارثة في اقوال شهود عيان نقلها بلايني الاصغر(★) في رسالتين منه موجهتين الى المؤرخ الروماني المشهور تاكيتوس. وكان بلايني الاصغر آنئذ طالبا في السابعة عشرة من عمره يقيم مع عمه بلايني الاكبر، عالم التاريخ الطبيعي المشهور في مدينة ميسينوم الواقعة عبر الخليج من بومبيي. وقد كتب الآتي: "رأينا سحابة فريدة في ضخامتها تظهر في الافق على شكل شجرة صنوبر منتشرة الرأس، وبدت لنا نيران هائلة مستعرة يزيد من وهجها الظلام الذي هبط فجأة. وتلاحقت الهزات الارضية فتأرجحت معها السقوف ولكننا خشينا الخروج الى الفلاء لئلا نتعرض للوابل المتساقط من حجار الخفاف الملتهبة".

وقد شاء القدر ان تتم المعجزة

(★) كاتب وسياسي روماني اشتهر بكفايته وبخطاباته الممتعة. وهو ابن اخ بلايني الاكبر الذي كان من مشاهير الرومان وتميز بينهم بمؤلفه في "التاريخ الطبيعي".

ببقاء عدد من سكان بومبيي الالفين الذين لم يتمكنوا من النجاة بأنفسهم وقد تركت اجسامهم البالية تجاويف على شاكلتها في الركام البركاني المتصلب. وجاء الاثريون فصبوا الجص السائل في تلك التجاويف التي تنتثر فيها العظام وتهيأت لهم بذلك قوالب دقيقة للضحايا. وقد وضع العديد من هذه القوالب في الاماكن نفسها حيث سقط الضحايا الاصليون، وهم لا يزالون يغطون وجوههم بأيديهم، ومن بينهم ام تحتضن ابنتها فيضمةمحكمة،ومتسول يشد قبضته على كيس صغير مليء بالنقود. ومن الصور المثيرة المشجية كلب حراسة وقد التوى جسده بالالم المميت وهو يحاول الافلات من سلسلته المشدودة. وقد رأيت في بيوت عدة، ثغرات في الركام تتحدث بأبلغ من الكلام عن اولئك السكان الذين حاولوا ان يشقوا لهم ممرا في يأس مستميت حين تلاشى املهم الاخير في النجاة بعدما تراكم الرماد على الجانب الاخر وسد عليهم سبيل الخلاص.

وقد بقيت كذلك آثار الثراء وعذوبة الحياة والتنعم باوقات الفراغ، خصوصا في البيوت الانيقة التصميم التي امكن ترميمها حيث كانت الطبقة الراقية تعيش في جو يغمره الدفء والراحة والرفاهية. فالبيت النموذجي في بومبيي يتجه الى الداخل، ويطل على ردهة كبرى هادئة معتدلة البرودة يمرح فيها الهواء ويبلغ ارتفاع سقفها حوالى عشرة امتار، وفيه فتحة مستطيلة الشكل يتساقط منها ماء المطر في حوض من الرخام. وتتحلق الغرف حول هذه الردهة، ومن اهمها غرفة تسمى "التابلينوم"، وهي ايوان فسيح يستخدم في آن واحد قاعة للجلوس يستقبل فيها الضيوف او مكتبا لاستقبال العملاء. ويلي ذلك ممر يؤدي الى مؤخر المنزل حيث يطل هذا على حديقة عطرة يحيط بها اطار من الاعمدة في بهو ظليل. وقد اعيدت بعض هذه الحدائق الى ما كانت في الماضي البعيد بنبتاتها الاصلية مثل الكرز واشجار الليمون المتعرشة (الفريز) والفراولة والورود وكانت غرف النوم تطل نوافذها المزودة بالستائر الجميلة على هذه الجنة الصغيرة الغنّاء.

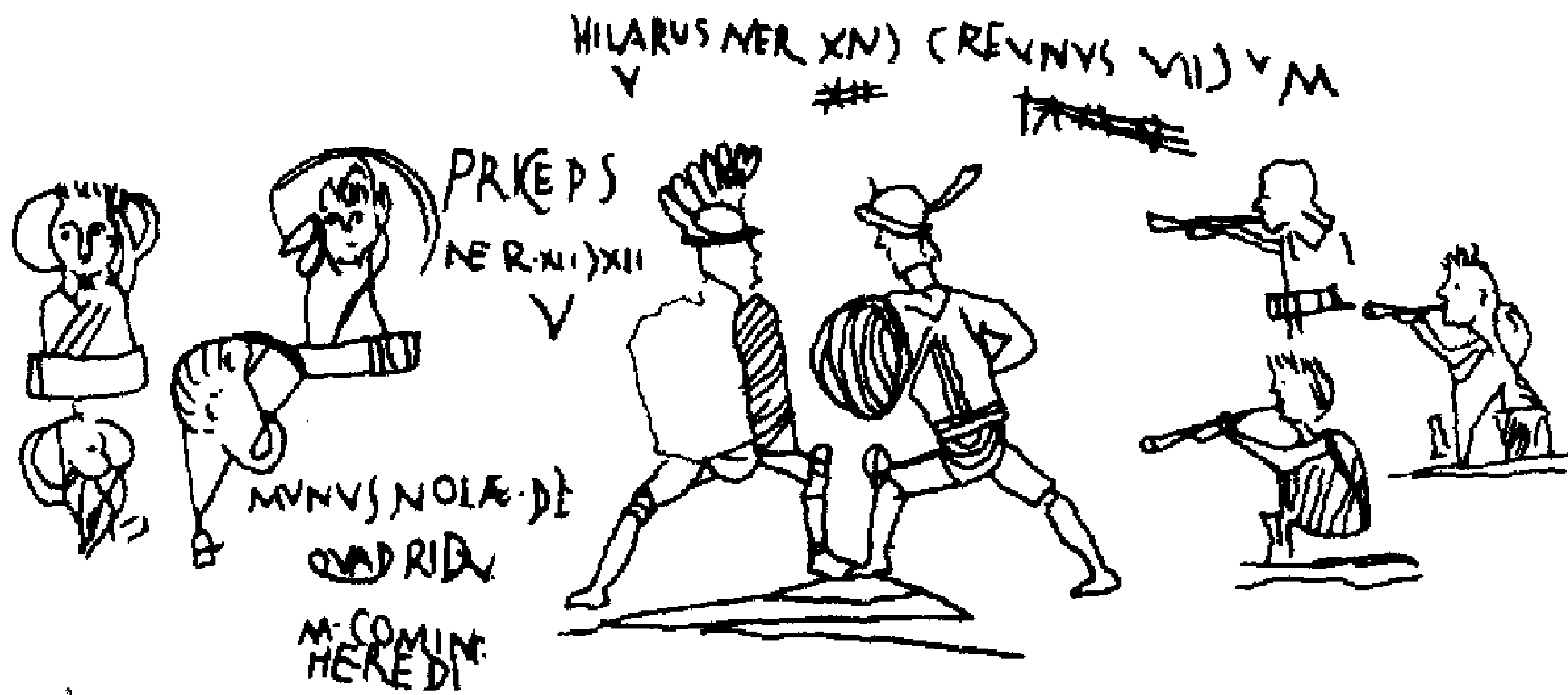
وعلى رغم فخامة بيوت بومبيي، فأن شهرة المدينة وموضع اعتزازها يقوم على الفن. فقد انفق اهلها ثروات طائلة على صنوف النحت والتماثيل البرونزية والرخامية. ولئن كان بعض الذين بقوا احياء، بعد الكارثة، عادوا يحفرون في الرماد ليستردوا عددا من التماثيل النفيسة، الا انهم عجزوا في احيان كثيرة عن الاهتداء الى التحف الرائعة، مثل ذلك التمثال البرونزي لأبولو الذي يبلغ ارتفاعه مترا ونصف متر والذي عثر عليه حديثا مدفونا في بيت رجل يدعى جوليوس بوليبيوس، وهو عبد سابق اصبح من الاعيان والسياسيين في المدينة.

غير ان اللوحات الجدارية البديعة في بومبيي هي التي اذهلت عالم الفن عندما اكتشفت في القرن الثامن عشر. وكانت الالوان، بما فيها "احمر بومبيي" الذي لا نظير له، تمزج احيانا بالشمع لكي يضفي عليها رونق البريق في شبه العتمة المنزلية.

ويلاحظ ان معظم اللوحات الرئيسية مستقاة من اصول اغريقية ضاع اثرها

منذ عهد بعيد، مما يجعل من بومبيي مفتاحا لمعرفة فن الرسم الاغريقي - الروماني. ومن الموضوعات المفضلة لدى اهل بومبيي في ذلك العهد، واحد مستمد من الميثولوجيا الاغريقية يمثل البطل برسيوس وهو ينقذ اندروميدا المقيدة بالاغلال الى صخرة يطغى عليها البحر تحت حراسة تنين

وكانت معامل المدينة تنتج المصابيح والآجر والبلاط والمنسوجات. وقد شمل الرخاء الاطباء ايضا، كما يتضح من المنزل الفخم الذي كان يسكنه الجراح في المدينة والذي عثر فيه على مجموعة كاملة من ادوات الجراحة في ذلك العهد.



رسم محفور على احد القبور في بومبيي يمثل نزال المجالدين.

هائل رهيب. بيد ان اشهر الاعمال الفنية في بومبيي هي تلك الفسيفساء الارضية التي يبلغ طولها ستة امتار وعرضها ثلاثة امتار ونصف متر تقريبا والتي تمثل الاسكندر الاكبر يهزم الجيش الفارسي. وتتألف هذه اللوحة من مليون ونصف مليون مكعب صغير من الزجاج والرخام الابيض، وقد استوردها من مصر احد سكان بومبيي الاغنياء ليزين بها منزله الفخم.

النرد والمسرح والآلهة - كانت بومبيي في القرن الاول الميلادي تزدهر بسكانها من اغنياء ملاكي الاراضي وتجار القمح والفاكهة والنبيذ وزيت الزيتون. وكانت الحركة التجارية نشطة عبر الميناء القريب الواقع عند مصب نهر سارنو. وقد خط بعضهم على احد الجدران العبارة الآتية: "الكسب بهجة الحياة".

وكانت العربات التي تجرها الخيول تعرض للايجار عند ابواب المدينة.

وعثر على مكعبات النرد في حجور خفية للعب الميسر. وكانت المقاهي والحانات تقدم المشروبات الساخنة والباردة من خلف مناضد على شكل زاوية قائمة. ولا تزال جدران بعض الحانات تحمل بيانات بأسعار المشروبات وديون الزبائن.

وكانت اسباب التسلية متاحة لجميع الاذواق، فهناك مسرحان، احدهما مكشوف لتمثيل الروايات والثاني مغطى للحفلات الشعرية والموسيقية والتمثيل الصامت بالحركات. ولكن هذين المسرحين يبدوان قزمين الى جانب ساحة الالعاب الرياضية والمنازلات الدامية بين المجالدين ومدرجها الذي يتسع لنحو ٢٠٠٠٠ مشاهد والذي يعد اقدم بناء من هذا النوع في ايطاليا. وقد

ابرزت اعمال الترميم طائفة من السيوف والخوذ البديعة الصنع، وعددا من اسماء الابطال التي وجدت منقوشة على الجدران، مثل: "كيلاديوس البطل قاصم القلوب"، و"فيلكس مصارع الدببة".

وعلى رغم ان بومبيي بقيت حية نحو نصف قرن بعد صلب المسيح، فان آلهة الوثنية ظلت تسيطر على المدينة. وكانت الالهة فينوس على وجه الخصوص صاحبة اليد العليا، وذلك بصفتها الام الحارسة العظمى اكثر منها رمزا جنسيا ساميا (على رغم احتواء المدينة على ٢٨ بيتا للدعارة)، وقد بنى اهل المدينة معبدا لها كان ينتظر ان يصبح اجمل معابد بومبيي لو لم تفاجأ المدينة بثوران بركان فيزوف.

وتسببت الكارثة كذلك في نكبة الآلهة القدامى كآلهة الخصوبة المصرية ايزيس التي كان معبدها المنمق الغني بالزخارف يقوم على مرمى حجر من "شارع الوفرة" جاءت الكارثة وفاجأت كهنة ايزيس وهم يتناولون طعام الغداء، فتركوا البيض والسمك على المائدة واندفعوا هاربين بما استطاعوا ان يحملوه من كنوز المعبد. وقد عثر على احدهم في موضع قريب من المعبد حيث سقط وبين يديه كيس مليء بالنقود الذهبية بينما هلك الآخرون مسحوقين تحت الاعمدة المتهاوية.

على فوهة البركان – وبعد ان ودعت اطياف بومبيي، تسلقت فيزوف في مسيرة استغرقت اقل من نصف ساعة من نهاية طريق السيارات الى مشارف فوهة البركان، عبر ممر ضيق موحش من مجاري الصهير المتصلب، ووقفت عند القمة وقد تملكني صمت الرهبة اذ رأيت البركان يفغر من تحتي فاه الجبار الذي يبلغ عمقه ٢٠٠ متر وقطره ٦٠٠ متر تحف به صخور عالية كبريتية اللون. وكانت ندف البخار الابيض الزاحفة من الشقوق هي الدليل الوحيد على ان ثمة شيئا لا يزال يغلي بلا انقطاع، في مكان ما، من جوف هذا المنخفض الرهيب. وتوقفت في طريق العودة عند مرصد فيزوف الذي انشأه فرديناند الثاني ملك نابولي عام ١٨٤١، فكان اقدم مرصد بركاني في العالم. واوضح العلماء ان المجرى الرئيسي في باطن البركان قد انسد منذ انفجاره الاخير عام ١٩٤٤. وكان البركان ينفجر مرة كل ١٢ عاما في المتوسط على مدى القرون الثلاثة السابقة، ولكنه صمت صمتا مطبقا رهيبا منذ ذلك التاريخ. وعندما سألت عن مدى اقترابنا الان من نقطة الخطر، كان الرد هزة من الكتفين!

وقفلت عائدا الى نابولي على الطريق الرئيسي المزدحم بين جدران الصهير وبساتين الفاكهة، ورحت اتأمل في الموت، الموت الكامن في طيات هذا السهل المشرق السعيد المزدحم بالسكان.

ان اهل المدن الحية النشطة الممتدة على سفوح فيزوف يختلفون عن اسلافهم في انهم يعلمون انهم يقيمون على فوهة بركان، ولكنهم قد راهنوا على الحياة على رغم ذلك. وتذكرت بومبيي تلك المدينة الوسيمة التي تنتابها اشباح وتمنيت للاحفاد ان يكسبوا الرهان.

■ ارنست ا. هاوزر

قالت الفتاة للبائعة في محل العطور: "أليس لديك عطر اسمه: "الى اللقاء القريب"!

تمنى ان يمهله الزمن اسبوعين قبل ان تلد زوجته، لكي يبلغ حالة اعلى من النضوج تؤهله لاستقبال الحدث

... لقد صرتُ أبًا!



عندما علمنا باننا سنصبح أبوين، ذهبت الى المكتبة وبحثت عن كلمة "جنين" في الموسوعة، وطالعت تلك الرسوم نفسها التي طعالتها في الماضي الى جانب رسوم أخرى مطبوعة على صفحات شفافة من مادة "الاسيتات" توضع تباعا بعضها فوق بعض لتوضح شتى مراحل الحياة في الرحم.

كنت في الثامنة والعشرين من عمري، وقد اعتدت تصفح تلك الصور من دون اكتراث، مثل شخص يتفحص خريطة بلد لا ينوي زيارته اطلاقا. لكن الوضع الآن يختلف عما كان عليه، لان احد تلك الاجنة بدأ يتكون في احشاء زوجتي.

ولا شك ان الجنين في رحمها لا يزال ضئيلا في حجم سمكة القريدس او الروبيان الصغيرة، فأنما هو كائن مجرد غير حقيقي. ومع ذلك، فان المسافة الذهنية التي كنت اشعر بانها تفصلني عن مثل هذا الواقع، تقلصت فجأة وتلاشت. فانا لم اعد رجلا من المحتمل ان يصبح ابا، بل غدوت ابا فعليا لكائن حي يدأب على التجمع والنشوء بجد ونشاط عظيمين

الى حد يكاد يؤلمني على نحو لا يطاق.

والحق ان كوني ابا يحس بابوته بطريقة او أخرى، بدا لي احتمالا غير مرجح، خصوصا لاني لم اشعر بان ما قطعته من العمر يؤهلني لابوة الاطفال، بل شعرت بأني لم آلف بعد حتى كوني راشدا. واذكر اني، منذ زمن بعيد، اقسمت على الا ابلغ سن الرشد او النضج. ولذا رحت استرجع بشوق كبير، ذلك العهد الذي قطعته على نفسي وأنا شبه مصدق ان في الامكان المحافظة عليه.

ان الجنين الذي يعيش في احشاء زوجتي سو-الن يغذي الان ويعزز سرا تلك المادة التي تمكنه من الانطلاق الى الخارج بسرعة خاطفة. انه شيء لا نستطيع رؤيته. ومع ذلك، فانه يمد جذوره في كياننا، ولا بد من ان يبدل الحياة التي نحياها تبديلا ابديا حالما يأتي وقته ويخرج الى النور.

دروس الابوة والامومة - وبحلول الشهر الثامن، توجب علينا ان نحزم البطانيات والوسائد ونذهب لحضور اول درس عملي من شأنه ان يعدنا للولادة حسب طريقة "لاميز" Lamaze التي تستهدف تخفيف اوجاع الولادة وتمكين النسوة من الحفاظ على اكبر مقدار ممكن من الوعي في اثناء المخاض واللجوء الى استخدام ادنى كمية ممكنة من العقاقير الطبية. وفعلا، بدت لنا هذه الطريقة في الولادة معقولة ويجب اتباعها بكل تأكيد. غير ان آمالنا خابت قليلا بعد الحصة الاولى من الدورة العملية، لا لشيء سوى ادراكنا ان هذه التجربة التي نمر فيها لم تكن فذة او بلا مثيل.

وفي احد الدروس اتيحت لنا مشاهدة فيلم سينمائي قوامه ما يأتي: امرأة تلهث كالكلب، ويقول لها زوجها الذي يقوم بدور المدرب: "ادفعي يا حبيبتي، ادفعي". ويعلن الطبيب: "اني ارى رأسه الان". ثم يندفع رأس الوليد خارجا مع دفق كبير من السائل. وحين اضيئت انوار الصالة، كانت دموعنا تنهمر بغزارة. ورحنا نحاول كبح شهقاتنا والابتسام بوهن، كما لو اننا فرغنا لتونا من احدى حلقات التقابل التي يحدد فيها كل شخص نظره في عيني الشخص المقابل له الى ان تتعالى صيحة جماعية اولى تخلف في نفوس المشتركين جميعا شيئا من الانبهار.

ان للزوج في الولادة دورا حاولت تلك الحلقة الدراسية العملية ابرازه من غير تحفظ، وهو ان لنا - معشر الرجال - اهمية لا غنى للامهات عنها، ان من حيث المعنويات وان من حيث التوقيت او المراقبة. غير أني شعرت بان منحنا هذه الاهمية لا يعدو المجاملة التي تجنبنا الشعور بعدم علاقتنا بالموضوع. فقد احس معظمنا بان زوجاتنا ماضيات الى مكان ما وحدهن، وان الولادة ما هي الا بوتقة يتعذر على الازواج دخولها، واننا نطوف مجرد تطواف فقط على حواشيها حيث نراقب زوجاتنا وهن ينجذبن الى مركز تلك البوتقة وعلى محياهن ملامح التجهم حينا والغموض والبهاء حينا آخر.

وبينما استلقت النسوة على ظهورهن فوق الوسائد ليتدربن على التحكم بعملية التنفس التي يقصد بها ان تستأثر بانتباههن لتنسيهن اوجاع الولادة، اخذنا نحن الرجال

نضغط ببطء على سيقانهن فوق الركبتين مباشرة لتنشيط عملية التقلص، بينما كان صوت المدرب يرتفع آمرا بان: "الهثن.. ازفرن...".

نظرت في اطراف الغرفة بعد انتهاء هذا التمرين، فابصرت نساء اخريات منبطحات وقد تكورت بطونهن وانتفخت فوقهن، بينما الازواج من حولهن يبدون اشبه بحيوانات اليفة، ودودة، متفانية، بلهاء، هيابة في الوقت نفسه مما طلب اليها ان تفعله. وهي تجهل طبيعة المغامرة التي ستخوضها الزوجات جهلا مطبقا، على رغم جميع المحاضرات والافلام. ومع ذلك، فاننا جميعا سنمشي في غضون شهرين فقط وراء زوجاتنا، حاملين احواضا فولاذية يمكن طيها واكياسا ملؤها اقمطة الطفل المشبعة بالبول ورائحته. ولهذا قلت في نفسي ان من الخير ان تكون التجربة حرية بكل هذه المشقة والعذاب والا...

الآلام المباركة – ولعله من الغريب انني غبطت زوجتي سو – الن حتى على آلامها، ولكن لم اقدر على التصريح بذلك. لقد كنا كل ليلة نتمرن معا كالرياضيين الذين يستعدون لميدان السباق. الا انني كنت ادري انها هي وحدها ستخوض، ذلك السباق، وستفوز بمفردها بذلك الالم الحلو حين تدرك خط النهاية. اما انا فلست سوى المصفق المشجع لها، الممسك بين يديه كأسا من العصير تطفىء عطش العدّاء.

وقع الحدث قبل موعده المرتقب بثلاثة اسابيع وقبل انتهاء دورة "لاميز" بيومين. ففي تمام الساعة الرابعة والدقيقة الثلاثين من صباح احد الايام احسست بقبضة ناعمة على كتفي، فاستيقظت من نومي لاجد سو – الن تحدق الي وعلى وجهها ملامح القلق وتعبير يدل على العزم.

وقلت لها كالمدرب المتمرس: "هيا، باشري التنفس". وما ان انتابتها، النوبة الاولى من اوجاع المخاض حتى هرعت الى مذكرتي وحاولت توقيت تواتر النوبات، فوجدت انها تحدث بانتظام دقيق. ولهذا اتصلت بطبيب التوليد فورا، فأكد لي بصوته الناعس والواثق معا ان الساعة قد أزفت، وان طفلا سيولد. وكنت اريد سماع صوت يقول: "لا تخف يا هذا! فما هو الا مخاض زائف" – لاني شعرت بانه لو ارجىء الحدث اسبوعين آخرين مثلا، لاستطعت ان اكبر وانضج بمقدار يؤهلني للابوة!

دقائق الشوق – وما ان وصلنا الى المستشفى حتى غدت انقباضات المخاض تتواتر كل خمس دقائق. ولكم احسنت سو – الن التصرف اذ تجاوزت تلك المرحلة الاولى من المخاض التي تمتد عادة طوال ثماني ساعات او تسع ساعات، ودخلت مباشرة في قمة المخاض. وسرعان ما اجلسوها على كرسي ذات عجلات وانطلقوا بها بعيدا عني، بينما بقيت انا في ردهة المستشفى لأوقع على بعض الاوراق الرسمية. ولما وصلت الى قسم الولادة اخيرا، قالت لي احدى الممرضات: "انهم يعدونها الان للولادة، ولا يمكنك الدخول. وعليك ان تنتظر عشرين دقيقة".

وانقضت الدقائق العشرون وانا اذرع ردهات المستشفى وقد تملكني

شوق عظيم الى زوجتي. ذلك لان وجودي لم يعد - كما كان يبدو لي في السابق - عديم النفع وغايته التشجيع لا اكثر، بل احسست بان سو - الن بحاجة الي في هذا الوقت.

وأخيرا سمح لي بدخول غرفة الولادة حيث كانت الامور تسير بسرعة فائقة، وسو - الن مستلقية على جنبها وانفاسها تتسارع لاهثة. وللتو الصقت صورة كركدن على الحائط مقابلها لان هذه الصورة ستكون، حسب التدريب السابق، "مركز توجيه نظرها". وحددت سو - الن نظرها فعلا الى الصورة، بانصياع كلي الى الواجب. غير ان حدقتي عينها اتسعتا أسى وحزنا.

وبعد قليل اطل الطبيب من الباب ببشاشة وهدوء، كانه بائع حليب متجول، وقال بدعابة: "يبدو اننا سنرزق طفلا هذا الصباح". لكن سو - الن رفعت عينيها عن الصورة لترمقه بنظرة غاضبة. فقد كان ألمها يأبى المؤاساة لانه كان نابعا من مصدر لا يستطيع احد منا ان يلمسه.

وسرعان ما وجدت نفسي واقفا وراء رأس زوجتي، مرتديا المئزر الجراحي الاخضر وممسكا بكتفي سو - الن التي بدأت لتوها عملية دفع الطفل الى الخارج. وكنت اقول لها من خلف قناعي الجراحي ما قاله ذلك الزوج القلق الذي شاهدناه في الفيلم: "تنفسي... تنفسي... اي، نعم، هكذا...".

وصاحت سو - الن: "كم.. كم من الوقت ستستغرق الولادة؟" وكان صوتها آتيا من مصدر وعي قصي لا يدرك. فأجابها الطبيب: "لن يطول الوقت. بضع دفعات اخرى ناجحة فالاخيرة، وسينتهي كل شي".

ثم صوب الطبيب نظراته، الى انحاء اخرى من الغرفة وراح يهتز على كرسيه الدوارة. وخلت انه لن يلبث طويلا حتى يأخذ بالصفير او الدندنة. لكنه اردف بعد هنيهة: "يمكنني ان احقن ابرة مخدر في اسفل عمودك الفقري، وسينتهي كل شيء للحال!".

وبرزت على وجه سو - الن مشاعر متضاربة... ما هذا الذي يقدمه لها الطبيب؟ يا له من رجل قاس يتلذذ بالتعذيب. بل يا له من أبليس جاء يغريها بازالة الالم مقابل سلبها الوعي المبارك!

- كلا، كلا، لا أريد. في امكاني ان الد من دون مساعدة.

الى العالم الكبير - وبعد خمس عشرة دقيقة، ابصرنا في صفحة المرآة على الحائط المقابل رأس الوليد مطلا على العالم الخارجي، فصحنا بها جميعا: "ادفعي، ادفعي، ادفعي". وأخذ العرق يبلل ملابسي.

وفجأة كانت ابنتنا تبكي فوق بطن امها، ولونها في لون الطين وعلى جسمها آثار البيت الذي انهدم من حولها. انها الان لاجئة فقدت ديارها بعدما كانت في الرحم مواطنة كاملة الحقوق، يحيط بها كل ما الفته واطمأنت اليه. وها هي الان في كنفنا، تعتمد اعتمادا مطلقا على استجابات التفاني البشري لها. ونظرت الام الى وليدتها نظرة لم أرها قط على وجهها من قبل. ثم وضعت بين ذراعي، فضممتها الى مئزري الجراحي المبلل عرقا. وسأل الطبيب: "هل للطفلة اسم؟" فأجبته: "مارجوري روز".

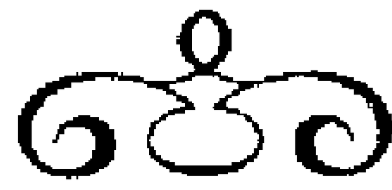
عدت ادراجي بعد ظهر ذلك اليوم الى الدار وتركت سو - الن نائمة في المستشفى، وقد اعتراني شعور بالفخر والنشوة. وكان الهدف من عودتي الى البيت تبديل ملابسي واخراج كلبتنا للتنزه. ولكن ما ان وصلت الى الدار حتى انتابني احساس قوي بان شيئا عزيزا انتزع مني. ونظرت في المرآة الطويلة مليا، فلاحظت ان ملابسي يوم مولد ابنتي لم تكن سوى سروال "بلو جينز" وحذاء مطاطي ابيض وقميص ذي اكمام قصيرة، وهي من نوع الملابس التي ارتديتها طفلا في السابعة من عمري حين اقسمت على الا اصبح راشدا... وها انا الان اصبحت! بيد اني، بعد الاغتسال في الحمام، بحثت في خزانة ملابسي عن افضل سروال لدي، وارتديته.

وكان يوم ١٦ مايو (ايار) يوما ملبدا بالغيوم، مشبعا بالرطوبة الخانقة. لكني لم الاحظ الطقس الا من اجلها هي. كما ان كل شيء آخر شاهدته، فانما شاهدته بعيني الرضيعة وبعيني انا، وكأني لم أكبر واتوقف عن ملاحظة الاشياء حولي: مواقف السيارات المشيدة بالاسمنت المسلح، والمنازل المزينة بالالوان، واكمة البلوط في الحديقة العامة، وهذه الكلبة تنهب الارض مطاردة السنجاب نفسه الذي طاردته طوال العام المنصرم، حتى تسلق السنجاب شجرة فعادت الكلبة الي راكضة.

وسرنا في الحديقة العامة معا كأننا كائنان راشدان تماما. وفجأة خطر لي مصطلح ورد في قاموس "لاميز" وهو "الطمس"... ان شيئا في نفسي طمس الان. ولعل تلك الملابس التي خلعتها هي اهابي العتيق الذي انسلخ الان عن جلدي. لقد غدوت ابا. ولن تمر بضعة ايام حتى يبادر وكلاء شركات التأمين الى الاتصال هاتفيا ليقولوا: "سمعنا يا ستيف ان لديك ابنة الان. مبروك!" ومن ثم ستنهال على بيتنا عينات من مختلف مصانع صابون الاطفال وغيرها. لكن المهم في الامر الان ان كل شيء هادئ، كأنما هو في طور الانتظار...

وركبت سيارتي واتجهت الى المستشفى لانضم الى الشخصين الآخرين من اسرتنا.

■ **ستيفن هاريفان**



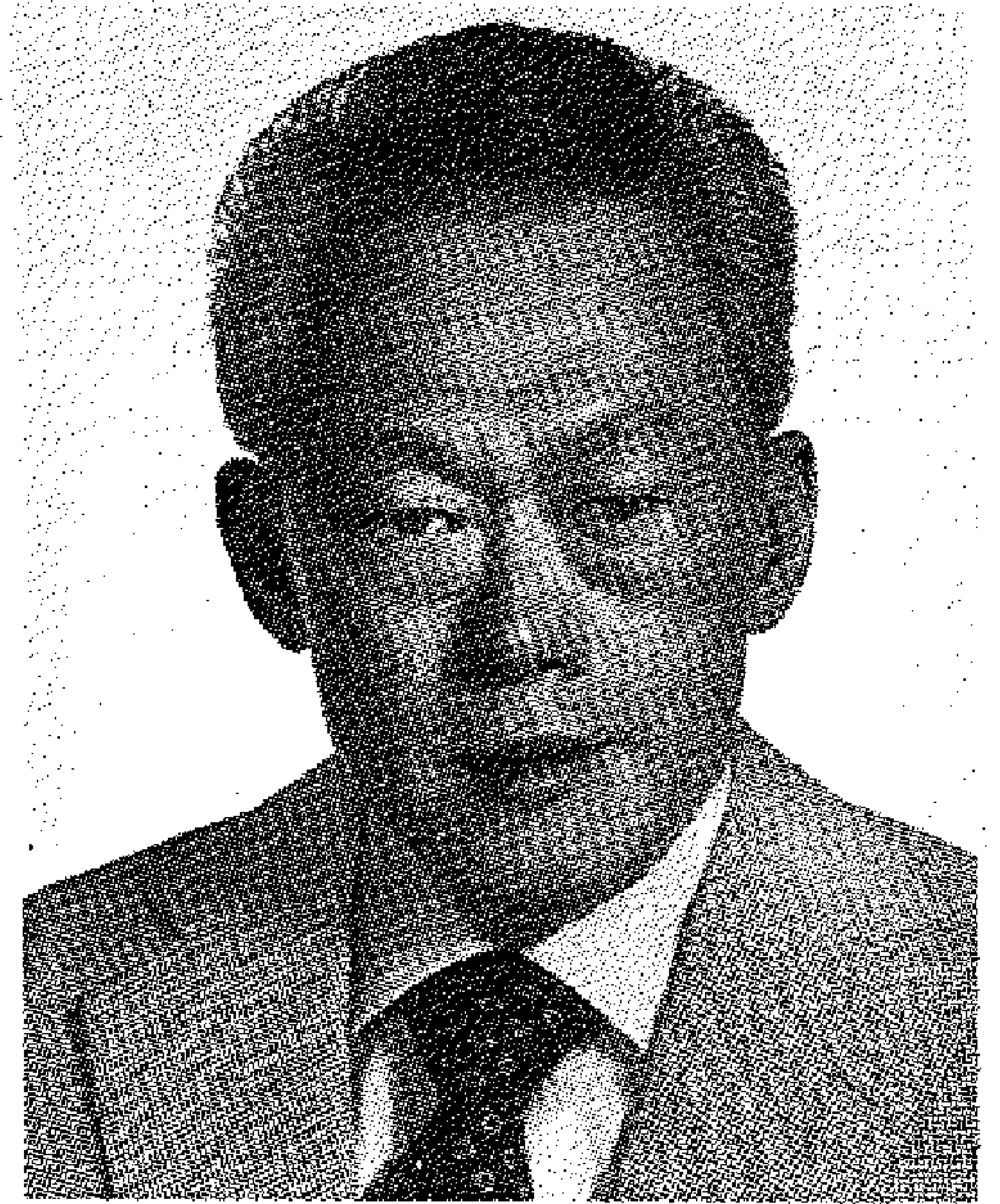
يقول برنارد شو: "للمرأة سبعة اعمار: عمر الرضيع، وعمر الطفلة، وعمر الفتاة، وعمر المرأة الشابة، وعمر المرأة الشابة، وعمر المرأة الشابة، وعمر المرأة الشابة".

اكتفاء ذاتي.

تلاحظ الروائية ماريز كيرلان ان "الشبان لا يعرفون بالضبط ما يريدون، ولكنهم لا يسمحون لأحد البتة بأن يقترح عليهم أن يريدوا شيئا آخر".

(مجلة "لو هيريسون"، فرنسا)

سنغافورة: واحة مزدهرة في عالم متخلّف


لي كوان يو

سنغافورة هي قصة نجاح كبير في آسيا حيث تمكنت دولة "المدينة الصغيرة" من تحقيق معجزة اقتصادية

ان رسالة الحظ التي يجدها لي كوان يو رئيس وزراء سنغافورة في كل قطعة حلوى يفض غلافها لا تحمل الا كلمة واحدة على الدوام: النجاح. وقد تخرج لي في جامعة كمبريدج في بريطانيا بدرجة "شرف" في القانون، وكانت امنيته ان يصبح رئيس حكومة سنغافورة، وهو ما فعله عام ١٩٥٩ حين بلغ السادسة والثلاثين من عمره. ثم اعلن لي انه سيثبت عمليا ان النظام غير الشيوعي يمكنه ان يحقق الآمال على نحو افضل كثيرا مما يمكن ان تطمح اليه العقيدة الماركسية.

وكان رأي الكثيرين من المراقبين ان في هذا القول مبالغة مشكوكا فيها. فالجزيرة لا تزيد مساحتها على ٦١٦ كيلومترا مربعا وهي تفتقر الى المواد الطبيعية الى درجة انها تستورد حاجتها من المياه العذبة من ماليزيا المجاورة. وكان عدد سكان سنغافورة لدى تولي لي رئاسة الحكومة يتزايد بمعدل مثير للقلق، وكانت نسبة البطالة مرتفعة، والاحياء الفقيرة القذرة في الجزيرة تعتبر من اسوأ الاحياء الآسيوسية قاطبة.

ولكن سنغافورة كانت تتمتع بعدد

من المزايا التي تبعث على الامل. مزايا تتمثل في كفاية قادتها واقبال اهلها على العمل الجاد.

ويقول الدكتور جوه كنغ نائب رئيس الوزراء: "لقد ادرك مواطنو سنغافورة ان لا احد غيرهم يتحمل مسؤولية اعالتهم".

وانطلاقا من الاقتناع بان في وسع المبادرة الفردية توفير اعمال ووظائف وثروة تفوق ما يمكن ان تحققه ملكية الدولة للاقتصاد، اتجه لي وحكومته الى البحث عن الاستثمارات الاجنبية. ويحكى انه في السنوات الاولى من هذا الاتجاه كان كلما يرسو في ميناء سنغافورة يخت سياحي يخف اليه موظفو الحكومة ليسألوا صاحبه عما اذا كان يرغب في استثمار بعض ماله في الجزيرة.

وقد ظهرت الآن النتائج بعد قرابة عشرين عاما على تلك البداية. فلسنغافورة اليوم "واحدة من ابرز قصص النجاح في العصر الاقتصادي الحديث". فقد تدفقت عليها اموال الشركات الاجنبية في سيل من التثميرات الصناعية المزدهرة بحجم اربعة مليارات دولار، وهو مبلغ يثير الذهول بالنسبة الى بلد صغير. ولما كانت الجزيرة تتمتع بميناء بحري طبيعي من الدرجة الاولى ذي مياه عميقة فانها لم تلبث ان اصبحت اهم مركز لاستقبال الشحنات العابرة واعادة تصديرها الى الجزء الاكبر من جنوب شرقي آسيا. وقد دخلت الميناء عام ١٩٧٨ اكثر من ٢١٠٠٠ سفينة، ما يجعل سنغافورة ثالث ميناء في العالم من حيث حجم نشاطه، ولا يتفوق عليها في ذلك سوى مرفأي يوكوهاما وروتردام. وهي، الى ذلك، من اكبر مراكز النفط في العالم، اذ تضم خمس مصاف كبرى للتكرير انشئت فيها منذ عام ١٩٦١.

الاكثرية صينية - ان اقتصاد سنغافورة قد حقق نموا، على رغم التضخم، تزيد نسبته على خمسة اضعاف، وارتفع متوسط دخل الفرد من سكان الجزيرة، الذين يبلغ عددهم ٢،٣ مليون نسمة الى ما يعادل ٢٧٠٠ دولار امريكي سنويا. وقد توارت الاحياء الفقيرة او كادت، كما ان فرص العمل متوافرة والبطالة لا وجود لها. اما مستوى التقديمات الاجتماعية فلا تتمتع بمثله الا القليل من بلاد العالم.

جزيرة سنغافورة مستعمرة بريطانية سابقة، تقع قرب الطرف الجنوبي الاقصى لجزيرة ملايو، ويربطها بها جسر طوله ١٢٠٠ متر تقريبا، ويشكل الصينيون ٧٦ في المئة من عدد سكان الجزيرة، يليهم اهل الملايو (١٥ في المئة) والهنود (٧ في المئة) فأعداد قليلة من الاوروبيين والخلاسيين. واللغة المشتركة بين الجميع هي الانكليزية.

وقد منح البريطانيون سنغافورة الاستقلال عام ١٩٦٣، واقترع سكانها على اتحاد مع ماليزيا لم يدم سوى عامين عادت سنغافورة بعدهما جمهورية صغيرة مستقلة.

والرئيس لي المولود في سنغافورة عام ١٩٢٣، هو رئيس الوزراء الوحيد الذي عرفته الجزيرة. انه رجل يتمتع

بمواهب نادرة وعزم شديد. وهناك اجماع عام، حتى بين من ينتقدونه، على انه صاحب الفضل الاكبر في ما تتمتع به سنغافورة من رخاء. ومع ان ثمة اجماعا على ان نصيبه من الجاذبية الشخصية لا يمكن ان يستحق درجات عالية، فالرأي الشائع انه متغطرس ومشاكس، كما أن ملامحه متقلصة في ما يبدو انه تعبير دائم عن عدم الرضا. ويقال انه حين رأى صورته للمرة الاولى على شاشة التلفزيون قال: "يا الهي! انني اشبه رجال العصابات".

وكان لي يعتنق افكار الديموقراطية الاجتماعية حين عاد الى سنغافورة عام ١٩٥٠ في وقت كان الحزب الشيوعي السنغافوري بالغ القوة. لذلك عمل على ادخال حزبه المسمى "حزب العمل الشعبي" في تحالف معه. وكان كل من الحزبين يأمل في ان يستغل الآخر لمصلحته. الا ان حزب العمل الشعبي استطاع، مؤيدا من الحزب الشيوعي، احراز نصر ساحق في انتخابات ١٩٥٩ التي جرت لتشكيل حكومة ما قبل الاستقلال. وبعد صراعات سياسية داخلية شديدة، استطاع لي تحطيم الحزب الشيوعي. ويتذكر واحد من اهالي سنغافورة البارزين ذلك: "لقد كان لي هو الديموقراطي الاجتماعي الوحيد في التاريخ الذي ركب النمر الشيوعي من غير ان يصبح في النهاية فريسة له".

فحزب العمل الشعبي يتميز بان تشكيلاته وثيقة التماسك الا ان جميع القرارات فيه تصدر عن القمة. ويصر لي على ان دقة الرقابة وشدة السيطرة امران ضروريان لمنع الشيوعيين من "التسرب" الى الحزب.

ان ادارة مدينة سنغافورة هي من اكثر الادارات كفاية في العالم. فاذا تعطل جهاز الهاتف او ظهرت حفرة في احد الشوارع، فما على المواطنين سوى ابلاغ السلطات التي تسارع الى اصلاحها في اليوم التالي.

ولا يخلو الامر من بعض المنتقدين غير الراضين عن الحال، وان تكن الصحافة والجامعات ونقابات العمال تعلمت كلها احترام رغبات لي. كذلك يشكو بعض المفكرين من ان احضان حزب العمل الشعبي خانقة. غير ان الامر واضح وبسيط، فما كان على الناخبين، كما يقول لهم لي في احيان كثيرة، الا الاقتراع ضده لاخراجه من الحكم اذا لم تعجبهم تصرفاته (موعد الانتخابات المقبلة العام ١٩٨٠) ففي الانتخابات السابقة فاز مرشحو حزب العمل الشعبي بجميع مقاعد البرلمان (٦٩ مقعدا)، وحصل الحزب على ٧٢٫٤ في المئة من مجموع الاصوات.

قضية الشعر الطويل – وقد طبع لي سنغافورة بطابعه في كثير من الامور الصغيرة والكبيرة. وتبلغ سيطرته على شؤون البلاد ان كل قرار، حتى اذا لم يزد على تعديل بسيط في حدود حي في المدينة، لا بد وان يمر بمكتبه. ولي لا يدخن، فالتدخين لا يلقى تشجعيا في اي مكان في سنغافورة، كما يرى ان الشعر الطويل لدى الرجال هو دليل على الكسل والاهمال وتعاطي المخدرات

والتطرف وغير ذلك من الصفات المقيتة، ولذا فانك تجد في مكاتب الحكومة لافتات تقول: "الذكور ذوو الشعر الطويل سيكونون آخر من ينظر في طلباتهم". وهذا التحذير ينفذ بدقة متناهية. وقد نشرت في نهاية عام ١٩٧٧ قائمة بضحايا "الحرب المعلنة" ضد الشعر الطويل: ثلاثة من الموظفين الرسميين فصلوا من عملهم وفرضت غرامات على عشرين وتلقى ٣٢٥ انذارات. وخلال العام نفسه، منع موظفو الهجرة ٦٢٠ رجلا ارخوا شعورهم من دخول البلاد.

وفي سنغافورة تكنس الشوارع يوميا، بناء على اصرار شخصي من لي، ويتم رفع النفايات سبع مرات في الاسبوع. والرجل مغرم بالشعارات واحبها اليه شعار: "لنحفظ سنغافورة نظيفة وخضراء". وهو يقول: "انك لا تستطيع ان تتمتع بالصحة او ان تشعر بالكبرياء اذا كنت تعيش وسط القذارة والاوساخ مع الذباب والبعوض والقمامة والامراض". ولذا فان القاء عقب سيجارة في الشارع معناه دفع غرامة تزيد على ٢٠٠ دولار امريكي.

ان سنغافورة بالنسبة الى المدن الاخرى في المعالم، هي مدينة الامن، اذ لم يحدث فيها خلال عام ١٩٧٧ سوى ٤٢ سرقة مسلحة، وهو عدد يداني عددها في العاصمة الامريكية واشنطن خلال ثلاثة ايام فقط، علما بان عدد سكان واشنطن لا يزيدون على ثلث سكان سنغافورة. وكان البريطانيون يجلدون المجرمين ابان استعمارهم لتلك البلاد التي واصلت تطبيق هذا التدبير بعد الاستقلال. فالذين تثبت ضدهم تهمة السرقة المسلحة يحكم عليهم بالسجن، اضافة الى ست جلدات على الاقل. اما تجار المخدرات فهم معرضون للاعدام شنقا.

والى التسهيلات الضريبية التي تقدمها البلاد النامية الى المستثمرين الاجانب، تلجأ سنغافورة الى اغرائهم بالكفايات البشرية، فبرامج التعليم في الجزيرة موجهة لتخريج اعداد كبيرة من التقنيين ذوي المهارات العالية. وهذه الكفايات البشرية تجتذب بدورها الصناعات المتقدمة التي يحصل المشتغلون فيها على اجور جيدة، ولذلك فان مصانع الجزيرة تنتج الكثير من السلع المتخصصة، مثل المعدات البصرية والهندسية الدقيقة، فضلا عن قطع محركات الطائرات والصواريخ.

وقد اصبحت سنغافورة ايضا مركزا ماليا رئيسيا في جنوب شرقي آسيا، وهي تضم فروعا لخمسة واربعين مصرفا من اهم مصارف العالم الخمسين.

ناقوس يقظ – وقد استطاعت سنغافورة، وسط جو من الرخاء هذا، ان تتحكم بالتضخم المالي فلم يزد معدل ارتفاع الاسعار فيها خلال عام ١٩٧٧ على ٣،٢ في المئة علما بان الاسعار كانت انخفضت فعلا بنسبة ٢ في المئة عام ١٩٧٦. ومن اسباب ذلك احداث "مجلس وطني للاجور" يضم ممثلين عن الحكومة وارباب العمل ونقابات العمال ويتولى اصدار توجيهات تقضي بعدم زيادة الاجور الا في الحدود التي تتفق مع زيادة

المعدلات الانتاجية. كما ان الحركة العمالية المتمثلة في "المؤتمر الوطني لنقابات العمال "تملك عشرة مخازن كبرى (سوبر ماركت) للمواد الغذائية تستخدمها كدرع واقية ضد اي زيادات لا مبرر لها في اسعار الارز او غيره من المواد الغذائية.

وكانت الاحياء الفقيرة التي تغص بالسكان، في نهاية فترة الاستعمار تغطي مساحات كبيرة من المدينة يفترش فيها آلاف السكان الارصفة، فلجأت سنغافورة منذ ذلك الحين الى اقامة اكثر من ٣٠٠٠٠٠ وحدة سكنية يقطنها ١،٣ مليون نسمة. وهناك خطط ستنشأ بموجبها قرابة ٥٠٠٠٠ وحدة سكنية اخرى قبل نهاية ١٩٨٠.

ويعيش اليوم ستة من اصل عشرة من اهل سنغافورة في مجمعات سكنية حكومية تتميز بجاذبيتها وحسن صيانتها، وتحتوي على مسابح ومدارس ومراكز تجارية. ونصف هؤلاء يملكون مساكنهم او يسددون اقساط شرائها.

اما وسط المدينة فتقوم فيه مبان حديثة شاهقة يرتفع بعضها الى ٥٢ طبقة وتشكل في مجموعها منظرا رائعا. وتخترق المدينة جنائن خضراء، كما تنتشر فيها المتنزهات الصغيرة. ويزيد من حيوية الجو وبهجته وفرة الاشجار الاستوائية والنخيل والشجيرات المزهرة.

وقد عالجت سنغافورة المشكلة السكانية فيها بجدية لافتة. فما ان يولد الطفل حتى تذهب احدى الممرضات او القابلات لزيارة الام وتشرح لها طرق العناية بالوليد واساليب تنظيم الاسرة. ويتلقى الشباب المتزوجون حديثا دعوات الى محاضرات عامة في تنظيم الاسرة. وهناك شرائح مصورة تعرض على مساحات واسعة من جدارن المباني وتعلن: "خططوا للاسرة ذات الطفلين!".

وتيسر الحكومة عمليات الاجهاض في المستشفيات العامة في مقابل مبلغ يقل عن ثلاثة دولارات امريكية اذ يمكن اجراء العملية في اي وقت خلال الاسابيع الاربعة والعشرين الاولى من فترة الحمل. وتطبق سنغافورة كذلك ما تسميه "الحوافز السلبية" على الاسر الكبيرة العدد، فاذا كانت الاسرة تضم اكثر من طفلين مثلا، حجبت الاولوية عن الاطفال الزائدين لدى التحاقهم بالمدارس الحكومية الجيدة. وقد ادى ذلك الى خفض معدل زيادة السكان الى ١،١ في المئة ويتوقع الخبراء ان يستقر عدد السكان على ما هو قبل عام ٢٠٣٠.

ان سكان سنغافورة يتمتعون برخاء لا يفوقه في شرق آسيا سوى رخاء اليابان. والرعاية الطبية والتعليم حتى المستوى الجامعي متوافران مجانا او في مقابل رسوم ضئيلة. ويتيح برنامج الضمان الاجتماعي الحالي لاهل الجزيرة فرصة التقاعد في الخامسة والخمسين مع التمتع بمدخرات تكفل لهم العيش المريح.

ان سنغافورة ناقوس يقظ يتردد صداه في انحاء العالم الثالث ليفتح عيون شعوبه المتلهفة الى النهوض بمهمة التنمية الوطنية في بلادها.

■ ديفيد ريد

كلاريون
رفيقك المفضل على الطرق

اثبت جهاز كلاريون انه جدير بثقتك على الطرق الاشد وعورة وفي الطقس الاشد حرارة· وهو مصمم ليكون سهل التشغيل فيساهم بالتالي في راحتك وامان سيرك· وكلاريون التي اشتهرت بجودة منتجاتها ومتانة ادائها تزودك بمجموعة كبيرة من ستيريوهات السيارات، وكلها سهلة التركيب.
فاختر منها الجهاز الذي يروقك·
كلاريون — يجعل القيادة اكثر متعة·

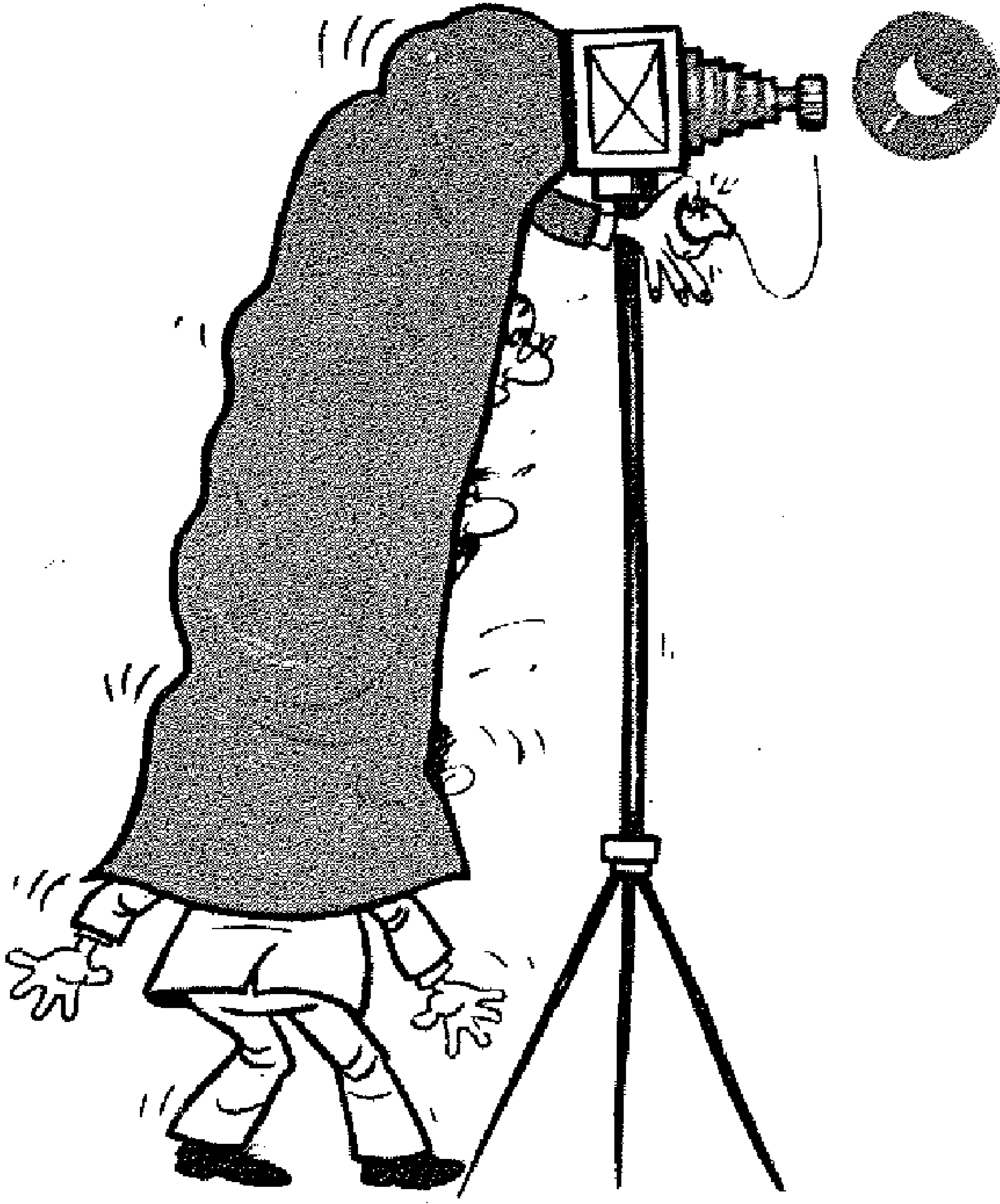


PE-663

Clarion

Clarion Co., Ltd. Tokyo, Japan

صور من الحياة



الشعور بالابوة

في مقابلة صحافية، سئل الرئيس الامريكي جيمي كارتر عما تمثله ابنته آمي ذات الاحد عشر عاما لوالديها في البيت الابيض، فأجاب: "حين ولدت آمي تملكنا احساس ما باستعادة شبابنا. انها رفيقة طيبة، ولكن يمكنها العيش في استقلال كأبنة سياسي.

"وحين ينتابني احيانا شعور بالخيبة وأشك في جدارتي وفي كيفية معالجتي للمشاكل الصعبة، اتوجه الى ردهات السكن في البيت الابيض، حتى ولو كان الوقت متأخرا في الليل، ثم اتوقف لالقي نظرة قصيرة على آمي، وهي تغط في نومها. ان الشعور بالابوة، وان لبضع دقائق، يضفي لمسة من الانسانية على حياتنا".

ر.س.

افضل من الرئاسة

القى هنري كيسينجر خطابا في مدينة الباني في ولاية نيويورك، قال فيه انه عانى مشكلة اثرت على طموحه السياسي. فالدستور الامريكي يمنع المواطنين الذين لا يحملون الجنسية الامريكية منذ الولادة من تولي منصب رئاسة الجمهورية، وهو المنصب الذي كان وزير الخارجية السابق والالماني المولد "شغوفا بتوليه" على حد تعبيره.

الا ان كيسنجر اضاف: "وبعد بحث دؤوب، وجدت ان ليس في الدستور ما يحول بين الاجنبي المولد وبين منصب امبراطور".

س.ب.د.

فلسفة العمارة

التقت مجموعة من طلبة تاريخ الفن في جامعة ييل المعماري الامريكي فيليب جونسون لمناقشة فن العمارة. وبعدما طاف بهم جونسون في البيت الزجاجي الذي بناه لنفسه في مدينة نيوكانان في ولاية كونيتيكات، اصطحبهم الى بيت الضيوف المجاور، وكان كله مبنيا بالاجر عدا ثلاث نوافذ شبيهة بكوة الباخرة على احد جانبيه مغطاة بستائر سميكة.

ولم يتمالك احد الطلبة من السؤال باستغراب: "ولكن يا سيد جونسون، الا تتفضل بأن تفسر لنا الاسس الفلسفية والمعمارية التي قادتك الى بناء هذين الهيكلين على هذا الشكل المتضاد: احدهما من الزجاج الخالص والآخر كله من الآجر؟"

فأجاب جونسون: "المسألة بسيطة. فضيوفي يحبون التمتع بحياتهم الخاصة، وكذلك أنا".

م.ر.ج.

فن الدعاية

روى المخـرج المسرحـي جوشـوا لوغـان الحادثة الآتية عن المنتج ديفيد ميريك:
"غداة افتتاح احدى استعراضات ديفيد الموسيقية، أجمع النقاد في مراجعاتهم العنيفة لليلة الاولى من العرض على اعتباره ضعيفا نسبيا. ولدهشة الجميع، ظهر في اليوم التالي اعلان ضخم في الطبعة الاولى من صحيفة "نيويورك هيرالد تريبيون" يقتطف اقوال من بدا انهم كبار نقاد نيويورك وهم يتبارون في اطراء الاستعراض بحماسة.
والغريب في امر ذلك الاعلان ان صور النقاد التي ظهرت الى جانب تعليقاتهم كانت بعيدة تماما عن مظاهرهم الحقيقية. وحقيقة الامر ان ديفيد امسك بدليل الهاتف ووجد اشخاصا يحملون اسماء كبـار النقـاد ذاتهـا، مثـل جـون تشابمـان وريتشـارد واطس، فدعاهـم الـى مقابلـة تمهيديـة وافاض عليهم بكرمه في وليمة عشاء. وابلغهم انهم اذا امتدحوا الاستعراض فستنشر صورهم في الصحيفة الشهيرة.
واعترف ديفيد في ما بعـد بالآتـي: "كـان علي الانتظار سنتين مذ توصلت الـى تلـك الفكرة لكي انفذها، اذ كان لا بد لتنفيذها من ان يتقاعد ناقد مجلة "تايم" بروكس اتكنسون. فلو بحثت العالم كله، لما وجدت اثنين يحملان اسم بروكس اتكنسون".

كتاب "النجوم والناس وأنا"

اللغز البشري

كـان عالـم الطبيعيـات والانتروبولوجيـا الراحل لورين ايسلي ذاهبا الى مكتبه ذات مساء حين خطا بحذائه على بقعة سائل، فتعثر وسقط على وجهه ارضا. وفيما كان ينظر الى بركة الدم القانية التي تشكلت بسرعة اثر جرح بليغ في جبهته، حدث امر غريب يصفه آيسلي كما يأتي:
تمتمت بالـم واضطـراب: "ارجـوكـم الا ترحلوا. اعتذر عما حدث". لم اكن اوجه كلماتي الى احد، بل الى جزء مني. وكنت في كامل وعيي. لكن وعيي كان متحررا على نحو عجيب. فقد خاطبت كريات الدم والاقراص الدموية، وكل تلك الاعاجيب الحية السابحة المستقلة التي كانت جزءا مني قبل ان تسببت في موتها نتيجة حماقتي وقلة احترازي. الست مكونا من ملايين هذه المخلوقات الدقيقة التي ارى بعضها يموت كالسمك الملقى على ساحل؟ الست مدينا لجهدها وتضحياتها اذ تهرع الى اصلاح اي نسيج يتشقق في هذا الكائن الضخم الذي بنته بحبها من دون ان تعرف؟ لقد كنت مجرة هذه الكائنات وكونها. ولقد احببتها بوعي للمرة الاولى. وبدا لي عند ذاك، كما يبدو لي اليوم اذ استرجع الامر، ان الضحايا التي تسببت في سقوطها (أعني الكريات) في العالم الذي اعيش فيه لا تقل عما يسببه انفجار كوكب ضخم في الكون.

(كتاب "الكون غير المتوقع")

كذبة تنقلب حقيقة

حيثما حل الظريف جيمس توربر، اشاع جوا من الفكاهة على اللقاء. ويروي دونالد اوغدين ستيوارت الطرفة الآتية عن سهرة قضوها في مقصف "توني" الذي كان يرتاده الكتاب في العشرينات:
"حوالي الثالثة صباحا، شعر توربر بقلق مصدره ان زوجته آلتيا ربما ظنته يقضـي ليلته مخمورا. فغادرنا متجها الى البيت.
"ولم تنقض ثلاث دقائق حتى عاد الينا وعلى وجهه بريق الانفعال، وهو يعلن: "فيلة.. فيلة تتجه غربا عبر الشارع ٥٢ وقد تشابك شعر ذيلها". فضحكنا لما بدا خيالا بارعا اشاع الحماسة في جلستنا الصاخبة. ولم نغير آراءنا الا بعـد تبادر الشك الى ذهن توربر من ان آلتيا لن تصدق هذا العذر منه عن تأخره. فرافقناه الى الباب مودعين. واذا بحلقة من الفيلة تشق طريقها من ساحات سكة حديد نيويورك المركزية الى حدائق ساحة ماديسون حيث كان مقررا افتتاح السيرك يوم الاثنين اللاحق".

ن.س.



عَودة سوبرمَان

نفخت هوليوود انفاس الحياة في احدى اعظم شخصيات مسلسلات الرسوم الهزلية الامريكية فاستحال سوبرمان فيلما ناجحا وصانع أرباح

انه طائر، انه طائرة، انه ... كفاك حديثا! فنحن نعلم انه سوبرمان، ولكن بحق السماء - او قل بحق كوكب كريبتون - ما الذي يفعله الرجل الفولاذي محلقا فوق المركز التجاري الدولي في نيويورك بعد مضي اربعين سنة على ظهوره للمرّة الاولى بين طيات كتب الرسوم الهزلية التي صورته محلقا في سماء امريكا وهي تعاني مضاعفات ازمة الكساد الاقتصادي عام ١٩٣٨؟ الاجابة ببساطة هي: ان على احد المتفوقين ان يتفوق في استدرار النقود! الا توافقون؟

صدر فيلم "سوبرمان"، الذي بلغت كلفته ملايين الدولارات (ويقدرها

البعض بما يراوح بين ٣٥ و٧٨ مليون دولار)، في شهر ديسمبر (كانون الاول) الماضي. ومن المؤمّل ان ينضم الى مصاف الافلام التي تعدّ صانعة أرباح، مثل "ستار وورز" (حروب النجوم) و"دجوز" (الفكّان)، ليحقق مثلهما ارباحا تحتل ارقامها تسع خانات. وقد قطع الفيلم حتى الآن شوطا بعيدا لتحقيق هذه الغاية، على رغم ما كتب عنه من نقد وتقييم يتأرجحان بين التفريط المفرط والازدراء الجارح. ففي اسبوعه الاول بلغت ارباحه حدا لم يتحقق في اي اسبوع في تاريخ ارباح شركة "وورنر براذرز" الامريكية لصناعة الافلام.

في الطليعة - والاغرب من ذلك ان "سوبرمان" ضرب من ضروب التسلية التي تنتشر بسرعة كالوباء المعدي. فهو متزن على نحو سليم، يؤالف بين الدفء وسرعة الخاطر والمودة والبراعة المدهشة في استخدام المؤثرات البصرية الخاصة وخيال المسلسلات الهزلية وفلسفة "بوب كورن" في ما وراء الطبيعة! وبذلك ابتدع مخرج الفيلم ريتشارد دونر نمطا فذا من انماط التسلية الجماعية، مفعما بالحركة وجديرا بان يحتل الصف الأول في صناعة السينما.

والحقيقة ان قصة سوبرمان ذات ثلاثة اجزاء، لكل منها اسلوبه الخاص ومظهره الفريد وحركته المتميزة. ففي بداية الفيلم يصور المخرج دونر كوكب كريبتون كما تخيله المصمم السينمائي جون باري: كوكبا كرويا بلوري التركيب مثل زجاجة عطر مزخرفة - الا انها في حجم كوكب. ونرى في مستهل القصة احد رجالات كريبتون، ويدعى جور - إل (تمثيل مارلون براندو)، يخاطب اعضاء المجلس الحاكم محاولا اقناعهم بهجر الكوكب لان ديارهم البلورية مهددة بقوى كونية ستهشمها الى ذرات. وقبل لحظات من انفجار الكوكب، يضع جور - إل وزوجته لارا (الممثلة سوزانا يورك) طفلهما الرضيع كال - إل داخل مركبة بلورية في هيئة خوذة لتنطلق به الى كوكب الارض الأمين، بعدما ضمّن بلورات المركبة جميع المعلومات عن الكون الذي سينساب الطفل في مجراته السماوية الى ان يبلغ الارض، فيتلقى علومه الكونية مما تبثه تلك البلورات.

بين الارض والفضاء - ومن الوهج البلوري في فضاء كريبتون، تنتقل بنا الكاميرا في الجزء الثاني من الفيلم الى مشهد شامل لريف كانساس الزراعي في امريكا حيث تحط مركبة الطفل الكوكبية. واذا بالزوجين باكنت (الأب) وماكنت (الام) يقعان على ذلك الطفل الضخم الباسم. وسرعان ما يدركان ان الطفل معجزة غير مألوفة، اذ يحدانه على حين غرّة يرفع بكلتا يديه سيارة الشحن التي كان باكنت مكبا على تبديل احدى عجلاتها. وهكذا ينشأ الصبي الذي سمياه كلارك كنت (الممثل جيف ايست) في بيئة امريكية في وسط الولايات المتحدة. وما ان يتوفى والده الارضي بالتبني حتى يجد نفسه منجذبا نحو القطب الشمالي حيث ينتأ من كتل الجليد امامه جهاز كأنه دماغ الكتروني بلوري من كوكب كريبتون. وتتصدّر الجهاز صورة ضبابية لوالده الحقيقي جور - ال، كان قد بثها في الجهاز قبل انفجار الكوكب. ويتصاعد الشاب كلارك كنت لولبيا عبر الفضاء ليبدأ

دراسات عليا متفوقة تستمر ١٢ سنة.
وفي المرحلة الاخيرة من مراحل الفيلم الثلاث، يحط بنا المخرج دونر وسط مدينة كبرى هي، من دون تورية، مدينة نيويورك ذاتها، حيث نرى كلارك كنت وقد عاد من رحلته الفضائية شابا في الثلاثين (ويلعب الدور في هذه المرحلة كريستوفر ريف، وهو ممثل في السادسة والعشرين من عمره، يبلغ طوله ١٩٣ سنتيمترا). ويبدو، حين ينضم الى اسرة تحرير صحيفة "دايلي بلانيت"، حييا خلوقا، ونراه يتحرك وسط مجتمع وشخصيات تعكس الوانا وهيئات تذكرنا ببراعة فائقة بالرسوم التي ظهرت في المسلسل الهزلي قبل اربعين عاما. فها هو كلارك يوطد علاقته بالفتاة المثيرة لويس (مارغو كيدر) ويعمل مع رئيسة تحرير "دايلي بلانيت" بيري وايت (جاكي كوبر)، الصحافية المندفعة التي تتطلب الكثير من محرري صحيفتها، والصبي المصور جيمي اولسن (مارك ماكلور) ويلتقي المجرم العاتي ليكس لوثور (جين هاكمان) الذي يحاكي الشخصية الجهنمية كما ابرزتها رسوم مسلسل سوبرمان.

خوارق سوبرمان ـ على ان كلارك كنت يتحول الى السوبرمان المعجزة في الليلة الثانية من وصوله الى نيويورك. فتراه، بعد ان يتدثر بعباءة سوبرمان المعهودة، يطير في الهواء ليحتضن لويس وهي تسقط من طائرة هليكوبتر ارتطمت بقمة مبنى. ثم يمشي عموديا على جدار زجاجي لناطحة سحاب ليلقي القبض على لص متسلق. ويطوق سفينة بمجرميها الهاربين من وجه العدالة، وينقذ هراً لفتاة صغيرة من شجرة، كما ينقذ، في اوج اعماله الخارقة تلك الليلة، طائرة رئيس الولايات المتحدة اذ يحل هو نفسه مكان المحرك الذي انفجر فيها.

بيد ان الفيلم لا يخلو من هفوات، ان في سير حركته او في بنيانه الفني. لكنه، مع ذلك، يبقى الصرح الذي رفعه المخرج دونر مأثرة عظيمة في صناعة الافلام اذ تفادى، بكل براعة وذكاء، معاكسة تيار اللامعقولية في ظاهرة مثل سوبرمان. بل ترى المخرج يتعمد السير الى جانب هذا التيار. وهو يقول في هذا الصدد: "لم نشأ ان نفقد الاطار العام للمسلسل الهزلي كما ظهر في الرسوم لكني لم ارد كذلك ان اسخر منه فاجعل الفيلم محاكاة تهكمية".

ويؤكد على هذه الناحية روبرت بنتون، وهو كاتب سيناريو، في قوله: "لم يكن خيارنا ان نسخر من سوبرمان المعهود ومغامراته. لكن الذي اسر اهتمامنا هو ذلك الحب المثلث الاطراف في سوبرمان، حيث نجد ان طرفين من الثلاثة هما شخص واحد".

اما الكاتب الامريكي جولز فايفر فيرى، في تحليله اللامع للفيلم، ان قصة الحب ليست كالمثلث، وانما هي قصة "انفصام وعفة بين شخصيات ثلاث". ويمضي فايفر قائلا: "كنت الرجل يريد لويس. اما كنت السوبرمان فلا يريدها. وفي ذلك ما يحدد الفرق بين المخنث والرجل. فالمخنث يحب ان تهزأ به الفتيات، اما الرجل فهو الذي يهزأ بالفتيات اللائي يردنه".

العاشق ـ ومن العناصر الفاتنة التي يعتمدها المخرج دونر ذلك الاسلوب الذي يرأب فيه من ناحية انفصام

الشخصية ويصدع من ناحية اخرى- ولكن بغاية الرقة واللطف - تلك العفة في الحب الثلاثي. ويبرز الممثل ريف في ادائه دور كلارك كنت رجلا عاديا من ابناء البشر، يتلعثم في حديثه ويرتبك في حركاته من دون ان يكون مخنثا، بينما يبرز، من حيث هو سوبرمان، كائنا فوق البشر، وهذا يسبب لسوبرمان الما حادا حين يدرك انه متيم بحب لويس.

ولكن ما الذي يستطيع فعله كائن متفوق من كوكب كريبتون، ضخم التركيب، مع فتاة من بنات حواء ذات تركيب ضئيل؟

ان ما يفعله هو ان يأخذها في رحلة جوية شاعرية جميلة فوق ابراج نيويورك وجسورها، ثم يعود بها الى شرفة دارها في مشهد من ابدع مشاهد الفيلم وألمعها، حيث نراه يودعها ويطير الى السماء التي عادت لويس منها لتوّها وقد اسكرتها خمرة الحب. واذ تتسلط عدسة الكاميرا عليها وهي تمشي الى داخل شقتها من دون اي قطع في الفيلم، نسمع طرقا على الباب، ثم نرى الممثل ريف داخلا من جديد، ولكن بشخصية كلارك كنت البشرية وبنظارتيه المستديرتين وسترته الدكناء المعهودة، ليذكر لويس بانه على موعد معها! ان في هذا المشهد خدعة فنية مدهشة تؤكد على الجانب العذب والمضحك معا لهذا الحب الذي يكنه تجاه لويس شخصان هما، في الحقيقة، رجل واحد.

رقص في الجو ـ قلنا آنفا ان الفيلم متميز بمؤثراته البصرية المدهشة. ويعزو كولن تشيلفرز، كبير مخرجي المؤثرات السينمائية البريطاني، الفضل في تمكين الممثل كريس ريف من الطيران، الى زميليه ديريك ميدينغز وروي فيلد لما ابتكراه من اجهزة معقدة من نوع الاسلاك والبكرات والسكك التي تعتمد نظام الدورة المائية، وهو ابتكار يتجاوز تجاوزا كبيرا ما استحدث في فيلم "بيتر بان" من اجل ماري مارتن. وقد لجأ مخرجو المؤثرات البصرية في "سوبرمان" ايضا الى وصل عمود يبلغ طوله أربعة امتار بالممثل ريف في عدد من مشاهد طيرانه، خصوصا مع حبيبته لويس في ذلك المشهد الذي يقرب من رقص الباليه في الجو. لكنهم استخدموا عمودا أقصر كثيرا في اللقطات المأخوذة على مسافة قريبة. على ان احب مشاهد طيرانه الى تشيلفرز هو ذاك الذي يحلق فيه سوبرمان فوق مبنى "دايلي بلانيت" اثر انقاذه لويس من حادث طائرة الهليكوبتر حين يبدأ سلسلة من التشقلب والغوص والصعود والانقضاض في الهواء كطيار ماهر جريء اثملته بهجته في القدرة على الطيران. ويقول جون باري في هذا الصدد:

"ان لكريس ريف اعصابا من الفولاذ، اذ كان فعلا معلقا في بعض الاحيان على ارتفاع ستين مترا في الهواء. لكنه، بعد علو ١٥ مترا، لم يعد يكترث لبعد مسافته عن الارض. وظل محافظا على رباطة جأشه حتى في تينك المناسبتين اللتين اقترب فيهما من الطيران الفعلي. بجسمه، وهذا امر لم يطق احتماله اي انسان اخر من قبل.

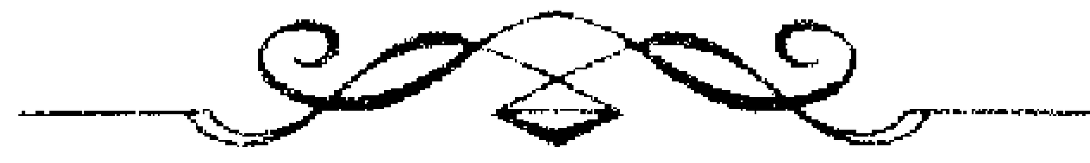
لكن جيري سيغل وجو شاستر، اللذين ابتكرا شخصية سوبرمان قبل ٤٥ عاما، لم "يحلقا" مطلقا الى علو ريف، نظرا الى انهما وقعا عقدا عاديا

مع شركة "دي· سي· كوميكس" لنشر الرسوم الهزلية، فقدا بموجبه جميع حقوقهما بالنشر واصبحا مجرد موظفين تابعين للشركة· على ان قسم الاتصالات والمراسلات التابع لشركة "وورنر براذرز" منحهما، بفضل ضغوط الرسائل والالتماسات المؤثرة، دخلا سنويا على مدى الحياة مقداره ٢٠ الف دولار لكل منهما، فضلا عن تأمين الخدمات الطبية· ويقول سيغل من وراء نظارتيه الكبيرتين، وهو الذي كان نموذجا لشخصية كلارك كنت الحيي: "الامر الوحيد المؤسف هو اني وزميلي جو لن نحصل على شيء من ارباح الفيلم"·

سوبرمان ٢ - وتخامر جو شوستر ردود فعل مختلطة اذ يقول: "اني سعيد بالفيلم، وأظن ان كريس ريف يضفي على الشخصية مسحة ملائمة من الفكاهة· وهو، في نظري، سوبرمان حقيقي· غير اني، بعد كل هذه الاعوام التي····" وتضيع كلماته مع وهن صوته·

وبينما يواصل فيلم "سوبرمان" صعوده في عالم الارباح، وصل التصوير في فيلم "سوبرمان - ٢" الى منتصف الطريق· ويبدو ان النية متجهة في هذا الفيلم اللاحق الى جعل سوبرمان يتخلى عن تفوقه على البشر ويتقبل الضعف الانساني ثمنا لحبه لويس لين، فتجيء تضحيته تمجيدا للبطولة والبراءة· ويبلغ التناقض في شخصية الرجل الفولاذي ذروته حين ينزع عن نفسه سمات تفوق السوبرمان ليصبح كائنا من لحم ودم لا طاقة له على التحليق بقفزة واحدة فوق ناطحات السحاب·

■ **جاك كرول**



واحدة بواحدة

حين شن الحزب الشيوعي المجري حملة لاقناع الناس بتفوق الطب السوفييتي، أثار هذا الاطراء المبالغ فيه سلسلة من الطرائف، كانت احداها حين زار طبيب عيون سوفييتي شهير بودابست والقى محاضرة جاء فيها:

"في موسكو كانت سيدة تنظف سمكة بسكين حين انزلق السكين من يدها واصاب عينها· ولحسن الحظ، كان احد مشاهير جراحي العيون السوفييت حاضرا، فنهض على الفور وأبدل عينها باحدى عيني السمكة· وبعد بضعة ايام أصبحت المرأة تبصر من دون اي مشاكل، بعدما كانت تستعين سابقا بنظارتين··· هل هناك اسئلة؟"·

وهنا نهض طبيب مجري وعلق بالآتي: "هذا انجاز مذهل حقا· لكن امراً مشابها حدث في المقاطعة التي اعمل فيها· فقد فقدت احدى العاملات في حقل لانتاج الالبان اربع اصابع في ماكينة لدرس الحنطة· وصدف ان كان هناك طبيب ريفي، لا جراح شهير، فقطع على الفور ضرع بقرة وزرعه في يدها· ولم يمض وقت طويل حتى غدت هذه الفتاة عازفة بيانو شهيرة· ثم انها صارت تتغذى على ما تنتجه يدها من حليب، فضلا عن مساهمتها في تزويد اقتصادنا الاشتراكي بثلاثة غالونات من الحليب يوميا"·

وانفعل المحاضر الروسي وسأل: "هل شاهد أحد هذا الحادث؟" فأجاب الطبيب المجري: "نعم، المرأة ذات عين السمكة"·

الطبيب زولتان كوفاكس

تغلّب على الغضب قبل أن يغلبك

السيطرة على الغضب تبدأ بالاعتراف بانه امر طبيعي ... ثم استغلاله من اجل خيرنا. هنا أربع نصائح عملية في هذا الصدد

■ هنري و.، مدير تنفيذي لاحدى الشركات، وجد ميتا في سيارته نتيجة تسممه بغاز اول اوكسيد الكربون بعدما سمع بان شركته الصغيرة ستندمج في شركة عملاقة متحدة وانه سيفصل من عمله.

■ ريتا ب.، ربة بيت، اصيبت بفتور عندما رضخت على مضض لرأي زوجها في الانتقال الى مزرعة صغيرة، علما بأنها كانت سعيدة جدا في شقتهما السكنية في المدينة.

■ فريد س.، معلم مدرسة، قاسى ارتفاعا في ضغط الدم وصداعا نصفيا متكررا حين عمد مدير المدرسة، الجديد في العامين الاخيرين الى وضع اكثر التلاميذ مشاكسة وعنادا في صفه.

هؤلاء الاشخاص الثلاثة - على تباينهم - يشتركون في مشكلة واحدة هي الغضب. وقد كانوا، على غرار عدد كبير منا، لا يقرون صراحة بمشاعر الغضب لديهم ولا يفسحون

CONDENSED FROM BALTIMORE SUNDAY SUN (APRIL 7 '74) (c) 1974 BY A.S. ABELL CO. CALVERT & CENTRE STS. BALTIMORE, MD 21201

لانفسهم مجالا للتعبير عنها على نحو سليم. لذلك كانت النتائج مؤسفة وغير ضرورية اطلاقا.

دوافع غير واعية ـ ان علماء النفس يدركون الان ان كل شخص، دونما استثناء، عرضة للغضب. لكن الاسلوب الذي يتدبر به المرء أمر غضبه.هو الفاصل بين المرض والصحة، وبين التخريب الهدام والعمل البناء، وبين السعادة واليأس. وعلينا ان نعلم بادىء الامر - وهذه نقطة مهمة في الموضوع - أننا غاضبون، لان الغيظ المكبوت وغير المعترف به قد يؤذينا ويضر كذلك بالذين نحبهم. والواقع الجلي ان عددا كبيرا من الناس لا يعرف كيف يتدبر الغضب تدبرا صحيحا. وهذا مثل على ذلك:

عالجت قبل سنوات عدة مريضا في مستهل العشرينات من عمره، اعتدى على اكثر من عشرين شخصا قبل القاء القبض عليه واحالته الى المعالجة. والغريب ان زملاءه في العمل توسموا فيه هدوء الطبع وقلة التذمر وحسن تفهم الآخرين، بل انه هو نفسه انكر ان يكون في يوم من الايام غضب على شخص آخر. ولم يدرك مدى غضبه المكبوت الا بعدما احيل الى المعالجة، فتبين انه كان غاضبا لكون أبيه قاسي الطبع لا يرحم ولكون امه استغلالية الى حد مفرط. لكن ذلك الشاب سرعان ما تعلم كيف ينتهج سبلا اقل ضررا للتفريج عن غضبه. وقد قال هو نفسه عند انتهاء فترة معالجته: "اعلم الان ان الرجل الحق هو ذاك الذي يتدبر مشكلاته بلا قتال".

اخطار الغضب ـ ان الغضب المكبوت قد يؤدي احيانا الى تدمير سعادة الآخرين بطرق خفية وحاذقة، كأن تلجأ المرأة الغضوب الى التعبير عن عدوانيتها في كثير من الاحيان بجعل الآخرين ينتظرونها وقتا طويلا وهم على موعد معها، او ان يلجأ رجل الاعمال الذي لا يطيق اللياقات الاجتماعية، الى النوم لدى زيارة الآخرين، بينما ترتبك زوجته خجلا. وخذ مثلا آخر على الذي يحدث عندما تأنف ربة البيت من اقامة حفلات العشاء لزملاء زوجها. فانا اعرف امرأة تنجح في افساد حفلات من هذا النوع، اما بحرق اللحم المشوي واما بدلق القهوة على رئيس زوجها.

وقد اثبت علماء السلوك البشري اخيرا ان الغضب، من ناحية اخرى، قد يلعب دورا اكثر خطرا مما كان معروفا من قبل، وذلك في حوادث الاصطدامات التي نردها الى "القضاء والقدر". وقد كشفت احدى الدراسات العلمية عن ادلة على مشاعر الغضب لدى مجموعة من السائقين كانت طرفا في وقوع اصطدامات خطرة ادت الى وفاة بعض المصابين. ولدى دراسة مجموعة اخرى من السائقين الذين لم يتعرضوا لحوادث خطرة من هذا القبيل، تبين ان مقدار الغضب لديهم كان اقل كثيرا.

والغريب في الامر، انك حين تكون غاضبا - من دون وعي او ادراك لغضبك - فأنك غالبا ما تشعر بالقلق، مثلا، بدل الغضب. وكثير من الاطباء باتوا مقتنعين بان الغضب المكبوت هو ايضا عامل مهم من عوامل ظهور اعراض مرضية مثل قرحة المعدة والتهاب غشاء القولون المخاطي

وارتفاع ضغط الدم وصداع نصف الرأس. واتضح لدى دراسة مجموعة من الاطفال المصابين بذات القولون التقرحي انهم كانوا جميعا يواجهون مشكلة التعبير عن الضغب. وهكذا نرى ان حالات كثيرة من المرض تنتج لا مما يأكله المرء، ولكن من العوامل التي تتناهشه.

وما دامت خيبة الامل وما يتمخض عنها من غضب امرا يتعذر تلافيه، فمن المهم، لسلامتك الجسدية والنفسية، ان تعرف كيف تسخر هذه الطاقة الهائلة على الغضب لكي تعمل من اجلك عوضا عن عملها لتقصير اجلك. وهنا بعض النصائح التي تساعدك للسيطرة على الغضب والتحكم به كيما تحقق اهدافك بالطرق السليمة:

١ - اعترف بان الغضب امر طبيعي.

قبل وقت ابلغني رجل في اواسط العمر انه وقف مرة في صف طويل من السيارات ينتظر دورة امام محطة بنزين. وبعد فترة خالها دهرا، قال له عامل المحطة ان البنزين نفد! ومضى الرجي يقول: "لقد بلغ بي الحنق اني فقدت زمام نفسي، فخرجت من السيارة ورحت اصرخ بأعلى صوتي كالمعتوه. واني لعلى يقين من ان بي علة مخيفة".

علينا ان ندرك ان تصرفات ذلك الرجل، وان لم تكن بناءة، انما هي ناتجة عن مشاعر طبيعية تماما لان الخيبة - اي اخفاق سعينا الى امر او شيء معين - هي "أم" الغضب كما يرى علماء النفس. لذلك يتوجب علينا، ما دمنا بشرا، ان نتقبل غضبنا في بعض الاوقات.

الا انه يعسر علينا، في كثير من الاحيان، ان نتقبل غضبنا على اولئك الذين نحبهم. وتجدر الاشارة الى اني عالجت في عيادتي اخيرا اما شابة كانت، قبل ولادة طفلها، سكرتيرة قانونية ناجحة. وحاولت لسنوات تكليل سعادتها الزوجيةبطفل من دون ان تنجح. وحين ولدت اخيرا صبيا يتمتع بصحةممتازة، بدأت تشعر بالقنوط والقلق والحزن بدل ان تفرح بوليدها. وقالت لي: "اني، ولا شك، مخلوقة شريرة الى حد انيفكرت في ايذاء طفلي!"

وقد ادركت تلك الام بعد جلسات عيادية متكررة، ان غضبها على طفلها - كحبها له - شعور طبيعي. فقد عنى وصول "تلك الباقة من البهجة" - اذا صح التكلم هكذا عن الطفل - ان تتخلى الام عن وظيفتها المهمة وان تتقيد دائما بوليدها. ولكن ما ان تقبلت حقيقة كون بعض مشاعر الاستياء امورا طبيعية معتادة حتى انقشعت تعاستها وتلاشت.

٢ - اكتشف سبب غضبك.

غالبا ما نصب جام غضبنا على غير الشخص المعني ولغير السبب الاصلي وفي الوقت غير المناسب. وترى ان الاشخاص الذين يتحاملون على غيرهم ليسوا، في كثير من الاحيان، سوى اناس تعساء في حقيقة انفسهم وغاضبين لا يجرؤون على مجابهة اسباب غضبهم وخيبتهم مما يجعلهم "يتجنون " على الآخرين. لذلك، ففي المعرفة الدقيقة لمصدر الخلاف الحقيقي ما يحول دون وقوع العواقب الوخيمة. ولاضرب مثلا على ذلك:

هناك معلمة اوكلت الي مهمة

ارشادها بعدما اصبحت تعرف في مدرستها باسم "الصارخة" لكثرة صياحها. وكان طلاب صفها الثالث الابتدائي يرتعدون خوفا من تصرفاتها. وتبين لي، بعد بضع جلسات معها، ان تصرفها كان مجرد انعكاس للغضب الذي كتمته ازاء التزامها بخدمة والدها المسن الخرف من غير مساعدة احد من الناس. ولما كانت انثى - وعزباء ايضا - فقد اوكل اخوتها، الثلاثة الاكبر منها سنا مهمة العناية بوالدهم الخرف المشاكس اليها. وحين ادركت المعلمة مصدر غضبها الحقيقي، واجهت اخوتها بصراحة تامة. وما ان بدأ اخوتها يشاركونها مشقة العناية بالوالد حتى اخذ شعورها بالحاجة الى معاقبة تلاميذها يتوارى.

٣ - لا تدع الغضب يتراكم.

كثيرون هم اولئك الذين ينسحبون من ساحة الخلاف بصمت عدائي. على ان التعبير عن الغضب بالكلمات قد يفرج عن الكربة، وربما انهى الخلاف. وغالبا ما يعلم الآباء الناجحون اولادهم - عن طريق المثل الحي عادة - كيف يعبرون عن التوتر باسلوب صريح ومباشر دونما لجوء الى العنف. فترى الاولاد يتعلمون ان التنفيس عن الغضب فورا يمكن ان يلطف الجو فيعقبه - كما يعقب العاصفة الرعدية في الصيف - انس وود وهدوء.

واذكر اني بدأت قبل حين بمعالجة رجل شديد القنوط فقد قدرته على العمل فقدا متزايدا على مر الايام. وتبين لي ان مشكلته نجمت عن فتور علاقته برئيسه الشاب الذي كان يستخف بآراء هذا الرجل المتقدم في السن اما بابتسامة ترفع واما برفض قاطع. وهكذا بدأ الرجل، من فرط غيظه ينطوي على نفسه حتى غدا قانطا ومتجهما وسلبيا.

وبعد الحاح مستمر، قبل الرجل ان يواجه رئيسه لمناقشة الامر بينهما بهدوء وصراحة. وأعرب عن تظلماته لرئيس عمله من دون مرارة. ولحسن الحظ، بدأ ذلك الرئيس الشاب بتفهم وضع موظفه المتقدم في السن، وراح يعامله باحترام جديد وقد ذكرتني تجربة هذا الرجل بالحقيقة التي عبرت عنها قصيدة للشاعر الانكليزي وليم بليك:

"كنت مع الصديق غاضبا،
وتحدثت عن غيظي فمات الغيظ في.
كنت مع العدو غاضبا،
وما تحدثت عنه فنما الغيظ في".

ان الغضب كالقنبلة الموقوتة: في امكانه اذا لم يتوافر له حل او يبطل مفعوله - ان يدمر العلاقات وحياة الافراد، وحتى الاسر بكاملها.

٤ - تخلص بالعمل من الغضب.

لقد ساعدت نار الغضب في تحقيق قضايا عدة، كبيرة وصغيرة ومن ذا الذي يقدر على ان يصرخ في وجه الظلم بلا غضب؟

ولعل في قصة الطالب الجامعي الامريكي كليفورد بيرز، التي تعود الى مطلع هذا القرن، ايضاحا لما نعنيه. لقد اصيب بيرز بمرض نفسي حاد. واستاء كثيرا وتألم من طريقة العناية الساذجة البدائية التي تلقاها، فدون بحرص كل ما لحقه من ظلم واهانة. وانطلق، فور شفائه، للعمل

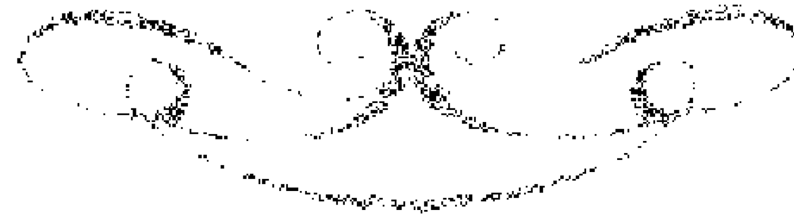
على انشاء عدد من المنظمات التي تعنى بالامراض النفسية والعقلية. وافضت مناشداته الغاضبة القوية اللهجة للهيئات التشريعية عبر الولايات المتحدة الى وضع ضمانات جديدة ضد المعاملة القاسية لجيل جديد من الافراد الذين يصابون بأمراض نفسية.

اما اذا تعذرت سبل التعبير عن الغضب فالحاجة تدعو الى وجود منافذ اخرى. وينبغي، في هذه الحال، ان ينغمس المرء انغماسا عميقا في هواية ما، لان مثل هذا الانخراط ينطوي على قيمة لا تقدر. وربما كان في اعمال كتقطيع الاخشاب او تزيين المنزل وطلائه بالالوان او تعشيب البستان وما شابهها، فائدة جلى للتخلص من التوتر واستعادة القدرة على رؤية الاشياء في ابعادها الصحيحة.

لذلك، لا تدع الغضب يلتهمك التهاما، بل جد وسيلة تستخدم بها تلك الطاقة التي يفجرها الغضب، فلعلها تكون اداة لتحسين اوضاعك ولفائدتك في شتى النشاطات البناءة.

■ **دانيال شوغرمان**

دكتور في علم النفس وطبيب نفسي ممارس في مستشفى سانت جوزيف في مدينة باترسون (ولاية نيوجيرسي الامريكية).



انقاذ عبر الهاتف

يقدم مكتب المساعدات التابع للكنيسة الانجيلية في المانيا الغربية خدمات استشارية عبر الهاتف لتهدئة الاشخاص الذين يفكرون في الاقدام على الانتحار. لكن هذا المكتب يتلقى مرتين في السنة نداءات حزينة ذات طابع استثنائي، مصدرها الطلبة الراسبون الذين يخشون العودة الى بيوتهم بعد حصولهم على نتائج الامتحانات. ويتولى المتطوعون الذين يردون على النداءات بث الثقة في نفوس التلاميذ اليائسين، وكذلك في نفوس آبائهم احيانا.

("نشرة الاعلام البروتستانتي")

حكم خبير

عصب تاجر الخمور عينيه وأخذ يظهر مهارته الفائقة في التعرف على انواع النبيذ. وعلى رغم توالي الكؤوس التي قدمت اليه، لم يجد صعوبة في تحديد نوع الخمر بمجرد رشف القليل منه. وبعدما اختبر عشرين نوعا من النبيذ، دُس بين الكؤوس قدح ماء. فرشف قليلا منه، وقطب جبينه ثم رشف ثانية وأخيرا هز رأسه وقال: "ايها السادة، لقد هزمت للمرة الاولى في حياتي. اني لا اعرف هذا الشيء ولم اذقه من قبل قط".

وبعد فترة من الانقباض، ابتسم بكبرياء وقال: "لكني اؤكد لكم شيئا واحدا: ان هذا المشروب لن يعرف الرواج".

س.ر.ب.



تأملات معاصرة

موقفان من الحياة

اعتدت قبل سنوات ان اراقب سائقي الحافلات الكهربائية على خط شارع انديانا في مدينة شيكاغو، وهو شارع تجده في الغالب مختنقا بالسيارات الواقفة فيه بغير نظام وبالشاحنات الضخمة التي تعترض العربات، وكان بعض سائقي العربات يثورون غضبا ويطلقون العنان للمنبهات ويتبادلون الصياح مع سائقي السيارات الاخرى فينتهون من عملهم هائجين محطمي الاعصاب، مما يهدد حياتهم العائلية بالخطر. لكن بعض السائقين الآخرين كانوا يؤخرون الانتظار بضع دقائق من دون ان ينفد صبرهم، فتجدهم يصفرون لحنا بهدوء او يقلمون اظافرهم او يدونون ملاحظاتهم.
وهكذا، في مواجهة الظروف الموضوعية ذاتها، تجد من يعيش حياة مشحونة بالانفعالات والتوتر العصبي، بينما يتمتع اخرون بعمل مريح يؤمن لهم الكثير من الوقت للراحة.

س. هاياكاوا (شيخ امريكي)

تعريف المشكلة

قال الرجل الابيض لواحد من الاسكيمو اسمه تاغونا: "يسعدنا ان تكون اول من يرسم كاهنا من ابناء شعبك، اذ يمكنك الان ان تساعدنا على حل مشاكلهم".
فسأل تاغونا "ولكن ما المشكلة؟" فاجاب الآخر "لو امسكت بك من عقبي قدميك وتركتك معلقا خارج نافذة في الطابق الثالث، فستواجه عند ذاك مشكلة".
وفكر تاغونا مليا في الامر وقال بعد برهة: "لا اظن ذلك. فلو انقذتني لكان ذلك خيرا على خير، ولو تركتني اسقط فلا بأس، اذ ستواجه انت مشكلة.

م.ك.

الله لا يريد البؤس

ليس صعبا ان تعظ الفقراء بضرورة تقبل بؤسهم باعتباره ارادة الله حين تنعم بملابس تقيك البرد وبوفرة في الغذاء وبعناية طبية ومنزل تأوي اليه من دون ان تقلقك مشاكل الايجار. ولكن اذا اردت ان يؤمن الفقراء بما تقول، فحاول ان تشاركهم بعضا من بؤسهم، واخبرنا بعد ذلك اذا اقتنعت انت بان تلك هي ارادة الله.

اللاهوتي توماس ميرتون

اقتراح عربي لانهاء الحروب

مرة قدم سفير المملكة العربية السعودية الراحل الى الامم المتحدة جميل بارودي مجموعة اقتراحات لانهاء الحروب في العالم، اعترف بانها غير عملية، وهي الآتية:
يجب ان يعفى الرجال الذين هم دون الخامسة والثلاثين من الخدمة العسكرية، وان تكون سن المحارب ٤٥ على الاقل. وفي حال تعذر هذه الطريقة، يجب الا تبدأ الحرب الا بموافقة الامهات.

ل.ت.

خاص

شهرة سكوتلانديارد باتت عالمية. وايا يكن اوان الحادث الطارىء، ليلا او نهارا، فأن الجهاز الخاص في سكوتلانديارد يكون مستعدا على الدوام للتحرك فورا. رجال هذا الجهاز اشداء وذوو مهارة فائقة. انهم يضربون بسرعة كأفعى الكوبرا (الصل) التي اتخذوها شعارا لهم

أفعى سكوتلانديارد

الساعة التاسعة صباحا في شمال لندن. كل شيء ينذر بحدوث مشاكل. تشابتررود، في هذا الصباح من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٧ تعج بالصخب. ففيها ٨٠٠٠ محرض على الاضراب على نحو غير رسمي، وهم يرددون اناشيد خارج معمل لتحميض الصور حيث ينشب خلاف صناعي. وبصفتي صحافيا تقرر له ان يقضي اسابيع عدة مع الجهاز الخاص السريع الحركة في سكوتلانديارد، فقد كنت داخل احدى سيارات الجهاز الزرق الدكناء الواقفة في شارع جانبي مجاور.

كنا ننتظر ونصغي في آن الى ضجيج الجماهير وهو يتزايد. وفي الساعة التاسعة والربع لمعت اشارة، وهي الاشارة التي تسبق العمل مباشرة، او يعقبها الانفجار. رجال الشرطة الذين كانوا يحاولون السيطرة على الوضع يجدون انفسهم فجأة عاجزين عن صد موجة من المتظاهرين المضربين المتدفقين عبر تشابتررود لسد الطريق امام العمال الذين سلكوا هذه الطريق الى المعمل.

في مثل هذه الحال يتعين على رجال الشرطة، بصفتهم حماة القانون، القيام بواجبهم بابقاء الطريق مفتوحة. وحين تكون الهتافات السفيهة هي الرد على طلب الشرطة ابقاء الطريق مفتوحة، يدعى رجال الجهاز الخاص الى التحرك

والعمل فتتحول سياراتنا الناقلة الاثنتا عشرة الى تشابتررود. ويقول لي ضابط في الجهاز: "الشيء الوحيد الاكيد عن وضع عام كهذا هو انه غير ثابت".

رحت اراقب اعضاء الجهاز بزاتهم العادية وبخوذهم الفولاذية وهم ينزلون من السيارات بسرعة. مرة اخرى طلب شرطي من العمال المحرضين على الاضراب اخلاء الطريق. ومرة اخرى صرخوا في وجهه رافضين فتحرك رجال الجهاز فيما تشابكت ايدي العمال في وجههم. ثم اخذ رجال الشرطة يسرعون خطواتهم وقد كونوا تشكيلة تشبه الاسفين الموجه الى قلب الطوق العمالي. وتدافعت الاجسام، واخذت رؤوس الطماطم (البندورة) وعلب الشراب تتطاير.

وفجأة اصطدم رجال الشرطة بالمعدن. اذ كان المضربون جروا سيارتين وسدوا بهما الطريق بعدما افرغوا عجلاتهما من الهواء. ثم انهار الجدار الامامي لحديقة منزل قريب من المعمل وبدأت حجارته تنهال على رجال الشرطة. وبينما كان هؤلاء يبعدون المضربين عن مداخل المعمل، رأيت رجل شرطة بين الاقذار في حال اغماء، الدم ينزف من خده ويلطخ الارض. كثير من رجال الجهاز اصيبوا فأخذوا يعرجون بينما كسرت اصبع زميل لهم. والذين لم يصابوا صبغ معاطفهم عصير الطماطم.

وعلى رغم ذلك، عاد افراد الجهاز الى عرباتهم الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة والاربعين، وقد انجزوا مهمتهم: المتظاهرون اجبروا على التراجع، والسيارتان ازيلتا والطريق اعيد فتحها ومداخل المعمل خلت الا من مجموعات صغيرة من العمال المحرضين على الاضراب.

غادرنا تشابتررود كما جئنا من دون ممانعة او مضايقة وعدنا الى الاحتياط.

ليس فرقة مكافحة

وحين يقول اللندنيون المتمسكون بالقانون ان احدا ما يجب ان يفعل امرا ما لاحتواء الانفجارات العاصفة، من متظاهرين او مشاغبين في مباريات كرة القدم، فان المقصود بذلك غالبا ما يكون الجهاز الخاص الذي يضم ٢٠٤ افراد موزعين على ست وحدات في تصرف كل منها اربع سيارات ناقلة موزعة على مراكز الشرطة المنتشرة في لندن. وفي غضون ساعة واحدة، تكون الوحدات الست على استعداد لمواجهة اي طارىء في نطاق صلاحيات شرطة العاصمة البالغة مساحته ١٢٣٥ كيلومترا مربعا. وفي الفترة الاخيرة كان رجال الجهاز في مواجهة كل اضطراب مهم في لندن، لكن رئيس الجهاز تيرنس كيغان أكد لي "ان الجهاز الخاص ليس فرقة لمكافحة التظاهرات".

ان غالبية مهمات هذا الجهاز، وهي البالغة قرابة ٣٠٠ في السنة، تشمل عمليات متعددة مثل البحث عن الاسلحة المستعملة للاغتيالات والمساهمة في تأمين السلامة في الاحتفالات العامة واجراء التحقيقات الميدانية والتفتيش عن الاطفال المفقودين. واضافة الى القيام بادوار رئيسية في اعتقال الكثيرين من المجرمين، فان افرادا من هذا الجهاز يخفرون غالبا السجناء المهمين الى

المحكمة ومنها خلال محاكمتهم. وعلى رغم المهمات الخاصة المتعددة، فان ضباط الجهاز ينفقون قسما كبيرا من وقتهم في دوريات في مناطق تكثر فيها الجرائم، متنقلين في سيارات او على الاقدام.

ان مرافقتهم تتيح فرصة الاطلاع على عمليات رجال الشرطة البريطانيين في افضل حالاتهم. ويبلغ متوسط خبرة كل منهم السنين العشر ولديه حاسة "شم" قوية، كما يقول رجال الشرطة، تمكنه من تعيين المجرمين المحتملين في شارع مزدحم بالناس.

كنا نسير في سيارة شرطة في شمال لندن حين قال مشغّل اللاسلكي في المقعد الامامي في السيارة ان الروفر الرصينة التي تتقدمنا بسيارتين تساق على نحو عابث. ثم التقط ميكروفونا وطلب قسم الكومبيوتر في سكوتلانديارد وسأل: "هل في الامكان التثبت من سيارة مفقودة او مسروقة من طراز غولف يونيفورم ليما..." وبينما هو يتابع اعطاء مخاطبه رقم لوحة السيارة كان الموظف في قسم الكومبيوتر يحول الرقم الى شاشة ظاهرة موصولة بمركز الكومبيوتر العام التابع للشرطة في هندون. وما كاد الموظف ينهي تحويل الجزء الاخير من الرقم حتى لمع الجواب على شاشته: "ابلغ ان السيارة مفقودة او مسروقة في زولوديلتا (مركز شرطة كرويدون) في ١١ اوكتوبر (تشرين الاول) عام ١٩٧٧". ان عملية التثبت هذه استغرقت ٥٠ ثانية فقط.

في هذا الوقت كانت الروفر ابتعدت وتقدمتنا بخمس سيارات وهنا ضغط سائق سيارتنا زر الصفارة ذات الصوتين، وسحب مقبض الضوء الازرق الساطع على سطح السيارة وانتقل الى جانب الطريق الآخر متجها بعكس السير. وقاد السيارة بسرعة فائقة حتى ادرك الروفر واضطر سائقها، بتوقفه المفاجىء الذي احدث ازيزا في العجلات، الى التوجه نحو حاجز. وكان هذا السائق شابا في منتصف العشرينات من عمره يرتدي بزة بنية لامعة ولا مجال امامه لمحاولة الفرار. وفي وقت واحد تقريبا ترجل من سيارة الشرطة ثلاثة من افراد الجهاز واقبلوا على سائق الروفر ففتشوه ثم اصعدوه الى سيارتهم وقالوا له: "ابق يديك على مؤخر المقعد الامامي"، وهذا تدبير احترازي اساسي لمنع الموقوفين من رمي المخدرات او الوثائق او الادلة الثبوتية المهمة التي تكون في حوذتهم. وفي مركز الشرطة ترجل الضابط الذي اشرف على العملية وسلم السائق المعتقل الى رجال المركز الذين يجرون عادة التحقيق المفصل مع المعتقلين. ويقول المفتش في الشرطة تريغور هوبيتون: "ان اراحة افراد الجهاز الخاص من الكثير من اعمال الشرطة الروتينية تساعدهم على متابعة عمليات مكافحة الجريمة باستمرار".

اكتشاف السيارات المسروقة

ان الحدس القوي يشكل جزءا من هذه المكافحة. كانت سيارة الجهاز الخاص تتحين فرصة للتحول يسارا الى شارع مزدحم وقد اتاحت لها الانتقال الى وسط الازدحام سيارة فيها رجلان، فلوح سائق سيارة الشرطة بيده تعبيرا عن امتنانه لكنه

لاحظ، بواسطة المرآة الخلفية، ان السيارة الاخرى لا تزال متوقفة في هذا الازدحام. "انهما مجرمان"، قالها الشرطي غريزيا، ثم تبين له ولزميله ان في السيارة بطاقات ائتمان وتسليف ودفاتر شيكات وفضة مسروقة في ذلك اليوم. ولدى تفتيش منزلي الرجلين امكن استرجاع اموال بقيمة ٣٠٠٠٠ جنيه، وهي حصيلة ست سرقات.

ولعل اروع ما حققته يقظة رجال هذا الجهاز اكتشافهم عددا كبيرا من السيارات المسروقة. ففي الثامن من شهر مارس (آذار) ١٩٧٣، كان ضابطان من الجهاز يمران بجانب سيارة فورد كوريير قديمة متضررة واقفة خارج سكوتلانديارد حين جمد احدهما فجأة. كانت لوحة السيارة تحمل حرف J اضافيا يعود الى عام ١٩٧٠ او الى ١٩٧١، لكن العربة نفسها هي من طراز ١٩٦٨. وباتصاله بجهازه اللاسلكي الخاص الذي يحمله كل ضابط في الجهاز، تبين له بسرعة ان لوحة السيارة مزورة، وخلال استطلاع ما في داخل السيارة لاحظ الضابطان اشرطة ممتدة الى المقعد الخلفي. وتمكن خبراء تعطيل المتفجرات بعد ذلك من ازالة ١٤ اصبعا من الديناميت و٣٠ كيسا من مسحوق متفجر. وكان من شأن هذه المواد المتفجرة التي تزن ٨٠ كيلوغراما ان تلحق اذى كبيرا بالموظفين في مبنى سكوتلانديارد ذي الواجهة الزجاجية. واعتبرت هذه، من حيث حجمها، كبرى المحاولات التي اقدم عليها "الجيش الايرلندي الجمهوري" في الارض البريطانية.

ان كل واحدة من عربات الجهاز هي مركز شرطة صغير متحرك مجهز بشبكة اتصال عام وبجهاز ضوء كاشف عامل على البطارية، وبوسائل اخرى لمواجهة الطوارىء. وعبر عيون، كعيون الصقور، ووجوه فاحصة مدققة وسيارات سريعة، يبقى رجال الجهاز على اتصال عبر جهازين مستقلين بغرفة المعلومات في سكوتلانديارد وبالشبكة الخاصة بالجهاز.

ان نصف رجال الجهاز تقريبا يرتدون ثيابا عادية. وذات ليلة توقفت عربتنا في ريجنت ستريت ونزلت منها برفقة ضابطين يرتديان سترتين جلديتين وكنزتين من الصوف، واخذنا نتمشى على مهل في الساحة المستديرة تحت بيكاديللي سيركيس وكان رفيقاي يوحيان بالشفقة على مدمني المخدرات الشاحبي الوجوه والمتورمي العيون والمتكئين على الجدران، لكنهما لم يكونا يشفقان البتة على الذين يوفرون لهم المخدر مستغلين بؤسهم. انهما يريدان الاسماء، يريدان القبض بالجرم المشهود على محترفي هذه التجارة السرية التي تتم في اكشاك الهاتف او في مداخل المساكن المظلمة.

وقد تجيء اخباريات المخدرات غامضة تؤدي الى نتائج مؤلمة، فقد قيل ذات مرة للرقيب بيتر وينمان: "ان امرأة ستبيع الهيروين مساء يوم سبت في كوينزواي".

وراح برفقة زميل له يمعنان النظر في وجوه الناس على الارصفة المكتظة وقد لاحظا امرأة مرات عدة وهي تحمل اكياسا مليئة بالحاجات

المنزلية، كأي امرأة عادية، ومع ذلك فقد وجدا في محفظتها لفة تضم ٣٠٠ جنيه. ولما قيل لها انها ستنقل الى مركز الشرطة انفجرت باكية. وبعدما مسحت الدمع عن عينيها رمت المنديل في صندوق النفايات. فسارع وينمان الى استخراجه ووجد فيه آخر كيس من الهيرويين كان في حوزتها. وفي مسكنها ضبط رجلا الشرطة صديقها وهو يعد المزيد من أكياس المخدرات، وقد قدرت قيمتها في السوق بـ٣٢٠٠٠ جنيه.

وغالبا ما تقل الجرائم عندما يتحرك رجال الجهاز الخاص. ومنذ زمن غير بعيد كانت احدى مناطق جنوب لندن تعاني ما يزيد على خمسين حادث سلب او نشل حقائب يدوية في الاسبوع. وقال لي الشرطي ادوارد ستو: "ان تأثير وجود رجال الجهاز الخاص في المنطقة كان قطع دابر الاجرام في الشارع كليا".

تأسس الجهاز الخاص في ابريل (نيسان) ١٩٦٥ لمواجهة حوادث التخريب والسطو على المساكن في عقارات المجالس الجديدة، وسرعان ما اثبت قدرته البالغة على مواجهة المشاكل فصار يستدعى الى اي مكان يحتاج الى المزيد من الشدة. ثم انشىء جهاز مماثل في كل من بيرمينغهام ومانشستر وألستر.

ويعتقد ان مرونة الجهاز احدى الوسائل التي تمكن شرطة العاصمة (٤٣٠٠ شرطي) من التصدي لموجة الاجرام المتزايدة. ففي ١٩٢١ كانت قوة الشرطة تضم ٢١٢٣٠ لمواجهة ١٧٤٠٤ جرائم. اما في ١٩٧٦ فبات على ٢٢٤٣٠ شرطيا مواجهة ٤٧٢٤٧٤ جريمة اي بزيادة ٢٦٠٠ في المئة.

جهاز متطوعين

ان قوى الجهاز الخاص هي دائما في مستواها العالي وتضم متطوعين فحسب وعلى رغم ان هؤلاء يعملون بانتظام نحو ٦٠ ساعة اسبوعيا، مما يعتبر اطول فترة عمل في الشرطة - كما يمكن الغاء اجازاتهم في اي وقت - فان هنالك ثلاثة طلبات، لملء كل مركز يخلو في الجهاز. وقال بول ليوبولد، الرجل الثاني في قيادة الجهاز: "ان حاجتنا الاساسية هي الى الحكم الصائب والاعصاب الباردة. ليس لدينا مكان للمعاند ولا لاي شخص معرض لردات فعل مبالغ فيها في الحالات الصعبة".

وكثيرا ما الاحظ رجل الجهاز يخفف من سلطته بحيث تتحول مهمته الى عمل اجتماعي تقريبا. ففي الثانية والنصف من بعد ظهر احد الايام، شاهدنا ونحن في سيارتنا اربعة فتيان بدا واضحا انهم متخلفون عن المدرسة. تقدم منهم الرقيب توني ميتشل وهو أب لولدين وعنفهم قائلا: "اذا شئتم النجاح في الحياة لا بد لكم من تربية جيدة. انتم تعرفون ذلك، اليس كذلك؟ اصعدوا الى السيارة". فصعدوا واعدناهم الى مدرستهم.

وبينما نسبة رجال الجهاز هي دون واحد في المئة من عدد افراد شرطة العاصمة فان عملهم الثابت يزيد على نسبة عددهم الى حد كبير. وقال المفتش آلان ايفرشيد: "بالعمل المثابر والتنقل والبقاء معا باستمرار يعرف افراد كل وحدة كيف يتصرف الآخرون في وضع معين".

ان افراد الجهاز يرسخون علاقات الزمالة في اطار الفرق الخاصة بلعبة

الكريكيت والصيد والتجديف وشد الحبل.

وفي كل عام يخسر الجهاز نحو ربع عدد افراده بالترقية او بالنقل الى وحدات اختصاصية اخرى.

ان ثمة افرادا في الجهاز يتنازلون عن الترقية بملء ارادتهم لكي يبقوا مع مجموعتهم. ان المتعة هي التنوع المتواصل في عمل الجهاز. ويقول الرقيب ميتشل: "حياتنا مليئة الى ابعد الحدود. اننا لا نعرف ماذا يواجهنا". وحين طوق اربعة من رجال "الجيش الجمهوري الايرلندي" في شقة في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٥، وجد ميتشيل نفسه مضطرا الى التعلم كيف يبني سقالة. فقد اقام مع ثلاثة من رفاقه، خلال ساعة، سقالة ذات اربعة ادوار للوصول الى الشقة المحاصرة من الجهة الخلفية.

ثم ان توقيف السيارات لتفتيشها هي وسيلة فعالة لمكافحة الجريمة وقد تحققت من ذلك بنفسي حين اقام رجال الجهاز حاجزا في هورنسي: سيارة للشرطة توقف في مكان تستطيع ان تنطلق منه لمطاردة اي سيارة لا تمتثل لامر التوقف. وثلاثة من رجال الفرقة مجهزون بسيارة متمركزة عند المنعطف لاعتراض السائقين الذين يقررون الانعطاف فارين من الحاجز. بعد ذلك يبدأ الحاجز عمله، فيأمر شرطي سيارة من كل عشر تقريبا بالتوقف: "المعذرة يا سيدي تفتيش عادي للسيارة" ثم يباشر اثنان من زملائه التدقيق في اجازة السوق ولوحة السيارة وبقية الوثائق الاخرى ويليها تفتيش واجهة السيارة وجيوب ابوابها وخلفيات المقاعد وصولا الى الصندوق. وقال لي رقيب عن هذا الموضوع: "في وسعك خلال نصف دقيقة عادة معرفة ما اذا كانت هنالك اي مخالفة وما اذا كان السائق يتضايق من استيقافه.

وقد وجد راديو سيارة تحت مقعد السائق فنقل الى سيارة الشرطة للبحث عن رقمه في جدول سكوتلانديارد للمسروقات. وبعدها رافق السائق احد رجال الحاجز الى مركز مجاور للشرطة. ولما كان رجال شرطة العاصمة يملكون صلاحيات التوقيف والتفتيش، كما لا يملكها اي رجال شرطة آخرين، فان رجال الجهاز الخاص يقومون بتفتيش في منتهى الدقة للكثيرين من السائقين. وقد فسر احد السائقين الشباب وجود بطاقة اعتماد معه، بغير اسمه، فقال: "كنت في الواقع في طريقي لتسليم البطاقة للشرطة وقد عثرت عليها عندما انتقلت الى شقتي قبل يومين". وفي وقت متقدم بعد ظهر ذلك اليوم تأكد لرجال الشرطة صحة كلامه لكنهم اكتشفوا مصادفة أن بطاقة الاعتماد كانت المفتاح الاول لمعرفة المسؤولين عن سرقة ١٧٠٠٠ جنيه قبل اربعة اشهر.

وعندما تكون ثمة حاجة الى توقيت دقيق وتفكير سريع لتقرير حملات مكافحة الجرائم الخطرة او مقاومة الارهاب او مكافحة الجرائم الاقليمية، يكون اختيار الجهاز الخاص لاداء هذه المهمات امراً طبيعياً. وكثيرا ما يدعى افراد هذا الجهاز الى الاشتراك في حملات الشرطة باعداد كبيرة. ففي الحادية عشرة من ذات مساء وجدتني على اهبة مراقبة حملة كبيرة في جنوب لندن حيث كان افراد الجهاز الخاص يشكلون نحو نصف عدد اعضاء القوة البالغ ١٠٠ شرطي. وكان الهدف

اقتحام مشرب (ناد) يعمل بلا اجازة.
وفي اجتماع عقد في القاعة السفلية في مركز للشرطة وزعت التعليمات ورسوم المشرب الذي يشغل طبقتين وكلف افراد في الجهاز وشرطيون آخرون مهمات محددة في كل زاوية من المبنى. وبعد منتصف الليل بقليل خرج رجال الشرطة من المركز الى قافلة مؤلفة من ١٢ سيارة تحركت بهم في اتجاه المشرب وقبل ان تتوقف سيارتنا خارجه، وهي الثالثة في القافلة، وراء سيارة ذات ٣٠ مقعدا، كان شرطيون من السيارة الامامية قد بدأوا فتح بابين يطلان على الشارع مستعينين بمطرقة ثم اخذ رجال الشرطة يندفعون من العربة ويصعدون السلم.
كان النادي يعج بنحو ١٥٠ شخصا، وعلى الفور سدت كل المنافذ وصعد شرطي الى الطبقة العليا لمنع اخفاء الكحول وادوات الشرب فيما اندفع اثنا عشر شرطيا بين الجمهور للحصول على اثبات للشرب او لضبط المخدرات والاسلحة والمسروقات. خمس دقائق من الهرج والتدافع والتزاحم. صراع بالايدي بين ذوي بزات رسمية وغير رسمية، في حين تستمر الموسيقى عالية كأنها في مباراة ركبي. اصوات كثيرة تدعو الى وقف الموسيقى وكل شخص يعترض العملية او يسيء الى الشرطة يعتقل.
ثم يسود الهدوء تدريجا وتشع غرف النادي بمصابيح الشرطة القوية المتصلة بخط موصول عبر السلم بسيارة لاندروفر واقفة في الشارع. الشاربون الذين يثبتون هوياتهم ولا يثيرون اهتمام الشرطة يؤذن لهم بمغادرة المكان، اما الآخرون فيدون رجال الشرطة اسماءهم وعناوينهم وتواريخ ولادتهم للتأكد من انهم ليسوا مطلوبين بجرائم في سكوتلانديارد. وكان هنالك في تلك الاثناء موظفان اضافيان يدققان في الاسماء بين ثلاثة ملايين اسم في مكتب سجلات المجرمين في مركز سكوتلانديارد.
وفي الاولى والدقيقة الخامسة عشرة صباحا، جيء الى الطبقة العليا بثلاثة كلاب مدربة للبحث عن المخدرات وكان جميع الشاربين المخالفين قد خرجوا من هذه الطبقة وبلغ مجموع الموقوفين ٢٨ شخصا. واشرق وجه شرطي من فرقة مكافحة الاجرام وهو يقول: "هذا احد امكنة التقاء المجرمين في منطقتنا وقد قضينا عليه". وفي الثانية والربع عادت بنا السيارة الى المركز مسرعة في الشوارع الخالية.

عملية "دار الهند"

ان الجهاز الخاص الامين لشعاره وهو أفعى الكوبرا الملتفة نصف التفافة، كثيرا ما يتحرك بسرعة كبيرة تثير انقباض المعدة مندفعا في لندن بسرعة ٩٦ كيلومترا في الساعة او اكثر. على ان احدى اسرع عمليات هذا الجهاز وصلت الى نهاية مؤسفة، ففي التاسعة والنصف من صباح ٢٠ فبراير (شباط) ١٩٧٣، اقتحم ثلاثة شبان ارهابيين "دار الهند" في آلديتش وهم يحملون مسدسين وسكاكين وسيفا وعلبة تضخ مادة حمضية (اسيد) آملين في ان يضغطوا على الهند كي تطلق اسرى الحرب الباكستانيين. وبعد ان ضربوا احد الموظفين بالسيف احتجزوا سبع رهائن في قاعة الاستقبال الرئيسية. وفي التاسعة والدقيقة الخامسة والثلاثين، ابلغ عامل التنظيف الشرطة ما حدث فانطلقت سيارة من مركز الجهاز على بعد حوالي ٣

كيلومترات تشق طريقها وسط ازدحام السيارات والاوتوبيسات والشاحنات واشارات الضوء لتصل الى آلديتش خلال خمس دقائق. ودخل شرطيان مسلحان "دار الهند" من باب جانبي ولدى اقترابهما من قاعة الاستقبال هدد ارهابي مسلح بمسدس وسكين بقتل الرهائن. "اننا مسلحان، الق سلاحك" كان رد الشرطيين. لكن الارهابي اسرع وسط القاعة شاهرا مسدسه فأطلق الشرطيان النار فسقط الرجل قتيلا وعلى الفور انتبه احد الشرطيين الى ان المسلح الآخر يدور ويصوب مسدسه فصرعه بطلقة واحدة. وفي التاسعة والدقيقة الخامسة والاربعين اعتقل الارهابي الثالث من غير ان يصاب بأذى. ولم يتثبت الشرطيان من ان مسدسي الارهابيين كانا مزيفين بعد انتهاء العملية.

واذا كان قرابة نصف افراد الجهاز مدربين على استعمال السلاح الناري فانهم نادرا ما يحملون سلاحا. وفي كل مرة يتسلم الشرطي مسدسا من مركز الشرطة، ويوقع على تسلمه، يذكر بانه لا يجوز له اطلاق النار الا اذا تعرض للخطر هو او من هم في حمايته. ويقال له ان عليه اذا كان اخرج المسدس من قرابه ان يبلغ ذلك عند العودة من مهمته.

ويقبل افراد الجهاز هذا القيد تلقائيا على رغم الهجمات الشرسة التي تعرض لها حديثا غير المسلحين منهم. ففي تظاهرة في ابريل (نيسان) ١٩٧٧، رشق رجال الجهاز بالدقيق والبيض والصباغ وبقنابل الدخان والبالونات المليئة بالدهان. وفي اغسطس (آب) من العام نفسه هاجم المتظاهرون احد سائقي الجهاز وهو يهوي على عجلة سيارة وقعت في مكمن وقد اصابه حطام الزجاج بعمى موقت. وفي كرنفال "نوتينغ هيل" عام ١٩٧٦ جرح ٥٥ شرطيا بالقبضات والطوب والقناني وقطع المعدن، وكان هناك آنذاك ٩٠ شرطيا. وللحؤول دون تكرار ذلك في كرنفال ١٩٧٧ اعطي افراد الجهاز دروعا وادوات واقية. ومع ان هذه الدروع والادوات دفاعية بحتة فان بعض الضباط اخذوا يتساءلون سرا، وبتخوف، اذا لم تكن هذه بداية انزلاق بطيء نحو استعمال اجهزة أكثر عنفا وهجومية.

الوجه الودي للشرطة

وحدثني المراقب بول ليوبولد عن المأزق الذي تواجهه عملية الشرطة في الوقت الحاضر، فقال: "نظام القانون والامن في بريطانيا قائم كله على التعاون مع الجمهور فاذا كان افراد الجهاز واي رجال شرطة آخرين سيلجأون الى خراطيم المياه والغاز المسيل للدموع او العصي فاننا نعتقد اننا نفقد الكثير من هذا التعاون. حتى وسط اكثر التظاهرات شراسة وعنفا يجب الا يغرب عن بالنا ان رجل الشرطة سيعود الى المنطقة ذاتها في اليوم التالي للقيام بمهمة ما".

ويضيف الى ذلك ايلدون غريفيث، النائب والمستشار البرلماني لاتحاد الشرطة طوال ثماني سنوات: "ان بريطانيا لا تزال احدى اسهل الديموقراطيات المتطورة بالنسبة الى عمل رجال الشرطة، وذلك بسبب العلاقة الطيبة القائمة بين الشرطة والجمهور. اننا جميعا مدينون بالكثير الى افراد الجهاز الخاص ورجال الشرطة الآخرين الواقفين في الخط الامامي لمكافحة الفوضى العامة.

ان هذا الشعور بعرفان الجميل

شائع بين سكان لندن وعلى نطاق واسع. ففي زحمة شهر اغسطس (آب) ١٩٧٧ واجه افراد الجهاز الخاص موجة عنف عارمة خلال مسيرة "الجبهة القومية" في لويشام كما قضوا يومين يكافحون الفيضانات في هايز في غرب لندن وقد ارتدى بعضهم المعاطف الواقية. واستمر يعمل والمياه تغمره حتى الخصر، اربع ساعات راصفا اكياس الرمل على ضفتي بيدنيغ بروك.

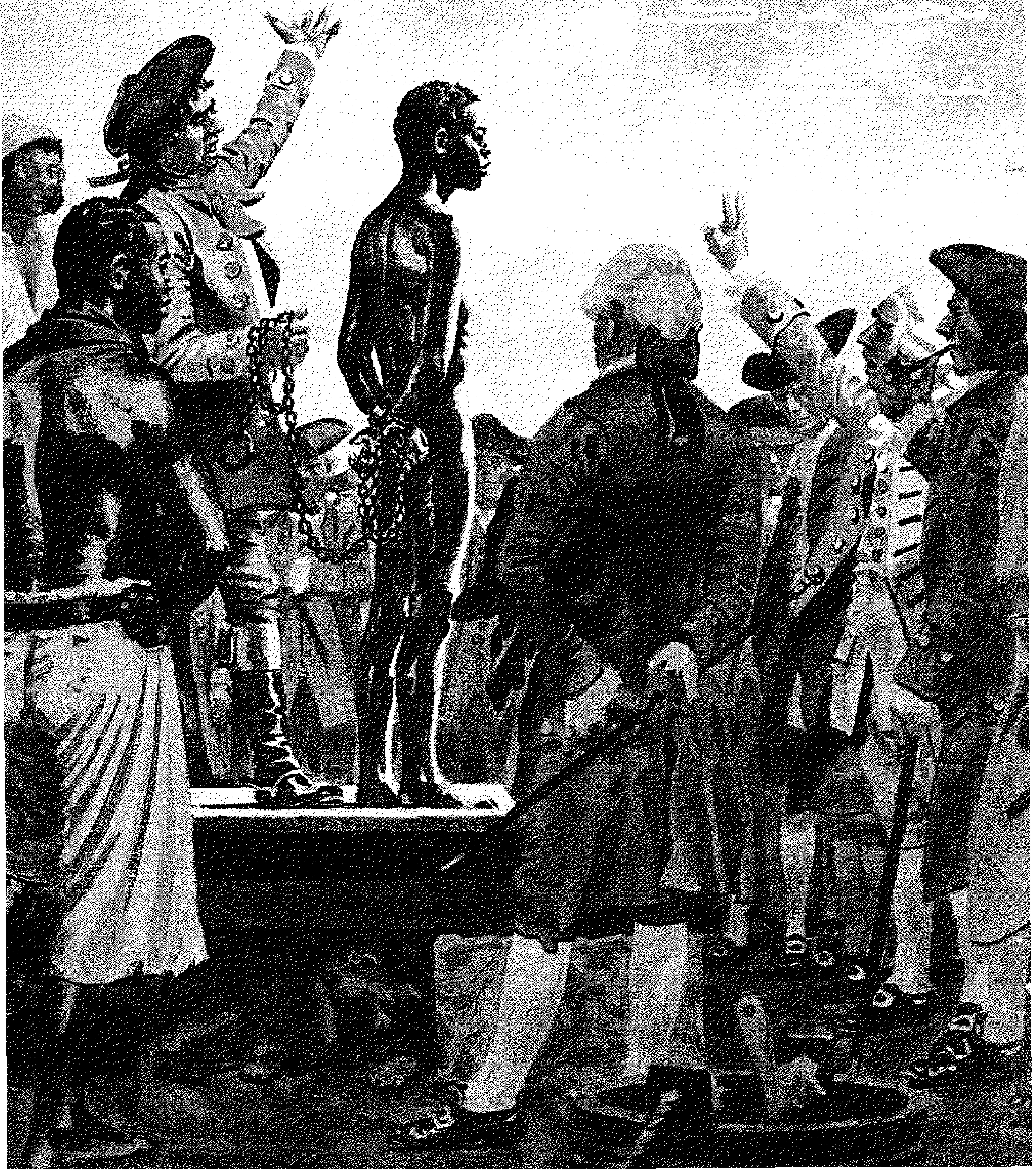
وحمل آخرون في الجهاز مواطنين على ظهورهم انقاذا لهم وساعدوا اصحاب المنازل في نقل اثاثهم الثمين الى الطبقات العليا وتأكدوا من ان المسنين يحصلون على الطعام والادوية واسعفوا الشباب في بعث الحياة في الحيوانات الغارقة في الماء. وبينما كان هؤلاء الافراد يتهيأون للرحيل تقدمت امرأة من اثنين منهم وخاطبتهما بلسان جميع اللندنيين المتقيدين بالقانون: "استمرا في هذا العمل الجيد. لا ادري ماذا كنا نعمل لولاكما".

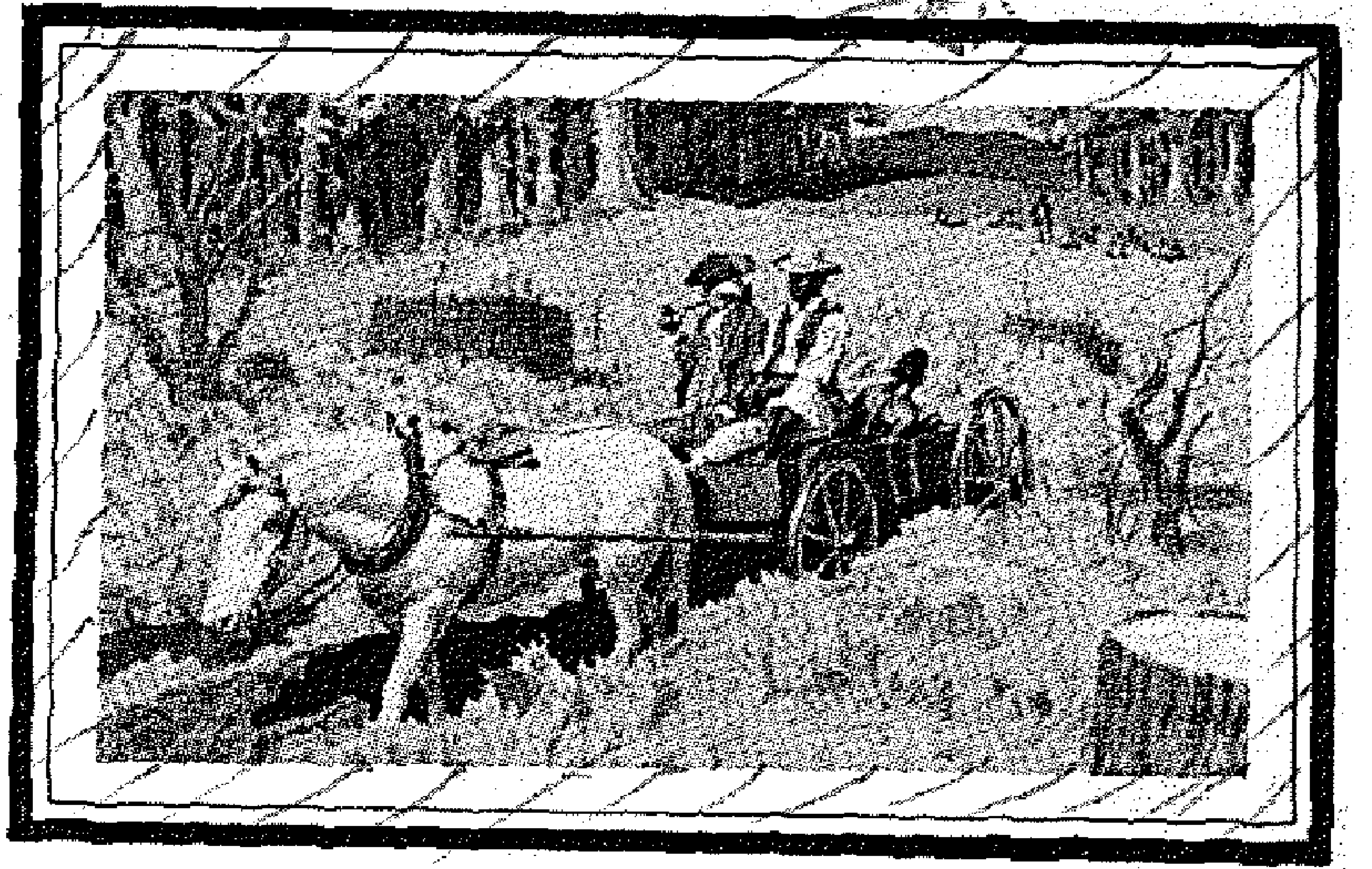
■ **دايفيد مولر**

الكاتب صحافي بريطاني كان اول من سمح له حديثا بان يمضي اسابيع مرافقا لافراد في الجهاز الخاص لدى سكوتلانديارد ومراقبا الصراع الذي يخوضونه ضد الجريمة. وهذا المقال هو حصيلة هذه المغامرة.

كتاب الشهر

الجذور II





الجذور II

ملخص من كتاب بقلم اليكس هيلي

منذ اكثر من عشر سنين، بادر اليكس هيلي الى محاولة طويلة شاقة للاهتداء الى اصل اسلافه. وكان مثله في ذلك مثل سائر الامريكيين السود، لا تتوافر له في البداية سوى مؤشرات واهية تبلغها عن طريق النقل في طفولته. فما كان منه الا ان واصل مساعيه لاستطلاع حقيقة ذاتيته، وراحت الروايات المنقولة عن عائلته القديمة تندرج شيئا فشيئا في موضعها الصحيح بين الوقائع، حتى انتهت به الى وضع كتابه هذا الذي لا تنحصر صفحاته في عرض محنة قاساها رجل فرد، وانما هي في الحقيقة طافحة بصور الملحمة الطويلة الاليمة التي عاشها العنصر الاسود الامريكي.

وفي الجزء الاول من "الجذور"، الذي نشرنا ملخصا له في العدد الماضي (يوليو/ تموز) من "المختار"، تحدث هيلي عن طفولة سلفه كونتا كينتي وصباه في افريقيا، وعن اسره عام ١٧٦٧ على ايدي المتاجرين بالرقيق ومحنة رحلته عبر المحيط الاطلسي في ظلمات احدى سفنهم. ويتناول هذا الجزء الثاني قصة كونتا الشاب في عالم الرقيق الوحشي الغريب، ايام كانت امريكا لا تزال خاضعة للاستعمار.

بلغت السفينة "لورد ليغونير" ساحل ولاية فرجينيا في شهر سبتمبر (ايلول) ١٧٦٧، واقتحمت التيار القوي المتحكم بخليج تشيزابيك قبل ان تتابع رحلتها طوال اربعة ايام الى مقرها النهائي في ميناء انابوليس. وكانت السفينة تنقل في عنبرها الذي يسوده جحيم من القذارة والقمل والوباء، شحنة من السود تضم ٩٨ شخصا اضناهم الضعف وارهقهم السقم، من اصل المئة والاربعين مسترقاً الذين اقلعت السفينة بهم من غامبيا في غرب افريقيا.

وكان هؤلاء يرقدون في الظلام المشبع بالروائح الكريهة ويرتعدون خوفا بعد ان احسوا باقترابهم من ارض التوبوب، الرجل الابيض، واستسلموا لاغلالهم صامتين. وقد ارهف الصمت آذانهم لاستماع طقطقة الاخشاب وصدى اصطدام الامواج ببدن السفينة ووطء اقدام التوبوب عبر السطح.

وظلت السفينة تتأرجح بهم بعنف مستمر على مدى الشهرين والاسابيع الثلاثة التي قضتها في البحر، فتحتك اجسامهم بالالواح الغليظة التي يرقدون عليها، حتى انتشرت القروح الاليمة في ظهورهم واكتافهم تنزف منها الدماء بلا انقطاع.

وقد ضم احد الرفوف المخصصة للسود الشاب كونتا كينتي البالغ السابعةعشرة من العمر.وكان الاسم الذي يحمله موضع احترام واجلال في قريته جوفوري لانه كان اسم جده رجل الدين الطيب الذكر الذي اكتسب شهرة لن تمحي منذ ان توسل طوال خمسة ايام وخمس ليال الى سبحانه تعالى ضارعا اليه ان ينهي الجفاف، فاستجاب الله لدعائه ونجت قرية جوفوري من المجاعة التي تهددتها.

وكان كونتا يعاني مثل الآخرين تسلخا في ظهره في اثناء الرحلة، كما دمغ مثلهم، قبل ان تقلع السفينة، بالحرفين الاولين من اسمها "ل ل". وقد عانى مثلهم ايضا معاناة رهيبة قسوة سياط التوبوب وانتشار الطفيليات والامراض التي اجتاحت ابدانهم، كما انه - مثل معظمهم - قد واصل الصلاة لكي ينزل الله رحمته عليهم ويضع حدا لفترة رعبهم وعذابهم.

وفي اليوم الرابع، بعد ان برزت الارض في الافق، سيق السود بخشونة الى سطح السفينة حيث جرى تنظيفهم مرة اخيرة بالفراشي الخشنة، ثم دهنت اجسادهم بالزيت حتى بدت لامعة. وعندما رست السفينة، دفع الرجال السود الذين استبد بهم الضعف والمرض وشلهم الخوف، تحت وقع السياط التي لا تكف عن القرقعة، فاجتازوا المعبر الخشبي واستقرت اقدامهم فوق أرض التوبوب. وفارت في نفس كونتا رغبة جامحة مجنونة في الهرب، لكن سياط التوبوب فرضت عليه وعلى المشدودين اليه بالسلاسل رقابة لا تغفل.

وبينما كانوا يجرون اقدامهم في رتل متثاقل امام حشد صاخب يمطرهم بالسخرية والاهانات، لمح رجالا من التوبوب في ملابس انيقة يرقبون السود المكبلين وعلى وجوههم امارات الاشمئزاز. واوشك الا يصدق عينيه حين رأى بينهم مخلوقا لا شك في انه انثى توبوب لها شعر بلون القش الاصفر، ورأى كذلك رجلين من السود، اتضح له ان احدهما من قبيلة الماندينكا والثاني من قبيلة السيريري، وهما يسيران خلف رجل

من التوبوب وقد خلا وجهاهما من كل تعبير. ودار رأسه دهشة وذهولا: كيف يستطيع اثنان من السود ان يسيرا في وداعة خلف احد التوبوب؟

وسيق الاسرى الى مبنى كبير مربع من الطين المحروق فيه قضبان مركبة في الفتحات القليلة الموجودة في جوانبه، وزج كونتا ورفاقه في غرفة كبيرة وقيّد معصماه وكاحلاه هو ورفاقه باغلال من الحديد السميك وقد شدت بسلاسل الى مسامير ضخمة مثبتة في الحائط. وتكوم كونتا خوفا فوق الارض الترابية الباردة وراح يضرع الى الله ملتمسا انقاذه.

وبعد حلول الظلام، تمكن كونتا من رؤية النجوم من خلال احدى الفتحات التي تعترضها القضبان بالقرب منه، فهدأت نفسه قليلا وبدأت الافكار تومض في خاطره كما تلوح الظلال في الحلم. وانتفض فجأة وهو يتذكر اهماله الذي ادى الى اسره وهو يبحث خارج قريته عن قطعة من الخشب تصلح اطارا للطبل، والمسيرة الرهيبة الى النهر حيث كان قارب التوبوب الكبير. وعلى رغم عزوفه عن مجرد القرن بين ذكر اسرته واسم هذا المكان البغيض، الا انه لم يقو على اهمال التفكير في ابيه عمر، وامه بينتا، واخوته الثلاثة الاصغر منه. ثم استغرق في النشيج.

واحس كونتا باقبال الفجر، عندما تردد في رأسه صوت معلمه الكينتانغو وهو يقول: "الرجل الحكيم هو الذي يدرس تصرفات الحيوانات ويتعظ بها". ترى، اهذه رسالة من الله؟ لقد كان كونتا اشبه بحيوان في الشرك. ولكم تمكنت الحيوانات التي عرفها من الفرار من دون ان تضطر الى التخبط في الشراك والاستسلام الى الهياج، بل كانت تحتفظ بقواها في هدوء وصمت حتى تأتي لحظة من الاهمال فتتيح لها الفرصة للافلات. واسوة بذلك، لا بد لكونتا من ان يتظاهر للتوبوب وكأنه قد فقد الامل.

ومن خلال الفتحة الصغيرة المدعمة بالقضبان الحديد، عد كونتا ستة ايام وست ليال. وفي كل يوم، كان رجل اسود غريب يحضر لهم الطعام ثلاث مرات، وكان كونتا يبتلعه مرغما لاقتناعه بانه سيعطيه القوة. وبعد وجبة الصباح في اليوم السابع دخل اربعة من التوبوب ظل اثنان منهم في الداخل على مقربة من الباب وهما يمسكان بنادق وهراوات، بينما تولى الاثنان الآخران فك الاغلال الحديد. ووجد كونتا نفسه في صف من ستة رجال مقيدين الى بعضهم بالسلاسل وقد دفعوا الى الخارج في ضوء الشمس الساطع.

ووقف رجل على منصة خشبية منخفضة، واخذ يخاطب الحشد بصوت جهوري: "لقد قطفوا حديثا من الاشجار!... يلمعون كالقرود!" وتمردت انف كونتا عندما اقتحمها زخم رائحة التوبوب الكريهة - وهم يدفعون به مع رفاقه وسط الجمهور. ثم اطلق كونتا من السلسلة التي كانت تربطه بزملائه ودفع نحو المنصة.

وأخذ التوبوب يصيح ثانية: "لا يزال في عنفوانه، شاب طري!" وشل الخوف كونتا حتى اوشك ان يعجز عن التنفس. وكان عدد من التوبوب الآخرين يتحلقون حوله ويقتربون منه، واخذوا يمدون عصيهم القصيرة ومقابض اسواطهم ويفتحون بها شفتيه المنضغطتين ليكشفوا عن اسنانه المطبقة. ونخسوه في جميع اجزاء جسمه، في ظهره وصدره واعضائه التناسلية، ثم خطوا الى الخلف وبدأوا، وسط صياح رجل

المنصة، ينـادون بأعلـى اصواتهـم مدللين: "ثلاثمئة دولار!" "ثلاثمئة دولار!"٠

وتكرر المزيد من الاصوات الغريبة، ثم سمع كونتا "ثمانمئة وخمسين!" وعندما توقف الصياح بعد ذلك، تقدم الرجل الزاعـق وفـك سلسلـة كونتـا وجذبه نحو توبوب خطا الى الامام، ثم رأى كونتا خلف هذا التوبوب رجلا اسود يتضح من ملامحه انه ينتمي الى قبيلة الوولوف، فقال: "اي اخي! انت من وطني٠٠٠" ولكنه بدا وكأنه لا يلاحظ كونتا، وجذب السلسلة بعنف جعل كونتا يندفع متعثرا خلفه، وراح الاثنان يتقدمان خلال الحشد وتوقفا عند شيء شبيه بصندوق قائم على عجلات خلف حيوان ضخم، كان هو اول حصان رآه كونتا في حياته٠ وامسك الاسود بكونتا من وركيه ورفعه والقاه في قعر الصندوق٠

وسمع كونتا طقطقة الطرف الطليق من سلسلته لدى احتكاكه بشيء عند مقدم الصندوق، ثم تسلق الاسود والتوبوب مقعدا وبدأ الحصان يجر الصندوق ويبتعد به عن حافة المياه الرحيبة التي كانت تلامس ارض مولده ويوغل به في اتجـاه بعيـد المسافة عن المكان الذي تشرق منه الشمس٠ وتردد مرة اخرى في رأسه صوت صادر عن قريته من فم احد شيوخها وهو جالس الى جوار النار في جوفوري: "ليس بيننا من يعرف بالحقيقة ارض التوبوب لان احدا لم يعد منها لينقل الينا شيئا عنها"٠



الفرار

راح الصندوق يطقطق على الطريق، فرفع كونتا نفسه وأجال نظره واستطاع ان يرى ما قدر انه حقول التوبوب. وتعرف في احدها على سيقان الذرة فقد قطفت منها الاكواز، وشاهد في حقل آخر عمالا من السود يشتغلون في اشراف احد التوبوب ومر الصندوق قرب صف يضم قرابة عشرين رجلا من السود مشدودين الى بعضهم البعض بسلسلة تتخلل اغلال معاصمهم ويحرسهم توبوب على صهوة جواده، وهم ينشدون غناء حزينا لم يستطع كونتا ان يفهم شيئا من عباراته.

وعند الغسق، انعطف الصندوق ذو العجلات الى طريق صغير وتوقف امام منزل كبير ابيض حيث رأى كونتا عددا من السود، وانتعش الامل في نفسه عندما ابتعد التوبوب متوجها نحو المنزل. ترى هل يحرره هؤلاء السود الآن؟ ولكنهم لم يفعلوا شيئا على الاطلاق، فاستولى عليه العجب وثار غضبه من اولئك السود الذين يتصرفون وكأنهم كالماعز في قطيع التوبوب.

ونام كونتا على الارض مربوطا بالسلاسل الى عمود. وفي الصباح التالي لم يكد يتوافر له الوقت لاداء صلاة الفجر متخذا قبلته نحو الشرق، ثم لم يلبث ان وجد نفسه على الطريق مرة اخرى مع آسريه. وكانت المشاهد والاصوات التي بلغته شبيهة بما كانت في اليوم السابق. ورأى مرتين اخريين، على بعد عن الطريق، بيوت توبوب كبيرة بيضاء، تقوم بالقرب منها اكواخ من الطين والخشب رجح كونتا انها مساكن للسود.

وبعد ان غربت الشمس في اليوم الثالث انعطف الصندوق عن الطريق الرئيسي. وحملق كونتا في دماثة الليل الذي ينيره القمر، فبان له طيف منزل ابيض آخر. وسرعان ما توقف الصندوق وترجل منه التوبوب وتحدث مع الرجل الاسود ثم دخل المنزل بينما استأنف الصندوق ضوضاءه متجها نحو عدد من الاكواخ الصغيرة حيث توقف مرة اخرى، وسمع كونتا طقطقة الشيء الذي يثبت سلسلة قيده، ثم جاء الرجل الاسود وتقدم الى حافة الصندوق، ورفع كونتا بذراع واحدة قوية من فوق جانب الصندوق وانزله على الارض.

وفي تلك اللحظة اشرأب كونتا الصغير، وتشابكت يداه حول رقبة الرجل الاسود، مثل فكي الضبع، فصدرت عن الاسود صيحة مكتومة مبحوحة، واخذ يدق بقبضتيه وجه كونتا وذراعيه ويخدشه باظافره، بينما راحت قبضتا كونتا تتزايد احكاما حول رقبة الرجل حتى تعثر الى الخلف وهمدت حركته.

ووثب كونتا واطلق لساقيه العنان في جنون متجها الى حيث يمكنه ان يرى غابة نائية في ضوء القمر. وظل يركض منحنيا وهو يقتحم بساقيه صفوف اعواد الذرة، وكان الالم يجتاح عضلاته التي اصيبت بالخدر من كثرة الجهود، ولكنه انتعش بنسمات الهواء البارد وكاد يطير فرحا لانطلاق حريته من جديد. وبلغ الغابة، فاندفع الى داخلها يتعثر في النباتات الشائكة المتشابكة. ولكنه مضى يوغل اعمق فأعمق، حتى الفى نفسه فجأة خارج الغابة وسط شجيرات منخفضة، ورأى لصدمته انه امام حقل واسع الاطراف ينتصب منزل ابيض في آخره.

وعاد يعدو من حيث اتى حتى بلغ اكثف بقعة في الغابة، وقد انتشرت

الجروح والخدوش في قدميه العاريتين وسالت منهما الدماء. ثم زحف على اربع داخل مجموعة كثيفة من الشجيرات التحتية وقضى ليلته هناك. وحين اقبل الفجر ركع متجها نحو الشرق وصلى.

وسمع كونتا نباح كلاب عميق عن بعد، ثم اخذ الصوت يزداد ارتفاعا والحاحا، ولم يلبث ان علا صياح الرجال وراء نباح الكلاب، فاندفع في جنون خلال النباتات الشائكة. وما ان بلغ مسمعه دوي بندقية احد التوبوب حتى تملكه الخوف فارتمى وسط الاشواك المتشابكة.

واقبل كلبان يهاجمانه خلال الشجيرات وهما يكشران عن انيابهما ويحاولان ان ينهشاه، فأخذ يدفعهما بيديه وهو يتسلل في الوقت نفسه مثل السلطعون. ثم سمع رجالا يصيحون على حافة الدغل. ودوى صوت البندقية مرة اخرى فتراجع عنه الكلبان وهما يهران.

وهاجمه بضعة رجال مسلحين بالخناجر والهراوات، وميز كونتا بينهم ذلك الرجل الاسود الذي حاول خنقه وقد اكتسى وجهه بحقد قاتل. وكان خلفه عدد من التوبوب وقد احمرت وجوههم وتصبب عليها العرق لما بذلوه من جهد. وتقدم الرجل الاسود منه وهو يفرد حبلا، ثم اصابت رأس كونتا ضربة شلته صدمتها، وسرعان ما ربطت ذراعاه الى جانبيه ووجد نفسه مجرروا بحبل الى خارج الغابة، ثم عبر حقلا الى ان بلغ شجرة حيث لف آسروه الحبل حول احد اغصانها. وبعد ذلك جذبه الرجل الاسود حتى كادت قدما كونتا ان تلامسا الارض. والهب ظهره سوط توبوب فتلوى من شدة الالم ولكنه ابى الصراخ. وتوالت عليه ضربات السوط، واحس بأن كلا منها تقطعه نصفين فأخذ يصرخ، لكن الضربات تعاقبت من دون هوادة حتى فقد الوعي.

وحين افاق كونتا، وجد نفسه ممدا وقد شدت اطرافه في اتجاهات اربعة وربطت بالسلاسل من معصميه وكاحليه الى اربعة اعمدة غليظة في الاركان الاربعة داخل كوخ صغير من الطين. وكانت اقل حركة منه كفيلة باثارة آلام مبرحة، فتمدد ساكنا وقد بلل العرق وجهه وتلاحقت انفاسه في شهقات ضحلة. واخذ يؤنب نفسه لانه لم يتريث كما لا بد وان يتصرف الحيوان الاسير الحكيم. وقال لنفسه: لقد فشلت لانني تعجلت الفرار.

القبيلة المفقودة

في الصباح الخامس، على اثر نفير الاستيقاظ، اقبل الرجل الاسود على كونتا حاملا قيدين من الحديد الغليظ تصلهما سلسلة قصيرة. ثم انحنى واغلق القيدين حول كاحلي كونتا. وبعد ان انتهى من ذلك حل السلاسل الاخرى التي تقيده ثم جذبه بخشونة ليقف على قدميه، وبدأ ينخز صدر كونتا بسبابته ويطلق اصواتا غريبة: "انت - توبي؟" فلم يفهم كونتا شيئا وظل يحملق فيه بغباء.

ودق الاسود على صدره هو وصاح: "انا شمشون!" ثم امتد اصبعه ينخز صدر كونتا مرة ثانية وهو يقول: "انت توبي! السيد يقول ان اسمك هو توبي!"

وببطء ادرك "توبي" المعنى الذي يقصده الرجل، فتملكه غضب جامح، وود ان يصرخ في وجه الاسود صائحا: "انا كونتا كينتي، الابن البكر لعمر ابن الرجل الطيب الذكر خير الله كونتا كينتي!".

واتجه الرجل الاسود بكونتا الى الخارج نحو دلو كبير من الصفيح مليء بالماء كي يغتسل فيه، ثم قذفه ببعض ملابس التوبوب ليغطي بها صدره وساقيه وبقبعة من القش الاصفر ليغطي بها رأسه. وتبع كونتا "شمشون" الذي صحبه في جولة سريعة للتعرف على المكان، فرأى السود يعيشون في عشرة اكواخ اقيمت على صفين وبنيت بكتل خشبية وسدت الثغرات في ما بينها بطين ضارب الى الاحمرار.

وفي احد هذه الاكواخ، قدمت اليه الطعام امرأة عجوز، ثم اشار شمشون برأسه الى الحقول البعيدة وسار نحوها وكونتا يتبعه متعثرا في اغلاله الحديد. وعندما اقتربا، رأى كونتا رجالا من السود يقطعون سيقان الذرة بينما راح النساء والشباب من السود يجمعون القصبات المقطوعة.

وفي الحقل اقبل عليهما توبوب يمتطي صهوة حصان ضخم، وتبادل بضع كلمات مع شمشون فالتقط هذا سكينا طويلة ثقيلة وقطع بها بضعة عشر عودا من الذرة، ثم استدار الى كونتا وامره ان يجمع الاعواد. واقترب التوبوب بحصانه من كونتا رافعا سوطه. واشتعل صدر كونتا بالغضب لعجزه ثم انحنى وراح يجمع العيدان.

وارغم كونتا نفسه في الايام التالية على ان يفعل ما يطلب منه، ولكنه مع تظاهره بالعقم والبلاهة كانت اليقظة تتقد وراء ملامحه الخالية من التعبير. فقد علم بانه في مكان يسمى مقاطعة "سبوتسيلفانيا" في فيرجينيا، وان التوبوب الذي جاء به الى هذا المكان كان السود يسمونه

"السيد"، وان في البيت الابيض الكبير الذي يعيش فيه السيد انثى توبوب تسمى "السيدة"· وقد رآها كونتا مرة من بعيد فبدت له مخلوقة هزيلة بارزة العظام شاحبة اللون كبطن الضفدعة الباهت· وتعلم كونتا ان في الحقول "ذرة"، وعندما تقطع جميع السيقان وتكوم ينصرف السود الى التقاط ثمار كبيرة مستديرة تسمى "اليقطين" (القرع العسلي) توضع في "عربة وتحمل الى "الهرى" (مخزن الحبوب)·

ولكن تصرف السود الاخرين كان اكثر ما لفت انتباهه واثار حيرته· وكان كونتا يجلس في المساء عند مدخل كوخه ويمد رجليه خارج الباب تخفيفا لالم الاغلال، بينما كان الراشدون الآخرون يجلسون بهدوء وسكون على مقاعد خشبية حول النار الموقدة امام كوخ الطاهية العجوز· وكان منظرهم يملأ نفسه بالذكريات الحزينة عن نيران الليل في قريته جوفوري·

وكانت المرأة التي تتولى الطهي في البيت الكبير هي التي تبدأ عادة بالكلام، فتقلد اشياء قالها السيد او السيدة· وكان كونتا يسمع الآخرين وهم يكادون يختنقون اذ يكتمون ضحكاتهم خشية ان يبلغ صداها البيت الابيض الكبير·

ثم يهمد الضحك ويبدأ السود يتحدثون في ما بينهم ببساطة وكان كونتا يسمع من بعضهم لهجة البائس العاجز، ومن البعض الآخر لهجة الغاضب بمرارة، ويميز بين هذه وتلك حتى وان غاب عنه فهم ما يقولون· واخيرا يتوقف الحديث عندما تبدأ احدى النساء الغناء وينضم اليها الجميع· ولم يكن كونتا يفهم الكلمات، ولكنه كن يتلمس ما في النغمات من حزن عميق·

وكان الرجال السود هؤلاء من الوثنيين، عبدة الاصنام، وكانوا يأكلون لحم الخنزير القذر، الا انهم كانوا يقومون باشياء من صميم الحياة الافريقية· وكان كونتا يلاحظ انهم يأتونها عفويا وعلى غير ادارك منهم· فلكم سمع طوال حياته في جوفوري مثل هذه الصيحات التلقائية مصحوبة بالاشارات والتعابير نفسها· وكانت طريقة تحريك اجسامهم هي هي، كذلك طريقة ضحكهم مجتمعين معا·

كيف انوجد هؤلاء الناس في هذا المكان؟

ولم يستطع كونتا ان يدرك ما حدث لهم فدمر عقولهم حتى اصبحوا يتصرفون على هذا النحو من الاستسلام والرضا عن النفس، يبتسمون للسيد وللمشرف على عملهم الشاق·

فلعل السبب انهم لم يعرفوا ابدا موطنا لهم في قرية افريقية، فقد ولدوا سودا في هذا المكان وهم اذا قبيلة مفقودة·

وتأمل كونتا في كل ما رآه وسمعه فلم يقو على فهمه او تقبله· وكان في كل ليلة، قبل ان يغلبه النوم، يقسم لاسلافه بانه سيلوذ بالفرار ويستعيد الحرية وانه يؤثر الموت على الانتهاء الى مصير مثل هؤلاء السود هنا·

الاختيار القاسي

ولم تلبث ان تلوثت القرحة في كاحل كونتا الايسر بسبب القيد حتى اضطر المشرف الى انتزاعه· وفي تلك الليلة وجد كونتا نفسه طليقا فلم يطق

الانتظار ولاذ بالفرار، وانما لم يطل به الامر بعد ان تعقبه شمشون وقبض عليه على مسافة قصيرة من الكوخ.

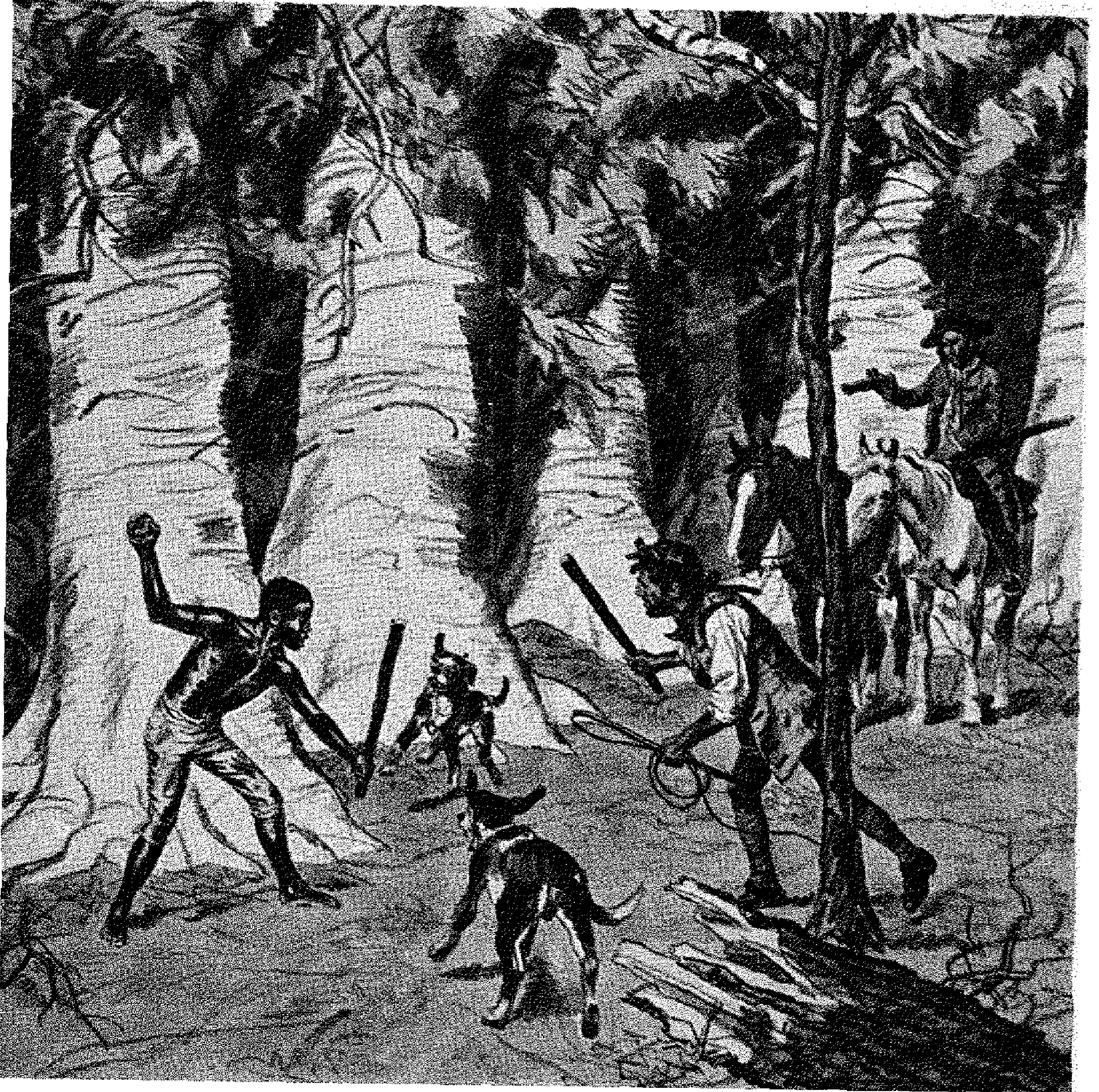
وتلقى كونتا عددا من اللكمات والرفسات، ولكنه لم يجلد ولم يكبل. ثم تمكن من الفرار مرة اخرى بعد ان سقط من السماء ذلك الشيء الذي قال السود ان اسمه "الثلج". وقد طارده المشرف هذه المرة على ظهر حصان من جياد المزرعة الضخمة حتى لحق به مقتفيا آثار قدميه على غشاء الثلج الابيض الذي يغطي الارض، وعاد به ليجلد ويكبل بالسلاسل. غير ان كونتا ظل موقنا في قرارة نفسه ان لا بد له من الفرار مرة اخرى في اول فرصة سانحة.

وتعاقبت الاقمار، وحرثت الحقول وبدأ غرس البذور في الربيع من مختلف الانواع، معظمها بذور الذرة وشيء آخر اسمه "القطن". وقد فكت السلاسل عن كونتا فاخذ يتحين الفرص ويتظاهر بالرضوخ للاوامر ويقتلع الاعشاب من بين المزروعات. وعندما بدأ الحصاد، لاحظ كونتا ان العربات تتوافد بكثرة متزايدة على الطرق البعيدة لتنقل القطن الى السوق. وجالت في خاطره فكرة فذة: ان يختبيء في احدى هذه العربات لتحمله بعيدا.

واوشك رأسه ان ينفجر لفرط تدقيقه في تفاصيل الخطة. واستبعد من حسابه عربات القطن الخاصة بالمزرعة التي يعمل فيها لانها خاضعة للرقابة باستمرار. فلا بد له اذا من ان يهرب في احدى تلك العربات التي رآها من بعيد تروح وتجيء على الطريق الرئيسي.

وتظاهر ذات ليلة بالذهاب الى

المرحـاض الخـارجـي وراح يـدرس الطريق. وفهم من اضواء العربات المرتجفة بان السير على الطريق لا ينقطع في الليل كما في النهار. وفي ليلة اخرى تمكن من قتل ارنب بحجر، وجفف لحمه كما تعلم ان يفعل في جوفوري، ثم عثر على سكين قديمة صدئة فشحذها حتى ارهف حدها، وصنع مقبضا من الخشب زودها به، كما صنع تعويذه له ركز فيها ريشة ديك لاجتذاب الارواح وشعرة حصان لتجلب له القوة، وعظمة الترقوة من الطير لتوفر له النجاح، ولف ذلك كله وخاطه داخل قطعة من الخيش.



وذات مساء، وضع في احد جيوبه القطع المجففة من لحم الارنب وربط التعويذة باحكام حول زنده الايمن، وقبع في كوخه يرهف سمعه خلال الباب حتى بلغته اصداء الحركات المألوفة التي تصدر عن السود قبل ان يأووا الى مضاجعهم. واخيرا توقف غناؤهم الحزين، فانتظر حتى استوثق من انهم قد ناموا، ثم حمل سكينه التي صنعها بيده وانسل خارجا.

واجال الطرف فلم ير احدا حوله، وطمأنته حواسه الى ذلك، وبدأ الركض. وعندما بلغ النقطة التي يلتقي عندها طريق المزرعة بالطريق الرئيسي ربض وسط اجمة كثيفة، ولم يطل به الوقت حتى سمع ضجيج عربة مقبلة، ولكن الانتظار امتد حتى بدا له دهرا قبل ان يدخل ضوء مصباح العربة المرتعش في دائرة بصره. واقبلت العربة في النهاية حتى حاذته تماما، فرأى شخصين جالسين فوق مقعدها الامامي، وليس في مؤخرها اي رقيب. واندفع كونتا من بين الشجيرات باسنانه المطبقة وعضلاته المرتعشة وجرى منحنيا خلف العربة متسترا صريرها وطقطقتها. وعندما تخبطت العربة في بقعة غير ممهدة من الطريق امسك كونتا بمؤخرها وقفز فوق سورها الخلفي المنخفض.

وكان الليل حليفه، فاختبأ داخل القطن لا يشعر به احد، حتى لاح نور الفجر يلامس الافق، فترك العربة وسارع الى الاختفاء في دغل قريب.

وعندما دخل الدغل اسعده ملمس الندى على جسمه، فراح يؤرجح سكينه وكأنه ريشة خفيفة بين اصابعه، وهو يتوغل في ما بدا له انه غابة تمتد على مساحة كبيرة. وعند العصر، تزود بقطعة من لحم الارنب المجفف مضغها بعد ان بللها بالماء، ثم واصل توغله الى ما بعد غروب الشمس، حيث اعد لنفسه فراشا من الاعشاب واوراق الشجر.

وتابع سيره في الصباح التالي، جاهلا اين هو والى اين يتجه. والمهم في نظره هو ان يهرب فحسب. واذا استطاع ان يواصل سيره نحو مشرق الشمس فلا بد ان ينتهي به ذلك بعد حين الى مكان القارب الضخم. ثم تساءل: وماذا عساي ان افعل بعد ذلك؟ وعندما حاول الاجابة احس بالثقة تخونه وبالخوف ينتابه، فاخذ يكثر من الصلاة ولا يكف عن لمس تعويذته.

وقضى اربعة ايام مرتحلا في الغابة وهو لا يسمع غير نقيق الضفادع واصداء الطيور والحشرات. وفي صباح اليوم الخامس هب من نومه مذعورا على نباح الكلاب، وكان ذلك اكثر ما يخشاه. ووثب وانطلق يعدو. ثم تبين انه قد نسي سكينه فاندفع عائدا وأخذ يبحث عنه بيأس بين الفروع والاوراق ولكنه لم يجده. واخذ النباح يتقارب، فالتقط كونتا حجرا في حجم قبضة يده وتابع العدو، وقد طار صوابه فراح يتعثر ويقع مرة بعد اخرى.

وتمكنت كلاب الصيد من محاصرته في ساعة متقدمة من صباح اليوم التالي عندما اعجزه الاعياء عن مواصلة العدو، فوقف ينتظر وقد اسند ظهره الى جذع شجرة وهو يمسك بيده اليسرى فرعا غليظا كالهراوة، بينما تلتف قبضته اليمنى كالمخالب حول الحجر. وتوقفت الكلاب بعيدا عن متناول هراوته البدائية وهي تواصل النباح ولعابها يسيل، حتى ظهر

اثنـان مـن التوبـوب مقبليـن علـى صهوتي جوادين، ولم يكن كونتا قد رآهما من قبل، اذ كانا من قناصي العبيد المحترفين.

وترجل اكبر الرجلين سنا وسار نحوه وهو يحمل هراوة في احدى يديه وسوطا في اليد الاخرى. وعندما اقترب التوبوب قذفه كونتا بالحجز، وسمعه يصرخ ورأى الدم يسيل من رأسه.

وبدأ الرجلان يقتربان منه معا وقد حمل كـل منهمـا بندقيـة وهـراوة. وادرك من ملامحهما انه سيموت ولكنه لم يعبأ بذلك، وانهالا عليه بهراوتيهما حتى كاد ان يفقدوعيه ولكنه لم يكف عن المقاومة والصياح وهما يمزقان عنه ملابسه ويقيدانه الى شجرة. وبعد ان اعجزته قيوده عن الحركة استجمع عزيمته ليواجه ما توقعه مـن انهمـا سيضربانـه حتـى الموت.

ثم توقف التوبوب الذي جرح رأسه فجأة، وتغيرت ملامحه في ما يشبه الابتسامة، وخاطب زميله الاصغر سنا بكلمـات مختصـرة، فابـتسـم هـذا ابتسامة بشعة وهز رأسه، ثم عاد الى حصانه وحل من سرجه بلطة صغيرة اعطاها لرفيقه.

ووقف التوبوب الجريح امام كونتا، واشار الى خصيتي كونتا ثم الى سكين الصيد الذي يحمله في حزامه، ثم اشار الى قدم كونتا والى البلطة التي يحملها في يده.

وفهم كونتا ان عليه ان يختار: اما قدمه او خصيتاه. وصاح بد من اعماق دماغه صوت يقول: ان الرجل، لكي يكون رجلا، لا بد ان ينجب ابناء، فاندفعت يداه تغطيان عورته.

وكان الرجلان التوبوب يبتسمان ابتسامة نجسة. ودفع احدهما بكتلة من الخشب تحت قدم كونتا اليمنى، بينما ربط الآخر القدم الى الشجرة رباطـا شديـدا لـم تفلـح معـه كـل محاولات كونتا العنيفة لتحريرها، ثم التقط التوبوب الجريح البلطة.

ظل كونتا يصيح ويحاول الافلات، لكن البلطة ارتفعت ثم هوت فبترت نصف القدم الامامي. وما ان تفجر فيها الدم حتى تلاشى كونتا وارتخى جسده.

امرأة اسمها "بل"

حين عاد كونتا الى وعيه تبين انه في مكان جديد، داخل كوخ، وكان مربوطا من معصميه وكاحليه، وقد رفعت قدمه اليمنى فوق شيء لين.

واقبل توبوب طويل القامة يحمل حقيبة صغيرة سوداء لم يره كونتا من قبل. ونش (طرد) التوبوب الذباب. وانحنى الى جانب كونتا وفعل شيئا بعث في كيان كونتا دفقات من الالم الهائل جعلته يصرخ كالنساء، فنادى التوبـوب: "بـل!"، فدخلـت امـرأة سوداء قصيرة القامة متينة البنيان وهي تحمل ماء في وعاء من الصفيح. واخرج التوبوب شيئا من حقيبته السوداء واذابه في الماء، ثم ركعت المرأة السوداء وامالت القدح كي يشربه كونتا. وكان طعم السائل غريبا ولم يلبث كونتا بعد تجرعه ان غرق في سبات عميق.

وعندما صحا ادرك انه في اعياء شديد: كان جانبه الايمن بكامله خدرا وشفتاه جافتين بالحمى وعرقه تفوح منه رائحة المرض. وحاول على غير وعي منه ان يحرك اصابع قدميه ففوجىء بدفقة الم بالغ ثم فتح الباب ودخلت المرأة السوداء ثانية

وتربعت الى جانبه وضغطت قطعة من القماش المبلل البارد على جبينه.

وفي زيارتها التالية حاولت ان تحثه على الاكل. وكان هزاله قد اشتد فبدا انحف مما كان في الاسبوع السابق عندما فوجئت بل وهي تقدم وجبة الظهر بمن يستعجلها لكي تعاون على رفع الكتلة الدامية من العربة، بعد ان اصدر "الشريف" امره الى قناصي العبيد بتسليم هذه الكتلة الى الطبيب ويليم والير، شقيق الرجل الذي يملك كونتا. وكان الطبيب، سيد بل، قد اكفهرت هيئته غضبا حين علم بأمر التشويه الذي اصاب كونتا.

ووضعت بل على صدر كونتا العاري كمّادة ساخنة قوية الرائحة يتصاعد منها البخار، صنعت من اوراق البيلسان الممزوجة بالكبريت، ثم وضعت قطعا مبللة من القماش فوق الكمّادة وغطت كونتا بلحاف ثقيل.

وصحا كونتا وشعر بزوال الحمى وتساءل: اين تعلمت تلك المرأة مثل هذه المداواة الشبيهة بالتي كانت امه بنيتا تصنعها من اعشاب ارض الله، كما نقلت اليها بالوراثة عن الاسلاف.

وبدأت حدة الم تخف، باستثناء الفترات التي يأتي فيها التوبوب الطويل القامة لمتابعة علاجه اليومي. وذات يوم فك الرباط الذي يوثق كونتا الى الاعمدة، وتمكن من النهوض مستندا الى مرفقيه، فقضى ساعات يحملق في الاربطة التي تلف ما بقي من قدمه. لقد قضى معظم عمره الذي يبلغ ١٨ موسما ماطرا وهو يجري ويرتع ويتسلق حيث شاء، وها هو الان ضحية الوحشية التي ارتكبها ذلك التوبوب حين بتر له نصف قدمه. ونفّس عن غيظه ومذلته بانتفاضته

سوني
SONY



في البداية ترينيترون، والآن بيتاماكس
سوني تعطيك الابتكار العظيم تلو الآخر



في البداية انطلقت سوني بتكنولوجيا الفن التلفزيوني الى مستوى جديد بواسطة تلفزيون ترينيترون الملون. هذه التكنولوجيا تقدم لك الآن بيتاماكس، أول مسجل تلفزيوني للبيت. أربط بيتاماكس بجهازك التلفزيوني لتسجيل أي شيء ترغب بمشاهدة عرضه من جديد.
فإذا كان لديك برنامجان مفضلان في نفس الوقت، يمكنك مشاهدة احدهما في الوقت الذي يسجل فيه بيتاماكس الآخر.
ولتسجيل البرامج المفضلة أوتوماتيكيا وأنت خارج البيت، ما عليك إلا ضبط جهاز الوقت اليومي كما وان بإمكانك مشاهدة عرض التسلية المسجل مسبقا في أي وقت تشاء. حول غرفة الجلوس الى مسرح في البيت بواسطة الأفلام العادية والوثائقية. والبرامج العائلية من مختلف الأنواع.
بيتاماكس يستخدم اصغر فيديو كاسيت واوفره كلفة في العالم. وهو سهل التوضيب والتعامل معه، وبالرغم عن أنه يتسع لشريط أطول من أي كاسيت آخر بالنسبة لحجمه، ويدوم أكثر من ثلاث ساعات.
كما وان جهاز بيتاماكس بوـ لودنغ الذي انتجته وطورته سوني، اثبتت التجربة انه الأشد اعتمادا والاكثر متانة وحمولة اذاعية بين سائر أجهزة التسجيل التلفزيوني.
عشرون عاما من الاختبار في حقل التكنولوجيا، حققت لك أولا الترينيترون، وتحقق لك الآن بيتاماكس... الابتكار العظيم بعد الآخر.

Sony Betamax سوني بيتاماكس
شاهد ما فاتتك مشاهدته

على المرأة السوداء عندما جاءت تطعمه، فراح يزمجر بلغة الماندينكا ويدق بالقدح المعدني على الارض بعد ان شرب ما فيه. ثم استلقى، وقد تزايد غضبه، واخذ يفكر في ذلك الدفء الذي بدا في عيني المرأة عندما شاهدت فورته.

وبعد ثلاثة اسابيع نزع التوبوب الضمادات فأوشك كونتا ان يصرخ عندما رأى ان نصف قدمه المتورم تغطيه قشرة سميكة بنية اللون. ورش التوبوب على قدمه شيئا ثم لفها برباط خفيف وانصرف. وعاد بعد ثلاثة ايام يحمل عصوين متينتين لكل منهما رأس متفرع الى شعبتين. وكان كونتا قد شاهد الجرحى في جوفوري يستعينون على المشي بمثل هذه العصي.

وبعد انصراف التوبوب، تحامل كونتا على نفسه وجرّب العصوين فتمكن من التقدم بضع خطوات غير منتظمة مستعينا بأرجحة جسمه. وعندما جاءت بل تحمل اليه افطاره في الصباح التالي لمح علائم السرور على وجهها وهي تلاحظ آثار العصوين على الارض الترابية، فقطب في وجهها وابى ان يتقبل الطعام الا بعد انصرافها. أكل عندئذ بشهية تقارب النهم، علما منه بأن الطعام يمده بالقوة. ولم تمض ايام قلائل الا وقد اصبح يتجول حرا حول كوخه.

عازف الكمان

كان السود في تلك المزرعة يتجمعون في المساء عند الكوخ الاخير من الصف الذي يقيم فيه رجل يقارب الخمسين من العمر، اسمر البشرة، مما يدل على ان اباه كان ابيض. وكان كونتا يرهف اذنيه فيسمع من خلال باب كوخه الرجل الاسمر يتكلم بلا انقطاع تقريبا. وكان يسمع الآخرين ينفجرون حينا بالضحك ويمطرون الرجل احيانا اخرى بالاسئلة. وتساءل كونتا في نفسه عمن يكون ذلك الرجل.

وذات يوم مر كونتا بالكوخ فأومأ اليه الرجل الاسمر بأن يجلس على مقعد هناك، فجلس كونتا امامه.

وقال الرجل: "لقد سمعت عما يملأ نفسك من هياج وغضب. فأنت سعيد الحظ لانهم لم يقتلوك! فالقانون يجيز لكل من يقبض عليك في اثناء هربك ان يجهز عليك، والقانون يقول بقطع اذنك اذا قال البيض انك تكذب، والقانون يمنع تعليم القراءة او الكتابة للزنوج، والقانون يحظر دق الطبول على الزنوج او اتيان اي عمل من تلك الاعمال الافريقية..."

وما هم كونتا ان لم يفهم تماما ما يقوله الرجل، طالما تملكته النشوة لمجرد وجوده امام شخص يبادله الحديث مباشرة. وكان الرجل يحب الكلام. وفكر كونتا في نفسه: لو كان هذا الرجل يعيش في افريقيا لاصبح على الارجح راوية متجولا من اولئك الذين يروون تاريخ الملوك القدامى والعشائر والعائلات.

وظل كونتا ارقا الى ساعة متقدمة من تلك الليلة، تتنازع عقله صراعاته الداخلية. وتذكر شيئا قاله له ابوه ذات مرة عندما رفض السماح لاخيه لامي بأن يقضم جزءا من مانغو كانت في يده. فقال له عمر يومذاك: "اذا ما اطبقت قبضتك بشدة فلن يستطيع احد ان يضع شيئا في يدك". غير انه كان يعلم ايضا ان اباه لا يريده ان يصبح كسائر السود.

وذات عصر قال الرجل الاسمر فجأة: "انظر هنا! انت، انت يا توبي!"

فتصاعد الدم الى وجه كونتا غضبا وقال بعنف مندهشا من نفسه: "كونتا كينتي"· وكانت تلك اول كلمات يتفوه بها منذ أكثر من عام بعد وصوله الى ارض التوبوب·

وقطب الاسمر جبينه استنكارا وقال: "انت توبي· يجب ان تتناسى ذلك الكلام الافريقي! فهو يثير غضب البيض ويرتاع له السود"· ثم نظر حوله والتقط شيئا خشبيا غريب الشكل له عنق اسود نحيل وقال: "كمان!"

وانتهز كونتا فرصة عزلتهما، فاعاد نطق الكلمة، وقال مترددا: "كمان···"

وراح الرجل الاسمر يشير الى اشياء اخرى، "دلو··· كرسي··· قش ذرة"، وكونتا يكرر مفرداته· وعندما انتهيا من أكثر من عشرين كلمة، غمغم الرجل الاسمر: "أرى انك لست غبيا كما يبدو من مظهرك"·

واستمرت الدروس· وبعد فترة، اصبح كونتا قادرا لا على الفهم فحسب وانما ايضا على التحدث بلغة مفهومة الى الرجل الاسمر الذي شاء ان يكون اسمه "عازف الكمان"·

وذات يوم تلقى كونتا حذاء احضره رجل اسود يدعى جدعون يهتم بصنع اطواق الجياد واحذية السود· وكان النصف الامامي لاحدى فردتي الحذاء محشوا بالقطن· وضع كونتا الحذاء في قدميه، فشعر بلذعات في نصف قدمه اليمنى عندما مشى به حذرا حول كوخه، ولكنه القى في النهاية بثقله كله على القدم من دون ان يحس بألم شديد· وكان يظن قبل ذلك انه سيضطر الى العكازين على الدوام·

وفي الاسبوع نفسه، سمع "عازف الكمان" من لوثر، سائق العربة

الاسود، ان كونتا اصبح ملك التوبوب الطبيب، واخذ يشرح لكونتا بحرص وعناية: "يقول لوثر ان السيد حصل على عقد بتملك من اخيه الذي كان يملكك سابقا. والسود هنا يزعمون انه سيد طيب. وقد رأيت من هو اسوأ منه. ولكنهم جميعا لا خير فيهم".

وفي تلك الاثناء تقريبا، كان كونتا يعنى بتقويم زمني درج فيه بانتظام على اسقاط حصوات في قرعة فارغة. وقد قدر انه قد انفق ١٢ قمرا في مزرعة التوبوب الاول، فأسقط في القرعة ١٢ حصاة، ثم اسقط ٦ حصوات اخرى عن الفترة التي قضاها في بلاد التوبوب. فبلغت في جملتها ١٨ قمرا. وأضاف كونتا الاشهر الثمانية عشر الى مواسمه الماطرة السبعة عشر التي عاشها قبل خطفه من جوفوري، فقدّر انه الان في عامه التاسع عشر.

"انتهت الحرب"

وبعد مضي وقت قصير، اقبل على كونتا رجل اسود عجوز يفلح حديقة صغيرة للخضر وقال له: "لقد امر السيد بأن تعمل معي"، واوضح لكونتا كيف يعزق الاعشاب الضارة ويزيل الديدان عن ثمار الطماطم (البندورة) والحشرات عن ثمار البطاطا. وعندما مرض البستاني العجوز، اصبح كونتا يفلح الحديقة وحده. وتتابعت الايام غائمة في ذهنه حافلة بالتعب والعرق وهو يكدح في حراثة الحديقة وزرعها وقطف غلالها وتقديم الخضر الى الطاهية السوداء بل كي تطبخها للبيت الكبير.

ولدى حلول الليل كان التعب يبلغ منه مبلغا يعجز معه عن القيام بأي شيء سوى القاء جسده المكدود على الفراش المحشو بقش الذرة، فينام بملابسه التي بللها العرق.

وفي بعض الاحيان كانت تراوده فكرة الفرار، غير ان الذكريات الرهيبة لما قاساه كانت تهمد هذا الحافز وتحمله على التعقل.

وذات صباح في شهر مارس (آذار) من عام ١٧٧٠، اندفعت بل نحو الحديقة هائجة الاعصاب تصيح بلهجة مليئة بالاضطراب: "لقد انصرف الان رئيس الشرطة بعد ان اخبر السيد ان هناك قتالا كبيرا يجري في الشمال في مكان اسمه بوسطن! والسيد قلق جدا لذلك". ثم جاء لوثر سائق العربة بمزيد من المعلومات فقال: "لقد ثار اهل بوسطن ثورة شديدة على ذلك الملك المقيم عبر البحر الكبير وهاجموا جنوده، فأطلق الجنود النار وكان اول من قتل كريسبوس اتوكس، وهو زنجي! وقد وصف ذلك بمذبحة بوسطن".

ودرج لوثر منذ ذلك الوقت على نقل اخبار يستقيها من العبيد وسائر السائقين الذين يحدثونه عن الخلاف القائم مع انكلترا. وقلما مر يوم واحد من دون ان يتلقى العاملون في الحقل نبأ من مزرعة مجاورة او من عبد عابر على بغله وهو ينادي بنغمة مستطيلة: "يو.. هو.. آه.. هو.. ألا تسمعون ندائي؟" فيهرع اقرب العاملين في الحقل الى ملاقاة صاحب النداء ليلتقط منه آخر الاخبار، ويسرع عائدا الى الحقل لينقلها بدوره الى الآخرين.

واستمرت الانباء، عبر الفصول، في شذرات متناثرة، عما يحدث هناك في الشمال. وبينما كان كونتا يلقي حصاة بعد اخرى في قرعة تقويمه الزمني، كان يحاول ان يفهم ذلك كله. وقد تبين له باطراد ان اناس

التوبوب يواجهون ازمة شديدة مع ملك التوبوب. ووجه كونتا اهتمامه الخاص الى ذلك الشيء الذي يسمونه "الحرية"، وكان افضل تفسير لها هو الذي حصل عليه من "عازف الكمان" فقد قال له ان معنى الحرية هو الا يكون للانسان سيد على الاطلاق، وان يفعل ما يريد ويذهب حيثما شاء. ولكن كونتا استغرب الامر وأخذ يسأل نفسه: "لماذا يضطر البيض الى الحديث عن الحرية؟ وما الذي يحرمهم اياها؟".

وجاءت الاثارة الكبرى مع الاخبار التي وردت في اواخر عام ١٧٧٥ تفيد ان اللورد دانمور، الحاكم الملكي لفرجينيا، قد اعلن منح الحرية للعبيد الذين يتطوعون للخدمة في اسطوله لمعاونة ملك التوبوب. وبعد ذلك بفترة قصيرة استدعى السيد والر الطاهية السوداء بل الى قاعة الجلوس في البيت الكبير، وقرأ عليها ببطء مرتين متواليتين خبرا منشورا في صحيفة "فيرجينيا غازيت"، ثم امرها بأن تكرره على مسامع العبيد وتطلعهم على معناه. وكان الخبر يقول ان مجلس المواطنين في فرجينيا قرر "... ان يعاقب بالموت من دون حضور رجال الدين كل زنجي او عبد آخر يتآمر بقصد التمرد".

وسأل احد عمال الحقل: "ما معنى ذلك؟"

فقال "عازف الكمان" بجفاء: "معناه انك اذا تمردت فان البيض لن يستدعوا قسيسا عندما يعدمونك".

وازدادت الاثارة في الصيف التالي حين عاد لوثر من عاصمة المقاطعة بأخبار تقول ان "جميع البيض لا ينقطعون عن الصراخ والضحك. شيء له علاقة بما يسمونه اعلان الاستقلال".

وهز البستاني العجوز رأسه وقال: "ليس في هذا ولا في ذاك ما يدعو الزنوج الى الاغتباط والتهليل، لان



انكلترا والشعب هنا كلهم بيض سواء بسواء".

وفي عام ١٧٧٨، جاءت بل بخبر يقول ان العبيد نالوا وعدا بالحصول على حريتهم اذا هم تطوعوا في الجيش عازفين على القرب او كشافين. وسأل احدهم عن معنى كلمة "كشاف"، فأجاب "عازف الكمان": "معناها ان تكون في الطليعة وان تقتل!" وعندما انبأتهم بل بعد ذلك بأن هناك ولايتين، كارولينا الجنوبية وجورجيا، قد رفضتا السماح للعبيد بالتطوع في الجيش، جاء الرد سريعا من "عازف الكمان": "ذلك هو الشيء الوحيد الطيب الذي سمعته عن اي من هاتين الولايتين!"

وفي شهر مايو (ايار) من عام ١٧٨١ بلغهم النبأ المذهل: ان الجنود ذوي السترات الحمراء (الانكليز) من راكبي الجياد قد دمروا مزرعة السيد توماس جفرسون. ثم اخبرهم لوثر ان جيش السيد جورج واشنطن آت لانقاذ فيرجينيا - "وهو يضم كثيرا من الجنود الزنوج!" وفي اكتوبر (تشرين الاول) من العام نفسه هاجم الجيش قوات الجنرال كورنواليس عند يوركتاون، ولم يلبث ان علا الصياح في مساكن العبيد عندما نقلت الانباء استسلام الجنرال كورنواليس.

وراحت بل تردد لكل من تلقاه: "انتهت الحرب! جاءت الحرية! يقول السيد ان السلام سيسود الآن".

ولكن "عازف الكمان" علق على ذلك بلهجته المريرة المألوفة فقال: "لن يكون هناك سلام ولا هراء من هذا القبيل! اصغوا الي جيدا: ان الامور ستزداد سوءا، بالنسبة الى الزنوج".

حديث العبيد

بعد انتهاء الحرب بقليل ساعد لوثر فتاة من العبيد على الفرار، فاكتشف امره وبيع بالمزاد، وخلفه كونتا في قيادة العربة، ففسح له عمله الجديد آفاقا شاسعة، اذ كان يصحب الدكتور والر في جولاته لمعاينة مرضاه، فأتاح له ذلك ان يزور كثيرا من المزارع في ارجاء المنطقة، وان يرى البيض الفقراء ويطوف بالمدن القريبة.

وذات مرة، رأى في الفناء الخلفي لاحد البيوت الكبيرة امرأة شديدة السواد بدا انها من قبيلة الوولوف، وكان ثدياها الكبيران متدليين عاريين، يرضع طفل توبوب من احدهما، وطفل اسود من الآخر. وعندما وصف المشهد بعد ذلك للبستاني العجوز قال له الرجل: "قلما يوجد في فيرجينيا سيد لم ترضعه او تربيه امرأة سوداء".

ولكم اشتدت دهشة كونتا عندما علم، من خلال احاديثه مع بل و"عازف الكمان" والبستاني العجوز حول هذه الامور، ان كثيرين من الصغار البيض والسود قد تربوا معا وتعلق كل منهما بالآخر تعلقا كبيرا، وقال البستاني العجوز ان ثاني مزرعة حل بها كانت تضم صبيا من التوبوب وصبيا اسود نشآ معا، وفي النهاية اصطحب السيد التوبوب الشاب ذلك الفتى الاسود معه الى كلية "وليموماري".

واضاف: "وروى الفتى الاسود ان السادة كثيرا ما يصطحبون زنوجهم الى قاعة الدراسة ثم يتجادلون بعد ذلك ويتفاخر كل مهم بان زنجيه قد تفوق علما على زنوج الآخرين. ولم يقتصر ذلك الزنجي الذي عرفناه على تعلم القراءة والكتابة فسحب، بل تعلم الحساب ايضا وحفظ الاشعار وتلك الاشياء الاخرى التي لديهم في الكلية".

وعلق "عازف الكمان": "ان لم يمت حتى الان فهو كبير الحظ، لان البيض

يسارعون الى الارتياب في اي زنجي مثل ذاك، فيكون هو اول من يتهمونه باثارة التمرد او العصيان. فلا حاجة اذا الى التعلم اكثر من اللازم لان عاقبة الامر خسارة محققة".

وكان السيد والر يدعو بعض الاحيان احد اصدقائه الى الركوب معه. وكان ظهر كونتا المتصلب آنئذ لا يوحي اطلاقا بانه يسمع كل كلمة تقال. فكان الشخصان يتحدثان وكأنه هو غير موجود. وقلما كان البيض ينتقلون في عربة واحدة من دون ان يعربوا عن المخاوف المنتسرة في اقليمهم من مؤامرات العبيد وثوراتهم: "لم يكن من الجائز لنا ابدا ان نسمح لهم بحمل السلاح ضد بيض آخرين في اثناء الحرب. وها نحن نشهد النتيجة الان!"

واستأنف السيد والر حديثه قائلا انه قرأ انباء عن اكثر من ٢٠٠ حادث تمرد وعصيان قام بها العبيد منذ وصلت اولى السفن التي تحمل الرقيق. واضاف: "غير اني الى جانب ذلك قد رأيت بعض الوفيات بين البيض. حسنا، لن ادخل في التفاصيل ولكني اقول فقط انها تبعث على الشك".

وكان كونتا، في الواقع، يعلم كل ذلك بل واكثر منه. فكثيرا ما كان السود يلتقون سرا. وقد سمع في هذه المقاطعة عن رجال سود اقسموا على قتل سيدهم او سيدتهم، وكان يدري بوجود بنادق مخبأة كما تناهت الى سمعه همسات عن ثورات معتزمة.

وكان اكثر مصادر كونتا، خصوصا الاخبار الواردة من اماكن بعيدة، يتصادف مع وجود السيد في مقر مقاطعة سبوتسيلفانيا، عندما تصل عربة البريد المسرعة بما تثيره من زوابع الغبار فلا يكاد يتم افراغ اكياس البريد وحزم صحيفة "فرجينيا غازيت" حتى يتجمع عشرات من السادة واصحاب الحوانيت وغيرهم من رجال التوبوب في حلقات، ويتحدثون ويتصايحون. وكان كونتا عادة على مقربة منهم يسمع ما يقولون.

وامتلأت اذناه بما عبر عنه التوبوب من حنق وغضب لتزايد عدد من يسمونهم "الكويكرز" الذين تقول الصحيفة انهم يشجعون السود على الفرار، بل وقد بدأوا يساعدون امثال هؤلاء الهاربين ويخفونهم ويوجهونهم الى طريق الحرية في الولايات الشمالية.

وحين عاد كونتا الى المزرعة، تحدث عما سمعه ورآه، كعادته، بينما جلس العبيد جميعا عند كوخ "عازف الكمان" ينصتون اليه ببالغ الاهتمام. وقالت بل انها سمعت لتوها السيد والر وبعض ضيوفه على العشاء يعلقون بسخط ومرارة على نبأ مؤداه ان نظام الرقيق والعبودية قد الغي حديثا في ولاية شمالية تسمى "ماساتشوستس"، وان هناك ولايات اخرى بالقرب منها سوف تحذو حذوها.

وسأل احد عمال الحقل: "ما معنى كلمة "الغي"؟

فأجابه البستاني العجوز: "معناها اننا نحن الزنوج جميعا سنصبح احرارا يوما ما!"

الهاون والمدقة

في ربيع عام ١٧٨٨ بلغ عمر كونتا ٣٨ موسما ماطرا. وجال فيخاطره انه لو كان في افريقيا لكان تزوج من زمن واصبح الان ابا لثلاثة ابناء او اربعة، ولكن العمر المناسب للعروس آنئذ

يجب ان يراوح بين ١٤ و١٦ موسما، كما هي الحال في جوفوري. اما هنا في بلاد التوبوب فانه لم ير انثى سوداء واحدة في هذه السن الا وهي بلهاء سخيفة العقل، تقهقه كالمعتوهة.

والواقع ان المرأة الوحيدة التي كان يعرفها جيدا هي بل، ولكنها تتجاوز الاربعين موسما، وكانت هي الاخرى قليلة الاحترام للرجال، وثرثارة كذلك.

غير انه تذكر كيف عنيت به بل حين كان على وشك الهلاك، فمرضته واطعمته ونظفته وشفته من الحمى، ولم تتوقف عن طهي اطايب لا تنتهي من اجله تصنعها من دقيق الذرة الذي تطحنه بيدها على رغم ان هاونها الحجري ومدقتها لا ينعمان الطحين مثل الهواوين المنحوتة من الخشب الصلب والتي يستخدمها اهل جوفوري.

وانطوى كونتا على نفسه اياما وهو يقلب الامور في ذهنه. وذات مساء بعد ان اطعم الجياد، التقط كتلة قديمة مهملة من خشب الجوز الامريكي الصلب وحملها الى كوخه وبدأ ينحتها. وكان يرى بعين خياله الهاون والمدقة اللذين صنعهما ابوه عمر ثم اصبحا ناعمين لكثرة ما استخدمتهما امه في الطحن.

وكلما توافر له بعض الفراغ، كان يجلس في كوخه محاولا صنع هاون من خشب الجوز بواسطة الفأس والسكين. وما ان انجز المهمة حتى راح يبحث عن فرع قويم متين من خشب الجوز ايضا وفي سمك ذراعه ليصنع منه مدقة متقنة تتناسب مع شكل قاع الهاون وقد صقل الجزء الاعلى من المدقة بالمبرد، في بداية الامر، ثم بالسكين واكمل تنعيمه اخيرا بقطعة من الزجاج.

وبعد ان اتم عمله، حمل الهاون والمدقة متجها الى مطبخ بل، ووضعهما امام بابه على الدرج. وسمعت بل صدى الصوت المكتوم الذي احدثه الهاون عندما القاه كونتا على الدرج، فالتفتت ورأت كونتا يسرع مبتعدا. وتأملت النحت، فقدرت الجهد الذي بذله كونتا وتحركت مشاعرها، ولاسيما انها للمرة الاولى في حياتها تتلقى من رجل شيئا صنعه خصيصا لها بيديه. بل انها في الحقيقة لم تكن واثقة من انها هي المقصودة فعلا بهذه المبادرة.

وحين عاد كونتا بعد الظهر ليسأل اذا كان السيد يحتاج اليه، قالت له بل بعفوية وهي تشير الى هديته: "ما هذا؟"

واحس كونتا بالحرج الشديد، فأجاب منتفضا: "هذا لك كي تطحني فيه الذرة".

واقتصر الحديث بينهما طوال الاسبوعين التاليين على تبادل التحية، ثم قدمت بل ذات يوم كعكة مستديرة من دقيق الذرة بدا له انها اعدت طحينها في الهاون الذي صنعه لها، فغمغم شاكرا وحمل الكعكة عائدا بها الى كوخه.

وبعد ذلك اصبحا يلتقيان اكثر من ذي قبل. وعلى رغم ان بل كانت هي التي تتولى عادة مهمة الحديث. الا ان كونتا كان يزداد انجذابا اليها.

وذات صباح في شهر اغسطس (آب) عام ١٧٨٩، دعت بل كونتا الى تناول العشاء معها في كوخها، فلم يقل شيئا. غير انه بعد انتهاء العمل استحم ونظف نفسه بعناية بقماشة خشنة وبقطعة من صابون الرماد البني. وبينما هو يرتدي ملابسه بعد استحمامه اذا به يردد بصوت خافت

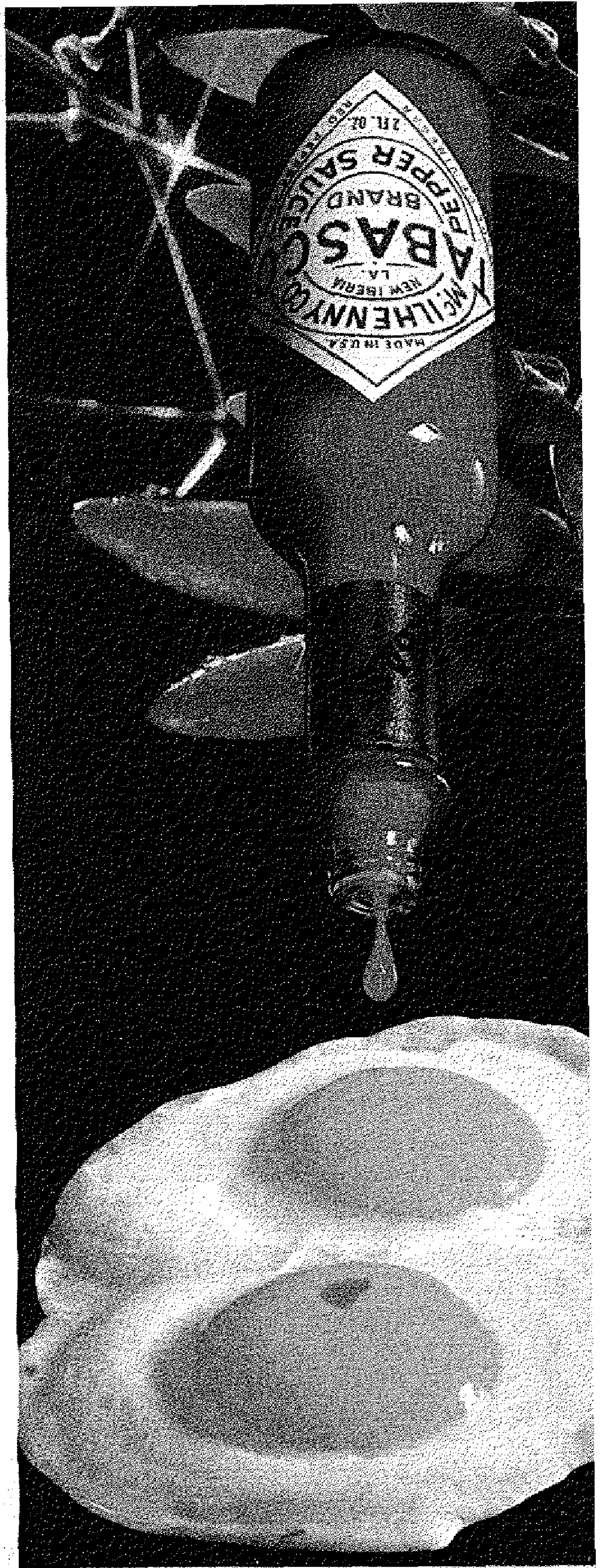
اغنية من اغاني قريته: آه يا ماندومبي الحلوة، حلو جيدك الطويل، حقا حلو٠٠" ولم يكن لبل جيد طويل٠٠ ولكن هذا بدا شيئا لا أهمية له٠

كان كوخ بل اقرب اكواخ السود الى البيت الكبير٠ وعندما فتحت له الباب وجد نفسه داخل غرفة حميمية الجو توحي بالراحة والدفء بجدرانها الخشبية المثبتة بالطين ومدفأتها القرميدية اليدوية الصنع٠ وكان للكوخ نافذتان وحجرتان٠ وستار مسدول بينهما٠ وقد وضعت وسط الغرفة الرئيسية طاولة عليها وعاء ملىء بالزهور التي قطفتها بل من حديقتها٠ كما وضعت على النار وعاء لتسخين الدجاج والفطائر من تلك التي يحبها كونتا٠

ودعته بل الى تناول العشاء مرة اخرى، فأعدت له اشياء من تلك التي قال لها كونتا انها تنمو في غامبيا ايضا: فاصولياء منقوطة وحساء بالفول السوداني وثمار اليام مخبوزة بالزبدة٠ وعندما كان كونتا يراها تطحن دقيق الفطائر في الهاون وبالمدقة اللذين اهداهما اليها يقفز به الخيال الى جوفوري فتتراءى له بل وهي تطحن الحبوب في القرية٠

وذات مساء، عندما جاء الى العشاء مرة اخرى، اهدى اليها حصيرة جدلها من نبات الديس (الحلفاء) وصمم في وسطها رسما بارزا من رسوم الماندينكا٠ وصاحت بل عندما رأتها: "لن اسمح لاحد ابدا بان يضع قدميه على هذه الحصيرة!"، وحملتها الى غرفة نومها ثم عادت بشيء في يدها، وهي تقول "كنت انوي ان اهديهما اليك في عيد الميلاد، ولكني سأصنع لك شيئا آخر غيرهما٠٠٠"٠

وتأمل كونتا في هديتها فوجدها





زوجا من الجوارب، احدهما له نصف قدم مع وسادة لينة من الصوف في مقدمه. ووقف الاثنان عاجزين عن الكلام، وغمر احساس غريب جوانح كونتا، وامتدت يد بل تبحث عن يده. وللمرة الاولى في اعوامه التسعة والثلاثين احتضن امرأة في ذراعيه.

الطفلة البكر و..."فا"

وبعد الحصول على اذن السيد والر، اتم كونتا وبل مراسم "القفز فوق المكنسة"، (وهي طقوس زواج العبيد) يوم وقفة عيد الميلاد عام ١٧٨٩. وجرى الاحتفال البسيط في كوخ بل حيث تجمع سكان محلة العبيد وشاهدوا كونتا وبل يضفران اذرعهما ويقفزان معا فوق عصا مكنسة مبسوطة على الارض وسط الحجر.

ثم اقيمت وليمة الطعام والشراب. ولاحظ كونتا في قلق ان بل تستمتع بالنبيذ الذي ارسله السيد هدية. وسمعها تسر الى صديقة لها: "الحقيقة يا اختي ماندي، ان عيني وقعت على هذا الرجل منذ عشر سنين!" فغرق كونتا في خجله وارتباكه.

وفي ربيع عام ١٧٩٠ اعلنت له بل انها حامل، فامتلأت نفسه ابتهاجا، ورأى بعين خياله وجه طفله يشرق من صرة تشدها بل الى ظهرها.

وجاء الوليد في شهر سبتمبر (ايلول)، وبقي السيد والر مع بل في الكوخ اكثر من ساعتين، بينما جثم كونتا في الخارج يسمع انين بل الحافل بالالم يرتفع ويتزايد الى صراخ يمزق سكون محلة العبيد. واخيرا تصاعد صراخ الوليد الحاد ثم خرج السيد والر من الكوخ، وقال: "لقد كانت ولادتها عسيرة ولكنها ستنهض سالمة. يمكنك الان ان تدخل وترى طفلتك".

وغاص قلب كونتا بين جنبه. فتاة! ولكنه دخل الكوخ فوجد بل هادئة ساكنة، وما ان رأته حتى ارتسمت على وجهها المجهد ابتسامة ضعيفة. وقبلها كونتا، ثم وقف برهة طويلة يحملق في المولودة السوداء، وكانت لها ملامح الماندينكا بلا شك. وفكر في انه لا يستطيع هنا ان يختفي مدة سبعة ايام - كما يفعل الاب الجديد في جوفوري - كي يهتدي الى اسم ينطوي على معنى كبير يطلقه على الطفلة. فهنا لا بد له ان يتخذ لها اسما على الفور.

وفي تلك الليلة، بينما كان يتمشى في الممرات التي شهدت تقاربه من بل، تذكر شكواها مما روته له عن احزانها. فقد سبق لها ان تزوجت قبل ان تبلغ سن العشرين، ولكن زوجها قتل وهو يحاول الفرار وترك لها طفلين رضيعين لكن سيدها تملكه الشك في اخلاصها بعد مقتل زوجها فباعها واحتفظ بالطفلتين. "فلم ارهما منذ تلك اللحظة، ولا اعرف اين هما الان، وهل هما على قيد الحياة اليوم او تخطفهما الموت!"

وفكر كونتا في ذلك، واختار لطفلته اسما معناه بلغة الماندينكا "انت تبقين هنا". ولم يطلع بل على الاسم، تبعا لتقاليد قبيلته التي تقضي بان يكون الرضيع هو اول من يسمع النطق باسمه.

وفي الليلة التالية وعلى رغم اعتراضات بل، حمل كونتا طفلته البكر بعد ان لفها جيدا في بطانية وخرج بها الى هواء الخريف البارد. وعلى مسافة قصيرة من محلة العبيد، رفعها بين يديه وهمس في اذنها اليمنى قائلا ثلاث مرات "اي - تو - مو - كيزي - ليه". (ان اسمك هو كيزي). ثم ازاح طرفا من البطانية وعرض الوجه الاسود الصغير على القمر والنجوم، ولفظ بصوت عال تلك الكلمات التي قيلت له ذات مرة منذ زمن بعيد في قريته في غامبيا: "انظري الى الشيء الوحيد الاعظم منك!"

وثارت بل عندما سمعت الاسم: "كيزي؟" هذا اسم لم يسمع به احد! ولن يجلب سوى المتاعب". ولكن كونتا شرح لها معنى الاسم فهدأت نفسا. وفي اليوم التالي ادرج الاسم في الكتاب المقدس الكبير الاسود الذي يحتفظ به السيد والر: "كيزي والر، ولدت في ١٢ سبتمبر (ايلول) ١٧٩٠".

كانت كيزي طفلة ذكية مليئة بالحياة - ومع مرور السنين بدأ كونتا يعلمها كلمات من لغة الماندنيكا، فكان يقول لها مشيرا الى نفسه "فا!"، وعندما كررت الطفلة، في النهاية، الكلمة وراءه ملأت جوانحه النشوة. وكلما انتشت كيزي، كان كونتا يعلمها كلمات اخرى اكثر تعقيدا مثل اسمه، كونتا كينتي، و"كامبي بولونغو" (وهو اسم نهر غامبيا بلغة الماندينكا)، وجوفوري. وحكى لها عن ابيه عمر وعن اخوته، وعن عشيرة كينتي وتاريخها منذ عراقته في امبراطورية مالي القديمة.

وكانت بل تعترض على ذلك في بعض الاحيان قائلة ان مثل هذه الامور من شأنها ان تثير لهم المتاعب مع السيد، لكن كونتا كان يصر على الاستمرار.

وكان لقرعة الحصى جاذبية خاصة لدى كيزي. وقالت لها بل: "اياك ان تلمسي هذه الحصي!". ولكن كونتا اسعده اهتمام الطفلة بها، واصبح

قسيمة اشتراك

اشترك في المجلة
التي يقرأها أكثر من ١٠٠ مليون
في ١٥ لغة

املأ هذه القسيمة وارسلها مرفقة بالقيمة المطلوبة الى "المختار" فتصلك المجلة فوراً.

الأسم	NAME ....
العنوان	ADDRESS ....
....	....
....	....
المهنة	PROFESSION ....
التوقيع	SIGNATURE ....

أود الاشتراك في "المختار" لمدة سنة كاملة
أرفق قسيمة إشتراكي بشيك مصرفي بأسم:

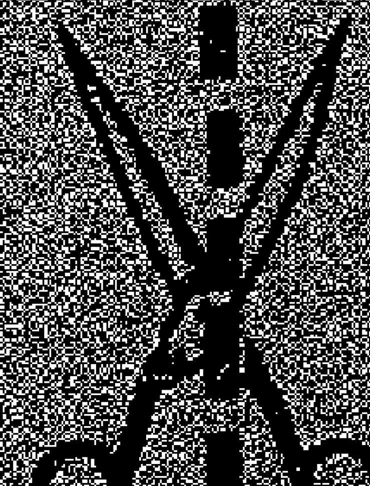
AL MUKHTAR min Reader's Digest

قيمة الاشتراك السنوي بما فيه بدلات الارسال الجوي:

☐ أوروبا وشمالي افريقيا	٢٢ دولاراً أمريكيا
☐ البلدان العربية	٢٥ دولاراً أمريكيا
☐ الولايات المتحدة - كندا وامريكا الجنوبية	٢٧ دولاراً أمريكيا
☐ أوستراليا والبلدان الأخرى	٣٠ دولاراً أمريكيا

عنوان "المختار":

AL MUKHTAR min Reader's Digest
37, Avenue George V, 75008 Paris, FRANCE





المختار

AL MUKHTAR
FROM READER'S DIGEST



80.000
CIRCULATION
THROUGHOUT TH
ARAB WORLD
(O.J.D.)

[illegible]

IN JUNE 197[illegible] THIS [illegible]
[illegible] HAS SKYROCKETED TO 80,000 COPIES. WITH THIS 60% INCREASE OVER A 6 MONTH PERIOD AL MUKHTAR IS FAST BECOMING THE ARAB WORLD'S MOST POPULAR QUALITY MAGAZINE

CATCH IT NOW AND CONTACT FOR ADVERTISING INFORMATION



TAMAM Co.[illegible] 28 rue de Berri 75008 Paris, FRANCE. Tel. 7206769 [illegible]

LEBANON	FRANCE	USA	JAPAN	U.K.	GERMANY
Ibrahim Tabet	Y. Monert Jourdran	William Browning	Robert Klaverkamp	Jeffrey Galvin Wright	[illegible]
TAMAM sal	READER'S DIGEST	READER'S DIGEST	READER'S DIGEST	READER'S DIGEST	READER'S DIGEST
P.O.Box 11-688	5 Rue du Cirque	200 Park Avenue	I.P.O. Box 5205	25, Berkeley Square	[illegible]
Beirut	75008 Paris	New York N.Y. 10017	Tokyo 100'31	London W1X6 AB	4000 Dusseldorf
Tel. 340044	Tel. 2250810	Tel. 9726126	Tel. 2944131	Tel. 5298144	Tel. 367288

Licencee: An Nahar International Publications s.a. Paris

يسمح لها بأن تلقي بنفسها حصاة في القرعة كل صباح يتلو استهلاك القمر الجديد٠

وروى كونتا لابنته قصة اختطافه وحمله الى ارض البيض٠ وكان يصور لها قرية جوفوري ويقص عليها حكايات كثيرة يستمدها من ذكريات باتت قديمة٠ وكانت الفتاة تتعلم بسرعة وتتذكر جيدا على نحو بعث الغبطة في نفس كونتا٠ وكان يقول لها: "سيكون لك اطفال، ويجب ان يعرفوا منك خبر البلاد التي ينتمون اليها"٠

هذا البلد القاسي

اخذ العالم يتغير٠ فعندما اخترعت آلة حلج القطن، كانت كيزي لا تزال في الثالثة من عمرها، وما ان بلغت الفتاة العاشرة حتى بدأت تلك الآلة تغير انماط الحياة القديمة المستقرة في انحاء البلاد٠

وفي ١٨٠٢، اصبحت مزارع القطن في اعماق الجنوب مصدر رخاء مطرد، بفضل آلة الحلج، وراح تجار الرقيق يستعلمون من كل مالك للعبيد عن استعداده لبيع اي من عبيده٠ وكانت جماعات العبيد تساق نحو الجنوب الى الاراضي السوداء في ولاية الميسيسيبي وولاية الآباما٠ ونقلت بل الى محلة العبيد ما قاله السيد عن امتناعه عن بيع احد من عبيده ما لم يخالف العبد القواعد التي وضعها السيد٠ وتذكر كونتا امر لوثر سائق العربة السابق، وقرر ان يبذل كل ما في وسعه كي يتجنب المتاعب، طالما اصبحت حياته مرهونة ببل وكيزي٠

ومع ذلك فقد حدث خلال عام ١٨٠٦ وحده، عندما كانت كيزي في السادسة عشرة ان سيق ما يزيد على ٤٠،٠٠٠ من السود الى ولايتي جورجيا وكارولينا الجنوبية، وبلغت اسعار الرقيق مستويات لم يسمع بها من قبل حتى ان الرضيع الذي لا يتجاوز عمره بضعة اسابيع اصبح يساوي مئتي دولار٠

وذات صباح من ذلك العام، جاء رئيس شرطة المقاطعة لزيارة السيد والر، فأصدر هذا امره الى بل بالانصراف من المطبخ في اثناء الحديث، وسرعان ما قدرت ان في الامر شيئا، وانه يمسها على نحو ما٠ وقبل موعد الغداء بقليل استدعاها السيد والر الى البيت من جديد٠ وكان صوته يوحي بالتوتر والغضب وهو ينقل اليها النبأ الذي جاء به رئيس الشرطة: لقد قبض على احد العبيد العاملين في المزرعة بعد فراره وعندما ضرب ليعترف باسم من عاونه اقر بأن كيزي هي التي ساعدته٠ وقال: "انت تعرفين القواعد التي وضعتها٠ فلا بد من بيع الفتاة"٠

وحين عاد كونتا من جولته في العربة، اختلى به السيد والر في غرفة صغيرة في البيت الكبير واطلعه على ما سبق ان قاله لبل٠

وذهب كونتا الى كوخه فاقد الحس، وكأنه لم يفهم ما قاله السيد٠ ابنته كيزي تباع! ذلك امر يستحيل تصوره٠ وما ان اطل كونتا حتى بدأت بل بالصراخ: "لن يأخذوا طفلتي! لن يبيعوا صغيرتي!" ولم تلبث ان اتقدت في نفس كونتا مشاعر المرارة المختزنة وكل ما اضطرم في قلبه من ضغينة للتوبوب، وعاودته ذكريات الآلام المبرحة التي نزلت به في هذه البلاد القاسية٠

وعاد رئيس الشرطة عند منتصف

العصر ومعه احد تجار الرقيق. ودخل التاجر البيت وخرج منه وهو يمسك بسلسلة ربط طرفها الآخر الى اصفاد مغلقة على معصمي كيزي المنتحبة.

واندفعت بل من كوخها تصيح في وجه ابنتها سائلة: "هل فعلت ذلك حقيقة يا كيزي؟" وبسط الالم وشاح العذاب على وجه كيزي دلالة على انها قد عاونت العبد فعلا على الفرار.

وصرخت بل: "آه يا رب السماوات! الرحمة يا سيدي انها لم تقصد ذلك! لم تقصده! اتوسل اليك! يا سيدي، اتوسل اليك! اتوسل اليك!".

وقال السيد والر بجفاء: "الخطأ هو الخطأ، وانت تعرفين شريعتي. لقد بعتها وانتهى الامر". ثم اومأ الى تاجر الرقيق فأخذ يجر كيزي الى عربته. فما كان من كونتا الا ان وثب نحو ابنته، وشدها اليه من خصرها بضمة قوية وكأنه سيسحقها. وصرخت الفتاة: "انقذني يا فا!".

وهوى رئيس الشرطة بمقبض مسدسه على رأس كونتا فسقط على ركبتيه وقد اصيب بالدوار لكنه استطاع، على رغم ذلك، ان يرى بعينيه الغائمتين تاجر الرقيق يدفع كيزي الى العربة وهي تقاوم وتتلوى وتلوح بذراعيها. ثم تحركت العربة وتزايدت سرعتها وراحت بل تعدو وراءها متعثرة وصراخ كيزي لا ينقطع.

واندفع كونتا الى اخر موضع وقفت فيه كيزي، وانحنى يجمع في يديه التراب الذي يحمل آثار قدميها. فقد كانت الارواح تقول: اذا احتفظ كونتا بذلك التراب فلا بد ان تعود قدما كيزي الى تلك البقعة.

"كان افريقيا"

باع تاجر الرقيق الفتاة لرجل يدعى توم لي، فأخذها الى مزرعة صغيرة في ولاية كارولينا الشمالية. ولم يلبث السيد الجديد ان فرض نفسه على كيزي واغتصبها فولدت صبيا يدعى جورج.

وعندما بلغ جورج الرابعة من عمره عرف من امه ان جده افريقي. وقلما كان اطفال العبيد في مزرعة لي يعرفون من كان آباؤهم، الا ان جورج امطر امه بالاسئلة لينال منها مزيدا من المعلومات عن ذلك الجد الذي قال ان اسمه كونتا كينتي والذي يسمي الكمان "كو" والنهر "كامبي بولونغو".

وراح يسألها: "من اين جاء جدي؟".

فترد امه: "كان افريقيا كما قلت لك!".

فيعود الى السؤال: "اي نوع من الافريقيين يا اماه؟ من اي مكان من افريقيا جاء؟".

وتذكرت كيزي ان اباها قد اوصاها باعلام اطفالها بوطنهم الاصلي، فروت لجورج ان كونتا كان يبحث قرب قرية تسمى جوفوري عن خشب ليصنع منه طبلة عندما اختطفه اربعة رجال ونقلوه في سفينة الى مكان يسمى "نابليس" (المقصود هو ميناء انابوليس في ولاية فيرجينيا)

وفي عام ١٨٢٧، عندما بلغ جورج سن الحادية والعشرين، "قفز فوق المكنسة" (اي تزوج) من فتاة تدعى ماتيلدا وانجبا سبعة اطفال بين عامي ١٨٢٨ و١٨٤٠. وكلما كان يولد طفل كان جورج يجمع الاسرة كلها في

كوخه فيضع الوليد الجديد على ركبته ومن حوله الاطفال الاكبر سنا قرب المدفأة، ويغرس في عقولهم قصة جدهم الكبير: "الافريقي الذي قال ان اسمه كينتي والذي كان يطلق على الكمان اسم "كو" وعلى النهر اسم "كامبي بولونغو ...".

وكبر اطفال جورج وماتيلدا، وانتظم كل منهم في العمل الزراعي فور سماح سنه بذلك، باستثناء الابن الرابع توم الذي اصبح حدادا.

وفي ١٨٥٦ افلس السيد توم لي صاحب المزرعة واضطر الى بيع عبيده، فذهبوا جميعا الى مزرعة تنتج التبغ في مقاطعة الامانس يملكها السيد موراي.

وهناك تزوج الحداد توم في ١٨٥٨ من فتاة نصف سوداء ونصف هندية تدعى ايرين. وكلما كانت ايرين تنجب طفلا كان توم يفعل ما فعله ابوه وما فعلته جدته كيزي من قبل، فيطلع اطفاله على امر الافريقي الذي كان يسمى كينتا. وبعد انتهاء الحرب الاهلية الشاقة المريرة اصبح العبيد كلهم احرارا، ولكنهم لا يملكون ارضا ولا يعرفون مكانا يذهبون اليه، فظلوا في مزرعة موراي حيث تعاون آل موراي البيض وآل موراي السود على الكفاح من اجل الحياة.

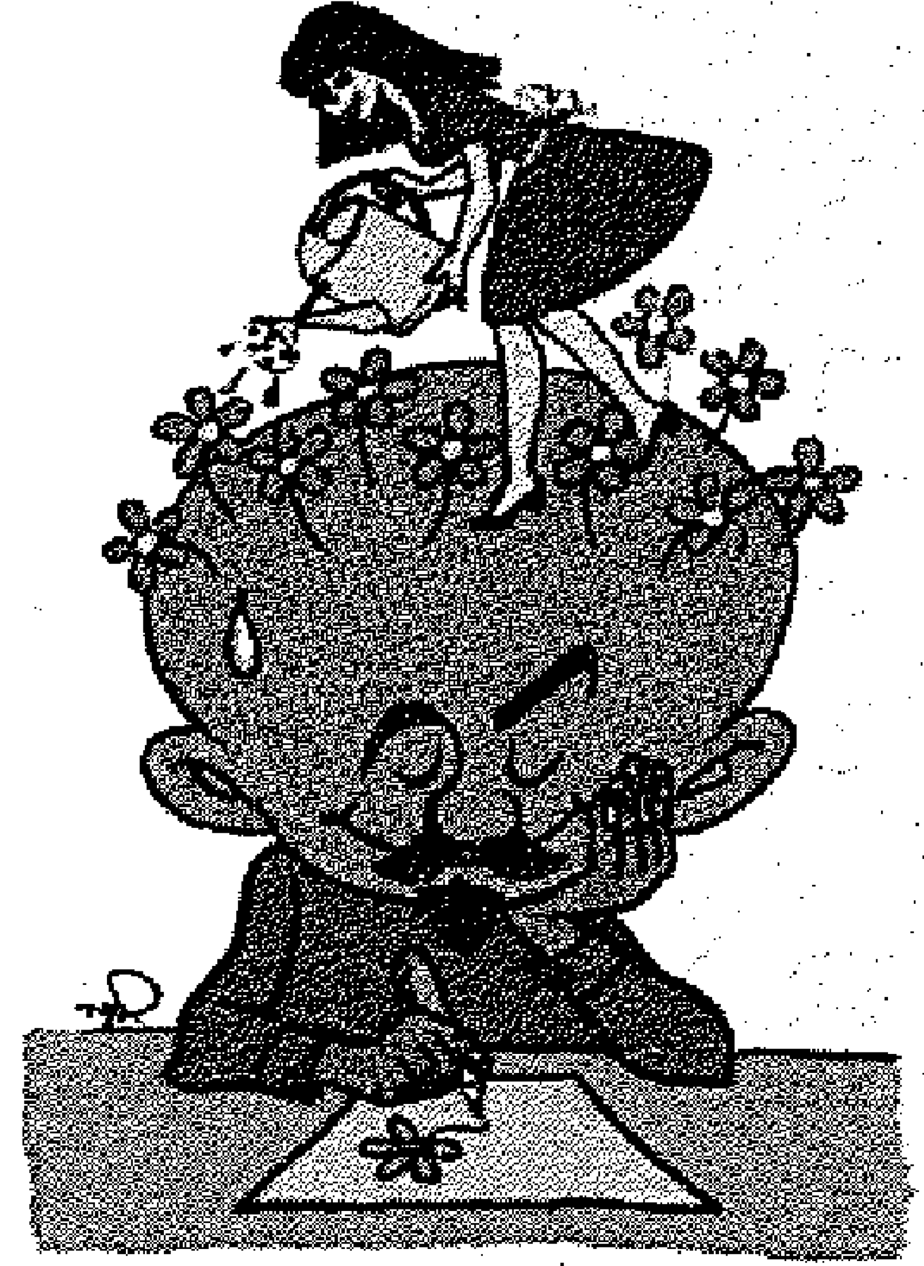
وفي عام ١٨٧٤ قاد جورج قافلة من ٢٩ عربة من الاسر السوداء خارجين من مقاطعة الامانس في كارولينا الشمالية متجهين عبر ممر كمبرلاند الجبلي (ثغرة كمبرلاند) الى مقاطعة هينيغ في ولاية تينيسي. وكان الذي يقود العربة الاخيرة من القافلة توم موراي الحداد، ابن جورج، مع زوجته ايرين واطفالهما السبعة. وكانت اصغر هؤلاء الاطفال فتاة عمرها عامان تدعى سينثيا.

وكانت تلك البنت الصغيرة هي جدتي التي سمعت منها للمرة الاولى وانا جالس على ركبتها قصة "الافريقي" كونتا كينتي، فقادتني تلك القصة الى البحث عن "الجذور".

واليوم، لا تزال اسرة هيلي تعكس في صورة مصغرة ما يحفل به عالم الامريكيين السود من اتجاهات متغيرة وفرص متعاظمة. فقد كان سيمون والد المؤلف اليكس هيلي يشتغل بعض الوقت عاملا في عربات النوم في سكك الحديد في اثناء دراسته في جامعة ولاية كارولينا الشمالية للعلوم الزراعية والتقنية في مقاطعة جرينزبورو. وفي صيف عام ١٩١٦ كان يمارس عمله في القطار بين بافالو وبيتسبيرغ، فالتقى رجلا يدعى ر.س.م. بويس، كان مديرا لشركة كيرتيس للنشر. وقد قدم بويس بعذ ذلك الى سيمون هيلي العون المالي الذي اتاح له اتمام دراسته ثم اكمالها في كلية ولاية نيويورك للزراعة وعلوم الحياة.

اما والدة اليكس هيلي بيرثا فكانت معلمة في المدارس الابتدائية. واليكس له شقيقان، هما جورج و. هيلي الذي يعمل مديرا مساعدا في وكالة المعلومات الامريكية وجوليوس س. هيلي وهو مهندس في البحرية.

اما اليكس هيلي نفسه، فقد اتجه منذ اعتزاله العمل في حرس البحرية الى احتراف الكتابة، واحرز نجاحا مطردا كمؤلف كتب وكاتب مقالات في المجلات ومؤلف سيناريو للسينما.



حديقة افكار

■ يشرع الناس القواعد، حين لا يثقون بغرائزهم.

كينث ا. فيشر

■ يكره الناس من يضطرونهم الى الكذب عليهم.

فيكتور هوغو

■ الحكيم ليس من يقدّم الاجوبة الصحيحة، بل من يوجه الاسئلة الصحيحة.

كلود ليفي شتراوس

■ كل شخص يود اصلاح العالم. وكل شخص يستطيع ذلك اذا بدأ باصلاح نفسه.

ك.هـ.ف.

■ ليس من الحكمة في شيء أن تحب للآخرين ما تحب لنفسك. فأذواقهم قد تختلف عن ذوقك.

جورج برنارد شو

■ خير اختبار لمدى حبي لزملائي، هو اليوم الثالث من مؤتمر يستغرق ثلاثة أيام.

ج.و.

■ لا تخلف الخطب الا حجب دخان، ولا تخلف البلاغة غير آثار ضباب، اما الصدق فيخلف التزاما.

ت.س.

■ ترى كم سيكون الكلب رفيقا اكثر نفعا لو استعاض عن النشيج في اثناء عاصفة رعدية منتصف الليل، بالقفز نحو النافذة واغلاقها.

عن كتاب "مختارات عاشق الكلاب"

Omega. For those who value time.

أوميغا للذين يقـدّرون الوقت

Ω
OMEGA



Omega Seamaster, ST 396.0838, quartz movement, stainless steel with bezel and «quartz» seal in 14 ct. gold, sapphire crystal.

Omega Seamaster, ST 396.0840, quartz movement, stainless steel, sapphire crystal.

اشتر فقط من وكيل اوميغا الرسمي واطلب كتيب الكفالة الدولية ٠



درس من ايران للشرق والغرب ص ٢٣

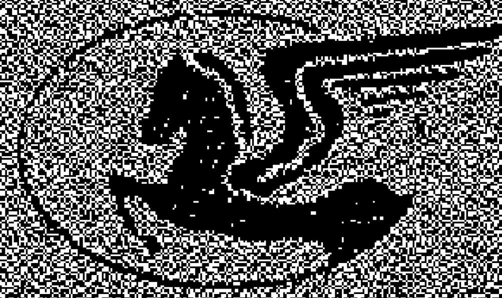
الأيقونات: فن ساحر ص ٧٠

زرع الكلى حياة جديدة ص ٤٧

لبنان ٤٥٠ق - سوريه ٦٠٠ق - الاردن ٥٠٠ف - الكويت ٥٠٠ف - الامارات العربيه المتحده ٦د - قطر ٦ر - البحرين ٦٠٠ف - السعوديه ٦ر - مصر ٥٠٠م - السودان ٥٠٠م - ليبيا ٦٥٠د - اليمن الجنوبيه ٦ر - مسقط ٦ر - العراق ٦٠٠ف - تونس ٧٠٠م - المغرب ٣د - الجزائر ٧د - فرنسا ٧ف - انكلترا ٧٥ب - اليونان ١٠٠د - كندا وامريكا الشمالية ٢د.

AL MUKHTAR *MIN* Reader's Digest September 79 N° 10

ايلول (سبتمبر) ١٩٧٩ - شوال ١٣٩٩



من ريدرز دايجست

اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون ريدرز دايجست في ١٨٠ بلداً بـ ١٥ لغة

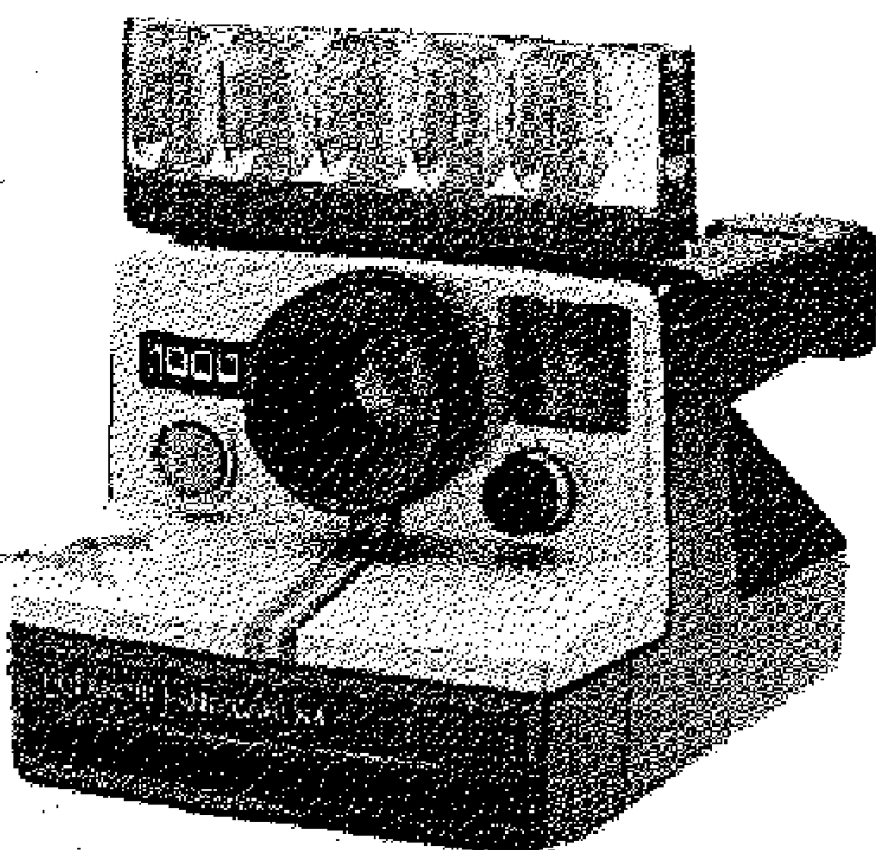
لبنان ٤٥٠ق – سورية ٦٠٠ق – الاردن ٥٠٠ف – الكويت ٥٠٠ف – الامارات العربية المتحدة ٦د – قطر ٦ر – البحرين ٦٠٠ف – السعودية ٦ر – مصر ٥٠٠م – السودان ٥٥٠م – ليبيا ٦٥٠د – اليمن الجنوبية ١ر – مسقط ٦ر – العراق ٦٠٠ف – تونس ٧٠٠م – المغرب ٦د – الجزائر ٧د – فرنسا ٧ف – انكلترا ٧٥ب – اليونان ١٠٠د – كندا وامريكا الشمالية ٢د

اختر اللقطة التي تروق لك .
واضغط على الزر فقط !

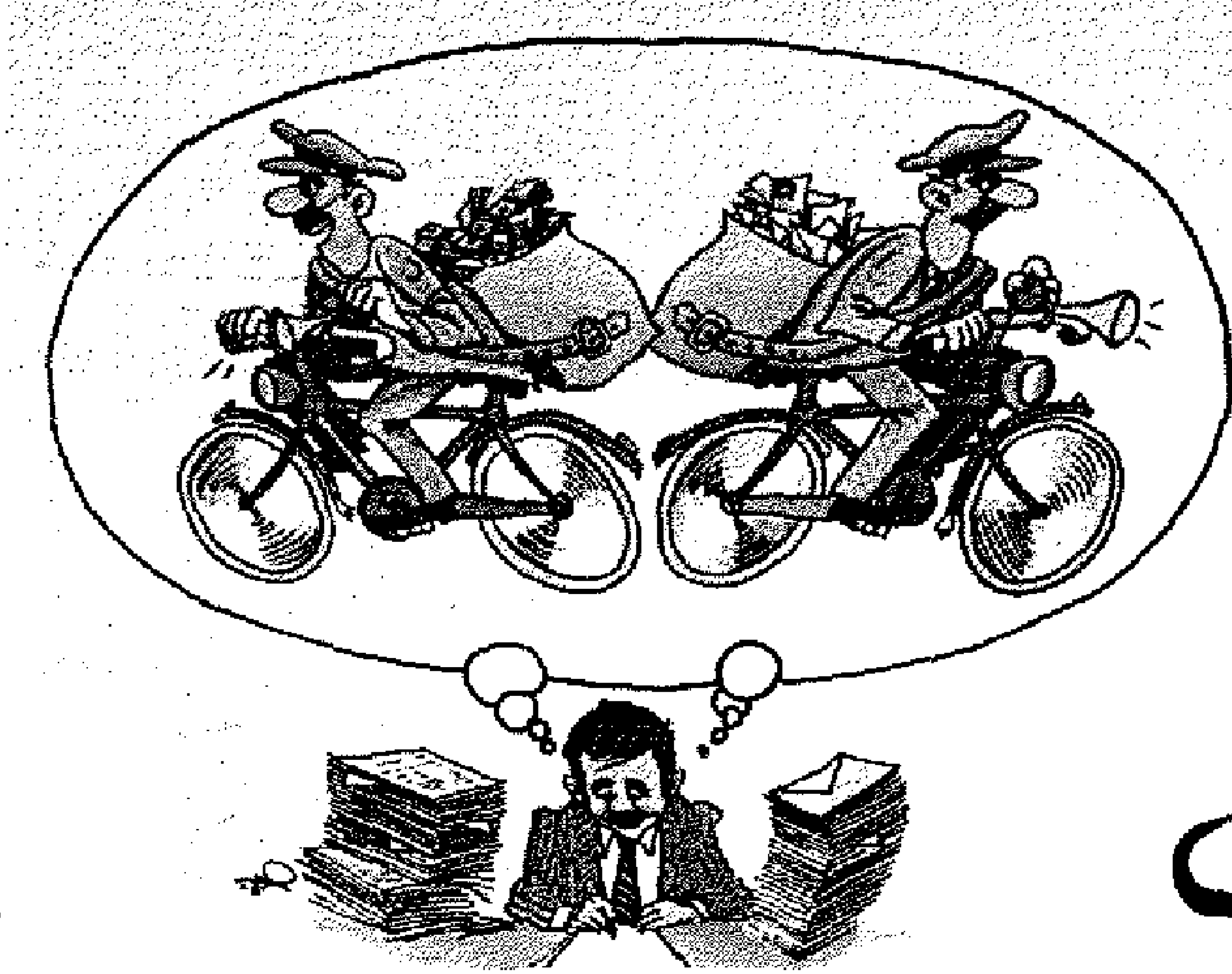
Polaroid 1000

بولارويد ١٠٠٠ تفعل الباقي .

آلة التصوير التي يرغبها العالم أجمع !
ليس هناك ما تعده ولا شيء تضبطه .. ما عليك سوى أن توجه آلة التصوير وتضغط على زر آلة التصوير الفوري بولارويد ١٠٠٠ الزهيدة الثمن التي ستقدم لك فورا صور بألوان إس. إكس-٧٠ الزاهية الخلابة التي تحمض نفسها تلقائيا أمام عينيك .
ليس هناك أسهل من هذه الطريقة لتسجيل اللحظات السعيدة وحفظها على مر السنين .
لا غرابة في أن العالم كله يرغب في إقتناء آلة التصوير الفوري بولارويد ١٠٠٠ !
إتصل فورا ..
بوكيل بولارويد المعتمد .



Polaroid
ثلاثون عاما
في طليعة التصوير الفوري



اكتب واربح

هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله: الى "المختار" وهو يدفع لك في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

☐ صور من الحياة: ٥٠ دولارا

القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة وتتحدث عن تجربة شخصية وعن موضوع جدي.

☐ الضحك خير دواء

ينطبق على هذا الباب ما ينطبق على الباب السابق. ويدفع ٥٠ دولارا عن النكتة الاصلية و٢٥ دولارا عن النكتة المنشورة.

☐ تأملات معاصرة: ٥٠ دولارا

مقاطع ذات مغاز حكمية حول موضوع معين.

☐ حديقة افكار

اقوال مأثورة للاعلام العرب.

تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

☐ السدات

هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

☐ المقالات

يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية والتجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل.

يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

الشروط

- ○ كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- ○ كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك - حديقة أفكار...).
- ○ في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد.
- ○ ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة أفكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن.
- ○ تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر أجنبية.
- ○ لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

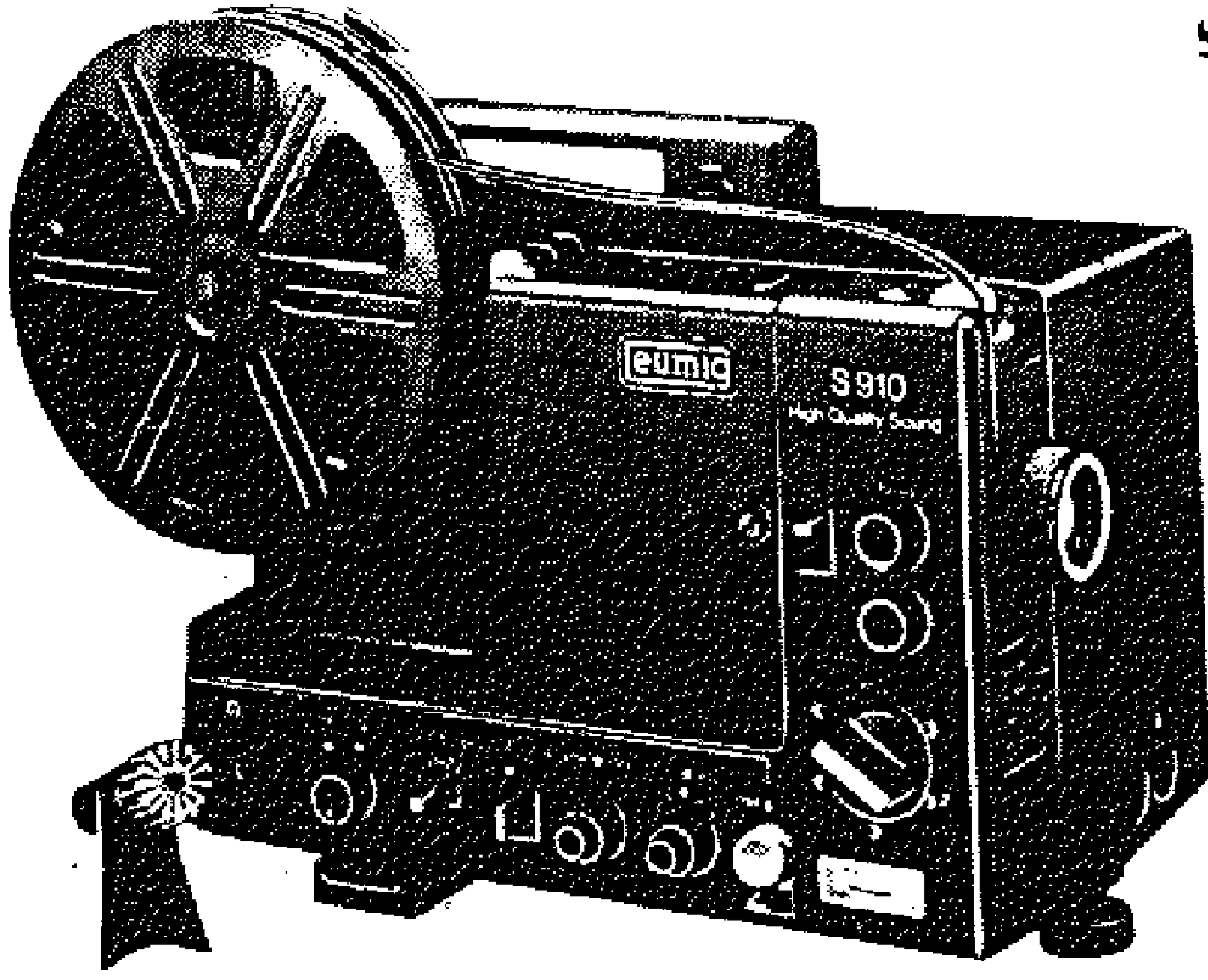
توجه الرسائل الى العنوان الآتي:

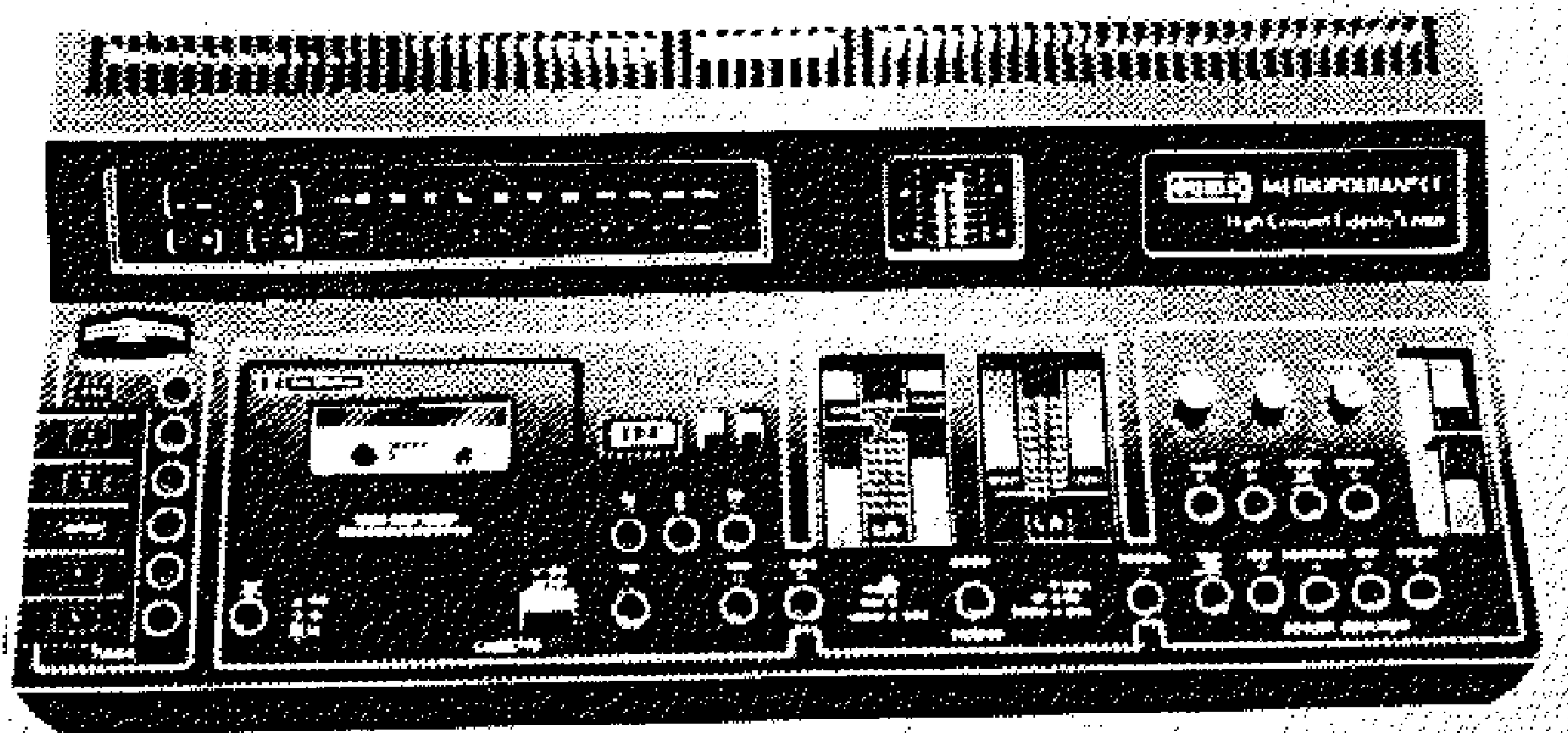
AL MUKHTAR
min Reader's Digest
S.E.P.I.
37, Avenue George V
75008 Paris, France

النجاح يولـّد النجاح



ان الخبرة التقنية والجودة والدقة المتناهية وضعت *eumig* في مقدم اجهزة العرض السينمائي الناطق . واصبح النجاح حليف اجهزة *eumig* في العالم بأسره ، بل اصبحت هي قدوة تحتذي بها الصناعة بأجمعها . وقد عقد *eumig* العزم على متابعة هذه الخطة ومواجهة المستقبل بكل ثقة في انجاز الاصناف الممتازة . وانطلاقا من ذلك ، فان *eumig* يعمل دائما في الطليعة على تطوير الكاميرات السينمائية المزودة بعدسات PMA والكفيلة باعطاء صور كبيرة ومتسعة في الاجهزة السينمائية الناطقة او الصامتة على السواء ، علما بان منتجات *eumig* توفر التسلية لملايين البشر في انحاء العالم . هذا ، وبالاضافة الى كونه في طليعة صانعي الكاميرات السينمائية واجهزة العرض ، فان *eumig* يشغل كذلك مركزا فريدا بين صانعي منتجات HI-FI "هاي في" ، بالنظر الى الجودة الفائقة التي يوفرها لمراكز الحفلات الموسيقية المزودة باجهزة *eumig* وللكاسيت الموسيقية . فهي تمثل ذروة ما وصل اليه التطور في تقنيات الكاسيت واكتمال تزامن التعشيق ، اي الجودة الصوتية الرفيعة الطراز بين احسن التسجيلات الشريطية والاجهزة الفونوغرافية . وان *eumig* مصمم على المحافظة على هذه المكانة الفريدة ، وبالتالي فان *eumig* مصمم على بقاء منتجاته في طليعة الصناعة المتنافية لاجهزة الفيديو ، بفضل الخبرة التي احرزها *eumig* وانجازاته التقنية المرموقة وحرصه الاكيد على الجودة والاتقان . ومن الطبيعي اذا ان يكون *eumig* هو السباق الى صنع المنتجات الممتازة المتقنة ، اقتناعا منه بان النجاح يولد النجاح . وبان سر النجاح يقوم على متانة الانتاج وجودة المنتجات .





eumig®



المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

المستشار الثقافي: **مؤنس طه حسين.**
رئيس التحرير: **ادمون صعب.**
رئيس التحرير المعاون: **اديب صعب.**
مدير التحرير: **فؤاد غطاس كرم.**
امانة التحرير: **رينا نداف.**
الاخراج: **اروى سيف الدين.**

الامتياز:
شركة النهار للمنشورات الدولية ـ باريس.

الناشر:
شركة رأس الخيمة للمنشورات الدولية.

المؤسسون: **غسان تويني، توفيق ابو خاطر، عثمان عائدي، لوسيان دحداح.**

الخدمات الصحافية:
شركة الدراسات والمنشورات الدولية S.E.P.I.

الادارة والتحرير والاشتراكات:

AL MUKHTAR min Reader's Digest
37, Avenue George V, 75008 Paris, FRANCE
Tel. 7204542 7237422 Telex 612687 F

الاعلانات:

TAMAM **شركة تمام**
28, Rue de Berri, 75008 Paris, FRANCE

التوزيع:
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات.

الصف والتنفيذ:
شركة المطبوعات العربية ـ باريس.

الطباعة:
بوليغرافيتشي اديتوريالي - بولونيا - ايطاليا.

الخط: **محمد ماجد.**

الطبعات الدولية لـ**"ريدرز دايجست"**
المدير العام: **جون أ. اوهارا.**
مدير التحرير: **آلان دوليرو.**

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنرويجية والدانماركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية اضافة الى العربية.

MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.
N° DE LA COMMISSION PARITAIRE 3398RL

الغلاف: اوراق الخريف (ريبيكا مريليس)

AL MUKHTAR *min* Reader's Digest
September 1979 *(New Series)*. Vol.1



POLIGRAFICI EDITORIALE SPA PRINTED IN ITALY


Luxury in solid gold, from Omega
الرفاهية والأبهّة بالذهبُ، من أوميغا
Ω
OMEGA

تنتعش الدنيا كلما نظرنا اليها من خلال عيون الاطفال

العالم المشرق

في عنقي دين كبير لاب وابنه من احدى فرق الكشافة طرقا بابي ذات عصر وبادرني الصبي بقوله: "لقد كُلّفنا الاهتداء الى خطيب لاحتفالنا السنوي بعيد الاباء، فهل تتكرم وتأتي لتحدثنا؟"

فقلت: "حسنا، اشكركم، ولكن ما الذي تريدونني ان احدثكم عنه؟" ورد الصبي عما شئت، فأنت ادرى. الحيوانات، أو الاقامة في المخيمات، او الحياة البرية... شيء من كتابك الجديد مثلا".



وكانت تلك أول مرة اقف فيها متحدثا في جماعة. ولست اذكر الآن ما حدثت به اولئك

الصغار باستثناء بعض الحكايات عن المخيمات. فكل ما اعرفه هو ان ذلك كان افضل حديث القيته في حياتي. افضل حديث في نظري انا على الاقل، لانه فتح لي الباب لولوج عالم جديد، واتاح لي فرصة الابتعاد عن آلتي الكاتبة ومقابلة الناس، ولا سيما الناشئين، فأصبحت زياراتي للكشافة مصدر تعليم وتثقيف لي.

ولن انسى ذكرى تلك الزيارة التي قمت بها لصف مدرسي من الصغار في السابعة من العمر، عندما عرضت امامهم شرائح (سلايدز) ملونة لبركان ثائر في هاواي يصب حممه في البحر، حتى اذا ما التقى الصهير مياه المحيط تصاعد البخار عمودا بلغ ارتفاعه ١٥٠٠ متر وكاد هديره ان يملأ الآذان.

وبعد ذلك، عرضت على الاطفال قطعة من الصهير المتجمد ليتأملها كل منهم بدوره، فتداولتها الايدي وبعد ان مرت بعشرين كفاً صغيرة جاءني بها طفل، وقد اتسعت عيناه، وقال لي وهو يمسكها بحرص: "يا مستر رود، انها لا تزال ساخنة!"

ولعل اقصى ما اطمع فيه من نجاح هو ان اتمكن من بعث الحياة في قطعة خامدة من الصهير على هذا النحو، فكأني بذلك قد حرّكت وتراً في نفس صبي صغير، وانعشت فيه مراحات الخيال فأرتدت بدورها وحركت وترا في نفسي.

ولقد زرت مدرسة من دون ان تثريني زياراتي بلمحات جديدة مشرقة للعالم كما تبصره عيون الصغار. واذكر ما قاله لنا احد اساتذتنا عند تخرجنا في كلية العلوم: "على رغم انني لا ازال امارس الدرس والتدريس على نحو مستمر تقريبا منذ ان بلغت الثالثة من عمري، فانني اعتقد انه ليس في العالم طفل في الخامسة من عمره الا ولديه شيء يعلمني اياه".

وذات مرة، كان من المقرر ان اتحدث عن الثعابين في احدى المدارس، وكانت المدرسة تلقت في صباح ذلك اليوم ثعبانا عاصرا من نوع "البواء"، اطلق عليه اسم "جوليوس العصّار"، جاءها من وحدة تعاونية لاعارة الحيوانات. واستعرت الثعبان لاستعين به في خاتمة حديثي. وقلت للتلاميذ وهم يتداولونه: "لا تنسوا ان تغدقوا عليه كثيرا من الحب". فامتثلوا، واخذوا يلاطفونه ويشعرونه بمدى ما يحملونه له من عطف.

وبعد ان اتم الثعبان العصّار دورته وعاد الى قفصه، سألت التلاميذ عن رأيهم في الثعابين، فأخذوا يبدون ملاحظات عن لمعان جسم الثعبان، والوانه الزاهية وكيف يحنو ليلاقي اليد التي تربت عليه. ولكن احدا منهم لم يقل كلمة واحدة عن المميزات التي لا يتصف بها الثعبان في الواقع، وانا اعني بذلك صفات البرودة والرطوبة اللزجة وما الى ذلك من أمور ينسبها الناس الى الثعابين.

وقد تمكنت فتاة صغيرة من ان تعبر ببعض الكلمات عما يحدث عندما تتواجه تحيزاتنا بالحقائق، فأجابت: "الحقيقة انني لا استطيع القول انني اعرف شيئا عن الثعابين، لان جوليوس العصّار ليس ثعبانا عاديا... فهو جوليوس العصّار فحسب". ولعل مفتاح الامر كله ان يكون هو هذا الذي عبرت عنه الفتاة،

اي: ان التعرف على شخصية اي كائن حي كفيل بأن يجعلنا نتحرر من معظم مخاوفنا منه·

فضول الاطفال ـ ولما كانت مهنتي القاء الاحاديث، وقبل ذلك اجراء البحوث للاجابة عن استفسارات قراء دوائر المعارف، فانني اجد ان حب الاستطلاع المتفجر من الاطفال كثيرا ما يفتح لي آفاقا جديدة على الطبيعة· فهم يكتبون لي، مثلا:

- "طلبت مني معلمتي ان اكتب اليك لعلك تستطيع ان تجيبنا عن السؤال الآتي: "ما دامت الجاذبية تشدنا الى اسفل، فلماذا نحن ننمو الى اعلى؟"
- "هل للقطة سبعة ارواح حقا؟ لقد ماتت قطتنا بالامس، وكانت تلك هي المرة الاولى، فلماذا حدث ذلك؟"
- "كم يبلغ عدد العظام في جسم الفيل؟ (الحقيقة ان العدد قد يختلف، ولكنه عادة ٢١٦ عظمة)"
- "بماذا تفكر الابقار وهي مربوطة في حظيرتها طوال الليل؟"
- "اود ان اعرف كيف تصوغ البلورات الثلجية اشكالها الحلوة؟"

وكتبت الي ام طفلة عمرها اربعة اعوام تقول انها متحيرة في الاجابة عن سؤال وجهته اليها ابنتها، وتطلب مني او اوافي الصغيرة بالرد عليه· وكان السؤال: "هل ينام السحاب؟" و"هل يصدم الضفدع مقعدته بالارض حين يقفز؟"

لم يكن البحث الاصيل في هذا الموضوع من نطاق اختصاصي· ولم يكن في استطاعتي ان آتي بضفدعة واراقبها لكي اتبيّن القسم من جانبها الذي يصطدم بالارض عند القفز· ولكن السؤال كان مثيرا الى درجة كبيرة، خصوصا انني وزوجتي كنا من المهتمين بالمخلوقات التي تعيش في الماء، لذلك اجتهدنا في التقاط بعض الصور الفوتوغرافية على الضوء الومضي لعدد من الضفادع وهي تقفز، فاكتشفنا ان هذه المخلوقات ذات السيقان المتأرجحة تهبط من وثباتها على كل شكل يمكن تصوره بقوائمها الامامية اولا او بقوائمها الخلفية اولا او منبطحة على بطنها او واقعة على انفها··· ويتبين من هذا ان الرشاقة ليست من المزايا القوية التي يتصف بها الضفدع العادي·

اما حماسة الصغار فهي من اكبر بواعث سروري عندما ازور صفاً في مدرسة· ويتضاعف السرور عندما اصطحبهم الى الخارج، فاراهم لا يترددون في لمس كل نبات، مكسو بالزغب او غير ذي زغب، وتحسسه وشمه·

ويستوعب الاطفال بسهولة مجموعة من الحقائق المهمة عن النبات والحيوان، مثل طريقة تثاؤب النبات لدى الضغط عليه، او طريقة عدو السنجاب عندما تهبط قائمتاه الخلفيتان امام قائمتيه الاماميتين فيبدو وكأنه يركض الى الخلف·

وذات يوم حللت ضيفاً على مخيم صيفي للاطفال، فقال لي مدير المخيم: "ان "طريق استكشاف الطبيعة" يبدأ عند حافة الحديقة"، ثم لوّح بيده واستطرد: "وسيريك الاطفال الى أين يمتد من هنا"·

وخرجت الى "طريق الطبيعة" مع بضعة عشر من اطفال المخيم، وساعدتنا ابصارهم الحادة وحواسهم المرهفة على اكتشاف عش في شجرة مجوفة لعدد من صغار السناجيب الطيارة، ثم وقف الصبية والبنات

أجهزة فيليبس هاي فاي الصوتيّة تصِل ذروة جَديدَة من الإتقان

لقد كانت فيليبس دائماً رائدة في دنيا الأجهزة الصوتية، سواء في أبحاثها في حقل الالكترونيات، أو في جودة الصوت، أو في المتانة المنقطعة النظير. ولهذا فإنه ليس غريباً أن نجد أجهزة فيليبس تستخدم في ستوديوهات الإذاعة والتسجيل في مختلف بقاع العالم، حيثما كان المطلوب هو توفير أرفع المستويات وأرقاها. واليوم أصبحت هذه المستويات الرفيعة دائماً في متناول يدك، في صورة أجهزة جديدة تعطيك الأداء الأفضل وتوفر لك خياراً أكبر في الأجهزة التي تريد. فهناك مسجلات ستريو، وراديو أي.ام. إف.ام. ومكبرات للصوت، وأجهزة تسجيل كاسيت وديك، ومسجلات فائقة تستخدم الأشرطة العادية، ومكبرات أخرى مثبتة التركيب. أما إذا كنت تفضل جهازاً متكاملاً ستريو، يضم الراديو وموضح الصوت، والحاكي ومسجلة كاسيت، تجمعه كلها في وحدة أنيقة مدمجة مع مكبرين للصوت، في هذه الحالة تجد أن اختيار الوحدة التي تجمع بين الأجهزة التي تريد أمر سهل إذا ما استعنت بوكيل فيليبس. إنه سيشرح لك العديد من الحقائق الفنية المذهلة عن هذه المنتجات، ويقدم لك المعرفة والخدمة اللتين تستندان إلى الخبرة الواسعة والإمكانيات العالمية التي تتمتع بها شركة رائدة في ميدان التكنولوجيا الحديثة، ألا وهي شركة فيليبس.



فيليبس الأفضل لكم دوماً

يتأملون تلك الحافة الشبيهة بالرف التي اتخذها السنجاب باباً امامياً لوكره الارضي. وصنعنا عددا من البالونات من اوراق النبات السميكة، ومجموعة من الصفارات من غصون شجرة الصفصاف.

وفي وقت الغداء جلست اتحدث الى مدير المخيم عن جولتنا الصباحية، فسألني عما اذا كانت لدي اقتراحات لتحسين "طريق الطبيعة"، فاجبت: "لا شيء في الحقيقة، سوى انني اقترح ان يمتد الطريق في حلقة تنتهي عند المخيم ايضا، تجنبا للعودة من الطريق نفسه".

فقال: "ولكنه يمتد بالفعل في حلقة طولها ٨٠٠ متر".

وكيف كان لي ان اتصور غير ذلك؟ لقد سحرتنا، انا وهؤلاء الصغار، فتنة ما وجدناه في طريقنا، حتى اننا لم نقطع على مدى ثلاث ساعات اكثر من ٥٠٠ متر، ثم عدنا ادراجنا.

وتذكرت آنذاك قولا لعالم الطبيعة الشهير لويس اغاسيس، عندما سئل عما فعله طوال الصيف، فأجاب: "لقد قضيته في السفر، ولقد قطعت منتصف المسافة عبر حديقتي الخلفية".

■ رونالد رود

حديث بلا موضوع

يستطيع الرجال قضاء ساعات طوال في الحديث عن موضوع واحد، اما النساء فلا يحتجن الى موضوع للقيام بذلك.

ك.غ.

الواقع والحلم

كتب وليم كاكستون، اول من استخدم الطباعة في انكلترا، المقدمة الآتية لكتاب "حكم الفلاسفة وأقوالهم" المنشور عام ١٤٧٧:

"ان نساء هذا البلد صالحات، دمثات الخلق، متواضعات، عاقلات، وقورات، عفيفات، مطيعات لازواجهن، صادقات، متكتمات، صارمات ومنهمكات في عملهن، لا يعرفن الخمول، يقتصرن في حديثهن، وفاضلات في كل ما يعملن... او هكذا يجب ان يكن على الاقل".

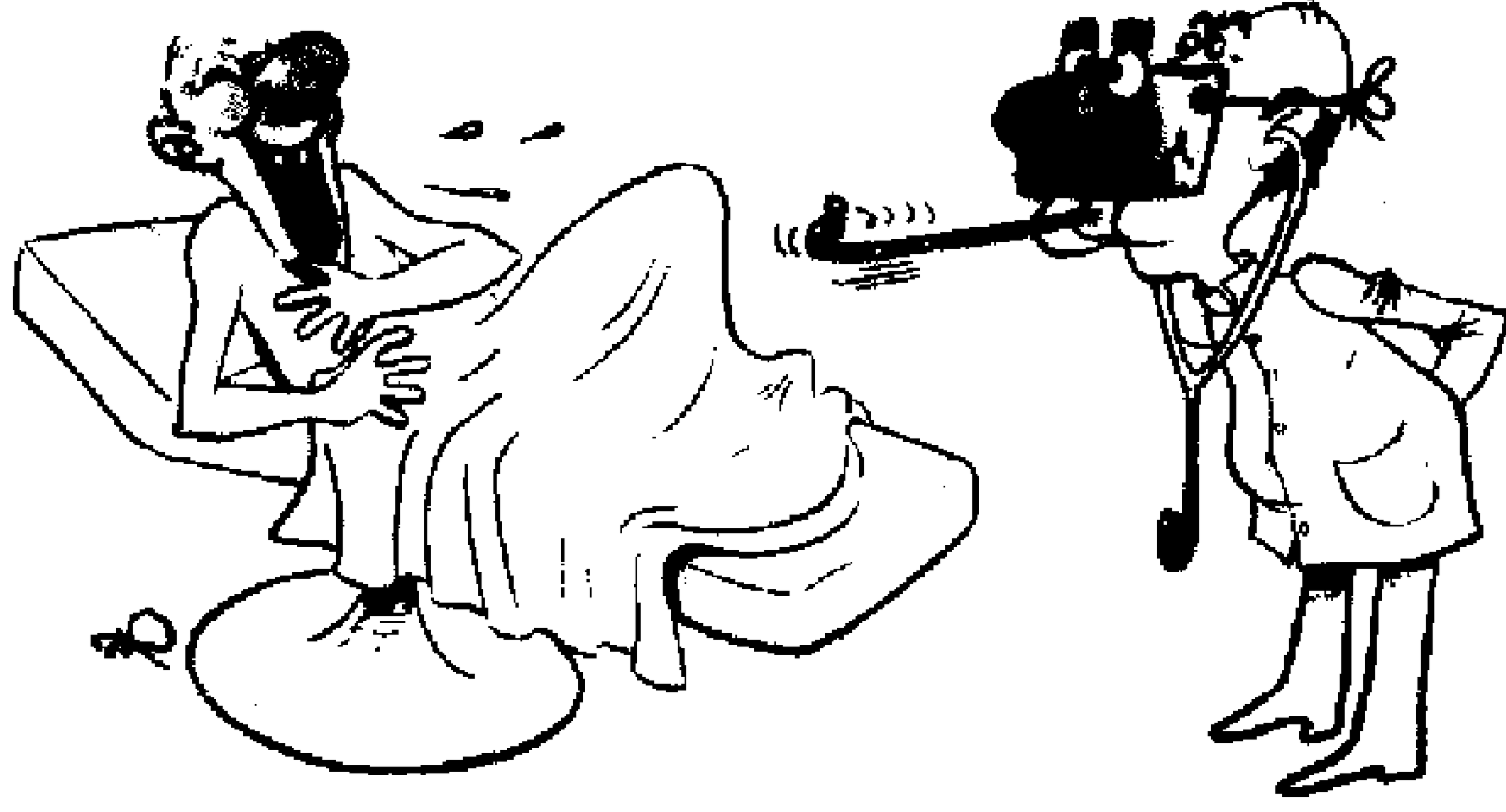
مغامرة خائبة

كنت اعود الى محل سكني في جامعة كيمبريدج بعد منتصف الليل. فقررت ان أعبر شقة مدير القسم الداخلي في صورة نظامية بدل المغامرة بالقفز من فوق السياج. وفيما كنت اتسلل على رؤوس اصابعي في مكتبه، سمعت وقع أقدام تقترب مني، فاختبأت خلف اريكة.

ودخل المدير وجلس الى مكتبه ليقرأ طوال ساعات وحين هم بالمغادرة، وجه كلامه الي بصوت مدوّ كالرعد: "من فضلك، اطفىء الضوء حين تغادر".

ت.ج.س.

الضحك خير دواء



العلاج بالهاتف

قصد المريض عيادة طبيب شهير، فظل ينتظر ساعة حتى سمح له بالدخول الى مكتب الطبيب. وبدأ يصف مرضه. ولم يكد يحدد موضع الشكوى حتى رن جرس الهاتف. فكان عليه ان يبدأ الوصف من جديد. لكن جرس الهاتف لم يرأف بحاله. وبعد اربع محاولات يائسة لسرد قصته تناول المريض قبعته واتجه نحو الباب. وهنا ناداه الطبيب: "الى اين انت ذاهب"؟ فدمدم المريض بغضب: "الى اقرب هاتف عمومي".

هـ.م.

تمثيل مزدوج

في عرض مسرحي في مدينة صغيرة، كان هناك مشهد يلقي فيه البطل نفسه في نهر، اذ يفترض ان يثب خارج المسرح فيما تستعين الفتاة المسؤولة عن المؤثرات الصوتية بحوض ممتلىء ماء لاحداث الصوت المطلوب.

وذات ليلة حان موعد اداء المشهد، لكن الفتاة لم تنتبه الى ذلك. وكان أن اصطدم الممثل بالارض محدثا صوت ارتطام عنيف من دون ان يكون صوت ارتجاج الماء. وللحظة ساد صمت ثقيل، ثم تناهى الى المشاهدين صوت الممثل ضعيفا: "يا الهي، لقد تجمد النهر تماما".

ج.ب.

السنة الطويلة!

قبل بضعة اشهر ذهبت وزوجتي لشراء بعض الحاجيات من السوق المجاور لبيتنا، فلفتني جهاز التدقيق الالكتروني الذي كانت موظفة المراقبة تستعمله. ولما لاحظت الموظفة اهتمامي بالجهاز راحت تشرح لي طريقة عمله، ومما قالت ان "عين" الجهاز "تقرأ" شيفرة على الغلاف تبين سعر البضاعة فيسجل دماغ الكتروني عملية البيع ويعدل كمية المخزون ويحوّل اسم البضاعة المبيعة وسعرها الى لوحة الى جانب الحاسبة فيخرج بعد ذلك شريط من الورق تظهر عليه المواد المبيعة واسعارها. وختمت الموظفة شرحها بالقول: "ان الدماغ الالكتروني لا يخطىء".

ولكوني مشككاً في طبعي رحت ادقق في الشريط وكان كل شيء على ما يرام حتى وصلت الى تاريخ اليوم فاذا به ١٩٧٨/٣٢/٨!

د.ج.م.

دعوة خبيثة

كان عليّ، بحكم عملي عريفاً لفصيل من الجنود، ابلاغ بعض جنود الاحتياط باعفائهم من برنامج تدريبي قاس. وحين ابلغت احدهم بذلك وكان يواجه صعوبة في الركض بسبب اصابة قديمة، اعتبر ذلك لطفاً زائداً مني وقال: "آمل يا سيدي ان اراك يوما ما اذا مررت بولاية الاباما".

فاعتبرت ذلك دليلا على حسن ذوقه ووعدته بتذكر دعوته. وإذ استدار ليغادر سألته "بالمناسبة، ماذا تعمل في الحياة؟" فاجاب بابتسامة عريضة: "انا شرطي في ولاية الاباما يا سيدي".

د.م.ع.

الزمن ليس في الصيدلية

يحب زوجي، وهو طبيب اختصاصي في المعالجة بالاعشاب، صياغة التعابير الجميلة. لكن تعابيره المرحة هذه احدثت ذات يوم بعض الاشكال. فبعدما غادرت مريضة جديدة عيادته ببضع ساعات اتصل به مسؤول في احدى الصيدليات قائلا انه بحث عبثاً عن العشب الجديد الذي يعالج نزلات الصدر والذي وصفه الطبيب لمريضته. وقد دهش الصيدلي عندما قال له زوجي انه ابلغ المريضة ان نزلة الصدر التي اصابتها لن يعالجها إلا قليل من "مسحة الزمن"!

م.م.

الجندي المجهول

يحظى فرانز موهر، الإختصاصي في الاجهزة الموسيقية - وهو الاقدم في مؤسسة ستاينواي واولاده - بثقة كثير من اعظم عازفي البيانو في العالم بحيث انهم لا يستغنون عن خبرته. وذات مرة، وبعدما انهى فلاديمير هوروتز عزف الجزء الاول من مقطوعاته في صالة شيكاغو الموسيقية، دعا موهر من وراء الكواليس ليخفض له منصة البيانو التي كانت عالية جداً.
وحين ظهر موهر على المسرح للقيام بالمهمة اخذ الجمهور يصفق له، وقال في ما بعد "كانت تلك اول مرة في حياتي احظى بها بالتصفيق."

ل.ف.

مرتان

حين كلف المدرس الشاب في كلية للبنات تدريس مادة الثقافة الجنسية، اضطر الى ان يكذب على زوجته ويبلغها ان المادة الجديدة التي يعلمها هي الملاحة.
فدهشت الزوجة وقالت: "ولكن ماذا تعرف انت عن الملاحة؟" فطمأنها الى انه قرأ كثيرا عن الموضوع وانه مستعد لتدريسه.
وفي اليوم الاول من الفصل الدراسي الجديد، كانت زوجة المدرس في انتظاره في الكلية لحظة انتهاء درس الثقافة الجنسية. فالتقتها طالبة متحمسة وهتفت: "ان زوجك رائع في تدريس هذه المادة". وهنا تلعثمت الزوجة وقالت: "لكني لا افهم كيف حدث ذلك. فهو لم يجرب الامر سوى مرتين، فمرض بعد محاولته الاولى وفقد متعته بعد الثانية".

ج.ا.ت.

الحل الوحيد

ذات ليلة، قبل سنوات، حاول ربان طائرة تابعة للخطوط الجوية البريطانية لما وراء البحار الاتصال بسفينة لخفر السواحل في المحيط الاطلسي لتزويده بمعلومات عن الطقس. إلا ان محاولاته لم تسفر إلا عن التقاطه عبر السماعات لثرثرة بين مضيفة على طائرة اخرى واحد ملاحي الباخرة.
-عمري اثنان وعشرون عاماً، وطولي خمسة اقدام واربعة انشات (١٦٠ سم)، قياس الصدر ٣٥ والخصر ٢٤والردفين ٣٥، شقراء الشعر، زرقاء العينين، اقيم في بروكلين، ورقم الهاتف....
□نحن جيران يا حبيبتي،هل تطبخين؟
- الكل معجب بفطيرة التفاح التي اصنعها.
□ سأكون عندك خلال ثلاثة اسابيع ويومين
وهنا انقطع الحوار وتحدث القبطان و. ب. جونز من الخطوط الجوية البريطانية:
- هذه طائرة "الطير المسرع" ايها المتولد. عمري واحد وخمسون عاماً، طولي خمسة اقدام وتسعة انشات (١٧٥ سم) ، قياساتي ٤٢، ٣٢، ٣٥، ازرق العينين، مدبب اللحية، هل تريد رقم هاتفي؟
ساد صمت ينم عن ذهول البحار قبل ان يجيب الاخير بكلمة واحدة جافة: "كلا". اذ ذاك قال القبطان جونز: "إذاً هل يمكن ان اعرف حال الريح على ارتفاع ١٩ الف قدم؟

ديفيد بيتي ("قفزة في الماء")

Mothercare® عالم الصغير



لقد نشأ وترعرع آلاف الأطفال من جميع أنحاء العالم برعاية Mothercare® إذ أن أمهاتهم من ١٣٠ قطراً يشترين ما يلزمهن من ما يزيد عن ٣٥٠ محلاً من محلاتنا. أو يرسلن طلباتهن عن طريق كتالوج منتجاتنا الشهير.

أما أسباب ذلك فهي بسيطة.

إنهن يدركن أن أية بضاعة يخترنها من كتالوج Mothercare® ستكون متقنة الصنع. مأمونة. عمليّة. والأهم من ذلك كله. ذات قيمة ممتازة مقابل ما ينفقن عليها من نقود.

ثم أننا بطبيعة الحال لا نبيع لوازم الأطفال فحسب. إذ أنّ بضائعنا تشتمل على كلّ شيء للأمّ الحامل ولمولودها ولأطفالها حتى سن العاشرة.

Now you can be a DOUBLE MILLIONAIRE

1st CLASS
October Draws

Draw a — 5 October 1979
1 Million DM as 1 Main Prize

Draw b — 12 & 15 October 1979
Main Prize 1 x 100 000 DM

6	x	10 000
9	x	5 000
30	x	2 000
120	x	1 000
6300	x	240

Draw c — 19 October 1979
Main Prize 1 x 100 000 DM

Draw d — 26 October 1979
Main Prize 1 x 100 000 DM

6469 Prizes = 3,097,000 DM

2nd CLASS
November Draws

Draw a — 2 November 1979
1 Million or 10 x 100 000
1 Million or 10 x 100 000

Draw b — 9 & 13 November 1979
Main Prize 1 x 100 000 DM

9	x	10 000
12	x	5 000
15	x	3 000
45	x	2 000
150	x	1 000
7200	x	360

Draw c — 16 November 1979
Main Prizes 2 x 100 000 DM

Draw d — 23 November 1979
Main Prizes 2 x 100 000 DM

7456 Prizes = 5,527,000 DM

3rd CLASS
Nov./Dec. Draws

Draw a — 30 November 1979
1 Million DM as 1 Main Prize
1 Million or 10 x 100 000
1 Million or 10 x 100 000

Draw b — 7, 10 & 11 Dec. 1979
Main Prize 1 x 100 000 DM

3	x	15 000
12	x	10 000
15	x	5 000
18	x	3 000
60	x	2 000
180	x	1 000
8100	x	480

Draw c — 14 December 1979
Main Prizes 3 x 100 000 DM

Draw d — 21 December 1979
Main Prizes 3 x 100 000 DM

8416 Prizes = 8,182,000 DM

4th CLASS
Dec./Jan. Draws

Draw a — 28 December 1979
1 Million or 10 x 100 000
1 Million or 10 x 100 000
1 Million or 10 x 100 000
1 Million or 10 x 100 000

Draw b — 4, 7 & 8 January 1980
Main Prize 1 x 100 000 DM

3	x	25 000
6	x	15 000
15	x	10 000
18	x	5 000
21	x	3 000
90	x	2 000
210	x	1 000
9000	x	600

Draw c — 11 January 1980
Main Prizes 4 x 100 000 DM

Draw d — 18 January 1980
Main Prizes 4 x 100 000 DM

9412 Prizes = 11,158,000 DM

5th CLASS
Jan./Febr. Draws

Draw a — 25 January 1980
1 Million or 10 x 100 000
1 Million or 10 x 100 000
1 Million or 10 x 100 000
1 Million or 10 x 100 000
1 Million or 10 x 100 000

Draw b — 1, 4 & 5 February 1980
Main Prize 1 x 100 000 DM

3	x	50 000
6	x	25 000
9	x	15 000
18	x	10 000
21	x	5 000
24	x	3 000
120	x	2 000
240	x	1 000
10500	x	720

Draw c — 8 February 1980
Main Prizes 5 x 100 000 DM

Draw d — 11 February 1980
Main Prizes 5 x 100 000 DM

11002 Prizes = 14,932,000 DM

6th CLASS
Main Draw

Draw on 15th February 1980
1 Million DM or 10 x 100 000

Draw on 22nd February 1980
1 Million DM or 10 x 100 000

Draw on 29th February 1980
1 Million DM or 10 x 100 000

Draw on 7th March 1980
1 Million DM or 10 x 100 000

2 Million DM or 10 x 100 000 and **1 Million DM** as 1 Main Prize

Draws on 13, 14, 15, 18, 19, 20, 21, 22, 25, 26, 27, 28, 29 February and 3, 4, 5, 6, 7 March 1980

12	x	50 000	=	600 000
24	x	25 000	=	600 000
30	x	15 000	=	450 000
36	x	10 000	=	360 000
60	x	5 000	=	300 000
120	x	3 000	=	360 000
150	x	2 000	=	300 000
2130	x	1 000	=	2 130 000
68100	x	720	=	49 032 000
70713	Prizes		=	60,132,000 DM



Making millionaires is our business.

All Amounts are quoted in German Marks (DM)

SENSATIONAL: THE SUPER JACKPOT HAS NOW BEEN INCREASED TO 2 MILLION GERMAN MARKS – equivalent to **MORE THAN 1 MILLION DOLLARS.** The Nordwestdeutsche Klassenlotterie – government administered – is the first lottery to make such an **OUTSTANDING WINNING OFFER.** An additional 17 million DM now boost the TOTAL AMOUNT OF WINNINGS to OVER 103 MILLION DM. There are 218 main prizes ranging from 100,000 DM up to 1 million DM and another 113,250 prizes. With just a small stake you can become a double millionaire or win one of the thousands of other prizes.

DRAWS ARE EACH FRIDAY – the first million will be drawn on October 5th.

ALL PRIZES ARE FULLY PAID – free of German taxes – payable in any currency to any place you choose and strictly confidential. **OUR SERVICE IS WORLDWIDE** – wherever there is a postal service you can play our lottery. **BUT YOU CAN'T WIN UNLESS YOU BUY A TICKET.** There are full tickets, half tickets and smaller shares. All of them take part in all draws and have equal winning chances, but of course **only full tickets receive 100 % of the prize money**, smaller shares are only entitled to their corresponding portion.

The entire lottery extending over a 6 month period, is divided into 6 classes. Each single class has 4 partial draws except the main draw in the 6th class which consists of 18 drawing days running over 3 weeks. **ALL DRAWS ARE PUBLIC AND GOVERNMENT SUPERVISED.** The amount of money given away and the number of winning tickets increase with each class until **over 60 million DM are drawn in the 6th class. WE CHECK ALL TICKET NUMBERS FOR WINNERS** and tell you – and only you – that you have won. You will also get a list of winning numbers after each class, so you can check to be certain that we are looking after your interests.

PLAY THE GAME OF MILLIONS!

To get in on the winning action just complete and mail the attached application form together with your remittance in an envelope. You will immediately get your ticket and information in English.

TICKETS FOR THE 63rd LOTTERY ARE AVAILABLE NOW.

The draws commence on October 5th, 1979 and continue until March 7th, 1980.

Wessel
Kreishausstraße 9 · P.O. Box 804
D-4900 HERFORD / West Germany

play and win with Klassenlotterie

Complete, enclose your cheque and mail to: Mr. W. Wessel, Postfach 804, D-4900 Herford (West Germany)

TICKET APPLICATION FORM

Please send me by return of post **NORDWESTDEUTSCHE KLASSENLOTTERIE** tickets as stated below:

.... full (1/1) tickets at 720,- DM each (approx. 376 $) = ...,- DM

.... half (1/2) tickets at 360,- DM each (approx. 188 $) = ...,- DM

.... quarter (1/4) tickets at 180,- DM each (approx. 94 $) = ...,- DM

winning lists incl. postage for Europe 12,- DM / for Overseas 21,- DM .... (approx. 11 $) = ______________,- DM

Total amount of the enclosed cheque in DM or the equivalent in US-$ ....,- DM

The quoted US-$ equivalents are only a rough estimate. For exact exchange rates please ask your bank.

The prices stated above cover the **whole series of 6 classes.** Cheques should be made payable to **Mr. W. Wessel.** If you pay by German cheque or DM bank draft made payable to a German bank, bank charges are not applicable. In all other cases, especially when remitting in currencies other than DM, you will be credited with the equivalent received for your remittance. Cash (only bank notes) should be mailed by registered letter.

Mail the tickets to: Mr.☐ Mrs.☐ Miss☐ Messrs.☐ (print clearly!) Please answer in German☐ in English☐

FULL NAME:..

STREET AND NUMBER:.. **P.O. Box:**..................

PLACE (city / country / postal code):...

VALID ONLY WHERE LEGAL

63441

Cut out along dotted line and mail in an envelope

من الناس من يولد في سلالة المشاهير، ومنهم من يحقق شهرته بنفسه، وأما البعض الثالث، فأن الشهرة تترافد اليه في تدرج وهدوء من خلال الظروف

الطريق الى الشهرة

هل فكرت يوما في ما تودّ ان يخلّدك به الناس؟ ربما توافر لك الجواب عن هذا السؤال منذ الان، اذا كنت ناشئا في مقدورك ان تصبح صنوا لأينشتاين أو مايكل انجلو، تتفتح نظرياتك عن ثورة علمية فذّة، وتؤدي ريشتك الشهادة القاطعة على عبقريتك من سقف احدى كنائس "سيكستين".

اما اذا كان سبيلك الى الشهرة لم يتضح بعد، فلا تفقد الامل، لانك لا تدري ما قد تأتيك به الايام إن ثابرت على المحاولة مثلما فعلت انا.

فعندما كنت طفلا في نيوزيلندا استطعت ان احقق شهرة قصيرة الأمد بجعل قدميّ متورمتين بمثابرتي على الهرب من المدرسة الداخلية عشر مرات. وقد افادني ذلك الشرود بتنمية غريزة الاستكشاف في نفسي.

الا ان لقائي الاول للشهرة الحقيقية جاء بعد ان تحولت الى تسلق الجبال في السن العشرين. كانت هناك بدايات عدة غير موفّقة، من بينها سقوط من ارتفاع ٢٠٠ متر في جبل كوك (نيوزيلندا).

ولكنني نجحت مع رفاق لي في تسلق أعلى قمة جبلية في غينيا الجديدة للمرة الاولى. وقد اكتشفنا أرضا جديدة الى الغرب، ورحنا نطلق الاسماء على مواقعها، ونحييها بها كالجنية الرقيقة بعصاها السحرية. وتفضل أحد زملائي في مغامرة التسلق، فأطلق اسمي على كومة من الصخور، دعاها: "قمة تمبل". وبدا لي آنذاك أن مكاني في قائمة المستكشفين الخالدين قد غدا مضمونا، ما دام يتعذر تجاهل الجبال وقممها بسهولة.

سوني
SONY



في البداية ترينيترون، والآن بيتاماكس
سوني تعطيك الابتكار العظيم تلو الاخر



بال / سيكام
للتسجيل واعادة المشاهدة

في البداية انطلقت سوني بتكنولوجيا الفن التلفزيوني الى مستوى جديد بواسطة تلفزيون ترينيترون الملون. هذه التكنولوجيا تقدم لك الآن بيتاماكس، أول مسجل تلفزيوني للبيت. أربط بيتاماكس بجهازك التلفزيوني لتسجيل أي شيء ترغب بمشاهدة عرضه من جديد.

فإذا كان لديك برنامجان مفضلان في نفس الوقت، يمكنك مشاهدة احدهما في الوقت الذي يسجل فيه بيتاماكس الآخر.

ولتسجيل البرامج المفضلة أوتوماتيكيا وأنت خارج البيت، ما عليك إلا ضبط جهاز الوقت اليومي كما وان بإمكانك مشاهدة عرض التسلية المسجل مسبقا في أي وقت تشاء. حول غرفة الجلوس الى مسرح في البيت بواسطة الأفلام العادية والوثائقية، والبرامج العائلية من مختلف الأنواع.

بيتاماكس يستخدم اصغر فيديو كاسيت واوفره كلفة في العالم. وهو سهل التوضيب والتعامل معه، وبالرغم عن أنه يتسع لشريط أطول من أي كاسيت آخر بالنسبة لحجمه، ويدوم أكثر من ثلاث ساعات.

كما وان جهاز بيتاماكس بو. لوردنغ الذي انتجته وطورته سوني، أثبتت التجربة انه الأشد اعتمادا والاكثر متانة وحمولة اذاعية بين سائر أجهزة التسجيل التلفزيوني.

عشرون عاما من الاختبار في حقل التكنولوجيا، حققت لك اولا الترينيترون، وتحقق لك الآن بيتاماكس ... الابتكار العظيم بعد الآخر،

Sony Betamax سوني بيتاماكس

شاهد ما فاتتك مشاهدته

ولكن سوء الحظ، أو لعله العدل والانصاف، قد قضى أن تضم أندونيسيا اليها غينيا الجديدة الغربية التي أصبح اسمها "ايريان بارات"، فتغير بذلك اسم أعلى جبل في المنطقة كان معروفا أكثر من نصف قرن باسم جبل كارستنز، فأصبح يدعى جبل سوكارنو. وتغيرت أسماء أخرى كذلك، وعادت "قمة تمبل" الى حالها السابقة، مجرد كومة من الصخور بلا اسم.

وبدا لي أن هناك وسيلة أسهل لبلوغ الشهرة والخلود، ان لم تكن عن طريق الجبال فقد تتيسر عن طريق التلال الخُلديَّة، اي تلك التي تنتج من حفر الخلد لجحره. فقد تكرم أحد المتاحف الامريكية واولاني مهمة لمدة ١٨ شهرا أصبحت بمقتضاها صيادا معتمدا للحيوانات، وإن لم تكن بالضبط حيوانات كبيرة: ذلك أن المتحف طلب مني الاقتصار على جمع طفيليات الحيوانات فحسب.

ومضيت بأمانة واجتهاد أجمع أصناف القمل والبراغيث من مختلف الحيوانات في حوض نهر سيبيك الاعلى والادنى وفي أنحاء مرتفعات غينيا الجديدة. وقد عثر ملقطي على آلاف الطفيليات، ولكني كنت أتطلع دائما الى العثور على طائر الجنة الذي لم يكتشفه احد حتى الان، أو الحيوان الجرابي الجديد، احد انواع الثعابين التي لا يزال العلم يجهلها.

الجرذ الجرابي ـ وانتقلت الى جزر سليمان، وكان معروفا انها لا تحوي سوى نوع واحد من الحيوانات الجرابية يدعى "الابوسوم" وهو حيوان يتظاهر بالموت ساعة الخطر وسمعت لدى وصولي أن بعضهم قد رأى نوعا من الجرذ الجرابي، فتحمست وكتبت الى المتحف ان العثور على هذا النوع الجديد من الحيوان – وقد يكون جنسا جديدا – سيعتبر "حدثا علميا". ولكن الرد لم يلبث أن جاءني: "ابحث في أجسام الكلاب والقطط والبقر، وخصوصا الخنازير البرية، عن الحشرات الطفيلية. وابحث عن حشرات العثّ في الفتحة الإستّية لدى الخفّاش. وفي آذان الطيور وأكياس الحيوانات الجرابية".

ولم أتمكن أبدا من الاهتداء الى الجرذ الجرابي. بل أن كل ما نجحت في التقاطه في جزر سليمان هو: الملاريا.

وكان لا بدّ، والحال هذه، من تغيير الاوضاع والانتقال الى مشروع آخر. فلم ألبث ان انضممت الى بعثة استكشافية في رحلة الى المحيط المتجمد الجنوبي، على سفينة صغيرة لا يتجاوز طولها العشرين مترا، متّجهة الى جزيرة هيرد. وكان من بين المهمات المعهودة الى البعثة العمل على التثبت من أوجه الشبه بين أنواع الحشرات في القارات الجنوبية ومن أن مبعثها الهجرات على طول مسار الرياح الدائرة حول القطب. وكانت مهمتي تنحصر في اطلاق شبكة من موقع الصاري الامامي للسفينة، مرتين في اليوم، محاولا "اصطياد" ما امكنني من حشرات. وتعددت المناسبات المعاكسة، من الامواج التي تقتحم سطح السفينة بارتفاع خمسة أمتار، الى الرياح التي تمزق شباكي المسكينة، الى الثلج

الذى يتجمد في أجهزة السفينة. وبلغ مجموع ما اصطدته من حشرات طوال الرحلة بضع فراشات هربت من حريق على ساحل ولاية فيكتوريا في اوستراليا، أضيف اليها في عيد الميلاد بالون أخضر على شكل يسروع.

وبلغنا جزيرة هيرد، حيث المتوسط السنوي لدرجة الحرارة المئوية لا يتجاوز الصفر، وحيث متوسط سرعة الرياح الثلجية لا يقل عن ٣١ كيلومترا في الساعة، في مناخ لا يمكن وصفه الا بالنذالة. ووجدت أن كل الذبابات والفراشات في هذه الجزيرة قد فقدت ميلها الى الطيران فضلا عن قدرتها على ذلك، فلم أصطد منها شيئا. وسرعان ما عدت الى الروتين القديم، أجمع القمل والبراغيث وغيرها من رفاق الطريق، واستخرجها هذه المرة من أجسام الطيور القطبية الجنوبية.

وغادرت جزيرة هيرد غير آسف. وانما بدأت رحلة العودة بهبوب أمواج ساحلية عنيفة اضطرتنا الى تخفيف حمولة القارب الذي نقلنا الى السفينة فتركنا على الشاطىء كل معداتنا، وكان ذلك آخر عهدي بالادوات التي كنت أستخدمها في جمع الحشرات والتى التقطت بها البراغيث في وادى نهر سيبيك، وحشرات العث في جزر سليمان، بل والقمل أيضا في جزيرة هيرد... وهي ذهبت كلها الى غير رجعة، واختفت معها كل تلك الاحلام والآمال في كومة صغيرة مبللة تقبع على شاطىء تلك الجزيرة التاعسة المتجمدة.

ولئن تكن الرحلة لم تنفعني بشيء آخر، الا انني قد تعلمت فيها الملاحة، على الاقل، فاستمررت في هذه المهنة حتى اصبحت معلما للملاحة البحريةفي احدى المؤسسات في نيوزيلندا حيث أصبت شهرة (لازمتني طويلا على غير ما توقعت) بصفتي الرجل الوحيد الذي نجح في اغراق قارب المؤسسة الذي يبلغ طوله عشرة أمتار.

ثمار المحاولات الفارغة ـ وبعد ست سنوات من المحاولات الدائبة، بدأت أتساءل: بماذا أفادتني كل هذه المحاولات؟ وأين هي النصب التذكارية التي أقمتها؟ ومن ذا الذي يعبأ بكل ما فعلته؟

عند هذه النقطة التي تدنّى فيها حظي الى الحضيض، لمعت بارقة أمل من جهة غير منتظرة. فقد وردت علي رسالة من رجل اسمه كارلتون فيليبس يجري دراسات عليا في علم الحيوان في جامعة كانساس (بالولايات المتحدة الامريكية). وجاء في الرسالة: أن خفاشا كنت قد التقطته في جزر سليمان قبل سنوات، قد وصله محفوظا فيالكحول واستقر على طاولة مختبره. وهو يسألني عما اذا كنت أتذكر أين عثرت على ذلك الخفّاش وفي اي تاريخ. وتذكرت على الفور جزيرة فيها كهف تقطر الرطوبة من جدرانه اللامعة في ضوء مشعلي، وتكسو أرضه فضلات خفافيش غاص فيها حذائي. وتتأرجح في ظلامه حشرات عنكبوتية غريبة، وتنتشر في جوه سقسقة الخفافيش المرتجفة في سحناتها الفرانكشتاينية المخيفة. تذكرت ذلك كله على الفور، وتذكرت معه الحرارة الخانقة والرائحة الكريهة.

وجاءني رد فيليبس مشبعا

بالحماسة. فهو كتب الي إن خفّاش حزر سليمان هذا جديد على العلم وقد أطلق عليه اسم لاتيني معناه "الحصان الحديد" في اشارة جلية الى سحنته البشعة. لكن هذا الاسم ستضاف اليه الان كلمة "تمبل"، تقديرا لجهدي في اكتشافه. وأحسست بنشوة سرور لم يطل امدها. ذلك أن الاستاذ الجامعي الذي يشرف على بحوث فيليبس قد رفض اقتراح اضافة اسمي لانه يفضل أن يطلق على الخفّاش اسما "ذا دلالة علمية".

غير أني مع ذلك بدأت أنظر الى مسعاي في ضوء جديد. فقد تعلمت على الاقل أن الانسان لا يجري وراء الشهرة ولا يختار عناصر ذكراه وانما الظروف هي التي تجيئه بذلك متى شاءت.

ولم تلبث صحة هذا الرأي أن تأكدت. فبعد ذلك اللقاء الفاشل مع الشهرة، تلقيت مجموعة من الابحاث عن دراسات علمية أجريت على الحشرات التي التقطتها في جزيرة هيرد اللعينة. ومضيت أتصفح هذه الابحاث تائها وسط اصطلاحاتها العسيرة ورسومها المعقدة، حتى اكتشفت حشرة مفصلية من نوع جديد أطلق عليها اسم "تولبيرجيا تمبل"، وحشرة عث أخرى أوشكت أن أغفل عنها حين كنت أقلب البراغيث والعث الكامن في جحر أحد الطيور البحرية وقد أصبح اسمها الان "ديفاماسيلوس تمبل".

لقد جاءني الخلود متسللا. لا عبر الجبال وانما عبر الحشرات. وفي القرون الآتية، ستبقى ذكراي حية في أذهان علماء الحشرات كلما نظروا الى هاتين الآفتين ماصّتي الدماء.

وهكذا، اذا ما أصابك اليأس من تلقي الاعتراف بعبقريتك الطبيعية أو بالانجاز الذي كرست له حياتك، فلاجدر بك أن تتخذ موقفا فلسفيا تتمثل فيه بالشاعر الانكليزي "ألكسندر بوب" حيث يقول:

لست أحتقر الشهرة، ولست أسعى اليها،
فهي تأتي بلا دعوة، اذا ما جاءت على الاطلاق!.

■ فيليب تمبل

ضفدع مدلل

ذات يوم صادف الدوق ولنغتون (وكان قاسيا بطبعه) صبيا صغيرا يبكي بمرارة. وحين سأله عن السبب، بدأ الطفل يبين انه سيذهب في اليوم التالي الى المدرسة. ولم يدع الدوق فرصة للطفل لكي يكمل، فألقى عليه محاضرة قاسية واصفا فيها سلوكه بالجبن وبافتقاد صفات الرجل المحترم.

ومضت فترة غير قصيرة قبل ان يتمكن الطفل من توضيح سبب بكائه بأنه ليس ذهابه الى المدرسة بل قلقه على ضفدعه المدلل الذي لن يهتم به أحد سواه، وبالتالي لن يعرف مصيره. وكأي رجل مستقيم، اعتذر الدوق للطفل لاساءته اليه ووعده بأن يتابع بنفسه حالة الضفدع.

وبعد وقت تسلم الطفل الرسالة الآتية:

"يقدم الفيلد مارشال الدوق ولنغتون تحياته الى السيد... ويطيب له اعلامه بأن حال الضفدع حسنة".

مادج غارلاند (كتاب "الوجه المتغير للطفولة")

درس من ايران

ان ثورة ايران قلبت الكثير من المفاهيم واسقطت احد اقوى الانظمة واشدها ثباتا، والعالم مدعو اليوم الى فهمها والتكيف معها

قبل سنة كان شاه ايران محمد رضا بهلوي يبدو اكثر الحكام اطمئنانا على عرش فارس الذي يعود الى ٢٥٠٠ عام. لقد كان حاكما مطلقا، يسيطر على احد اقوى الجيوش في الشرق الاوسط وعلى شرطة سرية دائمة الحضور، فضلا عن تمتعه بعائدات سنوية من النفط تبلغ ٢٠ مليار دولار. وكان خصمه الرئيسي الزعيم الديني آية الله روح الله الخميني (٧٨ سنة) يعيش في المنفى منذ ١٥ عاما. ومع ذلك، ففي الشتاء الماضي اكره الشاه على الفرار وعاد الخميني الى ايران منتصرا. لقد كان الخميني وانصاره مسلحين بما هو اشد رهبة من الآلة العسكرية المتطورة التي كانت لدى الشاه، وهو حرارة الايمان الديني.

لقد انفجرت في ايران ثورة دينية داعية للعودة الى الاصول الاسلامية، وترددت اصداؤها لدى ٦٠٠ مليون مسلم في العالم، من المغرب على المحيط الاطلسي الى اندونيسيا على حافة المحيط الهادىء.

ولئن اختلفت الظروف بين بلد وآخر، فان الثورة الايرانية هي، عموما، رد فعل لمحاولات تحديث الدول الاسلامية حسب الاسس الغربية. ولا يزال هناك دعاة اصلاح مسلمون يسعون منذ سنوات الى منافسة الغرب قوة وثروة عن طريق تشجيع التصنيع وتوسيع نطاق التعليم.

وان يكن الاخذ بالمثال الغربي في التحديث، حيثما تم، قد جاء سطحيا عموما، فان الافادة منه اقتصرت على

نخبة تنتمي الى اعلى مراتب السلطة. ثم ان المحافظين بين رجال الدين يتذمرون من ان محاولات التحديث في بلدانهم قد ادت الى اضعاف القيم الاسلامية من غير ان تقدم اي بديل عنها. واستطاع هؤلاء اقناع اعداد متزايدة من المسلمين بان الوقت قد حان للعودة الى الاصول الشرعية الاسلامية.

قليلة هي التطورات التي تحمل مثل هذا الخطر على الدول الصناعية التي يعتمد ازدهارها الاقتصادي على استمرار تدفق النفط عليها من العديد من الدول الاسلامية المعنية. كذلك يحتمل، ان لم يتوقف هذا الانتاج، ان يعمد بعضحكوماتها الى خفض صادراتها من الذهب الاسود بغية حفظ ثروتها النفطية للاجيال القادمة.

الملايين الغاضبة ـ وسيكتب التاريخ عن الشاه انه اشهر ضحايا الثورة الاسلامية في ايران. لقد كان، كغيره من الذين حاولوا ادخال اصلاحات على المجتمع الاسلامي، يحلم بتحويل بلاده الى قوة صناعية من المرتبة الاولى. وبفضل العائدات النفطية الضخمة التي كانت في تصرفه، قرر ان يرقى ببلاده، في عقود، الى مستوى صناعي صرف الغرب لتحقيقه فترة تزيد على قرن كامل. وكجزء من برنامجه، اغرى الشاه ملايين الايرانيين بترك الارياف للعمل في المصانع الجديدة وفي مشاريع البناء في طهران وفي غيرها من المدن الايرانية. لقد كانت حياة هؤلاء العمال في المناطق الريفية قاسية، الا انهم كانوا على الاقل يتمتعون براحة نفسية في مجتمع اسلامي مألوف. اما في المدن فعاشوا نقيض هذا الوضع، منقطعين عن الروابط العائلية والمجتمعية. وكان التضخم الهائل يحول حياتهم الى صراع يائس من اجل البقاء، في حين ان ثروة النخبة الايرانية الحديثة النعمة، كانت تبدد في كل مكان.

الى هذا كله، فان الاتقياء من البروليتاريا الجديدة في المدن كانوا مستائين من بعض المظاهر الغربية كشرب الكحول علنا (يحرم القرآن الكريم الخمر صراحة) والمقامرة والسينما والمظاهر الخلاعية. كذلك استاء هؤلاء من تصرف الايرانيات المتحررات اللواتي كن يلبسن تنانير او سراويل (بناطلين) بدلا من الشادور وهو ثوب اسود تقليدي فضفاض يلف الجسم ويتدلى من الرأس حتى القدم.

وقد انضمت الطبقة الوسطى بدورها الى الثورة لانها رأت فيها وحدها، عبر اصوات رجال الدين، الطريقة الممكنة للاحتجاج علنا على الفساد الفاضح والتفاوت الاقتصادي فضلا عن التعذيب في ظل نظام الشاه. وليس من قبيل المصادفة ان تكون الجماهير هاجمت، خلال الاضطرابات والتظاهرات التي رافقت الثورة، المحلات الفخمة والمصارف والحانات (البارات).

وقد اثارت المصارف خصوصا، غضب المتظاهرين لان الاسلام يحرم الربا (الدين بالفائدة).

وكانت هاتان المجموعتان - العمال المسلوخون عن واقعهم الاجتماعي في الريف، وابناء الطبقة الوسطى المأخوذون بالنشوة - تؤمّنان جمهورا

متحمسا للنداءات المتصاعدة من رجال الدين المتمسكين باصول الشريعة. وكانت هذه النداءات تدعو الى اسقاط الشاه والقضاء على المظاهر الغربية في المجتمع الايراني وتطالب بحكم مستقيم يطبق الشريعة الاسلامية كما في ايام الرسول قبل ما يزيد على ١٣ قرنا. وفي محاولة لتحطيم سلطتهم، حرم الشاه رجال الدين الاشراف على الاراضي الشاسعة التي كانوا يديرونها كأوقاف، وانهى دورهم المهيمن على شؤون التربية والزواج والطلاق، وتجاهل شرطا دستوريا يمنح الزعماء المسلمين حق النقض في الاشتراع القومي. على ان هذه الجهود، بالاضافة الى القوة العسكرية التي كانت في تصرفه، لم تجد الشاه نفعا.

الايمان المطلق – ان بعض مظاهر الثورة الايرانية، كالتشديد على المبادىء الروحيةوتجديد التأكيد على السلوك الخلقي والعناية بالفقراء، يمكن ان تعود بالنفع على كل المجتمعات. لكن مصلحين مسلمين يقولون ان هناك شرائع وتقاليد اسلامية عدة قد وضعت على نحو يتناسب والمجتمع الذي كان سائدا في القرن السابع، وان هذه الشرائع والتقاليد – كما يقول دعاة الاصلاح – صعبة التنفيذ في عالم اليوم. ويضيف هؤلاء ان الداعين الى تطبيق الشريعة الدينية يطالبون مثلا بالعودة الى تنفيذ العقوبات الجزائية القرآنية كقطع ايدي السارقين ورجم الزناة، كما يريدون الغاء القسم الاكبر من المكاسب الصغيرة التي تحققت للمرأة الاسلامية.

الا ان الاسلام هو اكثر من فقه: انه ينص على طريقة تنظيم المجتمع. فالقرآن والاجتهاد يرسمان اصولا وقواعد للسلوك الفردي من المهد الى اللحد. كما يضعان مفاهيم دقيقة مفصلة لطريقة ادارة شؤون الحكومات. ان مفهوم الفصل بين الدينوالدولة لا وجود له لدى المسلمين المتمسكين باصول الشريعة. فالرسول والخلفاء من بعده لم يكونوا القادة الدينيين الاعلين فحسب، بل كانوا كذلك رؤساء حكومة وقادة جيوش. ولعل اهم ما في الامر ان الاسلام يتطلب الايمان المطلق من معتنقيه، وهو شيء يتحقق له في الواقع.

ان الثورة الدينية في ايران من شأنها تهديد انظمة اخرى في العالم الاسلامي. فالنظام المصري، مثلا، يواجه ضغطا من جماعة اسلامية تدعو للرجوع الى الشريعة الاسلامية بقصد تحويل مصر الى دولة اسلامية تأخذ كليا بالشريعة القرآنية. ولوحظت تحركات في هذا الاتجاه داخل جماعة سرية في مصر تدعى الاخوان المسلمين.

وكان العنف قد انفجر هناك. فحين تظاهر الفقراء في القاهرة قبل سنتين بسبب الارتفاع الفاحش في كلفة المعيشة، اغتنم المتطرفون الدينيون المناسبة لاحراق عدد من النوادي الليلية وافراغ زجاجات المشروبات الروحية في البواليع. واغتالت جماعة اسلامية متطرفة وزيرا سابقا في حكومة السادات لانه تجرأ على انتقادها علنا ووصفها بانها جاهلة لقيم الاسلام الحقيقية. ومع ان السادات نفسه مسلم تقي، الا انه

يفضل ان تبقى مصر، دولة معتدلة في توجهها، وهو عالج قضية الجماعات الدينية المتطرفة بدراية وعناية فائقتين. ولم يتحسن وضعه في هذا المجال بعد توقيع المعاهدة المصرية - الاسرائيلية، لانها في نظر المسلمين الداعين للعودة الى اصول الشريعة لا تعيد فورا الى العرب الاماكن المقدسة في القدس الشرقية.

ان الدعوة الى الحكم بموجب الاصول الشرعية الاسلامية تشكل خطرا على الانظمة الموالية للشرق والغرب على السواء. وهذا الامر ينطبق على اندونيسيا المؤيدة للغرب والغنية بالنفط وعلى ماليزيا المنتجة الاولى في العالم للصفيح والمطاط، كما ينطبق على افغانستان (الموالية للشرق) حيث يشن رجال القبائل الاسلامية في هذه الدولة المتاخمة للاتحاد السوفييتي حرب عصابات تتصف بالعزم والتصميم ضد نظام مؤيد للسوفييت تسلم السلطة على اثر انقلاب جرى قبل سنة. وقد عجزت افغانستان، على رغم مساعدة السوفييت الكبرى، عن القضاء على هذه المقاومة. وفي باكستان خرج دعاة العودة الى الاصول منتصرين. فبعد خلع الرئيس ذو الفقار علي بوتو الغربي الثقافة (ثم اعدامه في وقت لاحق)، اعلن حاكم البلاد الجديد الجنرال ضياء الحق العودة الى تطبيق احكام الشريعة القرآنية.

اكثر المتضررين - وثمة اعتقاد بان الاتحاد السوفييتي قد يكون اكثر المتضررين من هذه الموجة الاسلامية. ذلك ان دعاة تطبيق الشريعة في الحكم معارضون للسوفييت بشدة بسبب طبيعة الشيوعية الالحادية. وهكذا فان النفوذ السوفييتي الذي تراجع كثيرا في الشرق الاوسط يستمر تراجعه هناك الى حده الادنى. ولكن الامر الاكثر ازعاجا لموسكو هو ان ٤٠ مليون نسمة، في روسيا، هم مسلمون. وان الغالبية الساحقة لهؤلاء تقيم في آسيا الوسطى السوفييتية وان نسبة الولادات بينها هي اعلى بكثير مما لدى الروس الاوروبيين. ولذلك يتوقع ان يشكل السوفييت المسلمون في نهاية هذا القرن نحو ٤٠ في المئة من الطاقة البشرية الفتية في الاتحاد السوفييتي. واذا امتدت هذه الموجة الاسلامية الى آسيا الوسطى السوفييتية، فان موسكو ستجد نفسها امام خطر حقيقي.

ولدى تحليل وضع الثورة الدينية في ايران، يتراءى للمراقبين ان اوضاعا صعبة قد تنتظر بلدانا اسلامية عدة. ان آية الله الخميني وغيره من دعاة العودة الى الاصول الشرعية يصرون على انهم يستطيعون تحقيق التصنيع واقامة مجتمع اسلامي في آن.

ماذا يجب ان تفعل الامم غير الاسلامية حيال ما افرزته الثورة الدينية في ايران؟

يجب ان نتكيف معه. والمأمول بعد ذلك ان نتعلم درسا، وهو انه في عصر المركبات الفضائية هذا يمكن لدين ظهر منذ قرون عدة ان يثبت انه قادر على اسقاط اقوى الملوك.

■ **وليم. ا. غريفيث**

الكاتب محرر متجول للريدرز دايجست، ويشغل كرسي فورد للعلوم السياسية في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، وهو استاذ مساعد للتاريخ الديبلوماسي في معهد فلتشر للقانون والديبلوماسية في جامعة تافتس.

لاعلاج سحريا للمشاكل الجنسيّة

ان لكل زوجين حالا فريدة في ذاتها،
لكن الصعوبات الجنسية التي تلجىء الازواج والزوجات
الى التماس العلاج تتشابه تشابها ملفتا

كان الشائع الى عهد قريب بين الازواج والزوجات الذين يعانون مصاعب جنسية هو أن يتحملوا عناءهم في خجل صامت. أما الآن، فان الكثيرين من الرجال والنساء يحملون متاعبهم الى اختصاصيي العلاج الجنسي، وأن يكن معظمهم لا يزال يعتقد أن متاعبه غير عادية، بل وفريدة في بابها. هذا ما تقوله السيدة باتريشيا شيلر المؤسّسة والمديرة التنفيذية للجمعية الامريكية لاختصاصيي التعليم والاستشارات والعلاج الجنسي وتضيف "ولكن الحقيقة هي انهم يأتون بالانواع نفسها من المشكلات، وأننا نواجه بالاسئلة والاستفسارات عينها مرارا وتكرارا".

فما هي اذا تلك الاسئلة التي تتكرر اكثر من غيرها على لسان الازواج والزوجات ويوجهونها الى اختصاصيي العلاج الجنسي؟

وقد تحدثت في هذا الموضوع مع عدد من اعضاء الجمعية الامريكية لاختصاصيي التعليم والاستشارات والعلاج الجنسي، وهي منظمة مهنية رائدة في ميدانها، كما انها الوحيدة التي تمنح، بموجب برنامج، اجازات لاختصاصيي العلاج النفسي المتلزمين بالقيم الاخلاقية. وهنا موجز لما اجمعت عليه آراء اولئك الخبراء:

○ **هل تعني معاناتنا مشكلة جنسية أننا غير متحابين؟**

اجابت على هذا السؤال دوروثي ستراوس، المديرة المساعدة للمركز الطبي لولاية نيويورك المعني بالشؤون الجنسية البشرية، في بروكلين: "كلا بالطبع. فان وجود علاقة جنسية جيدة بين طرفين لا يعني بالضرورة انهما متحابان! فهناك اسباب عدة قد تؤدي الى وجود صعوبة تعترض الزوجين في علاقتهما الجنسية، على رغم انهما متحابان بالفعل".

فمن الطبيعي ان تهدأ المشاعر العارمة لأيام الزواج الاولى بعد فترة، ولكن بعض الازواج والزوجات يقلقهم هذا "الهدوء" ويخشون ان يكون اشارة الى فتور الحب. وقد يكون السبب اعمق من ذلك، خصوصا عندما يكون احد الزوجين مثلا قد نشأ في عائلة تنظر الى الجنس كأنه امر "شائن". ولكن عندما يتحدث الزوجان عن جوانب اخرى من حياتهما معا، يبدو واضحا ان كلا منهما يحمل للآخر مشاعر حب عميق.

○ **من منا هو المخطىء؟**

لقد اظهرت الدراسة التي اجرتها الجمعية الطبية الامريكية عن السلوك الجنسى البشري، ان من المستحيل تقريبا ان تكون المشكلة الجنسية "امرا يخص احد الطرفين وحده، وانما هى امر يمسهما معا".

فقد ترجع مشكلات الفحولة الى خوف الرجل من الاحباط، او الى ما يتعرض له من ضغوط وسخرية من زوجته، او الى مركب من السببين معا. اما المرأة التي لا تبلغ النشوة فقد تكون ضحية حاجز نفسي، ولكن من المحتمل ايضا ان يكون زوجها جاهلا الطريقة الصحيحة لايقاظ رغبتها.

وفي بعض الحالات، تقع مسؤولية "الخطأ" على المعلومات غير الدقيقة المستمدة من مصدر خارجي. ومثال ذلك حال رجل في منتصف العمر شفي من نوبة قلبية، ثم طلب من طبيب الأسرة ان يخبره متى يستطيع ان يستأنف نشاطه الجنسي، فقال له الطبيب: "حاذر الافراط في ذلك والا تعرضت لنوبة اخرى" فخاف الرجل وتجنب النشاط الجنسي تماما تقريبا.

وطبيب الاسرة هو اول من يحمل اليه معظم الرجال والنساء همومهم ولكن معظم الاطباء، وغيرهم من المهنيين في ميدان الصحة، اما انهم يفتقرون الى الدراية الكافية اللازمة واما انهم يعانون هم توترا ازاء امور الجنس الى درجة تحول دونهم وتفهم الصعوبات التي يعانيها مرضاهم. ومن حسن الحظ ان كليات الطب والمنظمات المهنية قد بدأت تبذل مزيدا من الجهد لتدريب الاطباء في مجال الجنس.

○ **لماذا اجد نفسي معظم الوقت فاقد الرغبة في ممارسة الجنس؟**

ان تضاؤل الرغبة الجنسية هو من اكثر المشكلات الجنسية شيوعا، ومن اقلها نصيبا في الاعتراف به.

واذا كانت تلك الحال ترجع الى ملل روتين جنسي رتيب، فقد ينصح المعالجون بالممارسة في اماكن واوقات مختلفة او بأساليب مختلفة. وقد ينطوي الامر ايضا على عوامل بدنية، مثل المرض المزمن او عدم

التوازن في الهرمونات الجنسية او الآثار الجانبية لبعض الادوية، او الافراط في تعاطي العقاقير المهدئة او الكحول او العقاقير المضادة للاكتئاب او مجرد الارهاق العادي. وتقول الاختصاصية مارشالاسويل: "ان الطاقات الجنسية كثيرا ما تستنزفها الجهود التي يفرضها علينا العمل المنزلي والوظيفة والحمل والولادة من دون ان ندرك نحن حقيقة الامر".

غير ان تضاؤل الرغبة يكون في اكثر الحالات ستارا يخفي صراعات عاطفية، كما تقول الدكتورة دومينا س. رانشو، الاختصاصية في العلاج النفسي ومديرة عيادة الخلل الجنسي الوظيفي في جامعة لويولا في شيكاغو. "وقد تراوح هذه الصراعات من السيطرة الارادية على التعبير الجنسي الى القلق حول الاداء الجنسي نفسه، ابتداء من خوف الرفض الى الغضب والعداء المكبوتين".

○ هل هناك دواء يمكن تعاطيه لتحسين الأداء الجنسي؟

"على رغم ان المشكلات الجنسية ترجع، في جانبها الاكبر، الى اصول نفسية، الا ان معظم الرجال - والنساء ايضا ولكن بدرجة اقل - لا يريدون الاعتراف بأن المشكلة قد تكون كامنة داخل نفوسهم". ويضيف الاختصاصي في العلاج روبرت رايتمان، رئيس المنطقة الغربية لجمعية الدراسات العلمية للجنس: "ولذلك فهم يريدون علاجا سحريا".

وتقول دوروثي ستراوس: "ان المعالج الجنسي الامين يقترح دائما اجراء فحص طبي للتأكد من عدم وجود سبب عضوي (فيزيولوجي) للمشكلة. وافضل العلاج هو ذلك الذي يستهدف معاونة المريض في التغلب على العوائق العاطفية والنفسية التي تحول بينه وبين الاستمتاع الجنسي. وتزداد صعوبة هذا المسعى اذا كان المريض او المريضة يبحث عن الراحة الفورية من متاعبه عن طريق حبة يبتلعها او حقنة يأخذها".

غير ان احد الاستثناءات التي قد تعين فيها العقاقير هو ذلك الذي يتعلق بالنساء اللواتي بلغن سن انقطاع الحيض (سن اليأس). وتقول الاختصاصية ستراوس في هذا الصدد: "ان هبوط مستويات هرمون الاستروجين في هذه الحال قد يجعل انسجة المهبل رقيقة واقرب الى الجفاف بسبب انخفاض رطوبتها، فتصبح المباشرة الجنسية مؤلمة. وقد يصف الطبيب في هذه الحال دهانا يدخل في تركيبه هرمون الاستروجين كي تصبح المباشرة مريحة".

○ هل من الطبيعي ان تطوف في ذهن المرء خيالات عن اشخاص آخرين اثناء ممارسته الحب مع زوجه؟

الجواب هو ان امثال هذه التخيلات امر شائع، على رغم ان بعض الناس ينتابهم الاحساس بالذنب من جرائها لانهم يعتقدون انها تمثل رغبات لا شعورية. غير ان مارشالاسويل توضح الامر فتقول: "ان هناك حدودا حاسمة بين التخيلات والحقيقة. واذا استخدمت التخيلات بالطريقة نفسها التي يستخدم بها الناس الوسائل المساعدة الاخرى، مثل الموسيقى والعطور والانوار الخافتة والاسرة المخملية، فانها عندئذ تكون في نطاق السلوك الطبيعي تماما".

ويقول اختصاصيا العلاج الجنسي لي ودون غريبللو ان تخيل ممارسة الجنس مع شخص اخر يؤدي بالفعل المهمة نفسها التي تؤديها الملاطفات التمهيدية، اما لزيادة قوة الرغبة واما لصرف دواعي القلق التي تشتت الذهن والتي قد تؤدي بذلك الى مشكلات العفة لدى الرجال او القصور عن بلوغ ذروة النشوة لدى النساء.

○ ما القول في الشخص الذي يشبعه الاستمناء بمقدار ما تشبعه المباشرة الجنسية؟ هل يكون غير سوي؟

ان قياسات معدل ضربات القلب وضغط الدم وتقلصات العضلات كلها تبين ان النشوة المستمدة من الاستنماء تميل الى ان تكون اكثر شدة وتركيزا من نشوة المباشرة لدى بعض الافراد من الذكور والاناث. ويقول الاختصاصي آرثر لامفير: "ان من اسباب ذلك ان الاستجلاب الذاتي للذة يكون حرا تماما من كثير من المتطلبات والتوقعات التي تصاحب المباشرة بين طرفين، كما أن رد الفعل يكون فيها سريعا لما يثير احاسيس المتعة وما لا يثير تلك الاحاسيس.

ونتيجة لذلك، فأن الاستمناء كثيرا ما يمهد الطريق لعلاقات جنسية أفضل بين الطرفين، كما يحدث مثلا في حالة المرأة التي تقصر عن بلوغ النشوة بالمباشرة مع الزوج فتتعلم بلوغها بالاستمناء الذاتي ومن ثم تصبح قادرة على ان توجه زوجها الى الطريقة الملائمة لملاطفتها حتى يمكنها ان تبلغ النشوة اثناء المباشرة".

○ أليست فكرة الممارسة المتعمدة لمختلف اساليب المباشرة الجنسية فكرة مرذولة من الناحية الاخلاقية؟

الرد على هذا السؤال يتولاه ألبرت إليس الاختصاصي المخضرم في علاج اضطرابات الجنس في نيويورك، فيقول: "ان من الصواب، من الوجهة الاخلاقية، اتيان كل ما يؤدي الى زيادة المتعة لدى الشريكين، ما دام ذلك لا يلحق ضررا بأحد. والواقع ان الامتناع عن ممارسة مختلف اساليب المباشرة التي تزيد المتعة قد يكون هو العمل غير الاخلاقي".

ويتحدث باري مكارثي الاختصاصي في علم النفس السريري (الاكلينيكي) عن رجل يدعى اليكس كان يعاني القذف المبكر، وقد هددته زوجته بالانفصال عنه ما لم يبذل جهدا لمعالجة الامر. ويقول مكارثي: "كان اليكس يعتقد ان تلقيه دروسا في الجنس امر مرذول، ولكنه ما ان تقبل، من حيث المبدأ، الفكرة القائمة على ان التحكم في القذف ليس سوى قدرة او مهارة يمكنه ان يطورها ويحسنها بالتدريب، حتى استطاع التغلب على مشكلته خلال شهرين فقط".

○ ما هو افضل انواع العلاج الجنسي؟ وكم من الزمن يستغرق؟

تقول دوروثي ستراوس: "ليس هناك اسلوب واحد للعلاج فعال بالنسبة الى جميع الناس. وأفضل انواع العلاج هو ذلك الذي تثبت فعاليته على مستوى الفرد صاحب المشكلة".

ويتبع معظم الاختصاصيين الاسلوب الذي ابتكره الباحثان في شؤون الجنس الدكتور وليم هـ.

ماسترز وفيرجينيا جونسون. ويوجز هذا الاسلوب بالآتي:

يتبادل الزوجان في خلوتهما الملاطفة الجسدية، من دون ان يكونا واقعين تحت ضغط ضرورة القيام بالمباشرة الجنسية، لأن ذلك يكون ممنوعا في هذه المرحلة. ثم يعقد الزوجان جلسات مع الاختصاصي او الاختصاصية في المكتب تتناول احاديث عن وسائل معالجة المشكلات الخاصة بهما من دون غيرهما...

ولما كان العلاج الجنسي يتطلب استثمار مقدار كبير من الوقت والمال، فان هناك سؤالين يجب ان يوجههما كل زوجين يعتزمان تلقي علاج للتغلب على صعوبة جنسية ما، وان يكن الكثيرون يحجمون عن توجيههما. واول هذين السؤالين هو:

○ ما هي مؤهلاتك كاختصاصي في العلاج الجنسي؟

ان الحد الادنى الذي لا يجوز الرضا بأقل منه هو ان يستطيع الاختصاصي في العلاج الجنسي ابراز شهادة بأنه اختصاصي في هذا الميدان او بعضويته في منظمة طبية/ اكلينيكية يمارس اعضاؤها المعالجة المهنية للشؤون الجنسية البشرية.

الى ذلك، هناك وسائل اخرى لتقويم كفاية الاختصاصي في العلاج نشير اليها في ما يأتي:

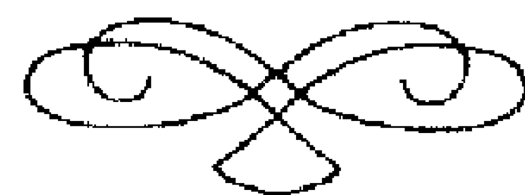
ان يطلب الاختصاصي من مرضاه اجراء فحص طبي لاستبعاد المشكلات العضوية "البدنية" التي قد تكون سببا في الصعوبات الجنسية، وان يسجل بدقة التاريخ الجنسي لمرضاه، وان يكلفهم "واجبات منزلية" وان يضمن لهم الخصوصية الكاملة في جلساته معهم والسرية التامة لكل المعلومات التي يطلع عليها والمعاملات التي يجريها، وان يلتزم بقواعد اخلاقية اثناء جلسات العلاج، وان يمتنع عن فرض قيمه الجنسية الخاصة على مرضاه، سواء اكان المعالج او المريض رجلا او امرأة.

اما السؤال الثاني الذي يجب توجيهه فهو:

○ هل يمكن ان يفيدنا العلاج الجنسي حقا؟

على رغم ان العلاج الجنسي لا يزال احدث من ان يتاح الحكم على آثاره في المدى الطويل، الا ان البيانات المستمدة من بحوث ماسترز وجونسون وغيرهما تبين ان معدل النجاح في التغلب على المشكلات الجنسية يبلغ ثمانين في المئة. وعندما يجري التعامل مع اختصاصي معالج مؤهل تأهيلا سليما، فان الارجح هو ان يسفر العلاج عن تزويد الزوجين بما يلزم من المهارات والثقة التي تكفل لحياتهما الحميمة السعادة والهناء.

■ **نورمان لو بسينز**



الزواج سعادة؟

لا يتوقع أي أمرىء رؤية شخص أعزب ينعم بالسعادة، لكن الناس يستغربون كثيرا ان لم يروه سعيدا بعد الزواج.

راينر ماريا ريلكه

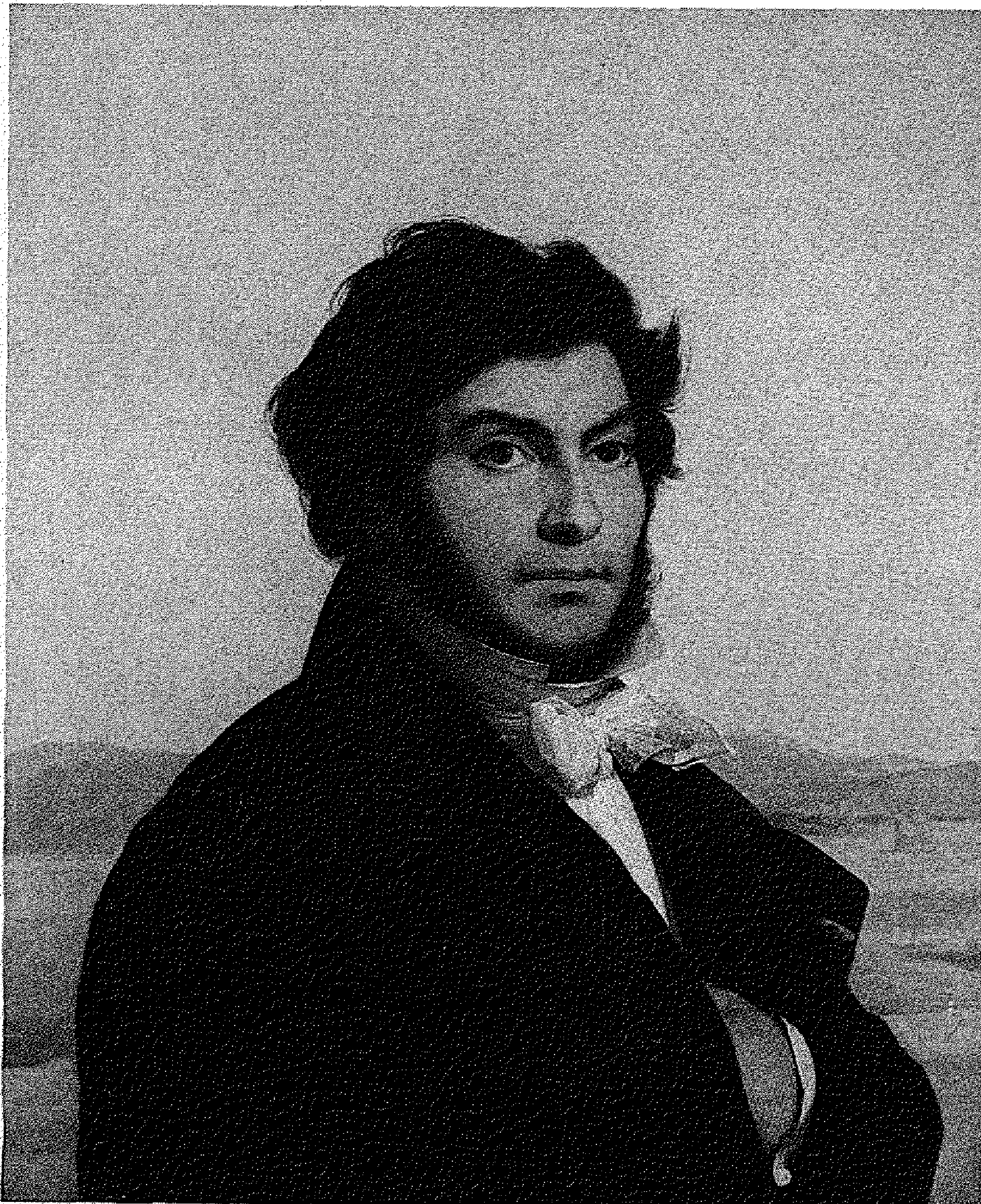
بفضل تكريس هذا العالم العظيم جهوده طوال حياته القصيرة المثمرة، تحقق اخراج ثلاثة آلاف سنة من تاريخ مصر من غياهب الزمن الى النور عن طريق فك رموز اللغة الهيروغليفية

شامبليون: إحياء ٣٠٠٠ سنة من تاريخ مصر


ان الكثرة الغالبة من الزائرين الذين توافدوا الى متحف اللوفر في باريس صباح أحد ايام اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٢، لم يكونوا يستهدفون التعبير عن الاجلال البالغ حد التقديس لابتسامة الموناليزا المبهمة. بل كانوا يقفون في صف، منتظرين ادوارهم بهدوء وصبر لمشاهدة قطعة من حجر البازلت البركاني الادكن ترتفع ١١١ سنتيمترا ويبلغ عرضها ٧٣ سنتيمترا، وهي مغطاة برموز كاد يمحوها الزمن.

هذه البلاطة المعارة من المتحف البريطاني في لندن هي "حجر الرشيد" (على اسم البلدة المصرية التي وجد فيها) الذي كان السبيل لاحد الاكتشافات التاريخية الكبرى. وبواسطته تمكن جان فرنسوا شامبوليون، منذ ١٥٠ سنة، ان يفك رموز الكتابة المقدسة في مصر القديمة، وان يزيل بذلك ظلمات الزمن عن ثلاثة آلاف سنة من التاريخ المنسي.

لقد فتنت روعة الآثار المصرية الضخمة العالم طوال قرون، على رغم ان المعروف عن حضارة تلك الدولة كان ضئيلا جدا ويكاد لا يذكر. ففي تلك الاودية الرملية او في ظلمات المدافن، كان الالهة والملوك والاشراف، بتماثيلهم المنحوتة من



شامبوليون بريشة ليون كونييه (متحف اللوفر)٠



الحجر تخليدا لهم، يسخرون من اولئك الذين كانوا يحاولون الغوص الى اسرارهم· ويبدو ان كل شيء كان يشارك في مؤامرة دعم النبوة المنسوبة الى الاله المصري توت: "ان هذه البلاد المقدسة جدا، ارض المعابد والهياكل، ستكون مغطاة بالقبور، وستبقى اسرارها دفينة الى الابد"· وقد ترك الامر لشامبوليون لتكذيب هذه النبوة·

ترى من ذا الذي كان يستطيع ان يتوقع لشامبوليون هذا المستقبل حين ولد لزوجة طبيب قرية في ٢٣ ديسمبر (كانون الاول) عام ١٧٩٠، في قرية فيجاك الفرنسية الصغيرة؟ الا انه قبل ولادة الطفل بوقت قصير، وجد من قال للام انها ستلد ابنا يقوم باعمال عظيمة· والحق ان جان فرنسوا كان طفلا عبقريا· وكان نشطا وذكيا، لكنه كان ضعيف البنية وشديد الحساسية· وأكب منذ فجر حياته على مطالعة الكتب، فعلم نفسه القراءة عن طريق فك رموز الاشعار التي كانت والدته تفرض عليه حفظها غيبا· ووضع وهو في السن العاشرة في عناية شقيقه الاكبر جاك جوزيف، استاذ اللغة اليونانية في جامعة غرينوبل· واندفع الطفل، بقدرته العجيبة على العلم، الى دراسة اللغتين اليونانية واللاتينية، وحقق نتيجة دهش لها مدرسوه·

كان ذلك عام ١٨٠٠، بعد مرور وقت غير طويل على حملة نابوليون المصرية الاسطورية التي الهبت خيال العلماء في فرنسا· وكان اولئك الذين رافقوا الجيش الفرنسي قد عادوا من الشرق بنسخ دقيقة مضبوطة من النقوش على بعض المباني الاثرية· وفتن جان فرنسوا، كمعظم معاصريه، بكل شيء متعلق بمصر· واملا منه بفض اللغز الذي كان يكتنف التاريخ المصري، انصب جان فرنسوا على دراسة العربية والعبرية والكلدانية والسريانية من اللغات الشرقية·

حادثان حاسمان – كان جان فرنسوا في الرابعة عشرة من عمره حين وقع الحادث الاول من حادثين قاداه الى تحقيق اكتشافه· فهو كان ينقب في مكتبة اخيه حين عثر على كتاب وضعه عالم يسوعي في القرن الثامن عشر، مصرا على ان لغة الاقباط (المصريين الذين اعتنقوا المسيحية) مشتقة مباشرة من اللغة المصرية القديمة· ولم يكن جان فرنسوا يحتاج الى اكثر من ذلك ليكب على دراسة اللغة القبطية· وكأنه بذلك وضع لنفسه هدف حل لغز الكتابة الهيروغليفية·

وفي ١٨٠٧، وضع دراسة لجغرافية مصر القديمة، منطلقا من فرضية تم برهانها لاحقا، وهي ان عددا كبيرا من الاسماء العربية المعاصرة يعكس في الواقع اسماء مصرية قديمة· وباستخدام التوراة مرجعا له ومقابلة النصوص العربية والعبرية مع الكتابات القبطية، كتب شامبوليون دراسة عنوانها: "تقرير عن جغرافية مصر القديمة وديانتها ولغتها وكتاباتها وتاريخها"· وكانت تلك الدراسة مساهمة رئيسية في دراسة تاريخ مصر· وكان عمره آنذاك ١٧ عاما·

وفي السنة ذاتها وقع الحادث

▶ "حجر الرشيد" (المتحف البريطاني)·

الرئيسي الثاني في حياته٠ وكان محافظ مقاطعة ايزير، وهو احد العلماء الذين صحبوا نابوليون الى مصر، قد صادق الاخوين جاك جوزيف وجان فرنسوا٠ وذات يوم عرض هذا الموظف الكبير على جان فرنسوا نسخة من الرسوم المنقوشة على لوحة عثر عليها الضابط النقيب ايتيان بوشار عام ١٧٩٩ في اسس قلعة الرشيد في دلتا نهر النيل الشمالية، ثم اخذها البريطانيون بعد انتصارهم على نابوليون في مصر٠ وكانت اللوحة تحمل ثلاثة نقوش ذات حروف مختلفة: (١) هيروغليفية مصرية، وهي غير معروفة الا من المصريين المتعلمين، واستعمالها محصور بالنصب والمباني، (٢) مصرية عامية مستعملة في المخطوطات، (٣) يونانية٠ وهنا استولى على شامبوليون اقتناع بأنه يرى امامه ثلاث صور للنص عينه٠ ورأى بعين بصيرته ان النور لا بد من ان ينبثق من هذا الذي يراه٠

حجر الرشيد – منذ تلك اللحظة استحوذ حجر الرشيد على تفكير شامبوليون٠ فانتقل الى باريس وانتسب الى معهد اللغات الشرقية حيث اتقن اللغة القبطية بمساعدة كاهن من مصر كان مسؤولا عن كنيسة سان روش٠ وفي هذه الفترة كتب الى شقيقه: "لقد صرت قبطيا الى حد بت معه اخاطب نفسي بالقبطية لمجرد التسلية"٠ وكان نطقه في اللغتين القبطية والعربية جيدا، حتى ان عربيا التقى به في منزل صديق، حسبه شرقيا٠ ثم ان اصدقاءه كانوا يدعونه "المصري"٠

وفي عام ١٨٠٨ حصل على نسخة من اللوحة الثمينة٠ لكن الكتابة الهيروغليفية ظلت تقاوم جهوده للكشف عن اسرارها٠ وفي ذلك الوقت – وكان في التاسعة عشرة – عين جان فرنسوا استاذا مشاركا للتاريخ القديم في جامعة غرينوبل٠ وعلى رغم برنامج عمله المرهق، كان يجد الوقت للاختلاط بأوساط المدينة الاجتماعية والثقافية، ولتأليف الشعر الغنائي، وحتى لكتابة الروايات الهزلية٠ وبعد عشر سنوات رقي الى رتبة "استاذ" في جامعة غرينوبل٠

لكن القدر كان يتربص لشامبوليون بالمرصاد٠ فقد فر نابوليون من جزيرة البا حيث كان منفيا، ودخل فرنسا سرا في مارس (آذار) ١٨١٥، ثم زحف عبر جبال الالب السفلى نحو باريس٠ ولما بلغ غرينوبل، عيَّن سكرتيرا جديدا له هو جاك جوزيف، النابوليوني المتحمس٠ واختار الاخوان الوقوف الى جانب الامبراطورية قبل انهيارها بأسابيع معدودة٠ وما لبثت الملكية، التي اعيدت بعد معركة واترلو، ان جعلتهما يدفعان ثمن ذلك غاليا٠ فاتهم الاثنان بالاشتراك في مؤامرات عدة ونفيا الى فيجاك٠ ولم يتمكن جان فرنسوا من ان يستأنف دراسة الوثائق التي جيء بها في الحملة المصرية الا عام ١٨٢٠، في أعقاب عودته الى باريس٠

رموز ومعان – واستمرت عملية فك رموز الكتابات الهيروغليفية تستنفد الوقت سنة بعد سنة٠ وكان العلماء لا يزالون في حيرة مما اذا كانوا يعالجون رموزا تمثل اشياء محددة

بواسطة الصور ام مقاطع صوتية كالتي في لغتنا. وكان انجاز شامبوليون العظيم عام ١٨٢٢ انه اكتشف ان الكتابة الفرعونية مركبة. ويمكن اختصار نظريته على النحو الآتي:

١ - الكتابة الهيروغليفية رمز وفكرة معا. فالشمس، مثلا، تمثل بقرص، والقمر بهلال رقيق، والحمامة بصورتها. وتمكن كتابة الافعال بتلك الطريقة ايضا، باستعمال الصور التي تذكر بالفكرة المراد التعبير عنها. ففعل "يحكم"، مثلا، يعبر عنه بصورة صولجان.

٢ - الكتابة الهيروغليفية صوتية ايضا. فالافكار المجردة لا يمكن التعبير عنها بالصور. والكلمات التي لا يملك المصريون صورا لها يعبر عنها بصور لاشياء ذات صوت واحد. وهكذا، فان فعل "يترك" كان يعبر عنه بصورة بيت، لان لكلمتي "يترك" و"بيت" صوتا مشتركا هو "بر". وبهذه الطريقة، تحولت الرموز الايديوغرافية (الدالة على رسم وفكرة معا) الى رموز صوتية.

٣ - يتم تسهيل قراءة الكتابة الهيروغليفية بوضع رموز محددة بعد الكلمة للدلالة على ما اذا كانت رمزا صوريا او مقطعيا. فمثلا، فعل "يشرب" الذي يلفظ "سور" ويمثل بصورة طائر، يرافقه رمز محدد له هو رجل وضع اصبعه في فمه. وهذا الرمز يدل على ان الطائر رمز مقطعي.

لقد انجز شامبوليون هذه الاكتشافات بفحص النقوش على حجر الرشيد. وكانت نقطة انطلاقه نظرية قدمها العالم الدنماركي جورج زوغا، موحيا بأن مجموعات الرموز الموجودة في اناء بيضوي يدعى "خرطوشة" هي اسماء الملوك. وكانت النقوش اليونانية على حجر الرشيد تعبيرا عن تكريم كهنة مصريين للفرعون بطليموس الخامس ابيفانيوس. وبافتراضه المصيب ان النقوش الهيروغليفية هي ترجمة لذلك، استنتج شامبوليون ان "الخرطوشة" المنقوشة على حجر الرشيد تمثل الكلمة "بطليموس". وكان ذلك مفتاح حل اللغز.

رعمسيس - وتتالت بعد ذلك اكتشافات اخرى. ففي سبتمبر (ايلول) ١٨٢٢، وصلت الى شامبوليون من مصر وثيقة ذات أهمية استثنائية، وجد فيها "خرطوشة" رمزها الاول مستدير على شكل ٥. وكان شامبوليون على حق في تقديره ان هذه الدائرة تعبر عن القرص الشمسي ("رع" في اللغة القبطية). وبذلك سهل تحديد العلامة التالية التي ظهرت في كلمة بطليموس المنقوشة على حجر الرشيد بحرف م. وبالحاقها بعلامة س (التي كانت معروفة من قبل)، تكونت الكملة مس - اس ("يخلق" او "يلد" فى اللغة القبطية). وهكذا تشكل اسم رع- مس- اس، اي رعمسيس، الذي يعني "رع اوجده".

وفي ٢٧ سبتمبر (ايلول) ١٨٢٢، رفع جان فرنسوا اكتشافاته هذه الى اكاديمية العلوم الفرنسية. وبعد ايام قليلة تلقى هدية هي صندوق ذهبي مرصع بالالماس، يحمل النقش الآتي: "من الملك لويس الثامن عشر الى السيد شامبوليون لاكتشافه الابجدية الهيروغليفية".

وهكذا انتهت عزلة شامبوليون الادبية، وصار مكرما وشهيرا. لكن حياته الان باتت مركزة على فك الرموز. وواصل عمله هذا بحماسة شديدة. وكانت نتيجة جهده ٣٠٠ صفحة من نقوش تروي تاريخ مصر القديم مجددا. وعينه الملك شارل العاشر، الذي خلف لويس الثامن عشر، قيما على قسم الاثار المصرية في متحف اللوفر، ومنحه وسام جوقة الشرف.

تتويج الجهود — ومع ذلك، فان شامبوليون لم يكن قانعا. فهو لم يكن قد زار مصر بعد. وهكذا، رافق عام ١٨٢٨ مجموعة من ١٤ معماريا ورساما في رحلة الى مصر استغرقت عشرين شهرا. وكان يحب ان يزور كل مكان، وان يطوف في كل مكان. وفي ابو سنبل اصر، على رغم آلام داء المفاصل (النقرس) والارهاق المتزايد، ان يزحف على بطنه للدخول الى الهياكل الدفينة في الرمال. وفي اكثر من مناسبة، ابدى قدرة غريبة على التخمين والتقدير. ففي بني حسن مثلا، حيث كان يستكشف كهفا لم يجد زملاؤه شيئا فيه، بلل اسفنجة بالماء واستعملها لمسح الجدران برفق، الى ان ظهرت تحت يده مشاهد ولوحات من الجص تمثل الحياة اليومية والحيوانات تمثيلا مدهشا.

ورجع شامبوليون الى فرنسا ومعه ١٨ صندوقا مملوءا بالمومياءات والتماثيل والاواني واللوحات، مع ناووس حجري، فضلا عن اكداس من الملاحظات والرسوم. غير ان حرارة الصحراء الرهيبة كانت قد اذت صحته الضعيفة. ولدى عودته الى باريس انتخب عضوا في اكاديمية النقوش والاداب. وفي يوليو (تموز) عينه الملك الجديد، لويس فيليب، في منصب رئاسة قسم الاثار في "الكوليج دو فرانس". ولم يتسن له ان يلقي غير ثلاث محاضرات قبل اصابته بسكتة دماغية وفالج جانبي، مما حرمه القدرة على النطق. وبعد مرض دام طويلا، اصيب بسكتتين دماغيتين اضافيتين تلاحقتا بسرعة، فتلاشى جسمه وتوفي في الرابع من مارس (اذار) ١٨٣٢ وهو في قمة مجده العلمي، وله من العمر ٤١ سنة.

وفي العام ١٩٤١ نشر جاك جوزيف شامبوليون القاموس المصري للكتابة الهيروغليفية، وهو القاموس الشهير الذي ظل شقيقه الاصغر يعمل عليه حتى وفاته. وفي السنة ذاتها نشرت الاكاديمية ملاحظاته حول "الرموز التي استعملها قدماء المصريين لتسجيل الزمن في انظمتهم الكتابية الثلاثة". وبين ١٨٣٥ و١٨٤٥، ظهرت المجلدات الاربعة المزينة بالرسوم من مؤلفه "نصب مصر والنوبة".

ويرى سيلفيو كورتو، القيم الحالي على متحف تورين للآثار، ان كلمات المديح التي كتبت بالهيروغليفية منذ ثلاثين قرنا، وصارت مقروءة في الوقت الحاضر بفضل جهود شامبوليون طوال حياته، تشكل نقشا مناسبا على ضريحه:

"هؤلاء الكتبة العلماء،
ورثة الآلهة منذ انطلاقة الزمن،
اسماؤهم باقية مع الخلود،
حتى ولو فنيت اجسادهم
ونسيت ذريتهم".

■ سيرج آرلي

دائرة المعارف

كلمات الدائرة في هذا العدد تنتهي كلها بألف وتاء قصيرة.

وقد وضعت امام كل كلمة اربعة معان، واحد منها فقط صحيح. والمطلوب من القارىء ان يختار المرادف أو المعنى الذي يعتبره صحيحا، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الأجوبة ويقيس مستواه.

٠١ صَفاة: رماد - صخر أملس - نخبة - حجر صلد.

٠٢ مَرقاة: درجة - غاية - جبل - حمل.

٠٣ غَداة: غد - مستقبل - طعام الظهر - أول النهار.

٠٤ فَلاة: عراء - ممر - جحش - صحراء.

٠٥ مَنْجاة: باعث على النجاة - مكان النجاة - سر - ما ارتفع من الارض.

٠٦ مَسْعاة: سعي - مكرمة - شفاعة - وشاية.

٠٧ مُغَنّاة: ضد مأساة - حفلة غناء - مسرحية شعرية - اغنية.

٠٨ أداة: كلمة - طعام - إناء - آلة.

٠٩ مَرضاة: عتاب - مصالحة - رضا - مرض.

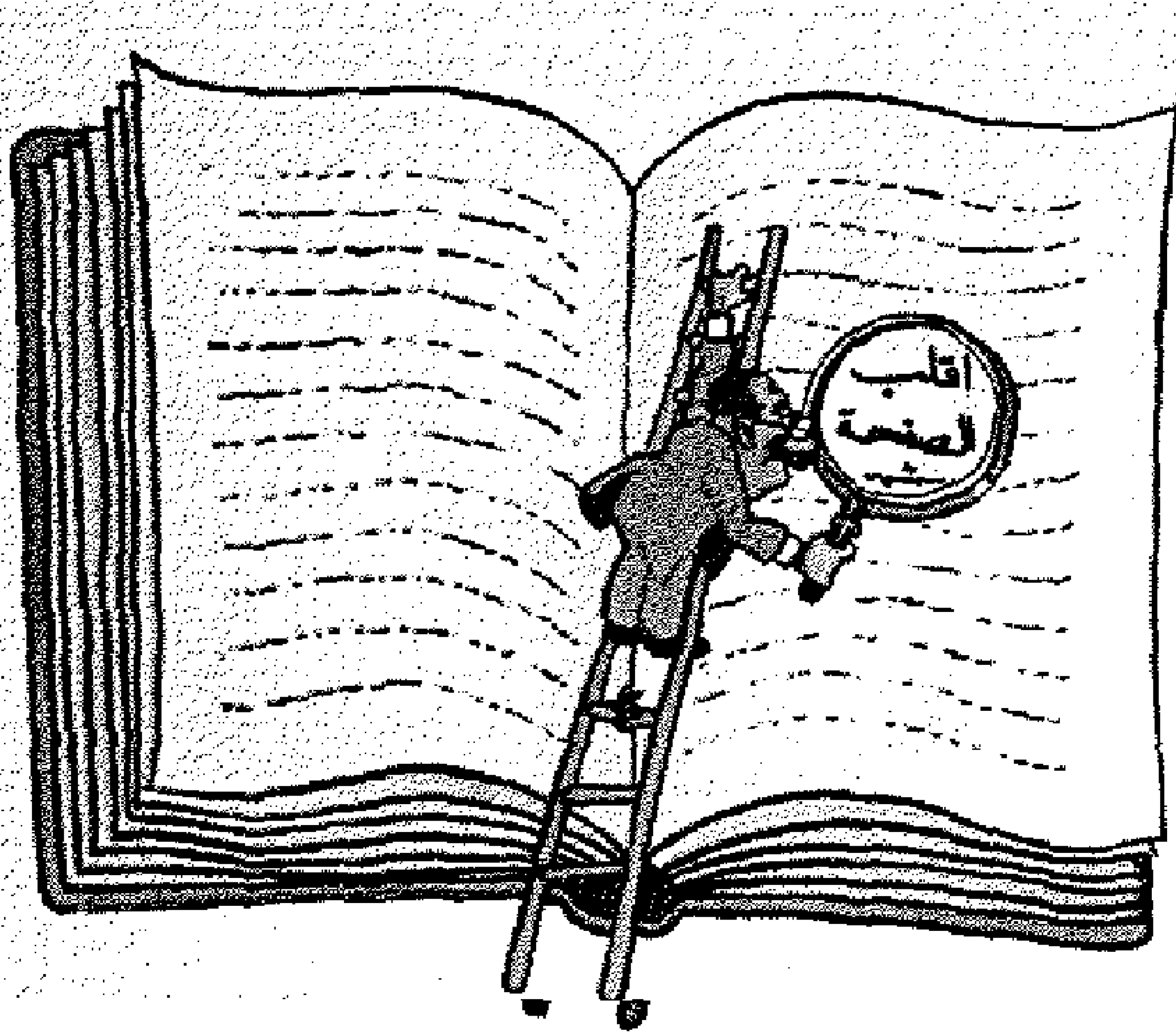
١٠ خَشاة: خطر - عقاب - خوف - ذنب.

١١ نَواة: قلب الشيء - تمر - بعد - عذاب.

١٢ مَسْحاة: سيف - مجرفة - أرض مستوية - علامة ظاهرة.

١٣ أَذاة: ريح - موج - ضرر شديد - ضرر يسير.

١٤ شَكاة: شكوى - ريب - خوف - أذى.



١٥ دَواة: صدى - علاج - محبرة - صوت الرعد.

١٦ مُكافاة: هدية - وسام - تضحية - مقابلة الاحسان بالمثل.

١٧ مِشْكاة: شكوى - مصباح - نور عظيم - قمة الجبل.

١٨ مَهاة: حصى أبيض - بقرة وحشية - فرس - لؤلؤة.

١٩ لَهاة: لحمة سقف الفم - نفس عميق - دمية - عطية.

٢٠ مَلْهاة: لهو - مكان اللهو - رواية مضحكة - دمية.

٢١ مَهْواة: وهدة عميقة - سفح الجبل - قمة الجبل - نار.

٢٢ قَناة: طريق ضيقة - واد - رمح - حفرة.

٢٣ مذراة: تبن الذرة - آلة لجرف الطين - ما يسقط عند التذرية - خشبة تذرى بها الحنطة.

٢٤ مِغْراة: أداة للبناء - آلة لتذويب الغراء - إغراء - جمال.

٢٥ شَباة: ضوء - نار - فرس - شبه.

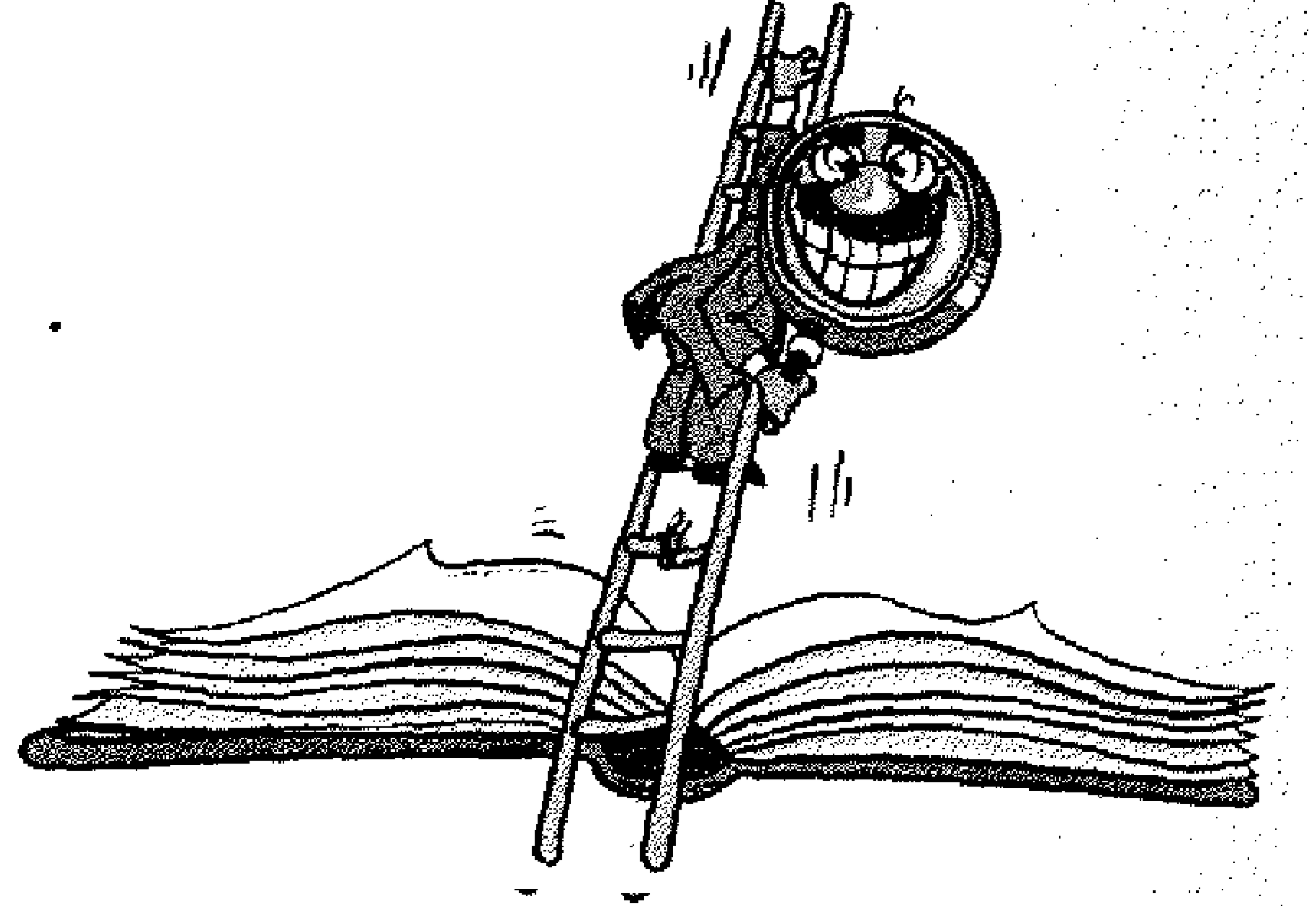
٢٦ زكاة: تقدمة من مالك - هدية - نعمة - زي.

٢٧ مرساة: مكان وقوف السفينة - شراع - حبل - مثبت السفينة.

٢٨ مَرثاة: ثياب بالية - ما يرثى به الميت - بكاء - موقف السفينة.

٢٩ حَصاة: حجر صغير - رمل الشاطىء - شعر ساقط - تصيب.

٣٠ أناة: صبر - حب الذات - قرب المكان - وعاء.



الأجوبة الصحيحة

٠١ صَفاة: حجر صلد ضخم.
٠٢ مَرقاة: درجة. ايضا، مرقى.
٠٣ غَداة: أول النهار. الوقت ما بين الفجر وطلوع الشمس.
٠٤ فلاة: صحراء واسعة.
٠٥ مَنجاة: باعث على النجاة. منجى: مكان النجاة.
٠٦ مَسعاة: مَكْرمة.
٠٧ مُغناة: مسرحية شعرية يغنى فيها. اوبرا.
٠٨ أداة: آلة. "اداة التعبير": اللغة.
٠٩ مَرضاة: رضا، ضد سخْط.
١٠ خَشاة: خوف. اتقاء. (مصدر خَشيَ).
١١ نواة: قلب الشيء. بزر التمْر ونحوه.
١٢ مسحاة: مجرفة أو آلة مثلها يجرَف بها الطين ونحوه.
١٣ أذاة: ضرَر يسير. أيضا، أذيّة وأذى.
١٤ شَكاة: شكوى، تظلّم. مَرَض.
١٥ دَواة: أداة يوضَع فيها الحبر.
١٦ مكافاة: مقابلة الاحسان بمثله أو زيادة.
١٧ مشْكاة: مصباح. ما يوضَع فيه أو عليه المصباح. كل كوة غير نافذة.
١٨ مَهاة: بقرة وحشية. الشمس.
١٩ لَهاة: لحمة مشرفة على الحلْق في أقصى سقف الفم.
٢٠ مَلهاة: مسرحية تثير الضحك عن طريق الهزل والانتقاد والسخرية.
٢١ مَهوْاة: وهدة عميقة. مكان يُهوى فيه.
٢٢ قَناة: حفرة. عصا.
٢٣ مذراة: خشبة ذات أطراف كالاصابع تذَرّى بها الحنطة.
٢٤ مغراة: آلة لتذويب الغراء ومدّه.
٢٥ شباة: فَرَس تقوم على رجليها.
٢٦ زَكاة: ما تقدمه من مالك. صدَقَة. طهارة. صفوة الشيء.
٢٧ مرساة: أنْجَر السفينة الذي به تثبت في مكانها.
٢٨ مَرثاة: ما يُرثى به الميت من شعر وسواه. أيضا، مَرثيَة.
٢٩ حَصاة: حجر صغير. عَدَد. عقْل ورأي.
٣٠ أناة: صبر. انتظار وتمهّل. وقار وحلْم.

المستوى

٢٥ – ٣٠: ممتاز
١٩ – ٢٤: جيد
١٣ – ١٨: مقبول

اسرار الفضاء الخارجي

المجرّات تولّد النجوم والكبير يأكل الصغير

علماء الفلك لا يزالون ، بين الدهشة والرهبة ، يحدقون في المجرات الاكثر بعدا

في المرصد الوطني لـ"كيث بيك" في ولاية اريزونا ، كان عالم الفلك آلان سانديج يعرض الصفائح الفوتوغرافية على التلسكوب العملاق ، وهو يحدثني عن المجرات (مجموعة من النجوم) . لم تكن الليلة مقمرة ، فالظلمة الحالكة هي الوقت المثالي الذى يستطيع فيه العالم رصد الفلك . انه مهتم بضوء النجوم الذي لا يزال مسافرا عبر الفضاء منذ ملايين السنين والذي يصلنا ضعيفا الى درجة اننا لا نستطيع التقاطه ، الا في غياب القمر .

كانت السماء فوق كيث بيك مليئة

بالنجوم ولم يكن في استطاعة سانديج رؤيتها، فهو حبس نفسه في قفص الرصد المعلق بقسطل التلسكوب على ارتفاع كبير عن ارض المرصد، فقصر مجال مشاهداته الكونية على بقعة واحدة من الضوء في عدسة التلسكوب وراح يتفحص هذه البقعة، ليتأكد من صحة توجيه المنظار الى النقطة المنشودة من الصفيحة الفوتوغرافية. فالصفائح الفوتوغرافية هي أهم شيء في رصد المجرات. ذلك ان العين البشرية لا تتمتع بالحساسية الكافية لرؤية المجرات بالتفصيل. ونادرا ما يحاول علماء الفلك النظر الى المجرات عبر التلسكوب، لانهم يوجهون اهتمامهم الى تحليل الصفائح الفوتوغرافية، فيعدون ويقيسون الآلاف من صور النجوم فيها، محاولين معرفة تركيب هذه "المدن" النجمية.

وسانديج، كغيره من الناس، قادر على الاستمتاع بمشهد النجوم في سماء اريزونا. لكن نجوم "درب اللبانة" هي جارات لنا. ان علماء الفلك مهتمون باستكشاف ما وراء ذلك من مجرات اخرى.

الواقع ان هؤلاء العلماء يدركون الان ان المجرات هي اغرب مما توقعوا وانها عرضة لتغيرات عجيبة. فالمجرات الكبرى تبتلع الصغرى، تتصادم وينفجر بعضها على ما يبدو. بل تتداخل في ما بينها وتتراقص فيتولد عن ذلك ملايين النجوم. هذه التحولات تفضي بنا الى تصور لكون دائم التطور، يمثل تطورنا الذاتي دوره فيه.

مكتشفو الكون – نبدو الان وكأننا على اتصال وثيق ببيئتنا الكونية. وبعض هذه الصلات يتحكم بامور ارضية كالطقس مثلا. ولعل بداية العصر الجليدي – حسب رأي الكثيرين من علماء الفلك الانكليز – هي اجتياز النظام الشمسي لسحابة من الغبار والغاز رافقت احدى الاذرع اللولبية لمجرتنا.

ولا تزال النجوم تكشف ان بيننا وبين المجرات صلات اعمق فأعمق. فقد تبين لعلماء الفيزياء الفلكية، لدى دراسة التركيب الكيميائي للنجوم، ما تبين لعلماء الحياة لدى دراستهم التركيب الكيميائي لاجسامنا – لقد تبين ان مجرتنا تتألف من العناصر نفسها التي تتألف منها المجرات الاخرى. فالمعادن التي اكتشفت في العناصر النزرة في اجسامنا موجودة على ما يبدو في انفجارات النجوم التي ماتت قبل مولد الشمس ونشرت في الفضاء الغبار والغاز المشبع بالمعادن وهذا ما كون نظامنا الشمسي وما تكوّنا منه نحن، على الارجح.

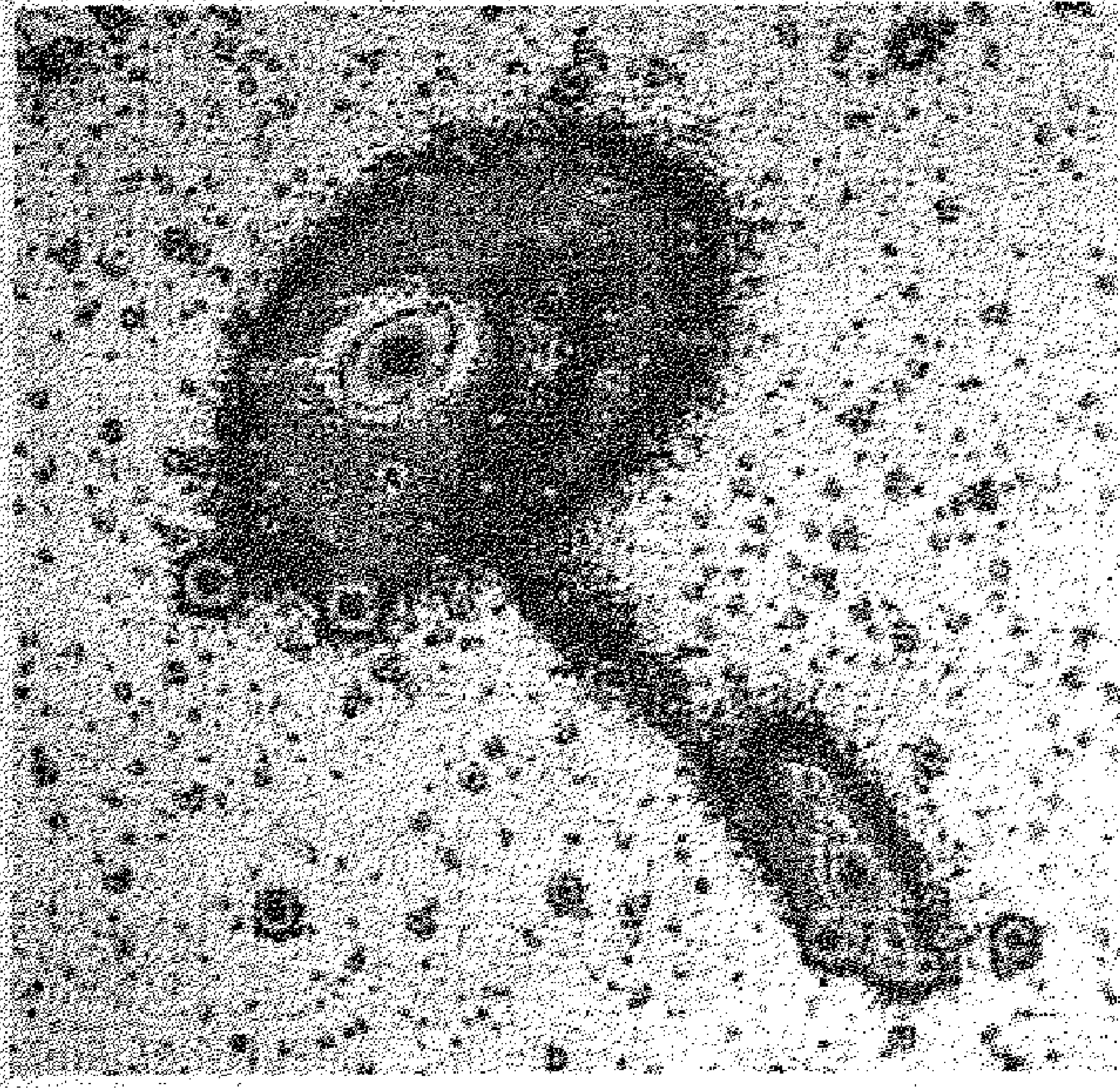
ولا تزال تفاصيل قصة المجرات تتكشف بواسطة "آذان" اجهزة الرصد الحديثة "وعيونها"، من مثل اجرام الاشعة السينية واجهزة تحسس الاشعة الفوق البنفسجية وبواسطة اساليب الادمغة الالكترونية في المحاكاة.

وفي هذا الصدد، حدثني سانديج من برجه العالي بواسطة جهاز الاتصال الداخلي فقال: "اننا ازاء مرحلة حاسمة من قصة تطور المجرات. فالمشكلات التي بدت مستحيلة الفهم بدأت تكشف غوامضها. وثمة صورة عامة في سبيلها الى التشكل الآن".

ويستطيع سانديج الذي يعد في نظر الكثيرين من زملائه اوسع الناس علما بالمجرات، ان يدل على مراكز توالد النجوم الفتية وعلى "مأوى العجزة" للنجوم الهرمة التي نفدت قواها او على النجوم ذات الوميض البطيء المتنوع والتي تساعد على تقدير بعد المجرات. وهو خبير بالمجرات الاهليليجية العملاقة خبرته بالمجرات الضئيلة غير المنتظمة والمجرات اللولبية البديعة الجمال والمجرات الاخرى التي تمزقت وتهرأت لما مر بها من احداث وأهوال. وفي وسعه ايضا ان يدل على مجرتين مالت كل منهما نحو الاخرى فكونتا ما يشبه انفراج ساعة الجيب المفتوحة.

وعن طريق ملاحظة اوجه الشبه بين المجرات، يحاول سانديج ان يحسن تقديراتنا لابعاد الكون ولمعدل توسعه. ومن شأن هذه الارقام ان تمكن بدورها العلماء من التنبؤ بمصير الكون ومعرفة ما اذا كان توسعه سيستمر الى الابد.

هذه الصورة العامة للتقرب من الكون تعارض مثيلتها لدى الباحثين الشباب ممن يعنون بالمجرات، فيتساءلون عن طريقة تكونها واسباب ظهورها هذا المظهر. واخذ كثيرون من علماء الفيزياء الفلكية ينظرون في مسألة توقف بعض المجرات عن توليد نجوم جديدة. ففي مجرة متعافية كمجرتنا تتكون النجوم الجديدة بانتظام، في حين ان بعض المجرات اللولبية توقف في ما يبدو عن "الانتاج" منذ امد بعيد. والواقع ان شمسنا تعد نجمة فتية نسبيا ولو ان مجرتنا توقفت عن تكوين نجوم



صورة الكترونية لتفاعل المجرات.

جديدة منذ ستة مليارات سنة او اكثر لما كنا هنا لنسأل عن السبب.

وفي رأي فلكيين شابين في كيت بيك، هما كارين وستيفن ستروم، ان هناك احتمالا بان تكون المجرات غير السليمة اصطدمت بغيرها من المجرات او بسحب الغاز بين المجرات، وان الاصطدام قد ازال عنها ما تحتاج اليه من الغبار والغاز لتكوين نجوم جديدة. وقد وجد عدد من الفلكيين، ومن بينهم العالمان المذكوران، شواهد تدل على ان المجرات غير السليمة غالبا ما "تقيم" في المناطق الداخلية المزدحمة بتجمعات المجرات، وهي المناطق التي يبلغ فيها احتمال الاصطدام حده الاقصى.

نشأة المجرات ـ من العقبات التي تزيد في غموض عمليات تطور المجرات، ان ما يقع لها من احداث يستغرق فترات طويلة. فاذا اردت ان تراقب تفاعل مجرتين عند التقائهما سيكون عليك ان تنتظر بضع مئات من ملايين السنين. ولكن من الممكن

الان، بفضل اساليب الدماغ الالكتروني في المحاكاة، الاطلاع على ماضي المجرات ومستقبلها. اذ في المستطاع برمجة الدماغ الالكتروني عن طريق تزويده بمعلومات خاصة بكتل المجرات واحجامها ومواقعها، وعندئذ تصبح ممكنة معرفة مسلسل الاحداث التي استغرقت دهورا.

وقد حققت تحليلات الدماغ الالكتروني التي اجريت في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا وفي كيث بيك، وغير ذلك من الاماكن، مقدارا من النجاح المبدئي في تفسير ظاهرة المجرات الدائرية الغريبة. فقد اكتشفت عشرات من هذه المجرات التي تشبه دوائر من الدخان. ويبدو من دراسات الدماغ الالكتروني ان هذه المجرات تتكون عندما تخترق احدى المجرات مركز مجرة اخرى اكبر منها فتحدث فيها ثقبا. ومن الملاحظ في الواقع انه الى جانب كل مجرة دائرية معروفة ثمة مجرة صغرى تبدو وكأنها في سبيلها الى الهرب من مكان الحادث!

ويكفي ان يصطدم البعض القليل من نجوم مجرة بالبعض الآخر من مجرة اخرى لكي نعد ذلك اصطداما بين المجرتين. ولكن يستثنى من هذه القاعدة نوى المجرات او مراكزها التي ما زلنا نجهل ما يحدث فيها. فبعض المجرات تبث من نواها مقدارا كبيرا من الضوء والضوضاء اللاسلكية الطبيعية. اما الاصوات التي تبثها نواة مجرتنا على الموجات اللاسلكية فهي على شيء من التشوش. واذا حالت سحب الغبار دون رؤيتنا لمركز مجرة "درب اللبانة" فالتلسكوبات اللاسلكية تستطيع رؤيته.

وثمة عدد من الفلكيين والفيزيائيين يهتمون بنوى المجرات لاسباب عدة منها ان ما يحدث فيها قد يساعدنا على فهم موضوعين من أكثر موضوعات الفلك الحديث تحديا واثارة للاهتمام: الثقوب السود (★) ونقاط الاشعاع خارج المجرات.

صفحات من الضوء — لقد امكن التنبؤ على نحو غير مباشر بوجود الثقوب السود عن طريق نظرية النسبية العامة لاينشتاين. فمن النتائج المترتبة على هذه النظرية انه اذا تركزت الكتلة فبلغت درجة عالية من الكثافة - كما هي حال النجوم العملاقة المنهارة - اشتدت جاذبيتها بحيث لا يفلت منها شيء على الاطلاق. وحتى ضوؤها يحتبس. والثقوب السود في المكان - الزمان هي بمثابة حفر عمودية علت جدرانها بحيث لا يمكن اي اشعاع ان يتخطاها الى الخارج.

والواقع ان غالبية النظريين يعتبرون احتمال وجود الثقوب السود مسألة جدية. لكن اكتشاف احد هذه الثقوب امر في غاية الصعوبة، لانها غير مرئية في طبيعتها. الا ان من الممكن ان نكتشف وجود ثقب اسود اذا كان هذا يبتلع الغاز من أحد السحب بين المجرات او ينتزعه عن سطح نجم قريب. وفي امكاننا ان نهتدى الى وجود الثقب لان الغاز المبتلع يطلق من الضوضاء ما يمكن تشبيهه بالصراخ. وتدل الحسابات على ان من الممكن اكتشاف هذا

(★) راجع المختار، آذار (مارس ١٩٧٩ مقال الثقوب السود ص ١٠٧

الصراخ على مستوى الطيف الكهرومغناطيسي المعروف بالاشعة السينية. وقد كشف الرصد الذي اجري عن طريق توابع الاشعة السينية وجود كثير من الاشارات التي تقدم الدليل على وجود ثقوب سود حقيقية.

اما نقاط الاشعاع المكتشفة عام ١٩٦٠ فيبدو انها في غاية البعد وذات توهج قوي يصعب معه على مخيلة علماء الفيزياء الفلكية ادراك الطريقة التي تبث بها مثل تلك المقادير من الطاقة.

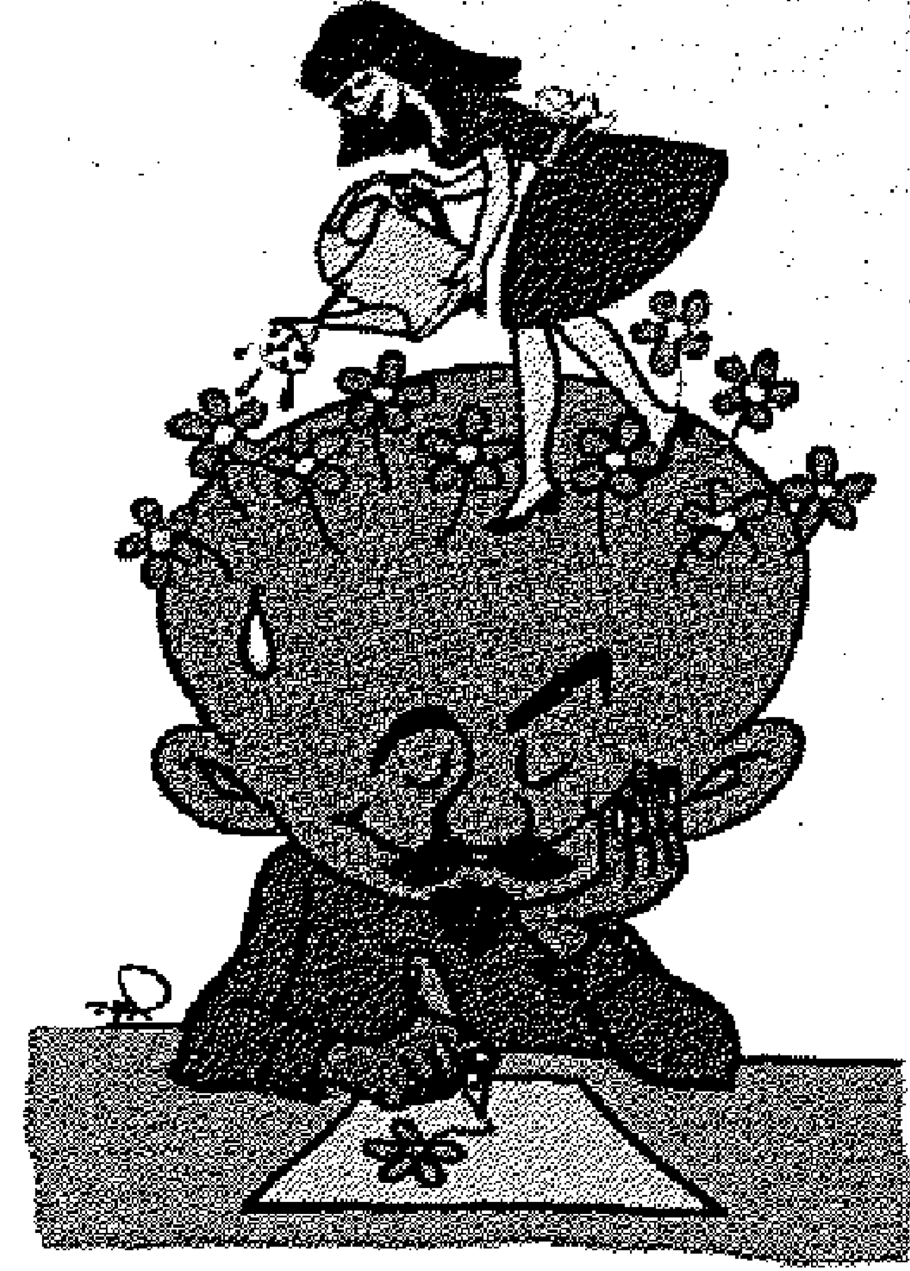
ومن التكهنات الرائجة في هذا الصدد ان نقاط الاشعاع تمثل نوى مجرات ما زالت "ناشئة"، وان انهيار سحب الغاز هنالك قد ادى الى تكون ثقوب سود ضخمة وان الطاقة القوية التي تصدر عنها تنتج من ضغط الغبار والغاز اذ تشتد حرارتهما عند دورانهما داخل الثقب. وترى بعض الافتراضات ان النجوم بدورها لا تنجو من خطر الثقوب السود وان هذه تلتهم النجوم.

ونقاط الاشعاع تبعد عنا قرابة مليار سنة ضوئية او ما يزيد، ومعنى هذا ان ضوءها لم يصلنا الا بعد مليار سنة ضوئية، او ما يزيد، على بثه. ونحن اذا لا نشاهد من الكون الا الصورة التي تشكلت منذ تلك الفترة الطويلة. وليس ثمة، في ما نعرف، نقاط اشعاع تكونت حديثا في الكون الا ان مراكز بعض المجرات القريبة منا نسبيا تشهد بقايا عنف قديم. فاذا افترضنا ان نوى هذه المجرات كانت ذات يوم نقاطا مشعة واذا كانت نسبة النقاط المشعة الى الثقوب السود صحيحة فيصير ممكنا اذ ذاك اكتشاف ثقوب سود في مراكز كثيرة من المجرات. وفي ضوء هذا الافتراض بدأ عدد من علماء الفلك مراقبة عدد من المجرات الضخمة بما فيها المجرة "م - ٨٧"، وقد اكتشفوا ما يدل على وجود ثقوب سود ضخمة في نواة كل مجرة.

نمط البحث – بدلا من البحث عن بقايا العنف الكوني القديم يمكن البحث عن المجرات التي لا تزال في طور الولادة ذلك ان ابرز المجرات، ومن بينها مجرتنا، قد ولدت منذ مليارات السنين وانتهت في ما يبدو الى الاستقرار والهدوء الذي يميز اواسط العمر. لكن ثمة مجرات حديثة العهد لا تزال تتشكل من الغبار والغاز كمادة خام ولم تبلغ بعد عنف المراهقة. والبحث عنها لا بد ان يستغرق وقتا طويلا. فالتلسكوبات المتوافرة قليلة العدد والمجرات مبعثرة هنا وهناك في انحاء الفضاء كانها حبات رمل على شاطىء. والحديثة العهد منها لا بد ان تكون خافتة الضوء ومع ذلك فان احد علماء الفلك قد وصف البحث عن هذه المجرات بانه "اكثر الموضوعات تشويقا واثارة".

كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل في مرصد كيث بيك والحديث بيني وبين آلان سانديج لم يتوقف بعد الى ان تنهد وقال: "لا ادري ما الذي سأحققه هنا اذ انني اعرض الصفائح الفوتوغرافية المصنوعة من نيترات الفضة لضوء النجوم كي يترك علاماته عليها. وهذا مستحب. لست اعرف لماذا يجرب الناس اليوم عمل ما عجزوا عن القيام به في السابق. وكل ما اعرفه هو انني اشعر بانني عديم الجدوى اذا توقفت عن العمل".

■ **تيموثي فيريس**



حديقة افكار

■ أشد الناس اثارة للملل هو الملول من كل شخص وكل شيء .

ج.ش.

■ يجب ان تكوّن آراءك بحذر شديد - وتغيرها بحذر أكبر .

جوسن بيلينغز
كاتب فكاهي امريكي (١٨١٨ - ١٨٨٥)

■ آه لو عرف الشباب! وآه لو استطاع المشيب!

هنري اتيين
ناشر فرنسي (١٥٢٨ - ١٥٩٨)

■ من لا يرتكب خطأ ابدا لا يكتشف شيئا ابدا .

ساموئيل سمايلز
كاتب اسكوتلندي (١٨١٢ - ١٩٠٤)

■ لا تقل انك تعرف انسانا معرفة تامة قبل ان تقتسم معه ميراثا .

يوهان كاسبر لافاتير
شاعر ومتصوف وكاتب فلسفي ولاهوتي سويسري
(١٧٤١ - ١٨٠١)

■ أب واحد خير من مئة معلم .

جورج هربرت
قسيس وشاعر انكليزي (١٥٩٣ - ١٦٣٣)

■ قد تكون خير معونة تتلقاها دفعة قوية تصدك عن طريق خاطىء .

ج.ب.

■ العاري من الفضيلة لا شيء يستره .

بنيامين فرنكلين

اي شعور يغمر الشخص الذي زرعتفي جسمه كلية كانت في جسم غيره؟ هنا قصة انسان ذهب بعيدا في "ارض النمور"...

زرع الكلى

حياة جديدة

رن جرس الهاتف الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة مساء وعرفت فورا صوت كبير اطباء قسم الكلى. كان الاتصال وحده كافيا لينبئني بما احتاج الى معرفته، فهو لا يخاطب المرضى هاتفيا الا لسبب واحد فقط:

قال: "لدينا كلية اخرى لك، وعليك ان تحضر خلال نصف ساعة".

وكانت زوجتي ديانا قد خرجت لحضور حفلة موسيقية، فتركت لها الكلمة الآتية: "ديانا، عودة سعيدة، عملية نقل، اخبري الاسرة والاصدقاء القريبين فقط. اراك غدا. لك حبي. بيل".

وكنت عارفا بالامر. فقبل تسعة اشهر، زرعت في جسدي كلية على اثر انتظار دام ثلاثسنوات للعثور على كلية تتفق وفئة دمي وطبيعة انسجة جسمي. لكن جسدي لفظ الكلية الجديدة بعد عشرة ايام. وامامي الان فرصة ثانية.

وتذكرت حرج الاصدقاء والاسرة آنذاك عندما تحول الاحساس بالنصر الى خيبة امل طاغية. ان الامر سيجري هذه المرة في هدوء بغير افراط في التفاؤل او الحماسة، ومن دون ان يعلم به عدد اكبر مما يلزم من الناس.

وضعت في حقيبتي ثياب النوم وفرشاة اسنان وآلة حلاقة وكتبا ستجتاز جهاز التعقيم قبل ان اراها ثانية وقد اصفرت صفحاتها وغدا ملمسها شبيها بملمس الجلد القديم.

وشغلتني افكاري عن تبادل الحديث مع سائق التكسي اثناء الطريق الى مستشفى بيرث الملكي (رويال بيرث)، فالرحلة طويلة الى لحظة الحقيقة تلك.

قبل سنوات عدة، قيل لي ان كليتي ستتوقفان عن العمل بعد حين، ولكن انهيارهما عام ١٩٧٠، وانا في السادسة والثلاثين من عمري، كان صدمة مفاجئة شبيهة بتدحرج انسان على درج لا نهاية له.

فالسموم التي كانت ترشحها الكليتان من جسمي عادة لم تلبث ان تجمعت فزادت ضغط الدم لدي وبدأت تؤثر على القلب والرئتين. وبدأ ينتابني صداع مؤلم يحملني ليلا على النهوض من فراشي والتمشي ساعات عدة في الحديقة العامة. ورحت اعاني على الدوام غثيانًا واحساسا بالتعب. واغمي علي في الشارع مرات عدة حتى صرت غير قادر على السير من دون مساعدة.

لا اخاف الموت — وعندما بلغت السموم خلايا دماغي، اصابتني نوبات متقطعة من "الجنون الكلوي"، وهو مرض بيوكيميائي وليس نفسيا، فاحيط فراشي بقفص يمنعني من ايذاء نفسي، وامضيت ساعات بطولها في هستيريا عالم مختل، ممزق ويثير الفزع.

وخف الى فراشي في المستشفى مدير المصرف، وقد بدا عليه القلق، يطلب مني التوقيع على وثيقة رهن "احتياطي للطوارئ"، كما جاء محامي الاسرة طالبا توقيعي على وصية اعدت على عجل وبدت نهايتي الوشيكة ماثلة في عيون الاصدقاء وافراد الاسرة.

بعدها اكتشفت لدهشتي انني لا اخاف الموت، بل شعرت بالغيظ والغضب لمجيئه هكذا قبل الاوان.

صحيح ان آلات غسل الكلى تستطيع ان تؤدي مهمة الكلى المتلفة، فتنقي الدم من السموم والتلوث. لكن عدد هذه الآلات في اوستراليا لا يفي الحاجة، كما ان هناك نقصا كبيرا في الكلى التي توهب للنقل الجراحي.

وقال لي الطبيب: "انني آسف، ولكن من الضروري ان ننظف جسمك والى ان نتمكن من حجز مكان لك على احدى الآلات، لا مفر من اجراء عمليات غسل للكلى، وهو امر مزعج ومؤلم".

وفتحوا في بطني شقا شبيها بذاك الذي يفتح في بطن خروف انتفخت احشاؤه بالغازات، ثم قضيت ٤٨ ساعة لا تكاد تحتمل، كانت المضخة اثناءها تدفع الى احشائي محلولا ملحيا "ينظف" الجسم من السموم الكيميائية.

وقيل لي ان بعض المرضى تحملوا مثل هذه العملية البالغة الايلام مرتين في الاسبوع على مدى عام وأكثر. وبدا الامر لي فوق طاقة البشر، لان الالم جعلني اتمنى الموت.

ولحسن حظي، في اليوم التالي لمحنة الغسل العسيرة حصل احد المرضى على كلية مزروعة، وبذلك

بات في امكاني الحلول مكانه على الآلة. واجريت لي عملية سريعة لتركيب "توصيلة" في ذراعي، وبدأت اعيش نظاما جديدا غريبا اقضي فيه ثماني ساعات يومية، لثلاث مرات في الاسبوع، ممددا على سرير المستشفى اقرأ او اتفرج على التلفزيون او اثرثر مع المرضى الآخرين، بينما الدم يسحب من جسمي ليمر في الآلة التي تنقيه ثم يضخ الى عروقي مرة اخرى.

وكانت تلك هي الوسيلة التي ابقتني على قيد الحياة طوال سنوات اربع. كانت نظاما مملا، مرهقا وثقيلا، ولكنه باعث الى الاطمئنان. اما الان وبعد ان سبق لي اجتياز عملية زرع فاشلة، فانني اغامر مرة اخرى في المجهول... اغامر باقتحام "ارض النمور".

المرحلة الحاسمة ـ بعد الحلاقة وتناول المهدئات، وجدتني انتظر في ممر رطب اخضر خارج غرفة العمليات، بينما الجراحون الذين استدعوا من بيوتهم او قطعوا عن الحفلات الموسيقية او مآدب العشاء يتحركون بنشاط حولي في ارديتهم الخضراء ويتوقفون الى جانب الحمالة لمصافحتي متمنين لي حظا سعيدا. وجاءني اختصاصي في الانسجة وقال في خجل: "اظن اننا قد حصلنا لك على واحدة صالحة هذه المرة".

كنت اريد للعملية النجاح من اعماق قلبي، فالجراحون ايضا يتسحقون ذلك. ان اطباء الكلى لهم في قلبي مكانة خاصة، لانهم يعيشون مشكلات مرضاهم طوال ٢٤ ساعة في اليوم من دون انقطاع على مدى اسابيع واسابيع، وسنوات احيانا.

فوق رأسي الان دائرة ضخمة من الضوء، كأنها صورة اللانهاية. واصوات الجراحين والممرضات الهادئة المنبئة بالكفاية، كأنها كائنات منفصلة عن اصحابها. اسمع طبيبة التخدير، وهي صينية تبدو شابة على نحو غريب، تقول لي: "انك ستنام الان". ثم ساد الظلام.

وصحوت لاجدني في مكان مألوف. لقد اقمت في غرفة العزل هذه من قبل، وهي تشبه كبسولة فضائية وعلى من يريد دخولها ان يستحم ثم يرتدي ثوبا خاصا وقناعا وحذاء واقيا. اما الاشياء الجامدة فتعقم تماما. فمن الضروري ان ابقى في منأى عن اي جراثيم لان عقاقير كبت المناعة التي تحول دون رفض الجسم للكلية الجديدة قد خفضت عدد الكريات البيضاء في دمي ومن ثم فانها اضعفت قدرتي على مقاومة الامراض المعدية.

وسألت بصوت ثمل: "هل حصلت على كلية؟"

وجاءني الرد: "نعم، وهي تعمل بنشاط فائق".

ان الرد لم يتضمن عبارة "حتى الان"، لكن الجهاز الطبي يعرف، كما اعرف انا، ان ذلك ليس سوى بداية الرحلة الى "ارض النمور".

ها هو الصباح. ديانا زوجتي تنظر خلال النافذة الزجاجية المستديرة في باب غرفة العزل. انها تبتسم وترفع ابهامها علامة التوفيق، وتقول من خلال لوحة الاتصال في ما بيننا: "ان الحال جيدة". انها تعرف مثلي مدى الفرحة، فعملية نقل الكلية لا تزيد احتمالات نجاحها على ٦٠ في المئة،

ولم تكن لتسمح لنفسها بحديث التشجيع لو لم يكن هناك ما يبرر ذلك. لا بأس حتى الان!

وخلال النهار، يتوالى العاملون في وحدة غسل الكلى والممرضات لينظروا الي من خلال النافذة ويكرروا عبارات التشجيع. كذلك يفعل زملائي المرضى الذين مر بعضهم بتجربة زرع الكلى بينما البعض الآخر يلازم الآلات منتظرا دوره. ويأتي الاطباء حاملين اوراقا تحوي مخططات ورسوما لنتائج الاختبارات البيوكيميائية التي تدفقت من الدماغ الالكتروني للمستشفى. ويبدو الى الان، ان هذه النتائج تثير في نفوسهم الرضا.

وللمرة الاولى منذ سنوات، تعمل مثانتي طبيعيا ويأتيني التشجيع كي اشرب بكثرة اللبن والشاي والقهوة وعصير الفاكهة،بعد ان عشت سنين عدة خاضعا لقيود صارمة في كمية السوائل التي اتناولها. انني اجد الان الماء القراح نفسه يفوق في لذة طعمه افخر انواع الشراب.

ولان آلة غسل الكلى لا يمكنها ان تتحمل سوى كميات صغيرة من الحوامض الامينية الغنية بالبروتيين ومن الاملاح الكيميائية مثل البوتاسيوم والصوديوم، فقد كان علي ان اخضع لنظام غذائي يندر فيه البروتيين ويخلو من الاملاح. اما الان، فقد قدمت الي شريحة من اللحم، بل وسمح لي بنثر الملح عليها مما جعل طعمها غريبا للوهلة الاولى.

وضعت كليتي الجديدة في مقدم التجويف البطني بدلا من الخلف، حيث توجد الكلى عادة لان اجراء الجراحة وعمليات الوصل اللازمة تسهل اذا كانت الكلية في مقدم التجويف. لقد ابقيت الكلية في وضع مقلوب لانها تستقر على نحو افضل.

في "ارض النمور" – وها انذا الان بعد خمسة ايام، وقد ازيلت انابيب التصفية من الجرح وبات في امكاني النهوض والتجول في غرفتي المعزولة.

ووجدتني احدق في مرآة الحمام. لقد عشت سنوات عدة وجسدي لا يحتوي الا على ثلث العدد الطبيعي من كريات الدم الحمراء، بحيث اصبح الشحوب المصاحب لفقر الدم من صفاتي الملازمة، اما الان فانني ارى اللون يعود الى وجنتي، كما ان يدي قد بدأ يشيع فيهما احمرار ينبىء بالصحة.

هذا هو اليوم الثامن الذي ساءت فيه الامور في المرة الماضية ولكنه يأتي ويذهب بطيئا فاشعر انني قد اجتزت هذا الحاجز على الاقل. وينتهي العزل ويدخل الاصدقاء والاقارب حجرتي فاحذرهم من الافراط في التفاؤل، واراهم يعقدون اصابعهم طلبا للحظ السعيد.

واحصل على اذن بالعودة الى بيتي. ولكنني وديانا زوجتي لا نكاد ندخل البيت حتى يرن جرس الهاتف واسمع صوت الطبيب، وهو يحاول الا يوحي بالقلق: "ان لدينا ملاحظة سلبية صغيرة على تحليل الدم الذي اجري هذا الصباح،فهل يمكنك ان تأتي على الفور؟"

شعرت بالانسحاق. لقد قيل لي انني استطيع ان اجرب عملية اخرى اذا لم تنجح هذه، ولكنني وجدت نفسي اتساءل عما اذا كان الامر

يستحق العناء. وحاولت ان اخفي مشاعري عن زوجتي ولكنها كانت تعرف، فهي رافقتني في عبور "ارض النمور".

وفي المستشفى اجريت اختبارات جديدة اسفرت عن تأكيد الدلائل المشؤومة. لقد بدأ جسمي يلفظ الكلية الجديدة.

واعطاني الاطباء جرعة كبيرة مركزة من عقاقير كبت المناعة. وكنت اعرف ان هذه هي المحاولة الاخيرة، لان الاطباء لا يستطيعون المضي في هذا السبيل فترة طويلة نظرا الى ما لهذه العقاقير من آثار جانبية خطيرة يمكن ان تعادل في سوئها المرض الاصلي، مثل القرحة وتبثر الجلد وتصلب الشرايين وضعف العضلات.

وبينما كنت احاول خلال الساعات الاربع والعشرين التالية ان اتقبل خيبة الامل التي بدت الان محتملة، رن جرس الهاتف وقال الطبيب بلهفة المنتصر: "لقد عادت الامور الى مسار طيب". اذا، ما زالت الفرصة امامي.

ورحت امر بالمستشفى كل صباح لاجراء تحليلات الدم ثم انتظار ورود النتائج من المختبر قرابة الاولى بعد الظهر. كنت اشعر بما يشعر به السائر على حبل مشدود في الضباب اذ هو لا يستطيع رؤية خطوته التالية.

ولكن الاطباء بدوا راضين عن تقدم حالي فخفضوا نسبة العقاقير التي اتناولها.

العش الآمن — ومضت اربعة اسابيع. وفي يوم جمعة قال لي احد الاطباء ان حالي تتقدم على نحو طيب يسمح لي باجازة عطلة نهاية الاسبوع، وانه لن تجرى لي تحليلات دم الا يوم الاثنين. كان انتصارا صغيرا، ولكنني احسست وكأنني فرخ طائر دفع من عشه الآمن ليحلق قبل الاوان.

وجاءت ليلة السبت تحمل معها الجحيم، اذ انتابتني اوجاع وآلام لم اعهدها من قبل.

وفي صباح الاحد اتصلت بالطبيب وقلت له: "انني اشعر بان شيئا ما قد تدهور تدهورا خطيرا".

وحملتني التكسي الى المستشفى حيث جلست في غرفة الانتظار احاول، وانا غائم العينين، قراءة صحف الاحد في انتظار تحليل عينة من دمي. وجاء الطبيب حثيث الخطى يحمل في يده بيان النتائج، وقال ان حالي على ما يرام فاعتذرت له عن توتر اعصابي، ولكنه قال: "لا تزعج نفسك بالاستياء من ذلك. فالواقع ان لديك حاليا امورا كثيرة تستحق ان تتوتر لها اعصابك قلقا".

وبالتدريج، ازدادت فترات الطيران بعيدا عن العش الآمن، اذ لم اعد اذهب الى المستشفى الا ثلاث مرات في الاسبوع، فمرتين فقط. والان، بعد اربعة اشهر بات مروري بالمستشفى مقتصرا على مرة واحدة في الشهر. وما زلت اتناول العقاقير الكابتة للمناعة بجرعات تكفي لمنع الجسم من رفض الكلية ولكنها خفضت الى حد يقلل كثيرا من اخطار آثارها الجانبية.

ويقول لي الطبيب: "ان حالك تتقدم على نحو طيب، ولكنك ستبقى في ارض النمور لبعض الوقت".

ترى متى اخرج تماما من هذه الارض؟ لا احد يعرف على وجه

التحديد. ولكن لقاءاتي للمرضى الاخرين الذين اجريت لهم عمليات الزرع المماثلة تمدني بمقدار كبير من الشجاعة، فنحن جماعة صغيرة ولكنها وثيقة الترابط.

فاحدنا يقول ببشاشة: "لقد تعرضت لبعض المشاكل في البداية، اما الآن فانا في صحة لم اعهدها من قبل، اقود الجرار الى الخلف. وقد انجبت لتوي طفلا آخر".

ويقول رفيق له: "لقد كنت في رحلة عبر المحيط لثلاثة اشهر".

وكلما لمست انتفاخ الانسجة البسيط تحت الجلد في اسفل احشائي وجدتني افكر في صاحب الكلية الذي منحني اياها، وهو شاب توفي بسبب نزف في الدماغ، كذلك افكر في زوجته. فانا مدين لهما بالامتنان العميق، لانهما قدما بتجرد نادر هذه الهبة التي اتاحت لي فرصة حياة جديدة.

انني ارى في كل يوم جديد هدية غير منتظرة، فقد قضيت سنوات اؤدي عملي كشريك في مؤسسة للاعلان وانا اؤجل الوثبة التي اريدها الى عالم الكتابة الذي لا ينطوي على اي ضمانات. ولكنني ادركت في محنتي ان علي ان افعل ذلك وقد فعلته، فنحن لا نعيش سوى مرة واحدة.

انني لا ازال سائرا في "ارض النمور" باعصاب متوترة، ولكنني اشعر برضا عن الحياة كبير، لانني اعرف الان ان اضخم نمر في الوجود لا يمكن ان يخيفني مرة اخرى.

■ **بيل وارنوك**



عصر السرعة

في ولنغتون (انكلترا)، تسلم رجل اعمال رسالة من دائرة البريد مع الملاحظة الآتية على الغلاف: "نأسف لأن الحلزون التهم الطابع البريدي". فعلق قائلا: "كنت اعلم ان خدمات البريد آخذة في التباطؤ، ولكن لم اتخيل أن الحلزون يستطيع اللحاق بها".

(وكالة "يونايتد بريس")

الاقتصاد السيء

توصلت احدى الشركات الكبرى ذات الفروع المنتشرة في انحاء العالم الى ان الاضافة الروتينية لعبارة "مع التقدير" في ختام كل برقية صادرة تكلف الشركة نحو ألف دولار سنويا. فأرسلت مذكرة الى جميع مكاتبها تقول: "الرجاء انهاء البرقيات من دون تقدير في المستقبل". وبعد بضعة اسابيع، لوحظ ان التكاليف ارتفعت عوض ان تنقص، فيما لم تستفد الشركة على صعيد تطوير علاقاتها الودية، وذلك لان خاتمة البرقيات غدت "من دون تقدير".

د.غ. (صحيفة "ميلووكي")

بولونيا: حنين أمّة الى الديموقراطيّة

يشعر البولونيون بغربة في الفلك الذي يعيشون فيه وتشكل حركة المنشقين عندهم مثالا يحتذى

عندما يهبط الليل على وارسو (فرصوفيا) يكون سكانها عادوا الى بيوتهم ليتناولوا عشاءهم ويأووا الى فراشهم. لكن هذه القاعدة لا تسري على عدد من البولونيين ذوي العزم الذين يتوجهون في سيارات الى الريف حيث يساعدون المزارعين المعارضين للنظام في تشكيل منظمة سرية مناهضة له.

والى جانب هؤلاء يتجول في شوارع العاصمة البولونية عشرات الشباب: يتسللون الى مخابىء صحافة المنشقين التي يغزر انتاجها في البلاد.

وفي بعض احياء المدينة يجتمع عشرات آخرون من الطلاب للاستماع الى محاضرة سرية لاستاذ جامعي شهير عن جوانب من التاريخ البولوني المعاصر حذفت من منهج الدراسة في الجامعات.

ان هذه المظاهر تعطي فكرة عن وضع بولونيا الفريد في اوروبا الشرقية التي تدور في الفلك السوفييتي. ففي الدول الاخرى الدائرة في هذا الفلك، ترتفع من حين الى حين اصوات منشقين لكنها لا تلبث ان تخبو او تخنقها السلطات. ولكن في السنوات الاخيرة اكتسبت حركة المعارضة البولونية مظهرا ملفتا اذ هي اخذت على عاتقها مهمة تقديم الحقائق التي لا تدحض والافكار الجديدة لجمهور متعطش الى المعلومات التي تعبث بها الرقابة.

اما الحكومة فانها تواجه مشكلة بالغة الدقة. فبولونيا تنوء بديون خارجية ثقيلة الوطأة وانتاجها الزراعي والصناعي لا يسد حاجاتها المحلية، فضلا عن ان اسواقها تعاني نقصا في الكثير من السلع الضرورية. ونتيجة لضعف الاقتصاد البولوني،

فان حكام البلاد لا يجرؤون على المجازفة بضرب المعارضة خشية ان يؤدي ذلك الى اضطرابات من النوع الذي اسقط الحكومة مرتين منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. ولكن الاتحاد السوفييتي، جار بولونيا القوي، يدرك تماما ان كل بولوني ينهض للمطالبة بحقوقه ولا يعاقب على ذلك يصبح مثالا يثير الحسد في نفوس ٣٣٣ مليون نسمة يعيشون في نطاق الكتلة السوفييتية كما ان هذا البولوني يعتبر نموذجا يغري تلك الملايين بان تحذو حذوه.

مهارة في العمل السري - وعلى رغم جميع الاخطار فان لصوت المعارضة رنة منعشة في آذان شعب اعتاد تلقي وجهة النظر الشيوعية في التاريخ والسياسة والفن والادب وحيث تحرص الصحف الرسمية على تجنب الاشارة الى الاقتصاد المتداعي، وتمنع الرقابة على هذه الصحف التحدث عن عدد كبير من الموضوعات بينها الحرائق والاوبئة وحالات الغرق وحوادث السيارات، الا اذا حدثت تلك الامور في الغرب. اما نقد الاتحاد السوفييتي فهو محظر اطلاقا.

ان الصحافة السرية في بولونيا تركز على الاخبار السيئة. وهناك ٣٠ صحيفة سرية على الاقل بعضها يصدر اسبوعيا، وبعضها الاخر شهريا والبعض الثالث فصليا، ويقدر اجمالي توزيعها بين ٢٥٠٠٠ و٣٠٠٠٠ نسخة، ويقرأ النسخة الواحدة منها احيانا اكثر من ١٠٠ شخص. وتتولى صحيفتا "النشرة الاعلامية" و"الرأي" نشر تفاصيل اخر الاعتقالات السياسية والتهديدات والاعتداءات التي يتعرض لها مناهضو النظام على ايدي


ميروسلاف تشوجيكي.

الشرطة. ويجد القارىء في صحيفة "العامل" مثلا شرحا لاسباب ازمة اللحوم، وتورد الصحيفة اخبارا عن قصابين معينين لديهم قوائم باسماء ضباط شرطة ومديري مصانع وغيرهم من اصحاب الامتيازات الذين يحصلون من اللحوم على انصبة اكثر من سائر الناس. وتتساءل صحيفة "المزارع" بجرأة: "من ذا الذي يحتاج الى حلف وارسو؟". وترد: "ليست بولونيا بالتأكيد!".

وهناك عدد من هذه الصحف يطبع بـ"الاوفست"، الا ان معظمها يطبع باحبار خشنة تصنع سرا في المنازل (حيث يخلط سناج المصابيح البدائية بزيت بذر الكتان) وينسخ على آلات عتيقة، فيخرج مليئا بالبقع الى درجة تصعب معها قراءته احيانا.

وأكبر الناشرين غير الرسميين في بولونيا هو ميروسلاف تشوجيكي، وهو شاب نحيل شاحب في التاسعة والعشرين من عمره، كان يعمل باحثا كيميائيا ثم فصل من معهد الطاقة النووية البولوني بسبب نشاطه السياسي، فاصبح يكسب عيشه من العمل دهانا في البيوت، ويدير الى ذلك عددا من المطابع السرية. وهو المسؤول عن نشر مجلتين ادبيتين فصليتين تتمتعان باحترام كبير، احداهما تسمى "السجل" والثانية "النبض". وهو يعلم جيدا انه في كل مرة يخرج من مسكنه في وارسو يكون


آدم ميتشنيك.

عليه ان يتحايل على رجال الشرطة السرية الذين ينتظرونه ليتعقبوه حتى يكتشفوا مقر احدى مطابعه السرية. ومنذ اشهر عرض أحد الغرباء سرا على تشوجيكي بيعه آلة طباعة جديدة فارتاب الناشر في الامر وخشي الوقوع ضحية خدعة تستهدف اكتشاف مقر مطبعته، فطلب تسليم الآلة في مكان مقابل لكاتدرائية وارسو.

وعندما وصلت الآلة الى هذا المكان حملها تشوجيكي مع احد رفاقه، وهي في صندوقها، الى داخل الكاتدرائية حيث لا تجرؤ الشرطة على الدخول. ثم اسرع الرجلان فاخرجا الآلة من صندوقها وحملا الصندوق الفارغ علنا الى سيارتهما وانطلقا بها مسرعين. واندفع رجال الشرطة في اثرهما في اقصى سرعة لكنهم لم يكتشفوا الخدعة الا عندما انتهت المطاردة بعد مسافة طويلة، وفي تلك الاثناء كان اعوان تشوجيكي قد فككوا الآلة في الكاتدرائية بسرعة وحملوها الى مقرها قطعا.

التاريخ غير الرسمي - وبينما يخوض الناشرون معركتهم ضد الرقابة بمطابعهم السرية، يبذل عشرات من اساتذة الجامعات نشاطا مماثلا عن طريق محاضرات "الجامعة الطائرة" التي يعقدونها في البيوت حيث يزدحم الناس في الغرف ليستمعوا الى احاديث تتناول الاقتصاد والتاريخ والأدب وعلم الاجتماع، بعيداً عن القيود الايديولوجية. وتحل هذه الاحاديث كذلك اعمال الكتاب المغضوب عليهم،


ياشيك كورون.

واحد هؤلاء الاساتذة فلاديسوف بارتوجيفسكي الذي لا يكف عن دحض الرواية الشيوعية لتاريخ القرن العشرين. فتاريخ بولونيا الرسمي لا يتضمن اي اشارة الى النتائج المفجعة للمعاهدة النازية - السوفييتية التي عقدت عام ١٩٣٩ فيسّرت لهتلر غزو بولونيا. كما ان هذا التاريخ لا يتضمن اي معلومات عن المذبحة التي ارتكبها السوفييت وذهب ضحيتها آلاف الضباط البولونيين في غابة كاتين عام ١٩٤٠، ولا يروي حقيقة ما قام به السوفييت عام ١٩٤٤ قبل التمرد الذي حدث في وارسو ضد الالمان وفي اثنائه حيث بقيت القوات الروسية خارج المدينة طوال خمسة اشهر مما اتاح للنازيين فرصة القضاء على البقية الباقية من القوات البولونية وهدم العاصمة على رؤوس اهلها. ان كل هذه الحقائق التاريخية تتناولها بالتفصيل محاضرات "الجامعة الطائرة" التي يلقيها بارتوجيفسكي.

وتلاحق الشرطة "الجامعة الطائرة" وتركز على آدم ميتشنيك (٣٢ عاما) الذي يحاضر عن تاريخ بولونيا بعد الحرب العالمة الثانية متناولا الفترة التي تلت الحكم الشيوعي. وذات

مساء دهم رجال الشرطة مكانا يحاضر فيه ميتشنيك الا ان هذا لم يكن بدأ الكلام فصاح احد الضباط: "هذا اجتماع غير قانوني، انصرفوا حالا". فما كان من ميتشنيك الا ان تجاهل الامر وواصل محاضرته، عندئذ اطلق احد رجال الميليشيا في الغرفة غازا مسيلا للدموع مما اضطر الحضور الى الانصراف.

وميتشنيك رجل شاحب الوجه يفضل ارتداء حذاء رياضي "لمساعدتي على الفرار من رجال الشرطة" (قبض عليه أكثر من ٤٠ مرة). وهو قال لي: "ان ما يجب ان يحدث هنا، وما سيحدث بالفعل، هو انتصار الاشتراكية الديموقراطية. اننا نريد انهاء الرقابة والقهر، ولا بد للشعب من ان يكون له صوت مسموع!".

وتستمد كل من صحافة بولونيا غير الرسمية وجامعتها الطائرة كثيرا من الهامها من "لجنة الدفاع الاجتماعي عن النفس"، وهي منظمة اسسها المثقفون المنشقون ومن ابرز قادتها ياشيك كورون، وهو في الخامسة والاربعين من عمره كان استاذا مساعدا في جامعة وارسو. وكورون ماركسي مخلص خاب امله في الشيوعية حين خبر ممارستها مباشرة، واشترك في تأليف كتاب يندد بنظامها. واوصلته معارضته للنظام الى السجن حيث امضى ستة اعوام ونصف عام عززت في نفسه القناعة بان الاشتراكية لا يمكن ان تنجح الا في ظل التعددية السياسة والديموقراطية البرلمانية وضمان حقوق الانسان.

ثم حدثت في بولونيا اضطرابات ٢٥ يونيو (حزيران) ١٩٧٦ التي حركها اعلان الحكومة مضاعفة اسعار السكر وزيادة اسعار اللحوم والاسماك بنسبة ٧٠ في المئة تقريبا، فتظاهر العمال واصطدم عدد منهم برؤسائهم في اكثر من مدينة. ففي بلدة اورسوس، وهي احدى ضواحي وارسو، انتزع المتظاهرون قضبان السكة الحديد. وفي رادوم، الى الجنوب من وارسو، اشعل المتظاهرون النار في مقر الحزب الشيوعي.

وقد تدخلت الشرطة مستعملة العنف مع المتظاهرين الذين سقط بينهم عدد من الجرحى، وقبض على اكثر من ٢٥٠٠ متظاهر وفصل المئات من وظائفهم استنادا الى تهم غير مثبتة مثل: "اتخاذ موقف اجتماعي سلبي في ٢٥ يونيو".

وكان المتظاهرون في الاضطرابات السابقة لا يجدون جماعات اخرى تؤازرهم، ولكن الخشونة التي عومل بها المضربون هذه المرة اكسبتهم عطف الطلبة. ولدى اقتراب موعد محاكمة العمال الموقوفين نشط الطلاب والمحاضرون، ومن بينهم كورون، لجمع الاموال وتكليف محامين الدفاع عنهم. وخلال اشهر قليلة وزع، مما جمع، قرابة مليون زلوتي (ما يعادل ١٠٠٠٠٠ دولار) على الاسر المحتاجة، وظهرت الى الوجود "لجنة الدفاع الاجتماعية عن النفس".

اسلوب العمل - تركز نضال "لجنة الدفاع الاجتماعي عن النفس" على اصدار عفو كامل عن المتظاهرين المعتقلين واعادة جميع المفصولين الى اعمالهم. ولما كانت الصحافة الرسمية تجاهلت محاكمات العمال على نحو يكاد يكون تاما، فقد اخذت اللجنة على عاتقها امر النشر الاعلامي

الواسع النطاق لتفاصيل التعذيب التي يتعرض له المعتقلون من جانب الشرطة والخرق الفاضح للاجراءات القانونية التي ترافق المحاكمات.

ومن اجل التحصن ضد الاعتقالات ضم معارضو النظام الى صفوفهم عددا من الشخصيات البارزة التي لا تجرؤ السلطات على اعتقالها، ثم اقاموا علاقات خاصة مع وكالات الانباء الغربية. وقد ثبتت اهمية هذه الصلات ذات مساء من شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٦ عندما اقتحم رجال الشرطة اجتماعا عقدته "لجنة الدفاع الاجتماعي عن النفس" واعتقلوا المجتمعين فانتشر الخبر بسرعة وبدأت بولونيا كلها تستمع الى انباء الاعتقالات من الاذاعات الاجنبية. فقد نقل الخبر تلفونيا على الفور الى مدن اوروبا الغربية. ولما كانت السلطات البولونية حريصة على صورتها الخارجية فقد سارعت الى اطلاق معظم اعضاء اللجنة المعتقلين.

في بداية الامر، تظاهرت السلطة بتجاهل اللجنة، باستثناء بعض الاعتقالات المتفرقة، لكن موقف السلطة هذا لم يلبث ان تغير فاخذ رجال الشرطة يتحرشون باعضاء اللجنة ويعنفون الذين يعملون لحسابها، كما بدأ هؤلاء يتعرضون لهجمات يشنها عليهم غرباء. وفقد اعضاء اللجنة البارزون اعمالهم، وراح اعضاء اخرون يتلقون تهديدات بالضرب.

وطاف ستانيسلاف بوجاس، وهو طالب جامعي في مدينة كراكوف، بعريضة تندد بتصرفات الشرطة العنيفة. وفي ٧ مايو (ايار) ١٩٧٧ عثر على جثته في مدخل احدى العمارات السكنية، وادعت السلطة انه مات بسبب سقوطه على السلم، مع ان جثته وجدت في مكان يبعد كثيرا عن اسفل السلم. وقد تأكد زملاء ستانيسلاف من انه قتل اثناء استجواب الشرطة له، فنظموا موكبا لذكراه سار مخترقا المدينة في ضوء الشموع واشترك فيه ما يقرب من ٥٠٠٠ طالب يمثلون اكثر من ١٥ في المئة من مجموع طلبة جامعة كراكوف.

ولما كان ادوارد جيريك، رئيس الحزب الشيوعي البولوني، كمن يتأرجح على الدوام فوق حبل مشدود بين السوفييت من ناحية ومواطنيه الساخطين من ناحية اخرى، فانه يتقلب في تصرفاته دائما بين القهر والمصالحة. وهو رأى الآن ان يختار الحل الثاني. فبعد شهرين ونصف شهر على وفاة بوجاس، افرج عن جميع العمال الذين صدرت ضدهم احكام واعيدوا جميعهم تقريبا الى اعمالهم. وكان وراء هذا التصرف - او التنازل - باعث سياسي، لان "لجنة الدفاع الاجتماعي عن النفس" قد انشئت في الاصل من اجل التوصل الى الافراج عن السجناء واعادتهم الى وظائفهم وبعد تحقق هذين الهدفين توقعت الحكومة ان تحل اللجنة نفسها الا ان شهرة اللجنة جعلتها تتجاوز دورها الظرفي اذ هي بدأت تتلقى نداءات الاستغاثة وطلب المشورة من مواطنين آخرين يواجهون متاعب مع السلطة. بل اكثر من ذلك، اصبحت اللجنة تتمتع بـ"بركة" اقوى مؤسسة في البلاد وهي الكنيسة الكاثوليكية، بما في ذلك الدعم المعنوي من كبير الاساقفة كارول

كاردينال فوجتيلا الذي اصبح البابا يوحنا بولس الثاني.

ولما كانت الكنيسة الكاثوليكية هي الحافظة لتقاليد بولونيا وتراثها على مدى الف عام، فانها تتمتع بدعم قرابة ٩٠ في المئة من سكان البلاد. وقد اغاظ النظام قرار اللجنة مواصلة عملها وتوسيع نشاطها بحيث يشمل جميع حالات حقوق الانسان في بولونيا.

حنين امة بكاملها - واذا شئنا التزام الدقة، فان "لجنة الدفاع الاجتماعي عن النفس" لا تضم سوى ٣٣ عضوا فحسب، بينهم عدد من اساتذة الجامعات المعروفين ورجال البحوث المشهود لهم، وهؤلاء تظهر اسماؤهم وعناوينهم على كل اعلان تصدره اللجنة. غير ان هذه القائمة لا تضم مئات البولونيين الذين يحضرون جلسات المحاكم ويجمعون التبرعات المالية ويتولون شؤون الرسائل وتهريب المؤن والمعدات.

اما كورون، اهم شخصية في اللجنة، فانه يذهب الى السجن بضع عشرة مرة كل عام من اجل مبادئه. ولما كان فقد عمله كأستاذ في الجامعة، فانه يعتمد على موارد زوجته الاختصاصية في علم النفس، ويوجه كل نشاطه الى عمله في اللجنة. وحين قابلته في مكتبه في بيته لخص لي المشكلات اليومية التي تواجه البولونيين بالآتي: "ان ندرة الاشياء او اختفاءها هما الطابع المميز لحياتنا اليوم. فنحن نعاني نقصا في اللحوم و... الديموقراطية. واذا لم نحصل على الثانية فلن نحصل على الاولى ".

واكثر ما يثير الحكومة هو احتمال اتساع نطاق المعارضة. فالبذرة موجودة. وقد انضمت الى "لجنة الدفاع الاجتماعي عن النفس" حركتان اخريان مهتمتان بالحقوق المدنية وحقوق الانسان. وبدأ الوعي السياسي يتزايد بقوة في صفوف العمال والطلبة والفلاحين. وفي قرية زبروشا دوزا، على بعد ٥٦ كيلومترا جنوب العاصمة وارسو، قابلت عددا من الفلاحين الذين انشأوا لجنة احتجاج يحضر المئات اجتماعاتها التي تعقد في الكنيسة المحلية. وتشمل شكاوى الفلاحين سوء حال الاسمدة والنقص المزمن في الفحم والاقمشة واللحوم.

ولكن ما يطمح اليه الجميع، اكثر من اي شيء اخر، هو ان يكون لهم صوت في حكومتهم.

ويتردد صدى هذا الحنين الى الديموقراطية في انحاء بولونيا، اذ ان اهلها لم يفقدوا ذرة من وطنيتهم العارمة التي جعلت منهم شوكة في جنب القياصرة الروس في القرن التاسع عشر وفي جنب الغزاة النازيين في القرن العشرين. وعلى رغم ان بلادهم تحاصرها الجغرافيا والقوة المسلحة السوفييتية فأن البولونيين يشعرون في اعماق قلوبهم بانهم جزء من العالم الغربي الذي يتوقون الى مشاركته في قيمه ومثله.

ادوارد هيوز



راحة البال

من حق كل شخص أن يفكر، لكن كثيرين يوفرون عناء ذلك عن انفسهم.

ك.غ.

ماذا يدور في رؤوس الرياضيين وهم يلعبون؟

البطولة الرياضية... بالمهارة وحدها ام بالمعنويات؟
كيف يرفع الرياضيون معنوياتهم؟

كثيرا ما تساءلت عما يدور في اذهان الرياضيين تحت وطأة المنافسة. أفيحدث احيانا ان يفكر المشترك في سباق للسيارات مثلا ان يفر بسيارته الى اعماق الريف متخليا عن الطريق المرسومة للسباق؟ وهل يتمتع عداؤو المسافات الطويلة بحصافة متميزة لان لديهم متسعا من الوقت للتأمل في مشكلات العالم؟ فقد اتيح لعداء اعرفه، ان يحفظ غيبا معظم قصائد و. ب. ييتس، خلال عام قضاه في الركض حول خزان الحديقة العامة المركزية لمدينة نيويورك.

ان ما يفكر فيه رياضيو العصر المحترفون مدهش في تنوعه. وقد يبلغ توتر ما قبل المباراة ببعضهم حد المرض. فحارس مرمى الهوكي (★) غلين هول اصيب بالمرض قبل مباريات عدة، في حين كان نجم كرة القدم بيليه يبدي تفاؤل الرضا عن النفس في كل مرة يشترك في مباراة.

وفي قاعة الملابس في ملعب "نيويورك كوزموس" اعتاد بيليه ان يمارس طقسا قائما في ذاته: يستلقي على الارض رافعا قدميه على مقعد، وواضعا منشفة تحت رأسه واخرى فوق عينيه. وبينما نصفه داخل مقصورته ونصفه الآخر خارجها، كان بيليه

(★) لعبة شبيهة بكرة القدم، تلعب على الجليد وتستعمل فيها العصا المقوسة بدلا من الرجل ويستعاض عن الكرة بقرص من المطاط. (تتميز هذه اللعبة بالخشونة).

يستغرق في حلم من احلام اليقظة، يعرض فيه ما يسره من المشاهد، فيتصور نفسه مثلا وهو يلعب الكرة حافي القدمين على شاطىء برازيلي، او يستعيد لحظات النصر المذهلة في حياته كنجم. وبمقدار ما تكون المباراة المقبلة مهمة يكون حلمه اطول. وقد حدث قبل احدى المباريات الشهيرة التي حضرها قرابة ٦٢ الف متفرج ان قضى خمسا وعشرين دقيقة تحت منشفته وعندما حان وقت اللعب سجل عددا من اصاباته الشهيرة. اما توم مات الظهير السابق في نادي "بالتيمور كولت" فقد كان يمارس طقوسا اخرى. فهو كان قبل كل مباراة يأخذ كلبه "وايتي" الى نزهة في غابة.

وكان مات يكره التوتر الذي ينتابه في غرفة الملابس ويسبب له شعورا بالنعاس وثقل الاطراف لذلك كان يتجنب البقاء في الغرفة حتى اللحظة الاخيرة.

ولعل ما يحصل في غرفة ملابس محمد علي كلاي لا يختلف، في تصوري، عما يجري في حفلة استقبال ملك فرنسي. فغرفة كلاي تغص بالناس وهو يؤدي امامهم عروضا شائقة.

ولا يسعني الا ابداء العجب امام التمارين الاعدادية للاعب كرة السلة الشهير بيل رسل. فهو كان يتخيل نفسه اثناءها نائب عمدة في قصة من قصص رعاة البقر، يأتي الى مدينة ملأى بالمغامرين فيقضي عليهم في سلسلة طويلة من المشاهد البطولية. (قد تكون هذه الحيل العقلية سخيفة لكن حرمان بيل رسل الانغماس فيها لا بد ان يؤثر تأثيرا ضارا على مهارته في اللعب).

والسائد ان الكثيرين من لاعبي الغولف يتصورون خريطة لارض الملعب تشبه الخريطة الجوية. فاذا اراد احدهم ضرب الكرة، فكر اولا في الموضع المقرر لها على الخريطة. ويبدو اللاعب كرسام يريد تخطيط القماشة بنقاط لونها من بياض كرة الغولف.

واذكر ما رواه لي في هذا الصدد جاكي ستيوارت، البريطاني بطل سباق السيارات سابقا، اذ قال انه عندما يركب سيارته، قبل ادارة المحرك، يتخيل جسده وقد صار منتفخا كالكرة فاذا نفث الهواء من صدره شعر بجسده يسترخي فيتحول الى قطعة لينة من المطاط تلتصق بهيكل السيارة حتى يغدو هو جزءا منها. ومن مزايا هذا التمرين انه يهيئه عقليا ويساعده بدنيا على الاسترخاء وازالة التوتر.

فاذا بدأت المباراة كان عليه ان يركز على اللعب بكل قواه. وكان من عادته، اذا تحول انتباهه عن السباق، ان يعيد التركيز بدرجة اكبر موحيا لنفسه بان خللا ما سيحدث للسيارة. وكان تعنيفه لنفسه بامور نظرية يساعده على توجيه اهتمامه كاملا الى المشكلة الواقعية التي هو في صددها.

اما ميكي كينغ السباحة التي فازت بالميدالية الذهبية الاولمبية، فهي عندما تؤدي واحدة من حركات الغطس ظهرا تبدو وكأنها "سكين سويسرية" مقلوبة رأسا على عقب. وفي وسع المتفرج ملاحظة التصميم والاهتمام يشعان من عينيها. وليس هذا بمستغرب، فهي تقف على ارتفاع يوازي ارتفاع ثلاث طبقات

وتشق سطح الماء بسرعة ٥٠ كيلومترا في الساعة· وهي تدرك ان هفوات كثيرة قد تقع بدءا بتلك الواهية التي تكاد لا تلحظ وانتهاء بفقدان التوازن تماما· فاذا حدث هذا، اختلط الامر على اللاعب بحيث لا يعود يميز بين زرقة السماء وزرقة الماء· بل قد يحدث ما يشبه التوقف الفجائي، فيتعثر الغاطس في الهواء على نحو مفاجىء بحيث يصبح شبيها باحدى شخصيات الرسوم المتحركة اذ تقفز من الطائرة مرحة لتكتشف انها ما زالت على بعد الف متر عن سطح الارض·

والعامل غير المساعد في مثل هذه الهواجس المرعبة التركيز الكامل لهذه الرياضية على ما يفترض ان تفعله· اذ عليها ان تلاحظ يديها وهما تمتدان الى اصابع قدميها وتمسانها، وان تؤدي سلسلة من الحركات تنتهي بها الى اصطدام اصابعها بسطح الماء على نحو قاطع، فيهلل المتفرجون عندئذ ويفكر الحكام في تقدير النقاط التي احرزت· وما زالت ميكي تمارس الغطس منذ سنوات، لكنها لا زالت تعجب كيف يستطيع العقل ان يؤدي كل ذلك في مدة لا تتجاوز جزءا من الثانية·

التركيز وفقدان الوعي – وغالبا ما يكون التركيز شديدا بحيث يفقد الرياضي وعيه بالجمهور والزحام والضوضاء، بل قد يفقد وعيه بهوية افراد الفريق المنافس· وفي هذا يقول ديف كاسبر احد لاعبي فريق "اوكلاند ريدر" انه كثيرا ما يركز تفكيره على اللعب حتى ليغفل عن الاهداف المسجلة·

اما هنري آرون لاعب البيسبول فقد بلغ تركيز تفكيره حداً انه عندما حطم عام ١٩٧٦ الرقم القياسي، الذي كان سجله بيب روث، لم يتوقف ليشاهد الكرة في طيرانها وليستمتع بما حققته مهارته وانما استدار مباشرة واندفع راكضا نحو قاعدته· فذلك، في نظره، ما ينبغي للاعب ان يفعله·

ولعل اغرب مثال على فقدان الرياضي وعيه، نتيجة التركيز الذهني، هو ما حدث عندما حقق بوب بيمون قفزته المذهلة التي بلغ طولها ٨،٩ امتار في دورة الالعاب الاولمبية التي جرت في مكسيكو عام ١٩٦٨· ففي هذا النوع من القفز لا يُحرز التقدم الا نادرا ولا يتجاوز المليمترات، لكن بوب حطم الرقم القياسي السابق بمقدار ٣٠ سنتيمترا، الا انه لم يدرك في اللحظة نفسها انه حقق شيئا يستحق الاهتمام· فهو انطلق من نقطة القفز وفي ظنه انه حقق قفزة جيدة لكن ضجيج الجمهور روعه فاستدار ورأى المتفرجين يتركون مقاعدهم ويندفعون نحوه فلم يصدق نفسه في بادىء الامر الا انه ما لبث ان ادرك انه هو المقصود، وما ان وصلوا اليه حتى رفعوه على الاكتاف، واعتبر ذلك امرا مخيفا اذ بدا كمدرب لكرة القدم وقد حمله فريقه فجأة على الاكتاف في الجزء الاخير من مباراة تبدو خاسرة· وطلب من حامليه ان يشرحوا له ما حدث، فاوضح له جيم بياتي، وهو اول من عدا مسافة ميل في اقل من أربع دقائق، ما عساه يحدث اذا شرد ذهن الرياضي وروى لي انه في احدى المباريات التي جرت في موسكو واشترك فيها هو مع لاعبين سوفييت وامريكيين خطر له ان يفكر في المكان الذي سيتناول فيه عشاءه تلك الليلة، وهو امر غير مستغرب اذا

كان المرء في مدينة اجنبية، الا انه سرعان ما لاحظ انه شرد بفكره ولم يعد يعرف اذا كان الجرس قد رن ايذانا ببدء المرحلة الاخيرة من الشوط. (الواقع ان رنين الجرس مرتفع الى درجة تفوق مستوى ضجيج الجمهور ويصل الى اعالي المدرج).

واضاف جيم بياتي: "التفت نحو زميلي في الفريق جيم غريل الذي كان يجري الى جواري، وسألته اين نحن من الشوط؟ وهل نحن في المرحلة الاخيرة؟" فنظر الي باستغراب وقال: "نعم". عندئذ استجمعت قواي وانطلقت متخطيا اياه بما يقارب الامتار الخمسة، قبل ان تتاح للمسكين فرصة مجاراتي، ولو انه قرر خداعي فأخبرني اننا في المرحلة ما قبل الاخيرة لامكنه تحقيق انطلاقته الحاسمة وتجاوزي بمسافة طويلة".

قوائم المرمى والنسور — كثيرة حيل الرياضيين في التركيز الذهني. فقد كان من عادة ادي كولينز لاعب البيسبول الشهير في نادي "فيلادلفيا اتليتيكس" ان يلصق علكته (اللبان) على زر قبعته وهو في طريقة الى المباراة، فاذا حدث وسجل اصابتين قفز خارجا واعاد العلكة الى فمه. وهو كان يفعل ذلك ليخفف من انبهاره. والمعروف ان لاعبي كرة المضرب يجرون مع انفسهم حوارات داخلية لا تقطعها الا صيحة اسف على ضربة ضائعة. وقليلون هم الذين شاهدوا مباراة للاعبة جين بيلي كينغ ولم يسمعوها تعنف نفسها بغضب: "ايتها البلهاء!" ولم يروها عندئذ وهي تضرب الارض بقدمها.

ولقد اخبرني حارس المرمى شيب ميسنغ، ان التركيز الذهني على الكرة ذات اللونين الاسود والابيض لمدة ٩٠ دقيقة، هي مهمة شاقة ومرهقة خصوصا اذا بقيت الكرة لفترات طويلة في النصف الآخر من الملعب. وقال ان عليه حينئذ منح نفسه بعض الراحة، خلال المباراة، والا فقد صوابه. فاذا خرجت الكرة عن خطوط التماس في الطرف الاقصى او كانت هنالك ضربة ركنية (كورنر)، انتهز هو الفرصة "ليتحدث" الى قوائم المرمى، وتمكن بذلك من تخفيف توتره وان لثوان.

وسألته: "ماذا تقول لها؟" فأجاب: "اداعبها مناشدا اياها ان تبقى حيث هي في اللحظة الحرجة".

ولكن يبدو ان آرت لارسن بطل كرة المضرب الامريكي للعام ١٩٥٠ هو صاحب اغرب حوار داخلي. فقد كان يتخيل نسرا يحلق فوق الملعب ويرشده اثناء اللعب. فاذا انقضت مرحلة من المباراة هبط "النسر" وحط على كتفه واخذ يهمس في اذنه نصائح في ضوء ما شاهده اثناء طيرانه فوق الملعب، ويوحي له بما ينبغي ان يضع من خطط. ولقد كان في وسع المتفرجين ان يروا كتف لارسن وقد مالت لدى هبوط النسر الوهمي عليه كما كان في استطاعتهم رؤيته وهو يومىء برأسه لدى "تحليق" الطائر ويستعد للارسال.

ومن الرياضيين من يغنّي ليتحكم بافكاره. فمن عادة جاك نيكلاوس لاعب الغولف ان يردد بينه وبين نفسه اغنية واحدة طوال سلسلة من المباريات. وفي سباق نهري في الارجنتين ظلت السباحة ديانا نياد تنشد اغنية واحدة من اغاني الاطفال

تقول: "ادفع قاربك، ادفع، ادفع مرة بعد مرة بعد مرة".

كذلك تنشد كريس ايفرت اغاني "الديسكو" عندما يقتصر الامر على مباريات سهلة، اما اذا واجهت خصما قويا توقفت عن الغناء واخذت تذكر نفسها بروعة الفوز وبمرارة الهزيمة اذ انها ستخيب عندئذ آمال اسرتها واصدقائها بل ووطنها. وهي اذاً تشحذ قواها عن طريق التفكير في الفرق الشاسع بين النصر والهزيمة.

بماذا يفكر الرياضيون عندما ينتهي اللعب وبماذا يشعرون؟

من الواضح ان التفكير في هذه الحال يتوقف، الى حد بعيد، على نتيجة المباراة، وعلى الفارق في النقاط. وقد يحدث ايضا ان يكون رد الفعل بعد الانتصار محدودا. وعندما سئل متسلق الجبال ناوانغ غومبو عما دار في خلده عندما بلغ قمة جبل ايفرست ووقف على ذروة العالم، ابتسم وقال: "كنت افكر في طريقة النزول!".

■ جورج بلمبتون



الانتظار نقيض الاقدام

ان انتظارنا الحصول على جميع المعطيات قبل اقدامنا على عمل معين يعني ان نحكم على انفسنا بالجمود.

جان روستان

قصة النمل

بعد سنوات طويلة وجهود شاقة وصرف ملايين الروبلات، توصل الروس اخيرا الى ايصال ملاحي فضاء الى القمر. وحين فتحا باب المركبة الفضائية وقفزا الى ارض القمر، فوجئا بمجموعة من الصينيين القصيري القامة ترحب بهما. فصرخ الروسيان المذهولان: "هذا مستحيل. كيف استطعتم ايها الصينيون ان تسبقونا الى القمر وانتم لا تملكون صواريخ بقوة صواريخنا؟".

- بسيطة، صيني قصير يتسلق كتفي صيني قصير، ثم يتسلق صيني قصير، ثم يتسلق صيني قصير...

("صحيفة الاحد"، فرنسا)

ساموئيل كوليردج

روى الكاتب البريطاني تشارلز لامب الحادث الآتي عن الشاعر ساموئيل كوليردج الذي اتسم بصفتين اخريين هما كونه خطيبا مفوها من جهة وشارد الذهن من جهة اخرى.

"جذبني كوليردج ذات مرة عبر بوابة احدى الحدائق الخالية حيث وقفنا على رصيف الطريق، ثم قبض على زر معطفي واغلق عينيه وراح يلقي خطابا بليغا. وكانت الكلمات تتدفق من شفتيه كالموسيقى في فيض لا ينقطع. وادركت انه من العبث ان احاول مقاطعته. لذا انتهزت فرصة استغراقه في موضوعه واخرجت مقصا صغيرا من جيبي وقطعت به الزر عن معطفي وفررت. وبعد خمس ساعات كنت امر بالحديقة في اتجاه منزلي، فسمعت صوت كوليردج. وحدقت اليه فرأيته واقفا في المكان نفسه مغلق العينين وقد امسك بالزر بين اصابعه، فيما استمر يلوح بيده اليمنى، كما تركته بالضبط".

أبرد قرية في العالم

تدنت الحرارة في بلدة سيبيرية الى ٧١ درجة مئوية تحت الصفر، فلم يتجمد اهلها لان البرد كان صديقهم

"كل شخص يستطيع ان يعتاد اي شيء". هذا ما قاله لي ايفان دانيالوفيتش تشيروف بلهجة تنم عن غضب. وتشيروف رئيس بلدية ياكوتسك في سيبيريا السوفيتية، وله من العمر ٣٦ سنة، وقد ألف التعامل مع الصحافيين الاجانب. وهو يعلم ان هناك موضوعا واحدا يعودون اليه فيه، هو الطقس، مع انه يفضل الكلام عن النمو الاقتصادي والوحدات السكنية والمدارس الجديدة.

لقد كان رئيس البلدية تشيروف اول موظف رسمي اتصل به في رحلتي السيبيرية التي أخذت فيها على نفسي ان اصل الى "بوليوس خولودا" كما يقال بالروسية، اي الى قطب الصقيع، وهو الاشد صقيعا بين الامكنة المأهولة في العالم.

وياكوتيا، او جمهورية ياكوت السوفييتية الاشتراكية ذات الاستقلال الذاتي، هي الوحدة الادارية الكبرى في الاتحاد السوفييتي بالاضافة الى الجمهورية الروسية السوفييتية الاشتراكية المتحدة. وهي تقع على مساحة من الارض مترامية الاطراف تضم القسم الاكبر من الجهة الشمالية الشرقية من الاتحاد السوفييتي فوق بحر اوخوتسك. ومعدل حرارتها السنوية ١٠٠ درجة مئوية تحت الصفر.

ان فولاذ الآلات في العراء ينكسر وينقصف كالثلج. كما ان عجلات السيارات تتشقف حين تصطدم بالحفر. والجميع يلبسون احذية جلد او لباد" لان النعال الاصطناعية تتفسخ وتتفتت بعد تعرضها للصقيع مدة عشر

دقائق او ربع ساعة. ولا تزال الذئاب موجودة في ياكوتيا. واشبالها تصاد بالفخاخ وتربى كحيوانات اليفة. ومن المؤكد ان الانسان الحديث لم يذق طعم لحم الماموث -وهو فيل منقرض- الا في ياكوتيا. فهناك، في العام ١٧٣٧، عثر على النماذج الاولى منه سليمة محفوظة منذ نحو ٣٠ الف سنة في اودية جليدية اشد تبريدا من اي ثلاجة تستعمل اليوم للتبريد والتجليد.

والحرارة الدنيا الطبيعية التي سجلت على الارض كانت في القطب الشمالي في محطة فوستوك العلمية السوفييتية في ٢٤ اغسطس (آب) ١٩٦٠. وقد بلغت ٨٨،٣ درجة تحت الصفر. على ان المكان الابرد الذي اختار الناس ان يعيشوا فيه على مدار السنة هو قرية يبلغ عدد سكانها ٦٠٠ نسمة وتقع في واد جبلي يرتفع ٧٠٠ متر عن سطح البحر في الشمال الشرقي من ياكوتيا. اسم هذه القرية اويمياكون. وقد سجلت محطة الاحوال الجوية فيها حرارة بلغت ٧١ درجة تحت الصفر في يناير (كانون الثاني) ١٩٥٩.

ويعود سبب الصقيع الشديد في سيبيريا الى الاعاصير المضادة ذات الضغط المرتفع، التي يبدأ هبوبها في اكتوبر (تشرين الاول) ولا يزول الا في ابريل (نيسان). وتجلب هذه الاعاصير طقسا جافا باردا، ولا تحمل الرياح القادرة على ابعاد الغيوم المنخفضة.

وبسبب التشجيع الحكومي على الاستيطان في سيبيريا، يعمد السوفييت الى التخفيف من قسوة المناخ هناك. وثروات سيبيريا الشهيرة هي ذات اهمية بالغة، فلا يجوز ان تترك دفينة. وفي هذا المجال، نجد رئيس البلدية تشيروف ينتهج الخط الرسمي. لكن سكان سيبيريا ينظرون الى البرد كأنه شيء لا اهمية له، او كأنه صديق لهم.

السباحة في الجليد — غادرت موسكو في يوم معتدل الحرارة في اواسط يناير (كانون الثاني). وبعد توقف في اركوتسك، حطت بنا طائرة "تي يو - ١٥٤" في ياكوتسك نحو الساعة الثانية بعد منتصف الليل. كانت الحرارة ٣٤ درجة تحت الصفر. وكان فيكتور باكوفليف، مصور احدى الوكالات الصحافية، في انتظاري هناك ومعه سيارة تاكسي من طراز فولغا، خضراء اللون، تصر وتئن فوق الطريق المحفرة، فيما تتحرك مفاصلها بمشقة من جراء الشحم البارد الذي يغطيها. وكانت نافذتها الامامية مؤلفة من لوح مزدوج لتأمين الرؤية، اما النوافذ الاخرى فكانت مغطاة بالجليد. وكان على السائق، اذا اراد ان يعرف ما يجري وراءه، ان يفتح الباب عن يساره ويلوي عنقه الى الوراء. وكنت منذ زمن قد الفت النوافذ والابواب المزدوجة التي تشكل عازلا للصقيع في موسكو، اما في ياكوتسك فهي ثلاثية او رباعية في بعض الاحيان.

وفي اليوم التالي قال لي تشيروف في دار البلدية: "ان مشكلتنا الاولى هي الجليد الدائم. والحرارة تتقلب على نحو هائل، من ٦٠ درجة تحت الصفر شتاء الى ٤٠ درجة فوق الصفر صيفا. فاذا كان الربيع باردا كانت

المواسم سيئة، واذا حل الخريف باكرا كان علينا ان نندفع بسرعة لانقاذ ما نستطيع انقاذه. وفي وسعك ان تتدرك مدى اهمية الصيف بالنسة الينا، لانه قصير وجاف جدا. وهو يشمل اشهر يونيو (حزيران) ويوليو (تموز) واغسطس (آب) فقط".

ان الارض الجليدية او الطبقة الجليدية الدائمة، التي تغطي سيبيريا باستمرار تخلق تعقيدات مشوشة وضارة. فالبناء والزرع على الارض الدائمة الجليد امران يتطلبان الدقة والحذر، وقد يكونان خطرين، لان هذه "الطبقة الفعالة" كما تدعى - أو القشرة التي تبلغ سماكتها مترا او مترين، وتذوب في الصيف لتعود فتجمد في الشتاء - تزعزع البناء العادي. وسيبيريا مليئة بمنازل خشبية منحرفة بزوايا كبيرة ومطمورة حتى نصفها بالتراب، اي انها "سابحة" في الطبقة الفعالة. وجميع المباني الجديدة في ياكوتسك تقف على ركائز مغروسة حتى المستويات الدنيا الثابتة، وكذلك على فاصل بين المبنى والارض يبلغ قرابة المتر ووظيفته الحؤول دون تذويب الطبقة الفعالة في الشتاء من جراء دفء البناء.

ثم ان تأمين المياه الجارية يكاد يكون عملا بطوليا. فمعظم الانابيب في ياكوتيا ممدودة فوق الارض لسبب بسيط هو ان التجمد والتمدد وذوبان الطبقة الفعالة امور تؤدي في النهاية الى تحطيم الانابيب الممدودة فيها. والانابيب الممدودة فوق الارض ايسر منالا للترميم، لكنها اكثر تعرضا للهواء البارد المحيط بها. وينتج عن ذلك ان مياه الشرب المجرورة بانابيب من قاع نهر لينا (حيث تراوح سماكة الجليد السطحي بين اربعة امتار وستة امتار)ينبغي تسخينها في مسارها بين فترة واخرى منعا لتجمدها. وكما هي العادة في كثير من المدن السوفييتية، نجد ان المياه الساخنة والتدفئة المركزية البلدية يؤمنهما معا معمل بخاري يعمل على الغاز.

لقد كانت اخطار البيئة الناجمة عن التعرض للجليد الدائم امرا حقيقيا حمل السلطات السوفييتية على انشاء "مؤسسة منطقة الجليد الدائم" قبيل الحرب العالمية الثانية. وهذه المؤسسة فرع من اكاديمية العلوم السيبيرية، ومقرها باكوتسك. وتحت البناء، وبمعزل وراء سلسلة من الابواب ، يقوم الشيء الذي يجذب السياح، وهو عمود ينغرس عميقا فيقلب الجليد الدائم، مما يساعد على اجراء الملاحظة والاختبار على نحو مباشر. وهناك مليون بلورة جليدية عالقة في بريق الرواسب الرملية تحت مصابيح التنجستين. والهواء هناك هادىء وساكن تماما... ودافىء! دافىء نسبيا بالطبع. والمنطقة الدائمة الجليد هذه تحافظ على درجة حرارة ثابتة بصرف النظر عن حال الطقس المحلي. وعلى درجة ٣١،٥ تحت الصفر، كان العمود معتدل الحرارة.

والمنطقة الدائمة الجليد منتشرة انتشارا واسعا في نصف الكرة الشمالي. ومساحتها تقل عن ٤٠ في المئة من مساحة اليابسة. وهي تغطي

٨٠ في المئة من الاسكا و٥٠ في المئة من الاتحاد السوفييتي وكندا. والمرجح انها تغطي قارة القطب الشمالي كلها.

الضباب الدائم ـ في الصباح التالي ذهبت بالطائرة الى اوست - نيرا حيث يقوم منجم مهم للذهب على مسافة ٨٠٠ كيلومتر شمال شرق ياكوتسك. ويوجد الموقعان اوست - نيرا واويمياكون في واد طويل معروف باسم "وادي اويمياكون". ويولد الموقعان "غطاء" من هواء ساخن، بينما ينزلق الهواء البارد الاكثر وزنا على جانبي الجبلين ثم يتوقف في قعر الحوض. ويسمي علماء الاحوال الجوية هذا الوضع "توازن الاشعاع السلبي" اذ تكون الطاقة المنبعثة من الشمس اقل من الطاقة المنطلقة من الارض. والارجح ان البلدة مغطاة بالضباب لان حرارتها هي دون العشرين درجة تحت الصفر.

لكن الطبيعة تعوض عمّا تَحْرِمه. ففي يونيو (حزيران) تتمتع اوست - نيرا واويمياكون بنهار يدوم ٢٤ ساعة. ثم ان سياسة الدولة الهادفة الى جعل الحياة في سيبيريا جذابة ومريحة بقدر الامكان تمثلت في القمر الاصطناعي "اوربيتا" الذي يلتقط ثلاث قنوات ملونة من التلفزيون بواسطة نظام الراديو والتلفون، وبالطبع بواسطة الانتاج الجديد الذي تطلقه الشاحنات الجوية "ايروفلوت".

واشار رئيس بلدية اوست - نيرا، ايغور اليكسييف ديمتريف، الى ان سكان البلدة يقاربون العشرة آلاف نسمة. وهنا خطرت لي فكرة ذات علاقة بالموت "ترى كيف يدفنون موتاهم؟" وبرباطة جأش رد رئيس البلدية ديمتريف: "باشعال النار ليلا وبالحفر نهارا". ثم تذكرت ان تشيروف رئيس بلدية ياكوتسك، كان قد ذكر ملاحظة عابرة هي ان الاجسام المدفونة في ياكوتيا تبقى سالمة، مثلما تبقى جثث حيوان الماموث تماما.

وفي مستوصف اوست - نيرا سخر فلادلين ماريني، رئيس اطباء المنطقة، من الفكرة القائلة بان البرد يسبب مشاكل صحية. وبجدية، وبدون انقطاع عن التدخين، وبتحفظ بدأ الطبيب الحديث بقول واضح هو انه "لا مشاكل البتة". لكنه اعترف شيئا فشيئا بان انواع الرشح والتهاب اللوزتين والانفلونزا، والتهاب مجرى التنفس، اعراض عامة سائدة. ولما سألته عن التكيف النفسي والنزوع القوي الى الكحول لدى المواطنين السوفييت، رد علي بقوله: "ليس ذلك من اختصاصي".

وفي تلك الليلة قدمت لنا في المقهى المحلي اكلة سيبيرية خاصة شهية تدعى "ستروغانينا"، وهي سمك نيء جامد جيء به من نهر انديجيركا مباشرة. والسمك يتجمد ويقسو فور تعرضه للهواء البارد. والطاهي لا يطهوه ابدا، بل يقطع منه بسكينه الحادة شريحات رقيقة وطويلة، ثم يلفها مستديرة مثل قطع الزبدة. بعد ذلك تقدم الشريحات مغطاة بطبقة جليدية بيضاء. وهي تخيب الامل لان طعمها غير لذيذ، لكن قضمها يثير المتعة والتسلية. والاولاد في اوست - نيرا يأكلون شريحات كاملة من الستروغانينا وكأنهم يتناولون قطع الحلوى.

الحليب بالقطعة ـ في صباح اليوم التالي، وصلنا انا وفيكتور الى

اويمياكون والحرارة فيها ٥١،٥ درجة تحت الصفر. واول ما رأيناه كان ذئبا رمادي اللون، ابيض المخالب، يتمشى قلقا بقوائمه العالية عند طرف مقود متين يمسك به موظف في المطار. وعمر الذئب ثمانية اشهر فقط كما قال الموظف، واسمه "دينكا" وقد بقينا على مسافة منه.

ثم اجتزنا الحرج الجليدي الفسيح لنرى محطة الارصاد الجوية. وكان معدل الحرارة المسجلة فيها ٧١ درجة تحت الصفر. وكانت المحطة كوخا صغيرا، انيقا ومريحا مصنوعا من الخشب. وادواتها موضوعة في الخارج في صناديق مغلقة ذات مصاريع، تشبه الاجهزة الكبيرة الخاصة باطعام الطيور.

وانتقلنا بعد ذلك لزيارة مخزن البقالةحيثكان الحليب لا يزال يباع قطعا جامدة صلبة، تزن احداها سبعة كيلوغرامات، او ٦،٨ ليترات، باربعة دولارات للقطعة. والبلدة نفسها مجموعة من الابنية الخشبية ذات الدور الواحد، وهي موزعة في ما يشبه المستطيل. ثم ان البناء الاكبر بينها هو المدرسة حيث يجري تدريس ابناء الصفوف التمهيدية باللغة المحلية، لان اويمياكون ياكوتية في غالبيتها الساحقة. اما اللغة الروسية فتدرس كلغة ثانية، ابتداء من الصف العاشر.

وفي غضون ٢٤ ساعة رجعت الى اركوتسك، وكانت الحرارة فيها ٣٠ درجة تحت الصفر. وهي مقبولة كأنك في الربيع. وللمرة الاولى، او لعلها الاخيرة في حياتي استطيع ان انظر بعطف الى الروس الذين كانوا يسرعون مرتجفينفي جو يعدّونه باردا. ثم دفعت ثمن جرأتي، وكان ألما حادا في حلقي دام اسبوعا كاملا.

■ رودولف شلمينسكي



سر الحكومات

سر الحكومات العظيمة هي المعرفة الدقيقة لمقدار المستقبل ومقدار الحاضر الواجب مزجهما.

فيكتور هوغو

اصل "الستار الحديدي"

تنسب عبارة "الستار الحديدي" عادة الى السير ونستون تشرشل، لكنها تعود في الواقع الى ملكة بلجيكا الراحلة اليزابيت.

فحين قامت المانيا بغزو بلجيكا عام ١٩١٤، منتهكة بذلك كل تعهداتها وكل حقوق السيادة، أفضت الملكة اليزابيت بافكارها الى الكاتب بيار لوتي الذي نشر مقابلة معها. وفي ذلك الحوار اعلنت صاحبة الجلالة البافارية المولد "ان ستارا حديديا انتصب بيني وبين عائلتي".

(مجلة "مرآة التايخ"، فرنسا)



تأملات معاصرة

طقوس المدنية الحديثة

يبدو لي اننا نصر عن وعي على الخلط بين الرياضة والتمرين. فالتمرين هو ما كان يمارسه كل شخص قبل اختراع السيارة. وكان يشمل المشي وركوب الخيل للتنقل من مكان الى آخر. لذلك كان جزءا اساسيا من حياة الفرد، كالاكل وتقليم الاظافر، ولم تكن ممارسته موضع جدل بين الناس.

ثم ظهرت الالعاب الرياضية المنظمة، وهي تحمل شروطا واخلاقا ونظريات وهواجس جديدة، وبعبارة اخرى، تحمل طقوسا جديدة. ففي كل نهاية اسبوع تجري الاحتفالات في معابد مكشوفة، ويحضر ٣٠ الف او ٤٠ الف "مؤمن" ليتأملوا "كهنتهم" وهم يقضون ساعتين في ركل كرة. وقد يتجمع هؤلاء المؤمنون على جوانب الطرقات ليتابعوا موكب دراجات "الشمامسة".

اما الطقس الاكثر هيبة، ذلك الموصوف بـ"الفن النبيل"، فيتم ليلا حيث يترأس "قسيسان" قداسا يوجه فيه احدهما اللكمات الى وجه الآخر وبطنه وكبده حتى ينهار اضعفهما.

وهذا يعني ان الرياضيين المحترفين ليسوا اناسا ينمون اجسامهم على نحو متناسق يجعلهم اكثر وسامة او صحة. لكنهم ممثلون او مهرجو سيرك يفرطون الى حد البشاعة في تطوير قدرة جسدية معينة لديهم. ولشد ما تحلو لي مقارنتهم بتلك الخضر الضخمة التي يستمتع البستانيون بتربيتها لكسب الجوائز في معارض نباتات الزينة، على رغم انها عديمة الطعم والفائدة تماما.

(مجلة "كانديد"، فرنسا)

مجتمع البطاقات

يطالب عدد من مالكي الاراضي الزراعية في جنوب فرنسا ممن حرموا الحصول على دخول اضافية بسبب شراهة سكان المدن الذين يقطفون نبات الفطر خلال نزهاتهم ايام الاحد، بمنع قطع هذا النبات من دون اجازة يفترض ان تصدر عما سيغدو حتما "مديرية الفطريات العامة". وستضاف هذه الاجازة الى قائمة طويلة من الاجازات المختلفة المفروضة على المواطن، ابتداء من اجازة البناء وانتهاء باجازة الدفن.

وهكذا نتجه يوما بعد يوم، من دون ان نعي، من المجتمع القديم الذي كان كل شيء فيه مباحا ما لم يمنعه القانون الى المجتمع المعاصر الذي يمنع فيه كل شيء منعا باتا ما لم يسمح به القانون صراحة. ان تعريف مونتسكيو للحرية باعتبارها "الحق في عدم اطاعة اي شيء عدا القانون" يمثل صيغة ممتازة لكننا سنواجه عما قريب بعدد هائل من القوانين الى حد ان الحرية نفسها ستحتاج عند ذاك الى اجازة.

(صحيفة "الفيغارو"، باريس)

انواع المعرفة

هناك ثلاثة انواع من المعرفة: المعرفة بالمعنى الصارم، اي النظري، ومعرفة ماذا تفعل، ومعرفة كيف تعيش. لكني لاحظت غالبا ان من يعرف ماذا يفعل وكيف يعيش لا يحتاج الى النوع الاول من المعرفة.

ساشا غيتري

سحر الأيقونة

هذه الرسوم القديمة والرائعة والمقدسة التي يعتبرها الكثيرون من الناس اثمن ما يملكون ومصدرا للقوة والحماية، تثير اهتماما متزايدا في انحاء العالم.

"القطعة ١٩٠"، نادي الدلال.

وعلى الاثر دبت الحماسة في قاعة مبيعات محلات "كريستي" في لندن، الشهيرة بالبيع بالمزاد العلني. وكانت هذه القطعة قد لفتت التجار والهواة من انحاء اوروبا، وكانت المبالغ المعروضة لشرائها ترتفع بسرعة. واخيرا سأل الدلال: "لقد رست القطعة على بارتريدتج بمبلغ ١٧،٣٢٥ جنيها استرلينيا".

هذه التحفة التي اشتراها تاجر لندني في الخامس من مارس (آذار) ١٩٧٥ لمتحف المتروبوليتان للفن في نيويورك، هي صورة روسية مقدسة تعود الى القرن السابع عشر. وهي مطلية بالجواهر ومعروفة باسم "المخلص غير المصنوع بأيدي البشر". وقد جاء هذا الثمن القياسي الذي دفع للايقونة مصداقا لما يسميه خبير عند كريستي: "الاهتمام الضخم بالصلوات المهيبة المعبر عنها بالصورة واللون على الخشب".

واليوم صارت تجارة كريستي بالايقونات تدر عليها مبلغ مليوني دولار سنويا؛ في حين كان الاهتمام العام بشراء الايقونات ضئيلا منذ عشر سنوات. وفي عام ١٩٧٧، اعلنت الفروع الاربعة لمحل كبير في المانيا الغربية يتعاطى تجارة الايقونات

ايقونة "عذراء فلاديمير" التي تعود الى القرن الثاني عشر. ويبلغ قياسها الاصلي ٧٨×٧٥ سنتيمترا. ◀



"المتوسطة النوعية"، التي يراوح ثمن الواحدة منها بين ٣٠٠ و٨٠٠٠ مارك الماني، انها حققت مبيعات بمئات الوف الماركات خلال الاسبوعين اللذين سبقا عيد الميلاد.

ان عددا كبيرا من المسيحيين يزدري هذه التجارة. فهم ينظرون الى الايقونات كأشياء تستوجب اعمق الوقار. وفي رحلة قمت بها حديثا الى روسيا، اخبرني صديق عن امرأة مسنة مريضة تعيش وحدها في كوخ خشبي شمال لينينغراد. وقال ان الهواة كانوا يعرضون عليها باستمرار مبالغ كبيرة ثمنا لايقونة عندها تمثل القديس نيقولاوس ويعود تاريخها الى القرن السادس عشر. لكنها رفضت هذه العروض كلها، على رغم انها كانت تعيش عيشة الكفاف، معتمدة على مساعدة رسمية ضئيلة. ولا تستطيع هذه المؤمنة الصادقة ان تفهم كيف ان احدا يظن انها يمكن ان تبيع هذه الايقونة، وهي مرقاة عبادتها.

وفي الوقت الذي ينظر المؤمنون الارثوذكس الى الايقونات كقطع ثمينة يتوارثونها ابا عن جد، نجد ان عدد غير المؤمنين الذين يتجرون بهذه القطع المقدسة في أزدياد. ولتلبية الطلب الغربي المتزايد بالحاح، تهرّب نحو عشرة آلاف قطعة سنويا من روسيا، مع ان هذه العملية جريمة يعاقب مرتكبها بالسجن او بوضعه في معسكر الاعتقال. ويوجه القسم الاكبر من هذه القطع نحو برلين الغربية حيث ينتظر التجار عادة قطار موسكو، وهم يحملون النقود للشراء الفوري. وقد تُنشر ايقونات كبيرة - ومن بينها روائع لا تقدر بثمن - قطعا صغيرة بقصد الاخفاء او التمويه. ثم يعيد الخبراء تركيبها وتباع الواحدة منها في المعارض الالمانية بعشرة آلاف دولار على الاقل.

كلمة يونانية - ان كلمة "ايقونة" يونانية الاصل، وهي تعني، بكل بساطة، "صورة". والمألوف انها صورة، على لوح خشب، للمسيح او لقديس او لملاك، او لشخصية اخرى مقدسة او مشهد من الكتاب المقدس. ويقول بعض الخبراء ان هذا الذي يباع في الاسواق ليس الايقونات على "حقيقتها"، لان السوق ليس بيئتها الطبيعية. وكما اخبرني احد دارسي الايقونات، "ثمة عامل يميز الايقونة عن الصور الاخرى، وهو عدم انفصال الايقونة عن الحياة الروحية التي لا تتألق الا في جو من الايمان".

وهناك اكثر من ٩٠ مليون ارثوذكسي شرقي لا يزالون يعيشون مع ايقوناتهم في جو من الاحترام والالفة. ففي كنائسهم او في زوايا منازلهم التي خصصوها للايقونات، تراهم يقبّلون ايقوناتهم يوميا ويضيئون لها الشموع ويركعون امامها ويصلون. وأعرف محاميا يونانيا موسرا يصر على ان اثمن ما يملكه هو ايقونة عادية من الناحية الفنية للقديس يوحنا المعمدان، تعود الى القرن التاسع عشر. وهو قال لي: "ان مصير عائلتنا لم يزل رهن هذه الايقونة منذ أجيال. وقد ورثتها عن والدي الذي ورثها عن والده، وانا سأورثها لولدي من بعدي. انها مصدر القوة في كل ازمة تواجه العائلة".

ان احترام الايقونات لا يزال قائما حتى في روسيا السوفييتية الملحدة رسميا. ففي اوائل الستينات كانت مؤسسة روسية تصور شريطا لقصة تولستوي الكلاسيكية "الحرب والسلام"، مستخدمة جنود الجيش الاحمر السوفييتي لبعض المشاهد. ولدى تصوير مشهد أضفاء البركة الدينية على الجنود عشية المعركة الحرجة ضد قوات نابوليون الفرنسية، ظهر الممثل الذي يؤدي دور الكاهن حاملا ايقونة سيدة سمولنسك. وبلغ تأثر الجنود بالايقونة، المعتبرة حامية روسيا من قرون، حدا جعل الكثيرين منهم، كما قيل، يخرون ساجدين امامها على الفور.

ليس هناك مرجع اكيد لتاريخ صنع الايقونات الاولى. وتقول رواية شعبية روسية ان الصورة الاولى جاءت من قطعة قماش مبللة شدها المسيح الى وجهه فانطبعت عليها ملامحه. ومهما يكن اصل الايقونات، فان ظهورها في الكنائس البيزنطية بدأ مع القرن السادس. ثم وضعت الكنيسة البيزنطية قانونا في القرن الثامن تحصر فيه مواضيع الايقونات بيسوع المسيح ومريم العذراء والملائكة والقديسين والرجال الابرار فقط، بغية التأكيد على ان الصور تعكس الشؤون الروحية والسماوية بانفصال عن العالم المادي.

وفي القرى النائية والاديرة المنفردة، تمكن الحرفيون مع الوقت من اتقان المهارات المعقدة لصنع الايقونات. اولا، يقطع النجار لوحا من خشب منتقى، يكون عادة من الصنوبر او الزيزفون او السرو. ويطوق اللوح باطار منعا للالتواء، ويتركه ليجف خلال مدة قد تبلغ ست سنوات قبل ان يصبح جاهزا لعمل الاختصاصي الثاني. وهذا يطليه نحو اثنتي عشرة مرة بمادة الجبس الخاصة بالرسم والمصنوعة من مادتي المرمر والغراء، على ان يصقله في المرة الاخيرة بحجر النسفة او الخفّاف. وبعد ذلك يضع رسام بعض الخطوط على اللوح، ثم يتولى شخص آخر تغطية وجه اللوح بصفائح رقيقة من الذهب، ويصقل بعد ذلك باداة مصنوعة من سن حيوان او قطعة عقيق لتأتي الخلفية ذات لمعان ذهبي فريد.

وأخيرا يأتي دور الرسام، وهو يستخدم خمسة الوان اساسية فقط، تهيأ من خضابات معدنية طبيعية وتمزج بصفار البيض لتقويتها، او قد تخفف احيانا بعصارة التين او بالعسل او الجعة. والرسامون اليوم لا يزالون قاصرين، على رغم محاولاتهم، عن الحصول على هذه المزائج القديمة.

اصول دقيقة ـ وفي انجازه للصورة، يتقيد رسام الايقونات بأصول كنسية دقيقة. فاذا شاء ان يمثل الدخول الى القدس، كان عليه ان يرسم المسيح راكبا حمارا وان يمثل المدينة المقدسة بالاشجار والمباني وان يصور الشعب يفرش سعف النخيل تحت اقدام الحمار. الا ان له الحرية في ترتيب هذه العناصر وتلوينها وفق تصوره الخاص، مما يفسر انعدام التشابه التام بين اي ايقونتين من ملايين الايقونات الموجودة.

وليس لرسام الايقونات ان يفاخر بالاصالة او الابداع. حتى ان رسامي



الايقونات الذين وقعوا اسماءهم - وهم قلة ضئيلة - كانوا يستعملون الكلمات الآتية: "تم رسمها عبر فلان"، للدلالة على انهم ليسوا غير ادوات في يد قوة عليا اوحت اليهم بالافكار والمهارة.

وقد حاول رسامو الايقونات ان يرسموا واقعا روحيا، لا واقعا جسديا ملموسا. ومما فعلوه في محاولتهم انهم رسموا الاجسام والاشياء في اوضاع غريبة معلقة في الهواء، من غير ان يكون لها حجم او وزن.

وبلغت الايقونات قمة تطورها في روسيا حيث توصل الناس الى الاتكال على صور مجموعة كاملة من القديسين لمساعدتهم في مواجهة مصاعبهم. فالقديس بونيفانتي، مثلا، كان يعنى بالسكارى، في حين كانت القديسة الشهيدة بربارة شفيعة المصابين بآلام الاسنان، والقديس باسيليوس شافي المصابين بالحمى.

ويعد اندريه روبليف المع رسامي الايقونات الروسية. وهو راهب من موسكو عاش بين ١٣٧٠ و١٤٣٠. والصفاء والرقة اللذان وجدهما الباحثون في عمل روبليف لافتان حقا اذا اخذنا في الاعتبار انه عاش في احدى اعنف فترات التاريخ الروسي حين كانت جحافل التتار المغيرة تعيث باوروبا سلبا ونهبا. واعظم عمل لروبليف - وهو من اهم الايقونات في العالم - ايقونة "الثالوث" التي رسمها لكاتدرائية دير في زاغورسك الواقعة على مسافة ٥٠ كيلومترا شمال موسكو. وهذه الايقونة المعلقة حاليا في صالة عرض "تريتياكوف" في موسكو، التي تضم أكبر مجموعة ايقونات في العالم، لا تزال تحرك الناس وتثيرهم كما كانت في عهد روبليف. ويقف الروس امامها مبللي الاعين، وينضم اليهم في هذا الخشوع والتبجيل سيل لا ينقطع من السياح الاجانب.

عزّ وانحدار - بقي فن الايقونة محافظا على مستواه الرفيع خلال القرن السادس عشر، ثم انحط على نحو ملحوظ. وفي الوقت نفسه، فقد عدد من الايقونات الرائعة. كما ان السواد بفعل الشموع والبخور تسرب عبر العصور الى الطلاء الزيتي الذي يقي الايقونات فأدى الى حجب الصور وازالة بريقها. وقال جيمس راونتري، احد كبار منقذي الايقونات والمحافظين عليها في لندن: "لقد ظُن انه لم تبق للايقونات قيمة كبيرة بعد اسودادها". ولما كان اتلافها خطيئة، فقد صار البديل ان تدهن من جديد. لكن ذلك لم يحافظ على مستوى المهارة والابداع والاسلوب الذي كان يتحلى به الاصل.

وهناك مواد كيميائية جديدة مذيبة عرفت في مطلع القرن العشرين، ادت الى كشف روائع كانت مفقودة. وكان عدد من العاملين في انقاذ الايقونات يتساءل عما تخبئه مجموعات من اللوحات القديمة الملطخة بالسواد. وعمد هؤلاء الى تنظيف اجزاء صغيرة منها على سبيل التجربة، فكانت النتائج مذهلة معظم الاحيان. وتبين ان ثلاث لوحات وجدت تحت كومة من حطب النار هي ايقونات رائعة منسوبة الى اندريه روبليف عينه.

◀ ايقونة "الثالوث" لأندريه روبليف، ويبلغ قياسها ١٤٢×١١٤ سنتيمترا.

الأيقونة قبل الاسلام وبعده

عرف العرب الايقونات في جاهليتهم. فقد روى الأزرقي (آخر القرن الحادي عشر ومطلع الثاني عشر) في كتابه "أخبار مكة" أن سادة قريش، لما هموا باعادة بناء الكعبة، استعانوا بنجار قبطي اسمه باخوم، وانهم زوّقوا سقوفها وجدرانها وجعلوا في دعائمها صور الأنبياء والملائكة. وكان من بين هذه الصور صورة ابرهيم عليه السلام.

كذلك حكى الازرقي ان رسول الله (صلعم) لما دخل الكعبة بعد فتح مكة، قال لشيبه بن عثمان، حارس الكعبة الذي أسلم: "يا شيبه، امحُ كلّ صورة فيه إلاّ ما تحت يدي". ثم رفع يده عن صورة عيسى ابن مريم وأمه وبقيت هذه الصورة في مكة حتى عام ٦٨٣ للميلاد.

ويبقى العالم العربي حاوياً أقدم الأيقونات الخشبية في العالم، وذلك في دير القديسة كاترينا في جبل سيناء. كذلك يظل أوّل منظّر للأيقونة في النصرانية رجل عاش في ظل الامويين هو يوحنا الدمشقي. ولا شك ان استمرار الايقونة في سيناء منذ القرنين السادس والسابع مرجعه الى ان سيناء، لقيامها في الامبراطورية الاسلامية، لم يستطع أباطرة الروم اتلاف صورها عندما شنوا في مملكتهم حربا على الأيقونات امتدت من ٧٢٦ حتى ٨٤٣. ومن أهم أيقونات سيناء من ذلك الزمان أيقونة للضابط الكل واخرى لوالدة الأله جالسة على عرش ويحيط بها القديسان ثيودوروس وجاورجيوس.

فلسطين ام سيناء

فلسطين خصبة في تلك المرحلة. وفلسطين، روحياً واداريا، أم سيناء. ويبقى دير القديسة كاترينا مبدعاً بأصالة بيزنطية حتى القرن الثاني عشر. وأهم ما انتج آنذاك أيقونة "سلم الفضائل".

في القرن الثاني عشر عرفت سورية ازدهارا عظيما في التصوير الجداري (الفريسكو). وتزداد اكتشافاتنا له في كنائس الارثوذكس وديورتهم، مثل النبك ومار اليان الحمصي ومار

وحين نظفت ايقونة "عذراء فلاديمير"، التي تعود الى القرن السادس عشر، من الاوساخ العالقة فيها، تبين ان أجزاء من الوجهين ومن احدى ذراعي الطفل تعود الى الايقونة الاصلية المصنوعة في القرن الثاني عشر. وفي عام ١٩٧٧، كشف النقاب عن احدى اقدم الايقونات المعروفة، وهي صورة للمسيح تعود الى القرن الحادي عشر، تحت صورة أخرى من القرن التاسع عشر.

وفي العام ١٩١٣، كان عدد الايقونات الرائعة التي اكتشفت واعيدت الى حالها السابقة قد اصبح كافيا لاقامة معرض كبير لها في موسكو. ولم تكن حمّى الايقونات اصابت هواتها فحسب، بل امتدت ايضا الى عدد كبير من فناني ذلك العهد المغامر الذين بهرهم الجمال والنوعية "العصرية" المدهشة في هذه الاعمال القديمة. ومن كبار الرسامين الذين اعترفوا بما هم مدينون به للايقونات في تطورهم الابداعي - وهم كثيرون - الرسام الفرنسي هنري ماتيس.

ان الارباح الطائلة التي تجنى من بيع الايقونات تغري بالتزوير. وقد يبلغ هذا التزوير حدا من الاتقان يصبح معه ممكنا ان تنضم الايقونات المزورة الى المجموعات الخاصة.

متر في جوار بلدة كوسبا (الكورة، لبنان الشمالي). في هذا المناخ ألّفت ايقونة سيدة كفتون (الكورة، لبنان) في القرن الثاني عشر. وهذه، في العالم العربي، أقدم ما نعرف بعد الانتاج السينائي الأول. وهي الآن مفقودة.

ثم يعبرنا فراغ شبه كامل على صعيد الانتاج الاقليمي في عصر المماليك.

وتخرج الايقونة الى النور في القرن السابع عشر مع الحلبيين. كبيرهم نعمةاللهيوسف المصور، تنتشر آثاره في سورية، ومنها "الدينونة" في دير البلمند (الكورة، لبنان).

وهناك ايقونات اخرى مهمة في أديرة وكنائس ارثوذكسية في معلولا وصيدنايا (سورية) وبيروت والبترون وأنفه وطرابلس (لبنان).

الى جانب الاماكن التي ذكرنا والمجموعات الخاصة (السادة هنري فرعون، جورج ابو عضل، روبير عرقتنجي، المطران ايليا كرم)، تحوي كاتدرائية حماه السابقة وكنيسة القديس نيقولاوس في اللاذقية أيقونات من الطراز الأول.

واليوم يعود فن الايقونة الى اصالته من حيث التقنية والتأليف مع نقولا مجدلاني، بيروت. واضافة الى محترفه، هناك محترفان آخران: دير مار يعقوب في بلدة دده (الكورة، لبنان) حيث يسود النمط اليوناني ودير كرمل الوحدة في حريصا (لبنان) حيث يسود النمط الروسي. غير ان الرسام الأكثر ابداعا وحرية والآتي من مشرقية مسيحية اصيلة ومن مناخ دمشق هو الياس زيات الذي اخذت اعماله تنتشر في الشام.

على الصعيد الشعبي برزت ظاهرتان جديدتان. اولاهما ان الايقونة التي كانت رمزا وتعبيرا عن الملكوت تصبح تحفة صالونات. وثانيهما ان التي لا يُنظر اليها الا في بهائها الالهي وسط العبادة ينقلونها الى المتاحف متعة للعين وحديثا جماليا.

اما في عمقها فللخاشعين. وهم، عبرها، الى الله على النهج الذي يعرفه التراث في الدنيا الارثوذكسية، قائمة على جدران البيعة.

المتروبوليت جورج خضر
مطران جبل لبنان للروم الارثوذكس

ويلجأ المزورون البارعون الى "تعتيق" اللوحات اصطناعيا، محدثين فيها شقوقا دقيقة لكي تشبه دهانا جف عبر القرون، ثم يلطخون الدهون لتبدو وكأنها اتسخت على مر الزمن او امحت بفعل تقبيل الوف المتبركين لها. وفي روسيا اخذ ولع جديد للايقونات كرموز ثمينة للتراث القومي، يعمل على تعزيز الشعور الديني. وفي الخامس من يوليو (تموز) من كل سنة، توضع صورة القديس سرجيوس في باحة الدير المسمى على اسمه في زاغورسك. وقد وقفت في تلك الباحة منذ زمن غير بعيد، حيث بدت الايقونة الضخمة المزينة بالشرائط والازهار البرية كأنها تجذب اليها اشعة الشمس من وراء الغيوم. والى جانب الجدات الروسيات اللواتي وقفن في مناديلهن التقليدية، اندفع الشبان والشابات الى تقبيل الايقونة. كان ذلك مؤثراً ومهيباً في آن وبمراقبة هذا المشهد، عرفت لماذا يكون سحر الايقونات حيا الى هذا الحد النابض، ليس في قاعات البيع فحسب. ان كل شخص له عينان وقلب، يستطيع ان يشعر فعلا بارتباط الايقونات باعلى الملكات الروحية وابهجها لدى الانسان.

■ جورج فايفر

محرقة لوس الفاكيس

صهريج غاز ضخم انفجر على طريق عامة في اسبانيا قرب مخيم صيفي عام ١٩٧٨، وتسبب في اسوأ كارثة

الحادي عشر من يوليو (تموز) عام ١٩٧٨، والشمس تسطع على مخيم لوس الفاكيس السياحي في جوار مرفأ سان كارلوس دي لا رابيكا لصيد الاسماك، على كوستا دورادا او شاطىء اسبانيا الذهبي، حيث كان مئات السياح، ومعظمهم من هولندا وبلجيكا والمانيا الغربية وفرنسا، يتمتعون بشمس الشاطىء. وكان بعضهم متمددا على الرمال والبعض مندفعا نحو المياه الزرقاء في البحر المتوسط. وكان معظمهم قد أقام بيوتا من قاطرات او نصب خياما بين اشجار الصنوبر والنخيل في المخيم. اما نغمة النشاز الوحيدة في هذه الانشودة الدافئة للسياح - والكثيرون منهم كانوا يقصدون لوس الفاكيس (التلال الرملية) سنة بعد سنة - فهو هدير الشاحنات الثقيلة التي تمر على الطريق الواسعة ذات الرقم ٣٤٠، اذ لم يكن يفصل المخيم عن الطريق سوى جدار من طوب وصفين من الاشجار.

ولم تكن الشمس شيئا يرغبه الجميع. ففي مصفاة في تاراغونه على مسافة ٨٠ كيلومترا شمال سان كارلوس، كانت ناقلة بيضاء اللون، تابعة لشركة فرنسيسكو باكو امبرنون، تُعبأ بغاز بروبيلين السائل لنقله لحساب مؤسسة سيشرناس ريو نيداس الكبيرة للنقل. والبروبيلين مادة بتروكيميائية سريعة التبخر



وسريعة الالتهاب، وهي تستخدم في صناعة المطاط الاصطناعي والنايلون والفينيل واللدائن. وكان باكو، وهو رجل وسيم، مديد القامة، في بداية الخمسينات من عمره، قد راح يرمق الفضاء بطرف عينه، وهو يعلم ان عليه ان يقطع مسافة ٥٠٠ كيلومتر في الحر" قبل ان يصل الى برتولانو. وعند الساعة الثانية عشرة والنصف جلس وراء مقود سيارته، ثم انطلق بحمولته الضخمة في الطريق الواسعة ذات الرقم ٣٤٠.

وهذه الطريق هي احدى اكثر الطرق الاسبانية ازدحاما، وهي تربط بين برشلونه وتاراغونه وفالنسيا، المناطق الصناعية الكثيفة، كما انها ممر لقسم كبير من الحركة السياحية في اتجاه الجنوب. وكان السير بطيئا. وقد استطاع باكو ان يجتاز بحمله بضعة منعطفات جنوب سان كارلوس. ثم اصطدم بقطعة ارض كبيرة ممتدة على الشاطىء الى جانب المخيم.

بعد ذلك حلت الكارثة. فقد حدث انفجار ادى الى تناثر الناقلة، فيما اندلع غاز البروبيلين على هيئة كرة نارية بلغ ارتفاعها ٦٠ مترا ووصلت

حرارتها الى ١٥٠٠ درجة مئوية على الفور. وحطمت محلا للآلات الموسيقية والاسطوانات الى جانب الطريق، ثم اتجهت صوب الشاطىء. وأدت قوة الانفجار الى قذف نصف خزان الناقلة الفولاذي الثقيل، كعلبة صغيرة من تنك، مسافةتزيد على ٣٠٠ متر نحو الداخل، بينما تطايرت الاجزاء الاخرى في جميع الجهات. وكان باكو امبرنون قد سحق منذ البداية حين انقلبت قاطرته على ظهرها ثم احترق باللهيب الذي اعقب ذلك.

نار جهنم ـ الساعة الثانية والنصف بعد الظهر. كانت ليفين موريه،وهي مربية رياضية بلجيكية عمرها ٤٣ سنة وأم لستة اولاد، تتناول القهوة مع اصدقاء لها وراء مسكنها. ولما سمعت الضجة العالية على الطريق، نظرت الى اعلى ورأت كرة النار. وفي وقت لاحق قالت وكأنها تتذكر: "الشيء التالي الذي رأيته كان رجلا قادما نحوي وهو يصرخ. وكان الشعر قد سقط عن رأسه وحاجبيه. وكانت عيناه شديدتي الاحمرار وجلده يتساقط نتفا. وتوسل الي لكي انزع عنه لباس السباحة، وهو من النايلون، وكان يشتعل. وشددت به، لكنه كان ملتصقا بجلده".

وحين تطلعت ليفين حولها، رأت نار جهنم. انها لم تصب بأذى، ولكنها كانت تواجه احدى اسوأ الكوارث التي سببها الانسان في تاريخ اوروبا. وبدلا من ان يكون هناك نحو ٨٠٠ شخص يستمتعون بالعطلة، فيتناولون الطعام او يستلقون للاستراحة، كانت هناك مشاعل بشرية تركض هائجة وسط الدخان الكثيف، بحثا عن البحر لتطفىء اللهب الذي كان يغطي اجسامها. وكانت هناك جثث محترقة ممددة في كل مكان، والكثير منها مرتفع الاذرع الى الامام، كأنما هي تتوسل. ثم ان المعدن الخفيف الذي صنعت منه القطارات كان قد تأجج باللهيب واحرق الذين في الداخل محولا إيّاهم الى رماد. كذلك اشتعلت الخيام على الفور ولم يبق منها غير اطارات معدنية معوجة، وتحولت عشرات السيارات الى هياكل، ثم اخذ زجاج النوافذ الذائب يسيل على واجهاتها. وفي وسط هذا الركام برزت صفيحة فولاذ شبه اسطوانية، وقد ظهر على معدنها الممزق اسم "خزان" الذي احرقت بقيته.

واندفعت ليفين الى العمل على الفور. واول ما فعلته هو ان لفّت الرجل الذي يشتعل امامها بمنشفة بحر كبيرة، ثم اندفعت به الى الطريق. ولوحت بيدها لسيارة مارة ودفعت الرجل اليها، ثم صرخت بالسائق المذهول لكي يتوجه الى اقرب عيادة. وعادت مسرعة بعد ذلك يصحبها ابنها فرنسيس البالغ ١٨ سنة لحمل ضحايا اخرى. وكان الكثيرون من المصابين قد التصقت اجسامهم باللدائن الذائبة في كراسيهم. فنظّمت ليفين وابنها، بمعاونة الاخرين الذين لم يصابوا، فرقا من اربعة اشخاص لحمل الضحايا، بما في ذلك الكراسي،الى الطريق، ونقل المصابين في سيارات خاصة. وكان معظم الضحايا يجهل ما اصابه، والكثيرون تورمت عيونهم وباتت مغمضة. وكانت احدى النساء ممن حملتهن ليفين بمعاونة ابنها فرنسيس تشد رُبط لباسها السباحي الملتصقة بكتفها، وتردد بهدوء:

الكارثة التي حدثت في لوس الفاكيس تثير السؤال الآتي: هل التدابير المعمول بها في اوروبا، حول نقل نحو ٧٠٠ مادة خطرة، وافية بالحاجة؟ ان المسؤولين على المستويين القومي والدولي يجيبون بالنفي القاطع.

ان الدولة تضع حدودا للسرعة وتفرض كشفا على سلامة شاحنات النقل وتقر اصولا اخرى للسلامة لنقل المواد الخطرة. لكن هذه القوانين تختلف اختلافا محيّرا بين دولة واخرى، كما انها لا تطبّق في كثير من الاحيان. وفي معظم الدول لا يطلب اي تدريب خاص من السائقين الذين ينقلون احمالا قد تتسبب في خطر الموت.

ثم ان التنظيمات الدولية الوحيدة المقبولة عموما نجدها مجموعة في اتفاق الدول الاوروبية الاعضاء في هيئة الامم المتحدة في شأن النقل الدولي البري للمواد الخطرة، وهو معروف باسم "الاتفاق حول المواد الخطرة". وقد وضع هذا الاتفاق في المقام الاول لتسهيل النقل الدولي للمواد الخطرة. وهو عبارة عن حد ادنى مشترك من السلامة، ويمكن تنفيذه حتى من قبل اكثر الدول الاوروبية تخلفا في المجال التقني.

ان القسم الاكبر من النقل البري بالشاحنات يجري عبر حدود الدول التسع الاعضاء في الاسرة الاوروبية الاقتصادية. ومع ذلك، فان هذه الاسرة لا قوانين لديها البتة حول نقل المواد الخطرة.

ونظرا الى استمرار شحن هذه المواد وازدياده، فقد بات من الضروري ان يوضع تشريع اقوى وان ينفذ بدقة على الصعيدين القومي والدولي. ويوصي الخبراء باجراء كشف دقيق على جميع حوادث خزانات النقل، ومراقبة الطرقات على نحو ادق وأشمل، وانشاء تدريب موحد للسائقين، ووضع قوانين سوق موحدة. على ان الاهم من هذا كله ان الاحمال الخطرة يجب ان تنقل على طرقات بعيدة عن سكن الناس الى اقصى حد ممكن.

"الشمس شديدة الحرارة اليوم. انني ساخنة الى درجة لا تطاق".

وكان هورست هيمشتيت، وهو خياط في الرابعة والاربعين من العمر، من فوبرتال في المانيا الغربية، قد جلس منذ لحظات لتناول الغداء مع ابن شقيقه حين حدث الانفجار. وصاح هورست: "الارهابيون يحرقون المخيم"، ثم قفز الاثنان واتجها صوب البحر. وبعد لحظات ادرك هورست انه وابن اخيه لم يصابا باذى، لكن الآخرين في حاجة ماسة الى مساعدتهما. وقال متذكرا: "كمن في حلم، وجدت نفسي اجر خمسة اشخاص معا الى الطريق". وتوجه بعد ذلك الى غرف الحمامات حيث وجد الكثيرين من المصابين قد ذهبوا لاطفاء اللهب في اجسامهم. فقادهم الى الخارج وسط الدخان. ومر هورست بصديق فرنسي كان قد اخذ كلبه في نزهة قبل الانفجار بدقائق، ولكن حين رجع وجد انه فقد زوجته وابناءه الثلاثة جميعا، ولم يعثر لهم على اثر.

تماثيل من كلس – في هذا الوقت كانت حرارة الشمس قد انخفضت. وهنا اصيبت ليفين ميريه، وهي التي عملت وسط ركام المخيم، بالدهشة للطريقة الرهيبة، والساخرة احيانا، التي ميزت بها النار بين شيء وآخر. فالى جانب احدى الموائد ثلاثة اشخاص تحولوا الى كلس فيما كانوا يأكلون، بينما كانت مائدة اخرى مجاورة لا تزال مرتبة بما عليها من زهور وغطاء قماش نظيف. والى جانب قاطرة احترقت حتى اكرة

العجلة، كان قفص يضم كنارا اصفر ساطع اللون، على ساقه اليسرى حلقة زرقاء، وقد اصيب ريشه بحروق سطحية بسيطة.

وكان لوسيان توريغروزا، وهو فرنسي من ديجون في الرابعة والاربعين من عمره، على علم بأن ابنيه قصدا وسط المخيم قبيل حدوث الانفجار. وكان قلبه ينبض بقوة لفرط قلقه وتخوفه. وظل يتلمس طريقه بين الدخان بضع دقائق، ويناديهما باسميهما، الى ان لمح الصبيين يركضان نحوه وقد سلما باعجوبة من كل اذى.

واتجه الثلاثة نحو الشاطىء المغطى بالحصى. وهنا تراجع لوسيان مرعوبا لرؤية الآثار الدامية لاولئك الذين كانوا يستحمون بالشمس عندما دهمتهم النار. ثم تماسك بسرعة، واخذ يحمل المصابين الى مدخل المخيم، متوقفا قليلا بعد كل رحلة ليمسح نتف جلودهم عن يديه. وحين تم هذا العمل، لاحظ لوسيان ان سلسلة من الانفجارات اللاحقة من خزانات نفط السيارات ومن قوارير غاز الطباخات، راحت تتوالى امامه كأنها سلسلة من مفرقعات نارية رهيبة. وعند ذاك اخذ يرمي قوارير غاز البوتان الثقيلة الى البحر للحؤول دون انفجارها.

ولم يكن الناجون من سكان المخيم وحدهم في هذا الصراع للانقاذ، اذ ان جوزيه مانويل سيبيرا، وهو مهندس كيميائي في الواحدة والثلاثين من عمره يعمل في مكان مجاور، اندفع بسيارته الى لوس الفاكيس فور سماع الانفجار. وعند مدخل المخيم رأى رجلا تلتهمه النار وهو يركض نحوه، ثم يسقط ميتا على بعد متر منه.

ولاحظ سيبيرا ان الحاجة الاساسية هي الى أجهزة الاطفاء. فهرع الى المعمل بسرعة، واتى بستة عشر جهازا للاطفاء في شاحنة الشركة، واستنفر خمسة من زملائه لمساعدته.

وكان الواجب الاول هو التصدي للنار لحماية مكتب المخيم ووقاية الثلث الباقي الذي لم تكن النار قد أتت عليه بعد. وكان في امكان سيبيرا ان يتحسس حرارة الارض المحروقة على رغم نعل المطاط السميك في حذاء العمل. وأقام هو والمتطوعون الآخرون باكمام قمصانهم الطويلة حاجزا من اجهزة الاطفاء لصد اللهيب. وبينما كان يتنقل من مكان الى آخر قرب المكتب، وهو يتقيأ لرائحة اللدائن والمطاط واللحم عند الاحتراق، اصطدم بشيء صلب كان يبدو جسما شديد الاحمرار، كالنماذج التي توضع في المحلات لعرض الازياء عليها. ولاحظ رجل بجانبه تعجبه وحيرته، فقال له بعبوس: "اجل، هذا جسم بشري".

حجم الكارثة – حين وصلت سيارات الاسعاف والطوافات لنقل المصابين، كانت هذه المهمة قد تمت تقريبا بواسطة السيارات الخاصة. وعند منتصف الليل، كان معظم المصابين بحروق خطرة – وهم اكثر من ١٣٠ مصابا – قد نقلوا من العيادات المحلية الى مستشفيات المدينة حيث توجد وحدات حديثة لمعالجة الحروق. وكانت غالبية هذه الحالات حروقا من الدرجة الثالثة في اكثر من نصف مساحة الجسم. وبذلك كان الامل في الشفاء ضئيلا، وكان متوقعا ان يزيد عدد الموتى على المئتين ولا يزال بعض المصابين حتى اليوم غير متيقنين من الشفاء. وكان اصطدام طائرتي

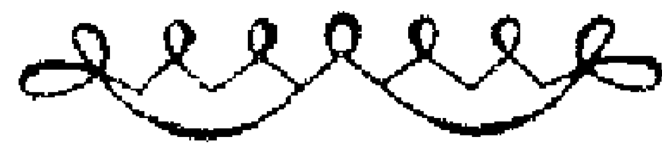
الجمبو في تينيريف في مارس (آذار) ١٩٧٧، حين قتل ٥٨٢ شخصا، هو الحادث الوحيد الذي تمكن مقارنته بمحرقة لوس الفاكيس.

وكان حادث لوس الفاكيس، كحادث تينيريف، كارثة ذات أهمية عالمية. فأكثر من ثمانين عائلة من ست دول قد اصيبت بها: ٣٦ عائلة فرنسية، ١٩ عائلةالمانية غربية، ١٣ عائلة بلجيكية، ٩ عائلات اسبانية، ٤ عائلات هولندية، ٣ عائلات سويسرية. وبعض هذه العائلات ابيد بكامله.

واقيمت للموتى جنازة جماعية أليمة عند مدفن تورتوزا القائم على قمة تلة مجاورة. وكان هناك صف طويل من النعوش القاتمة اللامعة بالمقارنة المحزنة مع النعوش البيضاء والصغيرة التي تضم بقايا الاطفال. اما النعوش التي تضم الجثث التي لا يزال امام الاطباء الشرعيين ان يحددوا هويات اصحابها، فقد وضعت في مدافن موقتة تحت نقش مشؤوم هو: "ضحايا كارثة لوس الفاكيس".

ان بعض الذين نجوا من الكارثة واجهوا مشكلة النوم طوال اسابيع لاحقة، وظلوا يرون مشاعل بشرية تركض في احلامهم. لكن الكثيرين، امثال ليفين ميريه وعائلتها، ينوون الرجوع الى لوس الفاكيس في الاجازة المقبلة. ولا تزال ليفين تحتفظ بتذكار فريد في غرفة نومها، وهو كنار اصفر بهي اللون، تطوّق ساقه اليسرى حلقة زرقاء. ان احدا لم يطالب بهذا الطائر حتى الان. وتدعوه ليفين "ال فويغو". وهي الكلمة المرادفة للنار باللغة الاسبانية.

■ **جوزيف هاريس**



اخبار سارة وسيئة

دار الحديث الآتي بين طبيب ومريضه. قال الطبيب:

- لدي اخبار سارة واخبار سيئة. اما الاخبار السيئة فهي ان وزنك اكثر مما يجب بخمسة كيلوغرامات، وضغط دمك مرتفع اكثر من اللازم، واستجاباتك بطيئة جدا، ولا بد من استئصال الزائدة الدودية.
- وما هي الاخبار السارة؟
- لقد تمكنت اخيرا من الحصول على اكثر من مئة نقطة في مباريات "الغولف".

ب.ب.

كبرياء فنان

يعد الفرنسي كابييلو واحدا من اشهر مصممي الملصق الاعلاني (البوستر). وقد تسلم ذات يوم الرسالة الآتية من أحد اشهر صانعي المشروبات الكحولية:

"اننا ننظم مباراة لاختيار أفضل ملصق للاعلان عن منتجاتنا. ويسعدنا أن نطلع على بعض تصاميمك الصالحة للاستخدام على لوحات الاعلان. وسيمنح الملصق الفائز جائزة مقدارها عشرون الف فرنك. ونعتذر عن عدم اعادة الملصقات الخاسرة الى اصحابها".

فاستشاط كابييلو غيظا، ورد برسالة نارية تقول:

"انظم مباراة لاختيار افضل مشروب كحولي في فرنسا، ويسعدني أن اجرب بعض منتجات شركتكم. واعتذر عن عدم اعادة النماذج الخاسرة الى اصحابها".

(مجلة "قراءات للجميع"، فرنسا)

ارتفاع ضغط الدم ضبطُهُ يَعني حَياة أطول وأسْلَم

ان ارتفاع ضغط الدم هو من الامراض الشائعة في انحاء العالم، وهناك احصاءات تشير الى ان في الولايات المتحدة وحدها خمسة عشر مليونا على الاقل اثبت التشخيص اصابتهم بارتفاع في ضغط الدم وان هؤلاء لا يحصلون على العلاج الكافي، على رغم ان عدد الامريكيين الذين ينتظمون على مراجعة الطبيب في شأن هذا الاعتلال قد تزايد الان اكثر منه في اي وقت مضى، ذلك ان الكثيرين يبدأون العلاج ثم يكفون عنه.

ومن شأن هذا الاهمال ان يتسبب في عواقب مأسوية يمكن الان تجنبها. فمنذ ما لا يزيد كثيرا على عشرين عاما قلما كان من السهل كبح ارتفاع ضغط الدم والافضاء بالمريض الى النهاية المحتومة. اما اليوم، فقد بات في وسع الطب الحديث السيطرة على اكثر من ٨٠٪ من حالات الضغط بفضل التقدم الذي تحقق في هذا المجال. ولا بد اذا من التساؤل: لماذا يختار الكثير من الناس اهمال العلاج ويؤثرون على ما يبدو التعرض للسكتة الدماغية او النوبة القلبية او امراض الكلى المستفحلة، والموت المبكر؟

ان الاجابة الوحيدة المهمة عن ذلك هي: الافتقار الى الاتصال المنتظم بين المريض والطبيب. وهذا النقص هو العقبة الرئيسية في سبيل معالجة ضغط الدم على نحو ملائم.

وقد اتضح من دراسة اجريت في الولايات المتحدة الامريكية، عن طريق الحديث مع المرضى بارتفاع ضغط الدم ممن توقفوا عن العلاج، ان ثلث هؤلاء قد استجابوا لاشارة الطبيب بالتوقف. ولكن الواقع هو ان ارتفاع ضغط الدم، باستثناء حالات قليلة، يتطلب الاستمرار في المداواة.

وكثيرا ما تقتصر هذه على قرص واحد يوميا ولكنها تستمر طوال الحياة، في غالب الاحيان، حرصا على كبح جماح المرض. وقلما ينصح الطبيب المريض بالتوقف عن تناول الدواء.

وثمة اطباء لا يخصصون الوقت الكافي لتثقيف مرضاهم في شأن خطورة ضغط الدم وضرورة استمرار معالجته على مدى الحياة.

واذا ما افادك طبيبك بأنك مصاب بارتفاع في ضغط الدم، فربما ساعدتك قراءة نبذة عن هذه الحال الخطرة على مراجعة طبيبك على نحو افضل. وهناك عدد كبير من المنظمات المهنية ومؤسسات المستحضرات الصيدلية تصدر نشرات بلغة مبسطة عن ارتفاع ضغط الدم.

ولا تتردد في توجيه الاسئلة الى طبيبك. سله عن الغرض من الدواء الذي يجب ان تتناوله. واذا لم تكن متأكدا من التعليمات الخاصة بتناوله فأطلب مزيدا من الايضاح. واسأل عما اذا كان عليك ان تكرر الدواء وعن السبب في ضرورة هذا الاستمرار. واسأل عما اذا كان ينبغي ان تعود الى الطبيب للمتابعة، (قد يكون شهريا في بادىء الامر، ثم في فترات اكثر تباعدا، ربما مرتين او ثلاث مرات سنويا). اتصل بطبيبك بين مواعيد الزيارة العادية اذا كانت لديك اسئلة تطرحها عليه. ولدى كل زيارة للطبيب سله عن معنى الارقام التي تظهر في الفحص الخاص بل واحتفظ بسجل لكل فحص.

ان معظم الاطباء يبدأون العلاج باعطاء مدد للبول، وهو عامل يساعد على افراز الاملاح والسوائل الزائدة في الجسم عن طريق البول. ويمكن السيطرة على نصف حالات ارتفاع ضغط الدم، تقريبا، بواسطة قرص او قرصين يوميا.

الا ان الاطباء يقولون ان ليس هناك حالان تتشابهان تماما. وقد يضيف طبيبك الى العلاج دواء آخر او يعدل مقدار الجرعة او يغير الدواء كلياً تأمينا لافضل النتائج لحالك الخاصة.

وابلغ الطبيب اذا كنت تشعر بآثار جانبية، مع العلم ان عددا كبيرا من المصابين بارتفاع ضغط الدم لا يشعرون بأي من تلك الآثار، وهي عادة آثار موقتة. والى جانب هذا، فان العقاقير الجديدة اخذت تتوافر باستمرار وتعدّل القديمة بحيث تحقق السيطرة الفعالة بمقادير اقل وبأقل مقدار من الآثار الجانبية.

راجع طبيبك حالما يساورك القلق من جراء ارتفاع ضغط الدم، ومدى اثره على حياتك وعملك، فالحقائق كفيلة بطمأنتك. وقد اقتصر عدد الامريكيين الذين اضطروا الى ترك عملهم ممن عرف انهم مصابون بارتفاع ضغط الدم، والذين اجري بينهم استقصاء في عام ١٩٧٣، على نسبة ٥٪ فقط (وحتى ربابنة الطائرات المصابون بارتفاع ضغط الدم، مما يمكن السيطرة عليه بمدر خفيف للبول، لا يفصلون عن عملهم). ونقيض ذلك، فان ضغط الدم الذي يمكن ضبطه، يعد واحدا من الاسباب الرئيسية للعجز في القوى العاملة الامريكية.

وهناك اربعة مفاهيم خاطئة واسعة الانتشار وقد تحمل الاشخاص

● **على من تتوجب المراقبة؟**

تبلغ نسبة المصابين بارتفاع ضغط الدم في الولايات المتحدة الامريكية ١٦٪ من البالغين البيض وقرابة ٢٥٪ من البالغين السود، وأكثر ما تظهر حالات ارتفاع ضغط الدم بين الاشخاص الذين تراوح اعمارهم بين ثلاثين وخمسة واربعين عاما. فاذا كنت قد تجاوزت الاربعين، يتوجب عليك ان تخضع للمراقبة مرة في السنة. الا ان الصغار في حداثتهم قد يصابون ايضا بارتفاع ضغط الدم وبالتالي ينبغي ان يخضع الجميع للمعاينة مرة على الاقل كل بضع سنوات منذ الطفولة الباكرة، خصوصا اذا كان ارتفاع ضغط الدم "وراثيا في العائلة" (اذا كان احد والديك او اخوتك مصابا به فاحتمال اصابتك به يتضاعف).

● **ما الذي يعتبر مرتفعا؟**

يرتفع الضغط عادة بسبب الاجهاد وينخفض عن طريق الراحة. وتراوح درجة الضغط العادي دون السن الثامنة عشرة بين ٩٠/ ٧٠ و١٢٠/ ٨٠ فاذا كنت قد تجاوزت الثامنة عشرة يصبح المستوى ١٤٠/ ٩٠ حدا اعلى اذا تجاوزته تعرضت لخطر المضاعفات التي تصيب القلب والاوعية الدموية واذا استمر الضغط فوق هذا الحد فيجب السيطرة عليه.

● **ماذا يسبب ارتفاع الضغط؟**

اكثر من ٩٠٪ من الاشخاص الذين يعانون ارتفاع ضغط الدم مصابون بما يسميه الاطباء ارتفاع ضغط الدم "الاساسي" او "البدائي" بمعنى ان السبب لا يزال مجهولا. وقد تلعب زيادة الملح في التغذية دورا في بعض الحالات. (يعتقد كثير من الباحثين ان الملح يزيد من ضغط الدم اذ ينفذ في جدران الاوعية الدموية فيزيدها سمكا وضيقا. كما ان الملح باحتفاظه بالماء في سوائل الجسم قد يزيد كمية الدم الجاري في الاوعية ويحدث ضغطا اضافيا عليها).

ومن المعروف ان هناك عددا من العوامل يتفاقم معها التعرض للمضاعفات الخطيرة بالنسبة الى المريض بارتفاع ضغط الدم. والبدانة هي احدى هذه العوامل، اذ ان الزيادة في الوزن تثقل العبء الذي يلقيه ارتفاع ضغط الدم على القلب والاوعية الدموية. والعامل الآخر هو التدخين، اذ يؤذي الاوعية الدموية ويستعجل تصلب الشرايين ويزيد عمل القلب.

● **ما هي فوائد المراقبة الطبية؟**

تعمل العقاقير المضادة لارتفاع ضغط الدم كمنظمات للضغط. فمدرات البول تغسل الاملاح والسوائل الزائدة. وموسعات الاوعية الدموية تساعد في استرخاء جدران الاوعية الدموية الصغيرة التي يتسبب ضيقها في ارتفاع ضغط الدم. ومخدرات الاعصاب تخفض عدد نبضات الاعصاب التي تسبب في انقباض الاوعية الدموية وتقلل آثار الادرينالين (وهو هرمون يرفع ضغط الدم) الجاري في الجسم. فاذا فكرت في العقاقير باعتبارها منظمات لمجرى الدم، سهل عليك ان تدرك لماذا يتعذر عليك ان تضبط ضغط دمك ما لم تتناولها يوميا وبانتظام.

المصابين بارتفاع ضغط الدم على اهمال العلاج، فتجنب الوقوع في شراك تلك المغالطات الخطيرة:

☐ **مغالطة "المزاج العصبي"**

ان ارتفاع ضغط الدم لا يعني ان الشخص المصاب شديد الحساسية وعصبي. وبسبب هذه الفكرة الخاطئة فان كثيرا من المصابين بارتفاع ضغط الدم لا يتناولون دواءهم الا عندما يشعرون بالتوتر والعصبية، فهم يتصرفون بدوائهم وكأنه قرص من الاسبيرين يؤخذ من أجل صداع.

والحقيقة هي ان ارتفاع ضغط الدم لا يرتبط عادة بالعصبية. فكثير من المصابين بارتفاع ضغط الدم يتسمون بالسكينة والهدوء. وتشير كلمة "ارتفاع" هنا الى "الشدة" و"الافراط"، كما تشير كلمة "ضغط" الى "وطأة" الدم على جدران الاوعية الدموية. واذا لم ينضبط الضغط المفرط فانه يؤدي الى قصر الحياة.

☐ **مغالطة الاعراض**

كثيرا ما يعتقد المرضى خطأ ان لارتفاع ضغط الدم اعراضا، فاذا هم لم يشعروا بأي اعراض امتنعوا عن تناول دوائهم. غير ان آثار الاهمال في ارتفاع ضغط الدم ليست لها اعراض ظاهرة الى ان يؤدي تراكمها الى تضخم القلب او غير ذلك من المضاعفات الخطيرة المميتة.

☐ **مغالطة "اختيار علاجك بنفسك"**

عندما ينصح الطبيب بانقاص الوزن او ممارسة المزيد من الحركة او عدم اضافة ملح الى الطعام على المائدة، بالاضافة الى الاقراص اليومية الخاصة بضغط الدم، يفترض الكثيرون خطأ ان في وسعهم تجاهل الدواء واختيار بديل من التدابير الاخرى. ولكن مثل تلك التدابير ليست، في معظم الحالات، الا مساعدة للعلاج الطبي وليست بديلا عنه.

☐ **مغالطة الشفاء**

كثيرا ما يتوقف المرضى عن تناول الاقراص اليومية عندما ينخفض ضغطهم الدموي المرتفع الى الحد "الطبيعي" الذي عينه لهم الطبيب، لانهم يفترضون انهم قد ابلوا من المرض مما يغنيهم عن الدواء. والواقع ان ارتفاع ضغط الدم غير قابل للشفاء باستثناء حالات قليلة. فهو حال فيزيولوجية تستوجب الرقابة المستديمة تفاديا للامراض التي تتسبب فيها.

وليس من الصعب اتباع الاجراءات الروتينية التي يضعها الطبيب للسيطرة على ارتفاع الضغط والتي لا تقدر فوائدها: حياة اطول واسلم. وربما اعتقدت ان الحياة مع الادوية اليومية قاسية شاقة، خصوصا عندما لا تشعر بأنك مريض. واذا كان الامر كذلك، فتذكر ان ١٥٪ من الاشخاص اضطروا الى استخدام اجهزة "الديلزة" قد بدأوا عادة بارتفاع متوسط في ضغط الدم لكنهم لم يسهروا على ضبطه، شأن معظم الذين يتحملون العواقب الناجمة عن السكتة الدماغية واكثرية الذين تنطفىء حياتهم مبكرا بسبب توقف القلب.

■ سوزان طومسون



حكمة الشيوخ

قدم اقتراح الى مجلس مدينة رامسغيت الانكليزية لابقاء مدينة الالعاب مفتوحة في المساء، فاعترض عضو كبير السن، قائلا ان ذلك يتطلب دفع اجور اضافية الى العاملين فيها، وأكمل دفاعه عن حجته بالآتي: "وعلى اي حال، فان ابقاءها مغلقة سيمثل اغراء اكبر للاطفال لدخولها، علما بأن الثقوب الموجودة حاليا في السور الخارجي تمكنهم من التسلل اليها".

وهكذا وافق المجلس على ابقائها مغلقة.

ا.ك.



اصداء من عالم الطب

حكم تاريخي لمصلحة الذين لم يولدوا بعد

اصدر القضاء الامريكي في ولاية انديانا حكما يعتبر حدثا خارقا في ابراز اهمية التغذية السليمة في اثناء الحمل، مما لم يسبق له مثيل في اجتهادات المحاكم.

القضية ان امرأة في الثالثة والعشرين من العمر تعاني تخلفاً عقلياً طفيفاً قد ادعت على طبيب الامراض النسائية في ولاية انديانا بانه ارتكب خطأ في تغذية والدتها الحامل مما تسبّب في تخلفها العقلي. وقد قضت المحكمة لهذه السيدة بتعويض مقداره ٥٠٠٠٠ دولار لان الطبيب حرمها من البروتيين الكافي خلال حياتها الجنينية.

واتهمت ام الشابة ايضا هذا الطبيب بانه، خلال الشهرين الاخيرين من حملها بابنتها، قرر لها نظاما غذائيا يتألف من كوب من الرز المجروش ونصفي اجاصة او فاكهة اخرى ثلاث مرات يوميا، ولا شيء غير ذلك سوى جرعات يومية من دواء مدر للبول وجرعة مسائية من املاح "ابسوم" الملينة، وحظر عليها الحليب والفيتامينات. وقال محاميها ان الطبيب استوحى ذلك النظام الغذائي من النظام التجريبي الذي كان يختبر آنئذ في احدى الجامعات الكبرى لمعالجة حالات الارتفاع الشديد في ضغط الدم. وصرحت السيدة ان ضغط دمها كان عاديا تماما قبل ان يقرر لها الطبيب ذلك النظام الغذائي الخالي من البروتيينات والفيتامينات.

وقد علق على هذه القضية الدكتور ميرون وينيك، من معهد التغذية البشرية في مركز كولومبيا - المشيخي الطبي في مدينة نيويورك، فقال: "ان الاطباء بدأوا حديثا ادراك الاهمية البالغة لتغذية الام في اثناء الحمل". وهو يعتقد ان المرأة العادية ينبغي ان يزيد وزنها بمقدار يراوح بين ١٠ كيلوغرامات و١٤ كيلوغراما في اثناء الحمل، على ان تتناول دائما غذاء متوازنا يزيد بمقدار ٣٠٠ سعرة حرارية يوميا على ما اعتادت ان تتناوله في غير اوقات الحمل. واضاف الدكتور وينيك ان نقص البروتيين والسعرات في غذاء الحامل امر يلحق الضرر الاكيد بالنمو الطبيعي للجنين.

اليوت ريتشمان ("ميديكال تريبيون")

جبر العظام المكسورة

درج جراحو التجبير في مستشفى جونز هوبكنز في بالتيمور على اتباع طريقة "الصمولة والمسمار" في حالات الكسر الخطيرة. فهم يلجأون في جبر العظام الى استعمال "مثبت خارجي" طوله خمسة عشر سنتيمترا بالاضافة الى مسامير تشبه الصمولات والى اطار فولاذي بدلا من الجبيرة الجصية التي يكسى بها العظم المكسور.

تدفع المسامير المتصلة بالاطار الفولاذي عبر الجلد نحو العظم بل وتخترقه في بعض الاحيان في المنطقة الواقعة فوق الكسر وتحته. ويعلق الدكتور اندرو ف. بروكر من مستشفى جونز هوبكنز على ذلك قائلا: "بهذه الطريقة لا يقتصر الامر على تثبيت العظام فحسب بل يمكن كذلك كبس الاجزاء بعضها على بعض بما يساعد على التئام الكسور".

ويرى الدكتور بروكر ان المثبت الجديد يمكن الاطباء من القيام بمهمات كثيرة لا يتسنى لهم القيام بها في حال الجبيرة الجصية "فاذا كان العظم المكسور اخترق الجلد الخارجي مثلا يمكن تنظيف الجرح المفتوح او تغيير الضمادات. واما في حال الجبيرة الجصية فيضطر الاطباء الى أحداث ثغرة واسعة في الغطاء الجصي مما يهدد ثبات الكسر". ويضيف "ان هذه الطريقة توافق خصوصا المرضى المصابين بحروق شديدة الى جانب الكسر، حيث يمكن زراعة جلد اصطناعي في اثناء وجود المثبت".

ا. ل.

أقراص السكر العلاجية ليست مجرد وهم

تؤدي بعض الاقراص الحلوة المذاق ذات المفعول العلاجي الى نتائج مذهلة في تخفيف الآلام بين ثلث المرضى الذين يستعملونها تقريبا. وكثيرا ما كانت هذه النتائج تعزى الى ردود الفعل النفسية في ذهن المريض، ولكن قد تبين خلاف هذا الامر من الدراسة التي قدمها اخيراً الدكتور جون ليفن من جامعة كاليفورنيا في سان فرنسيسكو الى مؤتمر مونريال الدولي الثاني حول الآلام.

فمن شأن هذه الاقراص حفز المخ، لدى كثير من المرضى، على اطلاق مواد كيميائية تكافح الآلام تسمى "الاندورفين"، وهذه اكتشفت حديثا وتبين انها تزيل الألم في شكل طبيعي على غرار "المورفين". ولا شك في ان الانفراج يتوقف كثيرا على أمل المريض وتوقعه الشفاء، وبهذا المعنى يمكن القول ان العلاج يتسم بمفعول نفسي الى حد ما، لكن ازالة الألم امر واقعي.

وقد اجريت هذه الدراسة على خمسين مريضا على اثر اقتلاع سن من اسنانهم، وقد خفت آلام ثلثهم تقريبا بعد ان حقنوا بـ"البلاسبو". لكن مزايا هذا العلاج اختفت كليا بعد حقنهم بمادة الـ"نالكوسون" (وهي مادة مضادة لتأثيرات المورفين والعقاقير المماثلة)، دلالة على أن البلاسبو قد حفز المخ على افراز الاندورفين. وأما الذين لم يحقنوا بالبلاسبو، فقد ظلوا من دون اي تأثير بعد حقنهم بالنالوكسون.

انقاذ الاطفال من الاختناق

ان "خطة هايملش" هي واحد من اساليب الاسعاف الاولي الفعالة المتبعة في انعاش الكبار من ضحايا الاختناق. ويمكن تكييف هذه الخطة واتباعها في انقاذ الاطفال ايضا على النحو الآتي:

ضع الطفل على حجرك ووجهه يواجه الارض واحطه بذراعيك بحيث تلصق السبابة والاصبع الوسطى من كلتا اليدين على بطنه تحت القفص الصدري مباشرة، واذ ذاك توجه الاصابع دفعة ضاغطة سريعة نحو الاعلى تؤدي الى تنظيف حنجرة الطفل.

س. ش.

ذوو المعاطف البيضاء

فرع جديد من الطب وعلم الجريمة، يروي فيه الاموات الحكايات، ولكن للذين يعرفون كيف يصغون

كان الجار اول من شاهد النار تنبعث من كوخ مرتا. ولما وصل رجال الاطفاء، كان انقاذ المرأة المتوسطة العمر القابعة على ارض غرفة الجلوس قد اصبح امرا مستحيلا.

وكانت هناك زجاجة شراب وبقايا علبة سجاير مفتوحة محترقة على الطاولة امام مقعد تتآكله النار، شاهدة على مأساة مألوفة:

لا بد من ان تكون مرتا استسلمت للنعاس واشتعلت النار في المقعد وهز رجال الشرطة اكتافهم، ثم اغلقوا المحاضر.

لكن جثة المرأة الممددة على مائدة معدنية في قاعدة خاصة بحفظ الجثث في منطقتها، كانت على وشك ان تقص رواية اخرى على شرطي من نوع اخر، هو الطبيب المحقق او الطبيب الشرعي.

وبعد فحص جثة مرتا فحصا دقيقا، تولى الطبيب تشريحها، وشقها من كتف الى كتف، هابطا في وسط الصدر حتى البطن، على شكل حرف Y. ثم ادخل ابرة في وريد مجاور لقلب مرتا، وسحب ٤٠ سنتيمترا مكعبا من الدم للتحليل. وتبين له بعد ذلك ان حلقوم مرتا واعضاء التنفس المكشوفة كليا لا تحمل اي تلوث بسواد الدخان.

هنا قطب الطبيب جبينه، اذ لا بد من ان يكون حلق الضحية قد طلى من جراء هذا الحريق برواسب الدخان الذي تنشقته قبل الموت. ثم قشر اللحم عن عنق مرتا ليتفحص العظم اللامي السهل الانكسار في اسفل لسانها، فوجد كسرا دقيقا جدا في حجم شعرة، محاطا بنزيف ضئيل. وفتح اجفانها فوقع على النزف الذي

كان يتوقعه. ان بقع الدم الدقيقة، اذا، تشهد على ان الوفاة حدثت خنقا.

وانتقل بعد ذلك الى فحص قلبها وامعائها وكبدها واعضائها الاخرى. وعمد مساعد له الى فتح جمجمة مرتا بمنشار كهربائي صغير. وفحص الطبيب الدماغ، باحثا عن نزيف او تورم او ظواهر اخرى غير عادية. ولما لم يجد اي دليل على مرض او اصابات اخرى، طلب من المساعد ان يعيد اعضاء الجثة الى مكانها ثم يخيط الجثة.

ودلت الفحوص المخبرية على ان نسبة الكحول في دم المرأة الميتة كانت ٠،٠٢ في المئة. ولعلها كانت قد تناولت شيئا من الشراب، ولكنها لم تكن سكرى ابدا. ووجد ان نسبة اوكسيد الكربون في دمها هي ٢ في المئة، وهذا مستوى قليل جدا، لا ينجم عنه الموت في حال تنشق الدخان. وكان تحت اظافرها شيء من جلد بشري - من انسان دمه من فئة "أ" بينما كان دمها هي من فئة "أو".

بعدئذ نظر الطبيب في تقرير المحقق الذي تبين له من عائلة مرتا واصدقائها انها كانت تعمل مراقبة في مستودع كبير، وانها كانت قبل ايام من وفاتها قد صرفت من العمل شابا معروفا بحدة طبعه، وهو يدخن نوع السجائر نفسه الذي وجد على طاولة مرتا. وصرح الاهل والاصدقاء بأن مرتا لم تكن تدخن على الاطلاق.

عند ذلك ملأ الطبيب البطاقة الخاصة بوفاة مرتا: "سبب الوفاة: خنق باليد. طريقة الوفاة: القتل".

واعتقل الموظف الشاب. ولما ووجه بافادة الطبيب، اعترف بأنه خنق مرتا ثم اشعل النار في مقعدها، آملا ان تخفى السنة النار الحقيقة الى الابد. ولم يكن اخفاء الحقيقة بالامر المستحيل. لكن الفضل في كشفها يعود الى الطبيب، وهو نوع فريد من الشرطة، يحل الالغاز بواسطة مبضع وانبوب، وبعين حادة ثاقبة وعقل محقق.

"ماذا"، ليس "مَن" - هذا الطبيب المدقق هو في الواقع طبيب مختص بعلم الامراض وتشخيص تطوراتها (اي الآثار الطبيعية التي تحدثها هذه الامراض في الجسم)، وبعلم الامراض الشرعي الذي يسمى احيانا بالطب القضائي، وهو ذو علاقة بالعنف والقتل والموت في احوال غير طبيعية.

وفي الولايات المتحدة في الوقت الحاضر ما يقرب من مئة طبيب قضائي يكرسون اوقاتهم لهذا العمل. ومعظمهم يعمل في المدن الكبيرة. اما في المناطق الريفية والمناطق المجاورة للمدن، فكثيرا ما يؤدي اطباء المستشفيات هذا العمل في قسم من اوقاتهم. اما الاطباء القضائيون فيدققون في كل وفاة عنيفة او مريبة او غير طبيعية. ويعمل الطبيب الشرعي او المحقق في الوفيات مع عدد كبير من العلماء القانونيين، من محققين وخبراء في السموم، وعلماء بيولوجيا وخبراء في السلاح والقذائف ومجهريين واطباء اسنان وعلماء آثار، وحتى علماء نفسيين، من اجل تحديد سبب الوفاة وطريقتها لاكثر من نصف مليون شخص في السنة. وهذا يشكل نسبة وفاة

واحدة بين كل اربع وفيات· وبناء على تحقيقاتهم، تتم الاعتقالات او تصدر الاحكام، ويطلق سراح المتهمين الابرياء، وتؤخذ الاجراءات الصارمة لدرء الاخطار، وتسن القوانين الجديدة للحؤول دون وفيات لا داعي لها·

"نحن لا يعنينا من ارتكب الجريمة"·

ويقول الدكتور مايكل بادين، رئيس الاطباء الشرعيين في مدينة نيويورك: "نحن لا يعنينا من ارتكب الجريمة· ان مهمتنا هي ان نكشف كيف جرت الجريمة وبأي وسيلة"·

هذه المهمة هي التي حملت الدكتور ليسلي موتو، كبير اطباء غويانا، على الذهاب الى مكان كارثة الموت الجماعي العنيفة في مستوطنة "هيكل الشعب" في جونستاون في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٨· وكان الدكتور موتو اول طبيب وصل الى مكان القتلى، حيث تولى تشريح سبعين جثة، كما فحص جثثا اخرى كثيرة· وكانت النتيجة المدهشة التي توصل اليها، كما جاء في مقابلة صحافية معه، ان بين موتى جونستاون الذين بلغ عددهم ٩١١ شخصا، الكثر من ٧٠٠ شخص لم ينتحروا بل قتلوا اغتيالا·

وكان السم الذي استعمل في تلك المقتلة هو السيانيد، وهو سم قد يؤدي الى تشنجات وموت اليم· ويشك الدكتور موتو في ان من يرى متجرعي السم الاولين يتلوون ويصرخون، يقدم بعد ذلك على تناول هذا السم طوعا· ثم انه وجد علامات ابر محقونة تحت الجلد في الاقسام العليا من اذرع كثيرين من الاطفال والكبار الذين فحص اجسامهم· وقال انه يستحيل فعلا على الشاب ان يحقن نفسه في ذلك الجزء من الذراع·

الصلة الحيوية ـ ولئن كانت الجرائم التي تؤدي الى الموت تشكل اقل من ١٠ في المئة من عمل الطبيب الشرعي في الولايات المتحدة، (اذ ان حوادث الانتحار والوفيات المفاجئة والوفيات الطبيعية التي لا يشهدها طبيب، تشكل القسم الباقي)، الا ان الطبيب الشرعي حلقة حيوية في سلسلة عمليات تطبيق القانون· وكثيرا ما تكون معارف الاطباء الشرعيين وحدها التي تكشف عن جريمة قتل·

لنأخذ قصة هوارد مثلا· ففي الوقت الذي رأى المهندس جثة هوارد على السكة الحديد، كان يستحيل عليه وقف القطار· وتناثرت اشلاء من جسم هوارد الى مسافات بعيدة· لكن الطبيب الشرعي كان معنيا بكدمة حول عين الضحية اليسرى وبكشط على الجهة اليسرى من الانف· وانطلاقا من التورم وتغير اللون، استطاع الطبيب الشرعي ان يعرف ان هاتين الاصابتين حدثتا للرجل قبل وفاته· وبعد مضي بضع ساعات من التدقيق المضني، ظهرت الطعنات التي قتلت الرجل قبل ان رمي على الخط الحديدي·

ومن ناحية اخرى، كثيرا ما يجد الاطباء الشرعيون ان ما قد يبدو جريمة هو في الواقع انتحار او حادث عارض او وفاة طبيعية· كانت ليندا، مثلا، تعبث مع رجل بعد اخر في حفلة، فتلاسنت مع صديقها بوب الذي صفعها، فترنحت ثم سقطت ارضا ولم تنهض· وفي غرفة الطوارىء في المستشفى، اعلن ان ليندا ميتة فور

ادخالها ولم يكن هناك مجال للشك.

واتهم بوب بالقتل. ولكن هل ينتهي الامر عند ذلك؟ كلا، ابدا. ففي عملية تشريح جثة ليندا، وجد الطبيب الشرعي في مؤخر دماغها انفجارا في وعاء دموي متمدد اشبه بالحبة، وهو خلل نادر ولا يعطي اي تحذير قبل انفجاره، مما يسبب الموت الفجائي احيانا كثيرة. ومن المرجح ان صفعة بوب لم تسبب الانفجار، والاكثر احتمالا هو ان ما حدث كان مصادفة طبيعية وقعت تلك اللحظة. وعند ذاك اسقطت التهمة عن بوب.

وكثيرا ما تكون المسألة القانونية التي يطلب من الطبيب الشرعي حلها تتناول التعويض. فالتأمينات والضمانات الاجتماعية وعائدات العمال يتوقف دفعها او حجبها احيانا على سبب الوفاة وطريقتها.

توفي ادوارد اثر سقوطه وارتطام رأسه بحوض الحمام. لكن شركة التأمين ترددت في الدفع. فقد كانت بوليصة التأمين كبيرة المبلغ، لكنها، بسبب ضعف قلب ادوارد، كانت تنص على عدم الدفع في حال الوفاة بالسكتة القلبية، بينما تدفع البوليصة مضاعفة في حال الوفاة بحادث. فكانت المسألة التي واجهت شركة التأمين تقرير سبب الوفاة.

وجاء الجواب ان ادوارد توفي بسبب نزيف دماغي اصابه عندما ارتطم رأسه بالحوض. والنزيف لا يحدث لو ان الرجل كان قد مات، او كان في طور النزاع، قبل السقوط. النزيف يصيب الاحياء فقط.

مكافآت كبيرة ـ هناك ناحية اخرى لعمل الطبيب الشرعي، وهي تحديد هويات اصحاب الجثث، خصوصا بعد الاهتراء، او بعد تحولها الى هيكل عظمي. وهنا قد تكون سجلات الاسنان والصور بالاشعة، وحتى حجم العظام وشكلها، ذات فائدة في هذه العملية الشاقة.

ويستطيع الخبير في بقايا الهيكل العظمي ان يحدد الجنس والسن وطول القامة والوزن، وان كان كل ما لديه من الضحية عظمة واحدة صغيرة. وان اضلاع الصدر والجيوب الانفية، وحتى محاجر الاعين، قد تكون -كبصمات الاصابع - خاصة بأصحابها.

لكن مسؤوليات الاطباء الشرعيين تتجاوز تحديد هويات اصحاب الجثث والكشف عن اسرار الجرائم. انهم يقومون ايضا بدور المراقب لطبيعة العنايةالصحيةفي مجتمعاتهم. وفي بعض الاحيان تكون افادة الطبيب الشرعي سببا في اقامة دعوى قضائية على الطبيب. والاهم من ذلك ان الطبيب الشرعي يلاحق بعض الممارسات السيئة في المجتمع التي قد تؤدي الى وفيات كان يمكن الا تقع.

ويقول الدكتور توماس نوغوشي، كبير الاطباء الشرعيين في لوس انجيليس (ولاية كاليفورنيا): "اننا مراقبون لنوعية الحياة في هذا المجتمع". وان الكثير من مسائل البيئة والصحة والسلامة الذي يهدد سكان لوس انجيليس، يتم عرضه للمرة الاولى في مكتب الدكتور نوغوشي.

فمثلا، في عام ١٩٧٢ بدأ المحققون التابعون لمكتب نوغوشي يرتابون في طرق وفاة المسنين في بيوت خاصة محلية للعناية الطبية. فقدكان هؤلاء

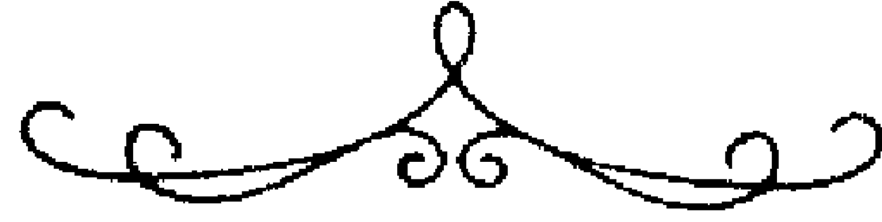
يموتون اختناقا في احواض الحمامات او خلال الاكل، او يموتون احتراقا بالماء الساخن الى حد الغليان. وكان يقع كل اسبوع حادثا وفاة او ثلاث حوادث من هذا القبيل.

وبدأ الطبيب الشرعي تحقيقاته. وكان على العاملين في هذه البيوت ان يعلنوا عن ممارساتهم. وسرعان ما كشفت حقائق رهيبة: ممرضة حشت بالطعام حلقوم امرأة مريضة كان يجب اطعامها بواسطة انبوب ممتد الى المعدة، فماتت المرأة اختناقا... مساعدة اعطت طعاما جافا صلبا لمريضة كان يفترض ان تغذى بالاطعمة السائلة فقط، فعجزت عن انقاذها من الاختناق.

ونتيجة لذلك، جردت بيوت كثيرة للعناية الطبية من اجازات العمل، ولوحق عدد من القيمين عليها امام القضاء بدعاوى جنائية، بينما اخذت دور اخرى تهتم بتأمين شرطة حماية. وقد تدنى حاليا عدد الوفيات التي تدعو الى الريبة وترفع الى الطبيب الشرعي الى وفاتين او ثلاث وفيات فقط في الشهر.

وهكذا، فان مكافآت جهود الطبيب الشرعي كبيرة، حتى ولو كانت هذه الجهود قاسية. ويقول الدكتور تشارلز بيتي، كبير الاطباء الشرعيين في دالاس (ولاية تكساس): "لا شيء يعادل الشعور بالرضا الذي تفضي اليه المساهمة في اسعاد المجتمع. ان عملنا هو للاحياء، لا للاموات".

■ جينيفر بولتش



الذكاء الخام

نفع الذكاء غير المصقول لا يزيد عن نفع قنينة من دون مفتاح.

دوق أدنبره (صحيفة "صنداي تايمس"، لندن)

جواب فطن

حصل شاب هولندي على جائزة من برنامج اختبار للسلوك لاجابته عن السؤال الآتي: "اين يمكن المرأة ان تذهب من غير رجل؟" وكانت اجابته الفطنة: "حيثما شاءت، ما عدا قاضي الزواج".

ر.ب.

الموسيقى والرسام

بعد انتهاء قطعة الافتتاح في حفلة لاحدى الفرق السيمفونية الامريكية، وقف قائد الفرقة ليوبولد ستوكوفسكي وقد هيأ عصاه ليعلن بدء عزف القطعة التالية من البرنامج. لكن كثيرا من الحاضرين لم يكونوا قد اهتدوا الى مقاعدهم بعد، وظلوا يتنقلون بين صفوف الكراسي وهم يلقون اللوم على حجّاب القاعة ويدمدمون.

وانتظر ستوكوفسكي من دون جدوى. وبعد ما يقارب الخمس دقائق، وجه كلامه الى الجمهور: "يعتمد الرسام في رسم لوحاته على القماش. اما الموسيقيون فيعتمدون على الصمت في رسم لوحاتهم. ونحن سنعطيكم الموسيقى، فنرجو ان تعطونا الصمت".

(صحيفة "النيويورك تايمس")

أدبُ الأهانات!

منذ غابر الازمنة شغف الناس بالحروب الكلامية· ومن مفارقات عصرنا الذي يتميز بالعجز عن الافصاح أنه يقدّر الاهانة البارعة أكثر من أي عصر سابق· فبعدما فقدنا الاهتمام بتطعيم اللغة بعناصر من الدقّة والخيال، بتنا نخبىء أفكارنا الحقيقية وراء قناع من الألفاظ الغامضة· لكننا في السريرة نعشق اولئك الذين لديهم الشجاعة لينطقوا علانية بما لا نجرؤ نحن حتّى على التفكير فيه·

في كل عصر من العصور كان هناك العديد من الاشخاص الذين سموا الاشياء بأسمائها واستعملوا اللغة بخيال وبراعة واسلوب مسبوك·

فالرومان القدماء لم يخشوا التهكم اطلاقا· وشاعرهم مارشال اتخذ من التهكم مهنة· وخاطب امرأة اسمها كلووي بالآتي: "يمكنني الاستغناء عن وجهك وعنقك ويديك واطرافك وصدرك، وعن مفاتن اخرى مما لك· وحتى لا ارهق نفسي في تعدادها جميعا، اكتفي بالقول انه يمكنني الاستغناء عنك كلك"·

***

وفي ميدان الفنون، غالبا ما اصاب التهكم والذم الرسامين والكتاب والشعراء والموسيقيين· وللكاتب الساخر جيواكينو روسيني القول الآتي: "ان دقائق الموسيقي فاغنر ساحرة، لكن ارباع ساعاته رهيبة"·

وكتب المعلق الكاريكاتوري آل كاب عن الفن التجريدي انه "فن ينتجه غير الموهوبين ويبيعه اناس بلا مبادىء لجمهور ملك الذهول عليه عقله"·

واذا انتقلنا الى عالم الادب، وقعنا على تعابير تحمل مقدارا اكبر من التهكم· ومن هذا القبيل ما كتبه ماكولي عن سقراط: "كلما كثرت قراءتي له، قلت دهشتي لقتله"·

وقد كان توماس ماكولي نفسه - وهو كاتب ومؤرخ وسياسي انكليزي (١٨٠٠ - ١٨٥٩) - يتكلم دونما انقطاع حتى غدا هدفا لنقد انصاره وخصومه معا. وقالت عنه معاصرته فلورنس نايتنغيل (مصلحة اجتماعية): "كان كلامه بمثابة مسيرة يمشي فيها وحده".

ويؤثر عن رجل الدين الانكليزي سيدني سميث (١٧٧١ - ١٨٤٥) قوله: "عندما اكون على منصة الوعظ، يسعدني ان ارى الحاضرين يهزون رؤوسهم بالموافقة وهم نائمون".

وكان الكاتب والمؤرخ الاسكوتلندي توماس كارلايل (١٧٩٥ - ١٨٨١) لاذعا في نقده. ومن الطبيعي ان يناله قسط من نقد الآخرين، كما في قول معاصره ساموبل بطلر: "لقد كان امرا عظيما ان يجمع الله كارلايل وزوجته فيجلب الشقاء على شخصين عوضا عن اربعة".

ومن الثنائي الامريكي الساخر مارك توين هاتان الجملتان: "يمكن تعليم البراغيث معظم الامور التي يتعلمها رجال الكونغرس".

"لماذا انت جالس هناك كغلاف رسالة بلا عنوان؟"

وفي ما يأتي نموذجان من الاجوبة المفحمة:

"مخطوطتك مليئة بالجيد والجديد. لكن جيدها ليس جديدا وجديدها ليس جيدا" (ساموبل جونسون).

"منذ ما حملت كتابك رحت اهتز ضحكا الى ان تركته. اني مزمع على قراءته يوما" (غروشو ماركس).

***

اما النساء فقد كن، من ناحيتي الجقوق والزواج وسواهما، موضوعا لتعليقات معادية على مر القرون. ومما قيل فيهن:

"لقد ابدع الله آدم سيدا على مخلوقاته جميعا. اما حواء فأفسدت كل شيء" (مارتن لوثر).

"لم اتخل يوما عن قناعتي بانه على جميع النساء ان يتزوجن وعلى جميع الرجال الا يتزوجوا" (بنجامين دزرايبلي).

"لقد وقفت ٢٠ مليون امرأة وصرخن بصوت واحد: لن نسمح لاحد بان يملي علينا امرا... وما لبثن ان اصبحن سكرتيرات" (ج. ك. تشيسترتون).

وربما كانت المواجهة المباشرة بين الناس تفسح مجالا للاقوال اللاذعة لا يقل عما تنطوي عليه المواقف الاخرى. ومن هذه الامثلة ما يأتي:

الليدي آستور: "لو كنت زوجي يا ونستون لوضعت لك السم مع القهوة".

ونستون تشرشل: "لو كنت زوجك يا سيدتي لشربتها".

النائبة بيسي برادوك: "انت سكران يا ونستون".

ونستون تشرشل: "انت قبيحة يا بيسي. وانا سأصحو من سكري صباح غد".

***

ان التهكم لم يقتصر على الافراد، بل شمل البلدان والدول ايضا. ومن هذا القبيل ما يأتي:

"اني اعرفلماذا لا تغيب الشمس عن الامبراطورية البريطانية: ان الله لا يثق بالانكليز في الظلام" (دنكان سبات).

أتحف مائدتك بأواني نوريتكه

هذه الأواني الأنيقة من الخزف الصيني الأصيل هي الأكثر مبيعا في العالم • وهي تتيح لك مجالا كبيرا للاختيار من مجموعتها الرائعة •



Noritake

NORITAKE CO., LIMITED

1-1, Noritake-shinmachi, Nishiku, Nagoya451, Japan

للمزيد من المعلومات عن نوريتاكه، يرجى الاتصال بـ :

دبي : اشرف واخوانه هاتف ٢١٩٧٥
دبي : شركة المشاريع التضامنية الدولية 〃 ٢٣٢٦٥
الدوحة : ستوديو ومحلات السلام 〃 ٢٢٥٤٠
جدة : عبد الباسط باجنيد واولاده 〃 ٣١٨١٤
الرياض : محلات المطرف للتجارة 〃 ٢٨٠٤٤
الخبر : شمس الدين اشرف ٤١١٠٤

الكويت : اشرف وشركاه هاتف ٤١٢٦٨٠
الكويت : محلات معتاصس 〃 ٦١٠١٣٢
البحرين : اشرف واخوانه 〃 ٥٣٤٥٧
البحرين : متجر المحمود 〃 ٥٤٧٥٤

مسقط : كيمجي رامداس هاتف ٧٢٢٢٢٥
مسقط : شاه تاجارداس مكنجي 〃 ٧٢٢٣٠١
بيروت : فونتانا 〃 ٣٤١٧٥٨
عمان : حنا زنانيري واولاده 〃 ٢٣٢٢٢
طرابلس : محلات لبنة 〃 ٤١٧٢٥
بنغازي : محمد محمد الكوافي واخوته 〃 ٩٢٢٠٤

ابوظبي : ستوديو ومحلات السلام 〃 ٤٤٦٤٣
ابوظبي : جنرال انتربرايزس كومباني 〃 ٤٢٥٤٦

صنعاء باليمن [illegible] : ٥١٥٨

"يحرق الانكليزي فراشه ليقتل برغوثا" (مثل تركي).

* * *

وعلى رغم ان امريكا - كونها امة حديثة العهد نسبيا - لم تكن عرضة للتهكم على نطاق واسع، الا انها لم تنج من بعضه. فقد قال الكاتب الانكليزي اوسكار وايلد: "ان امريكا اكتشفت اكثر من مرة قبل كولمبوس. لكنها كانت تطمس كل مرة".

وقال الكاتب الساخر برنارد شو: "ان الامريكي مئة في المئة هو ابله بمقدار ٩٩ في المئة".

وكتب توماس ريد، رئيس مجلس النواب الامريكي، عن زميلين له في مجلس النواب: "لا يمكن ان يفتح احدهما فاه من دون ان يغلق بابا من ابواب المعرفة".

وربما كانت سيدة واشنطن الشهيرة اليس روزفلت لونغوورث، ابنة الرئيس الامريكي السابق تيودور روزفلت، اضافت الى هذه الطرائف عندما غلفت مسندا في غرفة الجلوس في منزلها يحمل الجملة المطرزة الآتية: "اذا كنت عاجزا عن قول اي شيء حسن في احد من الناس، فاجلس هنا واتكيء علي".

■ نانسي ماكفي
كاتبة وباحثة واذاعية كندية



تقليد أصلي

في كراس اعلاني لمعرض لبيع اللوحات الفنية، صمم الكاتب على أن يبرهن لزبائنه أن الرسوم المقلدة التي يبيعها لا تقل جودة عن التحف الفنية الاصلية، فكتب يصفها: "انها غير قابلة للتمييز عن اللوحات الاصلية، شرط ان تقف على بعد ثلاثة امتار منها".

(صحيفة "دايلي تلغراف"، لندن)

غفوة سياسية

اضطرت الكاتبة البريطانية ريبيكا ويست الى سماع خطاب سياسي ممل للغاية. وحين طلب اليها صديق قديم كان مكلفا بتغطية الحدث من قبل الصحيفة التي يعمل فيها ان تعلق عليه، اجابت: "اشعر بأن في امكاني القول من دون ان أجانب الصواب اطلاقا اننا نمنا معا".

(مجلة "الشمس"، لندن)

القبعة لا تصنع ملكا

حين قدم وليم بين، أحد المؤمنين الراسخين بحركة "الكويكرز" الدينية، الى الملك تشارلز الثاني ومثل أمامه، لم يرفع القبعة عن رأسه. فقال له الملك: "ايها الصديق بين، من تقاليد هذا البلاط الا يعتمر اكثر من شخص قبعته في آن واحد". ثم خلع الملك قبعته.

(كتاب "حكايات بيرسي")

مأساة واقعية

أنقذها الأمل

كان الامل ضئيلا في صحوة الشابة من الغيبوبة، ولم يبق لها معين سوى ايمان أحبائها الذي فجر المعجزة

كان ذلك اليوم عيد الميلاد عام ١٩٧٥، وكانت جودي ستوك في الثانية والعشرين من العمر غارقة في غيبوبتها على السرير المخصص لها في وحدة "العناية الفائقة" في مستشفى بلوات التذكاري، في ولاية ويسكونسين. وكان السرير الدولابي الشكل يتيح للممرضات ان يغيرن وضع المريضة من آن الى آخر تفاديا لاصابتها بقروح تنشأ عن ملازمتها الفراش.

وقال صديقها جيم وهو ينحني قليلا نحوها: "نهارك سعيد يا حبيبتي. كيف حالك"؟ وقد تذكرت جودي في ما بعد، انها اجابت آنذاك في قرارة نفسها ما لم تنبس به شفتاها: "أوه! يا له من سؤال سخيف، يا جيم. الا ترى بنفسك كيف انا!"

بالطبع، لم يلحظ جيم، ولا جانين والدة جودي التي كانت فيجواره، اي استجابة صادرة عن المريضة السابحة في الغيبوبة. وكانت هالتان سوداوان تحيطان بعينيها الغائرتين اللتين لا تبصران شيئا، كما كان فمها مفتوحا، وذراعاها ويداها متقلصة وقد ضمت بشدة الى صدرها.

كذلك كانت هناك انابيب تخترق

اذا تزايدت شهيّة سيارتك فجرب مجموعة جديدة من شمعات الاشعال "شامبيون"

هل يتسنى لشمعات الاشعال (البوجيات) وحدها ان تحسّن فعال استهلاك الوقود؟

بكل تأكيد. فقد اثبتت التجارب على مئات السيارات ذات المحركات ان ابدال الشمعات المرهقة بشمعات "شامبيون" الجديدة يفضي الى تحسين استهلاك الوقود وفعالية المحرك.
فيجب تغيير الشمعات المرهقة مرة على الاقل كلما قطعت السيارة مسافة تراوح بين ١٢،٠٠٠ و ١٦،٠٠٠ كيلومتر.

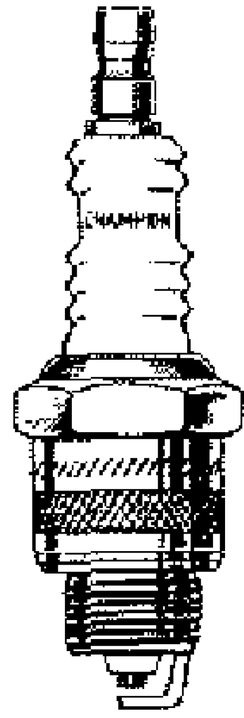
ما هو الدافع الى تغيير الشمعات المرهقة والاستعاضة عنها بشمعات "شامبيون"؟

هناك أكثر من دافع واحد:
- ان "شامبيون" هو الاختصاصي في صنع شمعات الاشعال.
- انه يصنع شمعات ملائمة تماماً لسيارتك.
- ان شمعات "شامبيون" يستخدمها معظم ابطال سباق السيارات في العالم.

وبناء على ذلك، فاذا بدا لك ان سيارتك تسرف في استهلاك الوقود، وانها اصبحت تتباطأ،

فجرب مجموعة "شامبيون" الجديدة، لان من شأنها ان تكبح شهية سيارتك، وان تنشط محركها، وان تقوّي سرعتها.





البائع العالمي رقم ١

انفها واحدى ذراعيها وجهازها البولى، كما ثقبت قصبتها الهوائية كيما يتاح لها التنفس. وقد اشارت مرسمة (الكترو سيفالوغراف) موجات الدماغ الى ان مخها مصاب بتلف بالغ.

وقد تملك جودي احساس بالانزلاق من الحياة والطفو المتنائي عن الاحباء والاعزاء.

وحملقت جانين في ابنتها المسجاة، وقالت بلهجة الوعد القاطع: "انك لن تموتي وستعودين الفتاة التى يعرفها الجميع كسابق عهدك".

الحادث المفجع ـ بعد ان تخرجت جودى فى جامعة ويسكونسين بدرجة تخصص فى علاج عيوب النطق التحقت بالدراسة العليا نصف السنوية فى اوروبا. ومساء يوم ١٦ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٥، ذهبت الى دار الاوبرا فى مدريد ثم عادت الى غرفتها في نزل للشباب. وكان الجو باردا، فطلبت مدفأة من ربة الدار. وكان فى الجهاز خلل فأخذت تنبعث منه ابخرة اول أوكسيد الكربون السامة اثناء نوم جودي . وفي ساعة متقدمة من صباح اليوم التالي عثرت ربة البيت على جودي غائبة عن الوعى. وكان نبضها بالغ الضعف وجسدها شديد البرودة. وجاء الطبيب فحقنها بدواء منشط للقلب، ثم بادر الى رفع حرارة جسمها فوضع عليه قارورة من الماء الساخن تقرب من الغليان، فاذا بجلدها يستجيب لذلك كما تستجيب شريحة اللحم المتجمدة اذا ما وضعت فجأة في المقلاة وقد احدثت القارورة الساخنة على الفور حروقا عميقة على بطنها وذراعيها.

وفى المستشفى حقنها الاطباء بجرعة كبيرة من الكورتيزون لخفض ورم المخ (بسبب استنشاق أول اوكسيد الكربون لمدة طويلة) مع العلم، ان هذا الورم لا يلبث ان يفضى الى وفاة المصاب. وقال في ما بعد احد الاطباء الذين اشتركوا في اسعافها: "لقد اشارت مرسمة موجات الدماغ الى حدوث تلف بالغ في مخها. وكانت الدلالة الوحيدة على بقائها حية هى التنفس".

وما ان علمت امها جانين ستوك وخالها هارولد كول بالحادث عن طريق التلفون، حتى انتقلا بالطائرة الى مدريد واتخذا الترتيبات اللازمة لاعادة جودي الى ويسكونسين من اجل معالجتها هناك. وبعد اربعة ايام اشرف الدكتور روبرت شفايغلر وفريق من المساعدين الطبيين في مدينة بلوات على نقل جودي من مطار "اوهير" فى شيكاغو الى سيارة اسعاف مزودة بتجهيزات خاصة. ويقول الدكتور شفايغلر متذكرا: "كانت جودى في غيبوبة تامة لا تبدى اى استجابة وكل علامات الحياة لديها بالغة الضعف، وكانت مصابة بحمى شديدة لعلها نتيجة التهاب رئوى، واثناء نقلها في سيارة الاسعاف الى المستشفى كنت اعجز احيانا عن قياس ضغط دمها، وكان المخاط المتجمع في حلقها يجعل تنفسها بالغ الصعوبة. وكانت حروق الدرجة الثالثة التي اصابت جسدها قد التهبت وبدأت تفوح منها تلك الرائحة الفريدة التي تشي بالمرض وكثيرا ما تقترن باقتراب الوفاة".

والحق ان الوقت كان يتقلص

واوشك ان ينفد. وقد اثبت الفحص بالاشعة اصابة جودي بالتهاب رئوي، كما ان التهاب جروحها قد بلغ درجة الخطورة. واعطاها الاطباء مضادا حيويا من نوع جديد قوي الفعالية ضد الالتهاب. وفي اليوم التالي، اجرى الدكتور الن تويمان وهو والد احدى صديقات جودي، جراحة للفتاة محدثا فتحة في قصبتها الهوائية تيسيرا للتنفس.

وطاف في ذهن جودي: "انني موجودة في المستشفى! لا بد ان شيئا بالغ السوء قد حدث لي، ولكن ماذا؟ واين؟ ربما في اسوج...".

وثبتت فائدة المضاد الحيوي لكن الطب ظل عاجزا عن الاتيان بأي شيء لاخراج جودي من غيبوبتها. وكان الامل يزداد تضاؤلا كل يوم في نفوس افراد الفريق الطبي الذي يتولى علاجها، طالما ان الغيبوبة مستمرة وان في ذلك ما يدل على فداحة التلف في مخها اشد مما ظنوا في البداية. واصبح بقاء جودي على قيد الحياة مرهونا بالعناية التامة الدقيقة للحؤول دون تكرار الالتهاب وتجنب القروح الناتجة من التزام الفتاة الفراش، وبالتحريك والتدليك على يد اختصاصي في العلاج الطبيعي لاتقاء تصلب المفاصل وضمور العضلات.

وتتذكر الممرضة بربارا هاف تلك الفترة: "لقد اسعدنا ان نعتني بجودي ولو ان الامر كان شديد الصعوبة من الناحية العاطفية، فكنا نتمنى لها الشفاء ونعمل من اجله، ولكننا كنا نعرف ايضا ان ذلك امر بعيد الاحتمال".

غير ان والدة جودي لم تشاطر احدا وجهة النظر تلك، فكانت مقتنعة بان الصلاة والمحبة والايمان ستوصل ابنتها الى شاطىء الامان والسلامة.

وثابرت الام مرتين كل يوم على زيارة جودي والتحدث اليها كما لو كانت في وعيها الكامل. وكانت تنبئها بان اناسا كثيرين يصلون من اجل شفائها، وتقرأ لها بطاقات التمنيات الطيبة الصادرة عن الاقارب والاصدقاء والغرباء، وظلت تطمئنها بقولها: "انك تتحسنين يا جودي، وحالك تتقدم كل يوم".

وكانت جودي ترد في اعماقها: "نعم يا اماه، اني اصدقك".

وحذا كل من جيم، صديق جودي، ووالدها جين وشقيقها البكر جيري وشقيقتها المراهقة جانيت، حذو الوالدة وراحوا جميعا يحاولون مخاطبة جودي بواسطة الكلمات ومظاهر الحنان. وعندما كانت جودي تشعر، احيانا، بوجود جيم وجانين الى جوارها يسري في جسدها تيار يوحي بقوة تنساب منهما اليها.

انحسار الغيبوبة - وفي اليوم السابع عشر من غيبوبتها، حدثها جيم بكلام يتدفق منه الحب، فلمحت جانين دمعة تنحدر على خد جودي فايقنت بان ابنتها تدرك الكلمات الموجهة اليها.

وكانت جودي تفكر في طوية نفسها: "لقد غبت عن جيم فترة طويلة جدا، وانا الان معه مرة اخرى يا الله! لماذا لا استطيع ان ألمسه؟"

وكانت جودي تحس بالارتباك واختلال الامور. وكانت تظن احيانا انها تتحدث مع زائريها، ولا تستطيع احيانا اخرى ان تفهم سبب عجزها

عن الاتصال بهم٠
غير ان افراد الاسرة الآخرين لم يلحظوا على جودي اي تغيير٠ وكان ابوها جين، وهو رئيس مكتب بريد فى بلدة صغيرة قريبة، يحرص في زيارتيه اليوميتين لابنته على ان يقرصها فى ساقها ويحدثها ويمر بيده على جبهتها٠ وكان انعدام رد الفعل من جانبها يثبط عزمه ويحدث له بعض الانقباض٠ وهبطت عزيمة اخيها جيرى كذلك وبدأ يتساءل عما اذا كان لتلك الزيارات اي جدوى٠

ولكن جانين كانت واثقة من حدوث تغير فى حال ابنتها ومتأكدة من ان عينى جودى تتركزان عليها في بعض الاحيان، بل انهما قد تابعتا حركتها بالفعل ذات مرة٠ وكانت فتحة القصبة الهوائية تمنع جودي من اصدار اي اصوات، الا ان جانين كانت مقتنعة بان الفتاة تعبر عن مشاعرها ببريق عينيها٠

وذات مساء عرض الوالدان على جودى صورة فوتوغرافية للاسرة التقطت فى الكنيسة قبل سفر جودي الى اوروبا٠ وكان المصور استخدم خلفية بلونين، ازرق وابيض باهت، تشبه السحب٠ ورأى جين عيني ابنته تتركزان ويشع فيهما الضياء٠

كانت جودي تفكر: "هذا امر غريب٠ لقد تجمعت كل تلك السحب خلف اعضاء الاسرة! لا بد انهم جميعا فى السماء، ولا بد انني في السماء انا ايضا٠ كلا، هذا غير ممكن٠ انني اتذكر الان: لقد التقطت تلك الصورة فى الكنيسة"٠

وبعد ذلك بقليل كان الدكتور تويمان ينظف الفتحة في قصبة جودي الهوائية عندما رأى الدموع تتجمع فى عينيها، فافترض ان الامر ليس سوى عرض شديد من اعراض الغيبوبة٠

كانت جودي تفكر: "اننا نعرف بعضنا البعض يا دكتور تويمان، ولكنك لا تحييني ابدا٠ لماذا تتصرف وكأنني غير موجودة؟"

كان تويمان يظن ان حال جودي "ميئوس منها"، خصوصا ان سجلها الطبى خال من اي مبرر للامل٠

وفى اليوم التاسع عشر، انبأت جانين الدكتور شفايغلر بما يبدو على جودى من دلائل الوعي، وسألته عن توقعاته٠ ولم يشأ الطبيب القضاء على كل أمل للام، وانما منعته الامانة من الافراط في تشجيعها على الذهاب بعيدا فقال لجانين: "انني آسف، ولكن لم يحدث ان رأى اي شخص ممن يعتنون بجودي اي تحسن في حالها"٠

واوشك الشك ان يتملك جانين للمرة الاولى، ولم تستطع ان تبقى مع ابنتها اكثر من بضع دقائق في عصر ذلك اليوم٠ ولكن ايمانها عاودها بعد ضعف ذلك اليوم، وايقنت ان جودي تعلم ان الاشخاص الذين يحبونها يحاولون ان يتحدثوا اليها٠

وقرابة اليوم الخامس والثلاثين، قالت جانين للممرضة ان عيني جودي قد اصبحتا اكثر تعبيرا وانها ترد على الضغطات على يدها بضغطات مماثلة، ولكن الممرضات جميعهن ظللن يجدن ان جودي لا تبدي أي رد فعل، وان كنّ قد لاحظن ظهور دموع فى عينيها ولكنهن لم يجدن في ذلك اى مغزى يُعتدّ به٠

وكانت جودي تفكر: "لا تفعل ذلك، انه شيء مؤلم".

وبعد عشرة ايام، تقرر اغلاق الفتحة فى قصبة جودي الهوائية، فجاءت جانين وجاء جيري شقيق جودى الاكبر الذي كان انقطع عن زيارة شقيقته في المستشفى طوال اسابيع. وعندما نظر جيري الى جودى، احس بان شيئا ما يحدث في داخل نفسها، ولكنه لم يستطع تحديده.

وعاد لزيارتها في اليوم التالي، وضغط على يدها فأحس بما لا يدع مجالا للشك بانها ترد الضغطة. وأحس بانها تريد الكلام لكن فمها لا يطاوعها، فراح خلال الايام التالية يقرأ ما يجده فى مؤلفات المكتبة عن امراض النطق، محاولا ان يتعلم طريقة لمعاونة شخص مصاب بتلف فى الدماغ على استعادة القدرة على التكلم.

وفى اليوم السابع والاربعين اجري لجودى فحص جديد بمرسمة موجات الدماغ من دون ان تتكشف عنه اي نتيجة مشجعة لاختصاصي الاعصاب الذى اجرى الفحص. وقد نقلت السكرتيرة الطبية بعد ذلك الى جانين ما قاله لها الطبيب: "لم يبق هناك سوى شيء واحد يشفع بجودي، هو ايمان اسرتها".

وفى اليوم التالي جاء جيري واقترب من سرير جودي وفي يده كتاب عن علاج الصوت، وقال لها: "لقد درست ما في هذا الكتاب، فعليك ان تباشري تدريب اوتارك الصوتية. وسنتناول بعض حروف اللين، واولها "الواو". راقبي شفتي، ثم ازفري حرف "و".

وفكرت جودي، متوهمة انها تتكلم: "أوه يا جيري، انني استطيع نطق حروف لين، فلماذا تريدني ان الفظها، انني قادرة على الكلام".

ولكنها حينوجدت ان اخاها يكرر لفظ الحرف بدأت تتساءل عن سبب الحاحه، كما لو انها قد اعادت اللفظ بعده بالفعل.

وخلال الايام القليلة التالية، رأى جيرى فم جودي يتحرك بجهد يبدو متعمدا. وكان واثقا من انها تخرج من فمها اصوات لين لا تكاد تسمع.

واصبح كل من جانين وجيم مقتنعا كذلك بان الغيبوبة قد بدأت تنحسر.

وفى اليوم التاسع والاربعين، سأل جيم جودى: "هل تريدين قليلا من الماء؟" فلم يلق جوابا، وعاد يقول: "اغمضى عينيك مرة واحدة اذا كنت لا تريدين ماء، وارمشي بهما مرتين اذا كنت تريدين". فرمشت جودي بعينيها مرتين.

وفى اليوم الثاني والخمسين زار جيم ابنته اثناء وقت الغداء، وقرصها فى ساقها كالمعتاد.

وفكرت متوهمة انها تتكلم ايضا: "بالله يا ابى لا تفعل ذلك، فقد مللته".

وحياها جيم قائلا: "مرحبا يا جودى، كيف حالك؟"، فحاولت ان ترفع رأسها. فتغير شكل فمها، وسمع ابوها منها شيئا يشبه: "آي ها." واقتنع الرجل بانها تحاول ان تقول له: "مرحبا يا ابي"، فانتشى بالابتهاج.

وخفض جيم وجهه وقال: "جودي، المسى وجه ابيك"، فرأى يدها

ترتعش، وانها تريد تنفيذ رغبته.

انها تتكلم ــ وفي الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي، دخلت الممرضة بربارا هاف غرفة جودي، وقالت كعادتها: "صباح الخير يا جودي، لقد جئت لاقيس ضغطك".

وبينما كانت الممرضة تلف شريط جهاز قياس الضغط حول ذراع جودي، نظرت الفتاة في عينيها وقالت: "صباح الخير".

وفوجئت الممرضة هاف، فوقع الجهاز من يدها، وخرجت مسرعة الى الممر تعلن صائحة: "انها تتكلم! انها تتكلم"!

وتجمعت الممرضات حول جودي يقدمن اليها انفسهن وهن يتطلعن اليها فى رهبة. ورأينها للمرة الاولى تركز عينيها وتتحدث. كان صوتها ضعيفا وكلماتها غير واضحة متسمة بالرداغ (الادغام) ولكن ذلك لا يهم فقد افاقت جودي من غيبوبتها.

ولم تستعد جودي صحتها على نحو مباشر وتام، فكانت تتعب بسرعة وتغرق فى فترات من الصمت والحملقة فى الفراغ. وكانت ضعيفة، هزيلة، اذ انخفض وزنها الى ٣٦ كيلوغراما، كما كانت الامور تختلط عليها في كثير من الاحيان، وظل انسب الاوضاع لها واكثرها راحة هو الوضع الذى تكون فيه ذراعاها ويداها مضمومة الى صدرها.

وفى منتصف شهر فبراير (شباط) نقلت جودي الى مركز قريب لعلاج الاعصاب واعادة التأهيل حيث شخصت حالتها على انها "تعاني تقلصات وشللا رباعيا"، وان درجة

الذكاء لديها لا تزيد على ٨٥ وهو دون مستوى ذكائها الطبيعي بـ٣٥ درجة تقريبا٠

ثم بدأ الكفاح كي تستعيد جودي قدراتها السابقة٠ وابدت الفتاة طاقة مدهشة على التعافي٠ ففي زهاء شهرين خرجت من المركز سيرا على قدميها باعتبارها مريضة قد شفيت تماما٠ بيد انها كانت لا تزال تعاني مقدارا من عدم الاستقرار العاطفي وتنتابها احيانا نوبات لا تفسير لها يختلط فيها البكاء بالضحك، ولكن هذه الاعراض اختفت بمرور الوقت وزيادة ثقة جودي بنفسها وعودة قدراتها العقلية الى سابق عهدها٠

وفى نهاية العام، تبادل جودي وجيم المشاعر العاطفية وتناولا بالحديث مستقبل كل منهما، وقررا ان يذهب كل منهما في سبيله٠

وتعمل جودي الان اختصاصية في علاج عيوب الكلام في هيئة التعليم فى مدينة بلوات كما عملت ايضا مع مرضى الشلل فى احدى الدور المحلية للنقاهة٠

وكان شفاء جودي مصدر الهام وتشجيع للآخرين٠ وقال لها مريض مصاب بشلل جزئي: "اذا اصبحت كما انت الان بعد غيبوبة استمرت ٥٣ يوما، فانني اعتقد ان في استطاعتي انا ايضا ان اتغلب على مرضي"٠

■ جوزف ب٠ بلانك

ملاحظة من المحرر: ليس هناك تفسير لفترات الوعي التي كانت تحدث لجودي اثناء غيبوبتها العميقة والتي تكشف عن الاعراض التقليدية للتلف الشديد في الدماغ٠ اما ذكريات جودي عن الافكار التي راودتها خلال فترات الوعي هذه، فقد بدأت تتجلى لها بعد خمسة اشهر تقريبا من صحوتها٠



الهموم تفوق الوقت

اخصص عادة نصف ساعة يوميا لهمومي، وذلك خلال اغفاءة ما بعد الغداء٠

ك٠غ٠

من حسنات عدم المعرفة

اثناء سفرة بالطائرة الى مدينة فينكس الامريكية، صادف ان جلست الى جانب رجل فرنسي٠ وفيما تهيأنا للاقلاع، أخذت المضيفة توجه الاسئلة التقليدية: هل يرغب أحد في الحصول على مجلات؟ من يريد وسادة يتكىء عليها؟ هل يحب احد خلع معطفه لتعليقه؟ هل يود أحد حفظ حقيبته؟ وكان الفرنسي يجيب عن كل سؤال بايماءة من رأسه٠ لذا سرعان ما كان يتكىء على الوسادة وأمامه مجموعة المجلات، بينما تولت المضيفة تعليق معطفه وحفظ حقيبة يده٠

وبعد قليل مرت من أمامنا، وسمعت الرجل يتبادل الحديث بالفرنسية مع زملائه في الصف الخلفي٠ فدهشت وسألته: "الا تتكلم الانكليزية يا سيدي؟"

وهنا اخرج الفرنسي دليلا لغويا للسياح من جيبه، واخذ يقلب صفحاته حتى عثر على المطلوب، فأجاب المضيفة بثقة عجيبة بنفسه: "بلى، بالتأكيد"٠

و٠ب٠

إنتاج اكثر بجهد اقل

نقدم هنا الى القارىء العربي نصائح خبير اختصاصي في شؤون الادارة، لعله يكتشف عبرها ان لديه من الوقت والطاقة مالم يخطر له من قبل

اكثر الناس يعملون فوق طاقتهم للحصول على ما تتيح الحياة من منافع. وعندما خطرت لي هذه الفكرة سألت نفسي: "كيف يمكنني ان احقق اعظم عائد مما استثمر من وقت وطاقة؟" وقد اوتي بحثي ثماره، فرحت انظم، منذ سنوات، حلقات دراسية حول الافادة من الوقت على نحو أفضل.

يمكن القول بكل بساطة، ان تطويرك لفعاليتك يشبه لعب الغولف، ففي هذه اللعبة رقم قياسي نظري للاصابات، وهو نظري لان احدا لا يمكنه تحقيقه. لكن هذا لا يثني هواة الغولف عن محاولة تحسين ادائهم.

فاذا اردت ان تنجز الكثير من العمل بمقدار اقل من الجهد، فعليك ان تنظر الى المسألة نظرة لاعب الغولف.

☐ **حدد لنفسك اهدافا يومية**

ضع قائمة يومية بأعمالك ولتكن هذه عادة ثابتة كتنظيفك لاسنانك بالفرشاة. فمن المؤكد ان اقل جهد تبذله فى هذا المجال سيعود عليك بأضعاف مضاعفة من الفوائد. وتذكر فى هذا الصدد قول ثورو: "لا يكفي ان يكون المرء مشغولا بل ان السؤال المهم هنا هو: ما هي المهمات التي تشغلنا؟".

ومن النصائح التي قدمها خبير استشاري الى مدير تنفيذي كان يبحث عن الطرق التي تمكنه من تحسين استغلاله لوقته، ما يأتي: "حدد اهم ستة اعمال عليك ان تضطلع بها غدا وسجلها ورتبها عدديا بحسب اهميتها. وليكن اول ما تفعله صبيحة الغد ان تنظر في البند الاول وان تبادر الى العمل فيه حتى تنتهي

Omega. For those who value time.

أوميغا للذين يقدّرون الوقت

Ω
OMEGA



Omega Seamaster, ST 396.0835, quartz movement, stainless steel with bezel and «quartz» seal in 14 ct. gold, sapphire crystal

Omega Seamaster, ST [illegible], quartz movement, stainless steel, sapphire crystal

اشتر فقط من وكيل أوميغا الرسمي واطلب كتيب الكفالة الدولية.

منه. ثم انتقل الى البند الثاني، وهلم جرا حتى يحين موعد الانصراف من مكان العمل. ولا تبال اذا لم تتمكن من انهاء جميع البنود. واذا لم تستطع ان تحقق ذلك بهذه الطريقة فلن تجديك اي طريقة اخرى. حاول اذا ان تطبق هذا النظام كل يوم". ولقد وصف المدير التنفيذي هذه النصيحة بأنها انفع ما اسدي اليه على الاطلاق.

□ احسن استغلال افضل اوقاتك

فى امكانك زيادة انتاجك بجهد اقل اذا انت خصصت لاعمالك المهمة ذلك الجزء من اليوم الذي تزداد فيه فعاليتك. فبالنسبة الى معظم الناس، لعل انسب الاوقات لعمل يتطلب الصفاء الذهني والتركيز هو ما قبل التاسعة صباحا، في حين ان العمل الذى يتطلب الاختلاط بالناس فينبغي ان يرجأ الى وقت اخر من اليوم.

ولي صديق حميم يتعذر عليه القيام بأى نشاط قبل الثالثة عصرا. لكن عمله فى الاذاعة يمكنه، لحسن الحظ، من استغلال وقته ليلا ابتداء من العاشرة حتى الثانية صباحا.

وفى امكانك ان تكتشف افضل اوقاتك بالنسبة الى عمل معين عن طريق التجربة والخطأ. فانني عندما بدأت العمل ككاتب كان من عادتي ان التقط القلم واحاول الكتابة في اوقات مختلفة من اليوم. واكتشفت ان افكارى في الصباح كانت جيدة وان يكن من الصعب كتابتها، وان الساعات الاولى بعد الظهيرة هي افضل اوقاتي من حيث الانتاجية. وقد حملني ذلك الآن على ان احدد الموضوعات التي اريد ان اتناولها في الصباح مكتفيا بتسجيل افكاري كيفما اتفق، وارجىء الكتابة النهائية الى ما بعد الظهيرة.

□ حاول ان تستغل اوقاتك المشغولة

في امكانك احيانا ان تستغل اوقاتك المخصصة للاعمال اليومية الروتينية في اداء اعمال اضافية. والمثال على ذلك، ان لي صديقا يعد درجة جامعية في ادارة الاعمال، وهو يسجل المذكرات التي دونها اثناء المحاضرات على كاسيت ويستمع اليها لدى ارتدائه ثيابه او قيادته سيارته فى طريقه الى العمل. ولي صديق اخر يعمل بائعا، وهو يستغل الوقت الذي تستغرقه تنقلاته في حفظ اسماء عملائه واهم المعلومات التي تتعلق بكل منهم.

ومن الاوقات المشغولة والتي كثيرا ما نهمل استغلالها، اوقات الانتظار. ولكن من الممكن ببعض الجهد جمع كثير من الانشطة في حدود الدقائق التي تنتظر فيها الطبيب او الحلاق. فى امكانك عندئذ ان تخطط لعطلة نهاية الاسبوع او تكتب رسالة. بل وفى امكانك ان تفكر على سبيل المحاولة والاستكشاف، في مشروع مهم كأن تخطط مثلا للمسكن الذي تحلم به او تضع تصميما للرواية التي تتمنى كتابتها.

□ حاول ان تفرق بين ما هو عاجل وما هو مهم

قلما اجتمع هذان العنصران في حياتنا اليومية. فاصلاحك لاطار السيارة، مثلا، وانت على موعد لهو امر عاجل، الا انه في معظم الاحيان شأن ضئيل الاهمية. وكثير من الناس ينفقون اعمارهم، لسوء الحظ، في اداء اعمال عاجلة كاصلاح اطار السيارة في المثال السابق، ويهملون

الامور التي قد لا تكون عاجلة وان تكن عظيمة الاهمية·

فاذا كنت تواجه عددا من المشكلات، اسأل نفسك عن الاهم بينها، وخصص لها الاولوية من اهتمامك· اما اذا سمحت لما هو عاجل بالتحكم في وقتك وجهدك، فان حياتك تنتهي الى سلسلة من الازمات· عليك اذا ان تستخدم مقدارا من بعد النظر بحيث تتخذ من الخطوات ما يحول دون المشكلات المحتملة· فبهذا يمكنك ان تنفق وقتك في تحقيق اهدافك بدلا من مجرد الاستجابة للازمات·

□ عليك باتقان فن الاداء المكتبي على احسن وجه

كثيرون منا يؤدون بعض اعمالهم او جميعها وهم جلوس الى مكاتبهم· والواقع، ان المكتب اداة تساعد على تدقيق المعلومات وتصنيفها، وليس هو المكان المناسب للبحث عن الاوراق او اختزانها او لتكديس الموضوعات التي تريد ان تتذكرها· ولقد حدث ان راقب احد الخبراء في شؤون الادارة موظفا تراكمت على مكتبه الاوراق، واكتشف ان هذا الموظف ينفق في اليوم الواحد قرابة ساعتين وتسع عشرة دقيقة في البحث عن المعلومات على مكتبه!

وما معظم المكاتب في الحقيقة سوى مدافن للقرارات· حاول اذا ان تراعي تنظيم مكتبك لتحقيق المزيد من الفعالية، كأن تسأل نفسك: "ماذا عساه يحدث في اسوأ الحالات، اذا انا القيت بهذا في سلة المهملات"؟ فاذا لم تشر الاجابة الى اي عواقب ذات شأن، لا تتردد في القاء ذلك الشيء في سلة المهملات·

□ تعلم ان تقول "لا"

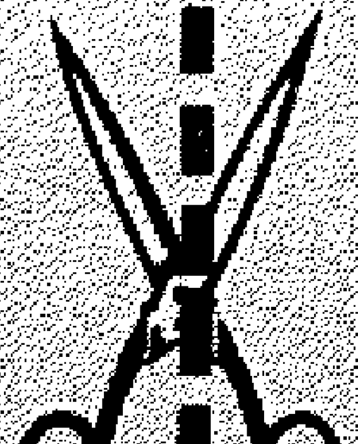
يتوقف النجاح في خفض وقت العمل وزيادة كمية الانتاج على معرفة ما لا ينبغي عمله· ان الالتزام بالمهمات التي تتجاوز الطاقة هو احد الطرق الشائعة للتقليل من الكفاية· ومن الاسف ان يكون كثيرون منا لا يعرفون كيف يرفضون ما قد يطلبه الآخرون من وقتهم وطاقتهم· ومن الاسباب التي تحملنا على الاستجابة لمطالب هؤلاء اثنان: الاول، اننا نخشى ان يسيء الاخرون تقديرنا· والثاني، ان في طلب المساعدة ما يتملقنا ويمنحنا شعورا بالقدرة، مع ان التلبية في اي من الحالين لا بد ان تضر بمصالحنا·

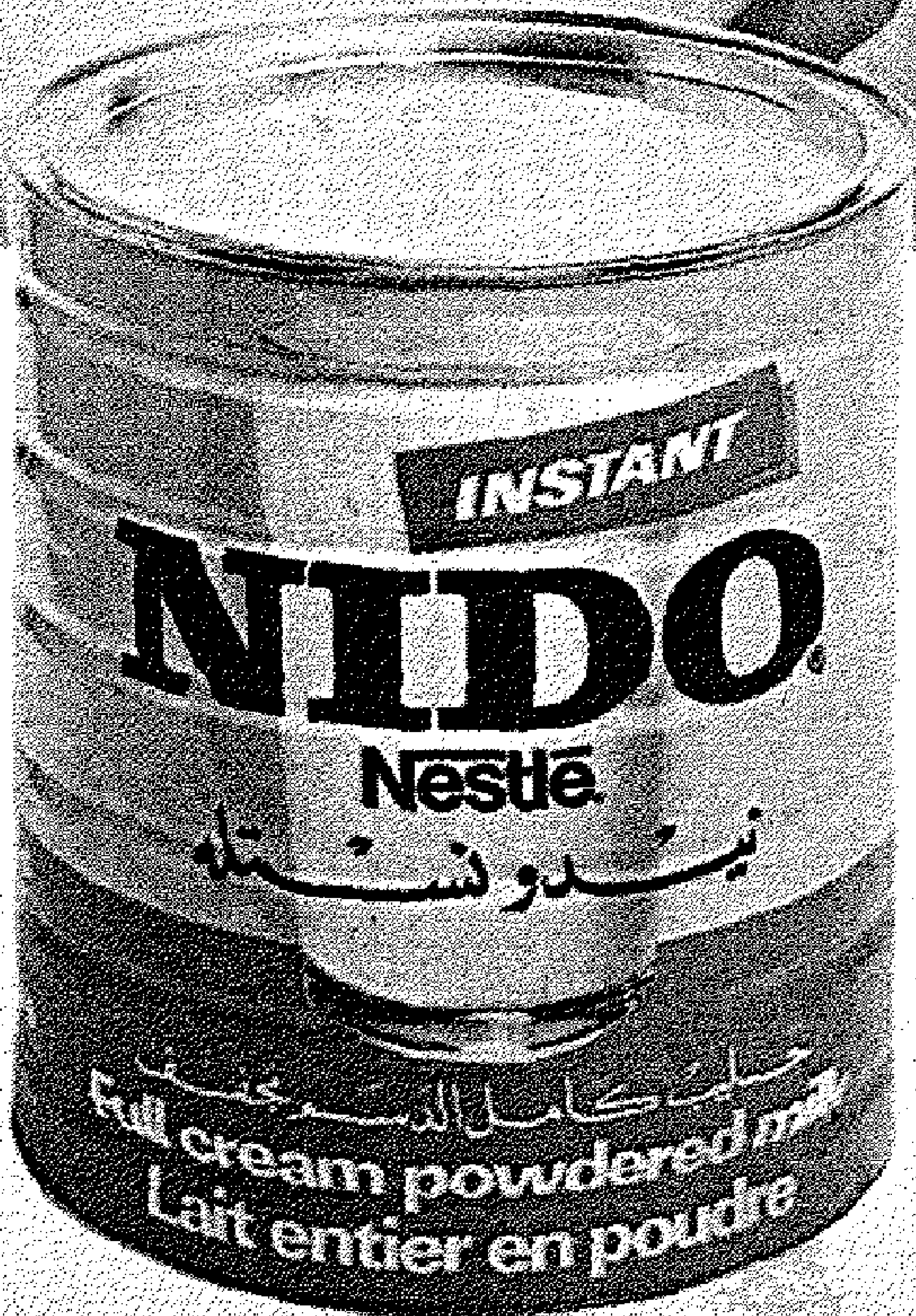
ولا ينبغي ان يساء فهمي هنا: فانا لا انادي بالامتناع عن مساعدة الآخرين ولكنني اعني تلك المناسبات التي نستجيب فيها لطلب المساعدة في حين ان في امكاننا ان نستغل وقتنا على نحو افضل·

فاذا شئت ان تقول "لا"، حاول ان تقولها بسرعة وعلى نحو مباشر· ذلك ان الاجابات مثل "لا ادري" او "دعني افكر في الامر"، من شأنها تشجيع الآمال الكاذبة· ولا تعتبنّ على نفسك اذا قلت "لا"، فهذا من حقك، ولست مطالبا بان تقدم مبررا لذلك كلما رفضت طلبا بأدب·

□ استخدم التلفون

في استطاعة التلفون ان يكون اداة ممتازة للاقتصاد في الجهد· فهو يمكنك من الحصول في بضع دقائق على معلومات تتطلب اسابيع او اشهرا عن طريق المراسلة· كما انه يتيح لك الاقتصاد في ما تنفقه من وقت ومال في التنقل والسفر· لكنه،





يدو السريع الذوبان
بنعم أولادكم بالعافية والصحة

ى تناولهم ، كل صباح ، كوبًا من حليب
يدو النقي والصافي يبدأ أولادكم نهارًا
ليئًا بالحيوية والنشاط .

يدو السريع الذوبان يؤمن لأولادكم خلال
راحل نموهم ، معظم العناصر الغذائية
ي تحتاج اليها اجسامهم .

يدو السريع الذوبان ... لذة طعم الحليب
طازج يشربه أولادكم بشهية ويتمتعون
افية .

بدو السريع الذوبان
بصحة كافة أفراد العائلة

NESTLÉ تضمنه نستله

مع ذلك، قد يتحول الى داء يؤدي الى تبديد مريع للوقت والطاقة والمال. فكثيرا ما يقطع علينا رنين التلفون ما نحن فيه من عمل، حتى انناااذا ما استقبلنا المكالمات التلفونية، كلما وردت، اضطررنا الى قطع اعمالنا وعدم اتمامها في اوانها. فلا بد اذا من تجنب هذا الوضع، بتحديد فترة من اليوم لاستخدام التلفون واستقبال المكالمات. وافضل الاوقات بالنسبة الى معظم الناس هي فترة الصباح حيث يرجح وجود الناس في مكاتبهم. ويمكنك ان تشتري ساعة رملية محددة بثلاث دقائق وتضعها الى جوار آلة التلفون فتساعدك في تخصيص ثلاث دقائق فقط لكل مكالمة. ولا تتعجل الامر اذا لم توفق، بل استمر فى التجربة وسجل الوقت الذى تصرفه في كل مكالمة، وحاول ان تخفض مدته كل اسبوع.

□ تخلص من المشاعر التي تقضي على الفعالية

تصوّر نفسك انك خزان للوقت والطاقة، وان هذين في حال من السيولة. عندئذ تكون المشاعر السلبية بمثابة الثقوب في قاع الخزان. فبمقدار ما تتمكن من سد الثقوب يتوافر لديك من الوقت والطاقة ما يكفي لانجاز مهماتك الاساسية.

ويعد الشعور بالذنب من اسوأ الاحاسيس السلبية ازاء العجز عن زيادة الانتاج. فليس من شأن الندم والاسف، وما الى ذلك من مشاعر، ان تغير الماضي بل انها قمينة بأن تزيد الامر صعوبة في الحاضر.

ويحضرني في هذا الصدد دعاء رأيته معلقا في احد المحلات التجارية. وهو حري بأن يعلمنا كيف ننظر الى هذه الامور نظرة سليمة. وقد جاء فيه: "الهي، ليس هناك متسع من الوقت لعمل كل شيء. فأعنّي على انقاص عملي قليلا وعلى تحسينه قليلا". وهناك شعور سلبي عقيم اخر، هو القلق في ما يتعلق بالمستقبل. وقد يجدر هنا ان نردد ما قاله مارك توين: "لقد عرفت كثيرا من المشكلات، لكن معظمها لم يحدث".

واليك بطريقتين للتخلص من القلق: عليك اولا ان تواجه المشكلات على نحو مباشر. واسأل نفسك دائما: "ما هى اسوأ النتائج المحتملة المترتبة على هذا؟" فاذا اجبت عن هذا السؤال، زال القلق. وحاول ثانيا ان تبدل القلق بالتخطيط للعمل. حدد لنفسك اهدافا ذات مغزى وامض في سبيلك اليها فسرعان ما تشغلك متابعة هذه الاهداف عن القلق الذي ينتابك.

ان التخلص من المشاعر السلبية جدير بأن يجعل منك انسانا جديدا. فلسوف تجد فجأة ان لديك من الوقت والطاقة والكفاية ما لم يخطر في بالك من قبل. وليس اصوب في هذا الصدد من حكمة موجزة لفيلسوف مجهول "اغلب الظلال في هذه الحياة ناتج من وقوف المرء في النور المتاح له".

■ **ميخائيل لوبوف**

أكبر جميل يمكننا ان نؤديه للآخرين ليس ان نعطيهم من خيراتنا، بل ان نبيّن لهم خيراتهم.

لويس لافيل

المفتاح المثالي لأعمالك في الكويت والخليج

بنك الكويت الوطني أول وأكبر بنك في الكويت منذ ٢٥ سنة.
بنك الكويت الوطني البنك الذي نما مع الكويت لتلبية التطور الاقتصادي والانمائي.
بنك الكويت الوطني يقوم بجميع الخدمات الاقتصادية والتجارية والاستشارات المصرفية.
بنك الكويت الوطني شبكة من المراسلين في جميع انحاء العالم. فبل ان تقدم على اي عمل في الكويت او في الخليج استعمل المفتاح الذهبي واستشر جهازنا المصرفي العالمي.
القسم المصرفي الاستثماري والتجاري
تلفون ٤٢٣٠١١، تلكس ٢٠٤٣/٢٤٥١/٢٧٠٤ كويت،
قسم السوق المالي، تلفون ٤٤١٠٠٨/٩،
تلكس ٣٣٢٧/٣٢٢٧ كويت.

بنك الكويت الوطني ش م ك

ص.ب ٩٥، تلكس ناشيونال ٢٠٤٣ كويت، تلفون ٤٢٣٠١١ (الفرع الرئيسي)
دينار كويتي = ٣٫٦٨ دولار في ٣١ ديسمبر ١٩٧٨
الموجودات تفوق ٣٫٨ بليون دولار

Graphics-McCann



حكايات صغيرة من العالم

اسنان وبنادق

نشرت صحيفة "سيلسكايا جيزن" (حياة الريف) السوفييتية تقريرا في شهر اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٨ يفيد بعدم توافر فراشي تنظيف الاسنان في بعض اجزاء سيبيريا. ونصحت بفراشي بنادق الصيد.

(وكالة الصحافة الفرنسية)

نيويورك عاصمة العالم

تكفي مراجعة قائمة الصحف الصادرة بلغات غير الانكليزية في مدينة نيويورك لاقناع من لم يقتنع بعد بأن هذه المدينة ملتقى جميع الاجناس. ففيها تصدر صحف ومجلات يومية واسبوعية خاصة بالالمان والطليان. والاسبان والاوكرانيين واللاتفيين واليونانيين واللتوانيين والنروجيين والعرب (اضافة الى صحف خاصة باللبنانيين) والفرنسيين والمجريين واليابانيين والصينيين والروس والسويديين.

وتعد صحيفة "فرانس - اميريك، بريد الولايات المتحدة" التي تصدر بالفرنسية اقدم هذه المطبوعات جميعا. فقد تأسست عام ١٨٢٧، اي قبل تأسيس صحيفة "النيويورك تايمس" بأربعة وعشرين عاما.

ت.ك.

كم يعيش الياباني؟

يستطيع الياباني التفاؤل بانه سيعيش اكثر من ابناء الشعوب الاخرى. فحسب تقرير صدر عن وزارة الصحة والرفاه اليابانية عام ١٩٧٧، كان متوسط عمر الرجل الياباني ٧٢،٦٩ سنة ومتوسط عمر اليابانية ٧٧،٩٥ سنة.

والمذهل في هذه الاحصاءات ان متوسط العمر لكل اليابانيين لم يتجاوز ٥٠ سنة قبل ثلاثين عاما فقط.

ل.س.

تطوّر

استمع مجلس اللوردات البريطاني الى شكوى تتعلق بخدمات البريد من لندن الى باريس. فقد ادعى اللورد بويد - كاربنتر

ان وصول الرسالة يستغرق ١٤ او ١٣ يوما. وأضاف: "وهذا يعادل ضعفي الوقت الذي كانت تصل فيه قبل الثورة الفرنسية".

(مجلة "اويك")

لعنة الرقم ١٥

يعد فندق "قصر قيصر" (سيزار بالاس) في لاس فيغاس واحدا من الفنادق القليلة التي تحتفظ بالرقم ١٣ لطابقها الثالث عشر، على رغم اثارته للشؤم. لكن هذا الفندق المبني على الطراز الروماني يخلو من غرف للزوار في الطابق الخامس عشر الذي لا يضم الا منتجعا. ويبدو ان الادارة تتطير من ١٥ مارس (آذار) لانه تاريخ اغتيال يوليوس قيصر.

(ا.ف.ب)

خدمات للعزّاب

شرع بعض المؤسسات في تقديم الخدمات الى العزاب المشغولين الذين لا يجدون الحافز او الشريك لاداء الاعمال المنزلية اليومية.

ففي مدينة اوستن في ولاية تكساس الامريكية، يدفع الاعزب ثمانية دولارات عن كل ساعة عمل لمالكة احدى مؤسسات الخدمة، شيرلي نيتل. ومقابل ذلك، تتولى المؤسسة شراء البضائع التي يحتاج اليها الزبون لمدة اسبوعين، واستلام بريده ووصفاته الطبية وشراء ملابسه وتذكيره بمناسبات الزواج واعياد الميلاد وغير ذلك مما يحتاج اليه الزبائن، ومعظمهم عزاب.

(مجلة "نيوزويك")

للصبر حدود

تستطيع الجمال، ان تكبت غيظها المتصاعد تجاه الانسان حتى تنفجر فجأة في موجة هياج مسعور. وحين يشعر الجمّال بدنو هياج بعيره، يلقي رداءه امام البعير الذي يفرغ سخطه فيه فيسحقه تحت اقدامه ويوسعه عضا ويمزقه اربا حتى يشعر بالارتياح. وعند ذاك يستأنف الحيوان ومالكه صحبتهما في انسجام.

(كتاب "طبيب الحيوان")

كيلومترات البيرة

يفيد تقرير وضعه احد ابرز الداعين الى تحريم المسكرات بان سكان جزيرة غرينلاند، وهم خمسون الفا يعيشون في ظروف مناخية سيئة جدا، استهلكوا ٣٠ مليون علبة بيرة خلال سنة واحدة. وبين توماس بيرتلز، وهو عضو في منظمة الصليب الازرق المعارضة للمسكرات، ان متوسط ما استهلكه كل من ابناء غرينلاند عام ١٩٧٦ بلغ نحو ٥٨ غالونا.

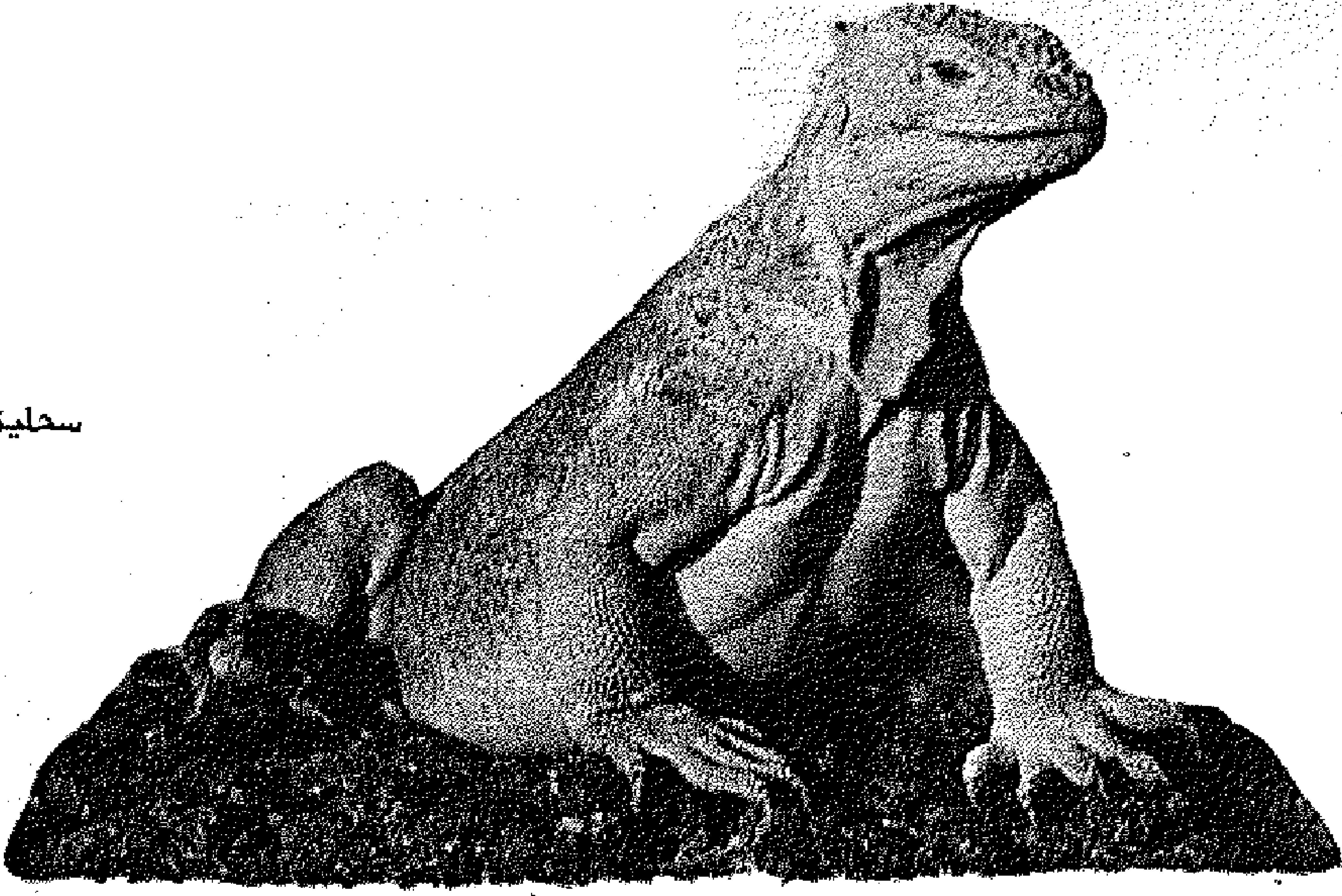
ولكي يظهر بيرتلز ضخامة الكمية المستهلكة، ختم تقريره بالعبارة الآتية: "لو صُفّت علب البيرة الفارغة، لشكلت خطا يمتد على طول الجزيرة البالغ ٢٥٠٠ كيلومتر".

(رويتر)

دراجة للرئيس

في منطقة نائية جنوب المحيط الهادىء تقع "توفالو"، وهي مجموعة جزر مرجانية كانت تسمى سابقا "جزر ايليس". وحين منحت بريطانيا الجزر استقلالها في سبتمبر (ايلول) ١٩٧٨، قدمت وزارة الخارجية البريطانية الى رئيس وزراء توفالو هدية تقليدية هي سيارة تقله عبر الامتار القليلة التي تفصل مسكنه عن البرلمان. ولما كانت الجزر تخلو من الطرق بالمعنى الدقيق، فقد ابلغ رئيس الوزراء وزارة الخارجية البريطانية، بأسلوب مهذب للغاية، ان السيارة لن تكون ذات نفع، طالبا ابدالها بدراجات هوائية، وقد حصل على ما اراد.

(صحيفة "الغارديان"، لندن)


سحلية استوائية٠

مجموعة جزر نائية في المحيط الهادىء انقذت من عبث الانسان، فاصبحت مكانا مدهشا للتطور الطبيعي

مختبر الطبيعة في جُزر الغلاباغوس

ظهرت جزيرة سان كريستوبال، وهي واحدة من جزر الغلاباغوس الاسطورية، وبدأت معالمها تتضح لاعيننا ونحن ننظر اليها من طائرة سلاح الجو الاكوادوري من طراز "دي سي - ٩"٠ لكن ما شاهدناه لم يكن قطعة من فردوس البحار الجنوبية، وانما كان قفرا يبابا من الصخور البركانية الوعرة الجرداء٠

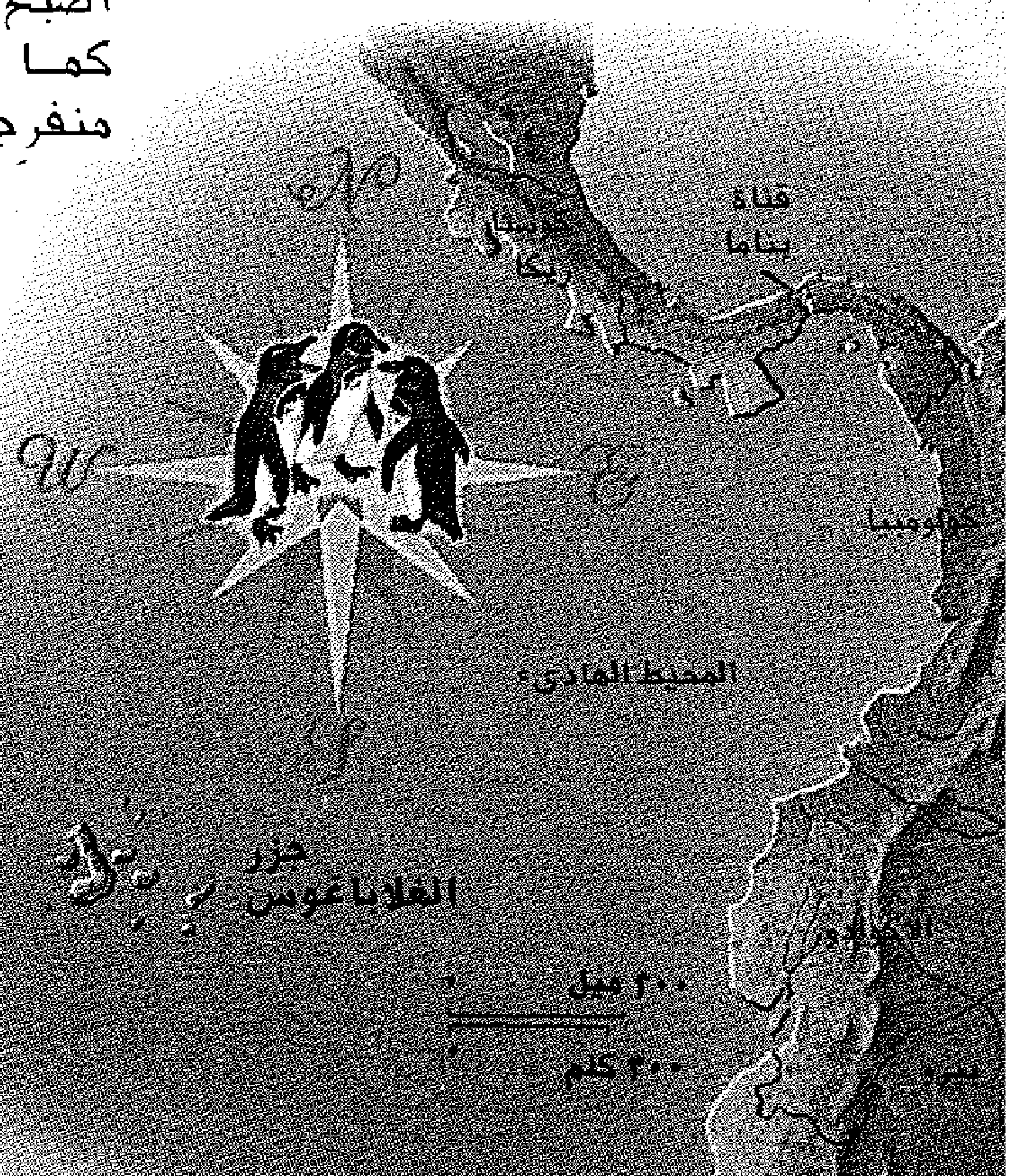
وجزر غلاباغوس، المؤلفة من ١٣ جزيرة كبيرة وبضع عشرات من الجزر الصغيرة، تنتشر في مساحة من المحيط الهادىء تبلغ حوالى ٦٠ الف كيلومتر مربع على بعد ٩٦٥ كيلومترا الى الغرب من بر امريكا الجنوبية، وتقع على اقل من درجة واحدة تحت خط الاستواء٠ وهذه الجزر مجموعة من البراكين التي اخذت تنهض من قاع البحر قبل مليون ونصف مليون من الاعوام٠ وقل من الرحالة الذين كتبوا عن الجزر من لم يشدد على قسوة البيئة وعدائها للحياة الانسانية٠ واعرب الروائي الامريكي هيرمان ملفيل عن شكه في وجود اي بقعة على سطح الارض تضاهي جزر غلاباغوس وحشة وانعزالا٠ وسماها احد المستكشفين "الارض المنبوذة"٠

وبسبب عزلتها، فضلا عن ان الزوار

الاوائل من بني البشر لم يقيموا فيها اكثر مما توجب عليهم، فقد اصبحت الجزر على مر السنين مختبرا حيا لدراسة تطور النبات والحيوان، لا يضاهيه اي مكان آخر. هنا عثر تشارلز داروين عام ١٨٣٥، عندما كان في السادسة والعشرين من عمره، على دليل اصبح اساس نظريته في "اصل الانواع" التي اثارت جدلا كثيرا. وهنا رعت منظمة التربية والعلم والثقافة (الاونيسكو) التابعة للامم المتحدة بعد ١٢٥ عاما اقامة "مركز تشارلز داروين للبحوث" (الذي انشيء عام ١٩٥٩ وتم افتتاحه عام ١٩٦٤) لكي يؤمن للعلماء من انحاء العالم المختلفة مجالا لدراسة عملية التطور. وفي الوقت نفسه تقريبا، حولت الحكومة الاكوادورية ٩٠ في المئة من مساحة جزر غلاباغوس البالغة ٨٠٠٠ كيلومتر مربع الى منتزه قومي، سعيا الى الحفاظ على تلك البيئة الفريدة في ذلك الارخبيل.

ان عملية النشوء والارتقاء في جزر غلاباغوس انتجت السحالي البحرية الوحيدة في العالم. ويقصدها طائر القادوس المموج الذي يبلغ امتداد جناحية ثلاثة امتار ويقضي خمسة اشهر في البحر بين الطيران والسباحة. وهو يفد سنويا في شهر ابريل (نيسان) الى جزيرة هود حيث يبنى عشه. وبسبب تيار همبولت البارد الذى يغمر سواحل الجزر، تتكاثر طيور البطريق هنا على بعد كيلومتر ونصف كيلومتر فقط من خط الاستواء.

ان السلحفاة البرية الضخمة ("غلاباغو" في الاسبانية) هي التي اعطت اسمها لتلك المجموعة من الجزر. ولكنها اتخذت اشكالا مختلفة على الجزر المختلفة. ففي جزيرة هود الجرداء، حيث يبلغ ارتفاع شجرة الصبار ١٢٠ سنتيمترا على الاقل، اصبح لتلك السلاحف سيقان اطول، كما اكتسبت صدفاتها قبة عنق منفرجة عالية تسمح لها بمد اعناقها للوصول الى الغذاء. اما جزيرة سانتا كروز التى يسقط عليها مقدار اكبر من المطر وتنمو



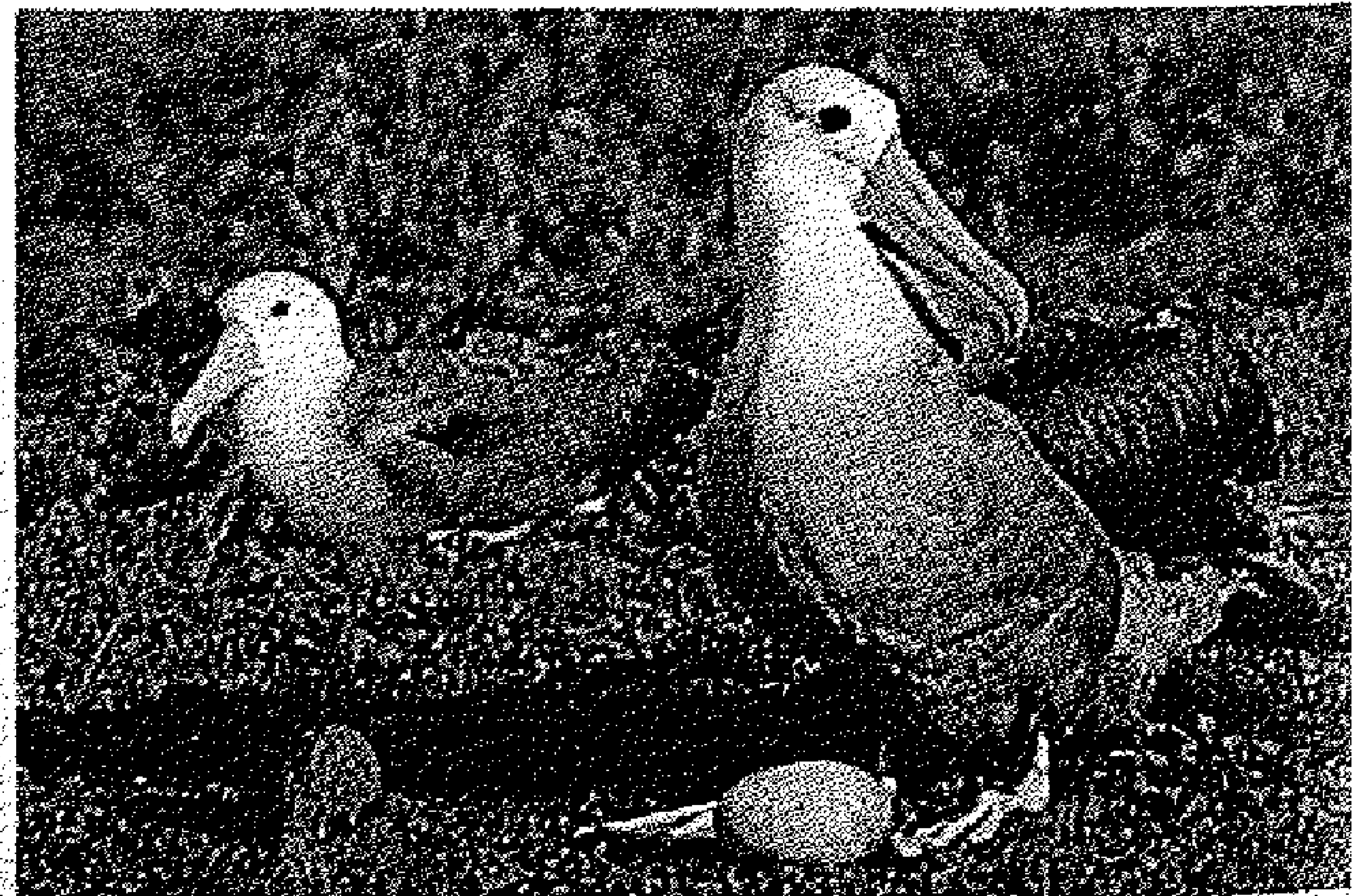

سلحفاة عملاقة.

فيها الكرمة الكثيفة والقصيرة، فان السلاحف ترعى من دون حاجة الى رفع اعناقها، وهو امر جعل صدفاتها قبابا بيضوية الشكل تسمح بتحريك العنق على جهتين لرعى الخضرة.

محطـة تشارلز داروين - هذا الاهتمام باشكال الحياة الرائعة في جزر غلاباغوس هو الذي دعانا الى المجيء والهبوط على مدرج وعر في جزيرة سيمور الجنوبية (بالترا). وهناك اتفقنا مع ماكس كريستن وزوجته ماريا تيريزا لينقلانا في قاربهما "ميسترال" المخصص للصيد الى جزيرة سانتا كروز حيث تقوم محطة تشارلز داروين. وبعد ساعتين من مغادرتنا خليج سيمور، غطست الشمس وراء الافق وارسى ماكس قاربه في خليج صغير لقضاء الليل. وكانت تحيط بذلك الخليج صخور بركانية بازلتية دكناء، وترتفع عموديا من الجهات الثلاث وقد توجت قممها شجيرات الصبار فبدت لنا مثل اشباح تحرس المكان. وكانت الصخور تعج بطيور النورس المشقوقة الذيل ذات الصوت الأجش بينما كانت طيور الاطيش والبجع البني تغوص في مياه البحر بحثا عن الاسماك.

وكان الضوء لا يزال ينير المكان قبل حلول المساء، فغطسنا تحت الماء الرقراق النظيف حيث رأينا افواجا من الاسماك الصغيرة المتعددة الاشكال والالوان. ورأينا جسما كبيرا تنبعث منه فقاقيع الهواء وهو يزحف على القعر، ولكنه لم يكن سوى دليلنا ماكس المجهز بعدة غطس وقد صعد الى السطح وهو يحمل اثنين من كركدن البحر لنأكلهما عشاء.

وفي تمام الساعة السادسة انحدرت الشمس وراء الافق (لان الليل والنهار متساويان تماما طوال ايام السنة) وحل ظلام مخملي اسود اكتنف المكان في دقائق معدودات. وقضينا الليل نائمين على ظهر القارب ثم باشرنا السفر عند الفجر. ونحو الظهر حططنا الرحال في بويرتو آيورا، اكبر مستوطنة في الارخبيل حيث يعيش ٨٠٠ نسمة. ومشينا على طريق ترابية ضيقة تؤدي الى محطة داروين. ويدير المحطة علماء من الاكوادور وامريكا الشمالية واوروبا، ويأتي الجزء الاكبر من موازنتها السنوية البالغة ٢٩٠ الف دولار من مساهمات خصوصية. وقد اشار مدير المركز، الدكتور كريغ جورج ماكفرلاند، الى "ان المركز


طائر نورس.


سحلية بركانية.

اداة عالمية مهمة لتقدم المعرفة العلمية. ومع خدمات منتزه غلاباغوس القومي، يشكل المركز حصنا منيعا للمحافظة على البيئة".

وشاهدنا وراء مباني المحطة المتواضعة ساحات احاطت بها الصخور، وقد كانت شاهدا على نجاح تلك الجهود. وكانت الاصناف الباقية من سلاحف غلاباغوس تزحف وكأنها دبابات من عصر ما قبل التاريخ، وتقتات على اوراق الصبار السميكة وتغمر نفسها في برك ضحلة. وهذه المخلوقات الضخمة نشأت في جنوب آسيا قبل ٧٠ مليون سنة. ويمكن ان تنمو حتى يبلغ طولها مترا ونصف متر ووزنها ٢٣٠ كيلوغراما. وليس لهذه المخلوقات اقارب اكثر قربا من تلك التى فى جزيرة الدابرا في المحيط الهندى. ولا يعرف كيف وصلت هذه السلاحف الى ارخبيل غلاباغوس. وهى تنزع بطبيعتها الى الخجل، لكنها غير مؤذية. وهذه صفات خارجة عن نطاق سيطرتها.

حساء السلاحف ـ هذه الزحافات العظيمة، على خلاف اي حيوانات ذات حوافر تؤكل لحومها، تستطيع العيش سنة او اكثر من دون طعام او ماء، بينما تكدس في عنابر السفن كأنها اكوام خشبية. وهي مرغوبة لطيب مذاقها حين يؤول مصيرها الى صحون الحساء. ويقدر بعض المصادر المطلعة ان قرابة ٣٠٠ الف سلحفاة من هذا الصنف نقلت في قوارب صيد الحيتان وسواها من السفن خلال الاعوام الاربعمئة التي انقضت منذ اكتشاف ارخبيل غلاباغوس. اما تلك الانواع التى بقيت على قيد الحياة فتضاءلت بسبب هجمات الاصناف التى اتى بها الانسان من حيوانات اخرى مثل الخنازير والكلاب والقطط والجرذان التى اقتاتت على بيض السلاحف وصغارها بينما نافستها حيوانات الماعز والحمير والاغنام على موارد غذائها. وبحلول العام ١٩٦٠ وانشاء محطة داروين، بقيت اعداد من السلاحف القابلة للبقاء على قيد الحياة فى جزيرة سانتا ايزابيلا فقط.

وقد شرع علماء المحطة وموظفو المتنزه القومي في غلاباغوس بالقضاء على الاصناف المهاجرة البرية. وفى الوقت نفسه بدأوا يجمعون السلاحف التي وجدوها حية فى جزر اخرى، وجاؤوا بها الى حظائر المحطة. وتم تفريغ بيض السلاحف فى اماكن انشئت لهذه الغاية. وتحفظ فراخ السلاحف في محطة داروين على اساس نظام غذائى وحماية مدروسة لمدة قد تصل الى عشر سنوات الى ان تصبح صدفاتها من الصلابة بحيث تصمد امام اسنان الكلاب البرية والخنازير. وبحلول مايو (ايار) ١٩٧٧، كانت ٣٠٠ من هذه السلاحف الزحافة قد اعيدت الى الجزر. وسيستمر تنفيذ البرنامج الى ان تصبح هذه الاصناف في منأى عن خطر الانقراض في جميع جزر الارخبيل.

وعرفتنا اسفارنا في الجزر على صنوف نادرة اخرى انقذت من الانقراض. وتسلقنا في احد الايام هضبة تعرضت جوانبها الى انجراف التربة، وكانت واقعة خلف جحور السلاحف. وبعد الالتفاف حول صخرة بركانية، وقفنا وجها لوجه امام احد اقارب حيوانات الدينوصور المنقرضة. وكان سحلية برية يبلغ

طولها نحو ١٤٠ سنتيمترا ووزنها خمسة كيلوغرامات ونصف كليوغرام وعلى عنقها شعر التنين. وتختلف هذه السحالى عن بنات عمها التي تعيش خارج الجزر والتي هي انحف جسما واخفوزنا وبارعة في تسلق الاشجار، بانها تحفر لها جحورا تحت سطح الارض ولا تتسلق الاشجار. الا ان في هذا نقصا جعلها فريسة سهلة للخنازير والكلاب والقطط البرية. وقد ابيدت هذه الفصيلة في مساحات كبيرة. اما اليوم فيوجد برنامج يستهدف انقاذها.

وفى بانتا اسبينوزا، وهي شريط ساحلى من الحمم البركانية النقية السوداء انتشرت فيه اشجار استوائية تتدلى من اغصانها الجذور، شاهدنا ظاهرة تطورية اخرى تتمثل في طائر الغاق الاسود غير المحبب العاجز عن الطيران. فعندما وصلت هذه الطيور، التى كانت في سالف الازمان ماهرة فى الطيران، الى هناك، وجدت وفرة من الاسماك جعلتها تتوقف عن الطيران. وعلى مر السنين انكمشت اجنحتها واصبحت مجرد زوائد، وتهدل منها بعض من الريش في اوضاع غريبة.

افواج المستعمرين – المستعمرون الاوائل الذين وصلوا الى ارخبيل غلاباغوس كانوا مجرمين اكوادوريين اختاروا الذهاب الى تلك الجزر عوضا عن مواجهة المقصلة. ووصلوا الى هناك عام ١٨٣٢، وتبعتهم موجات استعمارية اخرى. وفي العشرينات والثلاثينات توافد على الجزر مستوطنون نروجيون نظفوا الارض وزرعوها. وما ان وصلنا نحن حتى كان ابناء اولئك المهاجرين قد كبروا وغادروا تلك الجزر، بينما توفي المتقدمون في السن او عادوا الى النروج باستثناء شخصية ملحوظة.

وسلكنا في جزيرة سانتا كروز طريقا ترابية طولها ثمانية كيلومترات تؤدي الى بيت توروالد كارشتالن وزوجته اللذين وصلا من النروج عام ١٩٣٥. وقال لنا كارشتالن (الذى ولد عام ١٨٩٥): "انا وزوجتي لم نحب الغليان الحضاري. وقد وصفني اهلي واصدقائي بانني "الفايكينغ الاخير"، وقالوا اننا سنعود بعد وقت قصير. ولم يكن في تلك المنطقة آنذاك اكثر من ٣٠ شخصا. وكان يفترض وصول سفينة الى هناك كل ثلاثة اشهر، لكن ذلك لم يتم في معظم الاحيان الا كل ثمانية اشهر. وعلى رغم اننا اصبنا بالهزال خلال العامين الاولين، الا اننا لم نندم على قرارنا".

واقتلع كارشتالن وزوجته الاعشاب بايديهما من الارض، وغرسا مكانهما القصب الفيلى ونبات البانغولا الذي يساعد التربة غير العميقة على التماسك، كما يخنق الحشائش ويشكل طعاما ممتازا للابقار التي حملاها معهما من اجل لحمها وحليبها. وكان ابنهما آلف في العاشرة من عمره عندما بلغا الجزيرة. ولم تكن له مدرسة في ذلك الموطن الجديد. غير انه استطاع، من خلال المطالعة والملاحظة، ان يصبح واحدا من اكثر الناس معرفة بنباتات الغلاباغوس وحيواناتها، كما صار من مربى الابقار الناجحين.

واستمرت الهجرة على نطاق

محدود. لكن معظم الوافدين الجدد عادوا الى حيث اتوا بسبب حياة التقشف وعدم توافر الفرص. وبدأ الاكوادوريون هجرتهم الى الجزر في اوائل الحرب العالمية الثانية عندما كان للامريكيين قاعدة جوية هناك. وتوافد كثيرون آخرون عندما اصاب بر الاكوادور جفاف شديد في اواخر الستينات. لكن الف شخص منهم عادوا في اول فرصة سانحة. اما سائر السكان، وعددهم ٣٥٠٠ نسمة، فقد بقوا في الارخبيل وانشأوا في جزيرتي سانتا كروز وسان كريستوبال مجتمعا يسوده الاطمئنان.

اما اليوم فالخطر الرئيسي الذي يواجه الجزر هو قدوم السياح. فان افواج الزوار الذين تقلهم الطائرات قد اعطت سكان غلاباغوس اول مذاق لاموال السياحة. واسفرت الضغوط المتزايدة عن فتح اربعين منطقة من مناطق المنتزه القومي امام استثمار محدود. وعلى اي حال، ولحسن الحظ، فان حكومة الاكوادور تأخذ التزامها بالمحافظة على البيئة على محمل الجد. وهي حددت عدد السياح كما حدت كثيرا من فرص حدوث العبث والاهمال. وتستقبل كل طائرة سفينة من ثلاث سفن فندقية او بضعة يخوت وقوارب تبحر بين الجزر. وعلى السياح ان يعيشوا على ظهر هذه القوارب او في فنادق بويرتا آيورا. وعند زيارة الجزر، يسمح للزوار بالنزول الى الساحل.

وربما كان افضل ضابط من هذه الضوابط ضد التطوير العمراني الضار في جزر غلاباغوس ما يشعر به الاكوادوريون من اعتزاز بشهرة جزرهم على انها قبلة الباحثين عن التاريخ الطبيعي. وسيتحتم على الانسان ان يبدأ في مكان ما المحافظة على ما اعطته الطبيعة من كنوز حية. وهذا هو المكان الذي بدأت فيه الاكوادور جهودها.

■ سكوت وكاتلين سيغرز



مكتب زواج... للحيوانات

اسس اتحاد حدائق الحيوانات في بريطانيا العظمى وايرلندا مكتبا للزواج لكل حيوانات الحدائق بقصد ايجاد شركاء للحيوانات المنفردة.

(مجلة "الاكسبريس"، فرنسا)

نصائح تخطاها الزمن

كان العروسان يقضيان ليلتهما الاولى في فندق، فقال العريس: "آمل ان تكون أمك زودتك بالنصائح التقليدية". فأجابت العروس: "طبعا، ولكن لا تقلق، فلن اهتم بنصائحها". ثم أضافت: "وعلى اي حال، فلا بدّ ان تغيرات كثيرة طرأت على كل ذلك منذ زواجها".

(مجلة "نكات"، فرنسا)

كتاب الشهر

الأيام العصيبة

ملخص من كتاب
بقلم جيرالد فورد



تركزّ اهتمام كبير على الافول المذهل والمؤسف لرئاسة ريتشارد نيكسون· على ان الاضواء لم تسلط مطلقا من زاوية نظر الرجل الذي اختير خلفا له، وهو الرجل الذي تناهشته صنوف الولاء المتضارب - سواء أكان لرئيس الدولة الذي شَوَّهت سمعته او لبلاده ولزوجته وافراد اسرته - الامر الذي جعل جيرالد فورد يطرق درب الرئاسة بأقصى ما يمكنه من الرفق والحرص ابان الازمة التي المت بالولايات المتحدة الامريكية وملكت افكار مواطنيها ومشاعرهم·

هنا يروي جيرالد فورد، في كلماته الخاصة، حكاية تلك الايام العصيبة من شهر اغسطس (آب) ١٩٧٤، والحيرة المفزعة التي وقع هو فيها ازاء فضيحة ووترغيت·



٨ أغسطس (آب) ١٩٧٤: الرئيس نيكسون ونائب الرئيس فورد في المكتب الرئاسي البيضوي·

الأيام العصيبة

بقلم

Gerald R. Ford

قبيل الساعة التاسعة من صباح الفاتح من اغسطس (آب) ١٩٧٤، تلقيت مكالمة هاتفية من كبير موظفي البيت الابيض، الكسندر هيغ، الذي قال: "سيادة نائب الرئيس، ثمة ضرورة ملحة تقتضي ان اجتمع بك في اقرب وقت ممكن".

وبعد خمس عشرة دقيقة دخل هيغ الى مكتبي القائم في مبنى المكتب التنفيذي القديم. وكنت قد طلبت الى روبرت هارتمان ان يحضر الجلسة معنا كعادتي في هذه المناسبات. لكن هيغ بدا غير مطمئن لحضور هارتمان حتى خيل الي انه لن يقوى على البوح بكل ما يريد. بيد ان ما صرح به هيغ كان مقلقا ما فيه الكفاية.

واذ كانت المحكمة الامريكية العليا قد اصدرت قبل ثمانية ايام، اي في الرابع والعشرين من يوليو (تموز)، حكمها بان يسلم الرئيس الامريكي ريتشارد نيكسون ٦٤ شريطا مسجلا للمحادثات التي دارت في مكاتب الرئاسة الى قاضي المحكمة الاقليمية جون سيريكا، فقد اردف هيغ: "اود تنبيهك الى ان الامور في تدهور الان، ومن الحري بك ان تباشر التفكير في تبديل مجرى حياتك".

كما ابلغني هيغ ان الاشرطة الجديدة تحتوي على ادلة من شأنها ان تثبت علم نيكسون بمحاولة طمس حادث ووترغيت بعد ستة ايام فقط من السطو على مكاتب الحزب الديموقراطي في ١٧ يونيو (حزيران) ١٩٧٢، وان الرئيس نيكسون ظل يخادع الشعب الامريكي منذ ذلك الحين.

لكم عللتُ النفس بلا طائل خلال الاشهر الثمانية الاخيرة، بصفتي نائبا للرئيس بان ووترغيت لا بد من ان تنقشع وبأن نيكسون سيبرهن عن براءته منها. غير ان التمني بدأ يتبدد الان ويتبخر.

واتصل بي هيغ هاتفيا مرة اخرى بعد ظهر ذلك اليوم نفسه، طالبا مقابلتي ثانية في اقرب فرصة ممكنة. الا انه لم يشأ ان يحضر هارتمان جلستنا. فخطر لي ان هيغ لا بد من ان يكون قرأ، منذ اجتماعنا الصباحي، نسخة مدونة للمحادثات المسجلة، او انه استمع الى مناقشتها بالتفصيل. على انه ما ان دخل مكتبي حتى بادرني قائلا: "ليس في وسعي ان ابلغك بما سيحدث خلال الساعات الثماني والاربعين اللاحقة. فأنا لا ادري ماذا سيفعل الرئيس.

ثم اطلعني في منتهى الحرص على الخيارات الباقية امام الرئيس نيكسون كما يراها "المطلعون" في البيت الابيض، وهي الآتية: اولا - ان "يصمد" الرئيس في وجه العاصفة ويسمح للكونغرس بان يأخذ مجراه في توجيه التهمة اليه، وان يجابه امر ادانته بنفسه ويحاربها في اصرار. ثانيا - ان يستقيل. وهنا يتزايد عدد السبل البديلة التي يمكنه سلوكها: يمكنه، مثلا، ان يتنحى وقتيا بموجب المادة الخامسة والعشرين للدستور، او ان يرجىء استقالته حتى مرحلة لاحقة من اجراءات ادانته، او ان يقبل بتصويت الكونغرس على عزله، او ان يعفو هو عن نفسه وعن جميع الاطراف المعنية بقضية ووترغيت وبعدئذ يستقيل من منصبه. بل يمكنه ايضا -كما يرى بعض موظفي البيت الابيض حسب قول هيغ - ان يوافق على هجر كرسي الرئاسة شرط ان يلتزم الرئيس الجديد، جيرالد فورد،

بالعفو عنه. واكد لي هيغ ان هذه ليست آراءه، ولكنه لم يفصح عن اسماء اصحابها، بل اكتفى بالقول انه لا تفضيل لديه لاحد هذه الآراء على سواه.

وغادر هيغ مكتبي بعد ٤٥ دقيقة. لكن ما انطوت عليه اقواله من مضاعفات جثمت بثقلها على صدري، واحسست بالغضب يجتاحني لان نيكسون لم يطلعني على حقيقة الامور. وفيما انا مسترسل في هذه التأملات، قطع علي بوب هارتمان حبل افكاري بدخوله مكتبي. فأعدت على مسمعه الخيارات التي ذكرها هيغ. واذا باجراس الانذار تدوّي في رأس بوب:

- ذلك الخيار الاخير الذي ذكره هيغ حول استقالة نيكسون مقابل العفو عنه... انا لا أرتاح اليه بالمرة.

فقلت له: "لكن لم يقترح ذلك من عنده بل ذكر بعض ما يتداوله الناس في البيت الابيض".

عندئذ كرر بوب قوله:

- اعلم ذلك جيدا. ان هيغ لم يقصدك ليخرج خالي الوفاض. ولا هو بحث معك هذه المسألة الحساسة من دون علم نيكسون. وقد ذكر لك امر العفو من قبيل الايحاء اليك بما يجدر فعله، بينما بقيت انت مصغيا اليه من غير ان تنطق بكلمة واحدة. والسكوت في حال كهذه ينطوي على الموافقة. وربما عاد هيغ الى البيت الابيض واخبر نيكسون بانك لم تبد غير مرتاح ازاء ذكر الفكرة. والحق انه ليس من اللياقة ان يطرق هيغ هذا الموضوع امامك.

لقد كان رد فعل بوب امرا متوقعا نابعا من طبيعته. والواقع اني لما كنت بطبيعتي انسانا لا يرتاب في الآخرين، رأيت من الحكمة ان يكون بين موظفيّ شخص كثير الشكوك. وكان بوب يشك في كل انسان. وتلك الخصلة فيه انقذتني من مزالق كثيرة على مر السنين. ولكن شعرت هذه المرة بانه تجاوز الحد المعقول، واعلمته بحقيقة شعوري.

ونظرت الى الساعة في يدي لاجد ان عقربيها يشيران الى الخامسة والنصف مساء. ولما كنت اعلم ان زوجتي بيتي تنتظرني، فقد قررت تأجيل مناقشة الخيارات الى وقت آخر وملاقاة بيتي التي كانت تريد معرفة رأيي في الاقسام التي اختارتها نزلا لنا ولضيوفنا من المبنى الكبير الذي يقع في منطقة مرصد البحرية الامريكية حيث اجاز الكونغرس، في اعقاب تعييني نائبا للرئيس، استخدام ذلك المبنى منزلا موقتا لنائب رئيس الولايات المتحدة. وبناء عليه، دأبت زوجتي خلال الاشهر القليلة الماضية على مقابلة المسؤولين من البحرية والمخابرات للبتّ في امر التعديلات التي ينبغي ادخالها على المبنى. وقد شعرت بتفاهة القيام بمثل هذه الاعمال في تلك اللحظة بالذات.. غير ان تبديل خططنا في اللحظة الاخيرة من شأنه ان يثير تساؤلات الصحافيين والمراسلين. وهذا ما اردت تجنبه.

وقادنا احد مهندسي التصميم الداخلي للمنازل برفقة مسؤول من البحرية في جولة داخل المبنى، وتحدث الاثنان عن مشروعات تزيين غرفة النوم الرئيسية وغرف نوم

اولادنا. وبحثنا امر اصطحاب بيتي الى محلات مختصة في نيويورك لشراء اواني الخزف والستائر والاثاث.

وانتهت الجولة اخيرا برحمة الرحمن. وعدنا الى المنزل الذي كنا نسكنه لتبديل ملابسنا استعدادا للخروج الى حفلة عشاء. ولم يتسع الوقت لبحث ما دار في ذلك النهار بتفاصيله. ولكن اعلمت بيتي بان بينات قد تظهر، من شأنها ان تسدد ضربة شديدة الى شخص الرئيس. وحين انتهت الحفلة رجعنا الى البيت، وفي غرفة الجلوس اخذنا نتجاذب اطراف الحديث الى ان تطرقت الى ذكر الاجتماعين مع هيغ خلال النهار. فاتسعت حدقتا بيتي دهشة لانها كانت تشاركني الرأي في ان ما اصدره البيت الابيض من بيانات في السابق كان صدقا لا مراء فيه. وها ان الاسطورة بدأت تتصدع الان. فانعقد لسانها، خصوصا لانها لم تكن من النوع الذي يتأجج غضبا لتصيح مزمجرة: "اللعنة! لم يكن نيكسون منصفا بحقك". بل انها امرأة حنونة، عذبة اللسان، ولم يتجاوز رد فعلها الاول حدود اظهار الاسف والحزن على الرئيس وافراد اسرته.

وازداد قنوطنا عندما اوصلنا الحديث الى ذكر التجارب الجديدة التي سنتقاسمها مستقبلا، فقلت لها: "ربما انتقلنا الى البيت الابيض في الاسبوع المقبل، او ربما بقينا معلقين بين بين طوال ستة اشهر اخرى ريثما يفرغ الكونغرس من اجراءات ادانة الرئيس. والامر كله مرهون بما يعتزم نيكسون فعله".

كانت الساعة بلغت الواحدة والنصف بعد منتصف الليل عندما اتجهنا الى فراش النوم. ودخلنا غرفة النوم وخلعنا ملابسنا واطفأنا الانوار. ومع انه لم يكن من عادتنا التعبير عما يخالجنا، الا اننا شعرنا في تلك اللحظة بالحاجة الى ان يستمد واحدنا من الآخر قوة وان نستمد معا قوة جديدة من الله. لذلك، ما ان اضطجعنا والظلمة محدقة بنا حتى امتدت يدانا في وقت واحد وتلامستا، واخذنا نصلي:

- اللهم هبنا قوة من لدنك، والهمنا بحكمتك، وسدد خطانا في حال مواجهة حياة جديدة. اننا نعاهدك بان نبذل كل ما في وسعنا مهما حل بنا. انك انت الذي آزرتنا في ماضي حياتنا، واننا لمؤمنان بهديك في ايام التحدي العصيبة المقبلة. واننا نتضرع اليك باسم سيدنا يسوع المسيح.

وختمت الصلاة باستشهاد من سفر الامثال: "توكل على الرب بكل قلبك، وعلى فهمك لا تعتمد. في كل طرقك اعرفه، وهو يقوّم سبلك".

لقد تعلمت هذه الصلاة طفلا. واذكر اني رددتها ليلة اكتشفت ان زوج امي لم يكن والدي الحقيقي. ورددتها مرارا وانا في البحر في الحرب العالمية الثانية. كما رددتها في كل مرة نشبت أزمة.

قنبلة موقوتة

تكلمت صباح اليوم التالي مع جاك مارش، النائب السابق من ولاية فرجينيا، وهو احد الاعوان المقربين الي كثيرا، وأطلعته على ما جرى خلال الساعات الاربع والعشرين الماضية. واذا به يوافق هارتمان الرأي حول ان

مجرد ذكر العفو يشكل احتمالا بان يكون ذلك الخيار قنبلة موقوتة بالنسبة الي. ولما حاولت ان اوضح له ان هيغ لم يقترح اي صفقة وان الخيارات التي ذكرها لم تصدر عنه في الاصل وانه لم يبدر مني ما يمكن تفسيره بالموافقة او الرفض لاي منها، اصرّ مارش على رأيه كما فعل هارتمان، وقال: "اذا كنت لا تصدقنا، فما عليك الا ان تستشير شخصا اخر تقيم وزنا لرأيه".

وقفزت الى مخيلتي على الفور صورة برايس هارلو، الرجل القصير القامة ذي الوجه الصارم الذي يعمل الآن مديرا تنفيذيا لشركة في واشنطن. وهو سبق ان عمل مستشارا لستة رؤساء اميركيين، وكان رجلا نزيها لا تشوب كرامته شائبة. ولكن قبل ان اراه، توجهت بالسيارة الى "كابيتول هيل"، مركز الكونغرس، لمقابلة هيو سكوت من ولاية بنسلفانيا ومايك مانسفيلد من ولاية مونتانا، زعيمي الحزبين الجمهوري والديموقراطي في مجلس الشيوخ، اللذين ارادا محادثتي حول الاجراءات التي تنبغي مراعاتها في حال توجيه التهمة ومحاكمة رئيس الولايات المتحدة. والمعروف ان مجلس النواب الاميركي هو الذي يحقق، بموجب الدستور، في التهم الموجهة ضدّ رئيس البلاد ويقرّر بالتصويت امر احالته الى المحاكمة على غرار ما تفعل هيئة المحلفين الكبرى. ثم ترفع القضية الى مجلس الشيوخ حيث يرئس الجلسة عادة نائب رئيس الجمهورية. لكن هذا الواجب سيرفع، لحسن الحظ، عن كاهلي في حال ادانة الرئيس.

وجلسنا نحن الثلاثة ينفث كل منا دخان غليونه، وهو مدرك الألم الذي تكابده البلاد والمسؤولية الملقاة على عاتقه. وقام سكوت بالقسط الأوفى من الكلام في ذلك الاجتماع. الا انني كنت واثقا من انه لم يسمع بعد بالبينات الجديدة. وشعرت بأنه من غير اللائق ان اطلعه عليها. لكنه كان مقتنعا، على اساس ما يعرفه، بان القضية خاسرة وبان توجيه التهمة رسميا الى الرئيس في المجلس النيابي وادانته في مجلس الشيوخ بعدئذ امران مفروغ منهما.

واذ غادر مانسفيلد الغرفة، بقيت وحدي مع سكوت الذي ابلغني بانه تحدث الى الشيخ باري غولدووتر من ولاية اريزونا، وحاول معه تحديد مدى التأييد الذي ما زال يتمتع به نيكسون داخل مجلس الشيوخ حيث يحتاج الى ٣٤ صوتا لينجو من الادانة. وقال سكوت ان نيكسون يتمتع حاليا بستة وثلاثين صوتا، بيد ان احد عشر صوتا بينها اصوات متقلبة وغير اكيدة. وكان سكوت يفهم انني ملزم بتأييد الرئيس. ولذلك ارتج صوته واضطرب وهو يقول: "التأييد المستمر سيجعل من العسير على البلاد في ما بعد ان تتوحد. انك انت الانسان الوحيد الباقي لدينا - للبلاد كلها، لا للحزب فحسب".

وخيّل اليّ ان الدموع بدأت تترقرق في عينيه. فحاولت تهدئة خواطره، ولكني وجدت صعوبة في السيطرة على عواطفي الشخصية. وخطر لي انه من الحري بي ان ادلي بتصريح علني خلال الايام القليلة المقبلة اقول فيه انه ما دام شطرا الحكومة التنفيذي والتشريعي في نزاع محتدم مرير،

فانه لا يليق بي بعد الآن ان ابدو طرفا في النزاع او عنصرا فاعلا في نتائجه. وبذلك اكون قد اعلنت، في اختصار، موقفا حياديا. ولكن في اي مكان يمكنني الادلاء بمثل هذا التصريح؟ ولما كنت انوي السفر في نهاية الاسبوع الى ولايتي ميسيسيبي ولويزيانا، فقد اقترحت على سكوت ان اصدر تصريحي من هناك. فلم يستحسن فكرتي مطلقا، وقال: "ان تصريحا ذا اهمية قومية شاملة ينبغي ان يصدر من عاصمة البلاد، لا من مكان اخر".

وكان سكوت محقا في رأيه. وشعرت بأنه يمكنني الادلاء بذلك التصريح لدى عودتي من الرحلة. واذ غادرنا الغرفة في "كابيتول هيل"، طوّق سكوت ذراعه حول كتفي بشدة، ولم يكن بنا حاجة الى قول كلمة اخرى.

وجاء برايس هارلو الى مكتبي في وقت متقدم بعد الظهر، وكان هارتمان في الغرفة. ورحت اسرد كل ما عندي، فيما كان برايس صامتا لا تنم ملامحه عن اي رد فعل. وحين انهيت كلامي، قال لي بصراحة لا يشوبها التردد انه متفق مع بوب وجاك، وان مجرد ذكر خيار العفو قد يسبب لي متاعب جمة في الايام المقبلة. وهكذا، توصلنا الى نتيجة مفادها ان الامر الوحيد الذي يمكنني فعله هو دعوة هيغ امام الشهود وتسوية القضية معه. فطلبت الى هارتمان ان يتصل به هاتفيا بعدما كتبت حرفيا كل ما اردت قوله، ثم قرأت عليه ما كتبت ببطء منعا لاي التباس او غموض. وبدأت كلامي:

- اريد ان تفهم انه ليس في نيتي ان اوصي بما ينبغي ان يفعله الرئيس ازاء استقالته او عدم الاستقالة، وانه يجب ألاّ يؤخذ شيء مما دار بيننا البارحة مأخذ اعتبار او حسبان في اي قرار قد ينزع الرئيس الى اتخاذه.

وردّ هيغ في اختصار: "انت على حق".

"شكرا سيدي الرئيس"

جرت العادة على ان يرافقني عدد قليل من رجال المخابرات. ولكن هذه المرة كان ثلاثة عشر رجلا منهم برفقتي على متن طائرة نائب الرئيس حين توجهت يوم السبت في ١٣ اغسطس (آب) الى ولايتي ميسيسيبي ولويزيانا. وامتدت ظاهرة التضخم هذه الى رجال الصحافة ايضا. فقد كانت العادة ان يتولى بعض الصحافيين تغطية انباء رحلاتي. الا ان عددهم هذا اليوم ارتفع بوجود احد عشر صحافيا اضافيا.

وحطت بنا الطائرة في مطار ستاركفيل في ميسيسيبي بعيد الساعة العاشرة صباحا. وبعدما القيت كلمة في حشد من الناس، استأنفنا رحلتنا الى جاكسون على بعد اربعين دقيقة جوا، حيث كررت تأكيداتي على ان الرئيس غير مذنب في ارتكاب خطأ يستوجب المحاكمة. ولو قلت غير هذا الكلام، لربما انهدم البنيان الكرتوني الهش باكمله.

ودأبت خلال هذه الرحلة على الاتصال بزوجتي بيتي التي كانت تحمل عبئا ثقيلا. وكنت اقلق على الدوام حيال طبيعة مشاعرها وما يفعله اولادنا، فضلا عن أني اردت معرفة انطباعاتها عن الاخبار ومعرفة

ما اذا كان اصدقاؤنا ابلغوها امرا كان ينبغي ان تعرفه. ومع ان بيتي لا تستمتع اطلاقا بالامور السياسية، الا ان لها اذنا صاغية مرهفة وحساسية عظيمة لما تعكسه الحوادث من ظلال. وقد قالت لي ان كل شيء هادىء.

صباح الاثنين ٥ أغسطس (آب) القيت محاضرة في نيو اورلينز امام جمعية قدامى المحاربين الامريكيين المعاقين من الحرب. ولئن كنت اتوقع فعلا ان يصفقوا لي، الا ان الامر الذي لم اتوقعه هو ان يتوجه رئيس الجمعية الى المذياع فور جلوسي ليقول: "شكرا سيدي الرئيس". وكانت تلك المرة الاولى التي سمعت فيها احد الناس يناديني بهذا اللقب، فجفلت له.

وفيما انا عائد جوا، تلقيت نبأ من جاك مارش جاء فيه ان البيت الأبيض سيدلي باعلان خطير مناهض للرئيس في وقت لاحق من ذلك اليوم. وما ان مضت نصف ساعة على هبوط طائرة سلاح الجو الرقم ٢، وهي الطائرة المخصصة لنائب الرئيس، في قاعدة اندروز العسكرية في تمام الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والاربعين، حتى وجدت نفسي في مكتبي من جديد. وجاء هيغ لمقابلتي على الفور، وكان يبدو منهكا اكثر من اي وقت مضى. بل اذكر اني فكرت حينذاك بأني لم ار في حياتي قط انسانا خائر القوى جسديا ونفسيا مثله في تلك الساعة. واوضح لي هيغ ان موقف نيكسون يتقلب بين الاستقالة والصمود في وجه الرياح، وان معظم كبار اعوانه يحثونه على اتباع الخط الاول، بينما اخرون - افترضت انهم من افراد اسرة نيكسون، ولكن هيغ لم يذكر اسماءهم - ينصحونه بالصمود والكفاح. ويبدو ان مزاجه متقلب لا يثبت على حال. فتراه في الصباح مصمما، بفضل الدعم والمساندة من مؤيديه خلال المحادثات التي كانت تمتد حتى ساعة متقدمة من الليل، على التمسك بمنصبه، في حين يبدو عند المساء مستعدا للتنحي عن الرئاسة بعد ان يكون قد استمع الى التقارير الواقعية من كبار معاونيه خلال النهار.

وفي وقت متقدم من عصر ذلك اليوم، ارسل البيت الابيض نسخة من بيان نيكسون الى مكتبي في مبنى المكتب التنفيذي القديم، وفيه يعترف بأنه حاول في وقت مبكر يعود الى ٢٣ يونيو (حزيران) ١٩٧٢، اي بعد ايام قليلة من السطو على ووترغيت، ان يستخدم وكالة المخابرات المركزية لمنع المكتب الفيديرالي للتحقيقات من ان يكتشف ان لجنة اعادة انتخابه رئيسا هي التى دبرت ومولت عملية السطو على مكاتب الحزب الديموقراطي في مجمّع ووترغيت.

وفي الساعة السابعة مساء، اصدرت بياني الخاص الذي قلت فيه: "لقد توصلت الى نتيجة خلاصتها ان المصلحة العامة لم تعد تنتفع بترديد ما اعربت عنه سابقا من اعتقاد بان الرئيس الامريكي - استنادا الى ما هو متوافر لدي ولدى الشعب الامريكي من ادلة - لم يرتكب ذنبا يستوجب الاتهام الرسمي. وقد عاهدت الكونغرس لدى تعييني نائبا للرئيس على ان ابذل قصارى جهدي لكي اكون واسطة اتصال هادىء

ومصلحا مستعدا للتوسط بين فرعي الحكومة الفيديرالية: التنفيذي والتشريعي. غير ان عملية توجيه التهمة الى الرئاسة قد اقحمت الرئيس والكونغرس في علاقة عدائية تفرق بعمق بين اعضاء الهيئة التشريعية بمقدار ما هي تفرق بين افراد الشعب الذي يمثله هؤلاء الاعضاء. وثمة امور ملحة كثيرة في جدول اعمال امريكا، آمل ان اواصل خدمة بلادي من خلالها. ويجب ان تستمر الاعمال الحكومية، وكذلك ينبغي تلبية احتياجات الامة الحقيقية. واعتقد ان في امكاني ان اقدم مساهمة افضل من اجل هذه الغاية، من دون الانغماس شخصيا في المناظرة اليومية حول اتهام الرئيس، لان ذلك امر ليس لي فيه دور دستوري".

ولم يعد يراودني ادنى شك حول نتيجة الصراع: لقد انتهى نيكسون. والمسألة الوحيدة الباقية هي مسألة الوقت الذي سيدرك فيه نيكسون هذه الحقيقة والقرار الذي سيتخذه في شأنها.

لكم كنت منهكا وانا لم ار زوجتي واولادي منذ ايام ولكم كنت مشتاقا كي اذهب الى منزلي. وها قد ذهبت اخيرا. ولما كان المساء عند بركة السباحة في حديقة منزلنا الخلفية مغريا وباردا، فقد سبحت قاطعا البركة عشر مرات او اكثر، ثم بدلت ملابسي وتناولت الشراب مع بيتي عند باحة الدار. ولم نكد انا وبيتي

وولدانا سوزان وستيف نجلس الى مائدة الطعام حتى دق جرس الهاتف ليخبرني الميجور جورج جولوان، مساعد هيغ في البيت الأبيض، انه تقرر عقد اجتماع حكومي صباح غد. وافترضت عندئذ ان نيكسون سيكشف النقاب عن نياته، فأحسست فجأة بأن امكان انتقالنا الى البيت الأبيض بات امرا حقيقيا.

وجهاً لوجه

نهضت صباح اليوم التالي كعادتي في الساعة السادسة والنصف وسبحت في البركة أشواطي المعهودة، ثم توجهت الى مبنى "الكابيتول". وكان مقررا ان يتم اجتماع الحكومة الساعة العاشرة. لكني وجدت، لدى دخولي المكتب، ان الاجتماع أرجىء ساعة كاملة، فاغتنمت الفرصة للتشاور مع هارتمان ومارش اللذين كانا على قناعة تامة بأني ملزم خلقيا بالوقوف امام الرئيس وجها لوجه لابلاغه حقيقة موقفي.

وقبيل الساعة الحادية عشرة دخلت الجناح الغربي ومضيت في طريقي نحو قاعة الحكومة. ووقفت وراء مقعد الجلد البني الثقيل الخاص بي، اتجاذب اطراف الحديث مع وزير المالية وليم سايمون عندما دخل نيكسون القاعة بخطى واسعة. وكانت تلك المرة الاولى التي أراه فيها منذ نحو عشرة ايام. وكان التغير الذي طرأ عليه واضحا تماما، وأكيد انه لم يهنأ بنوم مريح. وقد امتقع لون بشرته وبدا اقل حيوية مما عهدته، من الناحيتين الجسدية والنفسية.

وكان التوتر في القاعةعلى أشده. واحسست شخصيا باضطراب في اعصابي، وأظن ان الآخرين جميعا كانوا فيمثل حالي. ولكن يبدو ان نيكسون لم يلاحظ ذلك. فقد نظر اولا الى الساعة الموضوعة على الطاولة امامه، ثم الى الملف الجلدي الذي تضمن النقاط التي أراد بحثها، قبل ان يبادر الى القول:

- اريد ان اناقش أهم مسألة تجابه أمتنا، وهي مسألة نجابهها ايضا في المجال الدولي: انها مسألة التضخم المالي. ذلك لان وضعنا الاقتصادي يحتمل ان يكون قضية العالم الرئيسية اليوم.

يا الهي! لقد كنت أظن ان هذه المناسبة ستكون اشد المناسبات خطورة، وان نيكسون سيجابه فيها التهديد الموجه الى رئاسته. وها انا أُفاجأ بخوضه الوضع الاقتصادي بمثل هذا الاسهاب! فصرت كلما أصغيت اليه ازدادُ خوفا وارتقابا. فقد راح يتحدث في امور لا تمت بصلة الى الظروف التي تواجهه كما تواجه الأمة جمعاء. وشعرت بانها محاولة سخيفة ومضحكة لانها تتحاشى القرارات القاسية الواجب عليه اتخاذها.

وفجأة تحوّل نيكسون في حديثه الى ووترغيت والادلة الجديدة، وذكر وكالة المخابرات المركزية والمكتب الفيديرالي للتحقيقات، وقال ان اهتمامه الاول هو الأمن القومي: وان هناك "شؤونا سياسية معينة" جرى بحثها. وأضاف: "أظن من اللائق في الظروف الراهنة ان اسمح بالاطلاع على الأشرطة المسجلة"، وهي الاشرطة التي سجلت عليها محادثاته يوم ٢٣ يونيو (حزيران) ١٩٧٢ حول استخدام وكالة المخابرات المركزية لعرقلة تحقيقات المكتب الفيديرالي للتحقيقات. وقال انه لا يريد لمجلس

النواب ان يصوت على موضوع احالته الى المحاكمة قبل ان تتوافر لهذا المجلس جميع الحقائق. وأقرّ بان بعض المعطيات الجديدة يلحق به الضرر، بينما بعضها الآخر يبرّىء ساحته، وانه لم يكن هناك "انتهاك متعمَّد للقانون" ولا عرقلة للعدالة، وكل ما في الامر انه "لم يرد ان تختلط الامور الامنية بهذه المسألة الخرقاء".

كان نيكسون جالسا ووراءه النافذة المطلة على الحديقة الجنوبية. وأردف: "ان اجماع الرأي في مجلس النواب يُظهر اننا سنخسر"، وكان يشير بذلك الى المناقشة التي تقرر بدؤها في ١٥ أغسطس (آب)، حول امكان احالته الى المحاكمة. غير اني اريد اظهار الحقائق، وسأتحمل أي ضربات تكال لي. واني مقتنع، بعد استشارة اناس أوفر مني علما بالقانون الدستوري، بانه ليس هناك بينة لذنب يستوجب المحاكمة.

"وأنا على استعداد لتقبل اي حكم يصدره مجلس الشيوخ بحقي، علما بأن النتيجة قد تكون غير مشجعة. لكني أريد ان افعل ما هو الصواب في حق الامة وفي حق نفسي ايضا، ولكن الامة تأتي في المقام الاول. وأنا من اصحاب وجهة النظر القائلة بعدم اتخاذ خطوة من شأنها ان تبدل الدستور وتشكل سابقة للرؤساء في المستقبل. وقد يخالفني بعضكم في هذا الرأي - وانا احترم ذلك - غير اني اتخذت القرار، وأنا اطلب منكم تأييده".

وكان على وشك الانتقال الى موضوع آخر حين قررت انه يتوجب علي ان اتكلم الان والا ضاعت اللحظة، فقلت: "سيدي الرئيس".

وشعرت بان كل الانظار اتجهت نحوي.
- ان لدي ما أقوله لو تكرمتم بافساح المجال.
□ تفضل، قل يا جيري.
- ان جميع الحاضرين هنا يعلمون حقيقة موقفي الحرج. وليس هناك من يأسو لمثل هذه التطورات المؤسفة اكثر مني. وانا اشعر تجاهك وتجاه افراد اسرتك الكريمة بتعاطف شخصي عميق. ولكني اريد ان أؤكد لك بانه لو سبقت لي معرفة ما انكشف عن ووترغيت خلال الساعات الاربع والعشرين الماضية، لما كنت أدليت بعدد من التصريحات التي اعلنتها بصفتي نائبا للرئيس.

بعد ذلك ُبحثت امور أخرى، وعاد نيكسون الى موضوع الاقتصاد مجددا. وقد حاول جورج بوش، رئيس اللجنة القومية للحزب الجمهوري، ان يوجه الاهتمام من جديد الى قضية الساعة الكبرى، قائلا انه ينبغي تدبر موضوع ووترغيت دونما ابطاء، لان انعدام الثقة الشعبية أثر في الاقتصاد. على ان نيكسون اهمل ملاحظته وأضاف كلاما حول خفض الموازنة والاستراتيجية الاقتصادية، قائلا ان خير ما نفعله هو الدعوة الى عقد مؤتمر قمة اقتصادي.

وهنا قاطعه الشيخ السابق وليم ساكسبي، الذي ُعيّن مدّعيا عاما، بقوله: "في ظني، سيدي الرئيس، ان الواجب ليس عقد مؤتمر قمة، بل التأكد من أن لك القدرة على الحكم".

وللتو تغير جو القاعة وأطبق عليها صمت ثقيل. وأخيرا اجاب نيكسون بصوت مجرد من الانفعال: "أجل، لدي القدرة يا بيل تماما مثلما كانت لي خلال السنوات الخمس ونصف السنة الماضية".

وأحس وزير الخارجية هنري كيسينجر بأن الاجتماع قد يتحول الى مشهد بشع مشحون بالضغائن، فتدخل قائلا: "ان المرحلة التي نجتازها مرحلة صعبة من كل الوجوه. وعلينا ان نبدي الثقة ونظهر ان البلاد قوية ما فيه الكفاية للمضي قدما في الاجراءات الدستورية".

وأخيرا، وبعد مضي ساعة و٣٧ دقيقة، دفع نيكسون مقعده الى الوراء واعطى اشارة بأن الاجتماع قد انتهى. فحملت اوراقي ومشيت بأقصى سرعة ممكنة الى خارج المبنى. وعلمت في وقت لاحق بأن كيسينجر لحق بالرئيس الى المكتب البيضوي وابلغه باسلوب غير مباشر بضرورة استقالته.

استدعاء رئاسي

كعادتي كل اربعاء، توجهت صباح الاربعاء ٧ أغسطس (آب) بالسيارة الى "كابيتول هيل" لتناول الفطور في مبنى جمعية "تشودر ومارشينغ" التي انتميت اليها منذ أسسها النواب الجمهوريون في المجلس عام ١٩٤٩. وما كدت اجتاز منتصف الطريق حتى نقل الي سلك المخابرات السرية رسالة من هيغ يقول فيها "إنس موضوع الفطور ودعنا نلتقي في مكتبك بأسرع ما يمكن".

ووصل هيغ الى مكتبي قبيل الساعة الثامنة، وقال لتوّه: "سيدي نائب الرئيس، أظن أن الوقت حان لان تستعد لتسلم مهمات الرئاسة".

الا انه قرن اعلانه ببعض تحفظات، موضحا ان نيكسون لم يتخذ بعد قرارا نهائيا، وان كان هيغ يظن انه على

وشك ان يفعل ذلك، عندئذ استدعيت بعض اعواني وطلبت اليهم بالحاح ان يعدوا لي، في أسرع وقت ممكن، اسماء فريق انتقالي لتسلم المناصب الحكومية. والواقع اني كنت طلبت بعد ظهر اليوم السابق من هارتمان ان يعد مسودة لخطاب قبول منصب الرئيس. وما كان من هارتمان الا ان ذهب الى احدى دور السينما حيث استسلم ساعات للنوم، ثم نهض في الثالثة صباحا ليباشر الطقطقة على الآلة الكاتبة التي ما برح يطقطق عليها حتى هذه اللحظة. وهذه كانت عادته كل مرة اطلب اليه اعداد خطاباتي: يماطل في كتابتها الى ان يقترب موعد القائها، فيعمل تحت ضغوط جمة. ولقد كنت أستاء من تصرفه هذا وأقلق كثيرا بسببه.

لكن الحق يقال انه ما تقدم الي يوما بخطاب الا من الطراز الاول. ولم يشذ خطاب القبول عن الجودة المعهودة. وما ان شرعت في قراءة المسودة حتى جاشت العواطف في صدري. وترقرق الدمع في عيني حين طالعت قوله: "أنا لست مدينا لامرىء في هذه الدنيا، وانما انا مدين لامرأة هي زوجتي العزيزة".

لكم كان هارتمان متفهما حقيقة مشاعري. وبعدها قرأت سطرا جاءت فيه العبارة الآتية: "يا ابناء وطني ان كابوسنا القومي الذي طال أمده قد تبدد الآن". وبدا لي في هذا التعبير قسوة حادة على نيكسون. وسألت هارتمان ان كان من الافضل الاستعاضة عنه بقول آخر، فأجاب: "كلا! كلا! انه كابوس للجميع - لك انت، ولي انا، ولاصدقاء نيكسون واعدائه على حد سواء، ولكل مواطن في هذه الديار. انها قولة ينبغي ذكرها، وأنت الوحيد الذي يمكنه قولها".

لقد كان هارتمان محقا في رأيه. وفي الساعة الحادية عشرة والنصف صباحا اتجهت الى مكتب جون رودس، زعيم الاقلية في مجلس النواب، لحضور جلسة الصلاة الاسبوعية كعادتنا كل يوم اربعاء. وضم مجلسنا ايضا نائب ولاية مينيسوتا البرت كيوي ونائب ولاية ويسكونسن السابق ميلفين ليرد. وكنا قد درجنا على عقد هذه الاجتماعات منذ أمد طويل، حيث كانت صلاتنا تتخذ على الدوام الشكل الآتي: يبدأ أي واحد منا بصلاة بسيطة، ثم ننتقل من شخص الى آخر من دون دور معيَّن الى ان يكمل الرجل الاخير صلاته، وعندئذ نشترك جميعا بصوت واحد في تلاوة الصلاة الربّانية "أبانا الذي في السموات...". ولم يذكر احد منا في هذا اليوم الازمة المستفحلة في عاصمة البلاد، ولم يكن هناك داعٍ لذكرها، اذ لم تكن تضرعاتُ الآخرينَ سوى ابتهالات من أجلي شخصيا نظرا الى احتمال تسلمي منصب الرئاسة. وقد سألت في صلاتي عونه تعالى وتأييده في مؤازرة الاخوان لي حيال التحديات الجديدة التي لا مفر من مواجهتها.

واتصل بي هيغ صباح اليوم التالي وقال بصوت هادىء لمست فيه نبرة الانفراج: "الرئيس يود مقابلتك. ولا اخالك الا عارفا ما يريد التصريح به". وبعد عشر دقائق بالتمام دخلت البيت الابيض، وتوقفت لحظة عند مكتب هيغ باحت خلالها عيناه بكل ما احتجت الى معرفته. ومضيت وحدي الى المكتب البيضوي.

كان نيكسون جالسا وراء طاولته. وما ان فتحت الباب حتى هب واقفا لاستقبالي. فتصافحنا ودعاني الى الجلوس عن يمينه.

رمى الرئيس بكاهله الى الوراء عندما جلس على كرسيه، بينما اشتبكت يداه فوق حضنه وارتسمت على وجهه ملامح الجد والرزانة. لقد كان يعاني، ولا ريب، ضغوطا هائلة شتى، وكانت امارات التوتر بادية في جلسته. الا انه كان مسيطرا على نفسه، وراح يخاطبني بلهجة بطيئة متعمدة، متقحما صلب الموضوع من غير تمهيد:

- لقد توصلت الى قرار الاستقالة خدمة لمصلحة الوطن. وأنا لا أريد الخوض مطلقا في حسنات القرار او سيئاته. وكل ما في الامر انني اتخذت القرار وكفى.

وتوقف هنيهة عن الكلام، ثم اردف:

- جيري، انا واثق من انك ستحسن العمل.

وما ان فرغ من قول هذا الكلام حتى انفرجت أساريره وغدا الحديث بيننا أكثر عفوية وعلى جانب من الظرف. وراح - وقد نفض غبار الاعباء عن نفسه - يسدي الي النصح باعتباري صديقا قديما له. وتحدثنا عن توقيت الفترة الانتقالية وترتيباتها، وقرر نيكسون ان يعلن نبأ استقالته على شاشة التلفزيون تلك الليلة، على ان تصبح الاستقالة نافذة اعتبارا من ظهر اليوم التالي، اي يوم الجمعة، لانه اراد ان يغتنم فترة الصباح في توديع اعوانه المخلصين وافراد اسرهم في القاعة الشرقية من البيت الابيض. واعرب عن أمله في ان اتفهم طبيعة رغبته،

واستطرد انه سيكتب الى هنري كيسينجر، وزير الخارجية، رسالة يعلن فيها نبأ استقالته، وان الرسالة ستبلغ كيسينجر في الوقت الذي يكون نيكسون خارج منصب الرئاسة وفي طريقه الى سان كليمنت كأي مواطن عادي. وعندئذ يمكنني ان أؤدي اليمين الدستورية.

ولم يظهر نيكسون في لقائنا ذاك اي حقد او مرارة تجاه الناس الذين كان ينتقدهم سابقا امامي. ولم يعلق بكلمة على ما تقوله الصحف. ولم يتطرق مطلقا الى ذكر ووترغيت. لكني سمعت ان النقاش الذي دار مع افراد اسرته حول قرار الاستقالة كان حاميا. بيد ان الرئيس لم يأت على ذكر ذلك مطلقا. وأحسست انه قد اتخذ قراره وانتهى الامر في نظره، وغدا همه الوحيد الان تحقيق انتقال السلطة في هدوء ونظام.

دامت مقابلتي مع نيكسون سبعين دقيقة، بحث خلالها باقتضاب كل موضوع ذي بال. ولما نهضت مستأذنا وتوجهت نحو الباب، طوقني بذراعه فقلت في نفسي: "ها هو ذا صديقي القديم الذي اتخذ قرارا سيبدل مجرى حياة كلينا. وها هو يتمنى لي الخير العميم لا لمصلحتي فقط، وانما للبلاد كلها". وخانتني طلاقة اللسان في تلك اللحظة نظرا الى احتدام العواطف التي جاشت في نفسي. ولم ازد على القول له: "حسنا، أراك غدا. تمنياتي الى بات والاسرة". ولكن حتى هذه الكلمات الخفيفة النبرة لم تخرج بسهولة من فمي. وأجاب الرئيس: "انك وبيتي ستحبان العيش في هذا البيت. سنراكم غدا".

وتصافحنا مودعين، ومشيت مسافة الاربعين خطوة التي تفصلني عن سيارة الليموزين في الباحة من دون ان التفت ولو مرة واحدة الى الوراء او ان ارفع نظري الى رجال الخدمة السرية المرافقين لي خشية ان أفضح مشاعري. وكنت احدد النظر الى السيارة المنتظرة امامي، متمنيا ان يفتح لي هؤلاء الرجال بابها بلمح البرق كيما اقبع داخلها وحيدا واخلو الى نفسي.

جوهر الديموقراطية

لا تزال هناك امور عدة ينبغي انجازها، كاختيار مكان أداء اليمين الدستورية والشاهد الذي سأؤدي اليمين امامه، واعداد لائحة باسماء الضيوف، وانتخاب ناطق صحافي جديد، والموافقة النهائية على الكلمة التي سألقيها في الحفل.

لقد جرت التقاليد على ان يؤدي معظم رؤساء الولايات المتحدة اليمين الدستورية على مدرج "الكابيتول". وكعضو سابق في الكونغرس كنت افضل اختيار هذا الموقع. على ان الوقت لا يتسع لاعداد الترتيبات اللازمة، ناهيك بان اختيار "الكابيتول" يضفي على المناسبة جوا من الاحتفال والبهجة لم تكن البلاد في مزاج لتقبله. ولهذا شعرت بان القاعة الشرقية من البيت الابيض انسب واكثر اتضاعا. وهنا سألني هارتمان: "من تريد ان يستحلفك اليمين الدستورية؟"

انه لامر مهم جدا ان اظهر في هذه المناسبة ان الحكومة بفروعها الثلاثة انما تعمل في تناسق ووئام. فاقترحت اسم وارين بيرغر، رئيس المحكمة العليا الذي كان يحضر آنذاك مؤتمرا في لاهاي. فاتصل به مارش هاتفيا. وبعد دقائق أومأ الي بان

اكلمه، فقلت له: "حضرة الرئيس، اظن انك سمعت الاخبار. كم يسوؤني ان اقطع عليك رحلتك، ولكن يسعدني ان تكون معنا هنا في احتفال اداء اليمين".

وقاطعني رئيس المحكمة العليا بسرعة: "اوه. ان الواجب يحتم ان اكون معكم. لا بل اني اريد ان اكون هناك".

واتصلت ايضا بتوماس اونيل الابن (الذي كنا ندعوه "تيب") زعيم الاكثرية الديموقراطية في مجلس النواب. وكنا قد لعبنا معا قبل ثمانية ايام في مباراة للغولف والتقطت لنا مجلة "نيوزويك" صورة فيما كنا نمشي في ممر على جانب النهر وقد القى كل منا ذراعه على كتف الآخر. وكان موضوع تلك الصورة فاتحة حديثي معه. بيد اني دخلت في لب الامر بسرعة نظرا الى ان نيكسون كان سيقدم استقالته الى كيسينجر في الساعة العاشرة صباحا وستصبح نافذة عند الظهر. وقد احببت ان يحضر تيب اداء اليمين الدستورية. وسرعان ما سألني: "هل الزوجات مدعوات ايضا يا جيري؟ اني أسألك لانه سبق لي ان طلبت من زوجتي ميلي ان تعد نفسها!" فأجبته: "الزوجات، يا تيب، غير مدعوات، لكنهن الان اصبحن مدعوات فعلا".

وصمت تيب هنيهة، ثم قال: "اسمع يا جيري، لقد اعددت بيانا لالقيه في الاحتفال، واود ان تسمعه".

وصمت مرة اخرى ثم بدأ يقرأ: "اننا صديقان حميمان في علاقتنا الشخصية. وانا اكن لنزاهته وكرامته وقدراته احتراما عظيما، على رغم ان فلسفتنا السياسية على طرفي نقيض. واني اتمنى له النجاح في التقريب بين اجزاء بلادنا الممزقة حاليا، وله ان يتوقع التعاون من جانب الكونغرس وانا واثق من انه سيتعاون مع الكونغرس وبقية الكيان الامريكي في الايام المقبلة".

- رائع يا تيب. واريد ان اوكد لك اني ساعتمد علك في اسداء المشورة وتقديم العون.

وتنهد تيب وقال:

- اليست بلادنا رائعة وعظيمة يا جيري؟ ها نحن نتكلم الان هذا الكلام وفي امكاننا ان نكون صديقين، علما باني بعد ثمانية عشر شهرا من الان سأجول في طول البلاد وعرضها لاركلك باقصى ما اوتيت من عزم واسدد اليك الطعنات والانتقادات بلا هوادة.

ما اغرب هذا الاسلوب وما اعجبه اذ يخاطب به احد الناس رئيسا جديدا للولايات المتحدة! انه صورة طبق الاصل عن طباع تيب اونيل.

والواقع ان ملاحظته تلك احتوت على مقدار عظيم من الصحة. فنحن فعلا صديقان حميمان، ولكننا في ميدان السياسة عدوان لدودان. وانا لم اشك قط في انه سيبر بوعيده في اقل من ثمانية عشر شهرا، ولكن... اليس هذا هو جوهر الديموقراطية؟

المواجهة

توقعنا وصول ابننا البكر مايك وزوجته غيل من ولاية ماساتشوسيتس، ولكن لم اجدهما في المنزل عندما وصلت اليه في الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة والعشرين مساء . وكذلك ابننا الأوسط جاك لم يحضر بعد بطريق الجو من بيلوستون ناشونال بارك. لكن سوزان وستيفن

كانا موجودين، وقد فرغا للتو من تناول طعام العشاء. وبدا في تصرفهما تحفظ غير عادي لدى جلوسنا في الدار. وعلى رغم انهما لم يعرفا اسرة نيكسون معرفة وثيقة، الا انهما حزنا لما حصل واحسا بالحذر والرهبة ازاء ما سيطرأ على حياتنا من تبدّل.

كان متوقعا ان يظهر نيكسون على شاشة التلفزيون الساعة التاسعة. والواقع أني لم اقو في لحظات انتظاري على مقاومة استرجاع الماضي وروابطي وعلاقتي الطويلة به. فقد كان نيكسون من اول الزملاء الاوائل الذين التقيتهم بعد ادائي القسم الدستوري كعضو في مجلس النواب في شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٤٩. وقد تلاقت دروبنا السياسية على مر الايام عبر السنوات الخمس والعشرين التالية مرات ومرات، وتوطدت بيننا اواصر الصداقة. لقد كان نيكسون متوقد الذهن وذا حساسية مرهفة في ما يتعلق بالجو السياسي في البلاد. وهو محنك وذو قدرة فذّة على تحليل شؤون السياسة الخارجية والنفاذ اليها والبت فيها بحزم وصرامة. والحق ان سر قوته كان في اتخاذه القرارات الكبرى. وسجله في هذا الميدان قمة شاهقة. بيد انه كان يأنف من تفاصيل الامور ويسره تفويضها الى مرؤوسيه. وذلك لعمري واحد من الاسباب الكثيرة التي افضت الى استقالته الآن.

ان في معظم الناس عيوبا خفية او خصالا ملتوية لا تطفو على السطح الا نادرا. اما عيب نيكسون الظاهر فهو كبرياؤه واحتقاره ضعف الآخرين. وكثيرا ما سمعته يتكلم بخفة عن اولئك المتلونين الذين يسهل قيادهم حيثما تهب الريح. ودارت بي الافكار وانا جالس في دار منزلنا الى موضوع ووترغيت، ولم ادر ما اذا كان نيكسون قد علم مسبقا بأمر السطو. ولكن لم استطع تصور علمه بذلك، وان كشفت الاشرطة المسجلة الجديدة عن معرفته بالسطو بعد وقت قصير من وقوعه. بيد اني تفهمت الدوافع التي حملته على الشعور بأنه وقع في الفخ وان لا مخرج له منه. فبعض الذين تورطوا في السطو كانوا، مثل جون ميتشل، اصدقاء مقربين اليه، ولم يشأ ان يرغمهم على دفع الثمن او مواجهة العواقب. وحالت كبرياؤه دون ادراكه لفداحة الذنب، واعتبر الاعتراف بالحق ضعفا. وهذا في ذاته خطأ اخر.

واقتربت الساعة المرتقبة، وارتسم على شاشة التلفزيون ذلك الوجه المألوف، واستهل الرئيس كلمته قائلا:

"مساء الخير. شعرت طوال فترة ووترغيت الصعبة الطويلة ان من واجبي ان امضي قدما بثبات وان ابذل كل جهد ممكن لتولي مسؤولياتي طوال الفترة التي انتخبتموني لها. ولكن اصبح من الجلي خلال الايام الاخيرة انه لم تعد لي قاعدة سياسية قوية في الكونغرس تبرر استمراري في بذل تلك الجهود".

"لقد كان يتملكني شعور قوي بضرورة المحافظة على استمرار الاجراءات الدستورية حتى ختامها ما دامت لي في الكونغرس مثل تلك

القاعدة، لان الاقدام على اتخاذ خطوة بديلة لن يكون وفاء لروح تلك الاجراءات العسيرة المتعمدة، وانما ستصبح سابقة خطيرة لعدم الاستقرار مستقبلا. اما الآن وقد تلاشت القاعدة التي اعتمدتها في الكونغرس، فقد بت اشعر بأن اهداف الدستور استوفيت، ولا داعي لاطالة الاجراءات، خصوصا لان المضي في الكفاح عبر الاشهر المقبلة لتبرئة ساحتي سيستغرق معظم الاهتمام والوقت من الرئيس والكونغرس معا في زمن يتوجب توجيه كامل انتباهنا الى القضايا العظمى - قضايا السلام في الخارج والازدهار من دون تضخم في الداخل".

"لذلك، سأستقيل من منصبي اعتبارا من ظهر يوم غد".

طالت خطبته خمس عشرة دقيقة، واقتنعت لدى نهايتها بأن نيكسون لم يكن على صلة بالواقع. واذهلني منه ربط الاستقالة بفقد القاعدة المؤيدة له في الكونغرس. ولا يزال هذا الامر يؤرقني حتى الآن. فلو كان نيكسون على جانب اكبر من الاسف والندامة وطلب الى الامة الامريكية ان تغفر له زلته، لاستجاب الناس له بحرارة اعظم. غير انه لم يستطع ان يخطو خطوته الاخيرة في ذلك الدرب.

اذا، هذه ليلتي الاخيرة نائبا للرئيس. وها ان احتمالات التبدل في حياتي تحبس النوم عن جفني فترة اطول من المعتاد.

"في امكاننا فعلها"

وصلت صباح اليوم التالي الى المكتب التنفيذي القديم الساعة الثامنة والدقيقة الرابعة عشرة، وراجعت خطبتي ثانية، وعالجت امورا اخرى، مدركا ان نيكسون كان في اللحظة يودع اعضاء حكومته وموظفي البيت الأبيض. ولم احضر شخصيا حفلة الوداع. ولكن اخبرت في وقت لاحق ان ملاحظاته كانت فلسفية الطابع، اذ قال لمستمعيه: "تذكروا دائما ان الآخرين قد يبغضونكم، ولكنهم لن يفوزوا بشيء ابدا ما لم تبادلوهم انتم ايضا البغض. وعندئذ تدمرون انفسكم". ولو عمل هو بمقتضى نصحيته للآخرين، لما ازفت هذه الساعة.

وبعيد التاسعة والدقيقة الثلاثين، تلقيت اشعارا بان اسرة نيكسون على وشك المغادرة، فأنضممت انا وبيتي اليهما في قاعة استقبال الديبلوماسيين في الطابق الارضي من البيت الابيض. وكانت طائرة هليكوبتر جاثمة فوق ارض الحديقة الجنوبية بانتظار نقل نيكسون وزوجته الى قاعدة سانت اندروز التابعة لسلاح الجو. فمشينا نحن الاربعة نحو الطائرة، وكان الوداع مؤلما جدا لنا جميعا، وكنا كلنا، بلا استثناء، نتصنع الشجاعة ونتظاهر بالقوة. وما ان بلغنا باب الطائرة حتى وقفنا متمنين لنيكسون وزوجته السعادة والصحة الطيبة. فأمسكني الرئيس من مرفقي وأبقى قبضته لثوان اطول مما ينبغي، كأنما اراد أن ينوب بذلك عن قوله: "اتمنى لك حظا سعيدا". واخيرا حانت اللحظة المرتقبة، فنطق نيكسون بالكلام قائلا: "وداعا سيدي الرئيس".

ومد يده مصافحا، فقلت له: "وداعا سيدي الرئيس".

وتصافحنا وتراجعت انا وزوجتي خطوات، فيما ارتفعت الطائرة قليلا فوق الارض. ولوحت له بيدي للمرة الاخيرة، ثم خطفت يد بيتي وقلت لها: "في امكاننا فعلها... اننا على استعداد". ولم تجب بيتي، ولكنها نظرت الى عيني وابتسمت.

في الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخامسة والاربعين، غادرت مكتب نائب الرئيس ومشيت نحو الغرفة الحمراء في البيت الابيض حيث كانت بيتي في انتظاري. وما هي الا دقائق حتى سرنا برفقة الحرس الى الغرفة الشرقية الغاصة بالناس، وقد تبينت بينهم اولادنا الذين سددوا نظراتهم الي بمهابة واعتزاز في آن واحد.

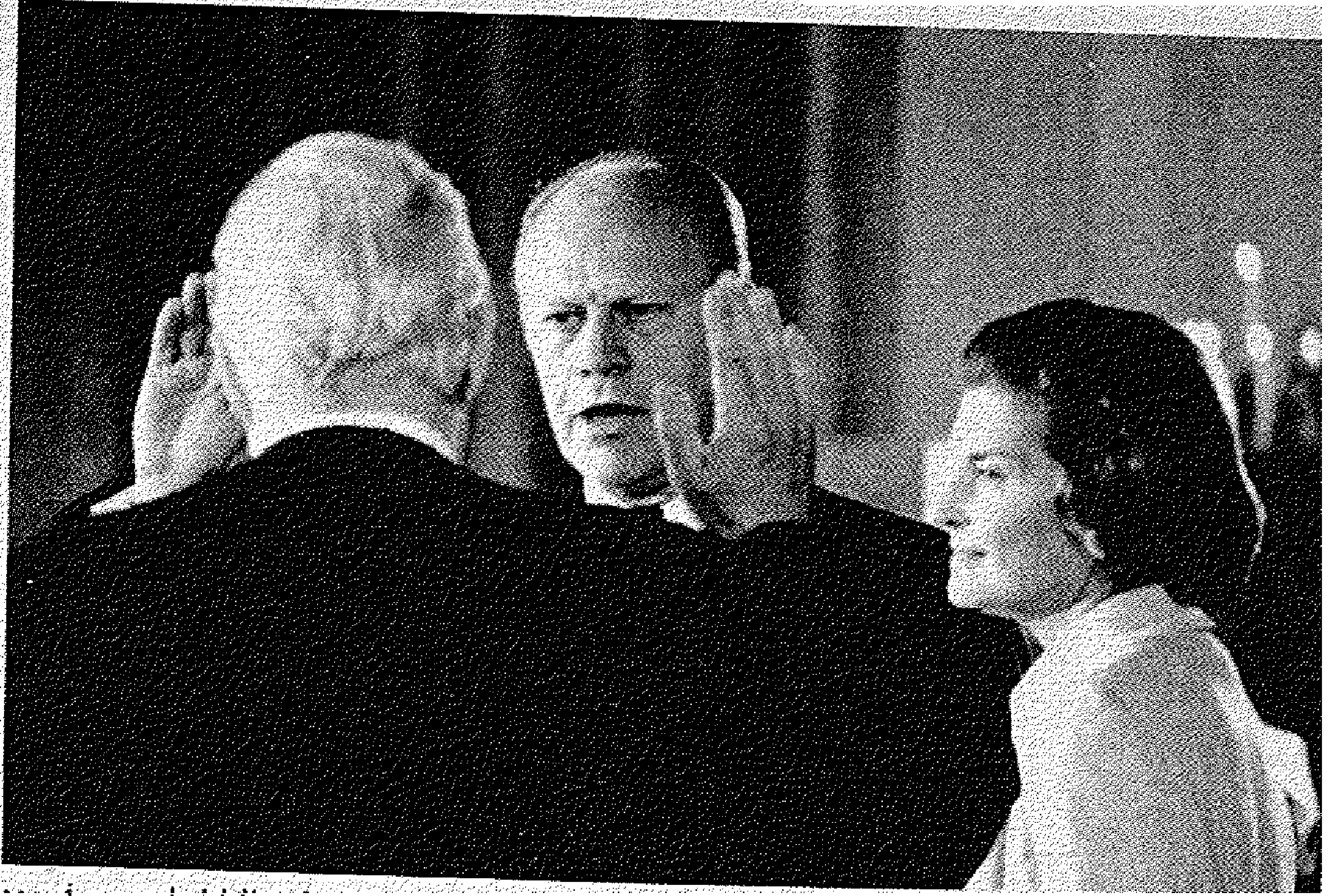
وللتو شرع رئيس المحكمة العليا السيد بيرغر يستحلفني قائلا:

- سيدي نائب الرئيس، هل انت مستعد الآن لأن تؤدي اليمين الدستورية لتنصيبك رئيسا للولايات المتحدة؟

كانت بيتي تحمل الكتاب المقدس، فوضعت يدي فوقه وكررت القسم بعد بيرغر. ثم تقدمت الى المنصة متيقنا من ان اعين العالم تراقبني، وشرعت اقول:

"ان اليمين التي اديتها هي اليمين الدستورية عينها التي اداها جورج واشنطن وكل رئيس للولايات المتحدة من بعده بمقتضى الدستور. غير اني اتسلم مهمات الرئاسة في ظروف غير عادية لا عهد للامريكيين بمثلها من قبل، وان هذه لساعة من التاريخ تؤرق الفكر وتؤلم القلب.

"ولهذا اشعر بانه من واجبي في



جيرالد فورد يؤدي اليمين الدستورية كرئيس للولايات المتحدة بعدما استحلفه رئيس المحكمة العليا وارين بيرغر يوم ٩ اغسطس (آب) ١٩٧٤· وتبدو السيدة فورد الى اليمين·

حدثان الامر ان اتقدم متضامنا مع ابناء وطني لا بخطاب استهلالي ولا باقصوصة تروى حول مواقد النار ولا بخطبة حملة انتخابية، وانما بميثاق لم يسبق له مثيل، هو مجرد كلام صريح قصير بين اصدقاء·

"اني مؤمن بان الحق هو الغراء الذي يلاحم بين اطراف الحكومة· ولا اعني حكومتنا فقط، بل المدنية ذاتها· ولئن كان ذلك الوثاق قد أجهد او توتر، الا انه لم يستدع، لا في الوطن ولا خارجه·

"واني، بصفتي رئيسكم، اتوقع ان انهج في كل اعمالي الخاصة والعامة نهج ما تمليه علي فطرتي في الصراحة والانفتاح، واثقا من ان النزاهة خير سياسة على الدوام·

"يا ابناء وطني،

"ان كابوسنا القومي قد انتهى وزال· والدستور هو الباقي· وجمهوريتنا العظيمة هي حكومة قوانين لا حكومة رجال· وهنا الشعب هو الذي يحكم·

"لقد سألتكم في بدء كلامي ان تصلوا من اجلي· وها انا في ختام اتوجه اليكم طالبا صلواتكم من اجل ريتشارد نيكسون واسرته، لعل الرئيس السابق الذي اتى بالسلام الى الملايين يجد سلاما لنفسه·

"واني - بكل ما اوتيت من قوة وم اكسبتني اياه الحياة من حكمة وبكافة ما يوليني افراد اسرتي واصدقائي والموظفون المتفانون في اعمالهم من ثقة، وبكل النيات الحسنة من عدد لا يحصى من الامريكيين - اؤكد بحزم تعهدي بأ

احافظ على الدستور وان اعمل ما هو حق حسبما يلهمني الله، وان ابذل قصارى جهدي من اجل امريكا.

"وبأزر الله وعونه، لن أخيب آمالكم".

"مدمنو ووترغيت"

حين اصبح جون كينيدي رئيسا عام ١٩٦١، ناشد الشعب بفتح "الحد الجديد" واقسم على ان يقودنا بعيدا عن سلبية عهد ايزنهاور. اما ليندون جونسون فقد كانت لديه رؤى افخم وأجل عندما أكد ان في امكان الحكومة الاتحادية ان تفعل اي شيء حالما تتوافر له الاموال. وتعهد ريتشارد نيكسون بان "يؤلف ما بيننا ويجمع شملنا"، واذا برئاسته تحقق نتيجة معكوسة. وها هي البلاد منذ ايام جون كينيدي تتقاذفها ضربات من حوادث الشغب في مدننا الكبيرة والاغتيالات السياسية وحرب دموية مفرقة للشمل ومسببة للشقاق. اضف الى هذه وتلك بهرجة مشهد ووترغيت السقيمة. فلا غرابة، اذاً، ان شعرت عندما اصبحت رئيسا بأن ما نحتاج اليه هو وقت للشفاء.

ان السنوات المثقلة بالفضائح والشكوك والارتياب بلغت اوجها في استقالة نيكسون، وحطت من معنويات امتنا التي فقدت ثقتها برؤسائها المنتخبين وبمؤسسات حكومتها. وما لم اقم انا بما يرد اليها الثقة والاعتبار، فلن افوز بموافقتها على الاتيان بأي عمل آخر. وقد قال برايس هارلو ان اثمن ما يمكن ان ارجو تحقيقه في ايامي الاولى هو ان استبدل عبوس الامة بابتسامة. ولم يسعني سوى الموافقة على ملاحظته، خصوصا لان نيكسون احجم عن الحديث الى المراسلين وامتنع عن التعامل مع الكونغرس وانقطع عن مخاطبة الشعب. وقد ترتبت علي مهمة النهوض بهذه الامور الثلاثة مجتمعة.

كانت علاقاتي مع الصحافيين ممتازة منذ ايام عضويتي في الكونغرس وخلال الفترة التي قضيتها نائبا للرئيس. وكنت فعلا اتطلع بشوق الى مؤتمري الصحافي الاول يوم ٢٨ اغسطس (آب). وتوهمت ان رجال الصحافة سيركزون اهتمامهم على الاقتصاد واعادة تنظيم موظفي البيت الابيض والمبادرات التي نويت اتخاذها في السياسة الخارجية. لكن هارتمان لم يشاركني تطلعاتي الى المؤتمر، بل حذرني من ان السلك الصحافي لا يكترث الا لقضية واحدة هي قضية نيكسون. فكيف اواجهه؟ لكني لم اعر وضع نيكسون القانوني اي تفكير، خصوصا لان سلطات مسؤولة كانت تنظر في امره. وبدا لي من غير اللائق ان توجه الصحافة الي اسئلة عن رجل مصيره مرهون في يد المدعي العام المختص بقضيته والمحاكم. ولكن اقر بأني كنت على ضلال في رأيي. فما ان ابتدأ المؤتمر حتى انطلق السؤال الاول من مندوبة وكالة "يونايتدبرس"، هيلين توماس، حول ما اذا كنت اعتقد انه يجب ان يتمتع نيكسون بالحصانة. وتوالت بقية الاسئلة التي لم تعد كونها تنويعات للنغمة ذاتها.

وبعد انتهاء المؤتمر عدت الى مكتبي، وسألت مستشاري كم سيدوم اهتمام الصحف بهذا الموضوع وهل

ستوجه الي الاسئلة كل مرة عن مصير نيكسون. فأجابوا جميعا بالتأكيد، قائلين ان السؤال باق ما بقي وضع نيكسون القانوني ومصير اوراقه واشرطته غامضين.

والانكى من ذلك كله هو ادراكي في ما بعد ان اجاباتي يمكن بل يرجّح تفسيرها من وجوه عدة. فقد اجبت، مثلا،عن سؤال هيلين توماس عما اذا كنت اوافق على رأي نيلسون روكفلر في وجوب منح ريتشارد نيكسون حصانة من النيابة العامة بالايجاب، بينما قلت ردا على سؤال آخر اني اعتقد "ان المدعي العام ملزم بأن يتخذ اي اجراء مناسب في حق اي فرد وفي حق الجميع". هذان الجوابان متناقضان في فحواهما، ولم ادر كيف اتحاشى مثل هذا التباين.

ان البلبلة التي ادركت انها ستنجم عن ملاحظاتي والاحساس بان الغموض سيزداد الى ان تسوّى قضية نيكسون نهائيا دفعاني الى مجابهة المسألة باسلوب مباشر سعيا الى ازاحة هذا الحمل الذي تربع كالقرد فوق كتفيّ. وكنت فعلا قد بدأت اصارع في ذهني سؤالا مهما هو: من الذي له الحق الشرعي في اوراق نيكسون وأشرطته؟ لان الموضوع بدأ يقحم نفسه في جدول اعمالي بالحاح متزايد يوما بعد آخر وينهب اوقاتي التي كنت في أمس الحاجة اليها للنظر في الشؤون الاقتصادية المضطربة والمشكلات السياسية الخارجية المتراكمة في ارجاء العالم. وهكذا لم يعد يمكنني، في غمرة ضغوط القضايا المهمة الحرجة التي اخذت تضيق الخناق علي وعلى امتي كلها، ان اعطل كل عمل آخر لا لشيء سوى الرد على سيل لا ينقطع من الاستفهامات عن وضع نيكسون القانوني.

وهكذا، انتحيت عقب المؤتمر الصحافي الاول بمساعدي القانوني فيل بوكن وقلت له: "يا فيل، لست ادري ما الذي ساقرره. انما يجب ان احصل على بعض المعلومات. وقد أردت ان اعلم ما اذا كان يحق لي، بصفتي رئيسا، ان اعفو عن شخص لم تسبق محاكمته او ادانته. وهل يمكن ان اصدر عفوا لا يتضمن اشارة الى جناية محددة؟ وهل يجوز اصدار عفو عام؟

وفي الايام التالية أعطيت احتمال العفو اعتبارا مستمرا ومؤرقا. على اني، وان كنت لم اتوصل بعد الى قرار محدد، الا ان عددا من الاستنتاجات الرئيسية بدأ يتبلور ساعة بعد أخرى ويتجسد اكثر فأكثر. وكان في مقدم ما اخذته في الحسبان عدم اقتناعي بان البلاد تريد ان ترى رئيسا سابقا للولايات المتحدة سجينا خلف القضبان. فنحن شعب يتوق ليس الى الانتقام بل الى الغفران. وهذه سمة متأصلة في صميم التقاليد الامريكية. وفي نظري ان نيكسون قاسى ما فيه الكفاية وان استقالته كانت اعترافا ضمنيا بالذنب وانه سينوء على مدى الايام تحت ثقل علمه بان افعاله حطت من قدره في أعين مواطنيه. ومع ذلك، لم تكن دوافعي منبثقة أساسا من الشفقة لمصابه او القلق على وضعه الصحي، وانما الذي قضّ مضجعي هو حال بلادنا الصحية.

لقد صدق الميجور بوب باريت، احد الاعوان العسكريين، حين قال: "نحن جميعا مدمنون على ووترغيت. بعضنا يتعاطاها حقنا في العروق، وبعضنا يستنشقها بالشم، والبعض الآخر يضيف اليها "رشّة" لتغيير نكهتها. ولكننا كلنا مدمنون عليها، وسيستمر هذا الادمان الى ان يقوم بين الناس قائم يعلن على الملأ اننا كأمة يتوجب علينا ان نكف عن تعاطيها على الفور وان ننقطع عنها نهائيا، والا متنا من فرط تجرعها".

ما خالجني شك مطلقا في ما سيحدث لو سمحت للتهم الموجهة الى نيكسون بأن تأخذ مجراها القانوني. عندئذ ستأخذ القضية أشهرا طويلة بين اجراءات توجيه التهمة واجراءات المحاكمة، وسيستغرق البت فيها نهائيا سنوات. فان قصر امدها فلن تنتهي قبل عامين على الاقل، وان طال دامت ست سنوات كحد اقصى. وفي خلال ذلك ستهيمن قصتها وتطغى على كل شيء سواها، ولن تقوى على منافستها اي قضية اخرى. فأي مشهد سيكون اشد اثارة من مشهد رئيس دولة سابق يجاهد من أجل بقائه خارج السجن؟ وسيستحيل عندئذ توجيه الانتباه الى اي مشكلة اخرى، وستجتاح البلاد لسنوات امواج متلاطمة من المماحكات والمهاترات مما سيعود عليها بالوبال، في حين انها تحتاج الى الانتعاش لا الانتقام، والى تنقية الكيان الامريكي من تلك الكراهية كيما تبدأ عملية الشفاء.

العفو

احتفظت بهذه الافكار سرا مطويا في صدري. وفاتحت خمسة من كبار معاوني حول امكان العفو، وهم بوكن وهيغ وكيسينجر وهارتمان ومارش، واستحلفتهم فردا فردا بكتمان الامر. وكنت اعلم ان بوكن يحبذ الفكرة. اما كيسينجر فقال انها في اعتقاده عمل سليم لان مشهد محاكمة رئيس سابق سيضر بسمعة بلادنا دوليا. بينما اعرب هارتمان ومارش عن تحفظاتهما، ولكنهما لم يعترضا على عدالة الفكرة او يخالفاني الرأي في انها السبيل الاوحد لتصفية القضية واقصائها بعيدا عن المكتب البيضوي الرئاسي. غير انهما شعرا في الوقت نفسه بأن من واجبهما تقديم حلول بديلة. وقد قال هارتمان: "سيدي الرئيس، المسألة ستشن عليك نيران الجحيم من جانب الصحف وسيجن جنون السلك الصحافي في البيت الابيض".

اجتمعت مرة اخرى مع فيل بوكن في ٣ سبتمبر (ايلول) فأفادني بأن صلاحية العفو مخولة للرئيس وانها صلاحية موغلة في القدم وتستند الى اسبقيات يرجع تاريخها الى زمن يسبق عهد الآباء المؤسسين الذين وضعوا الدستور وتبنوه. والجدير بالذكر ان هذه النقطة بالذات اثيرت في مؤتمر الدستور وقرر عندئذ تخويل الرئيس صلاحية العفو قبل الادانة. وفي تاريخنا اسبقيات كثيرة تؤيد هذه النظرة، فضلا عن الحكم الذي اجازته المحكمة العليا بأن العفو "ينطوي على تثبيت الذنب، وقبوله، والاعتراف به".

ولم أكن قد اتخذت قراري النهائي بعد، ولكن اتضح لفيل اني كنت أنزع الى اصدار عفو، فقال: "انظر. في

اعتقادي انه يجب عليك، ان كنت مزمعا على هذا الامر، ان تتيح لي الفرصة لارى الحد الذي يمكن الذهاب اليه للحصول على اتفاق حول الاوراق والاشرطة.

حقا ان القضية كانت اعوص واشد تعقيدا مما بدا للوهلة الاولى. ففي البيت الابيض وفي المكتب التنفيذي القديم قرابة ٩٥٠ شريطا مسجلا و٤٦ مليون ورقة مدونة تعتبر من وجهة تقليدية ووفقا للقرارات التي اصدرها الرجال الذي شغلوا منصب المدعي العام ملكا للرئيس السابق. وكان نيكسون متلهفا للحصول عليها، الا ان المدعي العام ليون جاورسكي، الذي كلف النظر في قضية نيكسون، كانت له هو الآخر مصلحة في رؤية المواد، كما كانت لهيئة الدفاع في قضية ووترغيت مصالح فيها. وتوجب علينا ان نوفق، بطريقة ما، في ارضاء هذه المصالح المتضاربة وان نفعل ذلك باسلوب يطمئن جميع الناس بعدم اتلاف هذه المواد او تعديل شيء فيها، خصوصا في ضوء اكتشاف فترة صمت في احد الاشرطة تدوم ثماني عشرة دقيقة ونصف دقيقة، وهو شريط يعدّ بالغ الاهمية.

بدأ قرار العفو في المباحثات اللاحقة يتبلور ويتخذ اطار ارتباط متين باتفاق يتحكم بهذه المواد ويقترن ببيان من نيكسون يعترف فيه بتورطه في ووترغيت. وسعيا الى انجاز مثل هذا الاتفاق، اراد هيربرت ميلر (جاك)، محامي نيكسون، ان يتوجه الى سان كليمنت واقترح اصطحاب احد موظفيّ القانونيين. فاخترت بنتون بيكر الذي شغل سابقا منصب النائب في وزارة العدل والذي يعمل الان لحسابه الخاص، وكلفته بالمفاوضة على اتفاق يشمل الاوراق والاشرطة وبالبحث مع نيكسون حول استجابته في حال اتخاذي قرارا بالعفو. وخوّلت بيكر ان يقول له الآتي: "ليس هذا الامر مفروغا منه، ولكنه من أكثر الاحتمالات ترجيحا".

ولدى عودته الى واشنطن، روى لي بيكر قصة مثيرة جدا. فهو لم يكد يصل الى سان كليمنت في وقت متقدم جدا من الليل حتى بادره رون زيغلر، السكرتير الصحافي السابق لنيكسون، بقوله: "دعنا نبحث الموضوع من أوله. ودعني اوضح لك ان نيكسون لن يصدر اي بيان من اي نوع على الاطلاق بخصوص ووترغيت، سواء أعفا عنه جيري فورد او لم يعفُ".

ها أنذا أجابه مرة أخرى بالموقف المتحدي ذاته الذي طالما اعرب عنه زيغلر ايام خدمته سكرتيرا صحافيا للرئيس. وها هوذا يشير الى نيكسون وكأنه لا يزال رئيسا، ويكنّيني كعادته باسمي الاول مجرّدا، للاستخفاف. بيد ان بيكر ما ان سمع منه ذلك الكلام حتى هدد بان يقفل راجعا لتوّه. وعندها تدخل ميلر وافلح في تهدئتهما حتى اتفقا على اللقاء ثانية في اليوم التالي.

تركزت المفاوضات في النهار التالي على الاوراق والاشرطة. وبحلول نصف النهار، تم التوصل الى حل وسط هو ان يتقاسم نيكسون الاوراق والاشرطة مع الحكومة، بحيث يكون هناك مفتاحان لمكان خزن تلك المواد، احدهما في يد نيكسون

والآخر في حوزة الحكومة. وسيكون نيكسون وحده الذي يخوّل مدّعيه العام او اي شخص سواه حق التدقيق في محتوياتها. واتصل بيكر هاتفيا بفيل بوكن الذي اعلمني بتفاصيل الامر. وبدا لي ان بنتون وفيل مقتنعان بأن ذلك افضل ترتيب يمكن اعتماده. فاتخذت، بناء على توصياتهما، قرارا بقبول الاتفاق. ثم تحولت المباحثات في سان كلمينت الى رد فعل نيكسون في حال منحي اياه العفو. وكانت المسودة التي اعدها زيغلر بادىء الامر بمثابة الكارثة في نظر بيكر، لانها تخلص الى نتيجة انه كان ينبغي على نيكسون ان يعطي موظفيه صلاحية اقل في التصرف. وذلك كل ما في الامر.

وأعد زيغلر ثلاث مسودات أخرى لم يرض بيكر عن اي منها، لانها لم تكن "الاعتراف الكامل" الذي كان يأمل في الحصول عليه من الرئيس السابق، ولانه ظن ايضا ان المسودة الاخيرة ستقصر كثيرا عما توخيته انا. وعلى رغم ذلك، فقد ظن بيكر أن نيكسون ربما صرح بجل ما يمكن ان يصرح به، وأن القرار النهائي يعنيني انا وحدي. لذلك ابلغ زيغلر بأنه سيحمل المسودة الاخيرة الى واشنطن ليرى ما اذا كانت تفي بالغرض المطلوب. وطلب - متذكرا تعليماتي له - مقابلة نيكسون شخصيا. لكن زيغلر رفض ذلك. وتدخل ميلر مرة اخرى قائلا انه لا يرى ضيرا في المقابلة. وأخيرا قال زيغلر: "حسنا. يمكن ان تدخل الى مكتبه الان".

كان المكتب صغيرا جدا ومظهره يدل على ان صاحبه انتقل اليه أخيرا. وكان نيكسون يجلس وراء الطاولة ويبدو - حسبما ابلغني بيكر في وقت لاحق - متزعزعا، وقد اخذت منه الشيخوخة مأخذها خلال الشهر الذي مضى على استقالته. وكانت مصافحته واهنة جدا.

وشرع بيكر يخاطبه: "سيدي الرئيس، لقد انجزنا انا واعوانك اهدافا حسنة جدا للأمة ولك شخصيا في ما يتعلق باوراقك".

ولم تبدو اي استجابة من نيكسون الذي تكوّر في كرسيه وكأنه لا يستطيع متابعة مجرى الحديث، مثله مثل شخص على وشك ان يفقد ارادة الحياة. وانتقل بيكر الى موضوع العفو قائلا: "انا متأكد من ان السيد ميلر والسيد زيغلر قد أبلغاك ان الرئيس فورد يفكر الان في العفو. كما اعلم انهما أطلعاك على مسودة الوثيقة. لكن هناك امورا محددة يجب ان تعرفها بالنسبة الى العفو، ومن واجبي التأكد من انك عالم بها".

أراد بيكر ان يكرر وجهة نظر البيت الابيض في ان قبول العفو ينطوي على اعتراف بالذنب. غير ان نيكسون لم يشأ طرق الموضوع. وبدلا من ذلك سأل عن مكان اقامة بيكر، ودهش حين عرف انه من واشنطن. وحين أكد له بيكر ذلك، سأله الرئيس الامريكي السابق: "قل لي ما حال فريق "ردسكينز" (لكرة القدم) هذا العام؟"

- لست ادري، سيدي الرئيس، انما لدينا مواضيع مهمة للكلام حولها.

ومرة اخرى أكد له بيكر النقطة الجوهرية، وهي ان قبول العفو يشكل

اعترافا بالذنب. فلم يزد نيكسون على التلفظ بهمهمة: "آه ها".

لقد كان تركيزه محدودا وملاحظاته قصيرة ومبتورة. وبعد نحو عشرين دقيقة غادر بيكر المكتب وانتظر مع ميلر وصول السيارة التي تقلهما من سان كليمنت. وفي تلك الساعة جاء زيغلر واستدعى بيكر لان نيكسون اراد مقابلته مرة أخرى.

- لقد كنت دمثا معي، وأنا عييت من كثرة المتمرّين.

وتلعثم نيكسون في كلامه وحول نظره بعيدا، ثم أضاف بعد برهة: "اريد ان اعطيك شيئا. ولكن انظر: لم يعد في المكتب شيء لانهم اخذوا مني كل الاشياء".

وشعر بيكر بحرج شديد وقال: "لا بأس، لا بأس سيدي الرئيس".

وقاطعه نيكسون: "لا، لا، لا. لقد طلبت الى بات ان تحضر الي هاتين...". وفتح نيكسون درج طاولته وأخرج علبتين صغيرتين فيهما زرّان لكمَّي القميص ودبوس لربطة العنق، وقال: "لقد جاءتني بها بات من صندوق مجوهراتي الخاص. ولن تجد في الدنيا مثيلا لها، واريدك ان تحتفظ بها".

تناول بيكر العلبتين وصافح نيكسون وخرج بأقصى ما اوتي من سرعة، لانه لو تريث لحظة أخرى لانهارت اعصابه وأجهش بالبكاء كما أخبرني. ومضى يقول: "لست طبيبا، وانما يخامرني شك كبير في ان يعمر ذلك الرجل حتى الانتخابات".

فقلت له: "لا يزال عام ١٩٧٦ بعيدا".

وأجاب: "لا أعني ١٩٧٦، وانما ١٩٧٤".

لم يكن بيان العفو من جانب نيكسون ملائما. وكنت اخاله سيكون اكثر استجابة لفكرة تصفية القضية، ولكنه لم يكن مستعدا بالمقدار الذي توخيته. فقد خلا بيانه من الاعتراف بالذنب. وشعرت بخيبة الامل، علما بأني كنت اقدم على مغامرة خطرة لم يستجب هو لها بالحساسية اللازمة.

الحق اني كنت قد توصلت الى قراري قبل ان يتوجه بيكر جوا الى سان كليمنت، لانه ليس في وسع المرء ان يتباطأ كثيرا في انتزاع ضمادة الجرح، ولايماني بانه كلما اسرعت في اصدار العفو كان في ذلك خير للبلاد. وقررت اعلان القرار صباح اليوم التالي، اي الاحد ٨ سبتمبر (ايلول). لكن الامور تشابكت على الفور عندما اتصل بيكر هاتفيا بسان كليمنت ليجد ان زيغلر شرع يعدّل في بيان قبول نيكسون العفو ويخفف من لهجته. وقال بيكر: "اخشى، اذا هو استمر على هذا المنوال، ان نعود من حيث أتينا".

فقلت له: "اتصل بزيغلر واعلمه اننا لن نحتمل مزيدا من الضعف في البيان". وقد أثر هذا الكلام معه، واوقف محاولاته في تغيير كلمات نيكسون.

وقبيل الحادية عشرة صباحا دخل فريق مصوري التلفزيون ومهندسي الصوت الى المكتب البيضوي. وما ان ابصرت الضوء الاحمر يومض في اسفل عدسة الكاميرا حتى قرأت الآتي:

"سيداتي سادتي، لقد توصلت الى قرار شعرت بضرورة اعلامكم وجميع المواطنين الامريكيين به حالما أيقن

عقلي واقتنع ضميري بأنه العمل الحق.

"ان ضميري يملي علي، في وضوح ويقين، انه ليس في وسعي ان اطيل أمد الاحلام المزعجة التي ما زالت تعيد وتجتر فصلا من كتاب قد طوي. ان ضميري يقول لي اني انا وحدي، بصفتي رئيسا للبلاد، أملك السلطة الدستورية لطيّ صفحة هذا الكتاب بحزم وبصورة نهائية. وضميري يحدّثني بان واجبي لا يقتصر على اعلان الهدوء والسلام في الداخل، وانما يحتم علي استخدام كل وسيلة في متناول يدي لضمان ذلك".

ثم بدأت قراءة اعلان العفو نفسه:

"وهكذا، فانني انا، جيرالد فورد، رئيس الولايات المتحدة، قد منحت الان، وفقا لصلاحية العفو التي خولني اياها الدستور، عفوا كاملا وحرا ومطلقا لشخص ريتشارد نيكسون عن جميع الذنوب التي ارتكبها في حق الولايات المتحدة، او الذنوب التي ربما ارتكبها او اشترك في ارتكابها خلال الفترة الممتدة من ٢٠ يناير (كانون الثاني) ١٩٦٩ حتى ٩ أغسطس (آب) ١٩٧٤".

وأخيرا انتهت القضية. وشعرت كأن حملا ثقيلا لا يتصوره العقل ارتفع فجأة عن كتفيّ. لقد اتخذت قرارا محقا بكل تأكيد. ويمكنني الان استئناف اعمالي من دون ان يطاردني نيكسون او تتعقب مشكلاته خطواتي. وسيمكنني - ولا شك - أن أكرس اوقاتي تكريسا تاما للمشكلات الكثيرة التي تواجهني وتواجه الامة.

ولكن لم يمض وقت قصير حتى ادركت كم كنت مخطئا في ظني.

ردّ الفعل

حظيت خلال الشهر الاول من فترة رئاستي بتغطية صحافية مكثفة يتمناها ويكاد لا يحصل عليها اي رجل سياسي. ولكن ايقنت، بفضل تمرّسي في السياسة زمنا طويلا، ان مثل هذه الشعبية الهائلة لا تدوم ابد الدهر. أما ان تردّ الصحف على قرار العفو بشن حملة عدائية عنيفة ضدي، فهذا ما لم اتوقعه. ويبدو لي ان بعض معارضي نيكسون تمنوا رؤيته مسحولا مقطع الاوصال، فيما كنت أظن ان الناس سيعتبرون استقالته في ذاتها عقوبة وأهانة فيهما الكفاية. وتوقعت ان ألمس روحا على جانب اعظم من التسامح، وان يتفهم الناس الاسباب التي حدتني على اتخاذ القرار.

وهكذا اصبح اجراء العفو سببا لأكبر خيبة عرفتها في فترة رئاستي، اذ رأيت الناس يركّزون اهتمامهم على الشخص لا على القضايا المحدقة بهم. ولكم تمنيت ان يتفهم الناس ان قراري بمنح العفو لم تكن له صلة بأي عطف قد اشعر به تجاه نيكسون شخصيا او بأي قلق على وضعه الصحي. ومهما يكن الامر، فانه يجدر بي ان أقرّ بأن حديثي التلفزيوني لم ينجح في التأكيد على نحو ملائم على اني اردت ان اكرّس كل اهتمامي للامور الخطيرة في مجالي الاقتصاد والسياسة الخارجية، كما أخفق في التركيز الوافي على الناحية القانونية، وخصوصا ما صدر عن المحكمة العليا من ان العفو ينطوي على الاعتراف بالذنب.

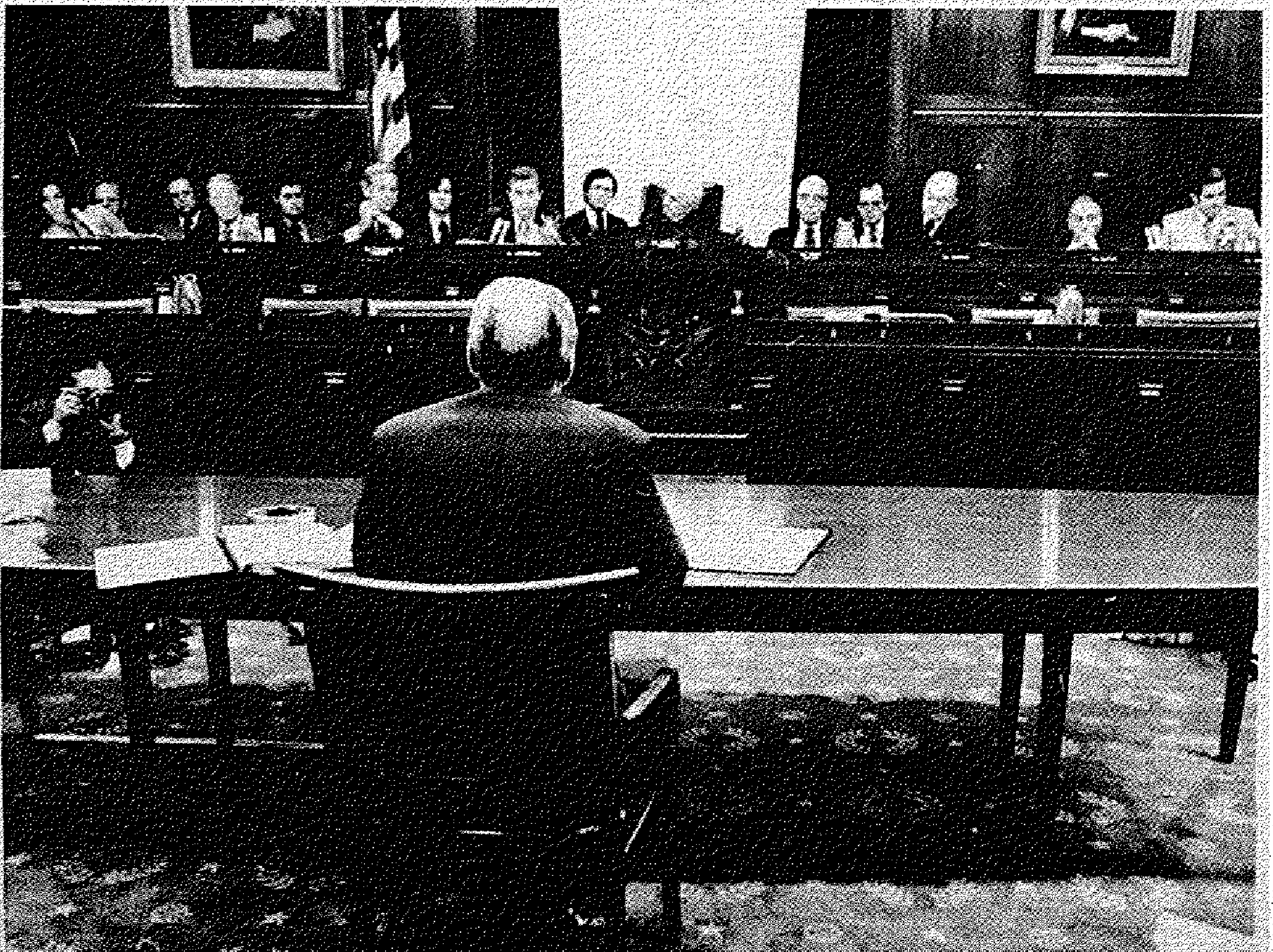
كنت اعرف يوم اصبحت رئيسا ان الرئاسة لن تكون بساطا من الورد وان القرارات القاسية تتمخّض احيانا عن

ردود فعل عنيفة. بيد اني لم اكن مهيّأ لاستقبال الاتهامات التي زعمت ان العفو جاء نتيجة "صفقة سرية" دُبِّر امرها مع نيكسون قبل استقالته، وان اختياري صباح يوم الاحد - وهو وقت يقل فيه عدد المتفرجين على التلفزيون - موعدا لاذاعة العفو هو "برهان" على وجود مؤامرة.

وفي صباح يوم الاثنين نقلتني طائرة سلاح الجو الرقم ١ - وهي طائرة الرئيس الامريكي - الى بيتسبورغ حيث كان مقررا ان القي خطابا. واذا بمتظاهرين يستقبلونني بهتافات: "احبسوا فورد، اسجنوه"، بينما وقف عامل بالقرب من سياج المطار يصرخ في المراسلين: "المسألة مدبرة. قال لنيكسون: هاتِ المنصب وسأعطيك العفو". وشعرتُ عندئذ بأني، بدلا من ان اشفي الجراح بقراري، فركتها بالملح.

وبدأ يتضح لي في نهاية الاسبوع الاول من اعلان العفو مدى الضرر السياسي الذي لحق بي. ومن بين اربعة آلاف رسالة الى البيت الابيض، كان عدد الرسائل المؤيدة اقل من ٧٠٠. وتدنَّت شعبيتي في استفتاء الرأي العام تدنيا حادا من ٧١ في المئة الى ٤٩ في المئة.

وفي ١٦ سبتمبر (ايلول)، عقدت مؤتمري الصحافي الثاني منذ تسلمي منصب الرئاسة. وطرح فيه اثنان



الرئيس فورد يدلي بشهادته امام اللجنة الفرعية للقانون الجنائي في ١٧ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٤.

وعشرون سؤالا، خمسة عشر منها تتعلق اما بالعفو واما بالاتفاق الخاص باوراق نيكسون وأشرطته. وكانت نبرة الاسئلة تنضح بالشبهات: هل كان لديك "سبب سري" لمنح العفو؟ لماذا اخترت اعلان القرار "صبيحة الاحد على حين غرّة"؟ هل العفو "يسعف حقا في تضميد جراح الامة"؟ هل هناك "نوع من الترتيبات والصفقات" بينك وبين الرئيس السابق؟ وأيقنت هنا ايضا اني لم افلح في عرض المسألة عرضا سليما ووافيا.

فترة "اللاصفقة"

مرت بضعة اسابيع وانا اصارع الشؤون الاقتصادية واعالج مشكلات خطيرة في نطاق السياسة الخارجية. وبدأت تخمد تدريجا نيران الاحتجاج العام على قرار العفو. الا ان عددا من الليبراليين الديموقراطيين في الكونغرس ظل يحاول فتح القضية من جديد "ليرى ما اذا كان هناك صفقة". وتقدموا، حالما منحت العفو، بعدد من الاقتراحات ذات الاولوية في مجلس النواب التي تطلب مني التجاوب مع تحقيقاتهم. والامر الذي يفعله رئيس الجمهورية في معظم الحالات بالنسبة الى قرار ذي اولوية هو انه يحيله الى مسؤول حكومي يتمتع بصلاحيات في موضوع الخلاف. وعلى رغم ذلك، لم يسعني في حال العفو تفويض الصلاحية الى اي شخص اخر لانها صلاحية منوطة بي وحدي.

والواقع ان وليم هانغيت، النائب الديموقراطي ورئيس اللجنة الفرعية للقانون الجنائي المنبثقة عن اللجنة التشريعية في مجلس النواب، لم يكن مهتما بمتابعة القضية. غير ان نوّابا ثلاثة - هم جون كونييرز وبيلا آبزوغ واليزابيت هولتزمان - الحّوا عليه طالبين جوابات محددة عن اسئلتهم. واستشاط غضب تلك المجموعة من النواب حين ارسل اليها احد موظفي البيت الابيض رزمة من البيانات الرئاسية ونسخا مدونة لمؤتمري الصحافيينّ وحاولنا حينذاك ان نضع مسودة لرسالة تجيب عن اسئلة النواب، ومنها: "هل سبق ان بحثت في مسألة العفو مع أي عضو من موظفي نيكسون قبل ان تصبح رئيسا؟" وكان الاشخاص الوحيدون الذين علموا بما دار خلال اجتماعي مع هيغ يوم الخميس الاول من اغسطس (آب) هم هارتمان ومارش وهارلو. وأخيرا قلت:

- اتدرون؟ اراهنكم بأن خير ما يمكنني فعله هو التوجه بنفسي الى "كابيتول هيل" للادلاء بافادتي ووضع النقاط على الحروف.

وعارض هذا الرأي بوكن وآخرون على اساس عدم وجود سابقة في تاريخ امتنا الرئاسي لمثل هذه الخطوة. فلم يسبق، على حد علمهم، ان ادلى الرئيس التنفيذي منذ زمن جورج واشنطن بشهادته في جلسة رسمية تعقدها لجنة من الكونغرس.

لم يكن لدي ما اخفيه. والظهور امام اللجنة خير من توجيه رسالة يمكن ان يقتطف منها اعضاء اللجنة اقوالا خارج نصوصها. فضلا عن انه اذا ما أحجمت الان عن الادلاء بافادتي، فسيستمر الجدل وتتكاثر انواع الاستنتاجات العجيبة والغمزات والتقولات. والسبيل الوحيد لقطع الطريق عليها هو مجابهة اعضاء اللجنة وجها لوجه.

توجهت الى "كابيتول هيل" يوم ١٧ اكتوبر (تشرين الاول)، ودخلت الغرفة ذات الرقم ٢١٤١ في مبنى "رايبورن هاوس"٠ وكانت تلك هي الغرفة نفسها التي مثلت فيها خلال جلسات التحقيق قبل تثبيتي في منصب نائب رئيس الجمهورية، وذلك قبل قرابة عام واحد من هذا الوقت٠ وجلست على كرسي الشاهد وفسرت لاعضاء اللجنة ان العفو كان يرمي الى "تبديل محور اهتمام امتنا، لانني اردت ان ابذل ما في وسعي لزحزحة انتباهنا من مطاردة رئيس كبا جواده الى ملاحقة الاحتياجات الملحة لامة جديدة"٠وذكرت أمر اجتماعي مع هيغ في الاول من اغسطس (آب)،وأكدّت على ان العفو - كما قال هيغ - لم يكن سوى خيار واحد بين عدد كبير من الخيارات التي بحثهارجالالبيت الابيض في ذلك الوقت، وعلى اني لم آت بفعل او قول يستشف منه حتى الميَل المجرَّد الى فكرة او أخرى٠ ثم توقفت عن الكلام في انتظار اسئلتهم٠

شكر اعضاء اللجنة قراري بالمثول امامهم، واعربوا عن املهم في ان تجلو شهادتي ذلك الصباح أي شكوك متبقية ازاء العفو٠ وكانوا جميعا لطفاء الا اليزابيت هولتزمان، النائبة الديموقراطية المتعصبة لحزبها، وهي من بروكلين (ولاية نيويورك)٠ وسرعان ما اتضح انها لن ترضى بأي شيء اقوله واعربت عن "فزعها" من ان "التحقيق الذي جرى اليوم لن يعطي الشعب الامريكي الحقيقة كاملة" بالنسبة الى قرار العفو٠ وعلقّت هي نفسها على اسئلتها، مؤكدة انها تنبثق من "شبهات قاتمة جدا ثارت في اذهان المواطنين"٠ وأضافت ان كل شخص يحار في ما اذا كانت هناك صفقة ما٠ وعندها استطعت ان اقحم قولي بين كلماتها المتدفقة: "لم تكن هناك اي صفقة بتاتا في اي ظرف او قالب"٠

بيد انها، بطبيعة الحال، لم تصدقني، بل جابهتني بتسعة اسئلة اتهامية متلاحقة دونما توقف، ولو من قبيل المجاملة، لتتيح لي فرصة الرد عليها٠ وقد ُأحرج اعضاء اللجنة الآخرون، بمن فيهم الديموقراطيون، من فرط قحتها٠ وايقنت، في ختام الجلسة التي دامت ساعتين، ان مثولي الشخصي امامهم قد حقق الهدف المنشود٠ وقلت: "أرجو أن أكون تمكنت، على الاقل، من تصفية الجو لكي يعرف معظم الامريكيين ما الذي جرى واسباب حدوثه٠ وآمل ايضا ان نتمكن جميعا من العودة الى مزاولة اعمالنا في السعي من أجل حل المشكلات كلها، الداخلية والخارجية"٠

ُقصارى جهده

كتب توماس جفرسون، الرئيس الثالث للولايات المتحدة (١٨٠١ - ١٨٠٩)، مرة يقول ان الرئاسة ليست "سوى تعاسة رائعة"٠ ووصفت وليم هوارد تافت، الرئيس الامريكي السابع والعشرون (١٩٠٩ - ١٩١٣)، البيت الابيض بانه "أكثر اماكن العالم وحدة"٠ وسماه وارين هاردينغ، الرئيس التاسع والعشرون (١٩٢١ - ١٩٢٣)، "السجن"٠ وكان الناس على الدوام يسألونني: "أليس الحمل ثقيلا الى حد حرمانك النوم؟" او: "أليست الضغوط كافية لتكدير ذهنك؟" وكنت اجيبهم: "كلا، على

الاطلاق"، لاني لم اشعر من قبل بصحة افضل ولم يكن ذهني اشد صفاء، ولا اذكر اني خبرت تجربة اشد امتاعا. والحق اني كنت اتشوق الى بزوغ النهار ومباشرة عملي.

وأحدُ الاسباب التي جعلتني احب البيت الابيض ذلك المستوى الرفيع الذي يتّسم به الموظفون الدائمون. وكنا نرغب في ان يسود ارجاء المنزل جو عائلي حقيقي. ولذا عمدت بيتي منذ البداية الى ان تُحيي موظفي البيت الابيض بقولها: "مرحبا" او "وداعا" او، في احيان اكثر، "شكرا". وكانت ودودة وحارة، الا انها تحيرت لعدم استجابتهم لملاطفاتها. وما لبثت ان اكتشفت انهم تلقوا تعليمات ايام نيكسون، من قبل اعوانه، بألا يستجيبوا لمثل هذه الملاحظات التي قد يخاطبهم بها رئيس الجمهورية او السيدة الاولى. فأوقفنا تلك العادة، وغدا الجو بين عشية وضحاها مرحا مرة أخرى.

اما السبب الثاني فهو الحس التاريخي الذي يكتنف المكان. والواقع ان مكتب الرئيس البيضوي كان فسيحا ومريحا وملهما. وكنت اعلم ان في امكاني كرئيس ان افعل امورا كبيرة عظيمة الشأن. لكني لم أجلس يوما على الكرسي وراء طاولتي قائلا لنفسي: "اني رجل قوي، واستطيع ان اضغط زرا او أسحب مفتاحا وسيحدث كذا وكذا". بل، على نقيض ذلك، فكرت في الرؤساء الذين سبقوني والقرارات التي وجب عليهم اتخاذها، وحاولت ان اقرن بينها وبين تلك التي تواجهني.

وكنت احيانا في الليل الج الغرفة في الطابق الثاني حيث كان الرئيس ابراهام لينكولن يعقد اجتماعات حكومته، فأحس بأن التاريخ يملأ تلك الغرفة. وكنت أحيانا اجلس فيها بمفردي وانظر الى اللوحات والصور التي تعود الى عهد آخر، فأكاد اسمع اصواتا تعود الى ١١٠ اعوام خلت. وكنت أشعر دائما بالانتعاش حين اغادر الغرفة.

لقد جرت التقاليد على ان يمهل مراسلو الصحف في واشنطن الرئيس الجديد فترة مئة يوم لوضع نهج سياسته وتفسيرها قبل بدء مراقبتهم اياه عن كثب. ولما انتهت فترة المئة يوم في السادس عشر من نوفمبر (تشرين الثاني)، احسست بأني حققت بعض النجاح في علاج جراح الامة وتبريد حمم الزمان والمشاعر وجعل الشعب الامريكي يعلم اننا عازمون على معالجة الامور بحكمة وباسلوب عملي. والواقع ان المقيّمين الذين يحكمون على دوري كرئيس كانوا لا يزالون ينظرون في امر الحكم علي. ومع ذلك، فقد كانت لدي قناعة بأن الشعب الامريكي كان يثق بأني اعمل جادا في منصبي وان حكومتي تُقلّب الامور على مختلف وجوهها واننا نخطو الى الامام بصراحة وعلى نحو بنّاء.

ولاحظ جيمس رستون في تعليق نشرته "النيويورك تايمس" في مناسبة مرور مئة يوم على وجودي في الرئاسة ما يأتي: "اننا لم نحظ، منذ ايزنهاور، برجل دمث وطيب ومنفتح وغير متوتر في البيت الابيض. غير انه، في اخلاصه وطيبته، يعطي انطباعا بأننا لسنا في عصر ثوري، وانه ينبغي علينا بالتالي ألا نحدث تغييرات اساسية في حياة الاسر

والامم، بل يجب علينا فقط ان نكون صبورين وعاقلين، وسيكون كل شيء على خير ما يرام وهذا حقا حلم جميل. كما ان فورد شخص نزيه ...عث على التفاؤل. لكن واشنطن في ...برة من امره".

...لم يدرك رستون تماما انه كان ...وجب علينا ان نعزز الامور ونشدها ...ضا الى بعض قبل ان يمكننا البدء ...ي احداث تلك "التغييرات ...اساسية" التي تحدّث عنها. لكني ...عرت بأن مقاله كان منصفا. أما ...ذي اصاب الهدف اكثر من غيره فقد ...ن التحليل الذي جاء في صحيفة ...ول ستريت جورنال" التي اشارت ...ى انه، في ما عدا تكرار الالتزام ...تخاذ اجراءات للاقتصاد في ...نفقات الحكومية، فان حكومتي ما ...ل عليها ان تعمل على وضع هدف ...ئيسي لها، شرط الا يكون ورد ذكره ...ي الرواية الآتية التي سردها احد ...ظفي الرئاسة:

تقدم مهاجر للفحص امام القاضي من أجل الحصول على الجنسية الامريكية. وراح القاضي يسرد اسماء شهيرة، وكان المهاجر يحاول تعريف اصحابها وذكر مكانتهم في التاريخ الامريكي. وصاح القاضي: "ابراهام لينكولن"، فأجاب المهاجر: "رئيس الولايات المتحدة". عندئذ سأله القاضي: "ولكن قل لي ما الذي فعله لينكولن؟"

واصرّ القاضي على سؤاله الاخير، وانتظر بالطبع ان يجيب المهاجر، مثلا، بأنه "حرّر العبيد" او "حافظ على الوحدة ايام الحرب الاهلية الامريكية بين ١٨٦١ و١٨٦٥". واخيرا اجاب المهاجر: "لقد فعل قصارى جهده".

وذلك لعمري فعل لا يستهان به في نظري. ولو شاء ذلك المهاجر في القصة ان يقول الشيء نفسه عن ايامي المئة الاولى في الرئاسة، لما ساءني ذلك مطلقا.

انحسار الحرية

كلما خضنا حروبا اكثر من أجل الحرية، نقصت حريتنا.

ك.غ.

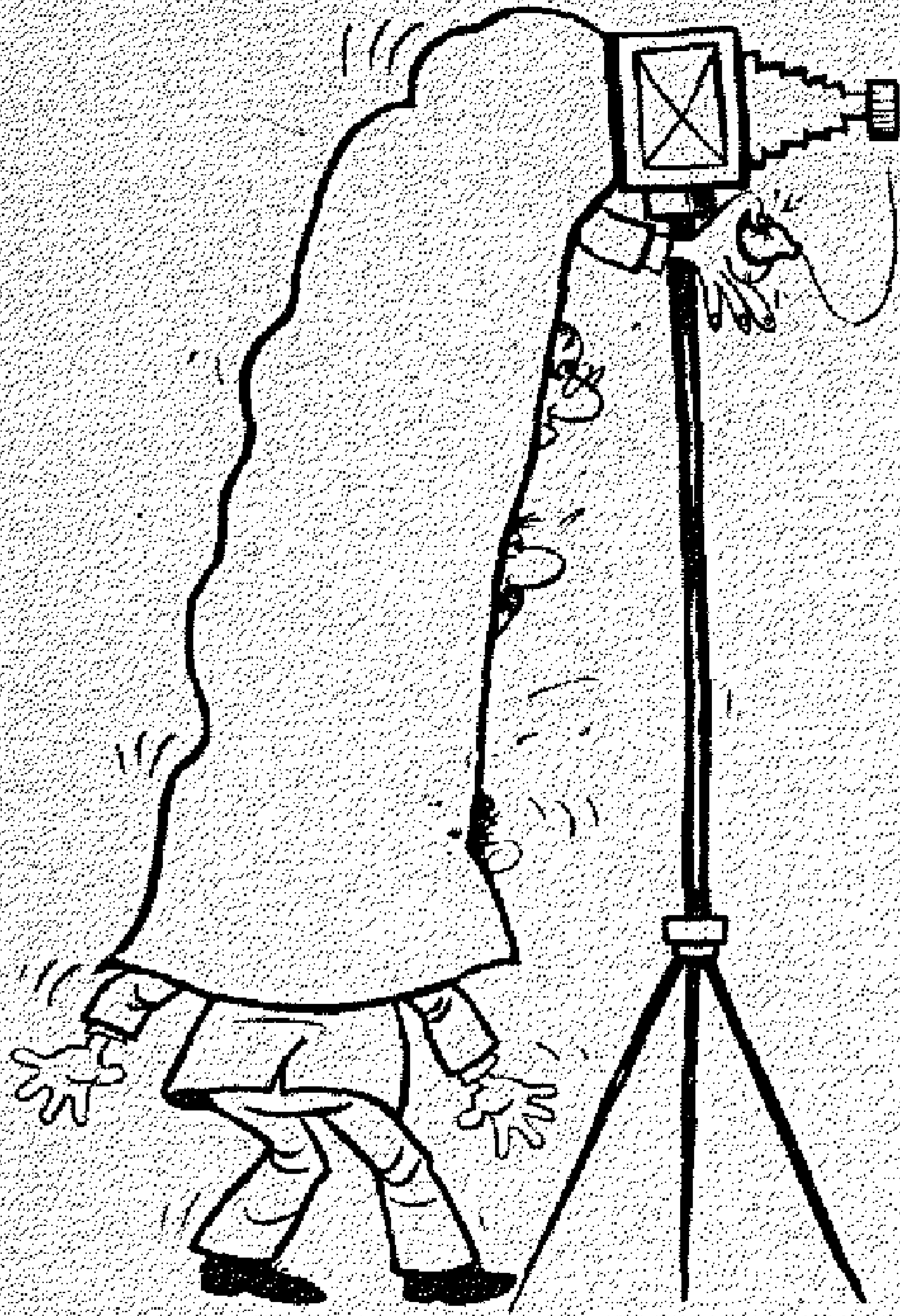
اثمن الممتلكات

قرب هايلبرون في ولاية ورتمبرغ في المانيا، تتربع مدينة فاينسبرغ على تل يطل على مزارع الكروم المحيطة. وفي كنيسة البلدة المبنية على الطراز الروماني لوحة مهداة "الى ذكرى الزوجات الوفيات". وما ان تبتعد مسافة كيلومتر حتى تواجهك آثار قلعة فايبرترو التي تعني "قلعة الزوجات الوفيات".

أما سر ذلك فهو قصة تفخر المنطقة بروايتها. ففي عام ١١٤٠، وخلال الصراع بين الغيلف والغيبلين، حاصر الامبراطور كونراد الثالث ابن فريدريك الثاني من سلالة هوهن شتاوفن المدينة وقلعتها حيث لجأ ابناء البلدة، ومنع الرجال المدافعين عن القلعة من مغادرتها، بينما سمح للنساء بالخروج وصرح لهن بنقل اثمن ممتلكاتهن. وعند ذاك حملت كل امرأة زوجها على ظهرها ورحلت.

(مجلة "صدى العالم"، فرنسا)

صور من الحياة



سر النظرة المميزة

فى مذكراتها المعنونة "نفسي"، تكشف الممثلة الامريكية لورين باكال عن سر الشخصية السينمائية التي ميَّزتها، وهي شخصية مشوبة ببعض العدوانية، فتقول ان ذلك نجم عن حاجة طارئة فحسب.

فعند تصوير المشاهد الاولى لاول افلامها "ان تملك ولا تملك"، "سيطرت الرعشة على رأسي ويدي، وحتى على السيجارة بين اصابعي، وكدت اموت خوفا. وكلما حاولت ضبط نفسي، كنت ازداد ارتعاشا. ومع انتهاء اللقطة الثالثة او الرابعة، شعرت بان احدى الوسائل التي تمكنني من تثبيت رأسي المرتجف تكمن في خفضه بحيث ينحدر الذقن حتى يكاد يصل الى مستوى الصدر. وعند ذاك علي ان ارفع بصري في اتجاه همفري بوغارت. ونجحت الطريقة. وكانت تلك بداية النظرة المميزة".

م.ف.

امنية اينشتاين

كان النحات روبرت بيركس يضع اللمسات الاخيرة لتمثال البرت اينشتاين استعدادا للذكرى المئوية الاولى لميلاد العالم الكبير التي حلت خلال هذا الربيع. وعادت الذاكرة ببيركس الى يومي الثامن عشر والتاسع عشر من ابريل (نيسان) ١٩٥٣، حين جلس الرجل العجوز في مكتبه في برنستون (ولاية نيوجيرسي) واخذ يخربش على دفتر صغير فيما كان بيركس الشاب يحاول طبع ملامحه على الصلصال.

يقول بيركس: "سألته لماذا سمح لي باضاعة وقته، فرد اينشتاين بانه يدرك منذ زمن حاجة العالم الى ابطال. لذا، فان يكون هذا البطل شخصا غير مؤذ مثلي خير من ان يكون من طراز هتلر او موسوليني".

وحين انتهى بيركس، تطلع اينشتاين في الصلصال وقال: "لو قدر لي ان ابدأ حياتي من جديد، لصرت نحاتا".

وهنا تدخلت زوجة بيركس معلقة: "وهذا ما قاله ايضا للسمكري".

أ.م.

فن السياسة

حين كان الشيخ الامريكي رصل لونغ طالبا، انضم الى نادي المناظرات في مدرسته. وذهب الى عمه ايرل لونغ الذي كان نائبا لحاكم الولاية يطلب مشورته. فسأل العم: "ما عنوان موضوعك؟" فأجاب رصل الشاب: "هل يجب استخدام القيم المثالية في السياسة؟"

واذا بالعم المتمرس في الحياة السياسية يهتف: "بالطبع يا بني. السياسة تقتضي استخدام القيم المثالية واستخدام كل ما تقع عليه يدك".

ج.أ.

مُسجل الكاسيت جي ڤي سي المتناسب مع الأشرطة المعدنية يفتح الطريق أمام الجودة في التسجيل

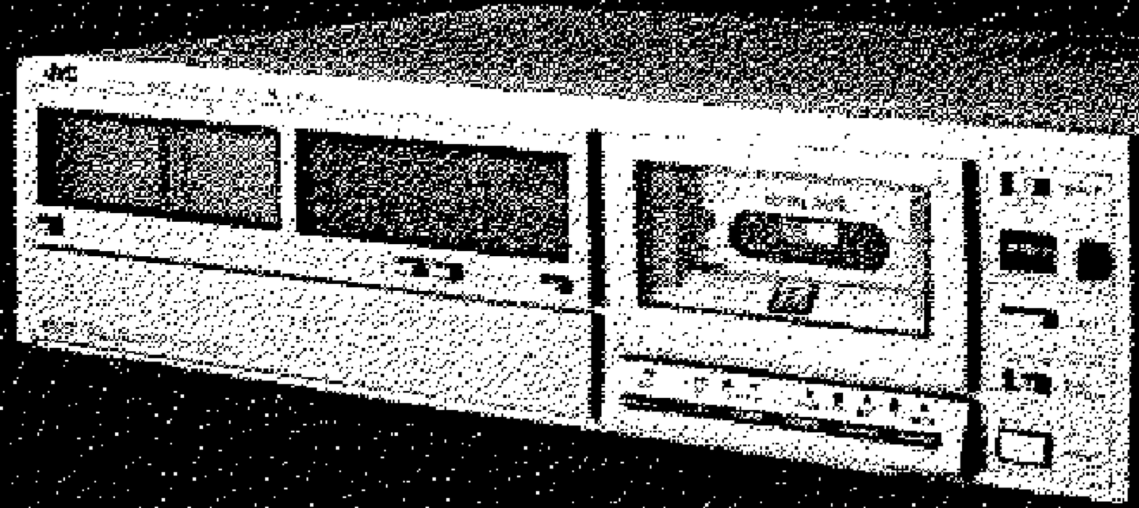
الشريط المسمى "شريط معدني"، الذي ابتدعه صانعو الاشرطة، هو ثورة صغيرة في عالم التسجيل.

فهو يستوعب معلومات تفوق باربع مرات ما يسجل على شريط "كروم" مما يؤدي الى تسجيلات افضل واعادة اوضح.

وهو، بكلمة واحدة، افضل ما انتج للتسجيل على الكاسيت. والمسجل KD-A8 J V C المجهز برؤوس التسجيل "S A" المتناسب مع الاشرطة المعدنية والذي يحتوي على دماغ الكتروني صغير هو بدون شك أفضل المسجلات لاستعمال الاشرطة المعدنية للتسجيل والاعادة.

نحن نعرف. نحن J V C، الشركة المجدِ دَة في عالم التسجيل والفيديو الالكتروني ولنا ٥٢ سنة من الخبرة.

استمعوا الينا، انظروا الى اجهزتنا - بتأني - عند أقرب موزع J V C



جي ڤي سي JVC



تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٧٩ - ذو القعدة ١٣٩٩

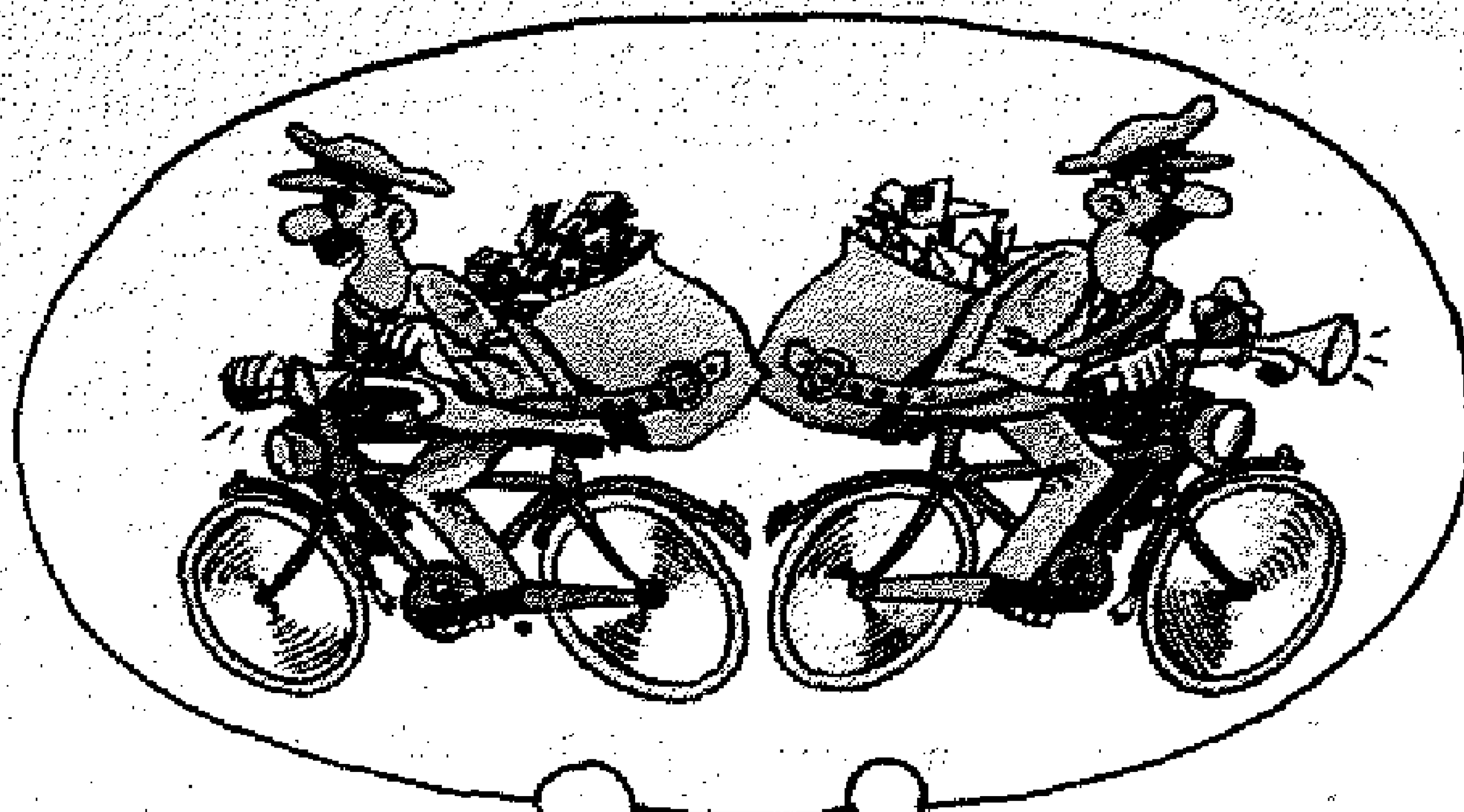
المختار



من ريدرز دايجست

اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون ريدرز دايجست في ١٨٠ بلداً بـ ١٥ لغة

لبنان ٥٠٠غ - سورية ٦٠٠ق - الاردن ٣٠٠ف - الكويت ٥٥٥ف - الامارات العربية المتحدة ٦د - قطر ٦ر - البحرين ٣٦٠ف - السعودية ٦ر - مصر ٥٠٠ - السودان ٥٠٠م - ليبيا ٥٠٠د - اليمن الجنوبية ٤ر - مسقط ٦ر - العراق ٣٠٠ف - تونس ٧٠٠م - المغرب ٦د - الجزائر ٧د - فرنسا ٧ف - انكلترا ٧٥ب - اليونان ٤٠د - كندا واميركا الشمالية ٢٠٠



اكتب واربح

هلْ لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله: الى "المختار" وهو يدفع لك في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

☐ صور من الحياة: ٥٠ دولارا

القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة وتتحدث عن تجربة شخصية وعن موضوع جدي.

☐ الضحك خير دواء

ينطبق على هذا الباب ما ينطبق على الباب السابق. ويدفع ٥٠ دولارا عن النكتة الاصلية و٢٥ دولارا عن النكتة المنشورة.

☐ تأملات معاصرة: ٥٠ دولارا

مقاطع ذات مغاز حكمية حول موضوع معين.

☐ حديقة افكار

اقوال مأثورة للاعلام العرب.

تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

☐ السدات

هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

☐ المقالات

يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية والتجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل.

يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

الشروط

○ كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.

○ كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك - حديقة أفكار...).

○ في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد.

○ ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة أفكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن.

○ تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية.

○ لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي:

AL MUKHTAR
min Reader's Digest
S.E.P.I.
37, Avenue George V
75008 Paris, France



المختار
من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

المستشار الثقافي : **مؤنس طه حسين ٠**
رئيس التحرير : **ادمون صعب ٠**
رئيس التحرير المعاون : **اديب صعب ٠**
مدير التحرير : **فؤاد غطاس كرم ٠**
امانة التحرير : **رينا نداف ٠**
الاخراج : **اروى سيف الدين ٠**

الامتياز:
شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس ٠

الناشر :
شركة رأس الخيمة للمنشورات الدولية ٠
المؤسسون: **غسان تويني، توفيق ابو خاطر، عثمان عائدي، لوسيان دحداح ٠**

الخدمات الصحافية:
شركة الدراسات والمنشورات الدولية S.E.P.I

الادارة والتحرير والاشتراكات:

AL MUKHTAR min Reader's Digest
37, Avenue George V, 75008 Paris, FRANCE
Tel. 7204542 7237422 Telex 612687 F

الاعلانات :
TAMAM **شركة تمام**
28, Rue de Berri, 75008 Paris, FRANCE

التوزيع:
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات ٠

الصف والتنفيذ:
شركة المطبوعات العربية - باريس ٠

الطباعة:
بوليغرافيتشي اديتوريالي - بولونيا - ايطاليا ٠
الخط: **محمد ماجد ٠**

الطبعات الدولية لـ"**ريدرز دايجست**"
المدير العام: **جون أ٠ اوهارا ٠**
مدير التحرير: **آلان دوليرو ٠**

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنرويجية والدانماركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية اضافة الى العربية٠

MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.
N° DE LA COMMISSION PARITAIRE 3398RL

الغلاف: مارينا (انتنور فيناتي - ايطالي)

AL MUKHTAR *min* Reader's Digest
October 1979 *(New Series)*. Vol. 1 N° 11



POLIGRAFICI EDITORIALE SPA

PRINTED IN ITALY

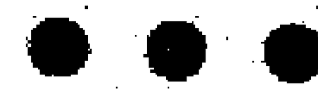
الحياة العصرية جعلت الانسان قريبا من الاخطار فباتت حياته مجازفة يومية

الحَيَاة العَصْرِيَة تجعَل العَالم أخطر مَكان

الحياة العصرية حولت العالم الى مكان خطر. ففي كل يوم تعلن الصحف ان مادة كيميائية معينة قد ثبت انها تتسبب في السرطان، او ان حادثا مفجعا قد وقع. ومن شأن ذلك حمل الناس في العالم أجمع على التطلع بتوق الى حياة اكثر بساطة ولكن هل لمثل هذا العالم وجود؟

واذا عدنا قرناً الى الوراء لوجدنا ان العمر المأمول فيه (الحد الاقصى للحياة) في الولايات المتحدة كان خمسين عاما، بينما هو يزيد الان على سبعين ولذلك فان جمعت الاخطار التي نتعرض لها في الوقت الحاضر لا بد انها ادنى مما كانت في السابق.

والواقع ان كثيرا من أخطار القرن الماضي الكبيرة قد توارت ولكن بقيت الوف الاخطار الصغيرة التي كان معظمها موجودا باستمرار.



ما ان اخرج من سريري في الصباح حتى ابدأ مواجهة الاخطار، وحين ادير مفتاح الضوء اشعر بوخز خفيف واتذكر ان اكثر من الف شخص في السنة يموتون بالصدمة الكهربائية في الولايات المتحدة وحدها.

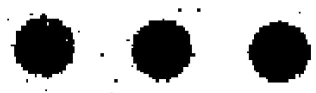
وحين اغتسل في الحمام اتساءل: ما هي المواد الكيميائية التي يحتويها الصابون؟



اتأمل في الخطر الذي ينتظرني وانا اتجه الى تناول طعام الافطار حذرا من أن اسقط على السلم. ان السقطات وحدها تؤدي الى مقتل ١٤٠٠٠ اميركي في السنة.

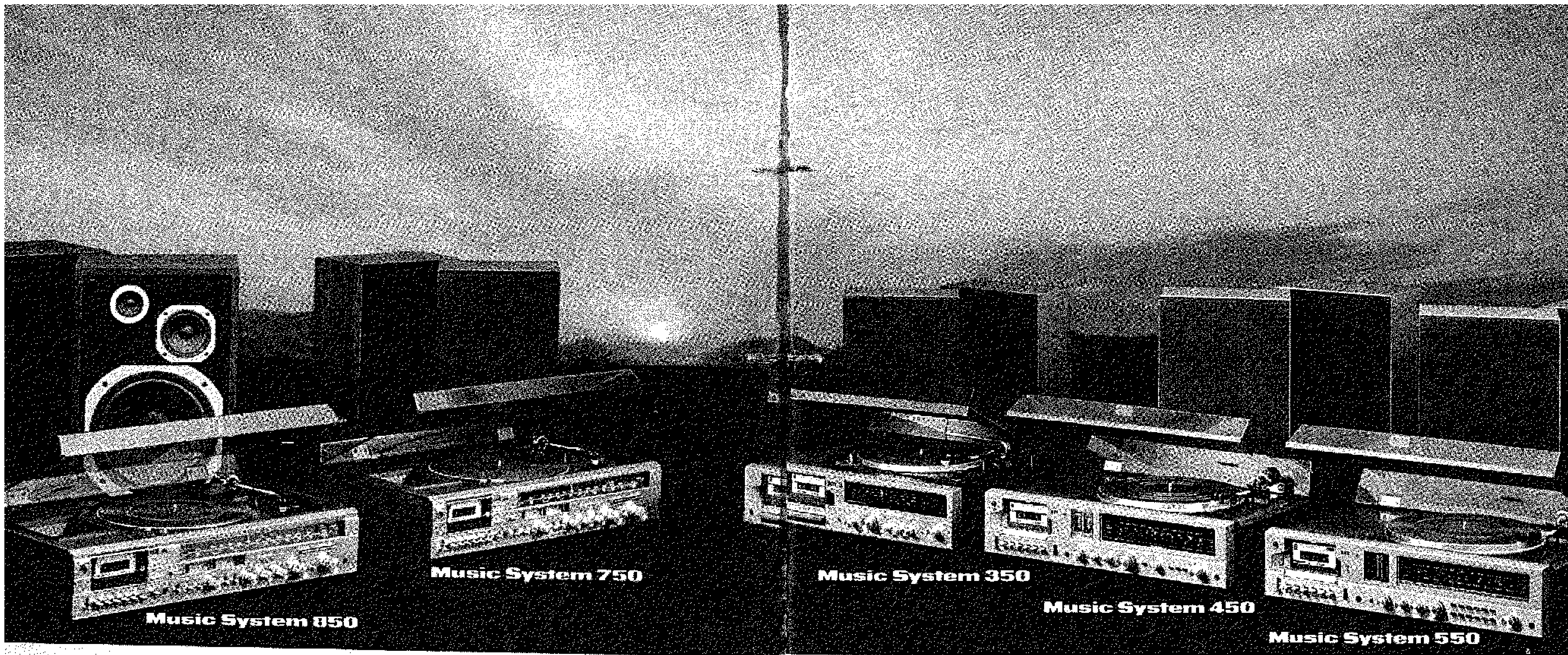
وهل اشرب القهوة؟ انها تحتوي على الكافيين وهي مادة قد تكون مسببة للسرطان.

وهل استعمل السكر وهو يزيد وزني ويسبب لي مرضا في القلب؟ أم استعمل السكرين وهو قد سبب السرطان للحيوانات التي تجرى عليها تجارب في المختبرات؟



اعد سندويشا للغداء. ان ابني يحب زبدة الفول السوداني، لكن هذا الفول اذا لم يكن مخزونا على نحو ملائم فانه يحدث عفنا يولد مادة سرطانية قوية هي "الافلاتوكسين".

CONDENSED FROM TECHNOLOGY REVIEW (FEBRUARY 79) (C) 1979 BY THE ALUMNI ASSOCIATION OF MASSACHUSETTS INSTITUTE OF TECHNOLOGY CAMBRIDGE MASS. MATERIAL IN THE BOX APPEARED IN THE YALE JOURNAL OF BIOLOGY AND MEDICINE 51 46 1978



أجهــزة بــايونــير الموسيقيّــة المنــوّعــة : إختـــر واستمتـــع !

ان شركة بايونير تعمل وتجتهد لتسهل لك الاستمتاع بالموسيقى التي تحبها . وصحيح ان اجهزتنا الموسيقية على درجة عالية من التقدم التقني، لكنها ليست من التعقيد بحيث تحتاج الى ترخيص لتشغيلها . ونحن لا نقدم اليك جهازا او جهازين فقط، بل نقدم اليك عشرة مبتكرات موسيقية رائعة لتختار منها ما يفي بمتطلباتك السماعية ويتناسب مع ميزانيتك . وبالاضافة الى اجهزتنا السابقة المتعددة الاختيارات (ثلاثة اختيارات في جهاز واحد)، لدينا الان اجهزة تشتمل على اختيارين: جهاز للاستقبال ومسجل للكاسيت .

فهناك اذاً سهولة في التشغيل وموارد القوة اللازمة للاخراج الموسيقي الجيد . واذا كنت لا تصدق اذنيك ففي استطاعتك ان تتأكد من قراءة البيانات على لوحة المعلومات .

واننا نقدم اليك ايضا جهاز التسجيل المشهور المتعدد الاساليب والذي يتضمن "معينة" للنغم، فضلا عن التسهيلات الخاصة بالتسجيل بلمسة واحدة، والاسترجاع الاوتوماتيكي على جهاز "دولبي" (★) لتنقية التسجيل من الضوضاء والاستماع الى الشريط بعد تسجيله مباشرة . وهناك لهواة الاسطوانات قرص دوار مكتمل الحجم يدفع بالحزام ومزود بتسهيلات رجوع الذراع والتوقف الاوتوماتيكي . أما في ما يتعلق بالتضخيم، فهناك مكبران بديعان من طراز بايونير، يمنحان الصوت العظيم: اداء اكبر .

كثيرة هي اجهزة بايونير . فما اسهل ان تختار منها وما ايسر ان تستخدمها وتستمتع بها . ان الصعوبة الوحيدة هي التوقف عن الاستماع اليها . فحاول ان تزورنا اليوم لتشاهد وتسمع بنفسك . ولا بد ان لدينا جهازا موسيقيا يناسبك تماما .

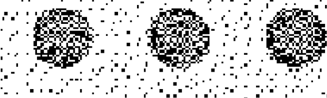
PIONEER بايونير

"تتفاوت السمات وفقاً للطراز والسعر"

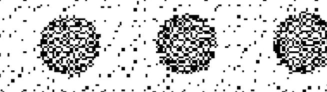
■ البحرين: المكترونيات غاجريا . امام فندق ديلمون، وخلف مصرف "نيو تشارترد بنك"، الهاتف: البحرين ٥٣٤٥٣ ■ قبرص: ك.هـ. بابازيان ليمتد . ٢٤٠ شارع ليدرا ستريت، نيقوسيا، الهاتف: قبرص ٦٣٧٩٥ ■ ايران: باساند كومباني ليمتد . جادة نادري، ممر فرغاني، رقم ٦، طهران - ايران، الهاتف ٣٧٦٤٠٣ ■ الاردن: شركة الاردن لقطع السيارات، صندوق البريد ٤٨١، عمان، الاردن، الهاتف: ٣١١٣ ■ الكويت: غاجريا (شركة حساوي وغاجريا)، امام مكتب البريد، شارع فهد السالم، الكويت، الهاتف: ٤٣٤١٢٥ ■ لبنان: ابناء جورج حداد وشركاهم . مبنى سينما امبير، صندوق البريد ٤٢٨٠، بيروت - لبنان، الهاتف: ٢٤٦٠٨٢/ ٩٣٤٧٨٧ ■ مسقط - عمان: محسن حيدر درويش، صندوق البريد ٣٨٨، روى - سلطنة عمان، الهاتف: ٧٠١٧٧٧ ■ قطر: أحمد العثمان واخوته، صندوق البريد ٤١٨، الدوحة - قطر، الهاتف: ٢٣٥٠٧ ■ المملكة العربية السعودية: أحمد علي بادوغايس، شارع الملك خالد، الخبر، الهاتف ٤١١١٥ (قاعة العرض الشمالية)، الهاتف ٤٢٧٨٦ (قاعة العرض الجنوبية)، صندوق البريد ٨١٥، جدة، الهاتف: ٢٥٩١٤، صندوق البريد ١١٢٥ الرياض، شارع الملك عبد العزيز، الهاتف ٢٦٨٢٧ ■ سوريا: اسعد وتار، صندوق البريد ٥٩٠، دمشق - سوريا، الهاتف: ٢٢٤٥٢١ ■ الامارات العربية المتحدة: الوكالات التجارية الشرقية، مبنى البنك العربي، امام مكتب البريد، صندوق البريد ٤٥ - دبي، الهاتف: ٢٣٧٠٩، اليكترونات باتغو . خلف بنك القاهرة وامام السوق القديمة صندوق البريد ٢٥٧٤/ ابو ظبي، الهاتف/ ٢٥٢٧٢

★ "دولبي" علامة تجارية لمختبرات دولبي .

وانا احب اللحم ولكن الطعام الكثير اللحوم قد يساعد في احداث سرطان الامعاء الغليظة.

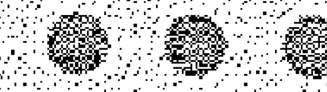


انني اقطن على مسافة ١١ كيلومترا من مركز عملي وفي وسعي قطع هذه المسافة بالسيارة او على الدراجة الهوائية او في الاوتوبيس، فايها اقل خطرا؟ ان ركوب الدراجة الهوائية يساعدني على الاحتفاظ بوزني منخفضا ولا يسبب التلوث لكن الاحصاءات تشير الى ان هذه الواسطة تعرضني للحوادث وان السيارة اسلم منها وان الاوتوبيس هو اسلمها كلها. ويسعدني انني غير مضطر الى الاختيار بين الجواد والزورق، وهما اكثر خطرا (بالنسبة الى الكيلومتر الواحد) من الدراجة الهوائية.



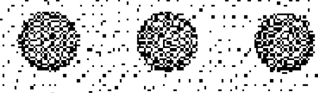
باقترابي من بوسطن ارى الضباب يغطي المدينة ويلوث هواءها. وقد جاء في تقرير مختبر حكومي ان نحو ٢٠٠٠٠ شخص شرق نهر الميسيسبي يفقدون في العام الواحد عشرين سنة من عمرهم بسبب تلوث الهواء.

واذهب الى اجتماع لجنة. ولئن كنت لا ادخن التبغ فان نصف اعضاء اللجنة يدخنون، وبذلك أكون معرضا للسم الذي يسبب كل عام ما يراوح بين ٢٠ و٢٥ في المئة من مختلف انواع السرطان.



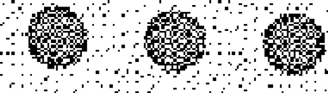
وفي منتصف الفترة الصباحية اتناول جرعة من الماء. ان المهندسين الصحيين يستعملون الكلورين للقضاء على الجراثيم في الماء، الا ان هذه المادة يمكن ان تتفاعل مع مواد عضوية معينة في الماء وتؤدي الى نشوء عدد كبير من المواد المعروفة المسببة للسرطان ومنها الكلوروفورم الذي يشكل خطرا على الصحة اذا وجد بكثافة تعادل نسبة ١٠٠ جزء في المليار.

جدران مكتبي مبنية من حجار بركانية تحتوي على مواد مشعة فاعلة، ومن شأن هذا الاشعاع زيادة خطورة اصابتي بالسرطان. والرادون، احد هذه المواد المشعة الفاعلة، غاز ينبعث من الحجار البركانية. ولما كان تنشقي له ممكنا فان الخطر الذي اواجه يتزايد حدة. وفي استطاعتي طلاء الجدران بطبقة سميكة من الدهان تحول دون تسرب الرادون ولكن اخلاط الدهان تحتوي على مواد مشعة فاعلة قد تكون هي ايضا محدثة للسرطان. فأي الامرين اشد سوءا؟



كثيرا ما اسافر لحضور اجتماعات في اماكن بعيدة، فهل انتقل بالسيارة ام بالاوتوبيس ام بالقطار ام بالطائرة؟ ان السفر الجوي هو الاسلم بالنسبة الى المسافات التي تصل الى ١٦٠٠ كيلومتر او تزيد على ذلك، ولكن الطائرات غالبا ما تحلق على ارتفاع تسعة آلاف متر وعلى هذا الارتفاع يكون التعرض للاشعاع الكوني اقوى بأكثر من ستين مرة مما هو عند سطح البحر، حتى ان رحلة لقضاء اجازة في مرتفعات كولورادو العالية يمكن ان تزيد امكانات التعرض للاشعة الكونية. ثم ان الشمس في هذه المرتفعات، او التعرض الزائد لاشعتها عند سطح البحر، تغمرنا بالاشعاع فوق

البنفسجي مما يعرضنا للاصابة بسرطان الجلد.
وهكذا دواليك.



مواجهة الاخطار - ثمة امريكيون يحاولون القضاء على جميع الاخطار المعروفة بواسطة الاشتراع. ان ذلك يبدو معقولا لكنه في الواقع يخلق حافزا على الجهل بدلا من توفير السلامة. ولعل الحل الافضل يكون خطة لقياس كمية ما نتعرض له من أخطار في حياتنا اليومية واذ ذاك نستطيع المقارنة في ما بينها وتقرير ما نقبله او نرفضه منها.

ومن أجل المقارنة بين الاخطار يجب علينا ان نحسبها قبل ذلك. وفي الجدول، المنشور في مكان آخر، ادرجت مجموعة من الاعمال التي من شأنها زيادة نسبة الوفاة، في اي سنة، بمقدار واحد في المليون تقريبا.

كيف جرى حساب ذلك؟

لنأخذ الطيران مثلا. ان الطائرات في الولايات المتحدة تنقل مسافرين بما يوازي ٤٦٧ مليار كيلومتر - راكب في السنة. اما عدد ضحايا حوادث الطيران فيراوح بين ١٠٠ و٤٠٠ شخص في السنة، وهذا يشكل خطرا يقرب من واحد في المليون لكل ١٦٠٠ كيلومتر من الطيران.

لنأخذ مثالا آخر هو السجاير. ففي الولايات المتحدة صنعت ٦٤٧ مليار

هذه الاعمال تزيد خطر الموت
بنسبة واحد في المليون (في السنة)

العمل	طبيعة الخطر
تدخين ١،٤ سيجارة	السرطان ومرض القلب
شرب نصف ليتر من النبيذ	تليف الكبد
قضاء ساعة واحدة في منجم فحم	مرض اسوداد الرئة
قضاء ٣ ساعات في منجم فحم	حادث
قضاء يومين في نيويورك او بوسطن	مرض القلب
سفر ست دقائق في الزورق	حادث
سفر ١٦ كيلومترا على دراجة هوائية	حادث
سفر ٤٨٠ كيلومترا بالسيارة	حادث
سفر ١٦٠٠ كيلومتر بطائرة نفاثة	حادث
سفر ٥٦٠٠ كيلومتر بطائرة نفاثة	سرطان سببه الاشعاع الكوني
الحياة شهرين في دنفر	سرطان سببه الاشعاع الكوني
الحياة شهرين في بناء حجري	سرطان سببه الاشعاع الطبيعي الفاعل
صورة للصدر بأشعة اكس مرة واحدة	سرطان سببه الاشعاع
تناول ٤٠ ملعقة صغيرة من زبدة الفستق غير المحفوظة حفظا جيدا	سرطان الكبد بسبب "الافلاتوكسين"
شراب ماء معقم بالكلورين بنسبة عالية لسنة واحدة.	سرطان سببه الكلوروفورم.

إن كانت شجاعتهم كذلك ستفعل جوائز



رد أدير

رئيس شركة "رد أدير" لمكافحة حرائق وثوران آبار البترول. وأدير هو أشهر إطفائي في العالم لحرائق البترول



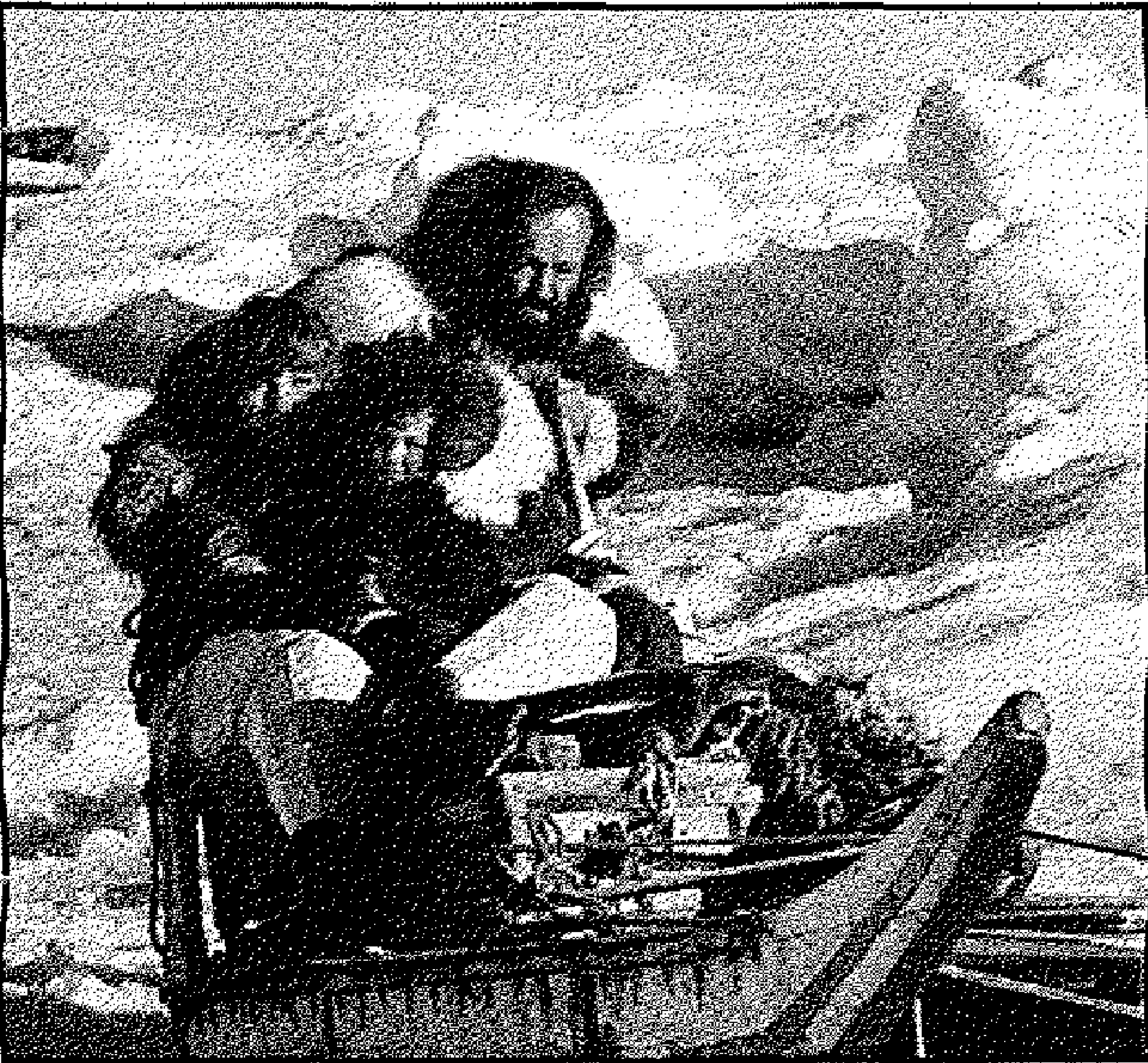
ثور هيردال

مستكشف وعالم بطبائع الإنسان. وهيردال في طليعة مؤيدي مبدأ الهجرة الملاحية القديمة



راينهولد مسنر

في عام ١٩٧٨، أصبح مسنر أول متسلق جبال استطاع ان يقهر قمة افريست دون الاستعانة بالاكسجين



وولي هربرت

من أشهر مستكشفي القطب الشمالي العالميين. وقد منحته الجمعية الجغرافية الملكية المدالية الذهبية للمؤسسين.

تأسر خيالك، رولكس للمغامرة

منذ عام ١٩٠٥ أدّى عزم وإقدام "هانز ويلزدورف"، مؤسّس رولكس، الى كل تقدم باهر تقريبًا في تاريخ ساعات اليد.

ففي عام ١٩٢٦ تم اختراع غلاف رولكس "اويستر"، أول غلاف في العالم يمنع تسرّب الماء بصورة عملية، ثم أول جهاز "پرپتشوال" دائم الحركة ذاتي الملء، وأول ساعة يد "كرونومتر"، تعطي التاريخ داخل نافذة في المينا، وأول ساعة يد في العالم تبيّن التاريخ وأيام الاسبوع بصورة متكاملة، فضلاً عن أول ساعة يد لغطاسي أعماق البحار.

وقائمة رولكس "بالأوائل" طويلة وأسطوريّة تشبه في ذلك قائمة الروّاد الذين تقوم بيننا وبينهم صلة وثيقة، أمثال السّير "إدموند هلاري"، "ثور هيردال"، السّير "فرانسيس تشيشستر"، "رد أدير" "جاك پيكارد" و "راينهولد مسنر".

واحتفاءً بإقدام مؤسّس شركتنا ومغامرات جميع الروّاد الذين لبسوا أو يلبسون ساعات رولكس على السواء، قمنا في عام ١٩٧٦ بتدشين جوائز رولكس للمغامرة.

جوائز رولكس للمغامرة

لقد كانت غايتنا: "تقديم مساعدة مالية من أجل المشاريع التي يسعى أصحابها، ضمن اطار الموضوع الذي تتناوله، الى اكتشاف الجديد، والتي تستثير روح المغامرة كما تجلّت في رولكس ومقتني ساعات رولكس طوال خمسين سنة مضت." ومن دواعي إعتزازنا أن نعلن اليوم ثانية عن جوائز رولكس للمغامرة.

ومرّة أخرى نبحث عن خمسة أشخاص يتحلّون بالحافز الذاتي والتخيّل وروح المبادرة والتطبيق العملي للمباشرة في مشاريعهم الأصيلة.

الفئات

ينبغي أن يتضمّن مشروعك إحدى فئات ثلاث: العلوم التطبيقية والاختراع، أو الاستكشاف والاكتشاف، أو البيئة.

وسوف تمنح لكل من الفائزين الخمسة جائزة مالية قيمتها ٥٠,٠٠٠ فرنك سويسري، بالاضافة الى ساعة رولكس كرونومتر محفور عليها اهداء خاص.

وسوف تبتّ لجنة الاختيار بأعضائها البارزين التابعة لنا في الطلبات إستنادًا الى ما تتضمّن من شرح عام حول "روح المغامرة"، فضلاً عن النوعيّة من حيث الحداثة والأصالة والإبداع والتشويق والملاءمة والمغزى وإمكانية التنفيذ.

كيفية تقديم الطلبات

يجب ان تقدّم مواد الموضوع بالانكليزيّة على استمارة طلب رسمي، وأن تصل السكرتاريّة قبل ٣٠ نيسان (ابريل) ١٩٨٠. وللحصول على الاستمارة والتفاصيل والشروط، يرجى الكتابة الى:

The Secretariat - The Rolex Awards for Enterprise
P.O. Box 178 - 1211 Geneva 26 - Switzerland

كانت رولكس ولاتزال، ولحقبة تزيد عن ٥٠ عامًا، تمتّ بصلة وثيقة لهواة المغامرة. ان جوائز رولكس للمغامرة هي اليوم فرصتك لتصبح واحدًا منهم.

ROLEX
رولكس



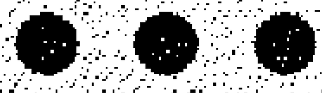
سيجارة عام ١٩٧٨، اي بمعدل ٣٠٠٠ سيجارة للشخص الواحد (بما في ذلك الاطفال)· ويقدر ان ١٥ في المئة من الامريكيين يقضون قبل الاوان بامراض سببها التدخين· وهذا يوازي خطرا على الحياة نسبته ١٥،٠· واذا اخذنا في الاعتبار الـ٣٠٠٠ سيجارة التي يمكن ان يدخنها الفرد الواحد سنويا كانت الخطورة بالنسبة الى السيجارة الواحدة سبعة اعشار الواحد في المليون· (ومن الطريف ايضا ان تدخين سيجارة واحدة يستغرق عشر دقائق ويقصر معدل الحياة المتوقع خمس دقائق)·

كيف يمكن استخدام هذه الحسابات للقضاء على الاخطار؟

حسنا· ان علماء الاقتصاد مولعون باستخدام فرض الضرائب للسيطرة على الشؤون البشرية· فلماذا لا تفرض ضريبة على كل من يدخل خطرا على المجتمع؟ ومثل هذه الضريبة تسد نفقات العناية الطبية وتعوض المجتمع الخدمات التي يخسرها· كم يجب ان تكون الضريبة؟ انني اقترح، كأساس للحوار، ان تكون الضريبة بمعدل مليون دولار في مقابل كل حياة تفقد نتيجة لخطر معين، او دولارا واحدا في مقابل خطر بنسبة واحد في المليون·

ولما كانت كل سيجارة مثلا تزيد خطورة الوفاة بنسبة ٠،٧× واحد في المليون، يتعين على منتجي السجاير ان يدفعوا ضريبة مرتفعة تقدر بسبعين سنتا عن كل سيجارة· وهذا المبلغ من شأنه تغطية نفقات المجتمع على المستشفيات، واطفاء الحرائق، وخفض ساعات العمل، وهي تقدر بما يراوح بين دولار ودولارين لكل علبة سجاير· وفي الامكان استخدام مثل هذه الضرائب لخفض الاخطار في مجالات اخرى، كرفع مستوى الاوضاع الصحية مثلا·

وسواء حددنا نحن مقادير هذه الاخطار او لم نحددها فاننا نحن الذين نتخذ القرارات بالنسبة اليها· واننا نفعل ذلك كافراد على نطاق ضيق، بينما يفعل رجال السياسة ذلك من اجلنا على نطاق اوسع· على ان ما لم نفعله - ويجب علينا ان نفعله - هو ان نقارن بين اخطار النشاطات المختلفة بغية القضاء على اشدها خطورة·



بعد حساب الاخطار طوال النهار اتوجه الى المنزل، واجد نفسي لا ازال اواجه قرارات اخرى تنطوي على اخطار·

اشرب كأساً من الجعة· ان الافراط في استهلاك الكحول قد يسبب التليف في الكبد، كما انه ذو صلة بسرطان الفم وبانواع اخرى منه ايضا· على ان الاثر المهدىء للجعة يخفف الضغوط علي ويتيح لي التمتع بنوم جيد· وهذا من شأنه ان يطيل حياتي، وهو جدير بالمجازفة·

وارتدي البيجاما متسائلا: هل هي قابلة للاحتراق؟ هنالك باستمرار خطر نشوب حريق وانا في الفراش· ولدى استسلامي للنوم اتذكر المثل البدهي القائل: "ان الذين يموتون في الفراش اكثر ممن يموتون في أي مكان آخر"· وبذلك اكون، على الاقل، في المكان الصحيح·

■ **ريتشارد ويلسون**
استاذ الفيزياء في جامعة هارفارد



كم من الازمات المفاجئة تتكشف عن حقائق خافية، فيصبح ما كنا نأنف منه أغلى ما نعتز به

أختي ... إلى الأبَد

كلما شاهدت شقيقتي شارون او قرأت رسائلها، تذكرت ذلك الشتاء البعيد العهد الذي كان في وقت معاً اسوأ ما عرفته اسرتنا وأحسنه. ولست ادري مدى تأثير ذلك الشتاء في نفس شارون، ولكنه لقّنني انا ابن الثانية عشرة درسا لن يغيب ابدا عن ذاكرتي.

كان خريف ذلك العام مثقلا بالنذير، فقد هبت فيه رياح عنيفة استمرت ثلاثة ايام وثلاث ليال في شهر سبتمبر (ايلول)، واقتلعت

الرمال الدقيقة واطلقتها في كل ركن من اركان بيتنا الخشبي القديم في ولاية نيومكسيكو. فما ان هدأت العاصفة حتى رحنا نثأر لانفسنا من التراب بكل ما أوتينا من عزم: والدتي تغسل النوافذ وانا اطوف في ارجاء البيت انظفه بالمكنسة الكهربائية. وتولت شارون امر الاثاث ولكنها، كمعظم الاطفال في السن التاسعة، كانت تستغرق في احلام اليقظة بسهولة. وسرعان ما لاحظت انها قد توقفت عن الكناسة وراحت تقسم اكوام التراب الكبيرة اكواما اصغر، ثم قالت لي بفخر: "انظر فانني اصنع قرية من الرمال".

فقلت لها بنفاد صبر: "استمري في عبثك هذا يا شارون لكي لا ننتهي ابدا من مهمتنا هذه"، ثم دفعت مكنستي الكهربائية نحو اكوامها.

ولكنها اعترضتني بصرخة: "هيه! كف عن ذلك"، ثم رفستني في عظمة ساقي رفسة جعلتني اتواثب ألماً.

وصاحت بي امي: "اترك شارون وشأنها! فلماذا تصر دائما على مشاغبتها؟"

والحق اني كنت اجهل السبب وانما كنت لا افهم لماذا اكف عن تصرفي هذا من اجل فتاة نحيلة لا تكاد تختلف عن الصبيان وتستطيع ان تدافع عن نفسها بسهولة تامة. فقد كان هناك شيء لا ريب فيه وهو ان شارون خشنة، قوية الاحتمال تعتمد على قبضتين صغيرتين حادتين ومقدار من الجرأة يجعل من هاتين القبضتين سلاحا فعالا في حوزتها.

غير انه قلما كانت مشاجراتنا تبلغ في الواقع حد الاشتباك البدني، بل انها كانت في معظمها مشاجرات صبيانية سخيفة تنتهي بنوع من البراز بين ارادتينا، كنت اجدني فيه دائما في المركز الاضعف، لما كان لشارون من ارادة صلبة لا تلين، ولا استطيع كسرها ولو للحظة واحدة. وكان ذلك يكفي في بعض الاحيان ليحملني على بغضها.

وقلت لامي: "انها لا تتنازل عن موقفها ابداً، حتى عندما اكون انا على حق".

وردت امي: "ولكن ذلك لا يزعجك عندما تكون هي الى جانبك".

ولقد حدث بالفعل في صيف ذلك العام ان اختلفت مع صبي يكبرني بكثير، فألقاني ارضاً، لكن شارون تدخلت في لمح البصر بيني وبين ذلك البلطجي الذي وجد نفسه يواجه قطة برية تنهال عليه لكماً ورفساً، وسرعان ما تراجع عن عدوانه.

العدّاءة المجلية – وعلى رغم شعوري بالامتنان، الا انني لم اقدم لبطولة شارون سوى تقدير عابر. ومع ذلك فقد ادركت ان شارون تتمتع بميزة لم اعد قادرا على اعتبارها شيئا عاديا لا اهمية له. وذات صباح من شهر اكتوبر (تشرين الاول)، اعلن ابي ان في استطاعة شارون ان تسبقني بل وتسبق جميع اصدقائي في العدو. وكنا نحن الصبية مستغرقين في مشاعرنا برجولتنا الهشة، فانتفخنا كضفادع الطين المرتعبة حين سمعنا ذلك، وعرضنا على والدي ان نتراهن معه في هذا الصدد بمبلغ قيّم. فغطّى ابي جميع رهاناتنا.

وفي يوم السباق اصطف عشرة عدائين، تسعة صبية متوتري الاعصاب، لم يتخلصوا بعد من

غضاضة إهاب الطفولة، وبنت صغيرة نحيلة ذات ساقين طويلتين تبدو عليها كل سمات التصميم والعزم. وما ان صدرت اشارة الانطلاق من مسدس ابي حتى اندفعت شارون كالفهد الصغير. وقد استطاع اريك لوسون وحده ان يقترب منها،وبدأ يشكل خطراً عليها عندما مضت كالعاصفة فعبرت خط النهاية قبله، لانه تأخر لحظة واحدة في البداية قبل ان يستجمع اطرافه الطويلة في حركة منتظمة، وكانت تلك اللحظة هي التي ضمنت لها الفوز.

ووقف ابي يراقبنا بعد ان خسرنا السباق ونحن نلف وندور كالنمال الغاضبة ونغمغم باعذار غير مفهومة، فلم يكد يستطيع تمالك نفسه من الضحك على حالنا. وعلى رغم ان وجه شارون كان يشرق بابتسامة لها ما يبررها، الا ان ابي كان الشخص الوحيد الذي هنأها على فوزها، ثم الغى جميع الرهانات ووعد بان ينظم لنا سباقا آخر ثأريا.

وفي ما عدا الحقيقة التي اخجلني ثبوتها والمتعلقة بقدرة شارون على ان تسبقني في العدو، فقد ظللت اعتبر ان بقية صفاتها امور لا اهمية لها وان لا شيء فيها يلفت. ومهما يكن الامر، فليس من الطبيعي ان ينصرف فجأة صبي في الثانية عشرة من عمره الى التنقيب في حياة شقيقته لكي يتبين فضائلها ومميزاتها. لكن الاحداث بدأت تصحح غفلتي في شهر يناير (كانون الثاني).

فقد اصبت آنذاك بجديري (جدري) الماء وانتابني الحك وعجزت عن النوم وشعرت بالتعاسة، واذا بشارون تواسيني وتقوم على خدمتي، بل وبكت من أجلي مرة عندما بلغ مني الضيق اقصاه. ووجدت في شارون حليفة لي في الوقت العصيب، وعقدت العزم كاملا على ان اعبر لها عن مدى عرفاني عندما أشفى من مرضي.

ولكن ما ان بدأت حالي تتحسن حتى أصيبت شارون نفسها بالجديري. وكانت الاعراض التي ظهرت عليها في البداية مماثلة تماما لما اصابني: اورام تثير الحك وحمّى واشمئزاز شبيه بذلك الذي كنت اشعر به تجاه جسمي. وجاء دوري لابكي من اجلها لاني كنت اعرف طبيعة ما تشعر به.

وذهبتُ نحوها وجلستُ الى جوارها على الفراش فلم تبادرني بالتحية، بل ولم تُبد اي حركة تقريبا. وتصورتُ انها تستريح. ولكن أمنا لم تبدُ مرتاحة الى هذه الحال.

وفي تلك الليلة قالت امي لابي، حين عاد من عمله: "ان حالها تقلقني وليس فيها ما يشبه طبيعة شارون".

واحتال ابي على شارون حتى اجابت عن بضعة اسئلة، ولكنني استطعت ان اتبين ما ينتابه من قلق عندما اجتمعنا في المطبخ.

واستُدعي الطبيب في الصباح التالي، ففحص شارون بعجلة وقال ان لا داعي للقلق.واستطرد وهو يخطو مسرعا نحو باب الخروج: "انه مجرد جديري الماء، وستتحسن حالها خلال يوم او اثنين".

ولكن شارون بدت في تلك الليلة وكأنها تنسحب قليلا فقليلا من العالم. واصبح لون بشرتها الذهبية

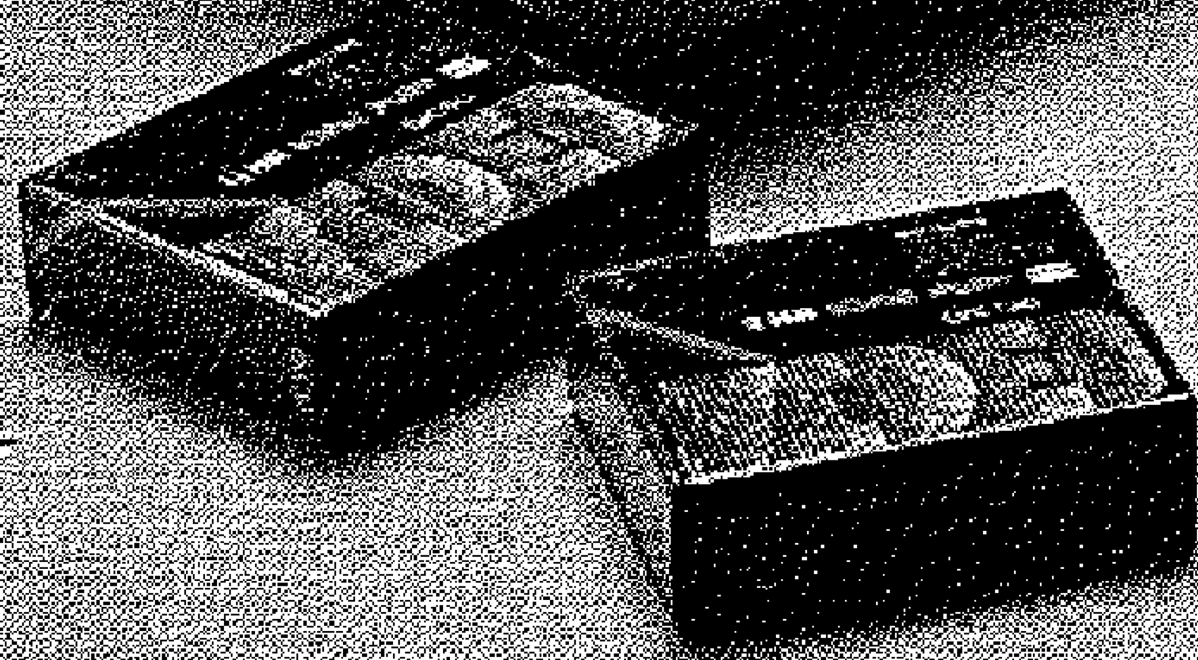
تلفزيون فيليبس - شاشة كبيرة
وألوان طبيعيّة نابضة بالحياة

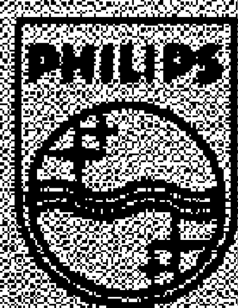


PAL/SECAM



ألوان طبيعية تنبض بالحياة. ووضوح لا يضاهى - يرجع الفضل فيها الى أساليب «هايبراي» الجديدة - وصوت واضح لا تشويه فيه. تلك هي المزايا الأساسية في كل جهاز تلفزيون فيليبس. بالاضافة الى ميزة المتانة الكبيرة. وهنالك أداة فوق صوتية للتحكم عن بعد لا تحتاج الى سلك كهربائي. ولكنها تمكنك من تغيير القنوات وتعديل ضبط المفاتيح وأنت جالس في مقعدك. وإذا وصلت جهاز التلفزيون بمسجلة كاسيت فيديو من صنع فيليبس فانك تستطيع أن تعيد عرض أي برنامج تلفزيوني في أي وقت (تصل مدة الكاسيت الى ١٣٠ دقيقة) وتستطيع أن تشاهد برنامجاً على قناة وتسجل في الوقت ذاته برنامجاً آخر من قناة أخرى. بل انك تستطيع أن تسجل برنامجك الذي تريد وأنت خارج المنزل. إن هذه المنتجات بما تتحلى به من أساليب اتصال معقدة وشكل حديث أنيق. إنما جاءت نتيجة سنوات طويلة من الأبحاث التي تستند إلى امكانات عالمية هائلة. فلماذا لا تكون واحداً من الملايين الذين يضعون ثقتهم في فيليبس؟ اطلب عرضاً لتلفزيون فيليبس اليوم. فهناك أجهزة صنعت خصيصاً للبلاد الحارة المناخ وتعمل بنظامي بال وبال / سيكام.





فيليبس الأفضل لكم دومًا

شاحبا تحت بثور الجديري المحتقنة، وغامت عيناها الزرقاوان الصافيتان، فاستدعى ابي طبيبا آخر.

وراحت الامور تتخذ طابعا يثير الارتياب. فقد وقف الطبيب الثاني برهة قصيرة قرب فراش شارون، وشخص حالها بانها جديري الماء ثم انصرف فورا، من دون ان يفحصها. وقال الطبيب المحلي الوحيد الذي نعرفه انه لا يرى سببا لمجيئه، وطلب منا الا نقلق. ولكن حال شارون كانت تتدهور على نحو واضح.

وبقي هناك امل واحد اخير، هو طبيب جديد في المدينة اجاب انه قادم على الفور.

وبينما كنا جميعا خلفه في كآبة، اخذ الدكتور هوايت يفحص شارون بحرص ودقة. وبدا لي انني رأيت وجهه يتوتر وهو ينصت الى خرير صدرها، ولكنه لم ينبس بكلمة واحدة. وعندما انتهى من الفحص أومأ الى ابي، ودخل الاثنان المطبخ واغلقا الباب.

ولم يكد الطبيب ينصرف حتى اقبلت امي على ابي تسأله بقلق: "ماذا قال؟" فحول ابي عينيه عن وجه امي لحظة، ثم قال: "ان شارون مصابة بالتهاب رئوي، وهو في مرحلة متقدمة جدا لان جديري الماء اضعف مقاومتها، وان الطبيب سيتخذ التدابير اللازمة لاحضار ممرضة خاصة وخيمة أوكسيجين".

وقضت شارون اياما طويلة ممددة في سكون كالجثة الهامدة، لا يتردد في غرفتها الا هسيس جهاز الاوكسيجين. وتوالت الايام متثاقلة عصيبة. وكان الدكتور هوايت يأتي مرارا كثيرة، وتطالعني هيئته دائما بأن حال شارون لا تتحسن. يا للألم. انها لن تستسلم - وذات عصر هرعت من المدرسة الى البيت لاجد ابي جالسا وحده على عتبة البيت الامامية، وقد بسط احدى كفيه واسندها الى جبهته فغطت وجهه. فبادرته كمن يوقظ نائما: "ابي؟"

فرفع رأسه بسرعة وهو يفرك عينيه، وقال: "اهلا يا بني. تعال واجلس".

وسألته: "هل ساءت حال شارون؟" فهز رأسه. وعدت اسأل: "هل يُحتمل ان تموت؟"

وانتظر برهة، ثم قال بصوت هادىء: "نعم، ربما فقدناها".

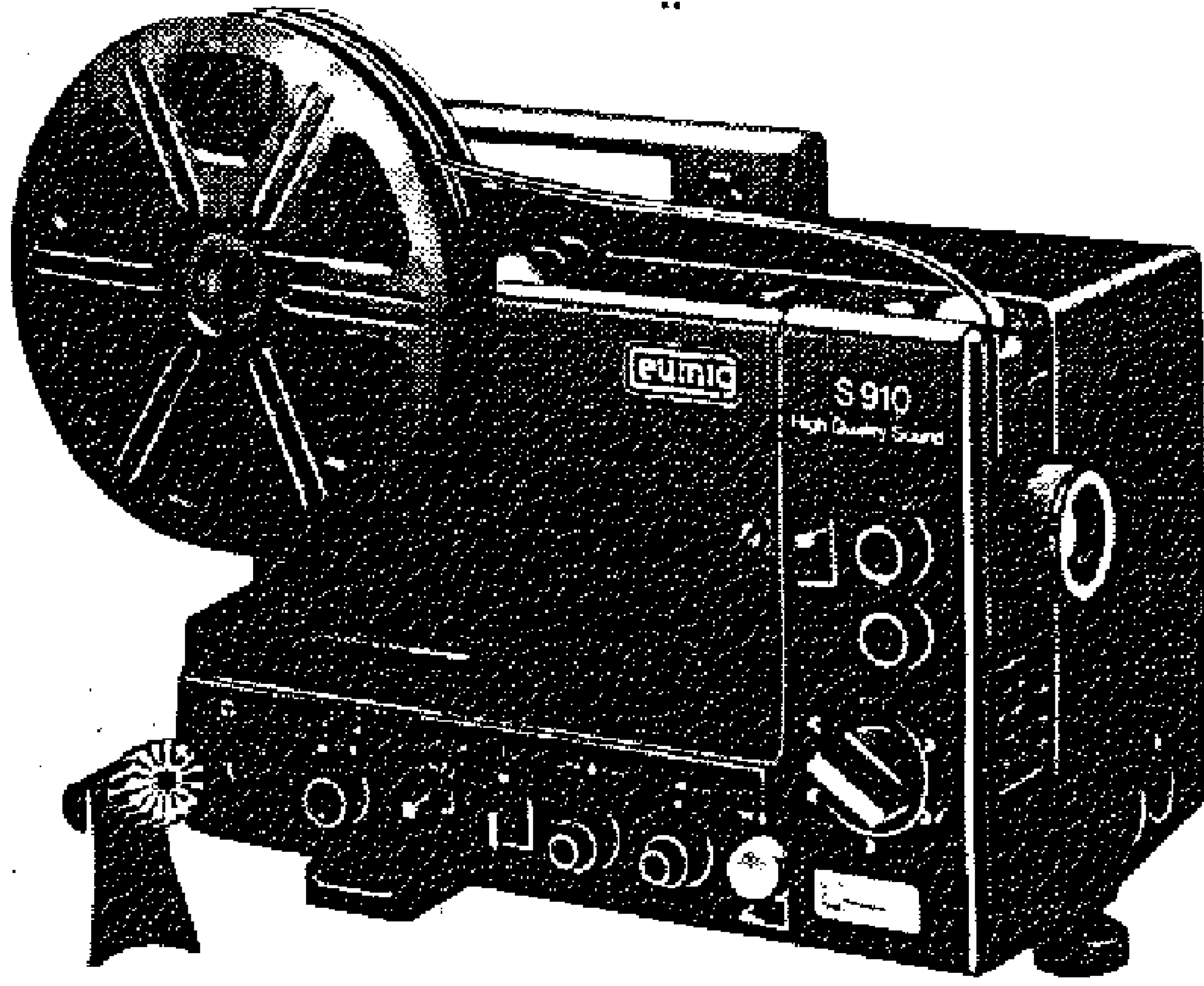
وحاولت ان افكر في المعنى الحقيقي لكلمة "فقدناها"، ولكن احساسا فياضا بالوحدة غمر ذهني فعطله عن التفكير. وما اكثر ما تصورت شارون خصما لي: لقد كنا نتشاجر وتنتابني تجاهها مشاعر عنيفة، ولكنني الان لم استطع ان اتذكر انتصارا واحدا او هزيمة واحدة. كل ما استطعت ان اتذكره هو تلك اللحظات التي عشناها معا نقوم باشياء يتعذر تحقيقها عليّ وحدي، مثل تسلق برج الطاحونة الهوائية في المزرعة، او بناء غرفة خفية في احد اركان الحظيرة. وادركت آنئذ، وكان الادراك أليما، ان الدنيا لن تحمل الي اكثر مما جاءتني به.

وذهبت الى غرفتها انظر الى شقيقتي خلال الاشكال التي رسمها انعكاس الضوء الصادر من خيمة الاوكسيجين. ان شبح الموت لم يقترب من حياتي الى هذه الدرجة من قبل. وانحنيت وهمست اخاطبها: "يجب ان تشفي يا عزيزتي. لا بد ان

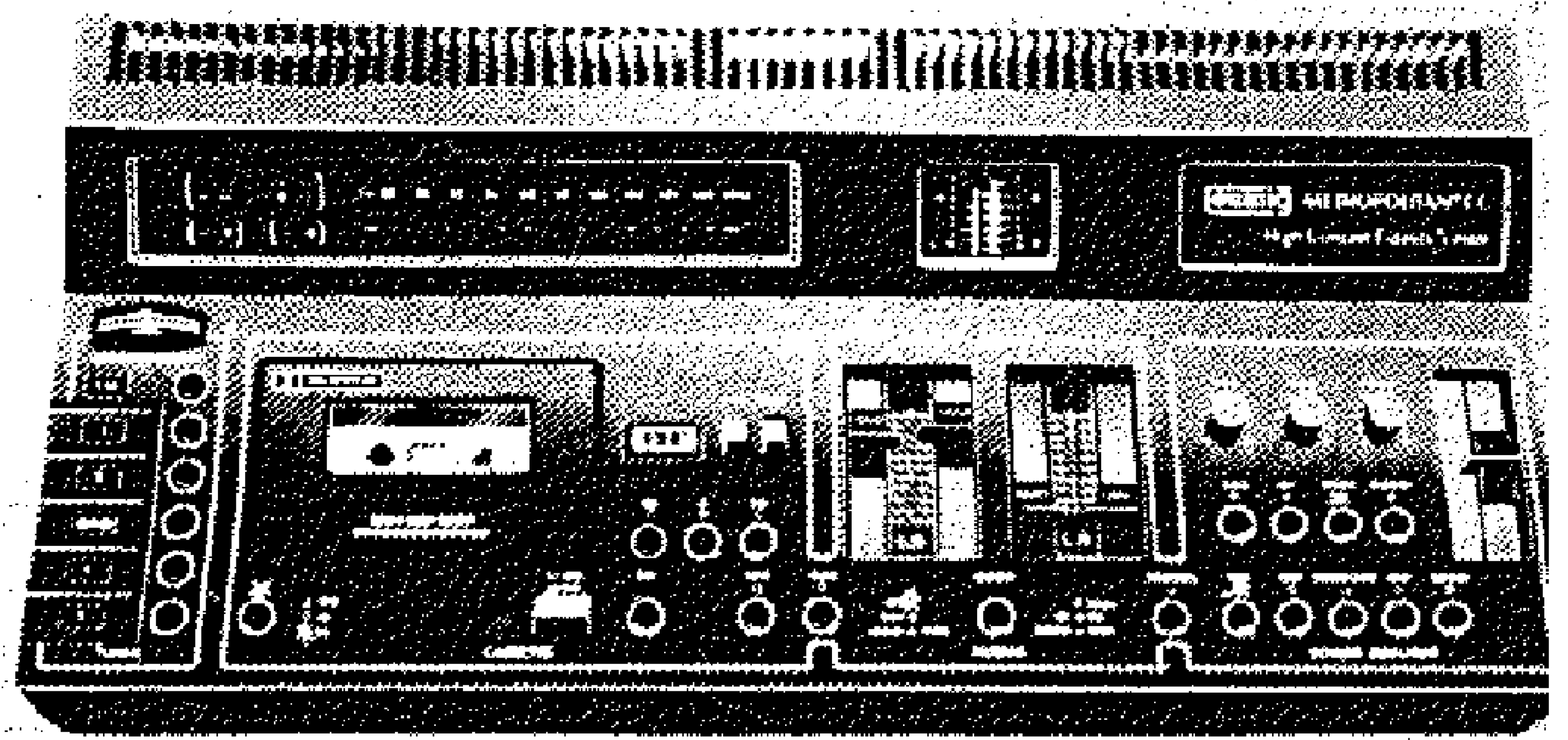
النجاح يولّـد النجاح



ان الخبرة التقنية والجودة والدقة المتناهية وضعت
eumig في مقدم اجهزة العرض السينمائي الناطق .
واصبح النجاح حليف اجهزة *eumig* في العالم بأسره ،
بل اصبحت هي قدوة تحتذي بها الصناعة بأجمعها .
وقد عقد *eumig* العزم على متابعة هذه الخطة
ومواجهة المستقبل بكل ثقة في انجاز الاصناف الممتازة .
وانطلاقا من ذلك ، فان *eumig* يعمل دائما في الطليعة
على تطوير الكاميرات
السينمائية المزودة
بعدسات PMA
والكفيلة باعطاء



صور كبيرة ومتسعة في الاجهزة السينمائية الناطقة
او الصامتة على السواء ، علما بان منتجات
eumig توفر التسلية لملايين البشر في انحاء العالم .
هذا ، وبالاضافة الى كونه في طليعة صانعي
الكاميرات السينمائية واجهزة العرض ، فان *eumig*
يشغل كذلك مركزا فريدا بين صانعي منتجات HI-FI
"هاي في" ، بالنظر الى الجودة الفائقة التي يوفرها
لمراكز الحفلات الموسيقية المزودة باجهزة *eumig* وللكاسيت الموسيقية . فهي تمثل
ذروة ما وصل اليه التطور في تقنيات الكاسيت واكتمال تزامن التعشيق ، اي الجودة
الصوتية الرفيعة الطراز بين احسن التسجيلات الشريطية والاجهزة الفونوغرافية . وان *eumig*
مصمم على المحافظة على هذه المكانة
الفريدة ، وبالتالي فان *eumig* مصمم على
بقاء منتجاته في طليعة الصناعة المتنافية
لاجهزة الفيديو ، بفضل الخبرة التي احرزها
eumig وانجازاته التقنية المرموقة
وحرصه الاكيد على الجودة والاتقان . ومن
الطبيعي اذا ان يكون *eumig* هو السباق
الى صنع المنتجات الممتازة المتقنة ،
اقتناعا منه بان النجاح يولد النجاح .
وبأن سر النجاح يقوم على متانة الانتاج وجودة المنتجات .



eumig®

تشدي عزمك". ثم استدرت ومضيت الى المطبخ وقد اجتاحني الحزن والخوف مما لم اعهده أبداً من قبل.

وكان ابي وامي جالسين الى المائدة يتناولان القهوة، وابي يقول: "اذا لم تقاوم فلن تشفى".

فقلت: "انها لن تستسلم! انا اعرف انها لن تستسلم".

وغمر الهدوء البيت في الاسبوع التالي، وكأنه دلالة خانقة على ان حياة شارون في مهبّ الريح. وفي اليوم الرابع عشر من مرضها، طلبت شارون فجأة من الممرضة قطعة من البسكويت. وفي الليلة نفسها، عندما تحدث ابي وامي اليها، بدا انها يقظة الى حد انها سمعت وعدهما لها بدراجة جديدة "اذا تناولت دواءها"، فهمست: "دراجة؟" ثم عادت تستغرق في النوم.

وبعد يومين استطاعت شارون ان تجلس برهة قصيرة، فعرفنا انها اجتازت مرحلة الخطر. وفي اليوم التالي، بعدما عادها الدكتور هوايت وجلس ليتناول فنجانا من القهوة، حاول والداي ان يعبرا له عن عرفانهما، فاستمع اليهما ثم ابتسم وهز رأسه وقال: "ان كل ما فعلته ربما كان غير مجد لولا عزيمة شارون".

وبدا على وجه ابي شيء من الشك، وقال: "لقد ظللت فترة طويلة اتصورها في حالة انهيار، ولم ار منها ما يدلل على مقاومة يُعتدّ بها".

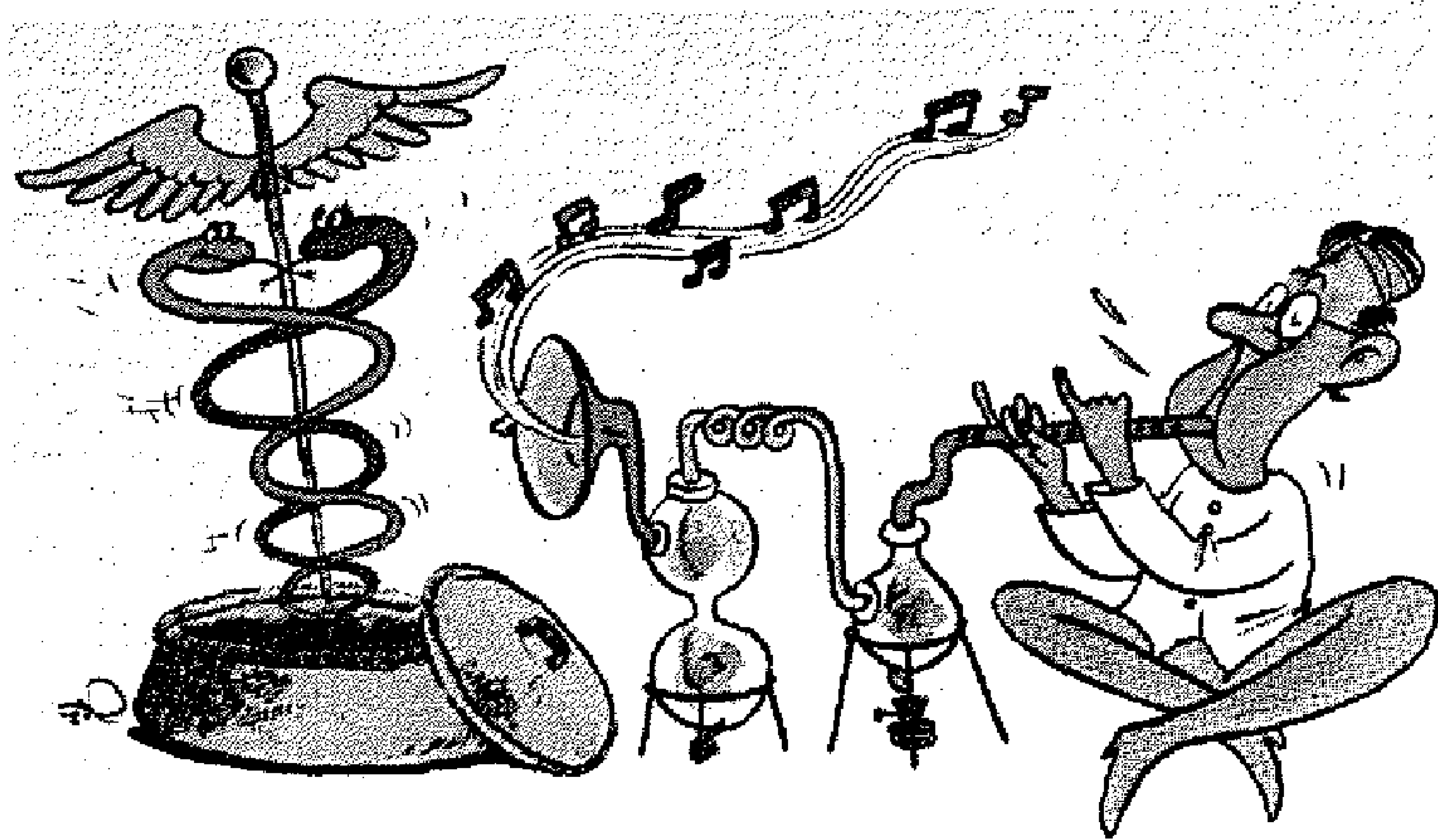
فقال الطبيب: "نعم، ولكنها لم تتوقف عن التنفس ابدا، وقد تطلب ذلك منها جهدا خارقا، ولكنها استمرت ولم تتوقف".

ووجدتني فجأة اتبين الرابطة بجلاء بين هذا وذاك من الامور. ان الصفة التي جعلت شارون تعدو مثل الريح لتسبقنا جميعا، ولا تتردد في مهاجمة عملاق صغير، وتوقف اخا انانيا اكبر منها سنا عند حده - تلك الصفة، ايا تكن، هي التي انقذت حياتها.

ثمّ جاء الربيع... - وعندما حل الربيع اهدى والداي الى شارون دراجة جميلة زرقاء، ولم تكد حالها الصحية تسمح بذلك حتى راحت تسابق الصبية من جديد، ولكنها خسرت السباق هذه المرة امام اريك لوسون الذي بدأ يخطو الى الشباب واصبح اسرع واقوى مما كان في الخريف السابق. واظن انني كبرت انا ايضا بعض الشيء، ولكنني لم اشترك في السباق لعزوفي عن منافسة شارون، علما مني بانني لا ازال قادرا على ان اسبقها عندما نركب دراجتينا، ولكنني لم اكن اتردد في ذلك العام السابق، اما الان فبات يسعدني ان تكون شارون الى جانبي وهي تبتسم ابتسامتها الشكسة وتوجه اسئلتها الساذجة، لا يفوتها شيء ولا تتنازل عن عنادها. ذلك انني قد اكتشفت ان شارون كصديقة أمتع لي منها كثيرا كخصم.

لقد تعلمت الكثير حقا في ذلك الشتاء، ولكنني قد احتجت الى سنوات عدة كي اتبين الحقيقة الكبرى وهي: ان الصفات التي كانت شارون تتميز بها والتي كانت تثير حنقي، عندما كانت شارون لا تزال اختي الصغيرة، هي عينها التي اصبحت في نظري مثارا لاعتزازي الان وقد غدا كلانا راشدين.

■ جيرالد مور



اصداء من عالم الطب

دواء ضد الاسهال

ان الاصابة بالاسهال في اثناء السفر قد تفسد على الانسان عطلة جميلة ما فتىء ينشدها منذ وقت طويل، كما يشهد على ذلك كثير من الناس. وهناك عدة وسائل وقائية فعالة ضد الاسهال ولكن اجداها، حسب ما يؤكده فريق الباحثين في مؤسسة جونز هوبكينز الطبية في بالتيمور، هو المضاد الحيوي (الانتيبيوتيك) المعروف باسم "دوكسيسيكلين". وقد نقلت مجلة نيو انغلند الطبية تقرير هذا الفريق. واما ميزات الدوكسيسيكلين فهي ان لهذا العلاج تأثيرا طويل المفعول ويكفي المريض ان يتناول جرعة واحدة منه فتقيه الاسهال طوال النهار، بل يبدو ان هذه الوقاية تدوم اسبوعا كاملا بعد التوقف عن تناول الدواء.

وقد اجريت تجربة هذا العلاج على ٣٩ متطوعا من "كتيبة السلام" المتوجهين الى كينيا فتناول نصفهم الدوكسيسيكلين وكانت النتيجة انهم تمتعوا بوقاية شبه تامة بينما استولى الاسهال على ٤٠٪ من النصف الاخر الذين تناولوا الدواء حسبما يشاءه المريض. ويحذر دافيد وبراولي ساك اللذان اشرفا على هذه الدراسة من استعمال الدواء عرضاً واعتباطاً، لانه لا يناسب الجميع، ولا سيما الاطفال دون السن التاسعة لانه قد يبقّع اسنانهم كذلك هما يحذران النساء الحاملات لانه قد يتأذى منه الجنين. ويقول الاطباء ان استعمال هذا الدواء ضد الاسهال، يجب ان يُحدَّد طبقاً لحال كل فرد الصحية.

وليم هاينز

اللقاح الاصطناعي

توصل الاستاذ ج.ك. شيرمان، عبر مسح استطلاعي اجرته جامعة اركنساس الامريكية على اكثر من ثلاثة آلاف طفل لقحت امهاتهم اصطناعيا بمني متبرع به، الى ان اقل من واحد في المئة منهم يعاني عيوبا رافقته منذ الولادة، فيما ترتفع هذه النسبة الى ٦ في المئة بين السكان العاديين. كما ان نسبة الاجهاض في حالات استخدام المني "المحرر" تبلغ ١٠ في المئة بالمقارنة مع نسبة الـ١٥ في العادة.

ان اختيار المتبرعين وتجميد منيهم لاستخدامه مستقبلا ليس ممكنا فحسب، بل أنه يوفر المزيد من الوقت للاطمئنان من أن المني الممنوح لن ينقل مرضا معديا.

يبقى تحذير اخير من الاستاذ ارماند م. كارو من كلية الطب في جامعة جورجيا: "ان عملية التجميد تؤدي دائما الى تقليص خصوبة المنيّ. لذلك، كان على الرجال الذين يختارون تجميد منيهم قبل اجراء عملية تعقيم ألا يعتمدوا هذا الاجراء كضمانة نهائية".

م.د.

مكافحات الأتربة والأوساخ "هوفر"

كل ماكينة من ماكيناتنا مشحونة بالسمات والمزايا التي استنبطت من أجل مساعدتك على الفوز في مكافحة الأتربة والأوساخ .. سمات وخصائص تجعل التنظيف أسهل وأسرع وأكمل مما كنت تظننيه ممكناً من قبل.

مهما كان نوع جهاز التنظيف الذي تبحثين عنه. أصري على طلب هوفر – أعظم أجهزة التنظيف جداً وكداً في مكافحة الأتربة والأوساخ. يمكنك شراؤها على الاطلاق.

«هوفر كيماتيك ١١٠٠»
أعظم الغسالات تقدماً اليوم.

«هوفرماتيك دي لوكس»
أعظم غسالة أوتوماتيكية ذات برميلين.

«هوفر سينيور كلينر»
أروج جهاز تنظيف في العالم.

«هوفر إلكترونيك ١٠٠٠»
قوة ١٠٠٠ واط تحت سيطرتك التامة.

هــوفــر – كل ما تختارينه منها مثالي لك.

HOOVER®



مرضى، وليسوا خرفين

كثيرا ما تنسب صفة "الخرف" الى المتقدمين في السن الذين تبدو عليهم اعراض السلوك العقلي المتعثر. غير ان الافتراض التحكمي ان جميع كبار السن الذين تظهر عليهم علائم الاضطراب الوظيفي العقلي يعانون "خرفا" لا علاج له او ضعفا عقليا بسبب الشيخوخة، معناه حرمان ١٠ في المئة منهم على الاقل الرعاية التي يمكن ان تردهم الى الحياة النافعة. ويقول الدكتور ريتشارد و. بيسدين، الاختصاصي في امراض الشيخوخة في مدرسة الطب في جامعة هارفارد: "انني اقرر ان حال المريض بخرف الشيخوخة، قابلة للتحسين عن طريق العلاج السليم". والفحص الدقيق وحده كفيل بالكشف عن بعض هذه الحالات الطبية القابلة للعلاج، مثل الاورام وضعف وظائف الكليتين او الكبد وردود الفعل السلبية للادوية، وهي حالات لا تمثل في ذاتها "اضطرابات في وظائف العقل". ويجدر بكبار السن ان يهتدوا الى التقويم الدقيق، ويتجنبوا الاستهتار او الاكتفاء بأنهم "مجرد خرفين".

ث.س.

استقصاء جنسي جديد

ان معظم الزوجات والازواج الذين يزعمون انهم سعداء في زواجهم يعانون، على رغم ذلك، مصاعب جنسية. وجاء ذلك في دراسة حديثة نشرت في مجلة "نيو انغلاند" الطبية. فقد اجري استقصاء شمل ٢٠٠ زوج وزوجة من المتعلمين الذين ينتمون الى الطبقة المتوسطة، وتولاه المعهد الغربي للطب النفسي وعيادته في بيتسبورغ في ولاية بنسيلفانيا. وقال ٨٥٪ من هؤلاء الازواج والزوجات انهم سعداء في حياتهم الجنسية، ولكن ثلاثة ارباع النساء ونصف الرجال ذكروا ان لديهم في هذا الصدد مشكلة او اكثر.

وكانت الصعوبتان الاكثر شيوعا بين ما ذكرته الزوجات: عدم القدرة على بلوغ الاثارة الجنسية وصعوبة الوصول الى النشوة، اما المشكلة الاكثر شيوعا بين الازواج فهي القذف المبكر.

وقالت سبع وسبعون من النساء ان لديهن مشكلات اخرى، من بينها عدم القدرة على الاسترخاء وعدم الرضا عن المداعبات التمهيدية وفقد الاهتمام وعدم الرضا عن التوقيت الذي يختاره الزوج. اما المصاعب الاضافية لدى الازواج فقد شملت عدم الرضا عن المداعبات التمهيدية والقلق من الانجذاب الى نساء اخريات والافتقار الى الرقة الكافية بعد المواقعة. وعندما طلب من الزوجات ان يحددن شكاوى ازواجهن استطعن ان يحددن متاعبهم بدقة، على نقيض الرجال الذين عجزوا في اغلب الاحيان عن معرفة ما تشكو منه زوجاتهم.

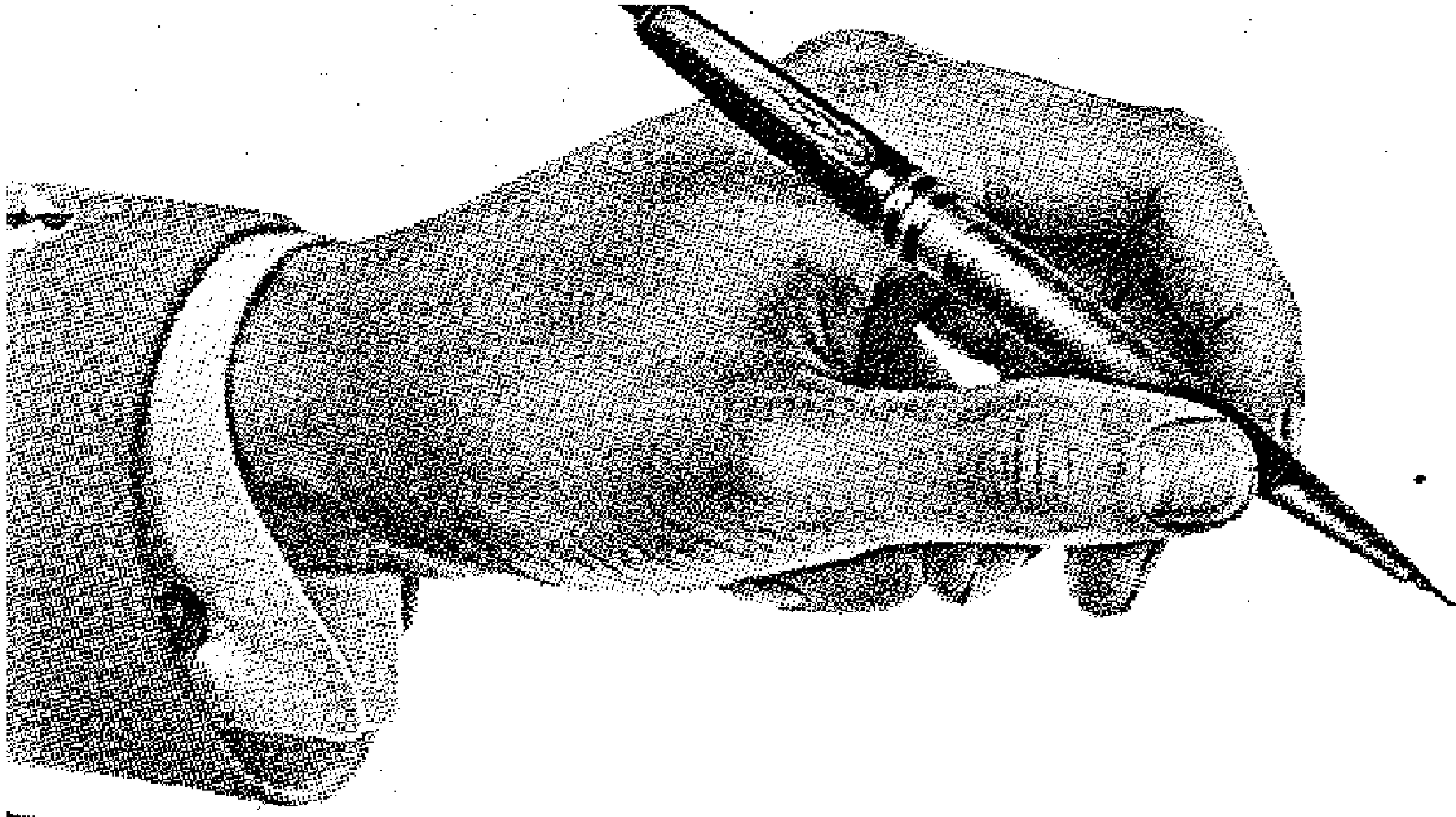
وكان من اهم ما كشفت عنه الدراسة ان الزوجة هي التي تقوم بالدور الاهم في العلاقات الجنسية بين الزوجين، وذلك - كما تقول الدراسة - "على رغم ان المعتقد كان ان الرجل هو الذي يكتب سيناريو العلاقة الجنسية مع زوجته ويخرجها ويمثلها، بينما تقوم هي بدور ثانوي".

(اد.اد. في "نيويورك دايلي نيوز")

حذار أدوية الصلع

بعد قرون طويلة من تجريب المستحضرات التجميلية والعقاقير والشعر المستعار وزراعة الشعر، بدا الاسلوب الجديد في انبات شعر اصطناعي انتصارا تكنولوجيا لآلاف المصابين بالصلع. لكنه ما لبث ان ظهر لكثيرين علاجا باهظ التكاليف وغير فعال وخطراً. فعوض ان تنمو خصل الشعر الجديدة بغزارة في رؤوس هؤلاء، انتهوا الى رؤوس خربة. ويصف الطبيبان وليم هانك وولما بيرغفيلد من مؤسسة كليفلاند للعلاج، في مقال نشراه في مجلة "الرابطة الطبية الامريكية"، حال عشرين مريضا راجعوهما طلبا للعون، وكان عشرة من هؤلاء أصيبوا بالتهابات بعد عملية الانبات الاصطناعي للشعر، فيما عانى أحد عشر مريضا من ندوب قبيحة. وأخفقت العمليات العشرون كلها في النهاية.

م.ك.



الكتابة باليد اليسرى ليست ضعفاً

في عالم يهيمن عليه الأيامن يبدو العُسْر منحرفين عن الحق. وطالما نظر الناس الى هؤلاء بارتياب. لذلك دعونا ندقق في الموضوع لنتبين الصواب من الخطأ

قال الباحث الايطالي في علم الجريمة سيزاري لومبروزو، وهو من رجالات القرن التاسع عشر: "ان العَسَر (اي استعمال اليد اليسرى) وصمة دالة على التفسّخ والانحلال". وأعلن انه وجد السجون في ايامه تغص بالمجرمين العسر. وهيمنت، على مدى قرون، فكرة تذهب الى أن العسر اشرار وانهم دون سائر الناس منزلة. وباتت كلمة "سينيستر" Sinister، التي تعني "اليسار" في اللغة اللاتينية تقتصر على معاني الشر والشؤم في اللغة الانكليزية.

لكن العالم - في ظواهره على الاقل - ابتعد كثيرا في الآونة الاخيرة عمّا كان يبطنه من مشاعر التهجم على من يستعملون أيديهم اليسرى. واصبح العُسر، الذين تبلغ نسبتهم قرابة ١٠ في المئة من سكان العالم، مقبولين على نحو متزايد في مآدب الطعام مع سائر الناس. ونشأت في هذه الايام متاجر متخصصة لبيع مختلف الادوات التي صنعت لاستخدام اليد اليسرى

في العمل. وتشمل هذه الادوات كل ما يمكن التفكير فيه تقريبا - من فتاحات العلب الى ساعات اليد الى ورق اللعب. وحتى في مجال التعليم حصلت ثورة متفائلة صامتة. ففي وقت من الاوقات كان التلاميذ العُسر في الصف (ومنهم كاتب هذا المقال) يجابهون الضرب الموجع بطرف المسطرة لاقناعهم بالتحول من اليد اليسرى "المسيئة" الى اليد اليمنى. اما الآن فقد حل "التعايش السلمي" داخل الصفوف!

ومع ذلك، لا تزال هناك كثرة من الخرافات حول العسر. وسأقتصر على سرد اعظمها اهمية، مستندا في صقلها وازالة الغبار عنها الى افضل البينات المتوافرة بغية اظهار مواطن الصواب والخطأ فيها:

١. العسر مثلهم مثل سائر الناس تماما، سوى انهم يستخدمون ايديهم اليسرى.

هذا خطأ. ربما بدا الأيامن متجانسين في اداء اعمالهم اليدوية، لكن العُسْر يتفاوتون في ما بينهم تفاوتا واضحا. وقد تبين لي من الاحصاءات الخاصة التي اجريتها مع عشرة اصدقاء عسْر الاتجاه نفسه الذي اظهرته الدراسات العلمية الرسمية التي أجريت على نطاق واسع. ففي العينة التي درستها، لم اجد، وانا اراقب عشرين وظيفة مختلفة، شخصا واحدا يمكن اعتباره أعسر كليا. ولم اجد كذلك اثنين بينهم متطابقين تماما. وعلى سبيل المثال، كانت هناك امرأة تلعب التنس بيدها اليسرى بينما تستخدم اليمنى في لعب كرة الطاولة. وكان هناك رجل يقذف الكرة بيمناه ويده تحت مستوى الكتف بينما يقذفها بيسراه وذراعه فوق مستوى الكتف.

لقد تعلم الباحثون انه يمكن لبعض الاشخاص ان يقول انه أيمن أو أعسر في اداء عمل معين، في حين ان التجارب تظهر غير هذا. وبدا ايضا ان بضعة اشخاص يتحولون من يد الى أخرى خلال الفترة الفاصلة بين المقابلة الاولى والمقابلة الثانية معهم. اضف الى ذلك ان بعض الناس يستعمل يداً في فك غطاء علبة أو قارورة ويداً أخرى في فك غطاء علبة معجون الاسنان مثلا. وربما كانت العملية الاولى اختبارا للقوة والثانية برهانا على الحذق والبراعة. وتجدر الاشارة الى ان كلمة "ديكستيريتي" (dexterity) الانكليزية، ومعناها الحذق والبراعة، مشتقة من اصل لاتيني "ديكستر" (dexter) بمعنى "الأيمن".

ومن المتعذر تماما التمييز بين التأثيرات الوراثية والبيئية المختلفة في اعتمادنا على يد أو أخرى، بسبب مرور آلاف السنين على انتاج الادوات ذات المقابض الملائمة ليد دون الأخرى فضلا عن وسائل التعليم التي انتهجها مجتمع الأيامن.

٢. الأعسر قليل الشأن وخارج على التقاليد.

هذا صواب وخطأ في الوقت نفسه. والحق ان نسبة أعلى من العسر يتأتئون في نطقهم، وغالبا ما يكونون في سني حداثتهم بطيئي الفهم وكثيري الأخطاء في القراءة، اضافة الى كونهم، من وجهة احصائية، أشدّ احتمالا من سواهم في ان يصبحوا، بعد بلوغهم سن

الرشد، مدمني مسكرات ودؤوبين على التنافر مع المجتمع. وصحيح كذلك انهم، كمجموع، يسجلون علامات دون المستوى في الاختبارات الطبية التي تجرى لفحص وظائف الاعصاب، مثل الربط بين الاشياء وتمييز الالوان والحس عن طريق اللمس.

لكن عليك ان تتذكر، في الوقت نفسه، اننا - معشر العسر - لسنا من طينة واحدة، بل اننا متشعبون ومتفاوتون في القدرات بحيث يستحيل أخذنا كمجموع كلي متجانس. ولا تنس ايضا الدقة العصبية والعضلية التامة لدى العسر من امثال جيمي كونورز او غييرمو فيلاس بطلي التنس. والواقع ان الدراسات التي فصلت بين العسر الذين يستعملون اليد اليسرى في اداء عدد كبير من الوظائف واولئك الذين يستعملونها في وظائف قليلة، أظهرت ان افراد المجموعة الاولى متكافئون ومتساوون من حيث القياسات العصبية مع مجموعات الذين يستخدمون اليد اليمنى بالنسبة نفسها.

اما بالنسبة الى الخروج عن المألوف، فقد كشفت الدراسات النفسية ان العسر اجمالا اكثر تمردا وخروجا على التقاليد. ولكن اذا أخذنا في الاعتبار صنوف الضغوط ولجاجتها في عالم الأيامن - بما في ذلك الضغوط التي يبذلها الآباء الخائفون على سلامة ابنائهم والمعلمون الذين يعملون بسلامة نية وحتى أطباء الاطفال الذين يشيرون على الآباء احيانا بمجابهة النوازع "السيئة" لدى اطفالهم بنقل العابهم وطعامهم باستمرار الى اليد اليمنى - لتبين لنا انه ليس من الغريب ان يشب العسر على شيء من الحنق والعناد.

ومهما يكن الامر، فان عددا لا يستهان به من العسر أضاؤوا صفحات التاريخ بمآثرهم ونشروا البهجة في النفوس. ومنهم، على سبيل المثال، الاسكندر الكبير وشارلمان والملكة فيكتوريا واللورد نيلسون وشارلي شابلن وجودي غارلاند ومارلين مونرو وداني كي ومارسيل مارسو. (ولا ننكر ان من بين العسر ايضا المجرم اللندني الشهير جاك ريبر ومجرم بوسطن الامريكي - "بوسطن سترانغلر" - الذي كان يخنق ضحاياه).

٣. العسر تطبع لا طبيعة، اي انه مكتسب وليس وراثيا.

هذا القول ينطبق بالتأكيد على عدد من العسر، ولكن من غير المرجح انه يشمل معظمهم. وقد ينتج النزوع الى استخدام اليد اليسرى عن اصابة خفية تطرأ على الجنين داخل الرحم، كالافتقار الى الاوكسجين الذي يسفر عن تعطيل جزء ضئيل من جانب الدماغ الذي يتحكم باستخدام احدى اليدين فيسفر عن الانتقال الى الجانب المقابل من الدماغ للسيطرة على اليد الاخرى. على ان قلة من العلماء الاختصاصيين في الاعصاب تذهب الى القول بوجود منطقة محددة من الدماغ مختصة بالسيطرة على اليدين. غير ان احدا منهم لم يستطع حتى الآن تحديد موقع هذه المنطقة بالضبط.

لقد كنا في الماضي نظن ان كلا من جانبي الدماغ موصول بأعصاب

كالاسلاك للسيطرة على حركة الجانب المقابل له من الجسم - أي ان اليد اليمنى يتحكم بها نصف الدماغ الايسر فيما يتحكم النصف الايمن باليد اليسرى. كما ان الدراسات التي اجريت على ضحايا الحرب ممن فقدوا القدرة على النطق نتيجة اصابتهم بجروح او صدمات، اظهرت ان مراكز اللغة بالنسبة الى الغالبية العظمى من الأيامن قائمة في النصف الأيسر من الدماغ. أما العسر فالتفاوت بينهم أكبر، وان دلت ردات فعلهم ازاء اصابات الدماغ على وجود عدد كبير جدا منهم يمكن ان تكون مراكز اللغة لديه في الجانب نفسه ايضا.

وقد اظهرت التجارب التي اجراها العالم النفسي في جامعة شيكاغو جيري ليفي بالاشتراك مع ماريلو ريد - عندما قاما بأيماض سلسلة من الكلمات امام المجال البصري لكل من نصفي الدماغ بالتناوب للتعرف على الكلمات - ان الاشخاص الذين يشبكون يدا بالطرف العلوي من صفحة الورقة التي يكتبون عليها (ومعظمهم من العسر) تقوم مراكز السيطرة لديهم في الجانب نفسه من الدماغ. اما الذين لا يشبكون يدا بطرف الورقة فأنهم يتبعون المبدأ الذي ساد أمدا طويلا والقائل بأن مركز السيطرة قائم في الجانب المعاكس من الدماغ.

وتجدر الاشارة الى ان ليفي وضع، بالاشتراك مع توماس ناغيلاكي المختص في علم الوراثة، نظرية معقدة لا تزال عرضة للمناقشة، ومفادها ان هناك وحدتين مورثتين (جينتين) تتفاعلان معا بحيث تحدد احداهما مركز اللغة من الدماغ بينما تحسم الثانية مسألة مركز الحركة في الجانب نفسه من الدماغ أو في الجانب المقابل وهكذا، اذا تأملنا في مسألة النزوع الى استخدام اليد اليسرى من هذه الزاوية، فأنها ستبدو لنا مجرد تنويع طبيعي آخر من التنويعات الوراثية على غرار ما يحدث في تقرير جنس المولود او لون عينيه. بيد ان القضية الاساسية في الموضوع لا تزال تراوغنا - ذلك لانه اذا كان مثل هذا النظام الوراثي موجودا فعلا، فلماذا يفضل انتاج اغلبية ساحقة من الأيامن؟

٤. العسر اكثر ابداعا من غيرهم.

من المحتمل ان يكون هذا صحيحا، كما تشهد عليه الاسماء التي ذكرنا، فضلا عن أسماء عباقرة مثل ليوناردو دا فينشي وبنجامين فرانكلين وبابلو بيكاسو ولويس كارول. والحق ان ما تكشف حديثا في علم الاعصاب يعطي تكهنات مدهشة عن طبيعة الاسباب في ذلك. ان كلا من نصفي الدماغ مُنظَّم بحيث يصوغ الانطباعات عن الواقع ويُصنفها ويعبر عنها باساليب مختلفة: فأحدهما يعمل عموما بواسطة رموز اللغة والأرقام المجردة، بينما يعمل النصف الآخر بواسطة الصور الذهنية المنقولة عن حواس النظر والسمع واللمس والذوق والشم. وهناك تداخل او "حديث متبادل" بين النصفين بحيث لا ينفرد اي منهما انفرادا مطلقا في أي من الوظيفتين. ومع ذلك، فقد تنشأ بين اليد التي نستخدمها في العمل ونصف الدماغ المسؤول عن حركتها علاقة وثيقة للغاية، سواء أكان النصف المسيطر

عليها هو ذاك الذي يعمل عموما بالصور (وربما كان أبلغ النصفين فنا) او بالرموز المجردة.

وقد عمدت آن اوهانلون، مدرّسة الفن في ميل فالي (ولاية كاليفورنيا)، الى حث طلابها الأيامن على استخدام اليد اليسرى للتثبت من امكان هذه النظرية. وبعدما أعياها جمود الأداء في صف يتألف من الراهبات خلال العطلة الصيفية قبل سنوات، اوعزت اوهانلون اليهن بوحي كان وليد ساعته، وهو أن يتحوّلن الى استخدام اليد اليسرى. وجاءت النتيجة أفضل والابداع أكبر. وهي اليوم تشجع جميع تلاميذها الأيامن على استخدام اليد اليسرى، واحيانا كلتا اليدين معا.

ألا يعني هذا احتمال ان يكون الأعسر أكثر نزوعا الى الفن والابداع؟ ان الواجب يحتم على التلاميذ الذين يرغمهم المجتمع على استخدام اليد اليمنى بالاضافة الى اليد التي يفضلون استخدامها بصورة طبيعية، ان يُقبلوا على تدريب كلا جانبي الدماغ بحيث يستخدمون طاقاتهم التصويرية بغض النظر عن الجانب المسيطر على حركاتهم.

ربما صحّ أن العسر أشد نزوعا الى الفن والابداع. ولكن ما من طريق الى اكتشاف الحقيقة الا بتشجيع كل شخص على الاحتفاء بالثروة الكامنة في تنوع نظامه العصبي، وذلك باستخدام كلتا يديه.

■ جاك فينشر



التوائم الاربعة

دخل توأمان متماثلان احد المشارب وهما يرتديان ثيابا متماثلة تماما، وطلبا شرابا، فرآهما سكران يجلس بالقرب منهما فنظر اليهما طويلا، ثم ارتعد وطلب قدحا آخر، فقال له احد التوأمين: "هدىء من روعك يا صاح. انت لا ترى امامك اشياء وهمية، وانما نحن توأمان متماثلان".

فنظر اليهما الثمل مرة اخرى وقال: "انتم الاربعة جميعا توائم؟"

س.هـ.

رجل فاضل

عندما وصل السيد مارتن مع سكرتيرته الى الفندق، اكتشف انه قد حصل نوع من سوء التفاهم مع كاتب الفندق الذي لم يحجز غرفتين مستقلتين. فقال الكاتب: "ليست هناك سوى غرفة واحدة لكن فيها سريرين مستقلين، ومن الممكن وضع حاجز بينهما". وكان السيد مارتن متعبا ومستاء، ولكنه نظر الى سكرتيرته، فأومأت موافقة، واخذا الحجرة.

وبعد ان فتحا النافذة وتبادلا تحية المساء ذهب كل منهما الى سريره. وفي منتصف الليل نادته سكرتيرته قائلة: "انني ارتعد من البرد فأرجوك ان تغلق النافذة".

وفكر مارتن لحظة ثم قال: "ما رأيك في ان تحلي محل المسز مارتن هذه الليلة فتتقي البرد؟".

فردت بسرعة: "اوه، ان هذا ليسعدني!"

فقال على الفور: حسنا، فتفضلي، اذا انت باغلاق النافذة!"

الضحك خير دواء



حقوق المرأة

اعتذرت امرأة عن عدم المشاركة في هيئة للمحلفين في احدى المحاكم لانها تعارض فرض عقوبة الاعدام. فقال لها القاضي ان ذلك لا يهم. "ففي القضية المعروضة علينا، تشتكي زوجة من ان زوجها قامر بمبلغ ٧٠٠ دولار كان قد وفّرها لشراء معطف فرو لزوجته في عيد ميلادها، وخسر المبلغ".

وهنا اجابت المحلفة المرتقبة: "في هذه الحال استطيع المشاركة. ولعلي كنت مخطئة في معارضتي لعقوبة الاعدام".

د.أ.

حيلة بارعة

عصر أحد أيام الجمعة، دخل شاب وسيم وشابة حسناء محلا للمجوهرات. وابدى الشاب رغبته في رؤية بعض قلائد الماس. وعرض الجوهري ما عنده، فاختار الشاب قلادة رائعة بعد تفحص عميق، وابلغ صاحب المتجر: "سنقضي اجازة نهاية الاسبوع خارج المدينة. ومن الآن الى ان اعود لتسلم القلادة يوم الاثنين، امامك متسع من الوقت للتدقيق في حسابي المصرفي".

وغادر الشابان.

وسرعان ما وجد الجوهري ان حساب الرجل لا يتعدى ١٢ دولاراً. وما إن حل صباح الاثنين وقدم زبون المستقبل إلى المتجر حتى بادره المالك يشرح الأمر. فقاطعه الغني قائلا: "لا بأس، لا بأس. لم اتوقع الحصول على تلك القلادة، لكني جئت لاشكرك. فبفضل قلادتك قضيت عطلة ساحرة".

ج.د.

سمك بري

كنا في منطقة حل بها الجفاف، فأخذ اخي وبعض الاصدقاء يتجادلون حول المناخ. ووجهوا سؤالا الى مزارع بينهم عن كيفية تأثير انقطاع المطر على اوضاعه. فاتخذ الرجل وضع الحكيم وأجاب: "لنفسر الأمر بهذه الصورة. وضعت سمكة في بركتي منذ ثلاثة اشهر، ولم تتعلم السباحة حتى اليوم".

ج.ج.

أبي وأمي

مع ان العلاقة بين والديّ كانت سعيدة، إلا انها تعرضت احيانا للمتاعب لأن أبي غالبا ما صرح باعجابه للنساء الطويلات ذوات السيقان الرشيقة. وكانت أمي ذات المقاييس الدقيقة والجذابة تتجاهل عموماً تلك الملاحظات حتى عيل صبرها ذات مرة وسألته غاضبة: "إن كنت تحب الفارعات والسيقان الطويلة الى هذا الحد، فلِمَ تزوجتني؟" فاجاب والدي ببرودة: "ظننتك ستكبرين".

ج.م.ل.




قبلة الملايين

"وأذّن في الناس بالحج". بهذا الامر الذي اصدره الله سبحانه وتعالى لنبيه ابرهيم، ثم انزل على نبيه محمد عليه الصلاة والسلام، برزت الى عالم الوجود مناسبة من اعظم المناسبات الدينية في العالم، الا وهي الحج وهذه السنة يرتدي الحج (بين ١٠/١ و١١/٣) اهمية خاصة نظرا الى ان الاسلام يدخل هذه السنة قرنهالخامس عشر. فمنذ اربعة عشر قرنا والمسلمون يشدون الرحال الى تلك البقعة المقدسة في الجزيرة العربية كي يتوجهوا الى الله منها بالخشوع والصلاة، ليؤدوا بذلك فرضا من فروض الاسلام على كل مسلم ان يؤديه مرة في حياته على الاقل ان استطاع الى ذلك سبيلا. وفي المقال الآتي، يروي مدير المركز الاسلامي في واشنطن الذي حج الى مكة مع أسرته اخيرا، ما يفعله الحجاج في رحلتهم الروحية هذه ويفسر مغزى ما يقومون به من مناسك.

"لبيّك اللهم لبيك!
لبيّك، لا شريك لك، لبيّك!
ان الحمد والنعمة لك والمُلك!
لا شريك لك".

هذه **التلبية**، التي يلهج بها سنويا اكثر من مليون ونصف مليون حاج مسلم، هي اعلان بداية الحج رسميا. وقد حضر في ذاكرتي ذلك المشهد الذي جرى في مطار بيروت حيث قضيت مع طفليّ الليلة بأكملها ننتظر الطائرة التي ستحملنا الى جدة في المملكة العربية السعودية. وكان ابني فيصل وأنا نرتدي ملابس الاحرام، وهي لكل منا قطعتان من قماش القطن الابيض خاليتان تماما من كل حياكة، وقد تعرى رأسانا

المسجد الحرام في مكة المكرمة. ◄

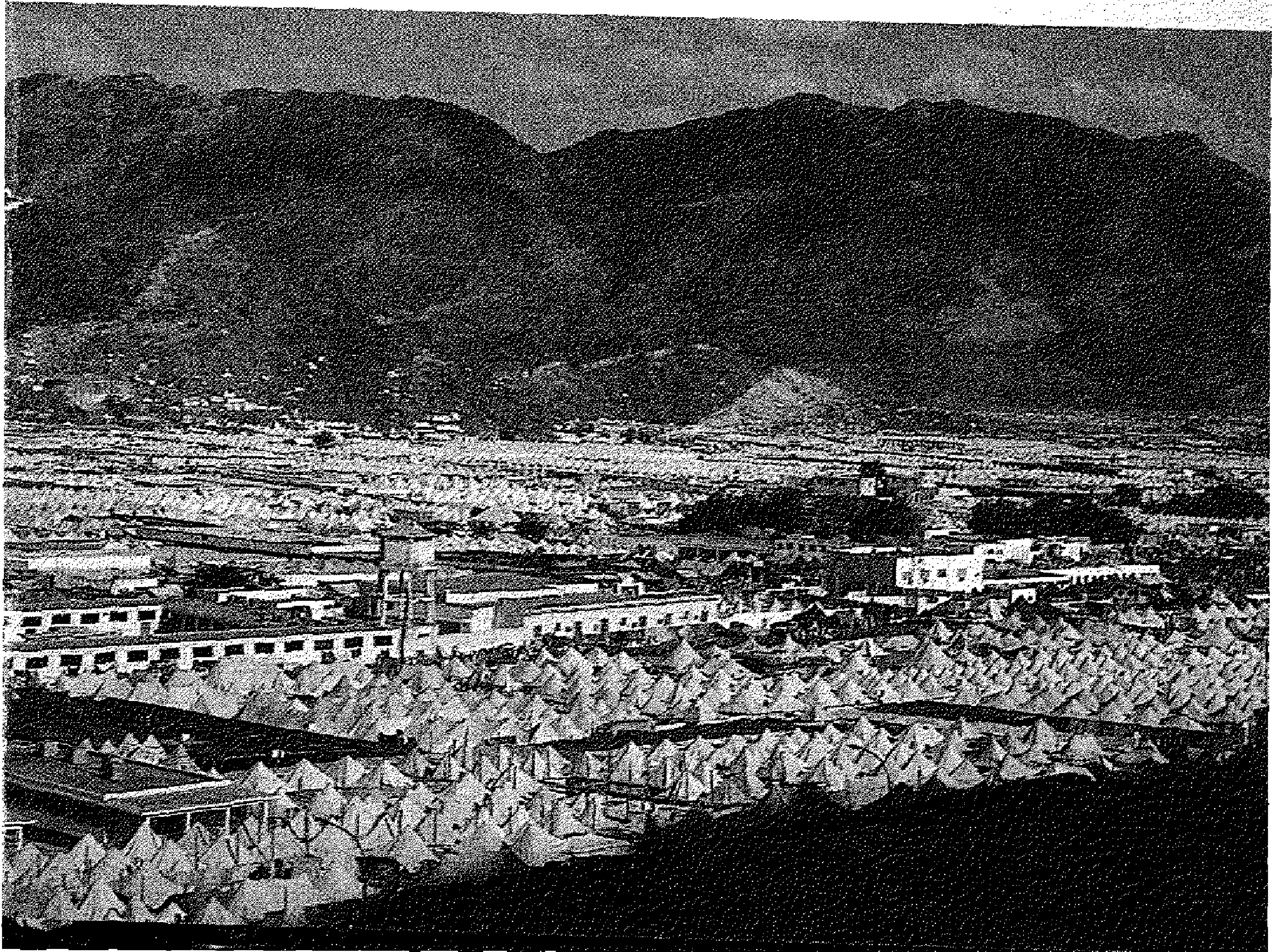


ووضع كل منا في قدميه خفا (صندلا)، ومعنا ابنتي عائشة في ملابس سابغة لا تكشف الا عن وجهها وكفيها، ونحن الثلاثة وسط مئات من الحجاج في ملابس مماثلة. ومغزى هذه الملابس البسيطة هو انه مهما كانت مراكز الناس في الحياة، فان المسلمين جميعا سواسية في نظر الله عز وجل.

ألا ما أشد ترفنا! لقد طاف بفكرنا الراعي الافريقي الذي سار على قدميه جانبا كبيرا من طريقه الى مكة، والفلاح الاندونيسي الذي جمع كل ما اقتصده طوال حياته ليقوم بحجته، فدفعنا الخجل الى ان نحمد الله حمدا لا نهاية له على الراحة التي تكتنف رحلتنا الى الحج. وبينما نحن نصعد الطائرة في الفجر، تذكرت حجتي الاولى قبل ٢٥ عاما، عندما قطعت المسافة التي تزيد على ١٢٠٠ كيلومتر من الكويت راكبا في مؤخر سيارة نقل.

الاحرام — الان والحجاج في حال احرام، يصبح ممنوعا عليهم ان يقصوا اظافرهم او شعرهم، او ان يصطادوا او يتجادلوا او يمارسوا النشاط الجنسي. وكنا متلهفين للحاق باخوتنا المتوافدين على مكة من اركان الارض الاربعة. فهناك سنؤدي فرضا من اهم فروض ديننا: الحج الى الكعبة، ذلك المكعب المبني من الحجر بارتفاع ١٥ مترا، والذي بني مقامه، كما نعتقد نحن المسلمين، من أجل عبادة الله على يد ابرهيم وولده

مدينة الخيام في منى.



صُندوقُ الاستاذ عزيـز

الحجاج القادمون من ماليزيا يصلون الى جدة عبر جسر جوي تقيمه شركة طيران ماليزيا بين السعودية ومدينتي بيانغ وكوالالمبور .وقد بلغ عددهم في العام الماضي ٧٤٠٠ حاج نقلتهم الطائرات في ٥٦ رحلة ذهابا وايابا على مدى شهرين.

ويدفع كل حاج ٤٠٠٠ دولار ماليزي (١٨٨٧ دولارا امريكيا) يحصل في مقابلها على تذكرة السفر بالطائرة وعلى ٢٤٠٠ ريال سعودي (تعادل ٧٤٠ دولارا) لمصروفاته النثرية، وعلى حصير للنوم وقنينة من البلاستيك لماء زمزم، ومجموعة من الوثائق الصحية ومستندات السفر التي تغطي نفقات اقامته التي تمتد ٤٥ يوما.

ويعود الفضل في احداث حجيج ماليزيا المحمول جوا، والمنظمة الخيرية التي تنهض بأمره، الى جهود السيد اونجو عزيز نائب رئيس جامعة الملايو. وقد اقلق عزيز بصفته مدرسا للعلوم الاقتصادية منذ عشرين عاما، ما شهده من الطرق غير العملية التي يتبعها قومه في ادخار المال اللازم للحج مع التزامهم في الوقت نفسه بالحظر الاسلامي على الربا، كما أقلقته الزيادة المطردة في تكاليف الحج وقلة اسباب الراحة ووسائل الانتقال التي يواجهها الحجاج في غالب الأحيان.

ويقول عزيز في ذلك: "كان الحل إنشاء مؤسسة تهتم بتعبئة المدخرات من دون التورّط في فوائد مصرفية، على ان يحل محلها نظام للمشاركة في الأرباح. ومن هذا المنطلق استبعدت فكرة السندات بما تنطوي عليه من عائد ثابت واتبع نظام المساهمة في الربح".

وعام ١٩٥٩، اقترح عزيز إنشاء مؤسسة عامة تتولى استثمار مدخرات الحج، فلقيت فكرته ترحيبا ولكنها ظلت تعلّ طوال سنوات ثلاث، الى ان تناولها وأقرها الامام الأكبر شيخ الجامع الأزهر في مصر الشيخ محمود شلتوت.

وفي أبريل/ نيسان، ١٩٦٢ تمّ اعلان ما اصبح يعرف في الأوساط الشعبية باسم "تابونغ حج". وبعد ست سنوات، دمجت المنظمة في ادارة شؤون الحج وصار اسمها: "المجلس الماليزي لادارة شؤون الحج وصندوقه".

وقد بلغ رأس مال هذا الصندوق عام ١٩٧٨ ما قيمته ٢٦٤ مليون دولار ماليزي، وزاد عدد المودعين على ٣١٣٠٠٠، وارتفعت نسبة العوائد من الودائع من ٣٪ عام ١٩٦٦ الى ٦٪ عام ١٩٧٣ فالى ٧،٥٪ عام ١٩٧٨.

والى جانب المعاملات التي يقوم بها الصندوق في السوق المالية والعقارية، فأن رعاية حجيج ماليزيا مهمة رئيسية من مهماته.

ومن احدث المشروعات العقارية التي احدثها الصندوق قيامه الآن باشادة مبنى في مدينة سوبانغ تبلغ تكاليفه ٤،٥ ملايين دولار ماليزي، وينتظر الانتهاء منه عام ١٩٨٠، فيشتمل حنيذاك على مسجد وقاعة للاجتماعات. ومكتب لشركة طيران ماليزيا مخصص لخدمة الحجاج، كما يوفر تسهيلات فندقية.

اسماعيل، اسلاف نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

وبعد ساعتين ونصف ساعة هبطت الطائرة بركابها من الحجاج في جدة. وبدأنا عند الضحى رحلتنا بالسيارة عبر ٧٠ كيلومترا الى مكة، وسط حافلات مليئة بالحجاج: شرقيون وسود وقوقازيون ومن جميع الاجناس والالوان التي تمخضت عنها اجيال واجيال من الزيجات المختلطة.

ومررنا بعمود ابيض كان علامة دخولنا رحاب الارض المقدسة، وهي دائرة حول مكة لا يجوز دخولها الا للمسلمين. ولهجت السنتنا بالتلبية وقد تصاعدت حماستنا حتى بلغنا مشارف المدينة، التي تتجمع مبانيها في واد غير ذي زرع تحيط به التلال القاسية كالاسوار المنيعة.

وسارت بنا السيارة وسط شوارع مزدحمة تحفها الحوانيت في اتجاه المسجد الحرام، وهو مبنى ضخم على هيئة مربع تمتد منه ذراع مائلة وتعلوه سبع مآذن. هناك نؤدي طواف التحية المقرر، فندور حول الكعبة

سبع مرات. ودخلنا من باب السلام، فقابلتنا همهمة التلاوة. ووسط صحن المسجد الواسع المكشوف صافحت اعيننا الكعبة، منتصبة في جلال وسط بحر من البشر.

من المستحيل ان ننسى ذلك المشهد الاول للبيت الحرام بكسوته السوداء. فنحن المسلمين نستقبل الكعبة بوجوهنا خمس مرات كل يوم في صلاتنا، من اي مكان على الارض نوجد فيه، وكلنا حنين الى اللحظة التي نستطيع ان نشاهد فيها بيت الله هذا بأعيننا ونلمسه بأيدينا.

وينفعل كل حاج لرؤية الكعبة بطريقته الخاصة. ففي تجربتي الاولى وجدتني وقد زاغ بصري فجأة، في حين راحت زوجتي ترتجف وتنشج. وفي هذه المرة ارتعشت ابنتي وكأن تيارا كهربائيا مسها. اما ابني فقد انعقد لسانه - لقد أذهلته، كما روى لي في ما بعد، احاسيس عميقة بالسكينة. واندمجنا نحن الثلاثة في نشوة الايمان التي تغمر نفوسنا وكل ما حولنا.


وقد يثور السؤال عن سر هذا التقديس لبناء مكعب اجرد من الحجر الرمادي. انه ليس قطعة من الفن الرفيع ولا تزينه كنوز من الجواهر. وليس هناك مسلم يعزو اليه قوة تنفع او تضر. غير ان الجواب عن السؤال بسيط: فالكعبة هي بيت الله، كرسها بانيها ابرهيم لعبادته. وبالقرب منها ولد محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة العام ٥٧٠ للميلاد. وبعد ذلك التاريخ بأربعين عاما، هبط الملاك جبريل بالتنزيل ان لا اله الا الله، داعيا محمدا على ان يطهّر الكعبة من الاوثان. وهنا، بعد الهجرة (عام ٦٢٢ للميلاد) بثماني سنوات، عاد النبي صلى الله عليه وسلم منتصرا يفيض من جوانحه التواضع، كي يرى تلك الاوثان تهدم باشارة منه، والكعبة المطهرة قد عادت مكرسة لعبادة الله الواحد الاحد.

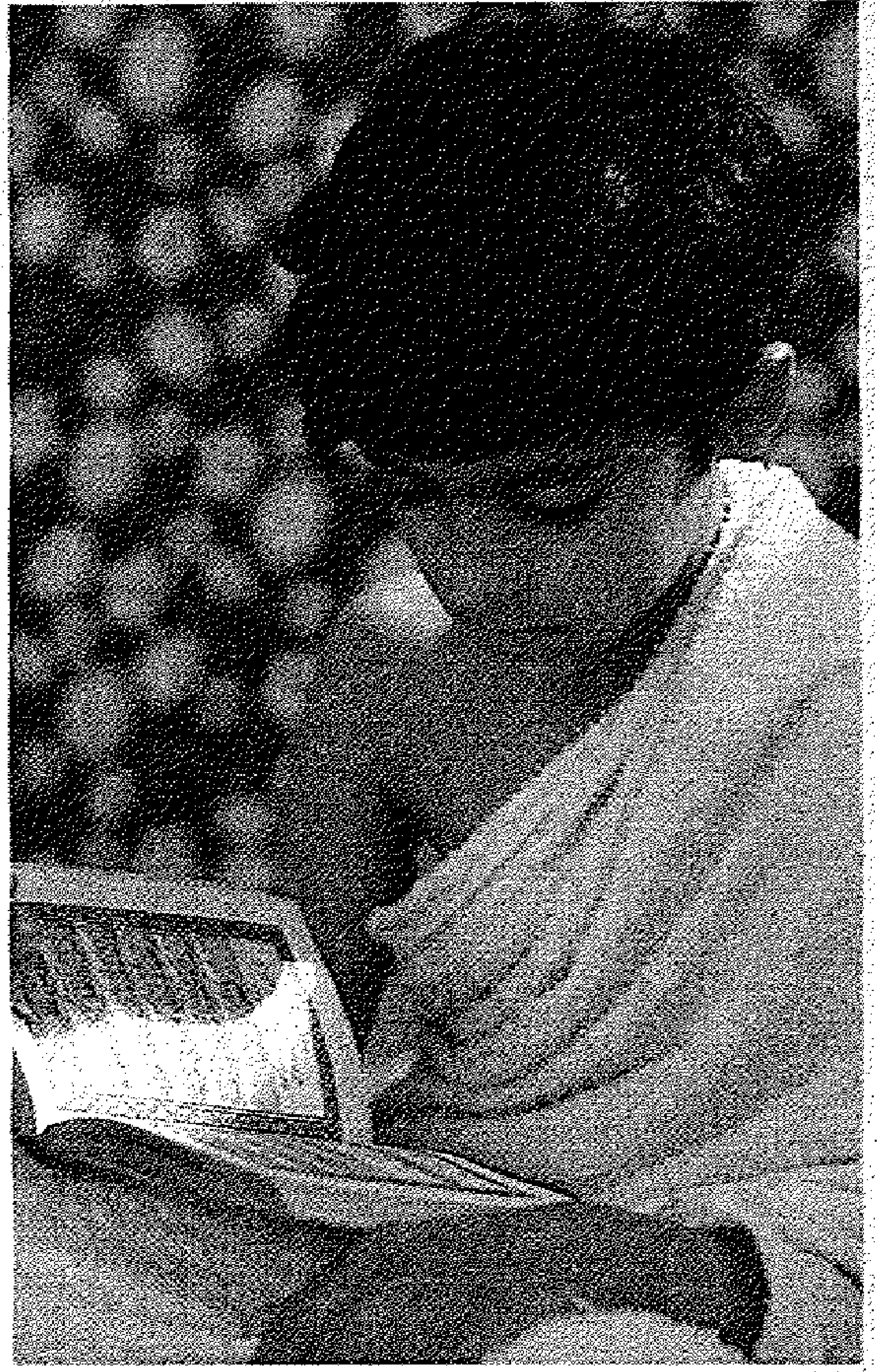
ورحنا نشق طريقنا في صحن المسجد وسط الجمع الحاشد نحو الحجر الاسود. وهذا الحجر المقدس الذي لا يزيد قطره على ٣٠ سنتيمترا، موضوع في اطار من الفضة في الركن الشرقي للكعبة، وهو النقطة التي يبدأ منها الطواف وينتهي عندها. ويتلهف الحجاج للمس هذا الحجر او تقبيله، وكأنه رمز يد الله عز وجل، الذي نجدد عهدنا معه على هذا النحو. ودفعتنا امواج البشر، فثابرنا على تلاوة الصلوات ونحن نجاهد كي نلمس الحجر.

الطواف - وانتصبت الكعبة فوق هاماتنا وكأنها اذن الله تستوعب الصلوات الملهوفة التي تلهج بها افئدة عباده من البشر. ومثلما يفعل الرعايا الذين يلتمسون رضا مليكهم عند اعتاب عرشه، رحنا نطوف حول بيت الله العظيم وقد تلاحقت دموعنا، نطلب البركة والرحمة ونتوق الى جواره في الجنة.

وبعد ان اكملنا مراسم الطواف، مضينا لنشرب ماء معدنيا غنيا من بئر زمزم، حيث روّى اسماعيل وامه هاجر ظمأهما. وتقول الرواية ان الطفل اسماعيل وأمه تركهما ابرهيم وحدهما في واد غير ذي زرع، ثم راحت هاجر ملهوفة تبحث عن الماء في كل مكان. واخيرا كشف لها ملاك عن بئر زمزم، وبعد حين، بنى ابرهيم واسماعيل،

الحجر الأسود: منه ينطلق الطواف وعنده ينتهي.





يافع في ثياب الاحرام يتلو آيات من القرآن.

بيت الله قرب البئر، ثم نـمت مدينـة مكة حوله.

السعي ـ وبعد طواف التحية، نمضي نحن الحجاج لنقوم بالسعي، وهو الهرولة سبع مرات مع الدعاء المتصل بين تل الصفا وتل المروة اللذين يقعان الان داخل نطاق المسجد الحرام. وهذا الفرض يعيد تمثيل ما فعلته هاجر وهي تبحث عن الماء قبل هدايتها الى زمزم.

وسواء وصل المسلم مبكرا او متأخرا اثناء موسم الحج (الذي يبدأ كل عام مع بداية الشهر العاشر من السنة الهجرية، وهو شهر شوال، متقدما احد عشر يوما في كل سنة ميلادية عن موعده السابق)، فاننا نحن الحجاج جميعا نقضي ليلة اليوم التاسع من الشهر الثاني عشر الهجري (ذي الحجة) في قرية منى، التي تقع على بعد ستة كيلومترات ونصف كليومتر الى الشرق من مكة. ونحن نفعل ذلك جريا على سنة رسول الله (صلعم)، لنرتاح قبل يوم الوقفة. ففي هذه النقطة التي تمثل الذروة من كل مراسم الحج، نقف على سهل عرفات، الواقع على مسافة ١٣ كيلومترا اخرى الى الشرق، في جو قد تبلغ حرارته ٤٣ درجة مئوية، ونواصل الصلاة والدعاء من الظهر حتى غروب الشمس.

منى وعرفات ـ ولدى وصولنا الى منى وجدناها قد غدت مدينة خيام مزدحمة. وانضممنا بعد صلاة الفجر الى التيار البشري المتدفق نحو سهل عرفات، تحيينا الوان الشروق الزاهية.

وكان الحجاج يزحمون السيارات والحافلات وسيارات النقل او يمتطون ظهور الحمير والجمال، وكثيرا ما كان يبدو ان السائرين على اقدامهم اسرع من الراكبين. وعند الظهر، يتجمعون كلهم فوق السهل الصحراوي الحار، في أزرهم وارديتهم البسيطة المتماثلة، الحكام منهم والمحكومون، والاغنياء والفقراء، والرجال والنساء، والسود والبيض.

كان مشهدا لا يمحى من الذاكرة: اكثر من مليون ونصف مليون من البشر نقف تحت الشمس المحرقة فوق هذا السهل الصخري العاري، وقد خلفنا وراءنا كل ثراء وشهرة، ومثلنا امام الله اذلاء ندعو بالخلاص والغفران لانفسنا ولاخواننا.

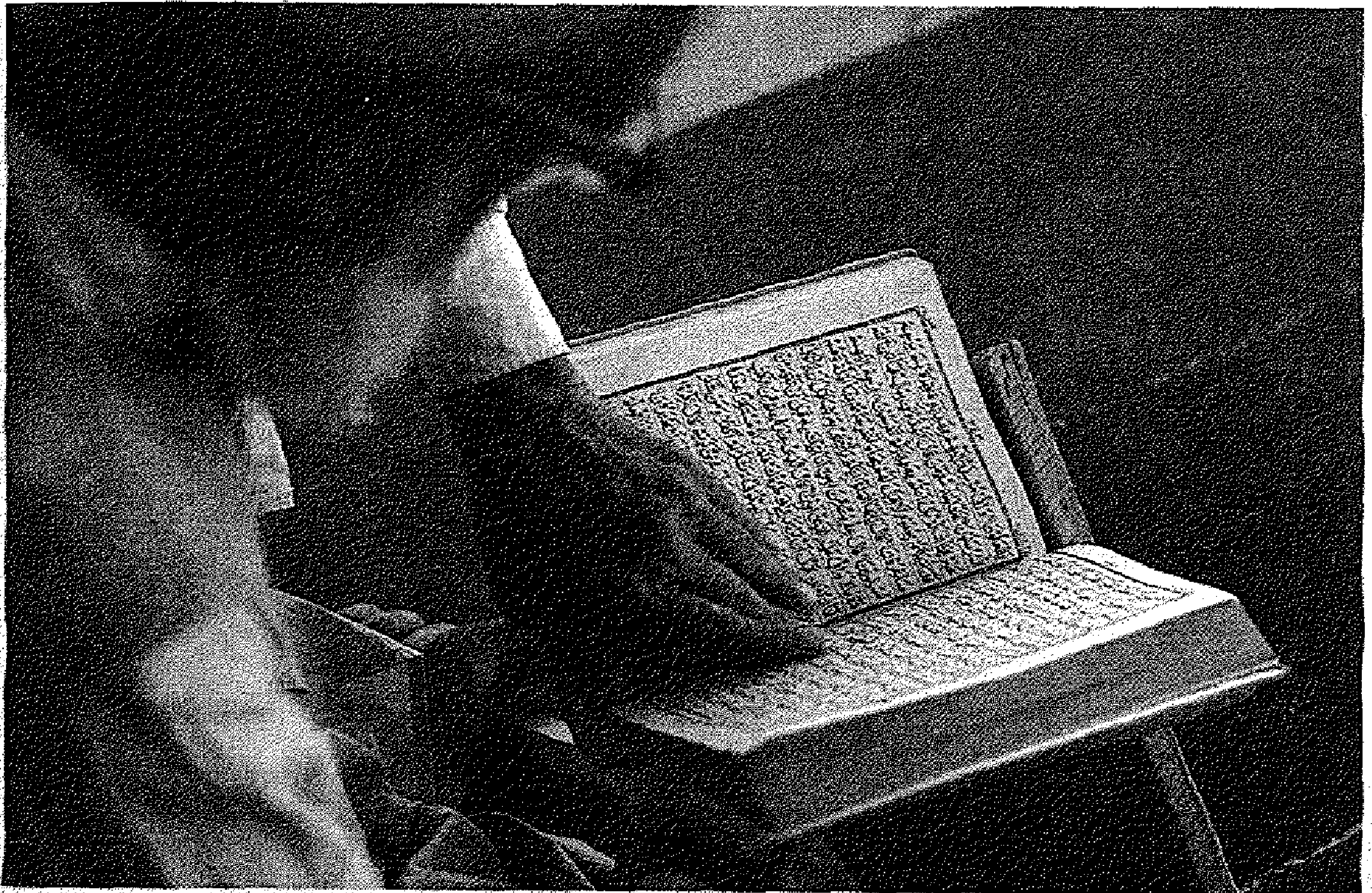
وبعد الغروب بقليل، تتحول امواج الحجاج الى الاتجاه المضاد، ونتوقف

في طريق العودة الى منى لنقضي الليل عند المزدلفة. وهناك نقيم الصلوات، جريا على سنة رسول الله (صلعم)، ثم نتجه في اليوم التالي ليلقي كل منا ٤٩ حصاة على الاقل يحصب بها "مراجم ابليس الثلاثة" في منى. وهذه الاعمدة الثلاثة يبعد كل منها عن الآخر مسافة تزيد على ١٢٠ مترا، ويحيط بكل منها سور بارتفاع كتف الانسان لتلقي الحصوات، وهي ترمز الى قوى الشر، كما ان رجمها يرمز الىكفاحنا ضد الشر الذي يمتد طول الحياة. وفي اليوم العاشر من شهر ذي الحجة يحتفل المسلمون بعيد الاضحى، الذي يؤذن بنهاية موسم الحج، بان يضحوا بذبيحة ليحيوا بذلك ذكرى خلاص اسماعيل الذي يقول الله عز وجل في شأنه في كتابه العزيز: "وفديناه بذبح عظيم".

ومضينا بالسيارة من المزدلفة الى مكة بعد منتصف الليل بقليل، وتوقفنا في طريقنا برهة عند منى لنؤدي مراسم الرجم، ثم عدنا الى المسجد الحرام لنؤدي الطواف الختامي، التالي للوقوف في عرفات، وبعده السعي مرة اخرى. وعندما تم ذلك، قص كل منا خصلة من شعره رمزا لانتهاء الاحرام.

بعد ذلك اتخذنا لنا في شرفة المسجد الحرام مكانا يطل على الكعبة، بينما بدأت الحشود تملأ الصحن الشاسع. وجلست الى جوار السور اتلو آيات من القرآن وانا اشاهد جموع الحجاج تتدفق بسرعة متزايدة تحت اشعة النور الضاربة الى الزرقة. ولم استطع تمييز الوجوه او الرؤوس: انه بحر من الموجات البشرية

شيخ يتصفح القرآن الكريم.



يطوف حول بيت الله بكسوته الانيقة. **بهجة الاسلام** – وخلبني المنظر، فسبحت بي افكاري الى النفوذ الهائل للرجل الوديع المتواضع الذي كان وراء كل هذه الحماسة الدينية، والذي صاغت تعاليمه الحياة اليومية لكل هذه الحشود، واعطتها التوجيه الروحي والمعنوي، والثقة والراحة، وجذبتها الى هذا المكان من كل فج عميق في انحاء الارض.

ما هو الحافز الذي يدفعنا نحن المسلمين الى القيام بهذه الرحلة التي تتضمن مقدارا كبيرا من التضحية والمشقة والتكاليف ومع ذلك نقوم بها بكل ما فينا من حرارة وحب؟ وما هو معنى هذه الشعائر؟

ان بهجة الاسلام تكمن في اعترافه بمختلف حاجات الانسان ووفائه بها. فنحن ابرياء لا تثقلنا خطيئة اي شخص آخر، ونجد التشجيع الكامل على السعي الى اشباع حوافزنا المادية والعاطفية والفكرية، ونلقى الجزاء والمكافأة من الله سبحانه وتعالى على هذا السعي. ومع ذلك فان علينا الا ننسى اصلنا، وهو الله العلي القدير خالقنا وبارئنا الذي اليه مآلنا والمصير. وسعيا الى بلوغ هذه الغاية، نؤدي فروضنا وشعائر تسمى اركان الاسلام الخمسة. فالى جانب شهادة "لا اله الا الله" واقامة الصلاة، وايتاء الزكاة، وصوم رمضان، تتضمن هذه الفروض القيام بهذا الحج الى بيت الله الذي تصبح به الكعبة، مركز الاسلام ورمز وحدتنا، ملء ابصارنا قائمة ملموسة. وفي هذه المعتقدات والشعائر البسيطة الواضحة، يحس المسلم بوحدته مع اخوانه في العقيدة، التي تضم الان اكثر من ثلاثة ارباع مليار من البشر في انحاء الارض، وهو ما يجعل الاسلام ثاني الاديان انتشارا في العالم.

ان المسلم يتوق الى التخلص، وان مرة واحدة في حياته، من صراعات الحياة اليومية واضطرابها ملتجئا الى مسقط رأس نبيه والى بيت ربه عالم الغيب والشهادة. هناك يلتمس المسلم مع اخوانه في الدين غذاءه الروحي وخلاصه. فالحج رمز عودتنا الى اصلنا، ونحن نتذوق بهجة هذه العودة، اذ انها تشبع الحافز اليها الذي يكمن في قلوبنا.

والعري القاسي لهذا الوادي الصحراوي هو سبب قداسة موقعه. فنحن لا يمكن ان نخرج الى الحج متوقعين ان نستمتع باجازة مريحة ومناظر ممتعة وطعاما شهيا وترويحا مسليا. فقد اختار الله العزيز الحكيم هذه البقعة لتكون مكانا لعبادته فحسب، ولذا فان ابتهاجنا الكبير مبعثه اننا قد انتقلنا بانفسنا الى هذه البقعة حبا له وطاعة لامره فقط. ان لحظات وجودنا هنا هي، في اختصار، القمة الروحية لحياتنا كلها.

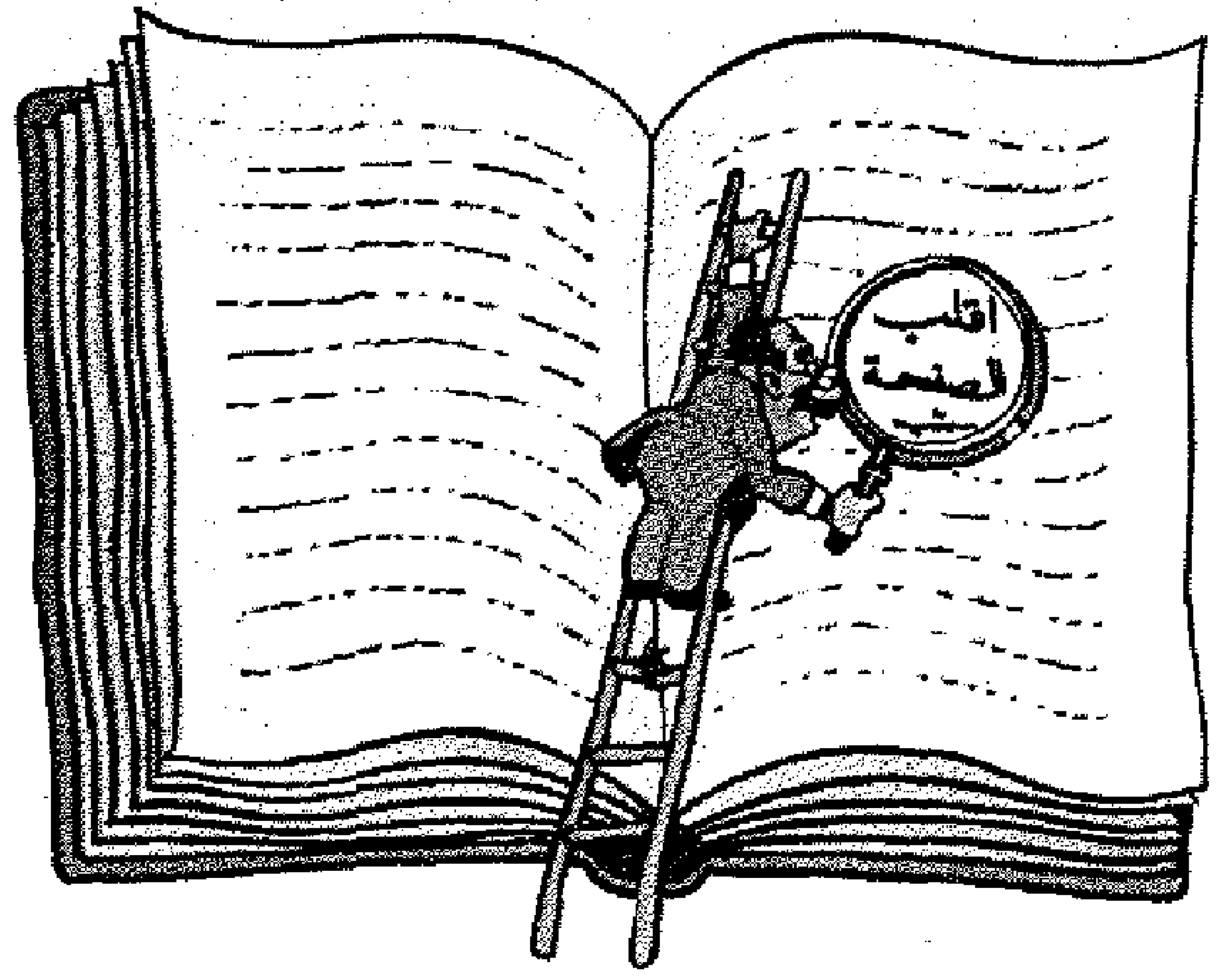
■ **الدكتور محمد عبد الرؤوف**



الحرب والسلم

طور عصرنا فن الحرب والتدمير الى حد يفوق التصور. وعلى نقيض ذلك، يبدو أحيانا أن فن حفظ السلام قد أصبح طي النسيان.

ف. ر. ١٠.



دائرة المعارف

كلمات الدائرة في هذا العدد مأخوذة من أعداد "المختار" العشرة السابقة – ثلاث كلمات من كل عدد.
وقد وضعت أمام كل كلمة أربعة معان، واحد منها فقط صحيح. والمطلوب من القارىء، اختبارا لمعرفته اللغوية، أن يختار الكلمة التي يعتبرها صحيحة، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. **أمَدّ:** طالَ – أطالَ – أقام مدّةً – أعان.

٢. **استماحَ:** أعطى – اعتذَر – التمسَ – مشى متبختراً.

٣. **النَّدوة:** المطر – موضع شرب الابل – النداء – المجلس.

٤. **الهَجير:** شدّة الحرّ – نصف النهار – الصيف – جماعة المسافرين.

٥. **لمياء:** سمراء الشفتين – واسعة العينين – طويلة – فاتنة.

٦. **حُنْكَة:** كذب – مقدرة – تجربة – حياء.

٧. **لَجوج:** متردّد – مخاصِم – مضطرب – ملحّ.

٨. **وِثاق:** جَمْعُها: أوثاق – وُثُق – وُثْق – أوثِقَة.

٩. **الطَّوْل:** الشّوق – القدرة – الرفعة – العمر.

١٠. **مَهاة:** حص أبيض – بقرة وحشيّة – فرَس – لؤلؤة.

١١. **براثِن:** قوائم – أنياب – أظفار – ريش حادّ.

١٢. **امتثَلَ:** أعطى مثلاً – تبع – قلّد – نكّل.

١٣. **القُمَّة:** القَوم – الخصب – الذروة – المزبلة.

١٤. **الجَريض:** الدمع – المرض – الرّيق – السّيْل.

١٥. **عاتِكَة:** قادِرَة – شديدة الحُمْرة – فاتنة – ممتلئة الجسم.

١٦. **ذَريعة:** هَدَف – وسيلة – نتيجة – سبَب.

١٧. **القِبْلَة:** القبول – الجِهَة – المقْدرة – الصّلاة.

١٨. **هواء:** جَمْعُها: هَواءات – أهواء – هُوىً – أهوِيَة.

١٩. **الكَبيرة:** المشقّة – العناد – الشّرَف – الإثْم الكبير.

٢٠. **لَهاة:** لحمة سَقْف الفم – نَفَس عميق – دُمْية – عَطِيّة.

٢١. **تملّق:** رَشا – كذبَ – افْتَقرَ – تودّد.

٢٢. **المُزن:** السّحاب – الميزان – المطَر – القربَة.

٢٣. **الحِجّة:** المناقشة – البرهان – شهر قمَري – السّنَة.

٢٤. **الهَزيم:** البرق – الرعد – المطر – السّحاب.

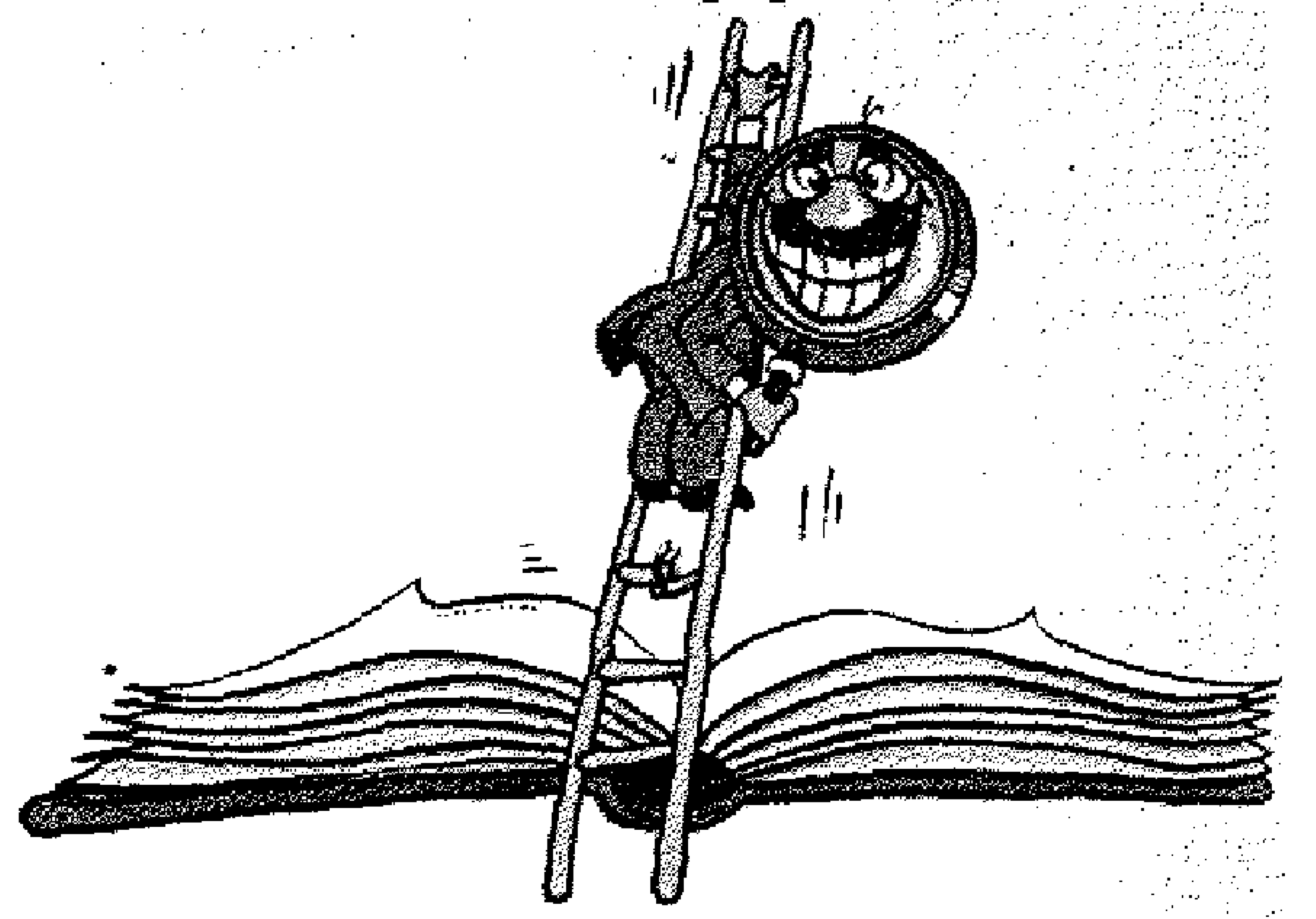
٢٥. **أدماء:** طويلة – ذكيّة – سمراء – بيضاء.

٢٦. **عَريق:** عميق – طويل – طيّب الرائحة – ذو أصْل.

٢٨. **قِلادَة:** جَمْعُها: قلادات – أقْلاد – قَلائِد – أقاليد.

٢٩. **الصّغار:** الصّغير – العداوة – الذلّ – توافه الأُمور.

٣٠. **صَفاة:** رماد – صخر أملس – نخْبة – حجر صَلْد.



الأجوبة الصحيحة

١٠ أمدَّ: أعانَ. أغاثَ. زوَّدَ.
٠٢ استماحَ: التمسَ. سأل العطاء.
٠٣ الندوة: موضع شرب الابل. الندوة: النادي. المجلس.
٠٤ الهجير: شدة الحرّ.
٠٥ لمياء: في شفتها لمىً، أي سمرة أو سواد. مؤنث ألمى.
٠٦ حنكة: تجربة. فهم. دهاء. تهذيب. المحنك: الذي جعلته التجارب خبيراً حكيماً.
٠٧ لجوج: ملحّ. عنيد. لجّ: ألحّ.
٠٨ وثاق: جمعها وُثُق. ما يُشدّ به من حبل أو قيد أو سواهما.
٠٩ الطول: القدرة. الغنى. الفضل. العطاء.
١٠ مهاة: بقرة وحشية.
١١ براثن: أظفار السباع والطيور.
١٢ امتثلَ: تبعَ. احتذى. أطاعَ.
١٣ القمّة: المزبلة. القمّة: الذروة.
١٤ الجريض: الريق يُغص به. ومنه المثل: "حال الجريض دون القريض"، أي حال الغمّ والغصص دون الشعر والطرب.
١٥ عاتكة: شديدة الحمرة. قوس محمرة. كريمة خالصة. النبيذ العاتك: الصافي.
١٦ ذريعة: وسيلة. حجة. عذر. الذريع: الشفيع.
١٧ القبلة: الجهة.
١٨ هواء: جمعها أهوية. الجوّ. الخلاء. ما نستنشقه.
١٩ الكبيرة: الاثم الكبير.
٢٠ لهاة: لحمة مشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم.
٢١ تملّق: تودّدَ بكلام لا يعكس ما في القلب. استرضى. تذلّل.
٢٢ المزن: السحاب أو ذو الماء منه.
٢٣ الحجّة: السنة، لأنّ الحجّ يُقضى سنوياً. الحُجّة: البرهان.
٢٤ الهزيم: صوت الرعد أو الرعد نفسه.
٢٥ أدماء: سمراء.
٢٦ حوافز: دوافع. حفزَ (يحفزُ حفزاً): حثّ وحرّك.
٢٧ عريق: الذي له عرق، أي أصل، في الكرم واللؤم ونحوهما.
٢٨ قلادة: جمعها: قلائد وقلاد. ما يُجعلُ في العنق من حليّ. قلائد الشعر: أبياته النفيسة المحفوظة.
٢٩ الصغار: الذلّ. الضيم.
٣٠ صفاة: حجر صلد ضخم.

المستوى

٢٥ - ٣٠: ممتاز
١٩ - ٢٤: جيّد
١٣ - ١٨: مقبول

الحبّ الحقيقي يُطيل العُمر

يكثر الاحتمال القوي بأن الذين يفهمون الحب يهتدون اليه ويحافظون اكثر من اولئك الذين لا يفهمونه. وفي ما يأتي مجموعة من الاسئلة تستهدف منها تعزيز فهمك لهذا الموضوع الازلي، تعقبها مباشرة الاجوبة التي وضعتها هيئة من المبرزين في مضمار هذه البحوث ومن بينهم الدكتورة هيلين سنجر كابلان مديرة برنامج العلاقات الجنسية البشرية في مستشفى نيويورك، مركز كورنيل الطبي، والدكتور كليفورد سايجر مدير شعبة علاج النفس العائلي في مجلس خدمات الاسرة والاطفال، والدكتور هارولد ليف، مدير مجلس الزواج في مدينة فيلادلفيا، والدكتور وليم ابلتون، المؤلف المشارك لكتاب "كيف تتجنب الشقاق الزوجي؟"، والدكتور سيدني ليكر، مدير شعبة علم السلوك في المجموعة التنفيذية للمختبرين الصحيين.

١ – اذا ما شعرت بالحاجة الى الاستفهام من شريكك او شريكتك عما اذا كان لا يزال يحبك او تحبك حقاً، فهل معنى ذلك ان علاقتكما قد تعطّلت بعض الشيء.

☐ صواب
☐ خطأ

٢ – ما هي اكثر المشكلات انتشارا الان بين المرتبطين بعلاقات الحب؟

☐ الجنس
☐ المال
☐ الالفة

٣ – من ذا الذي يفصم علاقات الحب اكثر من الآخر؟

☐ الرجل
☐ المرأة

٤ – هل من الطبيعي في الزواج او في حالات الصلات الحميمة ان يبقى احد الطرفين غير منجذب جنسيا الى الطرف الآخر لفترات زمنية طويلة؟

☐ نعم
☐ لا

٥ – من الذين يتمتعون بمقدار اكبر من النشاط الجنسي في حياتهم الغرامية:

☐ العازبون
☐ المتزوجون

٦ – هل يخشى الناس الوقوع في الحب؟

☐ نعم
☐ لا

٧ – هل تعتبر الغيرة دلالة على:

☐ الحب.
☐ عدم الاطمئنان.
☐ التنافس.

٨ - الغزل العلني مع شخص آخر امام رفيقك دلالة خطرة:
☐ صواب
☐ خطأ

٩ - من يعمّر اكثر من الآخر؟
☐ المتزوج
☐ العازب

١٠ - هل يمكنك ان تكون مغرما بشخصين في وقت واحد؟
☐ نعم
☐ لا

١١ - هل يبالغ الناس في ما يتوقعونه من الزواج؟
☐ نعم
☐ لا

١٢ - من الاقدر على التغلب على وحشة الوحدة او على انعدام التمتع بالحب؟
☐ الرجل
☐ المرأة

١٣ - يعتبر الالتزام عنصرا جوهريا في العلاقة الغرامية الطيبة:
☐ صواب
☐ خطأ

١٤ - ما هو مصدر المعرفة الرئيسي في ما يختص بالحب والامور الجنسية بالنسبة الى الشبان الناشئين في هذا العصر؟
☐ الام
☐ الاب
☐ القراءة
☐ الاصدقاء

الاجابات الصحيحة

١ - **خطأ.** يقول الدكتور سيدني ليكر ان ليس هناك ضير في ان تستعلم من شريكك عن مدى حبه لك. فالسؤال لا يقلل من قيمة الحب في اي حال. وهناك كثرة من المتزوجين يشعرون بالاذلال اذا هم اضطروا الى التماس الحب فيدفعهم ذلك الى الكفّ عن اعطائه ايضا، وتكون تلك هي بداية الشقاق الزوجي.

٢ - **الالفة.** تقول الدكتورة هيلين سنجر كابلان: ليس هناك حب حقيقي من دون الفة، وهي تعني بذلك تبادل المشاعر وليس مجرد تبادل المعلومات. والزوجان اللذان يفتقران الى الالفة يتحدثان عادة عن اصلاح السيارة او عن انجازات الاطفال في المدرسة ولكنهما لا يتيحان الفرصة لان يتلمس كل منهما حقا ما لدى شريكه من مشاعر الخوف او السعادة او التعاسة، كما ان كلا منهما لا يعرف ولا يبالي في ان يعرف ما يحس به الآخر.

٣ - **المرأة.** يقول الدكتور كليفورد سايجر: يتبين من البحوث الدقيقة ان معدل قيام النساء بفصم علاقات الحب يبلغ ضعف هذا المعدل لدى الرجال. وهذه الحقيقة تثير الدهشة، لان مجتمع اليوم يصور الرجال عموما انهم "ساحقو القلوب".

٤ ــ **نعم**٠ يقول الدكتور هارولد ليف ان كل زواج تقريبا يمر بفترة قد تمتد بضعة اشهر يشوبها انخفاض الاهتمام بالجنس لاسباب متنوعة، منها هموم العمل والاطفال ومنغصات الاقارب او غير ذلك من الامور التي تؤثر على الاقبال الجنسي في احيان كثيرة٠ والغالب هو ان توقع استمرار الحب الجنسي او العذري طوال الزواج ضرب من الخرافة٠ ولا بد للشريكين من أن يبذلا جهدهما لتحسين علاقاتهما الجنسية٠

٥ ــ **المتزوجون**٠ يقول الدكتور وليم ابلتون ان المتزوجين يتمتعون بمقدار اكبر من الجنس، كماً ونوعاً٠ وهناك مزيد من اللغط حول الجنس لدى العازبين، غير ان المتزوجين تتاح لهم فرصة التعمق في معرفة احدهما الآخر فضلا عن معرفة الالفة الحميمة والصداقة الحقة والتفهم الواعي للحاجات الجنسية لكل منهما٠ وقد لا تكون علاقتهما متسمة بالاتقاد الشهواني الذي يعرفه العازبون، ولكنها تكون اكثر دواما وتكرارا ومحبة وعناية، واكثر اشباعا عموما٠

٦ ــ **كلا**٠ تقول الدكتورة كابلان ان معظم الناس يبتغون الحب اكثر من أي شيء آخر في الدنيا٠ غير ان هناك اناسا يخافون الحب٠ وامثال هؤلاء لا ينفكون يطلبون منك تقديمهم الى اصحاب جدد ولكنهم اما انهم يُنفرون الشريك منهم او يهملون الشريك المولع بهم، وبالتالي فانهم يظلون على الدوام تعساء يبحثون عن الحب٠ واذا ما طرأ عليك مثل هذا الامر فالارجح هو انك انت السبب في ذلك، وعليك ان تواجه هذه الحقيقة٠

٧ ــ **الحب**٠ ويعلق الدكتور ليكر على ذلك بقوله: "ما هو الداعي الى مجرد الرغبة في التنافس ما لم تكن تحب الشخص المعني وتكنّ له تقديرا كبيرا؟ قد يحدث في طبيعة الحال لبعض الذين تقدّمت بهم السن ان يتملكهم الخوف من فقد شخص لا يمكن تعويضه في نظرهم، ومن ثم فقد يكون عنصر الاحساس بعدم الاطمئنان لديهم امراً له اهميته ايضا، غير ان الحب هو الذي يشغل المقام الاول في غالب الاحيان٠

٨ ــ **صواب**٠ ان الغزل مع شخص آخر يكون دائما نذيرا بالخطر في اي علاقة حب، كما يقول الدكتور ليكر، فالشخص الذي يمارس الغزل معناه انه يحتاج الى الحب٠ وتحاشيا لهذا الغزل، يتوجب على الشريكين ان يحاولا تحسين مشاعر الحب والاعزاز التي يبديها كل منهما تجاه الآخر٠

٩ ــ **المتزوجون**٠ تلاحظ الدكتورة كابلان ان المتزوجين او الذين يعيشون علاقات حب سعيدة يتمتعون - كمجموعة - بحياة اطول واكثر صحة من الاشخاص المنفردين٠ كما انهم اقل تعرضا للحوادث والامراض المعدية بل والسرطان٠ وفضلا عن ذلك فانهم اقل تعرضا بكثير للاصابة بالامراض العصبية والعقلية٠ وموجز القول ان الحب مفيد جداً للصحة٠

١٠ ــ **لا**٠ ويقول الدكتور سايجر ان من كان "مغرما" بالفعل يتميز بردود فعل غير عقلية تجاه بعض الصفات التي يظن انه يراها في محبوبه٠ ولما كان ذلك يتطلب قدرا كبيرا من "التوظيف" العاطفي، فيبدو ان معظم الناس لا يقوون على

حب اكثر من شخص واحد في الوقت نفسه.

١١ ـ نعم. يقول الدكتور ليف ان معظم الناس يتوقعون ان يأتيهم الزواج بأشياء مبالغ فيها من دون ان يعطوا في مقابل هذه التوقعات الا اقل من اللازم. ويرجع هذا الامر جزئيا الى العصور الوسطى والخرافات الرومانسية حول الشعراء الجوالين والفرسان النبلاء وما الى ذلك. ويبدو اننا لا نزال نشعر بان حاجاتنا ستقابل بالاشباع السحري من جانب شركائنا، ربما طوال الحياة. ولا ريب في ان هذه التوقعات تجانب الواقع.

١٢ ـ النساء. تقول الدكتورة كابلان ان الوحدة شاقة على جميع الناس، ولكن الرجال يواجهون فيها مشاكل تفوق تلك التي تواجهها النساء، اذ انهم اكثر عرضة للمرض والاكتئاب والافراط في الشراب.

١٣ ـ صواب. يقول الدكتور سايجر: لكي تكون هناك علاقة حب، لا بدّ للمرء من ان يدرك ما يستطيع ان يتوقعه من تلك العلاقة وما هو مستعد لان يعطيه. وقد يختلف هذا الالتزام من زوجين الى زوجين آخرين، ولكنه يجب ان يكون موجودا على الدوام.

١٤ ـ الاصدقاء. وتأتي القراءة بعد ذلك مباشرة. وينصح الاطباء النفسيون الاهل بالا ينتظروا ان يوجه اليهم الاطفال اسئلة عن الحب والجنس، فقد يفوت عادة الوقت المناسب لايضاح ذلك. فالوالدان حين يتجنبان التعرض للموضوع يخلقان مشاعر سلبية ازاءه سرعان ما يحس بها الاطفال فتصدر عنهم ردود افعال يحسن تحاشيها.

ان هذا الاختبار لا يتضمن درجات لتقويم الاجابات، ولكنك اذا اكتسبت منه فائدة عن الحب يمكنك ان تعتبر انك اجتزت الاختبار بنجاح باهر.

الزوج المحظوظ

محظوظ من يظن أنه أذكى من زوجته، فذلك يعني انه متزوج من امرأة ذكية حقا.

(كتاب "المرح في المكتب"، منشورات بلانيت)

امرأة حقا

سأل المذيع التلفزيوني ليون زيترون الممثلة جنفياف كاسيل في معرض ثنائه على فيلمها الرائع "صور للنساء": "لو لم تكوني امرأة، فأي شخصية تودين ان تكوني؟" فاجابت الممثلة الفاتنة: "الرجل الذي يمكن ان اعشق".

(مجلة "لوهيريسون"، فرنسا)

من يتبع من؟

وصلت الشابة متأخرة الى عملها، وردت على توبيخ رئيسها قائلة: "أعتذر يا سيدي، لكن شابا تبعني منذ ما خرجت من نفق القطار".

– وهل استغرق الامر ذلك الوقت كله؟

□ نعم، فهو كان يسير على مهل.

ا.ب.ب.

يوم ٢٩ سبتمبر (ايلول) ١٩٧٩ احتفل المجلس الاوروبي للبحوث النووية بعيده الخامس والعشرين. وقد رأى "المختار" ان يطلع قراءه، في هذه المناسبة، على بعض الانجاز الذي حققه هذا المركز الفريد لبحوث الفيزياء الذي اشتركت في انشائه ١٢ دولة اوروبية، ويحاول العلماء ان يكشفوا النقاب الى اقصى الحدود عن خفايا الكون.

البحث مستمر عن جوهر الكون

على قرابة ثمانية كيلومترات غرب مدينة جنيف، يشاهد العابر فوق سهل الجورا الفسيح سورا عاليا من الاسلاك الفولاذية المتشابكة على مدى الحدود الفرنسية - السويسرية. ويمر الزائر الوافد من البوابة الرئيسية بمبان منخفضة بيضاء ورمادية، ويرى على ابوابها لافتات برتقالية تحذره من "خطر الاشعاعات".

ذلك هو مقر المنظمة الاوروبية للبحوث النووية، المعروف باسمه المختصر "سيرن" الذي يتألف من الحروف الاولى لعبارة "المجلس الاوروبي للبحوث النووية". وقد يتبادر الى الذهن، من خلال كلمة "نووي"، ان للامر علاقة بالقنابل النووية، بينما انه لا شأن لـ"السيرن" بصناعة الاسلحة على الاطلاق، وانما مهمته كشف النقاب، الى اقصى الحدود، عن جوهر المادة بالدراسة المعروفة باسم "فيزياء الجسيمات الدقيقة". ويقول احد الاختصاصيين هناك: "اننا نحاول اكتشاف الجوهر الذي صنع منه الكون وطريقة عمله".

ويستقر قلب "السيرن" في نفق ساطع الاضاءة ومبطن بالخرسانة يزيد عمقه على ٣٥ مترا. وعند منحنى النفق يتوارى صف من العلب المغناطيسية المستطيلة الشكل ذات اللون الاحمر القاني والتي يزن كل منها ١٨ طنا وترتكز على دعامات من الصلب. وتخترق هذه العلب انبوبة مفرغة رفيعة من الفولاذ الذي لا يصدأ تحمل مليارات الجسيمات النووية الهائلة السرعة التي توجه حركتها الحلقة المغناطيسية.

ويبلغ محيط هذه الحلقة الهائلة المستقرة تحت الارض سبعة

كيلومترات تقريبا، كما يبلغ قطرها ٢،٢ كيلومتر، ويعتبر هذا الجهاز احدث مسرّع للجسيمات في حوزة "السيرن"، وهو معروف رسميا باسم "س٠ب٠س" (سوبر بروتون سينكروترون، اي جهاز المزامنة الفائقة للبروتونات)٠ ويبلغ ثمنه مليارا و١٠٠ مليون فرنك سويسري٠ وعندما بدأ تشغيله في اوائل عام ١٩٧٧، اصبح لدى "السيرن" - ولدى اوروبا - جهاز من احدث اجهزة العالم واقواها لتفتيت المادة جسيمات متناهية الدقة٠

لقد دأب الانسان منذ العصور القديمة على التخمين والتفكير في البنية الاساسية للمادة، وورثنا عن الاغريق القدامى فكرة الذرات، التي تصوروها كجسيمات ضئيلة غير قابلة للانقسام تتألف منها جميع اشكال المادة٠ وظلت هذه النظرية قائمة على مدى قرون طويلة، حتى جاء فيزيائيو اوائل القرن العشرين فاكتشفوا أن الذرات نفسها تتألف من قلب او نواة تنطوي على شحنة موجبة تحيط بها سحابة من جسيمات تفوقها ضآلة وتسمى الالكترونات٠ وعام ١٩١٩، تمكن الفيزيائي البريطاني السير ارنست رذرفورد من "شق" ذرة الهيدروجين ليكشف داخلها عن جسيم جديد يسمى البروتون، ثم جاء بعده فيزيائي بريطاني اخر هو جيمس تشادويك فاكتشف عام ١٩٣٢ وجود جسيمات اضافية اخرى في الذرة هي النيوترونات٠ وظهرت في الثلاثينات والاربعينات اجهزة جديدة بالغة القوة لتحطيم الذرة، انتقلت بنا الى العصر الحديث لفيزياء الجسيمات٠

وركز الباحثون الفيزيائيون اهتمامهم على باطن الذرة فتمكنوا، حتى الآن، من الاهتداء الى ما يزيد على ٢٠٠ نوع من الجسيمات النووية٠ غير ان ادراكهم لطريقة تصرف هذه الجسيمات لا يزال بالغ الضآلة الى حد ان بعض العلماء كثيرا ما يصفونها بانها "حديقة حيوانات حافلة بالكائنات الغريبة"٠

ويقوم البحث في جوهره على اطلاق الجسيمات على هدف (هو عادة قضيب معدني رفيع في سمك القلم الرصاص) لكي تتحطم عليه فتتكشف كوامنها امام مجموعة من آلات الرصد الفائقة الحساسية٠ ويطلق بعض العلماء على هذه الطريقة اسم "حطم وانظر"٠

وعام ١٩٥٣، وقعت اثنتا عشرة دولة اوروبية (★) على اتفاق يقضي بتوحيد البرامج وحشد الموارد المتوافرة في ميدان البحث المجرد، وقد تجاوز ما انفق حتى الآن بموجب هذا الاتفاق ٦ مليارات فرنك سويسري٠ وكانت النتيجة حسب عالم الفيزياء النووية الفرنسي لوي لوبرانس - رانجيه، قيام "مجموعة من اقدر العلماء والباحثين تتبادل المعلومات، على قدم المساواة، مع امريكا وروسيا"٠

ولعل النتيجة المتوخاة تجاوز ذلك بكثير بعد حين٠ فعلى رغم ان السعي الى "المعرفة من اجل المعرفة" كان على الدوام مأثرة من اعظم مآثر

(★) بلجيكا والدانمرك والمانيا الغربية واليونان وايطاليا وهولندا والنروج واسوج وسويسرا وبريطانيا ويوغوسلافيا٠ وقد انضمت النمسا بعد ذلك في عام ١٩٥٩ وانسحبت يوغوسلافيا في ١٩٦١٠

التقاليد العلمية الاوروبية، الا انه ادى كذلك الى تطبيقات عملية بعيدة الاثر. ونذكر في هذا الصدد، على سبيل المثال، ان اللورد رذرفورد الذي وفق الى تحطيم ذرة الهيدروجين قد كشف بذلك عن مصدر جديد للطاقة غير مجرى التاريخ.

اقوى مسرّع في العالم - وعندما انشىء "السيرن"، كان اقوى مسرّع في العالم قائما في مختبر بروكهافن الوطني في ابتون في ولاية نيويورك، وكان ينتج ما مقداره ٣ "جيف" (جيف = جيفا او ٩١٠ الكترون فولت). اما "سبس" المسرّع الجديد في ا"السيرن"، فيمكنه انتاج ٤٠٠ "جيف"، اي ما يعادل ١٣٠ مرة انتاج سلفه البعيد في بروكهافن.

وهناك اليوم مسرع اخر اقوى بقليل من مسرع "السيرن" يعمل في الولايات المتحدة، ولكن ما يتمتع به جهاز "السيرن" من مرونة وقدرات متنوعة يجعله فريدا في بابه لان "السيرن" يحوي ثلاثة مسرّعات اضافة الى مرفق تجريبي ينطوي على طاقة عالية تمكنه من اداء نتائج يتعذر الحصول عليها، حتى الآن، في اي مكان آخر.

فالى جانب مركّب الانفاق حيث تندفع دوّامة البروتونات حول المسرّعات، هناك قاعات تجريبية ضخمة تشبه الحظائر تنهي فيها البروتونات جولتها الجامحة. فبعد ان تتحطم البروتونات فوق الاهداف المعدة لهذه العملية، يعنى الفيزيائيون بمراقبة التفاعلات الجارية ما بين الجسيمات من خلال حجرتين للفقاقيع تتوافر فيهما التسجيلات الفوتوغرافية عن طريقة تصرف الجسيمات. وتزن صغرى هاتين الحجرتين ١٤٠٠ طن وهي ملأى بغازي البروبان والفريون السائلين، اما الحجرة الكبرى فتزن ٢٥٠٠ طن وهي ملأى بالهيدروجين السائل، ولها حقل مغناطيسي تعادل قوته ٦٥٠٠٠ مرة قوة الحقل المغنطيسي الطبيعي للارض. واذا اقترب منها الزائر وكانت في جيبه مفاتيح مثلا سرعان ما تتحرك هذه فجأة في جيبه وتنجذب بقوة نحو الارضية المعدنية الثقيلة للغرفة.

كيف تعالج المعلومات - ويعتمد "السيرن" في تحليل سيل المعلومات المتدفق من قاعات التجارب، على اربعة ادمغة الكترونية ضخمة، اضافة الى قرابة ٢٠٠ دماغ الكتروني صغير اخرى، مترابطة كلها بعضا ببعض. وفي كل عام يخرج من الاجهزة الملحقة بهذه الادمغة قرابة ٣٠ مليون صفحة مليئة بالارقام، اي ما يوازي، على وجه التقريب شريطا من الورق يمتد من مدينة جنيف الى مدينة كلكوتا في الهند.

وتؤدي اجهزة "السيرن" مهمات بمستويات من الدقة تكاد لا تصدق. ففي حين ان ال"سبس"، مثلا، يبلغ من الضخامة حدا يضطر رجال الصيانة الى استعمال درّاجات بخارية صغيرة للتجول حوله تحت الأرض، الا ان تصميمه قد تم بدقة لا تتجاوز فراغاتها كسرا طفيفا من المليمتر على طول مسافات تقاس بالكيلومترات. وكانت اجهزة المساحة التي استخدمت في تخطيط نفق

ال"سبس" على درجة من الدقة جعلتها تكشف في موقع البناء اضأل الحركات الناشئة عن تيارات المد والجزر على الساحل الفرنسي الذي يبعد عن الموقع مسافة ٥٥٠ كيلومترا.

وجميع كبار الاختصاصيين من الرجال الذين يتعاملون مع هذه الاجهزة ينتمون، بصفة رئيسية، الى الدول الاعضاء الاثنتي عشرة وان حدث في بعض الاحيان وعمل في "السيرن" اناس ينتمون الى ٣٠ جنسية. وهناك على الدوام خليط من لغات متعددة يتردد في اروقة المركز ومطاعمه الثلاثة، كما ان الحديث لا ينقطع طوال الوقت، لان "السيرن" منشأة لا تعرف النوم، فتظل الآلات فيها دائرة ليل نهار طوال اسابيع، تجرى فيها عموما بين ٤٠ و٥٠ تجربة في آن.

جسيمات "الكواركس" – وقد ركز "السيرن" جهوده طوال السنين العشر الماضية على البحوث المتعلقة بعزل الجسيمات الغامضة التي يسمونها ال"كواركس"، وهي كلمة لا معنى لها اصلا وردت في رواية "طريق فينيغان (فينيغانز واي) "للكاتب الشهير جيمس جويس. وكان اول من قال نظريا بوجود "الكواركس" عام ١٩٦٣ هو العالم مواري جيل – مان من معهد كاليفورنيا التكنولوجي. فهو افترض، استنادا الى متابعته للجسيمات، ان العناصر الاساسية التي تتكون منها المادة تشتمل – الى جانب الالكترونات – على ثلاثة جسيمات اساسية او "كواركس". ومنذ ذلك الحين انصرف "السيرن" وغيره من مراكز البحوث الى التفتيش عن الكواركس. وهناك معلومات مهمة مستمدة من غرفتي فقاقيع "السيرن" تدل دلالة قوية على ان هذه الكواركس موجودة بالفعل.

وبينما كان البحث عن الكواركس نشطاً عام ١٩٧٤، توصل كل من صموئيل تنغ في بروكهافن وبيرتون ريختر في جامعة ستانفورد – في الوقت نفسه تقريبا – الى اكتشاف جسيم جديد يعادل عمره الف مرة تقريبا عمر اي جسم آخر. وهو اكتشاف مذهل في غرابته يمكن تشبيهه باعلان مفاجئ لعلماء السلالات البشرية انهم اكتشفوا سلالة بعيدة العهد كان الفرد فيها يعمر ٧٠٠٠٠ سنة.

وما ان انقضت بضعة ايام على اكتشاف الجسيم "ج"، كما سماه تنغ، حتى انكب "السيرن" على البحث عن جسيمات اخرى تنتمي الى الفصيلة نفسها. وقد نجح علماؤه فعلا في العثور على عدد منها منذ ذلك الحين. وادرك الفيزيائيون انهم يواجهون في هذا السياق ايضا مجالا كاملا جديدا من مجالات المادة، وافترضوا، من خلال تصرف هذه الجسيمات الجديدة، ان هناك كواركا رابعا مصاحبا للثلاثة الاصلية التي اشار اليها جيل – مان. ويقول تنغ في هذا الصدد: "اذا كان هناك اربعة كواركات بالفعل، فماذا يمنع التساؤل عن احتمال وجود عدد اكبر، وعما اذا كانت الكواركس حقيقة هي العناصر الاساسية التي كنا نعتقدها". ويجري تنغ حاليا تجارب متعمقة في "السيرن" حول ما يثيره الموضوع من

اسئلة وما ينطوي عليه من امكانيات.
الفتح العلمي الكبير - وفي هذه الاثناء، حقق "السيرن" فتحا علميا كبيرا (يوليو - تموز - ١٩٧٨). ذلك ان علماءه ظلوا يكتشفون على نحو دائم جسيما مضادا في مقابل كل جسيم جديد تم اكتشافه على مدى السنوات الماضية. ويمكن تشبيه الجسيم المضاد بصورة في المرآة للجسيم الاصلي ولكنه يتناقض مع الجسيم الاصلي في ما يتعلق بشحنته الكهربائية وخواصه الاخرى. وتتميز هذه الجسيمات المضادة بانها قصيرة "العمر" وبان "حياتها" تنتهي باصطدامها بجسيمات اخرى فيدمر كل منهما الآخر وينطلق من هذا التدمير وابل من الطاقة. غير ان الباحثين في "السيرن" نجحوا في خزن حزمة من البروتونات المضادة (وهي نوع خاص من الجسيمات المضادة) لفترة ٨٥ ساعة، في حين ان اطول بقاء سابق تم قياسه للبروتونات المضادة لم يتجاوز جزءا من عشرة آلاف جزء من الثانية. وبعد نجاح "تجربة التبريد المبدئية" هذه، يعتزم علماء "السيرن" خزن حزمة من البروتونات المضادة في مسرّع "س ب س" العملاق ومن ثم تسريعها وجعلها تتصادم مع بروتونات تدور في الاتجاه المضاد، فيفتحون بذلك آفاقا جديدة هائلة للبحوث في المستقبل.

وعلى رغم ان مثل هذه الاستقصاءات الاساسية لا تثير الاهتمام بما قد تسفر عنه من تطبيقات عملية، الا ان بحوث "السيرن" قد ادت بالفعل الى نتائج عملية. ويقول مديره العام التنفيذي، جون ب. آدامز: "اننا نغرق في الافراط مما نتطلبه من آلاتنا فيحملنا ذلك على الضغط باستمرار الى اقصى الحدود على الصناعة والتكنولوجيا". ولما كان من المبادىء الاساسية التي يتبعها "السيرن" هو الامتناع عن استصدار براءات اختراع باي شيء يطوره او يبتدعه فان قائمة الاكتشافات والتقنيات التي استعارتها الصناعة من مختبرات "السيرن" تبدو طويلة ومدهشة. وكان هناك اهتمام خاص بما ابتكره "السيرن" من تقنيات اللحام والتفريغ والاسراع الفائق في معالجة البيانات والمجالات الميكانيكية الدقيقة... كما ان البحوث الطبية تعتمد الآن على اساليب "السيرن" في رصد الاشعاع.

ولكن، الى اي حد قد اقترب الفيزيائيون من حل لغز المادة؟

في هذا الصدد يكتفي صموئيل تنغ بالقول: "اشك في ان يتحقق الاهتداء الى اي تفسير نهائي لهذا اللغز خلال حياتي". وعلى رغم ذلك، فان التجارب، سعيا الى الحل النهائي، تستمر ليل نهار من دون توقف في مختبرات "السيرن" الهائلة الغائرة في بطن الارض. ولا يفوت الرجال والنساء العاملين في هذه التجارب ما عبر عنه المدير العام للبحوث البلجيكي الدكتور ليون فان هو بقوله: "ان البحوث تجتاز فترة خصبة الانتاج، تثير حماستنا فيها تلك الالغاز الكبيرة الكثيرة التي لا تنفك تتطلب حلولا".

■ **ريتشارد مورفي**



حديقة افكار

■ الشيء الوحيد الذي يتجدد ذاتيا كل يوم هو الاخبار .

ف.ف.

■ قُدْ سيارتك كما لو كانت السيارة المقابلة لك .

هـ.أ.

■ وراء كل رجل امرأة تحاول الحصول على عمله .

أ.ب.

■ ليست الأم من نتكيء عليه، بل من يعلمنا ان الاتكاء ليس ضروريا .

د.ك.ف.

■ الخطب العامة تشبه التمتع باجازة: انها تساعدنا على معرفة المكان الملائم للتوقف عنده .

ر.و.

■ الشجاعة هي السلم الذي ترتقي عليه كل الفضائل الاخرى .

ك.ب.ل.

■ الفن هو الانتصار على الفوضى .

ج.ت.

■ كلما ازدادت الالتزامات الذاتية التي نتحملها ازددنا حرية .

ج.و.ش.

■ يؤمن المثالي بان لا قيمة للأمد القصير ويؤمن المشكك بان لا قيمة للأمد البعيد. اما الواقعي فيؤمن بأن ما انجز او ترك من غير انجاز في الأمد القصير يحدد الأمد البعيد .

س.ج.هـ.

الأوهام كثيرة والسبب واحد

التضخم المالي:

التضخم المالي استشرى في العالم الى درجة انه لم تعد هناك دولة خالية منه.
هذا التضخم كيف ينشأ ؟ وكيف يمكن ان يزول ؟

من اجل فهم التضخم، على المرء ان يدرك اولا ما هو الشيء الذي "يتضخم". هذا الشيء ليس الاسعار، وان تكن هي ترتفع بالتأكيد، وليس هو الاجور، وهي ايضا على ارتفاع. انه توافر النقد والاعتماد المصرفي.

ان الثروة الحقيقية للامة هي السلع والخدمات التي ينتجها شعبها. اما العملة، المطبوعة او المسكوكة، فهي مجرد رمز مناسب لتلك الثروة. ففي امريكا مثلا يعطي المواطنون الحكومة جزءا من ثروتهم كضرائب، لكن الحكومة تصرف اكثر مما يعطيها مواطنوها بكميات كبيرة جدا. وقد تجاوز الفرق بين ما يعطيه المواطنون وما تنفقه الحكومة الـ٧٦٦ مليار دولار حتى الآن. يضاف الى ذلك ان الحكومة تعهدت بالتزامات مالية في المستقبل - من ضمان اجتماعي ومنح وكفالات قروض - تتجاوز السبعة آلاف مليار دولار، او ما يزيد على ٧١ الف دولار لكل دافع ضرائب امريكي.

كيف تستطيع الحكومة ان تصرف اكثر مما يعطيها دافعو الضرائب؟

هذا يتم عادة بتحويل ديونها الى "عملة"، اي بان تطبع من الرموز اكثر مما لديها من الثروة الحقيقية الموجودة. وان ذلك القانون الاساسي في الاقتصاد، القائل بان توافر الشيء بمقدار كبير يؤدي الى خفض

ثمنه، ينطبق هنا ايضا٠ هكذا شرح الوضع وليم سايمون، وزير المال الامريكي السابق بقوله: "ان خفض قيمة الدولار الامريكي يتم بواسطة الحكومة بالذات٠ والمشكلة الحقيقية بالنسبة الى الدولار هي اننا نطبع منه مقادير زائدة"٠

هذا هو السبب الجذري للتضخم، اي ان مقادير العملة التي توضع في التداول تزيد على قيمة الاقتصاد الفعلية٠

يكفي ان يقتنع المواطنون بهذه الحقيقة الاساسية لكي يعالجوا بحكمة تلك الخرافات التي تنتشر يوميا عن التضخم، في الصحافة والمدارس ولدى الحكومات٠ وفي ما يأتي ثلاث من أشد هذه الخرافات خطرا٠

الخرافة الاولى: الاجور والاسعار المرتفعة "تسبب" التضخم

لقد رسخ مايكل بلومنتال، وزير المال في الولايات المتحدة، هذه الخرافة حين ذكر، من جملة العوامل التي تؤدي الى التضخم، "تسويات الاجور التي تتجاوز بنسبة كبيرة الانتاجية والنمو الحقيقي للاقتصاد، وزيادات الاسعار التي تحقق ارباحا زائدة غير مبررة"٠

ان الاسعار والاجور في النظام الامريكي القائم على المنافسة هي، في الدرجة الاولى، مؤشرات على تغير يحدث يوميا في ميزان العرض والطلب في مليارات المبادلات التي تجري في السوق٠ واذا توافر في النظام مقدار محدود من النقد والاعتمادات، فان قطاع الاعمال لا يستطيع ان يتجاهل العرض والطلب برفع الاسعار او بالتسليم اعتباطيا بمطاليب الاجور الباهظة، لان الناس يشترون حاجاتهم من مكان آخر اذا كانت الاسعار مرتفعة جدا٠ واذا كانت الاجور المطلوبة عالية جدا، فلا بد لصاحب العمل من ان يرفض دفعها، او ان يستخدم عددا اقل من العمال بالاجور الجديدة٠ اذا، يفترض ان يضع التنافس حدا للاسعار٠

لكن هذا الضبط الحقيقي للسوق يصطدم بتدابير تتخذها حكومة الولايات المتحدة، اذ انها، لدفع فواتيرها وتمويل عدد كبير من المشاريع الاجتماعية بما في ذلك تحقيق "العمالة التامة"، تعمد عموما الى زيادة النقد المعروض٠ وهي تغري بذلك برفع الاجور والاسعار عن طريق تعزيز الاعتقاد بانها ستؤمن باستمرار المال الكافي لتغطية هذا الارتفاع٠

ومع سرعة تزايد كمية النقد المتوافر خلال فترة من الزمن، تبدأ الاسعار بالارتفاع تلقائيا كما يبدو٠ وبدلا من ان يلجأ الناس الى التوفير، فانهم يسارعون الى ابتياع مشترياتهم املا في تجنب الاسعار المرتفعة في المستقبل٠ وتسعى النقابات الى عقود عمل تتضمن بنودا تتناول غلاء المعيشة٠ كما ان المصارف التي تقرض اموالا تعاد اليها بدولارات تنخفض قيمتها باطراد، تصر على فوائد اعلى٠

واذا كانت الاجور المرتفعة هي سبب التضخم، لكان اقتصاد المانيا الغربية اشد الانظمة تضخما٠ لقد زادت اجور العمال الالمان ٢٣٦ في المئة خلال عشر سنين (١٩٦٧ - ١٩٧٧)، لكن معدل التضخم حافظ على

نسبة ٤ في المئة سنويا، لان الحكومة ابقت كمية النقد المتوافر منسجمة مع القيمة الانتاجية الحقيقية للاقتصاد الالماني. وفي الفترة نفسها، لاحظ العمال في الولايات المتحدة ان اجورهم زادت بنسبة ١٠١ في المئة. لكن التضخم تجاوز هذا المعدل، اذ فاق نسبة ٦ في المئة سنويا. والحقيقة هي ان الاجور تتأثر عادة تبعا للتضخم الناجم عن التدابير الحكومية.

ماذا عن الاسعار المرتفعة؟

لا يزال شائعا اعتبار الارتفاع الكبير والمفاجىء في اسعار النفط، عند حظر تصديره عام ١٩٧٣، سببا رئيسيا للتضخم في الولايات المتحدة. لكن هذا الرأي غير صحيح. واذا كانت اسعار النفط المرتفعة زادت الاعباء المالية للبلاد، فهي لم تكن، كما هو واضح، مصدرا للتضخم.

واذا نظرنا الى تجربة اليابان والمانيا الغربية خلال فترة حظر التصدير، لوجدنا ان هذين البلدين، بخلاف الولايات المتحدة، يعتمدان اعتمادا شبه كلي على النفط الخارجي لكنهما انتهجا، خلال فترة الحظر، سياسات ضريبية حذرة وابقيا العجز في موازنتيهما منخفضا وواصلا الرقابة الصارمة على النقد المتوافر. وكانت النتيجة ان تدنت نسبة التضخم في البلدين، بينما ارتفعت نسبته الى ١٢،٢ في المئة في الولايات المتحدة حيث كان ساستها يحثون على "طبع" العملة لسد العجز المتواصل من ١٩٧٣ حتى نهاية ١٩٧٦، والذي بلغت قيمته ١٣٠،٩ مليار دولار. وهذا هو العامل الذي ادى الى ازدياد التضخم الامريكي، لا اليد العربية التي سدت انبوب النفط.

الخرافة الثانية: الرقابة على الاجور والاسعار تزيل التضخم

يتغذى هذا الوهم الشائع من الخرافة الاولى. ويلاحظ العالم الاقتصادي ملتون فريدمان، الحائز جائزة نوبل، "ان القيود على الاسعار لا تزال تفرض باطراد منذ ما يزيد على الفي عام، لكنها كانت دائما تمنى بالخيبة". وقد لجأ الامبراطور الروماني ديوكليتيان الى عقوبة الاعدام في محاولة غير ذات جدوى لضبط الاسعار عام ٣٠١ للميلاد. وادى ذلك التدبير الى هلاك الوف المواطنين، ومع ذلك فان الاقتصاد كاد ان ينهار.

ان نقاط الضعف في ضبط الاجور والاسعار معروفة جيدا. وينجم عن هذا التدبير ما يأتي:

- النقص في المواد، اذ ان مرافق كثيرة لا تستطيع ان تنتج، او ترفض الانتاج، بالاسعار المحددة اصطناعيا.
- خفض النوعية، اذ تغدو المواصفات الموضوعة سابقا بالنسبة الى انتاج سلعة معينة، كماليات ذات كلفة عالية.
- التطويق المستمر عن طريق الاسواق السوداء.
- الحاجة الى جهاز من المراقبين كبير وباهظ التكاليف، للاشراف عليها. ففي اثناء الحرب العالمية الثانية، وهي اطول فترة مارست فيها امريكا الرقابة على الاسعار، استخدمت مصلحة مراقبة الاسعار ٦٥ الف موظف كانوا بدورهم يشرفون

على عدد اضافي من "المتطوعين لمراقبة الاسعار"، بلغ ٣٢٥ ألف شخص.

واسوأ ما في الامر ان الرقابة، بما تخلقه من انطباع بانها ذات اثر، تبقي الاجور والاسعار منخفضة الى حين بينما يستمر ضغط التضخم الهائل بالتراكم. وما ان تلغى الرقابة حتى تنشط السوق فجأة لتحقق مستواها الطبيعي. وتكون النتيجة عادة تضخما اشد بروزا واذى.

والمحاولة الامريكية الاخيرة لممارسة الرقابة، التي تنطوي على برنامج ادارة الرئيس الاسبق نيكسون ذي المراحل الاربع، بدأت في شهر اغسطس (آب) ١٩٧١. وما لبثت ان احدثت ضغطا ادى الى اسوأ الانفجارات التضخمية في تاريخ الولايات المتحدة. فقد كان معدل نمو اسعار المواد الاستهلاكية في انخفاض حين فرضت الرقابة، وذلك نتيجة خفض كمية النقد المتداول في اواخر الستينات اي في عهد ادارة جونسون الضعيفة. اما في ظل الرقابة فقد اخذ معدل اسعار المواد الاستهلاكية يرتفع ارتفاعا حادا بحيث بلغ نحو ١٣ في المئة في منتصف عام ١٩٧٤. ثم ازدادت الكارثة تعقيدا نتيجة لمصادفة وقوع حادثين مزعجين في وقت واحد هما بوار المواسم الزراعية في العالم ووقف تدفق النفط العربي. ولا يزال بعض الناس حتى الآن تراوده فكرة ان هذين العاملين هما اللذان تسببا في التضخم عامي ١٩٧٣ و١٩٧٤. لكن الواقع هو ان الرقابة التي فرضها نيكسون كانت مجرد واجهة ازدادت خلفها النفقات الحكومية على نحو حاد.

لماذا تعود الحكومات، اذاً، الى فرض القيود على الاجور والاسعار، بدعم شعبي احيانا كثيرة؟

في استفتاء حديث اجرته مؤسسة غالوب، تبين ان نصف المستفتين تقريبا كانوا مناصرين للرقابة في شكل ما. ويرى فريدمان ان المطالبة بالرقابة "مبنية ليس على الخبرة ولا على التحليل، ولكن، بكل بساطة، على شعار يقول: "دعونا بالله نفعل شيئا ما". والرقابة، على كل حال، ليست بالعلاج الوافي حين تفرضها حكومة تزداد ديونها في وقت تصدر مزيدا من العملة لدفع الفواتير المترتبة عليها.

الخرافة الثالثة: التضخم هو "شغل كل فرد"

يقول الرئيس جيمي كارتر: "انه لوهم ان تستطيع الحكومة نفسها وقف التضخم. والنجاح او الاخفاق في هذا الجهد الشامل تقرره، الى حد كبير، اعمال القطاع الخاص".

وفي حين ان تأكيد الرئيس كارتر يتفق مع بعض النظريات عن التضخم، الا انه يتعارض تعارضا واضحا مع ما يثبته التاريخ الاقتصادي والخبرة العملية. والحقيقة هي، كما يقول فريدمان، "ان لدى الحكومة مطبعة نشطة للاوراق الخضراء (الدولارات). وبالتالي فالحكومة وحدها هي مصدر التضخم". ان تدني قيمة الدولار المستمر منذ ١٩٤٠ كان، كما يلاحظ الكاتب الاقتصادي هنري هازليت، مصحوبا بنمو متضخم للنقد الامريكي المتوافر. ففي بداية ١٩٤٠، بلغت

قيمة النقد والودائع المصرفية في الولايات المتحدة ما مجموعه ٥٢٤٫٧ مليار دولار، ولكنها بلغت ٨١٥٫٩ مليارا في يناير (كانون الثاني) ١٩٧٨، مسجلة زيادة ١٤٤٨ في المئة.

ان التضخم يرتفع بصورة رتيبة في بلدان اوروبا الغربية، باستثناء بلدين هما المانيا الغربية وسويسرا. وقد تمكنت المانيا الغربية من ضبط التضخم بنسبة ٤ في المئة تقريبا بينما خفضته سويسرا الى ما دون ٢ في المئة في السنوات الاخيرة. واظهرت هاتان الدولتان شجاعة سياسية وانضباطا من مواطنيهما بحيث سيطرتا على موازنتيهما وحققتا نموا مطردا في نقدهما المتوافر.

وفي الفترة التي اعقبت الحرب هناك ثلاثة امثلة رئيسية على تضخم امكن ضبطه وحصره:

المانيا الغربية فعلت ذلك عام ١٩٤٨ حين رفضت "الانفاق" لتحقيق الازدهار عن طريق احداث عجز ضخم.

الولايات المتحدة فعلت ذلك عام ١٩٥٣، في عهد الرئيس دوايت د. ايزنهاور الذي ادت سياسته الضريبية الحكيمة الى نشوء تضخم بنسبة ١٫٤ في المئة سنويا خلال ادارته.

فرنسا حققت ذلك عام ١٩٥٨ حين خفض الجنرال ديغول العجز في الموازنة الى النصف.

ومما يؤسف له انه لا فرنسا ولا الولايات المتحدة استمرتا على ذلك النهج. وان تلك النزعة القديمة لدى رجال السياسة الى العطاء (في شكل خدمات اجتماعية) من دون اخذ (في شكل ضرائب) هي التي ترسخت.

ويواجه الامريكيون حاليا موازنة تربو ارقامها على ٥٠٠ مليار دولار (منها ما يزيد على ٦٠ مليار دولار لا تستطيع الحكومة ان تسددها الا باصدار المزيد من النقد الصوري)، وتضخما عارما سجل نسبة ١٠ في المئة سنويا الصيف الماضي.

ان المشروع الذي كشف الرئيس كارتر النقاب عنه في اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٨ يفرض قيودا في حقلي الاجور والاسعار على اصحاب العمل والعمال كما لو كانوا هم سبب المشكلة. وعلى ذلك يعلق هازليت: "ان الرئيس ادرك الدور الذي يلعبه العجز في الموازنة، لكنه لم يعد بالتخلص منه، بل وعد بخفضه على مدى سنوات.

واذا نجحنا في ابعاد هذه الخرافات عن اذهاننا، نكتشف ان السبيل الى وقف التضخم هو وقفه فعلا، اي وقف زيادة الضخ النقدي الذي يفوق طاقة البلاد الحقيقية على الانتاج، والكف عن التظاهر بان البلاد تملك من المال اكثر مما لديها في الواقع.

ان الولايات المتحدة لا تتوقع ان تتخلص بسهولة من التضخم الذي لا تزال تجد نفسها فيه منذ قرابة اربعين عاما. ولا بد من خفض الانفاق على عدد كبير من المشاريع. ومن المحتمل ان تزيد البطالة وقتيا. ولكن، كما يحذر المؤرخ الاقتصادي والخبير النقدي دونالد كيمير: "ان امة لا توقف التضخم لمجرد ان ذلك مؤلم سياسيا هي امة تعلن افلاسها الفعلي".

■ رالف كيني بينيت



نزهة عذرية بين مراتع الطبيعة تصبح مصدرا للذعر تحت كابوس الجليد وخطر الموت

مأساة واقعية

الكابوس

استحصل كل من شارلوت فريزر (٢١ عاما) وخطيبها باري هول (٢٢ عاماً) على اجازة يوم واحد من عملهما الصيفي على الساحل الشمالي الغربي لولاية واشنطن، وقصدا جبال نورث كاسكيه التي كانت الثلوج عالقة على قممها • وبعد مسيرة شاقة توقف العاشقان الشابان وجلسا للاستراحة وتناول طعام الغداء في العراء عند ممر جبلي على ارتفاع ١٤٠٠ متر ويطل عليهما من أعلى

ثالوث من القمم الصوانية الحادة يعرف بـ"الاصابع الثلاثة".

واتكأت شارلوت على صخرة هناك وابتسمت ابتسامة عريضة تنم عن بهجتها امام تلك المناظر الخلابة التي لم تر مثيلا لها من قبل. ولم يكن باري اقل اغتباطا منها، فقد ذكرته مسيرة التسلق مع اطلالة الصباح بأول عهد افتتانه بشارلوت، حين كانت الزهور الزاهية على جانبي الطريق تستثير حماستها أو تجتذب اهتمامها، بينما كان هو غافلا عن ملاحظاتها.

وفي ساعة متقدمة من الاصيل، شد باري حقيبته الى ظهره وبدأ الاثنان يهبطان الهضاب في رحلة العودة. وما ان مشيا عشرين دقيقة حتى قادهما المسير الى نهير جبلي شديد الانحدار تسد مجراه كتلة جليدية ضخمة. ولكن التيار المتدفق تمكن من شق نفق تحت الكتلة الجليدية فاخترقها عبر فوهة يعلوها جسر من الجليد ويزيد ارتفاعها على اكثر من مترين.

واندفع باري في مجرى الماء تحت الجسر الجليدي، حيث وجد شلالا صغيرا ينصب من سقف الجسر، فخطا نحوه وفتح فمه وأخذ يشرب منه، واحس بالماء الصافي البارد يبعث النشوة في جوانحه، فنادى شارلوت: "تعالي، وتذوقي هذا الطعم الرائع!".

واقبلت شارلوت وانضمت اليه تحت القوس الجليدي وامالت رأسها الى الخلف واخذت تضحك، بينما يترقرق شريط من الماء على انفها.

وفجأة من دون انذار، امتلأ الاخدود الصغير بدوي الانهيار وغمر الظلام عالم شارلوت.

وعندما استعادت الفتاة وعيها بعد بضع ثوان، وجدت ان الجسر قد انهار فوق رأسيهما واوقعها هي تحت اطنان الجليد في وضع يشبه وضع الجنين في رحم امه. وتملكها الرعب فاستغاثت بباري: "انني سأموت! ساعدني! ساعدني!" وبعد ان مرت لحظة الرعب، ادركت انه يجب الامتناع عن الصراخ بل وعن التنفس بعمق، لئلا ينفذ الاوكسيجين الموجود في الجيب المحيط برأسها فتتعرض للاختناق. وعندئذ بلعت ريقها بشدة مرات عدة، وحرصت على التنفس ببطء.

وكان باري تراجع قليلا بحركة مفاجئة فتجنب المقدار الاكبر من كتلة الجليد التي انهارت فوق شارلوت، باستثناء ساقه التي حجزها الجليد. وسمع صوت شارلوت تستنجد به فاطمأن الى انها لا تزال حية، ولكنه ادرك ايضا قلة مؤونتها من الهواء.

واندفع باهتياج شديد يحاول حفر الجليد باصابعه. ولم تكد تمضي دقيقة واحدة حتى كان الجلد انسلخ عن مفاصل اصابعه. واخذت الثواني الغالية تتسارع، فراح يفتش عن شيء يستطيع ان يكسر به الجليد. ورأى صخرة على بعد قرابة عشرين سنتيمترا عن متناول اصابعه فثبت ساقه ومد يده تدريجا حتى امسك بالصخر.

بريق الامل — وبعد عشرين دقيقة من الدق والكشط، بدت لباري اول لمحة من قميص شارلوت، فتشجع وتزايدت جهوده، وبعد بضع دقائق تمكن من

اطلاق رأسها فمضت شارلوت تستنشق الهواء بلهفة وبجرعات كبيرة٠

وسألها باري عن موضع اصابتها، فقالت وهي تشهق: "لقد استولى البرد على كل اعضائي الى حد يجعل التحديد صعبا، ولكن ظهري يؤلمني بشدة وهناك شيء يضنيني في ساقي"٠

واستأنف باري الحفر المضني بيديه المخدشتين والموجعتين، ولم يلبث ان رأى وسط الجليد ثلاثة سيقان في سراويل "الجينز"، فحاول ان يحرر ساقه هو اولا لكي يتسنى له العمل بمزيد من الحرية على تخليص شارلوت٠ ولكنه سرعان ما تبين، وهو يواصل الحفر، ان الساق التي حسبها ساقه هو كانت في الحقيقة احدى ساقي شارلوت، وقد انثنت فوق ساقه في زاوية مستحيلة البلوغ الى الخلف٠

وبعد خمس دقائق تحرر الاثنان من الشرك الجليدي واحتضن كل منهما الآخر في غبطة وارتياح٠ وكانت ساق شارلوت اليسرى اصيبت بكسر كما كان ظهرها يؤلمها، الا انها استطاعت ان تحرك اصابع قدميها وفيذلك علامة طيبة٠ وكانت ساق باري تؤلمه هو الآخر وتضطره الى العرج٠ الا انها لم تكن مكسورة٠ ولم يكن في مقدور باري ان يحمل شارلوت حملا، فنقلها على نحو ما - نصف حمل ونصف جر - الى صخرة مسطحة وكوّم فوقها بعض الحجار الكبيرة ليجعل منها مسندا لظهرها٠

وانقضت لحظات تعلق فيها كل منهما بالآخر وقد نال منهما الاعياء وشاعت في جوانحهما بهجة الخلاص، ثم بدآ يتأملان موقفهما: كانا على مسافة خمسة كيلومترات تقريبا فوق حافة الطريق التي تقف عندها سيارة باري، على ممر جانبي وعر يندر ان تمر فيه السيارات٠ وكان باري يعاني عرجا مؤلما، وشارلوت عاجزة عن السير٠ وكان كلاهما يدرك ان الخطر الاكبر الذي يتهددهما هو فقدان الجسم حرارته (هيبوتيرميا) الذي يعتبر من أهم اسباب الموت في المرء٠ وبدأ الغروب ينشر ظلاله المستطيلة عبر الوادي، وهواء المساء البارد يلفح شارلوت بملابسها المبتلة فتنتابها الرجفة٠ وقررا ان افضل الاختيارات امامهما هو ان ينطلق باري وحده ليعود بالنجدة٠ وركز باري ساقي شارلوت في وضع مريح بمقدار الامكان، ثم وقف لحظة وهو يمسك بيدها وفي حلقه غصة، وقال: "شارلوت، ايا تكن الحال، ومهما حدث، تذكري دائما اني احبك"٠ ثم ابتعد وهو يعرج٠٠٠

كانت كل واحدة من خطوات باري تثير الماً موجعا لديه، ولكنه كلما شعر بأن ساقه تتهاوى تحته كان يفكر في شارلوت فيستمد منها القدرة على مواصلة المسير ويصلي ويضرع مرارا من أجل امرين: "يا رب، امنحها الدفء، ولا تجعلها تنام"، علما منه بأن النوم يتسبب في فقدان الحرارة الذي يؤدي بدوره الى الموت٠

وبعد ساعة تقريبا وصل باري الى اسفل الممر، فارتمى في سيارته وسار بها في اهتياج وارتباك عبر منحدرات الطريق الجبلي٠ وكان يجتاز المنعطفات بسرعة فائقة كان منها ان اصطدمت العجلة الامامية اليمنى للسيارة بصخرة وانفجر اطارها

على الفور، ولكن باري واصل السير غير آبه لتضرر الاطار المعدني.

واخيرا وصل باري الى محطة سيارات منعزلة، فاندفع الى الهاتف واتصل بمكتب رئيس شرطة مقاطعة سنوهوميش. وخلال دقائق كان نائب رئيس الشرطة جون تيلور قد اخطر وحدة البحث والانقاذ المحلية التي جمعت متطوعيها على الفور، ثم اتصل تيلور بمحطة السلاح الجوي التابع للبحرية وناقش مع اوليائها امر استخدام طائرة انقاذ عمودية (هليكوبتر).

شارلوت تتمسك بالحياة ــ لقد استحوذت روعة الغروب على حواس شارلوت فلم تجد صعوبة في البقاء مستيقظة خلال الساعة الاولى من وحدتها. ثم توارت قمة جبل "وايت هورس" (الحصان الابيض) وراء طبقة من السحاب يتخللها وهج برتقالي رقيق.

وقالت لنفسها: "الحق يا شارلوت انه اذا قدر لك ان تنكسر ساقك فقد اخترت مكانا ممتازا لذلك". ثم انفجرت ضحكا. ترى، لو درت بذلك تلك الزميلة التي ساكنتها في غرفة واحدة ايام الدراسة في الجامعة فماذا عساها تقول؟ كانت تقول: "لا تنسي ابداً ان تضحكي يا شارلوت. ابحثي عن الجانب المسلي في كل موقف".

وقبل ان تغيب الشمس بقليل اندفع طائر طنان كالسهم نحو شارلوت ورفرف فوق وجهها. وفكرت: "لا بد ان وشاحي الاحمر هو الذي يجتذبه". وظل الزائر الصغير يرفرف دقائق عدة ويدنو منها ويطن على نحو مزعج على رغم تهاويلها الضعيفة لابعاده.

ولكن تحرك الطير على هذا الشكل كان حافزا لشارلوت على البقاء مستيقظة، فاستجيبت بذلك طلبات باري بالا يتغلب النوم على شارلوت.

واجتهدت الفتاة في البقاء مستيقظة بعد حلول الظلام، فركزت انتباهها على ما حولها من اصوات، صوت الريح وهي تتخلل الاشجار وخرير المياه ونعيق البوم. وكان الاكتئاب يتسلل الى نفسها احيانا: "ما العمل اذا لم يستطيعوا الاهتداء الى مكاني في الظلام؟ ما العمل لو ان باري قد ضاع بدوره؟" ولكنها حاولت ان تطرد عنها تلك الافكار المزعجة وتستعيد الذكريات الحلوة لتلك النزهات الصباحية التي قامت بها: الزهور الرائعة الالوان، ونبات الخنشار الفائض رقة في ضوء الشمس الدافئة، وتناول الطعام في الهواء الطلق.

وفجأة، سمعت شارلوت صوتا يختلف عن تلك الاصوات المحيطة بها، وكأنه هدير قاطرة بعيدة. وتسارعت دقات قلبها: ما هذا؟

وحملقت في الظلام، فميزت كتلة هائلة من الثلج وقد انسلخت عن موضعها في اعلى الوادي الشديد الانحدار، وراحت تندفع في اتجاهها مباشرة. فكتمت شارلوت صرخة واغمضت عينيها، ولكن ما بدا مستحيلا حدث بالفعل، اذ توقفت كتلة الثلج على بعد ثلاثة امتار فقط من شارلوت.

وكانت هذه النتيجة بمثابة الاستجابة الثانية لدعاء باري بأن تحتفظ شارلوت بحرارة جسدها. فقد كان قلب الفتاة يدق بعنف ويدفع

دماء الاضطراب الى خديها. غير ان الدفء لم يستمر طويلا.

وقرابة العاشرة والنصف، اي بعد ذهاب باري بثلاث ساعات تقريبا، عادت شارلوت ترتجف مرة اخرى. وتذكرت ان الرجفة هي آخر وسائل الدفاع التي يلجأ اليها الجسم لمقاومة فقدان الحرارة، وبذلت اقصى ما لديها من جهد لتبقى مستيقظة. ولم يكن ذلك بالامر السهل. فهي كانت، على رغم جهودها، تشعر بانها سابحة نحو الغيبوبة، ثم تتملكها نوبة ارتجاف تعيدها الى اليقظة. وما ان بدأت تنزلق الى الاغماء، حتى تراءى لها ضوء خافت على بعد عشرة امتار ينتقل وميضه في اتجاهها، فصاحت بكل ما تملك من قوة: "انا هنا! انا هنا!".

السعادة... – كان الضوء مصباحا يدويا يحمله جيم ويمان، اول من بلغ مكانها من فريق الانقاذ. وصلت شارلوت تردد مرارا وتكرارا: "ما اسعدني بوصولك!"

وباشر ويمان العمل من فوره، ففحصها لتحديد اصابتها، ثم لفها بسترة مبطنة بالريش واخذ يدلك قدميها لكي تستعيد الحساسية تدريجا. ولم تلبث ان ظهرت مصابيح يدوية اخرى لدى وصول متطوعي الانقاذ الآخرين الذين بلغ عددهم ٢٣. وكان معهم باري وقد خارت قواه لما بذله من جهد مستميت للحصول على النجدة.

وسرعان ما اشعل الفريق نارا كبيرة، وتولت امرأتان من اعضائه تغيير ملابس شارلوت، ثم التحفتا معها مجموعة من الاغطية لتدفئاها بحرارة جسميهما.

وبعد ان زال الخطر من فقدان جسدها الحرارة، جلس الجميع ينتظرون قدوم طائرة الاسطول العمودية مع بزوغ الفجر.

ومع توهج الفجر، شق السكون صوت الطائرة العمودية المتقطع، ولم تلبث ان حلقت فوقهم وبقيت ترفرف ريثما يتم ربط شارلوت بالاشرطة الجلدية على نقالة من السلك المشبك ثم رفعت الى الطائرة على علو ٥٠ مترا. ثم انطلقت الطائرة على الفور الى مستشفى قريب.

اما باري الذي لم يذق طعم النوم منذ ٢٤ ساعة وقطع ٤٠ كيلومترا مشيا، فقد راح يجر قدميه على الطريق المنحدر مع فريق الانقاذ، وهو يكرر آيات الشكر بحرارة دامعة.

وقضت شارلوت فريزر سبعة اسابيع في جهاز الانضباط وتسعة اسابيع اخرى في جبيرة العظام، ثم تم زواج الخطيبين في موعده الذي كانا حدداه منذ وقت طويل، وحضرته شارلوت مستندة الى عكازين في جميع مراحله، باستثناء المسيرة القصيرة عبر ممر الكنيسة وهي تتأبط ذراع ابيها.

واجتاز باري هول في يونيو (حزيران) الماضي آخر سنوات دراسته في جامعة سنترال واشنطن، وقد عقد العزم على ان يلتحق بمدرسة اللاهوت كي يصبح قسيسا، او ان يشتغل في التدريس، اما شارلوت فقد تأثرت تأثرا عميقا بما لقيته في المستشفى من اهتمام ورعاية، فالتحقت بمهنة التمريض.

■ فيليب يانسي

الكاتب الروسي الكسندر سولجنتسين ألقى كلمة في متخرجي جامعة هارفارد الامريكية في يونيو (حزيران) ١٩٧٨، ضمّنها انتقاداً لممارسة الغرب للحريات. وهنا مقتطفات منها

الغرب فقد شجاعته!

عندما أنشئت دول الغرب الحديثة، اعلن المبدأ الآتي: المقصود بالحكومات أن تخدم البشر، والانسان يحيا كيما يكون حرا ويسعى الى تحقيق سعادته.



ولقد أتاح التقدم التقني والاجتماعي خلال العقود الاخيرة تحقيق تلك التطلعات. فقد بات تحرر الفرد من ضروب الضغط الكثيرة التي تمارسها الدولة مكفولا له، كما أن غالبية من البشر حصلت من رفاهية العيش على مقدار لم يكن آباؤها وأجدادها يحلمون به. وعليه، فمن ذا الذي يقبل اليوم التنازل عن ذلك كله؟ ولماذا ولاي غاية ينبغي للمرء ان يخاطر بحياته الغالية دفاعا عن القيم المشتركة، خصوصا حين يتعلق الامر بحال من تلك الاحوال غير المحددة المعالم التي يجب الدفاع فيها عن امّتك في بلد آخر؟

ان التعوّد على العيش في أمان ورفاهية بالغَين ليس مما يفيد الانسان. واليوم، بدأت الرفاهية التي يتصف بها العيش في المجتمع الغربي تسفر عن وجهها المؤذي.

لقد نظم المجتمع الغربي نفسه التنظيم الملائم لاغراضه، أي ذلك الذي يقوم على التمسك بنصوص

القوانين. فحدود الحقوق الانسانية ومعايير السلوك القويم تحددها منظومة من القوانين. وهي حدود واسعة جدا. وكل صراع ينشب في تلك المجتمعات يجري حله طبقا لنص القانون، باعتبار ان ذلك هو الحل الامثل. وبالطبع، لا يجوز لاحد إن يذكر ان المرء قد لا يكون على حق تماما، ويحث على ضبط النفس. فالاستعداد للتنازل عن مثل تلك الحقوق القانونية وتقبّل التضحية والمخاطرة التي تنطوي على انكار الذات، امور يمكن ان تبدو، ببساطة، مناقضة للعقل.

لقد قضيت كل ما عشته من سنين فى ظل نظام شيوعي. وفي وسعي ان أقول لكم إن أي مجتمع يفتقر الى ميزان قانوني موضوعي يكون مجتمعا رهيبا فعلا. الا ان المجتمع الذي يبنى على حرفية القانون ولا يحاول ان يعلو فوق ذلك يكون مجتمعا لا يجنى سوى فائدة ضئيلة من المستوى الرفيع لامكانات الانسان. وحيثما كان نسيج الحياة مصنوعا من خيوط العلاقات القانونية بين البشر، فان الجو العام لمثل تلك الحياة يكون ذا مستوى خلقي غير رفيع، يشل لدى الانسان أنبل ما فيه من حوافز.

حرية مطلقة ـ الذي حدث في الغرب هو أن الحرية المدمرة غير المسؤولة أطلق لها العنان بلا حدود، بحيث بات المجتمع يبدو كما لو كان أعزل وعاجزا عن الدفاع الفعّال في مواجهة الهوة الفاغرة من الانحطاط الانساني الذى نلمسه، على سبيل المثال، في اساءة استخدام الحرية بارتكاب أعمال العنف المعنوي ضد الشباب، وأفلام السينما المليئة بالاباحية والجريمة وضروب البشاعة. فتلك الامور ينظر اليها كجزء من الحرية، ويعتبر أن هناك ما يوازنها في ما يتمتع به الشباب من حق يتيح له ألا يشاهد مثل تلك الافلام وألا يتقبلها.

ان الصحافة تتمتع فعلا بأوسع الحريات. ونتيجة لذلك، فان رجل الدولة الذي يريد أن ينجز لبلده أي شيء مهم او بنّاء، يتعين عليه ان يخطو بحذر وخشية. فهو محاط بألوف النقاد المتسرعين العديمي الشعور بالمسؤولية. والمجلس النيابي والصحافة لا يكفان عن صده. وبهذه الطريقة تروج سوق العديمي الكفاية، بحجة ما تفرضه الديموقراطية من قيود. كما ان هناك مفاجأة أخرى تباغت من يأتي الى العالم الغربي من الشرق: فهو يجد ان الصحافة موحدة توحيدا صارما، ويكتشف تدريجيا ان هناك تيارا مشتركا من ضروب التفضيل والانحياز لدى الصحافة الغربية ككل. وليس هناك ما هو ممنوع. الا ان ما ليس "موضة" أو مطابقا للتيار السائد، يكاد لا يجد طريقه الى المطبوعات الدورية او الكتب او يسمع في الجامعات. وذلك ما يولد ضروبا قوية من التحيز الجماهيري والعمى - وهذه امور شديدة الخطر في عصرنا الدائم الحركة المفعم بالقوة والنشاط.

ويكاد يكون من المعترف به في كل مكان أن الغرب يضع العالم كله على طريق التنمية الاقتصادية الناجحة. وأنا، وقد خبرت الاشتراكية في تطبيقها العملي، لن أنادي بها. ولكن

إن سألني أحد عما اذا كنت على استعداد لان أجعل من الغرب كما هو الان مثالا تحتذيه بلادي فسأجيب بلا. فبلادنا، نتيجة للعذاب البالغ الذي عانته، وصلت الان الى مستوى من النمو الروحي يجعل النظام الغربي - بوضعه الراهن، المستنفد روحيا - يبدو غير جذاب بالنسبة الينا.

لقد مرت على شعبنا ستة عقود، وعلى شعوب اوروبا الشرقية ثلاثة عقود، خضنا وخاضوا خلالها غمار تدريب روحي يفوق كثيرا تجربة الغرب. فتعقيد الحياة العصرية وما يلازمه من وطأة ثقيلة، تمخضا عن شخصيات انسانية أقوى وأكثر عمقا وأشد اثارة للاهتمام مما أنجبته الرفاهية الغربية المنمطة ذات القالب الواحد.

وهناك من الشخصيات المعروفة التي تتحدث بلسان مجتمعكم، مثل جورج كينان، من يقول بأننا لا نستطيع تطبيق المعايير الخلقية على السياسة. وأنا أريد أن أقول ضد ذلك تماما: فلا شيء غير المعايير الخلقية يمكن أن يساعد الغرب في مواجهة استراتيجية الشيوعية، وهي استراتيجية عالمية وضعت مخططاتها باحكام.

ان أشد الأخطاء قسوة ارتكبت كنتيجة للقصور عن فهم حرب فيتنام. فقد أراد البعض باخلاص أن يوضع حد لكل الحروب. وظن آخرون أنه ينبغي ان يتاح المجال لتقرير المصير على المستوى القومي أو المستوى الشيوعي في فيتنام أو كمبوديا. الا ان افراد الحركة المعادية للحرب الفيتنامية في الولايات المتحدة آل مآلهم الى خيانة أمم الشرق الاقصى.

والان، هل يسمع أولئك الناس من الرافضين للحرب أنّات المتوجعين المنبعثة من هناك؟ هل يدركون المسؤولية الواقعة عليهم اليوم؟ الذي حدث هو ان ساستكم القصار النظر الذين وقعوا وثيقة الاستسلام في فيتنام بدوا كما لو كانوا قد أعطوا الشعب الامريكي - بفعلهم ذاك - فسحة من الوقت للاتقاط الانفاس بغير هم مقعد. والنتيجة أن مئة فيتنام تتربص الان في الافق.

قوة ثالثة - لقد ارتفعت بعض أصوات في الغرب متحدثة عن الحصول على حماية من قوة ثالثة تشكل درعا ضد العدوان في الصراع العالمى التالي في حال نشوبه. وهذه الدرع ستتمثل في الصين. غير اني لا أتمنى ذلك لأي بلد في العالم. فمثل هذا التحالف، أولا، سيكون حلفا مع الشر محكوما عليه بالاخفاق. وسيكون كذلك أمراً قد يتيح للولايات المتحدة فسحة من الوقت، الا انه سيجعل أمريكا نفسها تقع - عندما تستدير اليها الصين بشعبها البالغ عدده ألف مليون نسمة وقد تسلح بالاسلحة الامريكية - ضحية لحرب ابادة كتلك التى وقعت في كمبوديا في أيامنا هذه.

والواقع انه لن يوجد سلاح، مهما تعاظمت قوته، يمكن أن يساعد الغرب في التغلب على ما ابتلي به من فقدان قوة الارادة. فالمرء، كيما يكون قادرا على الدفاع عن نفسه، يجب أن يكون مستعدا أيضا للموت. وهذا الاستعداد ضئيل جدا لدى

مجتمع ربّي في احضان عقيدة الرفاهية المادية. فلا يكون قد بقي شيء الا تقديم التنازلات ومحاولات كسب الوقت والخيانة.

والواقع أن تناقص الشجاعة هو الصفة التي تسترعي، أكثر من سواها، أنظار أي مراقب خارجي يتابع اوضاع الغرب اليوم. فقد باتَ الفكر الغربي محافظا: كل همه ابقاء الوضع العالمي كما هو اليوم، بأي ثمن. الا ان ذلك الحلم الذي يستنزف القوى - حلم الابقاء على الوضع القائم - انما هو عرض ينم عن حال مجتمع وصل الى آخر مدى نموه وتطوره.

ترى كيف تدهور الغرب حتى وصل الى مرضه الراهن؟

ما من شك في أن الخطأ كامن في أساس الفكر الانساني ذاته خلال ما انقضى من قرون. وأعني بذلك الرؤية الغربية السائدة للعالم التي ولدت في عصر النهضة ووجدت التعبير السياسي عنها خلال عصر التنوير (القرن الثامن عشر). وهي رؤية يمكن ان نطلق عليها صفة الانسانية - العقلية. وتنطوي على الايمان باستقلال الانسان عن أي قوة عليا. وهي لا تسلم بالشر كمكوّن جوهري من مكونات النفس الانسانية، ولا تعتبر أن هناك أي مهمة للانسان تعلو على التوصل الى السعادة.

وفي الديموقراطيات المبكرة - كالديموقراطية الامريكية عند مولدها - منحت الحقوق الفردية بأكملها لان الانسان من صنع الخالق. لكن الحرية منحت على اساس ان يظل الفرد محافظا على مسؤولياته الدينية. وقد كان ذلك نتاجا لميراث الألف عام التي سبقت منح تلك الحقوق. الا ان الذي حدث بعد ذلك في الغرب هو انه تم تجاوز تلك الحدود في كل مكان، فأنتهى الغرب الى حيث بات يكفل الحقوق الانسانية على نحو مبالغ فيه احيانا، ولكن مع انحسار احساس الناس بمسؤوليتهم تجاه الله والمجتمع.

ان الانسانية، مجرّدةً عن ميراثها الروحي، لا تستطيع ان تصمد لمنافسة الشيوعية. ونحن نشهد تلك العملية على نطاق عالمي: فنرى الراديكالية، بحتمية لا مهرب منها، تحل محل الليبرالية، ونرى الراديكالية تستسلم للاشتراكية، والاشتراكية تعجز عن مقاومة الشيوعية.

لقد علقنا من الآمال أكثر مما ينبغي على الاصلاحات السياسية والاجتماعية، فاذا بنا نجد أننا حرمنا من أثمن ما لدينا: حياتنا الروحية. والحياة الروحية في الشرق يقضى عليها من خلال معاملات الحزب الحاكم ومكائده. أما في الغرب، فان المصالح التجارية تنزع الى خنق الحياة الروحية. وتلك أزمة حقيقية. فالانقسام الذي يعانيه العالم أقل فظاعة من المرض المتغلغل في أجزاء رئيسية منه.

علينا أن نغير حياتنا اذا شئنا أن ننقذها من الهلاك. لقد اقترب العالم من منعطف جديد في التاريخ، يضاهي في أهميته طور الانتقال من عصور الظلام الى عصر النهضة. ولم يعد من طريق أمام أي انسان على الارض سوى الطريق الى أعلى.

■ **الكسندر سولجنتسين**

كاتب روسي شهير يقيم في الولايات المتحدة منذ خريف ١٩٧٦

صور من الحياة



فراسة عربية

في منتصف الطريق الى المدينة التي اقصدها اخذت سيارة الشحن القديمة الي كنت اقودها ترتج بضع مرات ثم توقف محركها نهائياً، فاضطررت الى السير قرابة ستة كيلومترات، وكانت درجة الحرارة ٤٠، حتى وجدت مرآباً لتصليح السيارات. وابلغت عاملا كهلا هناك بحاجتي الى بطارية وبعض الادوات ثم استدركت منبهاً اياه الى انني لا احمل نقوداً وانني سادفع له ما يترتب علي في طريق العودة. ولشد ما ادهشني ان العامل سمح لي بأخذ ما اشاء.

وفي طريق العودة من المدينة توقفت عند المرآب لادفع ما علي واعيد الادوات التي استعرتها، وهنا سألت الرجل عن مبرر ثقته بي فقال: "حسناء حين جئتني كنت منهكاً، عطشاً، اضناك الحر، تريد استعارة بعض الادوات وحمل بطارية وزنها عشرة كيلوغرامات مسافة ستة كيلومترات. ان لصاً لا يبذل كل هذا الجهد".

د.ب.

السعادة انواع

عام ١٩٤٣ تزوجت الراقصة وفنانة الباليه اغنيس دي ميل من والتر برود. وفي تلك السنة ايضا ادت عرضها التاريخي في الباليه (اوكلاهوما).

وتذكر دي ميل عن زوجها ما يأتي: "كان يريدني ان اطهو الطعام ولم اكن احسن ذلك ورغم هذا لم يتنازل عن رغبته. فذهبت سراً الى مدرسة فندقية وتعلمت الطهو. وفي مساء يوم احد ابقيته في المنزل وأعددت له عشاء من افخر ما يؤكل. واستغربت ما حدث بعد ذلك. انه امر لا يصدق لقد بكى فرحاً، وهو الذي لم يبك قط حين يراني ارقص".

فطر فرويد

تستعيد ابنة أخ سيغموند فرويد، هيلا فرويد بيرنيز ذكرياتها عن عمها وتصفه بأنه "كان رجلا حنوناً يعشق الاطفال والكلاب الصينية الاصل ونباتات الفطر" وتتذكر مسابقة لجني الفطر نظمها عمها للاطفال اثناء نزهة عائلية.

وعند انقضاء النهار وزع جوائز على المتسابقين فنال واحد جائزة لأنه جنى الفطرة الأولى ونال مثلها آخر لانه قطف آخر واحدة وحصل ثالث على جائزته لانه قطف اكبر فطرة، وحصل مثلها رابع لجنيه اصغر فطرة او اغربها شكلا. وهكذا...

ج.ك.م.

صراحة زائدة

يؤدي اخي خدمته العسكرية في الخارج على ظهر حاملة طائرات، وقد اعتاد أن يؤدي صلاة الشكر قبل تناول وجبات الطعام. وذات يوم سأله احد رفاقه "كيف تستطيع مباركة طعام كهذا؟".

فأجاب أخي بجدية "بصراحة، أخشى ان اتسمم إذا لم اباركه".

م.ك.

قبل ان تقذف التكنولوجيا خارج مدار الارض كان لفيف من "فناني الفضاء" يتجولون بالخيال في ارجاء المجموعة الشمسية مبتدعين رسوماً حافلة بالنبوءات التي تحققت، وبالجمال الرائع المذهل

الفنانون الفلكيُّون

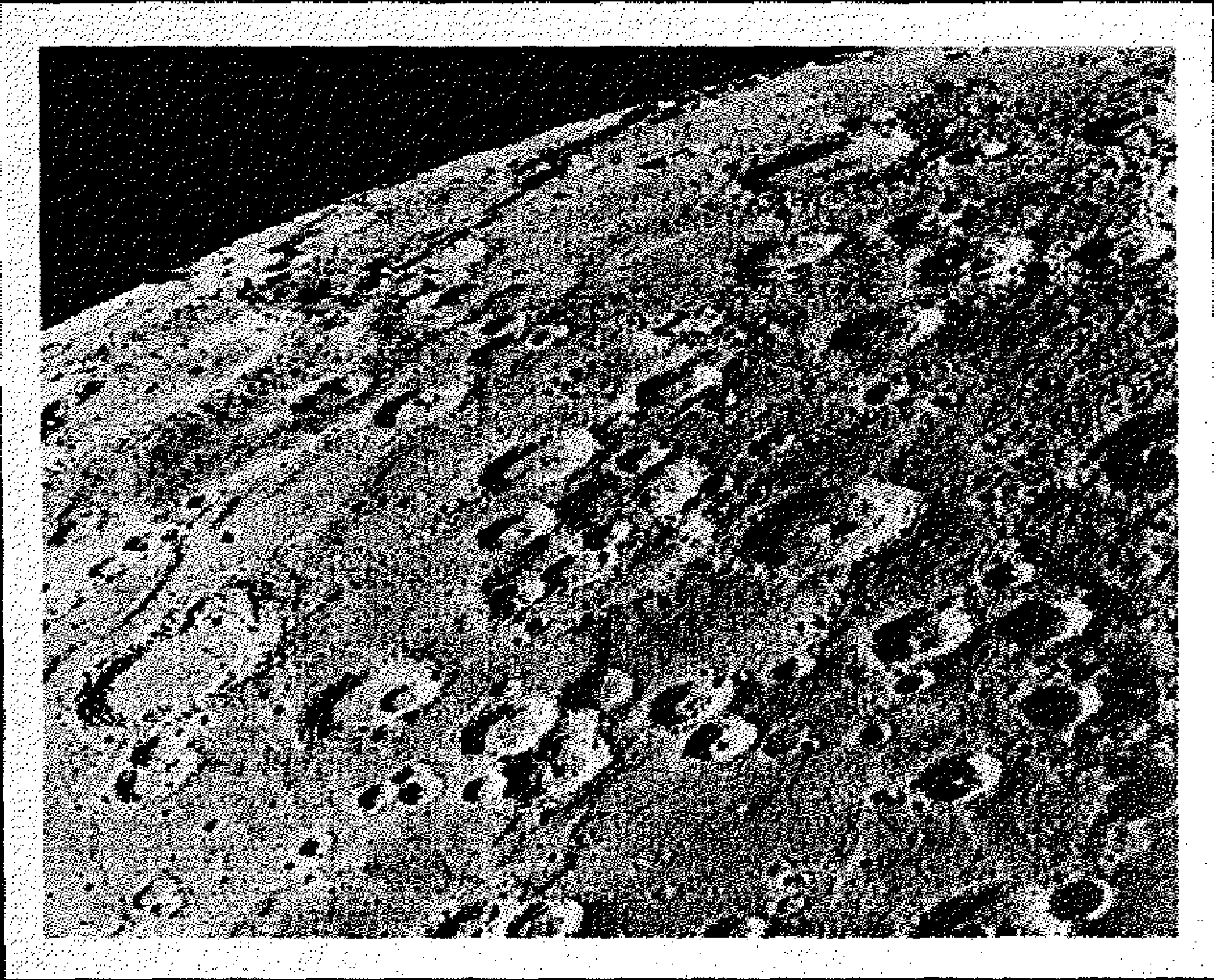
منذ قرن تقريبا، قبل ان يكون هناك شيء اسمه برنامج الفضاء، تمكن الانسان من المشي على سطح القمر واستكشاف صحارى المريخ الرملية المترامية الاطراف، فأبدى اعجابه بروعة الجمال الهندسي المتألف في حلقات زحل وبهرته الشمس الملتهبة فوق سطح عطارد المتّقد. وتم ذلك كله بفضل عيون انفار من الفنانين - الفلكيين الموهوبين، الذين وقفوا حياتهم على وضع الرسوم التوضيحية لما تبدو عليه العوالم الاخرى.

وما اعجب ان نرى اليوم رسما حققه الفنان منذ ٥٠ او ٦٠ عاما لسطح القمر او سطح زحل كما يبدو من اقرب تابع له، فتلاحظ انه ينطبق تماما على ما اصبحنا نعرفه الان عن هذين الجرمين. ويزداد عجبنا حين نضع في اعتبارنا ان هؤلاء الفنانين لم تكن معلوماتهم تتجاوز حدّ ما عرفه الفلكيون عن جارتنا الكواكب في القرن الماضي، لان معلوماتنا لم يزد مقدارها زيادة محسوسة الا في العشرين السنة الاخيرة فحسب، حين تسنّى لنا استكشاف النظام الشمسي مباشرة عن طريق توابع السبر غير المسكونة وتوابع الهبوط الاصطناعية.

وكان الفنان الفرنسي الشهير

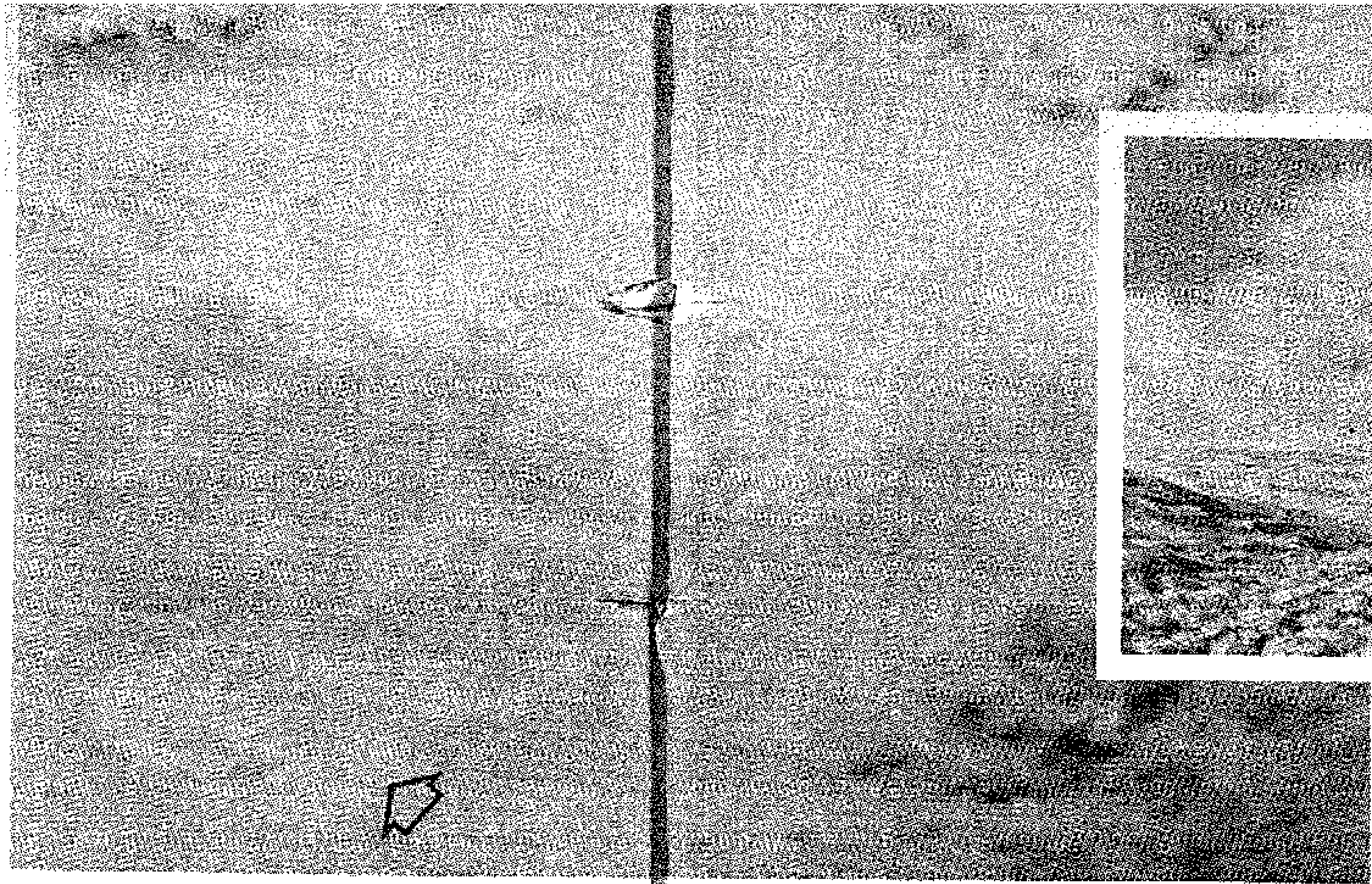
عطارد

نظرا الى شدة قرب عطارد من الشمس، والى كون حجمه لا يزيد الا قليلا على حجم قمرنا، فقد كانت مراقبته او تصويره امراً متناهي الصعوبة على الدوام مما تعذر معه ابتداع هذا الرسم من جديد. وعلى رغم ذلك، فان هذا الرسم الذي اورده تشيزلي بونيستل في كتابه "غزو الفضاء" (الصادر عام ١٩٤٩) يستبق ما اوضحته الاكتشافات اللاحقة عن هذا السطح الوعر المليء بالفوهات البركانية والذي يشبه سطح قمرنا الى حد بعيد وتلفحه الشمس الى ٢٦٠ درجة مئوية، ويبدو مكبرا الى ثلاثة اضعاف حجمه المرئي من الارض. اما مدى دقة هذه الرؤية فنترك امره للقارىء. والصورة الفوتوغرافية (داخل الاطار) لسطح الكوكب نفسه التقطتها عام ١٩٧٤ عدسات المركبة الفضائية "مارينر ١٠".



لوسيان رودو (١٨٧٤ - ١٩٤٧) اول من كرس وقته بكامله لفن الفضاء. وهو كـان فلكيـا رفيـع المقـام يتمتـع باحترام الدوائر العلمية، وقد انشأ مرصدا خاصا به، كما القى كثيرا من المحاضرات والّف عددا من الكتب الشعبية الموضحـة برسومـه. وكـان يجمع بين الملاحظة الحادة الفطنة والخيال الباهـر والاهتمـام الدقيـق بالتفاصيل، فكانت نتيجة ذلك مقدارا لا حصر له من الرسوم لرؤى خارقة للطبيعة. فرسومه لكوكب المريخ، مثلا ، تبين بوضوح لا مجال فيه للخطأ تلك الاعداد الكبيرة من الفوهات البركانيـة القمريـة الاشكـال التـي ادهشت كثيرين من العلماء عندما التقطت المركبة الفضائية "مارينر ٤" صورها الفوتوغرافية للمرة الاولى عام ١٩٦٥.

وعام ١٩٤٤ قبل وفاة رودو بثلاث سنوات فقط، نشرت مجلة "لايف" مجموعة من الرسوم الأخاذة لكوكب زحل كما يبدو من عدد من اقماره. وكان مبدع تلك الرسوم المهندس المعماري تشيزلـي بونيستـل الـذي تحول الى فنان للمؤثرات الخاصة. وقد اتاحت هذه الرسوم لجمهور كبير "رؤية" الكواكب باعتبارها اماكن حقيقية، صلـدة مثـل الارض التـي نسكنها. وعلى مدى الخمسة والثلاثين عاما التاليـة، ظـل بونيستـل ينشـر رسومـه الدقيـقـة فـي عـدد مـن المطبوعات الواسعة الانتشار.



ان سماء المريخ البرتقالية القرنفلية لم تثر دهشة الفنان - الفلكي لوسيان رودو. ولعل ادق تصور للمريخ يستبق عصر الفضاء هو الرسم الذي وضعه رودو عام ١٩٣٠ (مبين اعلاه) لعاصفة ترابية دوامة تهب على صحراء تنتشر فيها الصخور على نحو يشبه، عاصفة مريخية فعلية مما صورته عدسات المركبة "اوربيتر ٢" (يشير اليها السهم).

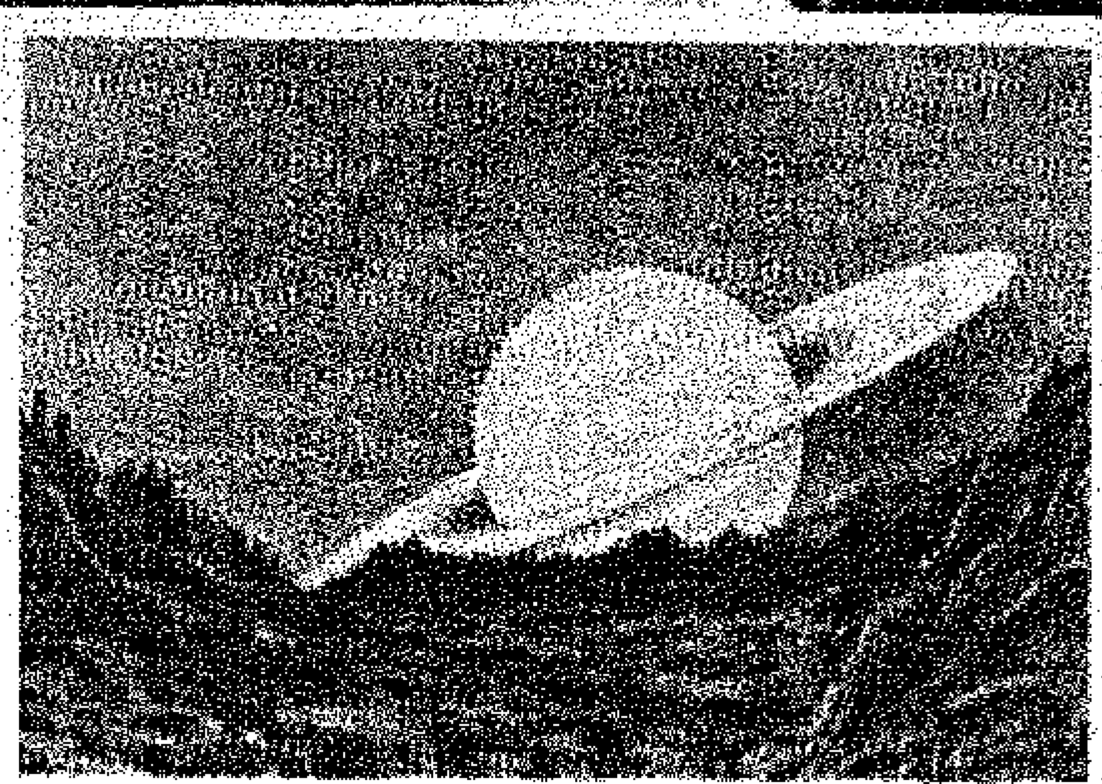
المريخ

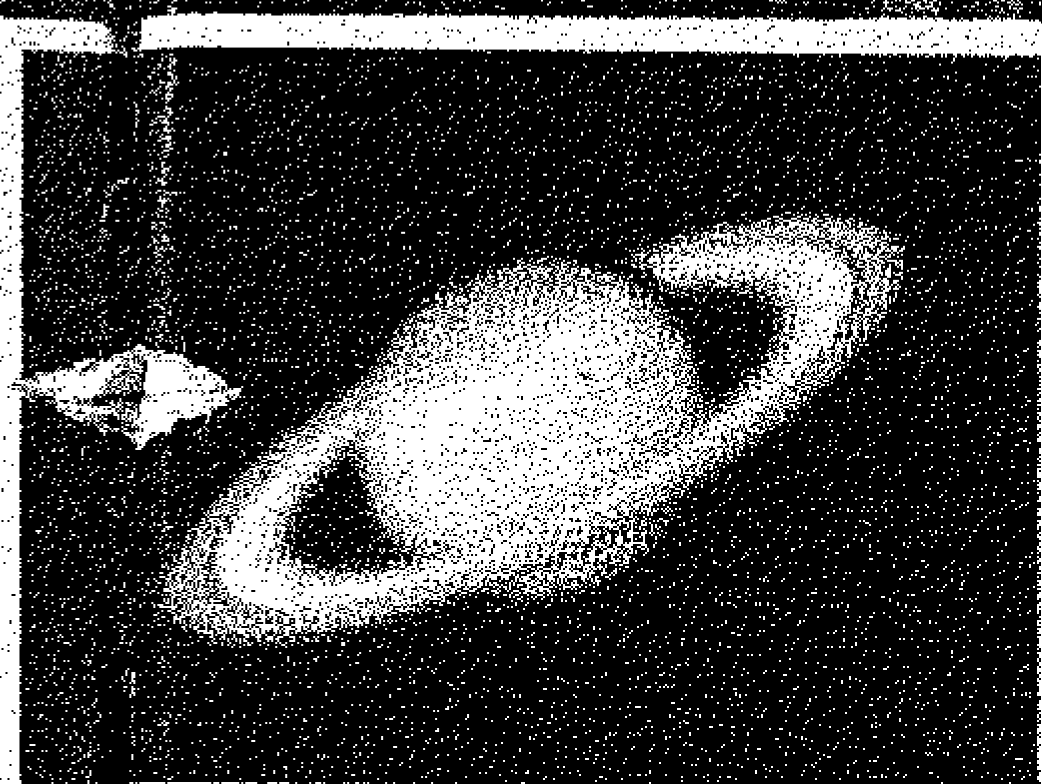
لقد انحفتنا السنوات الاخيرة بمجموعة من الاكتشافات غير المتوقعة عن "الكوكب الاحمر". فجاء أولها عام ١٩٦٥ حين بدا من الصور الفوتوغرافية التي ارسلتها "مارينر ٤" - وادهشت العلماء والفنانين على السواء - ان سطح المريخ شبيه بسطح القمر. وجاءت الحقيقة الثانية المثيرة للدهشة عام ١٩٧١ عندما تبين من الصور الفوتوغرافية للمركبة "مارينر ٩" ان سطح الكوكب ابعد ما يكون شبها بسطح القمر. ولئن ظهرت هناك آلاف الفوهات البركانية، الا انها بدت مليئة بالتراب ومصابة بالتآكل الشديد، بالاضافة الى وجود براكين تفوق في حجمها اضخم البراكين الارضية، وواد متحدر الجنبات يعادل طوله عرض الولايات المتحدة بكاملها (٤٨٠٠ متر). اما آخر الصور التقليدية عن المريخ التي تبدو فيها السماء داكنة الزرقة تمتد فوق كثبان رملية بلون الصدأ، فقد نفتها الصور الفوتوغرافية التي ارسلتها المركبة "اوربيتر ٢" عام ١٩٧٢ (وتبدو الى اعلى صورة فوتوغرافية التقطتها "اوربيتر" للمريخ)، حيث تبين ان لون المريخ برتقالي مائل الى القرنفلي.

الزهرة

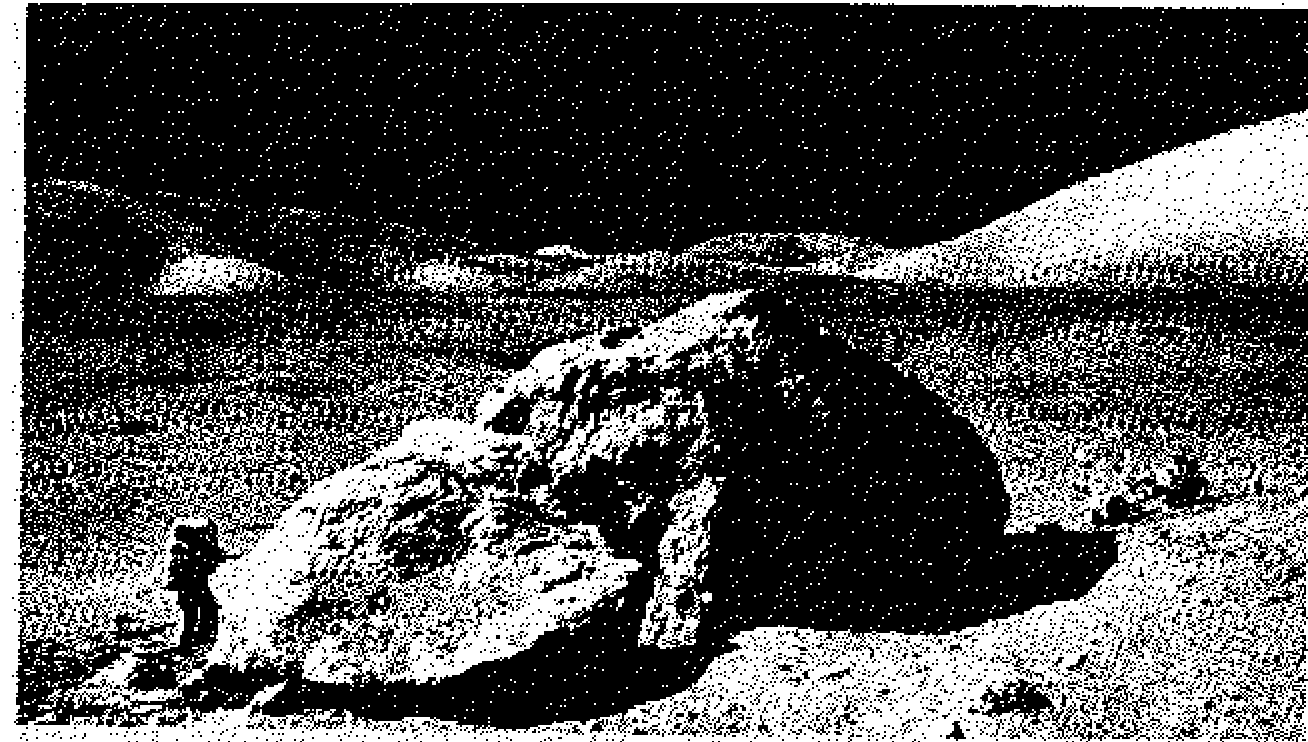
اذا استثنينا صورتين فوتوغرافيتين غائمتين حصل عليهما السوفييت، فان افضل الصور المتوافرة لدينا لسطح كوكب الزهرة هي تلك التي رسمها فنانو الفضاء. وفي هذا الرسم الذي وضعه المصور دون ديكسون من كاليفورنيا، نرى السطح الجهنمي (حرارته ٤٢٦ درجة مئوية) فندرك مدى الوهم الذي كان سببا في نعت هذا الكوكب بـ "كوكب الحب". وللزهرة غلاف جوي كثيف مشحون بالاحماض ويضغط على سطح الكوكب بقوة تعادل ١٠٠٠٠٠ غرام على السنتيمتر المربّع الواحد، وهو ما يشوه في الصورة افق الزهرة والشمس التي تعلوه.







زحل
كانت الحلقات التي
تحيط بكوكب زحل مثاراً
لخيال الناس طوال قرون عدة.
وفي هذا الرسم المدهش نظر الفنان
المعاصر لوديك نفسك الى الحلقات التي تبدو
صلبة من داخلها وبين لنا حقيقتها. فهي عبارة
عن مليارات الاقمار الصغيرة المنفردة التي تتألف من قطع
الجليد او الصخور المكسوة بالجليد، وكل منها يدور بلا نهاية
في تلك الخاص داخل طبقة كثيفة تقل سمكها عن ١٦ كيلومترا.
ويبلغ القطر الكلي لمنظومة الحلقات بكاملها ٢٧٣٥٠٠ كيلومتر، اي ما يزيد
على قطر الارض بعشرين ضعفا. ولعل زحل، اذا استثنينا قمرنا نحن، هو الجرم
الفلكي الذي تناوله فنانو الفضاء اكثر من بقية الاجرام، فكانت معظم تصوراتهم
مقاربة للواقع الى درجة مقلقة. وفي اواسط العشرينات وضع القس والفنان الفلكي
شوشل مورو هذا الرسم لزحل (الاطار الى اليسار) كما تبدو من قاعدة "ميماس"
اقرب توابعه، من دون ان يعتمد في ذلك الا على مقرابه (تلسكوبه) الصغير حول اباته
وعلى رغم ذلك، فما اشبه ما تصوره القس الفلكي بتلك الصورة الفوتوغرافية
الحديثة لزحل (الاطار الى اليمين) التي التقطها مرصد "ليك" في كاليفورنيا.



كان أول فنان رسم القمر على نحـ
تبينت مطابقته للواقع في ما بعد مو
مرة خرى .. ذلك الفرنسي البصير لوسيار
رودو- وعلى رغم ان هذه الصورة (وسـ
اليسار) قد رسمت في الثلاثينات، الا ا
تصور رودو لسطح القمر كان مشابها الى
درجة ملفتة للصور الفوتوغرافية التي عا
بها ملاحو "ابولو" (الى اليسار).



القمر

في الصورة البيانية الى اليمين، يلتقط الفنان دون ديكسون تلك القوة والحرارة الناشئتين عن اصطدام كوكب بسطح القمر، وهو أمر يشبه ما حدث بالفعل منذ عدة ملايين من السنين وأدى الى تصاعد فيض من الصهير من جوف القمر ليسيل على سطحه ويبرد ببطء فيكوّن سهلا مستويا يعرف باسم "مير ايمبريوم". وتبين الصورة الفوتوغرافية التي التقطها مرصد "ليك" في كاليفورنيا (الى اعلى) "مير ايمبريوم" كما يبدو اليوم.

وقد تركز على القمر جانب كبير من فن الفضاء الباكر. ونظرا الى قرب القمر من الارض فقد تيسرت مراقبته ورصده؛ ومن ثم فقد تمكن هذا الفن من تصويره في أحيان كثيرة بدرجة عالية من الدقة. وكان هناك استثناء ينحصر في التصور الشائع لجبال القمر على انها وعرة وشديدة الانحدار، وهو أمر كان يشترك في تصديقه الفلكيون كذلك.

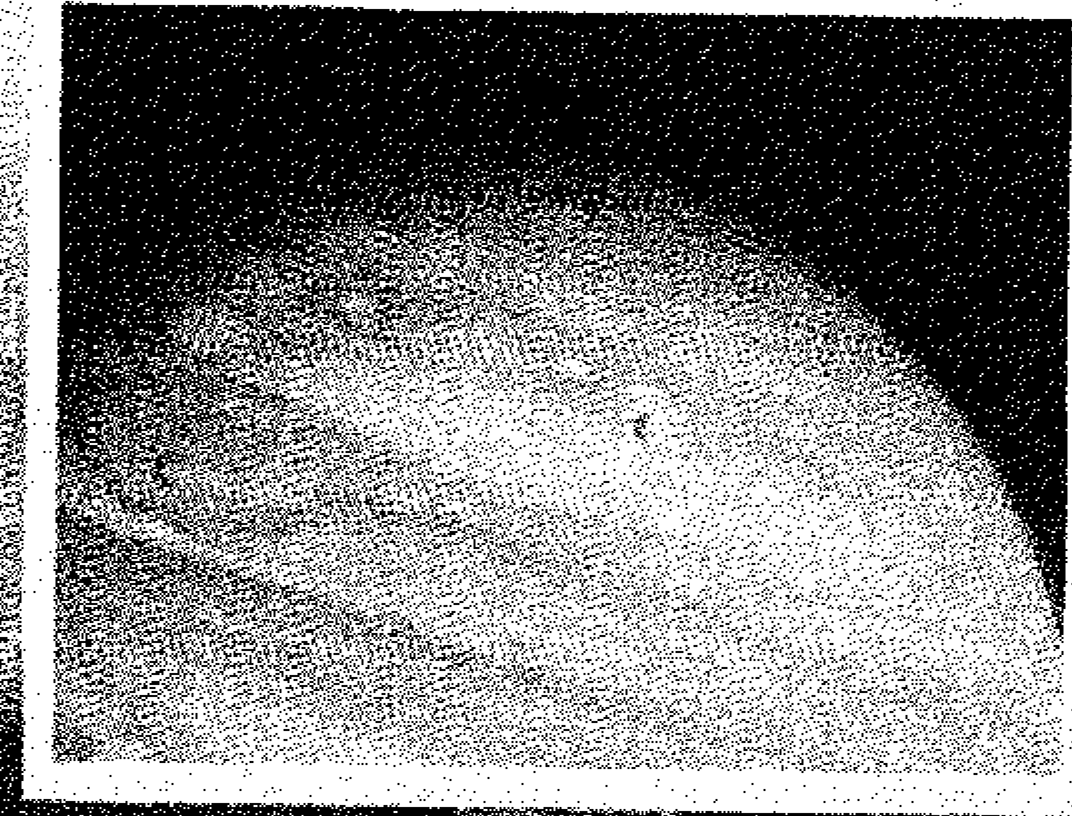


من نماذج هذا التصور الخاطىء تلك الصورة لجبال القمر التي رسمها بالحفر (الى اسفل) أحد الفنانين في منتصف العقد الاخير من القرن الماضي.



هذا الرسم الغريب الذي وضع على اساس المعلومات المستمدة من القمر الاصطناعي "بيونير ١٠" عام ١٩٧٣، يحملنا فنان الفضاء دولف شالر الى حيث لم يجرؤ الوصول [illegible] سفينة [illegible] حتى الآن – الى صميم الغلاف الجوي المشحون [illegible] العائلة داخل البقعة الحمراء الكبرى لكوكب المشتري.





المشتري

كان كل ما استطعنا رؤيته من المشتري هو تلك الخطوط والاشرطة الملتفة والمتدلية في سحب زاهية الالوان.
وفي رسم (الاطار الى اعلى) وضعه الفنان رون ميلر، يبدو المشتري كما يرى من "ايو"، احد اقماره الاربعة الضخمة، وقد ظهرت البقعة الحمراء الكبرى بوضوح الى اليمين في اسفل الصورة، ومع ان ميلر رسم هذه الصورة قبل انطلاق المركبة الفضائية "فوييجر – ١" التي حصلنا منها على افضل الصور القريبة التي التقطت لكوكب المشتري، الا ان معالم صورة ميلر تتشابه شبها كبيرا بالصورة الفوتوغرافية التي التقطتها "فوييجر – ١" في فبراير (شباط) الماضي (الاطار الى اسفل) والتي تبين قمرين من اقمار المشتري "ايو" (الايمن) او "يوروبا".

وفي الخمسينات، عندما تزايد الاهتمام في الولايات المتحدة الامريكية بمحاولات استكشاف الفضاء، نشرت مجلة "كوليزر" سلسلة من المقالات المصورة التي كان يكتبها بصفة رئيسية خبيران شهيران في شؤون الفضاء، هما فيلي لاي وفيرنهر فون براون. وكان الجمهور الذي تلقى هذه المقالات اعتاد اعتبار الملاحة الفضائية امراً يمت الى قصص الخيال العلمي. فكان للمعلومات التي تضمنتها تلك المقالات وقع الدهشة والعجب لديه. وزاد من تأثيرها ان نهجها العلمي الواقعي البسيط تصاحبه رسوم توضيحية لكل ما يمكن تصوره من تفاصيل بناء السفن الفضائية، بالاضافة الى لوحات تشيزلي بونيستل التي تبين تلك السفن اثناء طيرانها ورسوها على سطح القمر والمريخ.

وقد ولّدت تلك المقالات تأييداً قوياً لتطوير برنامج الفضاء في الولايات المتحدة، وهي تعتبر مثالا بارزا للتأثير الثلاثي الجوانب الذي احدثه "فن الفضاء". واول عناصر هذا التأثير ان فنان الفضاء يخلق شيئا يتجاوز مجموع اجزائه، كما يعبر عن ذلك الفنان الفلكي وليم ك. هارتمان بقوله:

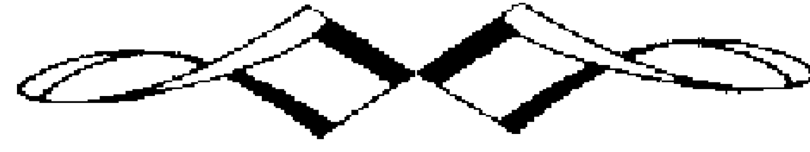
> "ان ابتداع الرسوم يفرض علينا ان نؤلف بين شتى العناصر التي يمدنا بها كلّ من العلم والطبيعة والفن كي نخرج منها كلاً متكاملاً في المشاهد التي تقيسها آلاتنا الدقيقة. فالجمهور يصعب عليه تصور المشاهد الموجودة في اماكن اخرى من الفضاء، بل ان العلماء الذين يكتشفون هذه المشاهد لا يتصورونها بصريا في غالب الاحيان،

على ما يبدو. وفي ضوء ذلك فان فناني الفضاء يضطلعون بدور حقيقي في هذا المجال يجب عليهم ان ينهضوا به، وهو ايقاظ الوعي بما يكتشف هناك في تلك الابعاد السحيقة".

اما الاثر الثاني لفن الفضاء فانه ينتمي الى الوحي والالهام. وبالفعل فقد ساعد الفنانون - الفلكيون على تبديد الشك بأن استكشاف الفضاء امر لا يتوقف على كونه مجرد حلم جميل.

والاثر الثالث يتلخص في أن فناني الفضاء يقودوننا الى ما وراء الحقائق المادّية للكون كي نستطلع ما تعنيه هذه الحقائق للنفس البشرية. فهم يحملوننا على التساؤل: كيف يتيح لنا فتح الكون ان نوسع آفاق وعينا ومداركنا؟ وكيف يمكننا التوفيق بين اكتشافاتنا لطبيعة الكون ومكاننا فيه؟ وبالتالي، فان هؤلاء الفنانين يحملوننا في اتجاهين في آن: الاتجاه الخارجي الى عوالم الفضاء التي لا حدود لها، والاتجاه الآخر الداخلي الى العوالم الصغرى اللانهائية التي تكمن في عقلنا وخيالنا.

■ رون ميلر



الاكتفاء الذاتي

تعلم ان تكون سعيدا بمفردك. واذا لم تنعم بصحبة نفسك، فلماذا تبلي بها الآخرين؟

ماري ستانهوب

القبطان والبحار

كان الرجل يقود سيارته بانهماك يدل عليه انحناؤه على عجلة القيادة. وفجأة التفت الى زوجته الجالسة الى جانبه وقال:

"اسمعي، يمكنني ان اتحمل تعليماتك لي عما يجب ان أفعل، بشرط أن تتوقفي عن افتتاح كل تعليق بعبارة: قال القبطان للبحار...".

ا.ب.

مكره اخاك...

ذات نهار صيفي رائع، كان عاشقان يتبادلان الحديث في خيمة منصوبة على سفح نهر رقراق، فسألت الفتاة: "هل تحبني كثيرا؟"

- كثيرا جدا يا حبيبتي.
☐ أكثر مما أحب آدم حواء؟
- أكثر بكثير طبعا.
☐ ولماذا "طبعا"؟
- لم يكن لآدم اختيار آخر.

ا.ب.

طبُّ الحرُوق: خطوة جديدة

لمعالجة اقدم اصابات الانسان
واشدها ايلاما، ولد اخيرا اختصاص جديد يدعى "طب الحروق"،
وتحقق بذلك تقدم مهم

لعل الحروق هي، بين جميع انواع الاصابات، اشدها ايلاما واكثرها ايذاء. انها تسفع العقل والجسم معا، حتى ان الاشخاص المصابين بحروق خطيرة لا بد لهم، في الغالب، من معالجة نفسانية على مدى سنوات للتخلص من ذكريات ما قاسوه من عذاب.

والجلد اكبر أعضاء الجسم، وهو أحد أكثر هذه الاعضاء تعقيدا. واذا بسط، فانه يغطي مساحة متر ونصف متر مربع تقريبا. ولولا هذه البذلة الطبيعية لكنا نقع فريسة لجميع انواع الجراثيم القاتلة، ولكنا نهلك بسرعة نتيجة فقدان حرارة الجسم.

والحرق ثغرة في هذا الحاجز الحيوي. وحرق الدرجة الاولى (كحرق الشمس القوي) يجعل الجلد أحمر. ولكن، على رغم الألم الذي يسببه، فهو لا يشكل خطرا على الحياة. وحرق الدرجة الثانية وهو اكثر ايلاما وخطرا الى حد بعيد، يتلف الطبقات العليا من الجلد، وقد يؤدي الى ندب دائم. واذا لم يعالج هذا النوع من الجرح معالجة سليمة، فهو قد يتطور الى جرح من الدرجة الثالثة، فتتلف جميع طبقات الجلد، وتعجز خلاياه عن التجدد. والجلد المحروق الى الدرجة

الثالثة هو نسيج ميت وتربة صالحة لتوليد الجراثيم السامة وخطر مباشر على الحياة.

الفرق الحاسم - منذ قرون مضت، كانت المعالجة المتّبعة للحروق تتناول الجرح الخارجي فقط الذي كان يمسح بأي شيء، من الدهون حتى خيوط العنكبوت. والواقع ان الحرق الخطر يشكّل أزمة كبرى بالنسبة الى معظم اعضاء الجسم. ففي هذه الحال يرتفع معدل الأيض، أو العمليات المتصلة ببناء الخلايا الحية للتعويض عمّا تلف منها، ارتفاعا شديدا، كما ان المواد الكيميائية الحية التي تدافع عن الجسم تسرع لحمايته من غزو أكيد للجراثيم المؤذية، وتتدفق سوائل حيوية الى البقعة المحيطة بالحرق، مما يحدث جفافا تاما في مكان آخر. ولتفادي الكارثة، لا بد من معالجة طبية، فورية ومتطورة.

وفي الوقت الحاضر ما يزيد على المئة دائرة لمعالجة الحروق في مختلف مستشفيات الولايات المتحدة. كما ان هناك ١٥ مركزا لمعالجة الحروق، ذات تجهيزات اكثر تطورا وفريق كبير من الاختصاصيين. وقد أدّى ذلك الى تحقيق تقدم كبير في البحوث والمعالجة.

علامات اولى ومعالجة سريعة: ان مركز معالجة الحروق في مركز كورنيل الطبي التابع لمستشفى نيويورك هو واحد من ١٥ مركزا كبيرا في الولايات المتحدة، معداً لمعالجة مثل هذا النوع من حالات الطوارىء. وقد افتتح في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٦، وعولج فيه ما يزيد على ٣٠٠ مصاب بحروق خطرة عام ١٩٧٨، ومن بينهم مصابون من بلدان بعيدة كالنروج والاكوادور.

ويقول الدكتور آرنولد لوترمان، الاختصاصي المداوم في مركز نيويورك: "لا بديل للحالة الخطرة عن مركز لمعالجة الحروق. وفي مركزنا أطباء وموظفون مدربون تدريبا رفيعا وتجهيزات ملائمة. وفي هذا قد يكون الفرق بين الحياة والموت".

والمصاب بالحرق، حين يؤتى به الى المركز، ينقل بسرعة الى غرفة كالصهريج، كبيرة ومليئة بأجران صنعت خصيصا على شكل احواض. وهنا تغسل حروقه بتؤدة ورفق ويقرّر مبلغ خطرها. ويقول أحد الخبراء: "لا يسعك ان تعرف فورا مدى الخطر الذي ينطوي عليه الحرق. فبعد ساعات عدة من الاصابة بحرق، قد يحدث تورّم هائل لم يكن متوقّعا. وهذه كانت حال أحد المصابين الذي قصد المركز بجرح قليل الاحمرار، لكن وجهه ما لبث ان انتفخ كالبالون بعد عشر ساعات، ثم تضخم لسانه بحيث كاد يعجز عن التنفس".

وفي بعض الاحوال ينبغي احداث شقوق كبيرة لتخفيف الضغط الناجم عن التورم. وتقص كل قطعة رخوة من الجلد حين يكون المصاب لا يزال في الصهريج، وهي عملية غالبا ما تكون مؤلمة، على رغم حقن المصاب بالمخدر. والحقيقة ان الالم علامة مشجعة - وان كان المصاب يجهل ذلك - لانه دليل على ان الاعصاب لا تزال حية.

وتنشّق الدخان مشكلة تؤثر على الحنجرة والاوتار الصوتية تأثيرا مباشرا اذ تجعلها تتورم الى حد قد يختنق معه المصاب. واذا كانت هناك

دلائل ضرر ظاهرة، فان الاختصاصي يدخل انبوبا في الحلق لجعل التنفس ايسر. ثم يراقب المصاب باستمرار، ويستعمل آلة بصرية خاصة لفحص الحنجرة والمجاري الهوائية بحثا عن أي علامات ضرر.

وغالبا ما يصاب ضحايا الحروق بنشاف شديد، وسرعان ما يتعرضون للارتجاف ويحتاجون بالتالي الى كمية كبيرة جدا من السوائل. وفي الساعات الاربع والعشرين الاولى، يغذى المصابون بكميات كبيرة من محلول ملح يحقن في اوردتهم. وفي هذه الاثناء تقوم الممرضات المقنعات المدربات، المرتديات الالبسة المهنية الخاصة، بتغطية مواضع الحروق بمواد تقضي على الجراثيم المرضية. ويقول احد الخبراء: "ان هذه التضميدات هي من الانجازات التي حققنا فيها نجاحا كبيرا. ومن قبل، لم يكن المصاب بالحرق الخطير يستطيع ان يقاوم الجراثيم. لكن هذا لم يعد صحيحا في الوقت الحاضر".

التطعيم والتغذية - وسرعان ما يتبع ذلك احد اهم ادوار المعالجة وآلمها. وغالبا ما يكتفي بتنظيف حروق الدرجة الثانية وتضميدها. وهي تشفى خلال ثلاثة أسابيع تقريبا يتم فيها نمو الجلد الجديد. اما ضحايا حروق الدرجة الثالثة فأقل حظا في الشفاء. ان حروقهم لحم محروق لا فائدة منه، ويجب ان يقطع. ولتحقيق ذلك، يستعمل جراحو الحروق مبضعا هوائيا مسنونا سنا دقيقا، وهو ذو شفرة لا يتجاوز سمكها جزءا من الف من المليمتر ويجري الاختصاصيون حاليا تجارب على استعمال انواع مختلفة من اشعة ليزر الدقيقة. ولئن كانت هذه اشد ازعاجا واكثر كلفة الى حد كبير جدا من المباضع الهوائية الا أن شعاعها الدقيق الذي تنبعث منه حرارة قوية يقص النسيج التالف بأقل نسبة ممكنة من نزف الدم.

وبعد ازالة الجلد المحروق، يجب ان تغطى الطبقات المكشوفة على الفور. فاذا كان القسم المحروق جزءا صغيرا من الجسم، امكن أخذ الطعم من اجزاء اخرى غير مصابة. لكن الحروق كثيرا ما تكون كبيرة جدا بحيث يجب تأمين بديل من غير الشخص المصاب. وقد كان جلد الخنزير حتى الان مصدرا ملائما لطعوم الجلود الموقتة، لكن جسم الانسان كان يرفضه سريعا. والجلد البشري افضل منه الى حد كبير ولعله امر مثير للاستغراب ان جلود الانسباء غالبا ما تكون اقل شبها بجلد المصاب واقل ملاءمة له من جلد الغريب. والحل الافضل حاليا هو الجلد المأخوذ من جثة تلائم نسيج جسم المصاب. وتتم العملية بقطع طبقة من الجلد من جسم الواهب او ساقه، في سمك ورقة وعرض عشرة سنتيمترات، قبل مرور ٢٤ ساعة على وفاته. وتعالج هذه القطعة كيميائيا، ثم تجمد ببطء الى ١٢٠ درجة مئوية تحت الصفر، وبذلك يمكن ان تخزن في مستودع للجلود طوال سنة.

غير ان المشاكل تستمر حتى انجاز التطعيم. ويقول الدكتور لوترمان: "منذ سنوات كان الكثيرون من المصابين بالحروق يموتون فجأة بعد اسبوعين او ثلاثة اسابيع بذات الرئة او بمرض آخر فتّاك. والحقيقة ان

الذي كان يحصل هو الوفاة بسبب سوء التغذية".

ان الاصابة بالحرق تترك المصاب في حاجة شديدة الى السعرات او الوحدات الحرارية اللازمة لشفائه. وهكذا، كان المصابون بالحروق يشجَّعون عادة على اتخام انفسهم بشرائح اللحم واللبن المخفوق وعجة البيض، او بأي شيء آخر. لكن النتائج كانت مخيبة للآمال. اما الان فان الاطباء يدفعون بالجرعات المغذية الى معدة المصاب مباشرة طوال ٢٤ ساعة في اليوم.

الالم المبرّح - وهكذا، يأخذ المصاب بالحروق يتماثل تدريجا الى الشفاء. لكن الشفاء لا يتم من غير اجتياز مرحلة صعبة تقتضي حمّامات يومية في صهاريج العلاج المائي حيث تنزع الضمادات السابقة وتوضع ضمادات جديدة. وان ملامسة الملاءات، وحتى الهواء، للجسم، قد تؤدي الى ألم مبرّح. وهناك المزيد من الانزعاج لان الذين يعالجون المصاب يواصلون تحريك مفاصله لمنعها من الانقباض. وفي الماضي كان الكثيرون من ضحايا الحروق - حتى بعد شفاء جروحهم - يعجزون عن تحريك اذرعهم او سيقانهم او اصابعهم.

وفي خلال يومين او ثلاثة ايام يشجع المصاب بالحروق على الخروج من السرير. وفي خلال اسبوعين او ثلاثة اسابيع يشجع على السير حول الجناح الذي يكون فيه وعلى مباشرة العناية بنفسه. لكن هذا النوع من التقدم غالبا ما يؤدي الى مشكلة من نوع آخر، وهي ان المصاب بالحرق قد تؤدي به رؤية نفسه في المرآة الى نتيجة مدمرة.

وهناك اقنعة ضاغطة خاصة، بما في ذلك الاقنعة التي تستر الجسم كله، صنعت اخيرا لاحداث ضغط ثابت على الجروح املا في القضاء على الكثير من الندوب البشعة. ولكن المصابين بالحروق كثيرا ما يتعرضون للتشويه على رغم هذه الجهود، على الاقل حتى يمكن اجراء جراحة تجميلية لهم. ثم ان النتائج لا تكون كاملة، اذ ان الجلد المطعم لا يحتوي على بصيلات الشعر او غدد العرق او اطراف الاعصاب، وهو اقل قابلية للتمدد وأقل اغراء.

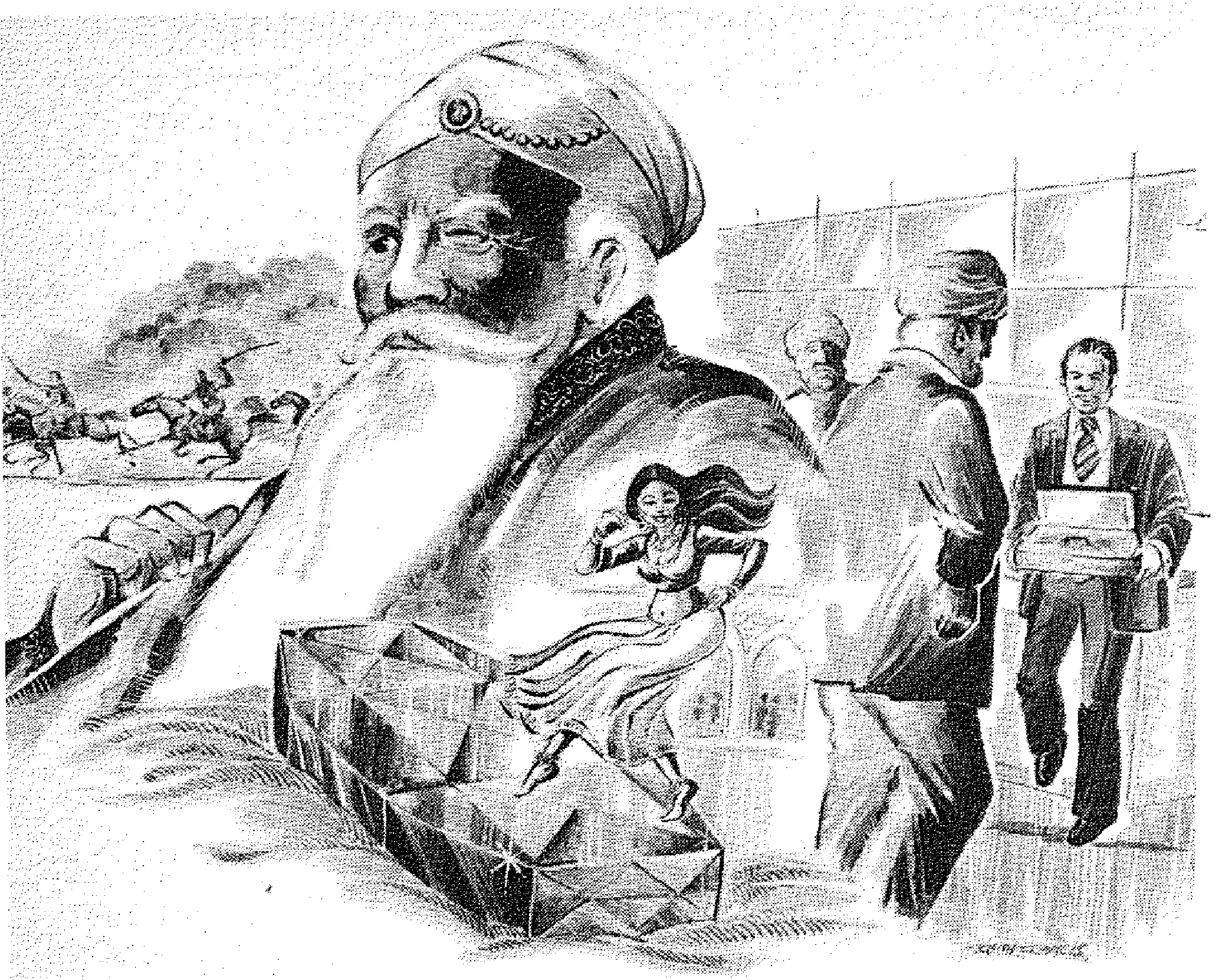
ماذا عن التدابير الوقائية؟

يقول احد الثقاة المسؤولين عن الوقاية من الحرائق: "ان ادوات الكشف عن الدخان يمكنها ان تخفض نسبة الوفيات بالحريق خفضا كبيرا. ثم ان على الناس ان ينشئوا ممرا للهرب من البيت في حال نشوب حريق وان يتدربوا على ذلك لانه، بعد اشتعال النار، لا يبقى عادة غير ثوان معدودة للتمكن من مغادرة المكان".

واذا كنت والدا، فتذكر ان جلد الصغار الحسّاس قد يسفعه ماء الحمام الذي يجده الكبار مقبولا وتذكر ايضا ان غرز شوكة الطعام في محمصة خبز كهربائية موصولة بالمجرى الكهربائي قد يحدث حرقا كهربائيا، وان لمس قطعة كهربائية باليدين او القدمين المبللتين أمر خطر.

ان الاصابات بالحروق امر يستطاع تلافيه الى حد كبير.

■ لورنس شيري



جَوهرة المهراجَا

كان للحجر الكريم
لمعان يخطف الابصار.
وحق له ان يصبح أغلى
ما يحوزه حاكم الولاية الداهية

هل سمعت بقصة زمرّدة المهراجا رانجيت سينغ؟ لقد رواها لي صديقي هانسراج، وهو من أكبر تجار الجواهر في دلهي، بعدما غدت الزمرّدة ملكا له وظلت مدعاة لقلقه طوال أشهر. وهنا اروي بدوري القصة الغريبة.

يبدو ان المهراجا العظيم رانيجت سينغ هزم في أحد نزاعات الحدود زعيم بلد مجاور. لكن الزعيم المهزوم أكبر في خصمه بسالته في الحرب وشهامته بعد النصر، فأراد ان يهدي

CONDENSED FROM SUNDAY TRIBUNE MARCH 14 1978

اليه أثمن ما عنده حسب قوله. ولهذا حمل اليه زمرّدة بلغت من الحجم واللمعان ما جعلها تبدو من أعزّ الحجار الكريمة على الاطلاق. وكان المهراجا رانجيت سينغ ثاقب النظر وذا حنكة في تقييم المجوهرات تفوق كثيرا مواهب الخبراء العاديين، على رغم فقده حاسة البصر في احدى عينيه. وما كاد يلقي نظرة خاطفة على الزمرّدة حتى اكتشف فيها عيبا يجعلها تافهة الثمن. لكنه، تمشياً مع نبل اخلاقه، تقبّل الهدية بحفاوة عظيمة وأودعها في وقت لاحق لدى تابع أمين.

وانتقلت الجوهرة مع مرور الايام الى يد جارية محظية كان لمفاتنها تجارة رابحة في حي أرناركالي في مدينة لاهور، واسمها تارا بيبي. وفي اثناء الهجرة التي أعقبت تقسيم شبه القارة الهندية، ساعدها أحد زبائنها من ذوي النفوذ على اجتياز الحدود الى آمريتسار، وكانت تحمل على جسمها أثمن ما حوته صناديق حليّها.

من يد الى يد – ودارت الايام وألمّت النوائب بالجارية التي أُرغمت على مفارقة كل ما ادخرته من النفائس. وهكذا وجدت زمرّدة المهراجا سبيلها الى خزائن صديقي هانسراج الذي قال لي: "لقد أعطيت الفتاة ثمناً يفوق قليلا ما تستحقه الزمرّدة، اذ انها كانت بائسة وفاتنة في الوقت نفسه، واذ اني كنت قد ربحت في الموسم السابق مقدارا وافرا من المال".

وذات صباح، بعد انقضاء أشهر على ذلك التاريخ، توقفت امام محلات هانسراج الضخمة سيارة رولز رويس ذات لون أصفر شاحب، ترجّل منها رجل ضخم الجثة. وكان يرتدي سروالا واسعا فضفاضاً ويعتمر عمامة رخوة الربط من نسيج قطني رقيق طوله نحو اربعة امتار، وقد سار عن كلا جانبيه مرافق يرتدي سروالا مماثلا، بينما تقدم الرهط أحد السماسرة المعروفين، وأسمه أتما رآم، وكان يرتدي زياً انيقاً على غرار الامريكيين في المناطق الاستوائية. وما هي الا لحظات حتى اعلن السمسار ان زبونه هو أمير ولاية راس كيلا وانه يريد شراء حلقات ذهبية تزيّن انوف النساء وقلائد تطوّق اعناقهنّ كالأغلال. وهذه حليّ لا تزال رائجة في بلاده.

تولى هانسراج بنفسه تلبية طلبات الامير. وقال، بعدما ضم يديه بخشوع الى صدره وانحنى بتواضع صوب الارض: "يا صاحب السمو، لقد شرّفتم متجرا يليق بتلبية رغباتكم. وأظن ان لدينا كل ما قد ترغبون فيه".

وانفتحت الصناديق واحدا بعد الآخر. وكان حاكم الولاية ينقر بخنصر يده اليسرى نقراً خفيفاً يعني موافقته على المحتويات، فيوضع الصندوق جانبا. وبعد قليل كبت سموّه تثاؤبا كان يحتاج الى اطلاقه، وهمس شيئا في اذن السمسار الذي افصح عن رغبات الامير بقوله: "يسأل سموّه عما اذا كان لديكم شيء نفيس خاص يهديه الى احدى المحظيات في بلاطه".

أحلام الربح – وومضت فكرة جهنمية في رأس هانسراج – الزمرّدة

بالطبع! انها مهجورة في الخزانة منذ سنة تقريبا. واذا استطاع التخلص منها الان، فسيكون ذلك انقلابا تجاريا خطيرا. وما عليه الا ان يسدد السهم باحكام حتى يصيب الهدف وتنتقل الزمرّدة الى ولاية قصية لا يطرق مسالكها احد ممن يستطيعون تقييم سعرها الحقيقي. وبذلك يستردّ الثمن الذي دفعه للفتاة، علما بانه كان ضئيلا، ولكن لا يستهان به. بل لعله، ان هو أحسن التصرف وأجاد لعب ورقته، يحقق ربحا كبيرا.

- يا صاحب السمو، لديّ بالطبع ما يفي بالطلب.

وفرك هانسراج يديه وبالغ هذه المرّة في انحنائه، واسرع في اتجاه الحجرة المنيعة في آخر المتجر وعاد حاملا فوق طبق مخملي احمر جوهرة خضراء ذات بريق يخطف الابصار.

- اسمحوا لي يا صاحب السمو ان اتقدم اليكم بأفخر ما احتوت عليه خزائني: انها زمرّدة المهراجا رانجيت سينغ التي لا تقلّ شهرة عن ماسة "كوهي نور".

ولمع في عيني الامير بريق يضاهي بريق الزمرّدة. ونقر بخنصره نقرات الموافقة، وأومأ الى أتما رآم الذي سأل الجوهري عن ثمنها. فأجاب هذا: "انها لا تقدّر بثمن. ولكني سأتقبل بكل تضحية، نظرا الى كساد السوق هذه الايام، مبلغ ٤٠٠ الف".

وارتخى فك الامير السفلي لدى سماعه الثمن، وهمس في اذن السمسار الذي احتج قائلا:

- بل خمسون الفاً.

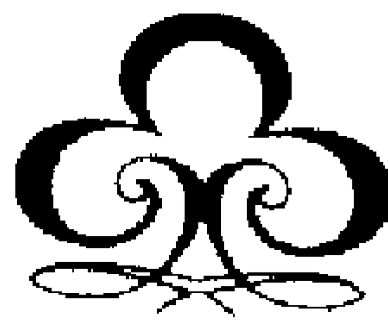
□ يستحيل. ان سموّكم تدركون ان هذا الثمن البخس سيخرب بيتي ويفضي بي الى الافلاس ويجعلني اضحوكة زملائي. انها زمرّدة كريمة، نفيسة، لا مثيل لها في العالم، وقيمتها ستتضاعف باستمرار على مرّ الايام.

وأخيرا تمّ الاتفاق على ١٠٠ الف. وأخرج احد مرافقي الامير عشر رزم من حقيبته، وكانت كل رزمة من الاوراق النقدية مشبوكة من طرف واحد بمشك سلكي.

وفي وقت لاحق اكتشف هانسراج ان الاوراق النقدية في طرفي كل رزمة كانت اوراقا حقيقية. اما الاوراق الوسطى فكانت عملة مزورة زائفة. على ان ردّ فعله اتسم بتلك الخصلة من الشجاعة والثقة بالنفس التي حبّبته اليّ منذ حداثتنا. وحين وصل في روايته الى هذا الحدّ، انفجر ضاحكا وقال:

- لكم تمنيت رؤية وجه ذلك المخاتل عندما اكتشف ان الزمرّدة باطلة بطلان اوراقه النقدية!

■ ب.ل. بهانداري



حكمة عملية

لكي تنعم بالسعادة مع الآخرين، لا تطلب منهم ما لا يستطيعون ان يعطوك.

تريستان برنار

عندما يتحوّل السجن الى "مؤسَسَة حُرَّة"

ماذا يحدث عندما يتحول السجن
الى مشغل كبير والسجناء الى عمال صالحين
يكسبون رزقهم بعرق جبينهم

كان يبدو ، من نواح عدة، ان ديك كيلين ناجح. انه لا يزال في الثلاثينات من عمره وهو يرئس شركته الخاصة لتحليل المعلومات القائمة في شقة انيقة من خمس غرف مفروشة بالسجاد ومجهزة بآلات حديثة، بينها دماغ الكتروني قيمته ٥٠٠ الف دولار. وحين تحدثت اليه من فترة وجيزة، من وراء مكتب براق للمديرين في قاعة اجتماعات الشركة التي تكثر فيها الكتب، اوحى الي بثقة ومعرفة ونجاح.

اما الامر الذي لا يحسد عليه كيلين فهو وضعه القانوني. فهو قاتل ينفذ عقوبة السجن مدى الحياة ومكتبه قائم داخل السجن.

ان شركة كيلين تمثل بوضوح دخول العمل الحر نظام السجون الامريكي. ان غالبية المكلفين (دافعي الضرائب) في البلاد يقولون ان الوقت حان لاصلاح السجون. ففي العقد المنصرم تضخمت اعداد السجناء ونفقاتهم في الولايات المتحدة الى حد كبير. وتقدر نفقةالسجين، سواء اكان رجلا ام امرأة، بما يقرب من ثلاثين الف دولار في السنة، وذلك لا

CONDENSED FROM BALTIMORE SUNDAY SUN (APRIL 22, '79), BALTIMORE, MD

يشمل المساعدات التي يتلقاها الذين يفترض في السجين اعالتهم.

منذ قرن مضى كان جميع السجناء يعملون. وكان عملهم المرهق في فرق، داخل السجون وخارجها، يجعل السجون تغطي نفقاتها، حتى ان بعضها كان يحقق ربحا. غير ان قادة العمال واصحاب الاعمال اخذوا يتذمرون من المنافسة غير العادلة التي يتعرض لها العامل العادي من العامل السجين. ووضعت على اثر ذلك قوانين تمنع بيع منتجات السجون وخدماتها في السوق العلنية. وفي الستينات توقف تقريبا تشغيل السجناء. وابدل هذا النظام بنشاطات يفترض فيها ان تؤدي الى "الاصلاح"، كالتربية والعلاج الجماعي وتغيير السلوك... حتى التأمل الروحاني. ولكن شيئا من ذلك لم يجد نفعاً، فقد بقيت نسبة السجناء الذين لا يلبثون ان يعودوا الى السجن في وقت لاحق، عالية الى حد مؤسف. وراوحت التقديرات بالنسبة الى الذين يعودون الى السجون الاتحادية بين ٦٠٪ و٨٠٪.

بداية العودة ـ ويصعب تحديد بداية العودة الى حركة التشغيل، وقد يكون ذلك حدث في سجن والبول في ولاية ماساتشوستس عام ١٩٦٧ حين لاحظ احد السجناء في الاعلانات المبوبة التي تنشرها الصحف طلبات متزايدة لمحللي معلومات. وهو كان يعلم انه عندما ينهي عقوبته سيحتاج الى عمل، فطلب من رجل الدين الذي يهتم بالسجناء ان يفيده اذا كانت احدى مؤسسات الكومبيوتر العاملة بالقرب من عاصمةالولاية تقبل تدريب السجناء. فاتصل القسيس بشركة "هوني ويل"، ولقي منها تجاوباً. وقد اعد برنامج قدمت فيه الشركة اساتذة متبرعين لتدريب السجناء على اساليب تحليل المعلومات. وادت حماستها للمشروع الى اعارة السجناء دماغا الكترونيا.

ومنذ ذلك الحين انهى اكثر من الف سجين تدريبهم بنجاح في هذا البرنامج في والبول. وفي ثلاثة سجون اخرى في الولاية. ومن ٣٥٠ سجينا انهوا عقوبتهم خلال تلك الفترة، لم يعد الى سجون الولاية غير ٤ في المئة فقط.

وميك كالاهان هو احد الذين تبدلت حياتهم بفضل هذا البرنامج. ففي التاسعة عشرة من عمره كان ميك اعتقل ١٦ مرة، وبدا انه سيمضي بقية حياته في السجن. وفي المرة الاخيرة التيأعيد فيها الىالسجنعلمببرنامج الكومبيوتر، فتقدم بطلب للتدرب على تحليل المعلومات. وبعد خمس سنوات على خروجه من السجن عام ١٩٧١ اصبح يكسب ١٨ الف دولار في السنة بصفته محلل معلومات. وفي ١٩٧٨، وهو في السن الثامنة والعشرين، بدأ العمل لحسابه في مؤسسته الخاصة. وهو يقول: "لولا هذا البرنامج لما كنت اصطلحت".

ولادة المؤسسة الحرة ـ وفي هذه الاثناء كان الناس في ولايات اخرى يواجهون مشاكل السجون بطرق مختلفة. ففي عام ١٩٧٥ قرأ بيل بينزيك وسيسيل تيرنر، اللذان كانا انشأ مؤسسة لادارة خدمات الطعام في سانت بول في ولاية مينوسوتا اعلانا يطلب مديراً لخدمة الطعام في

سجن ستيلووتر الذي يخضع لتدابير امن متشددة للغاية.

وبعد الدرس قررا ان ما يحتاج اليه الحبس الذي يضم ٩٠٠ سجين، هو نوع من المؤسسة الحرة. لقد كان الطعام في ستيلووتر رديئا جداً والتلف فيه مخيفاً، كما كانت معنويات السجناء في ادنى مستوياتها. وتذكر الرجلان ان الكثير من الانتفاضات في السجون مردها الى الطعام، فعرضا ان يقوما بهذه العملية وتعهدا بتوفير مال على الولاية وبتقديم وجبات افضل من الطعام فضلا عن استخدام السجناء في مقابل اجور معقولة.

وهكذا اصبحت شركة "بينزيك وتيرنر" الصغيرة اول عملية خاصة في حقل التغذية في تاريخ السجون. فقد كان الطعام الحار الذي يقدمه بيل وسيسيل حارا فعلا، والبارد باردا حقاً. وهما كانا يضعان على الموائد رشاشات حقيقية للملح والبهار، واحدثا ركنا لتقديم السلطة اضافة الى تجهيز مخبز داخلي. وقدما الوانا مختلفة من الطعام.

وبلغت تكاليف اطعام السجين الواحد ١،٥٩ دولار يومياً في مقابل ١،٨٧ دولار في السابق، مما وفّر على الولاية ما يقرب من مئة الف دولار في العام. وبعدما كانت ادارة قاعة الطعام تتطلب ١٢ مدنيا و١٦٣ سجينا، اصبحت تقتصر على عشرة مدنيين واثني عشر سجينا. ويعطى السجين الآن دولارين في الساعة بدلا من ١،٦٥ دولار يوميا في السابق.

وتنبهت الحكومة الاتحادية الى مثل هذه البرامج، فرصدت في اوائل عام ١٩٧٧ مبلغ مليوني دولار لمشروع احداث "مؤسسات حرة" في سجون ولايات ايلينويز وكونيكتيكت ومينوسوتا. ويقوم المشروع على يوم عمل من سبع ساعات او ثماني، وعلى اجور تحدد على اساس الانتاجية. ويدفع السجناء العاملون في المشروع ضرائب عن دخلهم اضافة الى نفقات السكن والأكل ويرسلون المساعدات الى الذين يفترض فيهم اعالتهم، عند الحاجة.

كيف سار المشروع؟

في كونيكتيكت وايلينويز، حيث القوانين لا تزال تمنع بيع انتاج السجون وخدماتها في الاسواق الخاصة، كانت النتائج متواضعة، لكنها واعدة. وفي شيريدان في ايلينويز، مثلا، احدث في سجن، تتخذ فيه تدابير امن مرنة، مشغل لصنع الاثاث والتنجيد يستخدم قرابة ١٠ في المئة من النزلاء. وفي يونيو (حزيران) ١٩٧٧، كان اسرائيل بيكينو (٢٣ عاما) يكسب اقل من دولار واحد في اليوم لقيامه بعمل في المطبخ، اما الآن فهو يحصل على اكثر من مئتي دولار شهريا في مقابل عمله في المشغل كجارد للسلع والبضائع. وهو يبعث بقسم كبير من دخله الى عائلته. لقد اكتسب مهنة وهو موعود بعمل في الخارج حين ينهي عقوبته سنة ١٩٨٠. وهو يقول: "ان ذلك يضع امامك شيئا تتطلع اليه".

وفي كونيكتيكت يشترك في برنامج "المؤسسة الحرة" ٤٠٠ سجين، اي قرابة ٤٠ في المئة من نزلاء السجن. وهم يعملون سبع

ساعات على الاقل في اليوم في حرف كالطباعة وصنع الاثاث والتنجيد والنظارات.

لا يزال الاجر في السجون متدنيا، وحدّه الاقصى اربعة دولارات في اليوم، تضاف اليه العلاوات، ولكن المفوض جون مانسون يعمل للوصول الى تشريع يسمح ببيع انتاج السجون لا للمؤسسات الحكومية فحسب ولكن لمنظمات لا تتوخى الربح ولمؤسسات تمولها السلطات المحلية او الاتحادية. ويتوقع ان تكون هذه الخطوة الاولى لبلوغ مستويات الانتاجية التي تتيح زيادة الاجور.

اما النجاح الحقيقي فقد تحقق في مينوسوتا. ففي عام ١٩٧٦ اجرت شركة للتحقيق في المعلومات دراسة عن سجون الولاية اقترحت فيها احداث مشاغل يعمل فيها سجناء في الخارج وتكون مزودة باجهزة حديثة ولها برامج عمل منتظمة ويديرها اشخاص يتمتعون بصلاحية التوظيف والعزل. وبفضل مساعدة السلطة الاتحادية وبادخال تعديل على قانون الولاية يجيز للسجناء العمل في الشركات الخاصة، وضع الاقتراح قيد التنفيذ في شهر فبراير (شباط) ١٩٧٧.

وحتى الآن ، انشأت صناعتان مشاغل لهما داخل السجون، بينما تعمل ما يراوح بين ١٨ و٣٠ صناعة اخرى على اساس الاتفاق التعاقدي. وفي احد السجون ذات التدابير الامنية المرنة يعمل ما يقرب من ٦٠٪ من السجناء في الطباعة وصقل المعادن وصناعة الاثاث وتجديد الهاتف. ولئن تكن الاجور في السجون لا تزال دون تلك المعتمدة في الخارج، فان السجناء يحصلون ما يراوح بين ٧٠ سنتا و٣،١٠ دولارات في الساعة.

وفي ستيلووتر، حيث التدابير الامنية شديدة الوطأة، يعمل نحو ١٢ في المئة من السجناء في مشاريع حرة، بما في ذلك شركة لتحليل المعلومات، تدفع اجورا لعلها الاعلى في سجون البلاد، اي ٥،٦٤ دولارات في الساعة. وقد دخل السجين السابق جيم ويلمان مهنة تحليل المعلومات لانها "نظيفة". وفي عام ١٩٧٧ حقق دخلا دفع عنه ضرائب محلية واتحادية بلغ مجموعها قرابة ٤٠٠٠ دولار (وهي تزيد على ما دفعه حارسه)، كما وفّر سبعة آلاف دولار. وبعد اطلاقه انتقل الى العمل في الصناعة في مقابل اجر يكاد يبلغ ضعف اجره في السجن، وهو لا يزال عضوا في مجلس ادارة شركة انظمة تحليل المعلومات في ستيلووتر وهو يقول: "لا استطيع ان اعبر عن مقدار الارتياح الذي يخلقه في نفسي هذا العمل".

واذا كان برنامج المبادرة الحرة لا يزال مطبقا في مينوسوتا منذ اقل من ثلاث سنوات، فان السجناء العاملين فيه قد دفعوا ضرائب بلغت ٦٥٠٠٠ دولار، واعطوا الولاية مردودا بلغ ١٥٠٠٠٠ دولار في مقابل السكن والاكل. يضاف الى ذلك ان ٩،٥ في المئة فقط (٨ من اصل ٨٤) من "خريجي" هذا البرنامج عادوا الى السجن بين يناير (كانون الثاني) ويونيو (حزيران) ١٩٧٨، علما ان نسبة هؤلاء هي ٣٥ في المئة.

النقابات ترحب – كيف تنظر نقابات العمال الى المشروع؟ "لا اراه

خطراً على الحركة النقابية على الاطلاق". هذا ما قاله ليونارد لاشومب نائب الرئيس التنفيذي لاتحاد العمل الامريكي ومؤتمر المنظمات الصناعية في مينوسوتا. واشار الى ان هنالك ٢١٠٠ سجين فقط في الولاية في مقابل ما يزيد على ١٫٩ مليون رجل وامرأة في ميادين العمل. واضاف: "نحن نؤيد المشروع، لان ثمة مصلحة عامة في ان تحل مشكلة العودة الى الاجرام".

وهنالك مشروع اخر مثمر يدل على انبعاث الخلقية في العمل، وهو "التسريح من اجل الشغل" وبموجبه يعمل السجناء للشركات الخاصة ويعودون بعد العمل الى اجواء تسودها اجراءات امنية مخفضة، وهم ينالون الاجور السائدة ولكنهم يدفعون نفقات الاكل والسكن والضرائب والنقل.

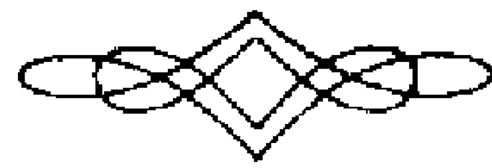
وفي هوليوود، فلوريدا، ٦٢ سجينا يعملون في نطاق هذا المشروع ويقيمون في بناء حديث من دور واحد يضم قاعة طعام ومكتبة وفسحة للتسلية والرياضة في اراضي مؤسسة تهتم بالامراض العقلية في الولاية. ومع ان الابواب لا تقفل، فان سجينين فقط فرا من هذا البناء في السنتين الماضيتين. ويقوم السجناء باعمال منتظمة تدر عليهم بين ثلاثة دولارات وعشرة في الساعة.

وفي العقد الاخير كسب سجناء فلوريدا الذين يُسرحون للشغل، ما يزيد على ٤٣ مليون دولار، ودفعوا ١٣ مليون دولار للاكل والسكن والنقل وستة ملايين دولار كضرائب ومحسومات اخرى، وارسلوا الى عائلاتهم ما يزيد على ثلاثة ملايين دولار.

ولعل الفائدة الكبرى التي حققتها حركة العودة الى العمل في السجون هي زيادة احترام الذات الذي كسبه السجناء المستخدمون.

"بماذا تظن انني كنت اشعر وانا اعود الى السجن مرة بعد اخرى؟". هكذا سألني كالاهان ثم قال: "ان الشيء الذي كنت في امس الحاجة اليه هو احترام الذات ثم الثقة بانني استطيع ان انجح في نمط اخر من الحياة. ان العمل هو الذي منحني ذلك، وهو يستطيع ان يفعل ذلك ايضا بالنسبة الى الالوف من السجناء الآخرين. ان العمل هو الذي حملني على ان اكون مستقيما. وبفضل العمل لن اعود الى السجن على الاطلاق".

■ رول تونلي



الزبدة في المنفى

كان الكسندر دوماس الاب يتناول العشاء مع فيكتور هوغو حين كان الاخير في منفاه السياسي في غيرنسي. فخاطبه هوغو بلهجة درامية: "وهكذا ترى يا صديقي العزيز اني استقبلك هنا، وحيدا على صخرتي كنابوليون في جزيرة القديسة هيلانة".

وهنا عاجله دوماس المرح بجواب سريع: "ليس هناك وجه للمقارنة على الاطلاق يا زميلي العزيز، فالزبدة هنا ألذ بما لا يقاس".

(كتاب "كبار المؤنسين")

لاتخافوا من أحلام اليقظة

طبيعي ان تكون للانسان تخيّلات
ولعل اروعها هي احلام اليقظة، فلا تخافوا منها

دعونا نختلس النظر داخل عقول اسرة منهمكة في شؤون الحياة المختلفة بعدما تناول افرادها طعام الفطور صباح يوم صاف ومعتدل من ايام ابريل (نيسان)٠ ها هو ربّ الاسرة يستقل حافلة الركاب متوجها الى عمله٠ لكنه في فكره يتصور نفسه مبحرا في يخته الشراعي وسط امواج مزبدة يتطاير منها الرذاذ حوله بينما تخفق الاشرعة في وجه الريح٠ واذا به يقول في نفسه: "لا بدّ من ان يتمّ ذلك"٠ ثم يتكىء على مقعده ليجد ان الحافلة توقفت والناس يتدافعون نحو المخرج٠

وها هو الصبي الذي يبلغ الخامسة ينطلق على قدميه نحو المدرسة، مشرعا ذراعيه في الهواء ومتعرجا بين أسيجة المنازل، وهو يحاكي في صوته أزيز الطائرات ويصيح بين الفينة والفينة: "اللعنة عليك ايها البارون الاحمر!"

اما ربّة البيت فقد شرعت في نقل الصحون الى المطبخ٠ لكنها تقف فجأة وسط باحة غارقة في ضوء القمر ومجلّلة بشجيرات جوز الهند، ينساب اليها لحن من الحان جزيرة هايتي فيميد جسمها على ايقاع نغماته٠ ويدنو منها شاب غريب، فارع

ورشيق، ويهمس في اذنها: "ايتها الآنسة، هل لك ان ترقصي معي؟" وفجأة يرن ّ جرس الهاتف في المنزل، ويبلّغها السمكري انه لا يستطيع الحضور اليوم لاصلاح حنفية الماء الراشحة.

ان كثيرين من علماء السلوك في الماضي قدّروا ان مثل هذه الاحلام ليست ذات قيمة، بل ربما تكون مضيعة للوقت ان لم تكن بمثابة اعراض يأس او ألم عاطفي. ويقول سيغموند فرويد في هذا المضمار: "ليس السعداء، بل الاشخاص غير الراضين عن عالمهم هم الذين يسترسلون مع التخيلات والاوهام".

اما الان فقد تبين لعلماء النفس، من خلال الاختبارات والبحوث، ان احلام اليقظة ظاهرة عادية طبيعية لدى اصحاب العقول النشطة. ويقول العلماء ان ادمغتنا تقودنا من خلال احلام اليقظة، الى تمارين ذهنية تحافظ على بقائنا متنبهين الى ان هناك اعمالا لم ننجزها بعد في حياتنا، وان الاحلام هذه هي من جوهر طبيعتنا الانسانية، وهي رصيد يمكن استغلاله في المساعدة على تعديل وضع متأخر او رسم المشاريع للمستقبل، او حتى على اختبار وسائل جديدة في الارتباط مع الناس من حولنا.

وعلى سبيل المثال، استمع المتطوعون في احدى التجارب المخبرية الى سلسلة من الاشارات الصوتية المتكررة بمعدل مرة في الثانية. وطلب الى المتطوعين ان يضغطوا على الازرار التي امامهم للدلالة على ما اذا كانت النبرات الصوتية المتواترة اقوى او اضعف من سابقاتها. وكان المشرفون على الاختبار يقاطعون المتطوعين مرّة كلّ ١٥ ثانية ليسألوهم عمّا اذا كانت تخامرهم افكار او خيالات لا تمت بأي صلة الى الاشارات الصوتية. ووُجد ان البالغين بين المتطوعين سجلوا معدل ٩٠ في المئة في اجاباتهم خلال هذه العملية التي تتطلب كثيرا من الدقة والانتباه. ومع ذلك، فقد انجرف معظمهم مرارا مع شوارد الفكر.

وفي اختبار آخر، حاول العلماء ان يسبروا عالم لعب الاطفال وتظاهرهم بصحة ما يتخيلونه. فتبين لهم ان الاطفال جميعا يتخذون من لعبهم الوهمي وسيلة لتفهّم طبيعة محيطهم وادراك فحوى الاختبارات الجديدة التي يواجهونها. فمثلا، زار طفل في الخامسة من عمره بيت جدّيه حيث شاهد البحر للمرة الاولى. ثم سمع قصة يونان (يونس) والحوت بعد أيام عندما كان يحضر درسا دينيا في مدرسة الاحد للاطفال. وخلال الايام القليلة التالية بدأ الطفل يلعب العابا خيالية يوهم فيها نفسه بأنه يخوض مغامرات مع وحوش البحر. وما هذا سوى ترجمة لاختباراته الجديدة يصوغها في اطار يسهل فهمه ويسعفه في التغلب على القلق الذي نشأ لديه بسبب سماعه عن ابتلاع الحوت ليونان.

وقد ابتكر الاستاذ بريان ساتون - سميث، الخبير في شؤون لعب الاطفال في جامعة كولومبيا في الولايات المتحدة، اصطلاحا جديدا لوصف ما تفعله احلام اليقظة بنا، هو

"الافعام الحيوي". ومرده الى ان احلام اليقظة تضفي اللون والاثارة على حياتنا وتجعلها اكثر تشويقا وحيوية بشرط الا نجعلها نحن مهربا في الاوقات غير المناسبة، كانعقاد مؤتمر اعمال مهم او قيادة السيارة وسط حركة مرور مزدحمة.

وهنا بعض حسنات أحلام اليقظة وفوائدها:

■ **تساعدك على الابداع والابتكار**

لقد توسّعت الدراسات النفسية في تحليل أنماط التفكير والعمل لدى العلماء والفنانين والكتاب المبدعين. وأظهر هؤلاء الافراد الموهوبون انهم يميلون الى التوغل في الخيال والتلهي في استقصاءات ذهنية لاحتمالات عجيبة في غاية الغرابة.

وانبثق من هذا الاستعداد للاسترسال في أحلام اليقظة بعض من اعظم الاكتشافات العلمية، فمايكل فارادي مثلا، وهو احد مكتشفي النظرية الكهرومغنطيسية، كان يتصوّر نفسه ذرة تحت الضغط وبذلك اكتسب استبصارا داخليا عن تكوين "الالكتروليت" أو المنحل بالكهرباء. وكان آينشتاين يحلم بما سيحدث لو تمكّن الانسان من الطيران في الفضاء بسرعة الضوء وطوّر من هذا التصور بعض الخصائص المهمة في نظريته عن النسبية. اما المهندس شارلز كيترنغ الذي حاول معرفة السبب في كون الكاز (الكيروسين) اكثر "طقطقة" من البنزين (الغازولين) فقد تصور زهرة قطلب (أربيوتس) وهي من فصيلة الخلنجيات التي تزهر في وقت مبكر من الربيع حتى وان غمرتها الثلوج ويمتص لونها الاحمر الحرارة اكثر من الالوان الاخرى، فأوحى اليه ذلك التصور بفكرة رابع ايثيل الرصاص.

■ **تستخدم الماضي لاكتشاف المستقبل.**

مثال هذا الرجل الذي لجأ الى العلاج النفسي بسبب زيادة توتره العصبي والتشكيك في نفسه وهو في العقد الاوسط من حياته. وخلال وصف احلام يقظته كثيرا ما كان يجد نفسه مسترجعا بحرارة ودفء غامرين زيارة قام بها في طفولته لمزرعة عمّه. واوصى اليه الطبيب النفسي بأن تواتر هذا الحلم قد ينطوي على اسلوب الحياة التي يريدها الرجل لنفسه في المستقبل. من هنا بدأ "المريض" يعيد النظر في مسرى حياته كرجل اعمال كبير في المدينة. ولكن طبيعة حياته العملية حالت دون تخلّيه عن العمل الذي يتعاطاه والتحول نحو الزراعة بيد أنه اشترى ارضا في الريف حيث يمكن ان يعمر بيتا لأجازاته السنوية والتأمل في شأن تقاعده المحتمل. وهكذا استطاع الرجل بتنبهه الى احلام يقظته من تبديل مجرى حياته.

■ **تساعدك على تنمية شخصيتك.**

قل لنفسك "لنفرض انني رئيس الشركة او القسم او مدير اعمال اللجنة الخاصة" ثم تقمّص في ذهنك كلاً من هذه الادوار "الفرضية" ومثّلها بأجلى صورها ومعانيها. وعندها ستتبين فعلا اذا كنت قد أهملت خصالا قوية في شخصيتك او طموحا جديرا بالتنيمة او عروضا ومجالات ربما اوصدت انت الابواب في وجهها قبل الاوان. وقد تكتشف ايضا الامور غير العملية.

■ **تهدّىء خواطرك وترضي نفسك.**

توحي الابحاث التي أجريت على الموجات الدماغية، وخصوصا ما يعرف بالتواتر الألفي ذي الصلة بفترات الهدوء والاسترخاء قبيل الاخلاد الى النوم، بأن في استطاعة بعض الناس التدرب على التحكّم بهذا التواتر عن طريق احلام اليقظة التي تروق الى النفس. وقد استطاع البعض فعلا ضبط خفقان القلب وارتفاع ضغط الدم لديهم.

وقد يساعدك الاسترسال في احلام اليقظة على كشف مجالات الصراع ومواطن الصعاب في الاوقات التي يعتريك فيها الجزع والتوتر الشديد. ولكن حتى وان تعذّر التعرف على لبّ المشكلة فان في استخدام التصور الايجابي للمشاهد الطبيعية ما يهدّىء من روعك، وان موقتا، ويحول دونك والقيام بتصرفات متسرعة.

■ **تساعدك في التغلّب على الشعور بالوحدة.**

يمكنك ان تستحضر في اوقات العزلة رفاقا يسرّك الحديث اليهم. ومن الناس من يستمتع بنوع من الحوار يجريه مع زائر من الماضي كجدّ احبه او معلم او شخص مشهور، ومنهم من يجد لذة في وصف مدينة عصرية لزائر خيالي عاد من الماضي كأحد الرومان القدماء مثلا. وأنت في مثل هذه التمارين التلعابية لا تعوّض الشعور غير الحاد بالوحشة والوحدة فحسب وانما تتلهى ايضا عن المخاوف والتوترات العصبية التي يمكن ان تعتريك اثناء السفر الى بقاع غريبة.

■ **تتزود بكشف داخلي مفيد لسلوكك.**

تشير الابحاث، بما فيها تلك التي اجريتها انا شخصيا في جامعة ييل، الى ان احلام اليقظة المتكررة قد تحمل دلالات على اوجه مختلفة من بواعث التصرف فضلا عن جوانب عدة من الشخصية، وقد اظهر ديفيد ماكليلاند، استاذ علم النفس في جامعة هارفارد، ان الاحلام التي تدور حول انجاز ما تنعكس فعلا في المساعي التي يبذلها هذا الشخص لتحقيق هدفه. وهناك شاب عرفته في عيادتي كثيرا ما كان يرى نفسه في احلام اليقظة صبيا مع عصبة من رفاقه. وقد ادرك بعدما تأمل في هذه الظاهرة انه في السنوات الاخيرة بدأ يركز اهتمامه على تنمية مواهبه في الفيزياء والرياضيات مهملا الجانب الودّي الاجتماعي من شخصيته. ورأى أخيرا ان في التأكيد على الجانب الاجتماعي من حياته فائدة مهمة في تطوّر حياته العملية كما لاحظ ان في الامكان ممارسة هذا الجانب من دون التخلي عن نموّه الفكري.

■ **تشدّ ازرك في اوقات الضيق.**

روى هيرمان فيلد، وهو مهندس تخطيط مدني، قصة حياته في الاسر بعدما اشتبه بكونه جاسوسا في بولونيا الشيوعية حيث أمضى اكثر من خمس سنوات سجينا. وقد لجأ فيلد وزميل له الى تبادل سرد تخيلاتهما المستفيضة كوسيلة تعينهما على تحمل وطأة الاسر. ثم أخذ فيلد يدوّن ذلك في اطار قصصي. واستحوذ مضيهما في احلام اليقظة على تفكيرهما ومشاعرهما الى حد جعلهما قادرين على مقاومة التعذيب

النفسي. والواقع ان فيلد عمد خلال فترة وضعه في السجن الانفرادي (العزل) الى اطلاق العنان لخياله بحثا عن سبل للتفوق على سجّانيه بالحيلة والدهاء. ثم وضع تصوراته موضع التنفيذ مما ارغم حرّاس السجن على توفير بعض الضروريات الاساسية له.

ان هناك، بالطبع، عددا كبيرا من الذين يخشون ان يؤدي التمادي في التخيلات المستفيضة الى صعوبة العودة الى عالم الواقع او الى اتخاذ قرارات عملية على اساسها. على ان اغلب الدراسات في السلوك الناجم عن التخيلات لا يؤيد مثل هذه المخاوف فضلا عن كون الفرد العادي مؤهلا، على نحو معقول، لان يقرر ما يمكن فعله حقا. وانما الخطر يكمن في تسرّعنا في الحكم على احلام اليقظة ونبذها والقيام باعمال يبعد عنها الخيال كليا. واذا بنا في الغالب نخوض في محادثات فارغة او نجلس محدّقين بفراغ في الشاشة التلفزيونية. ولو اننا افردنا وقتا خاصا من كل يوم للتأمل الهادىء والخيال المسلي، فلربما نُوفّق الى الانتفاع الصحيح من طاقة الخيال العظيمة التي ننعم بها جميعا.

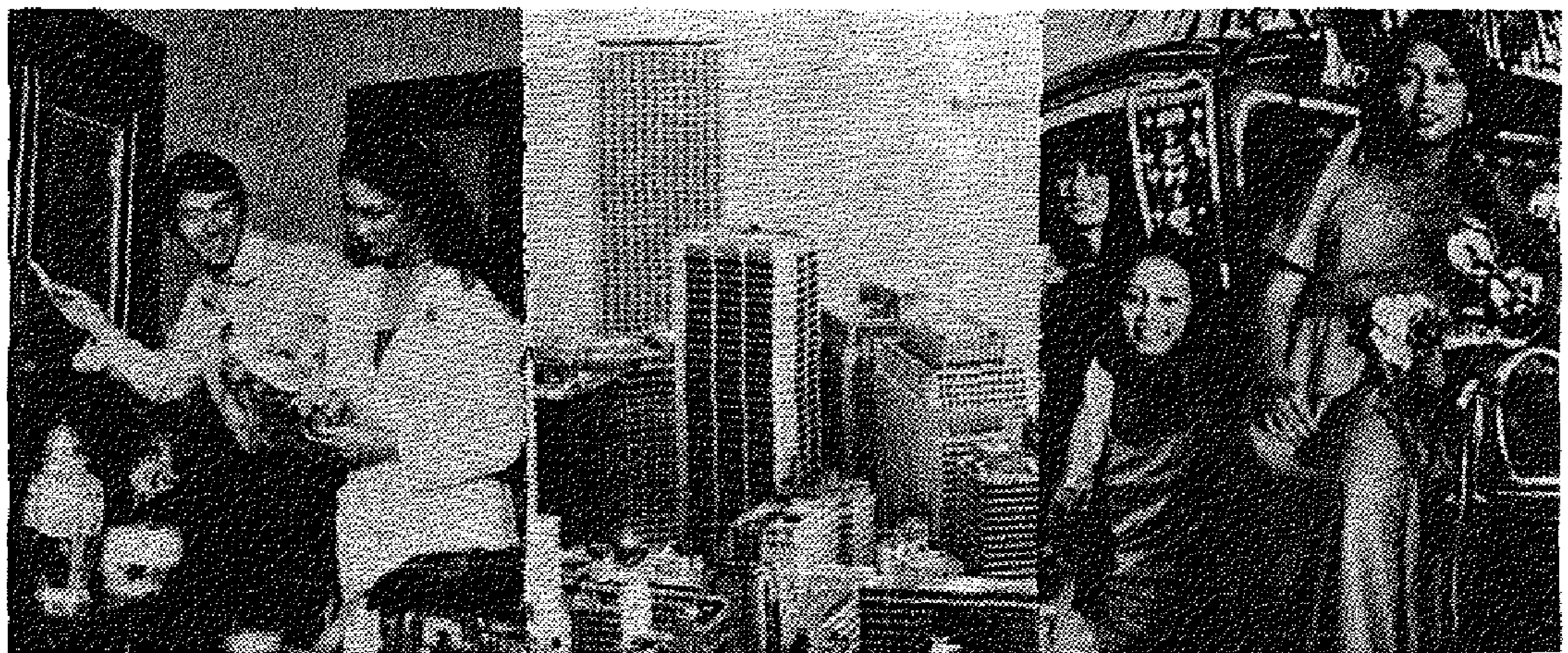
■ جيروم ل. سنجر

الكاتب استاذ علم النفس ومدير البرامج الدراسية لعلم النفس السريري في جامعة ييل. وله مؤلف بعنوان "عالم التظاهر عند الطفل" وآخر سينشر قريبا اسمه "العالم الداخلي لاحلام اليقظة".

رحلات كاثي باسفيك إلى الشرق الأقصى

رحلات من القلب إلى القلب، لأكثر مناطق آسيا سحرًا وروعة





CX53

بانكوك/سنغافورة/هونغ كونغ

٩٤٥ دولار أمريكي

١٤ يوماً و١٢ ليلة .. رحلة اسبوعين من اللهو والمرح في ثلاث مدن آسيوية مشهورة .. للتسوق والسياحة والليالي الساهرة ..

بانكوك/بتايا

٦٤٠ دولار أمريكي

٧ أيام و٦ ليالي بين روعة وهيبة معابد بانكوك المشهورة .. وسوقها الاسطوري العائم .. وهدوء الطبيعة الساحرة في مصيف بتايا، أشهر مصايف تايلاند الساحلية ..

بانكوك/مانيلا/هونغ كونغ

٩٥٠ دولار أمريكي

١٤ يوماً و١٢ ليلة .. إن بانكوك وهونغ كونغ مكانان لابد لكل سائح من زيارتهما إلا أن هذه الرحلة تشمل أيضا مباهج مانيلا حيث يجد الزائر متعة في شراء الهدايا بالثمن الذي يناسبه،
وحيث يستقبله الناس بكل بشاشة ومودة كما أن الانطلاق منها في جولات خلوية في الارياف يزيد من قيمة وروعة هذه الرحلة.
ستجد وأنت على متن طائراتنا في كل هذه الرحلات كل ترحيب وعناية وستحيطك مضيفاتنا المتعددات الجنسية واللواتي يأتين من ٩ أقطار مختلفة، بكل رعاية.
وبخدمة لايقدمها غيرهن.

من صميم آسيا.

Hong Kong's discovery airline
CATHAY PACIFIC
The Swire Group



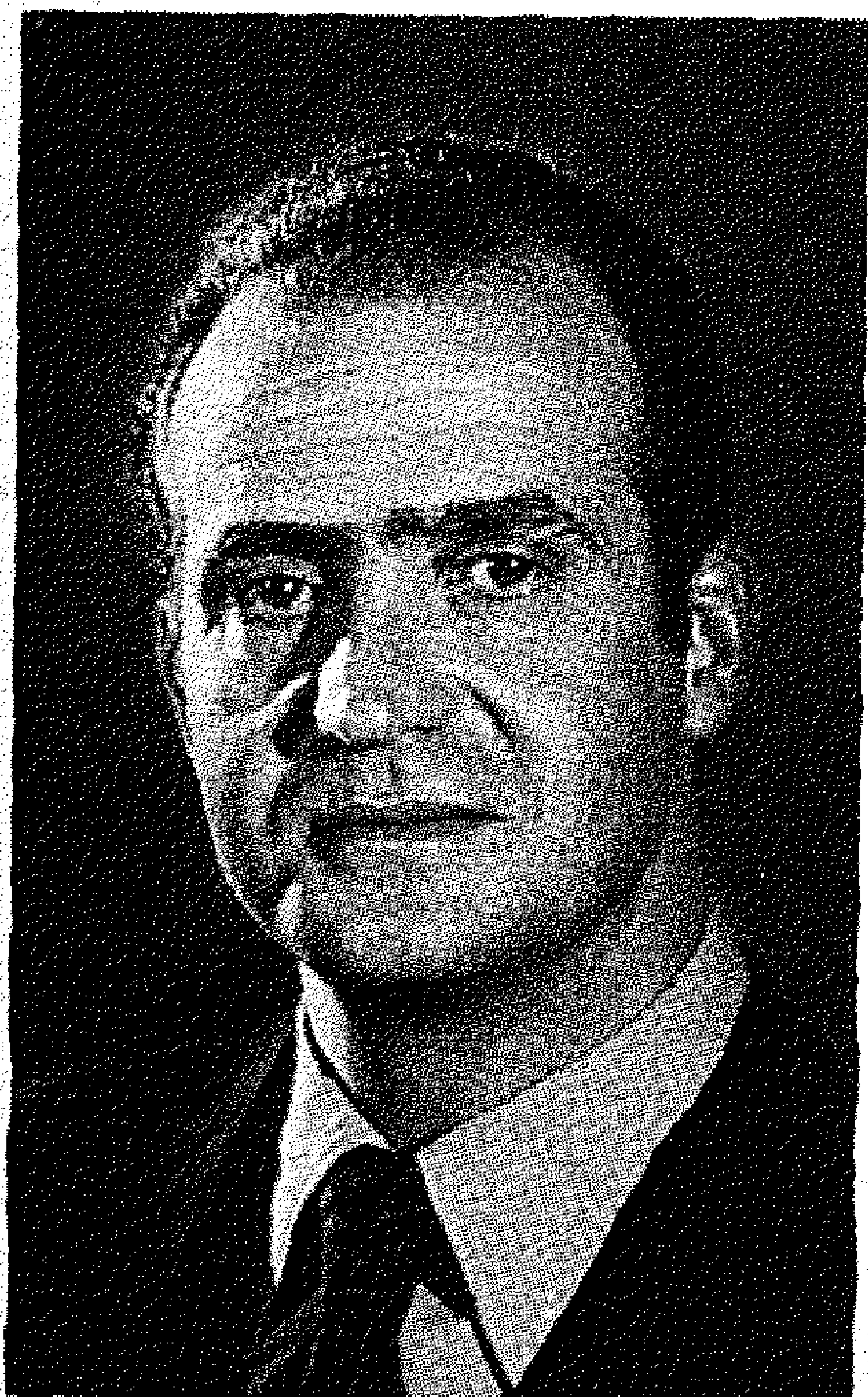


يمكنكم مراجعة الاسعار والحصول على كتيب الرحلات من اقرب مكتب لشركة طيران كاثي باسفيك

البحرين ٢٥٨٨٥٠ - الخبر ٨٦٤٢٧٢٧ - جدة ٤٦٢٢٥ - الرياض ٤٦٤٥٩٦١/ ٤٦٥٠٤١٢ - الكويت ٤٢٢١٠٦ - الدوحة ٣٢٠١٨٢ - ابوظبي ٢٢٢٢١٠ - دبي ٢٢٤١٥٦ -
مسقط ٧٠٢٩٥٢ - بيروت ٢٥١٢٠٠ - دمشق ٢٢٨١٥٥ - عمان ٤٤٢٦٢ - القاهرة ٩٢٢٢٦

بعد عقود من الحكم الديكتاتوري، الحديدي القبضة، أصبح خوان كارلوس الاول ملكا لاسبانيا، فأعاد بتؤدة وهدوء السلطة الى الشعب

المَلكُ الديموقراطي



كان أميرا عندما انتدبه الديكتاتور الاسباني فرانسيسكو فرانكو ليكون ملك اسبانيا التالي. ومع ذلك، فقد رفض كثيرون من ابناء وطنه ان يأخذوه على محمل الجد. وكانوا يسخرون بالقول ان دون خوان كارلوس سوف يعرف في التاريخ بلقب "خوان القصير العهد"، اذ سيثبت انه لا يليق بالعرش، وبالتالي سيُنَحَّى عنه.

هذا الرأي أوحى به، الى حد، مظهر الامير. فهو طويل القامة، نحيل، عريض الحنكين، ويبدو شرطيا أو مصارعا اكثر مما يبدو ملكا مزمعا. فضلا عن ذلك، يمكن وصف حركاته بأي شيء سوى كونها صادرة عن شخصية ملكية. وهو يبدو وجلا، خجولا، ساذجا، متجردا من اي تكلف او تصنع. وقد قال متحذلق: "ان خوان كارلوس عميق التفكير بالتأكيد ولكن عندما يكون في غواصة".

وبعد سنوات من الانتظار، جاء

وقت الامير أخيرا في نوفبمر (تشرين الثاني) ١٩٧٥· فقد توفي فرانكو وهو في الثانية والثمانين من عمره، بعدما حكم البلاد طوال ٣٦ عاما· وتوّج الامير باسم خوان كارلوس الاول، ملك اسبانيا· ومنذ ذلك الحين، برهن خوان كارلوس على انه واحد من أفضل حكام اسبانيا في العصر الحديث· فهو، بفضل مهارته السياسية ومثابرته وصبره، حقق الديموقراطية لبلاده وهو لم يتجاوز الحادية والاربعين·

لكن عندما تولى خوان كارلوس السلطة، بدا ان الامور كانت تجري ضده· فقد كان السخط العام يرتفع باطراد في السنوات الاخيرة من ديكتاتورية فرانكو· وكان الكثيرون من سكان اسبانيا البالغ عددهم ٣٦ مليون نسمة يطالبون باصلاحات ديموقراطية· ولم يكن لدى الشعب اي فكرة عما يخالج الملك الجديد من شعور تجاه الديموقراطية· وعلى اي حال، فقد بقيت مؤسسات فرانكو الاستبدادية مترسخة الاصول، ونشأت مخاوف من امكان قيام العناصر المتطرفة بين العسكريين بانقلاب لمنع اي مسيرة نحو الديموقراطية·

لم يحدث في تاريخ اسبانيا حتى ذلك الحين ما يبعث على تشجيع اولئك الذين ينزعون الى الاصلاح· فقد شهدت البلاد خلال السنوات المئة قبل حقبة فرانكو ١٠٩ حكومات متعاقبة و٢٦ ثورة وثلاث حروب أهلية· حتى ان فكرة اعادة النظام الملكي كانت مغامرة كبرى· فقد تخلصت شعوب عدة من الانظمة الملكية في انحاء اوروبية اخرى· ولم يعرف احد كيف سيتصرف الاسبان تجاه ملك آخر، وعلى الاخص تجاه واحد مثل خوان كارلوس لم يبعث في نفوسهم مقدارا كبيرا من الثقة·

مسؤوليات مقيدة – ولد الملك الجديد عام ١٩٣٨ في روما حيث كان يعيش والداه في منفى خلال معظم ايام الحرب الاهلية العنيفة· فقد تمردت قوات فرانكو اليمينية على الحكومة الجمهورية اليسارية التي أرغمت جد خوان كارلوس الملك الفونسو، على التنازل عن العرش· وقُتل آنذاك ما يزيد على نصف مليون عسكري ومدني· وعندما وضعت الحرب أوزارها، ظهر فرانكو المنتقم ليحرص على عدم قيام مصالحة وطنية، بل على بقاء اسبانيا منقسمة الى فئتين: الغالبين والمغلوبين· وهكذا ظلت اسبانيا، كما كانت أبدا، دولة تضم اغنياء موسرين وفقراء مدقعين، وفيها اقطاعيات هائلة وفلاحون تعساء·

وكان الفونسو الثالث عشر عين أحد أبنائه، دون خوان، وهو والد خوان كارلوس، وريثا لعرشه· لكن فرانكو كان مقتنعا بأن دون خوان على مقدار كبير من التحرر من شأنه تحويل اسبانيا الى الديموقراطية· وعلى رغم ذلك، فقد ظل يؤمن بأن اسبانيا تحتاج الى نظام ملكي كعامل على الاستقرار، وشعر بأن الامير خوان كارلوس سيكون أسهل قيادا من والده· وهكذا جيء بخوان كارلوس الى اسبانيا عام ١٩٤٨ وهو في العاشرة من عمره، وكانت تلك المرة الاولى التي تطأ فيها قدماه التراب الاسباني حيث سيتلقى علومه وثقافته في موطن أجداده· وعلى رغم وصفه بأنه "أقل من ألمعي"، فقد كان الامير متمكنا من اربع لغات غير الاسبانية، هي الانكليزية والفرنسية والايطالية والبرتغالية· وتخرج عام ١٩٥٥ في الاكاديمية العسكرية في

سرقوسه، حالاً في المرتبة الثالثة بين ٤٧١ طالبا في صفه. وقضى بعدئذ عاما واحدا في كل من الاكاديميتين البحرية والجوية، وتخرج في الاكاديميات الثلاث برتبة ضابط. ثم اقترن عام ١٩٦٠ بالاميرة اليونانية صوفيا، ملكته المقبلة التي انجبت له في ما بعد ثلاثة اطفال.

لم تكن السنوات التي قضاها خوان كارلوس في التمرس استعدادا لتسلم مهام منصبه مليئة كلها بالسعادة. فقد كان فرانكو رجلا باردا، أبقى الامير مقيد الحركة الى حد الاهانة. وكان الاثنان يظهران كل عام معا يستعرضان القوات المسلحة في احتفالات النصر في ذكرى استيلاء فرانكو على السلطة، وكان على خوان كارلوس ان يقف الى الوراء قليلا من الزعيم. وباستثناء قص أشرطة الافتتاح في احتفالات عامة، لم تكن لدى الامير مهمات معينة غير صرف الوقت في وحدة تكتنفها الابهة، كما كان عليه ان يحجم عن ابداء الانتقاد. لانه كما اختاره فرانكو، كان في امكان فرانكو ايضا ان يطرده بمجرد اشارة واحدة.

لجاجة متصاعدة ـ كان خوان كارلوس لا يزال يافعا حين كانت اسبانيا على عتبة ثورة اقتصادية واجتماعية عميقة الغور. فالمستثمرون الاجانب والاسبان - وقد أغواهم الاستقرار السياسي الذي فرضه فرانكو على البلاد - انشأوا المعامل الجديدة في جميع انحاء اسبانيا. واكتشف السياح الاجانب فجأة اسبانيا المشمسة، فتدفقوا عليها بالملايين. وبلغ النمو الاقتصادي في الستينات واوائل السبعينات مستوى مذهلا، نسبته سبعة في المئة سنويا، برزت اسبانيا على اثره مجتمعا صناعيا دوليا في المرتبة العاشرة بين الدول الصناعية.

غير ان امورا اخرى بقيت كما هي من دون تغيير. فقد احتفظ فرانكو بسجون اسبانيا مكتظة بالمعتقلين السياسيين. وكانت الصحافة مكبوتة وحرية التجمع محظورة والاحزاب السياسية محرمة. ولم يكن في اسبانيا سوى "حركة وطنية" تديرها الحكومة، ومن المفترض ان يكون كل مواطن منتميا اليها. ولم تكن هناك أي نقابات عمالية حقيقية. وكان محتما على جميع العمال واصحاب العمل الانتماء الى "هيئات" تديرها الحكومة وتحدد الاجور وسواها من المسائل. ولم يكن "الكورتيز" سوى مجلس نواب صوري، اذ لم ينتخب انتخابا مباشرا سوى ١٠٤ اشخاص من بين اعضائه البالغ عددهم ٥٦١. ومهما يكن الامر، فقد كان في امكان فرانكو، اذا شاء، ان يتجاهل بكل بساطة ذلك "الكورتيز" ويحكم بالمراسيم.

وعبَّر المطالبون بالديموقراطية عن لجاجة كبيرة. وكان بين هؤلاء، اضافة الى خصوم فرانكو التقليديين من الجمهوريين، أفراد من الطبقة المتوسطة المتزايدة عددا ومن المؤسسات. حتى ان الكنيسة الكاثوليكية، التي ظلت تدافع عن الوضع القائم منذ أمد طويل، انفصلت عن فرانكو واخذت تطالب بتغيير ديموقراطي. ومع ان فرانكو لم يتأثر بذلك كله، الا انه أحس بأن الامور ربما لن تسير على النحو الذي خططه لها لما بعد عصره. وقد حدثني خوان كارلوس في مقابلة معه انه سأل فرانكو ذات مرة عن الطريقة التي ينبغي ان يعالج بها مشكلة حكومية معينة، فرد الديكتاتور على ذلك

بغموض: "انك لن تحكم اسبانيا مطلقا على غرار حكمي لها".

ولما ارتقى خوان كارلوس العرش أثر وفاة فرانكو عام ١٩٧٥، وجد نفسه السيد الجديد لآخر ديكتاتورية في اوروبا الغربية. وقد ورث، مع كل الامور الاخرى، كارلوس آرياس، البيروقراطي المتجاوز الستين، والذي ولاّه فرانكو منصبا يعادل منصب رئيس وزراء. وأبقاه خوان كارلوس في ذلك المنصب، مما خيب أمل كثيرين من ابناء الشعب. واشتكى الاسبان من أن خوان الحديث العهد كملك يتصرف تماما حسب الخطة المرسومة له.

وعلى كل حال، فقد كان خوان كارلوس، منذ أمد بعيد، مؤمنا قويا بالديموقراطية، وان بهدوء. بل كان يدرك انه، اذا تحرك بسرعة، فقد يستثير رد فعل من اتباع فرانكو المتعصبين قد يؤدي الى استيلاء العسكريين على السلطة او الى حرب أهلية اخرى، فتضيع فرصة تأسيس الديموقراطية في البلاد. وكان خوان كارلوس يخطط لتجريد المتعصبين من سلاحهم عن طريق تفكيك مؤسسات فرانكو تدريجا من الداخل.

مغامرة مدروسة ـ وبإيعاز من الملك، شرع "الكورتيز"، الذي كان لا يزال مؤلفا في معظمه من الاعضاء الذين عينهم فرانكو، باصدار سلسلة من الاصلاحات الديموقراطية. فقد قيل للاسبان أولا ان في امكانهم عقد الاجتماعات السياسية والقيام بمظاهرات دونما خوف من الزج بهم في غياهب السجون. وبعدئذ سمح للاحزاب السياسية (باستثناء الحزب الشيوعي) بالعمل على نحو مشروع للمرة الاولى منذ الحرب الاهلية. ومع ان عامة الشعب رحبت بتلك الخطوات، فقد تذمر العديد من المواطنين من انها كانت بطيئة.

وبعد مرور ثمانية أشهر على استلامه السلطة، شعر خوان كارلوس برسوخ قدميه رسوخا كافيا لعزل آرياس. أما الذين رحبوا بالخبر للوهلة الاولى فقد استاؤوا بسرعة عندما أعلن الملك ان رئيس الحكومة الجديد سيكون ادولفو سواريز، الوزير الذي لم يكن معروفا جدا في حكومة آرياس والمسؤول عن الحركة الوطنية، اي حزب فرانكو الرسمي.

وكانت تلك مغامرة خطيرة. ولكن اتضح بعدئذ ان تعيين سواريز كان من اكثر خطوات الملك الشاب حكمة. وشكل الرئيس الجديد، البالغ من العمر ثلاثة واربعين عاما فقط، حكومته بسرعة من معتدلين سياسيين معظمهم في العقد الرابع من العمر أيضا. وفجأة اصبح جيل جديد يتقلد زمام الامور في اسبانيا، وهم رجال لم يراودهم القلق من العواطف المتفجرة التي مزقت اسبانيا في الحرب الاهلية. واتضح كذلك ان سواريز سياسي لبق فوق العادة. فعلى رغم ماضيه المرتبط بفرانكو، باشر بتفكيك الديكتاتورية بحماسة.

وتتابعت الاصلاحات بسرعة. فأصبحت الصحافة، التي تحررت من القيود، داعية مسموعة تنادي بالديموقراطية. واعلن عفو عام عن المعتقلين السياسيين، وحلت الشرطة السياسية، ورخص للنقابات العمالية الحرة بالعمل، وألغيت "الهيئات" التي كانت تديرها الحكومة، وسن قانون جديد لضريبة الدخل. وكان الموسرون الأسبان قادرين في السابق على التهرب من دفع تلك الضريبة. وفي حال ضبطهم كانت تفرض عليهم غرامة فقط. لكن القانون الجديد

فرض عقوبات جنائية، فما لبث مقدار الجباية ان ارتفع بنسبة هائلة.

وأخيرا شنت الزعامة الجديدة حملة على صميم نظام فرانكو. وبدافع من مكانة الملك وهيبته ومن مهارة سواريز السياسية، صوت "الكورتيز"، الذي اوجده فرانكو، بأغلبية ساحقة على حل نفسه. وبسبب ما تنطوي عليه تلك الخطوة من أهمية، فقد أحالت الحكومة هذه المسألة على الشعب الاسباني في استفتاء للرأي العام: فهل يريد افراد الشعب انتخاب كورتيز جديد؟ وجاءت نتيجة الاستفتاء تنديدا شديدا بالنمط الذي انتهجه فرانكو. وقد أفتى ٩٥ في المئة من الناخبين بعبارة "نعم"، بينما لم يستجب لدعوة المتعصبين الى الادلاء بعبارة "لا" في الاستفتاء سوى اثنين في المئة.

جماعات هامشية ـ عندما توجه الاسبان الى مراكز الاقتراع لاختيار اعضاء "الكورتيز" الجديد، كانت تلك المرة الاولى التي يشترك فيها من هم دون الثانية والستين من العمر في انتخابات حرة. وحصل كذلك تغيير آخر، اذ اعلن سواريز الترخيص للحزب الشيوعي ظنا منه انه من الافضل ان يظهر الشيوعيون علانية حيث يتحتم عليهم التنافس للحصول على اصوات الناخبين. وأدت النتائج الى دفن اسطورة فرانكو بأن اسبانيا لم تكن "مستعدة" للديموقراطية. ونال اتحاد الوسط الديموقراطي بزعامة سواريز ٣٤،٣ في المئة من اصوات الناخبين، وجاء في المرتبة الثانية حزب العمال الاشتراكيين، المعتدل الاتجاهات ايضا، اذ حصل على ٢٨،٥ في المئة. وتبين ان الحرية التي منحت للحزب الشيوعي اظهرته حزبا من الجماعات الهامشية التي لا تتمتع بتأييد شعبي. فقد حصل الشيوعيون على ٩ في المئة فقط من الاصوات.

وفي دورة انتخابية اخرى جرت يوم الاول من مارس (اذار) ١٩٧٩، نال حزب سواريز ٣٥ في المئة من أصوات الناخبين، فيما حصل العمال الاشتراكيون على ٢٩ في المئة والشيوعيون على ١١ في المئة. ومنحت الانتخابات سواريز أربع سنوات لحكم اسبانيا، وبدت في أعين الناس ضمانة لمرحلة من الاستقرار السياسي في البلاد.

تهدئة الثائرين ـ ربما كان أعظم ما أنجزه الملك خوان كارلوس في نطاق الديموقراطية نجاحه في ابقاء العسكر ضمن حدود ثكناتهم. ونتيجة لدراسته في الاكاديميات العسكرية الثلاث، فقد كان يعرف عددا كبيرا من الضباط الشباب. وفي حين لم يطرد أيا من كبار الضباط المتعصبين، فقد عكف بهدوء على ترفيع ضباط شبان يؤيدون الديموقراطية.

لكن اسبانيا لا تزال تواجه مشكلة ملحة تتمثل في حركة الارهاب في اقاليم الباسك في الجزء الشمالي من ساحل اسبانيا على المحيط الاطلسي. وللباسك لغة لا تنتمي الى اي من اللغات الهندية - الاوروبية. واعترافا بهذا التباين الثقافي، ظل الباسك يتمتعون تاريخيا بقسط من الحكم الذاتي. الا ان فرانكو جردهم من ذلك الامتياز عقابا على وقوفهم الى جانب الجمهوريين في الحرب الاهلية، ولان الحكم الذاتي يتعارض مع هدفه في ايجاد دولة ذات نظام مركزي قوي. كما حرّم فرانكو استعمال لغة الباسك في المدارس وفي وسائل الاعلام.

وبدعم من الملك، أعاد "الكورتيز"

الحكم الذاتي الى اقليم الباسك، فضلا عن اتاحة الحرية لهم لاستعمال لغتهم. وظهر ان معظمهم مستعدون للاكتفاء بذلك. الا ان الارهابيين المعروفين باسم "أيتا" المشتق من الحروف الاولى لما معناه في لغة الباسك "موطن الباسك وحريتهم"، يسعون الى الاستقلال التام كدويلة ماركسية -لينينية. وتحاول أيتا استفزاز الجيش والشرطة للقيام بأعمال تعسفية وحشية من شأنها - في تقدير أيتا - ان تؤدي الى استنفار الباسك كلهم ودفعهم الى الانضواء تحت رايتها. لكن الملك تمكن، من ابقاء قواته على ما أراده لها.

أما وقد تم للديموقراطية ان تقف على قدميها في البلاد، فان خوان كارلوس عمل على تقليص تدخله في عدد من الاعمال. فبينما يستمر في تعيين رؤساء الحكومة بعد استمزاج رأي "الكورتيز"، وبينما يظل القائد الاعلى للقوات المسلحة في فروعها الثلاثة، الا أن الدستور الجديد يجرده من معظم السلطات التي مارسها في السنوات الثلاث الاولى من عهده. وهذا عين ما يريده. وستكون سلطة الملك من الان فصاعدا سلطة غير ملموسة، وتتركز في ممارسة نفوذ قوي واقناع في كل ما يؤثر على الشعب الاسباني من أمور.

لقد بلغ تقدير الشعب الاسباني لملكه خوان كارلوس أوجه اليوم. وعندما يتمنى له المواطنون العمر الطويل، فان هذه الامنية تعبّر بصدق عما يكنونه له.

■ ديفيد ريد



للاطفال ايضا

تستطيع الكلاب في الغرب تناول حلوى خاصة بها، فعلى اثر حصول المصورين على لقطة للملكة الام، والدة ملكة بريطانيا، تطعم كلبها قطعا من الشوكولاته، تضاعفت مبيعات حلويات الكلاب بعد شهر واحد في انكلترا. ويزعم صاحب المصنع ان الحلوى مليئة بالفيتامينات، وانها لن تصيب اسنان الكلاب بضرر. والطريف ان عبارة طبعت في اسفل العلبة تقول: "صالح للاطفال".

(مجلة "ليديز هوم جورنال")

العلم نور

خلال زيارة للمتحف العسكري في قلعة ادنبره، حاولت ان اترك انطباعا حسنا لدى اصدقائي باظهار معرفتي بانواع السلاح. وحين وصلنا الى جسم غريب الشكل، اشرت اليه واخذت اشرح:

"هذه آلة حصار قديمة كان الجنود يديرون عجلاتها حتى تلاصق جدران الحصن المحاصر، وعند ذاك يهيئون منصتها لكي يتسلقوا الجدران ويخترقوا الحصن".

وصادف في تلك اللحظة ان احد الحراس كان قريبا منا، فقال محاولا مساعدتي: "لا تزعج نفسك بكل هذا الشرح. انها مجرد قطع تركها النجار لنا لكي نستعملها عند تنظيف النوافذ".

ف. ي.

أتحف مائدتك بأواني
نوريتكه

هذه الأواني الانيقة من الخزف الصيني الاصيل هي الاكثر مبيعا في العالم. وهي تتيح لك مجالا كبيرا للاختيار من مجموعتها الرائعة.



للمزيد من المعلومات عن نوريتاكه، يرجى الاتصال بـ:

دبي	اشرف واخوانه	هاتف ٢١٩٧٥
دبي	شركة المشاريع المتضامنة المحدودة	» ٢٣٢٦٥
الدوحة	ستوديو ومحلات السلام	» ٢٢٥٤٠
جدة	عبد الباسط باجنيد واولاده	» ٣٤٨٤٤
الرياض	محلات المطرف للتجارة	» ٢٨٠٤٤
الخبر	شمس الدين أشرف	٤١١٠٤
الكويت	اشرف وشركاه	هاتف ٤١٢١٨٠
الكويت	محلات معتاصس	» ٦١٠١٣٢
البحرين	اشرف واخوانه	» ٥٣٤٥٧
البحرين	متجر المحمود	» ٥٤٧٥٤
مسقط	كيمجي رامداس	هاتف ٧٢٢٢٢٥
مسقط	شاه ناجارداس مكنجي	» ٧٢٢٣٠١
بيروت	فونتانا	» ٣٤١٧٥٨
عمان	حنا زنانيري واولاده	» ٢٣٢٢٢
طرابلس	محلات لسنه	» ٤١٧٢٥
بنغازي	محمد محمد الكوافي واخوته	» ٩٢٢٠٤
ابوظبي	ستوديو ومحلات السلام	» ٤٤٦٤٣
ابوظبي	جنرال انتربرايزس كومباني	» ٤٢٥٤٦
صنعاء	بالجيس هوس، هولد ستور	» ٥١٥٨

هَل أنت عبقري

طبعا أنت ذكي. ولكن هل أنت ألمعي الى حد يؤهلك للانضمام الى "منسا"، المنظمة الدولية التي لا تشترط لعضويتها سوى حاصل ذكاء يعد صاحبه "عبقريا"؟

تتضمن عضوية "منسا"، اضافة الى الاساتذة الجامعيين والعلماء، راقصات يجدن هز البطون ومزارعين وخادمات مقاه ومطاعم وسعاة بريد وعددا من المجرمين ذوي السوابق... بحيث يبدو ان الذكاء المتفوق الذي يحسن أن يتمتع به المرء، لا يضمن النجاح او الغنى، ولا حتى الاحترام.

خذ هذا الفحص لتعرف ما اذا كنت أنت في عداد المتفوقين.

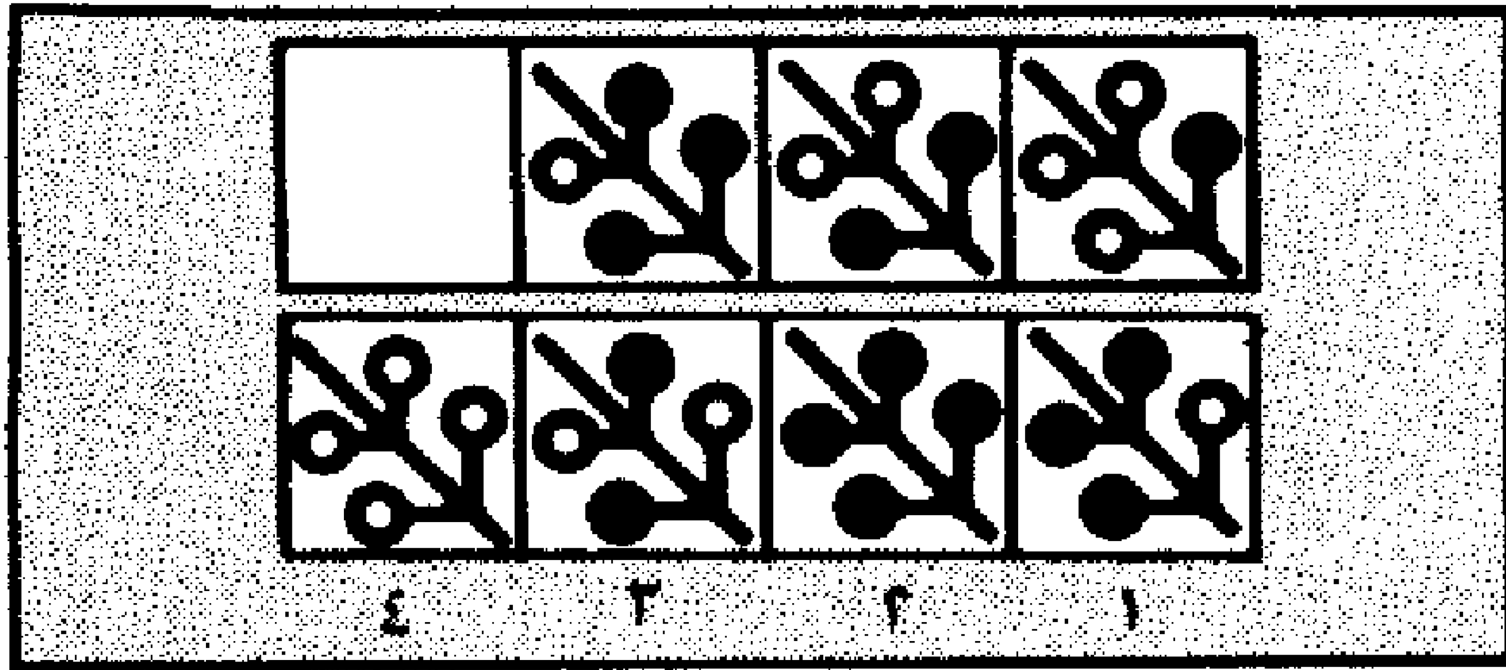
كل سؤال هو سلسلة من نوع ما، أي انه تتابع حروف أو أرقام أو اشكال مرسومة، من دون ذكر البند الاخير. وكل سلسلة مرتبة وفقا لمنطق او قانون مختلف عن الآخر. ومن أجل معرفة البند المفقود، عليك ان تستنتج ماهية ذلك القانون.

مثلا، كيف ينتهي هذا التتابع العددي: ٣ - ٤ - ٦ - ٩ -؟

الجواب هو ١٣: ٣ + ١ (= ٤)، ٤ + ٢= ٦، ٦ + ٣= ٩. وبناء على ذلك يكون الرقم المفقود هو حاصل ٩ + ٤، نظرا الى ان السلسلة مكونة باضافة ١، ثم ٢، ثم ٣، وأخيرا ٤، الى كل رقم على التوالي.

واليك مثلا على الاشكال المرسومة: اختر رسوم الصف الادنى لتكمل السلسلة في الصف الاعلى.

الجواب هو ٢: بدأت السلسلة في الصف الاعلى بدائرة سوداء واحدة،



ثم تبعتها دائرتان فثلاث دوائر. لذا يجب أن يكون في الرسم الرابع أربع دوائر سوداء، وهو الرسم الذي يحمل الرقم ٢.

والان جاء دورك.

أعط نفسك مدة اقصاها عشرون دقيقة للاجابة عن الخمسة عشر سؤالا. واذا لم تفرغ من الاجابة لدى انتهاء الوقت، توقف في أي حال. في أسئلة الفحص المعتمدة على الرسوم، عليك اكمال السلسلة في الصف الاعلى باختيار رسم واحد من الصف الادنى.

(الاجوبة في مكان آخر).

المسألة ١

أ - ث - خ - ر - ...

المسألة ٢

١ - ٣ - ٦ - ١٠ - ...

المسألة ٣

١ - ١ - ٢ - ٣ - ٥ - ...

المسألة ٤

٢١ - ٢٠ - ١٨ - ١٥ - ١١ - ...

المسألة ٥

٨ - ٦ - ٧ - ٥ - ٦ - ٤ - ...

المسألة ٦

٤٠ - ٣٥ - ٣٤ - ٢٩ - ٢٨ - ٢٣ - ...

المسألة ٧

١ ٢ ٣ ٤

المسألة ٨

١ ٢ ٣ ٤

المسألة ٩

١ ٢ ٣ ٤

المسألة ١٠

١ ٢ ٣ ٤

المسألة ١١

١ ٢ ٣ ٤

المسألة ١٢

١ ٢ ٣ ٤

المسألة ١٣

١ ٢ ٣ ٤

المسألة ١٤

١ ٢ ٣ ٤

المسألة ١٥

١ ٢ ٣ ٤

العلامات

أعط نفسك علامة واحدة على كل جواب صحيح· واذا اكملت الفحص خلال ١٥ دقيقة أو اقل، فأعط نفسك ٤ علامات اضافية·

الأسئلة	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥
الاجوبة	ش	١٥	٨	٦	٥	٢٢	٢	٣	٢	٤	٤	٤	٢	٢	٣

المستوى

١٥ - ١٩ علامة: أنت ذكي فوق العادة: مرشح مثالي لعضوية "منسا"!

١٣ - ١٤ علامة: أنت في مصاف نسبة ال٢٪ في المئة العليا من السكان من حيث العقل، وتصلح قطعا لعضوية "منسا"·

١٠ - ١٢ علامة: علامة مشرّفة: قد يخطر في بالك أن تجرّب "منسا"·

أقل من ١٠ علامات: انسَ موضوع الانضمام الى "منسا"· لكنك لا تزال في صحبة اناس مجيدين· فان عددا كبيرا من الشخصيات العالمية الشهيرة - من ادباء وفنانين وممثلين وممثلات ورجال دولة ورجال أعمال ناجحين - ليس لديهم حاصل ذكاء مرتفع أيضا! ومهما تكن العلامة التي سجلتها، يجب ألا تأخذ هذا الفحص على محمل الجد أكثر من اللازم· فهو يغفل عددا من العوامل، كالمهارات اللفظية، وهذه مهمة في فحص شامل لقياس الذكاء·

كركتوا:

هنا يبدأ الزمن وهنا.. ينتهي

كركتوا، الجزيرة ذات السمعة المرعبة الواقعة في مضيق سوندا، كانت عام ١٨٨٣ مصدراً لضجة كبيرة. ففي ثوران بركاني، يماثل في عنفه تفجير ١٠٠ من اقوى القنابل الهيدروجينية، تفتت ثلثا الجزيرة التي تبلغ مساحتها ٤٧ كيلومتراً مربعاً، ولم يبق هناك، بعد خمود البركان، سوى قطعة من الأرض ناتئة فوق سطح البحر تنفث الدخان ولا اثر فيها للحياة.

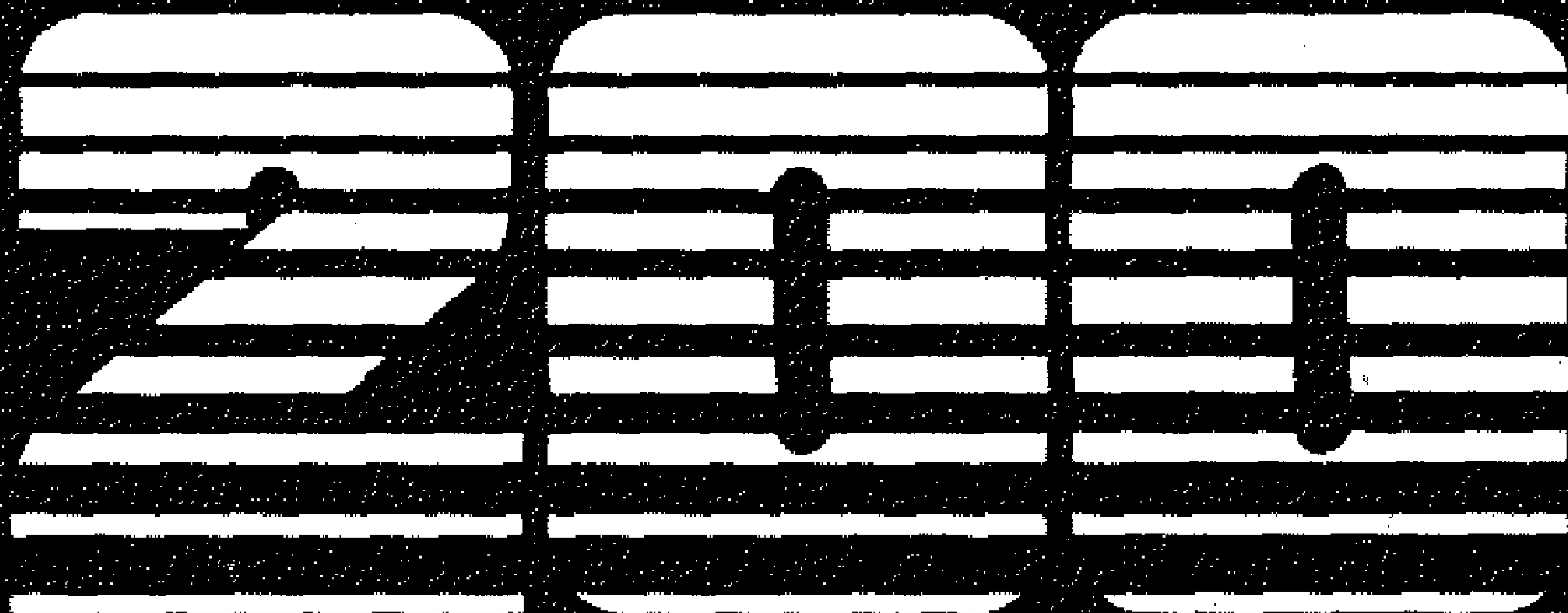
اما اليوم وقد مضت أكثر من تسعة عقود على ذلك الحدث، فما هي حال البقية المتبقية من كركتوا؟ هل هي دخناء وقاحلة، بكماء وشاهدة على نزعات الأرض التدميرية؟ ام ان الحياة بعثت فيها بطريقة ما؟ لقد توجهنا اليها بانفسنا فاكتشفنا فيها صرحاً يشهد على تماسك الحياة.

لا سبيل الى كركتوا غير القارب. ومن حسن الحظ ان صديقينا القديمين سيغ وليلو اولدنبرغ اللذين يقيمان في جاكارتا منذ زمن بعيد، يعرفان الحلم الذي يراودنا فيدعواننا الى مصاحبتهما في قاربهما الشراعي ذي الصاريين اللذين اطلقا عليه اسم "إمّا". ويبلغ طول القارب ١١ متراً ونصف متر.

إنها رحلة بحرية ستطوف بنا في بعض من اجمل البراري العذراء في جنوب شرق آسيا وصولا الى كركتوا.

بدأت رحلتنا ظهرا من ميناء جاكارتا تانجونغ بريوك ووجهتنا: الغرب.

إن الجو حار ومشبع بالرطوبة وماء البحر قذر وملوث بمياه مجاري المدينة التي تصب فيه. وتهب ريح بسرعة عشر عقد بحرية فتملأ الشراع وتنساب "إما" بين مجموعات من



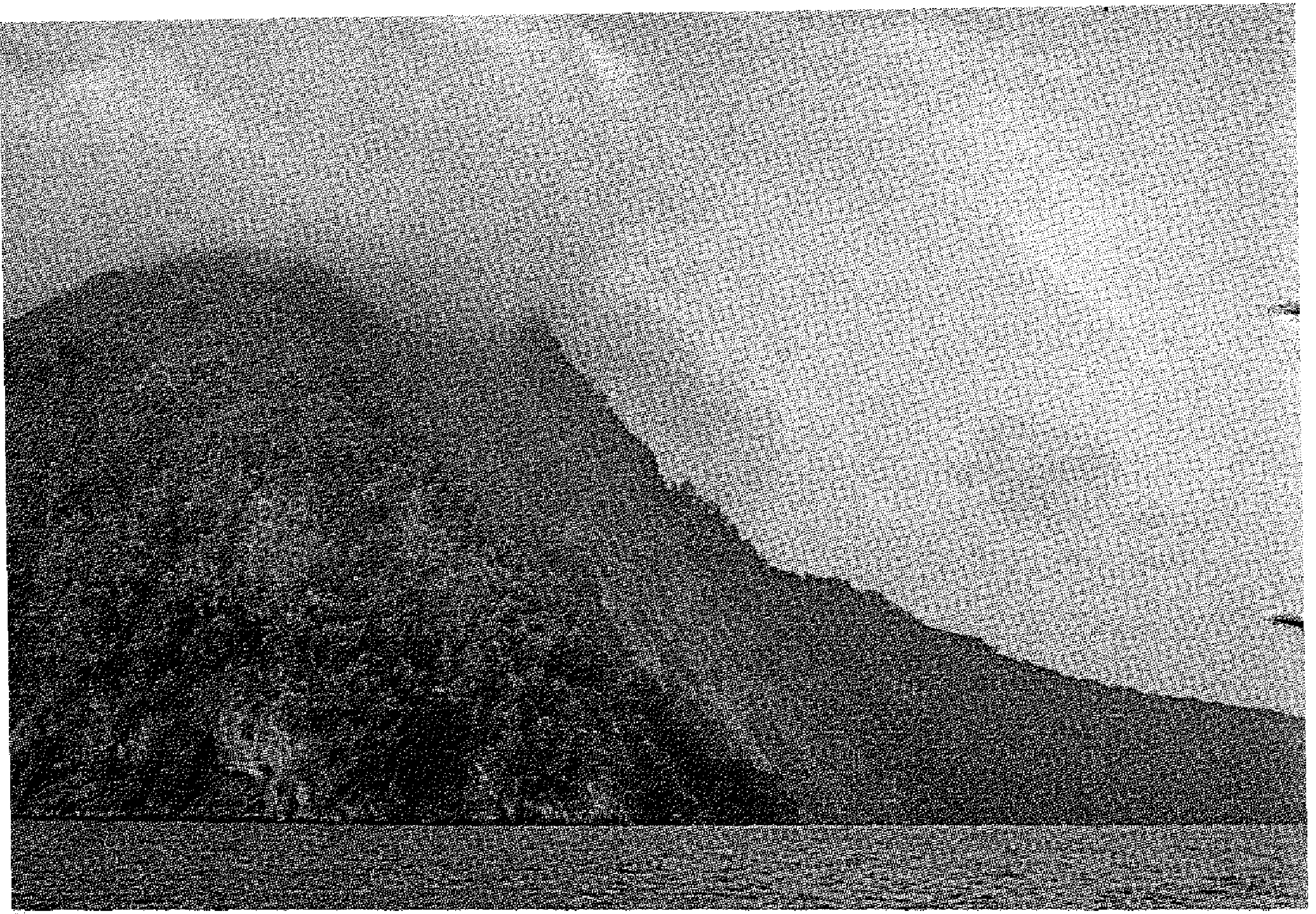


أن حقيبة Samsonite® الجديدة 200 Silhouette®

تتمتع بمزايا عدة وأبرزها القفل المتحرك .



Samsonite®

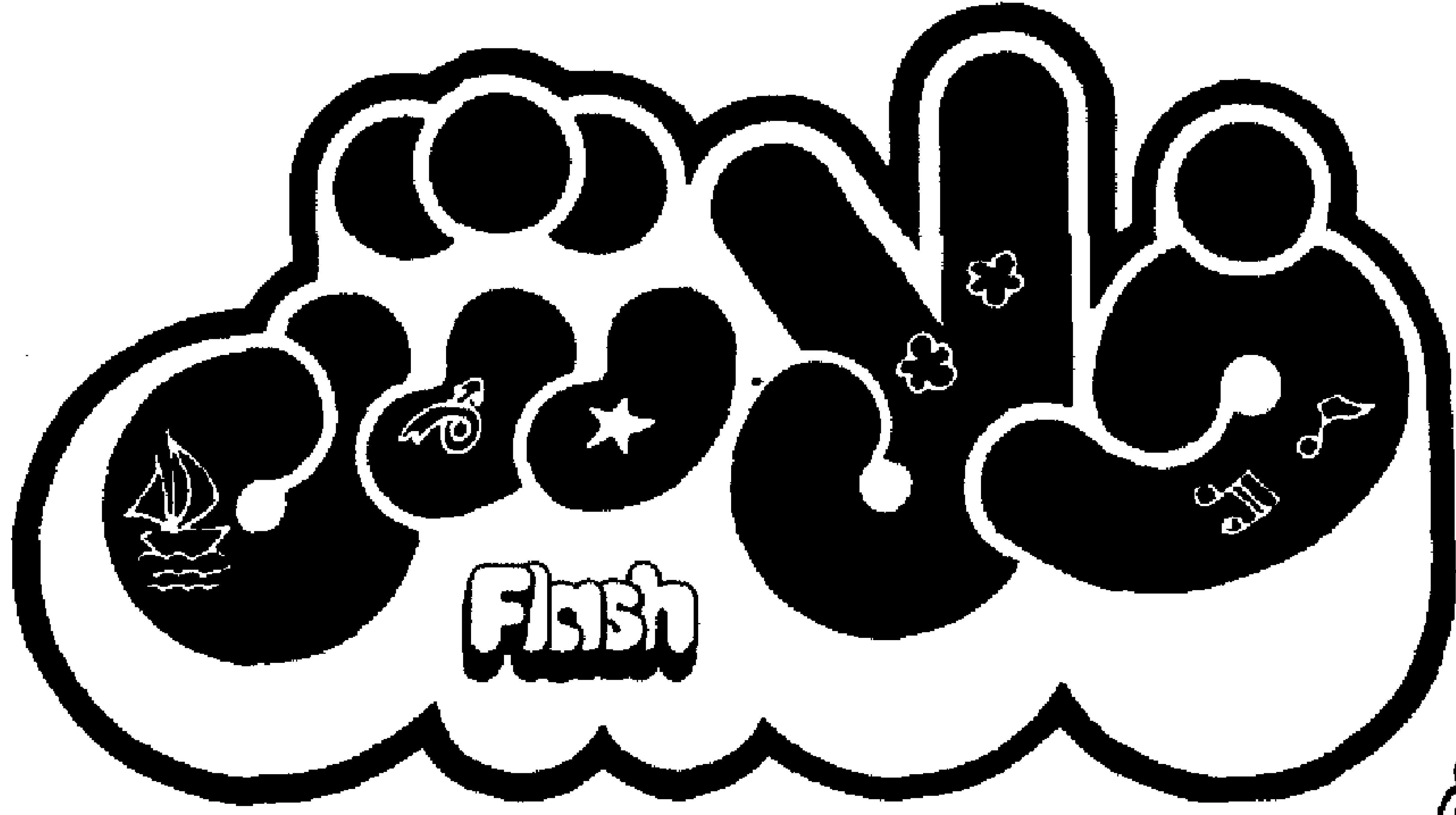


بواخر الشحن الصدئة وزوارق التموين ذات المحركات القوية وهي في طريقها الى منصات اجهزة الحفر النفطية البحرية.

وبعد ثلاثة كيلومترات صفا الماء وانتشرت مراكب الصيد الصغيرة التي تعرف بـ"براهوس" وقد طليت هياكلها بألوان برّاقة، زرقاء وصفراء وحمراء، وانتفخت اشرعتها الرثة فوق الصواري بينما رصعت البحر على مدى النظر من خليج جاكارتا منصات صيد الاسماك وهي من خيزران ترتفع فوق سطح الماء وترتكز على سيقان طويلة ومهزولة مغروسة في قاع المياه الضحلة. ويقضي هنا آلاف الصيادين لياليهم في اغراء سمك الروبيان او القريدس بولوج شباكهم مستخدمين مصابيح (فوانيس) الكاز الصغيرة.

وعندما حل المساء رسونا عند جزيرة مرجانية صغيرة وما ان ارخى الظلام سدوله حتى ترجرجت من بعيد اضواء المصابيح الغازية فوق المنصات الخيزرانية موحية بوجود مدينة داخل البحر. وانزلقت على سطح الماء اشرطة من الوميض الفوسفوري الذي كان يشع من حيوانات مائية ضئيلة الحجم لا تُرى في ضوء المصباح الكاشف الضعيف الا انها تخلف وراءها ما يشبه النسيج المشع السريع الزوال فوق سطح الماء الأسود، بينما تومض في قبة الفضاء كوكبة الصليب الجنوبية كالمنارة السماوية لهداية الملاّحين المبحرين تحت خطّ الاستواء.

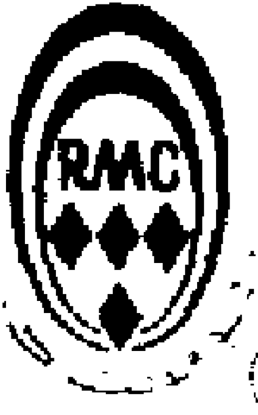
حفرة ضخمة ـ بعد يومين من بدء الرحلة وصلنا مضيق سوندا ثم عرجنا جنوبا الا ان المراسي الآمنة في هذا المكان قليلة لذلك وجدنا ان امامنا



مَجلة الجيل الجديد

ستيكرز * تسلية * فكاهة









مجلة «**فلاش**» افضل استمتاع للجميع .

«**فلاش**» مجلة الابواب الثقافية والمسلية التي تتيح للقراء الصور الملّونة اللاصقة والنكات الحلوة الذكيّة والجوائز القيّمة والتعارف بحبي المراسلة والمقال المشوّق للذين يبغون المعرفة والاطلاع في كل المجالات .

مجلة «**فلاش**» دخلت المدارس لتقدم للأوائل ما يستحقونه من جوائز ثمينة ومنح نقديّة مغريّة .

اقرأوا كل شهر «**فلاش**» المجلة التي تدخل كل بيت في كل وطن عربي .



ليلة طويلة من مواصلة الملاحة بحذر وعناية٠ ولئن كانت في المضيق بضع منارات الا انه خلوٌ من الطوافي لارشاد السفن ويمكن الرياح والتيارات المائية الهبوب بسرعة وغدر ومع ذلك فان صيادي السمك يجوبون البحر وما من نور يهديهم سوى احتراق طرف السيجارة في يد مدير دفة القارب مما يشكل بالنسبة الينا مجازفة اضافية٠

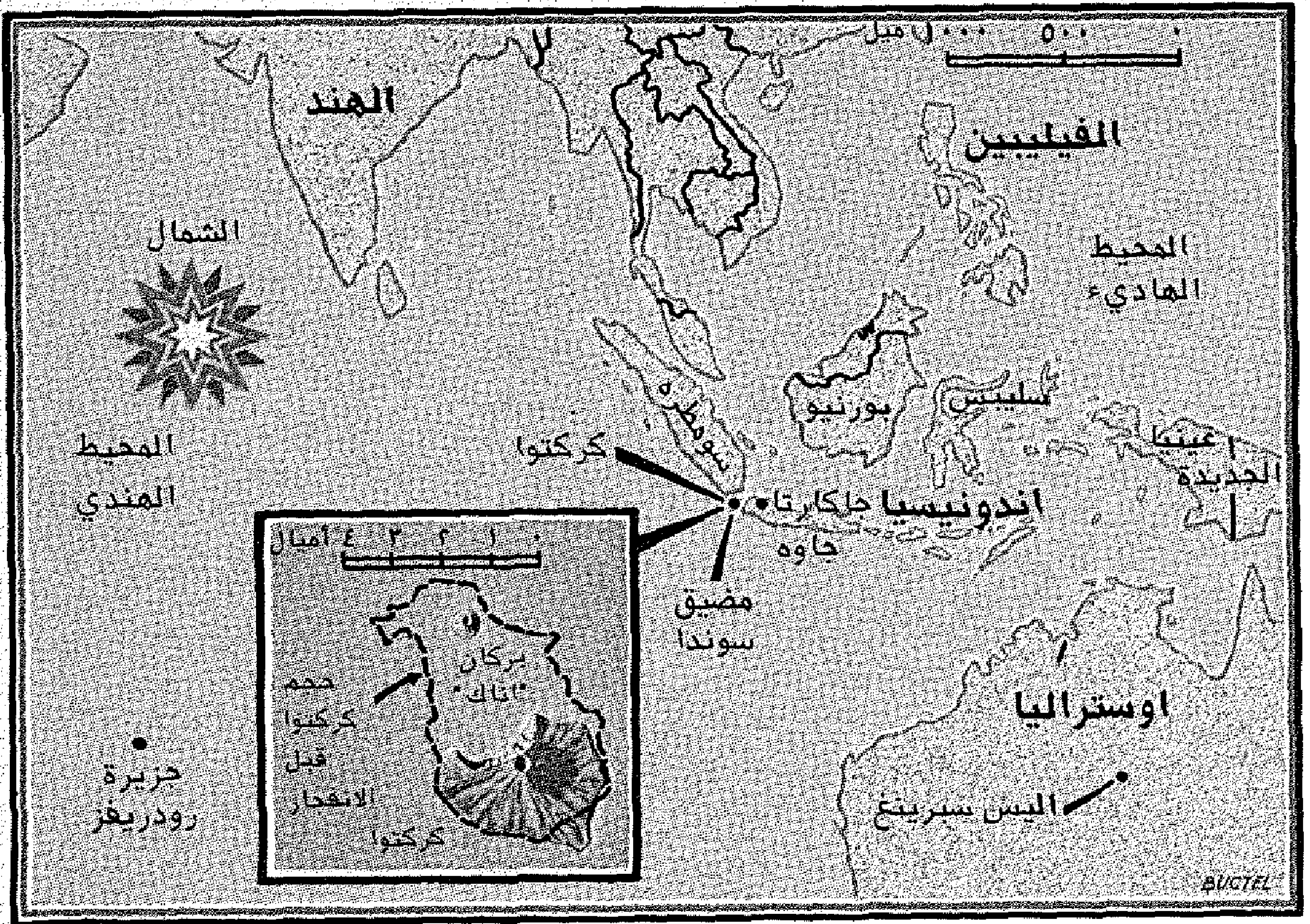
ولدى بزوغ الفجر استدرنا حول صخور صوانية ناتئة فوق سطح جزيرة بيوكانغ ثم دخلنا عالما من الجمال الرائع٠ فهنا قناة تغطيها الاشجار يبلغ عرضها ١٢٠٠ متر، هادئة المياه وذات شفافية بلورية تفصل ما بين بيوكانغ وادغال البرّ الاندونيسي٠ وتقع قبالتنا على البرّ شبه جزيرة اوجانغ كولون او رأس جاوه، وهو اقليم بدائي غير مأهول تكسوه الاحراج البرية ويكثر فيه شجر المانغروف الاستوائي٠

قاربنا كان قبالة شاطىء رملي عريض تتكاثف خلفه الادغال وتبرز عند الغروب قطعان من الأيائل الآسيوية الضخمة من فصيلة الصَمْبَر وجَحافل من المكّاك وهي القردة الآسيوية٠ وبينما القردة تعدو مسرعة فوق الشاطىء متصيدة السرطان، تجوب الأيائل الرمال على مهل٠ وفي الماء تحت "إما" اسطول صغير من سمك الحبّار ينساب في تشكيلات دقيقة التنظيم٠

تحركنا مجددا ولكن في اتجاه معاكس صوب الشمال الشرقي حيث تقع كركتوا التي اصبحت على بعد قرابة ٦٨ كيلومترا٠ وبينما يشق قاربنا عباب المياه شاهدنا ثلاثة دلافين تلاعب مقدم القارب ثم تطارده٠ وفي وقت متقدم من بعد الظهر بدأت تظهر معالم الجزيرة الاسطورية التي ترتفع بهامتها من خلل الضباب كأنها زعنفة قرش٠ والى الشمال الغربي حيث طيَّر الانفجار معظم الجزيرة عام ١٨٨٣ جُرفٌ شاهق عمودي الانحدار من قمة تعلو ٨٠٠ متر فوق السطح٠ ولاحظنا ان الانحدار في اتجاه الشاطىء الى الجنوب هو الاكثر تدرجاً٠ وما ان اقتربنا من الجزيرة حتى غاص مسبار عمق البحر على نحو عمودي ولاحظنا ان تحتنا حفرة ضخمة فيقعر المحيط يبلغ طولها نحو ١٠ كيلومترات وعمقها ٣٠٠ متر٠ لقد كانت هذه الحفرة، قبل بضعة اجيال، ارضا يابسة ثم دوى اعلى صوت سمعه الانسان اطلاقاً يوم انفجر رأس كركتوا٠

"مدافع ثقيلة" الساعة ٥،٣٠ صباح ٢٧ اغسطس (آب) هزّ سكان بتافيا (جاكارتا حاليا)، وهم على بعد ١٥٠ كيلومترا الى الشرق، دويٌ انفجار هائل٠ وبينما تجمع السكان جزعين تلمع في عيونهم بروق ضوئية ناتجة من عواصف كهربائية ولدها الانفجار البركاني، حدث انفجار آخر صدّع أسس المباني ونثر زجاج النوافذ فبدت كقصاصات ورق الكرنفالات٠ ثم انطلق دوي هائل يتعذر وصفه الا ان ضغط موجاته الصوتية اطاح سقوف المنازل واقتلع الاشجار٠

لقد كان انفجار بركان كركتوا محتملا، الا ان ما زاد الامور سوءاً هو ان قاعدة البركان تصدعت وانفلقت



فاندفعت فيها ملايين الاطنان من ماء البحر الذي تدفق الى جوف الارض الملتهب من شدة الحرارة. وادى ذلك الى تجمع هائل للقوى: البحر تحول الى بخار شديد الحرارة فانطلق عبر الجزيرة يُفكك معظم ارضها ويفتته في طوفان من القوة العارمة. وقد ارتفعت سحب من الرماد وتطايرت قطع ملتهبة من الزجاج البركاني من عمق الارض بسرعة الصواريخ الى علو ٤٠ كيلومتراً في الجو ثم تقوّض معظم سطح الجزيرة وانهار متوارياً في احشاء الأرض.

وبعد مرور اربع ساعات على انفجار البركان أبلغ رئيس الشرطة في جزيرة رودريغز في المحيط الهندي (تبعد عن كركتوا أكثر من ٥٠٠٠ كيلومتر الى الجنوب الغربي) انه سمع هدير "مدافع ثقيلة من ناحية الشرق". وفي أليس سيرينغ في اوستراليا وعلى بعد ٣٧٠٠ كيلومتر الى الجنوب الشرقي) سمع الناس ايضا دوي انفجارات غريبة من ناحية الشمال الغربي لم يستطيعوا تفسيرها.

وأمطرت السفن والقرى الواقعة ضمن شعاع يبلغ طوله ٥٠٠ كيلومتر من كركتوا بوابل من الصخور المتقدة والرماد الاحمر المتوهج بالحرارة. ودوّن القبطان جوشوا ستون في سجل سفينته عند ظهر ذلك اليوم: "إننا في ظلام دامس". وكافح ستون وطاقم ملاحيه على ظهر سفينة "نورثام كاسل"، التي كانت قريبة

من المكان، النار التي اضرمتها فيها امطار القذائف الملتهبة· وثقب دوي الانفجار طبلات الأذنين لدى معظم الملاحين فيما اصيب آخرون بحروق··· وقد افلح هؤلاء في انقاذ السفينة باعجوبة· اما على اليابسة فقد التهمت النار الناس وكأنهم قرابين عندما انهمر عليهم رماد غزير متوهج·

على ان الخضة الكبرى التي احدثها البركان في مياه المحيط كانت أشدّ فتكاً وتدميراً من العوامل الأخرى· فقد تسارعت موجة طويلة وعاتية وكأنها طراز عملاق من الامواج الشديدة الارتفاع والسرعة التي يدعوها اليابانيون "تسونامي" فاجتاحت ارجاء المحيط وغمرت الشواطىء القريبة بعلو ٣٨ متراً، ووصلت الى المناطق الساحلية في جاوه وسومطره وسليبس وبورنيو مدمرة مدنا بأكملها· وحتى في اماكن بعيدة في اوستراليا والهند واليابان وحطمت هذه الموجة ارصفة الموانىء والقوارب فحولتها الى قطع صغرة شبيهة بعيدان الكبريت·

وتجاوز عدد ضحايا هذه الكارثة الـ٣٦٠٠٠ نسمة، وامحت ٣٠٠ قرية اندونيسية وتحطمت ٦٠٠ سفينة· وظل رماد الانفجار يحوم حول المكان طوال العام التالي محدثاً مشاهد مذهلة ومخيفة عند غروب الشمس·

مثل ملموس للنظريات - ويعتقد العلماء ان بركان كركتوا انفجر قبل ذلك في أزمنة ما قبل التاريخ وان انفجاره مرة اخرى مرجح كذلك· وقال لنا البروفسور فيليب اروفيل، استاذ علم طبقات الارض في جامعة ييل في الولايات المتحدة: "قد ينفجر بركان كركتوا على الأغلب مرة اخرى الا اننا لا نستطيع تحديد الزمن اذ يتعذر التنبوء باوقات انفجار البراكين ولكن من المحتمل ان تمر قرون عدة قبل حدوث اي خطر حقيقي"·

واذا انت وقفت اليوم على شواطىء كركتوا ذات الرمال السود المتلألئة صعب عليك التصديق ان الكارثة حلت هناك قبل اقل من ١٠٠ سنة· فالحياة النباتية مستمرة ولا يبدو انها صادفت عوائق، وترى رؤوس الاشجار في الغابة الاستوائية الكثيفة تشرئب الى علو ٣٠ مترا تقريبا· وهناك ايضا نباتات معترشة واخرى متسلقة الى جانب ازهار بيضاء مخرمة بينما تملأ الطيور الشجر والجو بتغريدها وتنسج العناكب، بيوتها لصيد الذباب والبعوض والنحل والدبابير ·

ولم تعد الى الجزيرة غير الحيوانات الدنيا التي تسعى فوق جذوع الاشجار المطروحة ارضا بحثاً عن طعامها كالورل وهو من الزحافات والاصلة وهي الثعابين الكبيرة·

ولكم دهش العلماء للسرعة التي عادت بها الحياة الى الجزيرة· فعلى رغم ان الأرض حرقت بل ان اجزاء منها خنقها الرماد الذي بلغت سماكته ٦٠ مترا، فقد عادت الحياة الى الجزيرة على نحو مذهل· فبعد انفجار البركان بأقل من سنة اكتشف أحد علماء النبات عنكبوتا صغيرا في الجزيرة· وبعد سنتين، اي في يونيو (حزيران) ١٨٨٦ انتشرت في الجزيرة انواع مدهشة من النباتات بما فيها ١٥ فصيلة من الزهور و١١ من فصائل

السرخس وفصيلتان من الطحالب.
وبفضل الرياح والتيارات البحرية والطيور، بل وربما بفضل الصيادين المحليين وعن غير قصد منهم، تساقطت البذور فوق ارض الجزيرة وبدأت تظهر اعداد متزايدة من الاعشاب والنباتات. وعقب ذلك مجيء الطيور والزحافات والحشرات من آفاق قصية إما طيراناً في الهواء وإما سباحة في البحر وإما ركوبا على متن اشياء طافية على سطح الماء من حطام السفن او حمولاتها. وبعد مرور خمسين سنة على الكارثة لا يلاحظ سوى الأثر القليل من الاضطراب الذي شهدته المنطقة. ويقول البروفسور اورفيل في هذا المضمار: "ان كركتوا هي مثال ملموس لقوة الطبيعة المحيية".

نهاية وبداية – واذا كانت كركتوا تبدو كالفردوس هذه الأيام الا انها غير مأهولة وان زائريها هم قلة، فالاخطار تحف بمراسي التوقف فيها وأرضها وعرة لا تصلح للزراعة والماء فيها مقصور على برك من مياه المطر كبريتية وكريهة الرائحة، كما ان سمك القرش لا يفارقها فضلا عن ان ماء البحر فيها داكن.

وقد تسلقنا منحدراً شديداً من الانقاض البركانية المتقلقلة فبانت لنا مشاهد على بعد ستة كيلومترات تقريبا عبر التجويف العميق الذي احدثه البركان في قاع البحر: كتل داكنة محترقة بلا لهب وخيوط نحيلة من الدخان والبخار تنساق عاليا حتى تمتزج بالضباب الجوي. انه "اناك كركتوا"، ابن كركتوا، المتصل بالجزيرة عبر الفجوات البركانية والصدوع في القشرة الارضية التي ولدت البركان الأب. ولقد دفع "اناك" برأسه المتبخر فوق سطح مضيق سوندا عام ١٩٢٨ بعد مرور ٤٥ سنة على الكارثة، وتزايدت نشاطاته العنيفة احيانا منذ ذلك التاريخ. وقد بلغ علوّه ١٥٠ مترا وله فوّهة ثانية تشكلت حديثا وانطلقت منها سلسلة من الانفجارات الا ان العلماء لا يشعرون بوجود خطر انفجار آني في هذا البركان الصغير ولكنهم من قبيل الاحتياط، حذروا من الاقتراب من "منطقة امن" تبعد ثلاثة كيلومترات عن "اناك"..

إن لهذا التجاور العجيب بين السلام والوحشية وبين القوى المدمرة والبناءة جمالا غريبا يتيح للمرء القاء نظرة خاطفة وفريدة على ما في الكون حيث تمخضت القوى التي تتجاوز ادراك الانسان عن شيء فريد وهش في آن هو الأرض.

ان كركتوا هي رمز نهاية الزمن وبدايته.

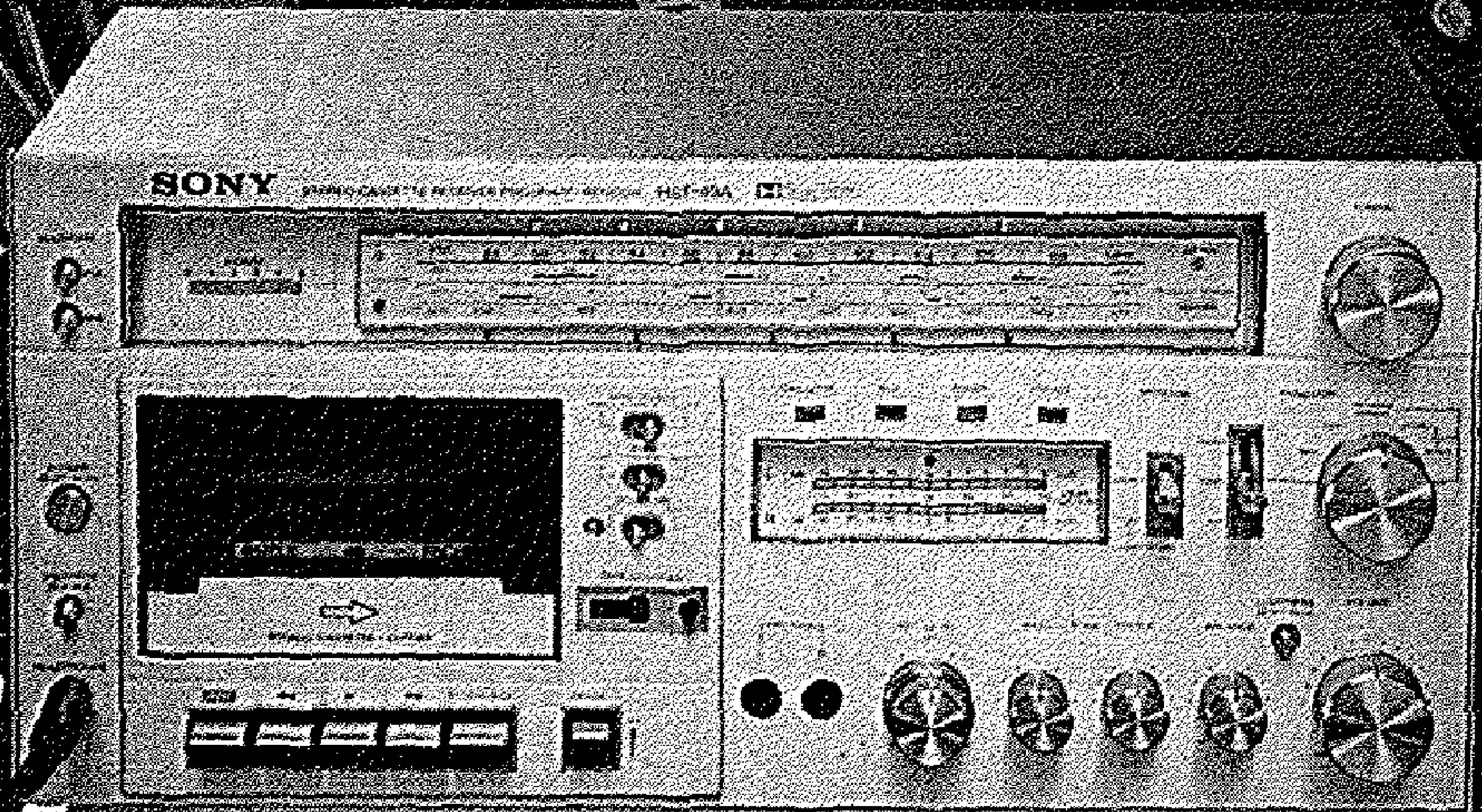
■ اميلي وبير اولا دولير

موناليزا

اعلان في معرض لبيع اللوحات الفنية في سيدني (اوستراليا):
الموناليزا، لوحة ليوناردو دافنشي. السعر ١١ دولارا. ملاحظة: نسخ غير اصلية.
(صحيفة "مورننغ هيرالد"، سيدني)

سوني
SONY

DR-S5



HST-49A

مسجل الدك الجبّار

آلة سوني الستيريو "العالية الطاقة"

لقد جمعت سوني جميع الميزات في مسجل الدك HST-49A الجبّار هذا.

طاقة مكبرات الصوت ١٠ ١١ واط وراديو ٤ موجات (إف إم، متوسطة، قصيرة ١، قصيرة ٢) وكاسيت ستيريو مع نظام دولبي* وضعوا جميعاً في وحدة مندمجة أنيقة.

حاسس البرامج من سوني يجعل البحث عن المحطة سهلاً. فقط إضبط مرة واحدة عشر من محطاتك المفضلة على الموجتين إف إم والمتوسطة فيضعك الحاسس عليهم أوتوماتيكياً مخزناً في الوقت نفسه المحطات الباقية. يمكنك مراقبة الطاقة على جهاز HST-49A بواسطة لمبات LED التي تعرض أمامك أفقياً وبألوان زاهية خرج الطاقة بدقة فائقة. ويمكن "للدك الجبّار" أيضاً تسلم مهام آلة الأسطوانات أيضاً بإضافتها إليه فتصبح مجموعتك السمعية كاملة.

* دولبي هي ماركة مسجلة لمختبرات دولبي

HST-49A

لم يبلغ من قبل عدد الذين يدركون معنى "العصاب"، او الاضطراب العصبي، لدى الآخرين ما بلغه الآن. ولم نلحظ في الماضي ما نلحظه اليوم من توق الى مداواة هذا الاضطراب. ولكن ربما غاب عن اذهاننا ان "الكآبة ليست مرضا"

الكآبة ليست مرضًا

كان المرء في الماضي، اذا ما وقف مكتئبا امام نافذته او تنافر غضبا مع زوجته او اغلق الباب بعنف وصخب او مشى وحيدا ابتغاء التنزه، لا يجد المحبين يتسابقون الى نجدته وتزويده بالعلاج النفسي الاولي. ولم يبلغ الناس في الماضي مقدارا من البلاهة والسخافة يحملهم على الاعتقاد بلزوم البرهان في كل ساعة على سلامة عقولهم.

وفي اختصار، كان لدينا في الماضي حس بان الاستياء والسخط والقنوط، وحتى الاخفاق، هي اطوار طبيعية، وان التشاجر بين الزوجين او بين الآباء والابناء امور يتعذر اتقاؤها، وان الله لم يوجد الانسان لكي يكون مرتاح البال من ناحية القضاء والقدر او في مأمن تام من ناحية الكيمياء العضوية. وبالفعل، فمن ابرز علامات الصحة على وجه الضبط ان يقوى الانسان على تحمل الكآبة عندما يبررها الواقع - دونما احتياج الى التأويل والتسويغ.

اما الان فقد تغيرت جميع هذه المفاهيم. المفرطون في التفاؤل يصرحون بان حال الاستياء ليست امرا ضروريا ولا طبيعيا، بل ليس لها اي علاقة بنفسية الفرد الامريكي. ولذلك تساورنا الحيرة عندما ينعتوننا، من جهة، باننا مصابون بالعصاب، بينما يجهد المتفائلون المتحمسون انفهسم من جهة اخرى، في محاولة "التهوين" علينا.

عبيد الدوافع - ويعد هذا الوضع شيئا جديدا في التجربة الانسانية. فمنذ ثلاثين سنة لم يكن احد يعترض

على حق المرء في الكآبة، ذلك لان الناس كانوا ينظرون الى السعادة كنعمة من النعم، لا ككفالة تعطى على سبيل التأمين.

فكان يؤذن للمرء مثلا، ان يتألم او ان يتعرض لنوبات الغضب، او ان يجد في طلب العزلة من غير ان يتناوله الاخرون بالتحليل، والتعليل والتساؤل. اما اليوم فلم يعد المزاج مزاجا، بل اصبح "دلالة" على الاعراض النفسية حسبما يظنون. كما وان الاحباط لم يعد يعتبر احباطا، وانما اصبح دلالة على "استسلام" العقل اللاواعي للاخفاق". وهكذا تجردنا من المشاعر، واصبحنا عبيد "الدوافع".

وانا على يقين من ان عدد الذين يلمون بمصائب الاخرين لم يبلغ، في اي وقت مضى، ما بلغه الان، كما يدل على ذلك اكتظاظ الوسط الاجتماعي برطانة التشخيصات المرضية والعظات العلاجية. فالاصدقاء يخلطون بين الكآبة والمرض وبين الانزعاج الطفيف والسويداء. ولا اود ان يساء فهمي: فانا لا اتوجه بانتقادي الى الطب العقلي او التحليل النفسي في ذاتهما. فوظيفتها - وهي وظيفة مفيدة ولا شك - تقوم على محاولة شفاء المريض الحقيقي. لكن ما اردت ان اندد به هو تلك "الكليشيهات" العامة المبتذلة التي تذهب الى استنتاج ان المرء اذا لم يغمره الابتهاج والمسرة، فمعنى ذلك انه يشكو من علة في نفسه وكذلك تلك البلاهة التي تزعم ان كل من سبق له ان راجع طبيب الامراض العقلية او طالع ثلاثة كتب في التحليل النفسي، فقد حق له ن يقرر من هو المريض وما هي التعاويذ التي يجب التوسل بها لشفائه.

عارض زائل - واذا تملك النفس الاسى، فهذا لا يعني بالضرورة انه محكوم عليها بالاخفاق. ولا بد للمرء من ان يتحلى بالتوازن والتناسق والصواب. فذلك افضل له من اللجوء الى التحليلات النفسية العاجلة. ويجدر الاقتناع بان الانزعاج النفسي ليس سوى عارض زائل. وبان زوال بعض الحالات قد يستغرق فترة من الزمن، وبان الامور لا تستلزم جميعها التحليل والتفسير. ولعل هذه الطريقة اوفق كثيرا من التدخلات الاعتباطية لتقرير وسائل الانقاذ. ولكم نخطىء التفكير اذ نتصور ان واجبنا المقدس يدفعنا الى "تفهم سريرة" الاخرين. فليس هذا سوى ضرب من الهراء وذلك لان الاخرين يعانون مشكلات كثيرة لا حصر لها، ولاننا لا نستطيع الدخول الى اعماقهم وكشف طواياهم، بمن فيهم اولئك الذين نعرفهم حق المعرفة. ويكفينا علما بان كل فرد منا كثيرا ما يعوزه التفكير السليم او تعتريه فظاظة الكلام، او يتملك منه الحمق او الغضب او الجور. ولا شك في انه، بدلا من التساؤل عن مسببات هذه الانفعالات، احرى بنا ان نتجنب تسبيبها للاخرين.

وكثيرا ما يغتر الشباب بعدد السنين التي احملها على كاهلي فيحسبونها حكمة، او بطول قامتي فيخالونه نضجا. ومن ثم يتوافدون علي طلبا للنصح والارشاد. فلا يسعني الا ان اردد عليهم تلك الحقائق

البدهية القديمة التي ترشح من معظم الخبرات، فاقدم للزوج الغزل الظريف او للزوجة التي تحب وضع النقاط على الحروف اللذين لا يعرفان النوم من جراء تشاحنهما او بسبب الاكتئاب، النصيحة الآتية:

حاول ان تحب زوجتك، وحاولي ان تحبي زوجك. واتركها (اتركيه) وحيدا (وحيدة) لبرهة من الزمن. وليمتنع احدكا عن التطفل على الحالات النفسية الخاصة بالآخر. وان هذا لا يعني بالضرورة ان الواحد منكما يكره الآخر. فلا مبرر ابدا لنقل الاخر على الفور الى عيادة الامراض العقلية.

على كل انسان ان يحمل نفسه على الاقتناع بانه مخلوق ينقصه الكمال. ويجب ان نتنازل عن حلم طفولتنا بان المرء الذي ينعم بالحاضر سيظل سعيدا مدى الحياة. فالحياة، حتى بالنسبة الى اكثر الافراد نجاحا وانضباطا، تنطوي على واجبات مملة واعمال رتيبة منفرة. والسعادة ليست وضعا عاديا شائعا، وانما هي حالة نادرة. وليس النعيم - باستثناء لحظات عابرة - سوى بدعة من الشعراء يستمسك بها العصابيون الاصيلون. اما اذا ما صرفنا مقدارا اقل من الوقت في البحث عن "المزاح"، فلا بد من ان تتضح لنا المكافآت المتناهية والموارد الكامنة في طوايا نفوسنا المستعدة لتقبل الخيبة او تعثر الرغبات، فننعم بالطمأنينة والاكتفاء من خلال العزلة والتأمل.

■ ليو روستن

ليو روستن مؤلف عدد من الكتب، ابرزها: "قوة الهراء الايجابي"، "اناس احببتهم"، "اصحاب الشهرة او أهل الاعجاب".



عقاب أليم

حكم على ناقد في موسكو بحسم ٤٠ في المئة من راتبه و"اعادة تثقيفه" لمدة ستة اشهر لرفضه الوشاية على صديق الى الشرطة السوفييتية المختصة في الشؤون الادبية. ويقال ان هذه العقوبة خفيفة نسبيا، ولكن ما الذي يترتب عليها عمليا؟

اذا اجبر المذنب على الا يقرأ سوى كتابات المؤلفين السوفييت المعترف بهم - وهي كتابات من الطواعية بحيث صمدت خمسين سنة في وجه حملات التطهير المتعاقبة والمتضاربة - فستتلازم في ذهنه فكرتا "القراءة" و"العقاب" تلازما دائما. واذا منع من قراءة اي كتاب على الاطلاق، فسينزع الى الاعتقاد بان ليس هناك ادب جيد في بلاده. وفي كلتا الحالين، لا بد من اعادة تثقيفه من جديد. ويمكن، بالطبع، ان يسمح له بقراءة خطب نواب اوروبا الشيوعيين حول الحق المقدس في حرية التعبير. ولكن الن يكون ذلك كله عقابا شديد القسوة؟

اندريه فروسار (جريدة "الفيغارو"، باريس)

كلما كانت شمعات الأشعال جَديدة تحسّن انطلاق السَيارة

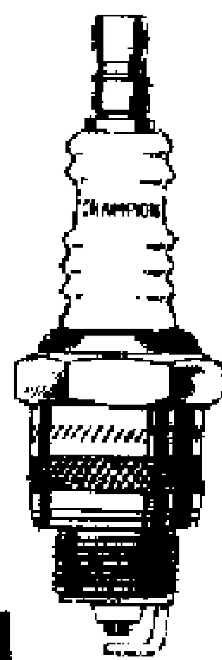
- كيف تؤثر شمعات الاشعال (البوجيات) البالية في انطلاق المحرك؟
- الامر بسيط: في الطقس الرطب او السيء، يتعسر اشعال الشمعات البالية. وفي الطقس البارد يستلزم اشعال الشمعات البالية مقدارا اكبر من الجهد الكهربائي، بينما يقل تجاوب المشعلة. فاذا كان الطقس باردا او رطبا، او كليهما معا، فاحرص على تركيب شمعات "شامبيون" جديدة، تأمينا لانطلاق المحرك.
- ولماذا تبدل شمعات "شامبيون" بالشمعات البالية؟
- ذلك لعدة اسباب: لان معظم صانعي السيارات في العالم يفضلون شمعة اشعال "شامبيون" على سواها من الاصناف. ولانها اكثر شمعات الاشعال استعمالا في بطولة سباق السيارات العالمية.

بالاضافة الى انها الصنف الرقم ١ الذي يباع في العالم. فعندما تحتاج الى شراء شمعات اشعال، كن على ثقة بان "شامبيون" يصنع شمعات ملائمة تماما لسيارتك.

وبالتالي، فاذا شئت ان تتجنب مشكلات الانطلاق، غير شمعات الاشعال مرة على الاقل كلما قطعت سيارتك مسافة تراوح بين ١٢٠٠٠ و١٦٠٠٠ كيلومتر. وركب شمعات "شامبيون".

فهي الشمعة التي يفضلها معظم سائقي السيارات في العالم.





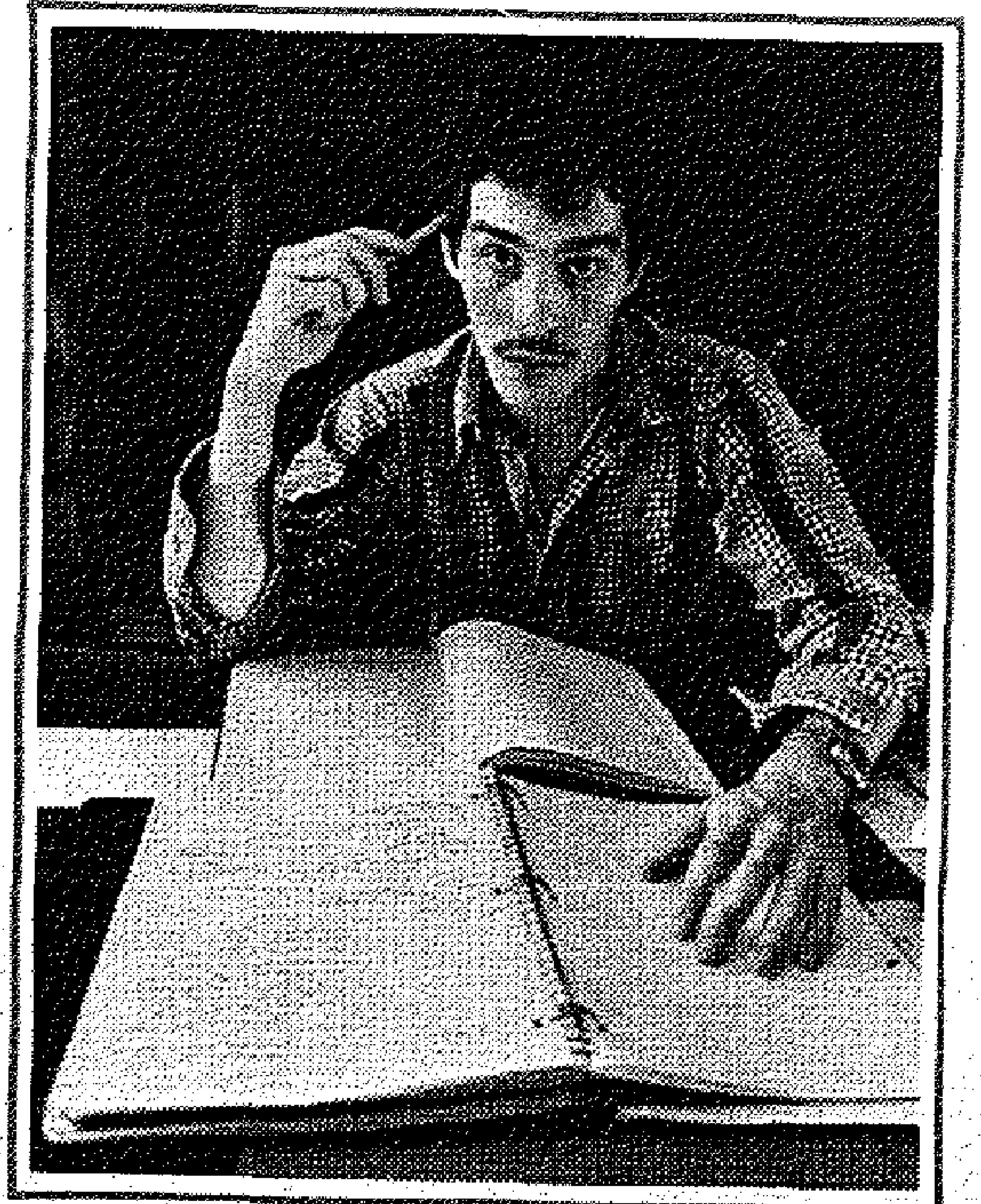
البائع العالمي رقم ١



قصة طالب كسول نجح في تصميم قنبلة ذرّيّة!

ليس ضروريا ان تكون لامعاً لتصمم قنبلة ذرية

الجو مكتئب والارض موحلة. في برنستون، اذا توقف تساقط الثلج في فصل الشتاء، ذاب ما على الارض نصف ذوبان، وتحولت الساحات الى مستنقعات موحلة. بتّ في اشدّ الكآبة، درجاتي تصلني بالبريد وقد ارفقت لائحة الدرجات الضعيفة التي رسبت فيها بملاحظة من العميد تقول



انني وضعت قيد التجربة، وبانني سأطرد من الجامعة اذا رسبت في مادة أخرى.

بعد ذلك صرت استسيغ جميع مواد الدراسة وصارت على مرّ ايام الفصل، تثير اهتمامي. كانت احداها مادة الشؤون العامة الرقم ٤٥٢ او استراتيجية الاسلحة النووية والرقابة على التسلح. وكنا ثمانية طلاب موجهين الى مناقشات مكثفة حول القدرات المتصارعة وحول... سيناريو نهاية العالم.

كان فريمان دايسون، العالم الفيزيائي البارز، الشديد الاهتمام بقضايا الرقابة على التسلح، يصف "الآثار المباشرة لانفجار ذري" بتفصيل مروّع. فيسود الصمت الغرفة، ثم يقول هال فيفسون، رئيس المجموعة، متسائلا:

"سبعة كيلوغرامات فقط من البلوتونيوم كافية لصنع قنبلة ذرية غير مصقولة (اي في حال "خام"). وما يشحن من البلوتونيوم في البلاد كل سنة، كاف لصنع الالوف من هذه القنابل الذرية. لنفترض الان ان احدى الشحنات سرقت وفجّرت بعد اسبوعين قنبلة "خام" في نيويورك وقضت على مئة الف شخص ثم وجهت مجموعة ارهابية انذاراً للرئيس باحداث تفجير آخر اذا لم تتحقق مطالبها السياسية. ماذا يستطيع الرئيس ان يفعل؟"

"لن يحدث ذلك" قال احد الطلاب. ثم قال آخر: "يجب ان يكون الانسان لامعا ليتمكن من تصميم قنبلة ذرية". وأضاف ثالث: "هذا يكاد يكون مستحيلا".

والسؤال المطروح الآن: هل الامر كذلك حقا؟ لنفترض ان طالبا عاديا في الفيزياء، او دون المستوى العادي، مثلي، استطاع ان يصمم بنجاح قنبلة ذرية على الورق. فمن شأن هذا ان يثبت لحكومة الولايات المتحدة انه لا بد من اتخاذ احتياطات اقوى في شأن خزن البلوتونيوم. يجب علي ان اصمم القنبلة الذرية في أقل من ثلاثة اشهر لتقديم التصميم لبحث اكاديمي خلال سنتي الثالثة. ثم ان دائرة الفيزياء تشترط ان يكون لي، في ذلك، استاذ مشرف. ولكن، من يقبل بمثل هذا العمل الطائش؟ الا اني سألت فريمان دايسون، فرد متسائلا:

- هل أنت جاد؟

□ كل الجد.

- هل تدرك ان التزاماتي الامنية تجاه الحكومة تمنعني من تزويدك بأي معلومات تزيد عما هو موجود في مكتبات العلوم الفيزيائية؟

□ اجل يا سيدي.

- هل تعلم انك ستكون وحدك بعد ان ارشدك الى الطريق الصحيح.

□ طبعا.

- حسنا. سأزودك بلائحة كتب توجز لك المبادىء العامة التي ينبغي ان تعرفها.

وانطلقت الى دائرة الفيزياء لتسجيل الموضوع:

كيف تصنع قنبلتك الذرية

جون ارسطو فيليبس

الاستاذ المشرف: الدكتور فريمان دايسون.

وسرت أنا وصديقي ديفيد الى نادي برنستون المسرحي للتدرب. لقد كنا آنذاك في أوج الانتاج المسرحي لموسم الربيع، نعمل على انتاج مسرحية "مال السفاح" التي تتناول فترة منع انتاج الكحول وبيعها بين عامي ١٩١٩ و١٩٣٣. وفي نهاية الفصل الاول كان جمهورنا المؤلف من مجموعة صاخبة من الناس المضطربين مضطرا لتمثيل دور بنات الجوقة في محاولة لقتل عضو عصابة، مجرم. وكان المفروض ان يؤدي المشهد التقليدي الذي يقدمه رجال يرتدون ملابس نساء ويرفعون سيقانهم المغطاة بالشعر والنثار المعدني، الى ردة فعل حماسية لدى الحضور.

ومع تطور عملي التمهيدي في مشروعي الاصلي اخذت اجابات فريمان لي تزداد براعة وابهاما. وقصدت واشنطن وبحثت عن التسجيلات المنشورة لمشروع "لوس ألاموس". وفي القسم الوطني للمعلومات التقنية وجدت شروحا تقنية مفصلة بدقة للمشاكل التي تغلب عليها العلماء الذين صنعوا القنابل الذرية الاولى. واكتشفت ايضا نسخة عن نص اعطي للعلماء الجدد الذين انضموا الى المشروع في ربيع ١٩٤٣. وكان هذا النص يوجز بعناية جميع الحقائق المعروفة عن التفجير الذري في اوائل الاربعينات. كانت هذه الوثائق قد نشرت بين عامي ١٩٥٤ و١٩٦٤، وكان ثمنها كلها ٢٥ دولارا.

"هذه الوثائق تساعدك باكثر مما استطيع ان اساعدك به أنا" قال لي فريمان دايسون حين عرضتها عليه. ثم أضاف: "انني اتوقع منك ان تنجز مشروعك خلال خمسة اسابيع". كان متأثرا جدا. ان ردة فعله بالنسبة الى الوثائق لا يمكن ان تعني الا شيئا واحدا هو انه يعتقد ان حصولي على

قسيمة اشتراك

اشترك في المجلة التي يقرأها أكثر من ١٠٠ مليون في ١٥ لغة

املأ هذه القسيمة وارسلها مرفقة بالقيمة المطلوبة الى "المختار" فتصلك المجلة فوراً. (الرجاء كتابة الأسم والعنوان بالعربية والاجنبية).

الأسم .... NAME
العنوان .... ADDRESS
....
....
المهنة .... PROFESSION
التوقيع .... SIGNATURE

أود الاشتراك في "المختار" لمدة سنة كاملة
أرفق قسيمة إشتراكي بشيك مصرفي بأسم:

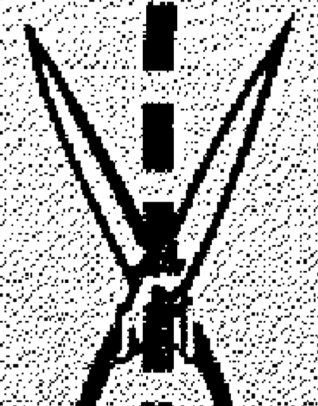
AL MUKHTAR min Reader's Digest

قيمة الاشتراك السنوي بما فيه بدلات الارسال الجوي:

☐ أوروبا وشمالي افريقيا	٢٢ دولاراً أمريكياً
☐ البلدان العربية	٢٥ دولاراً أمريكياً
☐ الولايات المتحدة - كندا وامريكا الجنوبية	٢٧ دولاراً أمريكياً
☐ أوستراليا والبلدان الأخرى	٣٠ دولاراً أمريكياً

عنوان "المختار":

AL MUKHTAR min Reader's Digest
37, Avenue George V, 75008 Paris, FRANCE

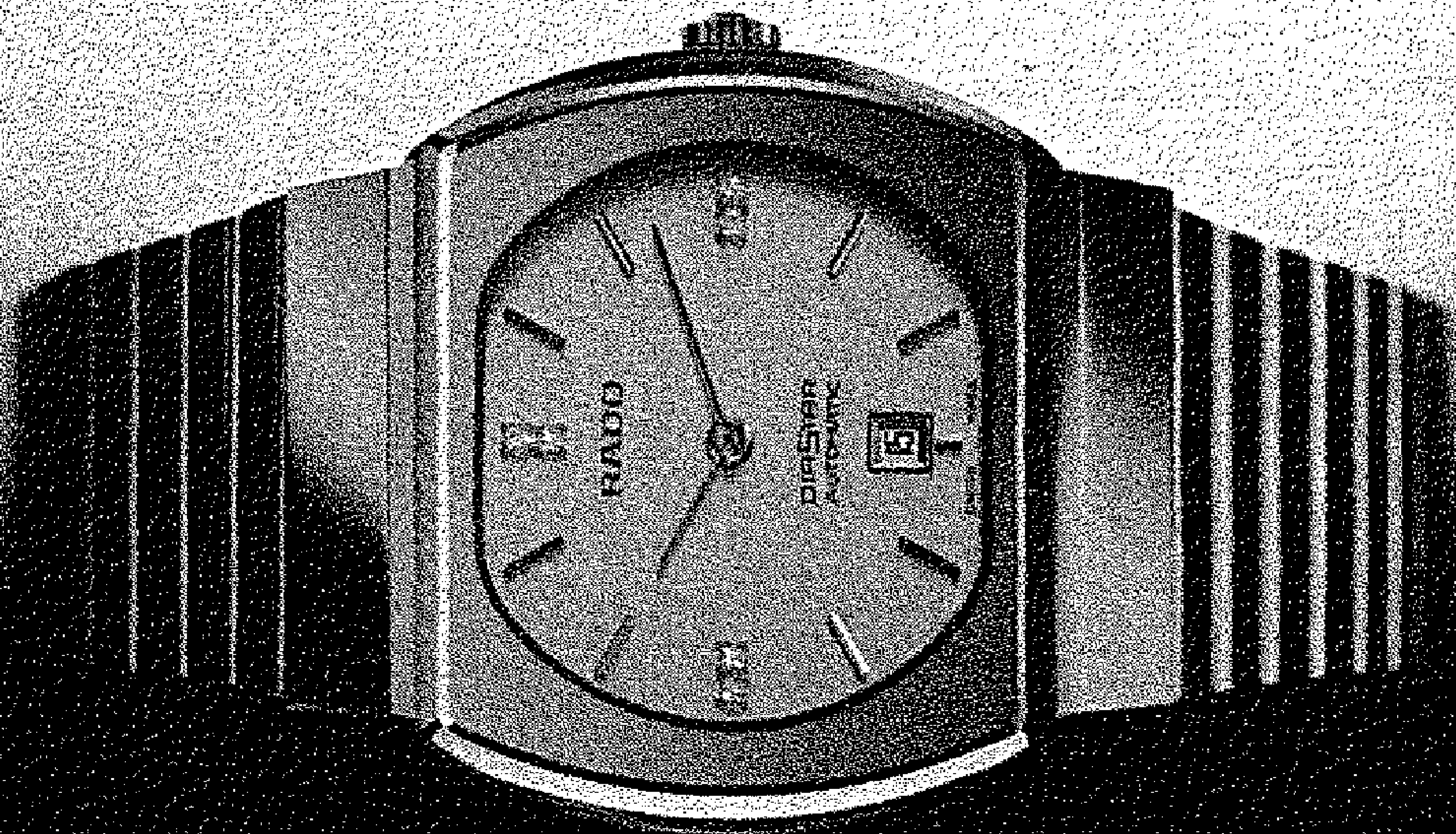


ذوق واناقة ... رادو بدون منازع

الذوق مرادف للجمال ...
والجمال مفهوم مطلق ... انه أكثر من انسجام بين اللون
والشكل. الجمال في مفهومه الحقيقي يعني الكمال في البساطة والوضوح في التصميم والمظهر.
لكن ماذا يعني الجمال اذا لم يكن دائماً؟
هذا هو السبب الذي دفع رادو للعمل بنشاط وجد كبيرين لتحقيق كمال "دياستار" في
مقاومة الخدوش. فاطارها المصنوع من المعدن الصلد وغطاؤها المصنوع من الياقوت الأزرق كلاهما
مقاوم للخدوش يحفظان لها مظهراً جديداً اليوم ... غداً ... وكل يوم
لاغرابة إذاً أن تكون "رادو دياستار" ساعة يفتخر بحملها الجميع في كل مكان. إختبر ذلك بنفسك
وجرّب "رادو دياستار" الدقيقة المقاومة للخدوش.

RADO رادو

آفاق جديدة في صناعة الساعات.



هذه الوثائق من شأنه ان يوفر لي فرصة حقيقية للوصول الى تصميم ناجح. كنت اعلم انني سأنجح. ولكن كيف؟

الانسان الارهابي! - حاول ان تتخيل قنبلة ذرية. في الوسط قطعة بحجم الكرة الصغيرة تحيط بها قطعة من نوع آخر بحجم ثمرة الكريب فروت. وحول هذه الثمرة غلاف صغير واق عاكس، تزنره سلسلة من المتفجرات العنيفة التي تنسف بتيار كهربائي. ان ترتيب هذه المتفجرات هو من اشد اقسام القنبلة تعقيدا، ومن دون هذا الترتيب الصحيح، والمتفجرات الملائمة، يكون التصميم الذي اضعه عديم القيمة.

الطاولة التي اعمل عليها مغطاة بالكتب والآلات الحاسبة وورق التصميم والملاحظات. وكيس نومي ملفوف على الارض.

لقد انقطعت عن الذهاب الى الصف، وصرت اعمل ليل نهار.

كنت انظر الى كل مشكلة من وجهة نظر الانسان الارهابي. ينبغي ان تكون القنبلة غير مكلفة، بسيطة التصميم، صغيرة الى حد كاف بحيث لا تلحظ في السيارة. وفي احيان اخرى كنت اضع نفسي في مكان علماء لوس ألاموس، انفذ بدقة ما ورد في الوثائق التي اشتريتها في واشنطن، واصمم القنبلة بالطريقة نفسها، عاملا على تنفيذ كل جزء على حدة. حسنة واحدة اشارك فيها الامم التي طورت القنبلة بعد الولايات المتحدة هي انني اعرف انها ممكنة التحقيق. كنت اجمع قطع لغز سبق حله. ولكن القطع اللازمة كانت لا

تزال غير متوافرة واذا ما تيسرت لي أية قطعة كنت املأ ابريقي بالقهوة واجلس باحثا عن موقعها المناسب.

لم يبق امامي غير اسبوعين.

كنت ارتكب ابشع الاخطاء في التدرب على التمثيل. وكثيرا ما كنت افكر في مشكلة اواجهها بالنسبة الى القنبلة غير متنبه، الا بعد فوات الاوان، الى دوري على المسرح. هنا كان التفكير في طريقة نجاح علماء لوس ألاموس في توليد صدمة التفجير المتناسقة، يتقدم، من حيث الاهمية، على التفكير في المسرحية. وكان جميع الممثلين، باستثناء ديفيد العارف بقضية القنبلة، يظنون انني فقدت صوابي.

وقبل سبعة أيام من موعد تقديم التصميم كانت قضية التفجير ما تزال عالقة. فهل استطيع انجازه في الوقت المناسب؟ وان عثرت على الحل كان علي نسخ التصميم على عدد لا يحصى من صفحات الرسم، مبرزا كل جزء من زوايا مختلفة. ثم ان الامر الاهم من تصميم القنبلة الذرية هو انني موضوع قيد التجربة. فاذا رسبت أو لم أنل درجات عليا بالنسبة الى المشروع فان النتيجة ستكون ترك برنستون الى الابد.

عقدة التفجير - تدريب مسرحي في بزات سباحة زرقاء مزينة بنثار معدني، وبزات فضية ضيقة محكمة. جوقة "الفتيات" ذوات السيقان المغطاة بالشعر والاذرع المتشابكة تميل الى اليمين تارة والى اليسار طورا. خطوة، فرفسة، القدم اليمنى، القدم اليسرى... واحد، اثنان، ثلاثة، رفسة... انها المرة الاولى التي مثلنا فيها هذا الدور بكامله، وقد وقف سائر الممثلين على الجانبين يضحكون. شيء ما في الطرف الادنى من عيني يمر امام بصري. يا للعنة. نصف صدري المطاطي خرج من رأس بزة السباحة، واخذ يتموج على صدري، معلقا بخيط مرن قابل للتمدد. لعنة الله.

خطوة الى اليمين. رفسة... خطوة الى اليسار، رفسة... الرفسات العالية بدأت واخذنا نتجه نحو مقدم المسرح باذرع متشابكة. اثنتا عشرة ساقا يمنى عرجاء مكسوة بالشعر ترتفع كالقوس في النور الساطع. ثم تتبعها السيقان اليسرى في ارتفاع ايضا، على ان الرفسات كلها في مستوى واحد، وزمن واحد. انتظر دقيقة! حركة الانفجار. قد يكون هذا مفيدا. هل يعقل ذلك؟ نعم. خطوة، رفسة، خطوة. نعم. انها الحركة.

الساعة تشير الى منتصف الليل. موعد تقديم المشروع الساعة الخامسة بعد الظهر، اي: لا تزال امامي ١٧ ساعة. قد تكون فكرتي الجديدة عن الانفجار صحيحة ولكنني لا زلت اجهل طبيعة المتفجرات بالضبط.

الساعة العاشرة صباحا، لحظة الحقيقة. اتصلت هاتفيا برجل سأدعوه إس. إف. غريفز، رئيس قسم المتفجرات الكيميائية في شركة ديبون في ديلاوير. توقفت لحظة لكوني أعرف انني لن أجد لديه ما أريده اذا قلت له على الفور انني اصمم قنبلة ذرية. لذا قلت له: "انني اقوم ببحث حول صنع منتوجات متفجرة تحقق كثافة عالية جدا في معدن كروي الشكل".

- فهمت. قال.

☐ هل تستطيع اقتراح مادة ديبون تناسب هذا العمل؟

- بالطبع. لم أحس انه كان مرتابا لكنني قلت له لخداعه: "ان احد اساتذتي قال لي ان قشرة متفجرة بسيطة تفيد في هذه الحالة".

- كلا. كلا. لا أظن. انني اعتقد ان "..." (وذكر اسم المادة) يحقق هذه المهمة.

☐ حقا؟

- أجل. هذا المتفجر يتضمن خصائص اشتعال معينة مناسبة تماما لخلق موجة تفجير كروية".

ووضعت سماعة الهاتف، وتنهدت. انا لا اصدق. ان السيد غريفز من ديبون سيعطيني ما احتاج اليه بالضبط. لم يبق علي الا ان اطبع ما تبقى من التقرير قبل الخامسة.

امامي خمس دقائق فقط. اسرعت على السلم متسلقا درجاته ثلاثا ثلاثا. وما ان دخلت مكتب دائرة الفيزياء حتى حدّق بي الجميع. "هل موسى الحلاقة عندك مكسورة ايها الشاب؟" سألتني سكرتيرة الدائرة.

☐ جئت اقدم تقريري عن عملي. لم يكن لدي وقت للحلاقة آسف.

- هكذا؟ ونظرت الي ببرود.

تقدمت من درجها حاملا تقريري البالغ ٣٤ صفحة بعنوان: "دراسة حول المشاكل والامكانات التي تواجه مجموعة ارهابية، او دولة غير ذرية، تحاول تصميم قنبلة متفجرة خاميو - ٠٢٣٩" ووضعت التقرير في اسفل كومة من التقارير آملا بذلك ان اخفي العنوان عن الطلاب الآخرين.

وفجأة شعرت بدوار، عنيف

وانحنيت انحناءة كبيرة امام السكرتيرة ثم قلت لها بلهجة بريطانية جازمة "ان الفارس ذا الذقن الشائكة يودّع السيدة السمينة المؤخرة". لم ادر من أين جئت بهذا الكلام لكنه كان في الواقع مدعاة دهشة زملائي الآخرين الذين كانوا ينظرون اليّ ببلاهة. وسمعت احدهم يغمغم: "ضاع صواب فيليبس".

في تلك الليلة حققت تفوقا في التمثيل.

وبعد اسبوع رجعت الى دائرة الفيزياء لآخذ تقريري. كنت مرهقا نتيجة التأثيرات النفسية التي تنزل بالشخص بعد تجرع الكثير من الكحول. وبعد التمثيل اربع ليال متوالية، وحفلات متواصلة تعقب التمثيل. كنت احس بدماغي وكأنه زبدة ذائبة وجسمي كفراش لم يرتب. وكانت هناك فكرة تلاحقني: انني سأرسب اذا اخطأت في التصاميم او في موجة التفجير.

وتطلعت السيدة ذات المؤخرة السمينة اليّ من خزانة ملفات ثم وقفت جامدة. ونظرت حولها خلسة، ثم حدّقت بي وسألتني بصوت ناعم جداً:

- ألست انت جون ارسطو فيليبس؟

☐ أجل. أصغي الي: اعتذر عما جرى في ذلك النهار. يبدو انني كنت شديد الارهاق بسبب العمل.

- ألست انت الشاب الذي صمم القنبلة الذرية؟

☐ نعم. وتقريري؟...

وتنهدت تنهدة عميقة ثم قالت: "لقد اثارت الدائرة مسألة ما اذا كان يجب تصنيف تقريرك شأنا سريا".

☐ هل تعنين انني لم أرسب؟ هل نجحت؟

- نعم. بكل تأكيد. آه مني.

وفركت يديها وقالت: "ألم يبلغك النتيجة أحد؟"

☐ كلا. ما هي؟ ماذا؟

- لقد نلت احدى ارفع الدرجات في الدائرة. الدكتور دايسون يبحث عنك في كل مكان. رفاقك لا يعرفون اين يجدونك؟

☐ كنت أركب دراجتي النارية.

- هذا خطر جداً. أليس كذلك؟

وأضافت مازحة: "لا نريد لنجمنا في دائرة الفيزياء ان يصاب بأذى. أليس كذلك؟"

نجم؟ يصاب بأذى؟ لقد أخذ الحديث كله يتجه اتجاها غير واقعي.

- سيجري احتفال في دائرة الفيزياء بعد ظهر هذا اليوم اننا نأمل في أن تحضره.

ان جنون هذا الوضع يصدمني. لقد سجلت على الورق مشروعا لصنع آلة تستطيع ان تقتل ألوف الناس. بينما كنت ارفع رجلي في الفضاء، في حين كان الخوف من الرسوب هو الذي يشغل بالي. وها انني الان نجم الدائرة.

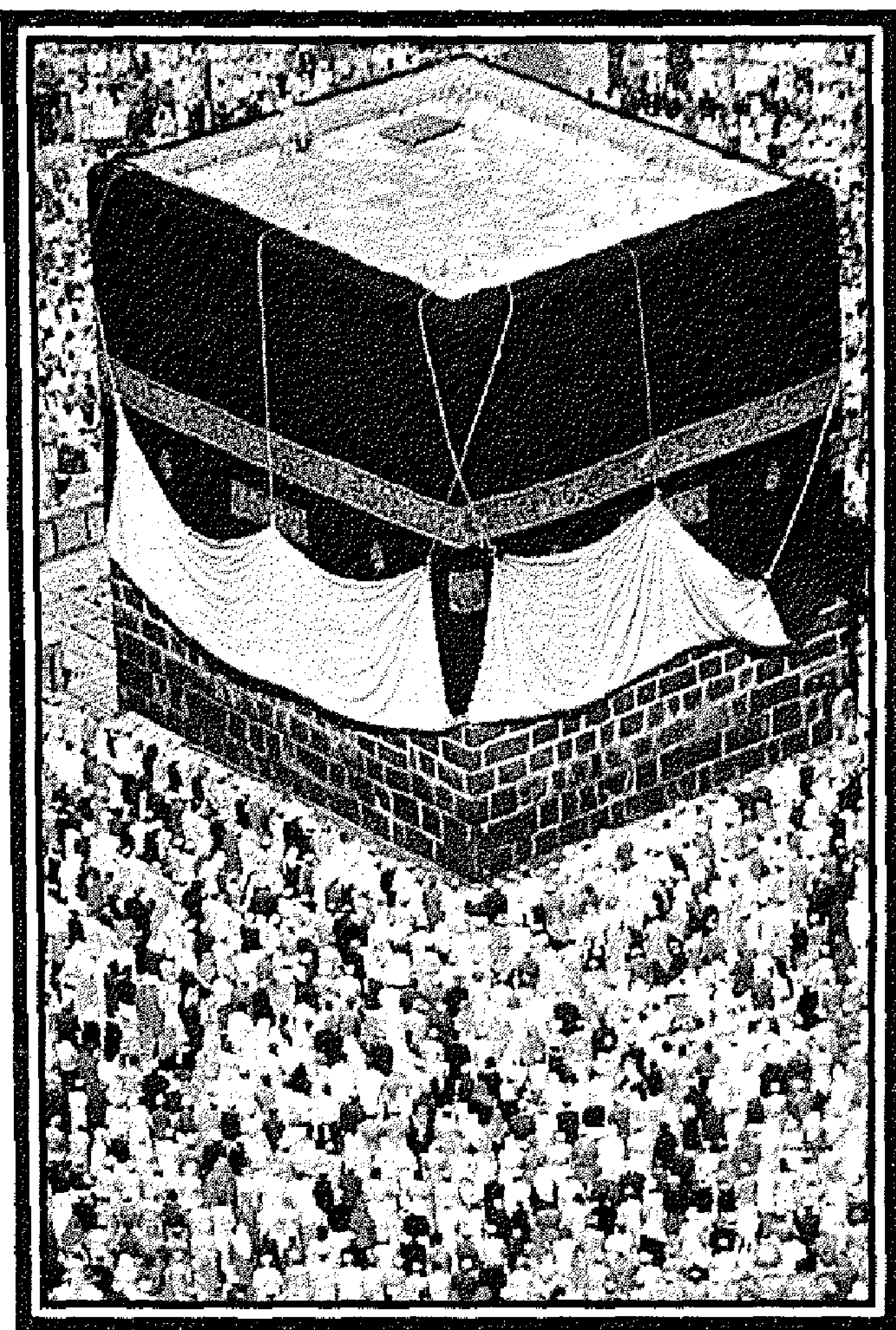
- احسب ان اقامة احتفال صغير امر مناسب.

قالت السيدة السمينة المؤخرة، وقد غمزت بعينيها.

يا للجنون!

■ **جون ارسطو فيليبس**
وديفيد ميخائيليس

تخرج جون ارسطو فيليبس في برنستون في يونيو (حزيران) ١٩٧٨، وبدأ زميله ديفيد ميخائيليس سنته الرابعة والاخيرة في خريف عام ١٩٧٨.



مكة المكرّمة قبلة الملايين

ص (٣٢)

لبنان ٤٥٠ق – سورية ٦٠٠ق – الاردن ٥٠٠ف – الكويت ٥٥ف – الامارات العربية المتحدة ٦د – قطر ٦ر – البحرين ٦٠٠ف – السعودية ٦ر – مصر ٥٠٠م – السودان ٥٠٠م – ليبيا ٦٥٠د – اليمن الجنوبية ٦ر – مسقط ٦ر – العراق ٦٠٠ف – تونس ٧٠٠م – المغرب ٣د – الجزائر ٧د – فرنسا ٧ف – انكلترا ٧٥ب – اليونان ١٠٠د – كندا وامريكا الشمالية ٢د

AL MUKHTAR *min* Reader's Digest October 79 N° 11

كتاب الشهر

لندبرغ

الطائر المنفرد

ملخص عن كتاب بقلم:
برندان جيل



لندبرغ الطائر المنفرد

في شهر مايو (ايار) عام ١٩٢٧، أصبح تشارلز لندبرغ أول طيّار يعبر المحيط الاطلسي منفرداً من دون توقف من نيويورك الى باريس (٥٨٠٠ كيلومتر)٠ ولقد كانت تلك الرحلة مغامرة جريئة لم يمح ذكرها حتى الان من خاطر العالم٠ وان يكن المغامر المقدام نفسه توارى من بعدها في ذمة التاريخ٠ وقد خصّ برندان جيل - بالتعاون مع أسرة لندبرغ - هذا الحدث الفريد بمجموعة من المذكرات الرائعة التي لا تتناول الرحلة التاريخية بمقدار ما تلقي الاضواء على شخصية ذلك الرجل الخارق الذي حقق هذا الحدث فتغيرت حياته على نحو مثير، بل تغيرت معه حياتنا اجمعين٠

ذلك اليوم الذي تغيّر فيه كل شيء من دون رجعة بالنسبة الى لندبرغ كان يوم الجمعة ٢٠ مايو (أيار) عام ١٩٢٧٠ ففي ذلك الصباح، أقلع تشارلز لندبرغ منفرداً في طائرة صغيرة بمحرك واحد، وانطلق بها من مدرج موحل في ضواحي نيويورك، حتى اذا ما سار كل شيء طبقا للخطة التي رسمها - وقد تعود تشارلز منذ طفولته الباكرة أن يبذل قصارى جهده لكي يجيء دائما كل شيء حسب خطط يرسمها - فسوف يكون هو أول رجل في التاريخ يطير من دون توقف من مدينة نيويورك الى مدينة باريس٠

وكان ريمون اورتيغ، الفرنسي الذي أثرى من صناعة الفنادق في نيويورك، يعرض على مدى سنوات عدة مكافأة مقدارها ٢٥٠٠٠ دولار لاول طيار يعبر المحيط الاطلسي في رحلة متصلة من دون توقف، بطائرة برية أو مائية (أثقل من الهواء) انطلاقا من باريس أو من شواطىء فرنسا الى نيويورك، أو بالعكس من نيويورك الى باريس أو الى شواطىء فرنسا٠

وقبل أن يبدأ لندبرغ رحلته بأقل من اسبوعين، انطلق أثنان من مشاهير الطيارين الفرنسيين من باريس بطائرتهما، ولم يلبثا ان اختفيا في مكان مجهول فوق المحيط الاطلسي المتجهم٠ وكان عدد آخر من الطيّارين حاولوا القيام بمثل هذه المغامرة انطلاقا من الجانب الامريكي، ولكنهم تعرضوا للفشل تلو الفشل، بل ان بعضهم كان نصيبه الموت٠ وكان العالم بأكمله يرى، من دون أن يشاطره لندبرغ هذا الرأي، أن حظ هذا الرجل في النجاح ضئيل وأن احتمالات فشله عالية الى درجة مأسوية محزنة٠ وما ان تحرّكت "روح

سانت لويس" فوق المدرج تنوء بثقل الوقود الذي تفوق كميته كل ما سبق لها أن حملته، حتى أجمعت التقديرات على اعتبار لندبرغ في وضع خطر يكاد يكون ميؤوسا منه.

ولكم يستحيل علينا اليوم ان نتصور قلة احتمال نجاح محاولة لندبرغ في نيل جائزة أورتيغ. ذلك ان مغامرة الطيران من دون توقف من نيويورك الى باريس عبر الاطلسي قد اصبحت عملية عادية لا تستغرق أكثر من بضع ساعات في الهواء، حتى أننا لم نعد نفكر اطلاقا في الاشارة الى أنها تتم "من دون توقف". منها ان العمل الرائع الذي حققه لندبرغ بمزيج من الذكاء الفائق والارادة الفولاذية، قد أصبح أمرا عاديا يقوم به الملايين من الناس بانتظام، من دون أن يكلفهم من الذكاء أو الارادة أكثر من شراء بطاقة السفر واعداد الحقيبة.

وبعد انقضاء ٥٢ عاما على رحلة لندبرغ، تثبت الاحصاءات على نحو قاطع أننا نتعرض أثناء ذهابنا في سياراتنا الى المطار لمقدار من الخطر يفوق بكثير ما نتعرض له أثناء الطيران. فنحن ندخل قذيفة هائلة الحجم، ونجلس في راحة وكأننا في صالة أحد نوادي الضواحي، فتحملنا الطائرة مندفعة عبر السماء بسرعة مئات الكيلومترات في الساعة وهي تحلق على ارتفاع آلاف الامتار فوق سطح الارض، بينما تجتاز الممرات جيئة وذهابا أزواج من المضيفات الانيقات يقدمن لنا ما تتطلبه راحتنا، سواء أكان وسادة أم بطانية أم نسيجة دافئة لغسل الوجه واليدين.

فأين هذا كله من الطيران كما خبره لندبرغ في شبابه، وكتب عنه باعتزاز في السنوات التالية بأنه: "لقاء على ذروة الوعي بين رجل فرد ومهاراته المتنوعة التي اكتسبها بالعناء من جهة وقوى الطبيعة التي ابدعها إله قدير يقصر دون ادراكه العقل والبصر من جهة أخرى؟ ذلك أن لندبرغ مع تقدمه في السن وزيادة تعمقه في تأمل ماضيه، أصبح يؤمن بأن العالم مشحون بالاعجاز الإلهي الذي يتبدى للانسان بأجلى صوره في عزلة الطيران، ويقل" مظهره بين الجماهير الغافلة الحاشدة الصاخبة.

ومن سخرية الاقدار التي تكررت كثيرا في حياة لندبرغ أن القدوة التي كان يضربها بنفسه لسائر الناس كانت تنتهي على الدوام تقريبا الى نتائج تتعارض جذريا مع نياته الاصلية. فرحلة الطيران الاولى من نيويورك الى باريس، بما اشتملت عليه من مجازفات رهيبة واجهها وتغلب عليها برباطة جأشه شاب وحيد مقدام، قد أدت الى حركة أسفار مطردة الازدياد في سماء الاطلسي، كذلك هي أدت الى اطراد تناقص الوعي بالرهبة والخطر، لدى ذلك الحشد من المسافرين من غير الطيارين الذين يقتفون أثره. ومن الصعب علينا أن نظل على وعي حي بمدى جسارته الهائلة حين نجد أن أسوأ ما نضطر الى مواجهته ومحاولة التغلب عليه فوق المحيط الاطلسي هو... الملل.

وقد سافر لندبرغ عن طريق الجو مرارا كثيرة في الخمسينات والستينات. ولم يركب في الدرجة

الاولى الا عندما لا يجد مكانا في الدرجة السياحية، وكانت امتعته لا تزيد على حقيبته اليدوية التي يستطيع ان يحملها الى مقعده من دون ضيق من ازدحام. ذلك أن الطيران أصبح بالنسبة اليه، كما هو بالنسبة الى معظمنا، مجرد وسيلة لتوفير الوقت.

وكان يخشى لتلك الساعات الطويلة التي يقضيها في الهواء أثناء رحلاته، أن تكون مصدر ضيق له وملل، لو لم يجد وسيلة فعّالة لكي يشغلها على نحو مثمر. فلا يكاد لندبرغ يصعد الى الطائرة حتى يندفع الى مقعده ويستقر فيه: رجل أبيض الشعر بدأ الصلع يغزو رأسه، ولم يعد من السهل على الغرباء من كبار السن ان يجدوا فيه "لندي" الرشيق الذي عرفوه في شبابهم. ويستسلم لعناء الكتابة التي أصبحت بالنسبة اليه أفضل وسيلة لاغلاق بابه في وجه العالم، وأفضل وسيلة لفتح باب يؤدي الى داخل نفسه.

وباستثناء اغفاءات قصيرة خاطفة من آن الى آخر، فقلّما كان لندبرغ يرفع عينيه عن الورقة التي أمامه والتي تنساب عليها الكلمات بخطه القوي الواضح. كان يكتب "السيرة الذاتية للقيم"، وقد بلغ حجم مخطوطها مئات الصفحات من دون أن يبدو لندبرغ متعجلا أمر انهائها. وكان قضى وقتا طويلا ينظم الامور الواقعية الملموسة في حياته الخارجية، ثم اتجه بعد ذلك الى تنظيم حياته الداخلية وهو كتب بعد أن تجاوز السبعين من عمره: إن الشيخوخة تتيح موقعا ممتازا لاستشراف القيم المتجمعة عبر حياة كاملة "فالذي يتمتع بالصحة في شيخوخته يظل على مقربة من الحياة تكفي لتمكينه من تلمس تدفّقها. وعلى مقربة من الموت تتيح له أن يمد بصره الى ما يجاوز عواطفه وانفعالاته". وفيما كان يكتب الكلمات، على وجه التقرب، اخذت صحته تنهار والمّت به سلسلة من الامراض تبين انها أقنعة يتوارى وراءها سرطان قاتل.

وحين اقترب منه الموت في صيف عام ١٩٧٤، كان لندبرغ مستعدا له على خير ما يمكن أن يستعد انسان. وكان يرى أن الموت اختبار يجب تقبله واجتيازه بشرف، اختبار أخير ولكنه ليس بالضرورة أشق مما مرّ في حياة طويلة حافلة بالاختبارات. وظل بشوشا ينضح بالطمأنينة والثقة، وقال مراراً انه على شفير الموت، ولكنه لا يشعر بأي جزع في برهة انتقاله الى العالم الآخر، أو بخوف مما يحتمل أن يحدث له بعد ذلك، وانه سيلقى الموت كما اعتاد دائما أن يلقى الحياة، طبقا للخطة المرسومة.

لقد كانت حياة لندبرغ حافلة بالمفارقات، ولكن أغربها جميعا ان الطيران، وهو الوسيلة التي جعلت منه أشهر رجل في القرن العشرين، كان لا يزال جنينا في رحم الغيب لدى ولادة لندبرغ. وقد ترعرع الصبي في بلدة ليتل فولز في ولاية مينوسوتا الامريكية من دون أن تقع عينه على طائرة واحدة، بل ان السيارات كانت نادرة نسبيا في مدن مينوسوتا الصغيرة في تلك الايام.

وكان لندبرغ في شيخوخته لا يكف عن التأمل في التغيرات المتعددة التي خبرها بنفسه خلال فترة قصيرة نسبيا لا تزيد على حياة رجل واحد. كانت جدته لأبيه، التي عرفها جيدا، تستعيد في حكاياتها له صورا حية من الرعب الذي تملكها أثناء الثورة اليائسة المستميتة التي قام بها هنود "السيوكس" عام ١٨٦٢، وراح ضحيتها مئات من مستوطني مينوسوتا البيض. كما استمع الى قصص حفظها باعتزاز، يرجع عهدها الى ما قبل ثورة السيوكس، ويروى عن جده لأبيه أنه كان قبل هجرته الى العالم الجديد عضوا واسع النفوذ في البرلمان الاسوجي وصديقا قريبا من الملك شارل الخامس عشر.

لله دره ما أشجعه، ذلك العجوز أوغست لندبرغ! حدث مرة أن تعثر واصطدم بمنشار آلي في مصنع أخشاب في بلدة سوك سنتر، فتمزقت ذراعه اليسرى وبات بترها أمراً لا مفر منه، وقد أجريت عملية البتر من دون مخدر. وتروي الاسرة أن أوغست لم ينبس بآهة واحدة طوال العملية، ولم يلبث بعد ذلك أن صنع لنفسه جهازا جعله قادرا على الاحتطاب، وحصد الحشيش المجفف للعلف، والقيام بأي عمل زراعي آخر بكفاية تعادل كفاية أي رجل يستخدم ذراعيه الاثنتين.

ولم تختلف كثيرا حياة أوغست لندبرغ في حقول مينوسوتا ومراعيها عن حياة أسلافه في اسوج على مدى قرون قبله - حياة قريبة من الطبيعة وراضخة لقوانينها. حياة أتيح للصغير تشارلز لندبرغ أن يلحق بآخر أصدائها اللاواعية حين كان يعيش في المزرعة. حياة بلا كهرباء ولا هاتف، بل وبلا أي نوع من الاجهزة الميكانيكية، باستثناء مضخة تعمل بالغازولين (البنزين) لسحب الماء من البئر. وكان الرجل الذي عاش تلك الحياة هو نفسه الذي عرف أيضا، بعد عقود قليلة، حياة القاعدة الفضائية في كيب كانافيرال، بصواريخها المنطلقة برجال الفضاء الذين يجوبون بأحذيتهم الضخمة ارجاء الارض الحصبائية على سطح القمر.

ولعل طفولة لندبرغ تبدو لنا الان امرأ بعيداً جداً عن القرن العشرين، فهو قضاها على ضفاف نهر الميسيسيبي، يتجول في غابات الصنوبر والسنديان، ويسبح ويصيد السمك والحيوانات البرية (كانت لديه بندقيته الخاصة عيار ٢٢ في سن السادسة وبندقية من عيار ١٢ حين بلغ الثامنة)، ولكنه حين طار عبر المحيط الاطلسي عام ١٩٢٧ أصبح في أعيننا رمزا مجسدا لنوع جديد من الناس، يتعامل بارتياح ومرح على نقيض غالبيتنا - مع الاعاجيب التقنية المعقدة التي تتدفق كل يوم من مختبراتنا ومصانعنا. كان رجلا يمثل مذهبا جديدا ويبشر به عن ايمان راسخ بين ملايين البشر في أنحاء العالم، سواء بالقول عن طريق الخطب والاحاديث الموجزة، أو بالقدوة كما فعل في رحلته بطائرته الصغيرة. وكان مذهبه يتلخص في أن الطيران خير كبير في ذاته، وأنه سيغدو بلا ريب خادما عظيم النفع للجنس البشري.

ولئن شاءت المفارقات أن يكون عمر الرجل أكبر من عمر مهنته، الا

ان المفارقة الاغرب هي أن يعيش هذا الرجل الى مرحلة يتمنى فيها لو أن مهنته لم تخرج أبدا الى عالم الوجود. فقد عمل لندبرغ طوال سنوات عدة مستشارا لوزير السلاح الجوي وساعد من خلال أدائه لهذا المنصب على اعادة تنظيم القيادة الجوية الاستراتيجية. وقد كتب عن ذلك في "السيرة الذاتية للقيم": "على رغم أني لم أستطع ان أجد بديلا حكيما من ذلك، الا أن كل عام أمضيته عاملا في تطوير الاسلحة كان يزيد من قلقي على مستقبل البشر. فقد بدا لي أن حضارتنا تنطوي على تطور سلبي للحياة، وأن الامن الذي نشيّعه ليومنا وغدنا يحث خطانا نحو كارثة منتظرة. وكان الأسوأ من ذلك والاكثر اثارة للقلق هو ادراكي المتزايد أن الحرب الكارثة المدمرة قد لا تكون هي أفدح الاخطار التي تواجه الانسان. فقد راحت التكنولوجيا المدنية تنافس التكنولوجيا الحربية في تخريب البيئة، فتطلق في كل يوم أعدادا مطردة التزايد من الجارفات والجرارات التي تشق الجبال وتجندل أشجار الغابات وتترك على وجه الارض ندوبا وتشويهات تفوق كل ما يمكن أن تحدثه القنابل. وهناك الغازات التي تطلقها السيارات المدنية فتلوث الجو والفضلات التي تخرج من المصانع المدنية فتلوث بحارنا. أما الطيران المدني فقد غزا كل نقطة على سطح الارض أمام الغارات التجارية الكاسحة.



تشارلز لندبرغ قرب طائرته "روح سانت لويس"، قبل اقلاعه منفردا الى باريس.

فما هو يا ترى مستقبل البشرية؟"

وكان المستقبل في نظر لندبرغ قاتم المعالم، ولكنه قد تعلّم في شبابه كطيّار ان يستجمع جأشه ويواجه جحافل الظلام الزاحف بدلا من أن يتقهقر أمامها، فعندما كان يقوم بعروضه في الطيران والقفز بالمظلة في الاحتفالات والمهرجانات، ثم حين أصبح يقود طائرة البريد من سانت لويس الى شيكاغو، انتهى الى الاقتناع أن أفضل وسيلة للتعامل مع الخطر هي أن يظل على اتصال مستمر وحميم به. والان، وهو يشعر بأن الحضارة، كما عرفها، تتعرض لخطر جسيم، فقد انكبّ بحيويته المعتادة وعزمه المألوف على محاولة انقاذها، وبدأ بأن استوعب تاريخ الحضارات التي انهارت في الماضي، ثم قام برحلات في أنحاء العالم كي يعاين بنفسه مدى الكارثة التي توشك أن تقع.

ان الشاب النحيل الاهيف الذي كان يحث دائما على فتح المزيد من الطرق الجوية، وانشاء المزيد من المطارات، لتحقيق المزيد من التجارة الدولية قد غدا الان رجلا مسنا يحثنا على الاكتفاء بالمقدار الاقل من كل شيء: أطفال أقل، وسيارات أقل وأسلحة أقل، ووسائل ترف أقل. وقال "انه لمن المدهش حقا ان نكتشف مدى ما يمكننا أن نتعلم الاستغناء عنه في حياتنا". وفي ١٩٧٤، قبل وفاته ببضعة اسابيع، كتب برصانة الحكيم الذي يدون وصيته الاخيرة: "لا اودّ أن أكون واحدا من أفراد هذا الجيل الذي يدفعه عمى البصيرة واللامبالاة الى تدمير نوعية الحياة على هذا الكوكب".

من أين جاء هذا الرجل الفذ؟

لقد جاءت الاجابات تترى عن هذا السؤال بمقدار متزايد من اللامسؤولية منذ ان شدت الطائرة الجديدة "روح سانت لويس" رحالها للمرة الاولى من مدينة سان دييغو في كاليفورنيا، في أقصى الغرب من الولايات المتحدة. كانت الطائرة من تصميم دونالد ا. هول، كبير مهندسي شركة "خطوط ريان الجوية"، طبقا للمواصفات التي وضعها لندبرغ بنفسه.

ولم تكن هناك أي طائرة تماثلها في أي مكان من العالم. كانت تبدو لعبة جميلة، فضية اللون، طولها أقل من ثمانية أمتار ونصف متر، والبعد بين طرفي جناحيها ١٤ مترا، مزودة بمحرك من طراز "رايت هوير لويند"، يفترض أنه قادر على العمل مدة ٩٠٠٠ ساعة من دون أن يصيبه عطل (وكان لندبرغ يقدر أنه قد يحتاج الى ٤٠ ساعة تقريبا ليقطع مسافة الـ٥٨٠٠ كيلومتر بين نيويورك وباريس، ومن ثم فقد كان هامش الامان بالنسبة الى المحرك أكثر من كاف).

وحطم لندبرغ الرقم القياسي للطيران شرقا من دون توقف من سان دييغو الى سانت لويس، ثم حطم في اليوم التالي مباشرة رقما قياسيا آخر للطيران من سانت لويس الى نيويورك. ولم يكن لندبرغ حتى ذلك الحين أكثر من مجرد اسم يخطىء الكثيرون هجاءه بين زحام الانباء عن مشاهير الطيارين الآخرين الذين يتنافسون على الفوز بجائزة اورتيغ، مثل بيرد وتشامبر لين وغيرهما. وحين هبط في مطار كورتيس، في لونغ أيلاند، نيويورك، كان خيال

الناس قد تعلق بأنباء تلك الطائرة الصغيرة ذات السرعة المثيرة للدهشة وقائدها الشاب ذي العينين الزرقاوين والشعر الاشعث، وقد كتب لندبرغ بعد ذلك في مؤلفه "روح سانت لويس": "ما ان يعلن شخص ما باسمي حتى أجدني على الفور محاصرا بحشد من الناس. وحتى في الفندق، أجد الصحافيين يملأون الردهة ويراقبون المدخل بحرص شديد، أعجز ازاءه عن الدوران حول المبنى من دون أن يتبعني البعض، فأنا لا أملك لحظة واحدة من الحرية الا عندما أغلق عليّ باب غرفتي".

أما لقب "ليندي المحظوظ" الذي اطلقته عليه الصحافة فقد كان يمقته لندبرغ الى أبعد الحدود! فهو لم يعتمد على الحظ في حياته على الاطلاق، كما أن أحدا لم يناده من قبل باسم "ليندي"، وانما هو اسم مستعار مصدره حاجة الصحافة في عناوينها الى اسم مختصر ملفت للنظر.

ويوما بعد يوم، تابع الصحافيون نزقهم العشوائي من دون أن يخطر في بال أحد منهم أن يكلف نفسه مشقة المراجعة والبحث، فراحوا يهرفون بما يعن لهم كي يرسموا للندبرغ صورة تثير شوق الجمهور الى القراءة عنه، صورة تجعله عنصر رواج لصحفهم. وزاد من سهولة مهمتهم أن المعلومات المتاحة عنه كانت قليلة. وكان لندبرغ نحيفا، طويل القامة، له هيئة جذابة من الجدّ الذي يمكن أن يتحول في غمضة عين الى ابتسامة مشرقة بالمرح المحبب. وعلى رغم أنه كان في الخامسة والعشرين من عمره، وقد واجه الموت من قبل على الارض وفي الهواء، الا أنه كان يلفت الانظار بما يبدو عليه من سمات الشاب الذي لم ترهقه الحياة.

بيد أن هذه السمة الصافية كانت شيئا أعمق من مجرد مظهر الشبيبة الصبيانية، فقد كانت تنبثق في معظمها من نقاء في الخلق والشخصية لا تشوبه شائبة ولا ينازع فيه منازع. فلندبرغ لا يدخن ولا يشرب الخمر، كما كان من المستحيل تصوره زير النساء. وكان مجرد النظر الى عينيه الصافيتين والاستماع الى صوته الجلي. يبعث الثقة في النفوس ويحمل على الاقتناع بان هذا الرجل لا يستطيع الخداع او الكذب ولا يسمح لنفسه بميزة لا حقّ له فيها. بل لقد كان هناك شيء أكثر من هذا، هو ذلك الرجل "الداخلي" الفخور والمفعم بالحماسة والتصميم على تحقيق ذاته بأي ثمن، والذي أخطأت الصحافة فهمه واستمرت في ذلك على مدى حياته بأكملها.

وقد تعقبه الصحافيون بيقظة ملحوظة خلال تلك الايام الطويلة من شهر مايو (ايار) عام ١٩٢٧، وكان لندبرغ يعرف ما يسعى اليه الصحافيون، ويعجب في قرارة نفسه لركاكتهم المهنية. فالحقائق غزيرة وفيرة، فما بالهم لا يبذلون أدنى جهد للحصول عليها أو التحقق منها؟ وبعد أكثر من ربع قرن، كتب لندبرغ في "روح سانت لويس" بصيغة المضارع يعبر عن استغرابه الشديد لهذه الظاهرة: "يتوقف الامر على الصحيفة التي التقطها، لأجد نفسي قد ولدت في مينوسوتا، أو

ميتشيغان، أو نبراسكا، او انني تعلمت الطيران في أوماها أو لينكولن أو سان أنطونيو.

"أما سلوك رجال الصحافة عندما جاءت أمي، فقد أضاع من نفسي كل احترام لهم. لقد راحوا يسألونها: هل تعرف مدى خطورة الرحلة التي يتعزمها ابنها؟ هل تدرك أن كثيرا من الطيارين الاكبر سنا والاكثر خبرة قد قتلوا في محاولات مماثلة؟ ،طلبوا منها أن تصف مشاعرها لقرائهم، ثم طلبوا منا نحن الاثنين أن نتعانق أمام أجهزة التصوير في وداع زائف. وحين رفضنا ذلك، جاءت احدى الصحف بشخصين آخرين وجعلتهما يمثلان الدور، ثم وضعت رأسينا مكان رأسيهما في الصور التي نشرتها".

وقبل ايام قليلة من بدء رحلته الى باريس، انطلق لندبرغ في كورتيس فيلد بطائرته مرتين في جولات اختبارية، وفي آخر هاتين الجولتين انكسرت المزلقة الذيلية لطائرة "روح سانت لويس"، ووقع الحادث لان عددا من المصورين ركضوا الى مدرج الطائرة واعترضوا طريق لندبرغ. وكتب هو عن ذلك الحادث: "كان أشد ما يبعث على الضيق في الامر أن هؤلاء المصورين والصحافيين لم يدفعوا غرامات عقابا لهم على خرق قوانين المطار، بل هم استفادوا من هذه المخالفة بأن حصلوا على صور أكثر قيمة وعلى رواية صحافية أكثر اثارة ورواجا. وفي حدود ما رأيته، فان مغامرتي بتعريض طائرتي للتلف بغية تجنب صدم أحد من الصحافيين او مصوريهم لم تلق من أي منهم

اهتماما على الاطلاق، بل ان معظم الصحافيين تجاهلوا ذلك في ما رووه عن الحادث. وورد في احدى المقالات التي نشرت في اليوم التالي ما يأتي: "لقد كانت سرعته لدى الهبوط كبيرة الى درجة أحدثت بعض التلف في المزلقة الذيلية. ولم يأبه لندبيرغ لهذا الحادث الذي اعتبره تافها، بل وثب من الطائرة وعلى وجهه ابتسامة عريضة، وصاح: "كما ترون أيها الرفاق، انها تتحرق شوقا الى الانطلاق". ولا بد أن هؤلاء الناس يحسبونني واحدا من رعاة البقر وقد تحولت الى الطيران".

التعايش المرير

كان لندبرغ يأخذ جدياً قول أفلاطون إن الحياة التي لا يخضعها صاحبها للفحص والتأمل لا تستحق أن تعاش. إلا أنه كانت هناك أوقات وجد فيها لندبرغ أن احترام هذا المبدأ أيسر من اتباعه. ولا شك في أن أبعد الأحداث أثرا في تكوين شخصيته كان انهيار الحياة الزوجية بين أبويه، ولكنه أعاد النظر مرارا وتكرارا في هذا الحدث طوال حياته، وكان يتراجع دائما عن سبر أغواره في ابتئاس بنوي حقيقي. وبعد ان طعنت به السن ظلّ يعلل الأمل في أن يكون أبواه قد بقيا، على رغم كل شيء، يبالي كل منهما بالآخر.

وكان تشارلز أ. لندبرغ الأب رجلا لا يكاد يقل عن تشارلز الابن في اتسامه بالصفات الفذة الملفتة. فقد شق طريقه، بفضل جدارته، من صفوف أهل الفقر المدقع الى صفوف ملاكي الأراضي من الطبقة المتوسطة، ثم تزوج فتاة من أجمل الحسان في بلدة ليتل فولز، وأنجب منها ثلاث بنات، توفيت إحداهن ولم تلبث زوجته أن لحقت بها فجأة، في السن الحادية والثلاثين بسبب سرطان يتعذر استئصاله بالجراحة.

وغدا تشارلز الأب، حسب التسمية المألوفة في تلك الأيام، عريسا "لَقْطَة" مثيراً للاهتمام، ولكن حزنه على زوجته كان حقيقيا وعميقاً، فانقضت بضع سنوات قبل أن يرضى بالوقوع في شباك امرأة أخرى. وكانت الفتاة التي اقتنصته تعتبر "لَقْطَة" هي الأخرى، غريبة وكريمة، جديرة بمجتمع ليتل فولز الذي تسوده التقاليد العريقة التي نقلها المهاجرون من اسوج ونشأت عليها اسرهم. وكانت تحمل درجة بكالوريوس في العلوم من جامعة "ميتشيغان"، وقدمت في السن الرابعة والعشرين الى البلدة لتعليم الكيمياء في مدرستها الثانوية. وقد قيل عنها إنها كانت أجمل فتيات الجامعة خلال سني دراستها وأكثرهن حماسة وتوقدا. وكانت لها جدة أيرلندية، فكان يطيب لها أن تكتشف في نفسها دلائل على ما ورثته من دعابة ايرلندية. كان اسمها ايفانجيلين لودج لاند، وكان ابوها، الدكتور تشارلز هـ. لاند، من أشهر أطباء الأسنان والمخترعين في ديترويت. وكانت امها ابنة طبيب معروف في ديترويت أيضا.

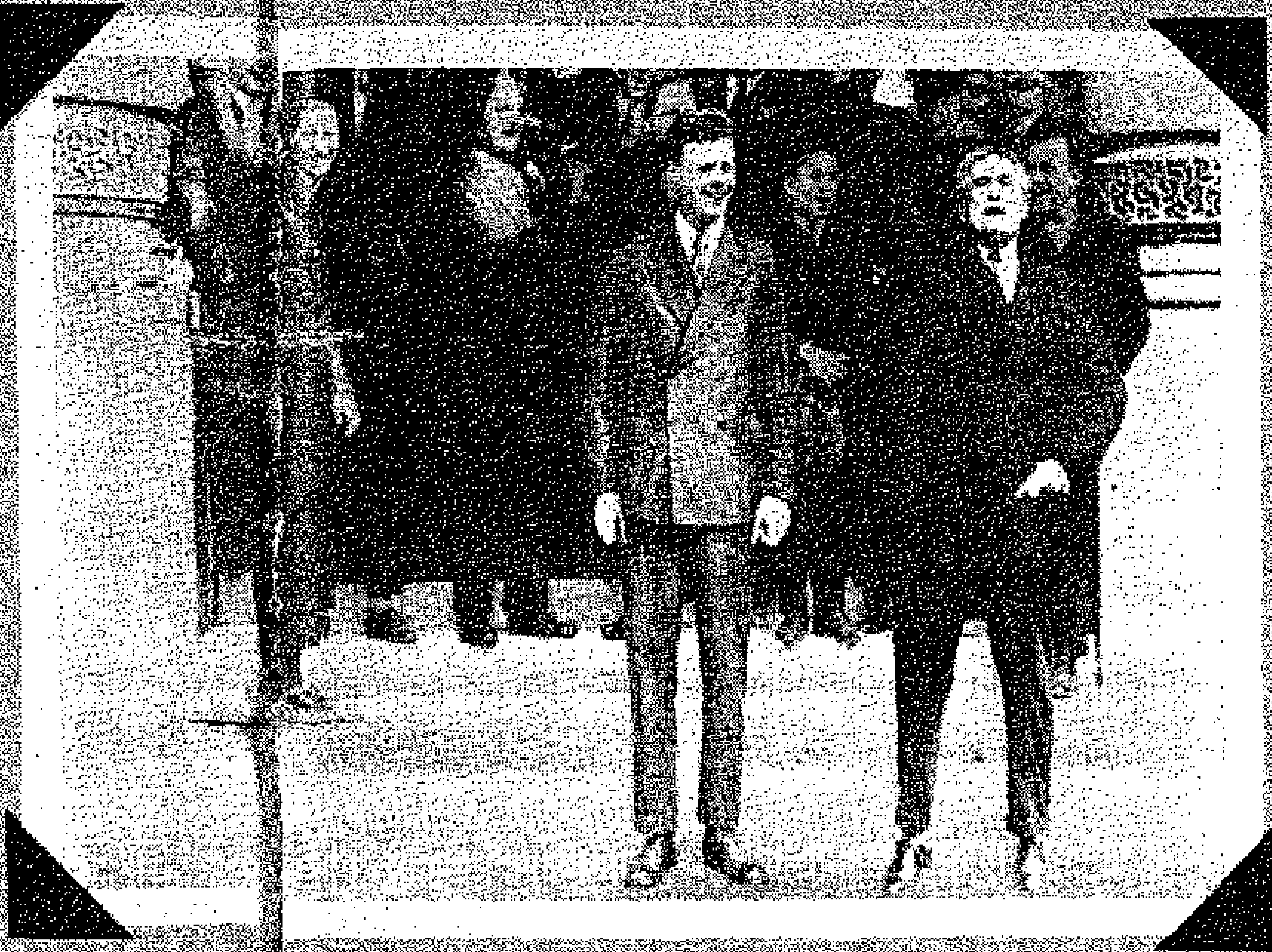
وتزوجت ايفانجيلين وتشارلز الأب في بيت والدي العروس في شهر مارس (آذار) ١٩٠١، وأمضيا شهر العسل في كاليفورنيا، ثمّ عادا في شهر مايو (أيار) إلى بلدة ليتل فولز

وبدأ بناء بيت كبير فوق جرف عال يطل على نهر الميسيسيبي. وكان تشارلز الأب قد تملك منذ سنوات عدة تلك الأرض التي تشمل ٥٠ هكتارا تقريبا (حوالي مئة وعشرين فدانا) من الخضرة والحقول والمراعي المنحدرة برقة نحو النهر ترصعها الأشجار. وأطلق الزوجان على بيتهما اسم "ليندهولم"، وهو اختصار تقريبي باللغة الاسوجية لاسم معناه "بيت لندبرغ".

كان المبنى الرئيسي من الخشب، يرتفع الى ثلاث طبقات ويحتوي على ١٣ حجرة ويقوم فوق قاعدة تضم كهفا فسيحا مبنيا بالحجر، تعلوه طبقة ارضية تتألف من غرفة الجلوس وغرفة الطعام وغرفة المكتب والمطبخ والمغسل. وتعلو ذلك طبقتان تضمان سبع غرف للنوم وغرفة للبليارد. أما المباني الخارجية فكانت تضم بيتاً صغيرا للوكيل المشرف على المباني والاملاك ومخزناً للحبوب، وبيتاً للتبريد. وكانت تتخلل البلدة ممرات تؤدي الى ضفاف الميسيسيبي المعشبة من جانب، وتخترق من الجانب الآخر مجموعات أشجار الصنوبر الشامخة وأشجار السنديان الضخمة حتى تصل إلى "بايك كريك".

وفي فترة الصيف التي استغرقها بناء البيت، أقام تشارلز الأب وعروسه ايفانجيلين في كوخ موقت، وكانت ايفانجيلين قد حملت من زوجها وغدت فخورة بذلك وشعرت بانها تمر بأسعد الفترات التي عرفتها هي وزوجها خلال حياتهما معا. وولد الطفل في يوم ٤ فبراير









(شباط) ١٩٠٢، وسمي تشارلز أوغستس الابن من دون ان يثير ذلك اي جدل باعتبار ان اسمه الأول يفي، لحسن الحظ، بالتكريم اللازم لجدّه لأمه، الدكتور لاند.

وكانت من أولى الذكريات التي رسخت في عقل تشارلز الصغير ذكرى الحريق الذي دمّر ليندهولم ذات يوم من شهر أغسطس (آب) ١٩٠٦. كان الطفل يلعب مع أبيه في الردهة حين وجد اباه فجأة يدفع به إلى ذراعي مربيته التي حملته ومضت تركض به حتى بلغت مخزن الحبوب، على بعد بضع مئات من الأمتار، كي تبعده عن النار التي كانت تلتهم البيت. وقد روى لندبرغ هذا الحادث في كتابه "روح سانت لويس" باعتباره من أعمق الذكريات العالقة في نفسه.

وفي اليوم التالي، وقف مع أمه ينظران الى حطام البيت، بينما كان الدخان لا يزال يتصاعد من كهفه الذي تحول الى كتلة سوداء فاحمة. وقالت أمه: "سيبني لنا أبوك بيتا جديدا". ولكن الطفل لم يصدق ذلك لسبب ما، وهو يقول في كتابه: "لقد ذهب الى الأبد كل ما كنت أملكه من اللعب، كما ذهب السلم الكبير وغرفتي التي كانت تطل على النهر". ذلك ان الحادث الأليم لم يصب البيت وحده وإنما أصاب العلاقة بين أبويه أيضاً. وبدا البيت الجديد في نصف حجم البيت القديم، واعتبر حلاًّ موقتاً يضيق باقامة الحفلات او تربية الأسرة الكبيرة. ومن المحتمل ان يستمر كل من ايفانجيلين وتشارلز الأب يحب كل منهما الآخر، ولكنهما لم يعودا مغرمين احدهما بالآخر. وهو أمر يحس به الطفل اكثر من غيره.

كان تشارلز لندبرغ الأب، مثله مثل أبيه من قبله، رجلا على درجة فائقة من الثبات ورباطة الجأش. ولم يكن هناك اختبار للتحمل العقلي او البدني لا يستطيع ذلك الرجل أن يجتازه بنجاح. وكان يذكر عنه في بلدة ليتل فولز انه خرج لاصطياد البط مع جماعة من الرجال في يوم شديد البرودة من أيام الخريف، واصطادت الجماعة عددا من الطيور ولكنها سقطت جميعا في بحيرة ثلجية المياه الى درجة جعلت كلاب الصيد كلها تحجم عن خوضها لالتقاط الطيور ولكن لندبرغ الأب خلع ملابسه ونزل الى البحيرة سابحا حتى استعاد الطيور كلها.

وقد درّب الوالد الطفل منذ نعومة أظفاره، على مواجهة الألم والخطر كما كان يفعل هو. ومع ان الأب كان بلغ منتصف العمر حين ولد الطفل الا ان لياقته البدنية كانت ممتازة، فغدا رفيقاً حميماً للصبي، وعلمه كيف يصطاد الأسماك والحيوانات، وكيف يعسكر في العراء ويوقد النار وينصب الخيام ويجدف في القوارب السريعة. وقد كتب تشارلز الابن عن ذلك بعد سنوات عدة فقال: "كان يتركني أسير خلفه وفي يدي بندقية محشوة وأنا في السابعة، وعلمني ان استخدم البلطة حالما توافرت لدي القوة الكافية لتطويحها، كما علمني أن اقود سيارته الفورد الى أي مكان وأنا في الثانية عشرة. لم يكن للعمر اي فارق بالنسبة اليه، فكنت اتمتع بحريتي كاملة. وكان كل ما يطلبه مني في مقابل ذلك هو الالتزام بالمسؤولية".

وذات يوم تعلم تشارلز السباحة على طريقة آل لندبرغ التقليدية. فهو خاض الماء مبتعدا عن الشاطىء فوجد نفسه فجأة، وعلى غير انتظار، قد بلغ موضعا يتجاوز فيه عمق الماء طول قامته فالتفت الى ابيه فزعا يطلب العون فرآه لا يزال على الشاطىء وهو يضحك لما يراه من ورطة ابنه. وبدأ الابن يضرب بيديه وقدميه في هلع فاكتشف بعد بضع ثوان انه يستطيع البقاء طافيا. ولا يبدي لندبرغ في روايته لهذا الحادث اي تلميح يشير الى جزعه لسلوك أبيه، فتلك هي الطريقة التي يجدر بالآباء ان يسلكوها. وقال الأب للصبي ذات مرة: "أنت وأنا نستطيع تحمل الصدمات العنيفة ونسلك سبيلنا الى غايتنا مهما حدث".

وعندما تدهورت العلاقات الزوجية، استولى على ايفانجيلين احساس بأنها تعيش في سجن ظالم لا تقوى على الافلات منه، اذ ليس لدى تشارلز الأب أدنى نية لأن يطلق سراحها، فهو كان يخوض الانتخابات النيابية لعضوية الكونغرس للمرة الاولى ومن ثم فأن الطلاق ان حدث سيقضي على مستقبله السياسي، لذلك كان يتجنب اي مبرر للطلاق. وحين طلبت الانفصال (التفريق) بحكم من القضاء، أبى عليها ذلك أيضا.

وتبدو لنا هنا وهناك لمحات قليلة عن طريقة سلوك الصبي خلال هذا التعايش الطويل المتزايد المرارة بين أبويه. فكان يتناقله كل منهما وكان هو يحبهما معا ويتودد الى كليهما ويجتهد بألا ينحاز الى اي منهما. وكثيرا ما تحدث لندبرغ في ما بعد عن طفولته فكان يصفها دائماً كفترة هانئة في أحضان طبيعة جميلة. ولا شك في ان هذه النظرة ترجع في جانب منها الى حرص امه على كتمان اشياء أكثر بكثير من تلك التي باحت له بها فهي فرضت على نفسها الانضباط في هذا الصدد تجنباً لتسرب مرارتها اليه. غير ان هناك ناحية واحدة، غير متوقعة تماما، هي التي تتعلق بدراسته وكأنها كانت تفرض فيها على الطفل عقابا مباشرا لما تعانيه هي من تعاسة.

الطالب النّفور

لم يحدث أبدا ان اتم لندبرغ فترة دراسية كاملة إلا بعد أن قارب العشرين من عمره. فكان ينتقل على الدوام من مدرسة الى اخرى وفقا لمقتضيات ابويه. فهو حينا في ليتل فولز وحينا اخر في ديترويت او واشنطن، وأحيانا أخرى يقيم موقتا في أماكن غير متوقعة مثل ريد وندو بيتشن في كاليفورنيا حيث قضى مع امه بضعة اشهر من عام ١٩١٦. وكانت ليتل فولز المكان المفضل لديه، الا انه لم يلبث ان نفر من المدرسة حتى في تلك البلدة الأثيرة الى نفسه. ولما كان محروما من الثقة والطمأنينة اللتين يتمتع بهما أقرانه، وهم ينتقلون بانتظام من فترة دراسية الى اخرى على طريق التخرج، فكان طبيعيا ان يقل اداؤه عن المستوى الذي كان يرشحه له ذكاؤه الواضح.

وكان ينعم في ليتل فولز بمتعة الغابات والحقول ومجاري الماء التي يحبها. كما انه خلال زياراته المتعددة، والطويلة في احيان كثيرة،

لمدينة ديترويت مع امه كان يحظى بعشرة جده النشط الذي كان يتوق دائما الى رؤياه حيث يستغرق الاثنان في مختبر الجد العابق بالدخان او يخرجان في نزهات طويلة بين ربوع الريف القريب من المدينة. اما في واشنطن، فهو لم يكن ينفر من الذهاب الى المدرسة فحسب بل كان ينفر أيضا من المدينة نفسها، لأن الحياة هناك في شقة صغيرة لا تتيح لصبي نشأ في الريف الفرصة الكافية لما يحب ان يمارسه من نشاط.

ولا يعني ذلك انه لم يستمتع بان يكون ابناً لأحد اعضاء البرلمان البارزين، وكثيرا ما شوهد الابن الصغير الاشقر يتنقل في حدائق مبنى الكابيتول (البرلمان) على مزلجته ذات العجلات، او ذاهبا في صحبة ابيه الى قاعة مجلس النواب. وذات مرة، وهو في الثالثة عشرة من عمره، رافق اباه الى البيت الأبيض لمقابلة الرئيس وودرو ويلسون. وصافح الرئيس تشارلز الصغير وسأله بلطف عن حاله، فأجابه الصبي بلطف مماثل: "على احسن حال يا سيدي. أشكرك". وفي ذلك المساء أخبر امه بأنه لم يجد المقابلة شيئا بالغ الاثارة، فالرئيس في نهاية الامر رجل مثل سائر الرجال. وحين هبط لندبرغ بطائرته في باريس بعد ذلك بسنوات وغدا موضع حفاوة من عدد لا يحصى من رؤساء الدول ورؤساء الوزارات، تميز سلوكه برشاقة اجتماعية ولباقة أثارتا الاعجاب بهذا الشاب الريفي الا ان هؤلاء اخطأوا فهمه حينذاك، كما كان يساء فهمه دائما تقريبا، والصحيح ان لندبرغ قد جاء من الريف ولكنه لم يكن أبداً ريفياً ساذجاً.

وكان فشله في دراسته مثارا لألمه، وانما الألم الاكبر كان فشله في الانتماء الى اي مجموعة. والصبي الذي يبدأ الفترة الدراسية متأخرا يكون محكوما عليه في العادة باحتلال ادنى المراكز في الترتيب المألوف في المدارس، وكان ذلك هو وضع لندبرغ في غالب الاحيان، وساعد هو على زيادة تعقيد الامور لنفسه بما كان يبديه من تحفظ واختصار في الحديث وعدم الاهتمام الظاهر بأسلوب الآخرين في التعامل معه. ولم يحاول أبدا ان يجتذب الاهتمام عن طريق الخضوع للآخرين، او ان يتطوع للاجابة عن الاسئلة في الفصل. ونادرا ما كان يحاول الاشتراك في رياضات المنافسة، مثل البيسبول وكرة القدم وكرة السلة التي تعتبر اساس الانشطة الجماعية في المدرسة.

ولعل أفضل ما يقدم تلخيصا مؤثرا للانفراد الذي تميزت به انواع التفوق التي سعى اليها لندبرغ، هو أنها كانت على الدوام أنشطة لا تتطلب منه أن يتنافس مع الآخرين، بل مع نفسه. ولم يكن طيرانه الى باريس سوى نموذج متطرف لهذا الانفراد.

ونظراً الى ما أبداه تشارلز من قلة اهتمام بدراساته، فقد ساعده الحظ اذ طرأ واحد من غرائب التاريخ كفل له التخرج في المدرسة الثانوية. فقد دخلت الولايات المتحدة الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٧، وتطلب الأمر زيادة الجهود المبذولة على النطاق الوطني لانتاج الغذاء، فاصدرت ولاية مينوسوتا مرسوما

يقضي بأن اي فتى تفرّغ للعمل في احدى المزارع خلال عام كامل يعتبر انه قضى ذلك العام بنجاح في الدراسة الثانوية. وقد رحّب تشارلز بهذا المرسوم وقضى الجانب الأكبر من سنة دراسته النهائية (الرابعة) في المدرسة الثانوية في تحويل مزرعة ليندهولم الى مزرعة حقيقية، بعدما كانت شيئا اقرب الى الوهم. وتخرج تشارلز في المدرسة الثانوية في ليتل فولز عام ١٩١٨ بعدما اصبح مزارعا حقيقيا، مقتنعا بأنه سيشق طريقه في الحياة مقتفيا خطى اسلافه الاسوجيين في فلاحة الأرض.

وفي حدود ما يمكن القطع به، يقال ان أباه وأمه قد رضيا كلاهما عن قراره، وهو أمر يبدو على شيء من الغرابة، لأن أباه كافح كفاحاً شاقا للارتفاع بنفسه فوق مستوى العمل اليدوي في مزرعة أبيه، وكان التعليم وسيلته في ذلك الكفاح. وكان الأب المحامي والأم المدرّسة مثالين حيّين بارزين للمزايا التي يحققها التعليم الجامعي، وعلى رغم ذلك فانهما قد تصرفا في حياتهما على نحو تلاشت معه فرصة التحاق ابنهما بالتعليم الجامعي.

وهنا يجدر التساؤل عما اذا كان حرمانهما تشارلز فرصة المتابعة الدراسية العادية نتيجة أنانية بريئة غير واعية، او نتيجة اتجاه لا شعوري الى استخدامه وسيلة يقتص بها احدهما من الآخر؟ ام هل كان تشارلز الأب شديد الانشغال او كثير التغيب عن بيته فمنعه ذلك من الاحاطة بما كان يجري؟ ام انه درى ولكنه فضّل ان يتجاهل الأمر ويتغاضى عن قيام إيفانجيلين بانتزاع تشارلز من مدرسته مرارا وتكرارا كي يرافقها في زيارات هنا وهناك، حتى انتهى بها الامر الى احتكاره لنفسها في بلدة ليندهولم المنعزلة؟

وحدث مرة، بعد ان اصبح تشارلز شخصية مشهورة، ان اتهمت احدى الصحف إيفانجيلين بأنها كانت تتكابر على جيرانها في ليتل فولز الى درجة انها كانت تمنع ابنها تشارلز من ملاعبة اطفالهم. وقد اعترض تشارلز على ذلك ودافع عنها في احاديثه الخاصة، وأكد انها، على نقيض ذلك، كانت تغري احيانا اطفال الجيران ببعض النقود لملاعبة تشارلز. ولا ريب في ان هذا الدفاع يبعث على الحيرة اكثر من الاتهام نفسه فلماذا تدعو الضرورة الى دفع هذه النقود، مهما كانت ضئيلة؟ وكيف حدث وبقي هذا الصبي الوسيم بلا اصدقاء حميمين؟ لقد كانت لتشارلز شخصية جذابة اصبح لها صداها التلقائي في انحاء العالم، فكيف حدث له ان ظل نكرة تقريباً بين ابناء جيله من الفتيان والفتيات في بلدة ليتل فولز؟

وعندما وفد مراسلو الصحف الى البلدة في صيف عام ١٩٢٧ لجمع المعلومات عن ماضي لندبرغ، قلما استطاع اهل البلدة ان يسترجعوا عنه شيئا يذكر، في ما عدا انه كان يظهر استعدادا لان يصبح ميكانيكيا ويحب ركوب الدراجات البخارية، ولا يخرج للنزهة مع الفتيات اطلاقا. فقد كان حرص ايفانجيلين النفسي على احتكار ابنها والسيطرة عليه بالغ الشدة، على غير وعي منها. فكان

تشارلز يخصها وحدها، وبدا انه عندما بلغ السابعة والعشرين من عمره لم يكن اقام اي علاقة حقيقية مع امرأة ما. ومن النادر ان تمارس ام مثل هذا الاحتكار المطلق لأي من ابنائها.

أعلى درجات الامتياز

قضى تشارلز طوال فترة الحرب العالمية الأولى يعمل في المزرعة، ولكن الأسعار بدأت تتدنى خلال عام ١٩١٩، واتضح انه مهما ثابر تشارلز على العمل واجتهد فيه مع الأجير المساعد، فان مزرعة ليندهولم كانت أصغر من ان تصمد للمنافسة أمام المزارع الضخمة الاخرى في الناحية. وقد كتب تشارلز بعد ذلك عن هذا الموضوع: "في عام ١٩١٩ سلمت المزرعة الى المستأجرين استعدادا لبدء الدراسة العالية. وكانت العملية شاقة مؤلمة، حين وجدتني انخلى عن الموجودات المخزونة والماشية والاجهزة، وتتقلص اساليبي وتتبخر فيخلو الجو لأساليب الآخرين وآمالهم. وقضيت وقتا طويلا في اختيار المعهد الذي التحق به، ثم استقر رأيي اخيرا على جامعة ويسكونسن، فكان ذلك إيذانا بانتهاء كل علاقاتي الوثيقة بمزرعتنا".

وقد سر أبواه لقراره تجربة حظه في التعليم العالي، وأسعد ذلك ايفانجيلين خصوصا فاطمأنت الى الاحتفاظ به لنفسها ولم تلبث ان انتقلت معه واستأجرت شقة لاقامتهما قرب الجامعة وحصلت على وظيفة مدرسة للعلوم في مدرسة محلية. وقد قدر لها الا تعيش في ليندهولم بعد ذلك ابدا، والا تخطو منذ"ئذ في ظل زوجها. وبذلك انتهى سجنها البيتي.

ومضى تشارلز يتعثر ويحصل على تقديرات منخفضة في عامه الجامعي الأول، واحزن امه عندما رأته يتعثر اكثر في عامه الجامعي الثاني. وفي شهر فبراير (شباط) عام ١٩٢٢ تلقت المذكرة التالية من مرشد تشارلز الدراسي، الذي لم تكن صلته به وثيقة الى درجة تجعله يألف اسمه الشخصي:

"إن سجل كارل خلال النصف الأول من العام الدراسي غير مشجع أبداً

تصميم الآلات –	١	راسب.
الرياضيات –	٥٢	راسب.
الفيزياء –	٥١	لم يستكمل.
أعمال الورشة –	٦	٨٨
أعمال الوشة –	١٣	٨٨

وفي ضوء هذه الدرجات الحقيرة، قررت لجنة المستشارين الدراسيين للسنة الثانية في ٢ فبراير (شباط) طرد كارل من الجامعة".

وحين كتب تشارلز مؤلفه "روح سانت لويس" بعد هذا الحادث بثلاثين عاما تقريبا، قال عنه: "عندما كنت طالبا في السنة الثانية في جامعة ويسكونسن، قررت أن اتوقف عن متابعة دراستي للهندسة الميكانيكية كي اتعلم الطيران". فعلى رغم انه كان رجلا صادقا عنيدا في صدقه، الا انه لم يستطع في هذه الحال بالذات ان يقول أكثر من انه ترك الجامعة، من دون ان يعترف بأنه قد فصل عنها. بيد ان المهم هنا هو نهاية الفقرة السابقة، اذ انه منذ اللحظة التي عقد فيها عزمه على تعلم فن الطيران، تغيرت حياته تماما.

وكأن لندبرغ، حين اتجه الى الفضاء، اكتسب لتوه قدرة خارقة على

تحقيق الذات يفتقر اليها سائر البشر. وكانت تلك القدرة خليقة بأن تقف به على مبعدة من معظم معاصريه وان ترفعه - حتى قبل مغامرة طيرانه الى باريس - في نظر الآخرين الى مرتبة الأبطال. وكان الأسف والسخط يتملكان لندبرغ كلما أطلق عليه لقب البطولة. غير انه عندما كان يمارس الطيران الاستعراضي في انحاء الغرب الامريكي في عامي ١٩٢٢ و١٩٢٣ ماشيا على جناحي الطائرة ومقدما استعراضات القفز بالمظلة، وعندما حدث له بعد ذلك بزمن ان اضطر في مناسبات عدة الى القفز من طائرته طلبا للنجاة، كانت رباطة جأشه المستمرة في مواجهة الخطر امرا يعتبره الآخرون تحقيقا بطوليا لا جدل فيه.

كان كل من ايفانجيلين وتشارلز الأب ضئيل الثقة في جدوى الطيران. وحين فاتحهما تشارلز للمرة الاولى باحتمال اتجاهه بعد التخرج في المدرسة الثانوية الى كسب عيشه كطيار، هز الاثنان رأسيهما بالمعارضة، وقال له أبوه بصراحة ان الطيران خطر وانه ابنهما الوحيد ولا يمكنهما المجازفة بحياته.

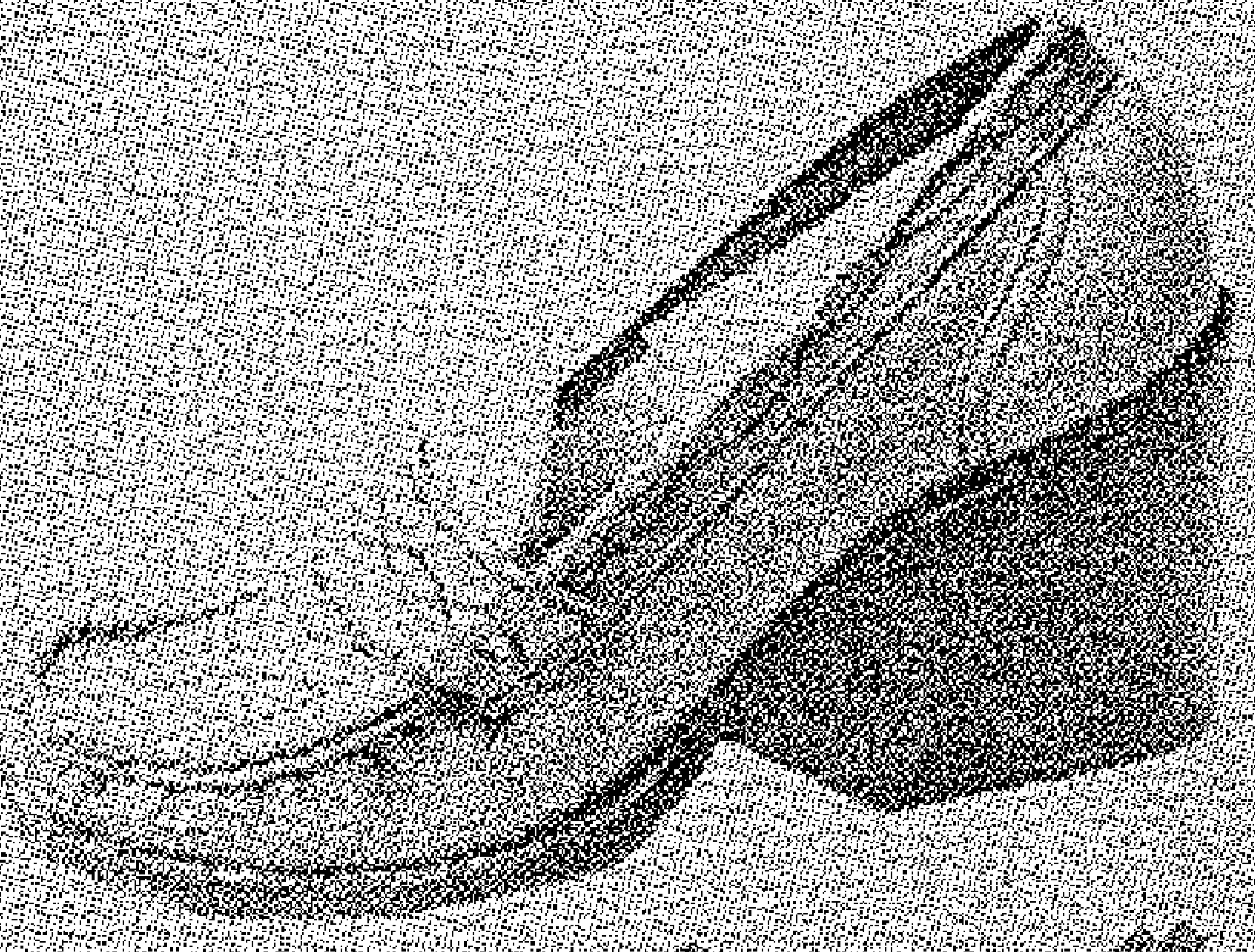
ولكن فشل لندبرغ في الجامعة اتاح له ان يعلن لأبويه عزمه المطلق على الطيران. وهو يصف في "روح سانت لويس" المناسبة التي انهى فيها هذا القرار الى امه بالآتي: "كانت رغبتي في الالتحاق بالطيران شديدة الى درجة جعلتني لا أكاد ادرك وقع قراري على امي التي قالت: "حسنا، اذا كنت تعتزم الطيران حقا فذلك هو ما ينبغي ان تفعله". ثم قالت بعد حين: "لا بد ان تمارس حياتك الخاصة، ويجب عليّ ألا أقعدك عن ذلك. كل ما في الأمر اني لست ادري متى سيتاح لنا ان نقضي معا وقتا كافيا بعد ذلك". وقد تحققت نبوءتها. فقد قطعت مئات الرسائل وطرود البريد المسافة بيننا، ولكني منذ ذلك الحين لم استقر في البيت أبدا اكثر من أيام قلائل في كل مرة كنت اعود اليه. غير أننا ذهبنا في الصيف سويا الى جنوب مينوسوتا حيث مارست الطيران الاستعراضي، كما انها قطعت الطريق بين شيكاغو وسانت لويس مرارا لا حصر لها في صحبتي عندما كنت اقود طائرة البريد على هذا الخط، وكانت تفترش أكياس البريد في الطائرة".

ولعل "مئات" الرسائل التي يشير اليها لندبرغ كانت أقرب الى الآلاف، فقد كانت إيفانجيلين مواظبة على المراسلة. ولم يكد تشارلز يلتحق بالطيران حتى راحت هي تمطره باخبارها. وعندما تخلى عن الطيران الاستعراضي والتحق بمدرسة سلاح الطيران، عزا رفاق دراسته في قاعدة "بروكس فيلد" وقاعدة "كيلي فيلد" ضخامة حجم بريده الى ان هناك صديقة تلاحقه ملاحقة محمومة، فاضطر تشارلز الى مطالبة امه بالاعتدال في المراسلة اعفاء له من هذا الحرج فردت امه مقترحة ان تعنون رسائلها بخطوط مختلفة، وقالت: "وهكذا، فانهم سيحسدونك لظنهم ان لك عددا كبيرا من الصديقات، بينما لن يكون هناك في الحقيقة سواي".



امشِ

جرّب الاحذية الهندية
تجدها طليقة الحركة متعددة
الاستعمال حسبما شئت من الاصناف
■ احذية للرجال
■ احذية للنساء
■ احذية للاطفال يمرحون بها طوال النهار
اختر حذاء من الهند،
مصنوعاً باليد لراحة
قدميك واناقتهما .



تصدير الهند





من اجل المزيد من التفاصيل تفضل بالاتصال بـ:

For details please contact :

Export Promotion Council for Finished Leather & Leather Manufactures
15/46 Civil Lines
Kanpur-U.P. 208001 (India)
Phone : 62464 Gram : 'LEXPORT'
Telex : KEPC KP 286

أو اكتفِ بالاحذية الهندية

ومن حسن حظ تشارلز ان ايفانجيلين كانت تكتب خطابات مسلية تذكر فيها أحدث النكات المتداولة في المدرسة حيث تعمل، وتسجل بدقة غرائب السلوك التي تميز بعض تلاميذها وزملائها. وكان مستوى الصراحة المتبادلة بينهما كبيرا، يتيح لها ان تكتب حينا بلغة دارجة خشنة وغير مصقولة احيانا، كما يتيح لتشارلز ان ينفض عنه الحرج ويروي لها حكاية رجل ثمل ركب معه الطائرة في مقابل خمسة دولارات وظل طوال الوقت يحاول مغادرة الطائرة وهو يصيح بملء رئتيه: "اريد ان أقضي حاجة...!".

وثمة امران يتضحان من رسائل تشارلز أثناء هذه الفترة: اولهما ولعه بالنكتة، وثانيهما تحوله من طالب ذي مستوى دون العادي الى طالب بالغ التفوق. وقد اعترف لندبرغ بانه استاذ في فن اعتصار معجون الاسنان داخل افواه الزملاء النائمين، ووضع العقارب والحشرات الاخرى في ثنايا ملاءات الاسرة، واخفاء ملابس ضحيته ومعداته فوق اسطح الثكنات وفي غير ذلك من الاماكن التي يصعب الوصول اليها.

وعلى رغم ثقة لندبرغ التامة بقدرته على الطيران، الا انه كان يخاف مما يمكن أن يحدث له في حجرة الدراسة. وكان يعي تماما ان طلبة الطيران ستجري "تصفيتهم" بانتظام على مدى سنوات الدراسة في معهد السلاح الجوي، بحيث انه لن يبقى عند التخرج سوى واحد من كل خمسة تقريبا ليحصل على شهادة الطيران الحربي.

واتبع لندبرغ اسلوبه المعتاد الذي يتلخص في مواجهة المواقف الصعبة بصراحة تامة،والسعي الى معالجتها بوضعها قدر الامكان تحت سيطرته الكاملة. وقبل وفاته بعام، استعاد ذكر هذا الموقف في السيرة الذاتية للقيم" فقال:"انتهيت من تفكيري الى ان اؤمن الوسيلة لاجتياز جميع الامتحانات بنجاح، وهي الا اسعى لمجرد النجاح وحده، بل الى الحصول على اعلى الدرجات الممكنة. وبدأت ادرس واستذكر كما لم افعل من قبل ابدا، في الامسيات وعطلات نهاية الاسبوع واحيانا في دورة المياه بعد ان ينام الجميع فأظل استذكر حتى ساعة متقدمة من الليل. وحين تخرجت في شهر مارس (آذار) عام ١٩٢٥، حصلت على اعلى درجات الاجتياز في دفعتي".

كالسمكة في الماء

ان تتبع الظروف التي عرفها لندبرغ في ضوء حياته العملية كفيل بأن يكشف لنا كثيرا من الدلائل على ما كان القدر يعتزم أن يحمله اليه من مجد. فقد كان لندبرغ فريدا في نسبه وتربيته. ومنذ لحظة التحاقه بمدرسة الطيران الحربي حقق نجاحا فريدا في الطريق الذي اختاره لنفسه.

ففي السن الثالثة والعشرين، تخرج في مدرسة الطيران الحربي وحصل على رتبة ملازم ثان في القوات الاحتياطية للسلاح الجوي، وقبل وظيفة كبير طياري البريد في شركة "روبرتسون" للملاحة الجوية في سانت لويس. ولعله وهو في اوائل العشرينات من عمره كان يحصل من

عمله على اجر لا يقل عن اجر اي طيار اخر في البلاد مهما يكن شأنه. وفضلا عن ذلك، فانه في فترة استعداده للطيران من نيويورك الى باريس، كان قفز بالمظلة اربع مرات من طائرات اضطر الى التخلي عنها للنجاة بحياته، وهو امر انفرد به دون سائر طياري الولايات المتحدة.

وقد دخلت اولى هذه القفزات تاريخ الطيران لانها كانت المرة الاولى التي نجا فيها اثنان من الطيّارين بعد اصطدام طائرتيهما في الهواء. وكان تقرير لندبرغ الرسمي عن الحادث ممتازا ومتميزا، لا بسبب الوقائع التي تضمنها فحسب، وانما كذلك بسبب المهارة الظاهرة في صياغته. وقد نشر هذا التقرير بعد حين في مجلة "الطيران" ثم في صحيفة "ايفننغ وورلد" التي تصدر في نيويورك، واصبحت المدارس تستخدمه كنموذج لاسلوب رواية الوقائع على نحو مبسط وخال من الزخرف.

وقد جاء في نص التقرير ما يأتي:

"تقرير من الطيار تشارلز أ. لندبرغ عن تصادم في الهواء وقع قرابة الساعة ٨،٥٠ صباحا يوم ٦ مارس (آذار) ١٩٢٥، على بعد عشرة اميال تقريبا الى الشمال من قاعدة كيلي الجوية.

كان تشكيل من تسع طائرات من طراز «SE—5» ، بقيادة الملازم بلاكبورن يهاجم طائرة من طراز «DH4B» يقودها الملازم موجان على ارتفاع ٥٠٠٠ قدم تقريبا، وفوق مستوى السحاب ببضع مئات من الاقدام. وكنت أطير الى يسار الوحدة العليا والى يميني طائرة الملازم مكاليستر والطيار "لاف" يطير في المقدم. وحين بدأنا الانقضاض على الطائرة «DH» ، هاجمت من اليسار وهاجم الملازم مكاليستر من اليمين. وبعد ان انهى الطيار لاف هجمته وارتفع، واصلت الانقضاض على الطائرة «DH» لفترة قصيرة قبل ان اعود الى الارتفاع متجها نحو اليسار، من دون ان ارى اي طائرة اخرى قريبا مني. وحلقت فوق الطائرة «DH» ، وبعد لحظة شعرت بهزة خفيفة مفاجئة اعقبها صوت اصطدام واندفع رأسي الى الامام مصطدما بغطاء قمرة القيادة، وبدا ان الطائرة قد دارت حول نفسها وتوقفت لحظة قصيرة بلا حراك تقريبا، فأغلقت مفتاح البنزين ورأيت الى يساري على بعد اقدام قليلة طائرة من طراز «SE—5» وفيها الملازم مكاليستر في مقعد القيادة، وكان يستعد للقفز.

وكانت الطائرتان متشابكتين وذيلاهما يكادان يكونان متوازيين. وكان جناح طائرتي الايمن مصابا وقد انثنى قليلا الى الخلف، ثم بدأت الطائرتان تدوران حول نفسيهما واخذت الأسلاك تصفر، وبدأ الجناح الايمن لطائرتي يتذبذب ويصدم رأسي في كل واحدة من حركاته الى اسفل اثناء اهتزازه، فخرجت من مقعدي وتسلقت عبر الحافة المدلاة للجناح التالف، وقفزت الى الخلف بعيدا عن الطائرة وتحرزا من ان تقع فوقي قطع من حطام الطائرة، فانني لم اجذب حبل المظلة لفتحها الا بعد ان سقطت بضع مئات من الاقدام. وقد ادت المظلة مهمتها تماما.

ورأيت الملازم مكاليستر سابحا في الهواء فوقي ومرت الطائرتان المحطمتان على بعد قرابة ٩٠ مترا الى أحد الجانبين وهما تدوران الى اليمين حول نفسيهما تاركتين خلفهما خطا من الشظايا الأخف وزنا على طول مسارهما، وظللت أراقبهما حتى سقطتا فوق الشجيرات على مسافة ٢٠٠٠ قدم تقريبا الى أسفل وانفجرتا مشتعلتين بعد اصطدامهما بثوان·

وكنت أسبح في الهواء في الاتجاه العام لحقل محروث، وصلت اليه بتقصير المظلة· ومع أن صدمة هبوطي على الارض كانت شديدة الى درجة لم أتمكن معها من البقاء واقفا، الا انني لم أصب بأي أذى· وأثناء هبوطي فقدت نظارتي وجهاز تصوير كان في وضع محكم في جيب سروالي الخلفي اضافة الى حبل المظلة"·

وأكثر ما يبعث على الدهشة في هذا التقرير، خصوصا في نظر غير الطيارين، أن الحادث لم يسبب قلقا يذكر للندبرغ· فقد أوشك الهواء أن يصبح بيئته الطبيعية الى درجة أن حادثا مفزعا يقع فيه على ارتفاع ١٥٠٠متر في السماء يكاد لا يسبب له من الاضطراب ما قد يحدثه اصطدام سيارتين منطلقتين بأقصى سرعة فوق الارض·

"أحر" التهاني"

ومن العقبات التي يصطدم بها كل من يحاول كتابة سيرة لندبرغ هو ان أهم حدث في حياته، الحدث الذي دفع به الى رحاب التاريخ بين ليلة وضحاها قد وصفه لندبرغ نفسه بحماسة وخيال لا يأمل احد في أن يأتي بأفضل منها· فالقارىء ينتقل عبر صفحات كتاب "روح سانت لويس" وكأنها سلسلة من آخر الاخبار المثيرة، وكأن نتيجة هذه الرحلة الطائرة التي لم يسبق لها مثيل لا تزال ساعة بعد ساعة غير مضمونة لما يحف بها من أخطار وصعاب·

ان ما يجعل قيمة الانجاز الذي حققه لندبرغ في ذلك الكتاب أكبر مما يظن عادة هو أن الرحلة نفسها، اذا استثنينا مصادفة واحدة سيئة، كانت سهلة· سهلة؟ ان كلمة السهولة تبدو غير معقولة في وصف محاولة كانت حتى ذلك الحين تنتهي دائما تقريبا الى الموت، ولكن من أهم الموضوعات التي ينطوي عليها الكتاب أن لندبرغ ودونالد هول مصمم الطائرة قد حسبا مقدما حساب كل احتمال بدقة يمكن معها القول انه من الناحية الميكانيكية لم يعد هناك أي مجال لوقوع أي طارىء أو تلف يمكن اعتباره مهما·

وحسب رأي الاثنين كان لا بدّ للطائرة، بمجرد ارتفاعها عن الارض وتحليقها في الجو في اتجاه باريس ان تتغلّب على كل الاسباب التي يحتمل ان تحول دون وصولها الى وجهتها في الوقت المناسب· فقد كانت المشكلة التي حلها التصميم الهندسي بسيطة تلخص بالآتي: المطلوب هو تصميم طائرة يمكنها لدى الارتفاع عن الأرض حمل كمية من الوقود تكفي للطيران مسافة ٦٥٠٠ كيلومتر· ومتى تحقق ذلك، بات كل شيء بعده متوقفا على الطيار·

وفي لحظات قلائل من صباح يوم

٢٠ مايو (ايار) ١٩٢٧، اتضح أن لندبرغ وهول قد صمما الطائرة المشؤومة. وكان الجو خلال الرحلة رديئا، ولكنه لم يكن أسوأ من الجو الذي كان لندبرغ يواجهه كثيرا وهو ينتقل بالبريد بين سانت لويس وشيكاغو. وقد بدا طريق "الدائرة العظمى" الذي رسمه لندبرغ على شكل مراحل طول كل منها ١٦٠ كيلومترا يبدو على خريطته، ذات العلامات التي تشبه بقع الحبر الخشنة، وكأنه رسم خطه طفل صغير، ومع ذلك فقد ثبتت دقته الفائقة وتمكنت معه الطائرة "روح سانت لويس" - بالاضافة الى ملاحة لندبرغ الممتازة - من عبور المحيط والتحليق فوق الارض عند الهدف المحدّد تقريبا، فوق خليج "دنغل باي" على الساحل الجنوبي الغربي من ايرلندا. وقد قدّر لندبرغ أنه يصل الى اوروبا منحرفاً عن مساره بنحو ٦٥٠ كيلومترا تقريبا، ولذلك طلب ان يكون مدى الطائرة ٦٥٠٠ كيلومتر. وحين هبط في باريس، لم يستطع ان يكتم تباهيه بان الوقود الباقي في خزاناته كان يكفيه لمواصلة الطيران حتى مدينة روما.

وينتهي نص كتاب "روح سانت لويس" بمفاجأة وعجب فيقول: "وكان المطار بأكمله أمامي مغطى بوجوه متراكضة!" وفي "خاتمة" قصيرة بعد ذلك، يشير لندبرغ الى احتمال صدور ذيل للكتاب: "ان الترحيب الذي لقيته في مطار لو بورجيه كان مجرد بشير بالترحيب الذي قابلتني به فرنسا وبلجيكا وانكلترا، بل وسائر اوروبا عن طريق الرسائل التي تلقيتها. غير أن قصة تجاربي في الخارج وعودتي الى الولايات المتحدة وامتناني لشعوب اوروبا وامريكا، كل هذا، سيكون له موضع آخر".

ولم يقدر لهذا الموضوع أن يكتب أبدا. الا أننا نجد في "السيرة الذاتية للقيم؟" لمحات كثيرة من الاحداث التي ربما انطوى عليها ذلك الموضوع. فقد وصل لندبرغ الى مطار لو بورجيه قبل الموعد المضروب، فظن أنه لن يجد أحدا في استقباله. وكان لا بدّ له ان يعلن عن وصوله، وان يتخذ الترتيبات اللازمة باستخدام اسلوب الاشارات اذا دعت الضرورة لايواء طائرته في الحظيرة، ثم طلب المساعدة كي ينتقل الى باريس ويأوي الى فندق معتدل الكلفة. ولكنه اهتم بالتركيز الشديد على رحلة الطيران ذاتها وأغفل التفكير في توابعها.

وقد اذهله الحشد الكبير الذي وجده في مطار لو بورجيه. فلم يدر أنه منذ شوهدت طائرته فوق مدينة شربور تواترت البلاغات على باريس بالبرق والهاتف تعلن اقترابه فوق وادي السين. وبدا أن باريس بأجمعها قد اتجهت الى المطار للترحيب به، مما أدى الى أكبر أزمة مرور في تاريخ المدينة. وحطت طائرته على أرض المطار الساعة ١٠،٢٢ مساء بتوقيت باريس. وبينما كانت الطائرة لا تزال تجري على المدرج قبل توقفها، اخترق الوف المرحبين ساحة المطار وتحلقوا حولها.

ووقع السفير الامريكي هيريك على الفور تحت سحر الطيار الشاب وطلب من لندبرغ ان يرافقه الى السفارة

ويعتبر نفسه انه في بيته، فقبل لندبرغ الدعوة. ومنذ اللحظة التي استغرق فيها في النوم وهو يرتدي بيجاما استعارها من السفير، لم يعد لندبرغ ابدا الى عالم صباه وشبابه. وكان من دلائل انتقاله من عالم الى آخر تلك البرقية الغريبة الرقيقة التي أرسلها السفير هيريك الى ايفانجيلين لندبرغ في ديترويت: "أحر التهاني. لقد شرّفني ابنك الفذ بقبوله ضيافتي، وهو في خير صحة ويغفو غفوة حلوة تحت سقف العم سام".

وعندما استيقظ لندبرغ بعد الظهر بقليل يوم ٢٢ مايو (ايار)، وجد بلانشار، الخادم الخاص للسفير، واقفا الى جانب سريره، يعلن أن الحمام جاهز. وتبادر الى ذهن لندبرغ على الفور أن الغرفة التي يجد نفسه فيها تشبه ما كان رآه في الافلام: غرفة في قصر، تختلف عن كل ما سبق له أن صادفه في واقع الحياة. وكان بلانشار يحمل ثوب حمام (برنس)، وبدت هيئته للندبرغ شيئا خياليا شبيها بما في الافلام. ولم يكن سبق له في حياته كلها أن اقتنى ثوب حمام، اذ كان يعتبره قطعة زائدة من الملابس لا لزوم لها على الاطلاق.

وكتب لندبرغ عن ذلك في ما بعد: "كنت - كفرد - مندهشا لما أحدثه هبوطي الناجح في فرنسا من أثر على أمم العالم. كان الامر في نظري شبيها بعود ثقاب يشعل نارا سريعة الانتشار، ولذا فقد اعتقدت أن الناس يخلطون بين ضوء النار ولهب الثقاب، وأن الناس يسندون الى فرد واحد فضل عمل قامت به في الحقيقة جماعات كثيرة من أفراد عديدين".

لقد كتب لندبرغ هذه الكلمات بعدما تجاوز الستين، ولم يكن في ذلك اي تصنّع او تواضع زائف على الاطلاق، ان الـ ٣٣ ساعة التي قضاها طائرا في الهواء بين نيويورك وباريس لم تغيره مثقال ذرة بل انها كشفت فيه الصفات التي دفعته الى القيام برحلته، ولكن الـ ٣٣ ساعة الاولى من اقامته في باريس أنذرت بأن تسبغ عليه حياة جديدة ليست بالضرورة جديرة بالترحيب، وكان عليه أن يتصرف بسرعة حتى لا يكون مجرد سلوكه الوديع المنبعث من أدبه ظاهرا في أعين العالم وكأنه قبول بلا معارضة لهذه الحياة الجديدة.

الجولة الكبرى

لقي لندبرغ في نيويورك ترحيبا لا مثيل له استمر أربعة أيام، كان كل منها سلسلة لا تنقطع من المواكب والولائم والاستقبالات الخاصة والعامة. وفي صباح اليوم الاول، خلال المسيرة التقليدية بالسيارة في برودواي، امطرت نوافذ ناطحات السحاب في الحي المالي، طنين من قصاصات الورق الملون والاشرطة الورقية. على موكب السيارات الذي صاحبه، وفي الصباح التالي خصصت "النيويورك تايمس" صفحاتها الستة عشرة الاولى للندبرغ، دلالة على أن محرري الصحيفة يعتبرون الانجاز الذي حققه أهم حدث منفرد في التاريخ الامريكي.

وطار لندبرغ من نيويورك الى سانت لويس ليقضي يومين في احتفالات لا تنقطع، شارك فيها الاشخاص التسعة الآخرون الذين ساندوا رحلته وأعانوه على انجازها.

وانتقل من سانت لويس في رحلة جوية خاطفة الى مدينة دايتون في ولاية أوهايو، حيث كان يأمل في القيام بزيارة هادئة لاورفيل رايت (★) ولكن آلافا مؤلفة من الراغبين في التعبير عن عواطفهم الطيبة نحوه تجمعوا عند بيت أورفيل وطالبوا صاخبين بمشاهدة لندبرغ، وتدافعوا فدمروا حدائق منزل رايت وأحالوها الى تراب، بل وغدا البيت نفسه مهددا بتلف خطير.

وعاد لندبرغ الى نيويورك في أواخر يونيو (حزيران) ليبدأ وضع كتاب عن رحلته. وألغى جميع ارتباطاته المعلقة، واستقر في بيت ريفي لاحد اصدقائه، وانكب على كتابة مؤلفه الصغير "نحن" بخط يده وبسرعة ملحوظة. وكان مضيف لندبرغ في هذه المناسبة الكابتن هاري ف. غوغنهايم، رئيس صندوق دانيل غوغنهايم للنهوض بعلوم الطيران، والذي كان طيارا بحريا في الاسطول أثناء الحرب العالمية الاولى.

وكان لغوغنهايم بيت ريفي يدعى "فاليز" (الشاطىء الصخري) يقع في "ساندز بوينت في لونغ آيلاند في منطقة نيويورك، وقد أتاح للندبرغ العزلة التي يحتاج اليها لوضع الكتاب، بعيدا عن الحشود المفتونة بالبطولة والصحافة التي كانت تلاحقه في اصرار حتى عندما لا تكون لديه أخبار يزودها بها. وفضلا عن ذلك، كان هناك مرعى للجياد في الارض التابعة للبيت يصلح مدرجا للطائرات.

وقرية فاليز هي المكان الذي اصطحب اليه لندبرغ في طائرة مستأجرة آن مورو في أول موعد ضربه لها من مواعيد لقائهما الثلاثة التي سبقت خطبتهما.

وفي الوقت نفسه كان لندبرغ يضع الخطط لمغامرة جديدة. وفيما كان هو منكبا على كتابه "نحن"، تلقى مئات الطلبات لالقاء خطب. وخطر له أنه يستطيع تلبية هذه الطلبات واداء دور يؤمن به وقد فرضته عليه، على نحو او آخر، رحلته الى باريس هو دور المتحدث الرئيسي باسم عالم الطيران التجاري الجديد. وقرّر ان يقوم - باسم هذه القضية بجولة في مدن البلاد من ساحل الاطلسي الى ساحل المحيط الهادىء ليوضح أنه عندما يتعلق الامر بالمحافظة على التوقيت المنتظم الدقيق، فان الطائرات توشك بالفعل ان تضاهي القطارات (وهو ايضاح لم يكن ينتظر أن يستطيع أحد سوى لندبرغ القيام به).

وبدأ لندبرغ جولته في يوليو (تموز) وانتهى منها في أكتوبر (تشرين الاول) وقطع خلالها مسافة ٣٥٠٠٠ كيلومتر في ٢٦٠ ساعة توقف أثناءها في مواعيد دقيقة في ٨٢ مدينة، وألقى رسائل في ساعات محددة على مدن أخرى لا حصر لها، وخصص ١٤٧ من خطبه لموضوع الطيران عموما.

مغامرة جديدة .. وخطرة

وهذه التظاهرة الكبيرة للمهارة في الطيران لم يناظرها سوى تلك الرحلة من دون توقف التي قام بها في شهر ديسمبر (كانون الاول) بين العاصمة واشنطن ومدينة مكسيكو - سيتي

(★) أحد الاخوين ويلبور واورفيل رايت اللذين كانا أول من نجح في التاريخ في صنع طائرة تشق الفضاء وهي اثقل من الهواء.

عاصمة المكسيك، وهي رحلة ثبت من نواح معينة أنها كانت أشق من رحلته الى باريس وانها لم تقل عنها خطورة. وكان دوايت و. مورو، سفير الولايات المتحدة في المكسيك، رئيسا للجنة عينّها الرئيس كالفن كولدج لاستقصاء أحوال الطيران في الولايات المتحدة. ودعا مورو لندبرغ الى زيارة ودية للمكسيك بواسطة الطائرة.

ويقول لندبرغ عن ذلك في "السيرة الذاتية للقيم": "لقد أتاحت لي دعوة السفير ان احقق عدة أهداف في رحلة طيران واحدة. فالى رغبته في أن تكون الرحلة تعبيرا عن الصداقة، وجدت انني أستطيع بذلك أن أبين بمزيد من الوضوح امكانات الطائرات الحديثة، وأن في مقدوري بعد انتهاء الزيارة مواصلة الطيران الى أمريكا الجنوبية، فأساعد بذلك على الربط جوا بين قارتي نصف الكرة الغربي الذي نعيش فيه".

وقلق السفير مورو حين علم باعتزام لندبرغ الطيران حتى المكسيك دون توقف، وقال انه لا يريد من لندبرغ القيام بأي محاولة من شأنها تعريضه للخطر. ورد لندبرغ على ذلك باسما: ان على السفير الكف عن القلق لان امر الطيران يعنيه هو (اي لندبرغ) وحده.

وتبدو رواية صحيفة "النيويورك تايمس" عن اقلاع لندبرغ في تلك الرحلة نموذجا حسنا للطريقة التي كانت تتبعها الصحافة في الكتابة عن لندبرغ في تلك الايام. وما قالته الصحيفة آنذاك: "كان بادي التركيز والهدوء، صافي العينين والرأس تحت ظروف تتطلب أقصى درجات الشجاعة الادبية والبدنية وأعلى مستويات المهارة. وانطلق الفاتح الامريكي الشاب بطائرته الرمادية من وجه بطحاء تنتشر فيها برك الماء الصغيرة وصعد بها يقتحم افريزا من السحاب القاتم المخيف قبل ظهر اليوم بقليل، ثم أدار مقدمها نحو الجنوب، وانطلق مرة أخرى في مغامرة جديدة خطرة نحو أرض غريبة، مجسدا من جديد في قلوب شعبه صفته الرائعة كسفير لهذا الشعب يحمل عربون صداقته ونياته الطيبة".

وطار لندبرغ طوال اليوم نحو الجنوب فوق ولايات فرجينيا وكارولينا الشمالية وكارولينا الجنوبية وجورجيا، وهو يتفادى العواصف الشديدة ذات الامطار الغزيرة، واستمر في طيرانه خلال الليل حتى وصل قرابة الساعة التاسعة من صباح اليوم التالي الى تامبيكو في المكسيك. وقد خلف وراءه العواصف الماطرة والضباب والسحب الكثيفة، وبدت السماء أمامه زرقاء صافية والرؤية تمتد بلا حدود، وافترض أنه انتهى من أسوأ مراحل رحلته. وفجأة، اكتشف لدهشته الشديدة امرا مزعجا: لقد ضلّ الطريق! كانت أفضل خرائط المكسيك التي استطاع لندبرغ الحصول عليها في الولايات المتحدة لا توضح الا القليل من التفاصيل، خطوط سوداء أقرب الى الاستقامة تمثل السكك الحديد، وخطوط متعرجة تمثل الانهر وعليها بعض المواضع المميزة للعبور. ولكن نظراته التي كانت تتنقل تكرارا بين الخرائط المنشورة

على ركبتيه وسطح الارض تحته لم تجد اي تناظر يمكن تمييزه والاعتماد عليه. ومضى يتبع خطا حديديا متجها الى الغرب، آملا في أن يلتقي خطا حديديا آخر فيؤلف بذلك تقاطعا وزاوية يمكنه أن يتعرف عليها، ولكن هذا الالتقاء لم يحدث.

وحاول بعد ذلك أن يتبع طريقة كان يستخدمها أيام اشتغاله في الطيران الاستعراضي. فكانت هناك على طول خط السكة الحديد كثير من القرى والدساكر، ولكل منها محطة للسكة الحديد. وجرت العادة ان تضع كل قرية على جدار كل من طرفيها لافتة بالدهان الاسود تحمل اسمها وكثيرا ما كان لندبرغ يهبط الى ارتفاع منخفض قرب هذه المحطات ليقرأ أسماءها ويتحقق من مساره، وعلى ذلك فقد بدأ الان ينخفض فوق هذه المحطات المكسيكية الصغيرة الى ارتفاع ١٥ مترا فقط فوق سطح الارض.

ورأى لافتة مكتوبا عليها كلمة "كاباليروس"، ولكنه لم يجد في خريطته بلدة بذلك الاسم. وهبط فوق بلدة أخرى فرأى لافتة تحمل الكلمة نفسها. وتكررت المسألة على نحو يبعث على الحيرة. وكانت انقضت عليه في الطيران ٢٥ ساعة لم يذق خلالها طعم النوم، وبدأت ردود أفعاله تتباطأ، واخيرا... أنعم الله عليه بحل، وأدرك أن الكلمة التي تتكرر على تلك اللافتات لا تشير الى اسم بلدة ما وانما الى أماكن دورات مياه الرجال.

ها هوذا اذاً، تائه وسط النهار، في جو نموذجي للطيران وقد فات الموعد الذي ضربه للوصل الى مدينة مكسيكو.

ووصل في النهاية متأخرا عن الموعد ساعتين وأربعين دقيقة، وهو يشعر بحرج بالغ وعميق. غير انه أدرك الجانب الفكاهي للحادث. ففي وصفه للرحلة، الذي نشرته صحيفة "النيويورك تايمس" كرسالة منه، كتب الآتي: "لقد حدث خلل ما، ولا بد أنه حدث في شخصي أنا".

وخلال الاسابيع الستة التالية، طار لندبرغ الى ١٤ بلدا في امريكا اللاتينية، كما طار الى منطقة قناة بناما، ولقي ترحيبا حادا في كل مكان حل به وكأنه طيف الهي يهبط من السماوات باسما كريما. وفي يوم عيد ميلاده السادس والعشرين، طار من بورتوريكو الى سان دومنغو (جمهورية الدومينيكان حاليا). وكان بدأ فعلا يعدّ الخطط لانهاء حياته "العامة".

وقطع لندبرغ في جولته ١٥٠٠٠ كيلومتر وانهاها في مدينة سانت لويس في فبراير (شباط) ١٩٢٨. وبعد ذلك بأسابيع قليلة قام بآخر رحلة له في الطائرة "روح سانت لويس".

رجل الحياة

افترض لندبرغ انه عندما يعلن عودته الى الحياة الخاصة، فان شهرته ستبدأ في التقلص بالسرعة نفسها التي انطلقت بها. ولم يكن لندبرغ في افتراضه هذا ساذجا او غير واع لحقائق الامور، لان هناك تقليدا في الولايات المتحدة يقوم على خلق الشخصيات الشهيرة، بين ليلة وضحاها، واستهلاكها ثم نبذها.

ولكن سوء حظ لندبرغ شاء أن يظل الجمهور متعطشا على الدوام الى المزيد من أخباره، ولذا فقد بدأ نوع من الحرب غير اللائقة بين الصحافة وبينه، ولم تنته تلك الحرب الا بوفاته.

وقدر لأعظم طياري العالم أن ينشغل طوال السنوات القليلة التالية برسم مسارات الطيران التجاري داخل الولايات المتحدة وبين امريكا الشمالية وبقية القارات. وكان بين حين وحين يطير أسرع أو أعلى او اطول من اي شخص آخر قبله، الا ان تلك الانجازات لم تكن تقاس بالانباء المثيرة - الحقيقية أو الزائفة - التي كانت تنشرها الصحف طلبا للرواج. وما أكثر ما خرجت العناوين السوداء الكبيرة تعلن الانباء الزائفة عن أحدث صديقاته أو آخر مرض أصابه أو آخر حادث وقع له، أو آخر "وفاة" له.

ولا شك في أن أسعد حادث في حياة لندبرغ هو وقوعه في حب آن مورو وزواجه منها. ولكن فترة خطبتهما وشهر عسلهما تحولا الى كابوس مرهق بسبب مخبري الصحف الذين لم يكفوا عن ملاحقتهما ليل نهار والذين كانوا يكررون بسماجة وبغير ملل سؤال لندبرغ كلما نجحوا في محاصرته: "ما الخبر الان يا لندي؟ هل هي حامل؟" كذلك كان أتعس حادث في حياة لندبرغ اختطاف ابنه الرضيع الذي كان يحمل اسمه وقتله عام ١٩٣٢، ولكن الصحافة استغلت هذه المأساة وحولتها الى مهرجان!

وكان لندبرغ حتى ذلك التاريخ أضاف الى سجله اللامع في الطيران سجلا آخر في مجال التكنولوجيا الطبية لا يقل قيمة عن الاول. فهو استمر منذ عام ١٩٣٠ يعمل مع الدكتور الكسيس كاريل في معهد روكفلر للبحوث الطبية في مدينة نيويورك من أجل صنع مضخة لرش الاعضاء الحية رشا اختراقيا. وقد أعلن كاريل ولندبرغ صنع المضخة الاولى في مجلة "العلم" عام ١٩٣٥، واشتركا بعد ذلك بسنوات ثلاث في نشر كتاب بعنوان "زرع الاعضاء".

وعام ١٩٣٨، انتقل آل لندبرغ مع ابنهما جون وطفل آخر جديد هو لاند مورو، الى جزيرة بالغة الصغر تدعى ايليك، أمام ساحل بريتاني في فرنسا. وكانت الجزيرة على مسافة بضع دقائق بالقارب أو على الاقدام، اذا كان الجزر منخفضا، من جزيرة أخرى أكبر منها قليلا هي جزيرة سان جيلواس، التي جعل فيها الدكتور كاريل وزوجته مقرهما الصيفي. وكان المؤلف الموسيقي أمبرواز توما يملك جزيرة ايليك في أواخر القرن التاسع عشر فبنى فيها بيتا ريفيا كبيرا. وكانت ظروف المعيشة في الجزيرة بدائية مما جعلها مناسبة لذوق لندبرغ الذي كان يشعر بالقوى الازلية الكامنة في الاشجار العتيقة التي تعصف بها الرياح، وكان يبتهج للعواصف العاتية التي ترسل رشاشا من أمواج البحر العاتية فوق سقف البيت الحجري المتين.

غير ان متعة تلك الحياة لم تلبث أن قطعتها الحرب العالمية الثانية. ففي عام ١٩٣٩، غادر آل لندبرغ مرغمين جزيرة ايليك واستأجرا بيتا ريفيا في لونغ آيلاند في ولاية

نيويورك. وبدأ لندبرغ من ذلك المقر يؤدي دورا صرف عنه الجانب الاكبر من تعلق الناس به من دون أن ينال كثيرا من شهرته. فقد بدأ وحده أولا، ثم في ظل اللجنة المسماة "لجنة أمريكا أولا"، بعد ذلك، يناضل بشدة وحماسة ضد دخول أمريكا الحرب. وفي خلال مناظرة مريرة مع حكومة روزفلت رأى أنه يجدر به التنازل عن رتبته كعقيد في سلاح الطيران الامريكي.

وانتهى دوره في هذه المناظرة بواقعة بيرل هاربور (★★). فقد عرض لندبرغ تطوعه فور وقوع الكارثة على سلاح الطيران، ولكنه أبلغ أن ترخيص البيت الابيض باعادة رتبته اليه مرهون بأن يعلن أولا اعترافه بأنه كان مخطئا في معارضته لدخول الولايات المتحدة الحرب. وقد رفض لندبرغ ذلك، وفرضت الضرورة أن تكون مساهمته في المجهود الحربي على أساس أنه مدني. وكانت تلك جرعة مريرة ولكنها حفظت له كبرياءه.

وبعد الحرب نيطت بلندبرغ مهمات كثيرة، بعضها لحساب السلاح الجوي والبعض الآخر لحساب الطيران التجاري، والبعض الثالث لحساب العديد من مؤسسات الخدمات الاجتماعية التي أخذ اهتمامه بها يتزايد، كان عمله شاقا يتطلب كثيرا من السفر، ولكن اسرة لندبرغ تمكنت في النهاية، وللمرة الاولى منذ بداية حياتها الزوجية، من اتخاذ مقر ثابت تبدأ منه الاسفار وتؤوب اليه. ذلك هو البيت الريفي في بلدة داريين في ولاية كونكتيكت. فقد حلت على الزوجين هناك نعمة من خير النعم: المرح والترفيه اللذان تشيعهما الحياة في بيت كبير قديم يموج بأطفال ممتلئين صحة ونشاطا وجمالا. وكان هناك منهم ثلاثة أبناء هم جون ولاند وسكوت وبنتان هما آن وريف.

وكم كان الاطفال أنفسهم مصدر ايحاء لبعض القصص. مثال ذلك أنه عندما كان لاند طفلا في المدرسة سأله أحد أقرانه: "ألم يكتشف أبوك امريكا؟" فأجاب لاند: "نعم، وعبر المحيط طائرا أيضا".

وبعد ان كبر الاطفال، باع آل لندبرغ بيتهم في داريين واحتفظوا بجزء من الارض التابعة له لبناء بيت أصغر. وكانوا يقضون جزءا من العام في داريين، وجزءاً آخر في بيت جبلي يملكونه قرب بلدة فيفي في سويسرا، وجزءاً ثالثاً في ماوي، في جزر هاواي.

وكان لندبرغ يفضل بيت ماوي، وما ان أخبره الاطباء في نيويورك باقتراب أجله حتى طلب نقله بسرعة الى ذلك البيت.

وكان يضع على أنفه قناع الاوكسيجين حين دخل في النزع الاخير، وقد ظن في باديء الامر أن خللا ما قد طرأ على الجهاز الذي يزوّد القناع بالهواء (كان أول ما يطرأ على ذهنه التأكد الدائم من سلامة معداته) فمدّ يده وكأنه سينزع القناع، ثم قرأت زوجته أن في عينيه أنه ادرك أن الخلل ليس في القناع..

(★★) بيرل هاربور: ميناء في جزر هاواي هاجمه الطيران الياباني فجأة ودمّر جانبا كبيرا من الاسطول الامريكي الذي كان راسيا فيه (٧ ديسمبر - كانون الاول ١٩٤١).



دمشق في البال ص ١٩

القرحة مرض العصر ص ٥٩

جولة في الصين ص ٥١

لبنان ٤٥٠ق - سورية ٢٠٠ق - الاردن ٥٠٠ف - الكويت ٥٥ف - الامارات العربية المتحدة ٦د - قطر ٦ر - البحرين ٦٠٠ف - السعودية ٦ر - مصر ٥٠٠م - السودان ٥٠٠م - ليبيا ٦٥٠د - اليمن الجنوبية ٦ر - مسقط ٦ر - العراق ٦٠٠ف - تونس ٧٠٠م - المغرب ٣د - الجزائر ٧د - فرنسا ٧ف - انكلترا ٧٥ب - اليونان ١٠٠د - كندا واميركا الشمالية ٢د٠
AL MUKHTAR *min* Reader's Digest November 79 N 12

تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٩ - ذو الحجة ١٣٩٩

المختار



من ريدرز دايجست

اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون ريدرز دايجست في ١٨٠ بلداً بـ ١٥ لغة

لبنان ٤٥٠ق - سورية ٦٠٠ق - الاردن ٥٠٠ف - الكويت ٥٥ف - الامارات العربية المتحدة ٦د - قطر ٦ر - البحرين ٦٠٠ف - السعودية ٦ر - مصر ٥٠٠ - السودان ٥٠٠م - ليبيا ٦٥٠د - اليمن الجنوبية ٦ر - مسقط ٦ر - العراق ٦٠٠ف - تونس ٧٠٠م - المغرب ٣د - الجزائر ٧د - فرنسا ٧ف - انكلترا ٧٥ب - اليونان ١٠٠د - كندا وامريكا الشمالية ٢د

عزيزي القارئ

منذ صدور العدد الأول من "المختار" الجديد في كانون الاول الماضي ورسائل القراء تتدفق على قلم التحرير بالمئات حاملة النكات والاقوال المأثورة والتجارب الشخصية، فضلا عن المقالات والاقتراحات.

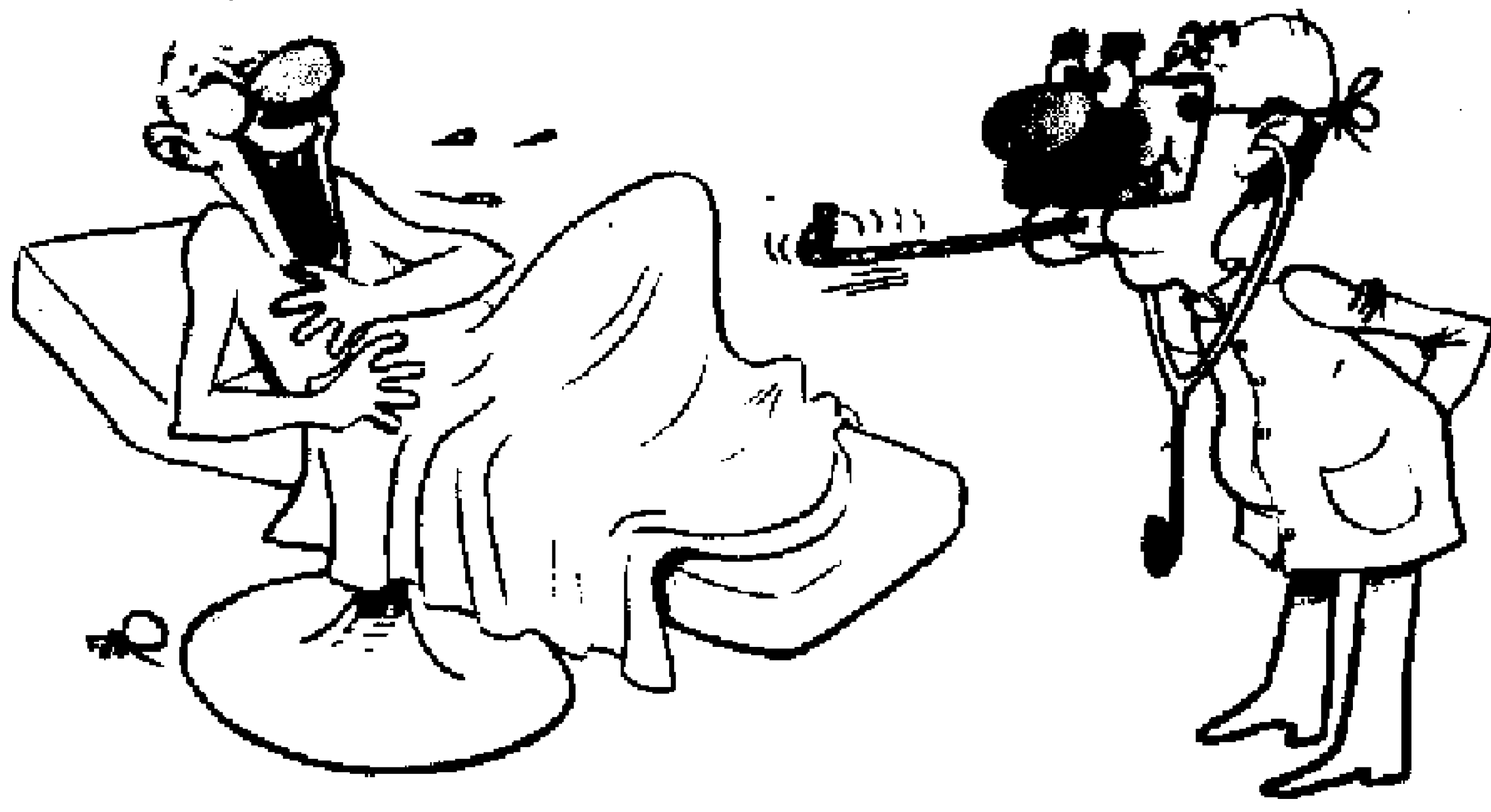
وقد حرصت ادارة المجلة على تسريع عملية فرز الرسائل وتصنيف المواد التي تنطبق عليها شروط "اكتب واربح"، الا ان تجاهل عدد كبير من القراء لهذه الشروط، على رغم تكرارها وتخصيص صفحة لها لاكثر من ثلاثة اشهر، تسبب في تأخير عملية الفرز والتصنيف تمهيدا لاختيار المناسب والنظر فيه. فمن شروط المسابقة مثلا ان ترسل مواد كل باب على ورقة خاصة وبخط واضح، ترافقها المراجع التي نقلت عنها. وغالبية القراء التفتت الى التعويض المالي اكثر من التفاتها الى شروط المسابقة، فحدث ان ما وصلنا كان في معظمه متداخل الابواب والمواد ومن دون مراجع.

ووضعا للامور في نصابها، نود ان نوضح ان الهدف من فتح باب "اكتب واربح" كان تشجيع القراء على المطالعة، خصوصا الكتب، ونقل المفيد منها وتعميمه على قراء "المختار" وبقية الطبعات الدولية لدى "ريدرز دايجست"، مما يعطي اللغة العربية، بعدا عالميا، اضافة الى اشتراك القراء في تحرير بعض الابواب وبالتالي تعميم تجاربهم في الحياة علها تفيد امثالهم وتسليهم.

ان ادارة "المختار"، اذ تعتز بالثقة التي وضعها القراء في المجلة، تكرر رجاءها الى هؤلاء ان يتقيدوا بشروط المسابقة. وسيتلقى القراء الذين كتبوا الينا رسائل ايضاحية. فعذرا وشكرا.

رئيس التحرير

الضحك خير دواء



فراسة الأم

كانت الامهات الثلاث يتفاخرن باطفالهن ذوي الاعوام الثمانية، فقالت الاولى: "اعرف ان صغيري جوني سيصير مهندسا، فما ان اشتري له لعبة حتى يفككها ليعرف ما الذي يجعلها تعمل".
وقالت الثانية: "انا فخورة بابني فريدي، واعرف انه سيغدو محاميا بارعا لانه يقضي الوقت كله في الجدل مع الاطفال".
اما الأم الثالثة فقالت: "لا شك في ان قدر هارولد الصغير ان يكون طبيبا، اذ متى ناديته تملص من المجيء".

أ. س. ت.

ضرورة الزواج

يحتاج كل رجل الى زوجة، اذ انه، عاجلا أم آجلا، لا بد من ان يقع خطأ لا يستطيع القاء اللوم فيه على الحكومة.

ك. م.

القبعة

كان الطفل وجدّته المصابة بالخرف يتنزهان في محاذاة الساحل حين فاجأتهما موجة هائلة وجرفت الطفل نحو البحر، وركعت الجدة المذعورة على ركبتيها ورفعت بصرها نحو السماء متوسلة الى الله ان يعيد اليها حفيدها الحبيب. وحلت المعجزة، اذ كرّت موجة اخرى والقت الطفل غائبا عن الوعي على الرمال امام جدته. وتفحصت الجدة الطفل بعناية، ولم يكن اصابه اي اذى. لكن الجدة تطلعت الى السماء غاضبة ودمدمت: "حين جئنا كان الطفل يعتمر قبعة".

و. د.

ثقة الوالدين

سُمع طالب يقول لزميله في الجامعة: "لن اعتمد بعد على والديّ. فقد طلبت منهما ان يرسلا الي ٦٠٠ دولار لشراء موسوعة، فارسلا الموسوعة نفسها".

ب. ي.

لا يحيي الموتى

بعد عاصفة رعد قوية، وجدنا احد جيادنا ميتاً بسبب صاعقة على الاغلب. وكان علينا الحصول على تأييد لصحة سبب الوفاة هذا من طبيب بيطري لكي نستحق مبلغ التأمين. وحين اتصلنا بالطبيب هاتفياً، ردّت علينا مساعدته، وهي شابة مرحة. فأبلغتها ان لدينا جواداً ميتاً ونرجو ان يأتي الطبيب للكشف عليه.
وبعد صمت اجابت: "اعرف ان الطبيب بارع، لكنه لا يحيي الموتى".

د. س.



المختار
من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

المستشار الثقافي : **مؤنس طه حسين ·**
رئيس التحرير : **ادمون صعب ·**
رئيس التحرير المعاون : **اديب صعب ·**
مدير التحرير : **فؤاد غطاس كرم ·**
امانة التحرير : **رينا نداف ·**
الاخراج : **اروى سيف الدين ·**

الامتياز:
شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس ·

الناشر :
شركة رأس الخيمة للمنشورات الدولية ·
المؤسسون: **غسان تويني، توفيق ابو خاطر، عثمان عائدي، لوسيان دحداح ·**

الخدمات الصحافية:
شركة الدراسات والمنشورات الدولية S.E.P.I.

الادارة والتحرير والاشتراكات:

AL MUKHTAR min Reader's Digest
37, Avenue George V, 75008 Paris, FRANCE
Tel. 7204542 7237422 Telex 612687 F

الاعلانات :
شركة تمام TAMAM
28, Rue de Berri, 75008 Paris, FRANCE

التوزيع:
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات ·

الصف والتنفيذ:
شركة المطبوعات العربية - باريس ·

الطباعة:
بوليغرافيتشي اديتوريالي - بولونيا - ايطاليا ·
الخط: **محمد ماجد ·**

الطبعات الدولية لـ **"ريدرز دايجست"**
المدير العام: **جون أ· اوهارا ·**
مدير التحرير: **آلان دوليرو ·**

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنرويجية والدانماركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانيه والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية اضافة الى العربية·

MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.
N° DE LA COMMISSION PARITAIRE 3398RL

الغلاف: نسيج دوار الشمس (سانت مارتن)

AL MUKHTAR *min* Reader's Digest
November 1979 (New Series). Vol. 1 N° 12



POLIGRAFICI EDITORIALE SPA

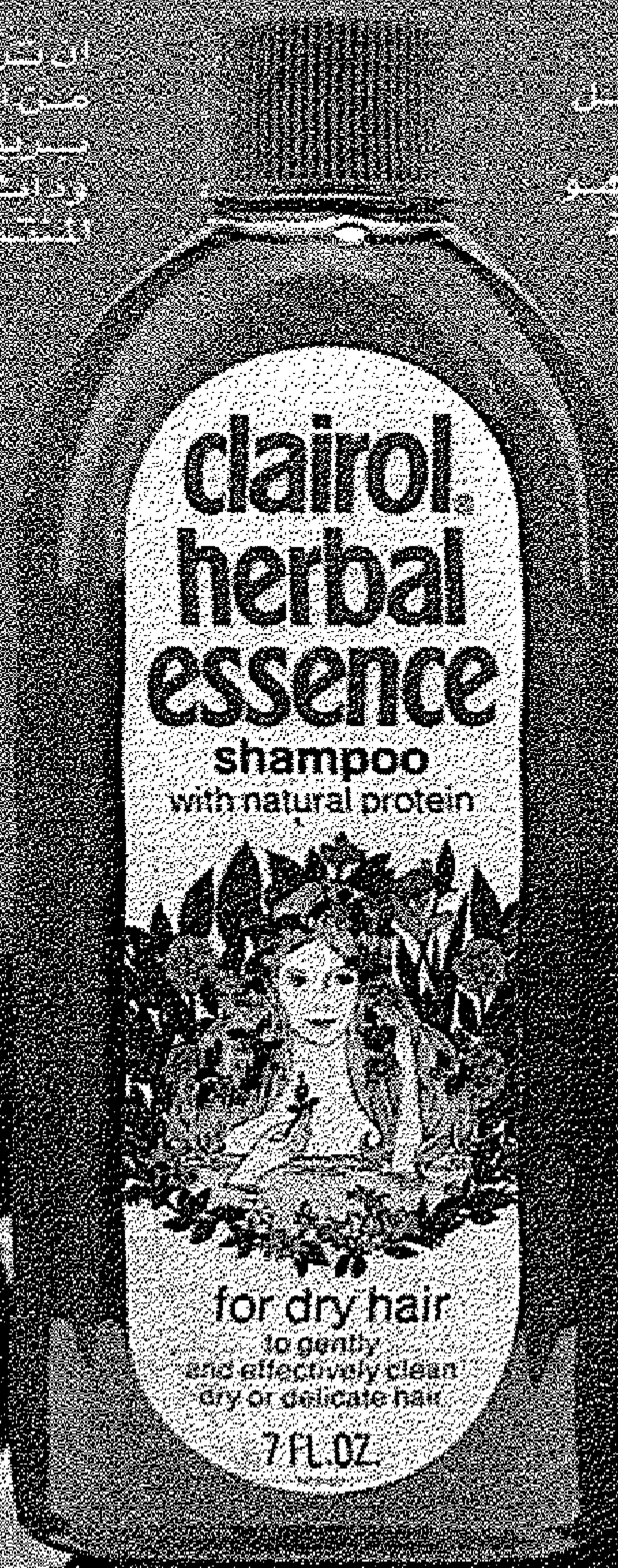
PRINTED IN ITALY

كليرول
هربل إسنس
شامبو

الطبيعة وحدها تلائم شعركِ.

كليرول هربل إسنس شامبو
كليرول شامبو بالأعشاب الأجمل
ما أكثر من شامبو في العالم.
كليرول شامبو الأخضر الرقيق هو
مزيج من أريج ١٩ عشبة طبيعية
وزهرة بريّة.

ان تركيبة كليرول شامبو الخالية
من الكحوليات تضفي على شعرك
بريقاً وحيوية ونضارة طبيعية
ودائماً زكية كرائحة الأزهار
المتفتحة في أول أيام الربيع





سقطت طائرة هليكوبتر في ٢٢ مارس (اذار) ١٩٦٨ على احد ارصفة النفط في مضيق "باس" على الساحل الاوسترالي، كان من ضحاياها جول زانيتي الذي فقد ذراعه اليمنى. وكان جول قد توجّه الى ذلك المكان في جولة استكشافية مع فريق من الصحافيين. وكان من المقرر ان تعود بهم الهليكوبتر الى "سيل" في فيكتوريا، لكنها تحطمت وقتل اربعة صحافيين وشوّه اثنان، أحدهما جول زانيتي.

وفي ما يأتي حديث لهذا الصحافي، يروي بشجاعة لا تخلو من روح الفكاهة كيف يواجه تحديات الحياة اليومية.

العَيش بذراع واحدة

منذ نحو عامين وثمانية أشهر، رأيت حلما غريبا: كنت واقفا في الشارع مع صديق نتجاذب اطراف الحديث. واذا بي امدّ النظر الى ما وراء صديقي، فأرى صورتي منعكسة على واجهة احد المتاجر: كنت ارتدي بذلة دكناء وأحمل حقيبتي الصغيرة في يدي اليسرى. وكانت ذراعي اليمنى تتدلى الى جانبي وقد بدا كمّ سترتي خاليا ابتداء من مفصل المرفق. وعندما استيقظت تملكتني نشوة غامرة. فقد انقضت ثمانية أعوام منذ أن فقدت ذراعي، وكنت اراني في المنام بكلتا ذراعيّ طوال ذلك الوقت. اما وقد ابصرت ذلك الحلم، فقد أصبح وعيي الباطني يتقبل الواقع المحسوس. وكان ذلك الحلم الاول الذي ارى فيه نفسي كما اراني في واقع الحياة اليومية.

ذلك ان تقبُّل العجز المفاجيء

الدائم اسهل الى حد بعيد في حياتنا الواعية منه خلال النوم، او بالاحرى كما تبدّى لي ذلك من خلال اختباري الشخصي. وقد يطول الامر بالمرء قبل ان يوطّن نفسه على فقد احد اطرافه فقداً نهائياً. فالوعي الباطني يأبى التسليم بأن رسغا جديدة او يداً جديدة لن تنمو من موضع البتر. وفي الصباح، عندما ينظر المرء الى صورته في مرآة الحمام، يواجهه جسد عار يعوزه التناغم والانسجام، فتعتريه الدهشة لحظة لا يلبث ان يعقبها الادراك، فيقول معترفا: بلى، هذه صورتي، وليس لي سوى ذراع واحدة.

ولئن كان من الصعب لوعيي الباطني ان يتقبل حقيقتي البيّنة، فلكم يصعب الامر على سائر البشر، اولئك الذين يقابلونني وعلى وجوههم مزيج من الفضول والشفقة والحرج والرعب لدى نظرتهم للمرة الاولى الى كمّي الخالي.

حنين الى البيانو – وعندما ذهبت بصحبة زوجتي الى أول مناسبة اجتماعية بعد الحادث، حياني المضيف، وكان طيارا سابقا، بحفاوة وجذل قائلا: "اذاً، أنت تطير بجناح واحد؟" وراقني مرحه، فأجبته: "يكفيني ان يكون جهاز الهبوط سليما والخزّان مليئا بالوقود".

وكانت ذراعي في ذلك الحين ملفوفة بضمادات ضخمة، فقال أحد الضيوف بعد ان اختلس بضع نظرات: "عفوا... لقد تبادر الى ذهني... كنت اتساءل في أي موضع على وجه التحديد؟" وأشرت بيدي اليسرى في حركة تمثل البتر الى نقطة تبعد مقدار ١٢ سنتيمترا عن مرفقي الايمن، وقلت: "هنا تقريبا". وبدا عليه الارتياح لانه تلقى اجابة عن سؤاله المغيظ دونما حرج من جانبي.

وسألت احدى المدعوات: "هل تؤلمك كثيرا؟" فأكدت لها انها تؤلمني أشد ما يكون الالم. وانني، فوق ما اعانيه من وهم آلامي الممضة، لا اخلو من وقوعي عرضة لمصيبة اخف، هي وهم تلهفي الى الاكل، فاتلافاه بهرش جلدي في الهواء الطلق في الموضع الذي كانت فيه يدي اليمنى بالذات.

وسألني ضيف آخر عما افتقد من أشياء، فأجبت بأول ما تبادر الى ذهني: "ان ما افتقده اشد الافتقاد هو العزف على البيانو".

وساد الصمت لحظة قال بعدها بنبرة كئيبة: "وهل كنت تعزف قبل الحادث؟"

فأجبت: "كلا، لكن العزف قد أصبح الان امرا مستحيلا".

ان الحياة بذراع واحدة تخلو، بكل تأكيد، من المشكلات. غير ان هذه المشكلات ليست الصدمات النفسية العنيفة كما يتوهم معظم الناس. وانما مثلا، لا استطيع ان اقص اظافري او ازرّر كمّ قميصي الايسر او اقلب ذلك الكمّ. اما باستثناء ذلك، فليس هناك مشكلات مستعصية بمقدار ما هناك مشكلات عسيرة مثيرة للشعور بالاحباط.

فاذا كنت أيمن واردت ان تعرف ما اعني، فحاول ان تفعل الآتي بيدك اليسرى:

ثبت مجموعة من الاوراق بمشبك من مشابك الورق. اربط حذاءك او حزام البيجاما. شغّل مفتاح العلب،

حاول ان تقرأ في القطار جريدة كبيرة الصفحات. دوّن بعض التفاصيل في الصفحات الاخيرة الملحقة بدفتر الشيكات.

الزوجة الحاذقة - اما في ما يخصني، فقد ادركت للمرة الاولى ان حياتي في المنزل لن تكون بعد الان كما كانت في الماضي، وذلك عندما طلبت اليّ زوجتي ان اعلق صورة على الجدار. فكان ان وضعت الصورة في المكان المعيّن من الجدار، وهممت بتناول المطرقة. وعندئذ واجهت الحقيقة، فناديت زوجتي: "يا مارغريت، عليك ان تمسكي بالمسمار بينما أدق بالمطرقة". ولما كانت زوجتي امرأة عملية، فقد ردّت بقولها: "عليك ان تمسك انت بالمسمار، وسأمسك انا بالمطرقة".

ومنذ ذلك الحادث صارت زوجتي تتكفل دائما بالمطرقة، اضافة الى انها اصبحت حاذقة في اصلاح الصمامات الكهربائية وأنابيب المغاسل.

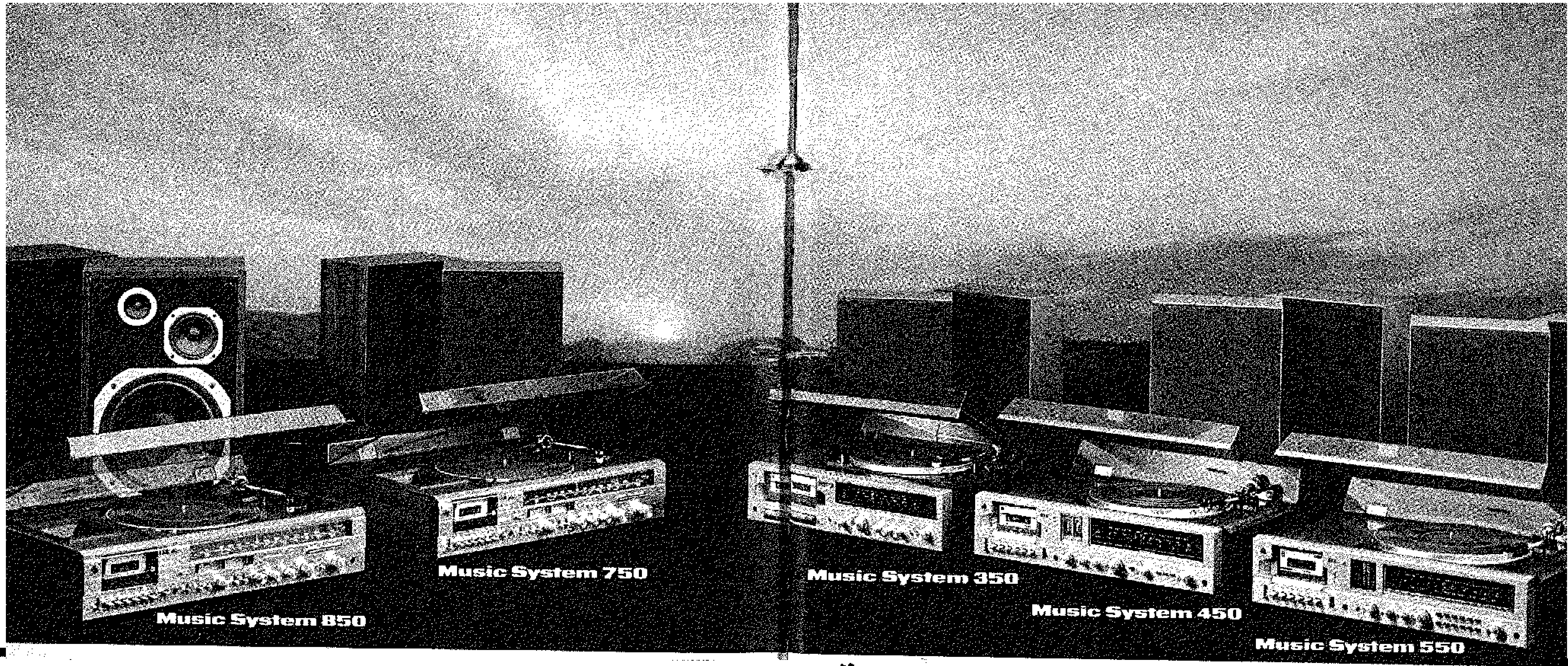
ومن النتائج التي تترتب على فقدان احدى الذراعين ان بعض الالعاب الرياضية والهوايات تصبح صعبة، ان لم نقل مستحيلة. وقد اهتديت الى طريقة للعب البلياردو والبولة بالكلاّب الاصطناعي الذي حلّ محل ذراعي، وان كنت افتقد فعلا تلك اللمسة الناعمة التي طالما عادت عليّ بالمكاسب الصغيرة. اما في ما يتعلق بكرة المضرب، فانني لا ازال اتمرن على اتقان قذف الكرة في الهواء واستهلال اللعبة، وذلك كله بيد واحدة وفي حركة واحدة.

على ان صيد السمك بالسنّارة مشكلة أخرى حقيقية. فمن الممكن الاعتماد على يد واحدة لوضع الطعم في السنّارة. كما ان اقتناص السمكة ليس الان اصعب مما كان في اي وقت مضى. لكن المشكلة الحقيقية تكمن في شد خيط السنّارة، لانه يتطلب استخدام اليدين كليهما. ومع ذلك فقد اهتديت الى حل بسيط لهذه المشكلة، هو الآتي: فور قنص السمكة ابدأ الركض نحو الكثبان الرملية، ولعل ذلك ساعدني على تحسين لياقتي البدنية. ولكن يبقى السؤال هل حاولت ان تنتزع بيد واحدة من كلاّب السنّارة سمكة ملساء تتلوى وتتخبط سعيا الى الافلات؟

ولما كنت من عشاق لعب الورق، فأكثر ما يضايقني عجزي عندما العب البوكر على نحو خشن مع بعض الاصدقاء. ذلك أن وضع الورق في الحجر تحت المائدة ليس امرا مستحبا، فلا بدّ اذاً من الاستعاضة عنه باللعب الماكر فوق المائدة، خصوصا في ما يتعلق بخلط ورق اللعب وتوزيعه. وأنا مضطر بالطبع الى التنازل عن دوري في هذا الصدد.

لكنني اتساءل في بعض الاحيان ما اذا كانت استهانتي بفقدان ذراعي اليمنى ليست الا وليدة الظروف، وما اذا كان موقفي تغير بالضرورة لو اختلفت ظروف الحادث. انني ما ان تحققت من نجاتي حتى اخذت اغبط نفسي وأردد: "يا لك من فتى سعيد الحظ يا زانيتي". ولم يتغير شعوري هذا منذ تلك اللحظة.

وفي الاسابيع والاشهر التي تلت الحادث، وجدت نفسي مغمورا بعطف شامل من الذين اشرفوا على علاجي



أجهزة بايونير الموسيقيّة المنوّعة: إختر واستمتع!

ان شركة بايونير تعمل وتجتهد لتسهل لك الاستمتاع بالموسيقى التي تحبها. وصحيح ان اجهزتنا الموسيقية على درجة عالية من التقدم التقني، لكنها ليست من التعقيد بحيث تحتاج الى ترخيص لتشغيلها. ونحن لا نقدم اليك جهازا او جهازين فقط، بل نقدم اليك عشرة مبتكرات موسيقية رائعة لتختار منها ما يفي بمتطلباتك السماعية ويتناسب مع ميزانيتك. وبالاضافة الى اجهزتنا السابقة المتعددة الاختيارات (ثلاثة اختيارات في جهاز واحد)، لدينا الان اجهزة تشتمل على اختيارين: جهاز للاستقبال ومسجل للكاسيت.

فهناك اذاً سهولة في التشغيل وموارد القوة اللازمة للاخراج الموسيقي الجيد. واذا كنت لا تصدق اذنيك ففي استطاعتك ان تتأكد من قراءة البيانات على لوحة المعلومات.

واننا نقدم اليك ايضا جهاز التسجيل المشهور المتعدد الاساليب والذي يتضمن "معينة" للنغم، فضلا عن التسهيلات الخاصة بالتسجيل بلمسة واحدة، والاسترجاع الاوتوماتيكي على جهاز "دولبي" (★) لتنقية التسجيل من الضوضاء والاستماع الى الشريط بعد تسجيله مباشرة. وهناك لهواة الاسطوانات قرص دوار مكتمل الحجم يدفع بالحزام ومزود بتسهيلات رجوع الذراع والتوقف الاوتوماتيكي. أما في ما يتعلق بالتضخيم، فهناك مكبران بديعان من طراز بايونير، يمنحان الصوت العظيم: اداء اكبر.

كثيرة هي اجهزة بايونير. فما اسهل ان تختار منها وما ايسر ان تستخدمها وتستمتع بها. ان الصعوبة الوحيدة هي التوقف عن الاستماع اليها. فحاول ان تزورنا اليوم لتشاهد وتسمع بنفسك، ولا بد ان لدينا جهازا موسيقيا يناسبك تماما.

PIONEER بايونير

"تتفاوت السمات وفقاً للطراز والسعر"

■ البحرين: الكترونيات غاجريا. امام فندق ديلمون، وخلف مصرف "نيو تشارترد بنك"، الهاتف: البحرين ٥٣٤٥٣ ■ قبرص: ك.هـ. بابازيان ليمتد. ٢٤٠ شارع ليدرا ستريت، نيقوسيا، الهاتف: قبرص ٦٣٧٩٥ ■ ايران: باساند كومباني ليمتد. جادة نادري، ممر فرغاني، رقم ٦، طهران - ايران، الهاتف ٣٧٦٣٠٣ ■ الاردن: شركة الاردن لقطع السيارات، صندوق البريد ٣٨١، عمان، الاردن، الهاتف: ٣١١٣ ■ الكويت: غاجريا (شركة حساوي وغاجريا)، امام مكتب البريد: شارع فهد السالم، الكويت، الهاتف: ٤٣٤١٢٥ ■ لبنان: ابناء جورج حداد وشركاهم. مبنى سينما امبير، صندوق البريد ٤٦٨٠، بيروت - لبنان، الهاتف: ٣٤٦٠٨٦/ ٩٣٣٧٨٧ ■ مسقط - عمان: محسن حيدر درويش، صندوق البريد ٣٨٨، روى - سلطنة عمان، الهاتف: ٧٠١٧٧٧ ■ قطر: أحمد العثمان واخوته، صندوق البريد ٣١٨، الدوحة - قطر، الهاتف: ٣٣٥٠٧ ■ المملكة العربية السعودية: أحمد علي بادوغايس، شارع الملك خالد، الخبر، الهاتف ٤١١١٥ (قاعة العرض الشمالية)، الهاتف ٤٦٧٨٢ (قاعة العرض الجنوبية)، صندوق البريد ٨١٥، جدة، الهاتف: ٣٥٩١٤، صندوق البريد ١١٣٥ الرياض، شارع الملك عبد العزيز، الهاتف ٣٦٨٣٧ ■ سوريا: اسعد وتار، صندوق البريد ٥٩٠، دمشق - سوريا، الهاتف: ٣٣٤٥٢١ ■ الامارات العربية المتحدة: الوكالات التجارية الشرقية، مبنى البنك العربي، امام مكتب البريد، صندوق البريد ٤٥ - دبي، الهاتف: ٤٣٧٠٩، اليكترونات باتفو. خلف بنك القاهرة وامام السوق القديمة صندوق البريد ٢٥٧٤/ ابو ظبي، الهاتف/ ٣٥٣٧٣

★ "دولبي" علامة تجارية لمختبرات دولبي.

في المستشفى ومن اعضاء اسرتي والاصدقاء وحتى من قراء الباب اليومي الذي اكتبه في الصحيفة. اضف الى ذلك ان مارغريت أبدت لي من العون والتفهم ما كان يعزز معنوياتي باستمرار.

هل رأيتم ذراعي؟ - ولقد كان في امكاني ان اتخذ لي يدا يمنى جديدة، ولكن لم يرقني ان تكون لي يد اصطناعية مكسوة بطبقة من البلاستيك الذي يتشابه لونه تماما مع لون بشرتي. وبدا لي ان مصافحة الناس بمثل تلك اليد لا بد من ان يكون لها وقع غريب مفاجىء.

وآثرت ان اصافح الناس بيدي اليسرى، واستخدم كلاّبا معدنيا بفكّين مشدودا الى كتفي عبر الظهر. فاكتفي بثني عضلات كتفي لفتح فكّي الكلاّب واغلاقهما كأنني اشدّ سلكا، تماما كما يحدث في حال فرملة الدرّاجة. لكنني لا أجد قيمة كبيرة لهذا الجهاز الآلي في عملي الصحافي، وكثيرا ما استغني عنه. الا انني استخدم الكلاّب في الطباعة على الآلة الكاتبة عن طريق اللمس بيدي اليسرى والنقر من الناحية اليمنى على قطعة من المطاط موصولة بالكلاّب.

وللكلاّب فائدته لديّ عند تناول الطعام. فهو يمكنني من أن امسك بالملعقة فلا تهتز، وان اقطع اللحم من دون صعوبة. واستطيع كذلك ان امسك بالقدح، ولو ان الاقداح المستطيلة المستوية تتعرض احيانا للانزلاق وتتحطم على الارض. اضف الى ذلك ان الكلاّب مفيد في ربط الحذاء وفي استخراج الفأر الميت من المصيدة وفي فتح الرسائل.

وقد حدث ذات صباح انني نسيت فقرصت مؤخر زوجتي بكلاّبي لدى خروجها من الحمام. وما ان اطبق الكلاّب فكّيه حتى قفزت بعصبية وارتعاب. فقررت منذ تلك اللحظة ان استبعد الكلاّب عن مجال الغزل.

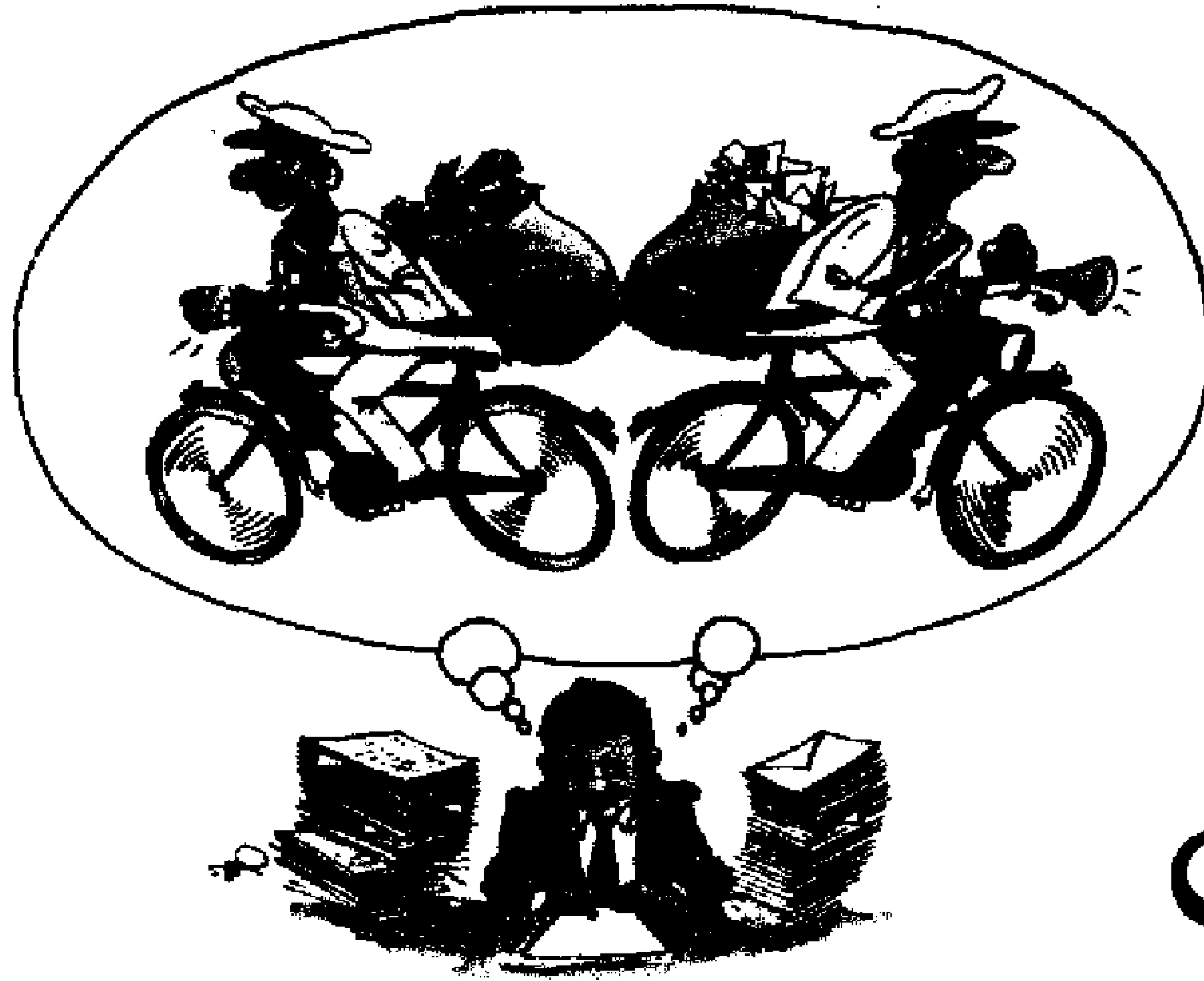
ومن السهل على المرء ان ينسى اين وضع الكلاّب. فقد حدث ذات مرة انني كنت شارد الذهن عندما تركت كلاّبي في خزانة الملفّات، ولم اهتد اليه الا بعد بضعة ايام. وما زلت اذكر عبارة طالما رددتها في البيت: "هل رأى احد منكم ذراعي؟"

ترى هل انا انسان مختلف عن الآخرين لانني فقدت ذراعي؟ انني، في الواقع، لا اعلم كيف ينظر اليّ الآخرون. لكن الحلم الذي رأيته منذ عامين وثمانية أشهر لا يزال عالقا في ذهني وهو يبعث الطمأنينة في نفسي بانني رجل في اواسط العمر وان لي زوجة واربعة ابناء وسيارة وبيتا لا بدّ من تسديد اقساط ثمنه. ولئن كانت هذه الامور جميعا لا تكوّن صميم وجودي، الا ان فقدان ذراعي ليس هو امراً ينال من صميم كياني.

■ جول زانيتي

كل واحد منا مصرف يصدر التسامح، والثقة، واللطف، والمحبة. ولقد ثبت ان هذه العملة غير زائفة، وقليلة التداول.

جيلبرت سسبرون - فرنسا



اكتب واربح

هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله: الى "المختار" وهو يدفع لك في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

☐ صور من الحياة: ٥٠ دولارا

القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة وتتحدث عن تجربة شخصية وعن موضوع جدي.

☐ الضحك خير دواء

ينطبق على هذا الباب ما ينطبق على الباب السابق. ويدفع ٥٠ دولارا عن النكتة الاصلية و٢٥ دولارا عن النكتة المنشورة.

☐ تأملات معاصرة: ٥٠ دولارا

مقاطع ذات مغاز حكمية حول موضوع معين.

☐ حديقة افكار

اقوال مأثورة للاعلام العرب.

تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

☐ السدات

هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

☐ المقالات

يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية والتجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل.

يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

الشروط

○ كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.

○ كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك - حديقة أفكار...).

○ في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد.

○ ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة أفكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن.

○ تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر أجنبية.

○ لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي:

AL MUKHTAR
min Reader's Digest
S.E.P.I.
37, Avenue George V
75008 Paris, France

JOHN DEERE ذو الحركة الدائمة
JD855 ترتقي بقيادة محركات الموازنة المائية (الهيدروستاتية) الى قوة ٢٠٠ حصان

ان تصميم JD855 من حيث الجوهر هو بعينه التصميم الهيدروستاتي لـ JD755 التي اثبتت جدارتها لمدة تزيد على السنتين، غير ان اجزاء JD855 اكبر حجما، وما دام التصميم واحدا، فستحصل على المزايا المعهودة نفسها، فمحولات القوة واحزمة موازنة الدوران والتحكم التلقائي بالسرعة والمقود والكابح الهيدروستاتيان، جميعها عوامل تساعدك على اداء عمل اكبر في وقت اقل.

وبفضل الهيكل السفلي المحكم الاغلاق والحزام الدائر حول سبع اسطوانات والموجهات الامامية والخلفية للحزام وصيانة العجلات المسننة والالواح المزدوجة للسيطرة على الكابح، اصبح لـ JD855 قاعدة راسخة تنطلق منها.

وتتميز JD855 ايضا بجهاز سيطرة للتحميل ذي رافعة مفردة، وبماكنة ذات شحن توربيني وتبريد دوري بين العمليات ونقاط خدمة ملائمة وصيانة تامة من التلف. فاذا اضفت حجم الوعاء الذي تختار (٢،١ متر مكعب او ٢،٥ متر مكعب، اي ما يعادل ٢،٧٥ او ٣،٢٥ ياردة مكعبة) الى رافعة او كسارة، فستحصل على JD855 متلائمة مع طبيعة عملك.

اتصل بوكيل جون دير الاقرب اليك اليوم للحصول على مزيد من المعلومات حول JD855 انها شبيهة بـ JD755 وقد انعكست جدارتها على انتاجك.

جون دير انتركونتيننتال ليمتد ش.م.
بولفار وولويه ٣٤، ص.ب ٤، ١٢٠٠
بروكسل، بلجيكا.



موزعون في مصر، الاردن، الكويت، المملكة العربية السعودية، السودان، الامارات العربية المتحدة.

JOHN DEERE ذو الحركة الدائمة

العلماء يحذروننا من الوقوع في اغراء الاطباق الطائرة وسواها من الظاهرات. المعاصرة، لأن اعاجيب الكون الحقيقية تفوق في اعجازها وإثارتها كل هذه الترهات

مَنْ نصدّق المنجّمين أم العلماء؟

في القرن الثاني للميلاد كان في اليونان رجل وسيم ماكر ماهر يدعى اسكندر الابونوتيخي (نسبة الى بلدة ابونوتيخوس)،وكان دجّالا محتالا عديم الضمير. ومن اشهر حيله انه اندفع ذات يوم الى ساحة السوق المزدحمة في المدينة وتنبأ بظهور إله جديد، ثم انطلق باقصى السرعة الى المكان الذي يبنى عليه معبد جديد فتدفقت وراءه حشود الناس. وكان المحتال قد خبأ في ذلك المكان بيضة إوزة افرغها ثم احكم اغلاقها على فرخ ثعبان حديث الولادة. وتظاهر اسكندر باكتشاف البيضة، ففتحها وأعلن للجماهير ان ذلك الثعبان الصغير هو بعينه الأله الذي تنبأ لهم بمجيئه.

ثم اعتكف المحتال الكبير في بيته بضعة أيام، سمح بعدها للحشود الملهوفة بالقدوم اليه، فرأوه وقد التفت حول جسده افعى ضخمة، كانت في الحقيقة من فصيلة وديعة اليفة ملائمة، وقد لف رأسها بقناع من القماش يحمل ملامح البشر. وكانت الغرفة التي يجلس فيها معتمة، وقد حال ازدحام القادمين دون بقاء اي منهم فترة كافية تتيح اي محاولة للتدقيق في الأفعى. ومن ثم انعقد

الرأي على ان اسكندر قد جاء حقا وصدقاً بإله جديد.

وأعلن اسكندر بعدئذ ان الاله الجديد مستعد للاجابة عن اي سؤال مكتوب يسلم إليه - اي الى اسكندر - في غلاف مغلق. وكان اسكندر ينفرد بنفسه ويقرأ كل سؤال، ويعيد اغلاق الغلاف ثم يرفق به رداً نبوئياً منسوباً الى الآله المزعوم. وتقاطر الناس من كل حدب وصوب ليشهدوا هذه الأعجوبة. وكانت النتيجة كما هو منتظر: إيراد هائل لاسكندر يعادل مئات عدة من آلاف الدولارات في العام، وشهرة لم يبلغها سوى قلائل في زمنه.

ربما ابتسمنا الآن لقصة اسكندر صانع المعجزات والنبوءات، لأن مثل تلك الحيلة لا يمكن ان تنطلي علينا في هذا العصر. ولكن هل نحن في مأمن من ذلك حقا؟ لقد كان الدجالون في عصر اسكندر يستغلون سذاجة الجمهور واستثمار عقائده الدينية، في اغلب الاحيان. وبعض هذا الامر ما زال يحدث في ايامنا الحاضرة. ولكن السنوات المئة الاخيرة شهدت بروز العلم باعتباره الوسيلة الأولى لكشف اسرار الكون، فلا غرو ان توقعنا لكثير من محاولات الخداع المعاصرة ان تتنكر في ثوب العلم، وهو ما يحدث بالفعل.

فالادعاءات في هذه الأيام تقف على حافة العلم، وتتخذ شكل التأكيد الذي يثير اهتمام عامة الناس، بل ومن الممكن في حالات كثيرة ان تغدو ذات اهمية علمية كبرى، وهي ادعاءات تخرج عن حيز المألوف وتتجاوز الاطار العادي وتنطوي غالبا على الزعم بان لدينا قوى هائلة غير مستغلة مثلا، او بأن هناك قوى غير مرئية على وشك ان تنقذنا من انفسنا، او ان تبيدنا.

نعم، ان العلم يتقدم في بعض الأحيان بمثل هذه المزاعم، فيقول ان البيانات الوراثية تنتقل من جيل الى جيل مرمزة في جزيء واحد، هو جزيء "DNA"، اي جزيء حامض الـ"ديوكسيريبونكليك"، او يعلن اكتشاف انجراف القارات او استغلال الطاقة النووية. فاذا ما تقدم البعض بمزاعم اخرى - كالقول مثلا بأن من الممكن للانسان ان يطفو في الهواء من دون مساعدة بمجرد عامل الارادة فحسب - فما هو وجه الاختلاف؟

لا شيء... سوى قضية الاثبات بالبرهان. لقد تكررت مزاعم الطفو في الهواء على مدى السنوات المئة الماضية، وانما لم يحدث أبداً ان التقطت صور فوتوغرافية لأناس يطفون على ارتفاع خمسة امتار في الهواء في ظروف تستبعد كل احتمالات الخداع والاحتيال.

المنطق البسيط الواضح ـ ولنأخذ مثالا آخر هو ذلك الشيء الذي يسمى الانفصال عن الجسد لكشف الاحتمالات المستقبلية. فهناك كثرة من الناس الذين مروا بحالات الوجد الديني او النوم المغناطيسي - أو تأثروا بأحد العقاقير التي تحدث الهلوسة - يقولون انهم قد احسوا احساسا واضحا بأنهم خرجوا من اجسامهم وطاروا بلا ادنى جهد الى مكان آخر. ولكن الحقيقة الثابتة هي ان الأحساس بالشيء لا يعني ان هذا الشيء قد وقع بالفعل. وربما ان هناك خللا شائعا في توصيلات الجهاز العصبي البشري يفضي دائما، في

بعض الظروف الخاصة الى الأحساس الوهمي ذاته بالانفصال عن الجسد. فلم يحدث - في حدود علمي - ان جرى بيان عملي تجريبي للانفصال عن الجسد في ظروف خاضعة للرقابة العلمية وفي حضور مشككين يتلمسون البرهان القاطع.

الأطباق والمثلثات - ولعلّ احدث المزاعم التي تتمسّح خطأ بالعلم وأكثرها انتشارا بين عامة الناس هي تلك التي تتصل برواد الفضاء القدامى، و"مثلث برمودا"، والأطباق الطائرة. ويؤكد انصار الزعم القائل بأن رواد الفضاء القدامى قد زاروا الأرض في الزمان السحيق، أن الكثير من الأدلة الأثرية لا يمكن فهمها إلا في ضوء التسليم بأن اسلافنا كانوا على اتصال بالحضارات الكوكبية الأخرى. فأهرامات مصر والعمود الحديد في الهند والمسلاّت الحجرية الضخمة في "ايسترلايلاند"، والاشكال الهندسية في نازكا في البيرو، قد صنعت كلها - في ما يزعمون - إما بأيدي الذين قدموا من الكواكب الأخرى او في اشرافهم. والحقيقة هي ان لكل هذه التخمينات تفسيرا أبسط كثيرا من هذا الزعم واجدر منه بالتصديق... باعتبار انها ثمرة ذكاء الانسان وجهده الشاق.

أما "سر" مثلث برمودا فهو يتعلق بالحوادث الغامضة لاختفاء عدد من السفن والطائرات في المحيط حول جزيرة برمودا! والتفسير المنطقي لحوادث الاختفاء هذه (في حال وقوعها بالفعل، لأن الكثير منها مزعوم ولم يقع ابداً) هو ان السفن والطائرات قد غرقت على اثر اصابتها بعطل ميكانيكي او طبيعي. ولم يستطع انصار الزعم المتعلق بمثلث برمودا ان يقدموا الدليل المقنع الذي يثبت دعواهم، كما هي الحال بالنسبة الى المتحمسين لفكرة رواد الفضاء القدامى.

وتأتي بعد ذلك حكاية الأطباق الطائرة التي يعرفها معظم الناس. فأن رؤية ضوء غريب في السماء لا يعني بالضرورة اننا نتشرف بزيارة مخلوقات آتية من كوكب الزهرة. فقد يكون ذلك الضوء - مثلا - مجرد انعكاس للأنوار الأمامية لأحدى السيارات على بعض السحب، او ضوء كشاف عالي الكثافة صادر عن احدى الطائرات لأغراض تتعلق بالأرصاد الجوية. ومن بين المليون رواية عن رؤية الاطباق الطائرة التي وردت في التقارير منذ عام ١٩٤٧، لا يتضح من اي من هذه الروايات والتقارير ان لقاء واحداً قد تم عن كثب مع اي من هذه الأطباق ويؤيد صحته عدد معقول من الناس بشهادات منفردة يمكن الوثوق بها. ولا يقتصر الأمر هنا على انعدام القرائن الروائية فحسب، بل يتعداه الى انعدام الأدلة المادية انعداما تاما. فلم يحدث ان عثر احد على قطعة صغيرة من سفينة فضائية غريبة عن الأرض... وكم بالحري على السجل اليومي لاحد ربابنة السفن الكوكبية.

الحقيقة الباهرة - يبدو ان الاهتمام بالأطباق الطائرة ورواد الفضاء القدامى يعود - جزئيا على الأقل - الى حاجات دينية غير مشبعة في نفوس الناس. فكثيرا ما تطلق النعوت على اهل الفضاء الذين يزورون الأرض بانهم يتسمون

اختر اللقطة التى تروق لك .
واضغط على الزر فقط !

Polaroid 1000

بولارويد ١٠٠٠ تفعل الباقى .

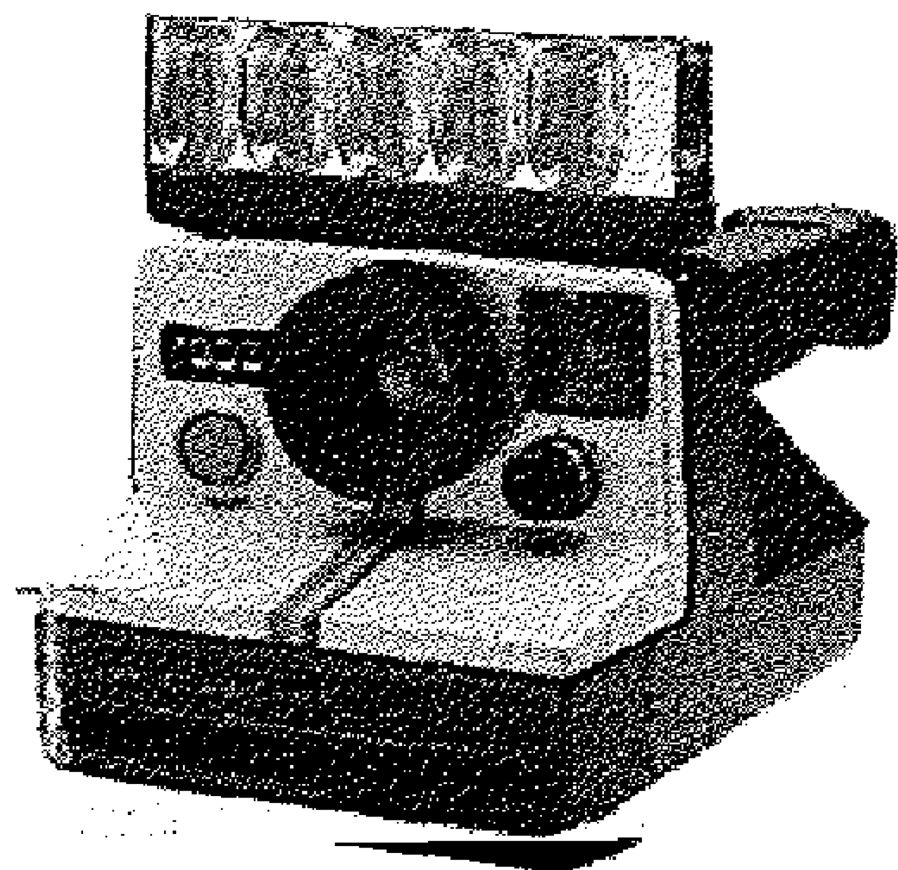
آلة التصوير التى يرغبها العالم أجمع !

ليس هنالك ماتعده ولا شيء تضبطه .. ماعليك سوى أن توجه آلة التصوير وتضغط على زر آلة التصوير الفوري بولارويد ١٠٠٠ الزهيدة الثمن التى ستقدم لك فورا صور بألوان إس . إكس ٧٠ الزاهية الخلابة التى تحمض نفسها تلقائيا أمام عينيك .

ليس هنالك أسهل من هذه الطريقة لتسجيل اللحظات السعيدة وحفظها على مر السنين .

لاغرابة فى أن العالم كله يرغب فى إقتناء آلة التصوير الفورى بولارويد ١٠٠٠ !

إتصل فورا .. بوكيل بولارويد المعتمد .



Polaroid
ثلاثون عاما
فى طليعة التصوير الفورى

بالحكمة والقوة والطيبة، وينسب اليهم احيانا انهم يرتدون البسة طويلة بيضاء. اي انهم - في اختصار - يمثلونهم بصور الآلهة والملائكة، ولكنهم يأتون من الكواكب الأخرى بدلا من ان يأتوا من السماء مثل الآلهة والملائكة، ويمتطون سفنا فضائية بدلا من ان ينتقلوا بأجنحتهم.

وفي رأيي المتواضع ان اهتمام عامة الناس بالأطباق الطائرة وزوار الفضاء القدامى وما الى ذلك هو - جزئيا على الأقل - امر حسن. غير ان استعدادنا لتقبل الاحتمالات الباهرة التي ينطوي عليها العلم الحديث، ينبغي ان يلطف بمقادر من التشكيك العقلاني السليم، علما بان الاستعداد لتقبل الاحتمالات الجديدة والاستعداد لاثارة الاسئلة المنطقية النفاذة، ضرورتان متلازمتان لتقدم المعرفة.

ولا شك في أن كل ما يخرج عن المألوف جدير بالمتابعة والبحث، ولكن المزاعم التي تخرج عن المألوف تحتاج الى ادلة وبراهين قوية، لا بد ان يلتزم بها التزاما امينا اولئك الذين يتقدمون بهذه المزاعم. وفي الوقت نفسه، فان افضل ترياق ضد سموم العلم الزائف هو - في رأيي - تلك العجائب التي اثبتها العلم نفسه بما لا يقبل الجدل، ومنها على سبيل المثال ما يأتي:

□ في افريقيا نوع من أسماك المياه العذبة اعمى تقريباً. وهو يولد مجالا كهربائيا يتيح له التمييز بين الاسماك التي تفترسه وتلك التي يفترسها هو وتتفاهم الاسماك من هذا النوع في ما بينها بلغة كهربائية محكمة، مما يستلزم نظاماً عضويا وقدرات استشعارية كانت مجهولة تماما قبل عصرنا التكنولوجي الحالي.

□ إن "الكاسارات" (المصادر الفضائية لموجات الراديو والاشعاعات الزرقاء والفوق البنفسجية القوية) هي، في ما يبدو، انفجارات عنيفة في المجرات تدمر ملايين العوالم التي قد يكون الكثير منها مسكونا.

□ ان كل واحدة من خلايا جسمنا تحتوي على عشرات مما يسمى "ميتوكوندريا"، وتعتبر كل "ميتوكوندريون" منها بمثابة مصنع صغير يقوم بعملية التأليف الكيميائي بين طعامنا والأوكسيجين الجزيئي لاستخلاص الطاقة في شكلها المناسب. وتشير احدث الأدلة الى ان "الميتوكوندريا" كانت منذ مليارات السنين كائنات عضوية منعزلة تعيش حرة في مفردها، ثم تطورت ببطء الى ان دخلت في علاقة تبعية متبادلة مع الخلية. ومن ثم، فان الانسان ليس كائنا عضويا واحدا، بل هو مجموعة من قرابة عشرة تريليونات (عشرة آلاف مليار) من الكائنات الحية.

ويمكن المضي في هذه القائمة الى ما لا نهاية. وفي اعتقادي ان هذا النزر اليسير من اكتشافات العلم الحديث ادعى الى الاهتمام والاثارة من معظم النظريات الواهية التي يدعيها العلم الزائف. فالعلم الحقيقي يتناول الامور المعقدة ويستكشف بواطنها بدقة تبعث على الاثراء والاعجاب فضلا عن انه حقيقي وصادق.

■ كارل ساغان

مدير مختبر الدراسات الكوكبية
في جامعة كورنيل

موهبة حقيقية

طلب موسيقي شاب من موزار ان يعلمه الخطوات التي يتبعها لتأليف سيمفونية. فأجاب موزار: "انك لا تزال شابا. فلماذا لا تبدأ بتأليف الرقصات البسيطة؟"

- ألم تؤلف انت سيمفونية حين كان عمرك ١٢ سنة يا سيدي؟

□ بلى، لكنني لم اسأل احدا قط عن كيفية تأليفها.



دمشق في البال

إن في تراب الوطن سرا كلما ابتعد الانسان
عنه وجد في الذكرى همساً خفياً يشده الى العودة

جاء ابريل (نيسان)، فتفتح الزهر في جنائن الفاكهة حول دمشق، وأمها سكان المدينة ينفضون عنهم قيود الشتاء الطويل ويرحبون بالربيع الآتي و"يشمون الهواء".

كان ذلك في زمن مضى، لكنه كان تقليدا شعبيا رسخ في ذاكرتي منذ الطفولة. تلك الذكريات من الصعب تتبعها، فهي تتراءى لنا غامضة من خلال غشاوة، لكنما في خيال كل صبي تعيش احداث لا تنسى.

أذكر ان السبت كان يوم التنظيف. وكانت الغاسلة تأتي باكرا وتضع على موقد المطبخ خلقيناً ضخماً ملأته ماء من بئر الحديقة. وكانت تترك الغسيل يغلي،ثم تفركه بالصابون وتشطفه بالماء وتعلقه في الخارج. اي فرح كان يتملكنا اذ ننام على تلك الملاءات وفي ملابس النوم النظيفة. نتشمم منها رائحة الشمس.

وبينما انشغلت الغاسلة في المطبخ، كنت وسائر الاولاد ننظف زجاج القناديل ونضع فيها الكاز الذي كنا نشتريه في صفائح، سعة الواحدة منها عشرون ليترا وقد نقش عليها رأس هندي امريكي.

ولا انسى ليالي الصيف اذ نصعد الى سطح البيت. وفي دقائق يجتمع

الجيران وقد عبروا السطوح، فنغني ونتحادث ونأكل بذور البطيخ واليقطين المحمصة.

نعمة الايمان — في احدى الليالي شبت النار في كاتدرائية الروم الارثوذكس المجاورة. وكان منظر الدخان واللهب رهيبا. ولا تغيب عني صورة ذلك الراكع تحت السماء رافعا يديه في صلاة: البطريرك، يبتهل الى الله كي ينزّل رحمته. ولم تلبث النار ان خمدت. وبقي منطبعاً في ذهني ان البطريرك كان على قناعة تامة بأن ارادة الله قضت بأن تسلم الكاتدرائية، فيتلاقى ايمانه بايمان المسلم القائل بأن الله يفعل ما يشاء، متى يشاء ولمن يشاء.

وقبيل نشوب الحرب العالمية الاولى - وكانت السلطنة العثمانية على وشك التحالف مع المانيا - وضع العدو يده على مدرسة الارسالية الايرلندية حيث كنت ادرس. فأرسلت الى المدرسة الارثوذكسية حيث تعلمت الفرنسية، لغة "العدو" التي يحرمها الاتراك. وكان من المثير حقا تعلم لغة جديدة.

وذات يوم جاءنا ان المفتشين الاتراك في طريقهم الى المدرسة، فأمرتنا المعلمة نايلة بالقاء كتبنا الفرنسية في الموقد. والتهمت النار صفحاتها، وامضينا ما تبقى من السنة من دون كتب.

درس لا ينسى — وتلمست في الحرب صدق الاخوة. كان الخبز آنذاك نادرا نتيجة للحصار البريطاني وتدفق اللاجئين. وفي احد ايام الخريف حمل ابي الينا مؤونة شهرين من الطحين، وسمعته يخبر امي انها حصتنا الاخيرة. وما زال صدى كلماته يتردد في اذني: "سوف نأكل هذا الطحين، ولن يبخل الله علينا بنعمته".

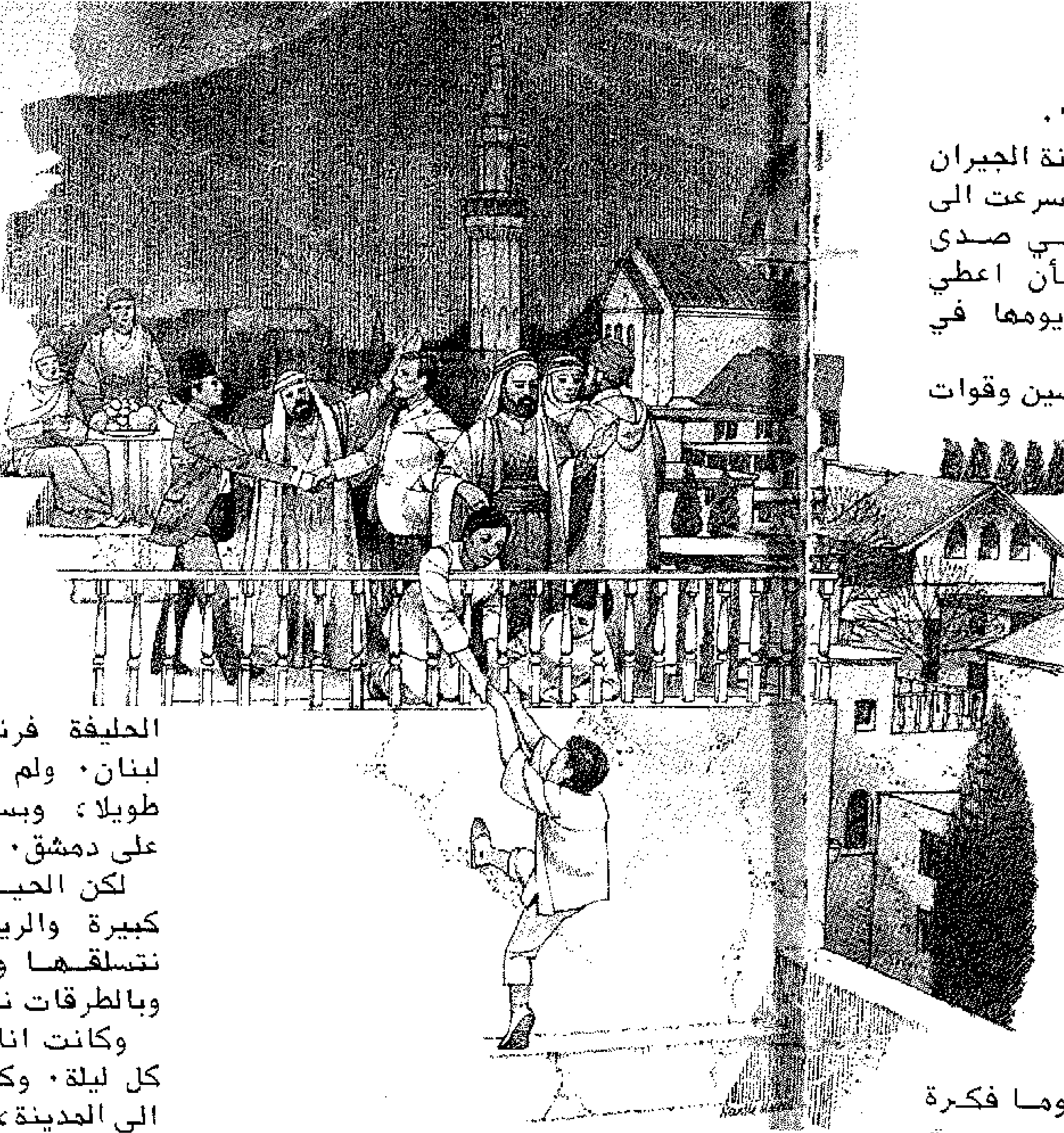
وبعد ايام قليلة جاءت ابنة الجيران تطلب اثني عشر رغيفا. فأسرعت الى امي اخبرها وفي صوتي صدى انزعاج. لكنها امرتني بأن اعطي الفتاة ما تشاء. وكنت يومها في التاسعة.

ولم تلبث قوات الشريف حسين وقوات الانكليز ان دخلت دمشق فأصبح الطعام متوافرا وقد حلت علينا نعمة الله.

وعلى أثر انهيار السلطنة العثمانية اعيد فتح مدرسة الارسالية الايرلندية، والتحقت بها من جديد الى جانب رفقائي المسلمين واليهود من دمشق. في ذلك الوقت كان في استطاعتنا فعلا ان نكون اصدقاء.

وكان بالقرب من بيتنا مخزن بقالة يديره حاج مسلم، وكان زبائنه معدودين. وخطرت لي يوما فكرة شيطانية. فما ان سمعت صوت المؤذن حتى وقفت على باب الحاج وكأنني اريد الشراء. لكنه لم يلتفت الي، بل بسط سجادته وتوجه بعينيه وقلبه الى الكعبة مصلياً. لقد علمني الحاج ان على الانسان غالبا ان يختار بين الله والشيطان، وكانت للروح عنده الافضلية. وتأكدت من ان فصاحة الكاهن - مهما بلغت - لن تؤثر في نفسي كما فعل البقال البسيط.

الاستعمار الجديد — وتغير موقفنا



من الاوروبيين، واعادتهم خلافاتهم الى انظارنا رجالا عاديين. ومع انهيار اوهامنا بالمثل الاوروبية، نما في نفوسنا الشعور بالقومية العربية، يذكرنا بأن في تراثنا كنوزا على اساسها يبنى الوطن.

ولدى زوال السلطة العثمانية بعد ٤٠٠ سنة من الاحتلال، برزت في دمشق تلقائيا جماعات مدنية حافظت على النظام. وكانت في غالبيتها من المسلمين، لكن ذلك لم يمسنا نحن المسيحيين. فقد كانت الالفة تجمعنا. وفي احدى الليالي سمعت احدهم ينظم الحركة في حيّنا قائلا: "يا شباب! سيروا على مهل لئلا تعكروا نوم اخواننا".

واستمرت تلك الروح النبيلة في السنتين التاليتين، وعاش السوريون اياما سعيدة. وفي ١٨ ابريل (نيسان) ١٩٢٠، منح مجلس رؤساء وزراء الدول الحليفة فرنسا حق الانتداب على لبنان. ولم تصمد المقاومة السورية طويلا، وبسط الفرنسيون سلطتهم على دمشق.

لكن الحياة استمرت. فالمدينة كبيرة والريف جميل مليء بالتلال نتسلقها وبالجداول نخوضها وبالطرقات نراقب فيها سير الحياة.

وكانت انارة الشوارع حدثا انتظره كل ليلة. وكانت الكهرباء قد وصلت الى المدينة، ولكن مصابيح الكاز بقيت تنير الشوارع الجانبية. وعند الغروب كان يأتي رجل في يده ابريق وسلم، فيملأ كل مصباح وينيره، ثم ينحدر عن سلمه تاركا خلفه فيضا من نور.

ولا انسى الحارس الليلي، يتردد في اذني صوت عصاه الثقيلة فوق حصى الشارع. وكان يحيي كل عابر سبيل ليتأكد من هويته. فاذا كان مقيما اكمل الحارس سيره، واذا كان غريبا اطلق صفارته عاليا منبها الحارس التالي.

وفضلا عن ذلك كانت السنة ۱۹۲۲ - ۱۹۲۳ آخر سنواتي الدراسية في دمشق، التحقت بعدها بالمدرسة الاعدادية التابعة للجامعة الامريكية في بيروت. وكنت قد وقعت على مكتبة تعود الى جمعية القديس يوحنا الدمشقي، وجدت فيها كنزا من روائع الأدب العربي. وانكببت بنهم على قراءة أدبنا الاصيل. وكنت، حتى ذلك الحين، على هامش معرفتي بالعروبة. لكنني وجدت في لغتنا سحراً وتناغماً ادخلا الى نفسي حب كل ما هو عربي.

وعلمت انني ولجت عمق العروبة. وانكشف لي ان ما يربط العرب ليس رباطاً جغرافياً او دينياً او عقائدياً، ولا تراثاً مشتركاً، بل هو كونهم جميعاً يتكلمون العربية. وكل ما تبقى ليس الا نتيجة لتلك الحقيقة.

وجاء يوم وجدت فيه نفسي في محطة السكة الحديد انتظر القطار الى بيروت. وكان والدي معي. وبدافع غامض مددت يدي الى جيبي اخرج كل ما فيها من نقود سورية سلمتها اليه. غير اني ادركت في ما بعد سبب تلك البادرة: لقد كانت رمزا عفويا لدخولي عالما جديدا تختلف قيمه عن قيم العالم الذي تركته.

ووصل القطار. وساعدني ابي على الركوب، ووقف على الرصيف منتظرا وقد امتلأت عيناه دمعاً.

لقد آن الفراق، ووجدت نفسي ابتعد عن دمشق.

■ **منير سعاده**



قد يكون من الصواب القول ان مقدارا طفيفا من اللامبالاة هو اسلم اساس تبنى عليه الصداقة الثابتة.

("الصنداي تلغراف" - لندن)

جمعية "اخدم نفسك"

نشرت جمعية "اخدم نفسك بنفسك في البيت والحديقة" الالمانية الاعلان الآتي في احدى الصحف:

"مطلوب عاملة تنظيف لمكاتبنا، تعمل من الاثنين الى الجمعة اسبوعيا بعد الخامسة عصرا".

(مجلة "دير شبيغل"، المانيا)

باسم الوطن!

خلال مناقشة لمجلس العموم البريطاني تتعلق بالحكم الذاتي وجه لويد جورج، رئيس الوزراء آنذاك، كلامه الى الاعضاء:

"الحكم الذاتي لايرلندا وسكوتلاندا؟ لم لا. حكم ذاتي لويلز؟ بالتأكيد. بل وحكم ذاتي حتى لانكلترا".

وهنا قاطعه صوت متعب من المقاعد الخلفية "ما رأيك في منح الحكم الذاتي لجهنم؟". فرد لويد جورج "موافق. فكرة حسنة أن يتحدث كل شخص باسم وطنه".

ايرل لويد جورج (كتاب "لويد جورج")



الرياضة: السلاح الأقوى ضد السمنة

لقد اتضح من بعض البحوث المدهشة ان الرياضة المنتظمة قد تكون بمثابة السلاح الحاسم في المعركة ضد السمنة

قرّ رأي الدكتور غرانت جويناب من جامعة كاليفورنيا عام ١٩٧٣ على القيام بتجربة تتناول ٣٤ مريضاً يعانون زيادة في الوزن، وتدهوراً في معنوياتهم بعد سنوات من المحاولات الفاشلة لتخفيف وزنهم عن طريق الحمية الغذائية. وقد طلب منهم الدكتور جويناب ألا يلتزموا بأي نظام غذائي، وان يواظبوا بدلا من ذلك على المشي كل يوم، مع زيادة وقت المشي ومسافته على نحو تدريجي.

في بداية الأمر، لم يطرأ اي تغيير على حال هؤلاء المرضى ولكنهم بدأوا يلاحظون بعض التناقص في وزنهم عندما اصبح الوقت الذي يمشونه يتجاوز نصف الساعة يومياً. وفي نهاية العام الأول من التجربة، تبيَّن ان كل واحد من الأحد عشر مريضاً الذين ثابروا على البرنامج فقد مقداراً ملموساً من وزنه السابق وظل محافظا

على وزنه الجديد وبلغ ما فقده اقلهم نجاحا اربعة كيلوغرامات ونصف كيلوغرام، وأكثرهم نجاحاً ١٧ كيلوغراماً، فكان متوسط ما فقده افراد المجموعة من وزنهم الزائد عشرة كيلوغرامات (للفرد الواحد)٠

وقد اتضح من تجربة الدكتور جويناب - على نقيض الاعتقاد الشائع - ان الذين يعانون السمنة يمكنهم ان يتخلصوا من وزنهم الزائد بفضل الرياضة، سواء التزموا نظام الحمية او لم يلتزموا ذلك٠

ولا ريب في ان هذه المعلومات تغبط اولئك الذين يعانون زيادة في الوزن بسبب ما يسميه علماء الطب الوظيفي (الفيزيولوجيون) "الميزان الايجابي للطاقة"، بمعنى ان اجسامهم تحصل على مقدار من الطاقة - في شكل اغذية - يزيد عما يستخدمونه منها فيلجأ الجسم الحريص الى خزن الفائض في شكل ادهان٠ وكان العلاج المألوف لمثل هذه الحالات الالتزام بنظام الحمية، غير ان ما يحدث في الواقع، كما جاء في مقالة نشرتها اخيرا مجلة الجمعية الطبية الامريكية، هو ان الذين يصيبون نجاحا طويل الأمد في خفض وزنهم عن طريق التزام هذا النظام لا تتجاوز نسبتهم ٢٠ في المئة٠ ممن يحاولون ذلك، بل ان من المحتمل ان تتدنى هذه النسبة الى اقل من ٥ في المئة٠

ولعل الفشل الواسع الانتشار في السيطرة على السمنة يرجع في اساسه الى تركيز الاهتمام حتى الآن على الجانب الخاطىء من معادلةالطاقة، باللجوء الى خفض استهلاك الغذاء بدلا من زيادة الحركة والرياضة٠ فالكثيرون منا يكسبون عيشهم وهم جالسون الى مكتب، ويستخدمون السيارات في الانتقال الى كل مكان، وينفقون الجانب الأكبر من وقت فراغهم في مشاهدة برامج التلفزيون وهم قابعون في اماكنهم٠ بل ان ربات البيوت قد اصبحن يحرقن سعرات اقل في اداء نشاطاتهن المنزلية اليومية، لأنهن لم يعدن ينفضن السجاجيد بالعصي او يغسلن الملابس بأيديهن٠

ونتيجة ذلك: زيادة في متوسط الوزن٠ نعم، لقد زادت سمنتنا مع انفاق معظم وقتنا جلوسا٠ وهناك تعليل للأمر اشارت اليه دراسات عدة في هذا الصدد، وهو ان الذين يمارسون مستويات منخفضة من النشاط يصعب عليهم تكييف كميات الطعام التي يتناولونها بحيث تتناسب مع قلة كمية الطاقة التي يستهلكونها (الواقع ان الذي يقوم بنشاط منخفض يكون أكثر ميلا الى تناول كمية من الطعام تزيد عما يتناوله اذا كان يمارس نشاطاً معتدلا)٠ غير ان السؤال الجوهري يظل قائما، وهو: هل يستطيع الناس أن يخفضوا وزنهم فعلا عن طريق برامج الرياضة المنتظمة؟

ان هذه الفكرة تتناقض مع ما يعتقده كثير من الناس٠ والحقيقة ان هناك مهنيين متخصصين في المجالات الصحية مقتنعون بأن ممارسة الرياضة لا جدوى منها في اي محاولة لخفض الوزن، لأنها تحمل الانسان على تناول كميات أكثر من الطعام٠ ولكن البحوث الحديثة، مثل تلك التي اجراها الدكتور جويناب، قد اثبتت خطأ هذا الاقتناع٠

السعرات التي تبذل في النشاط الرياضي

جرى حساب الارقام المبينة ادناه بالنسبة الى الشخص الذي يبلغ وزنه ٦٨ كيلوغراما، ويجب تعديلها على اساس نسبي لمن هم اخف او اثقل وزنا، مع الملاحظة ان التخلص من نصف كيلوغرام يتطلب حرق ٣٥٠٠ سعرة حرارية.

نوع النشاط	السعرات في الدقيقة	السعرات في الساعة
المشي البطيء (النزهة) (سرعة ٢ ١/٢ كيلومتر في الساعة)	٣ ١/٢ – ٢	١٥٠ – ١٢٠
المشي الجاد (٥ كيلومترات في الساعة)	٥ – ٤	٣٠٠ – ٢٤٠
العدو (٩ كيلومترات في الساعة)	١١ – ١٠	٦٦٠ – ٦٠٠
ركوب الدراجة الهوائية (١٦ كيلومترا في الساعة)	٧ – ٦	٤٢٠ – ٣٦٠
كرة الطاولة، والبادمنتون	٦ – ٥	٣٦٠ – ٣٠٠
كرة المضرب (الفردي)	٨ – ٦	٤٨٠ – ٤٢٠
الانزلاق على الثلج	١٠ – ٨	٦٠٠ – ٤٨٠
الغولف، باستخدام عربة ذات محرك	٤ – ٢ ١/٢	٢٤٠ – ١٥٠
الاسكواش، وكرة اليد	١١ – ١٠	٦٦٠ – ٦٠٠

(المفاهيم الموحدة في امراض القلب والشرايين التاجية، حزيران ١٩٧٣، الجمعية الاميركية لامراض القلب)

فقد توصل عدد آخر من الباحثين الى نتائج مماثلة، ومنها التجربة التي شملت اخيرا ١١ طالبة جامعية يعانين زيادة في الوزن: فقد وضع لهن برنامج يجمع بين المشي والركض الخفيف الذي يستهدف حرق قرابة ٥٠٠ سعرة يوميا. واستمر البرنامج مدة ثمانية اسابيع من دون اي قيود غذائية على الاطلاق، وعلى رغم ذلك فقد انخفض وزن المشتركات فيه بمقدار يزيد على كيلوغرامين في المتوسط في نهاية الاسابيع الثمانية ولكن عندما اجرى الباحثون عددا من القياسات الدقيقة، مثل قياس ثنيات الجلد وغيرها، تبين لهم ان متوسط انخفاض الوزن لدى الطالبات قد بلغ خمسة كيلوغرامات ونصف كيلوغرام تقريبا. من الشحم، في حين ان متوسط وزن انسجة الجسم الخالية من الشحم - اي العضلات - قد زاد بأكثر من كيلوغرامين ونصف كيلوغرام (مما ادى الى اضفاء مظهر الهزال عليها لأن العضلات التي تبلغ وزنا معينا تشغل حيزا اقل من ذلك الذي يشغله وزن مماثل من الشحم، لكون نسيج العضلات أكثر كثافة وتماسكا).

وتبين من دراسة اخرى ان الرجال الذين بلغوا منتصف العمر ويعانون زيادة في الوزن، قد اتجه وزنهم الى

الانخفاض ببطء ولكن باطراد عندما خضعوا لبرنامج مدته ١٦ أسبوعا يعدون في تؤدة بمقتضاه مسافة خمسة كيلومترات ثلاث مرات في الأسبوع، وذلك من دون ان يلتزموا بأي قيود غذائية.

الرياضة فعالة ـ وقد ثبت بالدليل العلمي ايضا ان الرياضة وسيلة فعالة للمحافظة على الوزن المنخفض. واجرى اخيرا الباحثون في مدرسة الطب في جامعة ستانفورد، دراسة لحالات ٤٥ رجلا يتمتعون بصحة جيدة ويمارسون الرياضة بانتظام، وهي رياضة العدو في معظم حالاتهم. وتبين ان متوسط النسبة المئوية للشحم في اجسامهم (١٣ في المئة) مماثل لمتوسطه لدى الرجال الذين يصغرونهم بخمسة وعشرين عاما، مما يشير الى ان هؤلاء الرجال النشطين لم يزد وزنهم مع تقدمهم في السن، كما هو مألوف.

وفي تجربة اخرى، تولى الباحثان جـ. سكروباك - كازينسكي وك. لانج اندرسن قياس الوزن ونسبة الدهن في الجسم لدى ٣١٢ رجلا من قاطعي الاخشاب النرويجيين الذين مارسوا النشاط البدني طوال حياتهم، فوجدا ان هؤلاء حافظوا على الوزن ذاته ٧٢ كيلوغراما تقريبا وعلى نسبة الدهن نفسها في اجسامهم (١٣ في المئة تقريبا) طوال حياتهم، ويتعادل في ذلك المتقدمون في السن منهم والشباب.

ومنذ عام ١٩٥٣، اثبتت كل من جين ماير، التي كانت تعمل آنئذ في مدرسة الصحة العامة جامعة هارفرد، وماري لويز جونسون، من جامعة واشنطن، أن النشاط البدني مهم ايضا كعامل للوقاية من الزيادة المفرطة في الوزن لدى الصغار والمراهقين. فهما اختارتا ٢٨ فتاة بدينة و٢٨ فتاة غير سمينة من طالبات المدارس الثانوية، وتابعتا بدقة وحرص ما تأكله الفتيات، فكان متوسط استهلاك السمينات من الطعام يقل عن ٣٠٠٠ سعرة في اليوم، بينما كان متوسط استهلاك غير السمينات يزيد على ٣٧٠٠ سعرة. وعندما حللت الباحثتان النشاط البدني لكل فتاة، تبين لهما ان الفتيات غير السمينات ينفقن من الوقت ضعف ما تنفقه السمينات في المشاركة في الالعاب الرياضية وغيرها من النشاطات التي تتطلب حركات قوية وسريعة. وكانت النتيجة التي انتهت اليها الباحثتان ان قلة النشاط هي عامل مساعد على نشوء السمنة لدى المراهقين يفوق في اهميته عامل الافراط في الأكل.

ومن الواضح اذا ان للرياضة اثرا مهما في خفض الوزن او المحافظة عليه، سواء لدى الاطفال او الكبار. ولكن، هل يصدق ذلك بالنسبة الى جميع الناس؟ يبدو ان الاجابة عن هذا السؤال سلبية، لأن الكثيرين من الناس يفشلون في الاستفادة من الرياضة للسبب نفسه الذي يجعلهم يفشلون في الاستفادة من نظام الحمية، وهو عدم المثابرة.

ففي تجربة الدكتور جويناب، لم تثابر على البرنامج حتى نهاية العام الأول سوى ١١ سيدة من ٢٩، كما لم يثابر عليه رجل واحد من الرجال الخمسة الذين شملهم في البداية (وبعد خمس سنوات، بقيت معظم السيدات الاحدى عشرة مستمرات في

البرنامج ومحافظات على وزنهن الجديد المنخفض).

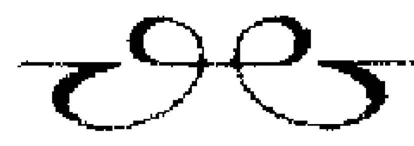
المواقف تتغير — وقد اسفرت التجارب الاخرى عن نتائج مماثلة. ففي عام ١٩٧٥، وضع باري فرنكلين، من جامعة ولاية بنسلفانيا، برنامجا لست وثلاثين سيدة جمع بين المشي والعدو المتئد، واستمر البرنامج مدة ١٢ اسبوعا انخفض في نهايتها وزن معظمهن. وبعد ١٨ شهرا، تولت باتريشيا ماكين، من الجامعة نفسها، مراجعة حالات ٢٨ سيدة استطاعت الاتصال بهن من بين اولئك السيدات، فوجدت ان معظمهن قد استعدن ما سبق ان فقدنه من وزن زائد، وان ٦٤٪ من المشتركات (٢٢ سيدة) قد توقفن عن ممارسة العدو".

ولكن الناس بدأوا يغيرون مواقفهم من الرياضة والنشاط البدني، فأصبح الكثيرون يستمتعون بالرياضة وما تحققه لهم من فوائد سريعة مباشرة، ويعقدون العزم على الاستمرار فيها.

ويقول بيتر وود من جامعة ستانفورد: "سيكون الأمر مجديا اذا استطعت ممارسة الرياضة بطريقة تستهويك. وهناك سبيلان اساسيان لتخفيض الوزن، فاما ان تزيد ما تنفقه من طاقة، واما ان تخفض ما تأكله من طعام وتحرم نفسك مما تشتهيه. واذا استطعت رفع مستوى ممارستك للرياضة الى درجة معقولة — وليكن ذلك ٤٠ دقيقة اربع مرات في الاسبوع — فقد لا تحتاج عندئذ الى قضاء بقية حياتك وانت تحصي السعرات الحرارية بقلق. وفي رأيي ان هذا المستوى من ممارسة الرياضة امر من اليسير بلوغه حتى بالنسبة الى اولئك الذين يزحمهم العمل".

ومن الجلي اذا ان الرياضة والنشاط البدني لا يعتبران علاجا سحريا للحد من زيادة الوزن. غير ان هذا الاسلوب قد اثبت نجاحه في بعض الحالات التي تكرر فيها فشل الحمية الغذائية. واذا كانت هذه الطريقة قد اثبتت جدواها بالنسبة الى الآخرين، فلا شك انها تثبت جدواها ايضا في حالتك انت.

■ س. ب. غيلمور



تجاعيد الزمن

يحفر الزمن التجاعيد على وجوه الناس ويزيلها عن عجلات السيارات.

بول موران

استفتاء

سألت صحيفة "تشينغ شن نيوز" الصادرة في تايوان قراءها: "لماذا يغلق معظم الناس عيونهم خلال التقبيل؟" ومن بين الاجابات الواردة ما يأتي:

– القبلة بعين مفتوحة اشبه بمتابعة مباراة بعين مغلقة.
– الحب اعمى.
– القبلة شيء نحس به ولا نراه.

ولعل افضل تعليق ورد الى الصحيفة هو الآتي: "لكي نركز تفكيرنا على الخطوة اللاحقة".



حديقة افكار

■ أن نندم على الخطايا التي ارتكبناها اسهل كثيراً من الندم على تلك التي نعتزم ارتكابها .

ج . ب .

■ ما يحس به القلب اليوم سيعيه العقل غداً .

ج . س .

■ يثري البخيل بتظاهره بالفقر، ويفتقر المسرف بتظاهره بالثراء .

ن . و .

■ استطيع ان ابرهن عن اي شيء بواسطة الاحصاء، الا عن الحقيقة .

ج . ك .

■ الاشخاص المهمون هم اكثر من يعي ان الآخرين مهمون ايضا .

م . س . ف .

■ لو صح كل ما ينبىء به الاطفال من صفات، لما وجدنا بين الكبار سوى عباقرة .

غوته

■ لا احد يعرف عمر الجنس البشري . بيد ان الجميع يتفقون على انه بلغ من العمر ما يؤهله لان يزداد معرفة .

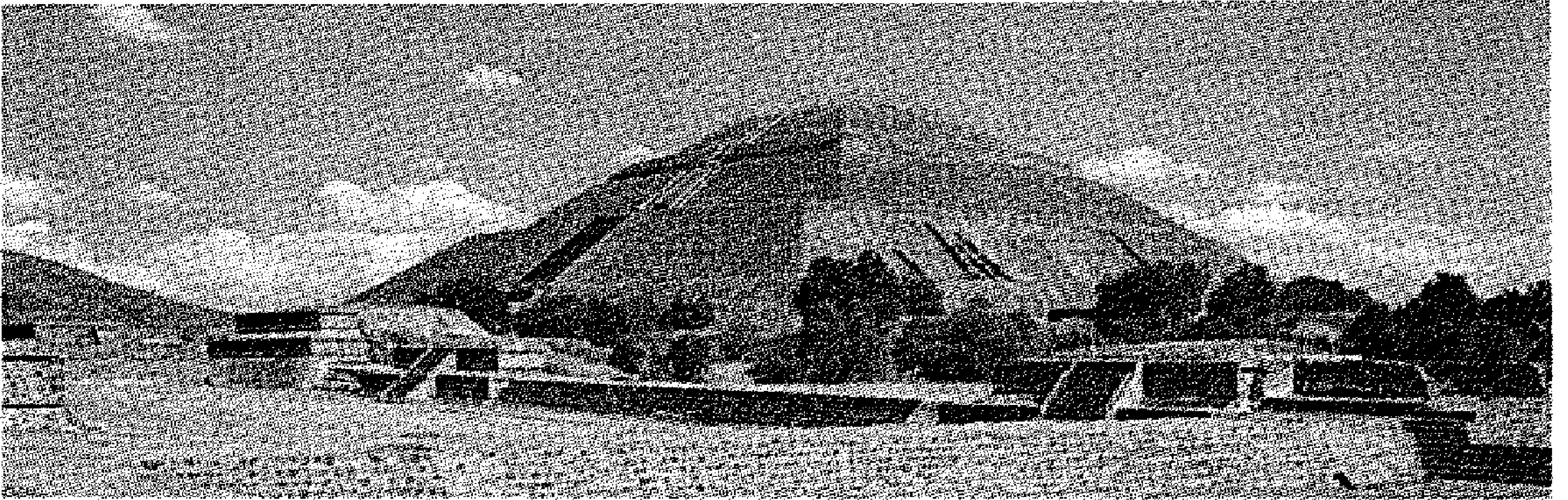
م . هـ .

■ اذا اردت ارضاء حصيف فدعه يخرج بانطباع جيد عنك، واذا اردت ارضاء غبي فدعه يخرج بانطباع جيد عن نفسه .

ساموبل تايلور كوليردج

أهي مقامات الآلهة؟ أم أنها قبور للملوك؟ الاهرام منتشرة في بقاع مختلفة، ولا تزال أسرارها الدفينة تتكشف كل يوم عن واقع رهيب

أهرام المكسيك رموز حضارة شامخة



هرم الشمس في تيوتيواكان (المكسيك)

شهد وادي تيوتيواكان الذي يقع على بعد ٤٠ كيلومترا شمال شرق مدينة المكسيك، عام ١٥٢٠، معركة غيرت وجه التاريخ، تمكن خلالها هرنان كورتيز وبضع مئات من الاسبان، بمساعدة ألفين من الهنود، من جر الهزيمة على ٢٠٠ ألف من مقاتلي شعب الآزتك. وكان ذلك الموقع مكانا ملائما لمثل هذه الواقعة، لان أولئك المتحاربين خاضوا معركتهم تلك على أرض بين هرمين حجريين مهيبين بقيا مهجورين، وقد غطتهما الأتربة والشجيرات، لألف سنة خلت.

يدعى أصغر هذين الهرمين "هرم القمر" (★). أما الاكبر، ويدعى "هرم الشمس"، فيساوي محيطه

(★) لا أحد يعرف الاسماء الاصلية لاهرام المكسيك اما الاسماء الحالية فقد اطلقها عليها الهنود والاسبان وعلماء الآثار.

محيط "هرم خوفو" في الجيزة (مصر). ولا يزال المشتغلون بالحفائر الأثرية في تلك المنطقة يكشفون عن أبنية مدينة أثرية تكاد تكون مما لا يصدقه عقل. وهي تضم ساحات عظيمة ومعابد وطرقا ممهدة ومساكن، وتحتل ٢١ كيلومترا مربعا، مما يجعل مساحتها تفوق مساحة مدينة روما في العصور القديمة. وفي ١٩١٩ تولى عالم الآثار مانويل غاميو العمل في هرم آخر في تيوتيواكان، اسمه كوتزالكوتل، فاكتشف تحته موقعا أثريا يعتبر من روائع الفن في المرحلة ما قبل الكولمبية، وهو هرم مزخرف بنحت رائع يمثل رؤوس ثعابين مجنّحة ورؤوس آلهة المطر.

ولا ندري من بنى تلك المدينة العظيمة وأهرامها، كما لا نعلم سبب هجرها قرابة العام ٧٥٠ للميلاد. والذي نعرفه أن تشييدها بدا في اوائل العهد الميلادي، في وقت كان فن بناء الاهرامات في المكسيك وأمريكا الوسطى معروفا منذ القدم.

كعكات وجماجم - ويشمل تاريخ المنطقة الذي سبق الحقبة الكولومبية حضارات عدة متميزة، أوجدتها شعوب مختلفة اللغات والملامح الجسدية. وكان نشوء أولى تلك الحضارات نحو العام ١٢٠٠ق.م.، وهي حضارة شعب عرف باسم "الأولمك"، استوطن الساحل الجنوبي لخليج المكسيك وشيد اهراما من الآجر المجفف بلغ ارتفاعها ٣٧ مترا، ثم اختفى فجأة نحو العام ٤٠٠ق.م. وربما كان اختفاؤه خلال ثورة قام بها على الكهنة الحاكمين.

وانتقلت حضارة الأولمك الى شعب "الزابوتك" في منطقة ويهاكا على ساحل المحيط الهادىء، والى أهل تيوتيواكان في المكسيك الوسطى، والى شعب المايا في جنوب المكسيك وغواتيمالا وهوندوراس الغربية، وهي شعوب ازدهرت حضاراتها خلال بضعة قرون لتختفي هي الاخرى طي الغموض.

وفي حدود العام ٩٠٠ للميلاد ظهر المغيرون التولتك الذين هاجموا المنطقة من الشمال، وبنوا عاصمتهم تولان (الان تولا)، وانطلقوا منها ليقيموا امبراطورية امتدت حتى شبه جزيرة يوكاتان جنوبا، وعمرت اكثر من قرنين.

وفي العام ١٣٢٥ جاء شعب الآزتك، وهم قبيلة مقاتلة من الشمال عرفت بوحشيتها، وأقاموا امبراطورية أعظم من تلك التي أقامها شعب التولتك، وكانت عاصمتهم تينوشتيتلان التي ترقد أطلالها تحت مدينة المكسيك. ومع مجيء الغزو الاسباني عام (١٥٢١)، انطفأت الى الابد جذوة الحضارة القومية في تلك المنطقة.

وكانت ديانات تلك الحضارات وتقاويمها متشابهة. وقد لعبت الاهرام دورا مهما في حياة أهلها الدينية والمدنية والثقافية، ولا تزال آلاف منها مطمورة في أمريكا الوسطى. وتعد الاهرام القليلة التي اكتشفت ورممت من أروع نماذج العمارة القديمة، ولا يتشابه بينها اثنان.

ومن أكثر تلك الاهرام اثارة للدهشة هرم المحراب في التاجين الذي يشبه كعكة زفاف من سبع

طبقات، وهرم "مونت آلبان" الذي أقامه شعب الزابوتك منذ ٢٣٠٠ عام على قمة جبل ونقشوا عليه رسوما راقصة عجيبة، وهرم تشتشن - ايتزا في يوكاتان بمعبده الرهيب الذي يدعى "معبد المقاتلين" وبحائط الجماجم المنحوتة. وربما كانت الاهرام التي تطاول السحاب في تيكال اكثرها اثارة بسقوفها المنمقة التي ترتفع حوالى ٦٠ مترا فوق أشجار الغابة.

ولا شك في أن انشاء تلك الابنية اقتضى جهدا بشريا هائلا. فبناة تلك الاهرام لم يملكوا دواب لجر الاثقال ولا مركبات تسير على عجلات ولا بكرات لرفع الاثقال ولا أي أدوات معدنية. وهكذا، فان الكتل الضخمة من الحجر الجيري، التي تصل زنتها الى ٤٥ طنا، كانت تقتلع بأزاميل من حجر وتُنعَّم عن طريق الحك بالرمل وبالزجاج البركاني، ثم يجرّها الرجال بضعة كيلومترات ويرفعونها الى مواضعها على منحدرات من تراب بواسطة حبال مجدولة من الألياف.

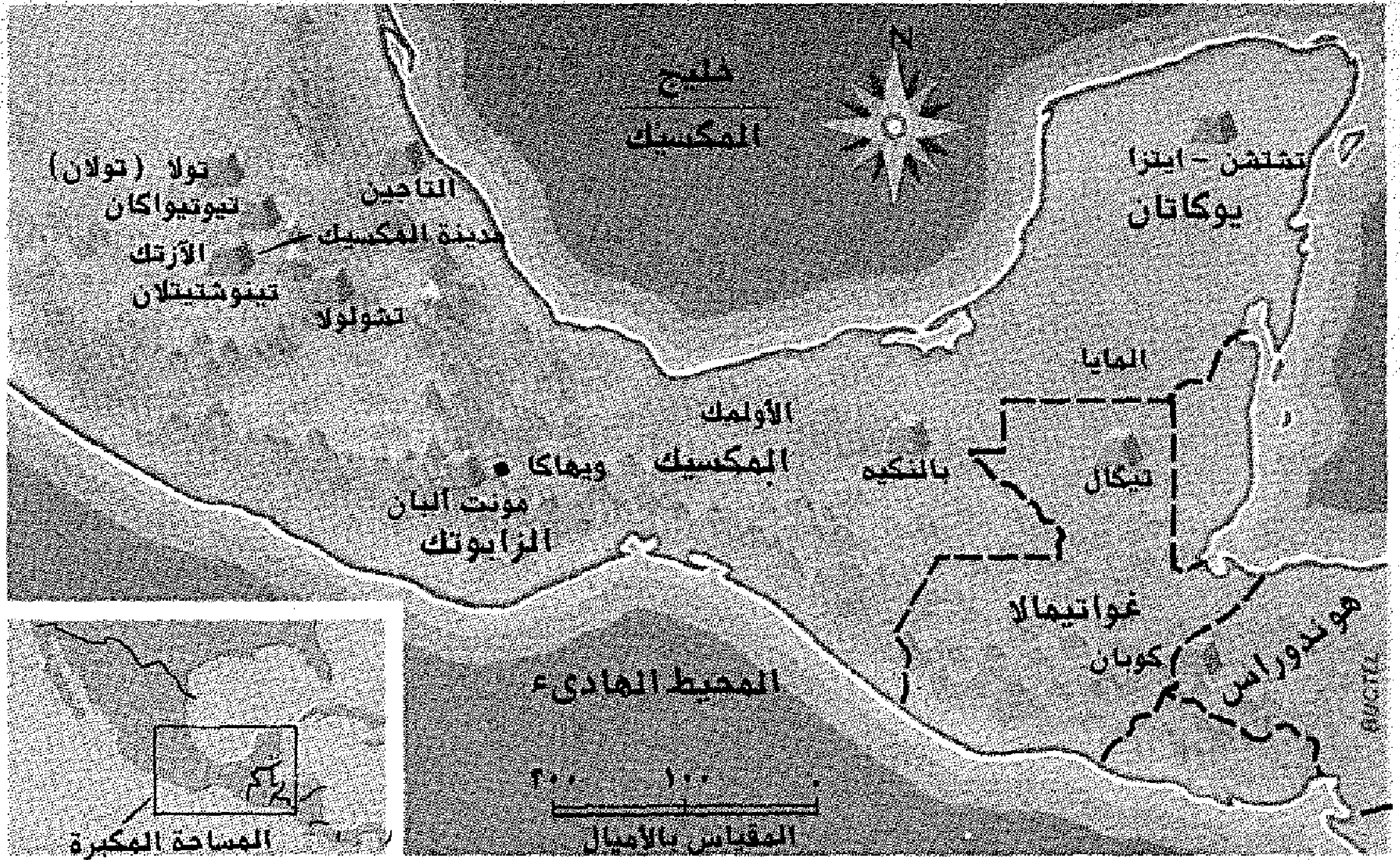
قلب الظلام - وبعد انتهاء بناء الهرم كان يبنى فوقه دائما بناء يغطيه تماما، تكريما لكاهن أو ملك جديد أو احتفاء بذكرى انتصار أو شكرا للآلهة على سماحها للبشر بالبقاء على قيد الحياة. وهكذا نرى هرم تشولولا، الذي يعد أضخم بناء شيده الانسان، مؤلفا من سبعة أبنية بعضها فوق بعض، وعلى قمته كنيسة اسبانية.

ويبدو ان مشيّدي تلك الابنية لم يعنوا أي مرة بانقاذ محتويات البناء السابق. ففي هرم الكاستيللو الذي بناه التولتك في القرن الحادي عشر نفق يفضي، بدرج ضيق، الى معبد من معابد المايا شيد قبله بقرون، وأقيم فيه عرش رائع على هيئة نمر مرصع بحجر اليشب الكريم يحرسه وثن من حجر.

وعلى خلاف الاهرام المصرية التي بنيت كقبور، وأقيمت بالتالي بعيدا عن التجمعات السكانية، كانت الاهرام الامريكية ترتفع في قلب المدن، تعلوها منصات مسطحة بنيت عليها المعابد.

وفضلا عن كونها أماكن للعبادة، كانت الاهرام تلك مراصد للشمس والقمر والكواكب التي كانت لتحركاتها مغاز دينية مقدسة. وكان عمل أولئك الفلكيين الاوائل يتم بدقة مذهلة. فقد حسبوا السنة الشمسية مع فارق لم يتجاوز ١٧ ثانية، فكانت في تقويمهم ٣٦٥،٢٤٢٢ يوما، كما قدروا دورة كوكب الزهرة مع خطأ لم يزد سبع ثوان كل خمسين سنة، وهي حسابات لم يأت أحد بأدق منها حتى أواخر القرن الماضي.

وبقي الخبراء على ثقة بأن الاهرام الامريكية لم تستخدم كقبور أبدا. الا ان عالم الآثار المكسيكي البرتو روز - لويير شق طريقه عبر الانقاض الى درج يفضي الى "معبد النقوش" في بالنكيه، حيث عثر على غرفة مسردبة في وسطها ناووس حجري على شكل رحم، تعلوه بلاطة مزخرفة زنتها خمسة أطنان. وكان من الضخامة بحيث استحال انزاله عن طريق الدرج، مما يبين أنه وضع في مكانه خلال الايام الاولى لبناء الهرم. وكان داخل الناووس هيكل عظمي لرجل



طوله ١٨٢ سنتيمترا، ونحو ألف قطعة حلى من حجر اليشب الكريم بينها قناع رائع عليه صورة وجه الرجل. ومن النقوش علم الأثريون أن صاحب ذلك الهيكل العظمي الغارق في الحجار الكريمة هو الكاهن الاكبر "باكال" الذي مات سنة ٦٧٣ للميلاد عن ٨٠ عاما. ومنذ ذلك الحدث التاريخي اكتشفت قبور عدة تحت أهرام أخرى بناها شعب المايا.

دماء الضحايا - لا يزال الغموض يكتنف تلك الاهرام. ومما يدعو الى التساؤل ان ارتفاع كل درجة بلغ مترا، في حين جعل الجزء الافقي الاعلى من الدرجات بالغ الضيق بشكل لا يسمح بارتقائها الا على أطراف الاصابع أو بشكل تكون فيه القدمان منفرجتين. وبلغ انحدارها الشديد أن تعددت حوادث سقوط السياح الذين غامروا بالصعود من دون ان يتشبثوا بالسلاسل الواقية التي ركبت حديثا.

وهناك تفسير مروع لهذا الغموض. فآلهة تلك الحضارات كانت عديمة الرحمة شديدة النهم. وكانت - ما لم تقدم لها القرابين الكثيرة - تحجب المطر، وتوقف نمو المحاصيل او حتى الحياة. وكان طعامها الدم البشري والقلوب ينتزعها الكهنة من صدور المنكودي الحظ. وكان ذوو العاهات مفضلين كذبائح في تلك الديانات الدموية، نظرا الى الاعتقاد السائد بأنهم يحوزون قوى سحرية غامضة. وكذلك كان الاطفال هدية ثمينة تفرح بها آلهة المطر.

وكانت التضحية بالنساء والفتيات تتم عادة باغراقهن. أما البالغون من الرجال فكانوا أثمن ضحايا تقدم الى آلهة الحرب والشمس. وكانت الضحية البشرية تطرح على ظهرها فوق الهيكل المقام على قمة الهرم ويمسك بها أربعة من الكهنة، بينما يقوم كاهن خامس بشق صدر الضحية الحية لينتزع القلب النابض بالحياة. وبعدها، كان الجسد الذي فارقته الحياة يلقى من فوق ليتدحرج هابطا الى الارض. وهذا يفسِّر انحدار

الدرجات الشديد. وكانت روح الضحية، في اعتقادهم، تنتقل توا الى الجنة.

ومع ظهور شعب التولتك الشهير بوحشيته، ازدادت حدة تلك التقاليد الدامية. وتفنن التولتك في طقوسهم، فكانوا يدخلون السكاكين الى رأس الضحية ويشدونها الى مخلعة، وهي آلة تمط العنق.

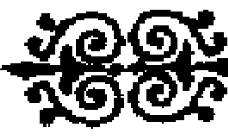
وبلغت تلك التقاليد ذروتها في عهد شعب الآزتك، الذي اشتهر - على سبيل المفارقة - بولعه بقرض الشعر وسماع الموسيقى والتغني بالجمال. ويقول المؤرخون الاسبان الاوائل ان الآزتك قدموا، خلال احتفالاتهم بانتهاء تشييد هرم تينوشتيتلان، عشرين الف ضحية بشرية.

وعندما استولى الاسبان على المدينة، عثر رجال القائد هرنان كورتيز على ١٣٦ ألف جمجمة بشرية ملقاة عند المخالع. ونظرا الى عدد الاهرام وضرورة اطعام الآلهة كل يوم، لا بد أن عمليات الذبح كانت تتم على نطاق واسع. وكانت المدن في مواسم الجفاف تنظم معارك وهمية للحصول على ضحايا (من الاسرى) تقدم ذبائح للآلهة. شبيهة بتلك التي أودت بحضارة الأولمك قبل ذلك بقرون. ويتضح من الهياكل العظمية التي اكتشفت في تايكل أن الشعب كان يعاني سوء تغذية حادا. كما تصوّر الرسوم الملونة على الآنية افراد الطبقات الحاكمة وقد أسكرهم الشراب وخبلتهم المخدرات.

ويقدر الباحثون أن عدد سكان منطقة المايا انخفض من أكثر من ثلاثة ملايين الى ٤٥٠ ألفا خلال فترة لم تتجاوز القرن. وفي النهاية هجرت تلك الاعداد الصغيرة مدنها تاركة اياها تحت رحمة الغابات.

وهكذا جاءت نهاية ذلك العالم الغريب المثير هزيلة حزينة. وأصبح الهنود في الجنوب من دون قادة، واستعرت في قلوبهم الكراهية لقادتهم الآزتك في الشمال، فسقطوا فريسة سهلة للغزاة الاسبان. ومع ذلك، فان اهرامهم تشهد على أن الحضارة التي أبدعوها، والتي دامت ألفي عام، كانت من أزهى ما عرفه العالم من حضارات.

■ رونالد شيلر



تنويع انكليزي

خلال الثلاثينات اكمل والدي كتابة "الازمة العالمية" وكتب "مارلبورو" وشرع في وضع مخطط لكتاب "تاريخ الشعوب الناطقة بالانكليزية". وكان اذا انتهى من تأليف كتاب يهدي نسخا يوقعها شخصيا الى أقرب اصدقائه فيسارعون الى ارسال شكرهم الى الكاتب الغزير الانتاج. ومع مضي السنين وتزايد عدد مؤلفاته غدا تنويع عبارات الشكر المرسلة من جانب عدد من الاصدقاء يشكل بعض الصعوبة. لذا فحين انتهى أبي من مجلدات "مارلبورو" تسلم بطاقة من أحد اصدقائه تقول "عزيزي ونستون، اشكرك على كتابك. لقد وضعته على الرف الى جانب مؤلفاتك الاخرى".

سارة تشرشل (كتاب "خيط في سجادة")



ان ما يسحق القلب حزنا في حالات الاطفال المرضى الميئوس من شفائهم ليس ما يعانونه من آلام وعذاب، بل ما يتميزون به من معنويات قوية

اللحن الخالد

في الجناح الذي يعالج فيه ابني ادريان في مستشفى الاطفال في لندن سبعة اطفال آخرين، تراوح اعمارهم بين سنوات ادريان الاربع، وفريدي الذي بلغ الأثني عشر، عاما مرورا بكارولين واليزابيث وجوزف وهيرمي وميريام وسالي.

وكان المرضى الصغار جميعا - ما عدا واحدة - ضحايا لشتى انواع سرطان الدم، ومقضيا عليهم بقصر الحياة. اما المستثناة من بينهم فكانت اليزابيث الجميلة، الخضراء العينين والذهبية الشعر. وكانت لا تتجاوز العاشرة من عمرها، وتخضع مع الاطفال الآخرين لنظام علاجي معقد سينتهي بها الى الشفاء والعودة الى بيتها لتعيش حياة سليمة. ومع انها - على نقيضهم -

قد كتبت لها الحياة، فانهم كانوا يتعاطفون معها تعاطفا خالصا عميقا، كما تبين لي من زياراتي اليومية لأبني ومن احاديثي التي لم تقتصر عليه، لأن المحنة قد جمعت بين هؤلاء الاطفال وجعلتهم يتقاسمون كل من لديهم، بما في ذلك الآباء والأمهات.

اما سبب التعاطف، فهو العملية الجراحية المعقدة التي اجريت لاليزابيث خلف الأذنين والتي ترتب عليها فقدها السمع في ما بعد، وهي تخطو في سبيله خطوات حقيقة بلغت مدى بعيدا، ولن تنقضي بضعة اشهر الا وتفقد السمع تماما وعلى نحو لا مرد له.

وكانت الزيابيث من هواة الموسيقى المتحمسين، ولها صوت صاف بديع وموهبة ملحوظة في العزف على البيانو، فضاعف كل ذلك من مأساة صممها الحتمي. ولكنها صمدت ولم تبد منها اي شكوى على الاطلاق بيد انها، من وقت الى اخر، عندما تتأكد من ان احدا لا يلاحظها كانت تذرف الدموع خلسة فتملأ هذه عينيها الجميلتين وتنساب على خديها.

كانت اليزابيث تهوى الموسيقى اكثر من اي شيء اخر، وتحب الاصغاء اليها بمقدار ما تستمتع بعزفها. وفي احيان كثيرة، بعد ان انتهي من تحضير ابني للنوم، كانت تومىء الي بان اوافيها في غرفة اللعب التي يسودها الهدوء بعد ضجيج النهار، فتجلس في مقعد جلدي كبير وتفسح لي مكانا الى جوارها، ثم تأخذ يدي بين يديها وتقول: "غن لي".

المشروع الجنوني - وكان الاطفال الآخرون، كما ذكرت، متأثرين تأثرا عميقا بمحنة الفتاة الصغيرة، فقرروا القيام بشيء يبعث البشر في نفسها، وقد تحقق لهم ذلك بفضل ارشاد فريدي، ثم انطلقوا لاحاطة الممرضة الأولى هيلدا كيربي، بالأمر.

كانت "كيربي"، كما يسميها الآباء والامهات والاطفال على السواء، شابة نحيلة،طويلة القامة، رهيبة الطلعة، توقع الرعب في من يراها للوهلة الأولى. ولكن الاطفال لم يحفلوا بمظهرها الفظ، ما داموا يدركون انها صديقتهم.

وفوجئت كيربي، في البداية، بما ابلغوها اياه، وصاحت: "اتريدون اقامة حفلة موسيقية لمناسبة عيد ميلاد اليزابيث الحادي عشر؟ وتقولون ان ذلك يقع بعد ثلاثة اسابيع؟ انكم مجانين!" وما ان لاحظت علامات الخزي والاكتئاب على وجوههم حتى استدركت: "انكم جميعا مجانين ولكنني ساساعدكم".

ولم يطل الامر بكيربي كي تفي بوعدها، بل اسرعت الى الهاتف في قاعة جلوس الممرضات واتصلت برقم معهد للموسيقى يقع على مسافة قريبة من المستشفى شمال لندن، وقالت لعاملة التلفون التي ردت عليها: "ارجوك ان تبلغي رسالة للاخت ماري جوزف، وتعلميها بان هيلدا كيربي ستزورها في هذا المساء لامر مهم".

وبمجرد انتهاء نوبتها في العمل، استقلت كيربي سيارة اجرة الى معهد الموسيقى كي ترى صديقتها الأخت ماري جوزف، مدرسة الغناء الفردي والجماعي. وبعد تحية قصيرة، دخلت الراهبة في الموضوع مباشرة وسألت: "والآن يا كيربي، ما هو المشروع

الجنوني الذي تريدين توريطي فيه؟".

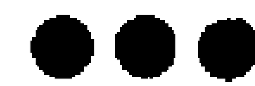
أجابت كيربي: "اسمعي يا ماري جوزف، هل يمكن مجموعة صغيرة من الأطفال الذين لم يتلق احد منهم اي تدريب موسيقي التحول خلال ثلاثة اسابيع الى جوقة غنائية مقبولة الأداء لاحياء حفلة موسيقية؟".

فأجابت الاخت ماري جوزف: "انه امر ممكن وان يكن بعيد الاحتمال ... ولكنه ممكن".

فردت الممرضة: "بارك الله فيك يا ماري جوزف. كنت اعرف انك ستقبلين".

وسارعت الراهبة المأخوذة تقول: "لحظة واحدة يا كيربي! اطلعيني على التفاصيل، فربما كنت لا استحق بركاتك هذه!".

وبعد عشرين دقيقة، افترقت الاثنتان على درج معهد الموسيقى بينما كانت كيربي تردد: "بارك الله فيك يا ماري جوزف. سنراك يوم الأربعاء في الثالثة".



وقفت كيربي بين الاطفال بينما كانت اليزابيث الصغيرة غائبة تتلقى علاجها اليومي. وسأل فريدي: "ما اسمها؟ تقولين انها تدعى ماري جوزف. ماذا؟ هل هي رجل ام امرأة؟".

وردت كيربي: "انها راهبة يا فريدي. وهي مدرسة في معهد من أرقى معاهد الموسيقى في لندن. ولو شئت ان تتلقى منها دروسا لكلفك ذلك جنيهين ونصف جنيه في الساعة الواحدة. ولكنها ستدربكم مجانا".

فتدخل هيرمي قائلا: "يا ألطاف الله!" كان هيرمي يعرف قيمة المال، لأن امه تملك حانوتا في سوق الأحد الشعبية في بيتكوت لين في لندن. فاستبعد اعتراضات فريدي واضاف: "اننا نقبل العرض".

وتقرر الامر. وراحت الأخت ماري جوزف تدرب الاطفال يوميا اثناء غياب اليزابيث في فترة علاجها. ولم يبق هناك سوى مشكلة رئيسية واحدة: طريقة اشراك الطفل جوزف الذي عمره تسعة اعوام، في الجوقة، والذي لا يجوز تجاهله، ولكن جوزف اصبح عاجزا عن استخدام اوتاره الصوتية، على اثر جراحة اجريت له.

ولاحظته الراهبة وهو يرقب بنظرات كسيرة توزيع ادوار الغناء على رفاقه، فقالت له: "اسمع يا جوزف، انني اعتقد ان الله يريد لك ان تعاونني معاونة خاصة جدا في الحفلة، فأنت تحمل الاسم نفسه الذي احمله، وهو يريدك ان تعمل معي على نحو وثيق، فعليك ان تجلس بجانبي وتقلب صفحات النوتة الموسيقية اثناء عزفي على البيانو".

ولمعت عينا جوزف للحظة قصيرة، ثم اوشك ان يغص في دموعه، واسرع يكتب بعصبية على احدى الاوراق من كراسته: "ولكني ايتها الأخت لا استطيع قراءة النوتة الموسيقية".

فابتسمت الأخت ماري جوزف في وجه الطفل القلق ابتسامة لطيفة، وقالت تطمئنه: "لا تبال يا جوزف. سوف تستطيع، وسأعلمك ذلك بمعونة الرب".

الجوقة - المعجزة ــ وحدث الشيء الذي يتجاوز التصديق. ففي خلال الاسابيع الثلاثة، تمكنت الأخت ماري جوزف والممرضة كيربي، بمعونة الرب، من تحويل ستة اطفال

محتضرين، لا يتمتع اي منهم باي موهبة موسيقية يعتد بها، الى جوقة غنائية مقبولة الأداء، ومن تحويل صبي صغير عاجز عن الغناء والكلام الى شخص يقلب صفحات النوتة الموسيقية ويؤدي مهمته بدقة لا تخطىء.

وكان الأدعى الى الدهشة ان السر ظل في حرز حريز. وقد تملكت الدهشة اليزابيث حين وجدت نفسها في كنيسة المستشفى عصر يوم عيد ميلادها، جالسة على "عرش" (كرسي المقعدين).

وكان المستمعون عشرة من الآباء والأمهات وثلاث ممرضات، وقد جلسوا على مسافة متر واحد تقريبا من المنصة. وعلى رغم اننا عانينا بعض الصعوبة في رؤية وجوه المنشدين بوضوح، الا اننا لم نجد اي مشقة في سماعهم وهم ينشدون مجموعة متباينة من الأغاني، منها الديني مثل "يسوع يحبني" ومنها المرح مثل "الفتى داني"، وكلها مما تحبه اليزابيث وتفضله. وكانت الأخت ماري جوزف قد نبهت المنشدين، قبل بدء البرنامج مباشرة: "تذكروا ان تنشدوا عاليا، فأنتم تعرفون انها ضعيفة السمع، فارفعوا اصواتكم بمقدار ما تستطيعون".

وحققت الحفلة الموسيقية نجاحا كبيرا، وقالت اليزابيث ان ذلك كان أفضل أعياد ميلادها على الاطلاق،

لا شك في ان المرء القريب الصلة بالاطفال المحتضرين او المصابين بأمراض لا يؤمل شفاؤها، يدرك ان ما يسحق القلب في اوضاعهم ليس اليأس الذي يحيط بهم او الآلام الجسدية التي يعانون بل هو ما يبدونه من صمود وشجاعة في وجه قدر غالب، فذلك حقا هو ما يطير النفس شعاعا.

ويؤسفني الا يكون لدي برنامج مطبوع اعرضه عن اروع حفلة موسيقية شهدتها وظلت حية في ذاكرتي، كما يؤسفني الا توجد لدي اي قصاصات من الصحف التي تحدثت عن الحفلة باعجاب. وعلى رغم ذلك فانني لم اسمع في حياتي كلها - ولا أتوقع ان اسمع - موسيقى اروع من تلك التي سمعتها فيه، وما زالت اذناي ترددان اصداء كل نغمة من نغماتها كلما اغلقت عيني.

لقد صمتت تلك الاصوات الستة الصغيرة منذ سنوات عدة، واغرق في النوم الأبدي كل اعضاء الجوقة السبعة - المنشدون الستة ومقلب الصفحات الموسيقية الصامت - ولكنني واثق من ان اليزابيث، التي تزوجت واصبحت الآن اما لطفلة جميلة خضراء العينين ذهبية الشعر، لا تزال تصغي في ذاكرتها الى تلك الأصوات الصغيرةالستة التي كانت من آخر ما وعته أذناها.

■ آرثور ميلوورد

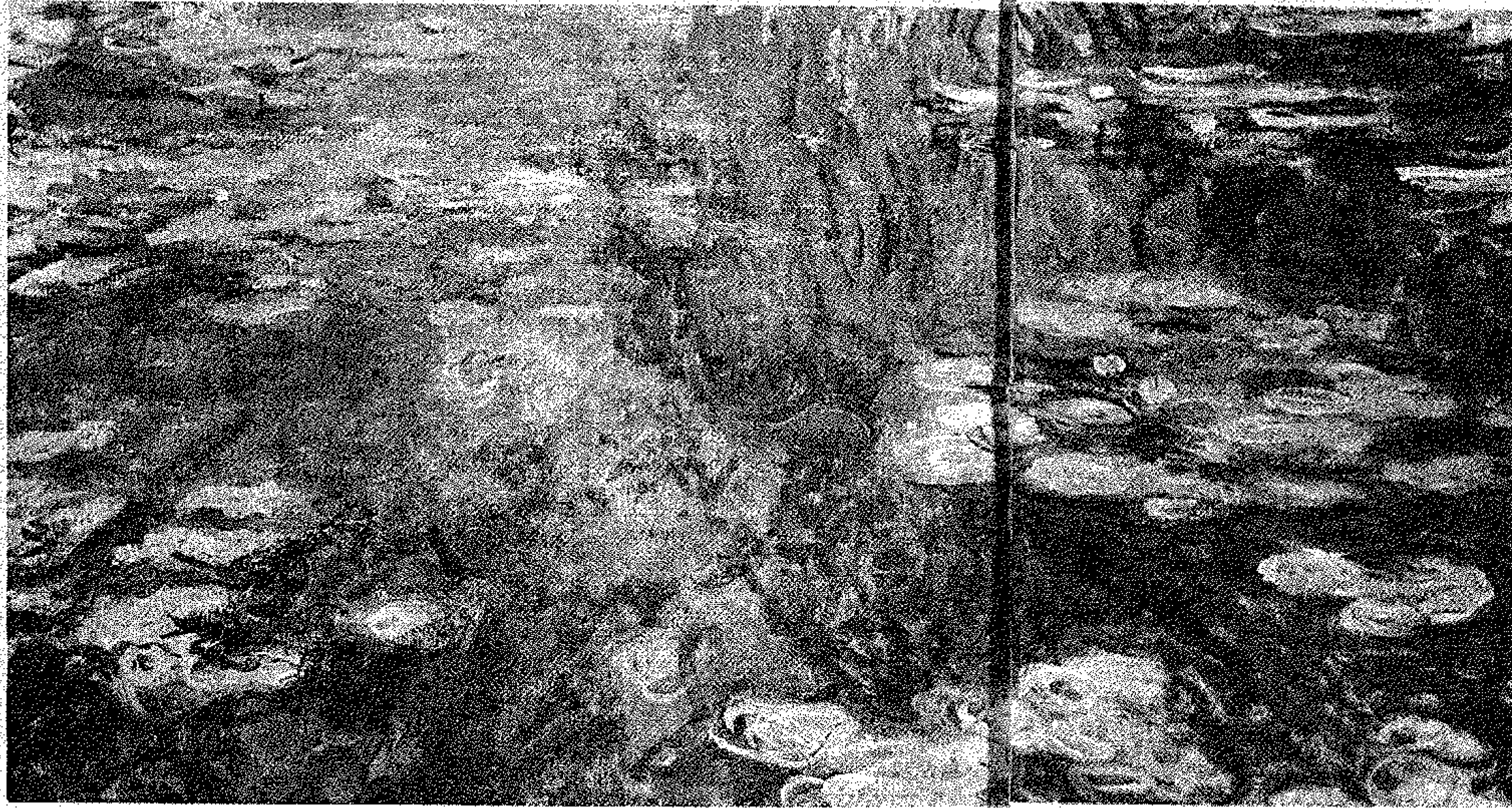


معجزة!

سألت امرأة متدينة بيكاسو ان كان يؤمن بالمعجزات فأجاب: "نعم، منذ ان علمت ان اوتريلو لم يرسم طوال حياته غير الفي لوحة في حين يؤكد ٤٠٠٠ شخص انهم يملكون لوحات أصيلة له".

مونيه الفنان المضيء

منذ قرابة قرن نزل "ضيا الشمس وجمال الأثير" نزو السحر في لب الشاب الباريس كلود مونيه، فراح يرسم كما ل يفعل أحد من قبل



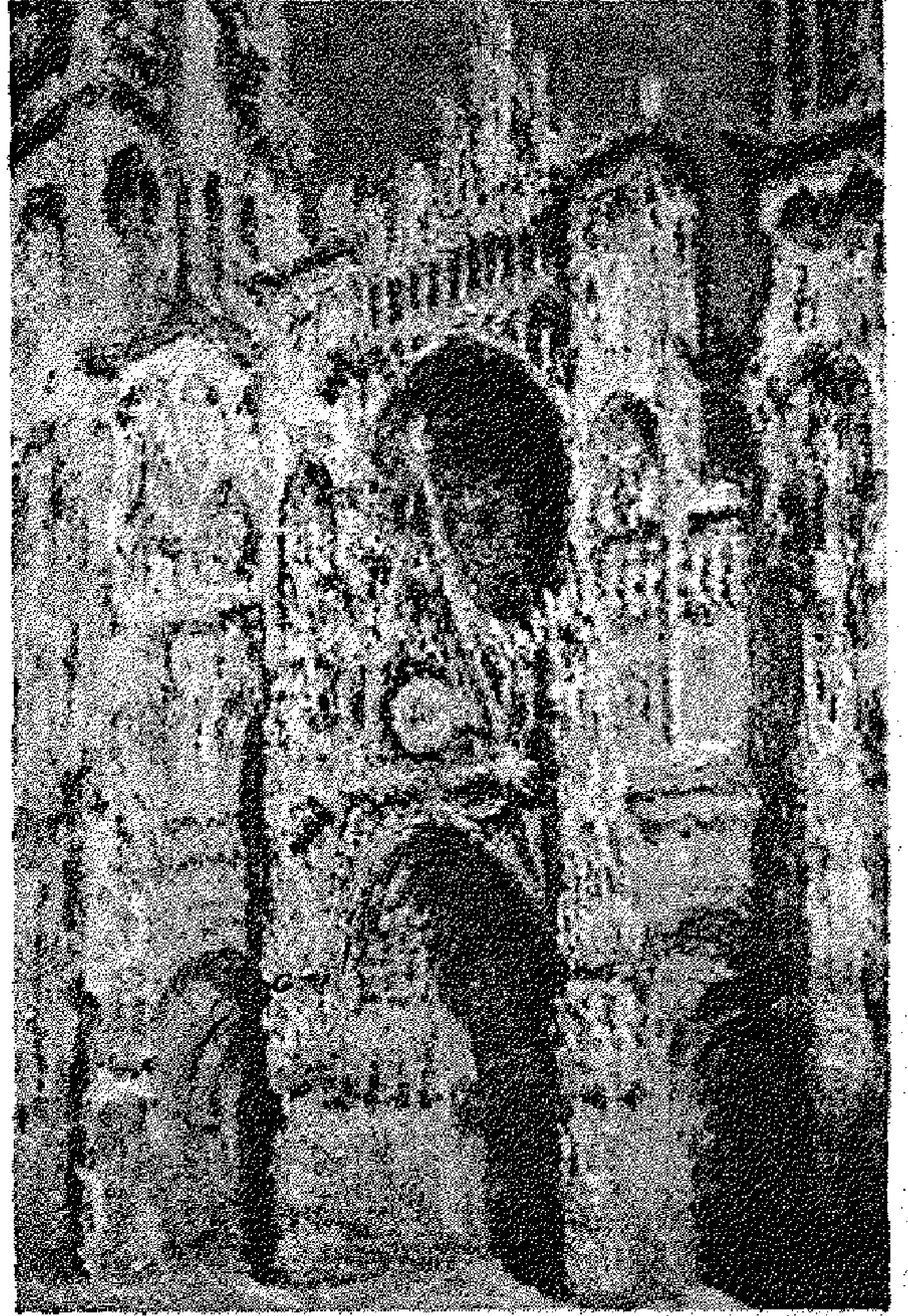
"زنابق مائية" (١٩١٩ ـ ١٩٢٦) من مجموعة مونيه الشهيرة بهذا الاسم.

على أثر الزيارة التي قام بها احد نقاد الفن في باريس خلال شهر ابريل (نيسان) ١٨٧٤، لمعرض اللوحات الزيتية والمائية والرسوم الذي نظمه عدد من الفنانين "المتمردين" الناشئين؛ ادلى هذا الناقد بتصريح ندد فيه بهذا "الفن الاحمق المجنون، وهذه المهزلة البشعة التي توقع الاشمئزاز في النفس وتبعث على الغثيان". ذلك ان هؤلاء الفنانين لم يكتفوا بالاعتماد على مجموعة من الالوان الجديدة والاساليب التقنية المتهورة بل تجاسروا كذلك على تصوير مشاهد من الحياة اليومية، كحقول الخشخاش والنساء الغاسلات وقوارب صيد الاسماك، بدلا من صور الشخصيات الجليلة وتناول الموضوعات التاريخية العظيمة التي كانت شائعة في ذلك الحين. وسرعان ما اصبح معرضهم غير المألوف حديث

الناس في باريس فتقاطر الجميع اليه ليسخروا منه، بل ان بعضهم لم يتردد في البصق على اللوحات.

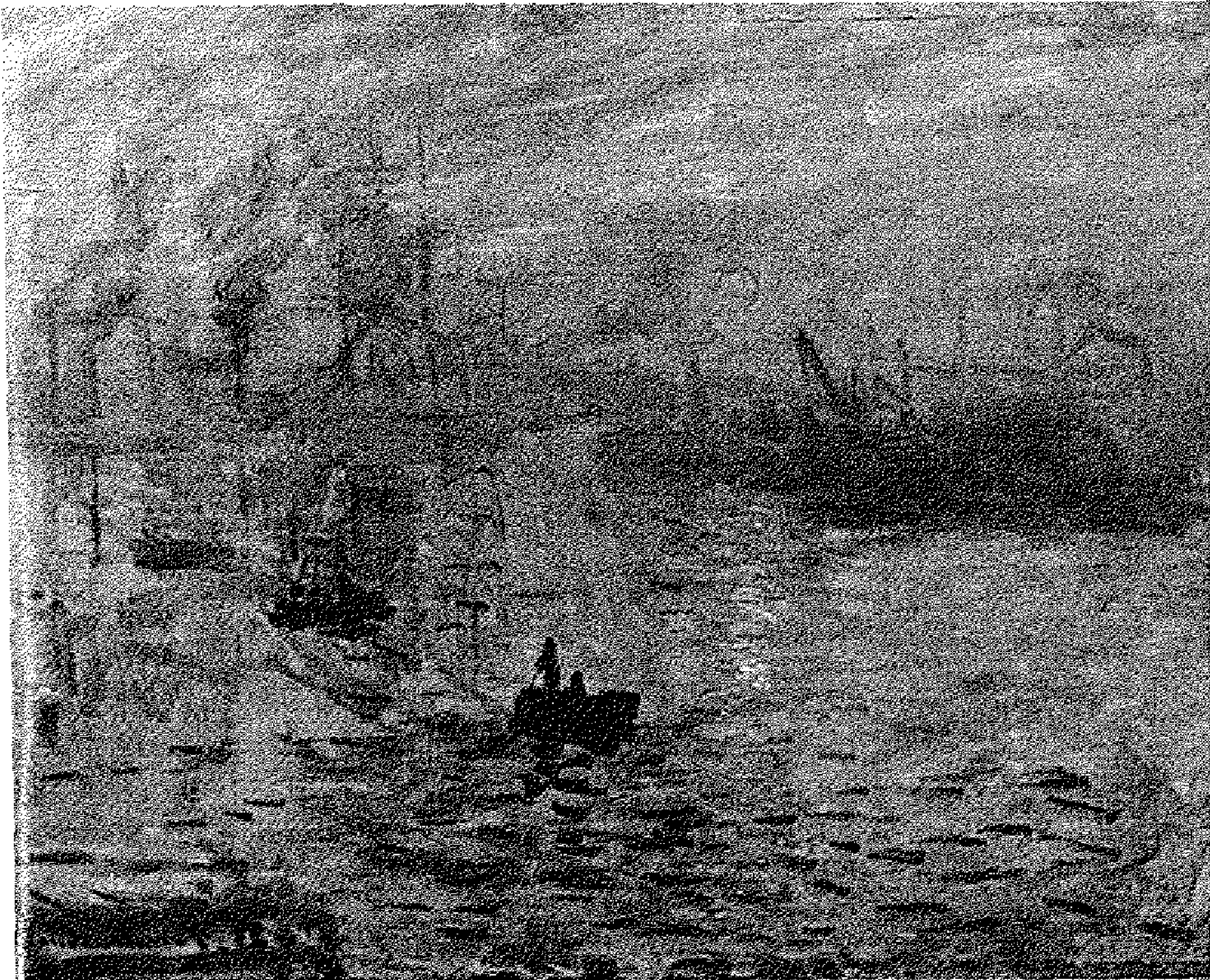
وقد انصب معظم السخرية على لوحة زيتية بريشة كلود مونيه، تمثل ميناء الهافر لدى بزوغ النهار وسماها: "انطباع: شروق الشمس". وركز أحد النقاد الساخرين على هذه التسمية واتخذ منها تعبيرا ملائما للاساءة، فنعت مجموعة هؤلاء الفنانين بـ"الانطباعيين". ولم يتسنَّ لهؤلاء ان يبيعوا لوحة واحدة، وانما كان لاسمهم الجديد دويّ سريع في انحاء العالم. واصبحت اليوم، اعمال الانطباعيين محط بهجة الملايين، وأكثر ما يستهوي المشترين. ويعتقد الخبراء ان لوحة "شروق الشمس" بريشة كلود مونيه تساوي وحدها الان قرابة مليوني دولار.

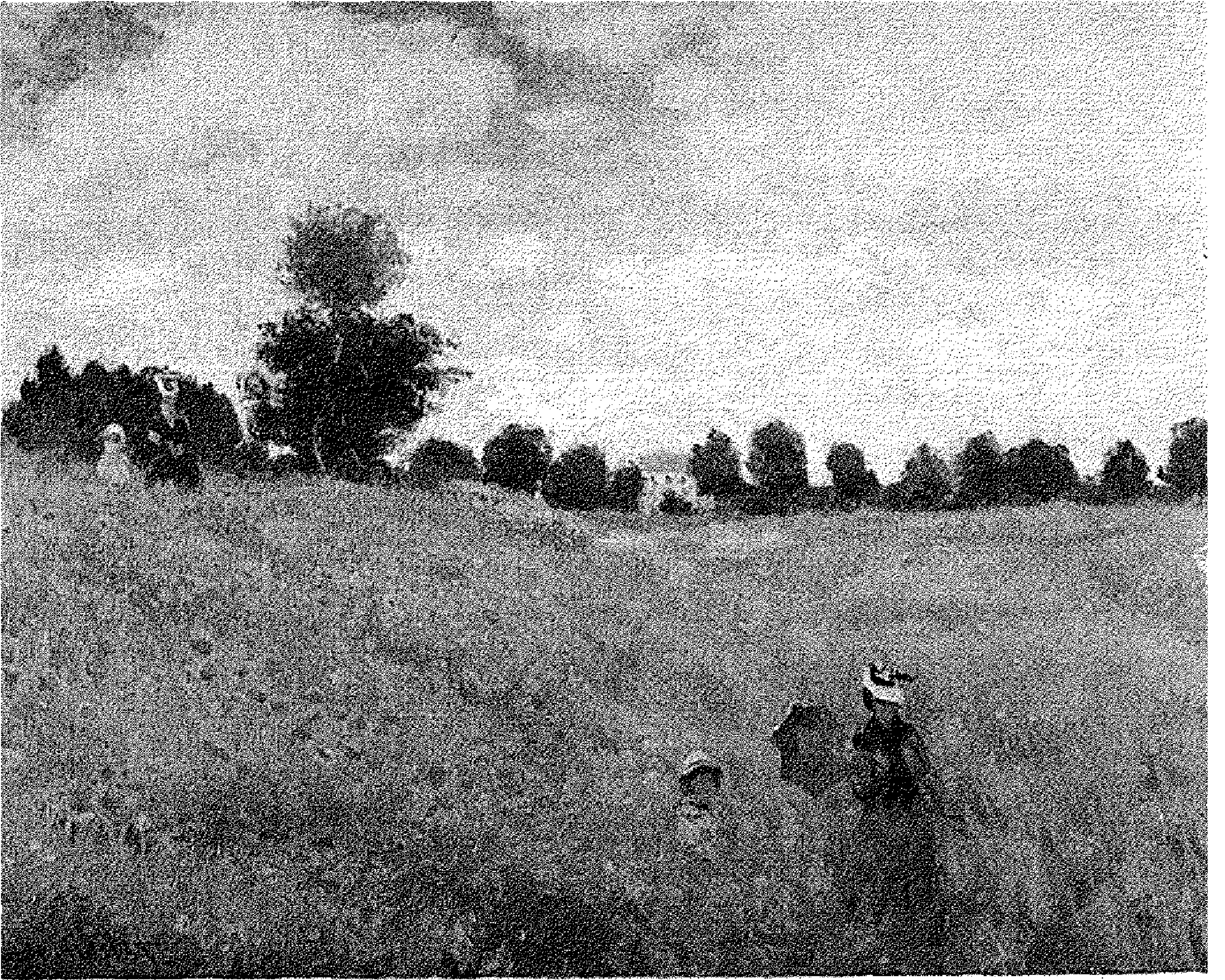
وكلود مونيه هو الذي اقنع


"كاتدرائية روان" (١٨٩٤).

اصدقاءه - ومنهم رينوار وسيزان ودوغا وسيسلي وبيسارو - بأن يتخذوا الكنية التي اطلقها عليهم الناقد شعارا لهم على سبيل التحدي، فأصبح مونيه الزعيم المعترف به للمجموعة، وبدأ يتقد ثقة ببنيته المتينة وشعره البني الغزير وعينيه الحادتين السوداوين ووجهه الوسيم الملتحي. وأصرّ مونيه على ان يستمر هو ورفاقه في اتباع الاسلوب نفسه في الرسم حتى يتعلم الجمهور كيف يقدر عملهم. وقال رينوار في ما بعد: "لولا صديقي العزيز مونيه ليئسنا جميعا".

اللحظة العابرة - وحاول مونيه أكثر من أي رسام آخر التقاط اللحظة العابرة وتدوينها بدلا من التركيز على الشكل المجسم للاشياء ذاتها. وكان يقول ان "الضوء هو الشخصية الرئيسية في الرسم"، فانصبت


"انطباع: شروق الشمس" (١٨٧٢).



"حقول الخشخاش" (١٨٧٣).

جهوده باستمرار على رسم "جمال الأثير"، من دون ان يبالي، كما قال، "باستحالة" هذا الامر. وكان من محاولته الدائبة طوال حياته في هذا السبيل، انها افضت الى تلك الروائع البهيجة التي انتجتها ريشته وهي تلتقط اللحظات الخاطفة على الفور. فكأننا، معها، نتلمس باناملنا وعيوننا عبور السحابة الرقيقة التي تسوقها النسمات وراء "الفتاة حاملة المظلة"، او نستنشم الهواء المالح من خلال لوحاته عن مشاهد البحر التي يبللها الرذاذ.

ولقد كان الرسم في الهواء الطلق حينذاك تجربة جديدة بالنسبة الى الفنانين، على أثر اختراع الالوان الزيتية الجاهزة للاستعمال في انابيب في منتصف القرن التاسع عشر. وكان مونيه في الثامنة عشرة من العمر، وقد خامره بعض الشك عندما دعاه رسام المشاهد الطبيعية المعروف اوجين بودان الى اجراء تجربة اولى في هذا المجال، فسرعان ما اقتنع بها ولما طلب منه، في ما بعد، أحد الرسامين الناشئين أن يأخذ على يده بعض الدروس، اجابه مونيه مشيرا الى السماء والاشجار والمياه وقال:

"هاك معلّموك، سلهم وانصت الى ما يقولون لك".

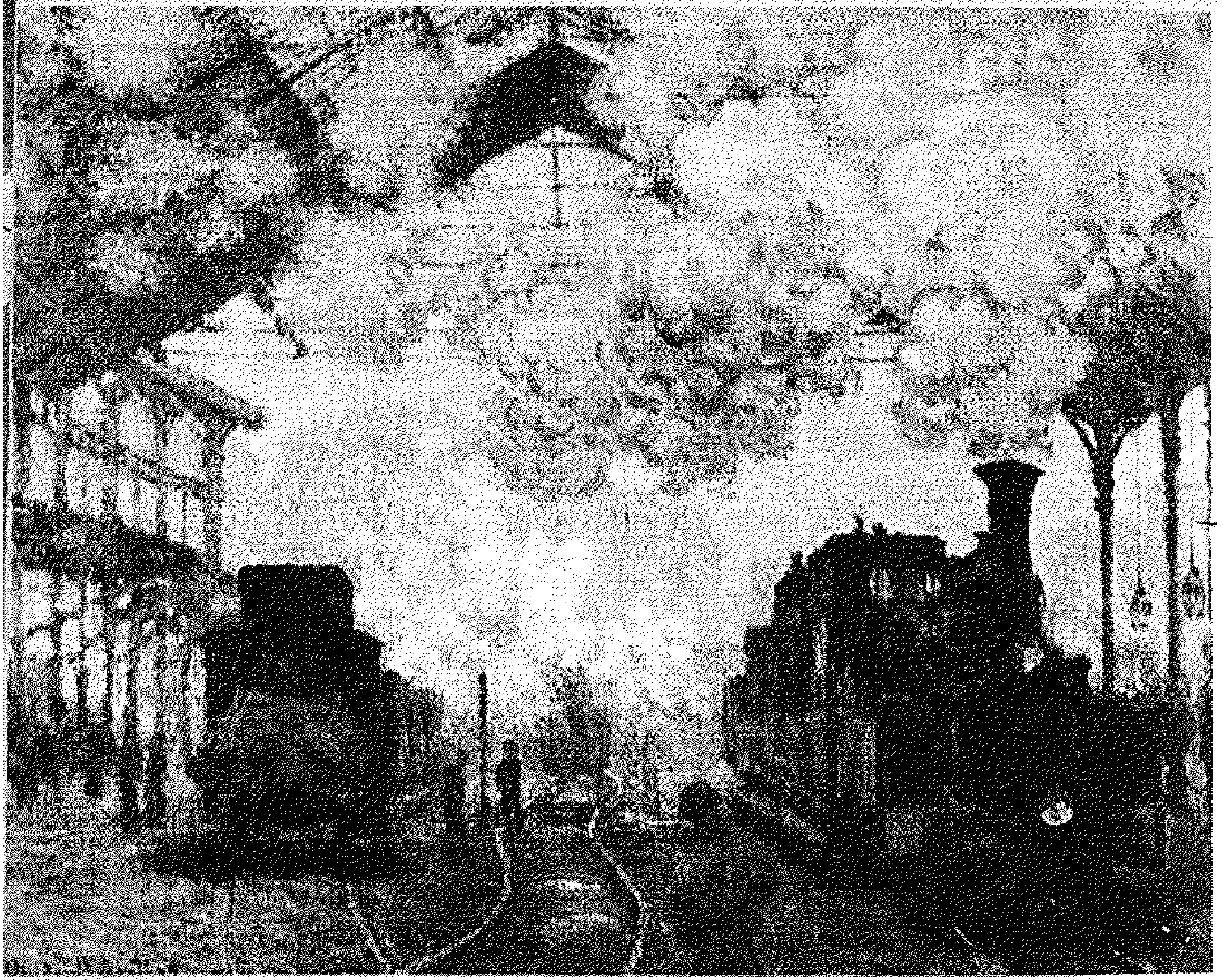
وغادر مونيه منطقة النورماندي - حيث امضى طفولته والمرحلة الاولى من شبابه - متوجها الى باريس لدراسة الفن، ولكنه انفصل عن معلمه الاكاديمي وراح يرسم في الهواء الطلق في شايي، على مقربة من غابة فونتينبلو، مع صديقه رينوار. الا انه لم يكن قد حقق بعد اتقان اسلوبه الثوري. وقبل منه صالون باريس الرسمي لوحات عدة، كما نال، وهو في السادسة والعشرين من عمره، ثناء أحد النقاد الباعث على التشجيع من أجل لوحته "السيدة صاحبة الثوب الاخضر"، وهي صورة صافية الملامح نابضة بالحياة لخليلته كميل دونسيو.

وكانت كميل رقيقة، ناعمة، ذات شعر داكن، واعتبرت مصدر الهام لمونيه طوال سنوات، غير ان والديه كانا ساخطين على هذه العلاقة. وعندما علما بمولد أول ابناء مونيه، جان، عام ١٨٦٧ قطعا عنه كل عون مالي فكانت النتيجة ان طردت الاسرة المعدمة من مسكنها مرة تلو أخرى. وقد كتب مونيه في هذا الصدد عام ١٨٦٩: "ثمانية ايام بلا خبز او فحم او نور". اما صديقه رينوار، الفقير الحال هو ايضا، فكان يهرّب الخبز من مائدة والدته ليقي اسرة مونيه الجوع.

صيف الابداع - ومع هذا، فقد تميز ذلك الصيف بانجازات ابداعية بالنسبة الى كل من مونيه ورينوار، اذ هما شرعا في محاولة لنقل وهج الشمس على المياه ورعشة اوراق الشجر، وراحا يرسمان بطريقة جديدة تستبعد المدارج اللونية الداكنة وتستخدم الشرطات والفواصل الدقيقة من اللون الصافي، فتتجاور وتتمازج حتى تبدو وكأنها تنصهر بعضها في البعض لدى النظر اليها من بعيد. وبهذه الطريقة تمت ولادة الرسم الانطباعي وان لم يكن قد اكتسب تلك التسمية بعد.

وتزوج مونيه بكيمل في العام التالي، وبعد انتهاء الحرب الفرنسية - البروسية في أواخر عام ١٨٧١، استقرا على ضفاف نهر السين في ارجنتوي. واخذ مونيه يرسم في الهواء الطلق يوماً بعد يوم طوال الاعوام الستة التالية، من دون ان تثنيه قسوة الجو، مهما بلغت، عن غيه. وعندما يتجمد نهر السين كان مونيه يغرس مسند قماشات الرسم وكرسيه في الجليد ويستحضر زجاجة من الماء الساخن ليدفىء اصابعه ويحررها من الخَدَر. وبينما كان يرسم ذات يوم على الشاطىء في "بيل - ايل-اون - مير"، واذا بريح اطلسية عاصفة، تندفع به وبمسند لوحاته وتلطمه بالصخور. ولا يزال من الممكن حتى الان رؤية آثار الرمال التي تذروها الرياح عالقة في بعض مشاهده البحرية.

ولقد اتخذ مونيه من قوة الثبات والاحتمال هذه عماداً له في العمل وسط عواصف حياته الخاصة وزوابعها، عندما اصيبت كميل بمرض عضال بعد ولادة ابنهما الثاني، ميشل، خلال عام ١٨٧٨. وعلى رغم ان مونيه اضطر الى القيام بمهمات التمريض والطهو، والعناية بالطفل، فهو كان يجد وقتا للتجول في الطرق محاولا بيع لوحاته الرائعة، في مقابل ثمن زهيد. وقد تمكن، حتى في تلك



"محطة سان لازار" (١٨٧٧).

الظروف العصيبة، من انتاج لوحات تزهو بالالوان مثل "شارع مونتور غويل العارم بالاعلام"، وكاننا به يكاد يلوح بقبضته للقدر. وعندما توفيت كميل في العام التالي، وقد انهكتها المحنة الطويلة وهي لم تبلغ بعد السن الثلاثين، جلس مونيه في جوار سريرها يتملكه الأسى وترقب عينه الفنانة، من غير دراية منه، تبدل الملمح واللون على صفحات وجهها المضنى بفعل الموت.

وبحلول عام ١٨٨٣، اخذ الجمهور يتقبل فن الانطباعيين وعرض تاجر الاعمال الفنية بول دوران - رويل لوحات مونيه في باريس ولندن وبوسطن. وفي امريكا قبل أي مكان آخر، حيث كان مناخ الرأي العام مؤاتيا لتأييد الفن الجديد، اخذت بوادر النجاح الاكيد تطل على مونيه، فأقيم معرض نيويورك عام ١٨٧٦ وضم ٤٥ لوحة رائعة لمونيه. وكان هذا المعرض نقطة تحول بالنسبة الى هذا الفنان حيث بدأ هواة المجموعات يتهافتون على لوحاته. وحتى فرنسا اعترفت به كرجل عظيم واقترحت منحه وسام جوقة الشرف، الذي رفضه.

وللمرة الاولى، في الثمانينات، استطاع مونيه التمتع بحياة سعيدة. فما أن وجد نفسه وحيدا امام مسؤولية ولدين صغيرين، حتى أقام في منزل واحد مع الارملة اليس هوشديه وايتامها الستة. واهتدى الزوجان واولادهما الثمانية الى بيت ريفي متداع يبعد عن باريس حوالي ٧٥ كيلومترا، وحوله جدول يتعرج بين المروج، فأصبح المكان في نظر مونيه جنة على الارض، مما حمله على الاستقرار في جيفرني التي احبها ورسمها طوال ٤٣ عاما حتى وفاته.

وذات يوم، بينما كان مع ربيبته بلانش هوشديه في الحقول على مبعدة من البيت الريفي، راح مونيه يرسم ركاما من الحشيش المجفّف عند الاصيل. ولم يلبث ان تغير الضوء بعد خمس عشرة دقيقة حتى تعذر عليه الاستمرار في الرسم، فطلب من بلانش ان تأتيه بقماش لوحة جديدة، ثم بأخرى، ثم بغيرها الى أن تمت ولادة تلك "المجموعة" الشهيرة، بعد ان وضع مونيه الخطوط الاولية لركام الحشيش المجفّف في بقية ساعات النهار ومن ثم الفصول. وهو قضى عامين كاملين في درس ورسم واجهة الكاتدرائية الكبرى في مدينة روان.

هاوي المياه ـ غير ان المياه قد استهوت مونيه أكثر من اي موضوع آخر. فما ان استقر في جيفرني حتى بادر الى تحويل مجرى الجدول وصنع منه بركة زنرها بزنابق الماء، وظل يرسم البركة وزنابقها مرارا تلو مرار، طوال ثلاثين عاما، وكانت اللوحات تتزايد حجما وتزداد تجريدا بالتدريج.

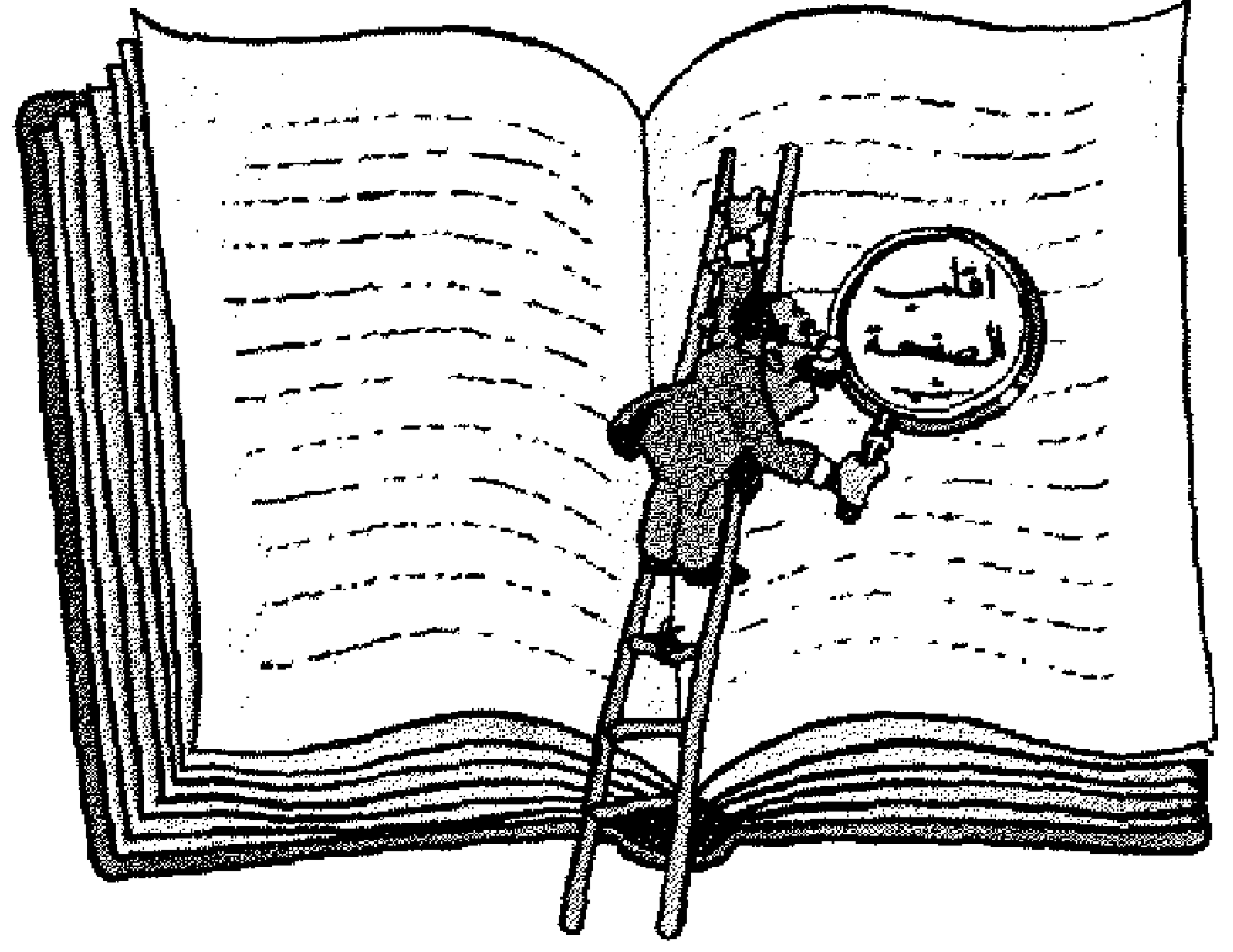
وكان اعظم اصدقاء مونيه في سنواته المتقدمة، جورج كليمنصو رئيس وزراء فرنسا ابان الحرب العالمية الاولى. وقال له مونيه ذات يوم انه يحلم بصالة عرض مزدانة كلها بلوحات ضخمة تمثل زنابق الماء تتقوس دائريا حول الجدران، وكانت غايته انشاء ركن هادئ للتأمل في ضوضاء عالم مزقته الحرب. وشجعه كليمنصو.

غير ان عيني مونيه كانتا تزدادان ضعفا. وفي بعض الاحيان كان يشرط، وهو في ذروة غضبه، لوحاته التي يشعر ان فيها عجزا عن ترجمة رؤاه. واعلن مونيه مرة او مرتين عزمه على الكف عن الرسم، فكان رئيس الوزراء، على رغم تراكم اعماله، يهرع الى جيفرني ليحث الكهل على الاستمرار، قائلا له: "ارسم، ارسم، فهذه روائع!" وكان كليمنصو على حق. فالجميع يعتبرون اليوم ان "الزنابق المائية" التي قدمها الفنان الى الامة الفرنسية احتفالا بهدنة ١٩١٨، هي اعظم انجازات مونيه.

وتحسّن نظره على أثر عملية اعتام عدسة العين، واستمر مونيه في الرسم حتى وفاته تقريبا عام ١٩٢٦. وظل يثور احيانا ويشرط قماش اللوحات. وكان يعبر بالكتابة عن نجاح رسم ما، بغبطة "لا توازيها غبطة في ذلك اليوم". وكان يعرف انه كاد ان يحقق بذلك حلم صباه "المستحيل"، في رسم "جمال الأثير".

فلقد جاء مونيه الى العالم بطريقة جديدة للعين المبصرة، شهد له بها صديقه سيزان عندما قال: "ليس مونيه سوى عين مبصرة، ولكن اي عين، يا الهي!".

■ جانيت غراهام



دائرة المعارف

كلمات الدائرة في هذا العدد اصطلاحات علمية متداولة في الكتب والمجلات والمطبوعات العربية.

وقد وضعت أمام كل كلمة أربعة معان، واحد منها فقط صحيح. والمطلوب من القارىء، اختبارا لمعرفته اللغوية - العلمية، أن يختار المعنى الذي يعتبره صحيحا، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

٠١ مَجَرَّة: مجموعة نجوم - سفينة فضاء - مصب نهر - غيْمَة.

٠٢ دينامو: مُحَرِّك - مصباح قوي - مُوَلِّد - مُقَوٍّ.

٠٣ هوائيّ: عاصفة - هاتف - بُركان - لاقط لاسلكي.

٠٤ دينوصور: سمكة ضخمة - من الزحافات - كوكَب - فيل.

٠٥ بارومتر: مقياس ضغط - ميزان حرارة - مئة متر - مغناطيس.

٠٦ أوزون: أوكسيجين - عشب - قرد - جهاز لغلي الماء.

٠٧ مرصَد: سفينة فضاء - مجهر - مدرج المطار - نقطة مراقبة.

٠٨ طُحلُب: شجر كثيف - غشاوة العين - نبات بلا جذور - من التوابل.

٠٩ رقّاص: وتر صوتي - بندول - من أنواع النحل - عظمة في الاذن.

١٠ أزوت: سُمّ - كاز - مازوت - نيتروجين.

١١ خُسوف: هلال - احتجاب الشمس - احتجاب القمر - زلزال.

١٢ نواة: خلية عصبية - سنام - دماغ - جزء من الخلية.

١٣ فُطر: جِلد - بطاطا - نبات محلّل - شجر صغير.

١٤ نيْزَك: نَجْمَة - بَرق - شِهاب - نور خاطف.

١٥ ليزر: شعاع قويّ - مصباح - رصاص - جرّار زراعي.

١٦ تابِع: حيوان اليف - نبات طُفَيلي - ذكَرُ النحل - قمر.

١٧ نُشادِر: تِبْن - نشاء - أمونيا - أجزاء من الجِلْد.

١٨ خلِيَّة: وحْدَة حيَّة - عظمَة فارغة - عيْن - ذاكرة.

١٩ تحاتّ: قضْم - زحْف - تأكُّل - جرَب.

٢٠ عنبَر: مقدّم الصاروخ - مادّة شمْعيَّة - نمر - مرساة.

٢١ مِخْلَب: إصبَع - ظفر - ناب - مقصّ.

٢٢ أحْفور: جُرثومة - فجْوة - حجَر مُتفتّت - بقايا مُستحْجرة.

٢٣ بروتيين: مادة غذائية - مخدّر - سمك - من محتويات التبغ.

٢٤ كُسوف: هِلال - احتجاب الشمس - احتجاب القمر - زَلزال.

٢٥ مِخْل: رافعة، طاحونة - عصير العنب - ضرس.

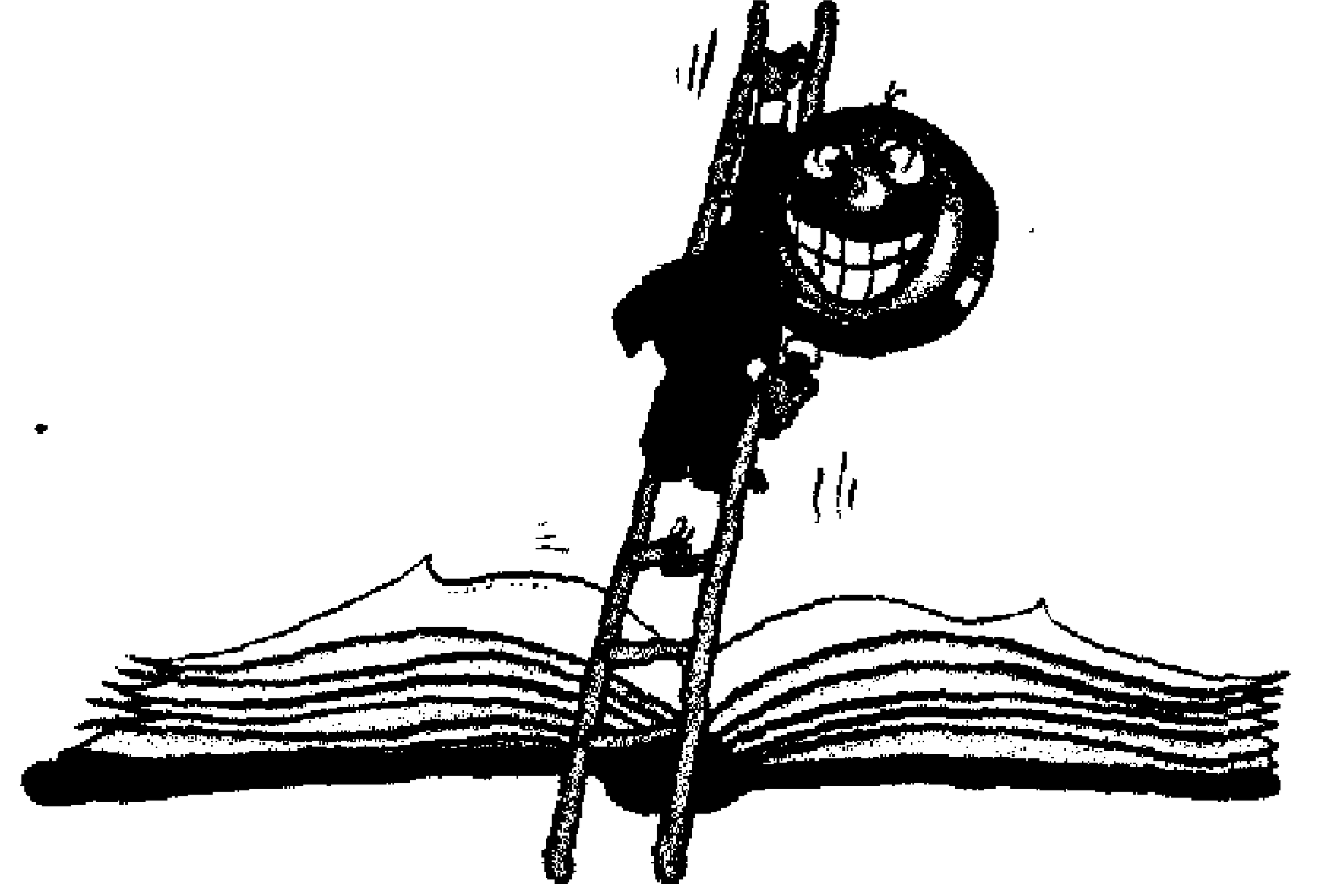
٢٦ بلُوتو: قمَر - بحْر - مادّة مُشعَّة - كوكب.

٢٧ الكترون: قوّة - سُرعة - ميكانيك - جُسَيْم ذرّي.

٢٨ كلوروفيل: شعاع - سمَكة - مادة خضراء - من الامراض.

٢٩ فقْرَة: فجْوة - خرزة - نقص في الدم - كويكِب.

٣٠ مِزوَلة: ساعة شمسية - أداة تشريح - رافعة - بوصلة.



الأجوبة الصحيحة

٠١ **مجرّة**: مجموعة نجوم. ومجرتنا تسمّى "درب التبانة" وتضم، الى جانب الشمس، نحو ١٣٠ مليار نجمة.
٠٢ **دينامو**: آلة لتوليد الكهرباء.
٠٣ **هوائي**: جهاز لاقط للموجات اللاسلكية.
٠٤ **ديْنوصور**: أحد الزحافات الضخمة المنقرضة التي بلغ طول بعضها ثلاثين مترا.
٠٥ **بارومتر**: آلة لقياس الضغط الجوي.
٠٦ **أوزون**: أحد أشكال الاوكسيجين، جزَيْئة ثلاثيّ الذرات. وهو يكوّن طبقة الجو التي تمتص الاشعة فوق البنفسجية.
٠٧ **مرصَد**: نقْطَة مراقبة.
٠٨ **طحْلب**: أشْنَة. نبات له ساق وورق وليس له جذور حقيقية، ينمو في الاماكن الرطبة. أيضا: طحْلَب وطحْلِب.
٠٩ **رقّاص**: بندول. جسم يهتز حول محور أفقي، وتضبط به حركات الساعة.
١٠ **أزوت**: نيتروجين. ويشكل نحو أربعة أخماس حجم الهواء.
١١ **خسوف**: احتجاب القمر حين تقع الارض بينه وبين الشمس.
١٢ **نواة**: الجزء المركزي من الخلية أو الذرّة.
١٣ **فطر**: نبات محلّل لا يحتوي على الكلوروفيل.
١٤ **نيزك**: شهاب
١٥ **ليْزر**: أشعّة هائلة تستخدم في الجراحة وفي الصناعة.
١٦ **تابع**: قمَر. جسم يدور في فلك كوكب.
١٧ **نشادر**: أمونيا، غاز ذو رائحة حادة يتكون من نيتروجين وهيدروجين، وتستعمل مشتقاته سمادا زراعيا.
١٨ **خليّة**: وحْدة حيّة.
١٩ **تحاتّ**: تأكّل، تفتّت.
٢٠ **عنْبَر**: مادّة شمعية تستعمل في صناعة العطور ويُظَن أنها تنشأ في أمعاء الحيتان.
٢١ **مخْلب**: ظفر، وخصوصا ظفر الاسد.
٢٢ **أحفور**: بقايا حيوان أو نبات من عصر جيولوجي سالف مستحجرة في الارض.
٢٣ **بروتيين**: مادة غذائية أساسية لبناء الاجسام، توجد في اللبن والبيض واللحم وسواها.
٢٤ **كسوف**: احتجاب الشمس حين يقع القمر بينها وبين الارض.
٢٥ **مخل**، رافعة، آلة معدنية ترفع بها الاثقال وتقلع الحجار.
٢٦ **بلوتو**: الكوكب السيّار الأبعد عن الشمس. أيضا: إله الموتى والجحيم عند الاغريق والرومان.
٢٧ **الكترون**: كهيْرب، جسيم ذري ذو شحنة كهربائية سالبة.
٢٨ **كلوروفيل**: يخضور، مادة خضراء تلوّن النبات.
٢٩ **فقْرَة**: خرزة من خرزات الظهر. أيضا: فقْرَة.
٣٠ **مزولَة**: ساعة شمسية.

المستوى

٢٥ - ٣٠: ممتاز
١٩ - ٢٤: جيّد
١٣ - ١٨: مقبول

الـزواج السعيـد والنعيـم الجنسي

هل للجنس اهميته في السعادة الزوجية؟

■ بلغت ميجان (★) الحادية والاربعين من عمرها، ولم يحدث لها أبداً ان بلغت النشوة الجنسية. وعندما عقد ميجان وجون قرانهما، كانت تستمتع بممارسة الجنس مع زوجها، أما الان فقد أصبحت أقل مبالاة بهذه الممارسة. وهي لم تنبىء زوجها أبداً بأنها لا تبلغ النشوة وانه، ولا شك، سيندهش متى عرف ذلك.

■ ليزا وبيتر زوجان قلّما اتّسع لهما الوقت لممارسة الجنس، ولكنهما عندما يغادران المنزل في عطلة نهاية الاسبوع أو عندما يغيب أبناؤهما، فانهما يستمتعان بالاتصال الجنسي، وعندئذ يتملكهما العجب من احجامهما عن ممارسته بانتظام، وعن اعتباره عنصراً اساسياً في حياتهما.

■ بيتي وريتشارد متزوجان منذ سبعة أعوام. وقد حقق كل منهما تقدما بالغ السرعة في حياته المهنية خلال تلك الفترة. وهما كثيرا الأسفار والنشاط الاجتماعي. وأما حياتهما الجنسية فقد اصبحت راكدة مملة اذا ما قورنت بمجالات نشاطهما الاخرى. وفي واقع الحال، لو اخطرت بتي يوما بأنها لن تتمكن ابداً من ممارسة الجنس في ما بعد، لردت عليه بأن ذلك لا يزعجها على الاطلاق.

■ ستيوارت وكارولين زوجان في أواخر العقد السادس من العمر. ومنذ عشر سنين أصيب ستيوارت بمرض خطير تسبب، بعد شفائه منه، في قصوره الجنسي عن الانتصاب الا نادرا. وعلى رغم أن الزوجين يتبادلان الحب العميق، الا انهما لا يمارسانه أبداً.

(★) الازواج الاربعة والزوجات الاربع المذكورون هنا يمثلون نماذج مستقاة من الدراسة الخاصة التي قام بها معهد الاسرة العلاجي التابع لعيادة الطب النفسي الفربي في جامعة بتسبيرغ في ولاية بنسلفانيا.

CONDENSED FROM FAMILY CIRCLE (MARCH 13, '79) (C) 1979 BY THE FAMILY CIRCLE, INC., NEW YORK, N.Y.

اذا ما اعترضتك أي من هذه المشكلات، فقد يطمئنك أن تعرف أن كثيرا من الزوجات والازواج السعداء يعانون حالات مماثلة. وعلى رغم ما نشهده هذه الايام من تركيز شديد على المشكلات الجنسية، فان الاتصال الجنسي الناجح والمتكرر الحدوث قد لا يكون له أهمية حاسمة في الزواج السعيد.

وقد اكتشفنا ذلك عندما درسنا مجموعة من ١٠٠ زوجة وأزواجهن يعيشون حياة زوجية سعيدة وتراوح أعمارهم بين بضعة وعشرين عاما وبضعة وستين عاما. وباعتبارنا أختصاصيين في علاج مشكلات الزواج والجنس، فقد اعتقدنا أن دراسة هذه الزيجات السعيدة المئة ستزيد من معلوماتنا فتمكننا على نحو أوفى من معاونة الزوجات والازواج الذين يقصدوننا لمعالجتهم، وهذا ما حملنا على مراجعة بعض المتطوعين ممن يشعرون بنجاح زواجهم، ولم يحدث لهم أبدا أن احتاجوا الى طلب المعونة من الاختصاصيين المهنيين لمواجهة اي مشكلات زوجية أو جنسية.

ولدى فحص الردود التي تلقيناها على استبياناتنا، تبين لنا أن أكثر من ٩٠ في المئة من أولئك الازواج والزوجات يرتبطون بعلاقات جنسية بعيدة عن الكمال في ما بينهم، ولكن أكثر من ٨٠ في المئة منهم وصفوا زواجهم بانه "سعيد جدا"، واستبعدوا كلهم تقريبا أن يكون افتقارهم الى النعيم الجنسي مشكلة بالنسبة اليهم، كما أن أحدا منهم لم يعرب اطلاقا عن حاجته الى التغيير. ومن هذا يبدو أن وجود مشكلة جنسية ليس بالضرورة مرادفا لوجود مشكلة زوجية.

ما هي المشكلات الجنسية التي تعترض الاشخاص "الطبيعيين"؟

كان بين الزوجات والازواج الذين شملتهم الدراسة نساء لم يبلغن أبدا مستوى هزة الجماع، ورجال لا يستطيعون بلوغ الانتصاب، ورجال ونساء يجدون أن اتصالهم الجنسي يفتقر الى الرقة الكافية. وكانت المصاعب التي تعترض الأداء الجنسي الناجح شائعة بينهم، ومن أكثرها مشكلة القذف المُبتَسَر (أكثر من ثلث الرجال) وصعوبة بلوغ هزة الجماع (نصف النساء تقريبا).

الا انه على رغم ارتفاع معدل تكرار هذه المشكلات، فقد أفادنا معظم النساء والرجال الذين تناولتهم الدراسة أن مسألة الأداء الجنسي الناجح من جانب الشريك تُعدّ، في نظرهم، أقل أهمية من العواطف التي يبديها او لا يبديها هذا الشريك اثناء الاتصال الجنسي. ومثال ذلك ان ريتشارد يبلغ مرحلة القذف على الدوام تقريبا قبل أن تبلغ زوجته بتي مرحلة الاثارة، وعلى رغم ذلك فان بتي تهتم في الحقيقة بالتقارب الحميم أكثر منها بهزة الجماع. وهي لا تشعر، "بالفراغ، والنبذ والاستهتار" الا عندما يهمل ريتشارد ضمها اليه برقة وحنان.

وليس الفشل في "التواصل" النفسي الا نوعا من الصعوبات الجنسية التي تحدث في زواج يُعتبر ناجحا من جميع الوجوه الاخرى. فمعظم المتزوجين يجدون أن لقاءاتهم الجنسية تتأثر لا بنوع مشاعر كل منهم تجاه الآخر في لحظة

اللقاء الجنسي فحسب، وانما هي تتأثر كذلك بضغوط العمل وبواعث القلق المالي وفوضى الاطفال المزعجين، كما تتأثر فوق كل شيء آخر بالاجهاد والتعب، اذ يصبح الانتقال من الحياة المزدحمة بالعمل الى لحظات الاسترخاء والتواصل الحميم أمرا بالغ الصعوبة في أحيان كثيرة، حتى بالنسبة الى الزوجين المتحابين. ومثال ذلك أن ٤٧ في المئة من الزوجات قد ذكرن أن "العجز عن الاسترخاء" يؤلف مشكلة مهمة في حياتهم الجنسية. واذا كانت أسباب الكبح الذاتي المستمر والمخاوف والشعور بالذنب تبعث على التوتر النفسي، فان من الصعب أيضا أن يتحرر الانسان من كل ذلك وينتقل على الفور الى حال التقارب النفسي الحميم بمجرد ان يغلق الزوجان باب حجرة النوم عليهما.

وأيا تكن أسباب الصعوبات الجنسية، فان الزوجات، في ما يبدو، هن أكثر تعرضا للمعاناة من ازواجهن. وقد ذكرت ثلث النساء المشتركات في الدراسة تقريبا أن الجنس لا يثير اهتمامهن، وأنهن يشعرن بأن الزوج يختار للاتصال الجنسي أوقاتا غير ملائمة، أو بأن الجنس يخمد لديهن الرغبة في التواصل الحميم.

أما الرجال فينزعون الى ذكر مشكلات تنم عن اهتمامهم المستمر بالجنس. ومثال ذلك أن المشكلتين اللتين ذكرهما الرجال أكثر من غيرهما هما: مشكلة نقص المداعبات التمهيدية (٢١ في المئة) والانجذاب الى نساء أخريات (٢١ في المئة أيضا). وذكرت ٣٨ في المئة من النساء أن قلة المداعبات التمهيدية أمر يزعجهن، كما كانت الشكوى الثانية الاكثر ترددا بينهن تشير الى تضاؤل الاهتمام بالجنس أكثر مما تشي بالرغبة في التمتع بممارسة جنسية أفضل.

غير أن المشاعر السلبية تجاه الجنس لا تؤدي في ما يبدو، الى اضعاف مشاعر المرأة نحو زوجها أو تجاه حياتها الزوجية. وعلى رغم ما ذكره الرجال من أن شعور الانجذاب نحو نساء يؤثر احيانا على علاقاتهم الجنسية بزوجاتهم، الا أنهم لا يستجيبون عمليا لهذه الاحاسيس الخيالية بالدخول في علاقات جنسية خارج نطاق الزواج.

الى اي مدى يتواتر الجماع في الزيجات السعيدة؟

ذكر اثنان في المئة من الزوجات والازواج السعداء في حياتهم أنهم لا يمارسون الجماع أبدا، وذكر ثمانية في المئة أنهم يمارسونه أقل من مرة واحدة في الشهر، وذكر سبعة وأربعون في المئة انهم يمارسونه ما بين مرتين وأربع مرات في الشهر، بينما قال ٣١ في المئة انهم يمارسونه مرتين أو ثلاث مرات في الاسبوع، وقال ١٢ في المئة انهم يمارسونه بمعدل أربع أو خمس مرات أسبوعيا، وذكر زوجان اثنان فقط انهما يمارسون الجماع يوميا.

وعلى رغم هذا التباين الشاسع، فقد ذكرت الغالبية العظمى من الزوجات والازواج أن معدل الجماع بينهم يتفق مع الوضع الامثل في نظرهم. ويبدو من ذلك أن القضية الجوهرية في الرضا الزوجي هي

التمكن من الوصول الى وضع مقبول من كلا الزوجين.

ما الذي ينبغي عمله لمواجهة المشكلات الجنسية في زواج تغمره السعادة من كل ناحية ما عدا الناحية الجنسية؟

اذا شئت أن تحيي صلتك الجنسية بالشريك، فلا بدّ من التفاهم معه في هذا الصدد. فالذي يدعم الزواج أو يحطمه ليس هو كمية الاتصال الجنسي أو نوعه، بل درجة الانسجام "والمواءمة" بين حاجات الشريكين الجنسية وأولوياتهما. وهذا التبادل الحميم لا يتحقق الا عن طريق التفاهم. كما أن من العناصر الجوهرية الاخرى في احداث التغيير المنشود تخصيص الوقت والمقدرة اللازمين.

حاول أن تحدد (أو تحددي) لنفسك ولزوجك بواعث شكواك ومتعتك. فهناك كثير من الناس يحرجهم او يخجلهم أن يطلبوا امورا محددة في هذا الصدد، ولكن الحديث والتجربة على أساس الصراحة التامة أمران حيويان، فليس هناك فرد واحد على الاطلاق يمكنه أن يعرف من تلقائه ما يروق شريكه. وأما في ما يتعلق بمراجعة الاختصاصيين المهنيين، فلا ينبغي الانتظار الى أن تتفاقم الصعوبات الجنسية التي تعانيها (أو تعانينها)، فان بعض الازواج والزوجات لا يحتاجون الا الى مجرد الاطار المنتظم الذي يوفره البرنامج العلاجي. ولا شك في أن الموعد الاسبوعي لمقابلة الاختصاصي (أو الاختصاصية) يعد بمثابة تذكير ممتاز بأنك تريد (أو تريدين) احداث تغيير في هذا الجانب من حياتك. وفضلا عن ذلك، فان خبرة الاختصاصيين والاختصاصيات في علاج مشكلات الجنس والزواج تتيح لهم أن يتبينوا الاساليب الكفيلة بمعالجة هذه المشكلات مما يتعذر اكتشافه على الزوج والزوجة بنفسيهما.

ولكن ربما كان من الافضل ترك الامور على ما هي، ما لم يشعر أحد الشريكين بأن الصعوبة القائمة تؤثر على سعادته تأثيرا سلبيا واضحا.

والخلاصة المهمة التي يمكن استنتاجها من هذه الدراسة هي أن الصعوبات الجنسية أمر طبيعي، وأن الجنس - في ذاته - لا يُعدّ عنصرا حاسما في سعادة الزواج.

■ **الين فرانك**
وكارول اندرسون



سر التعب

تقابلت صديقتان، فقالت احداهن للأخرى: "يبدو عليك التعب".

- نعم فزوجي مريض، وعلي أن اتابعه ليل نهار.

□ اتعنين انك لم تستأجري ممرضة؟

- بلى، وتلك هي المشكلة.

ا.ب.ب.



الماضي والحاضر: ثلاثة صينيين يقفون لتلتقط لهم صورة تحت تمثال أسد مكشّر عن انيابه في قصر الصيف في بكين.

جولة صينيّة في عشرة مشاهد

قل من كتب عن الحالة الانسانية من الامريكيين بأبلغ مما فعل الكاتب المسرحي آرثر ميلر، الفائز جائزة بوليتزر ومؤلف "موت بائع جوّال" و"البوتقة".
وقد زار ميلر وزوجته، المصورة الفوتوغرافية اينجه مورات، الصين خريف ١٩٧٨ بدعوة من "اتحاد الشعب الصيني للصداقة مع البلدان الاجنبية".
هنا انطباعات عاد بها الكاتب من معاينته النضال الذي يخوضه بلد عريق ليصبح امة حديثة.

المشهد الاول

ما اسرع ما يتعلم المرء أن الأحمق من تصور انه قادر على فهم الصينيين سريعا. ومع ذلك، فانه لم يكد ينقضي يومان ونحن في صحبة كياو يو حتى تهتك الحجاب المسدل بين امتين منعزلتين الواحدة عن الاخرى، بفضل ما ابداه من فضول مشرّب بالودّ الى معرفة اي شيء عن حياتنا نحن الامريكيين. وكياو شاعر ومؤلف مسرحي التقينا به عن طريق اتحاد الصداقة، فوجدناه ذا رقة وكياسة لا تخذلانه في اي حال.

ذهبنا نحن الثلاثة ذات صباح برفقة دليلنا سو كوانغ، فنزلنا اربعة طوابق الى الأقبية الحجرية التي

ظلت، طوال قرون، مكامن تورات فيها الكنوز التي تضمها قبور الأباطرة من اسرة مينغ. هناك رأينا امرأتين في مقتبل العمر، متلفعتين بعباءتين سوداوين كراعيات الغنم الأندلسيات، اتقاء للرطوبة على ذلك العمق في باطن الأرض، تنفذان باكتئاب المهمة الموكولة اليهما، وهي الاشراف على السياح ورواد ذلك المكان.

سألت صديقنا الكاتب المسرحي عن سر اكتشاف تلك المقابر التي أظهرتها اعمال الحفر حديثا، فقال: "لقد خلف احد الأباطرة حجرا عليه وصف دقيق لموقعها. وقد عثر على ذلك الحجر اخيراً".

ولم تفتني المفارقة الماثلة، فقلت: "لقد تكبد ذلك الامبراطور تلك الكلفة كلها لكي يخفي الكنوز في مكان آمن. الا ان غروره غلب حرصه، فلم يستطع ان يردع نفسه عن ترك ذلك الحجر لأنه لم يطق ان تظل الكنوز خافية على الناس لا يشاهدونها ويعجبون بها". ونظر الي كلا الرجلين نظرة من بوغت بفكرة لم تخطر له. واستطردت: "وهكذا قادكم غروره الى قبره!" فضحكا، وفي ضحكهما دهشة فائقة، اذ انطوى الأمر على ما هو اهم من ذلك الامبراطور وقبره المخبوء، وهو تمكني من استقراء خلق ذلك الزعيم من تصرفاته العامة. والغريب ليس ان الزعماء والقادة يجب ألاّ تكون لهم شخصياتهم الفردية الخاصة، انما هو ان السلطة لا شخصية لها. وقد درّب الشعب الصيني على النظر الى اولئك الذين في القمة باعتبارهم مجرد نماذج تعبر عن قوى اقتصادية وسياسية.

وفي اطار تلك النظرة، بدا ما قلته عن خيلاء ذلك الزعيم القديم وما خلفته من عواقب، تصوراً لا سبيل الى التسليم بصحته. الا ان كلا من كياو يو وسو كوانغ أدركا انه تصور برهن عن صوابه ضحكهما الذي نبع من استمتاع بما تكشف لهما في تلك المفارقة من سخرية.

المشهد الثاني

من الساعة الأولى لنا في الصين، أغدق علينا الصينيون، انا وزوجتي، سيلا من حكاياتهم عن اعمال السلب والنهب التي قامت بها "عصابة الأربعة" (اي كيانغ كينغ، أرملة ماو، وثلاثة رجال، اتهموا أربعتهم بارتكاب اخطاء استراتيجية وبالفساد الخلقي). وبعد الصدمة الاولى التي ولدتها تلك الحكايات، بدا من المضحك ان تعزى العلل التي يعانيها بلد يبلغ عدد سكانه مليار نسمة - ومنها قلة المسرحيات والافلام المعاصرة واوضاع النقل العام المتردية والجهل المطبق بوجود اي عالم خارج حدود الصين - الى ثلاثة رجال وامرأة من اللجنة المركزية، اي الى اربعة اشخاص فقط.

وهكذا تبين لنا في النهاية صدق ما تنبأ به، منذ يومنا الأول في بكين، مراسل صحيفة كندية اذ قال: "توقعوا ان تسمعوهم ينسبون مسؤولية الاخطاء كلها الى عصابة الاربعة. لقد حضرت احدى المآدب التي اقيمت اخيرا. وعندما جلست على المقعد الذي قدّم اليّ، انهار بي، فنظرت الى الحضور وصحت: عصابة الأربعة! فارتعدوا جميعا من شدة الضحك!"

المشهد الثالث

كنا في مركب يطوف بنا بحيرة

كون مينغ المشمسة في قصر الصيف في بكين، قريبا من الشاطىء حيث ترسو سفينة المرمر. وهي ذات طابقين ودولاب تجذيف على جانبها، وتبدو اشبه بالمراكب البخارية التي تمخر عباب نهر المسيسيبي في امريكا.

لقد صنعت تلك السفينة لآخر امبراطورة من اباطرة الصين، بالأموال التي استولت عليها من شعبها لبناء اسطول لمقاومة الغزاة الأجانب.

ولم أكن اعرف، عندما حللت بالصين، ما عرفته بعيد ذلك، وهو ان الصينيين، كالفرنسيين، يعتبرون بلدهم مركز العالم، ولذلك لا يهتمون كثيرا بالسفر الى الخارج. فالجفاف والفيضانات والمجاعات، وما الى ذلك من كوارث، كانت - في الأغلب - هي التي تدفع الصينيين الى ما وراء حدودهم أكثر مما يدفعهم الفضول الى رؤية بلاد الآخرين.

المشهد الرابع

لم نستطع ان نصدق، انا وزوجتي، ان دليلنا ومترجمنا الذي لا يعرف الكلل، سو كوانغ، من رجال الشرطة السرية. فمن ناحية، كان في امكان زوجتي اينجه ان توقف السيارة حيثما شاءت او حيثما وقعت عينها على منظر وجدته جديرا بالتصوير، على رغم ان المناظر التي ارادت تصويرها لم تكن كلها مما يشبع خيلاء بلد متلهف على مطالعة العالم بأفضل ما فيه. ومن ناحية أخرى، فان صراحة ذلك الدليل اوقفتنا على انه أياً كانت نقائص الخلق الصيني، فان التفاخر ليس واحدا منها. وحين بدرت مني ملاحظة عن الدراجات وكيف يتركها اصحابها بغير سلاسل او اقفال، اخبرني سو كوانغ انها مؤمنة فعلا ضد السرقة بجهاز غير ظاهر للعين مركب فيها، يغني عن السلاسل والأقفال، وان حوادث سرقة الدراجات في الصين ليست بتلك الندرة التي تصورتها.

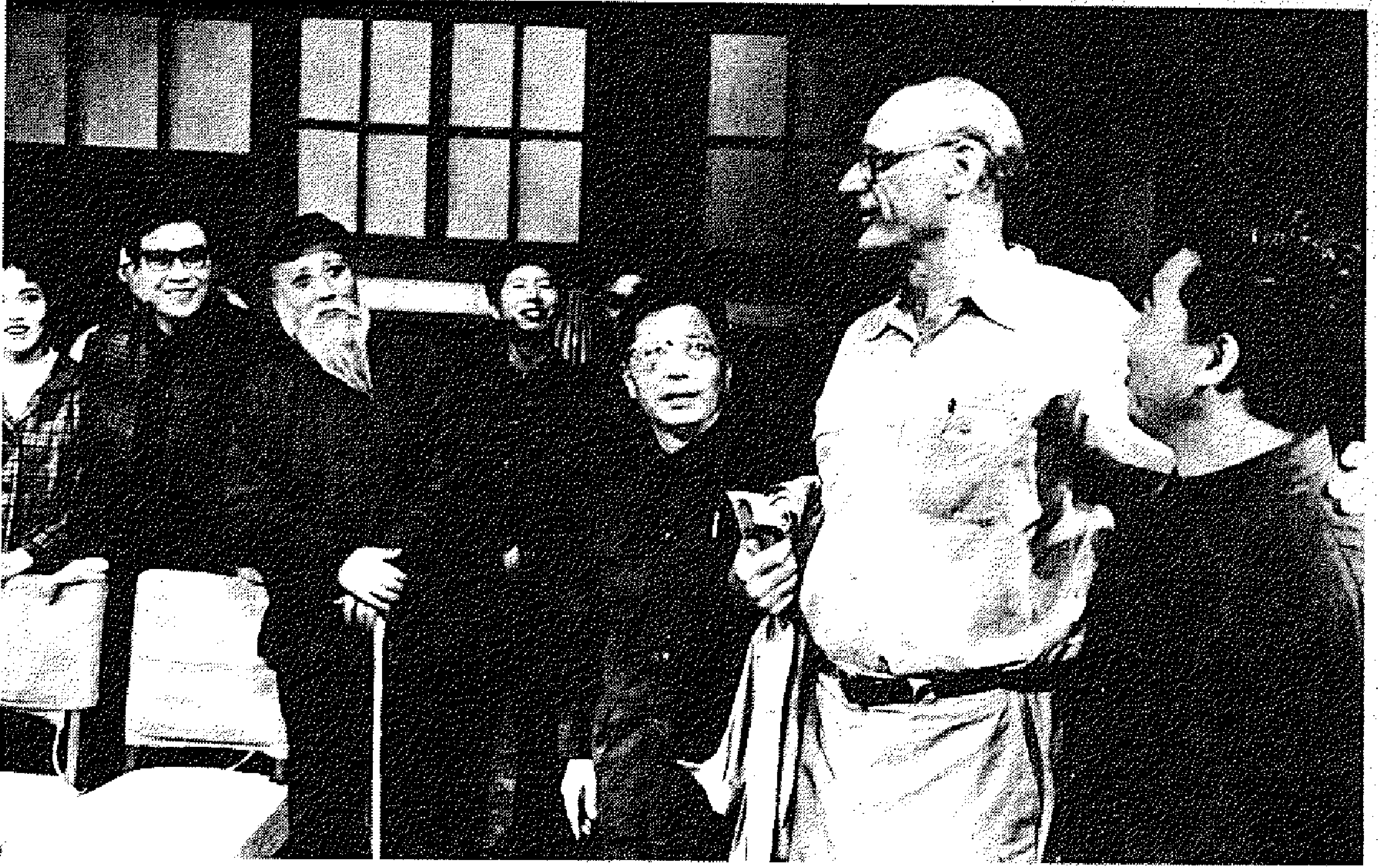
وعندما لاحظت ان الصينيين الذين شاهدتهم اناس يتصفون بالنظافة، قال سو: "الحقيقة ان بعضهم ليس هكذا. الا انه من الصعب ان يحافظ المرء دائما على نظافته". وسألته: "لماذا؟ هل الماء الساخن غير متوافر؟" فأجاب: "كلا، بل احواض الاستحمام ليست متوافرة".

المشهد الخامس

قررنا ذات صباح ان نذهب بمفردنا في جولة على الأقدام في شوارع بكين الخلفية. وفي تلك الجولة، ترك الفقر الظاهر على البيوت اثرا عميقا في نفسي. الا ان نشاط الناس وحيويتهم كانا مما لا سبيل الى انكاره، تماما كانتفاء الخوف والوجل من اعينهم وهي تحدق الينا. وقد صعدت رائحة الفحم المحترق الذي يطهون عليه طعامهم الى سقوف البيوت التي تشبه القوارب المقلوبة، فخلطت جوا من الصفاء بالقدم الذي تنطق به الابنية المتداعية. وعلى رغم الازدحام في تلك الشوارع، لم نجد اثرا للروائح الكريهة المألوفة في الاحياء السكنية الفقيرة.

وبينما نحن في جولتنا، طلع علينا فجأة، من احد الأزقة الضيقة، رجل عجوز توقف عندما رآنا. وبدا ان المباغتة اوشكت ان تفكك اوصاله. واخذ يرتعش وعيناه تدمعان.

وقبل ان نوجه اليه كلاما، سألنا



آرثر ميلر مع اعضاء فرقة المسرح الشعبي للفن في بكين وراء كواليس المسرح.

بانكليزية متعثرة عمن نكون وما الذي جئنا نفعله في ذلك المكان. ثم تدفق الكلام من فمه: "تصوروا! تصوروا ان يجدكم المرء هنا، هكذا، على قارعة الطريق، وان يستطيع التحدث الكيم! منذ عام واحد فقط لم اكن اجروء على الاقتراب منكم. كان الجيران احرياء بأن يحدثوا لي متاعب لا حصر لها". ونظر حوله بتحد، وكأنه يأمل ان يراه واحد من الجيران يتحدث الينا من دون ان يعدّ ذلك عملا غير مشروع. واستطرد: "لقد اضطهدنا طوال سنوات. وهذا يفسر ذلك الخوف الفظيع من الأجانب والمقت لهم". ثم اشرق وجهه بابتسامة: "وها نحن أولاء! نستطيع ان نقف معا ونتحدث عن اي شيء يخطر في بالنا!".

المشهد السادس

سألت سو كوانغ: "لم لا ارى اي رجل وامرأة يتلامسان أبدا؟".

فأجاب: "لأن ذلك ليس من تقاليدنا. هذا شيء لا نفعله امام الناس".

ومن حيث لا ندري، ظهر امامنا فتى وفتاة في مقتبل العمر، ووقفنا جنبا الى جنب ليلتقط صديق كان بصحبتهما صورة فوتوغرافية لهما. ورأيت الفتى يطوق كتفي صديقته بذراعه، فالتفت الى سو قائلا: "لقد اخطأت. انهم يتلامسون فعلا".

ولم يبد على سو انه سرّ كثيرا لذلك المنظر، اذ قال: "ليسا صينيين، انهما من ماليزيا!"

ولم اشأ ان اكف عن معابثته، فقلت: "وحتى مع ذلك، انت لا تقر فعلهما؟".

فقال مبتسما وهو واقع في حيرة ازاء الصراع الذي يعانيه: "كلا، لست

مستعدا للموافقة على مثل هذه الامور... بعد".

وكنا اسفل الدرج العظيم الذي يهبط من ضريح صن يات - سن في نانكينغ. وعندما علم سو اني لم أكن انوي صعود ذلك الدرج، بل سأبقى معه في صحبة الروائي آي كسوين، تاركا اينجه تصعد وحدها مع احد المترجمين المحليين، انتابته سعادة غامرة.

وكانت المقاعد الحجرية التي تحف بأسفل الدرج مشغولة بمن جلس عليها، فاقترحت ان نجلس على احدى الدرجات. لكن صديقنا آي كسوين تقدم من ثلاثة اشخاص كانوا جلوسا على احد المقاعد وقال لهم: "اوسعوا مكانا لو سمحتم لهذا السيد، فهو صديق اجنبي للصين". وللتو قام الثلاثة، وكانوا اثنين من الشباب وامرأة في اواسط العمر معها طفل في الخامسة، تاركين لنا المقعد وهم يومئون لنا بسرور وكأنما انا صاحب الفضل لا هم، مشيرين الي بأن اتفضل فأجلس، ثم ذهبوا عنا واختفوا في الزحام.

والحقيقة ان اللطف الذي انطوت عليه تلك البادرة كدّره شعور قلق بأن ما حدث لم يحدث حقا، ناهيك بما انتابنا من غبن على اولئك الناس الذين اخذنا مقعدهم بهذه الطريقة. وخطر في بالي الحارس الذي يراه المرء احيانا في اخر مدرج السيارات في الفندق ممسكا ببندقيته في وضع استعداد وتأهب. ويكون هذا الحارس عادة جنديا صغير السن، تراه يحيي بهمة ونشاط كل سيارة مقبلة. وعندما استفهمت عما يحرسه الرجل، هز سو كتفيه تعبيرا عن الحيرة وقال: "ربما كان من مخلفات الأوضاع السابقة"، نافضا يده من ذلك الموضوع.

لكن عندما عدنا الى الوطن من رحلتنا الى الصين، التقينا بفتاة صينية الاصل، من مواليد سان فرانسيسكو روت لنا تجربة غريبة وقعت لاحدى بنات اعمامها مع واحد من اولئك الحراس. كانت ابنة العم تلك قد اشترت لنفسها سترة شائعة الاستخدام في الصين تدعى سترة صن يات - سن (وتعرف في الخارج باسم "سترة ماو") وسراويل مما ترتديه الفتيات في الصين. وبعدما ارتدت السترة داخل فندقها، ضفرت شعرها كما تفعل معظم الفتيات الصينيات وخرجت من الفندق. ولما عادت بعد وقت واخذت تصعد درج الفندق، اعترض الحارس طريقها ودفعها بعيدا. فلما احتجت أقذع لها السباب وسألها من تظن نفسها حتى تتصور انها تستطيع ان تدخل بتلك البساطة من عرض الطريق الى فندق فخم. واستغرق الامر وقتا قبل ان تتمكن الفتاة من اثبات هويتها واقناع الحارس بأنها صينية من وراء البحار. فاعتذر الحارس وقد انتابه القلق. وهكذا، فاذا كان في وسع الاجانب ان يتحركوا اليوم في الصين بحرية نسبية، فمن الواضح انه ما زال امام الصينيين انفسهم وقت قبل ان ترتفع من طريقهم الحواجز التي تمنعهم من ان يكون لهم مثل ذلك الحق.

المشهد السابع

بينما كانت السيارة تسير بنا في شوارع بكين الخلفية الهادئة الضيقة

والشبيهة بالمتاهة، تذكرت ان ١٥ في المئة فقط من الصينيين هم الذين يعيشون في المدن، وان السواد الأعظم يعيش "بعيداً هناك"، في الريف، بظهور محنية وايد تفلح الأرض كما كانت الحال منذ الأزل. فالمسافة بين الواقع الحالي والواقع الاقطاعي القديم ضيقة على نحو مذهل. ذلك لأن الانسان في ظل الاقطاع كان "يدين" بكل شيء للجماعة، اما في ظل الاشتراكية الصينية فلا يحق لأي انسان ان يغير محل اقامته الا بتصريح من اعلى لأنه "جزء" من الكوميون والمصنع والتنظيم الاجتماعي والمؤسسات الاخرى التي ينتمي اليها. فمفهوم الفرد الذي يمكن ان يتفرد حقا ويصبح ذا وجود مستقل عن الجماعة مفهوم يستحيل على العقل ان يتقبله هناك.

المشهد الثامن

كان كبير جامعي بطاقات السفر في قطار يانان - اكسيان السريع رجلا يشعر بأهميته الحكومية الهائلة ويحمل عبئها كأي محترف متمرس. انه "الشخص المسؤول" في ذلك القطار، وهو اشبه بقبطان باخرة من عابرات المحيط. رأيته ينحني انحناءة طفيفة وهو يفتح باب المقصورة ويدخل، وعلى وجهه المستدير ابتسامة وقار وفرح. وكانت سترته الرسمية المصنوعة من قماش قطني ازرق خفيف نظيفة ومكوية كيا جيدا.

كان الرجل يجول بين عربات القطار التي جلس فيها مسافرون اجانب، سائلا عما اذا كانت لديهم اي اقتراحات لتحسين الخدمة في قطاره. ووقعت عيناه على ديوان من شعر اسرة تانغ في الحقيبة الشبكية التي تضع فيها زوجتي مشترياتها. فاستأذنها واخرج الكتاب من الحقيبة، ثم سألها بدهشة: "من اين اشتريت هذا الديوان؟" فقالت "من محل لبيع الكتب في بكين". وقال الرجل وهو يقلب صفحات الكتاب: "لم اكن اعرف انه اعيدت طباعته". وبدا انه استغرق في قراءة قصائد ذلك الديوان الذي حوى اشعارا من ازهى فترات الثقافة الصينية منذ اكثر من الف عام. وكانت "عصابة الاربعة" قد حرمت نشر شعر تلك الفترة وتداولها، وهو من اشدأشعاراللغةالصينية اثارة للاعجاب، في محاولةلمحو ماضي الصين من ذاكرة الناس، بحجة ان ذلك الشعر يمجد الحكام الاقطاعيين القدامى واتباعهم. وبقينا، اينجه وانا وسو كوانغ، ملتزمين الصمت طوال عشر دقائق، او اكثر، فيما كبير جامعي التذاكر يقلب الصفحات، ووجهه ناطق بمنتهى النشوة، منتقلا من قصيدة الى اخرى. واخيرا وقف الرجل، كمن مر بتجربة ممتعة، وتنهد منتشيا ثم شكر انيجه اذ تركته يطلع على الديوان، وخرج من المقصورة.

المشهد التاسع

بعد العرض الذي قدمته فرقة المسرح الشعبي للفن في بكين لمسرحية جو مورو "كاي ون جي"، اصر كاو يو، مدير الفرقة، على ان اجلس مع اعضاء الفرقة لأناقش المسرحية معهم مناقشة جادة.

واصغى الي مدير الفرقة ذو الشعر الأسود، الذي بدا لي اشبه بديك نشط

لا يهدأ من فصيلة البنطم الضئيلة الحجم التي يراهن عليها الناس في حلبات صراع الديكة، على رغم انه في اواخر الستينات من العمر، وامر ممثلي فرقته بالتزام الصمت كيما استرسل في الكلام عن المسرحية. وذلك بالذات ما خشيت ان يحدث. فالمسرحية اثارت ضجري فعلا - على رغم جدتها وغرابتها - بما فيها من تكرار لا يرحم. وهو ما يبدو ان جمهور المشاهدين شعر به ايضا. فالتكرار يظل تكرارا، حتى وان كان في اللغة الصينية.

وفي النهاية قلت: "اسمعوا يا اصحاب. سنتحدث بصراحة. قد اكون جاهلا تاريخكم، وقد يكون لجهلي هذا اثره الذي لا ينكر على حكمي. الا ان المسرحية ذاتها تثير الملل". وعلى الفور اطلق قولي موجة من النظرات الناطقة بالروع والمباغتة على وجوه اعضاء الفرقة. وكانوا لا يزالون في ثياب العصور الوسطى الفضفاضة الباذخة الجمال، وقد زاد الماكياج الذي كان يغطي وجوههم حدّة الانفعال المرتسم عليها.

وسألني كاو يو وقد اتسعت عيناه دهشة: "لم تظن انها اثارت شجركَ؟".

وشجعني ما لمسته في الرجل من روح مهنية على ان ازج بنفسي كالمجنون في انتقاد مسرحية صينة، هناك شبه اجماع على انها من روائع المسرح الصيني، فقلت: "بدا لي ان الحكاية التي ترويها المسرحية كررت نحو اربع مرات او خمس مرات خلال الساعة الاولى. والواقع ان هناك مجموعة جديدة من الشخوص تعيد الحكاية كل مرة، لكنها لا تضيف الا القليل".

وترك كاو يو جزءا من ثانية ينقضي في صمت مطبق اثر قولي، ثم قفز فجأة وهو يصيح: "مرحى!" وانطلق ممثلوه يصفقون بحماسة وهم ينحنون انحناءات عميقة تجاهي، بينما كاو يو يقول: "لقد قضينا ستة اشهر في محاولة اكتشاف ما يجعل هذه المسرحية مملة، الى ان جاء هو وشاهدها مرة واحدة لا اكثر، فأوقفنا على مبعث الملل فيها!" وانطلق الممثلون يتكلمون في وقت واحد بلغط عظيم وقد اخذوا جميعا، بمنتهى الحبور، يكيلون اللوم على مؤلف المسرحية.

المشهد العاشر

لقد ادهشتنا الصين من عشرات الوجوه. ولعل اشدها تأثيرا في النفس ذلك الجمال الذي طالعنا فيه ملامح تلك البلاد. فالتعلق بالجمال يكاد يكون غريزة لدى الصينيين، حتى في الطريقة التي تصف بها امرأة صينية اعوادا من الكراث بعد غسلها في ماء غدير، اذ تنسقها على شكل مروحة. والطفل الصيني كائن يعتبر انتصارا للانسانية. اما كبار السن فيتحلون بضرب من الوقار ينبع مما يحيطهم من احترام يعتبر سنة من سنن المجتمع ومن مكونات تراث انساني كريم. كما ان في الصين تراثا من الشاعرية لا سبيل الى تصور ما يماثله في الغرب: ففي اي مكان آخر من العالم غير الصين يمكن ان يكون خط اليد الذي يكتب به زعيم من الزعماء مسألة مهمة؟ واين يمكن ان تثير رشاقة ذلك الخط مشاعر

الفخر لدى شعب ذلك الزعيم؟ واي شعب من شعوب العالم يتمتع بمثل فهم الصينيين العميق للطعام؟

الا ان ايا من تلك الملامح الآخاذة لم يعد يجدي في تحويل انتباه الصينيين عن مأزقهم. فالكل يقول لك ويكرر القول بطريقة تنبىء عن ان القول نابع من القلب ان الصينيين ما زالوا اسرى ميراثهم الاقطاعي.

في شنغهاي تحدثنا الى هوانغ زو لين، المخرج المسرحي، وهو فنان مخضرم في منتصف السبعينات من العمر انحدر من صلب اسرة ثرية (كان ابوه ممثل شركة "ستاندارد اويل" في الصين)، فعلمنا منه انه ارسل في مهمة طالت ثلاث سنوات، كان عمله خلالها اطعام الحيوانات، فضلا عن دراسة تعاليم ماو والاعتراف باحلامه المعادية للثورة.

قال لنا الرجل: "لقد حاولت ان اخلص نفسي من افكاري الثورية المضادة، على رغم اني لم اكن اعرف ان لدي افكارا كهذه".

حاولت ان اتصور منظر هذا الرجل المتمدن وهو يطعم الحيوانات ويجرف سمادها الطبيعي، فسألته عن حياته خلال تلك الفترة.

قال: "اسوأ ما في الامر انني كنت ارى زوجتي يوميا، طوال ثلاث سنوات، تعمل في حقل مجاور لا يفصله عن الحقل الذي كنت اعمل فيه الا غدير صغير، من دون ان استطيع مخاطبتها".

سألته: "اتظن ان مثل هذه الامور يمكن ان تحدث ثانية في الصين؟".

قال: "نعم، بكل تأكيد. ستحدث مرارا عدة. الا انها، في المرة المقبلة، قد تكون اقل تدميرا للاعتبارات الحيوية والخيرة".

اجل، فالرجل يعرف ان الماضي طويل طويل، وان المستقبل طويل مثله. والواقع ان عدم وقوع فاجعة في الصين قد يكون راجعا الى كل ذلك الزمن اللامتناهي الممتد الى الوراء والى الامام.

■ آرثر ميلر

الحق والعدالة

الحقوق هي الرداء الخارجي المتغير للتطور الانساني، اما العدالة فهي قلبه.

ماري غيلمور (كتاب "الشخصية الاوسترالية")

مساعدة الاصدقاء

كنت اتنزه في مدينة هاربن في منشوريا، فشاهدت طفلة لا يزيد عمرها على السنتين جالسة فوق سور في زاوية أحد الشوارع وهي تحاول ان تعقد شريط حذائها من غير ان تفلح في ذلك. ولما كان الصينيون يكثرون الحديث هذه الايام عن الحاجة الى "مساعدة الاصدقاء"، فقد قطعت نزهتي كي اساعدها.

وربما كنت أول غربي استطاعت الطفلة رؤيته عن كثب. لذا حدقت الي طويلا من دون أن يرف لها جفن، ثم نزلت عن الجدار وارخت عقدة الحذاء الاخرى، فلم أجد بدا من ان اعقدها لها من جديد.

ر.و.

القرحة، مرض العصر، لا تقتصر الاصابة بها على الرجال الذين تثقل كواهلهم الضغوط، فالنساء بل والأطفال الرضع معرضون كذلك للاصابة بهذا المرض

كلّنا معرّضون للأصابة بالقرحة

كانت الفتاة ذات الشعر المعقوص تقضم في تأن سندويش سجق مع خردل وتوابل وقد بدت كأنها طفلة. وبادرتني قائلة اعلم ان علي الا آكل هذا الطعام". وابتسمت ثم اضافت: "سأدفع الثمن بعد ساعة عندما تنتابني آلام القرحة".

هناك ميل الى الاعتقاد ان مرضى القرحة يكثرون عادة في اوساط مديري الاعمال النشطين، المتوترين، الذين يشعلون السيجارة من عقب الاخرى ويسرفون في الشراب وهاجسهم الوحيد هو الوصول الى القمة.

الا ان هذه الفتاة طالبة جامعية، لم تتجاوز الثامنة عشرة من عمرها وان حالها ليست باستثنائية، فعلى نقيض الاعتقاد السائد، ان القرحة كالانفلونزا، لا تصيب فقط مديري الاعمال الذين تجاوزوا مرحلة الشباب وارهقتهم مسؤوليات مناصبهم. فكل انسان معرض للاصابة بهذا المرض، حتى الطفل الرضيع.

وعلى رغم ان اكثرنا يتحدث عن قرحة المعدة، فان خمسين في المئة من القرح لا تصيب الغشاء المخاطي المغلف للمعدة وانما السنتيمترات الخمسة الأولى من المعي الاثني عشري، اي ذلك الجزء من الامعاء الدقيقة حيث تفرغ المعدة

محتوياتها . (ينطبق اسم "القرحة الهضمية" على الحالين)

ان قرحة المعي الاثني عشري تكاد تكون غير سرطانية، في حين ان الحالات السرطانية المتولدة عن قرحة المعدة، ترتفع الى معدل ثلاث في المئة . واذا كانت القرحة غير الخبيثة "لا تتحول ابدا الى سرطان"، فان الحالات المستحكمة منها (اي حالات القرحة الثاقبة) قد تكون مميتة . ويطلق على ذاك النوع اسم القرحة الثاقبة لانها تحدث ثقبا في المعدة او في المعي الاثني عشري .

درس في التشريح - دعونا نأخذ درسا قصيرا في علم التشريح حتى نفهم اسباب الاصابة بالقرحة ونتعلم كيف يمكننا الحؤول دونها او معالجتها .

ان خلايا الغشاء المخاطي المغلف للمعدة تفرز احماضا قوية المفعول بالاضافة الى مادة "البيبسين" التي تساعد على الهضم فاذا كنا نتمتع بالهدوء والسعادة فان معدتنا لا تفرز هذه المواد الهاضمة الا ساعة الأكل حيث يعادل الطعام مفعول الحامض . بيد ان هذه الخلايا المنتجة للحامض تستجيب لمنبه اخر هو العصب الكبير الذي يربط بين المخ والمعدة ويعرف بالعصب الحائر، فكلما شعرنا بالجوع او رأينا طعاما او شممنا رائحته او شعرنا بقلق او غضب فان هذا العصب ينقل اشارة من الدماغ تثير افرازات حمضية في المعدة .

وهكذا فان كنا متوترين معظم الوقت تدفقت الاحماض الى معدتنا طوال ساعات النهار لا في اوقات الاكل فحسب، حيث يعادل الطعام مفعول الحامض . وفي حال خلو المعدة من الطعام، فان هذه المواد الحمضية تؤثر على الغشاء المغلف للمعدة او المعي الاثني عشري محدثة فيهما ثقبا متقرحا يعرف بالقرحة الهضمية .

وقد لاحظ الاطباء، منذ اعوام، ان الارهاق الشديد يمثل دورا في الاصابة بالقرحة . وثبت اثناء الحرب العالمية الثانية ان القرحة الهضمية كانت من اهم اسباب العجز في صفوف القوات الكندية والبريطانية التي اضنتها المعارك . كما ان عدد ضحايا القرحة الذين عولجوا في المستشفيات كاد ان يتضاعف خلال فترات الغارات العنيفة على لندن . لكن العلاقة بين الارهاق والقرحة لم تحدد بدقة حتى الآن .

وكمثال على صعوبة التنبوء بالقرحة، اذكر مديرين عرفتهما يعملان في مجال التأمين:

مارشا، تبدو وكأنها تعيش حياة هانئة خالية من الهموم . فهي دائمة الابتسام تواظب على حضور الاجتماعات كلها .

بيل، يتحمل مسؤوليات مماثلة لها ولكنه كتلة اعصاب، لا يكف عن تناول الاقراص المضادة للحموضة . ايهما في اعتقادك يعاني القرحة؟

مارشا . ذلك ان القرحة مرض شائع في عائلة مارشا . وهي وان لم تكشف عن اساها مطلقا، امرأة قاست الامرين من خلافات زوجية جعلتها منفعلة باستمرار .

لماذا يصاب البعض بالقرحة تحت وطأة الارهاق بينما لا يتأثر البعض الآخر؟

تشير الدلائل الى ان الاحساس بالقدرة على الانجاز . قد يخفف من

الآثار المؤذية التي يولدها التوتر. فالشخص الذي يكافأ على عمله المضني بسخاء هو اقل عرضة للاصابة بالقرحة ممن يؤدي عملا يتطلب جهداً مماثلا من دون ان يكافأ على ذلك. فسبب القرحة اذا ليس الارهاق في ذاته وانما طريقتنا في مواجهة التوتر.

مؤشرات القرحة ـ كيف تستطيع الحكم اذا بان هناك ما يدعو الى القلق؟

ان المؤشر الاهم هو الالم البطيء الذي يَقْرُص الجزء الاعلى من البطن. وتزداد حدة هذا الالم في الليل عادة وبين الوجبات بحيث يبدأ في فترة تراوح بين نصف ساعة وساعتين بعد الأكل. والمؤشر الثاني هو توعك ما بعد الاكل. فاذا كنت لا تعاني الا عسر هضم بسيطاً فأن الاكل يشعرك بالانتفاخ في حين انه يشعرك بالارتياح الفوري اذا كنت مصابا بالقرحة.

ماذا يمكنك ان تفعل اذا ظننت انك مصاب بقرحة؟

اولا، تستطيع ان تطلب صورا بالاشعة للمعدة والمعي الأثني عشري. يمكن ايضا اجراء فحص بمنظار خاص (فايبر اوبتيك) يستطيع الطبيب بواسطته رؤية الغشاء الذي يغلف معدة المريض. اما اذا تعرضت لآلام حادة او تقيأت دما (وان مرة واحدة) او اذا تكررت اصابتك بأدوار عسر الهضم لمدة تزيد على اسبوع، فاذهب الى الطبيب فورا. فالقرحة اذا اهملت تحولت الى قرحة ثاقبة تسبب التهابا او سكتة وقد تؤدي الى الوفاة. كذلك فان الم القرحة قد يخفي سرطانا معويا ومن الحماقة تأجيل الفحص الطبي.

وتعالج قرحة المعي الاثني عشري في معظم الاحيان بينما يظل خمسون في المئة من قرح المعدة مصدر متاعب للمصابين بها. لماذا؟ لان هؤلاء ما ان يبدأوا الشعور بالتحسن حتى يرجع كثيرون منهم الى عاداتهم القديمة. فاذا اردنا القضاء على القرحة نهائيا يجب علينا الحد من التدخين والقهوة والكحول والاستمرار في تجنب الارهاق الذي لا داعي له.

فمنذ عشرات السنين فرض الاطباء على المصابين بالقرحة الالتزام بنظام غذائي مزعج يقوم على الاطعمة الخفيفة كالارز والجبنة البيضاء والهلام (الجلاتين). وقد تغير هذا العرف نتيجة البحوث التي اجريت اذ ثبت ان المرضى الذين يأكلون ما يشاؤون لا يتعرضون لنكسات القرحة الهضمية اكثر من اولئك الذين يخضعون لنظام غذائي معتدل.

الحليب هو الافضل ـ وهناك انواع عدة من العقاقير المسكنة لنوبات القرحة، ولكن عليك ان تحذر ايها تختار. فالبحوث الحديثة ترجح ان المركبات التي تحتوي على الكلسيوم قد تسبب "رد فعل حمضيا"، اي ان تلك المركبات تعادل الحامض اول الامر لكنها لا تلبث ان تؤدي الى مزيد من الافرازات. وقد يصف لك طبيبك دواء لتهدئة المعدة عن طريق الحد من التوترات التي ينقلها العصب الحائر من المخ الى المعدة. الا ان الحليب يبقى، بين كل هذه الاساليب، المهدىء الاكثر فاعلية.

ومعظم القرح تلتئم اذا ما نحن نفذنا ارشادات الطبيب التي توجز بالآتي: تناول الادوية بانتظام، الراحة ومن ثم، وهذا الاهم، الاسترخاء.

ولا يزال هناك مرضى يمضون ليالي تاعسة ويعانون آلاما مبرحة، على رغم كل المحاولات. فبالنسبة الى تلك الاقلية فان الجراحة هي العلاج. وقد تقتصر العملية على اغلاق الثقب، او تشمل استئصالا جزئيا للمعدة. ويعتبر استئصال العصب الحائر من العمليات الجراحية الشائعة حيث تقطع عن المعدة الاشارات التي تولد افرازات حمضية، وهذه الاشارات تصدر من المخ في حالات القلق الذهني.

ويقول الدكتور مورتون آي غروسمان، مدير مركز دراسة القرحة وابحاثها في لوس انجيلوس انه تم اكتشاف اقراص جديدة لعلاج القرحة قد تلغي الحديث عن العقاقير او الجراحة. وتحتوي هذه الاقراص على مواد تحد من افراز الحامض المعدي وتعجل بالتالي في التئام القرح، ومن الواضح ان العقار فعّال وان كنا لا نزال غير متأكدين من اضراره".

وهنا توصيات ينصح بها الخبراء من شأنها الحد من احتمالات اصابتك بالقرحة. وهي تتضمن بعض الاساليب الصالحة للتغلب على الارهاق.

١ – ضع حداً لتناول القهوة والكحول وكذلك التدخين. فلا اسوأ من قهوة من دون حليب بالنسبة الى المعدة الخاوية، فكلما زاد الحليب خف تأثير القهوة.

٢ – اذا شربت الشاي تجنب الاسراف في تناول ما يحويه من "كافيين" بعدم غلي الشاي كثيرا او بنقع الكيس (اذا كنت تشتريه في اكياس صغيرة) لمدة ثلاثين ثانية ثم تخلص من المنقوع. استخدم الشاي نفسه او الكيس نفسه لتحضير فنجان ثان خال من الكافيين.

٣ – تناول اقراص حامض استيل ساليسايليك لعلاج الصداع لا للوقاية منه. ذلك ان جرعة كبيرة من هذه الاقراص قد تهيج المعدة.

٤ – لا تؤجل عمل اليوم الى الغد. فان تراكم الاعمال اليومية يعقد اداءها ويزيد التوتر حدة.

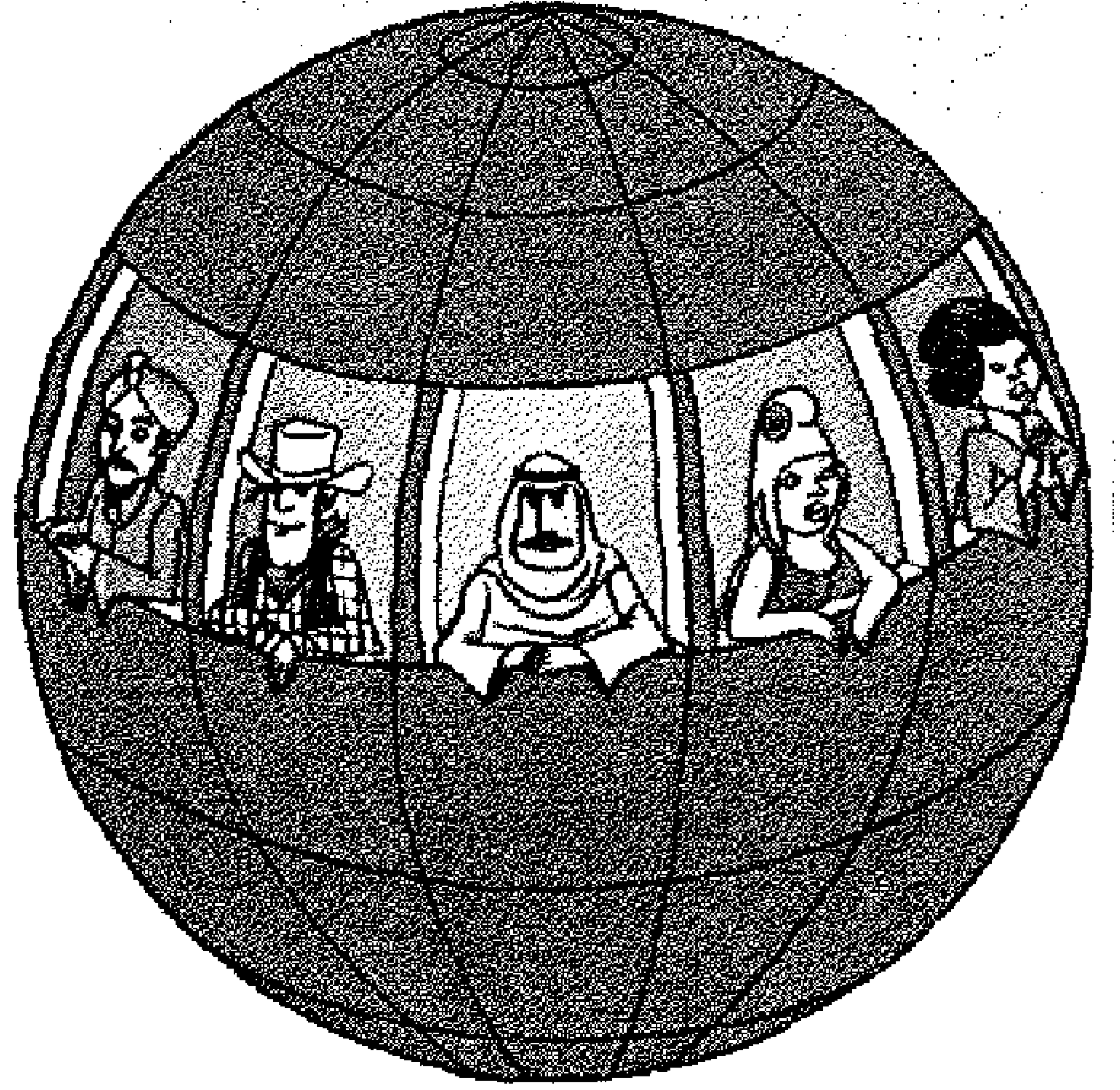
٥ – اكثر من ممارسة الرياضة التي تخفف وطأة الارهاق والتعب. العب كرة المضرب او اركب الدراجة.

٦ – وفر لنفسك فترة هدوء كل يوم لتصفية ذهنك والحد من انفعالاتك.

٧ – مارس العمل الذي يمتعك. يقول الدكتور هانز سلي مؤلف كتاب "ارهاق من دون كرب": "يجب علينا البحث عن مهنة تناسب ميولنا وتجمع بين العمل واللهو فتكون مسلية ومفيدة وبناءة". وهو يرى ان "العمل الشاق لا يؤذي اذا كان من اجل شيء تحبه. ولكن لا بد من التأكد من انك تريد هذا الشيء حقا وبذلك تكون قد راهنت على الحصان الرابح".

٨ – يجب ان تدرك ان من المستحيل الوصول الى الكمال في كل شيء. ويقول كاتب اعرفه: "كلما وجدت نفسي مندفعا لأداء مهمات عدة في آن واحد، تذكرت مثلا لسلون ويلسون، وهو مؤلف كتاب "الرجل ذو البزة الصوفية الرمادية" "لا بد للمرء الذي ينشد وقتا للقراءة والكتابة ان يدع العشب ينمو طويلا".

■ سو براودر



حكايات صغيرة من العالم

التنبه للخطر

تبين استطلاعات الرأي الاخيرة تدنياً مستمراً في استهلاك السجائر في الجامعات الامريكية. فخلال السنة الدراسية ١٩٧٧ - ١٩٧٨، بلغت نسبة المدخنين في صفوف طلبة الدراسات الجامعية الاولية ٧ في المئة فقط بالمقارنة مع نسبة الـ٤٥ في المئة لعام ١٩٦٩. وفي جامعة مينيسوتا لم تزد نسبة المدخنين من طلبة الدراسات الاولية على الـ٣٠ في المئة، فيما تدنت الى ٥ في المئة فقط في جامعة هارفارد.

م.د.

مظلة جديدة

صمم المخترع الفرنسي جيرار زيفينيه مظلة انقاذ للبنايات الشاهقة والسيارات ذات السلالم العالية وغيرها من الاماكن المرتفعة. والمظلة بسيطة ومأمونة بحيث يمكن ان يستخدمها الاطفال والمصابون وكبار السن.

انها انبوب مقاوم للاشتعال ذو شكل واسلوب عمل فريدين. ولهذا الجهاز المبتكر ثلاثة "اكمام" اصطناعية متداخلة. وقد تم تسويقه في فرنسا واسبانيا وبلجيكا وهولندا. وما على الناس عند الحاجة الا ان يدخلوا في الكم ليتزحلقوا نحو الارض. فالجهاز اضيق قليلا من الجسم البشري المتوسط، لكنه يتسع بدخول المرء فيه ويحتضن الجسم اذ يسلط عليه ضغطا مطاطيا يخفف من سرعة سقوطه.

ويمكن ان يثبت الجهاز خارج سطح بناية او سيارة ذات سلم ويطوى حتى تحين الحاجة اليه. وفي الداخل يشبك باسطوانة مضادة للحريق بحيث ان حجمه الاجمالي لا يحتل مكانا كبيرا، كما ان النسيج الاصطناعي الذي يتألف منه لا يسبب حروقا لدى احتكاك الجسم به. ويمكن ان يتزحلق من خلاله ثلاثون شخصا كل دقيقة، مما يعني ان بناية مزودة بـ٢٥ كماً يمكن ان تخلى من ٧٥٠٠ ساكن خلال عشر دقائق.

ب.ل.ب.

البرازيل الشابة

لعل البرازيل اكثر البلدان "حداثة" في العالم اليوم، اذ ان اكثر من نصف سكانها البالغ عددهم ١١٦ مليونا تقل اعمارهم عن العشرين سنة.


س.ج.هـ.

لورنس أوليفييه
سيّد المسرح والشاشة

يأبى هذا الممثل الفذّ ان ينحني امام زواحف المرض والهرم، ويهبّ في وجهها هبة ملك شكسبيري ليصارعها بضراوة ومهارة

جلس لورانس اوليفييه ذات مساء امام المرآة في غرفة تبديل ملابسه في أحد المسارح اللندنية وراح يبدّل سمات وجهه بالماكياج المعقّد الذي يتطلبه دور ريتشارد الثالث حين وصلت اليه الهدية غير المتوقعة. انها سيف من أشهر السيوف في انكلترا، نقشت عليه الكلمات الآتية: "تقدمة الى لورانس اوليفييه من صديقه جون غليغود اعترافاً بمواهبه في تمثيل دور ريتشارد الثالث على خشبة مسرح نيو تياتر عام ١٩٤٤".

وكاد اوليفييه يصعق من فرط دهشته. فأول من امتلك هذا السيف المتوارث هو الممثل ادموند كين الذي امتشقه في دور ريتشارد الثالث، ثم انتقلت ملكيته الى هنري ايرفنغ الذي برع في الدور نفسه. وبقي عظماء المسرح يتوارثونه الى ان بلغ يدي جون غليغود الذي تربّع ملكاً على عرش التمثيل طوال خمس عشرة سنة. وها هو يقدم سيفه اجلالا لتمثيل اوليفييه البارع في دور ريتشارد، متنازلا عن عرشه لملك المسرح



الجديد. وقد غدا السيف رمزا دائما لسلسلة من الاسماء الخالدة في عالم المسرح. ولكن من ذا الذي سيحظى بذلك السيف الشهير الذي لا يزال في حوزة اوليفييه؟ "لا أحد"، يقول اوليفييه، "انه ملكي".

والحق انه ليس هناك ممثل شكسبيري يحظى بمكانة اوليفييه وشهرته العالمية. ولم تشهد جماهير النظّارة بعد رجلا تغلغل الطموح في نفسه مثل اوليفييه في دور ماكبث، ولا خؤوناً يدعو الى الرثاء مثله في دور شيلوخ، ولا نبيلا ذا طباع بدائية مثله في دور عطيل. ولقد قدّم على الشاشة الفضية من اخراجه وتمثيله "هنري الخامس" و"هاملت" و"ريتشارد الثالث". ويذكره ملايين الناس رجلا نزّاعا الى التأمل والاكتئاب في دور هيثكليف بطل "مرتفعات وذيرينغ"، ومتغطرسا وسيما في دور السيد دارسي في رواية "الكبرياء والتحامل"، وزوجا للممثلة فيفيان لي في دورها الخالد "سكارليت اوهارا".

واوليفييه هو أول ممثل في تاريخ بريطانيا يصبح عضوا في مجلس اللوردات. لكنه يفضل لقبه الفروسي الادنى مرتبة، وهو "سير لورانس"، على "لورد اوليفييه". وقد نال في شهر ابريل (نيسان) ١٩٧٩، وهو في الثانية والسبعين من عمره وبعدما سلخ من حياته ٥٤ عاما في احتراف التمثيل، جائزة "اوسكار" فخرية تقديرا لانجازاته الفنية، اضافة الى الاوسكار التي نالها عام ١٩٤٦ على فيلم "هنري الخامس". وبعد ذلك بسنتين تسلم جائزة افضل ممثل وافضل فيلم سينمائي حين قدّم الى العالم فيلم "هاملت" من اخراجه وتمثيله. وقد رُشّح هذا العام في هوليوود مرّة أخرى كأفضل ممثل في العالم لدوره في فيلم "صبيان البرازيل".

واستطاع اوليفييه ان يواصل نموه وازدهاره كفنان على رغم صراعه العنيف مع السرطان والجلطة الدموية والالتهاب العضلي وانسداد الكلية واصابته مرارا بذات الرئة. وظل، كلما رمته الايام بعلّة، يهب في وجهها مكافحا بعزيمة ضارية وحماسة لا تلين.

واذ استبدّ بي حب الاستطلاع لمعرفة السر الذي مكّن اوليفييه من تدبير شؤون حياته الفنية على نحو ضمن بقاءه في أعالي قمة الفن زمنا طويلا، فقد حملت نفسي على السفر الى مدينة البندقية حيث يجري تصوير فيلم جديد للمخرج جورج روي هيل بعنوان "اقصوصة حب"، يضطلع فيه اوليفييه بدور البطولة.

وكان أول ما ابصرت لدى وصولي عدسات آلات التصوير مصوبة داخل بوابة كاتدرائية القديس بطرس باتجاه سلم في أعلاه باب صغير يخرج منه صبي وصبية ينزلان درجاته ويختفيان. واذا بي أرى اوليفييه يندفع وراءهما، حتى اذا بلغ رأس السلم وهمّ بالهبوط، صاح المخرج: "اقطع". ويتهاوى اوليفييه الى كرسيه ويجلس مراقبا الممثل البديل وهو يقفز فوق الدرجات متعقبا الصبي وفتاته. بيد ان قفزته لا ترضي اوليفييه الذي يستدعيه وينزوي به جانبا ويعلمه بتؤدة كيف يجب ان

تركض تلك الشخصية، موضحاً ما يعنيه بحركات بطيئة قائلا: "لا يكفي ان تركض، بل يجب ان يبدو لنا بوضوح انك تركض".

ويحضرني هنا ما فعله اوليفييه خلال تمثيله دور هاملت حين قفز مسافة ثلاثة امتار ونصف متر متعقبا ملك الدانمرك لقتله. اما في دور كوريولانوس فقد رمى بنفسه، اثناء مشهد احتضاره، الى الوراء فوق مجموعة متصلة من درجات السلم. وها هو الان لا يقوى على العدو الا بفكره، وهو في حاجة الى بديل.

وبادرني المخرج هيل: "لاري (وهو اسم يطلقه الناس على اللورد اوليفييه تحببا) لا يزال واهن القوى بعد مرضه الاخير. وهناك مشهد آخر يقتضي ركوب دراجة، ولكني لا اخاله قادرا على ركوبها. ولهذا صنعنا له دراجة خاصة تمكّنه من الركوب بأمان".

وبعد قليل اقترب اوليفييه وحيّاني بأدب جم، قائلا: "كيف حالك؟"

يا لشعره الذي لا يزال حالك السواد والذي صُبغ بألوان المشيب من أجل هذا الدور! اما عيناه فهما مزيج غريب من الاخضر والرمادي. وهما لا تسايران نبرات صوته ترحيبا او دفئا، بل تحدّقان اليك من دون حدقتين، كعيني سمك القرش عنفا ووعيدا. واحسست كأن في أحشائه جيشانا عاطفيا عميقا قد يتفجر بالغضب او الحب او الشهوانية او الزهد، لكنه كان قابضا على زمامه بشدة.

مسرح الصناديق الخشبية — قال موس هارت، المؤلف والمخرج المسرحي في برودواي، انه يكاد لا يعرف ممثلا واحدا لم تكن طفولته تعسة. فهل يصدق هذا التعميم على طفولة لورانس اوليفييه؟

– نعم. ولئن لم أختبر الظلم والقسوة في بيتي، الا اني كنت أتوق الى الانعتاق منهما، لان الفقر الذي كابدناه كان فقرا مستورا. وهو، في نظري، أسوأ من وجوه عدة من الفقر الظاهر في الاحياء القذرة. وغدت فكرة الولوج الى المسرح بالنسبة اليّ حلما بعيد المنال يشبه الطمع بالجنّة.

وتبلور قرار احترافه الفنون المسرحية وهو في السادسة عشرة من عمره حين رحل اخوه الاكبر ريتشارد الى الهند ليعمل فيها مزارعا في حقول الشاي:

– شعرت وقت رحيله بتعاسة خانقة، خصوصا لان امي كانت قد توفيت قبل ثلاث سنوات. وعصر رحيله استحممت في الحوض نفسه الذي اغتسل فيه والدي توفيرا للماء. وسألت والدي في تلك اللحظة: "متى يمكنني اللحاق بأخي ريتشارد؟" فأجابني: "لا تكن أحمق. أنت ستصبح ممثلا".

وذهل اوليفييه اذ لم يخطر في باله ان اباه، الكاهن الانغليكاني، يمكن ان يتفهم ما يدور في خلد ولده، حتى وان برزت نزعاته المسرحية منذ عامه السابع حين حوّل بعض الصناديق الخشبية الى المسرح الاول الذي تطأه قدماه وقدم فيه روايات من تأليفه. وقال والده: "أظن ان حب التظاهر بكونك شخصا آخر هو الخلجة الاولى التي يبدأ فيها التمثيل".

وفي العاشرة من عمره لعب

اوليفييه دور بروتوس في مسرحية "يوليوس قيصر" التي قدمتها مدرسته. واسترعى في تلك السن المبكرة اهتمام الممثلة الشهيرة ألن تيري التي كتبت في يومياتها الخاصة العبارة الآتية: "ان الصبي الذي قام بدور بروتوس هو ممثل عظيم حتى في هذه السن".

وحين بلغ اوليفييه السابعة عشرة، فاز بمنحة دراسية لمدة عام واحد لدراسة التمثيل على يد الممثلة المعروفة السي فوغيرتي في المدرسة المركزية لفنون الخطابة والمسرح. وتتلمذ بعدئذ ثلاث سنوات على خشبة فرقة "ريبيرتوري تياتر" في بيرمنغهام بين ١٩٢٦ و١٩٢٨ حيث تعلم عددا من الادوار العظيمة.

أكثر فأكثر - عاد اوليفييه الى انكلترا بعد رحلة أولية قصيرة الى هوليوود عام ١٩٢٩. واشترك، خلال عام واحد، في ست تمثيليات مخفقة ثم اختاره المؤلف المسرحي نويل كوارد للتمثيل في مسرحيته "حيوات خاصة". واختاره في وقت لاحق الممثل والمخرج جون غيلغود للاشتراك معه في مسرحية "روميو وجولييت". والطريف انهما تبادلا تمثيل الدورين الرئيسيين في هذه المسرحية، حيث كان الواحد منهما يؤدي في احدى الليالي دور روميو بينما يؤدي الآخر دور ميركوتيو، ثم يعكسان دوريهما في الليلة التالية. وبين عشية وضحاها اصبح اوليفييه اسماً تلهج به الألسن.

وبعدما أنهى الخدمة العسكرية برتبة ملازم في سلاح الجو التابع للاسطول البحري، عاد اوليفييه الى المسرح عقب انقطاع دام سنتين، وانضم الى فرقة "اولد فيك" ولعب دور ريتشارد الثالث، الشخصية المتميزة بالقسوة والطموح، عام ١٩٤٤. على ان الهتافات التي تعالت في ختام العرض الاول لم تحرّك مشاعر اوليفييه كثيرا. لكنه احسّ، في العرض الذي قُدّم بعد ظهر اليوم التالي، بانفعال عظيم بين الحضور. وعلى هذا يعلق: "للمرة الاولى منذ ١٩ عاما أحسست بما يدور في خلد الجمهور". ويخفض اوليفييه صوته ليستحيل همسا:

"أحسست بالمتفرجين يتهامسون كلما اقترب موعد ظهوري على خشبة المسرح: سيجيء الآن".

لكن اوليفييه يعتبر هذه الادوار الشكسبيرية الرئيسية "وحوشا مفترسة". وقد أشار ذات مرة الى "افتراس" تلك الادوار للممثل عندما قام بدور عطيل: "انك تهبُ هذه الادوار كل ما لديك، وتكاد مع ذلك تسمع صوت المؤلف يصيح بك: "هل سخوت بكل ما عندك؟"

يبني اوليفييه شخصيات ادواره بانتقاء خصال واساليب وافكار وصور معينة من مشاهداته، ثم يغوص بها الى عمق مجهول في نفسه حتى يجد تلك الشخصية تمتلكه من داخل. لكنه حريص على الجمع بين النزعة الفكاهية الكوميدية والنزعة المأسوية بحيث ينتزع الضحكات انتزاعا وهو يمثل مُسوخاً بشرية مثل تيطس اندرونيكوس وريتشارد الثالث. ويقول هنا: "من الاهمية بمكان لممثل التراجيديا ان يجيد فن الكوميديا، وأنا أحب الكوميديا بمقدار ما أحب التراجيديا".

وفضلا عن ذلك سئل أوليفييه: "هل يمكن ان يصبح الدور الذي تلعبه هروبا من الحياة؟"، فأجاب: "نعم. ولكم اختبرت مواقف شعرت فيها بأني "منبوذ تعس للغاية"، على حد تعبير اوفيليا في "هاملت"، أي بأني انسحق في هوة من الشقاء المطلق لان حياتي غدت نقطة التقاء بين الاشمئزاز مما اختبره في اللحظة الراهنة والشعور بالذنب لما انا مزمع على فعله. ولهذا فان قدرتك على القول "اني خلال الساعات الثلاث القادمة سأصبح كوريالينوس - لا شيئا شبيها بي او بأي من مشكلاتي الخاصة" هي لعمري نعمة كبرى للممثل.

وفكرت لدى سماعي هذا الرد بالممثلة فيفيان لي التي تزوجها اوليفييه عام ١٩٤٠، وبنضالها المحموم من أجل ان تجاري عظمة زوجها على المسرح الى أن أصيبت بمسّ انقباضي، اي بحالة اكتئاب نفسي خطر. وقد احبَّها اوليفييه أعظم حب في حياته. وظل هو بالنسبة اليها "لاري الحبيب، الجميل، المشعّ، اللامع" حتى ساعة وفاتها. ومع ذلك، فقد هجرها اوليفييه بعد زواج دام عشرين سنة وهي في السابعة والاربعين من العمر، مذهولا امام مرضها العقلي. وتوفيت فيفيان لي بعد مرور سبع سنوات على طلاقها. ويقول اوليفييه:

- قد تصل بك الحياة الى مرحلة اشبه ما تكون بالاختيار المرير وانت في قارب نجاة لا يتسع الا لشخص واحد. عندئذ تراك تنزع اليد المتشبثة بالقارب، والا هلك الاثنان معا.

ان اوليفييه لا يزال متزوجا من الممثلة المعروفة جوان بلاورايت التي انجبت له ثلاثة اطفال: ريتشارد (١٧ عاما)، تامسين (١٦ عاما)، جولي كيت (١٢ عاما). وله ابن آخر - تاركوين - من زوجته الاولى الممثلة جيل ايزموند.

- ينبري الناس الى انتقادي في الصحف حين اشترك في بعض الافلام، ويتساءلون: "لماذا يتردّى اوليفييه الى مثل هذا الابتذال؟" سأنبئك بالسبب: اني افعل ذلك كيما ادفع اقساط مدارس اطفالي وأصرف على اسرتي وأؤمن على مستقبلها. وليس في وسعي الان ان أكرّس حياتي للمسرح لانني فقدت تلك المزايا الجسدية التي يتطلبها الجهد المسرحي.

لقد بدأ صراع اوليفييه مع السرطان الخبيث (في غدة البروستات). لكنه يذكر أنه خاطب ذلك الداء بالحرف الواحد: "تبا لك. لن تفلح والله في حملي على أن أتبعك. أغرب عن وجهي".

وأصيب في وقت لاحق بجلطة دموية في ساقه اليمنى جعلت وزنها يفوق وزن ساقه السليمة بتسعة كيلوغرامات. وتبع الجلطة التهاب عضلي اعجزه حتى عن الوقوف: "حاولت ذات يوم ان أنهض بالقوة من فراشي فارتطمت عيني بطرف السرير. وخافت جوان زوجتي وظنت انني انتهيت كليا. وفعلا كدت انتهي".

وعندما أدخل اوليفييه المستشفى، توقع الجميع ان يمكث فيه فترة لا تقصر عن ستة أشهر او تسعة. لكنه

قهر المرض مرة أخرى وخرج في غضون ستة عشر اسبوعا. الا انه ابتلي بمرض آخر هو انسداد الكلية بالانسجة الليفية، مما اقتضى اجراء عملية جراحية. وهو يعلق بالآتي: "لم اتماثل للشفاء كليا بعد. ولا أزال مربوطا بأسلاك تحدث اصطكاكا في جسمي لدى الحركة. لكنني اؤكد لك بيقين ان في امكاني ركوب الدراجة".

صيحة الحرب – لم اكتشف معنى ما قاله اوليفييه الا في وقت لاحق حين ابصرت سيارة ستروين فضية رمادية تتوقف على قمة الهضبة المطلة على فيرونا، واجتليت في صندوقها دراجة عادية. وفي تلك اللحظة خرج اوليفييه من السيارة وسأل سائقه اليوناني: "هل تراه يا اوريستيس؟"

ولا شك في ان الضمير عائد الى جورج روي هيل، مخرج الفيلم، لان اوليفييه اراد ان يتجنب لقاءه تلك اللحظة. وأردف اوليفييه: "أنا لا اريده ان يحوّم حولي مثل دجاجة مهمومة تذود عن صغيرها".

والواقع ان اوريستيس سمع هذا القول للمرة الاولى يوم أبصر اوليفييه الدراجة التي صنعت خصيصا له خشية وقوعه. وهي تبدو كأي دراجة أخرى، ولها دوّاستان، الا انها تسير بمحرك آلي خفي. وهو لم يشك مطلقا في مهارة صانعيها، الا انه كرهها كره العمى من النظرة الاولى.

وبعد هنيهة اخرج اوريستيس الدراجة العادية من صندوق السيارة ووقف يراقب اوليفييه وهو يثب فوق مقعدها، بينما امسك شابان بمقود الدراجة، كل واحد من جانب. ونظر اوليفييه نحو سائقه قائلا: "دع الخوف ولننطلق!"

وانطلق الشابان معه عن جانبيه وهو لا يزال يتأرجح ذات اليمين وذات اليسار، لكنه صاح بهما: "اتركاني!" ولم يتركاه ابدا، فأطلق صيحة مدوية: "بربكما، اتركاني!" وامتدّ المقطع الاخير من الكلمة الثانية امتدادا دام ثواني عدة، حتى غدا كالصيحة المدوية التي اطلقها هنري الخامس وهو يحرض جنده على القتال في معركة "اجنكورت".

واندفع اوليفييه الى منعطف الطريق وسترته تصطفق مع الريح ورجلاه تتزايدان قوة، الى ان اقترب من نافورة يصل الماء اليها عبر قناة رومانية قديمة. وفي اليوم التالي اعاد الكرّة حتى بلغ مجال عدسات التصوير. وتوقف هذه المرة امام المخرج هيل ودراجته الاصطناعية.

وتحولت عينا اوليفييه الى لون رمادي معتم وبارد، وهو يحدّد النظر الى دراجة هيل وكأنها عدوّه المهزوم في معركة خرج هو منها ظافرا. وقال للمخرج: "لا تقلق يا بني. سأعوضهم عن هذه الدمية السخيفة".

■ كورتيس بيل بيير

لا يكفي أن تكون على صواب، اذ يجب الا تكون على صواب في وقت مبكر جدا او متأخر جدا.

جيرارد باور



أحجية القطار

كثيرا ما يكون هواة الأحاجي من المشاكسين الذين يستهويهم الجدل فيسارعون الى الاعتراض على ابداء اي حل، ولا يتوانون عن الاحتجاج لدى الايحاء بأي مؤشر الى الحل. وعلى رغم ذلك، فأن عددا كبيراً منهم يعتبرون الأحجية الآتية، المعروفة "بأحجية سميث - جونز - روبنسون الكلاسيكية"، نموذجاً رائعاً في نوعه، ينطوي في صيغته المقتضبة والمسلية في آن، على تحد للذكاء جدير بالاهتمام. والمأثور عن هذه الأحجية انه عندما حاول حلها ٢٤٠ شخصا في مجموعة واحدة، لم يوفق الى الاجابة الصحيحة سوى ستة منهم. ومع ذلك فليس في الأحجية اي "لغز" عسير، وقد تمكن كثيرون من حلها خلال فترة تراوح بين خمس وعشر دقائق. وينبغي الاشارة الى ان كل حقيقة واردة في الأحجية لها اهميتها، ولا بد من اخذها في الحسبان. وقد اوردنا الحل في الصفحة ١٠٦

واليك الآن هذه لأحجية:

"يعمل كل من سميث وروبنسون وجونز على قطار واحد وقادا،وكابحا، وسائقا - ولكن بترتيب يختلف عن الترتيب الذي وردت فيه هذه الأسماء. ومن بين المسافرين في هذا القطار ثلاثة رجال اعمال يحملون الأسماء ذاتها: السيد سميث، والسيد روبنسون، والسيد جونز:

١ - السيد روبنسون يعيش في ديترويت.

٢ - كابح القطار يعيش في منتصف المسافة تماما بين شيكاغو وديترويت.

٣ - السيد جونز يكسب ٢٠٠٠٠ دولار في العالم.

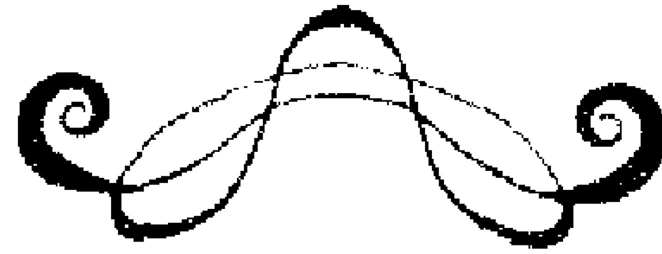
٤ - اقرب جار لكابح القطار - وهو احد الركاب الثلاثة - يكسب ثلاثة اضعاف ما يكسبه كابح القطار.

٥ - سميث يغلب الوقاد في لعبة "البلياردو"

٦ - المسافر الذي يحمل اسما مرادفا لاسم كابح القطار يعيش في شيكاغو.

فما اسم سائق القطار؟

الحل: انظر ص (١٠٦)



قبلة

بعد أن دلّت الوصيفة الحسناء في الفندق الزبون الى حجرته سألته "متى تود أن توقظ من النوم يا سيدي؟"

فأجاب المسافر: "في الثامنة صباحا، وبقبلة".

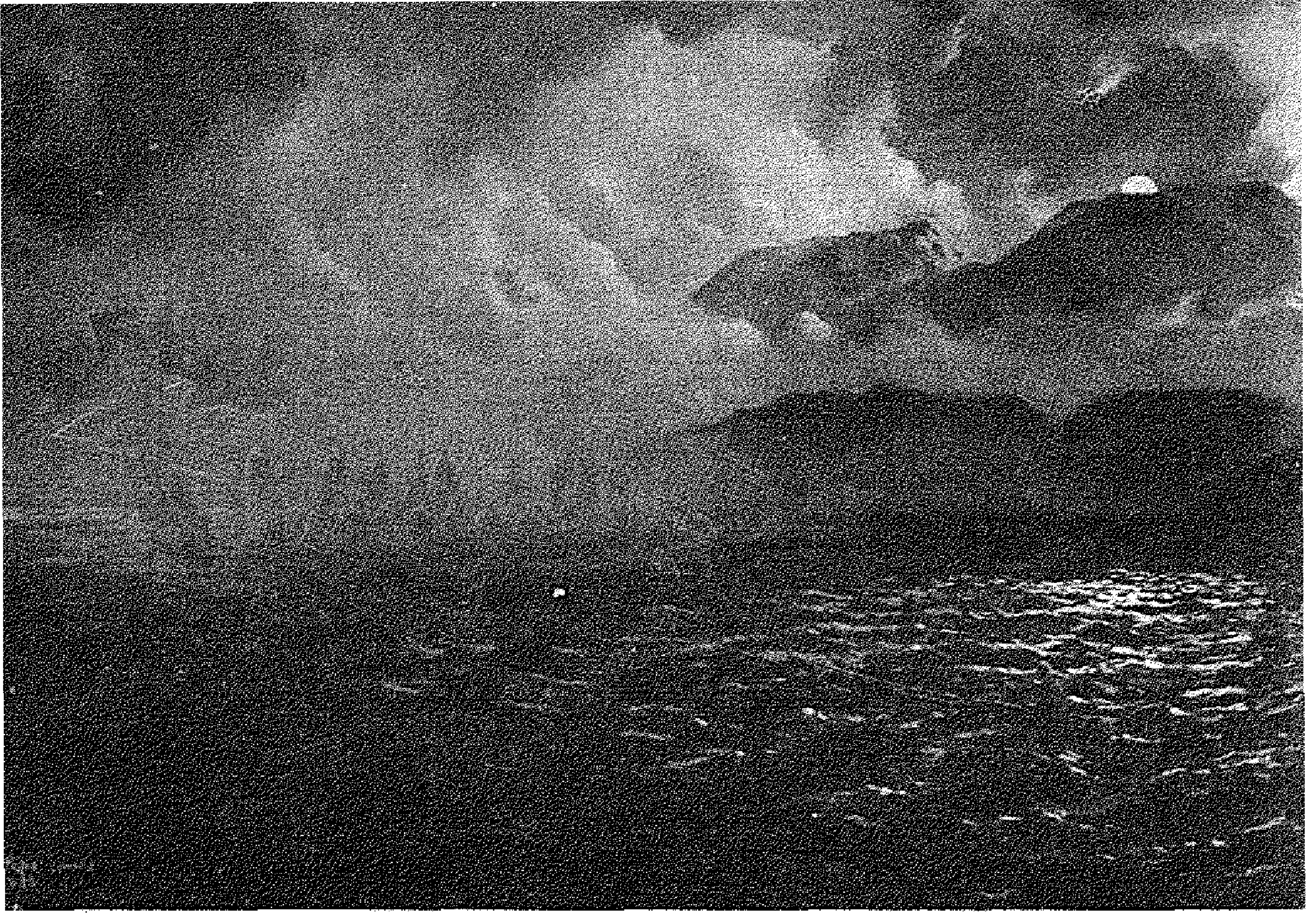
فأجابت الفتاة وهي تتجه نحو الرواق "حسنا جدا، سأنقل طلبك الى موظف الاستقبال".

الكلب الاصيل!

اضاع أخي وزوجته كلبا جميلا مدربا على صيد الطيور. واتصلا، لشدة انفعالهما، بحظيرة حجر الكلاب الضالة في المدينة وبمحطة الاذاعة وأخيرا بقسم الشرطة. وكان الضابط الذي تحدثا اليه بالهاتف متجاوبا معهما فابلغهما انهما ان لم يعثرا على الكلب خلال يومين فمن غير المحتمل أن يرياه بعد ذلك اذ أن بعض المتسكعين، كما يبدو، كانوا يلتقطون الكلاب الضالة وغير المرخص بتربيتها ويبيعونها للمختبرات التي تحتاج اليها لاغراض علمية.

فشكرت زوجة اخي الضابط وقالت انها ليست قلقة عليه من هذه الزاوية لان "كلبنا ليس ضالا. انه كلب أصيل ولدينا كل الاجازات اللازمة لتربيته". وهنا قال الضابط بلطف "أفهم ذلك يا سيدتي، ولكن هل يحمل كلبكم محفظة اوراقه؟".

م.ف.



قصة الانفجار البركاني الرهيب الذي روّع نيوزيلنده

شبح الجبل المتفجّر

في الصباح الباكر من اليوم العاشر من شهر يونيو (حزيران) عام ١٨٨٦، انفجر من دون سابق انذار جبل تاراويرا البركاني الذي كان يبدو خامدا في الجزيرة الشمالية من نيوزيلنده. وفي خلال ست ساعات دفنت الوحول مستوطنة اوروبية وقريتين نيوزيلانديتين، فاندثرت المصطبتان القرنفلية والبيضاء اللون عند بحيرة روتوماهانا، اللتان كانتا تعتبران من روائع العالم السياحية.

وربما اخطأ القائلون بأن الانفجار وقع من دون سابق انذار، حيث ان مجموعة من السياح فوجئت في ٣١ مايو (أيار)، اي قبل حدوث الانفجار بأحد عشر يوما، بحادث غريب حافل بالنذير، وهي عائدة بالزورق عبر بحيرة تاراويرا عند سفح الجبل الى مصطبتي روتوماهانا.

وهاتان المصطبتان الفريدتان اللتان تربو مساحة الواحدة منهما على هكتارين، تكونتا عبر القرون من

البلورات السيليكية التي جرفتها المياه الساخنة النابعة في المنطقة. فلون احديهما ابيض صاف ولون الثانية قرنفلي، وهما تنحدران بلطف نحو بحيرة روتوماهانا وكأنهما تراكم اقدام جبارة تتوافد على غير انتظام الى ضفافها.

كان السيّاح في حال استرخاء في زورقهم على البحيرة حين اطل فجأة على مسافة كيلومترين زورق حربي طويل خفيف يجذفه اثنا عشر محاربا ماووريا اشداء. وظل الجميع يراقبون طوال دقائق عدة هذا الزورق وهو ينسل عبر مياه البحيرة الرائعة. ولم يلبث ان اختفى في لمحة عين وهو على قرابة كيلومتر منهم. (وقد وضع شاهدا عيان اثنان، هما جوزيا مارتين والكاهن الكاثوليكي الاب كيليهر، رسوما للزورق ولركابه. وهناك الان صورة زيتية لهذا المشهد معلقة في معرض الفن في اوكلاند).

وتزايدت حيرة السياح حين عجزوا عن الحصول على أي معلومات عن سر هذا الزورق من الملاحين الماووريين الذين يجذفون زورقهم. كما ان صوفيا، الدليلة السياحية اللعينة التي ترافقهم في هذه الرحلة والتي تتكلم اللغة الانكليزية بطلاقة، كانت مراوغة غامضة في اجابتها في هذا الصدد. يضاف الى ذلك ان المجذّفين تملّكهم القلق في كلا الزورقين اللذين ينقلان السياح، وراحوا يتمتمون كلمة "آتوا" (وتعني الروح) ويرفعون رؤوسهم نحو السماء.

على ان الماووريين، ما ان وطئت اقدامهم شاطىء البحيرة حتى انطلقت السنتهم، فانتشر الخبر خلال بضع دقائق في مستوطنة تي - وايروا بانهم شاهدوا الزورق الشبح!

كان ظهور الزورق الشبح تعبيرا راسخا في اساطير قبيلة توهورانجي كنذير للموت، على رغم ان احدا من الاحياء في المنطقة لا يذكر انه رآه مرة واحدة. وفي وقت متأخر من ذلك النهار اضاف توهوتو، أكبر كهنة القبيلة سنا (عمره ١٠٤ سنوات كما هو شائع) نبوءة جديدةهي "ان تلك الظاهرة تنذر بتدمير المنطقة".

لكن احدا لم يتوقع ان يأتي الخطر من جبل تاراويرا، على مسافة ١٤ كيلومترا من تي - وايروا. كانت هناك، الى الجنوب الغربي من الجبل، منطقة تتسم ببعض النشاط الحراري، كنوافير الماء الساخن والشقوق التي يتصاعد منها البخار والفجوات الانبوبية والبرك الموحلة الفائرة. اما جبل تاراويرا، بفوهاته الثلاث القديمة العهد، فقد كان خامدا ساكنا كالموت.

وفي حدود الساعة الثانية عشرة والنصف من ليل التاسع من يونيو (حزيران)، اندلعت سلسلة من الزلازل اهتزت لها تي - وايروا، ثم تفاقمت خلال الساعة التالية. ولم يكن ذلك مستغرب الحدوث - مهما بلغت الزلازل من العنف - في منطقة حرارية مثل تي - وايروا.

غير انه لم تنقض ساعات ثلاث حتى انفجرت الفوهات التي تتوج جبل تاراويرا. وقد وصفها المشاهدون، في ما بعد، بأن السنة اللهب كانت تتعالى وتزمجر في الهواء بينما كانت الكرى النارية الحمراء تتكتل في القمم وتنقلب نحو

السفوح. وقد تسببت الانفجارات في اضطرابات جوية عنيفة تولدت منها عاصفة هوجاء اقتلعت غابة بكاملها في وادي وايروا، على مسافة ٤٠ كيلومترا من الجبل.

وسارع سكان تي - وايروا الى ارتداء ثيابهم والخروج الى العراء لمراقبة هذا المشهد الغريب.

بدا الجبل من بعيد وكأنه كتلة من لهب، حتى ان مياه بحيرة تاراويرا كانت في اتقاد توهجها تبدو كأنها نار مشتعلة، بينما كانت اصداء الانفجارات تخالط اصداء الزلازل في وقع رهيب متنافر النغمات.

وفي المراحل الاولى من الانفجار، قلما اكترث سكان تي - وايروا للخطر المحدق بهم، فكان معظم سكان القرى يظنون ان السيول اللاهبة ستتوقف، ولا شك، حيال بحيرة تاراويرا التي يبلغ اتساعها ثمانية كيلومترات. وقد ذهبت بهم الطمأنينة الى حد أن قال احدهم، تشارلز هازارد، استاذ المدرسة المحلي، لزوجته: "لن نرى مثل هذا المنظر ثانية".

وقد جاءت كلماته هذه بنبوءة مأسوية، اذ ان زوجته وابنتيه الكبيرتين كن مع انبثاق الصباح الافراد الثلاثة الوحيدين الذين بقوا على قيد الحياة في عائلة من سبعة اشخاص.

وعند الساعة الثالثة والنصف تراكمت الضغوط الهائلة في احشاء الجبل ولم تتسع فوهاته الثلاث المشتعلة، فتسببت في سلسلة من الانفجارات بلغ دويها بلدة كرايست تشيرش على مسافة ٦٧٠ كيلومترا، وأدت الى انفجار الطرف الجنوبي الغربي من الجبل بصورة منحرفة والى حدوث انشقاق مثلث الشكل في احدى الفوهات، من أعلى الى ادنى، وبالتالي الى انفتاح شق عرضه كيلومتر على بحيرة روتوماهانا. وخلال ثوان قليلة كانت البحيرة، اضافة الى المصطبتين القرنفلية والبيضاء، قد اختفت تاركة وراءها ثغرة بلغ قطرها كيلومترين ونصف كيلومتر وعمقها مئة متر.

واندفعت مياه البحيرة، الممتدة على مسافة ١١٥ هكتارا، في الفضاء الى جانب الاطنان التي لا تحصى من الوحول، ثم رست كلها في تي - وايروا. وأعقب الماء والوحل ملايين الامتار المكعبة من الحمم المنقذفة من الثغرة التي عرفت في ما بعد بشق تاراويرا.

وتلبدت سماء المنطقة بغمامة كثيفة سوداء تغافل عن أهميتها سكان تي - وايروا. ثم اخذت سيول الحمم والرماد والغبار تتساقط على الارض. فكان ذلك بداية الحلم الرهيب بالنسبة الى سكان البلدة الصغيرة.

وفي فندق ماك راي، احد فندقي القرية، لم يبعث الانفجار في البداية شعور القلق الكبير في نفوس نزلائه الاثني عشر، الى ان تراكمت الوحول والكرى النارية على السطح، فاتضح الخطر لجوزيف ماك راي، المسؤول عن الفندق، ولكن بعدما فات أوان النجاة. فقد غمرت الوحول الارض على ارتفاع يتعذر معه اجتيازها على الانسان، ولو على ظهر جواد.

وبعد نحو ساعة من الانفجار، انهار

سقف الفندق محدثا ضجة عنيفة، وحطم الطابق الاعلى· لكن سطح الطابق الارضي بقي قائما· وهنا اقترح ماك راي على النزلاء ان ينتقلوا الى غرفة الجلوس الحديثة البنيان، وان يحتشدوا فيها على رغم ظلمتها، وان يصلوا، وان يقدحوا بين الفينة والفينة عود ثقاب للتأكد من سلامة السقف·

وقبل مرور وقت طويل، بدأ هذا السقف يلتوي على نحو خطر مهدد وكانت مواجهة سيل الوحول والحجار المتساقطة في الخارج امرا يثير الرعب· غير انه كان من الواضح، في الوقت نفسه، ان البقاء في الفندق معناه الموت الاكيد· عند ذاك اندفع ماك راي والنزلاء الى الخارج، وانهارت شرفة الفندق وهم يخرجون ·

ووسط هذه الظلمة الجهنمية، رأى الناجون نورا مضيئا على مسافة لا تزيد على الثلاثين مترا· وواصل ماك راي وثلاثة من النزلاء طريقهم بجهد مستميت بين الوحول الى ان بلغوا المنزل المتين البنيان الذي تقيم فيه المرشدة صوفيا· لكن خمسة من السياح ضلوا الطريق في الظلمة· فما كان من ماك راي الا ان لف رأسه بشاله وانطلق دونما تردد الى الخارج يبحث عن المفقودين· ووجد اثنين منهم قد التجأا الى أحد المنازل، واثنين آخرين لا يزالان يسيران على غير هدى في الظلام· اما الخامس فكان جاثما تحت احدى الاشجار·

ولا بد ان تلك الليلة قد حفلت بكثير من اعمال البطولة التي لم تلق من يسجلها· وانما هناك مأساة واحدة على الاقل جرى تدوينها بدقة ووضوح:

كان المدرّس هازارد وزوجته وابناؤهما الخمسة وابن شقيقه وخادمتهما ماري الماوورية ومهندسان عابران في مسح الاراضي، هما ج·س· بلايث هاري لونديوس، قد لجأوا الى جناح السكن في المدرسة، وهو مبنى صغير، جدرانه وسقفه من الحديد المموج· وهناك راحت الفتاتان كلارا واينا تعزفان على ارغن صغير في ضوء شمعة واحدة، وتتناوبان على التراتيل في محاولة لتبديد مخاوف الاطفال الآخرين· وعندما بدأت الجدران بالانحناء تحت ثقل الوحول المتراكمة على السطح وأخذ الباب يلتوي نحو الداخل لشدة الضغط النازل عليه، حطم لونديوس احد النوافذ لفتح المجال للزحف الى الخارج· لكن السطح انهار عند ذاك انهيارا كاملا·

وقتل هازارد وابن شقيقه شارلي الصغير على الفور· وفر من النافذة كل من كلارا وبلايث ولونديوس، بينما احتمت اينا وماري بطاولة صلبة متينة·

وحين انهار السقف كانت السيدة هازارد جالسة في منتصف الغرفة، ومن حولها ابناؤها الصغار الثلاثة، واعمارهم على التوالي عشر سنوات وست سنوات واربع سنوات· وبفضل خزانة جانبية مطمورة بخزائن اخرى عالية، تمكنت من دعم الحديد الهاوي وحالت دون سقوطه على المجموعة المذعورة· سوى ان السيدة هازارد كانت مسمرة في مكانها بدعامة سقطت عليها وحطمت احدى ساقيها، فاعجزتها عن نجدة ابنائها· وقد ظلت على هذا المنوال طوال سبع ساعات تشهد بوعيها الكامل موت اطفالها الثلاثة، الواحد تلو الآخر،

اختناقا بالوحول، وهي قاصرة عن الاتيان بأية حركة.

وقد روت الام الثكلى تفاصيل قصتها الاليمة ببساطة لم تخف حدة لوعتها على رغم مر السنين: "كانت مونا ابنة اربع سنوات وكنت اضمها حينذاك بين ذراعي، فصاحت تطلب ان اخفف ضغطي عليها محافظة على صمودها. لكن الوحل منعني من ذلك، فانسحقت الطفلة وهي بين ذراعي. وناداني ادولفوس (ذو الاعوام العشرة) قائلا: "سأموت الى جانبك يا ماما". ولم يتفوه بعد ذلك بكلمة واحدة. ولم تلبث ان لحقت به فلورا الصغيرة ابنة الستة الاعوام".

وفي الصباح التالي تمكنت فرق الانقاذ من نجدة السيدة هازارد، وشفيت من اصابتها وعاشت حتى بلغت الثانية والثمانين من العمر.

واستمر الانفجار الجنوني حتى السادسة صباحا. ثم توقفت فجأة سيول الوحل بمثل ما كانت قد بدأت. وحينما خرج الناجون الاثنان والستون من منزل صوفيا ومن مباني تي - وايروا القليلة الاخرى التي صمدت طوال الليل امام العنف المتثاقل، ذهلت عيونهم لمدى الخراب المحيط بهم والذي اتسعت رقعته نحو ١٣٢ كيلومترا مربعا اصبحت دفينة تحت الوحول.

وفي بعض المناطق غاص رجال فرق الانقاذ حتى خصورهم في الوحول الرمادية الدكناء. وقد بلغت عشرة امتار سماكة الوحول التي دفنت تحتها قرية تي - اريكي الماوورية الواقعة على مسافة بضعة كيلومترات من الجبل المنفجر. كما امحت تماما قرية مورا وسكانها القبليون.

ونظرا الى تناثر سكان الريف، كانت الوفيات الناجمة عن انفجار تاراويرا قليلة نسبيا: ١٥٣ قتيلا. مع انه، اضافة الى سيل الوحول، كان الرماد يتساقط على مسافة ٢٠٠ كيلومتر من البركان، مغطياً مساحة ١٥،٨٥٠ كيلومترا مربعا، وقدر مجموعه بما يزيد على ١٥٠٠ مليون متر مكعب من الرماد.

ومع ان المصطبتين القرنفلية والبيضاء زالتا كليا من الوجود، فان السياح اخذوا يتقاطرون لمشاهدة الشقوق البخارية الهادرة وبرك الوحول الفائرة التي ظهرت في الفراغ الكبير حيث كانت بحيرة روتوماهانا. تلك كانت بحيرة ولم تعد.

على ان هذا النشاط همد فجأة بعد سبع سنوات من حدوث الانفجار، اذ راحت المياه الساخنة تتجمع الى ان اغرقت الارض تماما في فترة اسبوعين. وبرد الماء مع الوقت. وتقوم هناك الان بحيرة جديدة اسمها روتوماهانا، تعادل مساحتها عشرين مرة مساحة البحيرة القديمة، وتغطي موقع المصطبتين القرنفلية والبيضاء اللتين انطمرتا على عمق ١٥٠ مترا.

وقد استعاد الريف، الذي كان مشققا ومغطى بالوحول، نضارته وجماله. فنمت فيه الآجام والطحالب وشجيرات الصنوبر، واسدلت ستارها الحي على الخراب السابق الذي احدثه جبل تاراويرا. غير انه يصعب على المرء ان ينظر الى الجبل الساكن من غير ان يهزه الارتياع او أن يجتاز البحيرات الحالمة في ظلاله من دون ان يترقب بحذر ظهور الزورق الشبح الذي يهلع له القلب.

■ **ايفان دو لاشوميت**

الكلمات الأخيرة...

الكلمات الاخيرة التي يودع الناس بها الحياة قد تكون تلخيصا لحياة بأكملها، كما قد تكون وسيلة للاقتراب من تلك المنطقة الغامضة، المغلقة بالأسرار، التي تباعد بين هذا العالم والعالم الآخر. ففي تلك الكلمات نسمع غمغمة واعدة من الأمل ونشعر بقشعريرة من الرعب. وبعض تلك الكلمات حزين، اما بعضها الآخر فصاخب بما فيه من فكاهة. الا ان تلك الكلمات جميعا تشترك في صفة عامة واحدة، اذ يكون لها وزن القول الفصل، سواء اجرت على لسان ملك عظيم او شخص عادي، او سمعناها من فم انسان طاهر او آخر غارق في الخطايا.

"يا مخلصنا يسوع المسيح، تقبَّل روحي". هذا ما قاله الشهيد جون رودجرز وهو يحرق بتهمة الهرطقة عام ١٥٥٠.

وبعد نحو ٣٠٠ سنة، كان جون هولمز، عم الطبيب والمؤلف الامريكي اوليفر ويندل هولمز، راقدا في فراش الموت عندما مدت ممرضة يدها تحت اغطية الفراش لتتحسس قديمه. وبعدما فعلت، قالت تلك الممرضة همسا للأقارب الجالسين حول الفراش ان هولمز ما زال حيا، لانها لم تسمع ابدا "عن شخص مات وظلت قدماه دافئتين". وهنا فتح هولمز عينيه وقال آخر ما عنده: "لكن جون هولمز فعلها!"

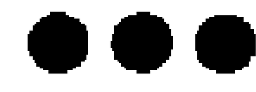
وعندما حانت ساعة الروائي الفرنسي اناتول فرانس، كانت آخر كلمة خرجت من فمه: "يا أماه!" وهو عين ما فعله راقص الباليه الروسي الأشهر نيجينسكي، اذ نادى امه، في لحظته الاخيرة، بلفظة تدليل: "ماماشا!" الا ان الموسيقار غوستاف مالر همس بصوت خافت: "موزار!"، ثم مات.

وقد كان شكسبير، الذي قال القول الفصل في اكثر من موضوع، مدركا للرهبة التي يشعر بها الناس تجاه الكلمات الاخيرة. ففي مسرحية "ريتشارد الثاني"، يقول دوق لانكستر، وهو يموت، لدوق يورك:

"يقولون إن السنة المحتضرين
تفرض على الناس الانتباه لها
كما يفعل اعمق تآلف للألحان.

فحين تغدو الكلمات شحيحة،
يندر ان تقال بغير جدوى،
لأن اولئك الذين تصعد كلماتهم من قلب الألم
لا تتفوه شفاههم الا حقا".

ومع ذلك، فان الكلمات الاخيرة يجب ان تؤخذ بمقدار من الحذر، لأن الذين تنسب اليهم لا سبيل الى سؤالهم للتأكد من صحة التصريحات الختامية المنسوبة اليهم. كما ان الاحياء ربما ابدلوا ما قيل بكلام آخر حرصا منهم على سمعة الراحل من ان تلحقها شائبة اذا ما وقف الناس على الكلمات الاخيرة التي قالها حقا.



اما الكلمات الاخيرة التي يتاح التيقن من صحتها فعلا فهي تلك التي صدرت عن المحكوم عليهم بالاعدام وهم يواجهون لحظاتهم الاخيرة. وهناك وفرة مزعجة من تلك الكلمات توقفنا على مصدر ما يسمى"فكاهات المشنقة". السير توماس مور، مثلا، الذي حكم عليه الملك الانكليزي هنري الثامن بالاعدام لأنه عارض بشدة طلاق الملك من زوجته ليتزوج سواها، طلب من الجلاد، لحظة الاعدام، ان يمهله برهة ريثما يزيح لحيته جانبا، قائلا: "هذه اللحية لم تذنب في حق الملك". اما السير



وولتر رالي، الذي حكمت باعدامه الملكة اليزابيت الاولى، فقد تحسس حد البلطة التي سيضرب الجلاد بها عنقه، وعلق بالآتي: "هذا دواء حاد المذاق، لكن فيه شفاء أكيداً من كل العلل". وأما وليم بالمر، الذي اعدم لأنه قتل صديقا له بالسم، فقد تقدم الى الباب الأفقي الذي يفتح تحت قدمي المحكوم عليه لحظة شنقه، وقال: "هل انتم واثقون من أنه آمن؟" لكن الثوري الروسي ميخائيل بستوجيف ريومين كان أقل خفة عندما انقطع الحبل عند اول محاولة لشنقه، فقال: "لا شيء يفلح أبداً في ما يخصني. فحتى هنا أمنى بخيبة الأمل".

أما ملكة فرنسا ماري انطوانيت فكانت كلماتها الأخيرة اعتذارا للجلاد اذ داست على اصبع قدمه: "سيدي، ارجو المعذرة!"، فأضافت بذلك معنى جديدا الى مفهوم التعامل المهذب بين الناس. ولكن يبدو ان حياة القاتل نيل كريم انطفأت بأسرع مما يجب، لأنه صاح عندما انفتح باب المشنقة تحت قدميه: "اناجاك..." ولم يتم قوله، مما اثار تساؤلات لا جواب عنها حول



بقية القول: هل كان "... السفاح!" يا ترى؟ اي هل كان نيل كريم هذا هو المجرم الشهير جاك السفاح ام لا؟

ويبدو أن الفلاسفة كانوا اكثر من عانى الصعوبة في تلك اللحظات الاخيرة. فالفيلسوف هيغل اشتكى قائلا: "انسان واحد فقط فهمني، وحتى هو لم يفهمني!" اما بيير غاسندي فقد عبر عن حيرة بالغة: "ولدت لا ادري لم، وعشت لا ادري لم، وها انا اموت من دون ان ادري لماذا ولا كيف".

الا ان المصور بيرجينو مات بغير توبة، رافضا ان يقضي لحظاته الباقية مع كاهن. وكانت كلماته الاخيرة: "اني اشعر بفضول الى معرفة ما يمكن ان يحدث لامرىء يموت من دون ان يعترف ويحله الكاهن من خطاياه!" اما الشاعر الالماني هينريخ هايني فقد بدا له ان ذلك لا يهم كثيرا، فمات قائلا: "سيغفر لي الله... فتلك مهنته".

وما اكثر من تجنبوا الروحانيات، فظلوا محتمين منها بمهنهم حتى النهاية. عالم النحو دومينيك بوهور، مثلا، اختتم حياته بهذه الكلمات الممعنة في التدقيق اللغوي: "انا مشرف على - أو انا في سبيلي الى - ان اموت: فكلا الاثنين تعبير صالح للاستخدام". اما المحرر المالي والناشر كلارنس ووكر بارون فكانت كلماته الاخيرة: "ما آخر الأخبار؟".

وهناك الأطباء، وهم اناس يعلمون بحكم مهنتهم ما هو موشك على الحدوث. الطبيب الاسكوتلندي جورج كومب (١٧٨٨ - ١٨٥٨)، مثلا، قال: "مما ينتابني من احاسيس الآن، يمكنني القول باني احتضر - وانا مسرور لذلك".

وكانت الكلمات الاخيرة للكاتب والناقد ج.ك. تشيسترتون تنم عن ان الرجل واجه لحظاته الاخيرة كمن يتخذ قرارا: "القضية الآن واضحة: انها خيار بين الضوء والظلمة. وعلى كل ان يختار الجانب الذي ينضم اليه". وفي حال الشاعر الالماني غوته، كان الخيار لا لبس فيه. فقد مات الشاعر العظيم وهو يقول: "مزيدا من الضوء! مزيدا من الضوء!" لكن عالم النفس كارل يونغ همس لابنه: "اسرع. ساعدني على النهوض من الفراش. اريد ان انظر الى غروب الشمس". وكانت كلمات الكاتب القصصي الامريكي او. هنري الى من حضروا لحظاته الاخيرة، بعدما طلب اليهم ان يقووا النور في الغرفة: "لا اريد ان اذهب الى بيتي في الظلام". وعلى نقيض ذلك الكاتب، قال تيودور روزفلت: "ارجوكم ان تطفئوا النور!".

●●●



وغير اولئك جميعا أناس ظلوا حتى اللحظة الاخيرة منشغلين بما كان عليهم من مسؤوليات. فالفيلسوف اليوناني سقراط كان ينازع على اثر تجرعه السم عندما رفع الملاءة التي كانت تغطي رأسه وقال لأحد تلاميذه: "كريتو! ما زلت مدينا بثمن ديك لآسكليبيوس. هلا تذكرت ان تسدد

ذلك الدين؟" لكن الجنرال وينفيلد سكوت رحل عن هذه الدنيا وهو منشغل بمسؤولية من نوع آخر. فهو طلب من خادمه ان يحسن العناية بحصانه. وهناك من حضرتهم المنية فكان شغلهم الشاغل ان يموتوا وقوفا، كالأسقف جون وولتون الذي جعل من حضروا موته يساعدونه على الوقوف، "لأن الاساقفة يجب ان يموتوا وهم قائمون على اقادمهم". وقد فعل، كما فعل قبله الامبراطور الروماني تيتوس فلافيوس فسباسيانوس ("لأن الاباطرة يجب الا يموتوا الا وهم وقوف") ولويس الثامن عشر ("ان الملك يجب ان يموت وهو واقف"). وعلى عكس هؤلاء جميعا كان جيمس ماديسون، الذي ختم حياته بقوله: "اني احسن الكلام دائما وأنا راقد".

وبدا الموت، بالنسبة الى بعضهم، خاتمة غير متوقعة لما كانوا منهمكين فيه. اللورد بالمرستون، رجل الدولة الانكليزي (١٧٨٤ - ١٨٦٥)، مثلا، قال لطبيبه ساخطا عندما صارحه هذا بخطورة حاله: "اموت، يا عزيزي الطبيب؟ هذا آخر شيء ازمع على فعله!" اما الممثل دوغلاس فيربانكس فقال: "لم احس في اي وقت بأني افضل حالا مما انا الآن". ومات بعد تلك الكلمات. وعندما اتهم غودوين، "ايرل" مقاطعة ويسيكس البريطانية، بقتل اخيه، اجاب انه بريء. ولكي يبرهن على براءته قال: "سأثبت لكم اني بريء اذ ابتلع هذه الكسرة من الخبز". غير ان الكسرة وقفت في حلقه، فاختنق ومات. وفي معركة ساسباخ عام ١٦٧٥، صاح الجنرال الفرنسي هنري فيكونت تورين: "ليس في نيتي ان اقتل اليوم!" وبعد ذلك بثوان، اصابته قذيفة مدفع بجراح مميتة.



وغالبا ما تكون الزوجات هن اللواتي يسمعن كلمات ازواجهن الاخيرة. الصحافي الامريكي و. و. ماكنتاير (١٨٨٤ - ١٩٣٨)، مثلا، طلب من زوجته هذا الطلب الاخير: "هل تسمحين بأن تستديري الى هذه الناحية؟ اني احب النظر الى وجهك!" اما الرئيس جيمس بولك فهمس قائلا: "احبك، يا سارة، احبك!" وتبدو كلمات نابوليون الاخيرة كما لو كانت اشادة بسطوة امرأة واحدة. فقد تتابعت هذه الكلمات من فمه: "فرنسا... الجيش... قائد الجيش... جوزفين".

غير ان للنساء مشاغل اخرى. فالكونتيسة فونتين - مارتل، التي كانت ممن قدموا الرعاية الى الفيلسوف الفرنسي الساخر فولتير، شغلتها لحظة وفاتها خواطر ارضية للغاية، اذ قالت: "حمدا لله. فأيّاً كان الوقت، هناك في مكان ما ملتقى للعاشقين!".

■ توماس بيديل

كل افريقيا في داخلنا

هذا تقدير رمزي للحيوانات البرية وللعظات التي تلقيها علينا جميعا

احببت الادغال والصحاري في افريقيا اكثر من حبي لاي جزء آخر في العالم. وهذا الحب، في ما بداء قد عبر عنه تعبيرا رائعا طبيب القرن السابع عشر والمؤلف السير توماس براون الذي يقول: "اننا نحمل في داخلنا الاعاجيب التي ننشدها من خارجنا: ففينا تكمن كل افريقيا بما فيها من معجزات ومآثر".

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية التي دامت بالنسبة الي تسع سنوات، وجدت نفسي محمولا على العودة الى ذلك الجزء من افريقيا الذي يقع في محاذاة نهر ليمبوبو، قريبا من حدود جنوب افريقيا المتاخمة لموزامبيق.

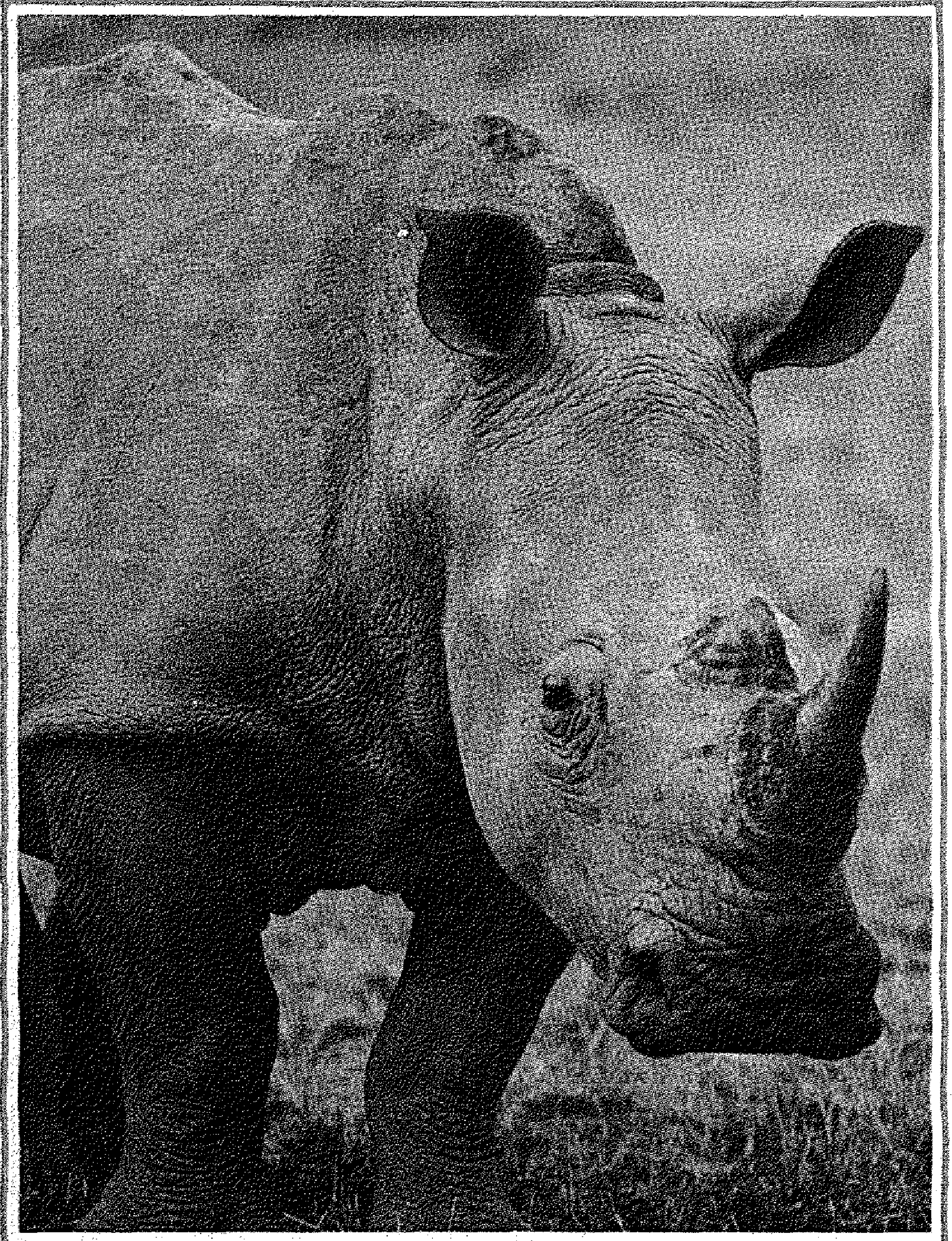
وصلت في احدى الامسيات وضربت خيمتي، ومن ثم تركت خادمي الافريقيين اللذين كانا يساعدانني في طهو وجبة العشاء ومشيت في اتجاه ثقب مائي قريب.

وفي اللحظة التي وقفت هناك خرج من الدغل في اتجاهي ظبي افريقي بري هائل الحجم مهيب له قرنان لولبيان رائعان، وقد توقف فرآني ومن ثم القى برأسه الى الوراء ومد انفه الى الامام وتنشق الهواء الذي بيني وبينه، وشعرت من فوري - يا الهي - بانني قد عدت الى بيتي، كما لو ان الحرب في تلك اللحظة قد انزاحت عني اشبه بالقيد الذي كان يثقلني ثم سقط بكليته.

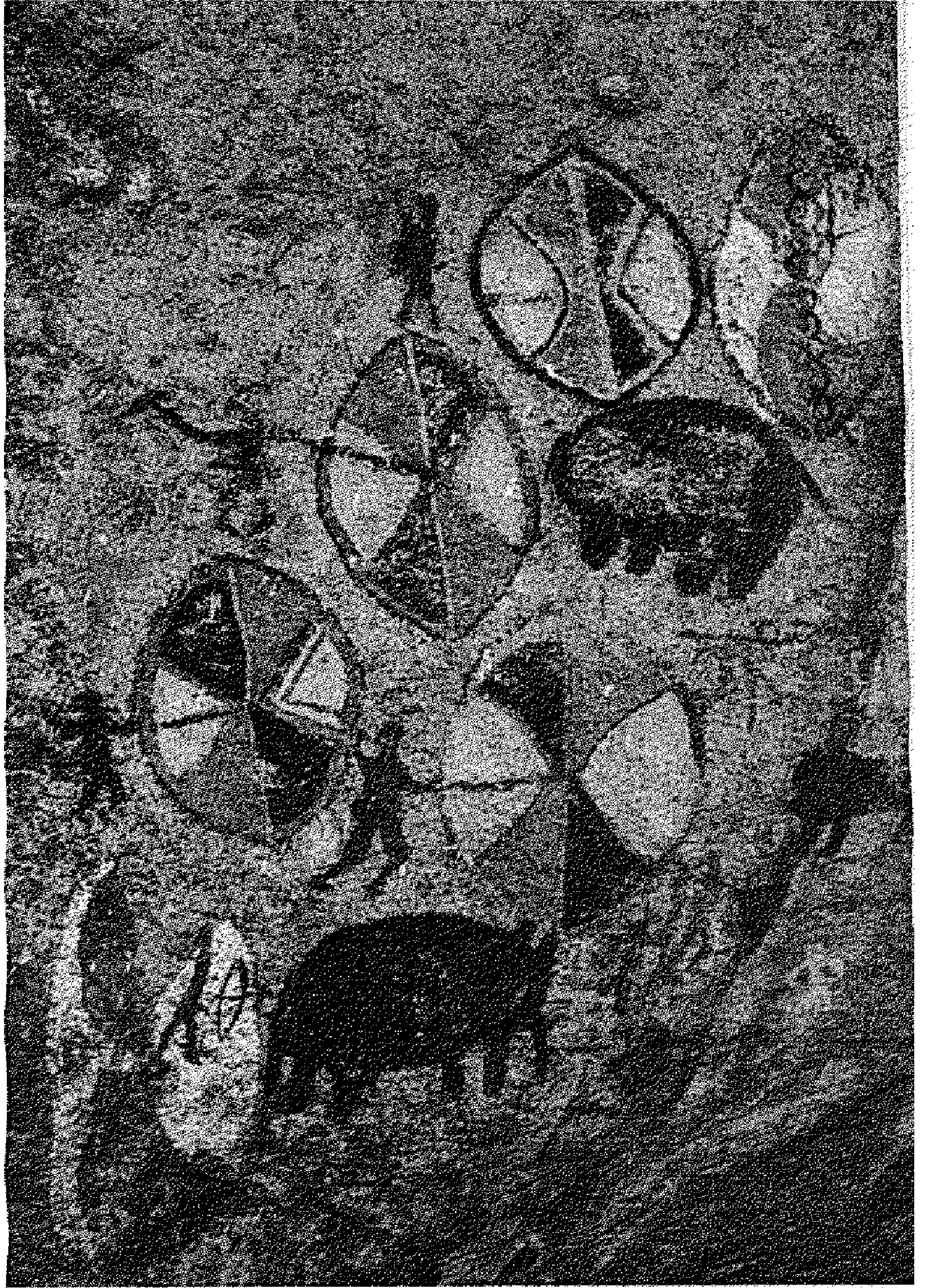
وبعد هذا اللقاء مع الظبي الافريقي بدا لي ان كل شيء بغيض ومدمر وسلبي قد اخذ ينحسر عني بالتدريج. وراقبت الحيوانات بجمالها ورقتها وباحترامها بعضها للبعض، تتحرك داخل الدغل، وشعرت بانني قد استعدت شيئا شبيها بذلك الى نفسي. وما وجدتني قد توحشت بفعل الطبيعة كما انني لم اجد الطبيعة حمراء قانية ظفراً وناباً، بل شعرت باننا نحن الذين اسقطنا عليها مساوئنا اللاانسانية.

الشعور بالغرابة - فمنذ البداية كانت حياة الحيوانات في افريقيا زاخرة في وفرتها وتنوعها حتى انه حيثما ذهب الانسان الاول لم يكن

CONDENSED FROM A TALK ON BBC 2 «THE WORLD ABOUT US» AND PRINTED IN «THE LISTENER» (FEBRUARY 11, 1976)



وحيد القرن العريض الشفتين الذي يقتصر وجوده الآن على حدائق الحيوان المكشوفة .

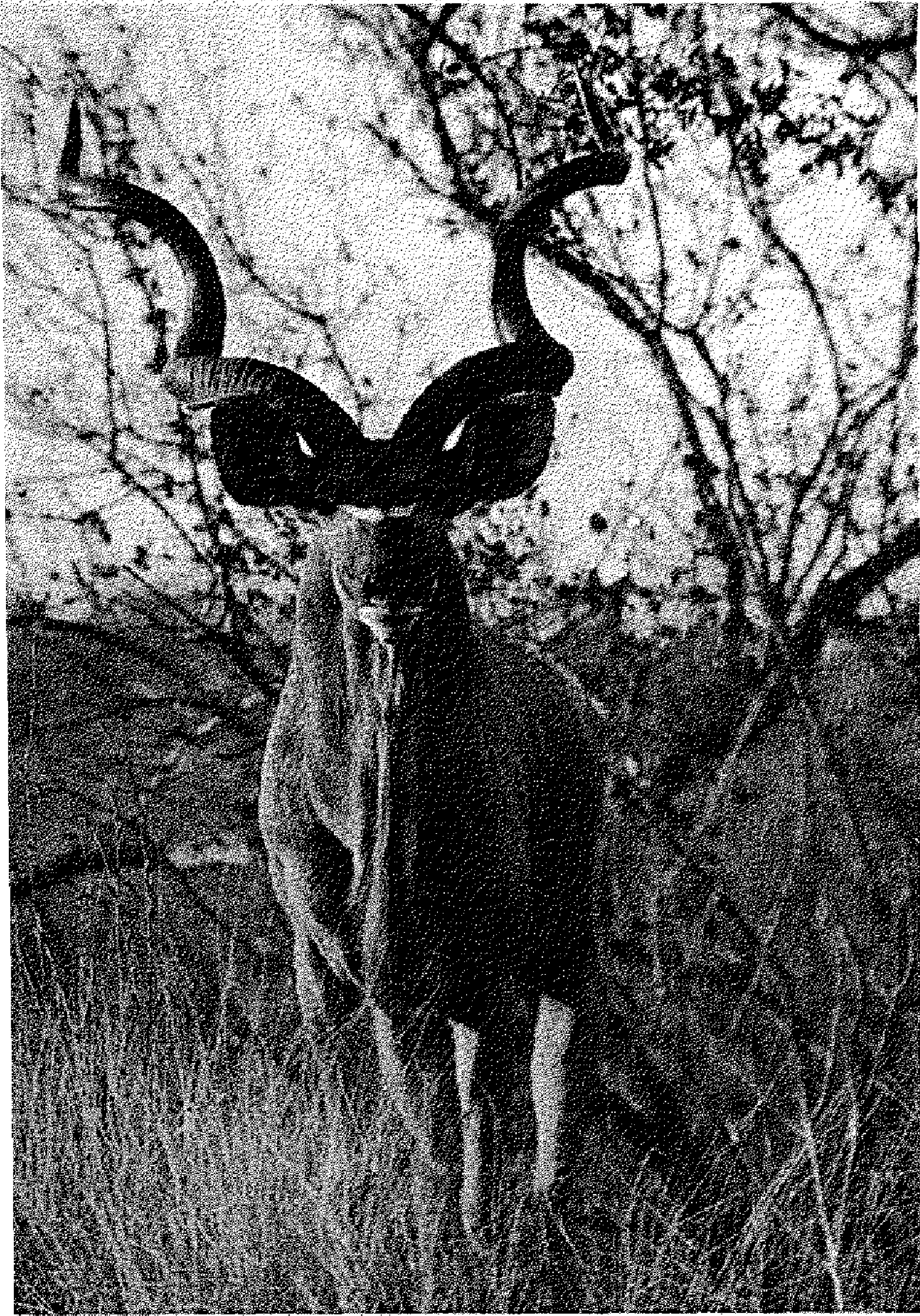

نقوش في كهوف سيرنجتي تعود الى مئتي سنة.

التنوع في طبيعته الخاصة واصبح اكثر ادراكا لحقيقة نفسه، واحرز بالتدريج درجة اعلى من الوعي.

واول دليل على هذه العملية هو ان الانسان البدائي قد رسم بالاصباغ اول ما رسم حيوانات مفعمة بالحياة اكثر من رسمه لنفسه. ورسم مشاركاته في الطبيعة على نحو بالغ الرقة والدقة والجمال حتى ان صخور افريقيا تحولت بذلك الى قاعات عظمى لعرض الفنون.

وكانت بواكير هذه المشاركة اولية وعملية ترتبط بكفاح الانسان من أجل البقاء. فقد كان الانسان، مثلا، يهتدي بالحيوانات لايجاد الماء في اوقات الجفاف. وعلى رغم ان مجاري الانهر الكبيرة كانت تبدو جافة، فان قدرة الحيوان على الشم دلت على وجود الماء في مكان ما في جوف الارض وقد اختزنته الطبيعة في منأى عن وطأة الشمس وحرارة القيظ.

واما تأثير العامل الطبيعي على عقل الانسان فاننا نتلمسه في القصص المستوحاة من شعور التعجب والدهشة. فما الذي اعطى الزرافة شكلها الفريد المتميز؟ وما هو الصدى الذي اثارته طبيعة الزرافة وحيدا متفردا في حال من الاحوال، وانما كان على قاب قوسين او ادنى من بعض الحيوانات ترقبه بعيونها الساهرة. وبالتالي، فقد تطور لديه شعور بالقرابة واللحمة والانتماء، واصبح هذا الانسان مثيلا لها قلما يرتكب القتل الا في سبيل غذائه. ومن خلال تنوع الحيوانات وطريقة تصرفها، عرف الانسان مقدار


الظبي الافريقي الخجول، بقرنيه اللولبيين.

في روح الانسان البدائي؟ وقد قال قاطنو الادغال ان الروح الاعظم "نكسهو - نكسهو" هو الذي صمم الزرافة او ذاك المخلوق "القديم الاعلى من الاشجار"، كما يسمونه، على هذا الشكل وزوّدها بقلب من الفضول لكي ترقب كل شيء في الحياة. وفي البدء، حين لم تكن الشمس تعرف طريقها عبر السموات، قذف "نكسهو - نكسهو" باعظم زرافاته على حافة الليل لكي تترقب خطوات الشمس. وهناك انتصبت الزرافة في نوبة الحراسة ساكنة وسط مجرة الكواكب المسماة الصليب الجنوبي، حيث من خلالها تحول الفضول وحب الاستطلاع فاصبحا هما القاعدة السماوية لمدار الشمس.

وقد استثارت الطيور اعجاب الانسان بما رآه منها من فن في بناء الاعشاش وروعة في تناغم الالحان ومرونة الانطلاق في الطيران، فاشعلت لديه حاسة الدهشة الخلاقة. وما لبث الطائر ان اصبح رمز وحي الانسان وقوة الابداع الكامنة في اعماقه. وهذا ما حدا، مثلاً، بالزعيم الافريقي الى تركيز ريش الطير على العصابة التي يلفها حول رأسه باعتبار ذلك دلالة في اعين شعبه على امتلائه بالافكار الملهمة. وكلما تعالى الالهام ازداد حجم الطائر المختار.

الثور والارض ـ ولقد اندمج الانسان في الطبيعة الى حد اصبح معه يرى المطر وكأنه ثور هائل يتكوّن من انفاسه ضباب الصباح وهو هابط من السماء ليضاجع الارض بكونها امرأة





طائر الحباك أسود الرأس ...

... ونسيبه ذو الراس الاحمر .

زرافة في سهل عند سفح جبل كيليمنجارو (تنزانيا) .

من السلالة الاولى. وقد تسببت العلاقات بين تلك المرأة البدئية الارضية وذلك الثور البدئي الذي كان المطر، في ايجاد الحياة النباتية وتزويد الكائنات الحية جميعا بالغذاء.

وقد كانت مصادفة الانسان للمطر والعواصف باعثاً له على تحقيق درجة جديدة من التواضع. لكن هذا السلام والتناسق وهذه العلاقة العريقة بين الانسان والحيوان والطبيعة، قد اقتُطعت اوصالها فجأة وفي صورة وحشية قاسية لدى ظهور الانسان الاوروبي. ومن سخرية الاقادر ان يتم ذلك بمساعدة حيوانات اخرى مثل الحصان والكلب. لقد حدث ذلك اولا في جنوب افريقيا منذ ما يقرب من ٣٠٠ عام. وقرابة منتصف القرن التاسع عشر تغلغلت ظاهرة انسانية جديدة الى قلب افريقيا الجنوبية وهي ظاهرة الانسان القاتل في سبيل المكاسب او لمجرّد متعة القتل.

وقد عجز الانسان في ما بعد، على رغم مشاهد الجمال والدهشة، عن كبح شهوته الجامحة للقتل. وقد دلل ذلك كله على مدى ما فقده الانسان الاوروبي من الاتصال ليس مع الطبيعة في العالم من حوله فحسب بل ومع طبيعة نفسه الخاصة فكان ذلك نذير تطور بتري مؤذ في روحه ادى الى تدمير النفس الجماعي الذي اضطلعت به الحرب التي ساهمت فيها انا شخصيا. وبدهي ان يكون الانسان الحديث قد فقد الآن كليا تقريباً شعور الاحترام والاعجاب بسائر الكائنات، صغيرها وكبيرها، التي بقيت حية من سكان افريقيا الاصليين.

ولقد كان من حسن الحظ، ان جاء بين الغزاة الاوروبيين رجال هالهم الرعب والخطر في ما كان يحدث آنذاك: انواع كاملة من الحيوانات قد تلاشت او باتت عرضة لخطر الانقراض. فبدأت معركة الحفاظ على ما بقي من هذا الفيض في وطني جنوب افريقيا. بدأت المحاولة اولا بحماية لوحيد القرن الابيض الذي عاش في ما مضى في كل مكان من اغلبية افريقيا الجنوبية، وفي ايام طفولتي كانوا يظنون ان قرابة عشرة من هذا الحيوان النادر باقية متخفية في هضبات ارض الزولو، وقد افضت المعركة الى نتيجة بات معها الوحيد القرن الابيض اليوم رمز القصة الناجحة في مجال حفظ الحيوان.

وهناك مغزى له دلالاته العظمى بالنسبة اليّ، وذلك ان يكون الوحيد القرن الابيض هو الذي ايقظ ضمير الانسان واحيى احترامه الضائع للحيوان المتحدر من عصر الدينوصور والحيوانات المنقرضة. وتبين من خلال تصرفه المبهم، ان هذا الحيوان كان المنبوذ الاعظم من بين الحيوانات المنبوذة في زمننا.

ولقد كان افتقارنا الى تفهمه لا يقل عن تخوفه منا. وكل منا يعرف حتى هذا اليوم ان اي خطوة نحوه قد تبعث على سوء الفهم.

غير انه من دواعي الغبطة ان تضرب ارض افريقيا نفسها مثلا يحتذى لتفادي ذاك الطراز من النبذ المتمثل في الوحيد القرن الابيض.

■ **لورينز فان دربوست**

لورينز فان دربوست حامل وسام الامبراطورية البريطانية. كاتب، روائي ورحالة عالمي.



هذه الموسيقى التي لها فعل التنويم المغناطيسي اسفرت عن اكبر انقلاب في الاذواق منذ بدء الموسيقى الشعبية

حمّى الديسكو

اهتزاز والتفاف وترنح - ذاك هو الديسكو الذي وجد ليبقى. وسواء اسميناه "ذا الخطوتين" او "الزنجي الآلي" او "المهووس الفذ"، فان الكثيرين منا يستسيغون الاستماع الى قارعي الطبول الذين يحثون على "الرقص والمزيد من الرقص".

لقد بدأ الديسكو لثلاث سنوات خلت وكأنه "صرعة" جديدة سرعان ما سيمحي بريقها، خصوصا لانها اعتمدت خفض اللحن والصفة الغنائية الى ادنى حدّ ممكن، وابراز الايقاع

بضربات قوية ذات رتابة مثل انتظام ساعة الايقاع ولجاجة مثل نقر الطبول المحرضة على الحرب.

وبخفة ساحر غزت هذه الموسيقى قلوب اناس من مختلف الطبقات والاعمار، فأخذت بألبابهم وحركت اقدامهم، متخطية تخوم عشاقها الاولين من الزنوج والاسبان وغيرهم من المستهترين او المؤرقين. ثم جاء جون ترافولتا بفيلمه السينمائي الناجح "حمى ليلة السبت"، فأضفى على الديسكو طابع الاحترام وأكسبه مكانة مرموقة على رغم ضعة بداياته، مؤكدا ببساطة على ان هذه الظاهرة ما هي في الحقيقة الا صناعة يقدر رأسمالها بمليارات الدولارات.

انقلاب في الاذواق – واتسع نطاق الديسكو حتى شمل النوادي على اختلافها وقاعات الرقص والحفلات العامة الموسيقية، وحتى النزهات النهرية وحلبات التزلج على الجليد. واقتحم البيوت عن طريق الراديو والتلفزيون اللذين يبثان موسيقى ذات ايقاع هادر تكاد لا تنقطع اطلاقا.

ثم انتهك الديسكو الحدود الاقليمية، فتسرب الى الصين حيث احيا المدعوون الصينيون الى احتفال السفارة البريطانية في بكين رقصة سموها "هزّة بكين". ولعل خير من يوجز لنا الوضع بوضوح ريك ستيفنز، نائب رئيس شركة "بوليدور ريكوردس" الذي يقول: "اننا نجتاز الآن اكبر انقلاب في الاذواق منذ بدء الموسيقى الشعبية".

برز الديسكو، على غرار "الروك" سابقا، كرّد فعل متمرّد على موسيقى "البوب" التي فقدت مع الأيام سحرها وقوتها. وبدأ الناس، على حدّ قول نيل بوغارت، مدير شركة اسطوانات "كازابلانكا"، يشعرون بالحاجة الى موسيقى ذات مزاج جديد لانهم سئموا الانصات الى عازفي القيثارة الالكترونية وارادوا ان يصيروا هم انفسهم نجوما. ويضيف جون باريكهال من "هيئة الاتصالات المشتركة"، وهي مؤسسة تعنى بدراسة الاتجاهات الثقافية ومركزها تورنتو في كندا، قوله: "وجدنا الناس يتوقون الى المزيد من الحماسة بالاشتراك الفعلي، والديسكو يهيىء لهم ذلك بيسر".

اصالة وتجديد – ان الديسكو تجربة جسدية، لا عقلية، توفر ايقاعا قويا من غير سوداوية او استرسال وراء الاحلام والتفكير. ولئن بدت "صرعة" مستحدثة، الا انها في الواقع وليدة عناصر قديمة مألوفة. فقد اقتبست عن الموسيقى اللاتينية آلاتها النحاسية وخفقة ايقاعها الحسي، وعن موسيقى الستينات ما يعرف باسم "موسيقى الرعب"، على غرار ما الّف جيمس براون وسلاي ستون من الحان تعتمد وتريات القيثارة الجهورية العميقة. واخذت عن الموسيقى الافريقية - الكوبية ما يسودها احيانا من "تعويذات سحرية"، ولا سيما في الترانيم الدينية البدائية، وعن "الروك اند رول" صيحات آلة السكسوفون وايقاعها الكئيب.

لكن الديسكو، فضلا عن هذه التأثرات، رمى الى ابراز حركة ايقاعية رئيسية تتردد فيها ١٢٥ خفقة او ضربة في الدقيقة الواحدة.

ولا يخفى ان مثل هذا الايقاع السريع قادر على استيعاب اي اسلوب غنائي مهما كان نوعه.

وهكذا نجد انه، وان تعددت اساليب المنتجين الموسيقيين، فالسبيل الى تسجيل الديسكو واحد لا يتبدل. واعظم ما فيه هو تسجيل الطبول ذات الطبقة العميقة الجهورية وما يرافقها من نقر جهوري ايضا على اوتار القيثارة، ثم تجميع ما يقرب من ٤٨ تسجيلا من اصوات اصطناعية وطبيعية على مختلف الآلات، الى ان تضاف في النهاية الاصوات البشرية كطبقة اخيرة. اما دور العازفين - سواء اكانوا عازفي الكمان في فرقة نيويورك "الفيلارمونية" او المصفقين بالأكف المحترفين - فلا يعدو كونه دورا شكليا لا ابداع فيه، لأن كل ما في الامر هو متابعة النوتات الموسيقية ومجاراة ايقاع الطبول المنساب الى آذان العازفين بواسطة سماعات الاذنين. ولهذا، فهم في الغالب لا يدرون شيئا عن النتاج الاخير لاعمالهم. وقد تقتصر مثل هذه المعرفة على المنتج الموسيقي وحده. ومن العازفين المتعاقدين مع المنتج من لا يعرف حتى اسم الشركة او اسم الاسطوانة التي تتضمن اعماله.

الصوت المميز للديسكو - واخيرا يحين دور الخطوة النهائية التي يتمخض عنها الصوت المميز للديسكو حيث الجمع والموازنة بين مختلف التسجيلات المنفردة. ولما كانت جميع التسجيلات تستخدم آلات وترية ونقرية مماثلة، فان مهمة المنتج الموسيقي هي اختيار صوت متميز رئيسي تتعلق به الاصوات الباقية ويكون له فعل التيار الكهربائي في اجساد الراقصين.

وكثيرا ما يسفر هذا الجمع بين الصوت الرئيسي في التسجيل والاصوات الباقية عن تكوين فسيفساء موسيقية نسجت الوانها من دغدغات الطبول الصغيرة وقرع الطبول الكبيرة واصطكاك الصنوج وضربات الدفوف، وحتى فن الصفير. لكن المحك هو سحرها ونجاحها على حلبة الرقص. وغالبا ما يعتمد النجاح على مواهب المذيع الذي يقدم الاسطوانات. ويقول رئيس احدى الشركات الموسيقية الكبيرة: "لا تمكن المبالغة في اعطاء الاهمية لمقدمي الاسطوانات خصوصا في النوادي، وان كانوا هم الذين يرصدون حقا اذواق الناس".واذ يرى هؤلاء ارتعاش الراقصين وتمايلهم بعنف مع وقع النغمات، يدركون انهم حققوا نجاحا هائلا. اما اذا لم يستجب الراقصون، ففي ذلك اخفاق وخيبة مؤلمان. وقد يعبر الراقصون عن رأيهم بصيحات السخرية والاستهجان. وعندها تطلق على تلك الاسطوانة صفة "الجامدة"، كما يقول كوري ويد، المنتج الذي يعمل لحساب شركة "تي. كي. ريكوردس".

ان المشتركين في الديسكو، بمن فيهم المنتج ومهندس الصوت والراقص، نجوم يلتمع ضوؤها في اي احتفال. ولكن ماذا عن العازفين والمغنين؟ أليس بينهم من هو نجم لامع؟ كلا، اللهم اذا استثنينا نجمة واحدة من لحم ودم هي دونا سومر. ولكن حتى هذه النجمة يتعذر ظهورها

في اي احتفال، لانها تحتاج الى ٢٥ معزوفة اوركسترالتقديم موسيقاها.

ولئن انعدمت الشخصيات البارزة في الديسكو، الا ان هذه الموسيقى انتجت اساليب فنية متميزة تتردد اصداؤها من صداح ليندا كليفورد وافلين كينغ المثير الى فجور صيحات اليسيا بردجز على نمط "الروك" في الحانات، ومن الابتهالات الدينية الزنجية المتميزة بالشهقات والشكوى الى الحزن الحريري في صوت شيريل لين فالى اصوات مجموعات مثل "فيلاج بيبول" التي تحاكي ايضا المفهوم الاوروبي للشخصيات الامريكية، الى محاكاتها عددا من الشخصيات المستهترة المعروفة. وقد استطاعت هذه المجموعة، بفضل ما قدمته على شاشة التلفزيون من عروض مفعمة بالحركة والايقاع القوي والاصوات التي تشبه صرخات لاعبي الكاراتيه، ان تبيع عشرة ملايين نسخة من اسطواناتها عبر العالم.

ان الدافع الذي يحفز الانسان على الرقص هو الذي يمهد طريق الثورات في الموسيقى الشعبية. وكما ان رقصة الجيتر باغ" المحمومة هي التي بعثت موسيقى "السوينغ" خلال الاربعينات، هكذا وجد الهز والترنح في العقد الحالي منطلقاومتنفساله في موسيقى الديسكو، وراحت كبريات شركات التسجيل تضخ ملايين الدولارات لتأسيس اقسام جديدة خاصة بالديسكو. وقد يكون نات فريدلاند من شركة "فانتازي ريكوردس" محقا في توقعه "ان يظل الديسكو العامل الرئيسي في اسواق الموسيقى وقتا طويلا".

■ **ملخص عن مجلة "نيوزويك"**



منافسة

بعدما وجد صاحب دكان صغير في نابولي محله محاطا بمخزنين ضخمين، اسم الاول "اضخم معرض في نابولي" والثاني "اضخم مخزن في ايطاليا"، لم يجد بداً من كتابة اللوحة الآتية امام دكانه: "المدخل الرئيسي".

ا.ب.

انتقام

كلما عاد توم الى بيته في المساء، وجد زوجته في انتظاره وقد وضعت خفّيه امام الموقد وأعدّت له صحنا كبيرا من الحساء الساخن.

وذات يوم ذهب الى عمله في الصباح بعد مشاجرة بسيطة مع زوجته. وحين عاد مساء لم يجد حساء ولا خفاً. فقال لها من دون ان يبدو عليه الامتعاض: "حسنا، سأصنع حسائي بنفسي اذا شئت، ولكن اين خفّي؟"

فأجابت الزوجة ببرودة: "في الثلاجة".

ج.ل.ج.



صانع المانيا الحديثة

اختصر بسمارك موقفه بجملة واحدة شهيرة: "إن قضايا العصر الكبرى لن تتقرر بالقاء الخطب وبالاكثريات النيابية، وانما بالدم والحديد"

كان، خلال جزء كبير من سيرته، يحتل بسهولة رأس اي قائمة توضع للسياسيين المكروهين وحين علم وزير خارجية امبراطورية النمسا والمجر ان احدى مكائد هذا الرجل اخفقت، ضرب طاولة مكتبه ثلاث مرات بقبضة يده. كما ان ولية عهد بروسيا كتبت الى والدتها الملكة فيكتوريا في انكلترا: "انه لا يمضي يوم لا يعمل فيه هذا الرجل الخبيث بنشاط من اجل الحرب، محرفا كل شيء لخدمة غرضه الخاص".

ان المستهدف من هذا العداء الشرس كان اوتو فون بسمارك، الذي حكم بروسيا، ثم الامبراطورية الالمانية، نحو ثلاثين عاما. لقد كان، بوجهه الضخم ذي الشاربين الكبيرين، وبقامته المديدة التي تزيد

على متر وثمانين سنتيمترا، وبعينيه الزرقاوين الشاحبتين تحت حاجبيه الاشعثين، ينظر ببرودةالى منتقديه. في حين كان صوته الرقيق العالي يوجه الاحتقار الشديد لاولئك الذين يعترضون طريقه. ولا يزال بسمارك يعرف حتى الآن بذلك البروسي المتجهم بخوذته المرززة. كما أن موقفه لا يزال يختصر بجملة واحدة شهيرة هي: "ان قضايا العصر الكبيرة لن تتقرر بالقاء الخطب وبالاكثريات النيابية، وانما بالدم والحديد".

وليست هذه الصورة خاطئة بمقدار ما هي غير كاملة. لقد كان بسمارك شديد التعقيد، لا بل شديد التناقض. فقد بنى الجيش الاكثر كفاية في اوروبا، ولكنه، الى جانب ذلك، بقي عميق الشك بالعقلية العسكرية. صحيح انه دفع النمسويين، والفرنسيين بعدهم، الى حسم عسكري، لكنه لم يفعل ذلك الا حين ادرك ان كلتا الدولتين ترغبان في ابقاء المانيا مجزأة وضعيفة. وكان ينظر الى بروسيا كوطنه الأم، ومع ذلك فانه حقق الوحدة الالمانية بالجمع بين الولايات الالمانية التسع والثلاثين المتباينة، المتحاسدة، في امة واحدة.

رجل التناقضات - في الحقل الداخلي، كان بسمارك السياسي الواقعي الاول. فهو على استعداد للتعاون مع اي معارض قد يساعده موقتا على تحقيق برامجه. لقد كان هذا السياسي المحافظ غير متعصب لمبدأ او نظرية، بحيث انه كان، وهو في ذروة قوته، يعد اشتراكيين بارزين بين اصدقائه، ويقتبس افكارهم، ويستخدم الكثيرين منهم للعمل في صحيفة يمولها بنفسه. وقد حاول في احدى المناسبات ان يقنع كارل ماركس بالانضمام الى العاملين فيها). ثم انه كان رائدا في وضع سلسلة من التشريعات الاجتماعية الاولى تاريخياً في اوروبا.

ومن السخرية ان هذا الرجل، المعروف بالمستشار الحديدي، كان ايضا كتلة مرتعشة من العواطف.

والمعروف انه كان ينفجر باكيا عندما يخلو بنفسه في مكتبه بعد مشاجرة او خلاف مع ملك بروسيا. وكان شكسبير وبايرون احب كاتبين اليه، كما انه كان يقرأ الشعر خلال رحلات صيد البط.

وكان يأكل ويشرب بمقادير هائلة. وربما اكل ١٥٠ محارة في جلسة واحدة. وصرح ذات مرة انه ينوي ان يشرب ٥٠٠٠ زجاجة شمبانيا في حياته.

وكثيرا ما كان يقضي امسياته وهو يدخن السيجار الاسود، ويجرع مزيجا قويا معروفا بالشراب الناعم الأسود - او المخمل الاسود - وهو خليط من الشمبانيا والجعة السمراء القوية، اخترعه لنفسه.

وكان سيد الكلام كما كان سيد اللعبة السياسية. ان اسلوبه النثري المترف والواضح لا يزال محط اعجاب حتى الوقت الحاضر. وذات مرة بقي يملي خمس ساعات من دون توقف وهو يذرع مكتبه جيئة وذهاباً، حتى قالت سكرتيرته في وقت لاحق: "لقد ذهلني انشاؤه الخالي من الخطأ".

النذل الأول - ولد بسمارك عام ١٨١٥ لعائلة من اليونكر، او الاقطاعيين

الريفيين، في براندنبورغ في بروسيا· وفي شبابه كتب الى صديق له انه يتوقع "ان يصبح إما النذل الأكبر وإما الرجل الأول في بروسيا"· ولبعض الوقت، بدا مؤكدا انه اختار ان يكون "النذل الأكبر"·

وفي جامعة غوتنغن كان غريب الاطوار، متمردا على النظام· فقد كان، بشعره الأشقر الضارب الى الحمرة والمتدلي حتى كتفيه، يمشي ببطء وتشامخ، بقبعته الضخمة وحذائه ذي الكعب الحديدي، حاملا عصا من حديد، يتبعه عدد من كلاب الصيد· وكان مزهواً بنفسه ومحبا للقتال، فانضم الى فرقة طلاب للمبارزة وكسب ٢٤ معركة من اصل ٢٥·

وبعد اخفاقه في احدى الوظائف، عاد فقضى نحو عشرة اعوام يدير شؤون عقارات عائلية متعددة في بوميرانيا وبراندنبورغ، صارفاً ايامه مع "الكلاب والجياد والمرافقين الريفيين"، ومع الكتب ايضا· وقد قال بعد ذلك: "ان معلوماتي العامة نابعة من حقيقة اني، في ذلك الوقت الذي لم يكن لدي شيء افعله، وجدت في حوزتي مكتبة تضم جميع المعارف العملية والنظرية، فالتهمتها التهاما"· وفي العام ١٨٤٧، تزوج بسمارك من فتاة نحيلة ذات شعر فاحم اسمها جوهانا فون بوتكامر، واستقرا في منزل العائلة في شونهاوزن·

سيجار التحدي ـ وفي اقل من سنة، بدأ النظام المحافظ الذي ساد اوروبا منذ سقوط نابوليون بالتصدع، وصار الحلم بتحقيق وحدة المانيا هو النداء الذي يجمع الديموقراطيين الليبراليين الالمان· وكان بسمارك يكره القسم الاكبر من وجهات نظرهم السياسية· وفي محاولة منه للتصدي لنفوذهم، خاض معركة انتخابية للبرلمان، وامن لنفسه مقعدا في "اللاندتاغ" او المجلس الادنى·

وفي العام ١٨٥١، حظي بسمارك بمركزه الرئيسي الأول، اي المبعوث البروسي الى فرانكفورت، مقر الاتحاد الالماني· وكان هذا التجمع للولايات الالمانية غطاء للسيطرة النمسوية· لذلك اخذ بسمارك، منذ البداية، يستغل كل مناسبة للتأكيد على مساواة بروسيا بالنمسا· وفي اجتماعات "الدايت" - اي المجلس التشريعي كان السفير النمسوي، بصفته رئيسا، يتمتع بامتياز التدخين· وما ان اشعل السفير الرئيس سيجارا حتى فعل بسمارك مثله· ولما وجه احد النواب الليبراليين في "لاندتاغ" برلين ملاحظات مهينة حول اشعال بسمارك السيجار، تحداه بسمارك بمباهاة مألوفة منه، وطلبه للمبارزة· وأطلق كل منهما طلقة واحدة، ولكنه اخطأ الهدف·

وكديبلوماسي، ارسل بسمارك الى بطرسبرغ عام ١٨٥٩، لثلاث سنوات، ثم الى باريس· غير انه ظل بعيدا عن مواقع القوة، الى ان سنحت فرصته اخيرا عام ١٨٦٢· ففي تلك السنة دخل ملك بروسيا الجديد، غليوم الاول، في صراع مرير مع "اللاندتاغ" حول اقتراح له لاصلاح الخدمة العسكرية· ولمعرفته بمقدرة بسمارك كسياسي بارع صلب، عينه غليوم

رئيسا للوزارة. وقام بسمارك بمناورات سياسية بارعة، وحوّل اهتمامه تدريجاً نحو اقصاء النمسا عن الاتحاد الالماني.

سلسلة الجبابرة - وراح بسمارك يبعث الى الملك بتقارير منتظمة عن تحركات النمسا المثيرة. وفي الوقت ذاته نشط في اوساط الرأي العام بنشر مقالات في الصحف البرلينية يهاجم فيها النمسا. وفي يونيو (حزيران) ١٨٦٦، بلغ استياء النمسا حده الاقصى، الى ان تحدّت بروسيا تحديا مباشرا.

وفي مدى سبعة اسابيع سقطت النمسا مغلوبة على امرها. وقد وصف احد المراقبين بسمارك في ميدان معركة "سادوفا" الرهيبة - وهي احدى اكبر المعارك العسكرية في تاريخ اوروبا، حيث اشتبك ٤٥٠ الف جندي في صراع عنيف - بقوله: "كان راكباً جواداً ضخماً كستنائي اللون، مرتديا معطفا رماديا، وعيناه الواسعتان تلمعان تحت خوذته الفولاذية، مما ذكرني بقصص الطفولة عن الجبابرة القادمين من الشمال المتجمد".

واستخدم بسمارك وزنه السياسي لتوحيد جميع الولايات الواقعة على شمال نهر الماين في اتحاد شمال المانيا. كما مُنح الصلاحيات التنفيذية بصفته مستشار الاتحاد.

ومن الطبيعي ان يسبب ظهور دولة المانية قوية موحدة تحولا في توازن القوى في اوروبا. وكان واضحا ان الامبراطور الفرنسي نابوليون الثالث لن يتساهل في ذلك الى مدى بعيد. على ان الحرب، اذا كانت ستقع من هذه الجهة، فان بسمارك كان يريد ان تظهر فرنسا على انها المعتدية. وسنحت الفرصة لذلك عام ١٨٧٠، بعد مرور سنتين على خلو عرش اسبانيا، اذ اقدم بسمارك سرا على ترشيح احد افراد عائلة هوهنزوليرن، وهو نسيب بعيد للملك غليوم. وكان تخوف الفرنسيين من وجود ملكين من عائلة هوهنزوليرن على جانبين من حدودهم امرا مفهوما، ولذلك عمد السفير الفرنسي الى الالحاح على غليوم خلال اجازته في بلدة ايمس بان يرفض ترشيح نسيبه. ووافق الملك على ذلك، لكنه رفض متابعة النقاش حين اصر الموفد الفرنسي على غليوم بان يعلن ضرورة عدم تجديد هذا الترشيح.

صانع الامبراطورية - كان التقرير الذي تلقاه بسمارك من مندوبه في ايمس عن المقابلة غير ضار نسبيا. لكنه، بتنبهه لوقع الكلام وبغريزته السياسية، اختصر الرسالة الى نصف حجمها في الاصل، بحيث جعل الطلب الفرنسي الاخير ورفض غليوم له يبدوان كأنهما اختلاف صريح. عند ذلك نشر "بلاغ ايمس" الشهير في اوروبا كلها، فاختار نابوليون الحرب على مضض.

وخسر الفرنسيون الحرب منذ بدايتها. فقد كانت تعبئة قواتهم في حالة فوضى، وكانت مدافعهم مغلوبة باستمرار، كما كانت قيادتهم غير جديرة. واستطاعوا ان يجندوا نحو ٢٥٠ الف جندي للوقوف في وجه نصف مليون الماني. لكن الحملة انتهت في ستة اسابيع، واستسلم نابوليون الى بسمارك شخصيا في سيدان.

وحدث ما كان بسمارك يتوقعه. فقد جذبت الحرب الى جانبه ولايات المانيا الجنوبية التي كانت قد بقيت خارج الاتحاد. وفي ١٨ يناير (كانون الثاني) عام ١٨٧١، اندفع حشد من الامراء بشعورهم المذهبة المعقوصة، ومن النبلاء والضباط، الى قاعة المرايا الرخامية في قصر فرساي الفرنسي. وهناك صورة معاصرة تظهر غليوم، ببزته البروسية الزرقاء الداكنة، قبالة بسمارك ببزته العسكرية البيضاء، وهو يقرأ، بصفته مستشارا، بيانا يعلن فيه قيام الامبراطورية الالمانية. لقد صار غليوم امبراطورا، لكن العالم كان يعرف ان صانع الامبراطورية هو بسمارك.

وازاء تصميمه على ان تكون الدولة آمنة وعصرية، عمد بسمارك، بعد ضم الالزاس واللورين اللتين اقتطعهما من فرنسا، الى انشاء شبكة من المحالفات ربطت جميع العواصم الاوروبية ببرلين. اما في حقل الشؤون الداخلية، فقد انقلب هذا المحافظ العظيم الى اكثر المجددين جرأة. فهو حرّر المدارس من سيطرة الكنيسة ووضعها تحت رقابة الدولة.

وفي العام ١٨٧٦، ادخل الى جميع انحاء المانيا التسجيل المدني للولادات والوفيات وعقود الزواج والزواج المدني الالزامي والطلاق. وبلغ برنامجه الاصلاحي ذروته في ثلاثة تشريعات مميزة هي: قانون الضمان الصحي والاعانات المرضية (١٨٨٣)، قانون ضمانة العمال في الاحداث الطارئة (١٨٨٤)، قانون التقاعد في سن الشيخوخة والعجز (١٨٨٨)، مما جعل المانيا، كما قال المؤرخ البريطاني أ.ج. تايلور، "نموذجا لكل بلد متحضر".

وكان بسمارك، عندما يتعب من القيام بمسؤولياته، ينسحب الى احد عقاراته الشاسعة ليتجول في الغابات، ووراءه كلب او اثنان. وذات يوم ابصر حطابا يقطع شجرة ذاوية، فرفع قبعته السوداء العريضة الحرف، كاشفا عن رأسه الاصلع، وقال له: "انا ايضا سقط شعري، لكني لست على استعداد لان اقطع". وفي النهاية كان الشاب المندفع، غليوم الثاني، هو الذي قضى عليه. ففي العام ١٨٩٠ تخلى عن المستشار المسن وصرفه الى منزله، ومعه ١٣ الف زجاجة نبيذ من اقبية المستشارية.

ان تكوين الاوضاع السياسية الحالية في اوروبا - مع وجود امة المانية قوية - يعود الى بسمارك اكثر من اي شخص اخر. لكنه - وهو باني هذه الامبراطورية القوية - لم يخلف رجلا قادرا على توجيه هذه القوة الرهيبة. ومع اقتراب نهاية القرن وانزلاق اوروبا نحو الحرب العالمية الاولى، كان بسمارك يدرك هذه الامور بوضوح تام، فأخذ يكتب مقالات صحافية عنيفة حول سياسة خلفائه المتهورة.

وفي المساء الحار من الثلاثين من يوليو (تموز) ١٨٩٨، تجمعت عائلة بسمارك في غرفته وهو ينازع. وفجأة جلس الرجل المسن، وجرع كوبا من المرطبات، ثم نطق، وهو الذي يأبى الخذلان حتى النهاية، كلمته الاخيرة: "الى الأمام".

■ **فرنسيس ليري**

جراحة الدماغ:
استئصال ورم من مخ شاب

قضى الكاتب لورنس شينبرغ بضعة اشهر مع رئيس جراحة الاعصاب ومعاونيه في احد المستشفيات التعليمية في الولايات المتحدة، فنقل الى القراء الرواية التالية لاحدى العمليات الجراحية الدقيقة والحاسمة التي اجريت لشاب في اثناء اقامته هناك. وقد روعي فيها تغيير اسماء الاشخاص والأماكن.

ربما كان الورم الذي شكا منه تشارلي هوايت موجودا لديه منذ ولادته، ولكن قدومه الى جراحة المخ والاعصاب لم يبدأ الا بعد بلوغه السن الحادية والثلاثين باسبوعين، عندما وقف امام مكتبه تأهبا للانصراف لتناول غدائه، فاذا به يهوي الى الأرض وقد اصابته نوبة شبيهة بالصرع من دون ان يكون قد سبقها اي مرض او انذار. وظل تشارلي طوال خمسين ثانية يشعر وكأن قلبه قد توقف، كما ظلت ساقه اليسرى طوال ثلاث دقائق تهتز هزة رقيقة وكأنها تستجيب لايقاع موسيقي.

وبعد النوبة بستة ايام، في عصر يوم بارد من شهر مارس (آذار)، جاء تشارلي هوايت الى مستشفى اوسلر التذكاري ليقابل جراح المخ والأعصاب جيمس بروكمان، المعروف باسم "الرئيس" في قسم جراحة الاعصاب.

وكانت اجريت لتشارلي فحوص اشعة بالدماغ الالكتروني لانسجة مخه وفحوص اشعة اخرى بيانية (انجيوغرامات) للدورة الدموية في مخه، وثبت منها جميعا وجود ورم يسمى "مينينجيوما" فوق منطقة التحكم بالحركة على الجانب الايسر

من المخ. ولئن ندر ان تكون اورام المخ التي من هذا النوع خبيثة، الا ان الجانب القاتل فيها هو انها لا تجد مكانا للنمو، ومن ثم فانها عندما تبلغ حجما معينا فقد تتسبب في الأصابة بالشلل او البكم او فقد الذاكرة، او الموت خلال فترة قصيرة.

جلس الرئيس واثنان من الجراحين المقيمين اضافة الى مساعد جراح على احد جانبي طاولة الاجتماعات، بينما جلس على الجانب الآخر تشارلي وشقيقته وامهما. وكانت فحوص الأشعة البيانية (الانجيوغرامات) مركبة على ستار مضيء (شاشة)، حيث رأى فيها تشارلي اشكالا متداخلة من الأسود والأبيض تتلوى حول كتلة وسطى تشبه جذور شجرة السنديان وتمتد من اسفل جذعها.

واخذ الدكتور بروكمان "يقرأ" صورة الأشعة بالسهولة نفسها التي يقرأ بها معظم الناس الصحف اليومية. ومد يده فرسم دائرة بقلمه، وقال: "ان الورم يقع فوق منطقة التحكم بالحركة، وهذا هو سبب ارتجافات الساق". ثم اتى بحركة تكاد تبدو هزيلة على رغم ما فيها من عطف باد، ولمس رأسه بقلمه ورسم دائرة خلف قمة الجمجمة مباشرة موضحا: "وانا ارى ان مكان الورم يقع بالتحديد في موضع ما هنا".

فقال تشارلي: "يا للعنة! هذا هو الموضع الذي احسست فيه بالورم".

كان تشارلي شابا قصير القامة، قوي البنية، ممتلىء الجسم ذا عينين لا تكفان عن الحركة، وكان اكثر هدوءا من شقيقته وامه. وسأل: "وما هي درجة الخطر؟ وماذا يحدث اذا لم تجر العملية؟".

فرد الطبيب: "سيقتلك هذا الورم عاجلا ام آجلا".

وعلى رغم ان السؤال التالي كان اقل جدية وخطورة، الا انه كان اكثر حرجا، قال تشارلي: "وما هو نوع البضع الذي ستجريه؟".

فرفع الدكتور بروكمان يده الى رأسه راسماً خطاً مقوساً كحدوة الحصان، يبدأ خلف الأذن اليسرى وينتهي امامها مارا بالخط الأوسط للجمجمة عند ذروة ارتفاعها وقال: "اننا نبضع هنا، ونجري بضعاً اخر هناك، ثم نفتح ما يشبه الباب خلال الجمجمة. انها عملية بسيطة".

وكان بروكمان يصف عملية "بضع الجمجمة" (كرانيوتومي)، بانها من اقل العمليات خطورة في جراحة المخ والأعصاب، الا انها اكثر العمليات اثارة للصدمة، لانها تتناول اقصى حدود انتهاك الذات.

وبدأت ام تشارلي تنتحب، فامسك الدكتور بروكمان بيدها وقال: "هوّني عليك! هوّني عليك! فالأمر ليس على هذه الدرجة من السوء. فكروا في المسألة قليلا ثم ابلغوني قراركم".

فقال تشارلي: "ولماذا نفكر في المسألة؟ ان القرار يخصني وقد عزمت على اجراء العملية، لأنني لا اريد ان ينمو ذلك الورم داخل رأسي. متى يمكنك اجراء العملية؟".

فرد الطبيب: "ما رأيك في يوم الخميس المقبل؟".

ووقف الرئيس وتشارلي وتصافحا.

كانت مهنة بروكمان تقليداً عائليا يتناقله الأب عن الجد. فقد كان ابوه وجده من قبله جراحين واستاذين للجراحة ورئيسين لاقسامها في المستشفيات. وكانت العمليات هي

مسرحه ومحراب صلاته وقمة الانجاز الذي يبعث النشاط في حياته. وبروكمان رجل في الثالثة والستين، قصير القامة لا يتجاوز طوله ١٦٠ سنتيمترا. وكان يرى انه عندما يدخل غرفة العمليات يغيب فيها الوقت وتزول عوامل تشتيت الانتباه وحتى الجوع. وهو يقول في ذلك "ليس هناك اي مجال حافل بالتحديات مثل جراحة المخ او يفرض اكبر قدر من المسؤولية والقلق ويلزم الجراح باتخاذ العديد المتتابع من قرارات الحياة او الموت".

التحضير للجراحة ـ كانت ممرضة تشارلي هوايت الليلية قد انصرفت لتوها عندما قدم الدكتور بروكمان الى غرفة المريض اثناء جولته المسائية.

وسأله الجرّاح: "هل انت خائف؟"

فاجاب تشارلي: "نعم، قليلا".

قال الجراح: "انت خائف من الموت. لا تخف، فنحن نعرف ما نعمله".

فرد تشارلي ضاحكا: "حسنا".

وضغط الدكتور بروكمان على يده وقال: "ما دمت تضحك يا بني فسيتم كل شيء على ما يرام".

وحاول تشارلي ان يراقب مباراة الكرة في جهاز التلفزيون، ولكن المحاولة لم تكن مجدية، فقد اخذ الرعب يتصاعد بين جوانحه، وتبدت لخياله صور بشعة: فها هي جمجمته مشقوقة وقد غاصت فيها يدا الدكتور بروكمان الى المعصمين. وفي التاسعة مساء اعطي جرعة من عقار "الفاليوم" (بازيبام) المهدىء، وفي التاسعة والنصف جاء الجراح المقيم بني ريتشموند ليحلق له رأسه.

وكان "الفاليوم" عونا لتشارلي، فاستغرق في نوم عميق حتى ايقظته الاستعدادات التمهيدية للجراحة في الصباح التالي. وكان هناك الكثير الذي يجب عمله لتحضيره للعملية. فقد غرست قطارة في احد شرايين معصمه الايمن واعطي جرعات من "الستيرويدات" لخفض الضغط داخل جمجمته، كما اعطي، عن طريق الفم، عقاري "الفينيتوين" و"الفينوبابيتال" اتقاء للنوبات، وعقار "النيمبوتال" درءاً لوقوعه فريسة الرعب. وبعد ذلك جاء الممرض الملحق بغرفة العمليات ودفع بسريره المدولب الى الردهة.

كانت الساعة تشير الى السابعة والنصف صباحا، وقد تمت الاستعدادات اللازمة في غرفة العمليات، فجاءت الممرضتان المساعدتان ميلي بيتس واستر وولف في السابعة لوضع الآلات في اماكنها وترتيب ادوات الجراحة التي بلغ عددها ١٥٠، ولفها في مناشف زرقاء ووضعها على اللوحة المستطيلة قرب طاولة العمليات. بدا كل شيء مهيأ ولم يبق الا الانتباه والدقة لضيق المسافة بين الحياة والموت.

ودُفع سرير تشارلي حتى توقف محاذيا لطاولة العمليات، ثم سألته الممرضة المساعدة ميلي ما اذا كان يستطيع الانتقال الى الطاولة بنفسه، فقال: "ولم لا؟" وبعد ان فعل ذلك قال، وكأنهم قد اسدوا اليه معروفا، "اشكركم شكرا جزيلا".

وتولت الممرضتان والجراح المقيم جوزيه ريفيرا نزع رداء تشارلي، ثم غطوا جسده بملاءة وربطوا اشرطة من الجلد عبر صدره وفخذيه. وكان وجه

تشارلي ابيض شاحبا وفمه متقلصا في ابتسامة ملتوية. واخذت تتتابع على ملامحه علائم الخوف ثم التلاشي ثم اللامبالاة. وتسارعت اصداء الايقاع في الغرفة بعد ان وصل الجراح المقيم بني ريتشموند والممرضة ليزا كينج، فأصبح حول تشارلي خمسة اشخاص يصلون جسده بالآلات ويحركون ساقيه ويميلون طاولة العمليات ويركبون وصلات الجهاز الكهربائي لرسم القلب على صدره ويلفون مقياس ضغط الدم حول ذراعه.

وكان من المتعذر، في تلك اللحظة، اخفاء الغاية من هذه الترتيبات، كما كان من المتعذر ايضا على الاطباء - مع وجود المريض في حال الوعي - ان يجهروا بما ينوون ان يقدموا عليه، فكانت النتيجة ثرثرة غافلة بين الفريق الطبي، ولكنها توقفت فجأة بوصول تيري شرايبر، اختصاصي التخدير الذي انتشر معه في غرفة العمليات احساس بالخطر، وكأن الأمور اخذت تنساق في مسار لن يقوى احد على التحكم به.

وسأل تيري تشارلي: "كيف حالك يا صديقي؟".

اجاب تشارلي: "بخير، كما اعتقد".

وفتح شرايبر صندوق عدّة الحقن في الوريد، وحدد بسرعة الوريد الذي يستهدفه في معصم تشارلي، وقال له: "انك ستنعم بأعذب نعاس عرفته في حياتك. تصبح على خير يا صديقي". وقبل ان يفرغ نصف الحقنة، مال رأس تشارلي ناحية اليمين، واستغرق في سبات عميق.

ولم يكد تشارلي يغيب عن وعيه حتى تزايدت فجأة سرعة الحركة في الغرفة كأن قمرا اصطناعيا قد اندفع الى مداره. فلم يعد هناك اقتضاء للمحافظة على المظاهر، ولا حاجة الى اخفاء عنف العملية على المريض. وامسك الجراح بني بقلم وسَم ارجواني، وحدد محوره بان وضع خنصره على انف تشارلي وابهامه على قمة جمجمته، ثم رسم خطا حرا على طول منتصف الجمجمة، وخطا آخر متقاطعا مع الأول يصل ما بين الأذنين.

واعطى شرايبر تشارلي "اوكسيد النيتروس" من خلال قناع التنفس، ثم اعقبه اخيرا بغاز "الهالوثان" - وهو عنصر التخدير الرئيسي. وتولت كارلا فريدريكس - مساعدة شاريبر - ادخال خافض لسان طويل من البلاستيك مزود بضوء في طرفه، ثم صوبت ابرة طولها عشرون سنتيمترا في عمق حلق تشارلي واعطته جرعة من "الليدوكايين" لتخدير اوتاره الصوتية ووقايته من التقلصات نتيجة التخدير العام، ثم سحبت الحقنة وشبكت كتلة واقية من العض على لسانه، وادارت الخط الرئيسي للحقن في الوريد لكي يتسنى لـ"البانكورونيوم" - وهو عنصر شل الحركة الذي يعطى مع "الهالوثان" - ان يوقف الحركة في كل عضلة من جسم تشارلي ما عدا القلب، وذلك لوقاية الشاب من احتمال تحرك عضلاته لا اراديا اثناء الجراحة ومن ثم زحزحة الورم. وحيث ان تشارلي قد اصبح الآن عاجزا عن التنفس من تلقائه، فقد ادارت كارلا جهاز التنفس الاصطناعي.

وادخل جوزيه انبوبة مزيتة في مجرى بول تشارلي، وثبت غطاءين من البلاستيك فوق عينيه، ثم ادخل ابرة تليها انبوبة في الشريان الفخذي الايمن (لمتابعة ضغط الدم) وركب في يده اليسرى انبوبة لتزويده من خلالها بالدم عند الحاجة.

المريض اللطيف! - بلغت الساعة السابعة والدقيقة الخمسين وراجع جوزيه وبني رسوم الاشعة البيانية، ثم وضعا رأس تشارلي على وسادة مطاطية سوداء مثقوبة في وسطها، واسترشدا بالخطين اللذين رسمهما بني على رأس تشارلي، فرسما بدورهما السدلة (مساحة الانسجة) التي تتناولها الجراحة على جمجمته: خمس دوائر ضئيلة تترابط في شكل خماسي الاضلاع.

وكان ذلك آخر ما يمكن عمله قبل التطهير التمهيدي للجراحة، فانسحب الاثنان الى غرفة التطهير لاجراء التنظيفات التفصيلية اللازمة لكل من سيلمس المريض. وحين عادا رافعين ايديهما التي يقطر منها سائل التطهير، عاونتهما ميلي في ارتداء معطفي الجراحة وقناعيهما والقفازات المحكمة على الجلد، ولم يعد باديا منهما في النهاية سوى عيونهما. وشبكت ميلي المصباح الرأسي على جبهة بني وضبطته وهو يقف مواجها لرأس تشارلي، بحيث اصبح ضوؤه مسلطا على السدلة المرسومة على جمجمة المريض.

وتناول بيني حقنة من عدة الادوات وحقن فروة رأس تشارلي في ستة مواضع بمحلول ملحي لخفض مفعول الأوعية الدموية قبل البضع.

وفي هذه اللحظة بدأ العنين المتقطع الصادر عن مرسمة الذبذبات وهي تسجل تقلبات النبض وضغط الدم فتظهر نتائجها تباعا في شريط يمر على الشاشة فوق قدمي تشارلي. وكان على كارلا ان تراقب المقاييس المركزة على جهاز التخدير كل ٣٠ ثانية للتحقق من العلامات الحيوية وان تصغي الى تنفس تشارلي ودقات قلبه من خلال الاداة التي تقحمها في اذنها وتمتد اسلاكها تحت ملاءة السرير وتتصل بالمسماع الطبي.

وكانت طبيعة عملها تضطرها الى البقاء قريبة من وجه تشارلي، مما يتيح لها، اكثر من سائر الموجودين في الغرفة مراقبة ملامح شخصيته. وقالت مخاطبة ميلي: "انه لطيف، اليس كذلك؟".

وفي الساعة ٨،٤٠، اجرى بني البضع الأول: ضربة سريعة بالمبضع على طول الخط الامامي من السدلة. وبعد ١٥ دقيقة تقريبا انتزعت فروة الرأس بعد فصلها عن العضلات التحتية وكانت هناك ثلاث طبقات من الانسجة. فروة الرأس والعضلات والغشاء المسمى "الخوذة"، - يجب فصلها وانتزاعها جميعا قبل الوصول الى عظم الجمجمة حيث يبدأ "الحفر". وكان سمك فروة رأس تشارلي ١٢ ملليمترا وسمك عظام جمجمته ثمانية ملليمترات تقريبا. وقد احتاج الامر في النهاية الى ٥٥ دقيقة كاملة لاتمام فتح السدلة.

وبدأ النزف شديدا على طول مساحة البضع. وبعد شفط الدم النازف ومسحه بالأسفنج ركبت مشابك بيضاء من البلاستيك لاقفال الأوعية

الدموية. وبعد بضع خط السدلة قطع النسيج الموجود تحتها بكسين حادة جدا، ثم سلخت السدلة برفق الى الخلف كما تسلخ قشرة البرتقالة، واحيطت بمادة شبكية النسيج.

وقال بني: "نادوا الرئيس" وقولوا له ان امامه ثلاثين دقيقة".

عندما انكشفت العظام، فتحت ستة ثقوب كبيرة على طول الخط الذي حددت به السدلة، واستخدم في فتحها "مثقب الجمجمة" (الكرانيوتوم)، وهو اسطوانة من الصلب غير القابل للصدأ تشبه البندقية الفضائية ويصدر عن دورانها صوت يشبه عويل حيوان صغير. والميزة الكبرى التي يتسم بها مثقب الجمجمة هي انه يدار بواسطة الهواء مما يمكنه من الاستجابة السلبية او العكسية لاي ضغط يعترضه. فكلما زادت صلابة الانسجة التي يخترقها كلما زادت قوة دورانه. ولذا فقد كانت لقمة المثقب تدور بأقصى سرعتها وهي تخترق العظام، ثم توقفت عن الدوران عندما التقت النسيج اللين تحت تلك العظام.

وكان لا بد لبني من الارتكاز بثقله كله على مثقب الجمجمة لكي تخترق لقمته جمجمة تشارلي، فوقف مائلا الى الامام حتى اصبح جسمه يحيد عن الوضع العمودي بزاوية يقدر انفراجها بـ٢٠ درجة تقريبا. ولا حاجة الى القول انه ركز اهتمامه على تجنب المساس بالمخ على الأطلاق، ولذلك فانه بعدما انتهى بني من فتح الثقوب راح ينشر الخط الواصل بينها. وكانت حركة المنشار العالي التردد بالغة السرعة، لا تكاد تراها العين، وكانت تتطاير فيها خيوط من تراب العظام، بينما كانت حرارة الاحتكاك ترتفع بسرعة الى درجة استلزمت رشه بسائل التبريد من دون انقطاع. وبعد عملية النشر، ادخل بني بين الثقوب اداة مرنة تسمى "واقي الجافية" واخذ يحركها جيئة وذهابا مرات عدة ليفصل عظم الجمجمة عن المخ الموجود تحته، ثم لف رأسه في شكل دائري وكأنه يلين عضلات رقبته، ورفع بصره الى ميلي الواقفة قرب عدة العمليات وقال: "الازاميل من فضلك!".

وناولته ميلي اداتين من الصلب غير القابل للصدأ لكل منهما نصل غير حاد عرضه ٢٥ ملليمترا، فالقتهما على كفه بين الابهام والسبابة، فأدارهما بني تحت حواف السدلة في رأس تشارلي، ثم رفعه برفق حتى تأكد من انفصاله عن غشاء الجافية فانتزعه. وتبدى مخ تشارلي للعيان للمرة الأولى من خلال اطار فتحة السدلة، وقد كساه غشاء الجافية الحريري وكأنه جنين في جرابه.

كان بروكمان قد وصل الى حجرة الملابس في اللحظة ذاتها تقريبا التي طلب فيها بني الازاميل. ثم دخل غرفة العمليات وفي يده، كعادته اسفنجة تطهير استمر يفرك بها يديه والرغوة تتساقط منها على الأرض، بينما راح هو يفحص السدلة التي فتحها بني في رأس تشارلي.

وقال: "عمل يبدو جيدا. ان مهارتك تزداد باستمرار".

وتأمل بروكمان رسوم الاشعة البيانية بينما كانت ميلي تلبسه قفازيه، ثم تقدم اخيرا وجس غشاء

الجافية باصبعه، ولم يلبث ان فتحه بسرعة. ولما كان الغشاء مشدودا فقد انقذف الى جوانب الفتحة، واندفع المخ فبرز كالقبضة الصغيرة. وكانت الساعة قد بلغت ٩،٣٤ صباحا.

وبعد ان اجرى "الرئيس" فتحة صغيرة بالمبضع، بدأ بقطع شريحة من غشاء الجافية المحاذي للسدلة، ثم انتزع هذه القطعة من الغشاء فلفها مساعدوه في قطعة من الشاس المعقم الرطب ووضعوها جانبا. وظهرت اخيرا قشرة الدماغ بكل تلافيفها وبلونها الرمادي الفاتح والوردي على السطح، والذي يدكن حتى يقارب السواد عند الثنيات. وكانت الساعة عندئذ ٩،٤٥ صباحا.

وكان الورم يكمن في قاع الجزء الذي ظهر من الدماغ، وقد انتشرت فيه الأوعية الدموية تتخلله كما تتخلل بقية اجزاء المخ من حوله، غير انه ظهر متميزا عنها بلونه الأكثر دكنة ومظهره الاكثر نعومة وملامسة، فاتضح انه جسم غريب. وقال الرئيس حين انجلى المنظر: "حسنا، لا ارى ما يحول دون استئصاله بكامله".

ويتركز الاهتمام الأول، عادة، في جراحة الورم السحائي على مصادر الامداد بالدم. ذلك ان الورم السحائي يحفل بالاوعية الدموية، ومن ثم فان تناوله مباشرة قد يؤدي الى نزف خطير، اما اذا بدأت العملية بربط الاوعية الرئيسية التي تزوده بالدم فتصبح السيطرة عليه ممكنة... ولذلك فقد بدأ بروكمان يتلمس جوار الورم بحثا عن الأوعية الدموية التي تغذيه.

وحين بلغت الساعة العاشرة كان الدكتور بروكمان قد انتهى من ربط جميع الأوعية الدموية التي تغذي الورم، وعزله عن بقية انسجة المخ من حوله بفواصل قطنية. فهدأ غضبه واتخذ الحديث حول طاولة العمليات طابع الود، بل اوشك ان يكون حميما. واصبح للاصوات في غرفة العمليات ايقاع مغناطيسي موسيقي: ازيز المَيْسَم والعنين المتقطع الصادر من مرسمة الذبذبات وتنهد جهاز التنفس الاصطناعي وتبادل الحديث واصداء الشفط وصلصلة الادوات الجراحية وكأنها سكاكين وشوك على مائدة العشاء. وكأن الامر كله اضحى شبه ايقاع متكرر مستديم على وتيرة واحدة.

استئصال الورم — وفي الساعة العاشرة والربع بدأ استئصال الورم، وباشر الدكتور بروكمان استخدام المبضع واعقبه بملعقة نحاسية، ففتح كبسولة الورم ثم اخذ يستخرجه في شرائح صغيرة دامية يضعها في وعاء العينات الزجاجي الى جانب عدة العمليات. وفي الساعة ١٠،٤٠ كان نصف الورم قد استقر في وعاء العينات بعد ان ضاع الباقي في انبوبة الشفط. وراح "الرئيس" يملأ التجويف الخالي برغوة جلاتينية خاصة تساعد على التجلط. وبعد بضع دقائق قال: "حسنا، فلنخرج الآن من هنا".

وتوجه الدكتور بروكمان الى الحمام ليغتسل، ثم ارتدى ملابسه وصعد الى الطابق التاسع من المبنى حيث تنتظره اسرة هوايت.

وفي الساعة السابعة من مساء ذلك اليوم كان تشارلي يتحدث الى امه. وبعد يومين خرج من وحدة "العناية

الفائقة" وعاد الى غرفته العادية في جناح المستشفى. ولم تكن حاله تستدعي اي علاج بالاشعاع او العقاقير، لأن الورم - كما تنبأ الدكتور بروكمان - كان غير خطير. ولكن تشارلي سيواصل تعاطي دواء "الديلانتين" لفترة غير محدودة، للحؤول دون اصابته بنوبات، كما يجب عليه ان يعتبر نفسه عرضة للاصابة بورم المخ طوال حياته.

وقد التأم جلد تشارلي في غضون اسبوع، اما انسجته العضلية والعظمية فتطلب التآمها سبعين يوما، وامحت كل آثار الجراحة من مخه خلال عام واحد حسبما توقعه الدكتور بروكمان. ولم يشر احد على الاطلاق الى اي آثار محتملة لهذه الجراحة على قواه العقلية، باعتبار ان العملية، كما لوحظ وقفت عند حدود المخ.

■ لورنس شينبرغ



وزن العمر

لاحظ القصاب ان سيدة عجوزا لا تراقب الميزان على نقيض معظم بنات جنسها، فعلق ضاحكا "يبدو انك لا تهتمين للغش في الوزن".

فأجابت الزبونة: "ستؤذي نفسك اكثر مما تؤذيني. إذ لن أخسر سوى بضعة غرامات من اللحم أما انت فستتحول الى لص".

م.ه.

حل احجية القطار ص (٧٢)

إن كابح القطار، الذي يعيش على منتصف المسافة بين شيكاغو وديترويت، يعيش ايضا في جوار السيد ...، الذي يكسب ثلاثة اضعاف ما يكسبه كابح القطار. والسيد ... لا يمكن ان يكون هو السيد روبنسون، لأن السيد روبنسون يعيش في ديترويت، ولا يمكن ان يكون هو السيد جونز، لأن السيد جونز يكسب ٢٠٠٠٠ دولار في العام، وهو رقم لا يقبل القسمة على ثلاثة. وعلى ذلك فان جار كابح القطار لا بد وأن يكون هو السيد سميث.

والمسافر الذي يحمل اسما مرادفاً لأسم كابح القطار يعيش في شيكاغو، ولذا فانه لا يمكن ان يكون هو السيد روبنسون لأن السيد روبنسون يعيش في ديترويت، ولا يمكن ان يكون هو السيد سميث، لأن السيد سميث هو جار لكابح القطار الذي يعيش في منتصف المسافة بين شيكاغو وديترويت. وعلى ذلك فلا بد ان يكون هو السيد جونز.

وبناء عليه، يكون اسم كابح القطار هو جونز أيضا.

وسميث يغلب الوقاد في لعبة البلياردو، وعلى ذلك فلا بد أن يكون الوقاد هو روبنسون.

اذا: فأن سائق القطار هو سميث.

الطعام خلال الرحلات الجوية هو من العناصر التي تخفف من حدة الملل وتقصر الطريق... أين ينتج هذا الطعام؟ وكيف؟ وما هي نوعيته؟

المطعم الطائر

بعد نحو ٤٥ دقيقة من اقلاعنا من مطار رواسي - شارل ديغول - في باريس، اعلن احد مضيفي الطائرة النفاثة الضخمة من طراز "بوينغ - ٧٤٧" ان العشاء سيقدم حالا. وتمتم الرجل البدين الجالس الى جواري: "لقد حان الوقت، فأنا اتضور جوعا".

وفي القسم الذي نجلس فيه كان المضيفون بدأوا فعلا ينشطون في بيع المشروبات. وكانت قائمة الطعام المطبوعة تشير الى ان وجبه اليوم ستضم فطيرة محشوة وشواء من لحم العجل. وامامنا في قسم الدرجة الاولى، كان الشراب يقدم على نفقة الشركة، ومعه المقبلات. وفي ذلك اليوم كان هؤلاء الركاب المدللون - الذين يدفع كل منهم ٦٣ في المئة زيادة عما ندفع نحن في الدرجة السياحية، مقابل الخدمة الاضافية - يبدأون طعامهم بفطيرة ارانب شهية وسمك القاروس المتبل ويلي ذلك طبق رئيسي من شرائح لحم البقر الغضة او لحم العجل.

وانهى جاري وجبته واسترسل في النوم. وحين استيقظ بعد اربع ساعات كان عدد من الركاب الثلاثمئة والاربعين يتهيأ للهبوط في مطار جون ف. كينيدي في نيويورك. الا ان قلة منهم ظلت لديها الشهية لاحتساء قدح من القهوة وتناول شطيرة. ومعظم اولئك الذين كانوا يتعثرون هابطين من الطائرة لم يشغل بالهم كثيرا موكب الطعام الذي لم يتوقف طوال الرحلة.

لقد نمت في حقيقة الامر صناعة تزويد الطائرات بالطعام نموا كبيرا منذ بداياتها المتواضعة في اواخر العشرينات. ففي عام ١٩٧٨ قدمت الشركات الجوية المئة والثماني، وهي الشركات الرئيسية المسؤولة عن ٧٠ في المئة من الحركة الجوية نحو ٣٧٠ مليون وجبة. واعد المتعهد الامريكي ماريوت وحده - وهو اليوم اكبر شركة مستقلة في العالم لتزويد الطائرات بالطعام - ١٤٠ مليون وجبة في مطابخه الاثنين والستين الموزعة بين المطارات في جميع انحاء العالم. واصبحت صناعة تزويد الطائرات بالطعام والشراب - التي تتولاها كلها تقريبا الف شركة مستقلة تخدم الخطوط الجوية - صناعة كبرى تدر دخلا اجماليا يزيد على مليارى دولار سنويا.

ومنذ فترة غير بعيدة، قضيت ستة اسابيع اطوف على مؤسسات التموين في المطارات الكبرى في الولايات المتحدة واوروبا. وعدت وقد اذهلتني طرق اعداد الطعام البارعة التي تستخدمها هذه المؤسسات. وكان من بين الاشياء الفريدة التي رأيتها في جولتي ما يأتي:

مواقد دوارة ينفخ فيها الشواء حتى درجة الاحمرار المطلوبة عندما يكمل دورة كاملة، وبندقية صلصة تتحكم فيها عين كهربائية وتقذف الكمية المحددة من الصلصة في كل طبق لحوم يمر تحتها فوق حزام ناقل، ودوائر تلفزيونية مغلقة تنقل الى رؤساء الطهاة آخر المعلومات عن تأخير الطائرات، وعدد الركاب وطلبات الوجبات الخاصة و"ابراج مراقبة" تستخدم فيها الاتصالات اللاسلكية لارسال ثلاجات نقالة تقف على اهبة الاستعداد محملة بمختلف انواع الوجبات الى مخازن الطائرات.

ولكن حتى مع كل هذه المجموعة الواسعة من آلات عصر الفضاء، فان اعداد وجبة تمثل تناسقا رقيقا بين الطعم واللون والتقديم يقتضي ايادي ماهرة وخيالا واسعا. وقد زرنا حقل عمل اورلو سفيندسين، المدير المساعد لتموين شركة الخطوط الجوية الاسكندينافية في مطار كوبنهاغن، فقال: "ان معظم الآتين الى اسكندينافيا يتطلعون الى مائدة الشطائر السويدية. ولهذا ربما كنا ننتج هنا من الشطائر اكثر مما ينتجه اي مكان اخر في العالم". واشار الى سبع نساء يرتدين معاطف بيضاء ويتولين تقطيع شرائح من سمك السلمون المدخن حتى تتناسب مع قطع الخبز. وبناء على اقتراحه، تذوقت قطعة طرحت جانبا لانها تبدو باهتة اللون. وعندئذ قال: "ان لها طيب مذاق القطع الوردية نفسه، لكنها تبدو غير طازجة. ومثل هذه العناية بالتفاصيل هي التي تمكننا من صنع شطيرة مكشوفة رائعة".

وفي موقع العمل التالي اذهلتني اغرب بيضة مسلوقة رأيتها في حياتي: كانت تبلغ ٣٠ سنتيمترا طولا، وتتخذ شكل خرطوم لري الحدائق، ولها طرفان مسطحان مفتوحان. وقال سفيندسين: "انها اختراع اسكندينافي يكفل حصول كل فرد على نصيب عادل من المح والبياض في الشرائح المستخدمة لاعداد انواع السلطة. والشطائر". وعلى رغم انه ظل محتفظا بسر العملية الدقيقة الا انها تتم بفصل

البياض عن المح واعدادهما منفصلين نصف اعداد، ثم اعادتهما معا قبيل الغلية الاخيرة والنتيجة "بيضة" تامة يبدو مذاقها وكأنها خرجت للتو من قشرتها.

تنوع مذهل – من الذي يقرر نوع الطعام خلال الرحلة الجوية؟ قال لي مارسيل جونكا من شركة "سيرفير": "ان شركات الطيران تشرف اشرافا كليا على تخطيط قوائم الطعام"، فلدى شركة "اير فرانس" مثلا، اكثر من الف وجبة عادية سريعة منوعة، منها نحو ثمانين يمكن ان تستخدم في اي وقت. وتشرح الوصفات محتويات كل طبق بتفصيل دقيق. وكانت وجبة العشاء التي رأيتها تتألف من "١٤٠ غراما من ضلع الحمل، و٨٠ غراما من الفاصوليا الخضراء، و٣٠ غراما من الكافيار"، الى جانب "٢٥ غراما من الكرفس في السلطة".

واحد الاسباب التي تدعو شركات الطيران الى مراعاة مثل هذه الدقة في تحديد الوجبات ازالة كل مصدر للشكوى. وقد صرح لي مسؤول في احدى الشركات الجوية بالآتي: "ربما ادهشك ان تعرف عدد الركاب الذين يستدعون المضيفة في حال ظنهم انهم حصلوا على قطعة لحم مختلفة عما توقعوا".

ومن الاسباب الاخرى تأكيد شخصية الشركة. فقد ذكر لي هيمجو كلاين، احد العاملين في خدمات الطيران في شركة "لوفتهانزا" ان "غالبية شركات الطيران تعمل بمعدات متشابهة وبأسعار موحدة، ووفق طرق وجداول تقرها اتفاقات حكومية. وهكذا، فان الطعام والخدمة هما الطريقة الوحيدة التي تستطيع الشركة الناقلة ان تبرز بها صورتها الفردية".

ولارضاء الاذواق القومية المختلفة، تعد معظم مطابخ التموين كثيرا من الوجبات المنوعة. ففي مطابخ خدمة شركة "لوفتهانزا"، تستطيع أن ترى رؤساء الطهاة يعدون الحمام المشوي لشركة "فاريغ" البرازيلية، والكركند الساخن، لشركة طيران جنوب افريقيا، ومقبلات "ماكانوتشي" لشركة الطيران اليابانية. ويتولى اعداد الوجبات طهاة من ابناء هذه البلدان يعملون في مطابخ منفصلة.

ويبدأ اليوم في "سيرفير" قبل الفجر، حين تشرع الشاحنات المحملة بالطعام الطازج في الوصول الى المطار من سوق الجملة في باريس. وتستخدم مطابخ مطار شارل ديغول وحدها كل شهر ٥٥ الف كيلوغرام من اللحوم والدواجن، واكثر من عشرة آلاف دزينة بيض، و١٥ الف ليتر من اللبن، واكثر من ٥٠ الف كيلوغرام من الخضر الطازجة،و٥٠ الف كيلوغرام من الاسماك والاصداف، و٢٢٥ كيلوغراما من الكافيار. وما ان يأتي الفجر حتى يكون نحو ١٩٠ من رؤساء الطهاة ومساعديهم منهمكين في اعداد ما بين عشرة آلاف و١٥ الف وجبة تحتاجها رحلات ذاك اليوم ما بين خطوط منتظمة وطائرات مستأجرة.

مآكل عربية – اما طائرات البلدان العربية، مثل السعودية والكويت وايران ومصر والاردن ولبنان والجزائر والعراق، فتقدم عادة الطعام المعروف دوليا، باستثناء لحم الخنزير.

لكن هذه الطائرات تقدم احيانا

مأكولات محلية في رحلاتها الى بلدان الشرق الاوسط. فمتعهدو الطعام لدى الخطوط الجوية الكويتية يعدون الرز ذا الحبوب الطويلة مع لحم الغنم او البقر او الدجاج. وطيران الخليج يقدم احيانا الخروف المشوي الى كبار المسافرين. ويقدم طيران مصر عموما الطعام الغربي لكنه يرضي الذوق الشرقي احيانا بمآكل مثل الباذنجان واللحم المشوي. ومن اشهر الاطباق المحلية لدى الخطوط السعودية لحم الضأن المشوي مع الرز، والمعروف باسم "الكبسة". ومن بين المآكل المحلية القليلة لدى الخطوط المغربية حلوى "قرون الغزال".

وتجمع شركة طيران الشرق الاوسط - الخطوط الجوية اللبنانية بين الطعام الغربي والشرقي. ومن بين اطباقها الشرقية اكلة تدعى "المغربية" وتتألف من الدجاج واللحم والبصل والحمص ونوع من السميد. كما انها تقدم الفاكهة اللبنانية الشهية الطازجة. وفي عيد الاضحى المبارك، تقدم الى ركابها من بيروت خروفا محشوا بالرز وحلوى "المعمول".

اما شركات الطيران الغربية فتقدم عموما، في رحلاتها الى الشرق الاوسط طعاما اوروبيا دوليا خاليا من لحم الخنزير. وتجدر الاشارة الى ان بعض الشركات، مثل الخطوط الجوية البريطانية، تقدم بعض المآكل العربية، في رحلاتها الى الشرق الاوسط، ولكن في الدرجة الاولى فقط. كما انها تقدم احيانا، عند الطلب، مآكل من نوع الكبة والتبولة (الاكلتين اللبنانيتين التقليديتين) وورق العنب المحشو، والقهوة العربية.

ويرسل بعض متعهدي الطعام لدى شركات الطيران الغربية طباخين الى الشرق الاوسط لتدريبهم على المآكل المحلية في عواصم مثل عمان وطهران.

وقد كنت دائما اتصور ان طعام الطائرات يعد في مطابخ متعددة الاغراض في حجم حظائر الطائرات. لكن المطبخ الاول الذي رأيته كان في حجم مطبخ منزلنا تقريبا. وتبين لي ان معظم المتعهدين يستخدمون عددا كبيرا من الاماكن الصغيرة نسبيا. فهناك مطابخ الدرجة الاولى ومطابخ الدرجة السياحية، واماكن تجميع الوجبات الساخنة او الوجبات الباردة، ومطابخ الفطائر والحلوى. ويقول جان كريستوف هوفيه من العاملين في مصلحة خدمة الطائرات في مطار شارل ديغول "السبب الرئيسي في تقسيم الامكنة بهذه الطريقة هو تفادي التلوث بين مختلف انواع الاطعمة. فالسلطات، مثلا، قد تحوي اثرا ضئيلا جدا من الجراثيم يمكن ان يتضاعف على نحو خطر في مكان معد للطعام الساخن، كما ان حشوات الفطائر الرقيقة قد تصيبها الحموضة هناك.

وتوضع الاطباق الساخنة، بعد تبريدها الى درجة ٣ - ٤ درجات مئوية، في خزائن خاصة (بعضها في الواقع افران متنقلة)، تسلم الى الطائرات المنتظرة، ويعاد تسخينها في مطبخ الطائرة قبل تقديمها. كما قد يتم تجميد الوجبات الى ٨٠ درجة مئوية تحت الصفر لاستخدامها لاحقا. وفضلا عن ذلك، يحتفظ كبار المتعهدين بمقدار صغير من الوجبات "الخاصة" المجمدة، من بينها: اللحم،

المعد بالطريقة الشرعية ووجبات النباتيين، والوجبات القليلة الملح والوجبات ذات السعرات الحرارية المنخفضة، وطعام الاطفال.

ومسألة النظافة موضع حرص دائم لدى المتعهدين. وكثيرا ما يتلفون الطعام اذا لم يكن عند المستوى اللازم. وتتوافر لدى جميع المطابخ التي زرتها كل تسهيلات المختبرات البيوكيميائية. ومنذ امد قصير كانت نتيجة احد هذه الاختبارات في خدمات "لوفتهانزا" ايجابية، ولم يتردد المدير في الامر باعداد ٣٥٠ وجبة مماثلة. وحين اوضح التحليل التفصيلي بعد ذلك ان الطعام كله كان مأمونا تماما، قال: "انا لا آسف على ما صرفناه من مال على التحليل. فالافضل ان نخسر بعض المال من ان نخاطر باصابة واحد من الركاب.

وعلى رغم هذه الاحتياطات كلها، تقع احيانا بعض حوادث التسمم. وربما كان اسوأ مثل عليها ذلك الحادث الذي وقع في ٢٠ فبراير (شباط) ١٩٧٦، حين انتشرت اصابة بداء "السلمونية" (نسبة الى سمك السلمون) بين ١٠٠٣ من ركاب الطائرات المستأجرة بين لاس بالماس وهلنسكي ولاس بالماس وهانوفر. وكان المتعهد، الذي اغلقت الحكومة الاسبانية مؤسسته بعد ذلك، قد استخدم غطاء من المايونيز ترك مكشوفا فترة اطول مما ينبغي من دون تبريد كاف. واسفر حادث التسمم ذاك عن وفاة ستة مسافرين.

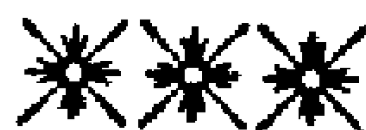
غير ان احدا من طاقم الطائرة لم يصب في الحادث، اذ على شركات الطيران التي تقوم برحلات دولية ان تقدم الى موظفيها وجبات مختلفة عن وجبات الركاب. ويتناول الطيار ومساعده وجبتين مختلفتين بل ان طعام كل منهما يعد في مطبخ مستقل وعلى يد طاه مختلف، وغاية هذه الاجراءات ان تحول دون اصابة الاثنين معا بالتسمم الغذائي.

والمتعهدون بالغو الحساسية لما تخرجه مطابخهم. فمنذ بضع سنوات خطفت طائرة من طراز "بوينغ - ٧٤٧" من نيويورك الى مطار شارل ديغول في باريس. ومضت ساعات والسلطات تلح في الافراج عن الرهائن التسع والخمسين. وحين وصلت رسالة تطلب الطعام، بدأت "سيرفير" تعد الشطائر وتختار افضل قطع اللحم وتقطع الخبز وتحضر القهوة وترتب الصواني.

لم هذا العناء كله من أجل طائرة مختطفة؟

هز الطاهي الفرنسي كتفيه قائلا: "ان لنا سمعتنا التي نحرص عليها، ولا ارى داعيا للمساس بها بسبب عمل ارهابي".

■ ستانلي انغلبارت



علاج التضخم

اقترح جيمس اودال، نائب ولاية اريزونا في الكونغرس الامريكي، ان يناط علاج التضخم بدائرة البريد. وفسر اقتراحه كما يأتي: "انها لن تقضي عليه، ولكن ستجعله ابطأ".

(مجلة "تايم")



اصداء من عالم الطب

اختبار السمع لدى الوليد

يطبق في مستشفى مونت ديابلو في مدينة كونكورد (ولاية كاليفورنيا) برنامج اختبار للسمع فريد في نوعه لتحديد المشاكل السمعية التي يعانيها الاطفال الحديثو الولادة. فقد شاركت مؤسسة خدمات تابعة لشركة هاتف بيل، المؤسسة الهاتفية الرائدة في امريكا، مع الدكتور فيليب بيلتزمان الذي كان باحثا مشاركا في المركز الطبي لجامعة كاليفورنيا في احداث برنامج يطلق عليه الآن اسم مؤسسة تخمين قدرة السمع لدى الاطفال".

يستخدم هذا البرنامج وحدة اختبار قيمتها ٣٠٠٠ دولار، ويفوق حجمها قليلا حجم الآلة الكاتبة. فيلصق قطب كهربائي بغشاء جمجمة الطفل وتوضع على رأسه سماعات تنقل الاصوات. وعند ذاك يلتقط القطب الكهربائي موجات الدماغ المستجيبة لهذه الاصوات وينقلها الى حاسب الكتروني، ويحدد تحليل موجات الاستجابات الصادرة عن الدماغ ما اذا كانت هناك مشاكل سمعية.

وفي حال وجود عوامل، مردها الى فترة الحمل او الى الوراثة، تشير الى خطر صمم الوليد، فيحسن ان يجري اختبار السمع في اليوم الاول للولادة. وهنا يسعف الطفل باجهزة تساعده على السمع في فترة مبكرة لا تتجاوز الاشهر الثلاثة الاولى. وهكذا، فقد يمنح الطفل الاصم فرصة افضل لحياة طبيعية.

"يونايتدبرس"

حذار الكحول

اعلن تقرير جديد لمنظمة الصحة الدولية ان ادمان الكحول يأتي في طليعة المشاكل الصحية الرئيسية في العالم. ففي انكلترا وويلز زاد عدد المدمنين في المستشفيات نحو ٢٠ ضعفاً عما كان عليه قبل ٢٥ سنة. وفي هوندوراس في امريكا الوسطى، تطال مشاكل الادمان قرابة ٦٥ في المئة من سكان الريف. وفي الولايات المتحدة بلغت الكلفة الناجمة عن الافراط في تناول المشروبات نحو ٤٣ مليار دولار سنويا، بما في ذلك العلاج الطبي والنفسي والاجتماعي. اما في يوغوسلافيا، فان نصف المرضى الذكور الذين دخلوا مصحات للعلاج النفسي عام ١٩٧٤ كانوا يشكون ادمان الكحول في الدرجة الأولى.

ويؤكد التقرير على ان التصاعد السريع للادمان في العالم يعود، الى حد كبير، "الى درجة اباحة الشراب وتوافره"، في الدول الصناعية والدول النامية على

السواء، وليس الى "صفات فطرية لدى الافراد". ويضيف التقرير ان الافراط في الشراب يشكل "عقبة في وجه التطور الاقتصادي - الاجتماعي" يمكن، اذا تركت من غير قيود، ان "تستنزف الموارد المخصصة للصحة" في بعض الدول.

(مجلة "ميديكال تريبيون")

الجنس والذاكرة

يشير تقرير نشره الدكتور ريتشارد مايو من معهد الامراض العصبية في نيويورك في مجلة "نيوانغلاند" الطبية الى ان الجماع قد ينطوي على اخطار بالنسبة الى الذاكرة، اذ يورد بضع حالات لمرضى عانوا "فقدانا عميقا او تشوشاً للذاكرة" بعد مجامعة زوجاتهم. وتصيب هذه الاعراض عادة متوسطي الاعمار والشيوخ، كما ان معظم الذين يصابون بذلك عانوا سابقا ارتفاعا في ضغط الدم. ويدوم فقدان الذاكرة المفاجيء - المسمى فقدان الذاكرة العابر والشامل - بضع ساعات، ثم يعود المريض الى حاله الطبيعية.

ويقول الدكتور مايو: "ان معظم المرضى لا يواجهون هذا الحادث الا مرة واحدة لحسن الحظ. وعلى رغم انه من المناسب استشارة الطبيب، الا ان هذه الحالة ليست خطرة من وجهة النظر الطبية. كما انها لا تشكل سببا كافيا للامتناع عن ممارسة الجنس".

ي.ب.ا.

حبوب منع الحمل

في دراسة حديثة نشرت في مجلة "نيو انغلاند" الطبية، ظهر ان اخطار الاصابة بسرطان الرحم بين النساء اللواتي يتعاطين عقار الاستروجين تتدنى على نحو ملحوظ خلال سن اليأس، بعد ان يتوقفن عن تناول العقار.

واستند باحثو كلية الطب في جامعة بوسطن في التوصل الى استنتاجهم هذا الى تحليل السجلات الصحية لقرابة ١٨ الف امرأة تراوح اعمارهن بين ٥٠و٦٤ سنة. فالنساء اللواتي استخدمن الاستروجين تعرضن للاصابة بسرطان جدار الرحم الداخلي (سرطان بطانة الرحم) بنسبة تراوح بين واحد وثلاثة في المئة كل سنة. ويصل احتمال الخطر الى اقصاه في حال تناول العقار مدة تزيد على السنوات الخمس. اما احتمال الاصابة لدى من لا يستخدمنه فيبلغ عشر الواحد في المئة.

وبين التحليل ان احتمال اصابة النساء المتوسطات العمر المتعاطيات للاستروجين بسرطان بطانة الرحم يقارب ٤٠ ضعف احتمال اصابة غير المتعاطيات له. لكن الخطر ينخفض بعد ستة اشهر من الانقطاع عن هذا العقار بحيث يتقارب احتمال الاصابة بالسرطان لدى المتعاطيات وغير المتعاطيات على السواء.

ويقول المشرف على هذه الدراسة، الدكتور هيرشل جك: "انه لمن المطمئن ان تكون الاخطار التي تتعرض لها متعاطيات الاستروجين لفترة طويلة قابلة للزوال بهذه السرعة".

"اسوشيتدبرس"

الطحال المصغر!

لا شك في ان قلة المعلومات عن الطحال، ذلك العضو الصغير الموجود في الجانب الايسر من القفص الصدري، امر يبعث على الاستغراب، نظرا الى الوظيفة المهمة التي يؤديها في تنقية الدم من الجراثيم الغريبة. غير ان ما يثير حيرة الاطباء منذ زمن طويل هو ان هذه الانواع من العدوى التي تعتبر شائعة نسبيا لدى الاطفال الذين استؤصل طحالهم في معالجة السرطان او امراض الدم، قلّما تصيب الصغار الذين انفجر طحالهم ثم استؤصل.

ويستنتج الاطباء ان ما حدث هو ان بعض خلايا من الطحال المنفجر قد تناثرت قبل استئصاله او اثناء هذا الاستئصال وانغرست في جدران التجويف البطني ثم نمت في شكل عناقيد من الخلايا وراحت تؤدي مهمة "طحال مصغر". وكان الاعتقاد السائد ان هذه الظاهرة بالغة الندرة. وقد اطلق فريق جامعة ييل على هذه الظاهرة اسما غير تقني هو: الطحال المولود من جديد!

"التايم"

المفتاح المثالي لأعمالك في الكويت والخليج

بنك الكويت الوطني اول واكبر بنك في الكويت منذ ٢٥ سنة.

بنك الكويت الوطني البنك الذي تحتاج الكويت لتلبية التطور الاقتصادي والانمائي.

بنك الكويت الوطني يقدم جميع الخدمات الاقتصادية والتجارية والاستشارات المصرفية.

بنك الكويت الوطني شبكة من المراسلين في جميع انحاء العالم. قبل اقدامك على اي عمل في الكويت او في الخليج استعمل المفتاح الذهبي واستشر جهازنا المصرفي العالمي.

القسم المصرفي الاستثماري والتجاري
تلفون ٤٢٢٠١١، تلكس ٢٧٠٤/٢٤٥١/٢٠٤٣ كويت،
قسم السوق المالي، تلفون ٤٤١٠٠٨/٩،
تلكس ٣٣٢٧/٣٢٢٢ كويت.



بنك الكويت الوطني ش م ك

ص ب ٩٥، تلكس: ناشيونال ٢٠٤٣ كويت، تلفون ٤٢٢٠١١ (الفرع الرئيسي)

دينار كويتي = ٣٫٦٨ دولار في ٣١ ديسمبر ١٩٧٨
الموجودات تفوق ٣٫٨ بليون دولار

Graphics - McCann

مأساة واقعية



اقوى من الدب

هاجمهما الدب الهائج في أعماق البراري، فاضطر الزوجان الشابان الى اتخاذ موقف شجاع وحاسم

فتحت جويس طومسون عينيها، فدهمها الصمت المخيّم على ليل ألاسكا البارد، بينما خبت النار في المخيم، وبدا لها ان هناك شبحا غريبا في الجوار، فرقدت وتسمَّرت في مكانها. وما ان ألفت عيناها اختراق الظلام حتى استبدّ الخوف بأحشائها، فعلى مسافة أقل من متر واحد من وجهها رأت في ضوء القمر الشاحب ظل رأس ضخم لدب بني هائل يلوح برأسه الضخم من خلال ستار الخيمة البلاستيكي الشفّاف.

وفي تلك اللحظة تفتحت عينا آل طومسون فجأة. وعلى رغم أنه لم ير الدب على الفور، الا انه أحس غريزيا بالخطر، وأدار عينيه في محجريهما من دون أن يحرك رأسه. وكانت

بندقيته الى جانبه، فمد يده خلسة وفي هدوء حتى استقرت على معدنها البارد، وقال لجويس في همس يكاد لا يسمع: "لا تتحركي". فجمدت جويس في مكانها بينما استقرت عيناها على رأس الدب.

كانت جويس وآل على مسافة ٢٥ كيلومترا من أقرب طريق، بعدما أوغلا في مرعى الأيائل الوطني في شبه جزيرة كيناي في ألاسكا، حيث الارض وعرة الى حدّ تكاد سيارات الجيب المتينة تعجز عن عبورها. وكان آل طومسون، بحكم وظيفته حارسا للصيد، قضى الشطر الاكبر من شبابه في التنقل داخل الغابات والتجوّل بين الآجام بحثا عن الطيور والاسماك وعن المخالفين الذين يخرقون قوانين المحافظة على الاحياء البرية. وكان طومسون مشهورا بصرامته في فرض احترام تلك القوانين مما يرتعب له أكثر المغامرين جرأة.

وكانت جويس، مثلها مثل زوجها، خبيرة في الصيد وحياة البراري. وهما قاما برحلتهما هذه في شهر سبتمبر (ايلول) لكي يصيدا الأيائل بالسهام من قوس زنته ٣٠ كيلوغراما. وقد تزوّدا - بالاضافة الى القوس والسهام - بمسدس ضخم من عيار ٤٤ وبندقية كبيرة من عيار ٣٠ - ٠٦ وعلى الرغم من قلة احتمال حاجتهما الى استعمال هذين السلاحين الناريين، فأن الزوجين رأيا من الحكمة أن يتزودا بهما احتياطا للمفاجآت.

ولم تلبث ان حدثت بالفعل مفاجأة غير متوقعة، لم يحل دونها التزامهما الدقيق بجميع قواعد الحكمة والحرص والاحتياط في اختيار موقع المخيّم، بما في ذلك التخلص من جميع النفايات والتأكد من عدم وجود أي لحم طازج في جوار المخيّم مباشرة.

ضمة الدب - بقيت جويس وجها لوجه قبالة الدب مباشرة وقد أوشك أنفاهما أن يتلامسا. وأخيرا همّ الوحش الهائل بالتحرك والابتعاد، فبلغ الفرج لدى جويس حداً أوهن عزيمتها. غير أن الدب عاد فاستدار فجأة وقد تفجر بالهياج، وانقضّ في سرعة خاطفة مذهلة يهاجم الخيمة، فبسط قامته الى أعلى ثم ألقى بجسده الهائل الى أسفل بين جويس وآل. وتركز انتباه الدب على جويس التي بدأت تناضل وتقاوم بكل ما تملك من قوة. وكانت لا تزال غائرة في كيس نومها، فراحت تصرخ وتلطم بيديها مقدمي الدب الضخمين كجذعي الشجرة، يمطرانها بالضربات من الرأس الى أخمص القدم. وتصاعدت زمجرات الوحش الهائج فطغت على صرخات جويس وهي تكافح دفاعاً عن نفسها.

واجتهد آل لمغافلة الدب واتخاذ وضع يتيح له استخدام بندقيته، ولكنّها طارت من يده، ثم عاد الدب الذي يزن قرابة ٣٢٠ كيلوغراما فوقف بكامل قامته التي تتجاوز المترين بكثير، وانقض على الخيمة يمزق قماشها بمخالبه الهائلة ويلقي بثقل جسده فوق جويس التي راحت تصرخ في عصبية شديدة بينما يعمل الدب مخالبه وأنيابه في جسدها من خلال كيس النوم السميك، ويثخنه ضرباً ورضاً.

ورأى آل رأس الدب الضخم وأنيابه المكشرة تنهال على جويس. وكان آل

متين البنية قوي العضلات، فأمسك برقبة الدب وانقضّ على رأسه بضربة شديدة من قبضته، محاولا أن يزيح الرأس الضخم عن جويس. فتحول اليه الدب وتناول ذراعه اليسرى بفكيه الهائلين ثم أطبقهما بشدة، وهو يهز رأسه بعنف، فانقذف آل الى أحد أركان الخيمة، واندفع الدب وراءه ينهش جنبه بمخالبه الثقيلة حتى انكشف اللحم عن قفصه الصدري.

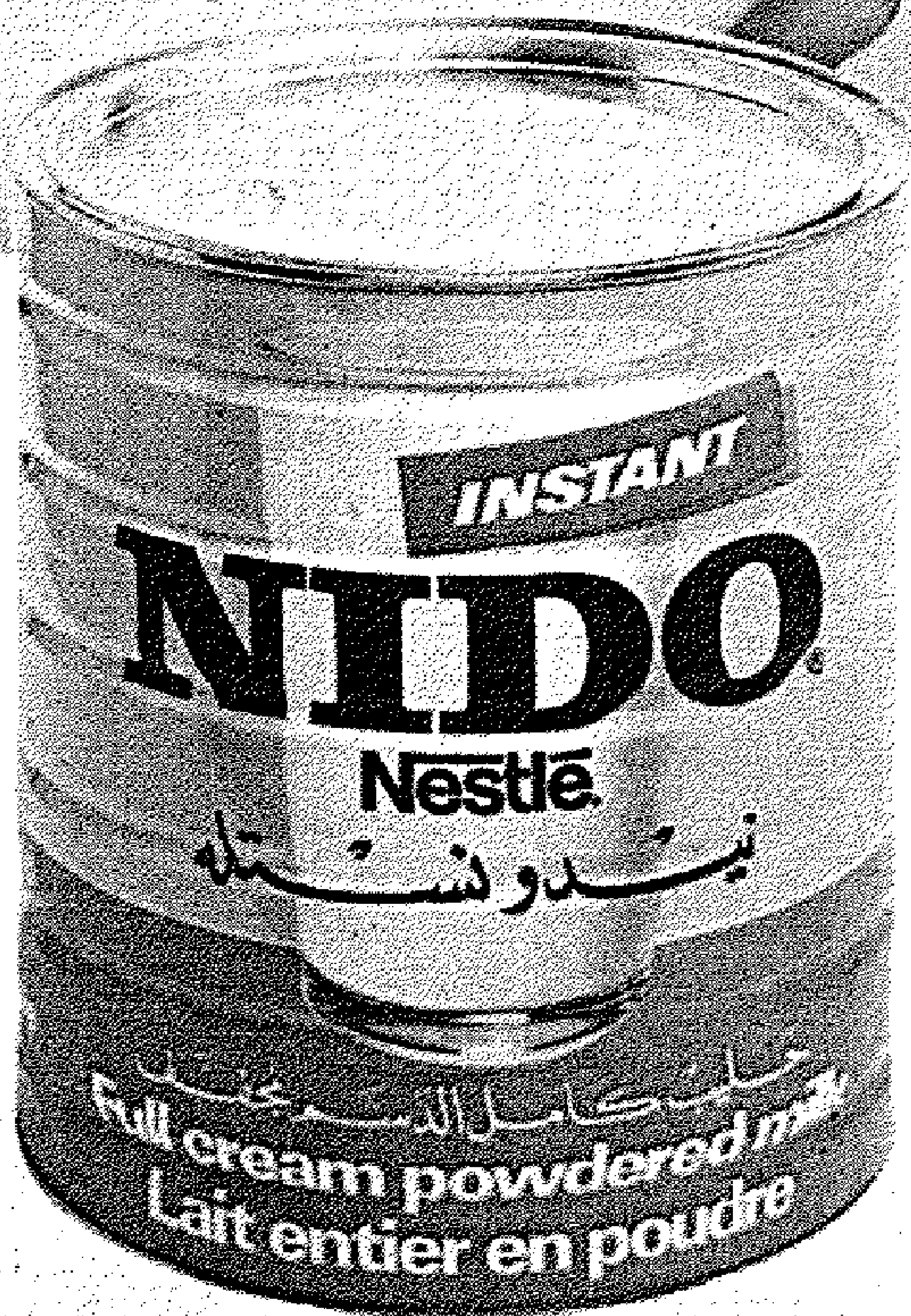
وظل آل يناضل بينما الدب يمزق ظهره بمخالبه، ثم حمله الدب واحتضنه وقد بلغ قمة الهياج، وأخذ يكمت رأس آل بأسنانه حتى انغرست بشدة تحت فروة الرأس، وانطلق به الى خارج المخيم. وسار الوحش في البداية على قائمتيه الخلفيتين وهو يضم الى صدره جسد آل الذي يزن ٨٠ كيلوغراما، ثم مشى على ثلاث قوائم وهو يضم آل بإحدى قائمتيه الاماميتين ويغرس أسنانه في رأسه.

وعلى مسافة ثمانية أمتار تقريبا من المخيّم، توقف الدب وبدأ يهز جسد الرجل وكأنه منفضة غبار، فانسلخ جانب من فروة رأسه عن جمجمته، ثم ألقى به الوحش على رابية صغيرة يكسوها العشب. وكان آل لا يزال متمالكا وعيه، فأدرك أن فرصته الوحيدة في النجاة هي أن يصطنع الموت، فانقلب على بطنه ودفن رأسه الدامي في العشب، وانتصب الدب فوقه على الفور يشمه بأنفاس ثقيلة وهو يحاول أن يقلبه، ولكن آل تشبث بالعشب بيده السليمة، فأخذ الدب يلكزه ويصفعه بمخالبه وقد خفّ هياجه بعض الشيء. وأخيرا، عندما بدا للوحش أن جميع دلائل الحياة قد امّحت عن الجسد المسجى أمامه، استدار وتباعد في بطء.

أسئلة حاسمة ـ تمدد آل طومسون الى جانب زوجته منذ دقائق قليلة، بعد ان خيّم السكون على البرية الموحشة، وانتشر الصمت، بينما راحت الحياة تنزّ من جروحه الكثيرة. فالدم الساخن يتدفق من رأسه ويملأ عينيه وقد سحقت ذراعه اليسرى وبدت اوتارها عارية بيضاء في ضوء القمر، وكانت ضلوعه ناتئة من خلال العضلات والانسجة الممزقة في جنبه الأيمن. غير ان هناك هدفا وحيدا برز من خضم موجات الألم الطاغي: اذا شاء آل أن يحيا، فلا بدّ له أن يصنع شيئا ما.. أن يتصرف. ورفع الرجل نفسه على ركبتيه ثم نهض. وكانت ساقاه سليمتين، فعاد مترنحا الى المخيّم وهو يتساءل عما اذا كانت زوجته جويس حية أو ميتة.

كانت جويس راقدة في حال ذهول وسط حطام ما كان مخيّما منذ دقائق. ولم تكن تشكو من أي اصابات بالغة، فقد ترك الدب رضوضا في جسدها وخدشا واحدا من مخلبه في جانب رأسها، وبعد برهة حلّت نفسها من كيس النوم وثنيات الخيمة المهدمة، والتقطت المسدس وزحفت الى العراء أمام المخيّم، فرأت في ضوء القمر شبحا واقفا ممزق الجسم ترشح منه الدماء. واندفعت جويس الى زوجها آل فتهاوى بين ذراعيها وهو يقول: "لقد انقضّ عليّ بضربات قاصمة، ولكنها لن تهدني، فسأنجو منها".

واستخرجت جويس كيسي النوم من وسط الحطام فتمدّد آل فوقهما، واستخدمت أكياسا من القماش كي



نيدو السريع الذوبان
ينعم أولادكم بالعافية والصحة

ين تناولهم ، كل صباح ، كوبا من حليب
يدو النقي والصافي يبدأ أولادكم نهارا
مليئا بالحيوية والنشاط .

يدو السريع الذوبان يؤمن لأولادكم خلال
راحل نموهم ، معظم العناصر الغذائية
لتي تحتاج اليها اجسامهم .

يدو السريع الذوبان ... لذة طعم الحليب
لطازج يشربه أولادكم بشهية ويتمتعون
بالعافية .

نيدو السريع الذوبان
لصحة كافة أفراد العائلة

NESTLÉ تضمنه نستله

تضمد بها أسوأ جروحه، وربطتها بالحبال، ثم أوقدت نارا لتدفئهما في العراء حيث هبطت درجة الحرارة الى ما تحت الصفر، وأعدت بعض الشاي الساخن سقته آل، كما أعطته كل ما بقي لديهما من "الاسبيرين لمعاونته على احتمال الألم المرهق. وقد حرصت طوال ذلك الوقت على الاحتفاظ بالبندقية الى جانبها، علماً منها ومن آل أن الحيوان الهائج قد يعود.

واستقرت حال آل وتوقفت عن التدهور أثناء تمدده الى جوار النار. وكان يعرف ما كان ينتظره. فهل يمكنه أن يسير مسافة ٢٥ كيلومترا حتى يبلغ الطريق العام؟ أو هل يحسن به أن يبقى في المخيَّم بينما تذهب جويس وحدها لتستدعي طائرة نجدة عمودية (هليكوبتر)؟ واذا بقي آل في المخيَّم وعاد الدب، فهل سيستطيع الرجل الدفاع عن نفسه؟ واذا تركت له جويس البندقية، فماذا عساه يحدث لها اذا تصدى لها الدب؟ خصوصا ان المسدس عيار ٤٤ لا يمكن الاعتماد عليه في مواجهة مثل ذلك الوحش.

وكانت أمام آل وجويس ثلاث ساعات للتفكير في هذه الامور، لأنهما لا يستطيعان القيام بأي شيء قبل طلوع النهار.

الرصيد المستنفد - لم يكن من غير المألوف لآل طومسون أن يقضي يوما كاملا في التجول بأحذية الثلج يتعقب صائدي الأيائل من دون تصريح قانوني، أو أن يسير مسافة ٣٠ كيلومترا لمراقبة المخالفين المتطاولين على سمك السلمون. اما الان، فانه يدرك خطورة اصاباته، ويحس بالضعف يدب الى جسده. فهو فقد مقدارا كبيرا من دمه، وانهارت عضلات رقبته بسبب جروحه فأصبح رأسه المضمَّد مائلا يستقر على كتفه الايسر، غير أن ساقيه كانتا سليمتين. وبعد التفكير، اطلع جويس على ما قرّ عليه اعتزامه: انه سيمشي معها حتى يبلغا الطريق.

وبعد بزوغ النهار بقليل، خربش الكلمات المقتضبة التالية على ظهر احدى الخرائط: "هاجمنا الدب. انني جريح. نحتاج الى هليكوبتر. نحن على الطريق. غادرنا المكان الساعة السابعة صباحا، نطلب الاسعاف". ووقع اسمه عليها ثم ترك الخريطة فوق حطام المخيم.

وانطلق آل وجويس في سبيلهما. وكان آل يسير بثبات من دون معونة.

وكان بين الفوائد القليلة المتاحة لهما أن المخيَّم كان قائما على مرتفع، ومن ثم كانت الارض في اتجاه الطريق تنحدر بمقدار ٣٠٠ متر تقريبا على مدى الخمسة والعشرين كيلومترا التي ينبغي قطعها. وعلى رغم ذلك فقد ساور القلق آل عندما بدأ يشعر بضعف ساقيه. فاذا عجزت ساقاه، لن يبقى أمامه مفر من الانتظار وحيدا، في ظل الخطر الرهيب الماثل في عودة الدب، حتى تستحصل جويس على المعونة وتعود اليه. وشدت هذه الافكار من عزمه فواصل سيره ورأسه لا يزال مائلا الى كتفه والمسدس في قبضته، وهو يشق طريقه عبر أرض يندر أن خطا فوقها انسان.

أما جويس التي حملت البندقية فكانت أحشاؤها تنعقد هلعا كلما تناهى الى سمعها صوت غريب في الغابة، فهي تعرف أنه في حال عودة

الدب ستتحمل هي وحدها مسؤولية المقاومة. وظلت تمد آل بقطع من الحلوى وبمزيج من عصير البرتقال والسكر. وواصلا سيرهما وهما لا يكادان يتبادلان الحديث، ضنا بما تبقى لديهما من طاقة وجهد.

وبعد ان قطعا المسافة ولم يبق امامهما في النهاية سوى كيلومترين اثنين تقريبا، تغلّب الألم على آل فتهاوى الى الارض وهو متعلق بجذع شجرة. ولكن شيئا انبثق من أعماقه وتملكه، وكان ذلك هو الشعور نفسه الذي أحس به عندما تركه الدب وهو يحسبه ميتا. وفجأة تغلبت لديه العزيمة على الألم، فاستجمع شتات نفسه وواصل سيره متعثرا.

وعندما بلغ الطريق المفروش بالحصباء، بعد مسيرة ست ساعات ونصف ساعة، تناهت اليه اصداء سيارة تقترب، وأشار اليها بالوقوف قبل أن تلحق به جويس، وأوفد السائق كي يطلب سيارة اسعاف. لقد قضى آل طومسون حياته في الممارسات الشاقة حتى تمكّن من اختزان قوة الاحتمال والثبات التي شدّت أزره طوال تلك الساعات العشر. أما الان فقد نفد رصيده، وانهار على الارض وقد تلاشت قواه الجبارة.

طعم الدببة ـ فحص الدكتور جوزف سانجستر حال آل في المراحل الاولى من الصدمة، ووجد انها تسوء بسرعة. واستبد القلق بالطبيب خصوصا إزاء الجرح الكبير الفاغر الذي حدث عندما انتزع الدب بأسنانه نصف فروة رأس الرجل تقريبا. ويقول الدكتور سانجستر: "كان هناك احتمال ضئيل أن نتمكن من قطبة فروة الرأس، ولذلك فقد ارتأيت أن نبذل جهدا لنحاول العثور على الجلدة المسلوخة". فحتى اذا لم تنجح عملية الترقيع، فان جلدة الرأس الاصلية هي أفضل نسيج لتغطية الجرح موقتا.

وسارعت سلطات ولاية ألاسكا بإرسال طائرة هليكوبتر لنقل جويس والبحث معها عن جلدة الرأس الضائعة، وبعد عشرين دقيقة وعلى رغم وجود تسعة رجال باسلحتهم الكاملة في حراستها، أحست جويس برعدة الفزع الباردة تجتاحها حين عادت الى موقع المخيّم، فقد دلّت الشواهد على ان الدب قد عاد بالفعل اليه وترك فيه آثار أنيابه العميقة وفي ما يحويه من علب معدنية. واقتنعت جويس بأن قرارها السير مع زوجها كان هو القرار الصائب، أيا يكن مصير زوجها الان.

وفتش الجنود المنطقة بدقة حتى عثروا على فروة رأس آل، وسارعت الهليكوبتر تحملها - مع جويس - الى مستشفى سولدوتنا.

وقضى ثلاثة أطباء ساعات طويلة وهم يقطبون بدقة الجروح المتعددة في جنب آل وظهره وذراعه ورأسه. واحتاج الامر الى ثلاثة ليترات من الدم. وتبين من الفحص أن مخالب الدب العاجية كادت ان تمزق رئتي آل غير انهما بقيتا على مسافة سنتيمتر واحد من الرئتين، فضلا عن مشكلات التلوث الخطيرة التي تصاحب اي جروح تنتج عن هجمة حيوان متوحش. الا أن أكثر الاصابات إيلاما من الناحية النفسية، كانت تلك التي خلفتها العضات العميقة التي استهدف بها الدب ذراع آل اليسرى، فقد تبين من فحوص الأشعة أن أحد

أنياب الدب قد أحدث في عظمة الذراع ثغرة مثلثة وأصاب أعصابها الرئيسية بتلف جزئي. أما قطعة فروة الرأس فقد أعادها الدكتور سانجستر الى موضعها، ولكن نسيجها ضمر ومات بعد حين فاضطر الطبيب الى ابداله بنسيج آخر من جسم آل.

وكان توقع عودة آل الى عمله كمراقب للصيد مستبعدا الى حد كبير، فقد رأى الدكتور سانجستر ان آل لن يتمكن أبدا من استخدام ذراعه اليسرى الا بنسبة لا تتجاوز ٢٠ في المئة. ولكن آل لم يستسلم لذلك، فبمجرد أن سمحت له حاله، اقتنى كرة صغيرة من المطاط وظل طوال ساعات يقظته يفركها بيده اليسرى. وانقضت ستة أشهر أليمة قبل أن يتمكن من اعادة استخدام يده تلك.

ولا تزال يده اليسرى ضعيفة الاحساس، لكنه استعاد قدرته على استخدام ذراعه بنسبة ٩٠ في المئة تقريبا، وبات في امكانه أن يؤدي بها ما شاء من مهمات، باستثناء الاعمال التي تتطلب دقة في تحريك الاصابع.

ومنذ حادث الدب اقتنى الزوجان بيتا على ربوة عالية في احدى ضفتي نهر كيناي، على مسافة ٣٠ كيلومترا من موقع الحادث. وهما لا يزالان يخرجان في رحلات صيد ويخيّمان في العراء من حين الى حين.

ويواصل آل حتى اليوم فرك كرته المطاطية بيده اليسرى، حرصا منه على الاحتفاظ بالقوة التي استرجعها. ولم يكن هناك مفر من أن تؤدي جروحه وخط الشعر المتعرج في جبهته الى جعله يشتهر بعد حين باسم "طعم الدببة"، من دون ان ينال ذلك بمقدار ذرة واحدة من شهرته كأكثر مراقبي الصيد حزما وثباتا ومقدرة في شبه جزيرة كيناي بأكملها.

■ هنري هيرت

رجل الطوارىء

كان رجل يملأ نموذجا لطلب عمل في مصنع، وحار في ما يكتبه امام عبارة: "الشخص الذي يجب اخطاره اذا وقع حادث".

واخيرا كتب: "اي شخص تجدونه امامكم".

("العالم الضاحك")

الصيد في باريس

قسر مدير شرطة باريس أخيرا اجازته حرية الصيد في المدينة خلال موسم الصيد بشرط ان تكون الطريدة على الطاولة وألا يستخدم لاصابتها غير سكين وشوكة! والسبب هو الحفاظ على حق سكان المدن بأن يحلموا. وكتب المدير في الجريدة الرسمية ما يأتي:

"من المعروف أن لذة الصيد تتميز كليا عن لذة اصابة الطريدة. وليس في نية مديرية الشرطة ان تحرم ابناء باريس الصيد - هذا الحلم الضروري للحضارة المدينية".

وبدا له ان تحريم ممارسة الصيد في موسمه بحجة عدم وجود طرائد في باريس "شبيه بالتخلي عن الاحتفال بعيد الميلاد بحجة عدم وجود ما يكفي من الثلج في الشوارع لكي يذهب الناس الى قداس نصف الليل بالزحافات".

(صحيفة "انترناشونال هيرالد تريبيون"، باريس)

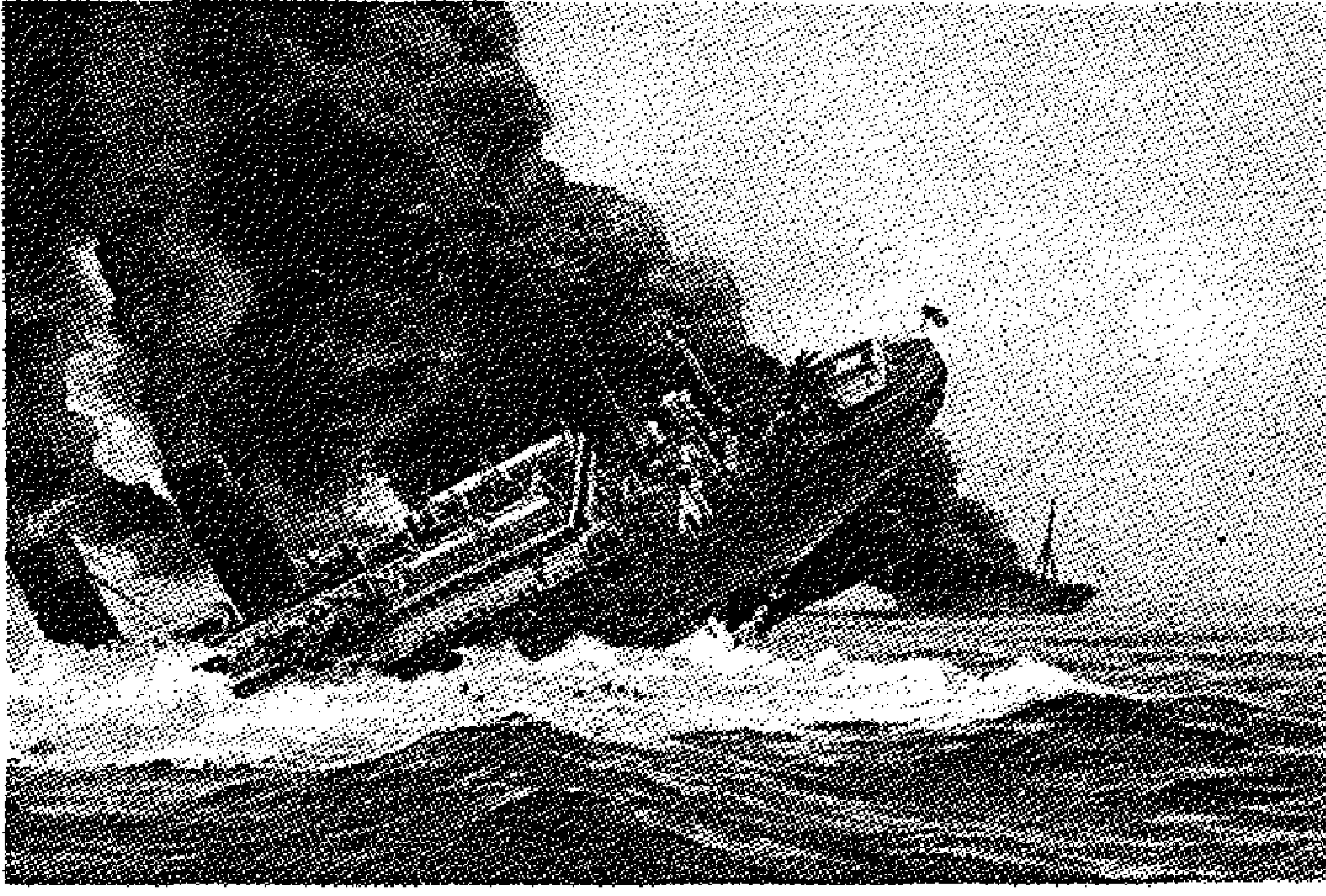
السفينة التي اصطادت نفسها



ملخص عن كتاب

بقلم كولن سيمبسون

السفينة التي اصطادت نفسها



بقلم كولن سيمبسون

وقع الحادث في الحرب العالمية الاولى، بعيد اندلاع الاعمال العدوانية، عندما صدرت الاوامر الى ربان كل من باخرتي الركاب العملاقتين المجهزتين بكل اسباب الترف، قاطعة المحيط البريطانية "كارمانيا" والباخرة الالمانية "كاب ترافلغار"، بتحويل باخرته الى سفينة تجارية مسلحة. وكان من المحتمل لاي باخرة منهما ان تغدو لقمة سائغة للعدو العازم على الفتك بها، فكان لا بد لها من التنكر اخفاء لهويتها. شاءت المصادفة ان يختار احدهما لسفينته المظهر نفسه الذي اختاره الآخر. وكان الاغرب من ذلك ان التقى الربان في جنوب الاطلسي. وكانت حصيلة اللقاء الاصطدام ونشوب معركة بينهما من اغرب المعارك البحرية في التاريخ.

في منتصف ليلة ٤ اغسطس (آب) ١٩١٤، تمنى جيمس كلايتون بار، ربان السفينة كارمانيا التابعة لخطوط كونارد البحرية، ليلة سعيدة لركاب سفينته وصعد الى منصة القيادة. كانت ليلة صيف جميلة يبللها النسيم العليل وتبدو فيها مياه الاطلسي على امتداد البصر دافئة جذابة.

وكانت كارمانيا قد اقلعت من نيويورك قبل ثلاثة ايام وعلى متنها ٨٠٠ راكب. وكان بار يتوقع ان يلقي مرساته في ليفربول صباح ٧ اغسطس (آب) ثم يمضي اجازة اسبوعين في احضان عائلته في اسكوتلندا، على ان يتم له ذلك في غضون اسبوع واحد اذا ساعده الحظ.

والقى بار نظرة خاطفة على الرجال في منصة القيادة، ثم اتجه الى جانب السفينة المحجوب عن الريح ليشعل سيجارا. ولاحظ وهو يمسك علبة الكبريت انوار الطراد البريطاني بريستول على بعد ١،٨٥٢ كيلومتر تقريبا يسير في خط مواز لسفينته. فانحنى بار قليلا وكوّب راحتيه لاشعال سيجاره، وما ان اعتدل حتى توارى الطراد بريستول عن الانظار.

وظن بار ان بصره خانه في الظلمة لبضع ثوان بسبب وهج عود الكبريت في وجهه وهو يشعل السيجار. وأطال التحديق عبر المياه القاتمة، لكنه لم ير شيئا. وقد علمته السنون التي قضاها في قيادة السفن ان يتحذر من الطوارىء، فاطلق لصوته العنان واصدر امره "بخفض السرعة الى النصف". وفي تلك اللحظة اطل القمر عبر الغمام وانعكست اشعته على الموج المتكسر في مقدم الطراد بريستول وهو يشق عباب اليم مندفعا باتجاه كارمانيا.

وقفز بار الى حلبة صفارة الانذار واطلق اشارة "الخطر" المألوفة في الملاحة الدولية، فاسرع الطراد بريستول الى الاستدارة بشكل حاد، معتمدا على قوة محركاته ودفته، بحيث كاد جانبه يلامس جانب كارمانيا. واخذ الطراد اذ ذاك يبث الرسالة الضوئية الآتية: "كارمانيا، لقد اعلنت الحرب. عتموا السفينة وامتنعوا عن الاذاعة".

وامر بار باتخاذ هذه الاجراءات الاحتياطية، ونزل الى حجرته ففتح صندوقه الحديد وسحب منه سجل السفينة ومفكرته اليومية وظرفا مختوما يحمل هذه العبارة: "لا يفتح الا في حال الحرب". وكما توقع، فقد توجب عليه تسليم كارمانيا الى الاميرالية البريطانية فور وصوله الى الميناء. واتصل بار بمنصة السفينة وامر بمضاعفة المراقبة، وارسل فريقا من البحارة الذين غالبهم النعاس للتثبت من قوارب النجاة تحسبا للطوارىء. ثم كتب في مفكرته ان الحرب قد اعلنت، واضاف العبارة الآتية: "احمد الله على اني لم اتعلم ان اكره احدا".

كان عمر جيمس بار آنذاك ٦٠ سنة. وسبق له ان ارتاد البحار عام ١٨٧٢. وما ان التحق بخطوط شركة كونارد حتى جاءته الترقية بسرعة. وقبل كارمانيا، استلم قيادة عدد من اكثر سفن الشركة شهرة، بما فيها الباخرة موريتانيا. وكان يطمح الى ان يصبح يوما قائد الخطوط البحرية، محتلا اعلى رتبة ملاحة في الشركة. لكنه ايقن الآن، بعد تسليم معظم سفن الشركة الى الاميرالية، انه لم

تبق هناك سفن ولا حاجة الى خدماته في المستقبل، خصوصا لانه تجاوز السن التي تتطلبها الخدمة العسكرية.

وعند الفطور في صباح اليوم التالي، تعمد بار تجاذب اطراف الحديث مع اكبر عدد ممكن من المسافرين، فراح ينتقل بينهم بمرح مصطنع. وقالت له احدى المسافرات: "اظن، يا سيادة الربان، انك ستتولى قيادة سفينة حربية حالما تصل الى انكلترا". فلم يرق بار هذا الكلام الذي قطع عليه مرحه المصطنع، واجاب: "ذلك مستحيل تماما يا سيدتي، اذ سأكون في اجازة مع عائلتي في غضون اسبوع".

اما "كاب ترافلغار" فكانت موضع فخر شركة الخط الملاحي بين هامبورغ وامريكا الجنوبية، واكبر سفينة واجملها في الاسطول التجاري لهذه الشركة. وعندما اعلنت الحرب كانت هذه السفينة راسية على رصيف المسافرين في ميناء بوينس ايرس، بابراجها الشامخة المتعالية فوق السفن الاخرى. وكانت مزودة بثلاثة محركات توربينية تمكنها من الانتقال بسرعة ١٨ عقدة في الساعة. ويبلغ طولها ٢١٠ امتار. وكان جسمها مطليا باللون الأسود، يقابله اللون الأبيض على الاجزاءالمرتفعة فوقه، ويزدان سطحها بمجموعة من المظلات الزاهية المقلمة بالازرق والابيض من حول حوض السباحة وملاعب الاقراص الخشبية في مقدم السفينة، وتعلو مؤخرها ثلاث مداخن ضخمة. وتحوي الواجهة الخلفية فوق سطحها الرئيسي كميات كبيرة من الالواح الزجاجية. وقد سمي هذا القسم "حديقة الشتاء"، واشتمل على سلسلة من المصاطب المكسوة بالرخام الاصفر تتخللها احواض النباتات والزهور الاستوائية ونوافير المياه التي تتراقص على انغام الطيور الاستوائية الجاثمة في مجموعة ساحرة من الاقفاص. واما الزخرفة الداخلية فكأنها اقتلعت من معابد حضارة المايا واقيمت وسط فردوس استوائي.

وكان ربان كاب ترافلغار، القبطان فريتز لانغر هانس، رجلا طويل القامة، رفيع الثقافة، يتقن عددا من اللغات ويجيد لعبة البولو. كما كان من هواة اليخوت، وكانت معرفته بامريكا الجنوبية وبريطانيا لا تقل عن معرفته وطنه الأم المانيا.

وكان اسم كاب ترافلغار يستحضر الى الذهن ذكر الاميرال البريطاني العظيم هوراشيو نيلسون وانتصاره الكبير على الاسطول الفرنسي عند رأس الطرف الأغر قرب جبل طارق، ذلك الانتصار الذي قضى على قوة نابوليون البحرية. وقد اختير هذا الاسم للسفينة خصوصا لاجتذاب الركاب الانكليز الى السفر على متنها الى امريكا الجنوبية. وكان اسم السفينة مناسبا جدا لقيادة لانغر هانس الذي كان معجبا بنيلسون، يقرأ كل ما كتب عنه. وقد ترجم الى الالمانية مجلدين عن سيرة نيلسون لروبرت ساوثي، واشرف بنفسه على تزيين غرفة التدخين والمكتبة بمجموعة من الصور تمثل اهم معارك نيلسون البحرية.

وكانت السفينة قد وصلت الى ميناء بوينس ايرس في ٢ اغسطس (آب) بعد رحلة متمهلة من هامبورغ، معرجة في طريقها على ساوثمبتون

(جنوب انكلترا) حيث قام لانغر هانس بعرض سفينته الجديدة على بعض معارفه الانكليز الذين يشاركونه هواية اليخوت. وفي اثناء ذلك تحدث لانغر هانس بصراحة عن خطر اندلاع الحرب. وكان ونستون تشرشل قد اعلن اذ ذاك في البرلمان بدء "تعبئة تجريبية" للاسطول الثالث. وكان معلوما ان هناك خطة لتحويل سفن الركاب البريطانية الى طرادات مسلحة لحماية طرق بريطانيا التجارية. وقد كشف لانغر هانس ان شركة خط هامبورغ - امريكا الجنوبية حصلت على اعانة مالية من الحكومة الالمانية بنت بها مرابض للمدفعية على سطح السفينة كاب ترافلغار تيسيرا لتسليحها على وجه السرعة. وقال وهو يضحك، مشيرا الى قاعة "حديقة الشتاء": "لكن الناس الذين يقيمون في بيوت من زجاج يكونون في منتهى الغباء اذا بدأوا برمي الحجارة".

وفي بوينس ايرس، لدى اعلان الحرب، صدرت الاوامر من الاميرالية الالمانية باخطار جميع السفن الالمانية بمغادرة الميناء، عدا سفينة واحدة كان عليها ان تجازف بالافلات من سفن الاسطول البريطاني المنتشرة في مياه الاطلسي في محاولة لنقل رجال الاحتياط واولئك الذين يرغبون في التطوع. ونتيجة لتلك الاوامر، خسر لانغر هانس اكثر من ١٥٠ رجلا من طاقمه، بمن في ذلك رئيس الطهاة واربعة ضباط وخادمه الخاص والشخص المخصص لرعاية الطيور والمكلف ايضا بحديقة الشتاء. وقد اعتمد الى حد كبير على سحر شخصيته، فاقنع معظم افراد فرقة


فريتز لانغرهانس، ربان كاب ترافلغار.

الاوركسترا بان يساعدوا في الاهتمام بالمواقد والغلايات. وكان يأمل في ان يقلع بسفينته دونما ابطاء، ظنا منه ان كاب ترافلغار كانت سفينة ركاب غير مسلحة وانه ليس هناك ما يبرر لأي قطعة حربية بحرية، سواء أكانت بريطانية او المانية، ان تعترضها.

ربان جديد

تأخرت اخبار الحرب عن بلدة كلوز الفرنسية الصغيرة عند سفوح جبال الألب. وعندما وصلت اخيرا نسخة من عدد اول اغسطس (آب) من جريدة "التايمس" اللندنية، تسلمها رجل كهل كان يراقب غروب الشمس من كرسيه المديد على شرفة نزل "شميت" وقد لف ركبتيه ببطانية طلبا للدفء.

وكان هذا الرجل العاجز نويل غرانت (٤٥ سنة) قبطانا في البحرية


القبطان نويل غرانت.

الملكية، وكان مصابا بما سماه "الربو الملعون"، وهي عبارة ملطفة لمرض السل الذي كان يعانيه.

وكان غرانت قد التحق بسلاح البحرية كطالب عندما كان عمره ١٢ سنة. وفي الخامسة عشرة من عمره تخرج على رأس صفه في سفينة التدريب "بريتانيا"، واخذ يعتلي سلم الترقية بما بذله من جهد شاق حتى وصل الى رتبته الحالية ولما يبلغ الخامسة والعشرين. وكان ذلك انجازا مهما جعل من غرانت شخصا لا يستغنى عنه. كان يعرف جميع كتب التعليمات والاصول والانظمة البحرية عن ظهر قلب. وكان ملاحا خبيرا معروفا بتعلقه بالنظام وبمواهبه التي استحقت له الثناء مرارا كثيرة، لكنه كان قليل الاصدقاء.

وقد منح اجازة نقاهة بنصف راتب في الاشهر الستة الاولى من عام ١٩١٤، فكان يترقب غيوم الحرب وهي تتلبد في الافق. ووجد لزاما عليه الآن ان يرجع فورا الى الوطن، لربما اعادت اليه الحرب راتبه الكامل، بل حملت اليه الترقية كذلك. وما هي الا خطوة قصيرة حتى يرتقي من رتبة كابتن الى رتبة عميد بحري (رير ادميرال)، فتعقب ذلك احالته على التقاعد اللائق براتب محترم.

وبعد ظهر ٥ اغسطس (آب)، تقدم الكابتن غرانت بطلب الى الاميرالية في لندن يعلن فيه استعداده للخدمة الحربية. وفي خضم تلك الايام العاصفة لم تلزمه الاميرالية باجراء الفحص الطبي. وفي صباح اليوم التالي قيل له انه عين قائدا للباخرة كارمانيا التي ستصل الى ميناء ليفربول في اليوم التالي. وقد تقرر ان يكون هو في استقبالها وان يشرف على تحويلها الى سفينة مسلحة ويهيئها للعمليات الحربية.

لقد كانت هناك مشكلة واحدة تخص غرانت، اذ لم يسبق له ابدا ان تولى قيادة سفينة بضخامة كارمانيا. وقد ترددت الاميرالية فعلا قبل ان تضع في تصرفه سفينة تزن حمولتها ٢٠ الف طن ويبلغ طولها ٢٠٥ امتار، وتغطس محملة الى عمق عشرة امتار ونصف متر. وقد طلب منه رسميا ان يعرض على ربانها الحالي، الكابتن بار، فرصة الابحار معه كملاح و"مستشار"، وان "يلطف" له الامور، او بالاحرى ان يجعل من الصعب عليه رفض هذا العرض بتقديمه له وظيفة آمر (كومندان) موقت في احتياط السلاح البحري الملكي.

وصل غرانت الى حوض شركة كونارد في ميناء ليفربول قبيل

الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي. وتورد سجلات الشركة بيانا بما جرى في ذلك الوقت:

"رست كارمانيا في ميناء ليفربول الساعة الثامنة من صباح ٧ اغسطس (آب) ١٩١٤. وصعد فورا على متنها الكابتن نويل غرانت من البحرية الملكية ونائب المقدم البحري ادموند لوكيير اللذان تقرر ان يتوليا قيادها في الظروف الجديدة: الاول بوصفه القائد المسؤول الأول عنها والثاني بوصفه مساعداً له. وللتو بدأ أكبر عدد من الدهانين الذين امكن جمعهم بتغيير اللون الفاتح لهيكلها ومداخنها وازالة اللونين الاحمر والأسود اللذين اشتهرت بهما سطوحها، بينما راح فريق من العاملين في صناعة السفن يقص ما ارتفع من هيكل السفينة عن مستوى سطحها من الأمام والوراء، وذلك تيسيرا لتصويب المدافع التي ستركب هناك نحو الزوايا المناسبة. وكانت المدافع جميعا من عيار ١٢٠ مليمترا ومداها ٨٥٠٠ متر. وخرجت كارمانيا فعلا الى البحر كطراد مكتمل السلاح بتاريخ ١٤ اغسطس (آب) بعد اسبوع واحد فقط من دخولها الميناء كباخرة سياحية عادية من الدرجة الاولى".

لقد تمت عملية تحويل الباخرة كارمانيا والكثير من السفن البريطانة الاخرى بسرعة وجدارة لم يستطع الالمان مجاراتها. بيد ان الالمان كانوا قد وضعوا منذ حين خططا لتحويل سفنهم الكبرى الى طرادات حسنة التسلح لاستعمالها في غزو البواخر التجارية التي تجوب المحيط الاطلسي. لكن تنفيذ هذه الخطط كان أمرا آخر اصيب بنكسات خطرة. فعند



جيمس بار، ربان كارمانيا.

اندلاع الحرب، كانت المانيا تتوقع ان تكون لها ٤٢ سفينة مسلحة جاهزة للعمل في غضون اسبوع. ولكن لم يكن لديها، في واقع الامر، اي سفينة من هذا القبيل. وكل ما كان لديها لم يتجاوز ١٤ سفينة راسية في الموانىء الالمانية و١٧ سفينة حبيسة في موانىء مختلفة خارج المانيا حيث تقف لها السفن الحربية البريطانية بالمرصاد، وبالتالي تحول دون خروجها.

واستولى البريطانيون في بداية الحرب على ست بواخر المانية اخرى كانت قد حاولت الهروب من الموانىء الخاضعة للسيطرة البريطانية. وبقيت هناك خمس بواخر لم تتسلح منها الا باخرة واحدة هي "كايزر ويلهلم دير غروس"، على اسم القيصر وليم الكبير. ولكن، لسوء حظها، اكتشفها الطراد البريطاني "هاي فلاير" وهي

تتزود بالوقود، فسارع الى الاجهاز عليها. اما الباخرة "كرونبرنز ويلهلم" (على اسم ولي العهد وليم)، فقد فوجئت صباح ٦ اغسطس (آب) قرب الساحل الامريكي وهي تنقل السلاح من الباخرة "كارلزروه"، ولم تكن حينذاك في وضع يمكنها من القتال، فاعتمدت على سرعتها الفائقة للهرب الى عرض المحيط حيث لم تعد تشكل اي تهديد يذكر بسبب قلة وقودها ونظرا الى انه لم يتح لها التزود بأكثر من ثلث ذخيرتها.

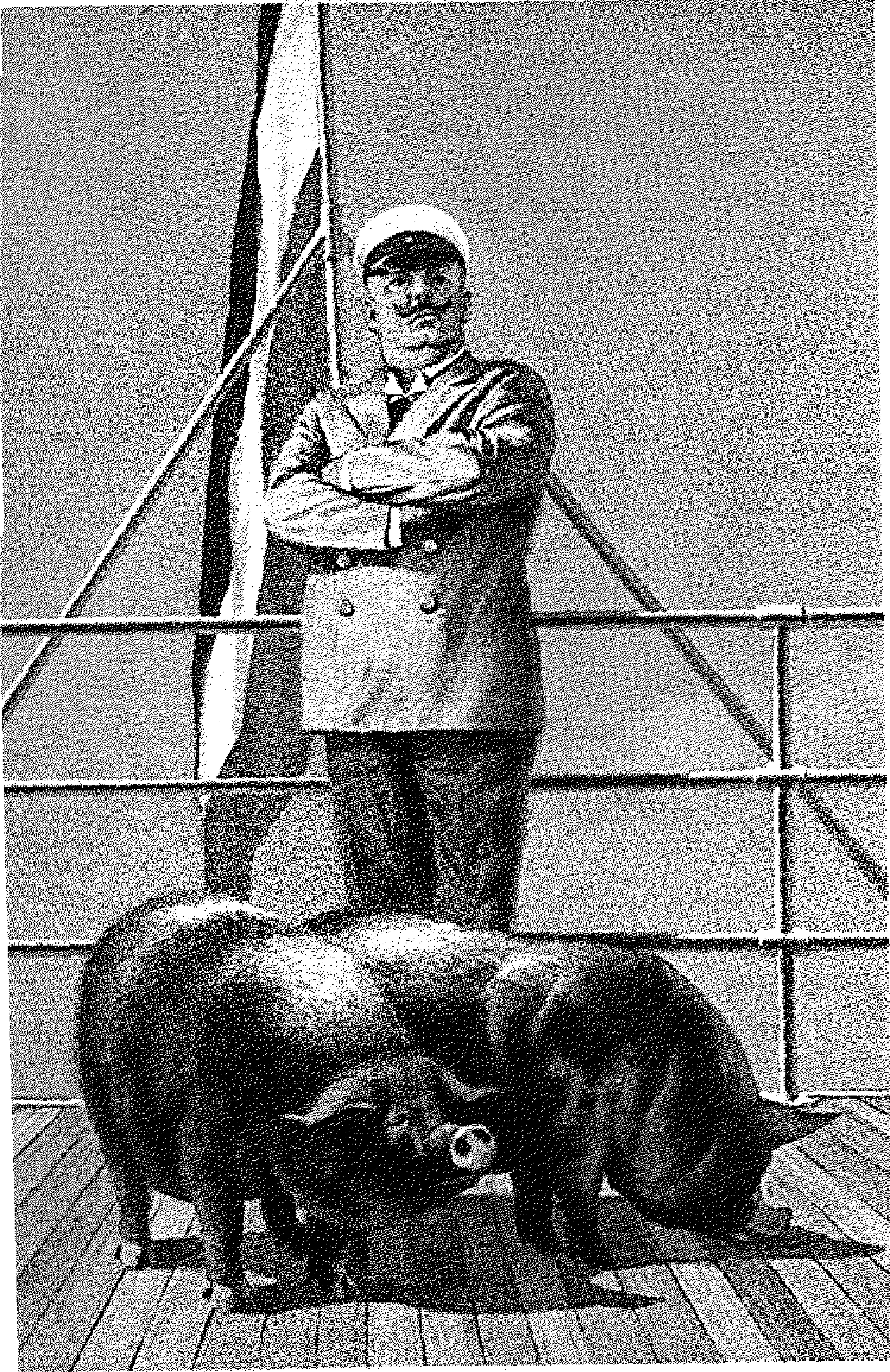
ومن اصل البواخر الثلاث الباقية، اختارت الاميرالية البريطانية ان تركز على كاب ترافلغار، وهي اكبرها واسرعها واكثرها تحملا للخطر. وتقرر منعها، باي ثمن، من التسلل الى طرق التموين البريطانية.

راعي طيور من الدرجة الثانية

لم تساور الكابتن لانغر هانس اي اوهام بالنسبة الى المشاكل التي تنتظره في بوينس ايرس. ولم يكن يبالي بجولات التفتيش التي ربما قامت بها السلطات الارجنتينية على باخرته، علما منه بان الاسلحة الوحيدة الموجودة على متن الباخرة كانت مقتصرة على مسدسه الشخصي وبندقيتي صيد تلقاهما هدية منذ بضع سنوات. وعلى اي حال، فالاميرالية الالمانية كانت قد انتهت من وضع خطتها بالنسبة الى فرار هذه السفينة في اواخر الاسبوع الاول من الحرب. فكان من المقرر ان تتزود بالفحم والمؤن وان تتهيأ للاقلاع، تماما كما اراد لانغر هانس نفسه، في الموعد المحدد لها اصلا. وقد رأت الاميرالية الالمانية ان السفينة، بوصفها باخرة ركاب "بريئة"، تستطيع الانطلاق الى عرض المحيط من دون ان يعترضها احد، فتقوم هناك بتسليح نفسها لتصبح "سفينة غازية" على طرق الملاحة البريطانية. وكانت الاميرالية تظن خطأ ان كاب ترافلغار قد غادرت ميناء هامبورغ وهي تخفي مدافعها سرا في عنابرها.

ولم يكن لانغر هانس تبلغ بعد خطط الاميرالية النهائية المتعلقة بسفينته، فكان يأمل في السماح له بالاقلاع في الموعد المحدد، اي في العاشر من اغسطس (آب)، ليعود الى بلده، لكنه، كما يبدو، اقتنع بعدم تمكنه من التزود بكميات كافية من الفحم على الرغم من بعض الرشوة الحذرة التي يستمد لها المال اللازم من الجالية الالمانية المحلية لتأمين عودة هذه السفينة الى الوطن في اقصى سرعة ممكنة. ولسوء الحظ، قرر لانغر هانس الاتجاه اولا الى الولايات المتحدة املا بالتزود بمزيد من الفحم في طريقه الى الشمال.

وقد نجمت عن ذلك مشكلة أخرى. فقد كان عدد الركاب الحاجزين اماكن على متن السفينة للعودة الى المانيا لاسباب شتى، يفوق ما تستوعبه السفينة. فاوصى لانغر هانس بان يسافر هؤلاء الركاب على احدى البواخر التي رتبها القنصل الالماني لهذا الغرض. ولكن كانت هناك فئة اخرى من المسافرين شغلت باله، ومن بينهم اعضاء فرقة اوبرا صغيرة تتجول بجهازها المسرحي ومعداتها وادواتها الموسيقية وتقيم حفلات لموسيقى موزارت وواغنر للجاليات الالمانية المنتشرة على الساحل الشرقي من القارة الامريكية. ولم



يكن لدى افراد تلك الفرقة المال الكافي او فرصة البقاء في الارجنتين، فقبلهم لانغر هانس كركاب على سفينته وهو واثق من انهم سيتدبرون امر نفسهم في الولايات المتحدة.

لكن مشكلة المشاكل كلها كان شخصا ضخما متقدما في السن، هو الجراح البيطري الدكتور هانس براونهولز الذي صعد الى متن السفينة ومعه صندوق يحتوي على حيوانين كبيرين. وكان في نية هذا الطبيب استخدم الحيوانين لتحسين نسلهما في الارجنتين حيث كان، حسب المقاييس الالمانية، صغير الحجم ويكاد لا يصلح للحم المعلب. وقد وجدته سلطات الميناء في بوينس ايرس مخالفا للقوانين الصحية، فامرت بعودته بشكل قاطع الى المانيا على سفينة كاب ترافلغار.

وكان من طبع هذا الطبيب التدخل في كل شيء. فبدأ بالمطابخ التي كانت موضع افتخار السفينة، وحكم عليها بأنها غير صحية. ثم اعلن عن وجود عيوب في حديقة الشتاء من حيث تصميمها وطيورها ونظام غذاء الطيور. وعندما حاول ابقاء الحيوانين في تلك الحديقة، نفد صبر لانغر هانس وثارت ثورته.

وكان قد لفته الى هذا الموضوع

ضابطه الأول، الملازم بيرند فيدرسن الذي وقف صامتا بينما كان لانغر هانس يفرغ جام غضبه. وبعدما هدأت ثورته، عرض عليه فيدرسن الحل الآتي: ان المانيا الآن في حالة حرب، وهو على متن السفينة حيث تعتبر كلمة الكابتن هي القانون في اي وقت، خصوصا في اثناء الحرب، وان ما يحتاج اليه الطبيب البيطري الدكتور براونهولز هو حمله على الاحساس بالواجب نحو الرايخ الالماني. واقترح على لانغر هانس ان "يجند" براونهولز كفرد عامل من افراد طاقم السفينة.

لاقت الفكرة استحسانا لدى الكابتن، وسرعان ما اتخذت حجرته شكل غرفة عمليات بحرية. ففرش العلم الالماني على مكتبه، واعاره فيدرسن قبعته التي حصل عليها كضابط احتياط في البحرية الالمانية. واشرك الكابتن وفيدرسن معهما في هذه "الحيلة" احد ضباط الصف الذي قلده لانغر هانس احدى بندقيتيه وطلب اليه ان يقف خارج الحجرة عند الباب كحارس. وهنا قام ضابط النظام في السفينة باستدعاء الدكتور براونهولز.

واعلن الكابتن لانغر هانس، بصوت "رسمي"، عن تعيين الدكتور هانس يواكيم براونهولز، الجراح البيطري، "مراقبا من الدرجة الثانية للحيوانات التابعة للبحرية الالمانية"، وذلك من غير راتب، على ان يكون مسؤولا عن تغذية جميع الطيور والحيوانات الاخرى على متن السفينة وعن العناية اليومية بها. وسرعان ما اضاف الى ذلك: اما الحيوانان اللذان يخصان الطبيب فيبقيان في الهواء الطلق

عند الرافعات في مؤخرة السفينة، وانه اذا صدرت عنهما اقل رائحة كريهة فسيحالان على جزار السفينة لاجراء اللازم.

وما ان انتهى الكابتن لانغر هانس من تلاوة "اعلانه الرسمي" حتى فوجيء الجميع بامارات الغبطة والارتياح ترتسم على وجه الدكتور براونهولز الذي لم يكن لديه الا سؤال واحد: هل يمكنه الحصول على بذلة نظامية؟ فرد عليه الكابتن بلهجة رصينة ان في استطاعته ان يرتدي السترة والقبعة الاستوائيتين اللتين كان يستعملهما راعي الطيور في وقت السلم. ثم امره بالانصراف قبل ان يفسد الضحك عليه وعلى فيدرسن "اللعبة".

لكن ضحكهما لم يستمر طويلا. فبينما كانا لا يزالان في الحجرة، قدم ضابط النظام في السفينة بصحبة زائر اخر هو الكابتن البحري اوغست مولر الذي اعلن انه، باسم الرايخ، يضع يده رسميا على كاب ترافلغار لحساب البحرية الالمانية، واعقب ذلك بقائمة طويلة تحدد السمؤوليات انهاها بقوله: "في حال العمليات الحربية يكون لانغر هانس مسؤولا عن ملاحة السفينة، بينما يتولى فيدرسن عمليات القتال".

وسأل لانغر هانس ببساطة: "ولكن بماذا تقاتل السفينة؟" وهو يعلم ان الحارس عند باب حجرته كان يحمل ٥٠ في المئة من "ترسانة" الاسلحة. وكان مولر يجهل ذلك، فعاد الى دار المفوضية الالمانية وابرق رسالة مستعجلة الى برلين. فجاء الرد في برقيتين، الاولى تطلب من لانغر هانس ان يتوجه الى يودي لابلاتا حيث امنت له الاميرالية الفحم الكافي في مونتفيديو. اما البرقية الثانية فتأمره، بعد التزود بالفحم، ان يتوجه حالا الى جزيرة ترينيداد (وهي غير الجزيرة الكبيرة التي تحمل الاسم نفسه في جزر الهند الغربية). وهذه جزيرة صخرية يبلغ طولها خمسة كيلومترات وعرضها كيلومترين ونصف كيلومتر، وتبعد ١٢٠٣ كيلومتراً شرق الساحل البرازيلي. وقد تم اختيار هذه الجزيرة المعزولة غير الآهلة كمكان اجتماع لعدد آخر من السفن الالمانية.

بعد ان تزودت كاب ترافلغار في مونتفيديو غادرت الميناء منتصف ليل ٢٢ اغسطس (آب). وكان لانغر هانس في منصة القيادة، لكنه كان يتردد احيانا الى غرفة الراديو حيث اعاره الاختصاصي سماعتين تشدان حول الرأس لالتقاط المكالمات. ولعل اعلى هذه المكالمات كانت تلك التي يبثها الطراد البريطاني "غلاسكو" والتي، بحكم قوتها، جعلته يقدر ان الطراد لا يبعد عنه اكثر من ٤٨ كيلومترا. وفي تمام الساعة الثالثة صباحا، امر لانغر هانس ان تنطلق كاب ترافلغار باقصى سرعتها شرقا الى عرض البحر، علما بان جزيرة ترينيداد تبعد حوالى ٢٨٠٠ كيلومتر شمال شرق مونتفيديو. وقد شاء لانغر هانس الابتعاد عن الساحل الامريكي الجنوبي ما استطاع، تقديرا منه ان الدوريات البريطانية نشطة على امتداد هذا الساحل، وانه اذا اتجه شرقا مسافة كافية، فانه يستطيع ان ينعطف شمالا فيبلغ ترينيداد من الجنوب، وهو اخر اتجاه يتوقع احد ظهوره منه.

اوميغا كوارتس للسيدات

تحفة يعوّل عليها

تحفة لكل ذوق وعصـــر



ان ساعات أوميغا كوارتس المصممة المصغرة، تحلو بما يجب
أن تحلى به الساعات النسائية. انها صغيرة وأنيقة ورقيقة.
انها لم تزود بالثاني المعنوي لعدم الحاجة اليه بحت. ان
ساعات أوميغا كوارتس النسائية تحافظ على الوقت بدقة بالغة سواء كانت
ملونة أم لا.
أوميغا، الاسم الذي يعبر عن كل شيء.

Ω
OMEGA

حلـيّ أوميغــا. من اليسار لليمين : BA 891.8872B, BA 891.8883A, BA 891.8742B . جميع النماذج تسير بحركة الكوارتس، العلبه والسوار من ذهب ١٨ قيراط، حافّه مرصّعه بالماس، غطاء من الياقوت الا. نمــاذج مسجلـه .

ينصح بالشراء من الباعه الرسميين لساعات أوميغــا فقط . أطلب كتيّب الضمان الدولـيّ .

لقد استصعب الكابتن بار الامر عندما عرض عليه ان يكون مستشارا لرجل يصغره نحو ١٥ سنة. ولعل ما جعله يرضخ لذلك يقينه بأنه اذا ما اختار ان يبقى على اليابسة في سنه هذه، فمن الارجح انه سيقضي عليها بقية عمره. فاستجاب لعرض غرانت ببساطة: "انا رجلك يا كابتن غرانت". ورد عليه غرانت: "شكرا يا حضرة الكومندان". وجلس في حجرة بار التي اتخذ منها مقرا له، وطلب اوراق كارمانيا وتقارير غرف المحركات وقوائم باسماء افراد الطاقم ونسخا عن جميع سجلات الضباط الشخصية. ثم امضى بقية اليوم منفردا. وقد افرغ بار الحجرة من امتعته الشخصية. وبعد ان فكر هنيهة في المكان الذي سينتقل اليه، قرر ان يستمتع بالاقامة في الجناح الفاخر المحجوز لاعضاء مجلس ادارة كونارد.

غذاء الديوك المقاتلة

ظلت العلاقة بين الرجلين مقصورة على طابع الرسميات والتحفظ طوال ذلك الاسبوع الحافل الذي جرى فيه تحويل كارمانيا الى سفينة حربية. وبذل بار جهده ليبقى متنحيا ما امكنه ذلك. لكن معظم افراد الطاقم الذين بقوا على متن السفينة كانوا من موظفي كونارد، وكان طبيعيا ان ينظروا الى بار على انه هو الكابتن المسؤول. وكتب بار في ما بعد يقول: "حالما يتسلم رجل قيادة سفينة كبيرة، يصبح انسانا منفردا. ان قيام الكابتن غرانت الآن بدور "النجم" لم يرحني مثقال ذرّة، اذ انه لم يمض علي بعد وقت طويل مذ كنت انا الكابتن. فما زلت في نظر الكثيرين من الضباط رجلا على حدة. وهكذا، فقد حدث ان غرانت وانا، الرجلين الذين احببنا رفقاءنا، كنا نشعر بشيء من الوحدة".

كان الهم الأول للكابتن غرانت ان يلم بامور قيادته الجديدة. فقد اصبح على متن كارمانيا الآن طاقم قوامه ٤٢٠ بحارا، ألف الكثير منهم ان يشعلوا الغليون عندما يشاؤون او ان يمضغوا التبغ في اثناء العمل. ولم يكن اي منهم يبالي كيف يبصق طالما كان ذلك في اتجاه الريح!

وكان من حسنات غرانت انه تخلى بسرعة عن عادته في التقيد الصارم بالانظمة بالنسبة الى افراد الطاقم. لكنه عوّض عن ذلك باتخاذ مسلك مختلف تماما مع ضباطه الذين كانوا جميعاً تابعين لشركة كونارد، باستثناء نائب المقدم البحري لوكيير واربعة من صغار ضباط الصف. فقد كان غرانت، في نظر هؤلاء، انسانا منفردا عنهم، منطويا على نفسه، لاذعا في انتقاداته، متشددا في مقاييسه، ومتجاهلا، كما يبدو، ذلك الوضع الشاذ من تعارض الولاء الذي يتجلى بوجود ربانين اثنين على متن سفينة واحدة.

ولكم كان من السهل ارتكاب الهفوات والتعرّض لقساوة غرانت الذي بدا كأنه يعمل ٢٤ ساعة في اليوم. وكان الامر بالطبع لا يقل صعوبة بالنسبة الى غرانت ذاته، وربما كان محقا في ذلك بسبب اعتلال صحته. وقد اخذ على نفسه ان يفهم الجميع، بطريقة ما، انه هو وحده صاحب الكلمة الأولى والاخيرة

على متن السفينة. وسنحت له الفرصة لذلك في ليلته البحرية الثانية عندما كان لوكيير المسؤول الاول المناوب في منصة القيادة، وقد تجمع خلفه عدد من الضباط الآخرين - وكلهم من رجال كونارد - يترصدون بقلق عباب البحر وسط الظلام، بينما اخذت كارمانيا تشق طريقها عبر مياه الاطلسي. وفي غمرة هذا التوتر مدّ احدهم يده الى جيبه وتناول غليونه وحشاه بالتبغ كما يروقه ثم اشعل عود كبريت. واذا بغرانت، الذي كان قد تسلل الى منصة القيادة ووقف صامتا وراء الضباط في الظلام الدامس، يصيح بصوت لاذع: "اطفىء هذا الضوء الملعون. احضر الى حجرتي. لا اسمح بالتدخين على منصة قيادتي". ولم يحن وقت الفطور حتى ادركت السفينة بكاملها من هو القائد على متنها.

وقد عينت لكارمانيا، كما كان متوقعا، منطقة تبلغ مساحتها حوالي ٣٦٠ كيلومترا مربعا لتتولى فيها اعمال الدورية والخفر. وتمر عبر هذه المنطقة جميع الطرق الملاحية الرئيسية الوافدة من الشرق او الغرب الى شمال غرب ايرلندا. وكان المطلوب من كارمانيا ان تطلع على هويةكل سفينةتشاهدها، اضافة الى توليها بعض المهمات الاخرى الممكنة، علما بانه تتعذر عليها مهاجمة السفن الحربية الالمانية لان ضخامة حجمها يجعلها هدفا سهلا لتلك السفن، ولان استهلاكها الباهظ من الوقود لا يتيح قيامها بتطوافات طويلة. فان قطع الاطلسي باتجاه واحد، مثلا، يستنفد ٩٠ في المئة من

وقودها· ثم ان تحويلها الآن الى سفينة مسلحة يحول دون تزودها بالوقود الا في المملكة المتحدة او في موانىء الامبراطورية او الموانىء التي في ايدي الدول الحليفة·

ولم تلبث ان بدأت روح التعاون تنمو بين الرجال على متن كارمانيا· وذلك يعود الى اسباب عدة، منها الروح القيادية والتقاليد العريقة والقضية المشتركة· لكن هناك عاملا واحدا جعل من كارمانيا نسيجا فريدا في البحرية البريطانية، وهو ان الضباط وافراد الطاقم على السواء كانوا يقتاتون مثل الديوك المقاتلة التي تغذى تأهبا للرهان عليها في حلبة الصراع·

كانت كارمانيا باخرة سياحية تتميز بالترف والاسراف، وكان ما تحمله من صنوف الطعام والخمور شيئا اسطوريا في ذلك الظرف· وفي خضم عملية تحويلها السريع الى سفينة حربية، لم يفطن احد لما تحفل به ثلاجاتها من افخر الاغذية او ما تضمه اقبيتها من اجود انواع النبيذ التي تركت على متنها من غير ان تمس· ثم لم يكن هناك متسع من الوقت لطلب المخصصات الغذائية العادية التي تزود بها الاميرالية قطعها البحرية· فما كان امام شركة كونارد الا ان تترك لكارمانيا المؤن نفسها التي درجت على تزويدها بها: احسن انواع سمك السلمون الاسكوتلندي، اجمل ضلوع لحم البقر، سمك دوفر سول الشهير، بيض، قشطة (كريم)، فواكه طازجة وكميات من الدجاج·

وذكر بار، بعد سنين من ذلك، ان شركة كونارد ارسلت، من دون شك، قائمة الحساب الى الاميرالية لتعويضها عن تلك الارزاق التي زودت بها السفينة، واضاف بار: انها لجريمة ان تهمل "ممتلكات البحرية"· فقد كانت وجبتا الغذاء والعشاء في غرفة طعام الضباط سخية كل السخاء· وكان في استطاعة الضباط المناوبين ان يطلبوا كل ما تشتهيه انفسهم، فيقدم لهم على طبق من فضة يحمله خادم في سترة بيضاء· حتى ان الوقادين وعمال غرفة المحركات كان نصيب كل منهم نحو كيلوغرامين من شرائح اللحم التي كانوا يفضلون شيّها على رفوشهم بدلا من ان يصعدوا الى القاعة لتناول الطعام مع سائر البحارة·

وعلى اثر احد العشاءات الفاخرة مساء الاربعاء ١٩ اغسطس (آب)، قدم الى غرفة الضباط رجل الاشارة المناوب وفي يده رسالة بالرموز (الشيفرة)· فما كان من غرانت الا ان دعا بار الى حجرته لمساعدته على فك رموزها· كانت الرسالة مقتضبة جافة: "غادروا منطقة الدورية حالا· سارعوا في الاتجاه نحو برمودا"· وكانت تلك البرقية بداية تحركات متعددة ادت الى مجابهة كارمانيا مع كاب ترافلغار في قصة مثيرة·

عملية تنكر

كانت كاب ترافلغار سفينة حديثة العهد، ولم يكن من المحتمل ان يورد اي مرجع بحري رسما بينا لشكلها· وكانت، بمداخنها الثلاث الضخمة، تبدو كأنها احد الطرادات الالمانية او البريطانية الكبيرة التي يستطيع اي منها ازالة كاب ترافلغار عن سطح اليم عن بعد بضعة كيلومترات· فلم

يكن من المتوقع، اذاً، لاي طراد بريطاني او الماني، ان يجازف بالاقتراب منها للتأكد من هويتها. وهكذا، قرر لانغر هانس ان مهمته الاولى هي اجراء عملية تنكر لسفينته.

ولحسن الحظ، لم تكن اقرب المداخن الثلاث من مؤخرة السفينة متصلة بغرفة الغلايات، اذ كان الغرض منها تهوئة شرفات المسافرين والمطابخ وانطلاق البخار المستنفد من غرفة المحركات. فاذا ازيلت هذه المدخنة، اصبحت السفينة بمدخنتين فقط. وبقي السؤال: اي سفينة ركاب يجب ان تشبه؟ وسرعان ما امتدت يد لانغر هانس الى الانبوب الصوتي ليناد فيدرسن الذي كان متمددا في قمرته.

سأل لانغر هانس بطريقة غير مباشرة: "اذا ابلغك المراقبون عن وجود باخرة في الافق البعيد، لها مدخنتان وحمولتها ٢٠ الف طن، فأي باخرة يحتمل ان تكون تلك؟".

ورد فيدرسن على الفور: "لا بد من ان تكون باخرة ركاب بريطانية تابعة لشركة كونارد او لشركة يونيون كاسل. وربما كانت تلك الباخرة كارونيا او فرنكونيا او كارمانيا...".

ويبدو ان الاسم الاخير قد ضرب على وتر في ذهن لانغر هانس، فاخذ يفكر اين سمع هذا الاسم. وبدأ يستعرض الاحاديث التي جرت معه خلال الايام القليلة الماضية. نعم، لقد تجرأ الدكتور براونهولز (الطبيب البيطري) على مقارنة مطابخ كاب ترافلغار بمطابخ كارمانيا. وفي غضون بضع دقائق كان براونهولز منتصبا امام "رئيسه" الكابتن. فسأله لانغر هانس ماذا يعرف عن كارمانيا.

بدأ براونهولز يتبجّح كعادته. وراح يقول بغير ترتيب: ان كارمانيا سفينة قذرة تحفل مطابخها بالصراصير، بل ان هذه الصراصير تفوق بحجمها الصراصير على اي باخرة اخرى تجتاز الاطلسي. وقال ان الطعام الذي تقدمه يقزز النفس، وان لعبة "البريدج" فيها ليست شريفة.

قاطعه لانغر هانس سائلا ما اذا كان يتذكر شكل كارمانيا. وكان جواب براونهولز ابلغ مما توقع لانغر هانس، فقد ابرز قصاصة جريدة تكاد تكون بالية وعليها صور الباخرة. فاكتفى لانغر هانس بنظرة واحدة الى الصور وقال لفيدرسن: "يجب ان يصبح شكل كاب ترافلغار هذه الليلة شبيها بشكل كارمانيا".

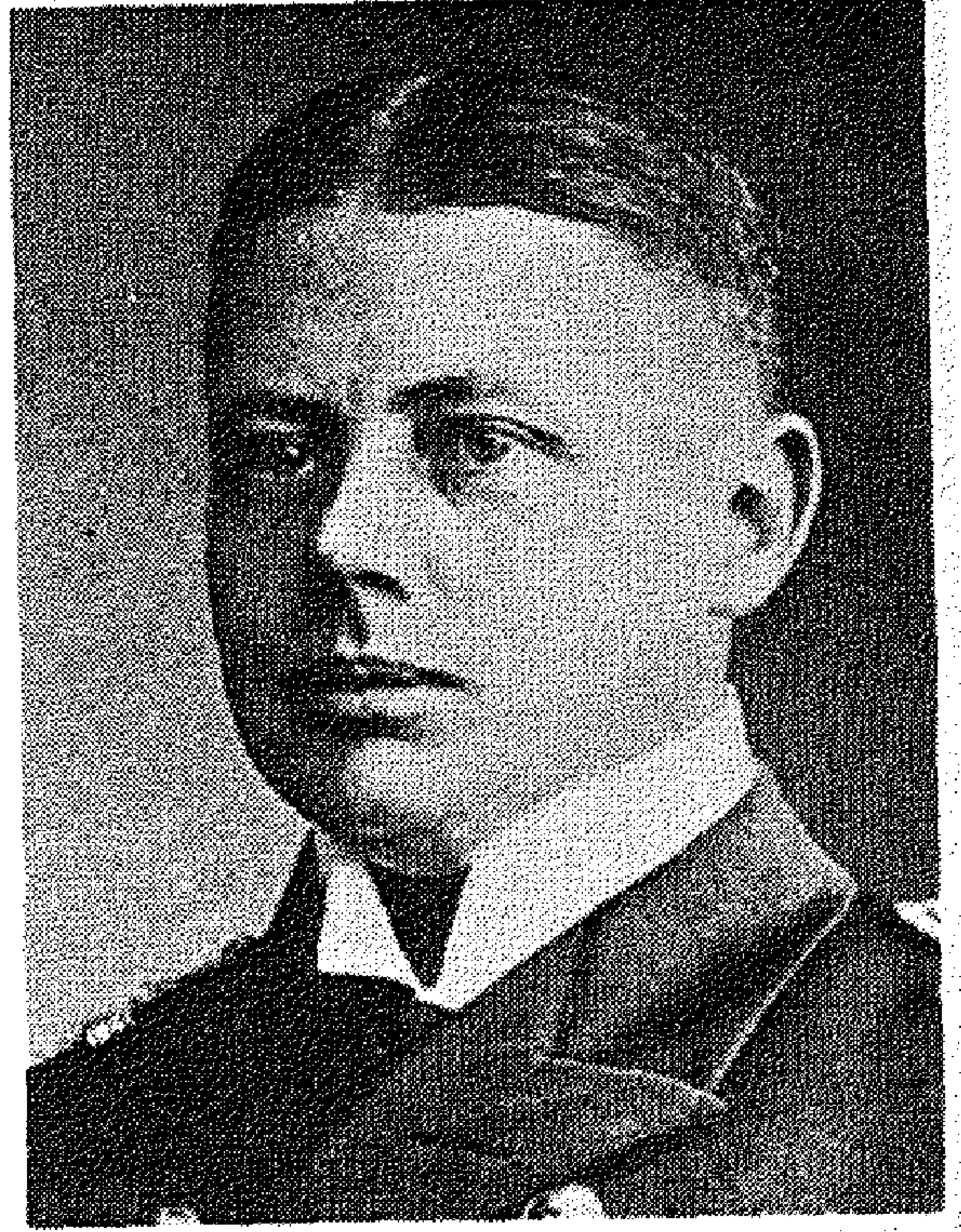
وكانت المشكلة الاولى ازالة المدخنة الاقرب الى مؤخر السفينة، والتي كانت مصنوعة من الحديد بسماكة ثمانية مليمترات وارتفاع ١٢ مترا فوق سطح السفينة. وكانت قاعدة المدخنة مثبتة بمجموعة من البراغي الثقيلة. واضافة الى ذلك، فقد شدّت اسلاك حديد الى طوق على مسافة ٣٠ سنتيمترا من قمة المدخنة. واستنبطت طريقة جديدة لفك المدخنة: تركت البراغي والطوق مكانها موقتا، واقيمت صقالة نقالة على الحبال، وبدأت عملية طويلة لقص المدخنة بالاوكسجين عموديا من فوق الى تحت. وكانت خطوط القص العمودي تبعد بعضها عن بعض حوالي

٣٠ سنتيمترا بحيث تتسنى ازالة الطوق في المساء، ثم شد "شرائح" المدخنة المقصوصة بواسطة بكرات جرارة، من فوق الى تحت، تماما كما يقشر الموز عند فتحه. ولئن لم تكن هذه الوسيلة هي المثلى لانجاز هذا العمل، الا انها، نظرا الى اهتزاز السفينة المنطلقة بأقصى سرعتها وسط البحر الهائج، بدت انها الطريقة العملية الوحيدة. وقد نجحت بالفعل.

وقد جرى طلاء المدخنتين الاخريين باللون الاحمر الذي يعلوه الاسود، وهما اللونان اللذان تستعملهما شركة كونارد في جميع سفنها. اما قوارب النجاة، التي كانت سوداء يعلوها اللون الابيض على متن كاب ترافلغار، فقد اعيد طلاؤها كلها باللون الابيض فقط، وفقا للاسلوب الذي تتبعه كونارد في هذا الشأن.

ولاحظ لانغر هانس من قصاصة براونهولز ان منصة القيادة في كارمانيا تمتد على عرض السفينة، بينما كانت منصة كاب ترافلغار اشبه بعلبة كبريت فوق الصالة الرئيسية، ولا تتجاوز ربع عرض السفينة. فاصدر لانغر هانس الامر بنقل كل اثاث الصالة الرئيسية وبوضع اطار خشبي خفيف وتثبيته بالبراغي الى جانبي المنصة الاصلية. وقرر لانغر هانس تغطية الاطار الخشبي بالقماش وطلاءه بحيث تبدو المنصة تماما مثل منصة كارمانيا. واوكل هذه المهمة الى المدير المسرحي لفرقة الاوبرا المتجولة التي لجأت الى سفينته.

وشرع المغنون والموسيقيون



القبطان جوليوس ويرث.

والممثلون بالعمل بكل عزم وجد، بينما راح احدهم يعزف اعذب الالحان على البيانو ويتبعه شخص اخر بالغناء، وما هي الا دقائق حتى دوت السفينة كلها باصوات اعضاء فرقة الأوبرا الذين اخذوا ينشدون الاغنية تلو الاخرى ويرد عليهم آخرون خارج الصالة، وتتناقل الايدي فراشي الدهان على انغام الموسيقى. وكانت كاب ترافلغار كلما قطعت ميلا تغير مظهرها بشكل ملحوظ، فاصبحت الاغاني المدوية من افتك الاسلحة لديها وهي تمخر البحر في اتجاه الشرق.

وتم تركيب المنصة الوهمية وطلاؤها في اصيل اليوم السادس والعشرين من اغسطس (آب). فتوجه لانغر هانس الى مقدم السفينة لتفقد منصته الجديدة، فتعذر عليه، وهو في الخارج، معرفة اين ينتهي الحديد واين يبدأ القماش. واما من داخل المنصة فكان المظهر مختلفا تماما بما تخلله من المشاهد المصورة من اوبرا "زواج فيغارو" من ناحية ومنظر طريق تخترق غابة اشجار باسقة من الناحية الاخرى. اما المشاكل الباقية، فكانت ثانوية، كالاهتمام بتقليد الشعار الاحمر لبريطانيا العظمى وعلم شركة كونارد. وما ان تم ذلك حتى خيط الشعاران احدهما الى الآخر ووضعا على السارية استعدادا لرفع هذا العلم الجديد في احوال الطوارىء. لكن لانغر هانس تشاءم من ازالة اسم كاب ترافلغار المدهون على مقدم السفينة ومؤخرها، فأبقى عليه. وفي منتصف ليلة ٢٦ اغسطس (آب)، بلغت كاب ترافلغار خط الطول ٢٩ درجة و٣٠ دقيقة غربا، وغمر لانغر هانس شعور بالارتياح عندما استدار بسفينته شمالا قاصدا جزيرة ترينيداد التي اصبحت لا تبعد عنه سوى مسافة ٧٢٤ كيلومترا تقريبا. وقيل له انه ربما صادف في طريقه الى الجزيرة بعض وحدات من البحرية الالمانية التي كانت تنتظره.

تحركات مشؤومة حاسمة

في هذه الفترة وفي الاسابيع الثلاثة التي تلتها، وقعت سلسلة من الاحداث كان لها الاثر الحاسم على مصير كاب ترافلغار.

لدى اندلاع الحرب، كانت السفينة المدفعية الالمانية "ايبر"، بقيادة الكابتن جوليوس ويرث البالغ من العمر ٣٩ سنة، ازاء الساحل الافريقي. وكانت ايبر سفينة صغيرة، ضئيلة السلاح، بنيت خصوصا

لخفر ساحل جنوب غرب افريقيا الذي كان تابعا لالمانيا انذاك. لكنها في ١٣ اغسطس (آب)، تسلمت برقية تأمرها بالتوجه الى جزيرة ترينيداد "للالتقاء بوحدات اخرى".

وصل ويرث مساء ١٥ اغسطس (آب) باكرا. وبعد بضعة ايام انضمت اليه اربع حاملات فحم صغيرة. فملأ مخازنه بالفحم وبدأ دوريته الحذرة حول الجزيرة. وعند فجر ٢٠ اغسطس (آب) لمح عن بعد شبح سفينة حربية، وتنفس الصعداء عندما تبين انها الطراد الالماني دريسدن. ثم قيل له ان سفينة مسلحة تدعى كاب ترافلغار ستصل قريبا، وان عليه ان يتولى قيادتها.

وحدث في غضون ذلك ان اعترضت الاميرالية البريطانية برقية مرسلة الى برلين، لم تستطع الاميرالية فك رموزها. لكنها ادركت، من خلال اشارة النداء، انها صادرة عن الزورق الحربي ايبر الذي كانت تقدّر انه يعمل في محاذاة الشاطىء الافريقي. وقد عزز ذلك اعتقاد الاميرالية ان المانيا كانت تخطط لأمر رهيب على الخط التجاري منكيب تاون او في منطقة غرب افريقيا نفسها. وكانت مواجهة هذا التهديد تعني اضعاف الاسطول الذي يغطي جنوب الاطلسي الذي تجتازه خطوط تجارية تعتبر حيوية جدا بالنسبة الى بريطانيا. وهكذا تقرر ان تستأنف كارمانيا (التي وصلت لتوها الى برمودا) مسيرتها في اتجاه الجنوب على مسافة ١٦٠٩ كيلومترات اخرى الى جزر الهند الغربية لتعمل - خلافة لامنية ضباطها - كسفينة تموين.

وغادرت كارمانيا جزيرة برمودا في ٢٩ اغسطس (آب)، وبعد رحلة مملة، حطت مراسيها في جزر الهند الغربية في ٢ سبتمبر (ايلول). وجرى فورا تحميلها بما يلزمها من الفحم والمؤن التي امرت بتسليمها الى اسطول الاميرال السير كريستوفر كرادوك، المكلف تعقب السفن الالمانية التي قد تغير على السفن البريطانية بالقرب من الساحل الفنزويلي.

واستنتجت الاميرالية من الرسائل اللاسلكية المعترضة ومن السفن الالمانية التي شوهدت بالمكبرات من مسافات بعيدة، ان ثمة اسطولا المانيا مغيراً -يضم كاب ترافلغار والطرادين دريسدن وكرونبرنزويلهلم - يجمع شمله قرب جزيرة ترينيداد الصغيرة. وفكرت الاميرالية فيمن ترسله لاستجلاء الامر، فوقع الاختيار على كارمانيا التي تلقت التعليمات في الساعة العاشرة من صباح ١١ سبتمبر (ايلول) باستكشاف المياه المحيطة بجزيرة ترينيداد. فاذا وجدت اي سفن للعدو في المنطقة، كان عليها ان تنقل الخبر الى الطراد بريستول.

وكان لبرقية الاميرالية التي تضمنت هذه التعليمات لكارمانيا وقع الصاعقة على كل من غرانت وبار. وكان غرانت يعاني اخيرا اشتداد وطأة المرض عليه. والواقع ان خادمه وجد بياض سريره في الصباح ملوثا ببقع من الدم. ونتيجة لذلك، وبناء على اقتراح طبيب السفينة، بدأ غرانت يتمهل في الامور ويتجنب اجهاد نفسه الى اقصى المستطاع. ومع هذا، فما ان تم فك رموز برقية

الامبرالية حتى كان غرانت في غرفة الخرائط يتدارس الشؤون التكتيكية مع بار.

وسرعان ما اكب" الرجلان على تدارس ميزات السفن: فالطراد دريسدن مخفوض البناء، معد" للسرعة وللطواف على مسافات كبيرة، وله ثلاث مداخن، وتبلغ سرعته ٢٤ عقدة. والطراد كرونبرنز ولهلم مزود باربع مداخن، ويستطيع الاسراع بمقدار ٢٣ عقدة، بينما تبلغ سرعة السفينة كاب ترافلغار ١٨ عقدة، اي بزيادة عقدة واحدة على سرعة كارمانيا.

وجالت فكرة واحدة في خاطر الرجلين: اذا امكن حمل الألمان على الاعتقاد بان كارمانيا هي كاب ترافلغار، فانهم سيفسحون لها مجال الاقتراب حتى مرمى مدفعيتها. ولكن لم يفكر اي منهما في ما عساهما يفعلان لو كانت كاب ترافلغار راسية هناك.

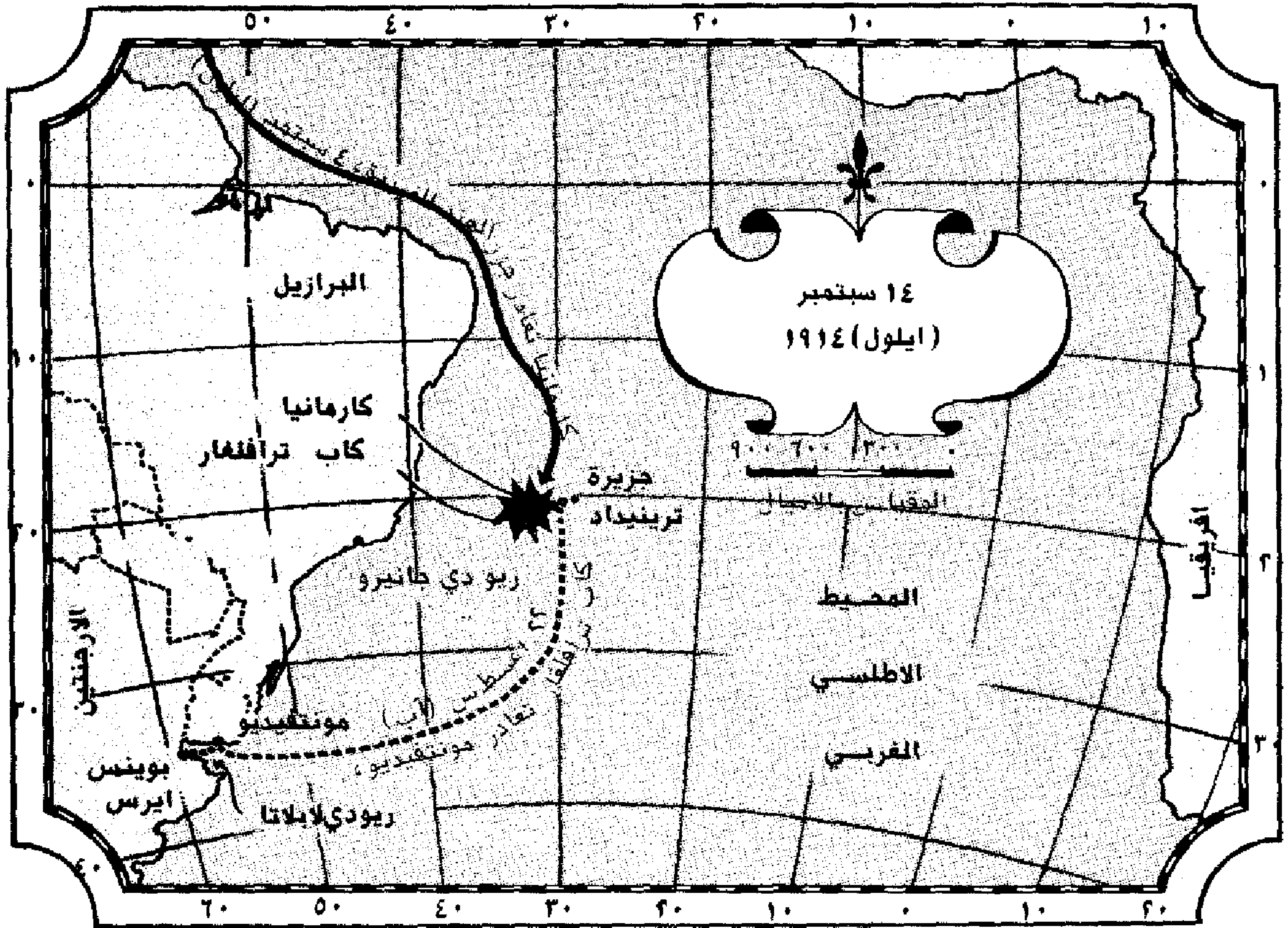
وامضيا بقية اليوم في الاشراف على تركيب المدخنة الثالثة الوهمية. وكانت هذه المدخنة مجرد هيكل مصنوع من قماش المظلات التي كانت على سطح السفينة، وقد شدت الى اطار خشبي خفيف في شكل الرقم "٧"، مع توجيه زاويته الى الامام. فالمهم هو ان تبدو السفينة بثلاث مداخن. وتم تثبيت المدخنة الوهمية بالاسلاك خلف المدخنة الثانية التي اصبحت الآن المدخنة الوسطى.

مساء ذلك اليوم اقيمت حفلة عشاء لمناسبة عيد ميلاد غرانت، احرزت نجاحا منقطع النظير لكثرة ما قدم فيها من اطباق الطعام الشهي وانواع النبيذ الفاخر، وكأنها الحفلة التي اقامتها دوقة ريتشموند على شرف ولنغتون عشية معركة واترلو. واعقبت العشاء حفلة موسيقية احيتها فرقة السفينة، وتضوعت الصالة الرئيسية برائحة سيجار الهافانا الذي لم ينطفىء. واستمر شرب النبيذ "موتون روتشيلد" واجود اصناف الكونياك حتى اليوم التالي. وكانت لحظة "النجاح والاستحسان"، بالنسبة الى بار، عندما وقف واقترح ان يشرب الحاضرون نخب السيدات، ولا سيما السيدة غرانت. فعلت حمرة الخجل وجنتي غرانت وكأنه تلميذ مدرسة.

وحدث بعض المزاح البريء عندما فكر الرجلان في ارتداء الملابس التنكرية. ووقف طبيب السفينة واقترح ان يشرب نخب السفينة، وقال انه لا يعلم ما اذا كان يشرب نخب كارمانيا او نخب كاب ترافلغار. واكتفى بشرب نخب الدارعة "سيبارايت". وانتهت السهرة بان توالى كل منهم على انشاد اغنية من الاغاني الشائعة آنذاك، بينما اخذ الباقون يرددون اللازمات وكأنهم كورس محترف. واصبحت السفينة على مقربة من جزيرة ترينيداد القابعة على مسافة تقل عن ٩٠ كيلومترا الى الجنوب.

"لمسة نلسون"

في هذه الاثناء، خضعت كاب ترافلغار لتغيير مسرحي" آخر. وبلغت جزيرة ترينيداد في ٢٨ اغسطس (آب) حيث القت مرساتها بعد الظهر. وفي ذلك الوقت كانت كارمانيا لا تزال في برمودا.



ذهب لانغر هانس وفيدرسن رأسا لحضور مؤتمر على متن الزورق ايبر. وقرر ويرث نقل اسلحة ايبر وطاقمها الى كـاب ترافلغـار، وتعزيـز ذلـك الطاقم بما يلزم من المتطوعين من كاب ترافلغار نفسها ومن ناقلات لفحم. وكان على علم تام بأن الاسلحة المتوافرة لديه لا تكفي، لكنه كان يأمل في أن يلتقي وحدات أخرى من البحرية الالمانية ويحصل منها على بعض المدافع.

وتولى أحد قوارب النجاة التابعة للكابتن ويـرث اعـادة ضبـاط كـاب ترافلغار الى سفينتهم، واحاطهم علما بأن ويرث سيصعد الى متن تلك السفينة في تمام الثامنة من صباح اليوم التالي ليتولى قيادتها. وأمرهم ايضا بمراعاة التعتيم وابقاء السفينة على أهبة الابحار في أي لحظة.

في صباح اليوم التالي قدم ويرث في الموعد المحدد تماما، وقد ارتدى اجمل حلة رسمية لديه وتقلد حسامه وتـزود بنسخـة مـن دليـل البحريـة الالمانية الذي يحدد واجبات الضباط ومسؤولياتهم. وكان يتوقع ان يحييه الحارس عند سلم السفينة وأن يتسم استقباله بالمراسم البحرية المألوفة، وان يرافقه احد الضباط الى حجرة الربان. غير انه صعد السلم من دون أن يصادف احدا، ودخل الى الحديقة الشتوية حيث لم ير الا الدكتور براونهولز الـذي كـان مشغـولا فـي اطعام الببغاوات، فحيّاه هذا تحية "مدنية" وانصرف الى شأنه.

في تلك اللحظة دخل لانغر هانس الحديقة الشتوية، ومدّ يده الى ويرث مصافحا وقال: "يحلو لي أن اراك على متن هذه السفينة يا رفيقي العزيز. ضع ذلك السيف المخيف في مكان ما، وتعال لنتناول الفطور معا".

صعق ويرث بذلك الفطور المترف الذي اشتمل على الكعك المحلّى والكلاوي وصنوف اللحم المقدّد والفاكهة الطازجة وبجانبها طاسات صغيرة لغسل اصابع الايدي مملوءة ماء يطفو على سطحه اجمل الزهر. وبدأت الشكوك تساور ويرث حول الحكمة من تحويل هذه السفينة الى طراد حربي.

كانت ايبر تحمل مدفعين من عيار ١٠٥ ملليمترات، مدى كل منهما ٦٥٠٠ مترا، اضافة الى ستة مدافع رشاشة ثقيلة. وكانت كاب ترافلغار قد جهّزت بأربعة مرابض للمدفعية على سطحها، ولكن لم تكن هذه المرابض صالحة لاستقبال المدفعين من ايبر. لذلك كان لا بدّ، اولا، من حفر مجموعة جديدة من الثقوب لايواء البراغي عبر صفائح النحاس البالغة سماكتها ١٣ سنتيمترا. ثم كان لا بدّ من انجاز هذا العمل باليد.

وفي اثناء هذا العمل، قام آخرون بنقل المدافع الرشاشة الى متن السفينة، في حين جلس ويرث تحت مظلة السطح الامامي واخذ يرسم المخطط تلو الآخر بالنسبة الى مظهر السفينة من عل، ثم حاول ان يحسب زوايا اطلاق النار بطريقة لا تعوقها منشآت السفينة. وراقبه لانغر هانس قليلا ثم قال: "قد لا تصدق، ولكن ربما استطعت ان اساعدك، باعتبار اني اعرف الكثير عن نوع الاشتباك الذي اظن انك تخطط له".

وأدرك كلاهما انه، في حال الالتقاء بسفينة حربية معادية وتبادل النار معها، فستكون كاب ترافلغار في وضع يائس نظرا الى قصر مدى مدفعيها الصغيرين بالنسبة الى مدفعية العدو. اما اذا شاءت كاب ترافلغار استعمال مدافعها الرشاشة، فيجب ان تكون قريبة جدا من السفينة المعادية، مما يجعل مثل هذا الاقتراب ضربا من الانتحار ما لم يتسنّى لها، بفضل رشاشاتها الكثيفة، ان تلزم رجال السفينة المعادية بخفض رؤوسهم الى ان يتم لكاب ترافلغار ان تقترب من حافة السفينة المعادية وينقضّ رجالها عليها على طريقة القراصنة.

وقال لانغر هانس: "انك تحتاج الى خطة خاصة بتبادل النار من مسافة قريبة ضد عدو ابطأ منك، كما انك تحتاج الى تعزيز "فرق الانزال" التي ستتولى الانقضاض على متن السفينة العدوة. اتراني مصيبا في استنتاجي هذا؟" فهز ويرث رأسه بالموافقة. عندئذ اقترح لانغر هانس ان يذهبا الى غرفة المكتبة. وهناك وقف لانغر هانس امام كتبه وقال لويرث بخيلاء: "كل شيء هنا. انا شخصيا من المعجبين بنلسون، وان ما تحتاج اليه في الواقع هو ما يسمى لمسة نلسون". وشرح له ان ذلك يعني اظهار البراعة في التصرف في اي موقف، وفي هذه الحال بالذات يعني اتباع تكتيك خاص يتيح الاقتراب من مقدم سفينة العدو اولا، مع الحرص ما أمكن على عدم تعريض جانب سفينتهما لنيران العدو قبل ان تقرب كاب ترافلغار الى مسافة تمكنها من الاستدارة بسرعة بحيث يصبح جانبها

فجأة ملامسا لجانب السفينة المعادية. وعندئذ يتسنى لفرق الانزال اعتلاء متنها.

أراد لانغر هانس الاسترسال في حديثه، لكن ويرث قاطعه قائلا ان ذلك ممكن عمله بسفينة سهلة المناورة مثل ايبر، وليس بسفينة في ضخامة ترافلغار. فالامر هنا يختلف كليا، اذ ستحتاج الى أكثر من ثلاثة كيلومترات لتتوقف والى قرابة كيلومترين لتستطيع الاستدارة وملامسة جانبها لجانب السفينة المعادية.

ورد لانغر هانس قائلا ان كاب ترافلغار مجهّزة بثلاثة رفاصات توربينية يتسنى تشغيل كل منها على انفراد. واذا دار المحرّكان الاوسط والايمن بأقصى سرعتهما في اتجاه عكسي، فذلك يكفي لاستدارة السفينة بحيث يتجه مؤخرها نحو الميناء في وقت قصير نسبيا.

واقتنع ويرث بكلام لانغر هانس الذي اقترح عليه ان يتثبت من صحة اقواله باجراء تجربة عملية، خصوصا أن السفينة كانت على أهبة الابحار وفقا للتعليمات. وفي صباح اليوم التالي خرجت السفينتان ايبر وكاب ترافلغار الى عرض البحر. وقد حملت الساعات القليلة التالية الى ويرث درساً لن ينساه في الملاحة البحرية.

وجّه لانغر هانس مقدّم كاب ترافلغار نحو ايبر وانطلق في اتجاهها. وربما تخيّل، ولو للحظة قصيرة، كيف ان اعضاء مجلس ادارة كونارد ينظرون اليه فاغرين افواههم وهو يقوم بهذه الحركات البهلوانية. وما ان صار على قاب قوسين من ايبر حتى اصدر الامر بتشغيل المحركات

الثلاثة بالسرعة القصوى الى الوراء. ولم يلبث ان بدا كأنه على وشك الاصطدام بإيبر، فأومأ برأسه الى ويرث الذي سارع الى تحويل دفة السفينة الى الميمنة تحاشيا للاصطدام. واذا بجانب كاب ترافلغار يكاد يلامس جانب ايبر بسرعة تفوق ما تصوره ويرث.

أمضت السفينتان طوال ذلك اليوم تكرران تلك "اللعبة" الى أن اتقنتا التكتيك المنشود. وعند حلول الغسق أمر ويرث بالعودة الى الجزيرة حيث تم تركيب المدافع على متن كاب ترافلغار في مواضع تتيح لها تقديم افضل الدعم الممكن. وفي ٤ سبتمبر (ايلول)، خرج ويرث بكاب ترافلغار الى عرض البحر لتدريب فرق الانزال على الانقضاض. وبقي لانغر هانس في الجزيرة.

تزوّدت كاب ترافلغار بمجموعة كبيرة من الشباك المستعملة لرفع الامتعة من العنبر. وصنعت على عجل منصة خشبية غير مصقولة ركّزت فوق حدى هذه الشباك. وعند رفع المنصة مع الشبكة في الهواء، بدت كأنها شبكة للصيد. فتعلم فريق الانزال الاول كيف يتعلق بهذه الشبكة من الخارج. ووجد ويرث انه يستطيع رفع افراد الفريق من العنبر والميل بهم فوق جانب السفينة، ثم انزالهم على سطح السفينة المعادية في أقل من دقيقة واحدة.

وحرصا على سلامة فرق الانزال، أمر ويرث باحضار لفّة ضخمة من السجاد جرى تثبيتها من أحد طرفيها الى شرفة السفينة للتمكن من قذفها بالطرف الآخر الى سطح السفينة المعادية فينزلق عليها افراد فرق الانزال عند انقضاضهم على هذه السفينة. وقد اعجب هذا الابتكار معظم البحارة، وحقّق لفيدرسن وفريق السجادة لقب "علي بابا والاربعون حراميا".

وعلى أثر هذه التدريبات الشاقة، استدار ويرث بالسفينة عائدا الى الجزيرة. وشوهدت ترينيداد عند ظهر ١٣ سبتمبر (ايلول).

سلاح غير عادي

راقب الكابتن لانغر هانس، بشعور من الغبطة المشوبة ببعض وجل، السفينة كاب ترافلغار وهي تقلع للقيام بدوريّتها.

وكان لانغر هانس قد ابدى ملاحظة بأن وجوده على متن السفينة الى جانب رجل يصغره سنا ربما أدى الى عرقلة اسلوب ويرث في تصريف الامور. فأصدر ويرث امراً بتعيين لانغر هانس مسؤولا عن سائر السفن المدنية وعن المنشآت البحرية الصغيرة في الجزيرة. ولكن بعد ان خرجت كاب ترافلغار الى عرض البحر واقفر المرفأ الصغير، قرّ رأي لانغر هانس على القيام بجولة استكشافية. وحمل بندقيته وركب قاربا صغيرا وأخذ يجذف بنفسه نحو الشاطىء.

ولاحظ ان هناك بقايا رصيف بحري مع مبنى حجري متداع عند أحد طرفيه، وان الدخان يتصاعد من المبنى. فدخله ووجد فيه الطبيب البيطري الدكتور براونهولز الذي كبرت مسؤولياته لتشمل الحيوانات على متن السفن الاخرى. واستفسر لانغر هانس عن الحيوانين اللذين اصطحبهما، فوجدهما مزدهرين، وقد اطلق عليهما براونهولز اسمي نلسون وايما، تيمنا باسمي الاميرال

وخليلته. وبدت ايما على وشك ان تضيف مخلوقا جديدا الى سكان الجزيرة في أي لحظة.

بعد تناوله طعام الغذاء مع الطبيب البيطري، توجّه لانغر هانس الى أعلى نقطة في الجزيرة حيث أقام ويرث مركزا للمراقبة. واستغرق وصوله الى تلك النقطة المرتفعة بعض الوقت، لان الطريق البرية المؤدية اليها كانت تكسوها الاعشاب الكثيفة في بضعة اماكن. وكان المنظر رائعا حقا من تلك القمة. وقدّر لانغر هانس ان الهضبة تعلو نحو ١٥٠ مترا فوق سطح البحر، وانها تتيح للناظر رؤية واضحة الى مسافة لا تقل عن ٤٠ كيلومترا. ووجد الرجال في مواقع المراقبة يستريحون بين بقايا تحصينات حجرية قديمة ربما اقامها الاسبان، وهم أول القادمين الى هذه الجزيرة التي اتخذوا منها ملجأ عمليا تتوافر فيه مياه الشرب.

كانت هناك طريق أخرى للنزول من القمة، سار عليها لانغر هانس ووجد انها تؤدي الى مكان سرعان ما أدرك انه كوة فوهة مدفع هاون قديم مصنوع من النحاس، وهو من النوع الذي كان يستعمل لعمليات الحصار. وكان المدفع كامنا خلف متراس منخفض يشرف على مياه المحيط.

كان قطر الفوهة نحو نصف متر، ولا يتجاوز طول ماسورة المدفع القزم مترا واحدا. وكان عند قاعدة الماسورة من الداخل تجويف خاص لحشوة البارود ينفذ عبره ثقب الى أعلى لاشعال البارود من خلاله. وقد استعمل نلسون هذا النوع من المدافع، كما تعرّض لنيران امثالها، في جزيرة كورسيكا.

أخذ لانغر هانس يتخيل الاثر الذي تحدثه قذيفة من هذا المدفع قدر وزنها بعشرين كيلوغراما، اذا سقطت على سطح سفينة معادية. وقدّرت سرعة انطلاق هذه القذيفة بـ٢٢٥ كيلومترا في الساعة. وربما ادى هبوطها على سطح السفينة الى اختراقه الى اسفل. وعندما عاد لانغر هانس الى "ايلينور وورمان"، ناقلة الفحم التي اتخذ منها الان مقرا له، كانت خطة الافادة من هذا المدفع قد ارتسمت ملامحها في ذهنه.

كان لكاب ترافلغار ممر جانبي مجهّز بباب تحت منصة القيادة بحيث يتاح للركاب الصاعدين الى متنها ان يدخلوا رأسا الى الشرفة "ب". فكر لانغر هانس في تركيز مدفع الهاون في هذا الممر الذي، اذا فتح بابه، يبدو كأنه نافذة يطل منها المدفع ايذانا ببدء اطلاق النار على العدو. واذا لقم المدفع بقذيفة محشوة بقطع من الفحم المشبع بالزيت، استطاعت هذه القذيفة ان تفجّر وابلا من حمم الفحم في جميع الاتجاهات فوق سطح السفينة التي تنزل عليها، فتحدث الحرائق وتثير ستارا من الدخان وتشيع الارتباك والحيرة، وبالتالي تساعد فرق الانزال في مهمتها. فراقت لانغر هانس هذه الافكار وأثملته.

وتبين ان اعداد هذه الخطة كان اسهل مما يتصوره العقل. ذلك ان احدى ناقلات الفحم كانت مزودة على جانبيها بعدد من اطارات المطاط القديمة تجنبا لتأذي معدنها عند شحن الحمولة او افراغها. فجلب لانغر هانس بعض هذه الاطارات وأقحم فيها ماسورة المدفع في شكل دولاب،

تسنَّت معه "دحرجة" المدفع الى رصيف الميناء، وأمكن بالتالي نقله الى ايلينور وورمان ورفعه الى أعلى مقدّم المركب. ولم يكن في نية لانغر هانس ان يستعمل المدفع في هذا الوضع الذي لم يختره الا لانه الجزء الاعلى من السفينة الذي يسهل نقل المدفع منه الى متن كاب ترافلغار لدى عودتها.

وعندما وصلت اشارة من الكابتن ويرث الى ان كاب ترافلغار هي الان في طريق عودتها، كان قد تم تركيب مدفع الهاون على منصة متينة مصنوعة من الحديد المستعمل لربط خطوط السكك الحديد وظهرت الى جانبه مجموعة من "القذائف" المملؤة بأجود انواع فحم مقاطعة ويلز المنقوع بالزيت.

لقاء العملاقين

شعر الكابتن ويرث بأن البريطانيين اصبحوا قريبين، وكان يأمل في اخلاء الجزيرة بأسرع وقت ممكن. وبينما كان يتزود بالفحم شاء ان تتخذ ايلينور وورمان موقعا الى الجنوب الغربي لاستكشاف اي حركة قد تلوح في الافق. والواقع ان غرانت كان يقترب من الشمال لتصبح الجزيرة حاجزا بينه وبين المرسى الى الجنوب الغربي.

ولما اجتمع ويرث على متن كاب ترافلغار بالكابتن العجوز لانغر هانس، اعرب له عن شكره عندما علم بمدفعه. لكنه اقترح عليه بكل لطف، مع تحاشي الاساءة الى شعوره، ان يبقي المدفع في الوقت الحاضر في مكانه على متن ايلينور وورمان حيث يمكن استعماله عند الضرورة لاعطاء الاشارة. وبعد انتهاء الاجتماع ودع ويرث صديقه العجوز بحرارة، وعاد لانغر هانس بقارب صغير الى ايلينور وورمان. وما ان بلغها حتى طلب من بحارة القارب الانتظار قليلا. ولم يلبث ان جاءهم بكتاب طلب تسليمه الى ويرث. كان هذا الكتاب المجلد الثاني من سيرة نلسون بقلم ساوثلي. ووضع لانغر هانس اشارة على فقرة من تعليمات نلسون الاخيرة قبيل معركة الطرف الاغر، جاء فيها: "لا يخطىء الكابتن اذا وضع سفينته الى جانب سفينة العدو".

في حدود الساعة ١١ من صباح ١٤ سبتمبر (ايلول)، وفي اثناء عملية تزويد كاب ترافلغار بالفحم، شاهد ويرث سفينة غريبة تقترب من الشمال، فسارع مع فيدرسن الى الصعود الى قمة منصة القيادة لمحاولة التعرف على هوية السفينة المتطفلة. وظن فيدرسن انها احدى سفنهم لشبهها الكبير بالسفينة الشقيقة "كاب فينيستير". ورفع ويرث مرساة السفينة استعدادا للابحار، وامر رجل الاشارة ان يطلب من الزائر الغريب الاعلان عن هويته.

اما غرانت فقد القى نظرة فاحصة على كاب ترافلغار التي ظهر هيكلها بأبراجه ومنشآته الضخمة. وقال لبار متسائلا: "يا الهي! اي سفينة هذه؟" فرد بار: "يتبين من مدخنتيها انها - من دون شك - احدى سفننا او احدى سفن خطوط يونيون كاسل".

وأخذت "الطريدة" الان تتحرك جنوبا. ورفع غرانت رايته ليعلن عن هوية سفينته. كانت احدى السفينتين تبعد عن الاخرى زهاء ١٥ كيلومترا وتتجهان كلاهما جنوبا. ولكن ما أن اتضح شعار راية كارمانيا

تلفزيون فيليبس - شاشة كبيرة وألوان طبيعيّة نابضة بالحياة

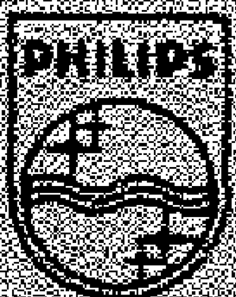




PAL/SECAM

ألوان طبيعية تنبض بالحياة، ووضوح لا يضاهى – يرجع الفضل فيها الى اساليب «هايبراي» الحديدة – وصوت واضح لا تشويه فيه. تلك هي المزايا الأساسية في كل جهاز تلفزيون فيليبس. بالاضافة الى ميزة الممتانة الكبيرة وهنالك أداة فوق صوتية للتحكم عن بعد لا تحتاج الى سلك كهربائي، ولكنها تمكنك من تغيير القنوات وتعديل ضبط المفاتيح وأنت جالس في مقعدك. وإذا وصلت جهاز التلفزيون عسجلة كاسيت فيديو من صنع فيليبس فانك تستطيع أن تعيد عرض أي برنامج تلفزيوني في أي وقت (تصل مدة الكاسيت الى ١٣٠ دقيقة) وتستطيع أن تشاهد برنامجاً على قناة وتسجل في الوقت ذاته برنامجاً آخر من قناة أخرى. بل انك تستطيع أن تسجل برنامجك الذي تريد وأنت خارج المنزل. إن هذه المنتجات بما تتحلى به من أساليب اتصال معقدة وشكل حديث أنيق. إنما جاءت نتيجة سنوات طويلة من الأبحاث التي تستند إلى امكانات عالمية هائلة. فلماذا لا تكون واحداً من الملايين الذين يضعون ثقتهم في فيليبس؟ اطلب عرضاً لتلفزيون فيليبس اليوم. فهنالك أجهزة صنعت خصيصاً للبلاد الحارة المناخ وتعمل بنظامي پال وپال / سيكام.





فيليبس الأفضل لكم دوماً

وهي ترفرف على رأس الصاري حتى أمر ويرث بالاستدارة ١٨٠ درجة في اتجاه العدو. وبينما اخذت المسافة تضيق بين السفينتين، أمر غرانت باطلاق قذيفة نحو مقدم كاب ترافلغار. وسقطت القذيفة امامها، وارتفع عمود من الماء اثر انفجارها. فأمر ويرث على الفور برفع راية سفينته والرد على هذه "التحية" بأحسن منها.

اعطي الامر لرجال المدفعية الالمان بالتركيز على منصة قيادة كارمانيا وعلى ما ارتفع من منشآتها فوق هيكلها الرئيسي. وكان الغرض من ذلك الاستيلاء عليها وليس اغراقها. مرت الطلقة الاولى من فوق السفينة، واصابت الطلقة الثانية حبل الراية ودمرت صاري الجهاز اللاسلكي. اما الطلقة الثالثة فقتلت معظم طاقم أحد مدافعها.

في مقابل ذلك، انفجرت قنبلتان من كارمانيا في "الحديقة الشتوية"، وتطايرت الشظايا في جميع الاتجاهات محدثة الحرائق الصغيرة هنا وهناك. كان ويرث يظن انه يستطيع استعمال مدافعه الرشاشة في دقيقتين. واذا بشظية تنزل وراءه وتردي رجل الدفة قتيلا. وانحرفت كاب ترافلغار فجأة الى جانبها الايسر، فقفز ويرث الى دفة القيادة ليعيد سفينته الى خطها الهجومي.

وسرعان ما شبّ الحريق في المنصة الزائفة التي أقيمت على كاب ترافلغار. وساهم البخار والدخان مع السنة اللهب المتصاعدة من المنصة الزائفة في حجب الرؤية عن كارمانيا. وعلى أي حال، فقد اتاح انحرافها الموقت للمدفع المثبت في مؤخرها ان يسجل اصابة مباشرة في منصة قيادة كارمانيا.

وجد ويرث انه صار الان على مسافة ستة كيلومترات من العدو، فقرر ان الوقت حان للاطباق عليه حسب التدريبات الشاقة التي سبق أن اجراها مع لانغر هانس. فأمر رماة المدافع الرشاشة بفتح النار. وهنا صاح غرانت لرفيقه بار: "هل تعلم؟ اظن ان هؤلاء المعتوهين يحاولون وضع سفينتهم في محاذاة سفينتنا".

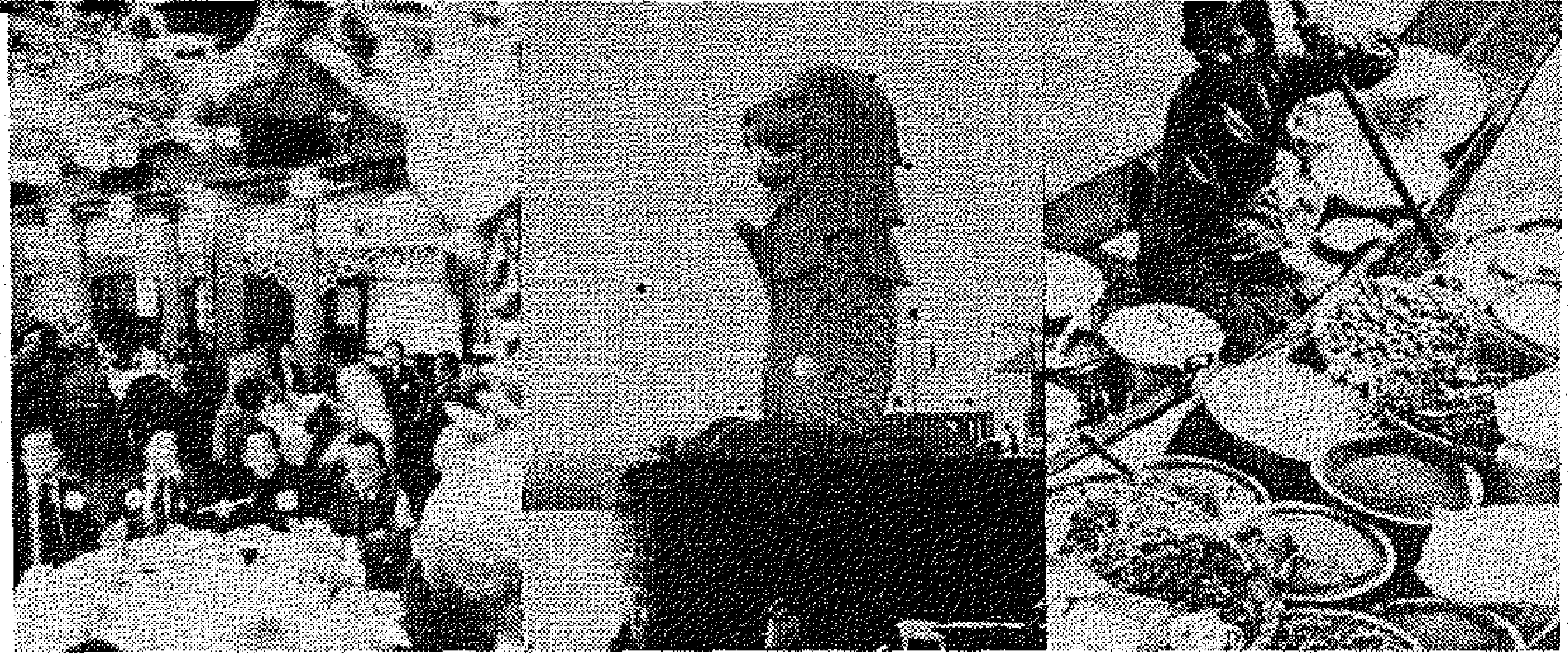
وازاء وابل الرصاص المنهمر، قرر غرانت الابتعاد عن مرمى الرشاشات. فاستدارت كارمانيا الى جانبها الايمن، ولكن بعد ان اصدر لوكيير امره لمدفعيتها بتصويب قذائفها على ذلك الخط من جسم كاب ترافلغار الذي يلامس مياه البحر.

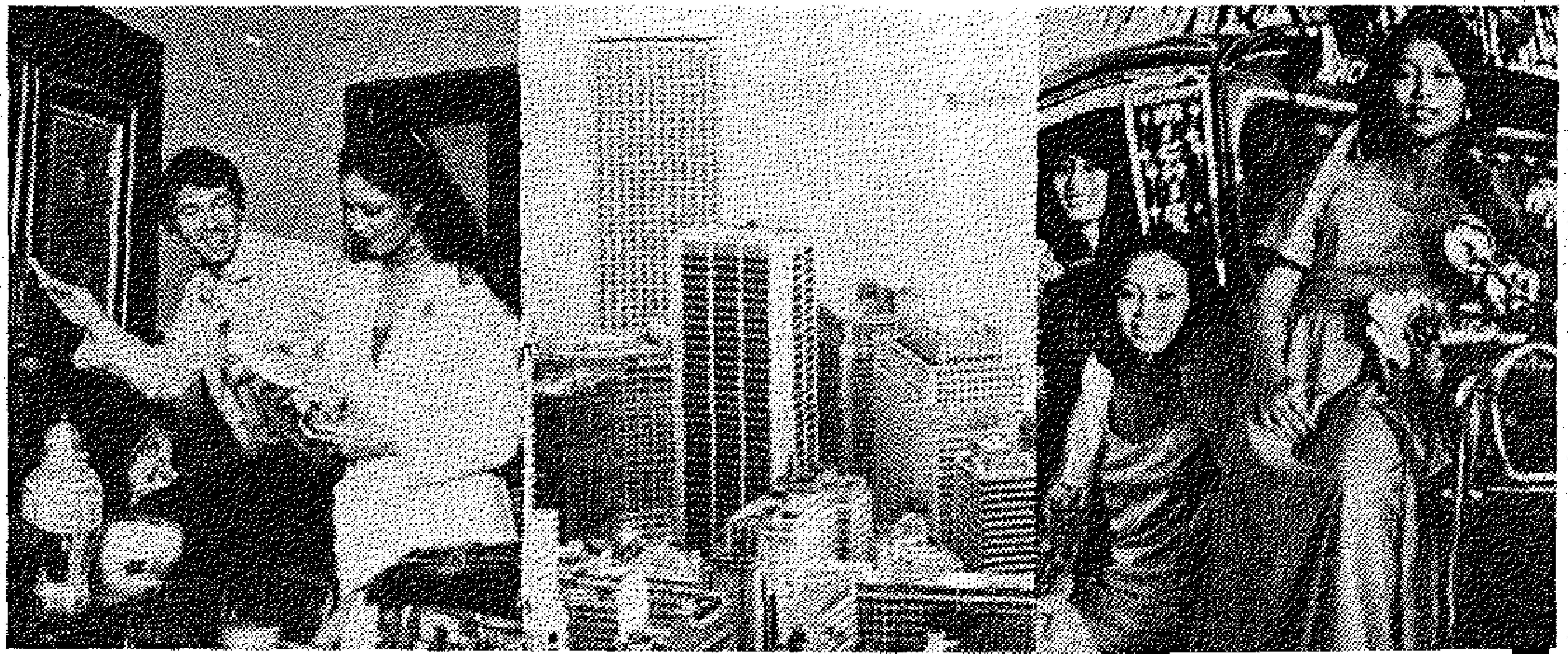
اصابت الدفعة الاولى من القذائف الجانب الايمن من كاب ترافلغار، واخترقت احداها هيكل السفينة عبر أحد الحواجز المائية، فتدفقت المياه الى واحد من العنابر. واستقرت قذيفة ثانية في مكان آخر من السفينة، فاندفعت المياه الى غرفة المحركات. واصابت قذيفة ثالثة مخزن الوقود الاحتياطي فاحدثت فيه اضرارا بالغة. وسارع المهندس الرابع، كارل ريك، الى اتخاذ الاجراءات الطارئة وجعل المياه تتدفق الى جانب السفينة الايسر في محاولة لرفع جانبها الايمن. وكان ويرث يريد متابعة هجومه، الا ان تدفق المياه من الجانب الايمن لسفينته حمله على العدول.

واخذت السفينتان تفترقان. واطلقت كاب ترافلغار قذائفها على كارمانيا قبل ان تبتعد عن مرمى

رحلات كاثي باسفيك
إلى الشرق الأقصى

رحلات من القلب إلى القلب، لأكثر مناطق آسيا سحراً وروعة





بانكوك/سنغافورة/هونغ كونغ
٩٤٥ دولار أمريكي

١٤ يوماً و١٢ ليلة .. رحلة اسبوعين من اللهو والمرح في ثلاث مدن آسيوية مشهورة .. للتسوق والسياحة والليالي الساهرة ..

بانكوك/بتايا
٦٤٠ دولار أمريكي

٧ أيام و٦ ليالي بين روعة وهيبة معابد بانكوك المشهورة .. وسوقها الاسطوري العائم .. وهدوء الطبيعة الساحرة في مصيف بتايا، أشهر مصايف تايلاند الساحلية ..

بانكوك/مانيلا/هونغ كونغ
٩٥٠ دولار أمريكي

١٤ يوماً و١٢ ليلة .. إن بانكوك وهونغ كونغ مكانان لابد لكل سائح من زيارتهما إلا أن هذه الرحلة تشمل أيضاً مباهج مانيلا حيث يجد الزائر متعة في شراء الهدايا بالثمن الذي يناسبه، وحيث يستقبله الناس بكل بشاشة ومودة كما أن الانطلاق منها في جولات خلوية في الارياف يزيد من قيمة وروعة هذه الرحلة.

ستجد وأنت على متن طائراتنا في كل هذه الرحلات كل ترحيب وعناية وستحيطك مضيفاتنا المتعددات الجنسية واللواتي يأتين من ٩ أقطار مختلفة، بكل رعاية، وبخدمة لا يقدمها غيرهن.

من صميم آسيا.

Hong Kong's discovery airline
CATHAY PACIFIC
The Swire Group



يمكنكم مراجعة الاسعار والحصول على كتيب الرحلات من اقرب مكتب لشركة طيران كاثي باسفيك

البحرين ٢٥٨٨٥٠ - الخبر ٨٦٤٢٧٢٧ - جدة ٤٦٢٢٥ - الرياض ٤٦٤٥٦٦١/٤٦٥٠٤١٢ - الكويت ٤٢٢١٠٦ - الدوحة ٢٢٠١٨٢ - ابوظبي ٢٢٢٢١٠ - دبي ٢٢٤١٥٦ - مسقط ٧٠٢٩٥٢ - بيروت ٢٥١٢٠٠ - دمشق ٢٢٨١٥٥ - عمان ٢٤٢٦٣ - القاهرة ٤٢٣٢٦

مدفعيتها، فاخترقت احدى القذائف غرفتين على سطحها واندلعت فيهما النيران. وطلب غرانت الى بار ان يتولى الاشراف على اخماد الحريق الذي سرعان ما انتشر الى منصة القيادة. واضطر غرانت الى الانتقال الى مركز قيادة آخر اقامه بار في مؤخر السفينة لتسهيل عملية رسوها. وكانت شبكة المواصلات قد دمرت في الدقائق الاولى من الاشتباك. ولم يبق امام غرانت الا الاعتماد على فريق من الرجال المتمركزين عند فتحات السفينة ليتناقلوا اوامره بصفاراتهم

سمع لانغر هانس دويّ القذيفة الاولى التي اطلقتها كارمانيا وهو على متن ايلينور وورمان، وتابع سير المعركة في الافق البعيد امامه. وكان مدفع الهاون لا يزال مثبتا على السطح الاعلى من سفينته الصغيرة وعلى أهبة الاستعمال بالطريقة التي ابتكرها. فتبادل النظرات مع ربان الباخرة ثم التقط خرطوم الصوت النحاسي.

تلمس لانغر هانس جيبه باحثا عن علبة لفائف السيجار، فوجد انه لم يبق فيها سوى ثلاثة. فقرر ان يحتفظ بواحدة منها لتدخينها لدى اقدامه على تنفيذ المخطط الذي رسمه لنفسه. ثم اشعل السيجارين الآخرين، فقدم واحدا الى ربان السفينة ووضع الآخر بين شفتيه وهو يتجه نحو سحب الدخان التي انطلقت من الباخرتين المحترقتين.

الوداع الاخير

كانت خراطيم المياه على السطح الاسفل من كارمانيا مليئة بالثقوب لكثرة ما اصابها من الشظايا. وقد حاول بار اخماد النار باغلاق جميع منافذ الهواء اليها ورشها بالمواد الكيمائية المخصصة لهذا الغرض وبما امكن من الماء. وكان على وشك اخمادها عندما اضطرمت النيران من جديد على حين غرة. فنسب ذلك الى أحد امرين: اما ان يكون اتجاه الريح قد تغير واما ان تكون كارمانيا غيرت اتجاهها. وسارع الى سطح السفينة لاستطلاع حقيقة الامر.

بعد ان سد بار منافذ الهواء تحت السطح، ظن غرانت انه سيطر على النار، فحاول تجديد هجومه. وصاح بار في وجهه: "ما هذا الذي تفعله؟" وردّ عليه غرانت مشيرا بيده الى ناقلة الفحم: "اريد القضاء على تلك السفينة". في تلك اللحظة كانت ايلينور وورمان تحشرج بمحركها وتتهادى رابطة الجأش بين السفينتين العملاقتين، بينما وقف الكابتن العجوز لانغر هانس على السلم القائم بين ظهر السفينة وسطحها الامامي وقد احكم في فمه سيجاره الاخير، وثبّت احدى يديه على الشرفة بينما أمسك باليد الاخرى الفتيل المتدلي من مدفعه. ومج نفسا قويا من الدخان تطاير في الفضاء، وراح يراقب من خلال ضبابه وجهة الريح. وبعدما اطمأن الى الوضع، اشعل الفتيل بنار سيجاره. وفجأة لمع وميض خاطف كالبرق اعقبه دويّ انفجار كبير. واذا بسحابة من الدخان الاسود الكثيف تنطلق من فوهة المدفع العتيق لتحجب كاب ترافلغار، ولو موقتا، عن مدافع كارمانيا الفتاكة. ثم ركّز لانغر هانس سيجاره مطمئنا في شريط قبعته وراح يحشو المدفع من جديد.

كان ويرث لا يزال ممسكا بدفته. لكن كاب ترافلغار بدت كأنها تسمرت مكانها. فقال له فيدرسن انه لا يستطيع السيطرة على تدفق المياه. وما ان سأله ويرث عن حال اخماد الحرائق حتى انفجرت قذيفة بين فرق الاطفاء، فصرعت اطفائيا وأصابت اثنين آخرين بجراح خطرة.

وركع ويرث الى جانبهم واخذ يردد بصوت خفيض عبارات المؤاساة. واذا بقذيفة اخرى تنفجر قريبا منه فتدفعه بعنف الى الوراء. وحاول فيدرسن ان يمسك به، لكنه رأى قطعة مسننة من اطار المنصة منغرسة تحت ابطه. ولم يجرؤ على انتزاعها لان الجرح كان ينزف بغزارة. واستجمع ويرث ما تبقى من قواه وأمر فيدرسن بمغادرة السفينة مع رجاله. وسرعان ما اخذت كاب ترافلغار تميل بشدة الى ان اصبح معظم جانبها الايمن تحت الماء. وعند ذلك انطلقت ايلينور وورمان بسرعة واهتياج، كالدجاجة التي تحن على فراخها، ووقفت بين كارمانيا والسفينة التي كانت تعاني سكرات الموت.

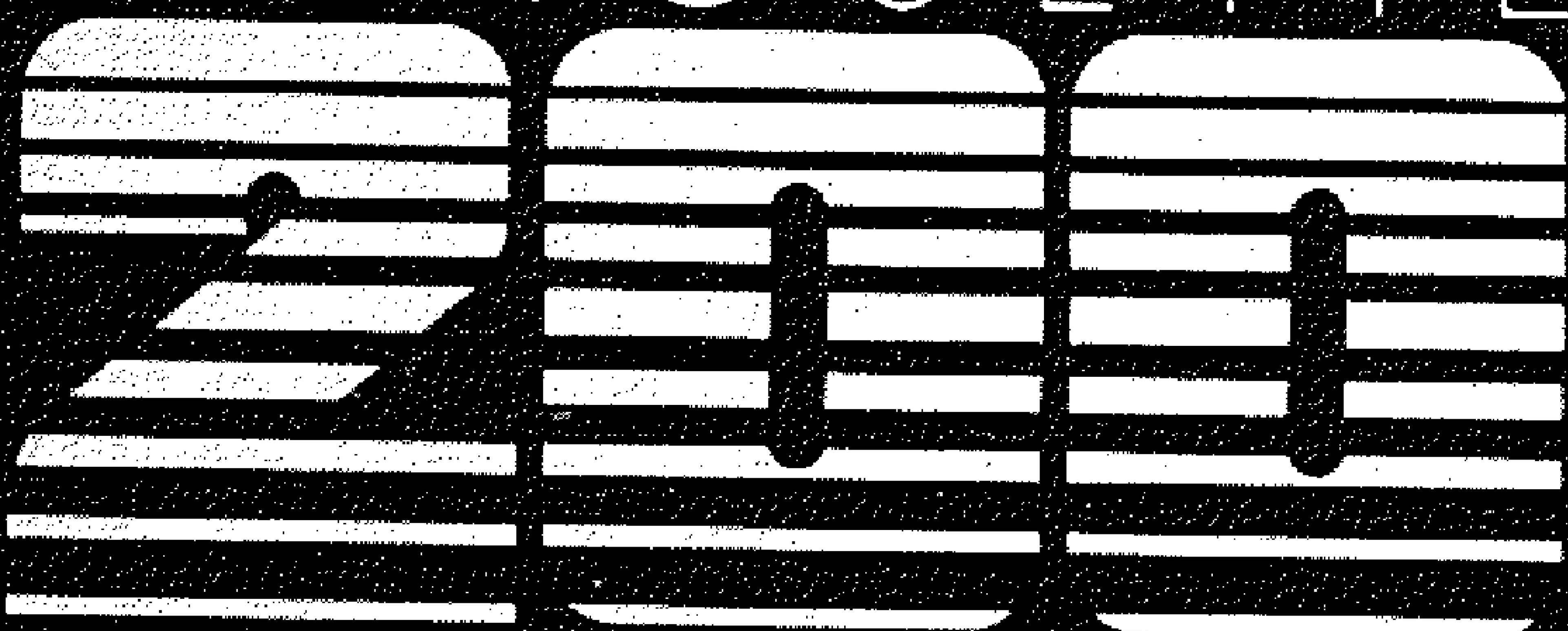
وأخذ بار يراقب عن سطح السفينة البريطانية تحركات ناقلة الفحم ويتتبعها بدقة، من دون ان يدري ان فريق الاطفاء قد لحق به واصبح الى جانبه. وتملكت غرانت فكرة القضاء على السفينة الصغيرة. لكن بار صاح به، متجاهلا ما تفرضه عليه رتبته من الاحترام لغرانت، وحذّره بانه "سيكون الخاسر هذه المرة اذا لم يبتعد".

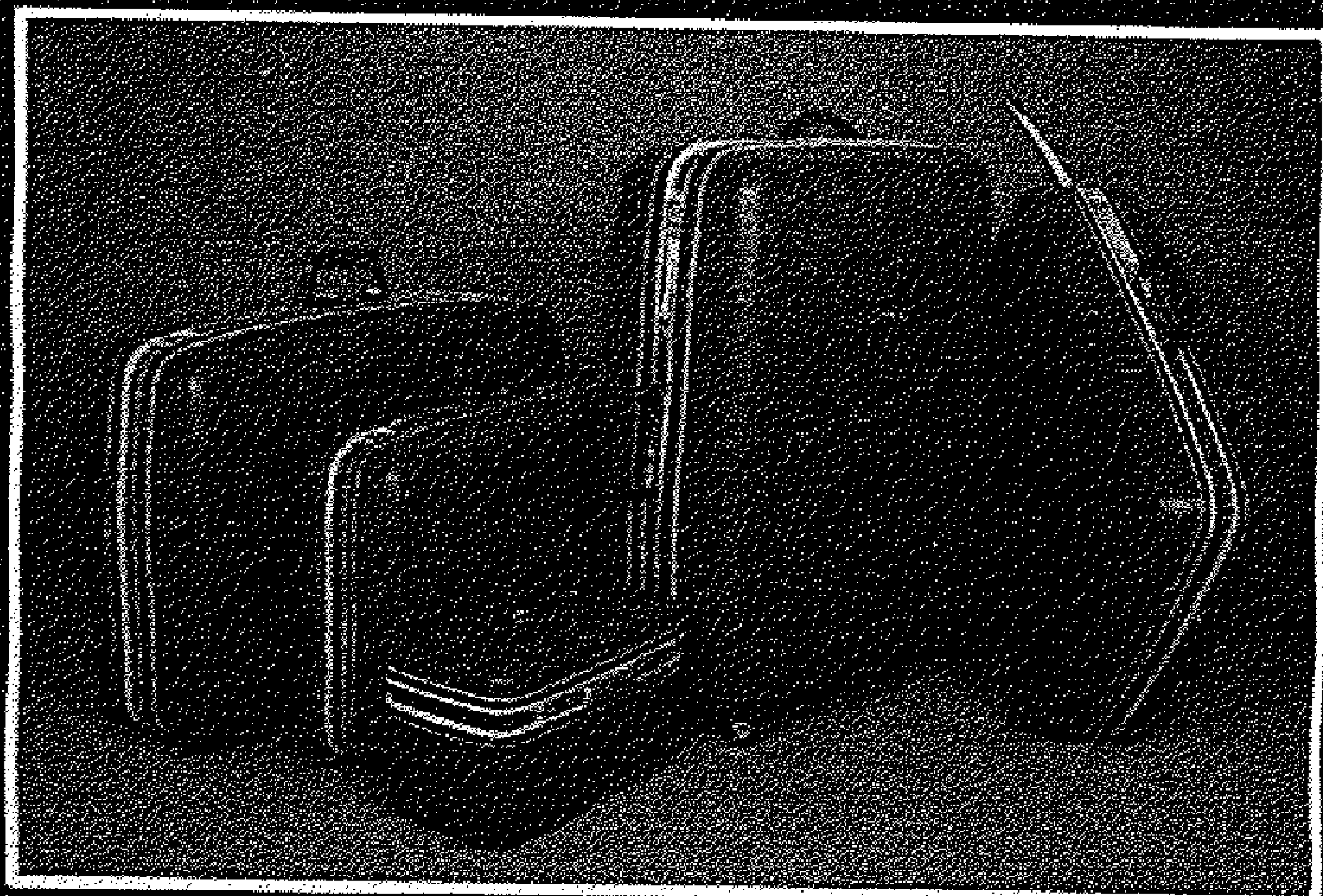
وخيم الوجوم على بحارة كارمانيا، واخذوا ينظرون تارة الى بار وطورا الى غرانت، بينما ينتظر رجال المدفعية تعليماتهم. وادرك الجميع ان جل ما يبتغيه بار هو سلامة سفينته بعد هذه المعركة. فقد اتضح الان ان كاب ترافلغار انتهى امرها، وان ايلينور وورمان اخذت تقوم بمهمة انسانية لانقاذ الرجال من الغرق، وان استمرار تحرك كارمانيا وسط الرياح من شأنه ان يحيلها رمادا.

واصدر غرانت أمره بكل هدوء بأن ينصرف "المتفرجون" الى أعمالهم. ثم تقدم نحو بار وقال له: "هيا بنا الان نخمد الحريق". وانسحبت كارمانيا مبتعدة عن موقع المعركة.

لا أحد يعلم من بدأ الغناء: ربما كان احد اعضاء فرقة الاوبرا في أحد قوارب النجاة التي انزلت الى البحر من كاب ترافلغار. وذكر فيدرسن انه سمع صوتا صادحا عبر المحيط يردد المقطع الاول من نشيد علم البحرية الالمانية. وتبعه صوت ثم آخر. وسرعان ما انضم اليهم طاقم ايلينور وورمان. وما هي الا لحظات حتى كانت هناك ٣٠٠ حنجرة تشق عنان السماء بألحان ذلك النشيد الحماسي. وكتب لانغر هانس في مفكرته: "لم يكن مبعث النشيد الشعور بالاعتزاز والفخر او الانفراج من كرب المعركة، وانما كان وداعا للكابتن ويرث وسفينته".

بدأت كاب ترافلغار تستعيد توازنها وهي نصف غرقى، وكأنها شاءت الاستجابة لاصوات الكورس، تماما كما يصحو المحتضر على فراش الموت. وظهر ويرث كالتمثال متكئا على دفة القيادة عند حطام منصته. ولم يلبث مؤخرها ان راح يرتفع عاليا


SILHOUETTE®
200



في الهواء لتغوص بهدوء في الاعماق وتتوارى عن الانظار٠

حبس لانغر هانس العبرات في مقلتيه٠ وكم تمنى في تلك اللحظة لو وجد سيجارا واحدا في العلبة الفارغة في جيبه٠ ولم يخمد حسرته منظر كارمانيا تلتهمها النيران٠ والقى نظرة الى مدفع الهاون الذي كان الدخان لا يزال ينبعث من فوهته، واستدعى ستة بحارة ليساعدوه على تنفيذ ما اعتزمه٠ فشمروا عن سواعدهم وبذلوا الجهد الجهيد لزحزحة المدفع وتسديد قاعدته نحو البحر، وقذفوه الى البحر ليستقر في القاع الى جانب كاب ترافلغار٠ وعند ذلك تفجرت دموع لانغر هانس وراح يجهش كالطفل٠ ثم اجاز لقبطان ناقلة الفحم ان يساعده على النزول الى حجرته٠

خاتمة

تقدمت ايلينور وورمان للبحث عن الباقين على قيد الحياة من كاب ترافلغار، فوجدت فيدرسن وانتشلته٠ كما انتشلت جثة الكابتن يوليوس ويرث مع ١٥ جثة أخرى للذين قتلوا او غرقوا مع السفينة٠ وفي ١٥ سبتمبر (ايلول)، ووريت الجثث مثواها الاخير في البحر حسب التقاليد البحرية٠

اما كارمانيا فقد نقلت خبرا عن اشتباكها مع "طراد مساعد" للعدو ومزوّد بسلاح ثقيل، وافادت بانها اغرقته بعد معركة قصيرة حامية٠ لكنها بقيت جاهلة حقيقة هوية كاب ترافلغار الى ان وصلت ايلينور وورمان الى ميناء بوينس ايرس وعلى متنها البحارة الناجون٠ ولم تصدق السلطات في الارجنتين والاوروغواي ان كاب ترافلغار كانت تحمل مدفعي ايبر وستة مدافع رشاشة فحسب٠ وقدرت ان لانغر هانس خدعها عندما اخبر مفتشي الميناء في البلدين ان سفينته كانت خلوا من السلاح٠ وجرت محاكمته في مونتفيديو حيث برئت ساحته٠ ثم احتجز في الارجنتين مع بعض رفقائه الالمان حتى نهاية الحرب٠ ولم يعلم شيء عن تاريخ وفاته أو مكانها٠

اما الدكتور براونهولز، الطبيب البيطري الذي رفض التخلي عن حيوانيه ايما ونلسون لدى ابحار السفن، فقد اقام في جزيرة ترينيداد وعاش خليّ البال في عزلته التي استمرت حتى ١٥ فبراير (شباط) ١٩١٥ عندما التقطه الطراد الالماني "برنز ايتيل فريدريك" الذي طلب اللجوء لاحقا الى الولايات المتحدة٠ وقد رخص حينذاك لبراونهولز، بصفته مدنيا، أن ينزل الى اليابسة حيث كتب وصفا مسهبا لمغامراته نشرته صحيفة المانية٠

بلغ عدد ضحايا كارمانيا تسعة قتلى و٢٦ جريحا٠ وبعد اجراء عمليات الاصلاح اللازمة لها، ارسلت الى جبل طارق واوكلت اليها اعمال الدورية قبالة لشبونة، العاصمة البرتغالية٠ وبعد الحرب اعيد تجهيزها كسفينة ركاب، فخدمت بنجاح على خطوط الاطلسي الى ان تقرر "تقاعدها" عام ١٩٣١٠

واستمر الكابتن غرانت في الخدمة كقائد لمدة قصيرة٠ لكن كثرة لجوئه الى المستشفيات أدت، عام ١٩١٦، الى اعلان عدم اهليته الصحية للعمل في البحر٠ وكلف مهام أخرى في البر، وتمت ترقيته الى رتبة نائب عميد بحري٠

جواهر خاصة جداً من « اوميغا »



الساعة : BA 451.0010.Ø1.DEØ (١٦ حجر من الماس/ ٠,٥٢ قيراط) الأزرار : BA 091.130
(١٦ حجر من الماس/ ٠,٣٢ قيراط) الخاتم : BA 091.95.231 (٨ احجار من الماس/ ٠,٢٠ قيراط)...

Ω
OMEGA

اشتروا من وكيل أوميغا المعتمد فقط واسألوا عن كفالتنا الدولية...



السنة الثانية / ك١ (ديسمبر) محرم ١٤٠٠



AL MUKTHAR min READER'S DIGEST DECEMBER 79 N°13

كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٩ – محرم ١٤٠٠

المختار

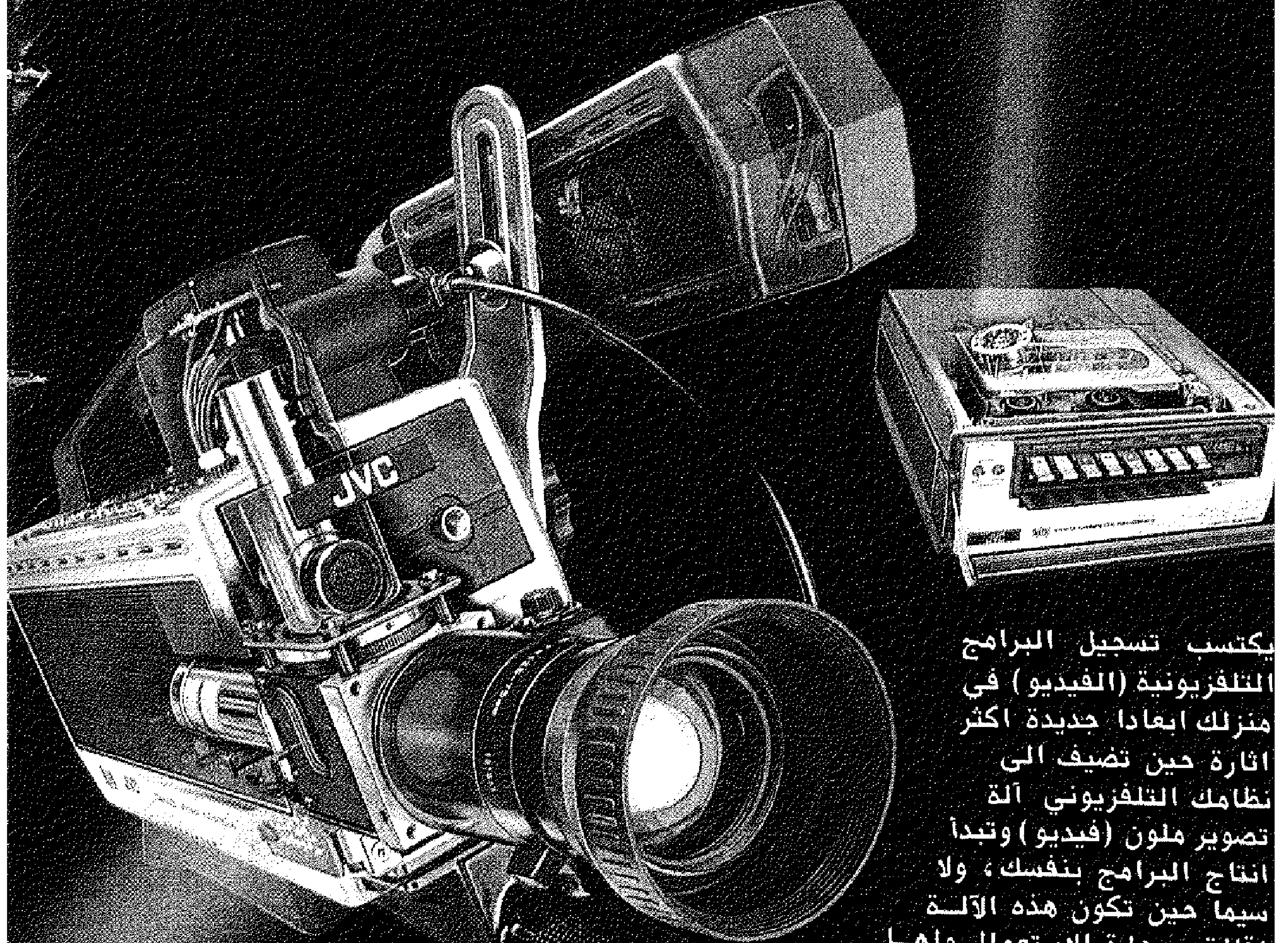


من ريـــدرز دايـجســت

اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون ريدرز دايجست في ١٨٠ بلداً بـ ١٥ لغة

لبنان ٤٥٠ق – سورية ٢٠٠ق – الاردن ٥٠٠ف – الكويت ٥٠٠ف – الامارات العربية المتحدة ٦د – قطر ٦ر – البحرين ٦٠٠ف – السعودية ٦ر – مصر ٥٠٠ – السودان ٥٠٠م – ليبيا ٦٥٠د – اليمن الجنوبية ٦ر – مسقط ٦ر – العراق ٦٠٠ف – تونس ٧٠٠م – المغرب ٦د – الجزائر ٧د – فرنسا ٧ف – انكلترا ٧٥ب – اليونان ١٠٠د – كندا وامريكا الشمالية ٢د

سيكون التلفزيون أكثر متعة
لو أنتجت البرامج بنفسك



يكتسب تسجيل البرامج التلفزيونية (الفيديو) في منزلك ابعادا جديدة اكثر اثارة حين تضيف الى نظامك التلفزيوني آلة تصوير ملون (فيديو) وتبدأ انتاج البرامج بنفسك، ولا سيما حين تكون هذه الآلة نقالة وسهلة الاستعمال ولها خصائص "آلات تصوير هوليوود" مثل عدسة ٦ اكس ذات القدرة الفائقة على تغيير بعد اللقطة وجهاز تعيين المنظر ذي الدورة الكاملة.

VHS

بهذه الطريقة بالضبط صممنا آلة التصوير التلفزيوني الملون ج ٠س ـ ٤١٠٠ فاذا اضفت اليها مسجل الكاسيت هـ٠ر ـ ٤١٠٠ المرافق للشريط التلفزيوني الملون النقال وجهاز تنغيم تلفزيوني، فستحصل على كل ما تحلم به: نظام تلفزيوني منزلي متعدد الاستعمالات في مجموعة متكاملة.

اننا نعرف ذلك. فنحن JVC ـ شركة الصناعات الالكترونية السمعية / التلفزيونية التي حققت ابتكارات عدة وطورت نظام VHS طوال ٥٢ سنة من الخبرة.

اعتمد علينا في جعل حياتك اكثر تشويقا وفائدة. زر اقرب وكيل معتمد لـ JVC اليوم واكتشف طريقتنا في جعل تلفزيونك اكثر متعة.

JVC جي في سي

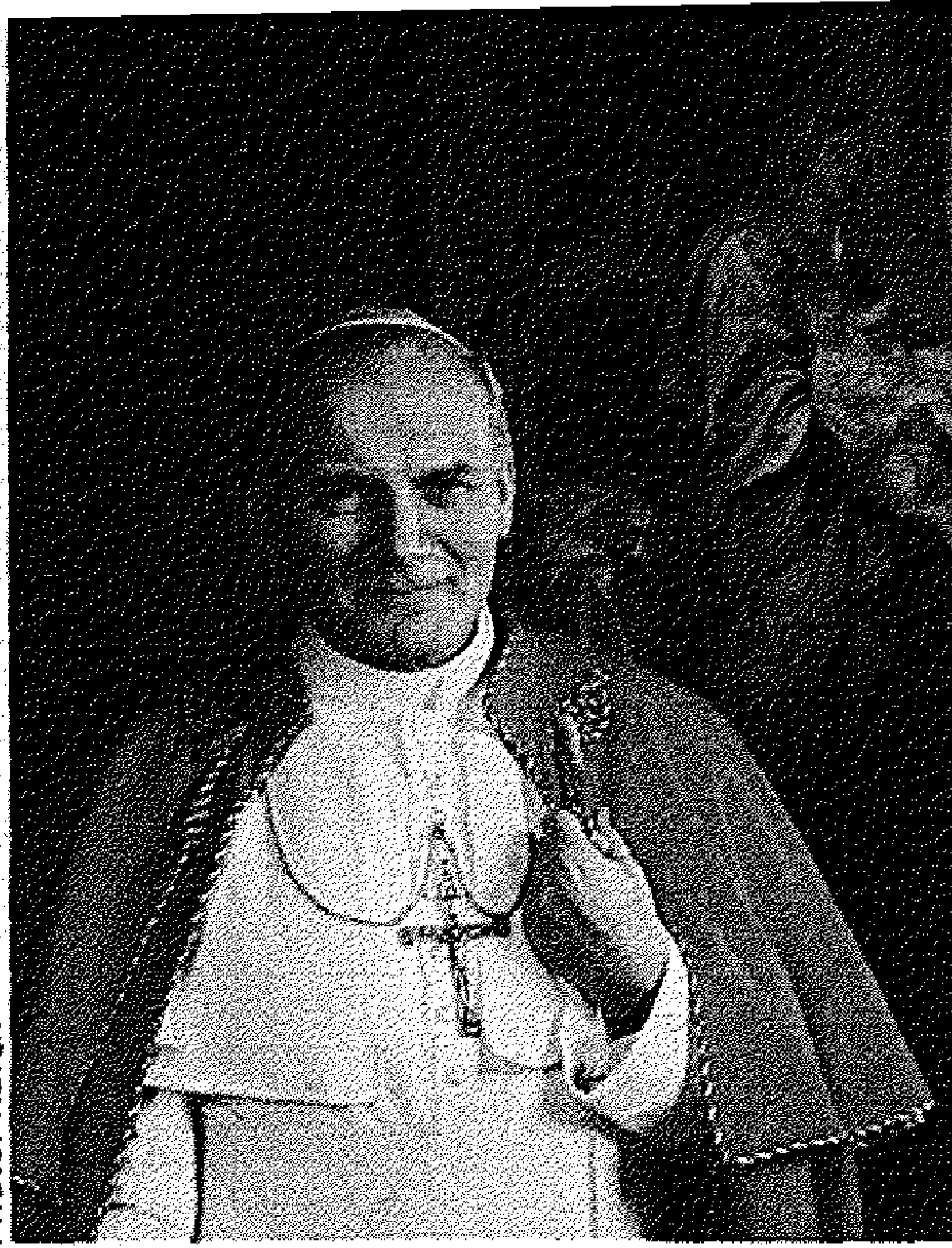


Photo: Karsh

سلام دائم

أودّ أن أوجّه تحيّتي الحارّة
إلى سائر قرّاء الـ"ريدرز دايجست"
في مختلف طبعاتها، مع تمنّياتي الخالصة لهم
بحياةٍ مثمرة هانئة
وهم ينعمون، بعون الله،
بسلامٍ دائمٍ يلتزم به الانسان،
ويقوم على المحبّة والدفاع عن الحقيقة.
وعربوناً لهذه التمنّيات،
أمنح من كل قلبي بركتي الرسوليّة
لجميع البشر ذوي الإرادة الطيّبة.

البابا يوحنا بولس الثاني

Joannes Paulus pp II

اوميغا كوارتس للسيدات

تحفة يعوّل عليها
تحفة لكل ذوق وعصــــر



Ω
OMEGA



المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

المستشار الثقافي : **مؤنس طه حسين.**
رئيس التحرير : **ادمون صعب.**
رئيس التحرير المعاون : **اديب صعب.**
مدير التحرير : **فؤاد غطاس كرم.**
امانة التحرير : **رينا نداف.**
الاخراج : **اروى سيف الدين.**

الامتياز:
شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس.

الناشر :
شركة رأس الخيمة للمنشورات الدولية.
المؤسسون: **غسان تويني، توفيق ابو خاطر، عثمان عائدي، لوسيان دحداح.**

الخدمات الصحافية:
شركة الدراسات والمنشورات الدولية S.E.P.I.

الادارة والتحرير والاشتراكات:
AL MUKHTAR min Reader's Digest
37, Avenue George V, 75008 Paris, FRANCE
Tel. 7204542 7237422 Telex 612687 F

الاعلانات :
TAMAM **شركة تمام**
28, Rue de Berri, 75008 Paris, FRANCE

التوزيع:
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات.

الصف والتنفيذ:
شركة المطبوعات العربية - باريس.

الطباعة:
بوليغرافيتشي اديتوريالي - بولونيا - ايطاليا.

الخط: **محمد ماجد.**

الطبعات الدولية لـ**"ريدرز دايجست"**
المدير العام: **جون أ. اوهارا.**
مدير التحرير: **آلان دوليرو.**

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانماركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية اضافة الى العربية.

MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.
N° DE LA COMMISSION PARITAIRE 3398RL

الغلاف: الابراج الفلكية

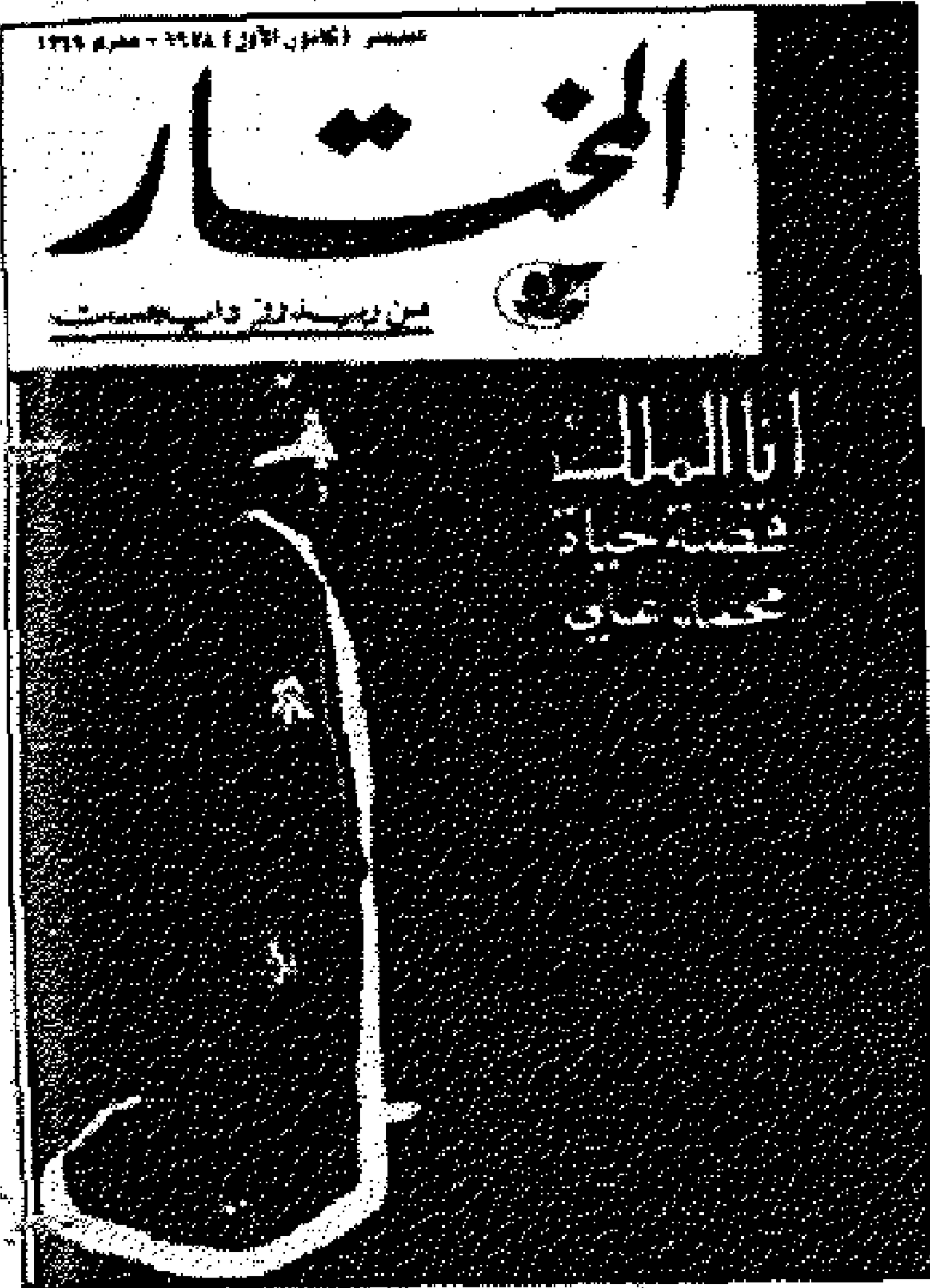
AL MUKHTAR *min* Reader's Digest
December 1979 (New Series). Vol 2 N°13



POLIGRAFICI EDITORIALE SPA

PRINTED IN ITALY

بين السطور







سنة الوفاء

العدد الاول من سلسلة "المختار" الجديدة الذي صدر في الاول من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٩، كان عهداً قطعناه على انفسنا بأن نجعل هذه المجلة نافذة يطل منها القارىء العربي على العالم الخارجي فيقطف من هذا العالم افضل ثماره، ويعطيه في المقابل افضل ما لديه.

ولقد كنا اوفياء لهذا العهد. ففي اطار الاعداد لدخول الاسلام القرن الخامس عشر (هذا الشهر) اقتبس "المختار" مقالا عن الحج الى مكة المكرمة كتبه لمجلة الـ"ناشونال جيوغرافيك ماغازين" العالمية الدكتور محمد عبد الرؤوف مدير المركز الاسلامي في واشنطن. وقد اقتبس "المختار" المقال ليتوج به عدده لشهر تشرين الاول (اكتوبر) شهر الحج الى الديار المقدسة.

ونظراً الى اهميته، وزع المقال على الطبعات الدولية لدى "ريدرز دايجست" مع صور بالالوان للمسجد الحرام والكعبة المقدسة ومدينة الخيام في منى، اهدتها الينا مجلة "ارامكو" التي سبق لها ان اصدرت عدداً خاصاً بالحج.

وغمرتنا غبطة عارمة عندما تلقينا برقية تفيد ان ١٧ طبعة تصدر بـ١١ لغة، عدا العربية، أدرجت المقال في برامجها لشهر الحج. وقد صدر المقال فعلا في هذه الطبعات وهي: الفرنسية واليابانية والسويسرية (الفرنسية والالمانية) والكندية (الفرنسية والانكليزية) والاسبانية والبرتغالية والبرازيلية والصينية والافريقية الجنوبية والآسيوية (بالانكليزية تصدر في هونغ كونغ) والهولندية والاسوجية (السويدية) والفنلندية والالمانية والايطالية... اضافة الى العربية.

كذلك ادرجت الطبعة الصينية مقال منير سعادة عن دمشق في برنامجها لشهر تشرين الثاني (نوفمبر)، وهو كان صدر في "المختار" الشهر الماضي.

ان "المختار" يدخل هذا الشهر عامه الثاني، معتزاً بما انجزه ومعاهداً قراءه على المزيد من الجهد الرامي الى جعل العربية لغة عالمية.

رئيس التحرير

المختار
من ريدرز دايجست
سر السعادة الزوجية
مصر موطن الحضارة الاولى
المغرب الساحر
الكوليسترول والنوبات القلبية
AL MUKHTAR min Reader's Digest January 1979

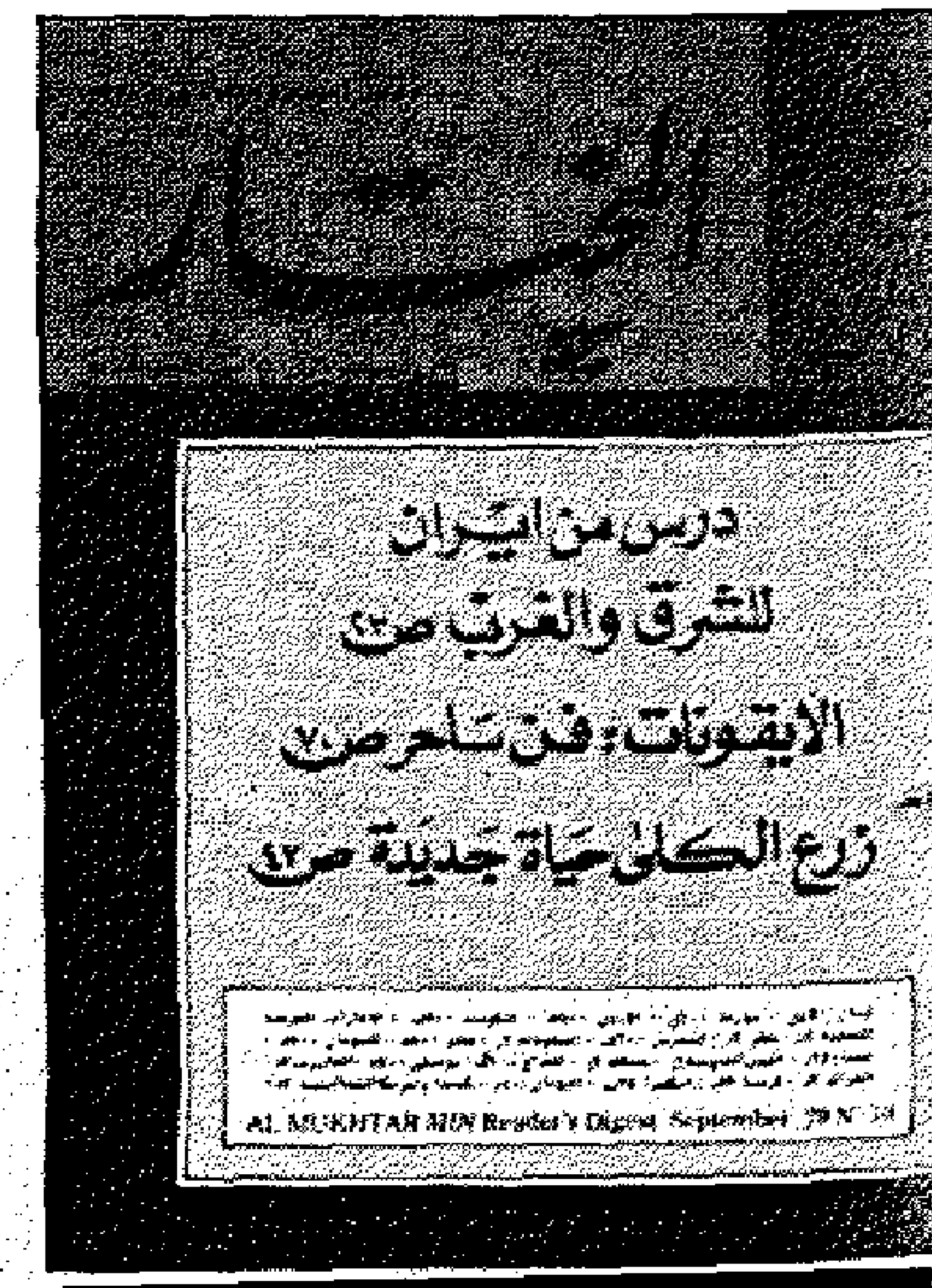
المختار
العراق:
النهر الثالث يغير معالم الحياة
سر فلك نوح
الشيخ زايد
رجل ورسالة
أمل جديد لمرضى القلب
AL MUKHTAR min Reader's Digest February 1979

المختار
من ريدرز دايجست
متى تشكل خطراً على حياة المرأة
البحث عن جذور الجنس البشري
بين افريقيا وفلسطين
AL MUKHTAR min Reader's Digest March 1979

المختار
من ريدرز دايجست
الربيع:
أجمل الفراش
الحب الأعمى
لا تدع الخجل يغلبك ص١٧
السكر: حلوه ومره ص١٢
AL MUKHTAR min Reader's Digest May 1978 N°6

المختار
من ريدرز دايجست
AL MUKHTAR min Reader's Digest June 1978 N°7

المختار
الجذور
قصة التجارة بالرقيق الأسود
تركيا خليط شعوب وحضارات
القردة الناطقة ص١٧
AL MUKHTAR min Reader's Digest July 1978 N°8



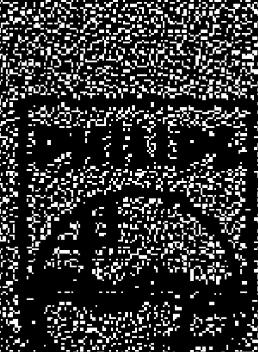




من فيليبس - الراديو والمسجل
"كاسيت ستيريو" الرائع السهل الحمل

استمع الى برنامجك الإذاعي المفضل في جهاز ستيريو رائع. يمكنك بحركة سريعة أن تسجل برنامجك على مسجل فيليبس كي تستمع اليه مرة أخرى فيما بعد، والروعة دائما. فلا تنس أن فيليبس هي التي اخترعت الكاسيت! سجل من اسطوانة أو ميكروفون. فكل ما تحتاج اليه أن تضع كاسيت فيليبس. استمع الى ما سجلته في أي مكان تحب: في المنزل أو في الهواء الطلق. فكل ما تريد موجود في جهاز فيليبس أن يعد جهاز ستيريو مثل آر ٧٧٤ الذي يعمل بالبطارية أو الكهرباء. ويضم راديو من أربع موجات بما فيها موجة اف ام. وللجهاز مفاتيح سهلة الاستعمال.

وعوازل متداخل، ومنفصل للتحكم. أما مستوى الصوت المسجل فيتم ضبطه تلقائيا. ثم ماذا عن الجودة؟ يكفي أن تعرف أن الجهاز من صنع فيليبس. هنالك مجموعة كاملة من الأجهزة تنتظرك لتفاضل بينها. ولكن عليك أولا أن تختبرها وتتأمل منظرها والاعجاب بها. لن تستطيع أن تقاوم تشغيلها. فتدرك أن هذه النتيجة لا يمكن أن تصنعها إلا شركة تتمتع بالموارد الضخمة والخبرة العالية التي تتمتع بها شركة فيليبس. الشركة في عصرنا اليوم، أكثر من أي وقت مضى، واحدة من أكثر الشركات احتراما بين رواد التكنولوجيا الحديثة.



فيليبس الأفضل لكم دوما

عروس يوم واحد!

الزواج خطوة كبرى، حتى لطفل عمره سبع سنوات

ذات يوم من شهر مارس (آذار) الماضي، وثب ولدي ذو السنوات السبع الى مقعد السيارة الامامي وهو عائد من مدرسته، ثم همس في اذني: "احزري ما فعلت! لقد تزوجت لتوي". فهمست بدوري اسأله: "من؟".

والتقط انفاسه ليلخص كل مستقبله في عبارة واحدة: "انها كاتي".

ترى من تكون كاتي؟

ان قلب ولدي حتى تلك اللحظة، ظل متعلقاً بحسناء تدعى كورتني. لكن القلوب تغير هواها. الا تمتلىء الشوارع بأناس يلعنون شجيرات الليلك التي شغفوا بها قبل عام؟

وتطلعت من خلف الزجاج ابحث عن "عروس" صغيرة تحتضن بحياء باقة ورد بين يديها، ولكن عبثاً، اذ لم يكن هناك من يلبي مواصفات "طفلة متزوجة حديثاً".

وسألت ولدي عما اذا حضر رجل دين زواجهما، للتأكد من مدى التزام الاحتفال بالتقاليد في زمن لم تعد هذه الطقوس محترمة. فاجاب بالايجاب، قائلا ان الكاهن كان صديقه بريان.

ولم اجد بداً من تهنئته ولكن نسيت ان اضيف تمنياتي للعروسين بالسعادة. ذلك ان تعابير وجهه لم تنم عن ان ما يشغله هو السعادة.

اخذ الصبي يتقلب في مقعده الامامي، عاجزاً عن تقرير ما اذا كان سيطلع اخوته واخواته، الذين ملأوا مقاعد السيارة الخلفية، على

مغامرته. ولم يكن في حاجة الى ذلك القرار، لان السر شاع.

وهتفت اخته الكبرى: "لقد رأيت جوستين يقبل كاتي". ولم يكن تصريحها دليلا على معارضتها لهذا النوع من المغامرات بالضرورة. فهي نفسها تحب تلميذاً في الصف السادس.

وقهقه الاخ الاكبر ساخراً. فهو كان يفضل تقبيل ثعبان على الاعتراف بأن للفتيات اي مكانة في نفسه.

وانقضى النهار والمساء وحل الليل، من دون ان يأتي احد على ذكر "الزواج" وكدت انسى القصة كلها بحلول موعد نوم الاولاد، على رغم ملاحظتي ان رأس "العريس" لم يكن على وسط الوسادة تماماً عندما انحنيت لتقبيله متمنية له ليلة سعيدة. فسألته: "هل هناك ما يزعجك؟"

واجاب بصوت خافت: "لا اظن اني اود الذهاب الى المدرسة غداً". فتساءلت اذا كان السبب يعود الى ازدياد صعوبة الدروس. وكان جوابه بالايجاب: "اني عاجز عن التركيز، وذهني يود الشرود بعيداً".

ظللنا نتحادث دقائق عدة حول مرور المرء اكثر من مرة بتجربة كهذه، وحول ضرورة الالحاح على الذهن بأن "يعود الى الحظيرة"، وغير ذلك. ولكن تراءى لي ان ذهنه ظل يزداد شروداً حتى خلال حديثي معه.

وتوقفت برهة ثم قلت: "مهلا! هل لزواجك اليوم علاقة بشرود ذهنك؟ وجاء جوابه بلهجة تنم عن يأس: "لم اتزوج تماماً. وكل ما فعلناه اننا تنزهنا معاً".

– اتعني انك لم تعرض الامر عليها فعلا؟

واخذت طبقة صوته ترتفع وهو يعترف بالحقيقة: "كلا، كلا، فأنا لم اهد اليها خاتماً او اي شيء".

تنفست بارتياح وتابعت: "لكنك ابلغت الجميع بزواجك. ولعلك تتمنى لو انك بقيت صامتاً".

وهنا انهارت مقاومته. وبدأ البكاء والانكار والتململ تحت لحافه فيما هو يصارع عواقب حماقته.

– اعرف تماماً انهم سيضايقونني. سيلاحقني الصف كله غداً، وسأكون مثار سخريتهم. لذا لن اذهب الى المدرسة. وهذا قراري النهائي.

يواجه المرء احياناً وضعاً لا يشعر معه بالابوة بمقدار ما يتملكه شعور قائد عسكري متقاعد يحاول تقديم النصح الى جندي لم يخض حرباً قط. وعليه عند ذاك عرض حملاته الماضية ليقترح – بما اوتي من براعة – الخطة الاكثر كفاية. غير اني لم اتوصل الى اي خطة. وعلى رغم ان اي بديل لمجابهة التهكم باسلوب هجومي لم يخطر في بالي، الا اني وعدته بأن أجهد طوال الليل في التفكير بحل لمعضلته.

لكن الوعود ظلت وعوداً. فقد حل الصباح وما زلت خالية الوفاض من الخطط التي تتجنب الهجوم المباشر. ومع ذلك، فقد اقبل ولدي على مائدة الافطار، وهو يرتدي بذلة المدرسة. ودفعتني نظرته الى الظن انه نسي خوفه من ان يغدو "اضحوكة" زملائه، او انه توصل بمفرده الى خطة. ولم اتفوه بكلمة واحدة عن الموضوع حتى هم بالخروج. عندئذ سيطر علي

الفضول، فامسكته من كمه وسألت: "ماذا ستفعل في شأن كاتي؟"٠

فنظر الي بامتعاض خفيف كما لو انه وجد السؤال في غير محله، ثم اجاب وهو يسحب كمه من بين يدي: "أوه، ساعطيها لصديقي"٠ وحسبت ان الامر انتهى، فضحكت.

وما ان عاد الى البيت بعد ظهر ذلك اليوم حتى بادرته بالسؤال: "هل فعلتها؟"

ـ فعلت ماذا؟

فقلت: "هل اعطيت كاتي لصديقك؟" (وبدأ يراودني شعور بأني الوحيدة المهتمة بهذه المسألة)٠

قال: "كلا، لقد بادلتها٠ وهكذا!"

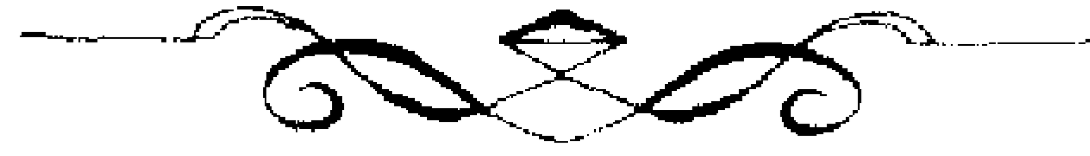
سألته: "في مقابل ماذا؟ (وقلت لنفسي: ترى ما الذي "يدفع" صبياً للحصول على عروس يوم واحد هذه الايام؟)

واجاب جوستين: "في مقابل كورتني"٠ ثم عقب بعدما تنهد بسخط:

"لا اود الحديث عن هذا الموضوع بعد الآن؟"٠

٠٠٠ سبق ان سمعت تعليقاً كهذا، ولكن ليس من صبي عمره سبع سنوات٠

■ فيليس ثيروكس



الآية المقلوبة

قررت صديقة لي تقصير بعض البسة ابنتها الصيفية٠ وعند قياس اول الفساتين المعدلة، هتفت الصبية ذات الاحد عشر عاما: "لكني لا استطيع ارتداء فساتين بهذا القصر يا امي، اذ لم ابلغ السن اللازمة بعد"٠

(جريدة "ايفننغ ستاندارد"، لندن)٠

خطأ صغير

كتب الوالد الرسالة الآتية الى ابنه:

"ولدي العزير - لتكن رسائلك الي أطول مع تفاصيل اكثر عن حياتك، ولا تقتصر على طلب المال٠ ارفق لك مبلغ العشرة دولارات التي طلبت٠ وفي المناسبة، اود تنبيهك الى خطأ صغير ارتكبته، وهو ان الرقم ١٠ يكتب بصفر واحد لا صفرين"٠

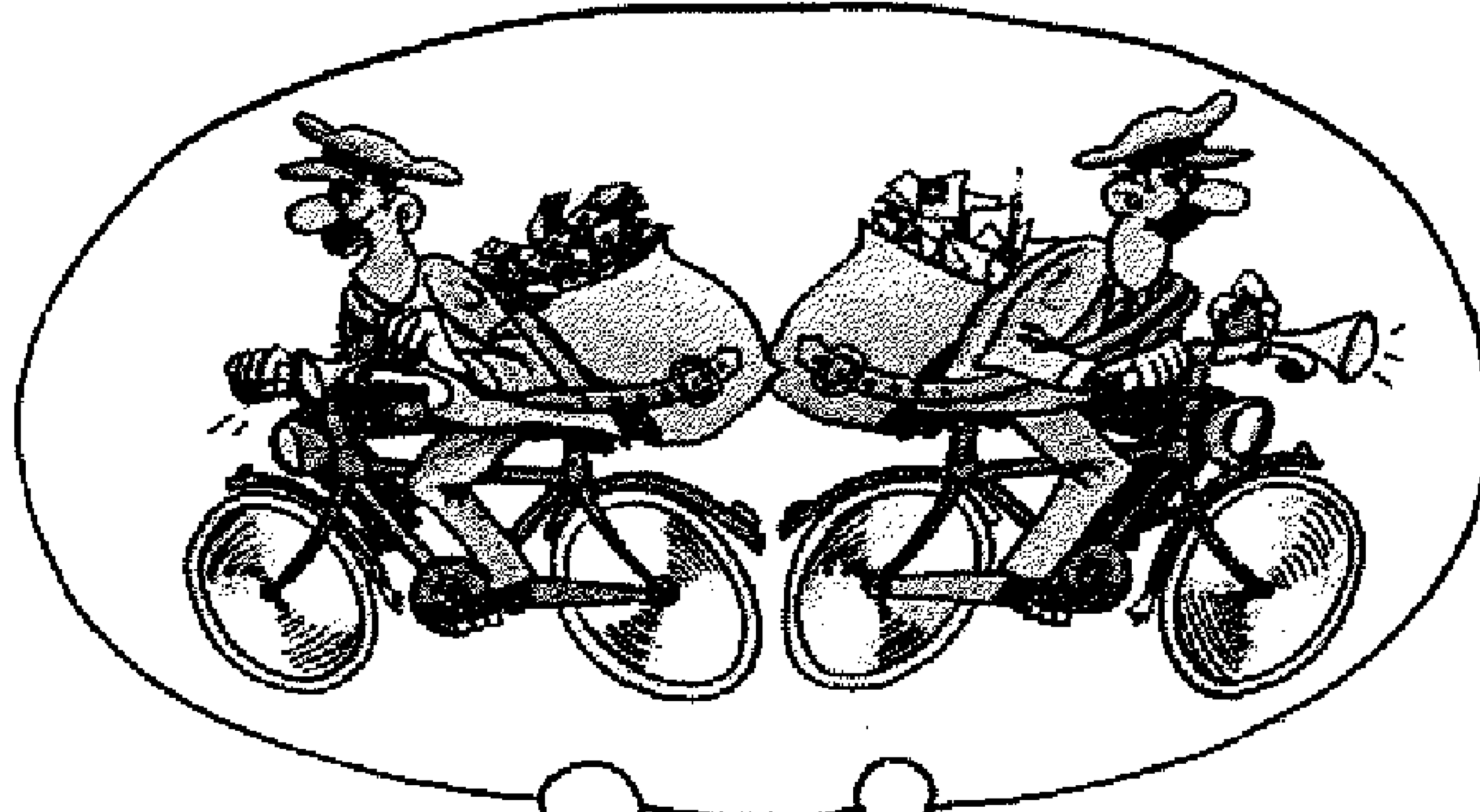
ل٠م٠س٠

الزراعة والحساب

راقبت الطفلة عمها وهو يزرع البطاطا، فتوقف وسألها: "لقد زرعت ثلاثة صفوف من البطاطا، في كل صف عشر نبتات٠ فكم يبلغ المجموع؟"

فتأملت الطفلة برهة في المسألة، ثم اجابت بترفع: "نحن لا ندرس الزراعة في المدرسة"٠

غ٠س٠



اكتب واربح

هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله: الى "المختار" وهو يدفع لك في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

☐ صور من الحياة: ٥٠ دولارا

القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة وتتحدث عن تجربة شخصية وعن موضوع جدي.

☐ الضحك خير دواء

ينطبق على هذا الباب ما ينطبق على الباب السابق. ويدفع ٥٠ دولارا عن النكتة الاصلية و٢٥ دولارا عن النكتة المنشورة.

☐ تأملات معاصرة: ٥٠ دولارا

مقاطع ذات مغاز حكمية حول موضوع معين.

☐ حديقة افكار

اقوال مأثورة للاعلام العرب.

تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

☐ السدات

هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

☐ المقالات

يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية والتجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل.

يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

الشروط

○ كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.

○ كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك - حديقة أفكار...).

○ في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد.

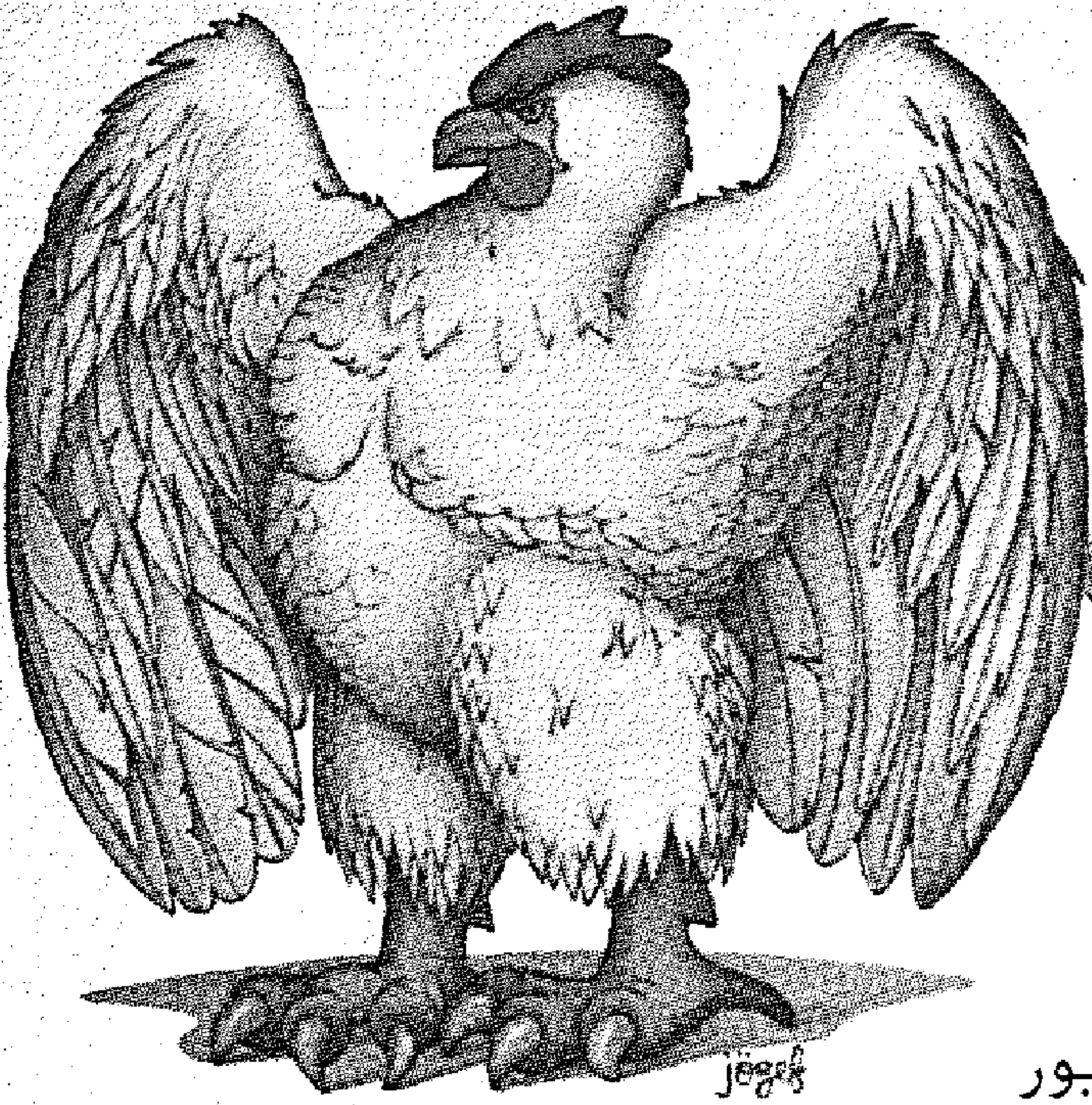
○ ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة أفكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن.

○ تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر أجنبية.

○ لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي:

AL MUKHTAR
min Reader's Digest
S.E.P.I.
37, Avenue George V
75008 Paris, France



مهما تعددت أصناف الطيور
على الموائد العالمية، فأن الدجاج يبقى الطبق الأكثر شعبية

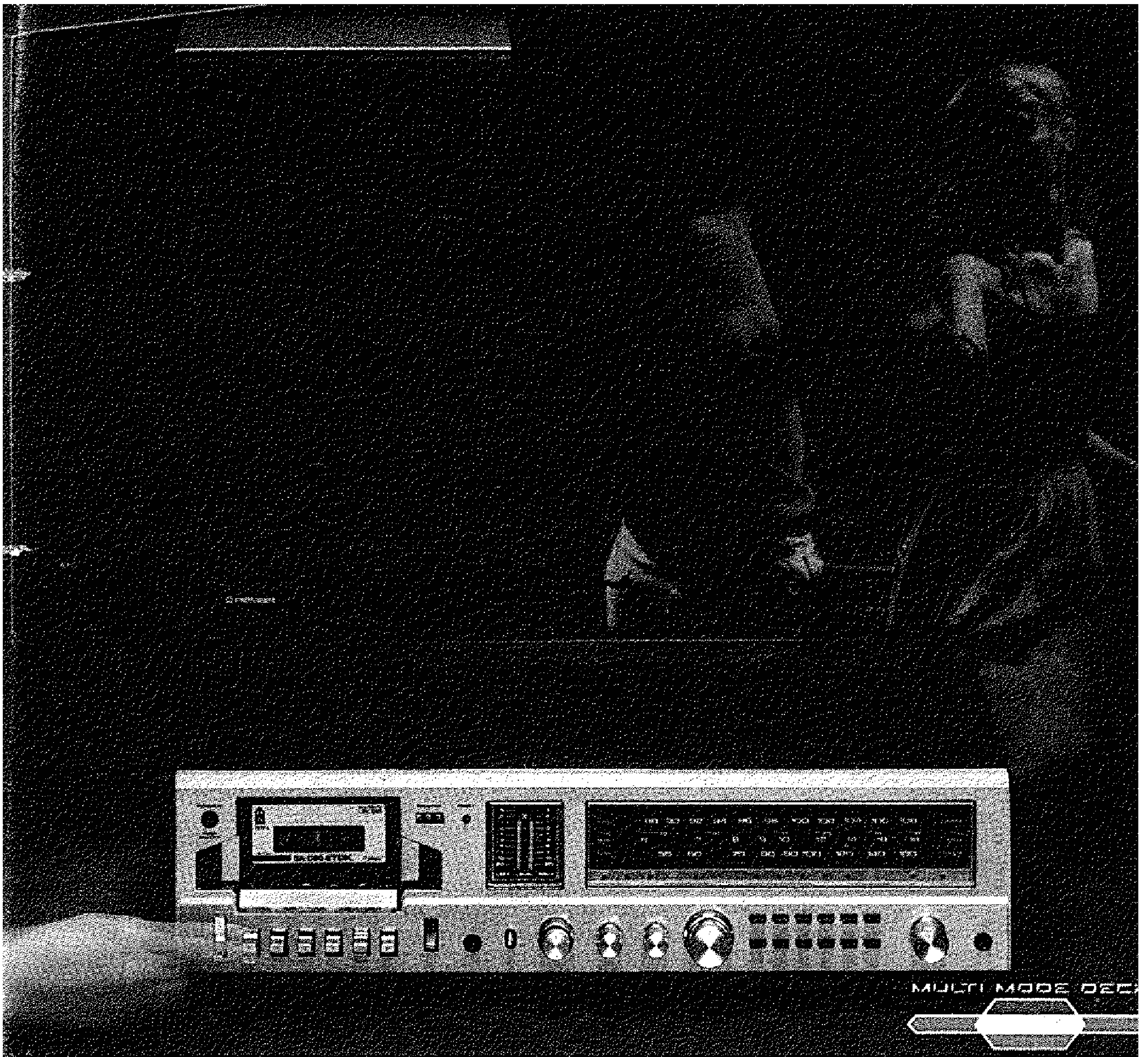
مرحى للدجاجة العظمى!

لعل لحم الدجاج يفوق في مزاياه اصناف اللحوم كلها. وقد اوحى ذلك الطير الى المؤرخ جان انتيلم بريا - سافاران، الذي اشتهر بكتاباته في فن الطهي الفرنسي، بهذه الفكرة: "ان الدواجن للطباخ كلوحة الرسم للرسام".

ويعرض الدجاج في الاسواق بأكثر من ثلاثين شكلا. ويمكنك شراء الدجاجة صحيحة او مقطعة نصفين او ارباعا او حتى ... جاهزة للأكل. ويصلح تقديم طبق الدجاج مع اي صنف آخر، ابتداء بالسمك وانتهاء بالقرع الصيفي (الكوسا). ويطبخ الدجاج بكل الطرق المعروفة. كالطهي في الفرن او الشي على الفحم، لتقدم منه اطباق تسيل لعاب الذواقة. ومن هذه الاطباق نذكر الدجاج بالأرز او بالكراث او بالنبيذ والدجاج المحمر على الطريقة الامريكية، اضافة الى انواع السجق والمقانق المحضرة من الدجاج الخالص.

ولحم الدجاج مغذ، فنصف الدجاجة مثلا يحتوي على نصف حاجتنا اليومية من البروتيين، وعلى نسبة مماثلة من الحوامض الامينية الضرورية للنمو، كما يحتوي على كميات وافرة من الحامض النيكوتيني والكلسيوم والفيتامين "أ".

وعلى رغم ذلك، لا يتجاوز عدد



بايونير ٥١٠ الجديد
جهاز ممتع ستتعلقون به

تبذل شركة بايونير جهدها لارضائكم وجعلكم تستمتعون بالموسيقى التي تحبون، صحيح ان جهازنا الموسيقي الجديد ٥١٠ متقدم تقنياً، لكنه سهل الاستعمال.

ان جهاز Multi_ModeDeckTM الشهير: هو الثمرة الاساسية لهذا الابتكار. فهو مزود بمعين للاغاني وتكفي لمسة واحدة حتى ينطلق الجهاز في التسجيل او اعادة بث المادة المسجلة. كذلك يؤمن جهاز "دولبي" (★) اداء صافياً خالياً من التشويش.

وهناك ايضاً مضخم قوي للصوت. ان طاقة الجهاز البالغة ٤٥ "واط" تتيح لكم الاستمتاع بموسيقى طالما حلمتم بها. واذا لم تصدقوا آذانكم فلا بأس من اللجوء الى عيونكم ومراجعة لوحة المعلومات Led في هذا الجهاز.

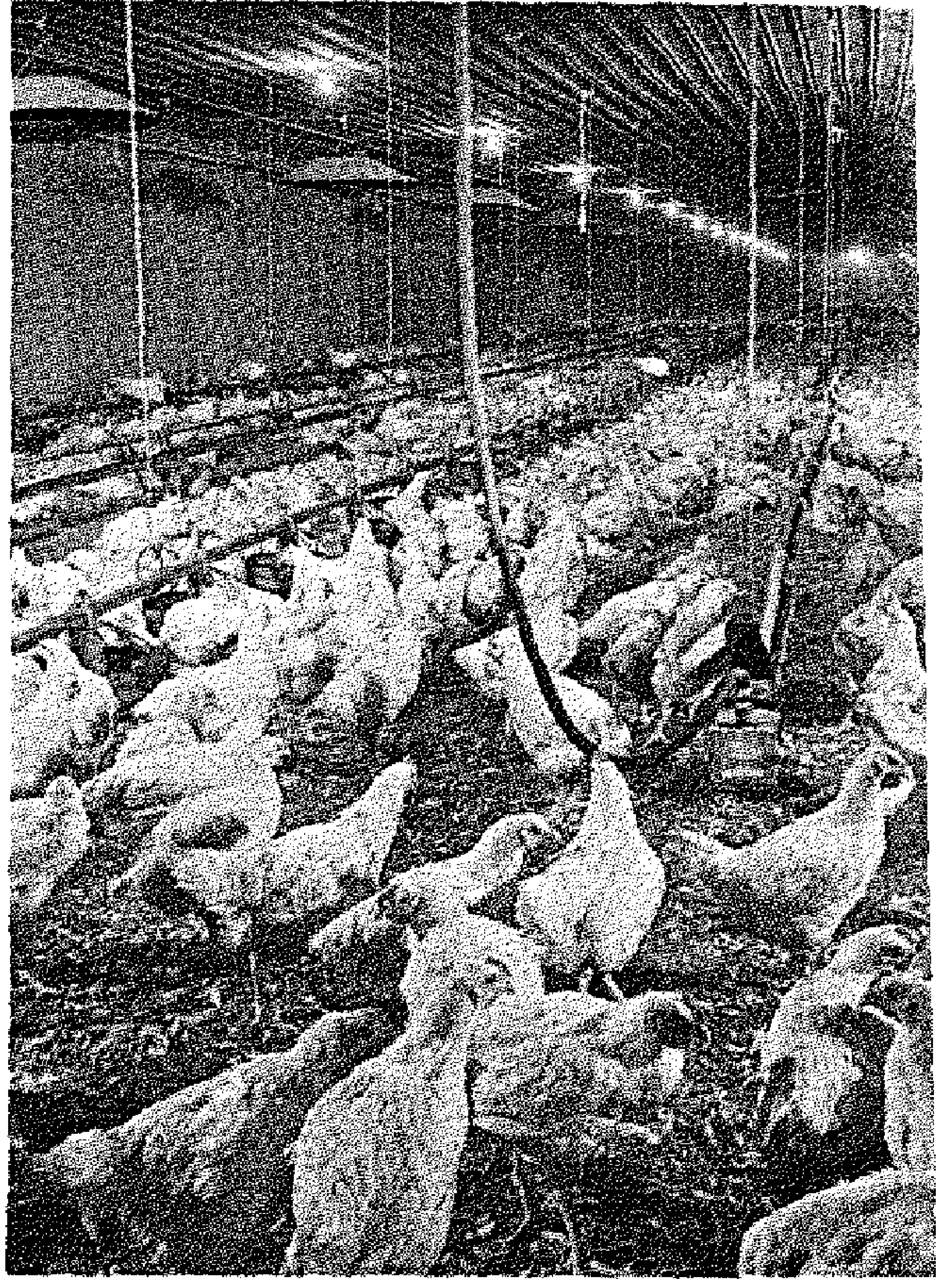
ان هواة الموسيقى سيعجبون ولا شك بجهاز توفيق الموجات SW/AM/FM الى جانب ذلك كله زودت بايونير جهازها الجديد بمكبرين خارجيين للصوت يجعلان الموسيقى اكثر روعة.

جهاز بايونير الموسيقي الجديد ٥١٠ يمنحكم متعة اكيدة. انه سهل الاستعمال وستتعلقون به حتماً.

(★) "دولبي" علامة تجارية لمختبرات دولبي.

PIONEER بايونير

4-1, Meguro 1-chome, Meguro-ku, Tokyo 153, Japan



مزرعة دجاج في ستراسبورغ (ولاية بنسلفانيا).

تاريخ طويل — وصل هذا الطائر المدهش الى موائدنا عبر ادغال آسيا، اذ تم تدجينه للمرة الأولى منذ نحو ٥٠٠٠ سنة وعبد كاله. وعرف في مصر وبلاد فارس، ثم في اليونان عام ٥٠٠ قبل الميلاد. وكان مستحبا كطعام، الا انه غالبا ما كان يستخدم في مصارعة الديكة التي تعتبر اول رياضة شاهدها الناس. وكان الرومان اول من لجأ الى التربية الانتقائية للدجاج بقصد تسمينه لأكله. وكانوا يطعمونه خبزا منقوعا بالنبيذ وعجينا من دقيق الشعير وبذور الكتان.

وتسيطر الولايات المتحدة حاليا على عالم الدجاج. ويرجح ان تكون قد حصلت على السلالة الاصلية عن طريق المستكشفين الاسبان في القرن السادس عشر، الذين كانوا يربون الطيور في جنوب غرب البلاد. وفي القرن الثامن عشر وصلت سلالات اخرى من الدجاج على متن البواخر الآتية من اوروبا. الا ان تربية الدواجن في الولايات المتحدة بقيت سنوات طويلة مجرد تجربة تجري في فناء البيت، فاما تصيب واما تخيب.

لكن هذا الوضع تغير تماما. ففي الولايات المتحدة حاليا خمس شركات تنتج ٩٠ في المئة من حاجة البلاد ونحو ٢٠٠ شركة تتولى توزيع هذا الانتاج على اسواق الاستهلاك الامريكية.

وتعتبر مزرعة اربور ايكرز احدى مزارع تربية الدواجن الرائدة في غلاستو نبري في ولاية كونتيكت الامريكية. وفي تلك المزارع يتعاون العلماء واختصاصيو الوراثة والتقنيون، بمساعدة العقول

الوحدات الحرارية التي يحتوي عليها نصف صدر الدجاجة ١٦٠ وحدة. بينما يبلغ عددها في ١١٥ غراما من الكفتة (الهمبرغر) نحو ٢٥٠ وحدة حرارية.

ويتميز لحم الدجاج بقصر انسجته العضلية وقلة ملوحته، مما يجعله اسهل اللحوم هضما وملاءمة لاولئك الذين يتبعون نظام اكل خاصا. ثم ان شحم الدجاج اقل دسما من شحم الحيوانات الاخرى، وهو لذلك اكثر ملاءمة للذين يحرصون على خفض نسبة الكوليسترول في دمهم.

ولا يحتاج الدجاج الى شحم في شيه او طهوه في الفرن، اذ تكفي كمية الشحم الضئيلة في جلده لتطرية لحمه.

العرب يستوردون

يستورد العالم العربي جميع الفراخ المعدة للتفقيس، ويأتي معظمها من بريطانيا وهولندا والولايات المتحدة.

والباعث الاساسي على الاستيراد هو ارتفاع كلفة التربية محلياً فضلا عن مشاكل حرارية وصحية وتقنية اخرى.

ويراوح عدد الفراخ المستوردة بين ٥٠٠و٧٠٠ الف سنوياً.

وكان لبنان البلد العربي الاول الذي قيد عمليات الاستيراد وفرض عليها ضرائب مرتفعة عام ١٩٦٧.

واهم الدول العربية استيراداً للفراخ المعدة التفقيس هي لبنان والاردن وسوريا والعراق. وتجري في السعودية محاولات لانتاج هذا النوع من الفراخ.

وفي لبنان يبلغ عدد الدجاج الذي يبيض بيضاً خاصاً بالتفقيس قرابة ٥٥٠ الفاً.

ان نمو الدجاج في العالم في تقدم مطرد.

فبعدما كان الفروج يحتاج الى ١٢ اسبوعاً ليصبح وزنه كيلوغراماً واحداً، اصبح الان يحتاج الى ستة اسابيع. وبعدما كان يحتاج الى اربعة كيلوغرامات من العلف ليبلغ الوزن المذكور بات يحتاج الى كيلوغرامين.

ان هذا التطور المهم في سرعة نمو الفروج جعل اسعاره تتزايد بنسبة اقل بكثير من تزايد اسعار اي انتاج حيواني آخر. وقد ادخلت المواد غير العضوية والفيتامينات اللازمة في تركيب الاعلاف، وروعيت عوامل الحرارة والرطوبة، وزيدت مناعة الدجاج ضد الامراض والاوبئة التي كانت تتسبب في تأخير نموه وذلك بتربية الفراخ في اجواء خالية من الجراثيم.

اما في العالم العربي فلا تزال جميع انواع العلف، خصوصاً فول الصويا، تستورد من الخارج. باستثناء بعض الحبوب كالذرة والشعير. ويراوح الوقت اللازم لانتاج دجاجة وزنها كيلوغرام واحد، بين ثمانية اسابيع وعشرة اسابيع.

وافضل ما توصلت اليه البلدان العربية كان سبعة اسابيع (في لبنان). وبلغ مجموع انتاج لحم الدجاج في العالم العربي ٩٥ الف طن عام ١٩٧٦، انتج معظمه في العراق (٢٩،٦ الف طن) ولبنان (٨،١ الف طن) وسوريا (١٢،٢ الف طن) والسعودية (١١ الف طن).

اما استيراد لحم الدجاج عام ١٩٧٦ فقد بلغ ٩٨،٤ الف طن توزعت في معظمها على السعودية (٣٧،٥ الف طن) والعراق (٣١ الف طن) والكويت (١٢ الف طن) واليمن الشمالية (١٢ الف طن). ولا يزال الانتاج الداجن في الدول العربية دون حاجة الاسواق الداخلية.

الالكترونية ووسائل الانتقاء المعقدة، على التحكم في اجيال من الدجاج من حيث معدل انتاج اللحوم والنمو ولون الجلد والشروط الملائمة للتربية. وقد ادى ذلك الى ظهور انواع ممتازة من الدجاج الذي ربي بوسائل علمية لينتج بيضاً صالحاً للتفقيس بمعدل ٨٥ في المئة، مما يفوق كثيرا معدل تفقيس بيض الدجاج العادي الذي يربى في الاقفاص البيتية.

ونتيجة لذلك، فان ٤٠ مليون دجاجة، تستطيع في سهولة انتاج ٣،٩ مليارات فروج، ينتظر تجهيزها في الولايات المتحدة خلال هذا العام. كذلك تجهز ١٠٠ مليون دجاجة لتنتج ١٠ مليارات فروج للسوق العالمية.

وينتظر ان تبيع مزرعة اربور ايكرز قرابة ٣٥ مليون فرخ للتفقيس، تنتج بدورها نحو ٢٥ في المئة من الفراريج المطروحة في السوق العالمية.

ويعتبر نجاح اربور ايكرز تطبيقاً حياً لعلم الوراثة. فمنذ ثلاثين عاما كان انتاج دجاجة حية وزنها نصف كيلوغرام يحتاج الى نحو ٢،٥ كيلوغرام من العلف. اما الآن فان اقل من كيلوغرام من العلف يفي بالغرض.

وتعتبر هذه انجح عملية في مجالات التربية الحيوانية لتحويل العلف الى لحوم.

تربية صناعية – ويظن وليم ريشل، مدير البحوث في مزرعة اربور ايكرز، ان التوصل الى انتاج سلالة من الدجاج السريع النمو هو اهم تقدم تحقق في مجال تحسين النسل. فمنذ ٢٥ عاما كان نمو الدجاجة الى وزن مناسب للتسويق – اي نحو كيلوغرام ونصف كيلوغرام – يستغرق ١٣ اسبوعا. اما الآن فتكفي سبعة اسابيع ونصف اسبوع لتربية دجاجة يبلغ وزنها عند التسويق ١،٨ كيلوغرام.

وتأكيدا لاستنتاجات ريشل، يشير ادوارد كوفيل الابن، رئيس شركة بايشور للاغذية في ايستون في ولاية ماريلاند الاميركية التي تنتج دجاج "شورغود"، الى ان ثمن العلف يبلغ نسبة ٧٠ في المئة من كلفة انتاج الدجاجة وان العلف الجيد غالي الثمن. وتستهلك مزرعة بايشور نحو ١،٦٨ مليون برميل من الذرة و٣٥ الف طن من فول الصويا، اضافة الى المواد غير العضوية. والفيتامينات والبروتيين. (ويظن خطأ ان الدجاج يغذى بالهرمونات لينمو سريعا).

وتتلقى شركة بايشور بيض التفقيس من ٤٠ مزرعة في ولاية كارولينا الشمالية. وينقل البيض في عربات خاصة تضبط فيها درجة الحرارة وتزود باسطوانات هوائية تلطف الاهتزاز منعا للتكسير. ويوضع البيض في محاضن مدة ١٨ يوما، ثم في آلات للتفقيس حتى تكتمل دورة التكون التي تستغرق ٢١ يوما.

وما ان يفقس البيض حتى تنقل لفراخ (الكتاكيت) الى غرفة النمو حيث تتوافر مساحة ٧٠٠ سنتيمتر مربع لكل فرخ. وينزل العلف تلقائيا من اناء خاص الى انبوب مفتوح يمتد في الغرفة كلها. اما مياه الشرب فتمتلىء بها الاكواب بمجرد ان يضغط عليها منقاد الفرخ.

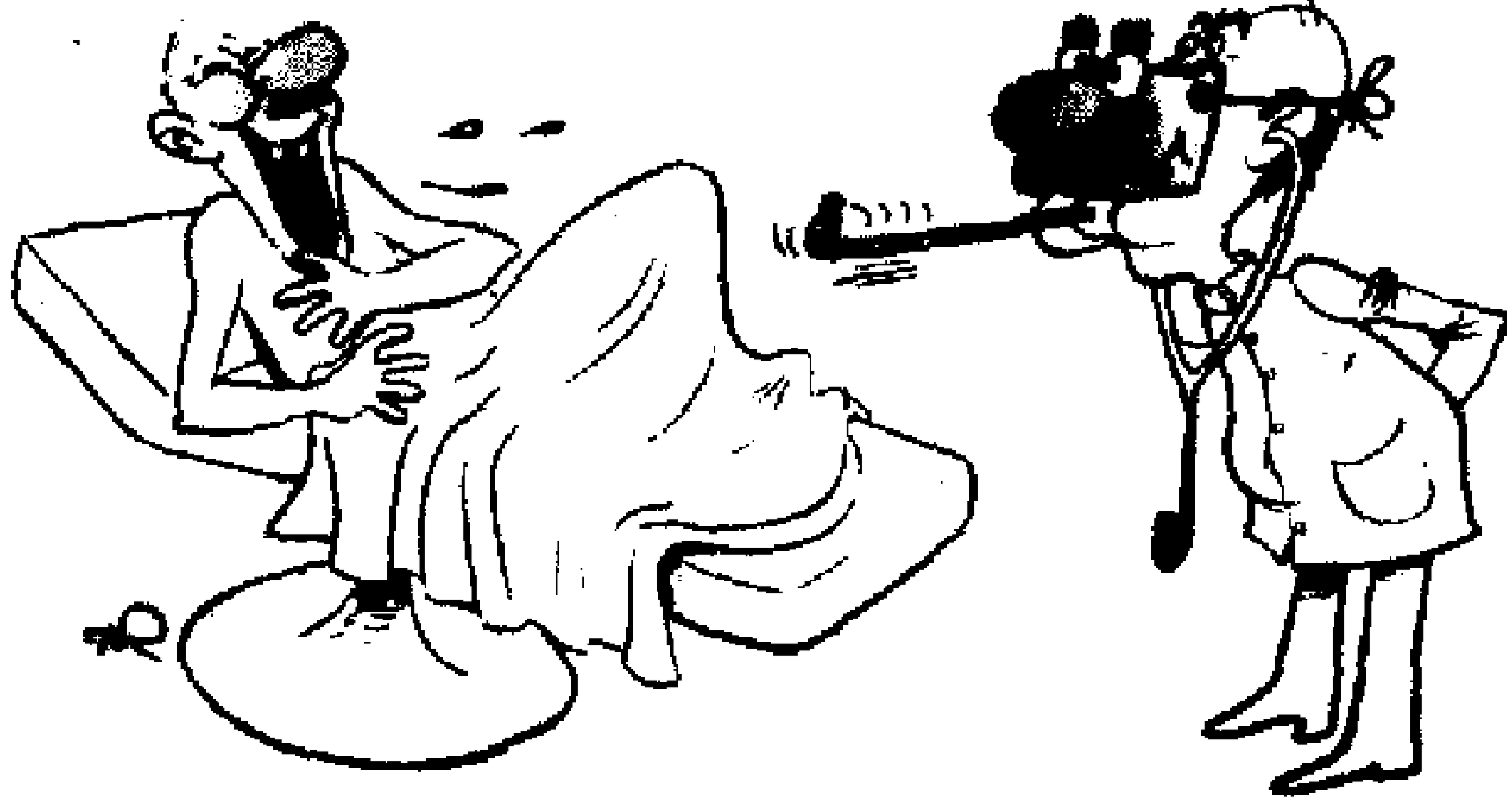
وفي المعمل يتم اعداد ١٢ الف دجاجة يوميا، تذبح ويزال ريشها وتنتزع احشاؤها وتغسل. وقبل التعبئة تغلف بطبقة نصف ذائبة من الثلج تحفظها في حرارة تبلغ ٢،٢ درجة مئوية تحت الصفر، من دون ان تتجمد. ثم ينقل الدجاج في عربات مزودة بثلاجات تحفظه عشرة ايام.

ولا يرمى اي جزء من الدجاجة، اذ يحفظ الريش والدم والرأس والارجل والاحشاء والشحم لتستخدم علفاً للماشية والدواجن!

لذلك نقول: "مرحى" للدجاجة العظمى! فهي اقتصادية ومغذية ومتعددة المزايا. وهناك سبب اخير يجعل من واجبنا الاشادة بها: فلولاها لما حصلنا على البيض.

■ **جاك دنتون سكوت**

الضحك خير دواء



اسرارهم من صغارهم

"بعدما انتهى المدرّس من شرح الدرس سأل أحد التلاميذ:
- من هو الدائن؟
فكر الطفل قليلا ثم قال:
- الدائن هو الذي كلما سأل عن بابا قلت له غير موجود.

ناجم عبد الحفيظ - المغرب

متسع من الوقت

كان جدي استاذاً للتشريح في جامعة وارسو. ومرة اشار في محاضرة له الى البراعة الجنسية الفائقة لقبيلة تسكن في حوض نهر الامازون، فنهضت احدى الطالبات لتغادر القاعة احتجاجاً. وما كان من جدي الا ان سارع الى القول: "اجلسي يا آنسة فالسفينة التالية لن تبحر الى هناك قبل اسبوع".

ج.ج.

طالب موهوب

تطلب مدرسة رود آيلاند الامريكية للتصميم ثلاثة رسوم من الطالب كشرط للدراسة فيها، على ان يكون الاول رسماً لحذاء والثاني لدراجة والثالث يختاره المتقدم.

وذات مرة لاحظ المسؤول عن الطلبات ان احد المتقدمين عرض رسمي الحذاء والدراجة فقط، مع ملاحظة تقول: "بالنسبة الى الموضوع الحر، رسمت طابع البريد الملصق على المغلف". ولم يكن هناك مجال للشك في موهبة الطالب الفنية. فقد ختمت دائرة البريد الطابع من دون ان يثير ريبتها.

ج.هـ.ب.

يداوي الناس وهو عليل

على باب مخزن لبيع الاغذية الصحية في مدينة سيدني الاوسترالية، علقت اللافتة الآتية: "مغلق بسبب مرض صاحبه".

(صحيفة "مورننغ هيرالد"، سيدني)

خطاب مزعج

كان السياسي يلقي خطبة حماسية خلال حملته الانتخابية حين اخذ طفل يزعق بصوت عال. فنهضت الام وحملت الطفل مغادرة الصالة. وهنا أحس السياسي انه قد يفقد صوتاً انتخابياً، فنادى المرأة: "لا بأس عليك يا سيدتي، ان الطفل لا يضايقني".
فأجابت المرأة وهي مغادرة: "ربما، ولكن من المؤكد انك تضايق الطفل".

ج.ك.

شجاعة أمّ

كان مكتوباً لها أن تعيش
على هامش الحياة، لكنها ملكت عزماً
أوصلها الى أوج السعادة

"الى ساره - لويز العزيزة،

"رأيتك، ولما يمضِ على ولادتك وقت طويل. يومها لم تستطع أمك ان تضمّك الى صدرها. وكيف تفعل ذلك من دون ذراعين؟

"أنت ما زلت صغيرة لا تفهمين. وسيأتي يوم تطبخ لكِ، وتسبح معك وتتزلج، وتعتني بك كما تفعل سائر الامهات. وستتزوجين يوما وتصبحين أماً. وعندئذ تدركين كم كانت أمك شجاعة يوم الجمعة السعيد ذاك، في ١٣ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٨، حين ولدتِ.

"اليك قصة أمك والايام الثلاثة عشر الاولى من وجودك، لتكون سجلا لك ولابويك وللاخت دورين سميث في مستشفى غريمسبي للتوليد. فهي التي حملتك يوم ولدت بجسدك الكامل، وهي التي قالت لي في ما بعد ان مولدك كان اشبه بخاتمة سعيدة لاحدى الاساطير. تريدين معرفة السبب؟

عودي، اذاً، الى يوم مولد أمك، الى يوم كان في حياة جديك إيريك وإيريس هافتون يوم بكاء".

في ٢١ فبراير (شباط) ١٩٦٠، نقلت ايريس هافتون على عربة الى مستشفى غريمسبي للتوليد. وكان من الضروري اجراء ولادة قيصرية. وما أن رفع الطبيب المولودة الجديدة وسلمها الى الاخت دورين سميث حتى تغضّن وجه الممرضة الشابة ألماً وانكاراً. كانت الطفلة من دون ذراعين، وقد نبت شبه اصبعين في كتفها اليمنى واصبع في اليسرى.

تلك كانت أولى ضحايا عقار الثاليدوميد التي شهدها مستشفى غريمسبي. ولم يكن ثمة ارتياب بعد في كون هذا العقار سببا لذلك

التشوّه الشنيع. ولأشهر عدة بقيت الحوامل يتعاطينه مسكّناً وعلاجاً لدوار الصباح، وكانت نتيجته تشوّه ٨٠٠٠ طفل في أنحاء مختلفة من العالم.

ارادة وتصميم – وكانت ايريس هافتون لا تزال تحت تأثير المسكّن، فكان زوجها ايريك، وهو مدير في شركة التلفزيون، أول من تحمّل الصدمة والرعب الاولين. كان ايريك أباً لابنتين – فاليري في التاسعة وانجيلا في السادسة – وصعقه هول المفاجأة: "لم يكن في استطاعتي فهم كلمات الممرضة. ولشدة اضطرابها قالت لي من دون تفكير: ليس لابنتك ذراعان".

ليس لها ذراعان؟

ووجد ايريك هافتون نفسه يحدّق الى ابنته غير مصدّق. أي لعنة حلّت على الطفلة البريئة!

وتقول ايريس هافتون: "اسئلة كثيرة ترددت في ذهننا: ماذا يكون مصير ايلين؟ لقد كتب لها أن تعيش على هامش الحياة". حتى أبواها لم يدركا قدرة الروح الساكنة في جسد ايلين. صحيح ان لا ذراعين لها، لكنها سوف تستعيض عنهما برجليها وقدميها وأسنانها. لن تعيش أبدا على هامش الحياة.

ولم تتجاوز ايلين شهرها الثامن عشر حتى تأكدت أمها من ذلك التصميم: "كانت، اذا غفلتُ عنها لحظة، تتناول بقدميها بضع موزات، تقشر احداها وتشرع في التهامها".

ان تكيُّف ايلين الغريزي جعل ايريك وايريس هافتون يصممان على تنشئتها كأختيها تماما، من دون الالتفات الى عجزها. لكنهما لو فعلا، لوجدا الامر غاية في الصعوبة. فقد كان عليهما في الحقيقة ارغام الطفلة، المندفعة الى الحياة من غير تردد، على تقبّل الامتيازات التي يحظى بها من هو في وضعها.

وكانت أمها تناديها: "ايلين، لا تنزلي الدرج وحدك". لكنها فعلت ذلك وسواه، ووقعت مرات عدة من دون ذراعين تحميانها. واصطدم وجهها بالارض مرة محدثا كسراً في احدى عظام الكتف.

دموع الكبرياء – في السنوات الاولى من دراسة ايلين الثانوية، لم يعاكسها رفقاؤها كثيرا. لكن تصرفاتهم في ما بعد لم تخلُ من القسوة. وذات يوم تأخرت ايلين عن العودة الى الصف بعد فترة الاستراحة، ذلك أن أحدهم ربط كمي سترتها الفارغين الى عمود شبكة الكرة الطائرة. وبعد فك رباطها عادت الى الصف من دون أن تذرف دمعة واحدة. لكن ايامها لم تخلُ من لحظات دموع ذرفتها في وحدتها. كذلك أيام أهلها.

وبرزت ايلين في صفها وكانت دائما مفعمة بالحياة، تدوّن دروسها على آلة تسجيل وتستعمل اصابع قدميها في الكتابة والطباعة. وتركت المدرسة في السادسة عشرة. وبعد ستة أشهر تفوقت على ١٤ متنافسة في الحصول على وظيفة حافظة للسجلات. وكانت تؤدي متطلبات وظيفتها كاملة مكتفية بأصابع قدميها.

وعندما رآها والداها تستعمل أدوات التجميل التي تركتها اختاها



في البيت، زاد قلقهما حيال المستقبل. لقد تزوجت الاختان، وأنجبت أنجيلا ابنة أحبتها ايلين حبا جما. وذات مساء بكت الطفلة، فهرعت ايلين تهدئها، او هكذا ظن الجميع. لكنها عادت حاملة الطفلة بين ذقنها وكتفها.

وقال والدها: "لقد بدأ الشبان يحومون حول ايلين. ولكن هل سيرغب احدهم حقا في الزواج بها؟" والحق ان احدهم كان راغبا جدا. وكان ذلك الشاب بيتر دايل، وهو مهندس تلفزيون في الحادية والعشرين، طويل القامة وملتحيا.

حب مثالي - تقول ايلين: "أحسست وكأني التقيت ذاتا أخرى لي. وفي الليلة الاولى التي خرجت مع بيتر، ناولني أحدهم مشروبا فسارعت يده الى تناوله بحنان، كما لو كانت يد أمي. وأمسك بيتر بالكأس لأرشف منها، مواصلا الحديث. ولم يحدث مرة أن تطرقنا الى حقيقة عجزي، بل كان حبنا فوق كل شيء. وكان حلمنا أن نرزق بطفل حالما يسمح والدي بزواجنا، اذ كنت صغيرة جدا. لكنه أصرّ على الانتظار، وتزوجنا قبل عيد ميلادي الثامن عشر بأربعة أشهر".

وفي منزلها الزوجي، لم تحضر ايلين لمولودها المنتظر سوى سرير صغير يفتح أحد جانبيه لادخال الطفل او اخراجه بسهولة، اضافة الى عربة يلتف مقبضها المستطيل وراء ظهرها، وهي ذات قضيب معدني أمامي يساعد على دفعها وتوجيهها.

وكان المطبخ كامل التجهيز وفيه

مناضد عدة اشترتها ايلين بفضل اعتماد خصصته لها لجنة تعويض ضحايا عقار الثاليدوميد.

وفي لقائنا الاول قفزت ايلين فوق المنضدة لتريني كيف تجلس قبالة جهاز الطبخ الذي تديره بأصابع قدميها. وكانت اذا احتاجت الى شيء تنزلق عن المنضدة وتطال بأصابع قدميها أبواب الخزانة لتفتحها. وقد امتلأت تلك الخزانة بالرفوف، مما جعل نيل محتوياتها في غاية السهولة.

وكان موعد الولادة وشيكا. ولم يكن هناك ادنى شك في حقيقة الافكار التي انتابت ايلين وأهلها والتي شغلت تفكير الاطباء والعلماء وضمائرهم في كل مكان: هل سيمتد تأثير الثاليدوميد جيلا آخر؟

بعد زيارتي بخمسة أيام، تولى بيتر نقل ايلين في سيارته الى مستشفى غريمسبي للتوليد. وتوقع الطبيب ان يكون حجم الطفل كبيرا، فقرر اجراء ولادة قيصرية.

وشهد ذلك المساء اعادة غريبة للاحداث ذاتها التي رافقت ولادة ايلين. ووجد والدها نفسه مرة أخرى يقود سيارته متجها الى المستشفى. وحين ظهر قرميد المستشفى الاحمر، خاطب زوجته: "اني لا أزال أمقت هذا المكان". ولم تستطع ايريس هافتون الاجابة. وكانت ايلين تخفف عنهما قائلة بمرح: "لا داعي الى القلق، فكل شيء سيتم بخير". لكنها اعترفت لي في ما بعد: "لقد كنت أتظاهر بالمرح قليلا".

حلم تحقق ـ في التاسعة من صباح اليوم التالي علموا جميعا أن كل شيء تم بخير حقا. لقد وضعت ايلين طفلة كاملة بلغ وزنها ٣،٧ كيلوغرامات. وحين أفاقت من المخدر، سمعت بيتر يقول: "انها بخير". وانحنى يقبل زوجته التي علّقت حول عنقها سلسلة ذهبية ونجمة ماسية أهداهما اليها بدلا من خاتمي الخطبة والزواج.

وعندما وصل والدا ايلين وجداها جالسة في كرسي ذي عجلات وقد اسندت قدميها الى حافة سرير صغير. في ذلك السرير تجسّد حلم العائلة حقيقة، وفيه رقدت طفلة صغيرة ذات وجه صغير فاتن وشعر كستنائي ناعم وكفين وقدمين في كل منها خمس أصابع كاملة. وكان الجد ايريك التقى لتوه الاخت دورين سميث في الرواق. ووقف الكهل الذي وخطه الشيب، مواجها الممرضة التي زادتها السنون سمنة. في لحظات السعادة تلك تأتي التعابير من غير صعوبة. وقال ايريك هافتون: "قبل ١٨ عاما لم نكن نصدق أن يوما كهذا سوف يأتي. هل تذكرين؟" وأجابت الممرضة التي حملت ايلين عند ولادتها، والان تحمل ساره - لويز، والدموع تبلل بسمتها المشرقة: "بلى، هذا صحيح".

وصباح اليوم الثامن اتصل بي بيتر دايل قائلا: "اننا في البيت نحن الثلاثة، وايلين تودّ أن تراك". ودخلت غرفة الجلوس لأرى ايلين في الاريكة مثل أميرة من الشرق، وقد أشرق جمالها واضفى عليها كمّا سترتها الفارغان سحرا غريبا.

هيا يا بيت ـ كان ذلك موعد اطعام ساره وابدال ملابسها. ووجدت بيتر يضع على الارض صندوقا فيه ما يلزم

من البودرة والملابس ووعاء ماء ساخن وزجاجة حليب. وفاجأتني حيوية ايلين، وذكّرتني رشاقتها لا بالثاليدوميد، بل بحركات الباليه المتناسقة. لقد جلسَت على الارض وأخذت بقدمها اليمنى زجاجة الحليب وأزالت غطاءها المحكم بأصابع قدمها اليسرى وأثبتت في عنقها حلمة معقمة من دون أن تلمسها. ثم عادت الى الاريكة حيث جلست القرفصاء وقالت: "هيا يا بيت!" فوضع زوجها طفلتهما برفق في ثنْي ركبة ايلين اليمنى.

وبخفة التقطت ايلين بقدمها اليمنى مئزرا وضعته حول عنق الطفلة. ثم رفعت زجاجة الحليب وأزاحت الانامل الصغيرة بحنان عن فمها وأدخلت فيه حلمة الزجاجة وراحت ترضعها. ومضى نصف ساعة من همس وحنان كتب لي ولبيتر فيه ان نشهد الاتحاد المقدس بين أم ورضيعها.

وبعد انتهاء الرضاعة وضع بيتر الطفلة على وسادة، وجلست ايلين قربها. وبخفة لا تصدق نزعت ثياب الطفلة بأصابع قدميها وغسلت جسدها والبستها ملابس نظيفة. ثم عقدت شريطا دقيقا حول ياقة سترتها المخرّمة. وبينما راحت تداعب الخد الناعم باحدى أصابع قدميها، أمسكت الطفلةُ بالاصبع تشدها.

وما ان حل اليوم الثالث عشر حتى كان في امكان ايلين القيام بجميع متطلبات الطفلة، ما عدا اخراجها من العربة وصعود السلم بها أو نزوله.

وتقود ايلين سيارة أثبت جهاز القيادة في أرضيتها، وعند الركوب تزلّق سرير الطفلة الى داخلها. وقد مكّنها الاعتماد الذي خصصته لها لجنة تعويض ضحايا الثاليدوميد من استخدام مدبِّرة للمنزل. وقالت لي يوما: "ان كل شيء يتطلب وقتا أطول، وليس في امكاني الاهتمام بالطفلة والمنزل في آن. اني أريد تكريس كل دقيقة لساره، وكل يوم أستنبط لذلك اساليب جديدة".

وابتسمت ايلين في حنان لساره - لويز الناعسة في حضنها الدافىء، وهمست لها: "متى ملكتِ السعادة التي في نفسي استطعتِ تخطي عوائق العالم كلها".

تلك قصة الفتاة التي، في اصرارها على منح طفلتها حق الحياة متخطية هواجس الثاليدوميد، جسدت للعالم معنى الشجاعة.

■ جوان ريدر

العفو افضل من الحق!

وقعت دماء بين حيين من قريش، فأقبل ابو سفيان فما بقي احد واضع رأسه الا رفعه. فقال: "يا معشر قريش هل لكم في الحق او في ما هو افضل من الحق". قالوا: "وهل شيء افضل من الحق؟" قال: "نعم، العفو".

فتبادر القوم فاصطلحوا. (عن كتاب "هذه هديتنا" لليلى مبارك)

□ سقطت من موضوع "مكة قبلة الملايين"، الذي نشر في عدد تشرين الاول (اكتوبر) الاشارة الى ان الصور هي من "ارامكو ماغازين" بكاميرا س.م.امين □

أزمة الطاقة قضيّة سياسيّة!

كاتب هذا المقال كان "امبراطور الطاقة" في الولايات المتحدة ووزير خزانتها، وهو هنا يدلي برأي موضوعي في ازمة الطاقة في العالم متهماً سلطات بلاده بعدم التحسب للمشكلة. ويكشف الكاتب ان الامريكيين لم يحسوا بالازمة الا عندما اقترب سعر النفط من مستوى كلفة انتاجه في بلادهم. ويبرىء المقال،على نحو غير مباشر، منظمة "اوبيك" ومعها دول النفط العربية، من التسبب في ازمات الطاقة التي عاناها الغرب، وخصوصاً الولايات المتحدة، منذ العام ١٩٧٣.

بدأت المشكلة تنفذ الى وعينا مع طلائع الربيع الدافئة، ثم لم تلبث ان واجهتنا الصدمة بعنف، فاصطفت السيارات امام محطات البنزين في لوس انجيليس على مسافات تمتد مئات الامتار منذ الخامسة صباحاً. ووصل المسافرون الى واشنطن وقد اوشك الوقود في سياراتهم على النفاد ليجدوا المحطات مغلقةوعلى مضخاتها لافتات تقول: "ليس لدينا وقود". واحتلت "اخبار محطات البنزين المحلية" في نشرات الانباء مكاناً يساوي مكان نشرات الاحوال الجوية.

واخذ الامريكيون، كعادتهم، يصبون غضبهم على "شركات النفط الضخمة". غير ان المشكلة ليست مشكلة نقص في امدادات النفط بمقدار ما هي افتقار الى الشجاعة السياسية يعود تاريخها الى نحو اربعة اعوام. ولئن يكن تحرك الرئيس كارتر الى رفع القيود عن اسعار النفط قد تدارك بعضاً من هذا الافتقار الى الشجاعة السياسية، الا

انه ترك لسائقي السيارات الامريكيين ميراثاً من الخيبة والاذى لا يمكن التخلص منه الا بعد مرور سنوات عدة على عودة الاحوال الطبيعية الى السوق.

ويعود تاريخ استيائنا الحالي الى العام (١٩٧١)، عندما فرض الرئيس نيكسون قيوداً على اسعار البنزين (وعلى كل شيء آخر) في سياق جهد ضائع لوقف التضخم. وبحلول العام ١٩٧٣، رفعت هذه القيود عن جميع السلع في ما عدا النفط الخام والبنزين. وعندما جاء الحظر النفطي العربي، اضيفت قيود سعرية اخرى على المنتجات النفطية "لحماية المستهلك".

وكان تأثير هذه الاجراءات متوقعاً كتوقع مسار الافلاك في مداراتها. وقال الاقتصادي ميلتون فريدمان في هذا الصدد: "اذا شئت ان تخلق ازمة في اي سلعة، فما عليك الا ان تجعل الحكومة تفرض لهذه السلعة سعراً اقصى يقل عن السعر الذي كان ينتظر ان يسود لو لم يفرض ذلك القيد".

وكان في استطاعة الرئيس فورد ان يمحو، بمجرد عمل واحد يتحلى بالشجاعة السياسية، تلك المفارقة المضحكة التي تمخضت عنها القيود على الاسعار. لكن هواجس الانتخابات التي كان مقبلا عليها وتحذيرات مستشاريه بألا يصبح في اعين الناس ذاك الرجل الذي رفع اسعار البنزين ووقود التدفئة، جعلته يتوسع في فرض الضوابط. بل انه زاد في الواقع من عنف قبضتها القاتلة بالتوقيع على تشريع من اتفه التشريعات واكثرها ضرراً التي صدرت في السنوات الاخيرة، وهو "قانون سياسة الطاقة وحفظها" الذي صدر عام ١٩٧٥.

وفي الوقت نفسه، اتخذت الحكومة الفيديرالية تدابير من شأنها احداث مفعول سلبي لضوابط الاسعار. ومع حلول العام ١٩٧٥، كان البيروقراطيون في "وكالة حماية البيئة" قد حولوا الكفاح في سبيل نقاء الهواء الى حرب ضد السيارات، ففرضوا جهاز التحويل بالحفز ـ الذي ينقي غاز العادم - على جمهور العملاء الذين يشترون السيارات. والمشكلة في هذا الجهاز الثقيل المرتفع الكلفة هي ان اجزاءه الداخلية الرقيقة سرعان ما تتلفها غازات العادم الناشئة عن احتراق البنزين المحتوي على الرصاص. ومعنى ذلك في الواقع ان وكالة حماية البيئة قد اصدرت، بكل بساطة، امراً يقضي بالاقتصار على استخدام البنزين الخالي من الرصاص. وهذا الوقود السائل تفوق كلفته بالطبع كلفة البنزين العادي، لان استخراجه في المصافي يتطلب كمية من النفط الخام تزيد على الكمية اللازمة لاستخراج البنزين العادي.

ومن جراء ذلك اضطرت المصافي الى انتاج وقود مرتفع الكلفة، من دون ان تتيسر لها (في ظل قيود الاسعار) وسيلة الاستثمار في المعدات والاجهزة بما يمكنها من انتاج هذا الوقود بكميات كافية لمواجهة الوضع الناشىء عن اوامر وكالةحماية البيئة.وقد حدث فعلا ان احد مستشاري الرئيس فورد الاقتصاديين ـ وهو بول و.مكافوي ـ

حذره في شهر يونيو (حزيران) ١٩٧٦ مما ينتظر حدوثه، وذلك في مذكرة قال فيها: "لما كان من المتعذر استرداد الزيادةالطارئة على الكلفة لانتاج البنزين الخالي من الرصاص، فقد انعدمالحافز على انتاجه. ولا مفر في هذه الحال من حدوث نقص في امداداته في المستقبل غير البعيد".

ومن ناحية اخرى، واجه المشتغلون في صناعة التكرير صعوبات من نوع آخر ايضاً. فهناك متاهة بالغة التعقيد من الاجازات وجلسات الاستماع لمختلف الشهادات وعمليات التفتيش والاجراءات الادارية، سواء على النطاق الفيديرالي او على نطاق الولاية او على النطاق المحلي، لا تزال تخنق نمو طاقةالتكرير في الولايات المحدة منذ ١٥ عاماً. وتقول وزارة الطاقة الامريكية ان البلاد تحتاج، على الاقل، الى سبع مصاف كبرى. لكن الذي حدث منذ اوائل الستينات هو ان هناك ١٩ مشروعاً لاقامة مثل هذه المصافي قد تخلّى عنها اصحابها بسبب التعقيدات الحكومية، ولم تشهد السنون العشر الماضية الا انشاء مصفاتين كبيرتين.

وهناك مصفاة وضعت الخطط لاقامتها في بلدة بورتسموت في ولاية فرجينيا، لكنها تنتظر منذ اربع سنوات تصريحاً للشروع بها من سلاح الهندسة في الجيش الامريكي. وثمة مشروع ثان يُعتزم تنفيذه في بلدة ايستبورت في ولاية ماين، لكنه قضى اكثر من خمس سنوات يتلاعب به هراء اللوائح والتعليمات والاجراءات.

وعلى هذا النحو تظل طاقة التكرير في الولايات المتحدة مرهقة، بل نجدها في بعض الاحيان مقامة في غير الاماكن المناسبة لها. ومثال ذلك ان نسبة ١٢ في المئة فقط من هذه الطاقة هي على الساحل الشرقي ذي الكثافة السكانية المرتفعة، والذي يستهلك ٣٧ في المئة من مجمل انتاج معامل التكرير في البلاد. ومعنى هذا ان سكان المقاطعات الشرقية يدفعون اسعاراً اعلى للحصول على وقود السيارات والتدفئة، لان الجانب الاكبر منه لابد من ان ينقل بالانابيب او الشاحنات من المصافي المقامة على ساحل خليج المكسيك او في البحر الكاريبي.

وقد ترتب على هذه السياسات وغيرها ان اصبحت الولايات المتحدة غير متأهبة اطلاقاً للحياة في عالم العرض والطلب. وعندما الغى الرئيس كارتر قيود الاسعار، كان ذلك في مثابة اعتراف متأخر بضرورة تزويد الولايات المتحدة بسياسة جديدة للطاقة ترمي الى ثلاثة اهداف رئيسية:

١ - حاجة الولايات المتحدة الى المزيد من الانتاج من الموارد الوفيرة الموجودة لديها في الخارج.

٢ - حاجة الولايات المتحدة الى المحافظة على البنزين والنفط باتباع المزيد من الرشاد والجدوى في استخدامهما.

٣ - حاجة الولايات المتحدة الى استنباط مصادر طاقة تضاف الى مواردها الحالية من الوقود التقليدي الحفري ويمكنها ذات يوم ان تحل محله.

ولا يمكن بلوغ هذه الاهداف الا عن طريق "سياسة" وحيدة هي سياسة

"السعر" الخاضع لقانون العرض والطلب، لا لمشيئة الحكومة. واورد في ما يأتي لمحة عن طريقة سير هذا النظام:

١ ـ السعر يبعث على الانتاج. ان صناعة النفط هي اكثر الامور مجازفة في ميدان الاعمال. فاحتمالات عثور الحفارات على النفط الخام عند الاستكشاف لا تتجاوز نسبتها واحد الى عشرة. وتتدنى هذه الاحتمالات الى نسبة رهيبة هي واحد في الثمانية والاربعين، بحيث لا يبقى امل في متابعة الحفر للعثور على النفط بكميات كافية تبرر استخراجه من باطن الارض.

وفي الماضي، عندما كان النفط العربي يتفجر من اديم الارض بكلفة زهيدة لا تتجاوز بضعة بنسات للبرميل الواحد، لم تكن المجازفة باستكشاف حقول جديدة تستحق هذا العناء. لكن الحظر العربي للنفط الذي فرض عام ١٩٧٣، وما اعقبه من ارتفاع الاسعار (من ثلاثة دولارات للبرميل الى ١٤،٥٥ دولارا فياول يونيو/ حزيران ١٩٧٩)، احدث صدمة مفيدة ترددت اصداؤها في العالم كله. فمن بحر الشمال الى قلب اوستراليا المنعزل، ادى ارتفاع الاسعار الى بذل جهود لم يسبق لها مثيل في سبيل استكشاف البترول. وهناك مناطق، مثل بحر بوفورت ومناطق البحيرات الباردة في كندا، غنية بالنفط والغاز، ولكنها كانت نائية وغير صالحة للاستثمار الاقتصادي، فاصبحت فجأة ذات جاذبية قوية! وفي ستة اعوام، اسفرت حركة الاسعار عن تحويل صناعة النفط المتواضعة في المكسيك الى مصدر من اهم المصادر العالمية.

اما الولايات المتحدة ـ حيث ينبسط ظل الضوابط التي ابقت الاسعار عند مستوى يقل بنسبة ٣٠ في المئة عن المستوى العالمي ـ فهي البلد الوحيد الذي لم يتلمس تماماً الحافز الناشىء عن رفع منظمة "اوبيك" اسعار النفط. ومع ان سعر برميل النفط المنتج في الولايات المتحدة قد ارتفع من ٣،٨٩ دولارات الى ٩،٦٩ دولارات خلال العقد الماضي، الا ان هذه الزيادة لم تكن تواكب ارتفاع تكاليف الحفر والانتاج.

وعلى رغم ذلك، فان حركة تصاعد الاسعار لازمها الاستمرار في العثور على موارد جديدة محتملة. ويبلغ احتياط الولايات المتحدة من النفط ٢٨ مليار برميل. ولكن اذا استوى السعر، فان الدراسات تشير الى احتمال الحصول على ٧٥ مليار برميل اخرى من احتياط النفط البري.

ويمكن ايضاً استخراج ما بين ١٥ مليار و٥٠ مليار برميل اخرى من حقول النفط الامريكية الحالية عن طريق تقنيات "الاستخراج المكثف" وذلك بحقن باطن الحقول" بالبخار او الماء او المواد الكيميائية "لدفع "النفط الى السطح" وفي ظل تقنيات "الاستخراج المكثف" يكلف برميل النفط بين ١٦ دولاراً و٣٢ دولاراً. لكن ارتفاع اسعار النفط مع هبوط تكاليف الاستخراج يمكن ان ينتهيا بالتقاء الاثنين عند مستوى مناسب. (يبدو انه يجدر التذكير بأن الوصول الفعلي الى مصادر النفط هذه وبناء المصافي اللازمة لمعالجتها امر سيستغرق

سنوات عدة، حتى مع حدوث ارتفاع ملموس في الاسعار)٠

٢ - السعر يبعث على حفظ الطاقة٠ عندما تكون السلعة غالية الثمن، يميل المرء الى استخدامها بحرص٠ وقد كان الامر كذلك في حال النفط٠ ومن الامثلة التي يمكن ذكرها في هذا الصدد ظهور سيارات اكثر فعالية، وتشييد المباني المحكمة العزل، والحرص في استخدام الطاقة في الصناعة٠

وبين ١٩٧٠ و١٩٧٧، تدنت نسبة استهلاك الطاقة الى الدخل الوطني الاجمالي بمقدار ١٠ في المئة٠ وبالمثل، حدد المشتغلون في صناعة تكرير البترول في البلاد عام ١٩٧٤ هدفاً ينشدون تحقيقه عام ١٩٨٠، يتلخص في خفض نسبته ٢٠ في المئة فيكمية الطاقة اللازمةلتكرير البرميل الواحد من النفط الخام٠ وبفضل استخدام معدات اكثر كفاية واتباع اساليب صيانة افضل، وما الى ذلك، نجح مكررو البترول في خفض معدل استهلاكهم للطاقة بنسبة ١٩،٦ في المئة، اي ٣٣٤ الف برميل من النفط يومياً٠ وهذا ما يعادل الاحتياجات السنوية من النفط للتدفئة المنزلية في منطقة نيوانغلاند بأكملها (وهي تشمل الولايات الست التي يتألف منها شمال شرق الولايات المتحدة)٠

وفي النواحي التي تهم المستهلك، فان صيانة الطاقة تعتبر في جوهرها امراً شخصياً جداً، ويكون السعر هو العامل الحاسم٠ فربات البيوت لا يقللن مشترياتهن من شرائح اللحم لان احد المدافعين عن مصالح المستهلكين يطلب منهن ذلك٠ لكنهن يقللن هذه المشتريات فوراً عندما يتجاوز السعر حداً معيناً٠ وكذلك هي الحال بالنسبة الى البنزين وزيت التدفئة٠ وتفيد التقديرات ان ارتفاع سعر البنزين بمقدار اربعة سنتات سيؤدي الى توفير في استهلاك الوقود يراوح مقداره بين ٣٠٠ الف برميل و٤٠٠ الف برميل من النفط الخام يومياً٠ وهذا هو جوهر حفظ الطاقة٠

٠٣ السعر يخلق البدائل٠ في العام ١٩٥٠ كان النفط يزود العالم الحر بـ٣٢ في المئة من حاجته الى الطاقة٠ وفي العام ١٩٧٣، عندما فرض الحظر النفطي العربي، ارتفعت هذه النسبة الى ٥٥ في المئة٠ غير ان منتجي النفط، برفعهم اسعاره على هذا النحو الشديد والمفاجىء٠ اثاروا في العالم صدمة دفعته الى الاسراع في تكييف نفسه بالابتعاد عن النفط التقليدي٠ ويعلمنا المنطق الاقتصادي ان سنة العرض والطلب كانت ستؤدي، على اي حال، الى رفع اسعار نفط الخليج العربي نفسه الى مستوى يرغم الذين يستعملونه على السعي الى ايجاد بدائل منه٠ وكل ما فعله المنتجون هو انهم قدموا موعد الاضطرار الى ايجاد البدائل عقداً او عقدين٠

ترى كم مرة حدث قبل حظر ١٩٧٣ ان سمعنا الكثير عن الطاقة الشمسية، او عن تسييل الفحم واستخراج الزيت الحجري؟ وها ان "البنزوهول" ـ وهو وقود يصنع من كحول الحبوب والبنزين ـ اوشك ان يكون متيسراً٠ كما ان اسعار النفط الخام جعلت فحم الكبريت ـ وهو من اشد مصادر الطاقة

تلوثاً - ارخص كلفة من الزيت كوقود للغلايات، حتى بعد اضافة كلفة تطهير غازات المداخن من عناصر التلوث. ومع الوقت، فان ازدياد ندرة النفط وارتفاع كلفته سيحملان السوق على القيام بحركة واضحة للتحول الى انواع الوقود الاخرى هذه.

ان تقلب الاحوال في مجال الطاقة خلال السبعينات ينطوي، اذاً، على درس موضوعي قوي. ذلك ان الحكومة، عندما افترضت انها قادرة على ان تخطط لجميع الناس، انتهت الى عدم القدرة على التخطيط لاحد على الاطلاق، ولم تخلف جهودها سوى الارتباك والمشكلات والمصاعب. وحين ارادت الحكومة ان تجد لها كبش فداء، من جراء المسافة البعيدة التي تفصلها عن "شيوخ النفط"، استدارت تهاجم "شركات النفط الضخمة" و"ارباحها الفاحشة"، من دون ان تكترث لكون ارباح هذه الشركات تقل عن خمسة سنتات لكل دولار (خمسة في المئة)، او لكون استثمار شركة النفط السنوي في عمليات البحث عن مصادر جديدة للطاقة، كثيراً ما يتجاوز في قيمته ارباحها الصافية بعد حسم الضرائب.

اذاً فلنلق باللوم على كاهل من يستحق الملامة. والحكومة هي التي تستحقها استحقاقاً كلياً. ولنضع ثقتنا حيث تجنى خير الثمار: في حركة السوق الطبيعية. فاذا ما ترك لاسعار السوق ان توفر الحافز المعقول، فان العشرة آلاف شركة ونيف التي تستكشف النفط وتكرره وتسوقه تستطيع اضافة مليون ونصف مليون برميل اخرى يومياً الى الانتاج الامريكي من النفط مع حلول العام ١٩٨٥.

فلكي تنتفع الولايات المتحدة بسياسة الرئيس كارتر في الغاء قيود الاسعار، على الامريكيين ان يفعلوا الاتي:

- الاسراع في اتاحة الاراضي العامة لعمليات الاستكشاف. ذلك ان الحصول على رخصة بالتنقيب عن النفط والغاز يقتضي اجراءات مثبطة وباهظة الكلفة، تستغرق بين ثلاث سنوات وخمس سنوات او اكثر. وعلى رغم ان الجرف القاري الخارجي يعتبر منطقة ممتازة للتنقيب تحت سطح البحر، الا ان ٩٥ في المئة منه مغلق في وجه شركات النفط. وبالمثل، هناك مئات ملايين الهكتارات من الاراضي الفديرالية التي يحتمل وجود النفط والغاز فيها، والتي لا تزال بلا استكشاف.

ويتبين من التقديرات انه ينبغي منح امتيازات للتنقيب تحت سطح البحر تشمل بين ستة ملايين وسبعة ملايين هكتار سنوياً. لمجرد الاحتفاظ بمستويات الانتاج الامريكي الحالية. لكن منح الرخص الفديرالية للتنقيب تحت سطح البحر على الجرف القاري لم يزد متوسطه على ١،٠٤ مليون هتكار سنوياً منذ العام ١٩٧٠.

- ضمان وجود احتياط استراتيجي كاف. ذلك ان التشريع الذي ينص على ايجاد احتياط نفطي مقداره مليار برميل من النفط حتى ١٩٨٥، لم يصدر الا عام ١٩٧٥. واذا امكن تكوين هذا الاحتياط وخزنه في كهوف او صهاريج تحت الارض قرب المرافق الرئيسية لنقل النفط، فانه سيكون

سنداً واقياً· ولكن كل ما نجحت وزارة الطاقة في خزنه حتى الان لا يزيد على ٨٤ مليون برميل، اي اقل من عشر الهدف المنشود·

– عدم اطلاق العنان لتصرفات عباقرةوكالة حمايةالبيئة· فقد كانت استجابة الوكالةلازمةالطاقة الحالية انها اجتهدت في الاعلان عن مختلف البقايا الناشئة عن عمليات الحفر الاستكشافي للنفط بانها "نفايات خطرة"· وقد وجه الكونغرس صفعة الى الوكالة لمحاولتها فرض الانظمة قسراً، من دون جلسات استماع لبحث الموضوع ومن دون توافر المعلومات الكافية عنه· ولو وجدت وكالة حماية البيئة الطريق امامها خالية، لترتبت على كاهل الصناعة كلفة تبلغ في بدايتها ٣٤،٧ مليار دولار، اضافة الى ١٠،٨ مليارات دولار اخرى سنوياً، ولكانت النتيجة هي القضاء الفعلي على جميع ارباح الصناعة مع ما يؤدي اليه ذلك من عواقب كارثة على زيادة الانتاج· ولا شك في ان تطرف الوكالة يستوجب استمرار مراقبتها من جانب الكونغرس·

ان لدى الولايات المتحدة القوة الاقتصادية والتكنولوجية اللازمة والحكمة الكامنة التي تكفل لهاالحصول على ما يعوزها من الطاقة في مقابل ثمن ملائم، ولكن من الحق القول ايضاً ان الامر يحتاج الى طول اناة، لان السوق الحرة – على رغم قدرتها المدهشة على تحقيق الانجازات – لن تكفل لنا فيضاً فورياً من البنزين، لانها لا تستطيع ان تصحح في اربع وعشرين ساعة آثار التقصير الناتج من مساوىء التدخل الحكومي طوال عقود بكاملها· ولكن الحكمة تقضي باتاحة الفرصة لهذه السوق كي تعمل لمصلحة المواطنين· واذا تركوها وشأنها فهي تتكفل بتزويدهم بكل الطاقة التي يحتاجون اليها·

■ وليم سايمون



نظام قديم

طوال بضعة اسابيع ظل صديق لي يعتمد في معيشته على سحب مبالغ تتجاوز رصيده في المصرف على نحو غير قانوني· وأخيرا تسلم الرسالة الآتية من المصرف:

"سيدي العزيز: سنكون شديدي الامتنان لك اذا عدت الى النظام القديم وهو أن تودعنا اموالك بدلا من ان نودعك نحن اموالنا"·

ر·ي·هـ

اعتراف

خاطب السير اليك دوغلاس هيوم، حين كان رئيسا للوزارة البريطانية اعضاء نقابة الصحافة بالآتي:

"اناشدكم ان تبقوا اقلامكم حادة! أن تبقوها نظيفة! حافظوا على ذلك، ايها السادة، ولا تتخلوا عنه· فلعل احد السياسيين يتفوه ذات يوم، وفي مكان ما ··· بكلام ذي قيمة"·

هـ·ك· (سان فرنسيسكو كرونيكل)

ميلاد لا يُنسى

**بدت عطلت الميلاد للطفلين اياماً في الجنة٠
ولم يعلما ان اياماً من التشرد كانت تنتظرهما**

كان ذلك في يوم كئيب من ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٢، عندما توجه ابي الى المركز الرئيسي للغستابو الالماني في براغ (تشيكوسلوفاكيا)٠ واقتيد عبر اروقة غطت ارضها سجادة قرمزية خالها لا تنتهي٠

وككل مواطنيه التشيكيين، كان قد سمع بغرف التعذيب في اقبية هذا المبنى الذي كان في ما مضى منزل أحد الصيارفة٠ وارتعد ابي عندما عبرت باله تلك الافكار، لكنه سرعان ما استجمع قواه٠ لقد كان عليه الا يظهر خائفاً أمام المحقق النازي ايريك فيتش٠

دخل ابي مكتب المحقق٠ فتأمله فيتش برهة ثم قال له ان الالمان يعلمون كل شيء عن نشاطه في حركة المقاومة السرية٠ وقد ارسلت تلك الحركة، منذ بداية الحرب، آلاف الرسائل الاخبارية الى لندن، واسست جريدة٠ وكانت هذه الحركة تتحدى الالمان علناً وتنظم تظاهرات مسلحة تخللها تبادل اطلاق رصاص مع الغستابو٠

أما التنظيم الذي كان ابي احد اعضائه، فقد نجح الغستابو في تصفيته٠ وقتل الوبيز ايلياس رمياً بالرصاص، وكان عضواً في المقاومة السرية، على رغم ترؤسه حكومة المحميتين الالمانيتين بوهيميا ومورافيا٠ وقد فر اثنان من وزرائه الى لندن٠ وقطع النازيون رأس الصحافي الشهير انتونين - بيزل٠ وكان لاديسلاف راسين، النائب

البرلماني، ينتظر تنفيذ حكم الاعدام فيه. أما بروكوب درتينا، أمين سر رئاسة الجمهورية السابق، فنجح في الفرار متخفياً في قطار براغ - بلغراد السريع. وبقي سائر اعضاء التنظيم اما متوارين عن انظار الغستابو واما قيد الاعتقال.

وعاشت تشيكوسلوفاكيا أيام رعب. ولم تستطع "حكومة الظل" فيها وقف حمامات الدم النازية. لقد اعدم النازيون ١٣٠٠ تشيكي في قرية ليديسي انتقاماً لاغتيال راينهارت هايدريكش، الملقب "جلاد براغ"، على يد المقاومة السرية. وكان الطعام يوزع حصصاً والمحتكرون يعدمون واقفلت الجامعات وارسل طلابها الى معسكرات العمل الالزامي، وسجن منهم عدد كبير وأعدم كثيرون. أما اعضاء المقاومة السرية فقد ارسلت افواج هائلة منهم الى المشانق ومعسكرات الاعتقال.

الايام العزيزة - مرت صور اوشفيتز وبوكينفالت الرهيبة في ذهن ابي. وفجأة سمع المحقق يعرض عليه الحرية، شرط ان يعمل مخبراً لدى الغستابو. وقد أمهله فيتش حتى انقضاء الميلاد ليختار بين الامرين.

ما الذي حمل فيتش على منح ابي هذه الفرصة؟ هل رغب في تخفيف عبئه المثقل بالجرائم؟ ام ان ثمة مشاعر من نوع آخر؟

لم يكن الامر، حتماً، مجرد شفقة. فقد اعدم فيتش شنقاً في ما بعد كمجرم حرب. ومهما يكن السبب، فقد كان أمام أبي ثلاثة اسابيع. وكان يعرف اختياره جيداً، ولديه الوقت الكافي للاهتمام بالامور.

ولدى عودته الى البيت، جلس وامي يشربان الشاي ويخططان لتلك الاسابيع العزيزة المتبقية. وخلافاً لتوقعات فيتش، رفض ابي التواري، لان ذلك ينطوي على تعريض حياة كثيرين للخطر. وقال لأمي: "إن لدينا ولدين، وعلى أحدنا أن يبقى الى جانبهما". وأومأت أمي برأسها. ربما كان هذا آخر ميلاد نعيده معاً، فيجب أن يكون جديراً بأن يذكر.

وكان أخي ياشا في العاشرة، وأنا في السابعة. وكان أبي، في نظرنا، مجرد محام، ولم نعرف شيئاً عن نشاطه في حركة المقاومة السرية ولا عن زيارته قيادة الغستابو. ولم يبق في ذاكرتي عن تلك الفترة سوى صور مبهمة، لكن والدي دوّنا عنها الكثير. وبقي بعض صور فوتوغرافية وذكريات ساعات امضيناها حول المائدة.

كنا نملك بيتاً جميلا منعزلا في مزرعة قرب قرية باستفيني، يشرف على بحيرة في جبال اورليس في بوهيميا. وقد ضم في اثاثه موقداً ضخماً من القرميد وغرفة طعام خشبية بمقاعد دافئة مريحة وغرف نوم فيها اسرة من ريش ومواقد كبيرة. هناك امضينا الميلاد.

انتقلنا الى البيت بالقطار وبعربات الجليد. وفور وصولنا اوقدنا ناراً صاخبة. وظهر على ابي تغيير مفاجيء. لقد تحول الرجل الكئيب، الدائم التفكير، كتلة حماسة وابتهاج. وامتلأ البيت مرحاً وضحكاً. ولدى ذهابنا الى النوم سمعناه ينشد ترانيم الميلاد.

وفي اليوم التالي جهزنا بقعة على

البحيرة المتجمدة، وشاركنا صبية محليون في لعبة الهوكي. والتقطت الكرة مجتازاً ابي ورميت القرص بين رجليه. ورحت اعدو نحو البيت صائحاً: "لقد فعلتها ! لقد سجلت هدفاً في مرمى ابي!" ولم يبرح صدى ضحكته ذاكرتي.

لولا أبي ـ وقبل الميلاد بيومين، عبر ابي وياشا البحيرة على زلاجات الى مدينة تبعد ثمانيةكيلومترات لشراء لوازم العيد وبدأ الثلج ينهمر، وازدادت حدة الريح حتى استحالت عاصفة. ورأيت امي تنظر بقلق الى السماء المتلبدة، فبادرتها بالقول اني سعيد، متوسلا تحويل انتباهها. فأخذت وجهي بين يديها وركعت تقبلني بحنان وتقول: "اذكر هذا الميلاد جيداً يا يان، فربما كان من اهم الاعياد في حياتك".

واحتجبت البحيرة عن انظارنا، وغدا قلقنا ذعراً. وفجأة ظهر ابي امامنا كالمعجزة حاملا أخي، وقد غطى الجليد رأسه وتجمد البخار على حاجبيه. وكان ياشا هادئاً على غير عادة. وما أن زال اثر المفاجأة حتى قال متلعثماً: "لم استطع المضي في السير، فحمل ابي حقيبتي وطلب الي ان اسير خلفه. لا ادري ما كان مصيري لولا وجوده معي".

والتقت عيون والدي. وقرأت خواطر أمي:"لست ادري ذلك أنا أيضاً. لكننا سنضطر قريباً الى الافتراق".

وليلة الميلاد همدت العاصفة وامتلأت السماء غيوماً لطيفة تبددت عند الغروب ليتسلل عبرها نور القمر. وانعكس الوهج الجميل على التلال المكللة بالثلج ليرسم للميلاد ابدع صورة حلمت بها ريشة فنان.

وكان من عادات ابي كل سنة ان يقرأ علينا قصة الميلاد. وتملكتنا الرهبة عندما وصل الى مقطع الرعاة الخائفين والعرافين وهيرودس الماكر. واخيراً جاءت رسالة السلام على الارض والمحبة في قلوب البشر. وفي عالم عمّ الحديث فيه عن معارك العلمين وغواد القناة وستالينغراد، وتجاوز المقاتلون في عددهم السكان المدنيين الذين عكرت صفو نومهم صفارات الانذار، بدت كلمات القديس لوقا مفعمة بالرجاء الذي كان والداي في امسّ الحاجة اليه.

واخذنا نفتح علب الهدايا: مضرب هوكي وكتب عن أماكن بعيدة طالما حلمنا بزيارتها وقطع حلوى كريهة المذاق صنعت قبل اندلاع الحرب. ثم فتح ابي هديته. واخرج من غلاف زيّنه ياشا بالرسوماسطوانة مسجلة اعددناها له في براغ. وقد سجل عليها ياشا بكلماته حكاية عن الغرب الضاري، والقيت فيها مقاطع شعرية، يعوزها الانسجام، حول المرح في فصل الشتاء. وفي نهايتها جاء صوت امي الدافىء يحدثنا عن معاني الميلاد: "سوف نحمل هذه الذكريات ميداليات حول اعناقنا تساعدنا في الايام العصيبة". ولم تعن تلك الكلمات شيئاً لنا، لكن ابي ادرك مغزاها تماماً.

ولم يكن في باستفيني كنيسة. فبدلا من حضور قداس منتصف الليل، رحنا نتزلج في الحقول البيضاء. وبعد ساعة كنا قرب البيت، فوضع ابي يديه على كتفينا. وللحظات قليلة

اخذنا نحدق بصمتالى نجمة ساطعة وقفت فوق بيتنا الى جانب القمر.

"كلنا تسلمنا هدايا رائعة"، قال ابي، "لكن اثمنها كانت ان نحتفل بالميلاد مجتمعين. اذهبوا الى النوم واطلبوا من الرب في صلاتكم ان يمنحنا هذه النعمة في السنة الآتية".

ستالينغراد الثلجية - بعد ايام قليلة غصّ البيت بالاصدقاء. كانوا من اعضاء المقاومة السرية وعلى علم بانذار فيتش. وربما جاؤوا يودعون أبي، لكنهم شجعوه ايضاً. وأغرانا دفء الطقس بالخروج لتقاذف كُرات الثلج، وبنينا باتقان حصناً سميناه ستالينغراد.

وتحلقنا حول الراديو نصغي الى نشرة الاخبار التشيكية الليلية من اذاعة لندن. وقد ضمنها عضو المقاومة المنفي بروكوب درتينا تحية الى بلدة أبي. وأدرك والدي قصده، فتملكه سرور عظيم.

وفي اليوم الذي سبق السنة الجديدة ذهبنا في نزهة، وشربنا الشاي في مطعم صغير على الجهة الاخرى للبحيرة. ورمى احدهم كرة ثلج، واسرعنا الى بناء رجل ثلجي. وكان في البداية يشبه ونستون تشرشل في بعض ملامحه، ولكن عندما رتب احدهم الثلج بشكل القبعة الشهيرة وغرس السيجار المألوف اصبح الشبه تاماً.

ورأينا عجوزاً يخرج من المطعم ويقف أمام التمثال. وبعد تردد قال لابي: "اعذرني. اني اعرف صاحب هذا التمثال واؤكد لك اني احترمه أنا ايضاً. ولكن هل تظن من الحكمة تركه هنا؟ قد يعرض وجوده صاحب المطعم للخطر، وأنت تعلم ان كثيرين اعدموا لاسباب اكثر تفاهة". وبدأنا على مضض نفكك اجزاء ونستون تشرشل.

وبذل الجميع جهدهم لحفظ البهجةليلة رأس السنة. لكن لحظات عبرت رأيت فيها ابي يحدق، بعيداً عن الوجوه الفرحة، وقد تغضن وجهه وغطت عينيه مسحة حزن. ان جوّ باستفيني الساحر سوف يختفي قريباً.

وغادر الاصدقاء بيتنا مع الصباح. وفي اليوم التالي وصلت عربة جليد لتنقلنا الى محطة باستفيني. القى ابي نظرة اخيرة على الحقول البيضاء. ربما عبرت خياله صورتي وانا اركض معلناً انتصاريوقد ورّدت خدي الحماسة. وقرب البيت تناثرت انقاض ستالينغراد الثلجية. وعندما ركب ابي عربة الجليد رأيت الدموع تكاد تغرق عينيه.

الى اوشفيتز - وفي ٩ يناير (كانون الثاني) ١٩٤٣ - وكان يوم سبت - استدعى فيتش ابي ثانية. لكن ابي اكد له انه لن يستطيع أن يكون مخبراً للغستابو، اذ ليس لديه ما يقال.

وقاطعه فيتش: "أنت تعلم يا درابك انه كان مقرراً اعدامك خلال الحكم العرفي في الصيف الماضي. لكن اوراقك كانت في برلين، وكان علينا الانتظار. أنت الآن قيد الاعتقال".

وبعد أيام قليلة نقل أبي الى اوشفيتز ضمن قافلة لم ينج منها الا قليلون. وختمتكل اوراقهالرسمية بالجملة الآتية: "عودته غير مرغوب فيها". لكن احداثاً طرأت، جعلت عودته ضرورية. فقد القي القبض على

عالم النبات كرايينا، أحد قادة المقاومة السرية، واراد رجال الغستابو التحقيق مجدداً مع ابي. ثم تفشت حمى التيفوس في اوشفيتز وهمدت حماسة فيتش لزيارةمعسكر الاعتقال.

واعيد ابي الى براغ ضعيفاً هزيلا. وفي مستشفى السجن حقن بعض الاصدقاء التشيكيين رجله بالغازولين مما سبب التهاباً اقنع رجال الغستابو بأنه ميت لا محالة. وفي أواخر ١٩٤٤ حدث ما لم يكن في الحسبان: لقدتم اطلاق ابي، فتوارى في احد المصحات العقلية في براغ.

وبعد الحرب عُين ابي مدعياً عاماً في محكمة اختصت بمجرمي الحرب الالمان. وكان بين المحكومين كارل هيرمان فرانك، حاكم محميتي بوهيميا ومورافيا الالماني المسؤول عن مذبحة ليديسي. وقد ادين بتهمة القتل الجماعي واعدم شنقاً عام ١٩٤٦.

وفي مقال نشر في احدى المطبوعات المناهضة للشيوعية، هاجمابي الدعاية السوفييتية مما عرضه للخطر عندما اجتاح الشيوعيون تشيكوسلوفاكيا. وفي مارس (آذار) ١٩٤٨ كنا بين آلاف التشيكيين الذين لجأوا الى الغرب.

لقد مرت علينا اعياد كثيرةمنذتلك السنة، كان اهلي خلالها في الولايات المتحدة الامريكية وكنت أنا في كندا. وما زلنا كل سنة نذكر الميلاد الذين سبق اوشفيتز. لقد كان ميلاداً حاسماً لم نستمتع بمثله في حياتنا.

■ يان درابك



اروع ما في التحلي بالصبر انه يزعج الشخص الذي يزعجك.

("دبلن اوبينيون"، ايرلندا)

طرافة الوصف

وصف احد المشتركين في سباق للتزحلق على الجليد سباقا تقليديا طوله خمسون كيلومترا كما يأتي: "انه مثل معاناة آلام الوضع، وضجر حياة باكملها، وعذاب موت بشع - كل ذلك خلال ثلاث ساعات".

و.ج.

مخاطبة الملوك

ذات مرة كان شارل لو بران، رسام البلاط الملكي الفرنسي، منكبا على رسم لوحة للملك الهرم لويس الرابع عشر. وفجأة سأله ملك الشمس: "الا ترى اني أبدو أكبر سنا بكثير في اللوحة؟".

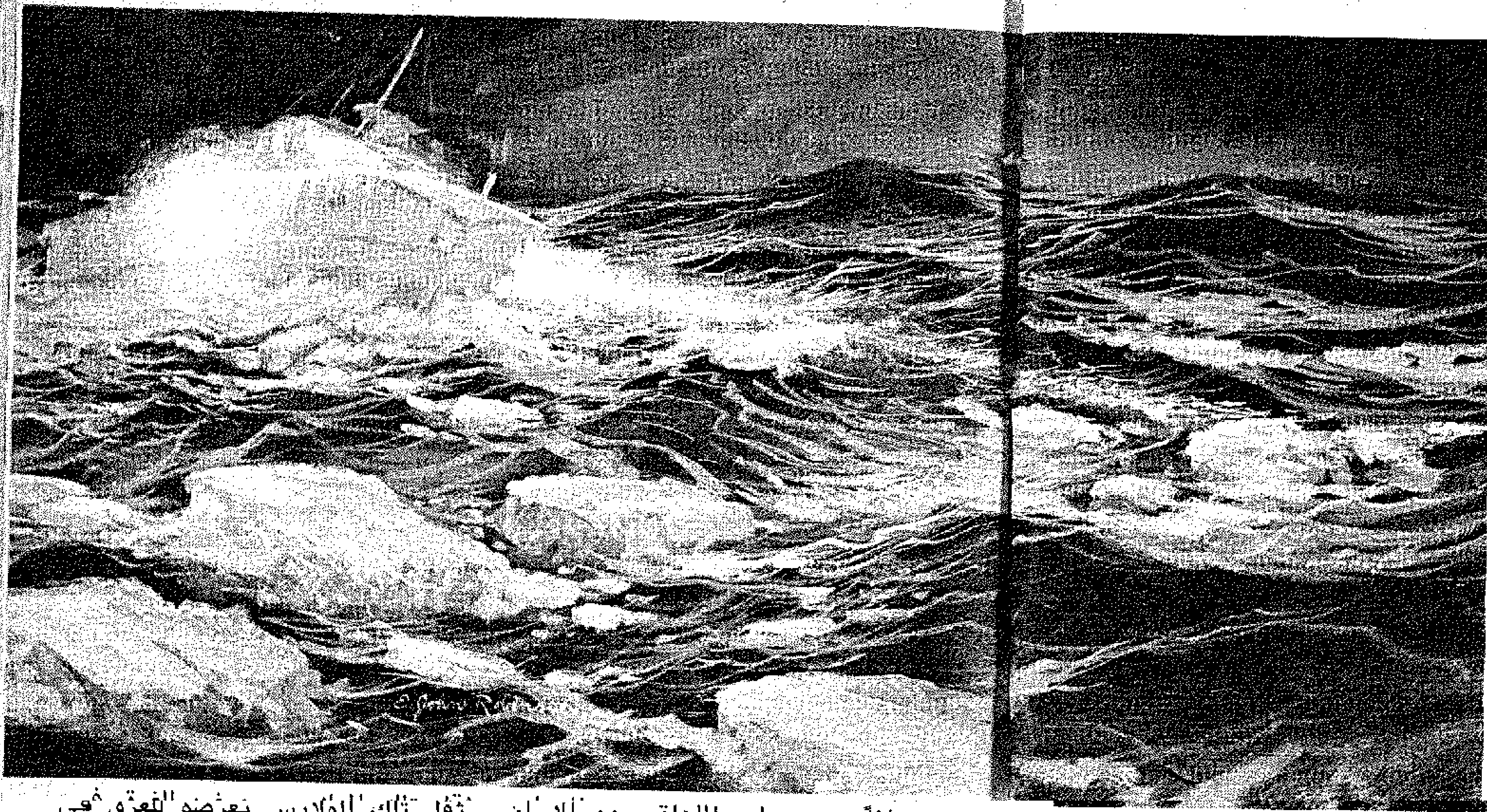
ولم تسمح نزاهة الرسام له بالكذب، كما لم يسمح له ذكاؤه بقول الحق، فاجاب: "مولاي، اني أتبين آثار مزيد من الحملات الظافرة على جبين جلالتكم، فحسب".

جاك ليفرون (مجلة "هيستوريا"، فرنسا)

ماساة واقعية

تحت رحمة العاصفة

المنجدون تحولوا ضحايا·
وجد الرجال الخمسة انفسهم
يصارعون من اجل البقاء



انطلق جيمس شرانتز وبول بورت في قاربهما الالومينيوم الذي يبلغ طوله اربعة امتار، من مرفأ دانكيرك في نيويورك على بحيرة ايري· كان ذلك في السادسة من صباح ٢٦ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٨، وفي جو هادىء فوق العادة·

وكان الشابان في السابعة عشرة· وقد شرعا في صيد سمك الكوهو (نوع صغير من سمك السلمون ادخل من شمال المحيط الهادىء الى شمال الولايات المتحدة الامريكية حيث يجري صيده على سبيل الرياضة) على ان يعودا الى الشاطىء قبل العاصفة·

وبحيرة إيري واسعة وضحلة، تهيجها العواصف غالباً وترتفع فيها الامواج العارمة خلال دقائق·

وقبيل العاشرة تغيرت وجهة الرياح وهبطت درجة الحرارة، بينما تعالت الامواج اكثر من ثلاثين سنتيمتراً تاركة الزورق يهتز كفلينة الصنارة· وقال جيم: "ربما كان من الافضل لنا ان نتجه الى الشاطىء"·

وبدأ الغلامان يجاهدان كل بمجدافه· وفجأة هبت ريح اخرجت القارب عن مساره ودفعته نحو الصخور المسننة على الضفة الغربية للمرفأ· واسرع بول يتسلق الصخور حاثاً جيم على اللحاق به· الا ان الاخير اصر على انقاذ قاربه· وسمعه بول يصرخ عبر الرياح: اسحبه الى الشاطىء بسلام·

مرت ثوان وبول يترقب في رعب بعد ان رأى احد المجذافين ينشطر ويصطدم القارب بالصخور مرة اخرى· ثم هبت ريح عنيفة دفعت القارب الصغير شرقاً عبر المرفأ الى مناطق بحيرة إيري الثلجية·

لم يكن امام جيم الا ان يتعلق بقاربه بقوة وسط الريح والامواج التي كادت ان تقلبه تحت معطفه الواقي من الثلج· الا انه كان على يقين بأن ثقل تلك الملابس يعرضه للغرق في حال انقلاب الزورق· لقد كان وحيداً في بحيرة إيري، حيث العاصفة الثلجية العنيفة وبرودة الريح البالغة ٢٧ درجة مئوية تحت الصفر·

مناورة وسط الجليد - كان جوزف فاكانتي، ضابط خفر السواحل في المرفأ الذي اشتهر بتنفيذ نحو ٥٠٠ عملية انقاذ في البحيرة، يناقش موضوع العاصفة الثلجية مع بعض اصدقائه عندما اندفع اليه بول من الباب· واصغى فاكانتي، البالغ من العمر ستين عاماً، الى رواية بول· ثم اسرع الى السور خلف المرسى ليرى

قارب شرانتز على بعد حوالي ١٢٠ متراً في الخليج وقد حاصره الجليد الجارف.

وفي غضون ساعة كان فاكانتي وموظف آخر يدعى بيل غايج قد انطلقا في زورق من الومينيوم، مجهز بمحرك ذي قوة عشرة احصنة، ويبلغ طوله اربعة امتار ولم يكن فاكانتي مرتدياً سوى سروال فضفاض وقفازين خفيفين وغطاء للرأس وسترة مبطنة. وقال "سنعود خلال عشرين دقيقة او نصف ساعة".

وشق البحاران المحنكان طريقهما وسط الجليد، يكافحان الرياح والامواج. وبعد ربع ساعة اصبحا على مسافة ١٢ متراً من شرانتز. الا ان جليداً كثيفاً حال دون وصولهما اليه. واخفقا في القاء طوق النجاة وفجأة اصطدم القارب بطبقة خفية من الجليد، فكُسر المسمار الموجه للمروحة وتعطل المحرك. وجُرف القاربان بعيداً عن الشاطىء وسط البحيرة العاصفة.

وبدأت اطراف فاكانتي تتجمد. واخذت الرياح المشبعة بالرذاذ، والامواج التي بلغ ارتفاعها متراً ونصف متر. تقصف الزورق بعنف وتكسو سروال فاكانتي بطبقة من الثلج. وكان غايج مرتدياً ملابس دافئة، فوضع سترات النجاة الخمس على رفيقه.

وفي دانكيرك، شحن زورق ذو محرك نفاث يبلغ طوله ستة أمتار، وهو الزورق الخاص بعمدة المقاطعة، ونقل بالسيارة من حاضرة المقاطعة على بعد ٣٧ كيلومتراً من دانكيرك وانزل الى المياه في الثانية عشرة والربع. وفي الاولى بعد الظهر لحق الزورق، الذي حمل نائبي العمدة ايرنست كوان وروبرت بليزوفسكي، بزورق فاكانتي.

واندفع نائباً العمدة بقاربهما عبر اكداس الجليد المتحركة حتى اصبحا على بعد ستة أمتار من جيم شرانتز. وقد بلغت سرعة الريح ٩٣ كيلومتراً في الساعة على اليابسة وأكثر من ذلك فوق البحيرة، وهبطت برودتها الى ٤٠ درجة مئوية تحت الصفر. وحجبت دوامات الثلج الرؤية وحالت طبقات الجليد الطافية دون اقترابهما من شرانتز، فألقيا اليه حبل النجاة وطلبا منه ان يمشي على الجليد في اتجاه مركبهما.

وبدأ الرجلان مناورتهما في العودة بين حقول الجليد. وفجأة شد الثلج خرطوم العادم الذي ينطلق منه البخار، فسخن وانفجر. وقال كوان لزميله: "لقد وقعنا في ورطة". واتصل لاسلكياً بشرطة دانكيرك مبلغاً أن محرك الزورق تعطل وان القارب جرف مسافة تعذرت معها رؤية الشاطىء.

اننا عائدون ـ اتصل رئيس الشرطة في دانكيرك ادوارد مالفيل بقواعد خفر السواحل في بافالو وايري وكليفلاند. لكن الرد جاء واحداً: ان سوء الاحوال الجوية لا يسمح بارسال طائرات عمودية او غيرها. واجرى حرس السواحل الترتيبات اللازمة للحصول على مساعدة من الجيش، بينما اخذ مالفيل يبحث عن صاحبي زورقي قطر متينين على رغم قدمهما. وكان للقارب الاول، ويدعى "غلوريا ـ ماي"، هيكل من الصلب، ويبلغ طوله ١٥ متراً. أما الثاني،

وكان اصغر القاربين، فقد عرف باسم "ماري س٢".

وفي الثانية الا ربعاً قاد القبطان ستانلي كايس القارب "غلوريا – ماي" خارجمرفأ دانكيرك، في ظروف جوية كانت الرؤية فيها شبه معدومة. وكان معه ابنه مايكل وخمسة متطوعين واثنان من خفر السواحل.



"غلوريا – ماي" لدى عودتها الى دانكيرك بعد اخفاق محاولتها الاولى

وبعد ربع ساعة ابحر القبطان ميرلين راسل مع طاقم من ثلاثة ملاحين على متن "ماري س٢".

وشق الزورقان طريقهما، بعنف وسط الجليد. وحطم كايس حاجب الريح في "غلوريا – ماي" للحصول على رؤية اوضح، كما امر الطاقم "برش رماد ساخن على ارض الزورق التي غطاها الجليد. فهو كان يخشى ان يتجمد الرذاذ على الزورق ويهدد، اذا ما زادت كميته، بالنزول به الى قاع البحيرة.

وفي الرابعةوالنصف عادت "غلوريا – ماي" الى دانكيرك مغلفة بالجليد، وتبعتها "ماري س٢" من دون ان تتمكنا من رؤية القارب المنشود.

واستعمل رجال المطافىء الفؤوس وخراطيم المياه لازالة الجليد عن القاربين. ولم يصغ كايس الى الذين حذروه من ان اي محاولة أخرى سوف تكون محفوفة بالاخطار، وقال والدموع تملأ عينيه: "لا يمكن أن اترك حتى كلباً في هذا الطقس. اننا عائدون بهم أحياء او امواتا".

واتصل كوان، نائب العمدة، لاسلكياً ليقول ان الطقس يزداد سوءاً وان جميع من في القارب يحاولون مساعدة فاكانتي، الذي اصيب بهذيان الحمى، على البقاء في حال يقظة. ولما خيم الظلام هبطت الحرارة الى ١٢ درجة مئوية تحت الصفر، وبلغت برودة الريح ٤١ درجة تحت الصفر.

وقاد جون ثايمر، المهندس المسؤول عن مكتب اللجنة الاتحادية للمواصلات في بافالو الذي تم اللجوء اليه للمساعدة في عملية البحث، سيارة خاصة باللجنة، مزودة بجهاز لاسلكي معين للاتجاهات. فوصل الى مسافة ثمانية كيلومترات شرق دانكيرك.

وقاد ثايمر سيارته الى مواقع مختلفة من الاعشاب المتجلدة الى ان التقط اشارة القارب المفقود. واجتاز ثمانية كيلومترات على شاطىء البحيرة للحصول على اشارة اخرى. ودون الخطوط على خريطة ملاحية

ليستنتج من نقطة تقاطعها ان الزورق قد انحرف ١٣ كيلومتراً شمال شرق دانكيرك.

واتصل تايمر بقبطان غلوريا - ماي يعلمه بموقع الزورق التائه. واتصل كذلك بطاقم ماري س٢ وكانت الساعة قد تجاوزت الخامسة.

وميض ازرق - استمرت طبقات الجليد في تغطية غلوريا - ماي واخذت الريح تهب لتدفع عن متنها الواحاً من الجليد يراوح وزنها بين ١٤٠و١٨٠ كيلوغراماً، فتسقط في الماء دفعة واحدة محدثة دوياً صاخباً. وكان على الزورق هذه المرة زوجة القبطان، ايفون كايس، وهي ممرضة لحقت بزوجها وابنها في رحلتهما الثانية.

تناوبت ايفون مع زوجها على عجلة القيادة وراح هو يزيل عن وجهه الجليد الذي بلغت كثافته ستة مليمترات. وكانت الريح تندفع من النافذة المحطمة مصحوبة برذاذ الثلج. وعندما وصلت "غلوريا - ماي". الى الموقع المنشود وقف الجميع يترقبون وميض ضوء الطوارىء الأزرق بعيون اتعبتها الثلوج.

واتجه كايس نحو نقطة ابعد من البحيرة. والتقط جهاز اللاسلكي اشارة ثانية اكدتها هيئة المواصلات الاتحادية: لقد كان القارب المفقود على بعد حوالي ١٦ كيلومتراً شمال شرق دانكيرك وستة كيلومترات خارج المرفأ.

فجأة توقفت الريح بأعجوبة وارتفعت سحب الثلوج نحو متر عن سطح الماء. وخيل لاحد ركاب "غلوريا - ماي" انه رأى ضوءاً ازرق منعكساً على السحب المنخفضة. فأسرع الآخرون للتحقق من ذلك، الا ان الضوء اختفى وعادت العاصفة من جديد. وبعد ربع ساعة توقفت الريح ثانية وارتفعت السحب. وفي السابعةوالربع مساء ظهر الضوء الازرق.

ارشد الضوء طاقم "غلوريا - ماي" الى الزورق التائه الا ان مسافة ٤٦٠ متراً من الجليد الذي بلغت كثافته متراً قامت فاصلا بين المركبين. واخترق كايس الجليد في اتجاه القارب الجانح مستخدماً طاقة زورقه القصوى.

وهبت ريح حملت "غلوريا - ماي". الى جانب الزورق المنشود. وكان فاكانتي اول من نقل. وقد لفته ايفون كايس بالبطانيات بعناية فائقة، وعاجلته بالاسعافات الاولية.

وكانت الساعة قد دانت الثامنة مساء عندما ابلغ كايس سلطات خفر السواحل ان الجميع بخير. وعادت "غلوريا - ماي" بركابها سالمين، بعدما امضى فاكانتي وغايج تسع ساعات في البحيرة الهائجة بينما بقي شرانتز فيها ١٤ ساعة.

لزم فاكانتي المستشفى عشرة ايام لاصابته بالتهاب في الاعصاب نتيجة تعرضه للبرد القارس. وغادر جيمس شرانتز المستشفى في اليوم التالي. اما كايس فقد تبلل وجهه بالدم نتيجة للسع رذاذ الثلج، وتورمت عيناه الى درجة لم يتمكن معها من فتحهما في اليوم التالي.

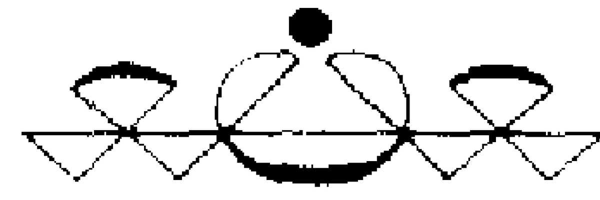
كذلك عولج غايج ومتطوعون آخرون بعد تعرضهم للبرد الشديد، وسمح

لهم بمغادرة المستشفى في الليلة نفسها. وقد ساهم في عملية الانقاذ اكثر من ١٥٠ شخصاً.

وتحدث كايس في ما بعد عن عملية الانقاذ فقال: "لقد كانت معجزة". أما فاكانتي فكان تفسيره عملياً اكثر اذ قال: لقد ادركت شعور المرء عندما يبحث عن شخص في بحيرة اثارتها العواصف. ان الانسان لا يتخلى عن الامل. وقد كنت واثقاً من ان الشعور نفسه ينتاب الذين وقفوا على الشاطىء او ابحروا في زورقي القطر. لقد جازف القبطانان والمتطوعون بحياتهم كي ينقذونا. وذلك هو اسمى التقاليد البحرية".

وقد سجلت العاصفة الثلجية العنيفة التي هبت في ٢٦ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٨ ارقاماً قياسية وبلغت سرعة الريح ١٦٠كيلومتراً في الساعة في حوض كليفلاند على بعد ستة كيلومترات من شاطىء البحيرة. ووصلت برودة الريح الى ٦٢ درجة مئوية تحت الصفر.

■ **روبرت دايمنت**



قال ل. وومن لصديق له: "انني امتنع دائما عن التصويت لكي اجنب نفسي الشعور بالمسؤولية عن اي شيء يجري في البرلمان".

(الدايجست الانكليزي)

السياسة والقيادة

سيأتي يوم نندهش فيه عندما نتذكر تحول السياسيين الى قادة، كما نندهش اليوم اذا رأينا الحلاقين يغدون جراحين.

جان روستان في كتاب "دفتر بيولوجي"

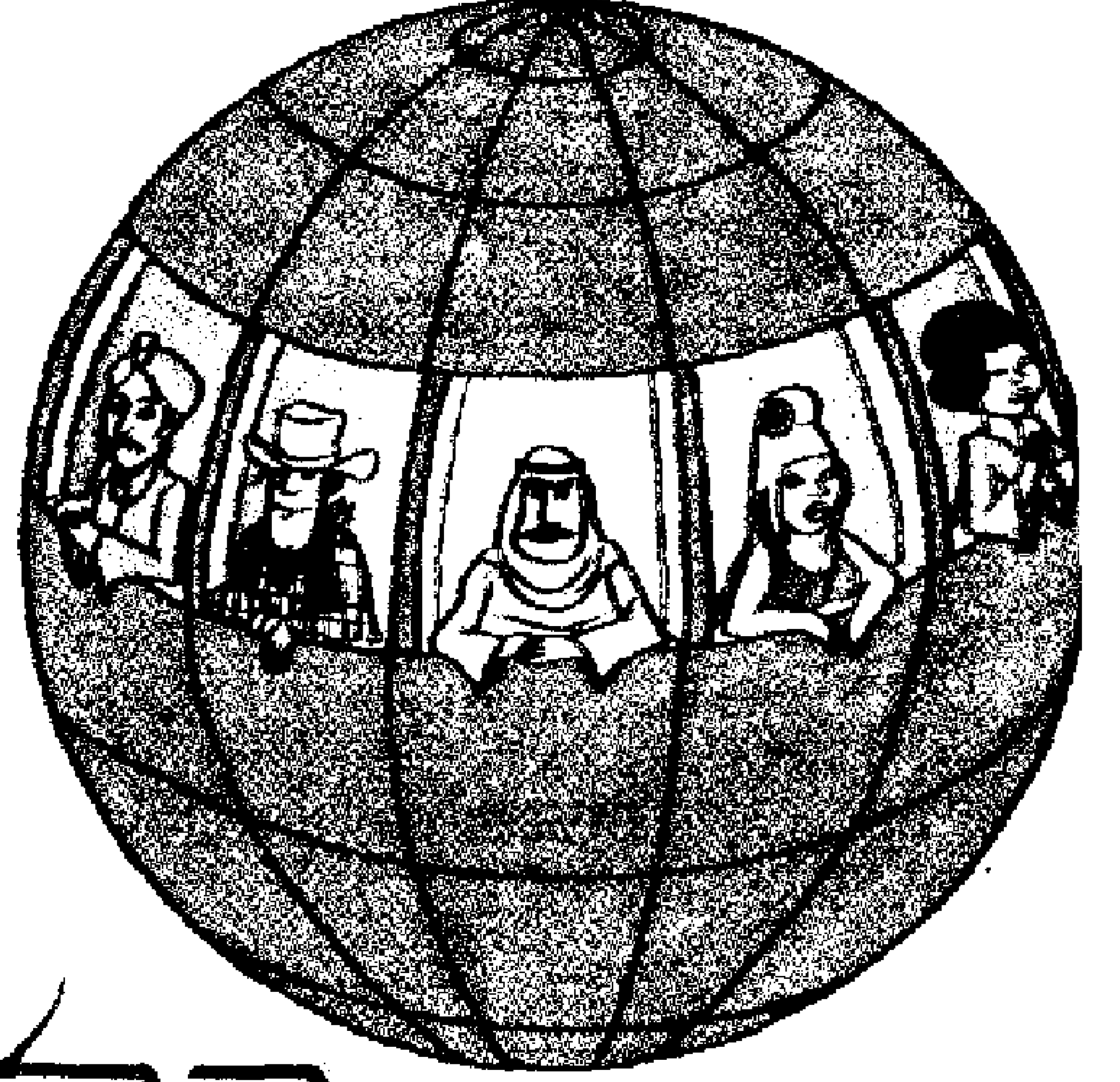
المرأة الذكية

تقول الكاتبة الفرنسية المعروفة كوليت: "ان المرأة التي تعتقد انها ذكية تطلب المساواة في الحقوق مع الرجل، واما المرأة الذكية فلا تطلب ذلك".

م.ر.

من ملاحظات اورسون ويلز اللاذعة ان ايطاليا تزخر بالممثلين، بل ان الخمسين مليون ايطالي كلهم ممثلون جيدون تقريبا باستثناء قلة من الممثلين السيئين، وهم الذين يقفون على المسارح او امام عدسات السينما.

لويجي بارزيني في كتاب "الايطاليون"



حكايات صغيرة من العالم

اشارات مرور مغرّدة

حين يشتعل الضوء الاخضر عند نقاط عبور المشاة في شوارع مدينة ناغويا، كما في مدن يابانية اخرى كثيرة، تغرد الطيور. ومصدر هذا التغريد اداة ميكانيكية يحفزها جهاز السيطرة على المرور. ولا تصعب معرفة سبب هذا الابتكار. فحين يسمع الاعمى الزقزقة، يعرف ان عبور الشارع بات مأموناً.

ر.ف.

"سنة حلوة..."

اشتكى ولي عهد انكلترا من ان الصحف تسعى وراء الاخطاء والنقائص، وتساءل "لم لا ينبئونا، على سبيل التغيير، بعدد طائرات الجمبو التي حطت سالمة في مطار هيثرو في لندن؟" وعلى اثر ذلك خصصت صحيفة "الصنداي تايمس" في عيد ميلاد الامير تشارلز الثلاثين عمودا في الصفحة الاولى للأخبار الطيبة التي صادف ورودها في الاسبوع نفسه:

تم تسلم ٩٢ في المئة من بريد الدرجة الاولى في موعده. ولد ١٤،٤٠٠ طفل. لم يعلن اي مصرف افلاسه! تم تسجيل ٨٠٠٠ عقد زواج. حصلت الحكومة على ١٧٦ مليون جنيه كضرائب مفروضة على انتاج حقل نفطي واحد. واخيرا: تدنت نسبة الانتحار.

ا.ك.

عفوية الكبار

روى الشيخ الامريكي وارين غ. ماغنوسون انه بعدما أدى اليمين كرئيس موقت لمجلس الشيوخ في شهر يناير (كانون الثاني) جاء الفنيون في مبنى الكابيتول (البرلمان الامريكي) وركزوا جهاز هاتف ابيض على مكتبه يتصل مباشرة بمكتب رئيس الجمهورية، لكونه الرجل الثالث الذي يمكن ان يتسلم منصب رئاسة الجمهورية في حال خلو المنصب بطارىء ما.

وقضى ماغنوسون بضعة اسابيع وهو يتطلع بلهفة الى هذا الجهاز "ذي الخط الساخن". واخيرا نفد صبره... وما ان رفع السماعة حتى سمع في الطرف الآخر كلمة: "هالو".

فسأل ماغنوسون: "اهذا هو البيت الأبيض؟".

□ نعم

وهنا تلعثم العضو الأكبر في مجلس الشيوخ رفيق سهرات الرئيس فرنكلين روزفلت ومصاحب الرئيس هاري ترومان في رحلات

الصيد والرجل الذي قضى ليلة زفافه في البيت الأبيض اثناء رئاسة ليندون جونسون، ولم ينطق بغير العبارة الآتية: "آه، عفواً. احسب انني اخطأت الرقم".

ب.ك.

سعياً وراء الزبائن

تقدم المصارف الامريكية غالبا اجهزة تلفزيون او ادوات لتحميص الخبز كهدايا لاغراء المواطنين على فتح حسابات لديها. وقد استهوت التجربة احد المتاجر الذي اعتزم القيام بالعكس. فاذا اشترى زبون جهاز تلفزيون كانت هديته فتح حساب له في احد المصارف يراوح بين ٦٥ و٣٥٠ دولارا، حسب سعر الجهاز.

م.ي.

الابناء يحصدون الثمار الطيبة

باتون وروميل، اللذان خاضا حربا ضروسا من موقعين متقابلين، خلفا صديقين ظلا يعملان حتى فترة قريبة في مدينة شتوتغارت الالمانية.

فإن مانفريد روميل، ابن اشهر ماريشال الماني في الحرب العالمية الثانية، هو عمدة المدينة التي يتمركز فيها آلاف الجنرالات الامريكيين. والميجور جنرال (اللواء) جورج باتون، ابن اشهر قائد اركان امريكي في اوروبا خلال الحرب ذاتها، كان نائب القائد العام للفيلق الامريكي السابع الذي يتخذ شتوتغارت مقرا له.

وطوال احدى وعشرين سنة قامت بين الرجلين صداقة زادها طرافة ان الاثنين يحتفلان بعيدي ميلادهما في يوم واحد هو الرابع والعشرين من ديسمبر (كانون الاول)

م.غ.

على فوهة بركان

منذ ما يقارب القرنين، يعيش احفاد البحارة الذين قادوا التمرد الشهير على السفينة "باونتي" في جزيرة بيتكيرن، وهي فوهة بركان خامد يقع جنوب شرق المحيط الهادىء. وقد لجأ قائد التمرد فليتشر كريستيان الى هذه البقعة النائية للاختفاء عن اعين فرق البحث البريطانية التي كان واثقا من ارسالها للتفتيش عنه فور وصول اخبار الانتفاضة الى انكلترا.

والذين زاروا الجزيرة اخيرا يصفون سكانها بانهم اصحاء واقوياء ونشطون. لكن عدد السكان انخفض من ٢٠٠ شخص وما فوق عام ١٩٣٧ الى اقل من ٧٠ عام ١٩٧٤. ولا تجد في الجزيرة الا ستة من اسماء العائلات، من بينها اثنتان تحملان اسمي المتمردين، وهما كريستيان ويونغ.

د.س.

تهاني من القمر

اطول مسافة انتقلت عبرها رسالة من ولد الى امه هي ٣٤٥ الف كيلومتر. وكانت الرسالة تحمل تهنئة من ملاح الفضاء الامريكي جيمس لوفيل الابن الى امه في عيد ميلادها الذي حل في ٢٤ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٨، بينما كان هو في طريقه الى القمر.

ليز سميث (كتاب الام)

سماء آمنة

خلال السنوات الست الماضية تم الكشف عن ١٧ الف قطعة سلاح ناري واعتقل ستة آلاف شخص واحبطت نحو ٧٥ محاولة لاختطاف طائرات، نتيجة استخدام اجهزة تدقيق خاصة لضمان سلامة الرحلات الجوية في المطارات الامريكية. ويلخص القبطان توم آشوود، رئيس جمعية سلامة الرحلات الجوية، حصيلة ذلك بقوله: "منذ عام ١٩٧٣ لم تختطف اي طائرة امريكية عبر تهريب المسافرين اسلحة نارية او متفجرات".

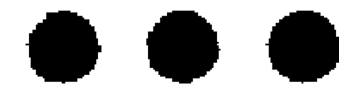
ك.م.

هل الرجال متفوقون حقاً على النساء ؟

طرحت على عدد من الناس ـ بينهم الخبير والصديق والمشهور والمغمور ـ سؤالا عويصاً في نظري، هو: هل يختلف الرجال عن النساء اختلافاً فطرياً، وكيف؟

لكنّ الذي لم اتوقعه هو ان يسفر مثل هذا السؤال عن شعور بالارتباك وعدم الارتياح لدى عدد كبير من الناس. ومردّ ذلك ـ كما يفسرونه او يشتكون منه ـ هو ان الحركة النسائية بلغت حداً رفيعاً من الوعي بات معه، حسب تصريح احد الكتاب البارزين، "يُخشى من التورط في الآراء حول مسائل تتعلق بالامتيازات الجنسية". وقال آخر ذو مكانة بارزة في الحياة العامة: "لا سبيل الى الاجابة عن ذلك السؤال من دون اللجوء الى الكذب او التورط في مشكلة".

ومع ذلك، فقد كانت هناك بعض النفوس الجريئة (وبينها أنا وزوجي واولادي) التي استعدّت للمجازفة. وهذه هي اجاباتها:



لست ادري بوجود اي اختلافات! ان الرجال والنساء يشبهون بعضهم بعضاً الى حدّ يستحيل معه التفريق بينهم. ولهذا، حين اجلس في حافلة او قطار لا تكون لدي أدنى فكرة عما اذا كان الجالس الى جانبي رجلا ام امرأة. واظن ان الله هو الذي شاء هذا. فلو انه، سبحانه، اراد قلب الاوضاع لجعل لاحد الجنسين صدوراً ناهدة، مثلا، وجعل الجنس الآخر يحلق وجهه مرتين في اليوم.

آرت بوكوال، صحافي

خلقت النسوة للصبر والحلم، ومدّت في كيانهن اسلاك الشفقة. اننا نشبه سيارات الشحن على الطرق البرية وسط ابناء الجنس البشري. وتستطيع هوائياتنا التقاط جميع اشارات المحطات، وتتمكن، بطريقة ما، من فرز مركبات الخصائص العاطفية وردّها الى عناصرها الاصلية، الا اذا كنا منطلقات بسرعة

عالية جدا. اما الرجال فانهم مثل طائرات التجارب، يفعلون ما تستطيع محركاتهم ان تفعل ويصنعون الاثارة والاخطار والفتوحات. وفي النتيجة تنطفىء جذوتهم في وقت مبكر، بينما تواصل النسوة انطلاقهن على الطرق.

غايل شيهي، مؤلفة

إن ٩٥ في المئة من مواقف الحياة تُظهر اختلافات بين المرأة والمرأة او بين الرجل والرجل أكبر كثيراً مما هو قائم بين الذكور والأناث كمجموعتين.

غلوريا شتينم، صحافية.

بصفتي طبيبة مختصة في علم الغدد الصم، اعتقد ان جميع الفروق في سلوك الذكور والاناث مرهونة فعلا بعوامل ثقافية، لا هرمونية. ان الهرمونات الجنسية تلعب من دون شك، دوراً تمييزياً حاسماً بين الاجنة المذكرةوالمؤنثة داخل الرحم. لكن الدماغ سرعان ما يتولى بعد الولادة الدور الرئيسي، ويطغى على بقية الانظمة بما فيها الغدد الصمّ.

ومن امثلة ما يقال، ان الرجال فطرياً اشد نزوعاً الى "العدوانية" من النساء. لكن العادة والنشأة والثقافة - لا الهرمونات الجنسية هي التي تجعلهم كذلك. ومن ير امرأة تتسوق في قسم التنزيلات في المحلات التجارية حيث "العدوانية" تصرّف مقبول في نظر الناس، يشهد عدواناً تصغر له وجنتا اتيلا الملك الذي اطلق على نفسه لقب "غضب الله".

الدكتور استل رامي، استاذة طب.

وجه الاختلاف هو ان البنات يقلقن اكثر من الصبيان.

ا.ج.ف.

وجه الاختلاف هو ان البنات لديهن ما يستوجب القلق اكثر مما لدى الصبيان.

ج.ف.

النساء اكثر اهتماماً بالناس، في حين ان الرجال اكثر اهتماماً بالافكار والاشياء. والنساء اشد حرصاً وعناية في مضمار المشاعر والروابط والعلاقات. ولذا فانهن في حاجة ماسة الى الصداقة مع بنات جنسهن، خصوصاً، لانهن عاجزات عن ان يشاطرن الرجال اعمق مشاعرهن. فالرجال لا يتفهمون وقد كنت اخال التربية سبباً لذلك، ولكن بت متأكدة من ان السبب مختلف.

سالي كوين، مراسلة صحافية

يتطابق الرجال والنساء في الشبه الا حين يكون "هو" مصاباً بالزكام.

س.ل.، ربة بيت متعبة.

يتجانس الرجال ويلتحمون على نحو لا تعرفه النساء وانا - حين اسمع ان رجلا غفر لآخر ضرراً الحقه به، وحين تدوي في اذنيّ تلك الصرخة المجنونة الحبيبة التي تطلقها حناجر المتفرجين الذكور تحمساً لابطال الرياضة من بني جنسهم او "الابطال" في اي مضمار،وحين اصغي الى مديح يغدقه رجال على رجال آخرين استحساناً لما صنعوه، او لسلامة طويتهم، وحين اسمعهم يتفجعون على سوء حظّ المّ بآخرين - فان لوني يمتقع حسداً.

فيليس تشيسلر، استاذة علم نفس.

عندما افكر في حسنات كوني أماً لمولود انثى، فأنا افعل ذلك ايمانا

بأن البنات لا يقلبن منافض السجائر فوق الارض بمقدار ما يفعل الابناء الذكور. ولكن لا يصح اعتبار مثل هذا الاختلاف فطرياً... ام هل يصح؟

نورا افرون، مؤلفة.

الفرق الوحيد بين الرجال والنساء هو قدرة النساء على تكوين مخلوقات بشرية جديدة في احشائهن بينما يواصلن تأليف الكتب وقيادة الجرارات الزراعية والعمل في المكاتب وزراعة المحاصيل والقيام بمعظم الوظائف الاخرى التي يضطلع بها الرجال. وبناء على هذا الانتهاك الخطير لحرمة الذكور في القدرة على كل شيء، لم يغفر جنس الذكور للاناث ميزتهن هذه مطلقاً، بل دأبوا منذ فجر التاريخ على اساءة معاملتهن باستمرار.

اريكا يونغ، مؤلفة

تكاد الانجازات الذهنية الجبارة كالانجازات التي تتسم بالنبوغ والعبقرية تقتصر على الرجال وتنعدم لدى النساء. ولا بدّ من ان لهذا الفارق بين الجنسين اسباباً بيولوجية.

الدكتور ر. آبسلر، محلل نفسي.

تعتني الفتاة بمظهرها اكثر مما يفعل الفتى واذا ركضت فتاة فوق منحدر وسقطت في بركة موحلة فانها تفقد عقلها. أما اذا سقط الفتى فهو ينهض لتوه ويتابع ركضه. الاختلاف بينهما مسألة متعلقة بالمظهر.

ا.ن.ف.

ان لمظهر النسوة اثراً على حياتهن اقوى من اثر مظهر الرجال على حياتهم. واتمنى ان يكون هذا الاختلاف بيئياً وثقافياً، لا احيائياً.

ج.ف.

لاحظت من خلال عملي ان الرجال هم اكثر اهتماماً من النساء في الحصول على اشياء يملكونها والتعلق بها. وافترض سبباً لذلك ان النساء ينظرن الى الممتلكات نظرة مختلفة. فهي لهن اشياء تتطلب التنظيف.

باتريشيا شرويدر، من اعضاء الكونغرس الامريكي.

المرأة تعلم انها غيورة قبل حدوث ما من شأنه اثارة غيرتها. اما الرجل فيجهل امر غيرته حتى يحصل ما يثيرها.

ج.ف. زوجة غيورة.



سوء فهم

ذات يوم ركبت حافلة مزدحمة للعودة الى بيتي، وكنت حاملا في الشهر الثامن. واجبرني الزحام على الجلوس بعيدة عن ولدي ذي السنوات الست.

وحين جاء المحصّل، طلبت تذكرة لي ونصف تذكرة لولدي. فنظر المحصّل الى انتفاخ بطني وقال: "لا بأس يا سيدتي، اننا لا نستوفي اجرة عنهم حتى يكونوا بيننا".

ر.ف.ت.

طبيبٌ شهير يحذّر:

الجراحة سيف ذو حدّين

جراح شهير يدعو المرضى الى اليقظة والحذر من الجراحات "غير المناسبة"...

صدر اخيراً كتاب للجراح الشهير الدكتور جورج كرايل الابن، تحت عنوان "الجراحة: اختياراتك وأبدالك"، يلقي فيه ظلالا من الشك على المعجزات التي اصبحنا نتوقعها من سادة غرف العمليات. ويقول الدكتور كرايل: "الجراحة سيف ذو حدين. وهي تؤثر على سير المرض إما ايجابياً وإما سلبياً. وفضلا عن ذلك، فان الوفيات الناجمة مباشرة عن الجراحة تفوق في معدلها الوفيات الناجمة عن معظم انواع العلاج الاخرى. وعليه، فان المرضى الذين يواجهون العلاج الجراحي لهم الحق، بل عليهم المسؤولية، في طرح الاسئلة".

وحجة الدكتور كرايل هي ان التقدم الملحوظ في الطب يتيح الاستغناء عن كثير من الجراحات التي تعرض حياة المريض او نوعيتها للخطر.

ومع ذلك يرى الدكتور كرايل ان نسبة مرتفعة من الجراحات الاختيارية هي غير مستحسنة. ولا شك في ان الاسباب التي يوردها كتابه ستفقده صداقة زملاء كثيرين. ففي معظم الاحيان لا يتسنى للجراح ان يكسب مبالغ يعتد بها ما لم يجر جراحات كثيرة وفضلا عن ذلك، فان معظم الجراحين يجدون متعة في اجراء تلك الجراحات. ويقترح الدكتور كرايل منح هؤلاء الجراحين رواتب شهرية، وتعزيز اشراف ادارة المستشفيات

على اجراء العمليات الجراحية. ولما كان الاطباء انفسهم منقسمين حول ما اذا كان اجراء الجراحة واجباً ام لا، فان كرايل يوصي بأن يتأكد المريض من ملاءمة الجراحة وضرورتها.

ويقول الدكتور كرايل: "لقد فات الزمن الذي كان الجراح يقول فيه للمريض: انا ادرى منك بمصلحتك". ويستند كرايل في اقواله الى خبرة ٤٠ عاماً امضاها جراحاً في مستشفى كليفلاند في ولاية اوهايو الامريكية، وسنوات اخرى قضاها الى جانب ابيه، الجراح ذي الشهرة العالمية، الدكتور جورج كرايل الاب. ويقدم الدكتور كرايل النصيحة الآتية للمرضى الذين تواجههم الاختيارات:

"اذا كان لديك شك في تقديرات طبيبك، فاقبل العلاج الذي ينطوي على ادنى نسبة من التشويه والعجز الجسدي والمضاعفات الصحية الخطيرة.

الابتعاد عن التطرف — لا يتردد الدكتور كرايل في اعطاء كل المعلومات الممكنة عن سرطان الثدي — حقل اختصاصه الذي يمثل واحداً من ٣٠ مرضاً قابلا للعلاج بالجراحة، وتدور حولها آراء طبية متضاربة. وكان الاطباء في الماضي يكادون يجمعون على ان سرطان الثدي يستلزم استئصالا جذرياً، اي ازالة الثدي بكامله بما في ذلك عضلات الصدر والعقد اللمفاوية تحت الابط. غير ان التجارب التي حققت في ميدان الجراحة والتقدم الملحوظ في تكنولوجيا الاشعاع وتطور العلاج الكيميائي، جاءت بأنواع جديدة من المعالجة.

ويستشهد الدكتور كرايل بعشر دراسات شملت ٤٥٣٤ مريضة على مدى عشرة اعوام. وقد اجريت فيها مقارنة بين نتائج الاستئصال الجذري للثدي ونتائج الجراحات الاقل تطرفاً، كالاستئصال البسيط للثدي الذي يشمله وحده والجلد الذي حوله ويقترن غالباً بالعلاج الاشعاعي. ويعلق الدكتور كرايل على نتائج هذه الدراسات فيقول: "ان نسبة الشفاء هي عينها في كلتا الطريقتين".

لكن الفارق تجلى في نوعية حياة المريضات. ذلك ان الاستئصال الجذري للثدي فضلا عن التشويه الذي يحدثه، يتسبب في تأثيرات جانبية مثل آلام الصدر، وتورم الذراعين وتقييد الحركة. اما الاستئصال البسيط فلم يقتصر على تفادي هذه المتاعب، بل اتاح في حالات كثيرة اعادة بناء الثدي بجراحة تجميل.

وعلى رغم اقتناع الدكتور كرايل بضرورة الجراحة احياناً في علاج سرطان الثدي، فهو يقول ان هناك وسائل تغني عن ادخال المريضة المستشفى من اجل تشخيص ورم ظاهر في الثدي. فيمكن، مثلا، اخذ عينات من الانسجة تستأصل في عيادة الطبيب نفسها. وهذه الطريقة مأمونة وفعالة، وان تكن قلة من الجراحين تتبعها منذ ١٥ عاماً. واذا كان الورم مجرد كيس، فان الجراح يسحب السائل الموجود داخله، ويتم بذا علاج المريضة على الفور. اما اذا اتضح ان الورم ليس كيساً فعندئذ تحال المريضة على المستشفى.

الخطر بالارقام — في امراض كثيرة اخرى، هناك تدابير علاجية ابسط من

الجراحة واقل منها كلفة· ويعتبر الدكتور كرايل ان اخذ عينات من الانسجة بالابرة لدى المصابين بعقد في الغدة الدرقية، قد يغني ٨٠ في المئة منهم عن اجراء جراحات· وبدلا من استئصال البواسير بجراحة تتطلب التخدير وملازمة المستشفى اياماً عدة، فهناك طريقة تؤدي غالباً الى النتيجة نفسها·فيبرز الطبيب الباسور ويحكم حوله حلقة مطاطية· وعندما تنقطع الدورة الدموية عن العرق المتضخم يذبل خلال ايام قليلة، وتسقط الحلقة المطاطية تلقائياً· وتتم هذه العملية في عيادة الطبيب من دون تخدير· ويصفها الدكتور كرايل بانها "خالية عملياً من الالم"·

وفي حالات اخرى، لا يدور الخلاف حول نوع العملية الجراحية بل حول وجوب اجرائها· ومثال ذلك، اذا وجدت حصاة في المرارة وتسببت في الم او في مرض اليرقان فان الدكتور كرايل ينصح باجراء عملية استئصال المرارة· اما اذا لم تؤثر الحصاة على حياة المريض فان الدكتور كرايل يعارض بشدة اجراء الجراحة لمجرد تجنب تأثيرها في المستقبل·

ويعد استئصال المرارة من العمليات "المأمونة نسبياً"، اذ ان معدل الوفاة فيها لا يتجاوز ٠،٣ في المئة·

ولكن حتى في هذه الحال، يذكر الدكتور كرايل: "انها لمأساة ان تفقد امرأة في الخامسةوالثلاثين حياتها بسبب عملية تجرى للتخلص من مرض لا يثير لها اي متاعب"·

ولدى الدكتور كرايل احصاءات مذهلة حول علاج سرطان اسفل المستقيم (في نهاية الامعاء الغليظة)· فغالباً ما يستأصل المستقيم بكامله، كذلك العقد اللمفاوية حوله، وتحدث فتحة في جدار البطن لتفريغ محتويات الامعاء· وتقتضي هذه العملية دقة شديدة ويبلغ معدل الوفيات فيها عشرة في المئة وبدلا من تلك العملية، يمكن العلاج بالاشعة او بالكهرباء· وهذا لا ينطوي عملياً على اي خطر، فضلا عن انه يحفظ المستقيم سليماً· غير انه لا يطال العقد اللمفاوية التي يحتمل ان يكون السرطان امتد اليها·

ومع ذلك، فان بين كل مئة مصاب بسرطان بسيط في اسفل المستقيم ٧٠ مريضاً بقيت العقد اللمفاوية لديهم سليمة· وهؤلاء لن يستفيدوا على الاطلاق من عملية الاستئصال الشامل· وبين الثلاثين الباقين الذين امتد السرطان الى عقدهم اللمفاوية، هناك ٢٤ مريضاً يتعذر شفاؤهم بسبب انتشار السرطان في مواضع اخرى، ومن ثم فان موتهم محتوم حتى وان استؤصلت العقد اللمفاوية لديهم· وهكذا، فان بين كل مئة مصاب ستة فقط تشفيهم العملية· فاذا ما اجريت العملية الجراحية الكبيرة للمرضى المئة كلهم، فان عشرة منهم على الاقل سيموتون، وفقاً لمعدل الوفاة الحالي للعملية، في حين يتم انقاذ ستة فقط·

ويعلق الدكتور كرايل على ذلك بقوله: "ان معظم المصابين بسرطان المستقيم هم في الستينات من العمر، ومن ثم فلم يبق من عمرهم الطبيعي إلاّ قرابة عشرة اعوام· فاذا اجريت لهم جراحة شاملةمخفقة، فانهم يموتون على الفور· أما اذا لم

تمس" الانسجة السرطانية في العقد اللمفاوية، فانهم يحيون بين خمسة اعوام وعشرة اعوام حياة خالية من الالم. وفي ضوء ذلك، لا يمكن اعتبار العملية الشاملة طريقة صالحة ما لم يهبط معدل الوفاة فيها الى ثلاثة في المئة او دون ذلك.

ويرى الدكتور كرايل ان خطر الموت بسبب الجراحة كثيراً ما يفوق حسناتها. وقد لاقى رأيه هذا تأييداً كبيراً عام ١٩٧٦. فابتداء من اول يناير (كانون الثاني)، ولمدة خمسة اسابيع، هبطت الجراحات الاختيارية بنسبة ٥٨،٧ في المئة في مستشفيات مقاطعة لوس انجيليس (ولاية كاليفورنيا الامريكية). وخفض الاطباء ساعات عملهم احتجاجاً على رفع قيمة التأمين ضد اخطار الممارسة المهنية الخاطئة. ويقول الدكتور ميلتون رومير إن تلك الفترة شهدت كذلك تدنياً ملحوظاً في معدل الوفيات في المقاطعة. وعلى سبيل المثال، فقد كشفت دراسة اجراها الدكتور رومير ان معدل الوفيات في الاسبوع الاخير من تلك الفترة هبط الى ١٤ بين كل ١٠٠ الف من السكان في مقابل ١٩،٨ سابقاً. وفي الاسبوع الاول من استئناف العمليات الجراحية ارتفع معدل الوفيات الى ٢٦ في مقابل ١٩،٤ في الفترة نفسها من الاعوام السابقة.

ومن المؤسف ان قلة من المرضى تدرك هذه الاخطار. وكثيراً ما يكون الاطباء ايضاً غير واعين لها. ويقول الدكتور كرايل: "ينزع الجراحون الى ذكر نجاحهم ونسيان اخفاقهم. واذا طلب من احدهم تقدير معدل الوفيات في الجراحات التي اجراها، فسوف يأتي تقريره بعيداً عن الحقيقة بنسبة ٥٠ في المئة". ويعترف الدكتور كرايل بأن ذلك يشمله هو ايضاً.

ولما كانت ثقة الدكتور كرايل ضئيلة بما يخص نية القائمين على مهنة معينة في اصلاح مهنتهم او في تولي الحكومة هذه المهمة، فانه يؤكد على ان تحسين الرعاية الصحية مرهون بوعي المرضى انفسهم وهو لذلك يحثهم على الالحاح في طلب اجابة عن الاسئلة الآتية: هل هناك خيار غير الجراحة؟ هل في الامكان اجراء جراحة اخرى تتسبب في اضرار أخف؟ ما هو معدل الوفيات في الجراحة المعنية؟

واذا لم يحصل المريض على اجابة مرضية عن اي من تلك الاسئلة، فيحسن ان يستشير طبيباً آخر.

ويتضح للدكتور كرايل ان المرضى الواعين اوضاعهم الصحيحة يعمدون الى تفضيل نوعية الحياة على كميتها، خصوصاً عندما توضح لهم الاحصاءات ان الجراحات الاكثر تعقيداً والاعلى كلفة لن تطيل مدة الحياة. وهو يقول: "انت ايها المريض، وليس طبيبك، صاحب الكلمة الاخيرة".

■ **ساموئيل شراينر الابن**

تظل المرأة تشعر بالقلق على مستقبلها حتى تجد زوجا. ولكن لا يشعر الرجل بالقلق على مستقبله الا بعد ان يجد زوجة.
ا.ك.



تأملات معاصرة

السلطة والهيبة

من بين كل المفاهيم، ليس هناك ما هو اخطر على مجتمع حر من المفهوم القائل بان السلطة يحق لها الاحترام والهيبة لا لشيء سوى كونها سلطة. وكما كتب اللورد اكتون: "ليس هناك بدعة اسوأ من القول بان المنصب يعصم صاحبه عن الزلل".
ان السلطة لا تولد ذرة من الهيبة تزيد على ما تكسبه بأدائها.

المؤرخ آرثر سليسنغر

الماضي والحاضر والمستقبل

"صدقوني ان الايام الماضيات لم تكن طيبة. الايام الطيبة هي اليوم، وافضل منها الايام الآتية. وان اعظم اغنياتنا لم نغنها بعد".

هيوبرت همفري

النضوج

في الخامسة والسبعين من عمره، كتب المؤلف الامريكي اريك هوفر ما يأتي: "ان تنضج حقا يعني ان تعود الى السن الخامسة وان تكون قادرا على التعلم والاستيعاب، وتستعيد التعطش الهائل لاتقان المهارات الذي كنت تتمتع به في تلك السن".

ا.د.

الملوك والعبيد

شاهد الاسكندر الكبير ديوجين يتطلع باهتمام في كومة عظام بشرية، فسأله: "عم تبحث؟" فاجاب ديوجين: ابحث عما لا اجد - وهو الفرق بين عظام ابيك وعظام عبيده.

بلوتارك

الخطأ

اذا ارتكبت خطأ، ولو فادحا، فامامك دائما فرصة اصلاحه. ان ما نسميه الخطأ، ليس السقوط، بل البقاء ساقطين.

الممثلة ماري بكفورد

عبر التجربة

على المرء ان يحرص على الا يستخلص من التجارب سوى الدروس الكامنة فيها، وان ويكتفي بذلك، والا غدا كالهرة التي اكتوت بالجلوس على سطح فرن ساخن، فباتت تتجنب ليس سطوح الافران الساخنة فحسب، بل السطوح الباردة ايضا.

مارك توين

الاطفال

الطفل هو تجسيد لوجهة نظر الله في ضرورة استمرار العالم.

كارل ساندبرغ

الرسام السماوي

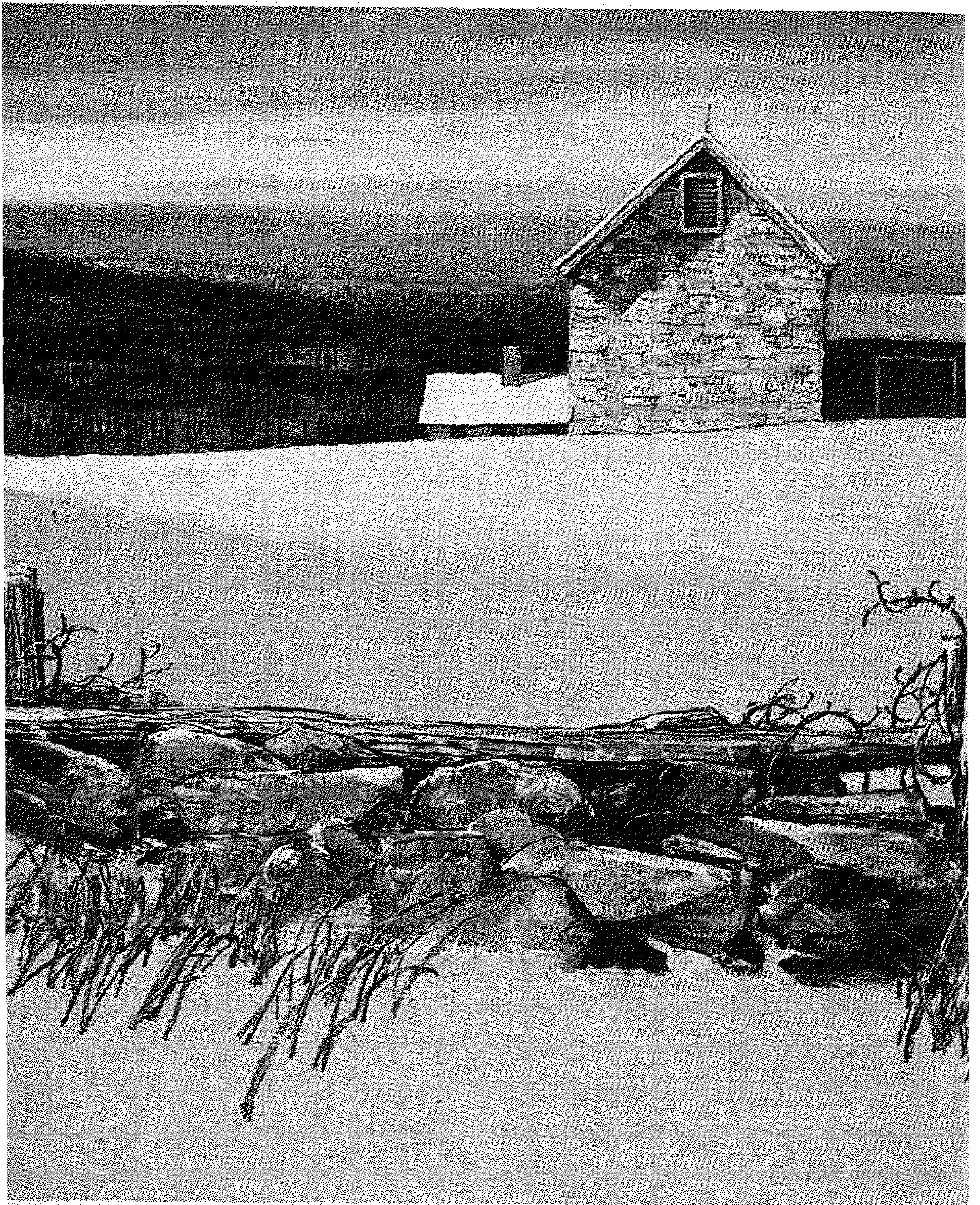
في مكان ما بين الألوان المتغيرة والاحوال المتبدلة التي تطرأ على السماء تكمن الشرارة التي تلهب خيال البشرية، كما يقول احد اشهر الرسامين

كتب وينسلو هومر: "قد تكون السماء اللوحة التي تضم مجموعة الالوان الكاملة لأي رسام". واعتقد شخصياً اني اصبت في جعل السماء موضوعاً لأفكاري وتأملاتي حين اخترت الرسم والكتابة منهجاً لحياتي العملية.

بدأ اهتمامي بالسماء والغيوم والطقس منذ طفولتي حين قضينا فصل الصيف في بيت على شاطىء بحيرة، له مدخل مسقوف كأنه غرفة سحرية في الهواء الطلق يلتئم فيه شمل الاسرة مساء لمراقبة غروب الشمس الزاخر بأشكال وألوان لا اسماء لها، في حين ينشر ضوء الغسق الباهت ظلالا كالأشباح للشجر المحيط بنا.

وحتى الليل لم يكن يخلو من ضوء ما. واضواء الليل، في اعتقاد بعض الناس، مناسبة للتنبوء* بالاحوال الجوية. فاذا اشتد لمعان الحباحب مثلا، فذلك علامة اكيدة على ان النهار التالي سيكون جافا ومعتدلا. اما اذا ومضت النجوم، فسيأتي يوم ملؤه رياح عاتية. وكانت جدتي تقول:

"يتميز شهر فبراير (شباط)، وهو من اشد مواسم الطقس الامريكي برودة، بظهور الرهل، اي السحب الرقيقة المنبسطة الخفيضة. وتتكون في ذلك الموسم سحب اخرى رقيقة، ولكن مرتفعة، تعرف بالطخاف، وهي على طبقات مسطحة تتألف كلياً من بلورات ثلجية".



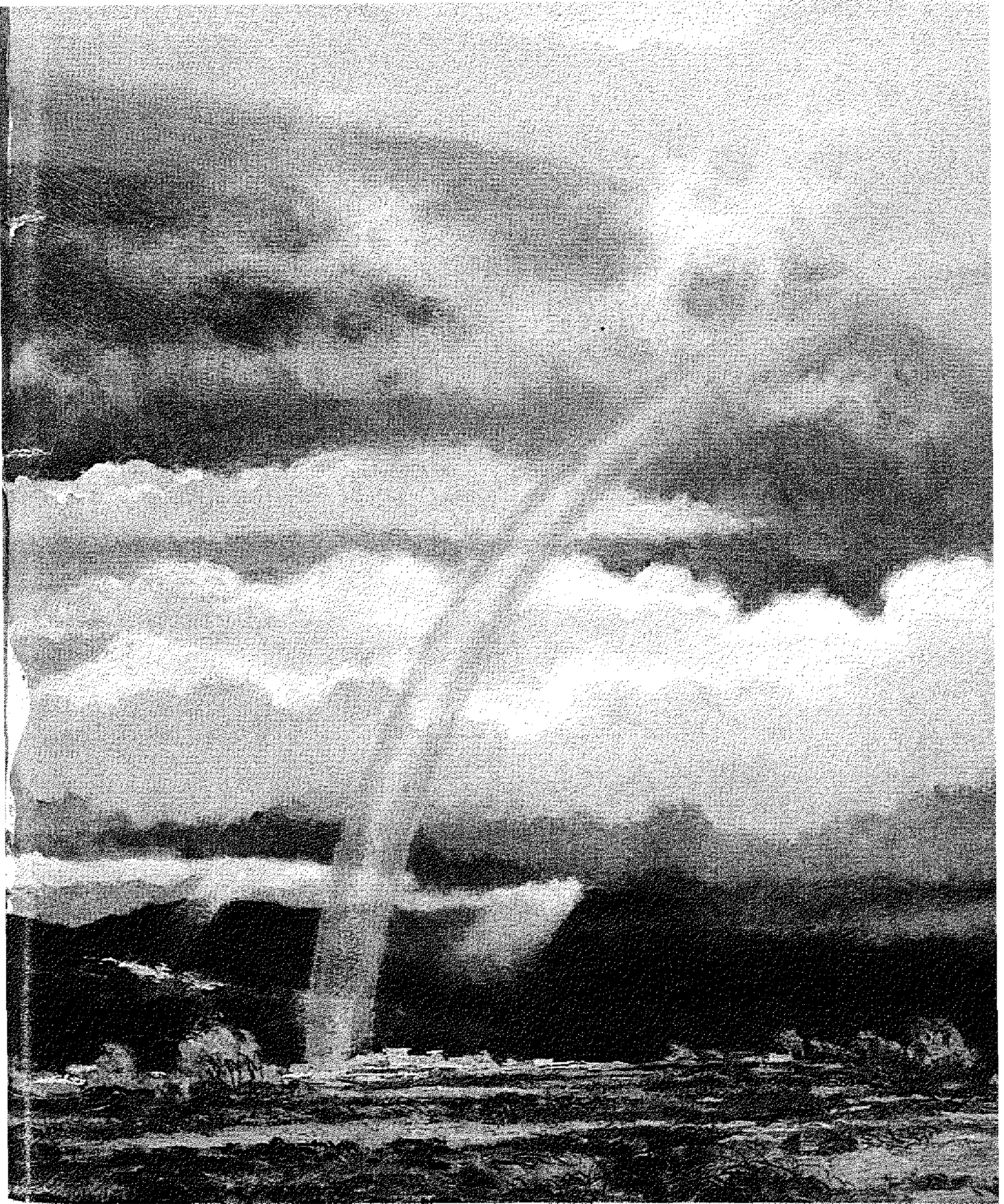


"تشتمل بعض سجلات المزارع الامريكية على ملاحظات عن عادات الحيوان وتنقلاته وهجرة الطيور وتصرفاتها وما يعقب ذلك من تبدل في الاحوال الجوية· وقد دون عدد كبير من الناس مراقبات تفيد بأن الطيور تحلق مسافات اعلى في الفضاء عندما يكون الطقس جافاً ومعتدلا، وان طيور الشواطىء تقبع في مجاثمها قبل هبوب العاصفة، وان للخفاش والخطاف آذاناً فائقة الحساسية تتأثر بهبوط الضغط المفاجىء، ولهذا تنساب في طيرانها على مقربة من سطح الأرض او الماء قبل هبوب عاصفة منخفضة الضغط"·

"متى استترت النجوم، انهمرت الغيوم"·

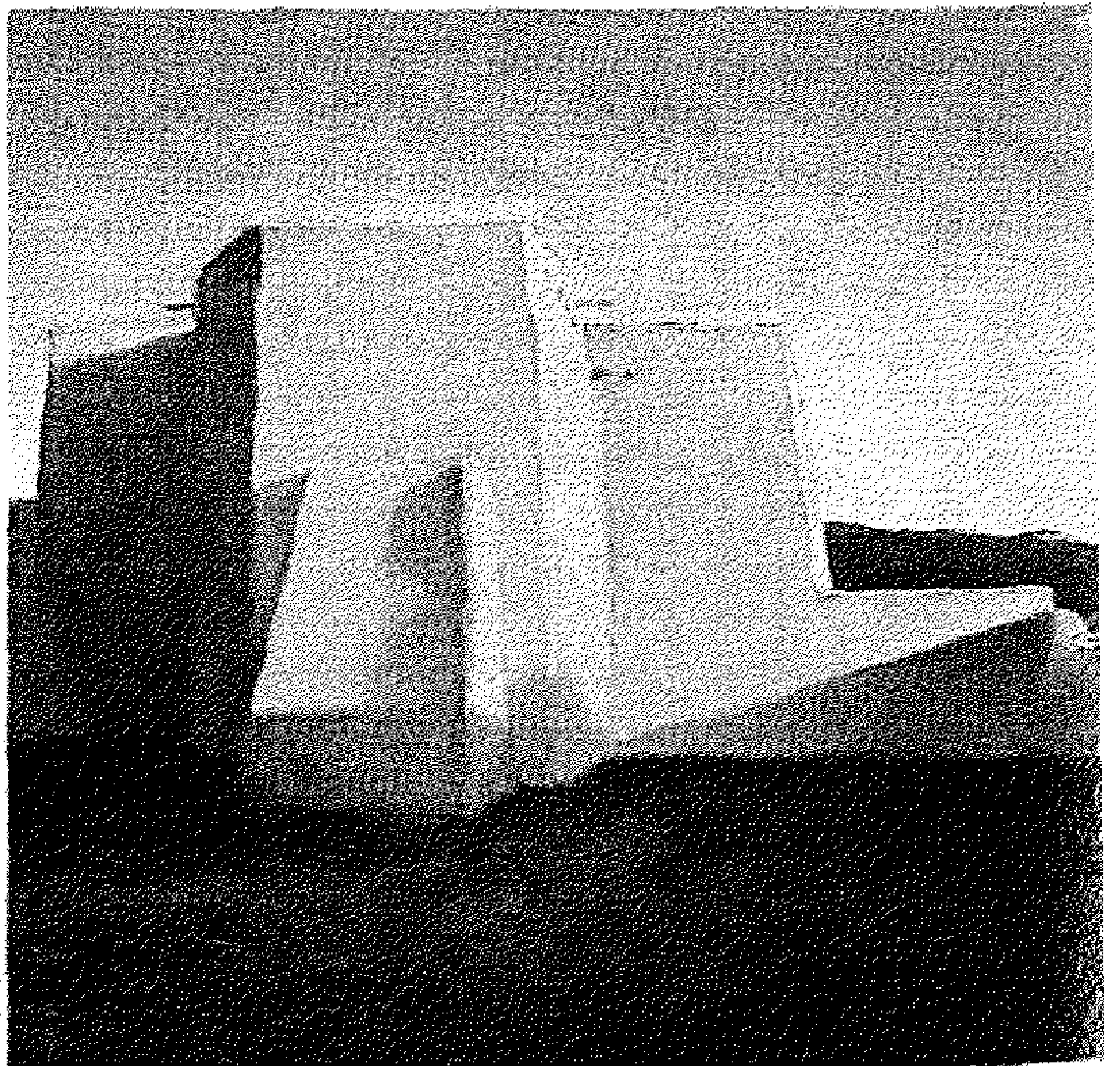
وكان لي في الطرف القصي من مدخل البيت ركن خاص وضعت فيه صندوقا صغيرا مملوءاً بالالوان الزيتية والفراشي ومغطى بلوحة خشبية مهملة كانت في الماضي تستخدم لتقطيع الخبز· اما الآن فهي تستعمل غطاء للمائدة اذا وضعت فوق الصندوق ومسنداً لقماشة الرسام اذا اسندت الى احد الجدران· وكان يسمح لي احيانا بالنوم هناك للتأمل في السماء، ولكن شرط الا يكون القمر بدرا كاملا، لأن الكل كان يدرك في تلك الايام انه اذا سمحت للبدر ان يشع على وجهك في المنام، فقد تصاب بالجنون·

ولما كنت قد تعرفت للتو على اعمال الكاتب الامريكي هنري ثورو الذي كتب مرة: "ان في استطاعتي ان ارى معظم العالم من نافذتي" فقد تظاهرت بأن طرف مدخل البيت الخاص بي اصبح مشغلا للمراقبة والدراسة من طراز المشغل الذي اتخذه ثورو لنفسه على بحيرة والدن، وعمدت الى تدوين يومياتي في مراقبة السماء على غرار ما فعل ثورو هناك·واذكر انني اكتشفت ان الشروق والغروب يكادان يتطابقان من حيث



"قليلة هي الاماكن في العالم التي تشهد حدوث تقلبات جوّية غاضبة كالتي تحدث في جبال سانغر دي كريستو المحيطة بمنطقة تاوس في ولاية نيومكسيكو. فالعواصف هنا تهب وتثور في لحظات، بينما تستغرق ساعات من التهيؤ واستجماع القوى في اماكن اخرى. وقد حركت فيّ مناظر الارض المثيرة ومشاهد السماء الغامرة عواطف قادتني الى اختبار روحي شعرت معه بأني اسير في كاتدرائية جوّية".

"أكداس مدورة من السحب تعرف بالركام او القزع· وهي تتشكل في الغالب نتيجة مداهمة الهواء البارد من ناحية وارتفاع الحرارة في الطقس المعتدل من ناحية اخرى· وما دامت سحب الركام صغيرة ومتفرقة، فلك ان تتوقع فترة من الجفاف ملائمة لحصاد القش الذي يجمع ويجفف للعلف· لكن تراكمها في شكل كتل كثيفة ضخمة نذير بوشوك هبوب عاصفة"·



"يتسم الجنوب الغربي بالضوء الساطع والظلّ المكثف· وفي هذه المنطقة وحدها تمتزج زرقة السماء الامريكية بضوء الشمس الذهبي من ارتفاع عال، فتكسب الجوّ لونا كالفيروز، يختلط معه الأخضر بالأزرق"·

الوانهما، وان الاختلاف الغالب بينهما هو اختلاف في هيئة الغيوم. ولاحظت على مدى ايام ان للشروق رِهلاً، اي سحابا رقيقاً منبسطاً وخفيضاً، وان الحرارة على مدى النهار هي التي تشكل كتلا من السحاب في هيئة اكداس مدورة ذات قاعدة مسطحة تعرف باسم الركام او القزع.

على هذا النحو الذي لا ينسى كانت خلوة طفولتي في ذلك المنتجع الصيفي، مما ترك في نفسي افتتانا بالغيوم والاحوال الجوية والمشاهد الطبيعية التي غدت مدخرا للاستذكار في احلام طالما راودتني وانطباعات ظلت تنعكس في الف لوحة فنية. وقد التقيت في وقت لاحق من حياتي الطيار الرائد ويلي بوست الذي قال لي وهو ينظر الى الفضاء من نافذة قمرة الطائرة: "سيأتي فنان يوما ما يقتصر على رسم الغيوم والسماء".

وكانت نتيجة ابحاثي في الظواهر والاحوال الجوية التي اجريتها بفرشاة الرسم ما لا يقل عن كيلومتر ونصف كيلومتر من الرسوم الزيتية لمشاهد السحب. وعلى رغم ان معاهد الفنون تعلم اساليب رسم اي شيء، من صور الحياة الساكنة الى التركيب البنيوي للحيوان، الا ان دراسة السماء ذاتها لا تزال مهملة، علماً بان مظهر السماء يحتل نصف مساحة الصورة التي يرسمها الفنان العادي. واذا كان ثمة مغزى لوجود امرىء في الحياة، فرجائي ان يكون وجودي باعثاً على المزيد من اليقظة والوعي في ما يتعلق بالسماء.

■ اريك سلون



كان الرجال يعتبرون المرأة واحدة من اخطاء الطبيعة المقبولة، اما اليوم فلم يعد الخطأ مستساغا.

السير لسلي هيرون (كتاب "الشخصية الاوسترالية")

قاموس تجاري مختصر

الاستشارة: طريقة مهذبة تطلب فيها من شخص آخر ان يشاطرك الرأي.

التفحص: ان تنتظر بضعة ايام قبل ان تقرر عدم تغيير رأيك.

اوغست ديتوف

هل الحصان موجود؟

عاد الفتى الصغير من المدرسة ساخطا وقال لأبيه: أبي، في مادة التاريخ الطبيعي درسنا اليوم الحصان. حين يكون صغيرا يسمونه مهرا او فلوا، ويسمى الذكر جوادا، أما الانثى فتسمى فرسا. ترى في أي سن يكون الحصان حصانا حقا؟

ف.ب.

إلى الذين يعانون الأرق

متعة النوم المريح

ألم يغمض لك جفن الليلة الماضية؟ بقليل من "منطق النوم" السليم تستطيع التمتع براحة العقل والجسد

قلما وجد موضوع يسترعي الاهتمام ويحث على طلب النصح اكثر من موضوع الاهتداء الى النوم الهنيء. وحتى اولئك الذين يتسمون بالعافية والحيوية يقضون لياليهم متقلبين على جمر السهاد عندما ترهقهم الضغوط او تتملكهم مشاعر الاكتئاب او الخيبة. وهناك الكثيرون ممن احمرت عيونهم ارقا على رغم سيل "الوصفات" المراوحة بين كمادات الخس المغلي والحليب الساخن واليوغا وممارسة الجنس والافرشة المائية. والأكثرية تتعاطى الحبوب المنومة، على رغم الادلة الواضحة التي تثبت خطورة الباربيتيورات والمهدئات وعدم جدواها في احلال النوم على جفون المسهدين.

بيد ان هناك، ولا شك، وسائل للتغلب على الارق، هي ثمرة سنوات من البحوث العلمية التي حققتها مجموعة صغيرة من لاختصاصيين، اكثرهم من اعضاء رابطة الدراسات النفسية - الجسدية للنوم. فقد اظهرت هذه البحوث ان الرحلة الامينة الناجحة الى دنيا النعاس تبدأ بالتزام "منطق النوم السليم" وبتفهم عدد

من الحقائق الشائعة والاعتقادات الخاطئة المنتشرة. ومن امثلة ذلك ما يأتي:

١. لا بد للمرء من النوم.

هذا صحيح. الا ان هناك حالات نادرة قد يكتفي فيها بعض الرجال والنساء بتسعين دقيقة من النوم كل ٢٤ ساعة، مع تمتعهم بصحة جيدة. اما بالنسبة الى الغالبيةالعظمى من الناس، فعندما يفتقد الفرد نوم ليلة واحدة يتسبب له ذلك في تبلد الادراك وتباطوء رد الفعل العصبي وضعف الذاكرة، وقد يؤثر على تقديره للامور ويزيد من قابليته للاستثارة.

٢. كل شخص يحتاج الى النوم ثماني ساعات يوميا.

هذا غير صحيح. وكما تتفاوت الحاجة الى النوم بين انواع الحيوان (بعض حيوانات الغوريلا تنام ١٤ ساعة من كل ٢٤ ساعة، وبعض الافيال لا تنام اكثر من ساعتين هكذا تتفاوت بين الافراد المنتمين الى نوع واحد. ويقول و.ب. ويب، الاختصاصي في علم النوم واستاذ علم النفس في جامعة فلوريدا في غينزفيل: "ان فترة النوم الطبيعية التي يحتاج اليها الفرد السوي تراوح بين خمس ساعات وعشر ساعات، والمتوسط هو سبع ساعات ونصف ساعة لأغلب الناس".

٣. هناك مقدار "شرعي" من النوم لكل فرد:

هذا صحيح. ونوعية النوم اهم من عدد الساعات التي يقضيها الانسان في الفراش. ويقول الاستاذ ويب: "ان وسيلتك لمعرفة ما اذا كنت قد حصلت على كفايتك من النوم هي ان تراقب حالك عندما تستيقظ. فاذا شعرت بالانتعاش والقدرة على مواجهة ما ينتظرك في يومك، فمعنى هذا انك حصلت على كفايتك".

واجرى الدكتور غوردون غلوبوس من جامعة كاليفورنيا دراسات على طلبة الجامعة، انتهى منها الى ان اولئك الذين ينامون حتى ساعة متقدمة من الصباح قد يستيقظون وهم يشعرون بالتبلد والارهاق والكآبة والصداع. "فقلة النوم تعوق اداء جسم الانسان لوظائفه، كذلك شأن كثرة النوم".

٤. الارق ظاهرة نفسية بحتة.

هذا خطأ. فقد صرّح العلماء، في مؤتمر عقد اخيرا حول اضطرابات النوم، ان امراض الربو والتهاب المفاصل والذبحة الصدرية وانواع القرحة والصداع ومرض باركنسون واضطرابات الغدة الدرقية وادمان الكحول او العقاقير او المخدرات، قد تؤدي كلها الى الاصابة بالارق. ويقول الدكتور وليم ديمنت، الاختصاصي في علم النوم واستاذ الطب النفسي في جامعة ستانفورد، ان هناك ثلاثة انواع "اولية" من اضطرابات النوم لا يمكن ردّها الى اي اسباب جسدية او نفسية محددة، ولكنها قد تؤدي الى الارق، وهي: ارتجاف السيقان الليلي الذي يحدث على نحو منتظم ويوقظ النائم، وتوقف التنفس المتكرر الذي يقطع النعاس، واضطراب الايقاعات البيولوجية الطبيعية، كالذي ينتج عن السفر الطويل بالطائرات النفاثة.

ويتفق معظم الباحثين في امر النوم على ان الارق ليس مرضا في ذاته، لكنه علامة على ان هناك سبباً

جسدياً او نفسياً او سلوكياً يحول دون دورة الجهاز البشري السوية في مسارها الطبيعي. وقد تراوح هذه الاسباب بين التشوش في انتاج كيميائيات "النوم" الطبيعية الذي يحدث في المخ وزيادة تعاطي الكافيين او الفراش غير الملائم او الافتقار الى الرياضة.

وتقول آلتيا واغمان، من مركز بحوث الطب النفسي في ماريلاند، ان كثيرا من حالات الارق تمكن معالجتها معالجة فعالة عن طريق تعديل السلوك او التدرب على اكتساب العادات او تغييرها. ويقدم الخبراء النصائح الآتية التي اثبتت التجربة جدواها:

- تأكد من انك تعاني حقا مشكلة في نومك. ضع ساعة مضيئة قرب فراشك واحتفظ بسجل لنومك على مدى اسبوع، تدون فيه مواعيد نعاسك ومواعيد ذهابك الى السرير وكل مرة تستيقظ. وحاول ان تسجل مجموع فترات نومك وما اذا كنت قادرا على اداء نشاطاتك اليومية. فقد تكون نتائج هذا السجل مطمئنة.

- اجر فحصا طبياً شاملا للتأكد من انك لا تعاني حالا صحية غير ظاهرة قد تكون سبب حرمانك النوم. واحذر وصفات العقاقير، لان الاقراص المنومة اذا استخدمت بانتظام قد تؤدي الى افساد سير المراحل الحيوية الطبيعية للنوم.

- لا تجزع اذا مررت بفترة موقتة من الارق. فهناك الارق الناتج عن الخوف، وهو يحول دون النوم فينقلب معه الخوف من الارق الى ارق فعلي. ويقول الاستاذ ويب: "اذا كنت متعباً الى درجة كافية، فستنام".

- اجعل لنفسك توقيتا ليليا منتظما، فتأوي الىفراشك في الموعد نفسه معظم الليالي. كان هناك رجل تعود ان يصرف نصف الساعة الاخير قبل موعد النوم متجولا في ارجاء المنزل يتفقد الابواب والنوافذ بابا بابا ونافذة نافذة. وبعدما أكدت له زوجته ان ذلك مضيعة للوقت، سلم الرجل بان يدخل فراشه مباشرة و"يوفر" نصف الساعة هذا للنوم. وكانت النتيجة: الارق. فقد كان تجواله في البيت يتيح له وقتا "للاسترخاء"، الى ان "يحين موعد النوم".

- تجنب الرياضة المرهقة ووجبات الطعامالكبيرة قبل انتأوي الى فراشك، لان كليهما يبعث على تنشيط الهرمونات والتمثل الغذائي والدورة الدموية. كما ان ممارسة الجنس قد تؤدي الى النتيجة عينها اذا اتسمت بالتوتر والاجهاد.

- تجنب اغفاءات "التعويض". وهناك نوعان من الاغفاءات القصيرة: "اغفاءة القطط"، التي تراوح مدتها بين ١٥ دقيقة و٢٠ دقيقة وتؤدي الى الانعاش. وهذه لا خوف منها بين وقت وآخر. اما اغفاءة "النوم العميق" نهارا في حال الارهاق بعد ليلة مسهدة، فانها تترك صاحبها في حال اسوأ من ذي قبل وتزيد من اضطراب دورة النوم. واذا حدث ان قضيت ليلة مؤرقة، فحاول ان تبقى مستيقظا حتى يحين موعد نومك العادي في الليلة التالية.

- اختر فراشك بعناية. فالفراش يجب ان يحتضنك، ويجب ان تكون قادرا على التحرك فيه بسهولة. ثم عليك ان تراقب الحرارة والرطوبة.

وافضل درجات الحرارة هي الدرجة المعتدلة، اي التي تراوح بين ١٥ و١٨، كما ان افضل درجة للرطوبة هي العالية نسبيا.

- راقب غذاءك. فمشروبات القهوة والكولا والشاي والشوكولاته كلها تحتوي على الكافيين المنشط. ومن ناحية اخرى، يقول بعض الخبراء (وان يكن هذا موضع جدل) ان "التريبتوفان" - وهو حامض اميني يؤلف المادة الرئيسية لأحد مهدئات المخ الطبيعية - قد يفيد، وهو يوجد في عدد من الاغذية مثل الجبن والحليب. وعلى ذلك، فأن وصفة جداتنا للحليب الساخن قبل النوم ليست بعيدة عن الصواب.

- قلل من الكحول لانها قد تؤدي الى النوم المتقطع.

لا شك في ان الذين يعانون الارق لا يستسيغون الاشارة الى حسناته، غير انه من شبه المؤكد ان النوم يحظى بتقدير مفرط من المجتمع الذي يحب الفراغ ويتسنى له الكثير منه. وقال الكاتب الالماني جان بول ريشتر: "ان النوم والثروة والصحة لن تلقى منا تقديرها الحق ما لم يكن استمتاعنا بها متقطعا".

■ جوان اليسون رودجرز



سئل فرنسي عن السبب الذي يدعوه الى تناول الغداء دائما في مطعم برج ايفل فأجاب: "انه المكان الوحيد في باريس الذي لا استطيع رؤية هذا البرج التعيس منه".

(جريدة "الغارديان"، مانشستر)

أنواع الشهية

من آراء الكسندر دوماس ان هناك ثلاثة انواع من الشهية: شهية تنجم عن الجوع ويسهل اشباعها، وشهية تتولد خلال الطعام مجسدة الحكمة القائلة بأن الجوع يصاحب الاكل، واخيرا شهية تتفتح عند تقديم طبق لذيذ بعد انتهاء الوجبة لاغراء الناس بالانغماس في الملذات.

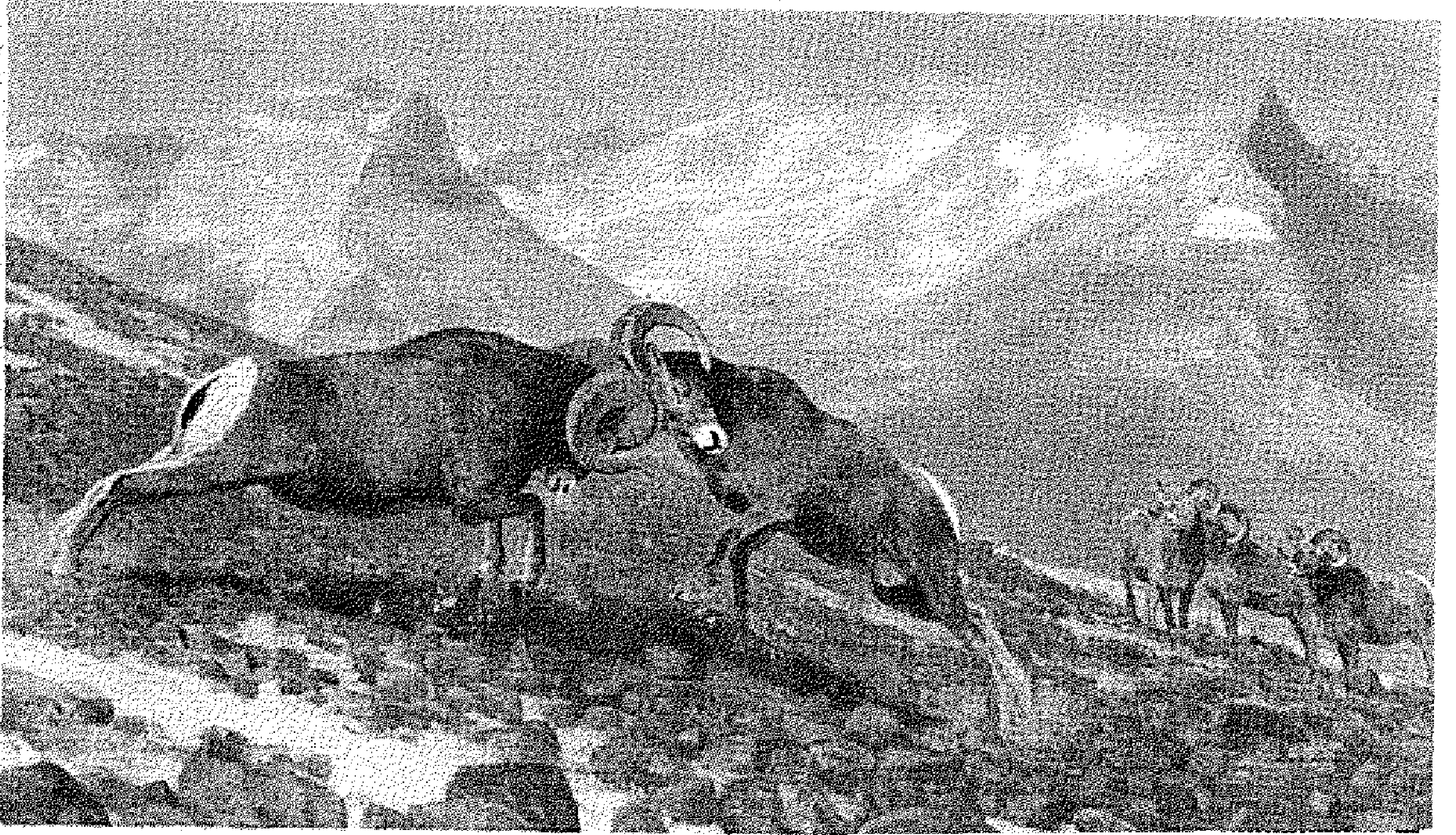
(كتاب "قاموس المطبخ")

الامسيات المحظورة

عاد طالب السنة الاولى في جامعة اوكسفورد متأخرا الى قسمه الداخلي للمرة الاولى ففتح نافذة ليتسلل منها الى المبنى واذا به وجها لوجه امام ضابط القسم في حمامه. وفي اليوم التالي تسلم مذكرة ورد فيها:

"استحم كل يوم ثلثاء وخميس وسبت. فالرجاء عدم استخدام نافذة حمامي في الامسيات المذكورة".

م.ك.



يفرض الكبش الجليل سلطانه بلا منازع في مملكته المشرفة على المرتفعات الوعرة، ولا يتحداه في ذلك سوى تقليد قديم قدم الفصيلة التي انبثق منها

سُلطان الجبَل

مشى الكبش الجليل في طليعة القطيع الجبلي، بارز القرنين، عارم البنية التي يبلغ وزنها ٩٠ كيلوغراماً، ومدّ رأسه بحذر عبر الجرف الشاهق في مهب" الريح" يستطلع احوال الجو"، فتطايرت ضفائر الصوف على وجهه وكتفيه، واهتز قرناه الكبيران اللذان يبلغ وزنهما ١٤ كيلوغراما وراحت الكباش التسعة الاخرى ترقب انطباعاته في وجل، علماً منها بأنها ستظل حبيسة دونما غذاء بين الصخور الجبلية الجرداء ما لم يهدأ زمهرير منتصف الشتاء.

وسرعان ما سحب الكبش الجليل رأسه ليتجنب الرياح التي لو تمكنت من جسده لاطارته فوق الجرف والقت به من ارتفاع ٦٠٠ متر الى قعر الوادي السحيق. وكان الوادي مستتراً في ركن ناء من سلسلة جبال روكي الشمالية، يتسم بعنف تضاريسه وسط الصخور الحادة على غير انتظام التي تعلوها قمم بيضاء شامخة تناطح

السماء المظلمة، وتكسوها حقول الثلج السميك المتلالىء هنا وهناك ببلورات الجليد، وتحيط بها المنحدرات الشديدة الحافلة بالحجار والحصى، وتتناثر فيها مجموعات الصفصاف التي مزقتها الرياح وتمسكت باديم الوادي الراقد تحت كدسة الثلوج التي تقارب المتر سماكة.

وفجأة وثب الكبش الزعيم وراح ينتقل رشيقا من موطىء قدم الى آخر فوق الصخور، حتى بلغ مرجاً صغيراً منحدراً تكسوه الثلوج ويقع مباشرة تحت الجرف، حيث كانت الشمس تبزغ لفترة قصيرة فيرق الجليد ويتسنى الرعي للاغنام بعض الوقت.

ولحق القطيع بقائده، فانفجرت من تحت اقدامه سحابة من طيور الترمجان بريشها الابيض الشتوي. وانتشرت الكباش وهي تحاول عبثاً ان تشق الجليد والثلج بحوافرها، بينما راح قائدها يتفحص بدقة وعناية المنحدرات السفلى ويمعن فيها بصره الحاد، فوقع نظره فجأة على الذئاب في طابور منتشر عبر ممر برزت فيه آثار اقدام الاغنام في خط متعرج متصاعد حتى المرج. وضرب الكبش الكبير الارض بحافره، فانتصبت رؤوس الكباش الاخرى شاخصة اليه.

ولم ير احد منها الذئب الوحيد الذي كان قد تسلق الى فوقها. غير انه، حين بدأ يهبط من ارتفاع ستة امتار، تدحرجت في طريقه بعض الحجار فأجفلت الاغنام وتفرقت. واخترق الذئب شتيتهما بسرعة خاطفة وانقض على ضحيته، الكبش الصغير الذي كان يفتقر الى الخبرة، فاختار ان يندفع بسذاجة في طريق الهبوط من الجبل، من دون ان يدري شؤم هذا الخطأ، اذ انطلق الذئب في اعقابه وهو ينهش ساقيه الخلفيتين، فاسقطه بلا حول اسفل المنحدر حيث كانت الذئاب الاخرى في انتظاره.

الكبش الضائع ـ اما الكباش الاخرى وقائدها، فعلى رغم انها اخذت على حين غرة، الا انها اتجهت على الفور صعوداً الى قمة الجبل باقدام ثابتة كي تلجأ هناك الى الاجراف الشديدة الانحدار حيث الملاذ الوحيد الممكن للاغنام من هجوم الذئاب. وعندما بلغت الاغنام مأمنها، وقفت تراقب في صمت مأساة الكبش المفقود عند سفح المنحدر.

ونشر الليل، الذي غاب عنه القمر، اجنحته على الوادي والذئاب المستغرقة في وليمتها. وتردد في طيات الظلام الحالك نعيب البومة القرناء، وهي الاخرى من اصحاب السيادة في القمم العالية. وعند منتصف الليل خفّ الزمهرير ثمّ ساد السكون، ومدّ الكبش الجليل انفه يتشمم الهواء، فجاءه ببشائر تغير كبير لم يلبث ان تحقق عند الفجر.

وتنازلت الرياح الشمالية عن محلها في المرتفعات للنسيم الغربي الدافىء الوافد من المحيط الهادىء المترامي على بعد ٣٠٠ كيلومتر. وسرعان ما ارتفعت حرارة الجو في الجبال بما يزيد على ٢٥ درجة مئوية. فأخذ الثلج يتكسر تحت اقدام الاغنام الجادة في التنقيب عن اوراق الجزر الابيض نصف المتجمدة وبقايا الزهور

والاعشاب الصيفية الجافة. وما ان توقف هبوب النسيم الدافىء في المساء حتى امتلأت بطون الكباش مرة اخرى.

وكان النسيم الدافىء اشعاراً للاغنام بقرب لحظة الارتحال. وكانت النعاج والكباش قد انفصلت بعضاً عن بعض خلال الشتاء تحاشياً للتنافس على الغذاء، فتتاح للحملان الناشئة فرصة افضل للحياة. اما الان فقد ازف موعد اللقاء، وستتبع الكباش خطى قائدها الى حيث تقيم النعاج، على نحو ٢٥ كيلومتراً الى الشمال.

وكان الظرف حافلا بالاخطار، لاضطرار القطيع الى الابتعاد عن مأمنه في الاجراف الشاهقة، بينما تنهمر الامطار وتتعاون مع ارتفاع درجة الحرارة في انهيار الصخور الضخمة من الاعالي، فتتردد اصداؤها في اعماق الوادي.

وسارت الكباش وهي تأكل حيثما استطاعت ان تحفر خلال الثلج المتفكك، لتبلغ الاعشاب والحشائش المتجمدة، واجتازت ثلاثة انهار عبر المياه الصفراء المتزايدة الارتفاع. وقبل العبور الاخير حدث ان صدمت كتلةمن الجليد العائم احد الكباش، فزلت اقدامه وتعالى ثغاؤه والمياه تتجارفه.

يوم آخر — وفي يوم آخر شق سكون الفجر هدير مخيف، فرأى الكبش المرشد صخراً آخذاً في الانهيار. وراح يراقبه بانتباه، بينما كان القطيع واقفاً في طريق الانهيار مباشرة. ثم راح يعدو الى اعلى،في اتجاه الخطر، فتبعته الكباش الاخرى من دون تردد.

قدّر الكبش المرشد ان الانهيار سيصطدم بنتوءصخري كبير ثم ينتشر حطامه من فوق النتوء على مساحة واسعة لا تتيح للكباش فرصة الالتفاف حوله للنجاة. ولذلك فضّل الاقتراب من نقطة تقع تحت مكان الاصطدام المنتظر مباشرة. وقد صدم الانهيار النتوء الصخري فعلا، وانفجرت منه الحجار وفروع الاشجار في جميع الاتجاهات، متناثرة في هدير يصم الآذان، على بعد امتار من الاغنام الراكضة التي امتلأ فراؤها بالتراب، ولكن من غير ان يصاب اي منها بأذى.

غير ان الكبش القائد لم يلبث ان واجه اسوأ ازمة تعرض لها. فالطريق الى مكان اللقاء يمر بمسار ضيق يدور حول واجهة صخرية شديدة الانحدار. وقد ادى ذوبان الثلج من جراء ارتفاع الحرارة الى قطع الطريق في منتصفها. وحاول القائد ان يعود ادراجه، لكن الكباش خلفه قاومته. ونظر الى اسفل، فرأى كتلة تنتشر على شكل مروحة منبسطة من الصخر تنتهي بحواف حادة بارزة على مسافة ١٥ متراً. ومد بصره الى اعلى، فرأى على مسافةمترين موطىء قدم صغيراً في الواجهة الصخرية، يتفرع منه طريق آخر ضيق.

ونشر حافريه الخلفيين قليلا حتى تضغط وسادتاهما الخلفيتان بثبات اكثر على ارض الممر الصخري، ثم تحفز ووثب..

ومن دون ادنى خطأ، استقر حافراه الاماميان على الحافة الصخرية تماماً، وارتفع وراءهما حافراه الخلفيان بمرونة ورشاقة. لكن الحافة الصخرية

انهارت به، فسقط وهو يرفس الى الخارج باستماتة محاولا ان يبعد في سقطته مسافة كافية عن وجه الصخرة حتى يقع على الجزء المنبسط بعيداً عن الحواف الحادة. غير ان محاولته لم تنجح، فاصطدم بعنف بقاعدة الصخرة وتدحرج بشدة، وانزلق مندفعاً عبر الجزء المنبسط من المروحة الصخرية، ثم احس بالم هائل.

وتأمله الآخرون برهة، ثم وثب كل منهم الى الخارج مسافة كافية تبعده عن الحواف الحادة عند قاعدة الصخرة، واستقروا جميعاً سالمين على الجزء المنبسط. وانتظروا نهاية مقاومة الكبش الكبير لينهض على اقدامه، اذ تبين ان احدى ساقيه الخلفيتين قد انكسرت.

سن التقاعد – لم يعد الكبش الكبير قادراً على قيادة القطيع، فخلفه اقرب الكباش اليه سناً وحجماً. وبينما واصل القطيع طريقه عبر الجبال، تخلف الكبش المصاب وهو يطلع، فلم يعد يستطيع القفز، واصبح يستغرق ساعات طويلة كي يدور حول العوائق المنحدرة. لكنه كان يعرف وجهته، نحو منحدر عريض تغمره الشمس وينتهي الى قمة جبل ارتفاعه ٤٠٠٠ متر. وقد بلغ غايته فعلا بعد الآخرين بيومين.

كان المشهد رومنطيقياً رائعاً: ازهار الربيع تنتشر في امواج من الالوان البديعة وتكسو المنحدرات السفلى، وحول الاغنام يتردد من كل جانب تغريد الطيور المختلفة والصرخات الحادة الصادرة عن البيكة، تلك الحيوانات الثديية الصغيرة من فصيلة الارانب والتي تتخذ مأواها بين الصخور. وكانت كثرة من النعاج قد حملت على اثر اجتماعها بالكباش في شهر نوفمبر (تشرين الثاني) السابق، فانتقلت الى ارض الولادة والرضاع على مسافة قليلة من سائر الاغنام.

وبينما كانت النعاج تلد وترعى صغارها، كانت النسور الذهبية تحلق في الجو، وينقض بعضها لاختطاف الحملان الصغيرة، فتسارع النعاج لافزاع الطيور الكبيرة المفترسة وابعادها.

وصرف الكبش المصاب ساعات الصيف وهو يأكل ويراقب خليفته كيف يدافع عن عرضه، اذ كانت الكباش الاخرى تختبر قائدها الجديد بالهجوم تلو الهجوم. لكن الكبش المصاب لم يبد حركة واحدة لاستعادة حقوقه. وعندما كانت الكباش المرؤوسة تتحداه، كان يتركها ويبتعد. وفي اواخر سبتمبر (ايلول) بدأ يشعر بالقوة والثقة بعدما زال عنه العرج واختفى الالم.

طقوس الشتاء – وذات مساء اجتمعت الكباش في وهج الشمس الغاربة وكأنها تتبصر في نفسها. فتقاربت رؤسها واخذت تتمسح بعضها ببعض وتترافس وتتناطح وتتلوى وتحك انوفها بعضاً ببعض، ثمّ راحت تنفجر في قفزات عابثة بين حين وآخر، وفقاً لطقوس التهيؤ للدورة النزوية التي اقترب موعدها.

ومع هبوب اول عاصفة ثلجية، زادت شراسة الكباش. ثم جاء يوم دنا الكبش الكبير من القائد الجديد. ووقف الحيوانان العملاقان متواجهين وراح كل منهما يؤرجح قرنيه متقيداً

في تصرفه تقيداً صارماً بارشاد الغريزة. وبعدما اعلن الكبش الكبير تحديه للقائد الجديد، تراجع ببطء حوالي ١٥ متراً واخذ ينخر، ثم انتصب على ساقيه الخلفيتين ولوى رأسه. وما ان بدأ يستوي حتى اندفع بقوة الى الامام خافض الرأس وعيناه محدقتان في وجه منافسه. وتريث الكبش الآخر حتى اللحظة الاخيرة. وقبل الصدام بلمحة طرف، ارتفع بجسمه وخفض رأسه وانطلق الى الامام.

وبلغت اصداء اصطدام القرون جماعة الاغنام التي كانت ترعى على بعد كيلومتر من هناك، فرفعت رؤوسها بارتباك. وكان من عنف الصدمة ان القت بالقائد الجديد الى الخلف، فتراجع نحو ستة امتار بعدما القمه خصمه طعنة نجلاء بحدي قرنيه في جبهته، فمزقت الفراء واللحم. وترنح الكبشان بعد الاصطدام من دون ان يقع اي منهما ارضاً ـ وذلك معناه خسارة المعركة ـ وراحا ينخران ويلهثان ويستأنفان جهودهما لاطاحة احدهما الآخر.

واستمر النزال طوال المساء. وكان المتحدي مصمما على استعادة عرشه، فكرر هجومه ١٤ مرة رده فيها غريمه على اعقابه ١٤ مرة. وفي الهجمة الخامسة عشرة انصدع طرف احد قرني مغتصب العرش وتطايرت قطعة منه في الهواء، واسرع الكبش الكبير فلوى قرنيه وانتهز فرصة اختلال توازن غريمه فرماه ارضاً.

ونهض الكبش المهزوم ببطء ودنا من المنتصر، وراح يلعق وجهه تدليلا على الخضوع والاذعان. وتوجه الكبش الكبير بنظره الى اسفل حيث كانت النعاج ترعى مع حملانها الرضع وكأنه يقول لنفسه انه سيوافيها عما قريب في صحبة الكباش الاخرى لاتمام التزاوج الجديد. وعندما تتهيأ النعاج لذلك، ستكون له الاولية في الاختيار، فيرث العدد الاكبر من الحملان صفاته المتفوقة في القوة والحجم والنشاط.

وبعد ان يتم التزاوج في موعد ما من شهر ديسمبر (كانون الاول)، ستنفصل الكباش عن النعاج مرة اخرى لتعود كل من الجماعتين الى صعيدها الشتوي. ودق القائد الارض بحافره، ثم قفز هبوطاً عبر واجهة صخرية، فتبعه القطيع الى حيث تنتظر النعاج.

■ فرانكلين راسل



آلو، العمدة على الخط

نشر المجلس البلدي في مدينة بو شامب الفرنسية، اعلانا يدعو فيه السكان الى توفير التسهيلات اللازمة لايواء التلاميذ الوافدين للالتحاق بالمدرسة الصيفية. وجاء في الاعلان: "الرجاء من النساء اللواتي يردن اولادا ان يتصلن بعمدة المدينة الذي سيبذل اقصى المستطاع لتلبية طلبهن".

م.ر.

صور من الحياة

الانسان الكبير

"طالما حسبت نفسي واحدا من اولئك الذين تلدهم الامم مرة واحدة. وتنتصب معتزة بمن ولدت. لكني اليوم اكتشفت غباوتي التي كنت متعاميا عنها حين سألني ولدي الصغير: "لماذا نحن يا ابي فقراء وغيرنا من الناس اغنياء يسكنون القصور ويتلاعبون بالذهب؟"
احرجني السؤال وترددت في الاجابة. ولكي اتخلص من هذا المنزلق الخطر، اجبته: "انها يا بني ارادة القدر". فانتفض صغيري وشعرت بانني امام عملاق حين قال: "لكن المعلم يا ابي قال لنا اليوم ان الانسان الكبير هو الذي يصفع القدر".

اميل رفول - مشغرة (لبنان)

لص خطير

بحكم عملي ضابطا في البوليس، اجبت ذات ليلة على نداء هاتفي يبلغ عن حادث اقتحام وسطو، اذ انبأتني صاحبة المنزل بأنها سمعت اصواتا غريبة في غرفة النوم الخلفية لدى عودتها من السوق. لذا اتصلت بالشرطة من منزل مجاور.
دخلت البيت المظلم بحذر وتسللت من غرفة الى اخرى، واخيرا وصلت الى باب غرفة النوم وكان هناك صوت في داخلها. فاعددت نفسي لكل طارىء ودفعت الباب بعنف.
وحين انتهت العملية لم تنقطع ربة البيت عن الاعتذار: "حقا انني اشعر بخجل شديد يا حضرة الضابط". فاجبتها: "تشعرين بالخجل؟ اذا كيف اصف شعوري وقد شهرت مسدسي في مواجهة جهاز الراديو؟".

و. ك. ا.

ابناء الملوك

في برنامج تلفزيوني يروي المشاركون بعض المواقف المحرجة التي مروا بها استعاد جاك فورد، ابن الرئيس الامريكي السابق جيرالد فورد، مناسبة زيارة ملكة بريطانيا اليزابيت الثانية الى البيت الابيض:
- كنت شديد الانفعال واللهفة للالتقاء بها. فسارعت الى ارتداء الملابس الرسمية، لكني لم اعثر على الازرار الخاصة بتثبيت قبة القميص. فهرعت الى غرفة ابي لعلي اجد بعضا منها.
ولم يحالفني الحظ هناك ايضا. فهبطت مسرعا الى الصالة وضغطت زر المصعد لكي اعود الى غرفتي. وما ان فتحت باب المصعد ودخلت بقميصي غير المزرر حتى وجدت نفسي اقف الى جانب الملكة والامير فيليب وامي وابي. واذ التفتت امي لتقدمني اليهم، قالت الملكة ببساطة: "لدي ولد مثله تماما".

م. ر.

من علّمني حرفاً...

هناك افراد يحققون ما تعجز عن تحقيقه المؤسسات

كانت درجة الحرارة ٣٠ تحت الصفر والعاصفة تهب من اعماق وادي بلاكفوت كانيون، ويملأ زئيرها الفضاء، عندما ارخى الليل سدوله على مدينة ميلتاون الصغيرة فاستكنّت للهجوع بعد العشاء البسيط المألوف في زمن الحرب. ولم يبق خارج البيوت سوى فتاة شديدة النحول، تشق طريقها بين الثلوج المتلبدة وقد امسكت بياقة معطفها لتحكم اغلاقه حول عنقها حتى اسفل ذقنها.

تلك كانت هيزل، امينة مكتبتنا في ميلتاون. وقد اعتادت المجيء الى المكتبة في السابعة من مساء كل ثلثاء، ايا تكن حال الطقس، وسواء اعصفت السماء او لم تعصف فلا بد من ان يكون هناك بعض الذين يريدون الحصول على كتب، يستعينون بها على مقاومة الذي يتملكهم حيال مصير اعزائهم في معترك الحرب عبر البحار.

كان ذلك عام ١٩١٨، حين لم تتوافر للامهات والزوجات في ميلتاون اجهزة الراديو او التلفزيون التي تمدهن بالانباء.

ولم يبق لهن الا البرد القارس والثلج المتراكم ومصابيح الزيت ونار المدافىء.

ثم كانت هناك كتب هيزل. وكان القراء يفدون من القرية مرتين في الاسبوع الى الغرفة المتواضعة فوق المخبز، وذلك في السابعة من مساء كل ثلثاء وفي الثانية بعد ظهر كل سبت. فكيف لها ان تخيب املهم؟

وكانت هيزل تبقي معطفها على جسدها من شدة البرد، وتنفخ في اصابعها لتدفئها. ثم تنزع الغطاء المزين بالنيكل عن موقد الحطب في ركن الغرفة كي تشعل النار. فاذا تم ذلك، مضت تفتح خزائن الكتب المسندة الى الحائط لتعرض فيها للعيان كنوز العالم، كياسة منها ومجاملة من دون اي مقابل.

لقد بدأت هيزل بادل بهذا المشروع قبل ذلك بعام واحد، اي في ١٩١٧. وكانت حينذاك في الثامنة عشرة من عمرها، تتابع دراستها الثانوية. وقد اثارت دهشة الموظفين المسؤولين عن المكتبات في مقاطعة ميسولا (ولاية مونتانا الامريكية)، عندما اقبلت عليهم لتطلب منهم في لهجة جدية تزويد قريتها، التي تبعد ١١ كيلومتراً عن مركز المقاطعة، بمكتبة.

وتجهمت وجوههم عندما علموا ان ليس لديها ما تدفعه في المقابل. أفهل تجهل ان العالم في حال حرب؟ ولم لا يأتي سكان ميلتاون بانفسهم الى ميسولا ويتزودون بما يريدون من كتب؟ هذا اذا كانت الكتب تثير حقاً اهتمام تلك القلة من المهاجرين العاملين في نشر الاخشاب؟

وقدحت عينا هيزل السوداوان غضباً خلف نظارتيها السميكتين. قد يكون سكان قريتها فنلنديين ونروجيين واسوجيين وكنديين فرنسيين غير متعلمين، لكنهم، من دون شك، يرغبون في الحصول على كتب. اما ان يأتوا الى ميسولا، فهذا امر يضطرهم الى قطع مسافة ١١ كيلومتراً في طريق شاقة وعرة، كثيراً ما تعزلها ثلوج الشتاء عن مركز المقاطعة. واذا توافرت لهم الكتب، فهي قد تفتح امامهم نوافذ الاحلام.

واخيراً حصلت هيزل على الكتب المنشودة. ولكن بقي عليها ان تتدبر الامور الاخرى، من مكان للمكتبة الى القيام بخدماتها.

تخطي الصعاب — ولدت المكتبة الفرعية في ميلتاون عام ١٩١٧. وكانت الاولى من نوعها في الولاية كلها. وقد بدأت بمجموعة صغيرة من الكتب، واتخذت لها مقراً في بيت احد المعلمين المحليين. وعندما غادر المعلم القرية في العام التالي، نقلت المكتبة الى الطابق العلوي للمخبز.

ثم احتاج الخباز الى عليته، فاصبح لابد من نقل الكتب مرة اخرى. وكان هناك عشر مؤسسات او اثنتا عشرة مؤسسة تجارية على الطريق الرئيسية. فراحت هيزل تطرق ابوابها من دون جدوى. وقررت اخيراً اللجوء الى مطعم المدينة.

وعندما دخلت المطعم، تلفت الزبائن فرأوا الفتاة النحيلة الخجول تتقدم من صاحب المطعم، وقد عقد شعرها الاسود خلف رأسها. وكان صاحب المطعم فنلندياً ضخم الجثة، ازرق العينين، ابيض اللحية، يدعى بالمار. فقالت له: "ان لديك غرفتين خاليتين في الطابق العلوي، وانا في حاجة اليهما".

— انت يا هيزل في حاجة الى الغرفتين؟ وما شأنك بهما؟

وتوترت شفتا هيزل المرهفتان، وقالت: "اريدهما للمكتبة. اني في حاجة اليهما يا بالمار". وكان لها ما ارادت.

وقامت هيزل بجولة عام ١٩٢٠.

فزارت مكاتب "شركةسكك حديد شمال الباسيفيك" و"شركة ويسترن لامبر" و شركة "اناكوندا للتنقيب عن النحاس". وكان الوقت قد حان لتخصيص مقر ثابت لمكتبة ميلتاون الفرعية. ولولا تلك الشركات الثلاث لما قامت المدينة، ورأت هيزل ان من واجب هذه الشركات المحافظة على حيوية عقول موظفيها كما تحرص على سلامة ايديهم واقدامهم.

وكان لها ايضاً ما ارادت. واصبح مقر المكتبة الجديد بناء متيناً له مدخل واسع جذاب. وقد روعي في اختيار موقعه ان يكون بعيداً عن الطريق الرئيسية التي تم رصفها بعد الحرب. في ذلك المبنى تجسدت احلام هيزل. كنت في الخامسة عندما زرت المكتبة للمرة الاولى، ورفعت بصري الى المكتب العريض الذي صفت عليه صناديق البطاقات والاختام. ورأيت هيزل. كانت طويلة، ناحلة، صارمة الملامح. وكانت عيناها تطلان علي من خلف نظارتيها السميكتين، فتملآن نفسي رهبة. ولو لم تبتسم، لسارعت الى مغادرة المكان ولما عدت اليه على الاطلاق.

وبعد ظهر كل سبت، كان الاطفال ينصرفون الى صيد السمك او السباحة، اما انا فكنت اتسلل الى المكتبة لاتحسس رفوف الكتب واشم رائحتها العفنة.

وكان الاجتهاد من طبيعة هيزل وقد اوصلها ذلك الى سلك التعليم. وغدوت تلميذاً لديها في الصف الثالث حيث كانت احب معلمة الى نفسي. واني لاذكر كيف عدت ذات يوم من المدرسة في رفقة اميلي هالفاري، وكنت احمل كتبها في الطريق التي اذاب الربيع ثلوجها. وكانت اميلي تبكي لانها نجحت ورقيت الى الصف الرابع. فهي تود البقاء في الصف الثالث لتكون مع الانسة هيزل بادل. وكانت تلك رغبتي انا ايضاً.

سحر خفي – تزوجت هيزل جزار البلدة. وكان رجلا قوي البنية، وسيم الملامح، مهتماً بصيد السمك والحيوانات. وكانتهيزل موضع حسد لوقوع اختياره عليها. وتساءل البعض عما حمل هذا الشاب الوسيم على الزواج بامينة المكتبة القبيحة والتي لم يألف وجهها الزينة والمساحيق. والسبب، في رأيي، هو ان هيزل ليست في حاجة الى اظهار ما تتمتع به من جمال واناقة فضلا عن ان لديها سحراً خبيئاً.

ومرت السنون وتعاقبت الفصول وجاءت فترة الركود الاقتصادي، وكانت الحرب. ولم يحدث ان تخلفت هيزل مرة عن الحضور الى مكتبتها مساء كل ثلثاء وعصر كل سبت. بل كانت المكتبة لها صخرة صلدة تتشبث بها وسط الاحداث الرهيبة.

وفي ليلة ظلماء من ليالي مارس (آذار)، توفي زوج هيزل، فحجزت هي نفسها بضعة اسابيع في البيت الكبير الملاصق لمحل الجزار الذي علقت عليه لافتة كتب عليها: "مغلق". وذات ثلثاء فتحت ابواب المكتبة من جديد. وكان الشيب قد تخلل شعر هيزل، وتباطأت خطواتها. لكنها لم تنقطع عن المجيء وعن التقائنا هناك.

وذهبت الى الجامعة. واستقر بي

المقام في كاليفورنيا. وبقيت على اتصال بهيزل عن طريق شقيقتي. لكني كنت منصرفاً كلياً الى الدراسة، اجدّ في البحث عن تلك العوالم السحرية التي ارشدتني اليها كتب هيزل. فما كنت افكر في ميلتاون الا لماماً.

وعندما زرتها امتلأت نفسي بهيتها من جديد. ودهمني شعور بأني اسمع همس آلاف الاصوات، تردد في الزوايا اسماء: ديفيد كوبر فيلد وميكوبر وببغاء لونغ جون سيلفر وصوت ارغن القبطان نيمو يصدح في اعماق البحر. وكأن الاصوات تلك انبعثت من صفوف الكتب التي صنفتها هيزل على الرفوف.

وجاءني صدى ضحكتها من وراء مكتبها. وقالت: "انظر يا اميل، ها هي بطاقتك، لا تزال في ملف القراء المداومين، على رغم كل تلك السنين".

ومنذ بضع سنوات، اقامت مكتبة مقاطعة ميسولا مأدبة على شرف هيزل. وفي الحفلة قدمت اليها باقة من الزهر الارجواني، والقيت الخطب تعبيراً صادقاً عن عرفان الجميل.

ولم يدهشنا ان نعلم ان هيزل لم تحصل على اي مكافأة مادية في مقابس تكريسها اكثر من خمسين سنة لمكتبة ميلتاون الفرعية. وعلى كل حال، افما كانت هذه هي الصفقة التي عقدتها هيزل مع موظفي المكتبات عام ١٩١٧، والتي بمقتضاها كان عليهم ان يقدموا هم الكتب، وان تتكفل هي بكل ما عدا ذلك من خدمات؟

اما الآن وقد تغيرت الاحوال، ولم تعد الكتب بمثابة الكنوز النادرة، واصبح الناس في شغل شاغل عن تأدية الخدمات للآخرين، فربما شئتم ان تعرفوا بعض الامور عن هيزل وعن حلمها. وقد اردنا لها هي ايضا ان تطلع على ذلك قبل فوات الاوان.

فشكراً لك يا هيزل، والف شكر.

■ **اميل بيتاخا**

سوء حظ

مسافرة الطريق (الاوتوستوب): شابة فاتنة عموماً وشفافة الملبس، تقف على جانب الطريق... حيث تكون مع زوجتك، لسوء الحظ.

(المجلة الطبية الفرنسية)

الحل الوحيد

مرض الطبيب البيطري، فاستدعى طبيبا وقال له بخشونة: "حين اعالج مرضاي، لا استطيع سؤالهم عما يعانون. لذا اعتمد على مهارتي الشخصية. فلنر ان كنت تتمتع بذكائي".

ففحصه الطبيب من دون ان يتفوه بكلمة. وكتب وصفة سلمه اياها قائلا: "ان لم يبد عليك تحسن خلال اسبوع، فسنضطر الى التخلص منك".

اندريه ماهيه في كتاب "اضحكونا ايها الاطباء".

سويسرا المصرفية فردوس مفقود ؟

منذ القرون الوسطى اعتبرت سويسرا مصرف العالم من دون منازع · لكن هزّات عنيفة بدأت تزعزع جوانب ذلك الهرم المالي

تبدو البنوك السويسرية في أعين العالم الخارجي كالأهرام ضخامة ورصانة وغموضا · ومما يدعو الى العجب ان هذه الأمة ذات الستة ملايين نسمة استطاعت بناء امبراطورية مالية غدت معجزة الأزمنة الحديثة · وتستقطب هذه الامبراطورية أموالا طائلة · ويعادل دخل ثلاثة من مصارفها، هي بنك الاتحاد السويسري والبنك السويسري المساهم وبنك "كريدي سويس"، مجموع الانتاج الوطني·

وفضلا عن تنعّم سويسرا بإحدى أعظم اسواق الذهب العالمية وفوزها بحصة الاسد في تجارة السندات الاوروبية، تملك البلاد ثالث أكبر بورصة عالمية (بعد نيويورك ولندن)· وبينما يمكن تشبيه ما يحدث للعملات العالمية الاخرى بركوب سكة حديد في مدينة الملاهي لكثرة ما تتلوى وتنزلق، ترى الفرنك السويسري مرتفعا بقوة ووقار·

قال فولتير قبل نحو ٢٠٠ سنة: "اذا رأيت صيرفيا سويسريا يقفز من نافذة، فإلحق به لان وراء قفزته مالا أكيدا"· ولا يزال الناس في كل مكان يتبعون تلك النصيحة· لكن من الحكمة التريث قليلا عند حافة النافذة، اذ بدأ التصدع يضعف الهرم العظيم·

لقد كانت احدى بوادر ذلك التصدع

افلاس فرع بنك كاليفورنيا المتحد في مدينة بازل عام ١٩٧٠ بعد تكبده خسائر فادحة قاربت المئة مليون دولار. وفي العام ١٩٧٤، خسر بنك الاتحاد السويسري ٧٥ مليون دولار في سوق العملات الاجنبية. وفي العام نفسه خسر فرع بنك لويدز في لوغانو ١١٦ مليون دولار في عملية مماثلة. وعام ١٩٧٧ أقفل بنك هيرفل في جنيف أبوابه، وفرّ اصحابه الفرنسيون وفي جيوبهم ملايين الدولارات. وكذلك فعل بنك ليكلرك، أقدم المصارف الخاصة في جنيف، بعدما تكبّد خسائر فادحة وانتحر اثنان من كبار موظفيه. وبلغ عدد المصارف الخاسرة ثلاثين مصرفا منذ ١٩٧٠، وهذا يعادل نسبة خمسة في المئة من مجموع نحو ٥٥٠ مصرفا. ولئن تسببت هذه الخسارة في انهيار الصرح المالي، فان فيها ما يكفي لجعل الناس يتوقفون قليلا ويفكرون في مغزى الارقام.

واذ أصرّ كثيرون على ان الخسارة لم تتعدّ المصالح الاجنبية والمصارف الصغيرة، وقعت أعنف هزة في تاريخ المؤسسات المصرفية، باتت تعرف باسم "فضيحة تشياسو". وكان ضحيتها بنك كريدي سويس، ثالث مصارف سويسرا وأقدمها وأشدها تمسكاً بالتقاليد.

دفاتر القيد المزدوج – استقطبت المصارف السويسرية في الجنوب ملايين الليرات الايطالية كرأس مال مسحوب. وجرت العادة على ان يضع الاجانب اموالهم في حسابات ائتمان تحاشيا لدفع الضريبة المحتسبة التي تشكل ٣٥ في المئة من دخلهم. ويودع هؤلاء الاجانب أموالهم، على مسؤوليتهم الشخصية، أحد مصارف الدرجة الاولى – في لندن عادة – لمصلحة أحد المصارف السويسرية يستثمرها في السوق الاوروبية.

وسعياً الى تلك الاموال، عمد ارنست كورماير، مدير فرع بنك كريدي سويس في تشياسو، وهو رجل نشيط دؤوب، الى تجاوز حدوده حين عرض على زبائنه الايطاليين ضمانات ضد الخسائر. وتضمن هذا العرض انتهاكا صريحا للقانون. وحفاظا على سرية أعماله من مراقبة المكتب الرئيسي للبنك والحكومة معا، حوّل كورماير تلك الاموال الى شركة تكسون المهيمنة التي انشأها في امارة ليختنشتاين. واحتفظ بمجموعتين من دفاتر الحسابات: واحدة حقيقية وأخرى وهمية. وكان يهرّب سجلاته الحقيقية الى مكتب محاماة مجاور كلما وفد المدققون في الحسابات من المكتب الرئيسي في زوريخ.

ولدى انكشاف لعبته في ربيع ١٩٧٧، بلغت الاموال التي حوّلها الى شركة تكسون ٢،٧ مليار فرنك سويسري.

وسبق ان ظهرت دلالات على أن الامور لم تكن على ما يرام في فرع تشياسو. غير ان المسؤولين لم يحملوها على محمل الجد. وبعد ذيوع نبأ الفضيحة القي القبض على كورماير ومعاونيه، وحكم عليهم بالسجن لمدة اربع سنوات ونصف سنة، وبدفع غرامة مالية مقدارها نحو ٢١ مليون فرنك سويسري موزعة عليهم. ولم يمض اسبوع على اصدار

الحكم حتى توفي كورماير على أثر سكتة قلبية. واستقال المدير العام لبنك كريدي سويس ونائبه، كما تخلّى رئيسه الفخري عن لقبه. وتكبدت السوق المالية أفدح خسارة خلال أربع سنوات، وهبطت اسهم البنك بنسبة ٢٥ في المئة. وحتى الفرنك السويسري الذي كان صامدا كالصخرة تزعزعت قيمته. وأصر البنك الوطني السويسري، الذي بذل عام ١٩٧٥ جهودا لكبح تدفق الاموال الاجنبية على سويسرا عن طريق فرض فوائد سلبية مرتفعة بنسبة عشرة في المئة في كل فصل، على مطالبة بنك كريدي سويس بجمع ٨١ مليون فرنك تفرض كفوائد سلبية على زبائن شركة تكسون.

غير ان كريدي سويس استطاع، بفضل احتياطيّه القوي وسلامة بقية مشاريعه من الشوائب، ان يصمد في وجه العاصفة. لكن الفضيحة افزعت معظم المصارف في سويسرا وعددا كبيرا خارجها. وفي الايام القليلة التالية حبست سويسرا انفاسها تنتظر النتيجة.

وخامرت اذهان الناس اسئلة محيرة: ماذا سيحدث لو تدافع الناس الى سحب اموالهم من المصارف؟ وأي عاقبة تكون اذا كان الاحتياطي غير كاف؟ وماذا يكون مصير الصناعة التي تشكل ٣٥ في المئة من دخل سويسرا "غير المنظور"، والتي تساهم، الى حد بعيد، في ارتفاع مستوى المعيشة، اذا فُقد فجأة أعظم رصيد في المعاملات المصرفية، ألا وهو الثقة؟

وبدأت تظهر مضاعفات على الصعيد السياسي. وصرح وزير المالية جورج اندريه تشيفالاز خلال المناقشة البرلمانية: "لقدشوهت فضيحة تشياسو صورة الانظمة المصرفية، والحقت الضرر بسمعة بلادنا". ووقف رئيس الحزب الديموقراطي الاشتراكي هيلموت هو باكر قائلا ان البنوك غدت دولة داخل دولة، وقد حان اوان اخضاعها لسيطرة الدولة.

اسواق النقد العملاقة ـ غدت سويسرا خلال السنوات الاخيرة مركزاً مالياً عالمياً. وفي نهاية ١٩٤٥، بلغ مجمل الموجودات داخل المصارف ١٢ مليار دولار. وتفاقم هذا المبلغ حتى اصبح اليوم يعادل ١٧ ضعف ما كان عليه، اي نحو ٢١٠ مليارات دولار، واكتسبت البلاد، باعتبارها مصرف العالم منذ العصور الوسطى، خبرات عظيمة وحنكة واسعة، حتى غدا في امكانك اليوم طرق باب اي مصرف فرعي لتعرف سعر البن في البرازيل او مستقبل بيع اللحم في مدينة شيكاغو. وفي استطاعتك استبدال الروبية والريال والدراخما في السهولة ذاتها التي تستبدل بها الدولار، وأن تلاحق اعمالك التجارية باللغة التي تختارها من بين خمس لغات عالمية.

هناك عوامل عدة ساهمت في ازدهار الصناعة المصرفية السويسرية، اهمها تاريخ طويل من الاستقرار الاقتصادي والسياسي. ومن المعروف ان سويسرا لم تقدم مطلقا على تأميم مصالح اجنبية او على منع خروج الاموال من البلاد. وثمة عامل آخر يتمثل في سجل العملة السويسرية الرائع منذ ١٩٥٠، في حين فقد الجنيه الاسترليني ٧٠ في المئة من

قيمته. وحتى الدولار الامريكي هبط بنسبة ٦٠ في المئة قبالة الفرنك السويسري.

ولا شك في ان قانون سرية المصارف عامل ايجابي مهم، لكنه احاط السويسريين بهالة من الخداع. والحقيقة ان السويسريين يفضلون هذه السياسة المصرفية ويفخرون بأن بلدانا اخرى تحذو حذوهم كالنمسا ولبنان وهونغ كونغ والبهاما. وتتميز الشخصية السويسرية بالنشاط والدأب والاقتصاد والبعد عن الطيش والعبث. والسويسريون اكثر شعوب العالم ادخارا للمال، وتكاد حسابات التوفير في المصارف السويسرية تصل الى نسبة حسابين لكل رجل وامرأة وطفل.

وقد انعكس احترام السويسري للمال وللشؤون المصرفية على مواقف الحكومة الايجابية من المصرفيين ومنحهم حرية كاملة في تنظيم اعمالهم المالية، لا توازيها حرية في اي بلد اخر. وعلى رغم ان القوانين المصرفية التي عدلت عام ١٩٧١ قيدت جزءاً من تلك الحرية، الا ان المصارف السويسرية واصلت نموها لتصبح اسواقا مالية عملاقة تقدم خدمات منوعة قلما يسمح بها لمؤسسة. وعلى سبيل المثال،فأن لكل بنك حرية القيام بدور الوسيط او انشاء صندوق مالي مشترك او التجارة في سوق العملات الاجنبية.

غَضّ الطرف ـ لقد بدأت جنة عدن المالية تفقد شيئاً من سحرها. وثمة دلائل تنذر بهبوب رياح باردة. فعندما ازداد سعر الفرنك السويسري ارتفاعا، هبط الاقبال على الصادرات السويسرية، مما اقتضى فرض اجراءات تقييدية لكبح تدفق رؤوس الاموال على سويسرا. ومن هذه الاجراءات فرض فائدة سلبية على حسابات التوفير الكبيرة للاجانب وتوقيع معاهدة تعاون مشترك في القضايا الجنائية بين سويسرا والولايات المتحدة الامريكية تنص على ان تزود سويسرا السلطات الامريكية بمعلومات مصرفية تساعد على تعقب المجرمين المعروفين والمتهربين من دفع الضرائب.

وسيتم توسيع اعمال اللجنة المصرفية السويسرية الاتحادية، وهي الهيئة التي تراقب اعمال المصارف. والمعروف ان عدد افرادها قبل فضيحة تشياسو لم يتعدّ السبعة. وجرى التوقيع ايضا على ميثاق شرف يقتضي ان توافق المصارف، تحت طائلة عقوبات حكومية مالية تصل الى عشرة ملايين فرنك سويسري، على رفض فتح حساب لأي شخص مجهول الهوية وعدم قبول اموال لم تكتسب بطريقة مشروعة والاحجام عن تشجيع الاموال المسحوبة من بلدان اخرى تحاشيا لدفع الضرائب. ويقول فريتز لوتفيلر، رئيس البنك الوطني السويسري: "لا يسعنا، للأسف، بعد الآن ان نفترض ان كل صيرفي رجل كريم المحتد".

لقد راوحت الاصلاحات المقترحة في الشؤون المصرفية بين الدعوة الى التأميم الكامل ورفض الاموال الوافدة من الدول النامية، والمطالبة بتعيين موظفين حكوميين في مجالس ادارة المصارف. وتعهد الحزب الديموقراطي الاشتراكي بشن معركة حامية لفرض اصلاحات جذرية. ويؤكد خبير الحزب المالي رودولف شترام ان الصناعة المصرفية تضخمت الى حد

يتجاوز مصلحة البلاد، وان خفض حجم المصارف السويسرية سيجعل البلاد اقل عرضة لفضائح من نوع قضية تشياسو· ويضيف ان السرية المصرفية المسؤولة عن نمو المصارف السريع انما تشجع على التهرب من دفع الضرائب، سواء اكان ذلك في سويسرا او في الخارج· ويوافق شترام على ضرورة حجب الحسابات عن اعين الفضوليين· غير انه، في الوقت نفسه، يرى ضرورة وضعها في تصرف سلطات الضرائب الشرعية، وخصوصا اذا تعدت ١٠٠ الف فرنك سويسري· واضاف: "هناك ضرائب كثيرة يجري التهرب من دفعها، والبلاد في حاجة ماسة اليها"·

ويستبعد الخبراء الماليون اجراء تغييرات مهمة فيالمستقبل القريب· غير انهم يتوقعون ان تصبح المراقبة اكثر احكاما، وان يرافقها تدقيق اشد، وفجائي احيانا، وذلك حين يشتد ساعد اللجنة المصرفية في فرض التقيد بالانظمة المالية· ويتكهن الخبراء ايضا بتوسيع نطاق الاشراف على سوق الاوراق المالية·

ويقر ريتشارد شفيرتفيغر، عضو مجلس مراقبة الاسعار، بأن سويسرا "ستفقد جزءا من اهميتها كمركز مصرفي، الا ان ذلك سيساهم في زيادة استقرارها في المدى الطويل"· ويضيف نائب رئيس بنك كريدي سويس هانز ماست: "ان تقييد المركز المالي قد يقلل من الاخطار التي يواجهها البلد الصغير ومصارفه في المعاملات المالية الدولية· لكني لا اعتقد ان هناك شخصا واحدا يقبل بما ينطوي عليه مثل هذا التبديل من ضمور في حجم الثروة المادية في سويسرا"·

لقد حققت المصارف السويسرية عام ١٩٧٧ اعلى مكاسب لها حتى ذلك الحين، وازدادت مكاسبها في العام التالي· لكن التقييدات المقترحة قد تؤثر في مقدرتها على المنافسة الدولية· ويشير نيكولاس بار، رئيس بنك بار، الى نمو الاحزاب السياسية الراديكالية في اوروبا كعامل اخر مهم· ويعتقد انه، في حال تسلم احد هذه الاحزاب زمام السلطة في البلاد، سيحوّل جزء كبير من الاموال المتدفقة على سويسرا من زوريخ الى نيويورك· ولذلك، فهو يقول: "ان السلامة في النهاية اجدى من السرية"·

ربما كان ذلك صحيحا· لكن المراقبين الاجانب الذين ينظرون الى سويسرا بمزيج من الاحترام والغيرة يتنبأون بان يجد اصحاب المصارف السويسرية - وان شذبت اطراف هرمهم المالي - سبيلا آخر الى المحافظة على حفيف الاوراق المالية الذي استمر طوال الأعوام الخمسمئة الماضية·

■ رول تانلي

النسبة المطلقة

اكثر ما يخيفني في المثقفين المعاصرين عجزهم عن ادراك ضرورة استناد المجتمع الانساني الى قواعد عامة في السلوك والنزاهة، مهما كان الاساس السياسي والاقتصادي للمجتمعات·

جورج اورويل

مغامرة حُبّ بالهاتف

كانت الطريقة في ايقاد نار الغرام غريبة في نوعها غير ان لغة الكلام كانت ابلغ من لغة العيون

خرجت من المستشفى في سبتمبر (ايلول) ١٩٤١ بعد ابلالي من جراحي في احدى الغارات الجوية على لندن. ولم تكن حياتي العسكرية حافلة بالامجاد فألحقت بي خيبة الأمل في نفسي، الى جانب الكآبة التي تملكتني ازاء التحول الذي اتخذته الحرب. لكني، لحسن حظي، وجدت في تلك الفترة ما يشد عزيمتي بفضل صداقة احسبها اوثق وامتع ما عرفته في حياتي.

كنت أحاول في ساعة متقدمة من الليل في لندن ان اتصل هاتفياً بأحد اصدقائي. ولكن حدث اختلاط في الخطوط، فوجدتني، بدلا من الاتصال بصديقي، استمع الى امرأة تقول لعامل السنترال: "ان رقمي هو غروفنور ٨٨٢٩". ثم تضيف: "لقد طلبت منك وصلي برقم في هامستد، فاذا بك تحولني الى المدعو فلاكسمان في تشيلسي. وهذا المسكين لا يريد ان يكلمني على الاطلاق".

وقررت على الفور ان اشترك في الحديث، بعد ان سمعت صوتها وراقتني عذوبته. فقلت: "بل اريد ان اكلمك". وكانت نبرة صوتها تجمع بين تناسق الايقاع وبراعة الذكاء. وبدلا من التظاهر بالغضب ازاء اختلاط الموقف، واجهَت الامر بروح الكياسة والمرح. ثم تبادلنا الاعتذارات وانهينا المكالمة. غير اني، بعد دقيقة او دقيقتين، ادرت قرص الهاتف ثانية على رقم صديقي، واذ بي اتحدث اليها من جديد، على رغم انعدام الشبه بين الرقمين.

ولما بدا ان لا مفر لخطينا من التداخل، تحادثنا طوال عشرين دقيقة. وسألتني: "قل لي، لماذا كنت تريد الاتصال بصديقك بعد منتصف الليل؟" فاطلعتها على السبب الذي لم اعد اذكره.

وسألتها بدوري: "ولِم كنت تطلبين المكالمة في هذه الساعة المتقدمة؟" فقالت ان امها المسنة تأرق ليلا، وانها كثيراً ما تتصل بها في مثل هذه الساعة. ثم دار حديثنا حول ما نقرأ من كتب، وكان من الطبيعي ان نتناقش في امر الحرب. واخيراً قلت لها: "لا اذكر انني استمتعت بحديث كهذا منذ سنوات".

قالت: "لقد كان حديثاً مرحاً وممتعاً حقاً. ولكن يبدو لي من الافضل ان نتوقف الان. ليلة هنيئة، اذا واتمنى لك احلاماً سعيدة".

وقضيت اليوم التالي افكر في حديثنا وفي ذكائها وعفويتها وحماستها ومرحها. واخذت اتذكر لهجتها المتميزة بما فيها من رقة واغراء من دون اي تملق او الماحات مبطنة. ولازمني تناغم صوتها، ولم تعد نبرته العذبة تفارق مسمعي.

صداقة غريبة ــ في المساء بقيت في سريري شتيت الفكر، لا اعي ما اقرأ. وما ان حان منتصف الليل حتى اخذ رقم هاتفها يتردد في رأسي بحيث لم اعد اطيق الحاحه. فنهضت من فراشي وادرت الرقم بوجل على قرص الهاتف. وسمعت الجرس يرن على الطرفالاخر، ثم رفعت السماعة وجاءني صوتها: "آلو!" فقلت: "ها أنذا ثانية، ويؤسفني ان ازعجك. لكن هلاّ واصلنا حديث ليلة امس؟" ومن دون ان تعرب عن موافقة او رفض، بدأت تحدثني حديثاً شائقاً، وطريفاً عن قصة بلزاك "النسيبة بيت". ولم تمض دقائق حتى كنا نمزح ونضحك وكأننا صديقان قديمان.

واستمر حديثنا طوال ثلاثة ارباع الساعة. وكان من شأن الساعة المتقدمة وجهل احدنا الآخر، ان تحطمت بيننا حواجز التحفظ المألوفة التي تعوق المقابلات القليلة الاولى. ولكن عندما اقترحت أنا ان نتعارف رفضت هي وقالت: "ربما افسد التعارف كل شيء". ولم تتنازل عن هذا الموقف، الا انها احتفظت برقم هاتفي.

على أني انتزعت منها وعداً بأننا سنتعارف عند انتهاء الحرب. واخبرتني انها تزوجت في السابعة عشرة رجلا لم تسعد بعشرته، فانفصلت عنه. وانها الآن في السادسة والثلاثين. وان ابنها الوحيد قتل اخيراً وهو يقود طائرته ولما يتجاوز الثامنة عشرة. ويبدو انه كان كل شيء في حياتها. وكانت تتحدث عنه وكأنه ما زال حياً. وقد وصفته لي ذات مرة، فقالت انه كان جميلا كالفجر. وقالتمرة اخرى انه كان يشبهها تماماً.

وانتهيت من ذلك الى تكوين صورةعنها لم تتغير مطلقاً. وعندما قلت لها ما اجمل مرآها، ضحكت وقالت: "وما ادراك اني جميلة؟"

تملُّك الحب ــ توثقت العلاقة بيننا حتى صار كل منا في حاجة الى الآخر. ولم يبق موضوع لم نتحادث فيه. وكانت آراؤنا متماثلة في معظم الموضوعات، خصوصاً في ما يتعلق بالحرب. وكانت تقدم الي النصح، وتشد من عزمي. واخذنا نقرأ الكتب نفسها كي نستمتع بمناقشتها. ولما كنا مشتركين في المكتبة ذاتها في لندن، فقد تعاهدنا على الا يحاول اي

منا معرفة اسم الآخر عن طريق العاملين في المكتبة٠

ولم يحدث ان امضينا ليلة في لندن من دون ان نتحادث هاتفياً٠ مهما كان الوقت متقدماً٠ والفت ان امضي النهار في اشتياق وتطلع الى حديثنا التالي٠ وكانت، اذا ما غادرتُ لندن في نهاية الاسبوع من دون ان استطيع الاتصال بها، تشكو من انها تكاد لا تنام من شدة الوحدة٠

وكنت، في بعض الاحيان، اضيق ذرعاً بحرماني رؤيتها، فكنت اهددها بان اركب سيارة وآتيها على الفور، لكنها كانت تتأبى قائلة: "اننا، اذا ما التقينا وتبينت لنا استحالة تحابنا عن كثب، فلن يبقى لي الا الموت"٠

وكنت، كلما وقعت غارة شديدة، اتصل بها واسألها عن حالها٠ وكانت ترى في ذلك ما يبعث دائماً على التسلية والضحك٠ لكنها بدأت تتصل بي كلما سمعت بغارة على تشيلسي٠٠

وعشت اثني عشر شهراً في غبطة داخلية رائعة، خصوصاً ان ظروف الحياة كانت عصيبة بسبب الحرب، وكان حبنا، الى حد ما، مستحيلا٠ ومع ذلك فقد خلت طريقه من العوائق والعثرات٠ ولم يبدُ هناك ما يحول دون استمرار مساره طوال الحياة، اوليست لغة الكلام اقوى وابقى من لغة العيون، او حتى من لغة الايدي؟

غير ان القدر كان في المرصاد٠ فقد عدت من الريف في احدى الليالي الى لندن، والتقطت سماعة الهاتف، وادرت القرص على رقمها٠ وبدلا من ان اسمع الرنين الصافي الذي يبشر بقدومها، او العنين الذي يشير الى انشغال الخط، فوجئت بصوت ثاقب لم يعد في مكنتي ان اتذكر صداه من دون ان اشعر باشرافي على الاغماء٠ فقد عنى الصوت لي ان الخط معطل، او انه لم يعد موجوداً على الاطلاق٠

وتكرر الصوت في اليومين التاليين٠ وبلغ بي اليأس مداه٠ فاتصلت بالاستعلامات، وتوسلت الحصول على عنوان المسكن المقابل لرقم الهاتف غروفنور ٠٨٨٢٩ وكنت اعرف ان مخاطبتي لم تدون رقمها في الدليل خوفاً من مضايقة زوجها الذي انفصلت عنه٠

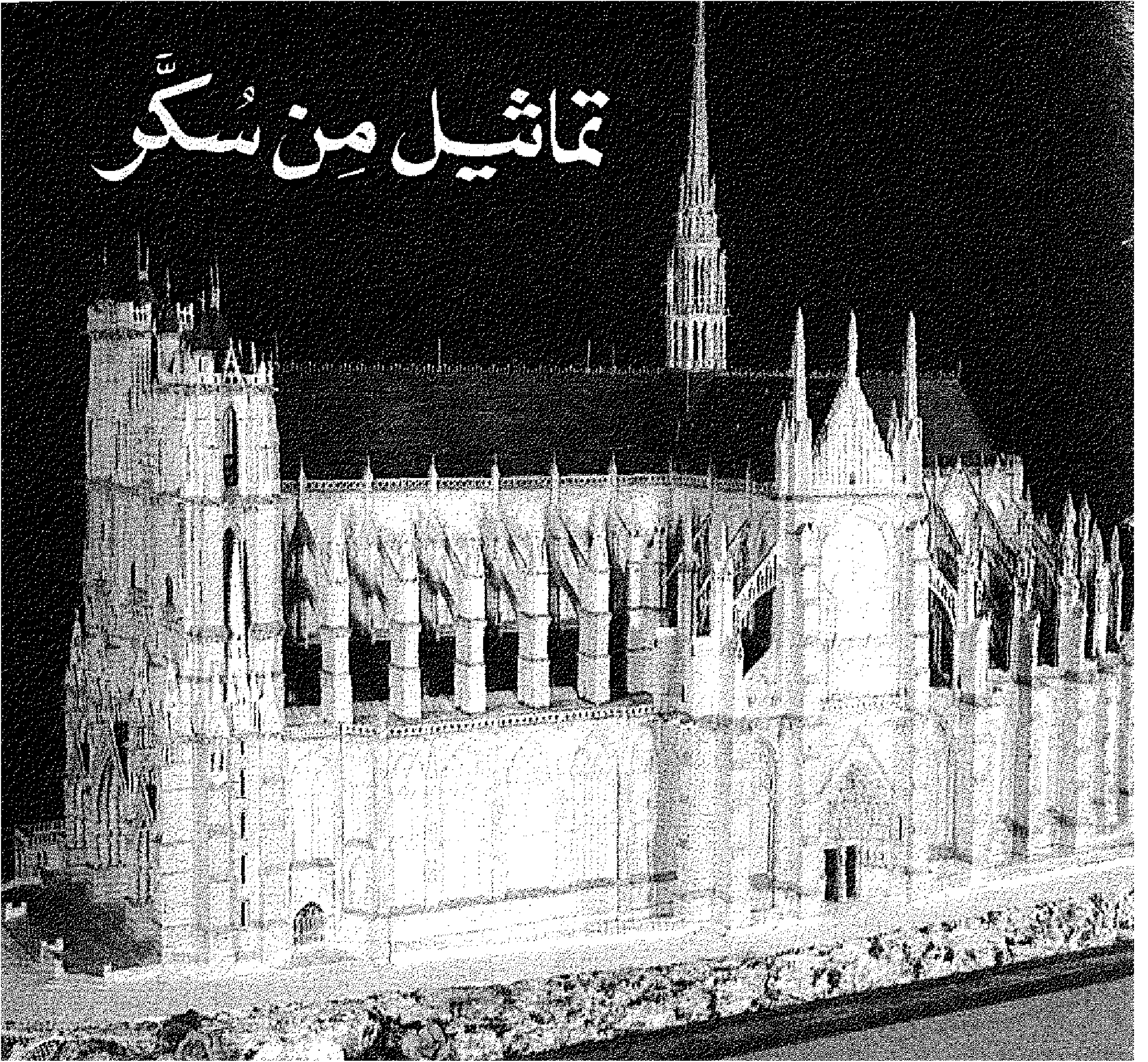
وفي البداية لم أفلح في اقناع الاستعلامات٠ فقد بدا من الغريب لموظفيها ان اجهل حتى اسم صاحب الرقم٠ واخيراً تقدمت عاملة لطيفة لمساعدتي متجاوزة النظام٠ وقالت: "لِمَ لا اساعدك؟ فقد نموت جميعاً تحت القنابل في اي لحظة٠ ويبدو لي انك تعاني قلقاً شديداً٠ وحقيقة الامر ان المنزل المقابل لهذا الرقم قد اصيب مباشرة في غارة منذ ثلاثة ايام، ولم يعد هناك ما يحول دون اعلامك باسم صاحبه"٠ فقلت لها: "اشكرك على مساعدتك لي٠ ولكم افضل الا تبوحي لي بهذا الاسم٠ ارجوك، اتوسل اليك، الا تفعلي!" وانهيت المكالمة٠

■ جيمس ليز ـ ميلن

الحكمة القائلة: "قل لي ماذا تقرأ، اقل لك من انت" صحيحة حقا٠ لكنني ساعرفك اكثر اذا قلت لي ما الذي تعيد قراءته"٠

فرنسوا موریاك

تماثيل مِن سُكَّر



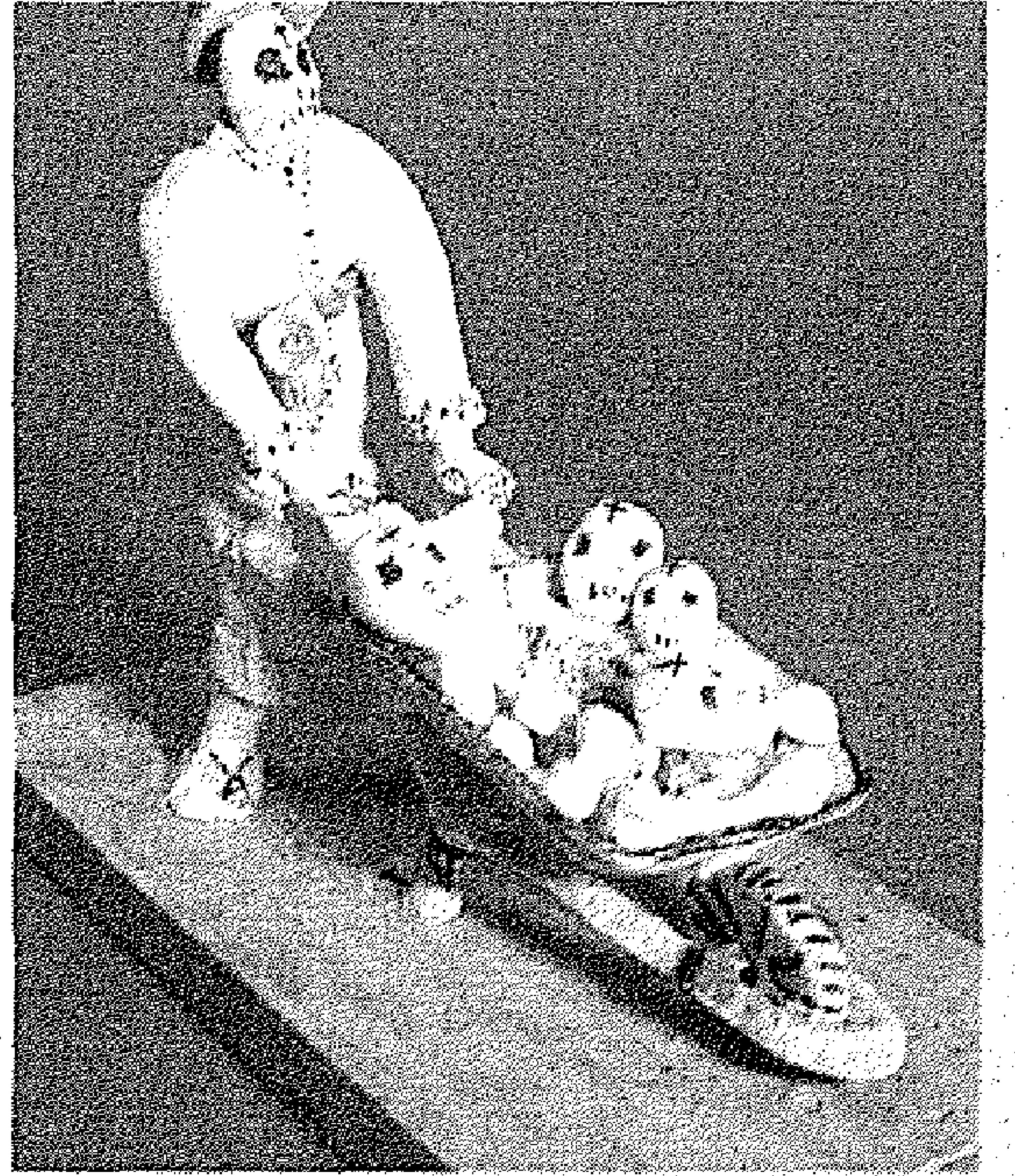
من بين الاصابع الرشيقة لفناني المعجنات، وبفضل صبرهم الدؤوب، تخرج تحف يسيل لها اللعاب

غداة افتتاح معرض دولي للنحت في متحف فن الزخارف في باريس عام ١٩٧٨، وصف احد النقاد المعروضات بأنها "تسيل اللعاب". وكان الوصف في محله، فكل الاعمال نحتت من السكر.

والنحت بالسكر، الذي بدأ في ايطاليا خلال القرن السابع عشر، يمارس اليوم باشكال لا حصر لها على امتداد اوروبا والشرق الاقصى وامريكا اللاتينية. وبينما كان بعض مشاهير الفنانين في الماضي يستخدمون السكر لابداع اعمال فنية مكرسة لمناسبات معينة - مثل

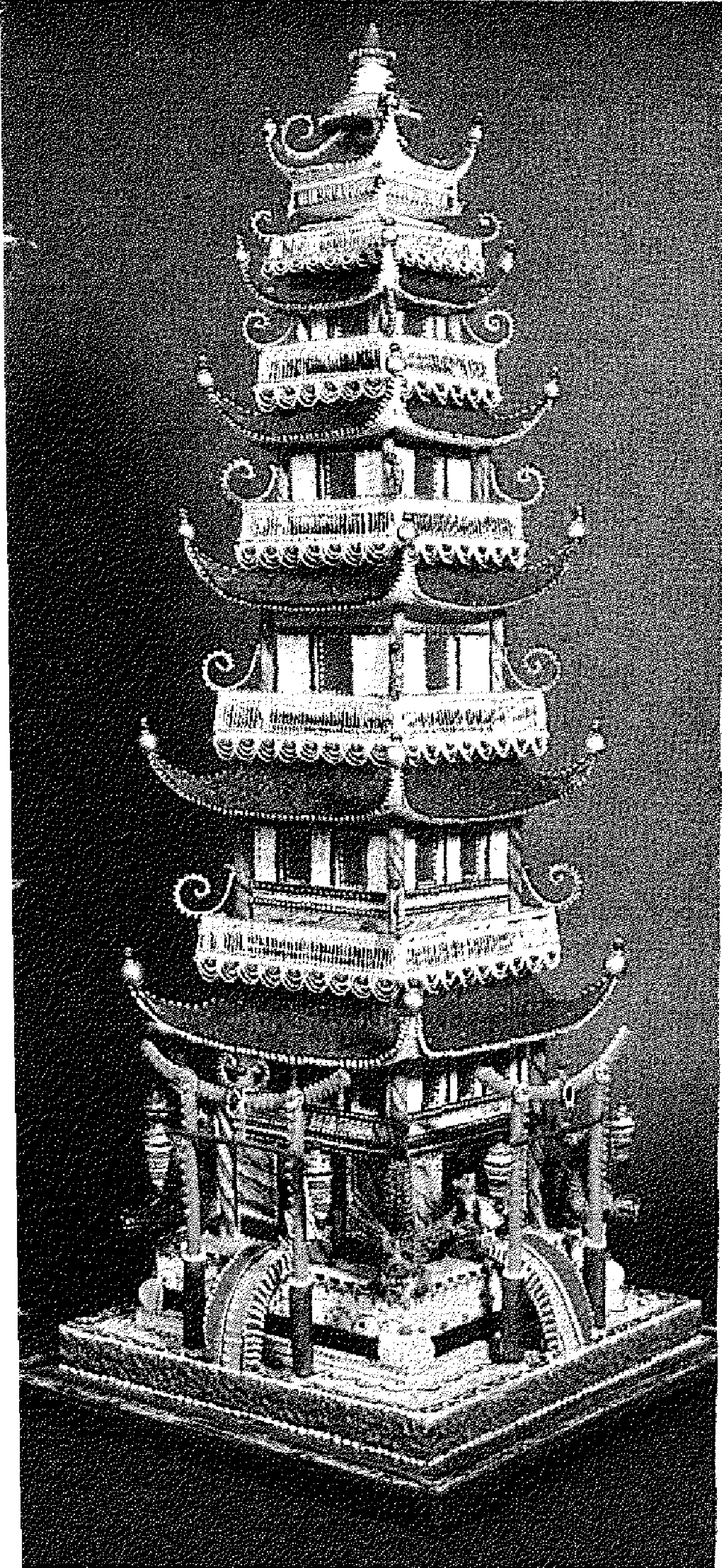


اليابانيون اساتذة النحت بالسكر كما يشهد "الطائر الذهبي" اعلاه، فكل ريشة وكل تويجة من تويجات الزهرة الكلاسيكية صنعت على حدة، ثم ركبت القطع لاحقا.

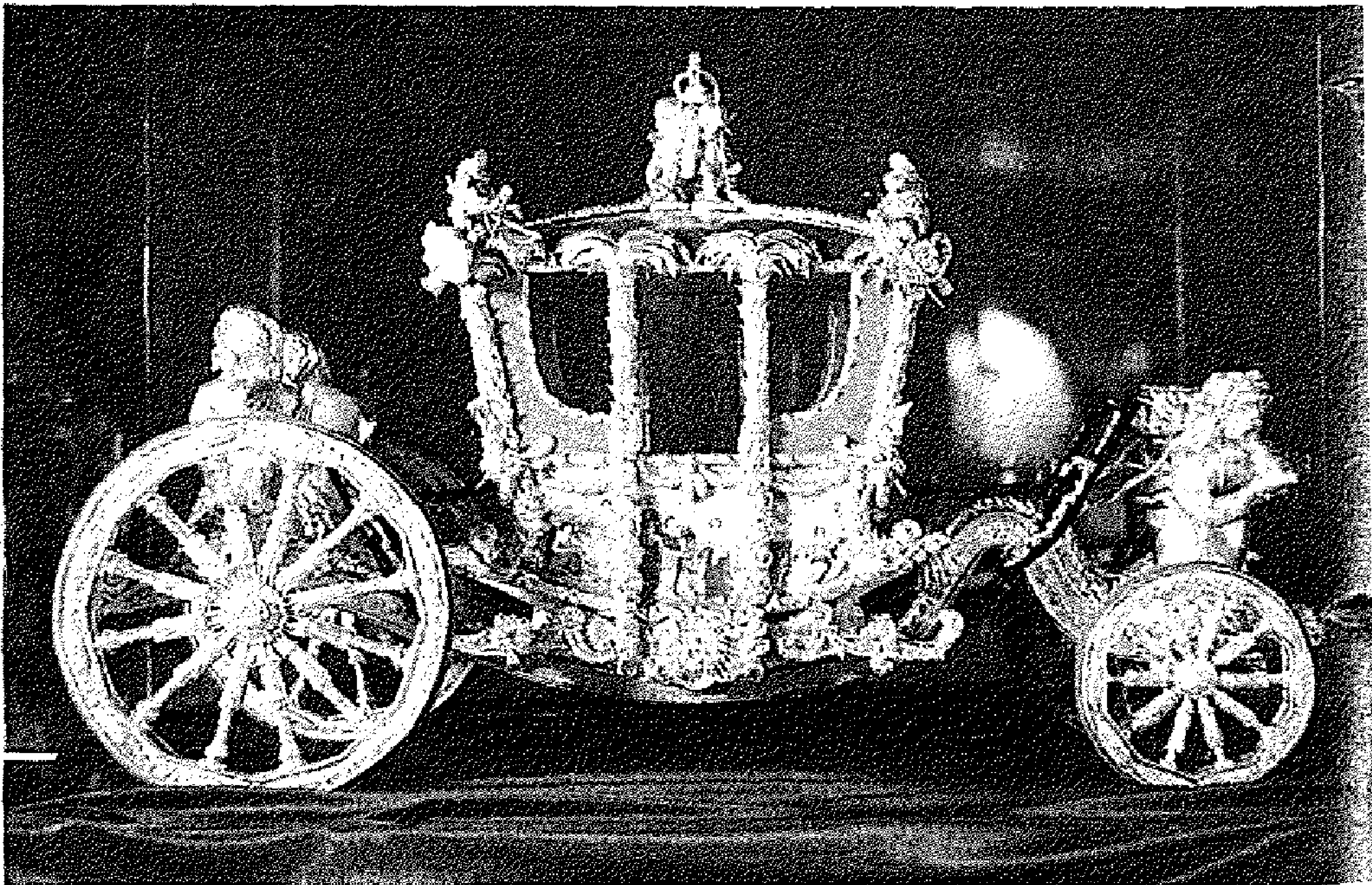


تمثال عامل منجم في العالم الآخر يدفع عربة ملأى بالجماجم والعظام، من صنع زوجة احد عمال المناجم في غوانا خواتو في المكسيك. ومن تقاليد المكسيكيين تقديم قرابين من المصنوعات السكرية عن ارواح موتاهم في يوم تذكار الموتى.

"هيكل التنين الاخضر" من صنع الحلواني الراحل جان ديبليو في مناسبة معرض فرنسي للاطعمة. ولم يكن الفنان قد رأى في حياته هيكلا من هذا النوع الا في الكتب. ومع ذلك، فقد صنع هذا النصب الذي يبلغ ارتفاعه ٨٠ سنتيمترا.



تحفة فنية من ثلاثة ابعاد تمثل حياة ساكنة، وعنوانها: "الحجل الاحمر"،
وهي من صنع فنان السكر الفرنسي باسكال نياو.



في اليوبيل الفضي لتتويج الملكة اليزابيت الثانية عام ١٩٧٧، انجز فنانا الحلوى ماري ومايكل فورد من مدينة بورنموث في انكلترا هذا النموذج من السكر لعربة التتويج الاثرية. طول النموذج ٨١ سنتيمترا وارتفاعه ٥٣ سنتيمترا.

جيوفاني لورنزو برنيني، احد ابرع فناني اسلوب الباروك في القرن السابع عشر - نجد معظم نحاتي السكر المحترفين اليوم من صانعي المعجنات والحلويات المهرة.

ويقضي فنان السكر البارع نحو عشر سنوات في تعلم هذا الفن. ولا بد من ان يتحلى بعين الرسام المتذوقة للون والتصميم وبانامل النحات الرشيقة، فضلا عن ضرورة تمتعه بصبر ايوب. فليس نادرا ان نجد نحات سكر يقضي فترة تراوح بين ٣٠٠ ساعة و٤٠٠ ساعة لانجاز عمله. اما النصب الضخمة حقا فقد يستغرق انجازها سنوات.

ويلجأ الفنانون الى اساليب متنوعة في عملهم. فعليهم اولا تسخين السكر لجعله طيعا، ومن ثم عليهم عجنه وصبه ونفخه كالزجاج ووضعه في قوالب، ثم شده على شكل اشرطة وغزله كشعيرات. وهناك اسلوب اخر يسمى "التكوير"، وهو يتضمن مزج السكر بالهلام (الجلاتين) وزلال البيض قبل تسويته وتشكيله بسرعة وخفة وهو طيع، لتبدأ بعد ذلك عملية النحت بالاستعانة بادوات دقيقة.

وتتفاوت الاعمال المنحوتة بالسكر من الاشكال الشعبية المعروضة في اسواق القرى المكسيكية الى التحف الدقيقة الفاتنة التي تخرج من ايدي ابرع الحلوانيين الفرنسيين او "فناني الكعك" البريطانيين. ففي العام ١٩٧٤ اشترى احد هواة الخزف الصيني بعض التماثيل الصغيرة الرائعة الصنع والعائدة الى القرن التاسع عشر من سوق للاثريات في لندن. ولكم كانت دهشته عظيمة حين وجد ان هذه التماثيل التي خالها خزفا صينيا من صنف معين انما صنعت من السكر الخالص.

يتميز نحاتو السكر عن غيرهم من الفنانين بان اعمالهم ذات قيمة آنية. اما تراكيب السكر المشكلة بالتكوير، كنموذج كاتدرائية اميان، فتعمر قرناً او نحو ذلك. لكن معظم اعمال السكر لا تدوم اكثر من اربع سنوات ما لم تحفظ باساليب خاصة، اذ انها تتفتت تحت تأثير الرطوبة.

غير ان لنحاتي السكر آراء فلسفية متعلقة بقصر عمر اعمالهم الفنية. ويقول احدهم: "اعرف ان معظم منحوتاتي لن تعمر، لكن هذا لا يقلل الشعور بالفرح والكبرياء الذي يتملكني في لحظات الابداع".

بعونك!

غالباً ما تسمع في تايوان عبارة " بايت او" (وتعني "سأنجح بعونك") تتردد في كل مناسبة تقريباً. فاذا طلب احدهم مساعدة او سأل مرشح الناخبين ان يصوتوا له، كانت اللازمة: "بايت او، بايت أو".

وفي حفل زواج كان العروسان يتلقيان التهاني، فتمنى لهما احد المهنئين أن يرزقا بطفل قريبا. واذا بالعريس يبتسم وينحني باحترام للمتمني ويقول: "بايت او، بايت أو".

و.هـ.ج.

حذار النباتات السامة

هناك نباتات نظنها احيانا خالية من الاذى بينما هي تنطوي على سم زعاف·

اصيبت الطفلة الصغيرة التي لا تزيد سنها على اربعة اعوام بنوبة عنيفة من القيء والدوار واثارت قلق امها الشديد فاتصلت على الفور باقرب مركز لمقاومة التسمم· ولم يخطىء تقدير الوالدة اذ تبين ان ابنتها قد تسممت بالنرجس الجبلي·

ولهذا النبات زهر جميل مألوف، ولكن له بصلة خطرة· وقد وجدت الطفلة الصغيرة سلة مليئة بهذا البصل الذي لا يختلف في نظرها عن بصيلات الثوم او البصل العادي، فلم تلبث ان وضعت بصلة منها في فمها·

وقد شفيت الطفلة الصغيرة من هذا العارض المؤسف، ولكن بقيت هناك مشكلة التسمم بالنباتات، وهي مشكلة معقدة يتعرض لها آلاف الافراد في امريكا الشمالية وانحاء عدة من العالم كل عام، بل وتنجم عنها الوفاة في بعض الاحيان· ذلك ان كثيرا من النباتات التي يظنها المرء خالية من الاذى قد تنطوي على اخطر العناصر السامة، بل ربما احتوى نبات واحد منها على ستة انواع مختلفة من المواد السامة، كما ان بعض النباتات الصالحة للاكل تضم الى جانب اجزائها المأمونة اجزاء اخرى قاتلة·

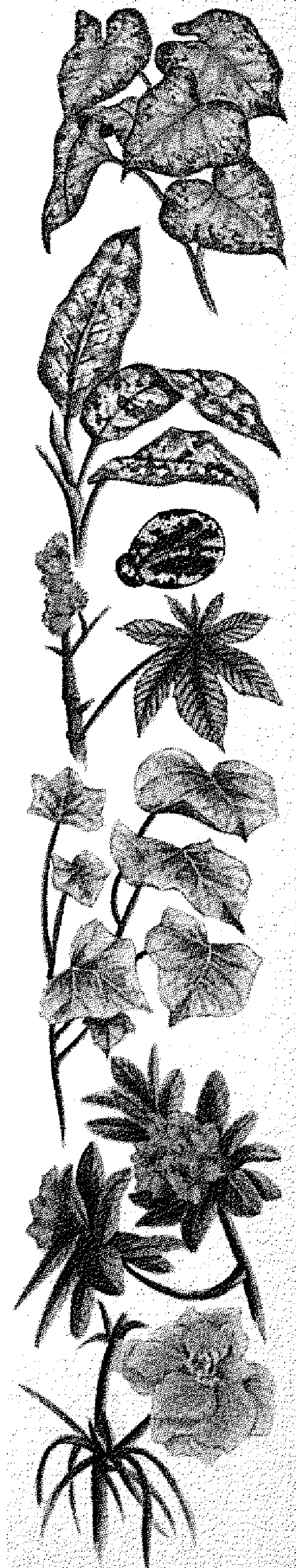
ومثال ذلك ان نبات الروائد له سيقان لذيذة الطعم حين تؤكل مطبوخة لكن اوراقه تتسبب في نزف مميت· كذلك سيقان البندورة (الطماطم) والبطاطا، فانها تفرز مادة السولانين السامة·

واما الذين يودون اضافة النباتات البرية الى غذائهم العادي فيحسن بهم ان يكونوا على دراية بالنباتات الشبيهة بها· فنبات الشوكران السام مثلا، مشابه تماما في مظهره للجزر البري، ونبات الغار الجبلي السام يكاد يكون صورة طبق الاصل لنبات عنب القطا الخالي من الاذى· والحل هو الاحتفاظ بكتاب ينطوي على اوصاف واضحة ومفصلة لكل نبات تجمعه كي تضيفه الى طعامك·

وبمجرد ظهور اعراض التسمم، اتصل باقرب مركز لمكافحة التسمم او بطبيبك او بقسم الطوارىء في اقرب مستشفي اليك· واذا كانت الاعراض عنيفة ومتزايدة الشدة تحتم نقل المريض الى المستشفى باسرع ما يمكن·

ولئن يكن من البدهي ان تتجنب اثارة الخوف من الطبيعة في نفوس اطفالك، الا انه يجب عليك ان تتأكد من اطلاعهم الواضح على امر النباتات السامة التي نوردها في القائمة الآتية تفاديا لتعريضهم للاخطار الشديدة·

النباتات المزروعة في المنزل والحديقة	الاجزاء السامة	الاعراض البارزة
١ - بهية قليدية CALADIUM	جميع الاجزاء (المادة السامة: بلورات اوكسالات الكالسيوم)	تهيج شديد في الاغشية المخاطية يؤدي الى تورم اللسان والشفتين والحنك (اعلى باطن الفم)
٢ - بغونية DIÉFFENBACHIA	مثل السابق	مثل السابق
٣ - خروع كبير RICINUS COMMUNIS	البذور، اذا مضغت او ابتلعت من دون مضغ فان الغلاف الصلب للبذرة يحول دون امتصاصها ويسبب في التسمم (المادة السامة: الريسين)	الاحساس بالتهاب الفم، القيء، وآلام البطن، العطش، غشوة البصر، الدوار والتقلصات والوفاة.
٤ - لبلاب كبير HEDERA HELIX	جميع الاجزاء (المادة السامة: الهيديرانجينين او السابولين الستيرولي)	التهيج الموضعي، سيولة اللعاب المفرطة، القيء، العطش، الاسهال الشديد، آلام البطن والغيبوبة العميقة.
٥ - وردية (من الفصيلة الخلنجية) RHODODENDRON	جميع الاجزاء (المادة السامة: سم اندروميدا (اندروميد توكسين)	سيلان الدموع واللعاب، افرازات الانف، فقد الشهية، القيء، آلام البطن، شلل الاطراف والتقلصات.
٦ - الدفلى RHODODENDRON	مثل السابق	مثل السابق
٧ - غائق (من الفصيلة الحوذانية) DELPHINIUM	جميع الاجزاء، وخصوصا البذور (المواد السامة: قلويات الدلفين والدلفينندين والاجاسين)	الحرقة والالتهاب في الفم والشفتين واللسان، يعقبهما التنميل والاحساس بالوخز يبدأ في الاطراف ويمتد حتى يشمل الجسم كله.
٨ - هدرنجية (نبات يشبه كوب الماء)	الاوراق والبراعم (المادة	القيء وآلام البطن، الاسهال وصعوبة التنفس، تراخي العضلات والدوار، التبلد





النباتات المزروعة في المنزل والحديقة	الاجزاء السامة	الاعراض البارزة
HYDRANGEA MACROPHYLLA	السامة: (غليكوسيد - هيدرانجين)	والتقلصات.
٩-زنبق الوادي CONVALLARIA MAJALIS	جميع الاجزاء (المادة السامة: غليكوسيد كونفالا ماروجينين الذي يؤثر على القلب)	تهيج محلي في الفم والمعدة يعقبه القيء وآلام البطن والاسهال والصداع المستمر واضطرابات القلب.
١٠-دودية [illegible]نوانية IPOMOEA	البذور (المواد السامة: عدة قلويات ترتبط كيميائيا بثاني ايثلاميد حامض الليسيرجيك، او عقار الهلوسة ل.س.٥٠)	حالات شبيهة بالهلوسة، غثيان وفقد الشهية، وآلام البطن، الاسهال الانفجاري، وتكرار التبول، وردود افعال الكآبة
١١ - مكحلة HYACINTHUS ORIENTALIS	البصيلات والاوراق والزهر إذا أكلت بكميات كبيرة (المواد السامة: قلويات غير محددة).	الغثيان والقيء وآلام البطن والاسهال.
١٢-البلوط الاخضر ILEX	ثمار فاقعة الحمرة (المواد السامة: غير محددة)	الغثيان والقيء، آلام البطن والاسهال.
١٣ - سوسن IRIS	سيقان الجذور او الريزوم (المادة السامة: غير محددة)	الغثيان والقيء آلام البطن والاسهال.
١٤ - جنبة الرباط (من الفصيلة الزيتونية) LINGUSTRUM	الاوراق والثمار (المادة السامة: غير محددة)	الغثيان والقيء، آلام البطن والاسهال.
١٥ - نرجس NARCISSUS	البصيلة (المادة السامة: غير محددة)	الغثيان والقيء، آلام البطن والاسهال، التقلصات واحتمال الوفاة.
١٦ - نرجس الشعراء (ازهاره بيضاء) NARCISSUS	مثل السابق	مثل السابق

النباتات المزروعة في المنزل والحديقة	الاجزاء السامة	الاعراض البارزة
١٧ - بونسيانه جلياس POINCIANA GILLESSI	حبيبات البذور الخضراء (المادة السامة: غير محددة)	الغثيان والقيء آلام البطن والاسهال
١٨ - دفلى· NERIUM OLEANDER	الاوراق والسيقان والزهر (المواد السامة: غليكوسيد اوليانذروسيد الذي يؤثر على القلب والاولسياندرين والنيريوسيد)	التهيج الموضعي في الفم والمعدة، والقيء وآلام البطن والاسهال، اضطرابات القلب وشلل التنفس والوفاة·
١٩ - اجاص PRUNUS AMERICANA	الاوراق والسيقان واللحاء وحبيبات البذور (المواد السامة: غليكوسيدات سيانوجينية)	الغثيان والقيء، آلام البطن والاسهال، الدوار وصعوبة التنفس، وارتخاء العضلات والتبلد والتقلصات·
٢٠ - مشمش PRUNUS AMERICANA	مثل السابق	مثل السابق
٢١ - برقوق PRUNUS VIRGINIANA	مثل السابق	مثل السابق
٢٢ - فليفلة كاذبة (من الفصيلة الباذنجانية) SOLANUM PSEUDOCAPSICUM	جميع الاجزاء (المواد السامة: تحتوي الاوراق على مادة سولانو كابسين التي تؤثر على القلب، وتحتوي الثمار على السولانين والغلوكو قلوي وعلى الغلوكو قلويات المتصلة به)	الصداع وآلام المعدة، انخفاض الحرارة عن المستوى الطبيعي، والشلل وتمدد بؤبؤ العين، والقيء، والاسهال، والصدمة، تباطوء الدورة الدموية، التنفس وفقد الاحساس والوفاة·
٢٣ - رواند بستاني RHEUM RAPONTICUM	نصل الورقة (المادة السامة: حامض الاوكساليك)	تأثير اكال على الغشاء الداخلي للجهاز الهضمي·



النباتات المزروعة في المنزل والحديقة	الاجزاء السامة	الاعراض البارزة
٢٤ - لفت هندي ARISAEMA TRIPHYLLUM	الاوراق (المادة السامة: بلورات واكسالات الكالسيوم)	تأثير اكال على أغشية الجهاز الهضمي يؤدي الى تورم اللسان والشفتين والحنك (اعلى باطن الفم)·
٢٥ - شوكران منتن CICUTA MACULATA	الجذور والسيقان الارضية (المادة السامة: كيكوتوكسين)	زيادة افراز اللعاب، آلام البطن والغثيان، القيء والرعشة، تشنج العضلات والتقلصات العامة·
٢٦- كرمة عذراء خماسية الورق PARTHENOCISSUS QUINQUEFOLLA	الثمار والاوراق (المادة السامة: حامض الأوكساليك)	تأثير اكال على الجهاز الهضمي، الغثيان والقيء وآلام البطن، الاسهال والصداع·
٢٧ - شوكران كبير CONIUM MACULATUM	جميع الاجزاء (المادة السامة: لاميدا كونيسيين مثيل كونيين)	اوجاع الجهاز الهضمي، ارتخاء العضلات، التقلصات واضطراب التنفس والوفاة·
٢٨ - داتورة (من الفصيلة الباذنجانية) DATURA STRAMONIUM	الاوراق والزهر والرحيق والبذور (المواد السامة: قلويات البلادونا)	تمدد البؤبؤينو جفاف الفم، اضطراب الوعي، الغيبوبة العميقة، واحتمال الوفاة·
٢٩ - لكية PHYTOLACCA AMERICANA	جميع الاجزاء وخصوصا الجذور والاوراق والثمار الخضراء (المادة السامة: التانين)	الاحساس بالتهاب الفم، التهاب الحلق والغثيان، القيء، غشوة البصر، مغص المعدة والتقلصات الحادة·
٣٠ - مغد حلو ومر SOLANUM DULCAMARA	الاوراق والثمار (المادة السامة: السولانين)	القيء والاسهال، وآلام البطن والخمول، والنعاس والرعشة، والضعف العام وصعوبة التنفس·

المصادفة
تواقت زمني
أم لعبة قدرية؟

من منا تخلو حياته من مصادفة ما. ان بعض المصادفات يرغمنا على الظن ان قوى خفية تسيّر هذا الكون!

ربما حدث ان اعترضتك كلمة غير مألوفة، فبحثت عن معناها. واذا بالكلمة نفسها تواجهك مراراً خلال الايام القليلة التالية.

وهناك صديق قديم لم يأتك منه خبر منذ سنوات، فتهم بتوجيه رسالة اليه واذا برسالة منه تتقاطع ورسالتك في البريد.

كيف تفسر ذلك؟ أهو مجرد اتفاق اعمى، ام انه امر آخر؟

يرى العلم التقليدي ان امثال هذه المصادفات لا تتعدى كونها اتفاقات طارئة. وعلى رغم ذلك، تظل المصادفة ظاهرة مألوفة تبعث على الحيرة والعجب، بل انها كثيراً ما تتضمن مغزى، كما يقول المؤلف البريطاني آرثر كستلر الذي كتب بافاضة في هذا الموضوع.

وقد صدر حديثاً للكاتب الان فون كتاب عنوانه "مصادفة لا تصدق"، لخص المؤلف فيه جانباً كبيراً من حجج كستلر. ويشير فون في كتابه الى ١٥٢ حادثاً، بينها ما جرى للصحافي ايرف كوبسينيت من جريدة "شيكاغو".

كان كوبسينيت في غرفته في فندق سافوي في لندن عندما فتح درج خزانته ليجد امتعة شخصية لصديقه هاري هانين. وكان هانين آنئذ عضواً في فريق "هارلم غلوبتروترز" لكرة السلة. وبعد يومين تلقى كوبسينيت رسالة من هانين الذي كان في فندق

موريس في باريس، وجاء فيها: "انك لن تصدق ماأقول. لقد فتحت درجاً في غرفتي، فوجدت رباط عنق يحمل اسمك". وكان كوبسينيت نزل تلك الغرفة قبل بضعة اشهر.

وقد دفعت مثل هذه الاحداث كستلر وآخرين الى محاولة اكتشاف العلاقة السببية في ما بينها. لكن جهودهم لم تسفر عن نتائج مرضية. ذلك ان المصادفات تخلف آثاراً قابلة للقياس والتحليل، وان تركت بين وقت وآخر ذكريات لا تمحى.

في ١٩٦٦ كان الطيار والمؤلف الشهير ريتشارد باخ يحلق بطائرته القديمة من طراز "ديترويت - باركس سبيدستر" ذات المحركين، والتي لم يصنع منها عام ١٩٢٩ سوى ثماني طائرات فوق غرب الولايات المتحدة. وكان يستمتع بمشاهدة الريف من الجو. وفي بلدة بالميرا في ولاية ويسكونسون اعار باخ طائرته الى احد اصدقائه فانقلبت وهو يهبط بها الى الارض. وفي كتاب له بعنوان "لا شيء يحدث مصادفة"، يقول باخ انه وصديقه تمكنا من اصلاح كل شيء في الطائرة ما عدا دعامة خارجية واحدة بدا اصلاحها مستعصياً نظراً الى ندرة قطعة الغيار تلك. وبعد لحظات مرّ بهما رجل عرض عليهما المساعدة. فقال له باخ متهكماً: "بالتأكيد! فقد نجد لديك دعامة وصل بين جناحي طائرة ديترويت - باركس سبيد ستر من طراز ١٩٢٩"؟ وتوجه الرجل الى حظيرته ليعود وفي يده القطعة المطلوبة. ويختم باخ روايته بالآتي: "ان سقوط الطائرة في بلدة صغيرة يتفق ان يقيم فيها رجل لديه قطعة غيار عمرها ٤٠ سنة تحتاج اليها الطائرة ووجود هذا الرجل في مكان الحادث ساعة وقوعه، واستطاعتنا دفع الطائرة الى قرب حظيرته على بعد ثلاثة امتار من قطعة الغيار هي كلها احتمالات ضعيفة تجعل اسناد الامر الى المصادفة تبريراً سخيفاً".

قوة خفية - غير ان المشككين يرفضون هذا التفكير. ويقول الكاتب العلمي مارتن غاردنر ان ملايين الاحداث تقع كل يوم، وحدوث بعض الامور المدهشة من وقت الى آخر أمر محتم.

ووفقاً لوجهة النظر هذه، كما يقول كستلر في كتابه "يانوس"، ليست المصادفة سوى مظهر من مظاهر "قانون الاعداد الكبيرة" الذي حير الفلاسفة قروناً عدة. وقد وصف عالم الرياضيات جون فون نويمان هذه الظاهرة بأنها "سحر اسود".

ويعلق كستلر على ذلك: "ان سبب التناقض هنا هو امكان التنبوء بدقة غريبة بالنتيجة الاجمالية لعدد كبير من الاحداث التي يتعذر التنبوء بكل واحد منها منفرداً وبعبارة اخرى، فان قانون الاعداد الكبيرة يواجهنا بعدد كبير من الامور غير المؤكدة التي ينتج منها امر مؤكد. وقد اصبح هذا القانون مبدأ اساسياً في علمي الفيزياء والوراثة وفي حسابات شركات التأمين ونوادي القمار والاستفتاءات. واصبحنا نتقبل هذا السحر الاسود. من دون مناقشة او تساؤل".

ولعلّ جداول الوفيات لدى شركات التأمين هي اكثر الامثلة شيوعاً في هذا الصدد. والمثل الآخر الذي يذكره

كستلر هو التآكل بالاشعاع. فنصف حياة عنصر "ثوريوم ك" هو ١/٢ ٦٠ دقيقة. وفي خلال هذه الفترة، يتآكل بالضبط نصف اي عينة من هذه المادة المشعة بالتحلل الاشعاعي. وبينما يستحيل التنبوء بما سيحدث لكل ذرة في الكتلة، الا ان نصف هذه الكتلة في العينة - اياً يكن حجمها - يختفي في الوقت المحدد تماماً. ويعلق كستلر على ذلك: "ان هذا القانون لا يمكن تفسيره بالاستناد الى القوى الفيزيائية فهو - اذا شئنا القول - معلق هكذا في الهواء".

ويعتقد بعض العلماء بوجودقوة خفية تتحكم بالمصادفة، ربما كانت جُسَيْما لم يتم اكتشافه بعد. واطلق الفيزيائي والرياضي البريطاني الراحل ادريان دوبز نظرية "البسيترونات" التي تنطلق في شكل موجات لاسلكية الى بعد زمني ثان، حيث تختبر الاحتمالات المستقبلية وتعود بها الى عالمنا. ويقول كستلر في كتابه "جذور المصادفة": "ان تلك البسيترونات في نظرية دوبز، تتخطى نطاق الحواس لتحدث نوعاً من الاستنارة العقلية في الدماغ مباشرة".

ومن النظريات التي ذكرها كستلر تلك التي تقدم بها الطبيب النفسي كارل غوستاف يونغ، الذي تعاون مع الفيزيائي وولفغانغ باولي على تأليف كتاب استخدما فيه اصطلاح "التواقت" للدلالة على المصادفة. وقد وردت فيه رواية عالم الفلك الفرنسي كميل فلاماريون:

"عندما كان ديشان صبياً في مقاطعة اورليان الفرنسية، اعطاه دو فورجيبو قطعة من حلوى الخوخ. وبعد عشر سنين لمح ديشان، وقد اصبح شاباً، قطعة من حلوى الخوخ في احد مطاعم باريس واذا برجل يدعى دو فورجيبو يسبقه الى طلبها.

وبعد سنوات، تلقى ديشان دعوة من بعض الاصدقاء الى تناول حلوى الخوخ عندهم. وبينما هو يأكل نصيبه، قال على سبيل الدعابة: "لا ينقص هذه المناسبة سوى السيد دو فورجيبو". وفي اللحظة عينها فتح الباب ليدخل عجوز تائه. ذلك العجوز كان السيد دو فورجيبو.

لعبة القدر - اما باولي شريك يونغ في الكتاب وحائز جائزة نوبل في الفيزياء، فرأى ان المصادفة هي الاثر المرئي لمبدأ كل شيء لا تمكن نسبته الى علاقة السبب بالنتيجة. واللاوعي عند يونغ هو مخزن تتراكم فيه الذكريات التي تتيح الاتصال بين العقول.

الا ان يونغ يصعب عليه، ولا شك، ان يربط بين نظريته هذه والاحداث التي اعقبت وفاة الممثل الكندي تشارلز فرنسيس كوغلان. ففي كتاب "مصادفة لا تصدق" يروي فون ان كوغلان، الذي ولد في جزيرة الامير ادوارد في كندا، توفي في اثناء جولةمسرحية في مدينة غالفستون في ولاية تكساس الامريكية عام ١٨٩٩، ودفن هناك في تابوت مبطن بالرصاص داخل قبر مبني بحجر الصوان.

وبعد اقل من عام، جاء الاعصار الهائل الذي ضرب جزيرة غالفستون في سبتمبر (ايلول) ١٩٠٠، فاغرق مقبرتها وانتزع تابوت كوغلان من

التجويف الذي كان فيه داخل القبر الغرانيتي، فراح يطفو على وجه الماء في خليج المكسيك. ودفعته التيارات البحرية الى فلوريدا لينطلق منها الى عرض المحيط الاطلسي، حيث حمله تيار الخليج شمالا.

وبعد ثماني سنوات، في اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٠٨، رأى صيادو السمك في جزيرة الامير ادوارد في كندا صندوقاً كبيراً شوهته عوامل الطبيعة، يتأرجح فوق الامواج. فسحبوه الى الشاطىء ليجدوا عليه لوحة معدنية حفر عليها اسم كوغان، وقد عاد رفاته ليرسو عند الشاطىء قرب مسقط رأسه. ويقول فون في ختام روايته انه اعيد دفن كوغان بالاحترام اللائق قرب الكنيسة التي عمدّ فيها.

هل كان ذلك مجرد مصادفة عمياء؟ ربما. لكن كستلر يلاحظ ان البحوث البيولوجية والفيزيائية الحديثة تشير بقوة الى نزعة اساسية في الطبيعة الى ابتداع النظام من الفوضى. ويبدو ان هذه النزعة توجهها قدرة تتجاوز ما نعرفه من مؤثرات واسباب.

ويستطرد كستلر في كتاب "جذور المصادفة": "اننا محاطون بظواهر نتجاهل وجودها. واذا استحال علينا تجاهلها، فاننا نرفضها على انها اوهام او خرافات. لقد عاش الانسان قروناً طويلة من دون ان يدرك انه محاط بقوى مغناطيسية". ومن ثم، يمكن التفكير في اننا نعيش مغمورين بحقل مغناطيسي - نفسي تتأثر به تلك الامور التي نسميها مصادفات.

اياً تكن طبيعة المصادفة، فان لكستلر رأياً خاصاً فيها، وهو يقول في ختام كتابه: "المصادفة هي لعبة القدر".

ولنا من القصة المئة التي يوردها الان فون في كتابه دليل بيّن على ان هناك من المصادفات ما لا يقتصر على الدعابة. وقد رواها انتوني كلانسي، وهو من اهالي دبلن، عاصمة جمهورية ايرلندا:

"كان مولدي في سابع ايام الاسبوع، في السابع من الشهر وفي اليوم السابع من السنة السابعة من القرن. وكنت الابن السابع لرجل كان بدوره الابن السابع لابيه. وكان لي سبعة اخوة. ان هذه الارقام كلها تشكل سبع سبعات. وفي عيد ميلادي السابع والعشرين وقع اختياري على بطاقة رهان في سباق الخيل في الشوط السابع. وكان الحصان يحمل الرقم ٧ واسمه "السماء السابعة" وكان الرهان عليه بنسبة سبعة الى واحد. فراهنت عليه بسبعة شلنات، وجاء ترتيبه سابعاً في نهاية السباق".

■ ادوار زيغلر



لا حدود لجنونه

يقول كونراد ايديناور المستشار الالماني الراحل: "اليس من المخيف ان تنحصر الحكمة في مثل هذه الحدود الضيقة، والا يكون لجنون الانسان اي حدود".

م.ر.

ماديرا جزيرة الجمال الاخضر

تلك الجزيرة الوعرة الخضراء مزيج رائع من الماضي الزاهر والحاضر النابض بالحياة



منظر جبلي داخلي

تبدأ الطريق عند مزارع الموز، ثم تنعطف عبر غابات الصنوبر الشديدة الانحدار. وما ان تخرج منها حتى تقابلها الهضاب القاحلة التي تكتسحها الرياح على ارتفاع الف متر فوق سطح البحر.

واشار اليّ الصديق الذي اصطحبني الى هذا المكان الشامخ من جزيرة ماديرا البرتغالية ان اتبعه. وصعدنا على الاقدام مسافة خمسين مترا، الى حافة فجوة هائلة غير منتظمة الشكل كانت في الواقع فوهة بركان خامد. وكانت الفجوة حافلة بالحقول الخصبة، تتخللها سقوف

القرميد في بيوت القرية. وتقول احدى الاساطير ان الراهبات في دير قريب لجأن الى فوهة البركان خلال غارة شنها القراصنة في القرن السادس عشر، وهناك انشأن مستقرا لهن. ولا يزال هذا المكان واحة خضراء تحتضنها المرتفعات القاحلة.

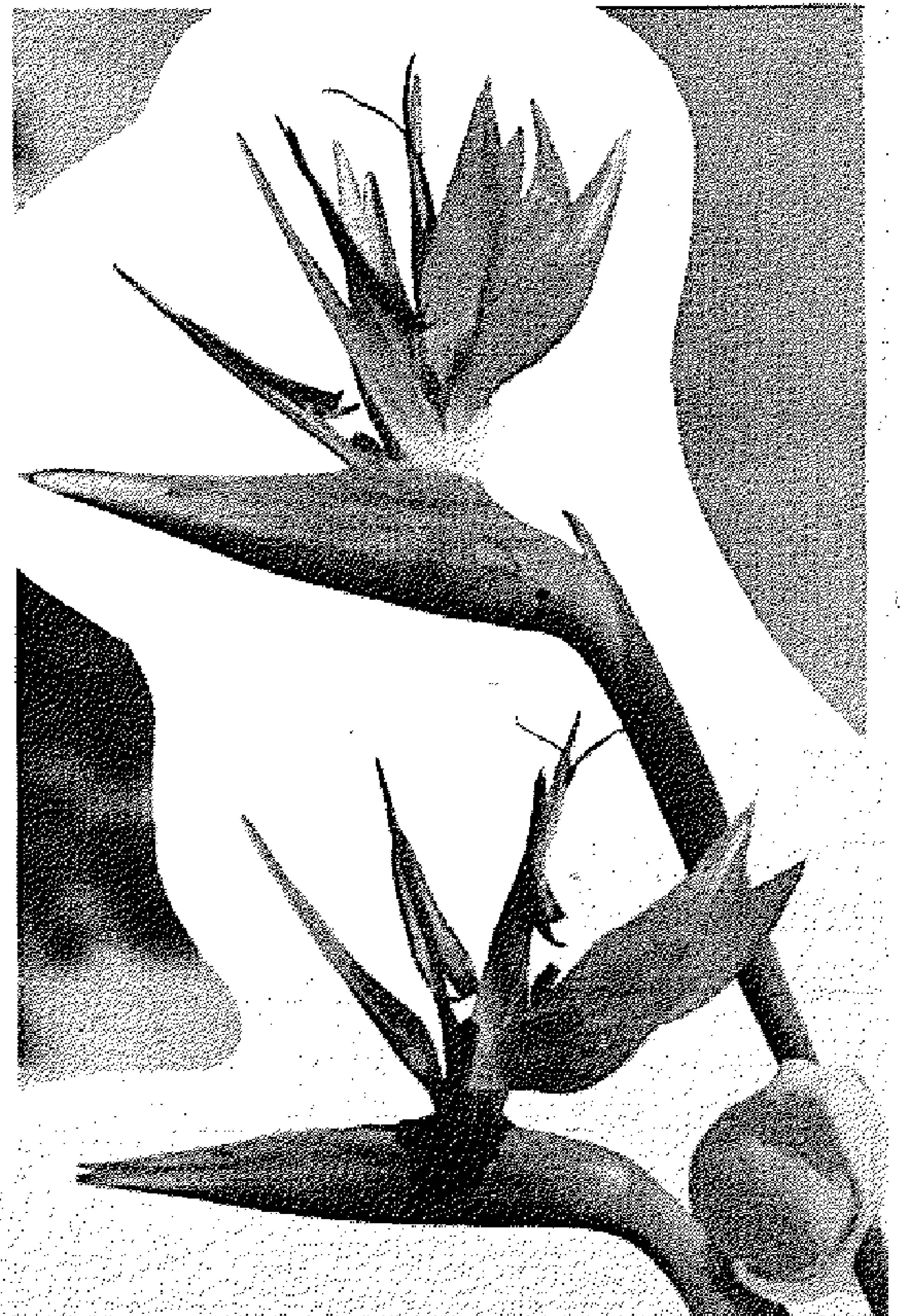
وبدت لي القرية الصغيرة رمزا لماديرا ذاتها، بعزلتها وانطوائها على نفسها وتدفقها بالجمال الاخضر. فهذه الجزيرة، التي لا تبعد عن شاطىء افريقيا الغربي الا ٥٤٥ كيلومترا، تزهو كجنة عدن. وهي تبعث على التراخي والكسل، وكأنها

احدى جزر جنوب المحيط الهادىء. وتتسم تربتها البركانية الخصبة بملاءمتها لاي نوع من انواع النبات شبه الاستوائي، وباعتدال حرارتها صيفا وشتاء.

ولا يزيد طول الجزيرة على ٥٦ كيلومترا. بيد ان ارضها الجبلية الوعرة تحمل على الاعتقاد بان المسافات فيها اطول مما هي في الواقع. وهي في كثافة سكانها، البالغ عددهم قرابة ٣٠٠ الف، تفوق الهند وبريطانيا واليابان. الا ان الجزيرة تشكو من مساحات شاسعة وعرة، يجتازها السائق طوال ساعة كاملة من دون ان يلتقي سيارة اخرى.

واستغل المزارعون انحدار الارض احسن استغلال. فاقاموا البساتين الصغيرة حيثما قل الانحدار، وزودوها بشبكة للري تستمد طاقتها من

عصفور الجنة

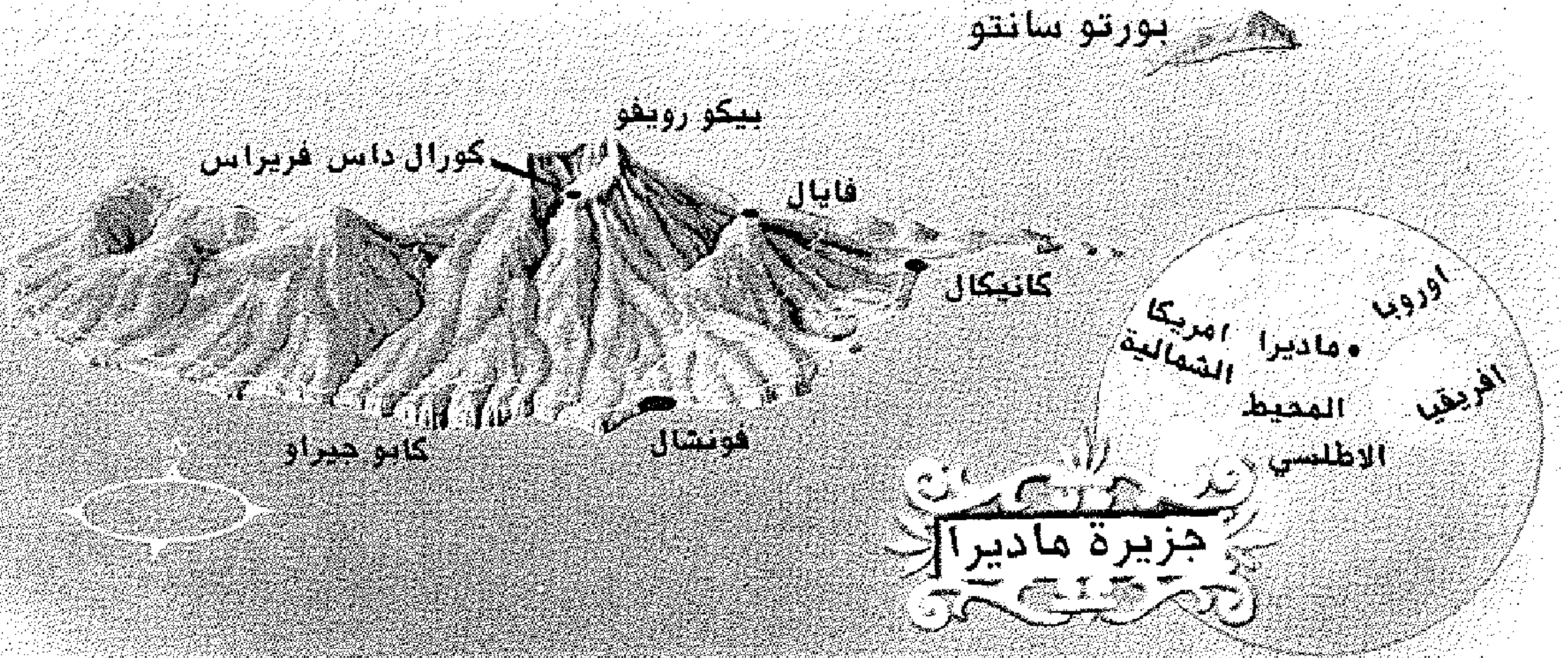


جاذبية الارض. ويتسنى للزائر ان يرى ثمار هذه الجهود صباح كل يوم في سوق المزارعين في فونشال، عاصمة الجزيرة. فهناك تتوهج اكشاك الباعة بانواع الفاكهة كالتين والفراولة (الفريز) والبابايا والغوافة (غوافيا) والمانغو (المانغا او الخرما). وتتألق البائعات بازيائهن التقليدية: المعطف الاحمر والتنورة المخططة بالاحمر والاصفر والحذاء الجلدي الابيض.

ولا يسعك ان تقيم فترة في ماديرا من دون ان تلفتك روح الاعتزاز التي يتسم بها اهلها. وعلى رغم شظف العيش ونزوح كثيرين من شباب الجزيرة بحثا عن العمل، فقلما يتذمر السكان. وتحضرني في هذا الصدد ذكرى الصياد الاشيب الذي التقيته وهو يرسي زورقه. وعندما سألته عن احواله، قال: "نحن نمضي عشرين ساعة في البحر، لكنها لا تكفي لدفع ثمن وقود السيارة". ثم انتصب باعتزاز وأضاف: "انا فرنسيسكو سوزا، ابن ادولفو سوزا الصياد".

وجاءنا ابناؤه الخمسة، فقدمهم الي متفاخرا: "نحن اسرة من الصيادين، نصيد في المواسم كلها، سواء اكانت حال البحر حسنة ام رديئة".

جزيرة البركان - كانت ماديرا ارضا بكرا عندما رسا فيها القبطان البرتغالي جواو غونسالفيس زاركو عام ١٤١٩. وكانت حافلة بالغابات، حتى ان المستوطنين الاوائل اطلقوا عليها اسم "جزيرة الخشب". وسرعان ما ساعد خصب الارض على نمو قصب السكر المستورد من صقلية. وازدهرت



زراعة الكرمة المستوردة من كريت وقبرص، واجتذبت خمور ماديرا اهتمام الذواقة في انحاء العالم.

ويتميز الاهالي الاصليون بالشعر الاسود والبشرة السمراء الشائعين في شبه جزيرة ايبيريا. اما اذا توغل الزائر في الطرف الشرقي من الجزيرة، فسوف تكون دهشته عظيمة عندما يرى القرويين الشقر بعيونهم الزرقاء. ويعود ذلك الى قدوم الانكليز الى ماديرا في القرن السابع عشر ونشاطهم في تجارة النبيذ. وهم لا يزالون يعملون في هذا المجال. ولا شك في ان وجودهم يضفي على هذه البقعة الجميلة طابعا رسميا يوحي بالتحفظ.

ومن المشاهد الصباحية المألوفة في مقاهي فونشال، توافد الموظفين البريطانيين المتقاعدين وهم يحملون اعدادا قديمة من صحيفة "التايمس" الانكليزية وكأنها مظلات مطوية تحت آباطهم.

وتبدو ماديرا في مخيلة زائرها وكأنها تضم ثلاث جزر: فهناك المنطقة الخضراء المشمسة حيث تنتشر المدن وقرى الصيد والفنادق الضخمة على الشاطئ. هناك الارض الوعرة في الداخل، بوديانها العميقة وحقولها الشديدة الانحدار. وهناك اخيرا المناطق المرتفعة التي يكتنفها الضباب وتكتسحها الرياح، حيث ينمو نبات الخلنج. لكن معظم السكان يعيشون في المنطقة الساحلية، ويستقر ثلثهم في العاصمة فونشال.

وتلتف فونشال حول مدرج من التلال الخضراء المنتصبة فوق الخليج، فتضفي عليها وهجا من الالوان. وتزهو بيوتها البيضاء المسقوفة بالقرميد البرتغالي بين البساتين.

وتنبسط مزارع الموز بين طرف المدينة والطرق المصونة بالاسوار، فتغري العابر بمدّ يده واقتطاف بعض ثمارها. وتزدان الشوارع باشجار الجكرندة الاستوائية الارجوانية

وغراس السحلبية (الاوركيدة) والبوغنفيلية. وقد رصفت معظم الشوارع الضيقة في المدينة بحصي بركانية سوداء بيضوية الشكل. واضافة الى تلك الحصي، هناك شواهد اخرى على ان ماديرا تنحدر من سلالة العنف البركاني.

لقد بنيت جدران الكاتدرائية الضخمة، التي يرجع تاريخها الى القرن الخامس عشر، من الحجار البركانية، كذلك قلعة ساو لورنسو المهيبة، التي لا يزال مدفعها القديم شاهدا على الاستعداد لصد القراصنة.

مزيج سحري – ركبت حافلة مخلعة في رحلة تستغرق نصف ساعة بين فونشال ومونت. وتلك مدينة جميلة تجثم على كتف هضبة، تحت مزار السيدة العذراء شفيعة ماديرا. ويرجع تاريخ المزار الى القرن الثامن عشر. وفي ١٥ اغسطس (آب) من كل عام، يحتفل بذكرى رقاد العذراء. فيتوافد الحجاج بالآلاف ويصعد كثيرون منهم، راكعين، درج الكنيسة الشديد الانحدار. ثم يدخلونها ليزوروا تمثال العذراء الصغير القديم المرتفع فوق المذبح. ويقال ان التمثال اكتشف في القرن الخامس عشر، في مكان قريب من موقع الكنيسة حيث ظهرت العذراء لراعية شابة. وفي مصلى صغير الى اليسار من صحن الكنيسة قبر الامبراطور تشارلز، ملك المجر وآخر اباطرة النمسا. وقد توفي هناك عام ١٩٢٢، بعد ارغامه على التنازل عن العرش ونفيه الى الجزيرة.

وخرجت الى نور الشمس الساطع. ووقفت على عتبة الكنيسة اجيل نظري من بعيد في ميناء فونشال الحافل بالحركة. وتلمست ذلك المزيج السحري الذي تنفرد به ماديرا: فهناك يقيم الماضي الرائع الى جانب الحاضر الحافل بالحياة والناعم بالشمس والبحر.

واذا ما شاء المرء ان يعود الى فونشال، ففي امكانه اعتماد وسيلة نقل محلية وفريدة يسمونها "كارو دي سيستوس". وقد استعملت تلك الوسيلة في الماضي لنقل براميل النبيذ وسواها من الاثقال الى المدينة، هبوطا على هذا المنحدر حيث لا تثبت الثلوج. اما اليوم فقد اصبحت تلك المقاعد القشية المريحة، المركزة على بكرات، احد المشاهد السياحية الطريفة في تلك الناحية. وهي تنزلق على الدروب الحجرية معتمدة فقط قوة الجاذبية الارضية.

ويجري على جانبي العربة رجلان، يعتمر الواحد منهما قبعة قش بيضاء، وينتعل جزمة مطاط. ويشد الرجلان الحبال لتوجيه العربة وتخفيف سرعتها. واذا احس المسافرون بشيء من الذعر فانهم يصرخون غير ان احدا لم يصب باي اذى خلال هذه الرحلات.

وتقوم منطقة الفنادق الفخمة في محاذاة الشاطئ الجنوبي الوعر، الى الغرب من فونشال. والشاطئ هناك ليس رمليا. فالجبال تنحدر من داخل الجزيرة نحو البحر في جروف صخرية شاهقة من البازلت. وليس في ماديرا سوى شاطئ رملي واحد، في طرفها الشرقي، مغطى بالرمال السود. ويستعين السابحون احيانا بالمصاعد والسلالم والارصفة كي يصلوا الى الماء.

وعلى الشاطىء الشمالي ترقد قرية بورتو مونيز، حيث تكونت برك طبيعية بين الصخور. وهناك يستطيع المرء ان يسبح في امان، على بعد امتار قليلة من الامواج الصاخبة.

وتنتشر على الشاطىء الجنوبي المتعرج قرى الصيد الصغيرة الراقدة في احضان الصخور. وتزخر المياه هناك بسمك الطون والمرلين وابو سيف. لكن السمك الذي تتميز به هو الاسبادا، ذلك السمك الطويل النحيل الشرس المنظر الذي يأتي من اعماق البحر، وتكفي السمكة الواحدة منه لوليمة عائلية. ورحت اراقب الصيادين في قرية كارا دي لوبوس يفرغون السمك من زوارقهم المطلية بالوان قوس قزح. وفي سوق السمك القائمة على الشاطىء، رأيت الصياد منهم يعلق سمكة تزن كيلوغرامين بكل واحدة من اصابع يديه، وينقل بين يديه عشر سمكات من الزورق الى الميزان.

تلك كنوزي - ورغبت في جولة سريعة على جميع ما ينمو في ماديرا من نبات. فقصدت الحدائق الفسيحة في كينتا دو باليرو في اعالي فونشال. وكان دخولها محظورا على سيارات السياح، ولا بد من الحصول على تذكرة دخول. وزرتها صباحا، فوجدتني وحيدا في ذلك البستان البديع. واخذت استنشق الهواء المنعش وسط شجر الكاميليا والسرو والخلنج والمغنوليا، واتأمل زهر طائر الفردوس وورقه الغريب المدبب، وورق شجر التنين الذي يشبه الخناجر.

والتقيت السيدة ميلد ريد بلاندي التي تعيش في كينتا دو باليرو، حيث تعنى منذ ٤٥ عاما بحديقتها الممتدة على مساحة ١٢ هكتارا. وقالت لي وهي تشير الى الزهر الرائع حولنا: "تلك كنوزي". واضافت بعد لحظة تأمل: "انها حقا مزيج من عالمين. فجزيرتنا هي احد الاماكن القليلة حيث تجتمع نبتات نصفي الكرة الشمالي والحنوبي في تعايش تام".

والواقع ان ٩٥في المئة من مزارع ماديرا لا تزيد مساحة كل منها على هكتار واحد، مما يحمل المزارعين على استغلال ارضهم الثمينة على افضل وجه والى اقصى حد. لذلك جعلوا الزرع على طبقتين: كروم العنب الوارفة الظلال، تستظل بها الخضر الممتدة على الارض. وتنتج هذه الكروم نبيذ ماديرا. ويأتي افضل انواع هذا النبيذ من مدن الهضاب الخلابة حول فونشال.

وانطلقنا بالسيارة شمالا في طرق ملتوية الى احد الكروم قرب قرية فايال. وهناك حدثنا مزارع لوحت وجهه الشمس، عن تراث حرفته. قال ان خمور ماديرا لم تكن ذات قيمة بادىء الامر. وكثيرا ما كانت تستعمل ثقلا لحفظ توازن السفن. ثم خطرت لاحدهم فكرة بارعة. ففتح برميلا من النبيذ لدى رجوعه الى الجزيرة، وتبين له ان النبيذ قد تحسن نوعه نتيجة للرحلة البحرية الطويلة.

وبعد ذلك درج المنتجون على تقليد مفعول تلك الرحلة عبر خط الاستواء، وذلك بوضعهم النبيذ الجديد مدة تسعين يوما في مكان دافىء تفوق

حرارته خمسين درجة مئوية· ثم يعمدون الى رفع نسبة الكحول فيه حتى يصبح النبيذ "سخياً" .

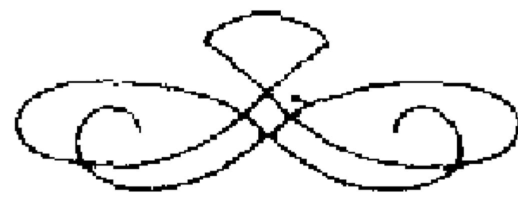
وفي النهاية يصدرون النبيذ بحرا الى انحاء العالم· ويكاد المعروض منه لا يفي بالطلب المتزايد·

وفي اليوم التالي لجولتي في منطقة النبيذ، توجهت بالسيارة عبر ممر جبلي يدعى انكوميدا· ولاحت لي في الافق قمة جبل بيكو رويفو (الذروة الحمراء)، اعلى جبال ماديرا، الذي يبلغ ارتفاعه ١٨٦١ متراً· ويكافأ متسلقو هذا الجبل بمشهد رائع خلاب، خصوصا عند شروق الشمس· فان في منظر الشروق من الذروة الحمراء روعة وبهاء يجعلان السياح يقضون الليل في فندق قريب من القمة·

والواقع ان المناظر الطبيعية الرائعة تنتشر في كل الجزيرة· ففي رأس كابو جيراو ينمو الصنوبر والكافور وزهر الحب، وتنتشر حتى الجرف الشاهق الذي يعد ثاني الصخور البحرية ارتفاعا في العالم· وامسكت بالسياج الحديد وانحنيت فوقه كي ارى مياه المحيط الاطلسي الصاخبة من ارتفاع ٥٨٠ مترا·

وتأملت الرقع الخضراء المتشبثة بالصخور: تلك البساتين الغناء التي انتزعها المزارعون من الصخر· ولئن يكن صحيحا ان سكان ماديرا الاشداء لا يقوون على ترويض الطبيعة، الا انهم اعطوا البراهين على تعايشهم معها في انسجام رائع·

■ **كينيث بيرنشتاين**



- لا يحسب حساب للغد بل لهذا اليوم· فاليوم نحن هنا وغدا قد نكون رحلنا·

(لوب دو فيغا)

وضع فريد

نشرت صحيفة فيتنامية رسالة التهنئة الآتية، لمناسبة زواج، في شكل مقطع شعري قصير:

يبدأ المصنع عمله هذا اليوم
ويسلم البضائع في السنة المقبلة·

ت·ل·ك·

اكتفاء

تعرض شرطي يعمل في دورية المرور لانتقاد لاذع لأنه وزملاءه لم يوقفوا قط سيارة رولز رويس لتجاوزها السرعة القانونية· فدافع الشرطي عن نفسه قائلا: "إن المسألة في غاية البساطة: انك لن ترى يوما مالك رولز رويس يتسابق لبلوغ اي مكان، فهو غير مضطر الى ذلك لأنه بلغ كل ما يريد"·

ت·م·

قاهر الآلام

اخيراً توضحت للشاب رسالته وعقد العزم على أن يكشف للمعاقين، امثاله، ذلك السر المدهش الذي يمكنهم من ادراك طاقاتهم الكامنة

هناك سرّ خاص يأخذ بالباب المشاهدين وهم يراقبون مرور الفارس امامهم على صهوة جواده غولدن بوي، وقد عصب احدى عينيه بلفافة من القماش الاسود.

شيء ما ينفح من طلعة الفارس ومن اللحمة بينه وبين مطيته. ثم تأتي المناورة الختامية الجريئة: دورة كاملة سريعة كالبرق الخاطف يشرئب لها المشاهدون مذهولين وكأن تياراً كهربائياً تغلغل فينفوسهم منتزعاً منها هديراً صاخباً من الهتاف والتصفيق.

ويغادر كلّ مقعده يخامره شعور غريب بأنه اصبح اقوى من ذي قبل، في حين يتساءل ذوو العاهات بشيء من التحدي: "ما دام هو يستطيع ذلك..." ان هذا الفارس الجريء، جيمس روبرت برونوت، اقام من ذاته برهاناً حياً على تمكن الانسان من تجاوز العقبات التي يبدو التغلب عليها امراً مستحيلا.

تبدأ القصة في المستشفى الميداني الخاص بالجيش الامريكي في لونغ بينه في فيتنام. ممرضة شابة تجلس الى جانب سرير يرقد فيه احد الجنود، تنتظر الرجل الوسيم الذي ارتسمت على محياه علامات المودة والثقة بالنفس.

كان الرجل دائم الحركة والنشاط.

جيم برونوت: رجل العام الامريكي المعاق.



Art: Arthur Shay

عندما كان طفلا في هيندزديل في ولاية الينوي الامريكية، لا يزيد عمره على اربعة اعوام ونصف عام، عاد والده توم برونوت يوماً الى المنزل وبصحبته جواد قزم سرعان ما امتطاه الولد الصغير. ولم تمض ايام قليلة حتى تبين ان الحصان شديد البطء، فتم استبداله بجواد معدّ للركوب اسمه بيغ بوي (الولد الكبير).

كانت الممرضة تجهل ذلك، كما تجهل ان جيم برونوت، عندما كان في السادسة، اخذ حقنتين من الحقن الثلاث الواقية من شلل الاطفال، ثم اصابه فجأة صداع عنيف فأسرع به اهله الى المستشفى، حيث وقع فريسة للشلل في نصفه السفلي وكان اول ما فكرّ فيه آنئذ حصانه بيغ بوي.

ورقد في سريره يحدق الى قدميه ويتساءل في يأس عن سبب عجزهما عن الحركة على رغم ما يبذله من جهد. وبعد ١٨ شهراً من المحاولات المستميتة، رأى احدى اصابع قدميه تتحرك. ولم يلبث ان غادر فراشه بعد بضعة ايام وكله ثقة في ان الفضل في شفائه يعود الى حصانه. لكنه تعلم من تلك المحنة ان امام الانسان احد اختيارين: إماّ ان يقف متفرجاً على الحياة وهي تتجاوزه، واما ان يكافح ليحتضنها ملء ذراعيه.

ابن وحيد ــ أجمع الاطباء على منع جيم من ركوب الخيل تجنباً لتفاقم التقوس المتبقي في عموده الفقري. وبيع حصانه بيغ بوي غير ان جيم لم يخضع لحكم الاطباء، حتى بعدما انتقلت اسرته الى مدينة شيكاغو. فكان ينفق النقود المخصصة لغدائه على الذهاب بالحافلة الى حظائر الخيل القائمة في ضواحي المدينة، حيث راح يعمل سائساً مقابل السماح له بركوب الخيل.

وخلال دراسته الثانوية عمل جيم في شركة اميريكان دريب ماستر لتنظيف المفروشات، مما اتاح له تمويل بعض جولاته على ظهور الخيل.

وبعد تخرجه من المدرسة الثانوية ومن احدى المدارس المهنية، تولى جيم ادارة احد فروع شركة التنظيف في مدينة شيكاغو. ثم جاءه الاستدعاء الى التجنيد، فتوجه الى اجراء الفحص الطبي.

وكان والده توم برونوت رجلا طويل القامة متين البنية وكان بحاراً في الاسطول الامريكي. وقد ساعده صوته الجهوري وعباراته اللاذعة على توطيد الامن والنظام في الحانة التي يديرها في شيكاغو وهو رجل صارم اشترك في الحرب العالمية الثانية ورأى اهوالها. لكنه اب لولد وحيد، ولذلك قال لابنه: "اخبرهم لدى الفحص الطبي بتقوس عمودك الفقري. ولن تلبث ان تعود الى البيت لتشاركنا العشاء".

وعلى مائدة العشاء سأل الاب: "هل منحوك اعفاء طبياً؟"

اجاب جيم: "بل صنفوني في الفئة الاولى".

فانفرجت شفتا برونوت الاب عن مجموعة عارمة من الشتائم، ثم عاد يسأل: "هل اطلعتهم على حالة عمودك الفقري؟

فرد جيم: "نعم، وقد قالوا انهم سيسندون الي عملا مكتبياً.

قال الاب: "ومتى سيتم تجنيدك اذاً؟"

وأجاب جيم: "لن يتم". ثم

استجمع شجاعته وقال: "لقد اخترت ان انخرط في الجيش، فتطوعت في الشرطة العسكرية"٠

والحق جيم بالجيش سائقاً لسيارة احد كبار الضباط٠ ووصل الى فيتنام مساء ٢٨ اغسطس (آب) ١٩٦٨٠ وفي اول اكتوبر (تشرين الاول) كان جيم وصديقه آل ليسيا متوجهين بسيارة جيب في دورية عادية الى احد المواقع الامامية، عندما انفجرت تحت السيارة شحنة ناسفة٠ وفي الصباح التالي، كان جيم راقداً في سريره في المستشفى الميداني، تتأمله عينا الممرضة الشابة٠ وعلى حين غرة، فوجئت به يستيقظ٠

وصاح: "هيه! يجب ان اعود الى الموقع"٠

فقالت بصوت منخفض: "كلا يا جيم لا يمكنك ان تذهب"٠

قال: "لا تقولي هذا"٠ ونظر حوله يدرس مكانه الجديد، ثم سألها: "لماذا لا استطيع الكلام بشكل سوي؟"

اجابت: "ان فكك وانفك مكسوران، وقد اضطررنا الى وضع انوبة في حلقك كي تستطيع التنفس"٠ واستطردت تقول ببطء وحرص: "كما انك يا جيم فقدت عينك اليمنى"٠

وسكتت برهة كي تتيح له الوقت الكافي لاستيعاب ذلك كله، لكنه كان قد استشف شيئاً آخر، فقال بلهجة متسائلة انه يشعر بالم في ذراعيه٠

قالت: "ان ذراعك اليمنى يا جيم قد كسرت وخلع مرفقها، كما بتر الجزء السفلي من ذراعك اليسرى٠

قال: "ساعديني على الجلوس"٠

قالت: " لا يمكنك ذلك يا جيم، ولا بد أن اطلعك على أمر آخر ايضا"

قال: "حسناً، ماذا عندك بعد؟"

وانهمرت دموع الممرضة وهي تقول: "ان ساقيك قد بترتا من اعلى الركبتين٠ أما صديقك فلم يكن ممكنا انقاذه"٠

بقي اسم جيم ١٥ يوماً على قائمة الحالات الخطيرة، اقلته الطائرة بعدها الى اليابان تمهيداً لنقله الى الولايات المتحدة، حيث ادخل مستشفى فيتز سيمونز العام في دنفر في ٢١اكتوبر (تشرين الاول)٠

ارادة سحرية ـ كان جيم من اوائل المصابين الوافدين من فيتنام والذين بترت ثلاثة من اعضائهم٠ وسارع الاطباء الى اسعافه ببرامج التأهيل وزوّدوه باطراف اصطناعية قصيرة وغليظة، وجدها جيم مزعجة ومرهقة٠ لكن المشرف على تأهيله، الملازم ديفيد غي، حثه على التدرب عليها٠

وذات يوم عاد جيم من جولة مرهقة للتدريب على المشي، واعلن عزمه على الاقلاع عن المحاولة، مخاطباً مدربه: "اسمع يا ديف، لن استطيع بعد الان ان اخطو خطوة واحدة بهذه الاشياء"٠

فقال المدرب: "بل أنت تستطيع٠ وسوف تقطع بهما كامل المسافة الى كرسيك ذي العجلات"٠

وسار جيم مرغماً ثم قال: "هل تعلم انه يسرني سروراً عظيماً ان ادعوك سيدي؟"

قال المدرب: "وكيف ذلك؟"

قال جيم: "لان في بيتنا كلباً قبيحاً من نوع سان برنار اسمه سيدي٠

فقال المدرب: "بعد التفكير ملياً يا برونوت ارى انه ينبغي ان تسير الى جناحك على طرفيك الاصطناعيين٠

وقطع جيم المسافة. وفي اول اغسطس (آب) ١٩٦٩، ودعه الاطباء والمدربون في مستشفى فيتزسيمونز وهم فخورون بما انجزوه.

وعاد جيم الى شيكاغو مغتبطاً برجوعه الى جانب ابيه الذي كان قد ترمل في تلك الاثناء، وباستئناف عمله في شركة تنظيف المفروشات. وكان جيم ووالده يتوقان الى الاماكن الفسيحة، فابتاعا مزرعة مساحتها حوالي اربعة هتكارات في ولاية ويسكونسن على ضفة نهر الميسيسبي. لكن رطوبة الجو نفذت الى جراح جيم، فعاد الى مستشفى فيتزسيمونز في يناير (كانون الثاني) ١٩٧٠، حيث تبين ان العظام التحمت في مرفقه الايمن فلم يعد يقوى على ثني ذراعه. وكان ذلك نذير شؤم، علماً منه بأنه اذا فقد قدرته على استخدام تلك الذراع فان امره يكون منتهياً.

ويقول جيم: "لم تكن هناك طريقة مألوفة لاجراء تلك العملية. لكن الرائد الجراح جيري موريس تولى ازالة العائق العظمي من المرفق فاصبحت قادراً على ثني ذراعي اليمنى من جديد. والحقيقة اني سأبقى مديناً بالشكر لذلك الرجل كل حياتي".

خلال فترة النقاهة، عاد جيم الى غرامه الاول - ركوب الخيل. فصمم سرجاً ذا حزام، واستعاض عن المهمازين بجيبين خاصين عبر السرج ليضع فيهما القطعتين الباقيتين من ساقيه. وتولى وليم كونواي، صانع السروج في البلدة المجاورة، تنفيذ تلك التصاميم. وعاد جيم برونوت، بفضل قدرته شبه السحرية على التفاهم مع الخيل، يمارس الركوب.

واشترى جيم من احد اصدقائه فرساً عريضة الصدر من سلالة مورغان اسمها كانكان المنتصرة راح يمتطيها خلال الاشهر التالية في استعراضات الخيل وفي الحملة الوطنية لتشغيل المعاقين.

وعين جيمناظراً على مزرعة للخيل خارج مدينة دنفر مساحتها ١٢٠٠ هكتار تقريباً. فأقام في كوخ ملحق بالمزرعة، واتيح له ان يعنى بتربية خيوله الخاصة. واقتنى جيم ثلاثة جياد بدأ يدربها، على رغم اعبائه اليومية في تدريب اربعة اخرى ورعايتها.

رسالة مقدسة - في تلك الفترة حدث امر حاسم: فقد اتصل توم هاتفياً بابنه جيم ينبئه بقدومه بصحبة ابن احد اصدقائه، جيري شولتز. وكان هذا فتى في التاسعة عشرة مصاباً بالشلل الارتجافي. ولم يتمكن جيري من المشي الا في السابعة، وقد تولى امره اختصاصيون عدة في العلاج الطبيعي. وكان في ذلك الوقت نزيل احد المستشفيات الكبرى لاعادة التأهيل، حيث كلف بتعبئة كرات تنس الطاولة (بينغ - بونغ) في اكياس من بلاستيك.

وصل توم، ومعه جيري ووالداه، الى المزرعة. فاستقبلهم جيم ممتطياً فرسه كانكان، وراح يسابق بها السيارة حتى الكوخ. وعندما توقفت السيارة تسمرت عينا الفتى على جيم برونوت فاذهلته طلعة الفارس الاخاذة، وهو يسير بكانكان الشهباء الجميلة الى داخل الحظيرة.

واتفقوا على ان يقيم جيري مع جيم في الكوخ بعض الوقت. وبعد رحيل والدي جيري، ذهب جيم الى

الحظيرة حيث رأى جيري وكانكان يتبادلان نظرات مفعمة بالمعاني. وادرك جيم ما يشغل بال الفتى، فقال له: "انك لن تستطيع مجرد التفكير في ذلك قبل ان تتولى العناية بها. واول ما ينبغي لك ان تفعله هو جر رزمة التبن تلك من المخزن الى الحظيرة".

وكافح جيري شولتز، لان الرزمة لم تكن كرة بينغ - بونغ"، وهي تكاد تزن ٣٥ كيلوغراماً. لكنه تمكن من جرها الى الحظيرة. وكان لا بد ايضاً من تنظيف الاسطبل، وكذلك حوافر كانكان.

وقاد الشابان الفرس الى رصيف قريب. وجاهد جيري ليمتطيها، ثم توقف ليستريح واعاد الكرة وهو يلهث بشدة، بينما وقفت الفرس ساكنة هادئة. وفجأة استوى جيري شولتز فوق السرج مرتجف الاعصاب، لكنه صاح بجيم: "اطلقها!".

واعتلى جيم صهوة جواد آخر، ورافقه مسافة قصيرة ممسكاً بعنان كانكان، ثم افلته. ولم يكن جيري يأمل اعتلاء صهوة جواد مرة اخرى، فظل على ظهر كانكان ساعات طويلة، قطع خلالها كيلومترات كانت اكثر المسافات اثارة في حياته.

وهكذا اكتشف شولتز في يوم واحد انه يستطيع قهر المستحيل. كما اكتشف جيم في اليوم نفسه شيئاً آخر، لقد توضحت له رسالته في الحياة وعقد عزمه على ان يكشف للمعاقين - كل المعاقين الذين يتاح له الاتصال بهم - ذلك السرّ المدهش الذي يمكنهم من ادراك مدى ما يستطيعون.

اقام شولتز مع برونوت مدة اسبوعين، اصبح في نهايتهما قادراً على توجيه كانكان عبر مسالك تتخللها العوائق، والوثوب بها فوق البراميل. وكانت تجري به كالريح عبر السهول. لكنه بقي يجد صعوبة في اعتلاء الفرس والنزول عنها. فاعتمد سلاح الارادة، وكانت النتيجة ان غادر المزرعة في نهاية الاسبوعين شخصاً مختلفاً تماماً.

ورأى برونوت من خلال تلك التجربة ميلاداً جديداً يتحقق، فاتجهت رغبته الى الاشراف على مزرعة للترويح عن المعاقين ومعاونتهم على اكتشاف قدراتهم الكامنة. ورأى بعين خياله مزرعة تضم ١٥ او ٢٠ حصاناً يفد اليها المعاقون فرادى او مجموعات صغيرة لقضاء بضع ساعات او بضعة ايام او اسابيع، ويلقى فيها كل منهم التشجيع على القيام بكل ما يجرؤ عليه. وقد قال لابيه: "لن تكون في مزرعتي اي برامج تدريبية منظمة". فعقب ابوه على ذلك: "آمين. ولا اي شيء من ذلك اللغط السيكولوجي المزعج. ولكن قل لي يا بني، من اين يأتي المال؟"

كان جيم يحصل على مكافآت طيبة لقاء الاستعراضات التي يقدمها للجمهور لحساب برنامج الدعوة الى تشغيل المعاقين، فضلا عن انه اصبح يشترك بانتظام في استعراضات الخيل منافساً مدربين محترفين وكانت مهارته في ركوب الجياد تثير حماسة منافسيه واعجابهم. اما ان يبلغ جيم من ذلك ما يتيح له تأمين ثمن مزرعة، فأمر لم يكن وقته قد حان بعد.

حياة جديدة - بعد ذلك ببضعة اشهر، خلال جولة استعراضية في غرب الولايات المتحدة، كان جيم

وابوه يجتازان بشاحنتهما تلال مقاطعة سان لويسوبيسبو فيولاية كاليفورنيا. وشغف جيم باراضي المزارع الدكناء المنبسطة امام عينيه، ولاحظ ان مجاري الانهار الجافة قد تصلح ممرات طبيعية للخيول. وتوقفا عند مزرعة بدت غير آهلة قرب بلدة كريستون. وبعد اجراء استقصاءات توصلا الى سمسار رتب لهما امر زيارة المزرعة.

وادرك العجوز توم على الفور ان تلك المزرعة هي المكان المثالي لتحقيق حلم ابنه. وكان ثمنها يفوق مستوى مواردهما، وان يكن معقولا بالنسبة للمزرعة نفسها. وذهب الاثنان الى المصرف،ورتبا امر الحصول على قرض.

ولم تصحب افتتاح المزرعة اي حملة اعلامية،لكن الناس تملكهم العجب وهم يتساءلون كيف يمكن رجلا بذراع واحدة وعين واحدة ان يعنى بامور ١٤٨ هتكاراً. وقد اثارت المزرعة قدراً كبيراً من الدهشة والفضول، وانتشر خبرها.

وكان باد هيلد نبراند في طليعة القادمين. وقد وصل الى المزرعة في كرسي ذي عجلات وهو يعاني آثار اصابة في راسه حدثت له في شمال افريقيا خلال الحرب العالمية الثانيةوخلفت شللا في ساقيه واحدى ذراعيه. غير ان جيم، قبل ان تغرب شمس ذلك اليوم، نجح في اعلاء هيلدنبراند فوق صهوة احد جياده.

ثم جاء ريك كولينز الذي كان قد فقد القدرة على استخدام يديه، وأصبح تصنيفه الطبي "شللا رباعياً يمنع المشي" نتيجة لاصابته في فيتنام بطلقة مدفع رشاش استقرت في مؤخر عنقه. وقد توصل جيم وتوم الى طريقة تتيح له اعتلاء ظهر حصان. فأمضى ريك في اليوم الاول اربع ساعات تقريبا على السرج. وفي اليوم التالي قام باكرا وطلب ان يأتوه بحصان.

وبينما كان المرضى الاوائل يغدون تباعاً الى المزرعة، كان عدد الجياد يزداد فيها. فقد كان جيم يدرب المهرين كان - غو وكان - دو اللذين ولدتهما كانكان. ثم اضاف اليهما غولدن بوي وجياداً اخرى وهبه اياها اصحاب المزارع المحليون.

وادرك جيم أن الاشتراك في استعراضات الخيل التنافسية هو افضل الطرق لابراز قضية المعاقين. ولم يلبث جدار التذكارات في المزرعة. ان امتلأ بجوائز الفروسية.

وكان برونوت حين يتحدث يقول دائماً: "نحن في المزرعة"، اذ تكونت حوله جماعة متزايدة العدد، منها الآن امرأة مقيمة، هي جيريل كلارك برونوت، التي وقعت منذ ثلاث سنوات عقداً للعمل مدربة على السباحة واصبحت اليوم زوجة لجيم.

وقد تجاوز نشاط جماعة المزرعة حدود اغراضها الخيرية فأصبحوا يهتمون ايضاً بدعمها المادي، علماً بأن برونوت لا يتقاضى اي اموال من ضيوفه المعاقين. ويعقد مجلس ادارة المزرعة اجتماعاً رسمياً مرة في الشهر.، لكنه يتناقش شؤونها العادية ثلاث مرات او اربعاً في الاسبوع. ويحدث ذلك عادة في اثناء قيام الاعضاء بجرف الحصى او طلاء المباني او اقامة السياجات.

وتتألف جماعة برونوت فيمعظمها من "خريجي" المزرعة. وعلى رغم ان

جيري شولتز كان في طليعة القادمين، فقد تمكن من تعلم السباحة ولعبة البولينغ. اما ريك كولينز فاصبح له جواده الخاص وهو الآن يجني ارباحاً من اصلاح السيارات القديمة الطراز التي ينشدها الهواة وبيعها لهم. وهناك غيرهما كثيرون نجحوا في بناء حياة جديدة لهم.

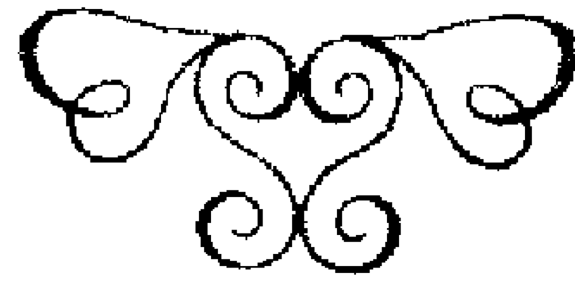
وفي مايو (ايار) ١٩٧٩ منح جيم برونوت ارفع شعار امريكي لتكريم المعاقين، وهو لوحة "رجل العام الامريكي المعاق" التي تحمل توقيع الرئيس جيمي كارتر. وقد كانت المناسبة لحظة اعتزاز لجيم برونوت واسرته، بل لآلاف الذين يصارعون ظروفاً بالغة القسوة.

واليوم، اذا ما شئت ان تقدّر الجهد المتبقي على عاتق جيم كي يؤمن المسار السليم للمزرعة فلا بد من ان يطرأ على ذهنك السؤال التالي:

"ترى هل ان موقفه المتفائل لا يزال مسايراً للواقع، ام انه استحال اسطورة لا مفر له من المحافظة عليها؟"

وقد وجهت اليه هذا السؤال ذات مرة، في ساعة متقدمة من النهار، بعد ان هدّأه التعب وبدا عليه الارهاق. وكان جالساً في كرسيه ذي العجلات على شرفة داره، وقد بدا غارقاً في التفكير. فانفرج وجهه فجأة عن ابتسامة بعرض قبعته الواسعة الحافة وقال: "لا بدّ للانسان من ان يختار دائماً بين امرين، فاما ان يقف جانباً موقف المتفرج على الحياة وهي تتجاوزه، وإما ان يخوض غمارها في كفاح".

■ وليم ايليس



براعة اللوردات

خلال فترة ما بين الحربين العالميتين، عرض المشرفون على فندق ريتز في ساحة البيكاديللي في لندن مبلغ مليون جنيه على اللورد ويمبورن مقابل التنازل عن قصره المهيب العائد الى القرن الثامن عشر بهدف توسيع الفندق، اذ كان القصر يقع خلف الفندق. وبعد عدة اشهر تسلم المشرفون رسالة من محامي اللورد تقول: "رغبة منه في توسيع حدائقه لتطل على ساحة البيكاديللي، يعرض اللورد على المشرفين مبلغ ٨ ملايين جنيه مقابل التنازل عن ريتز".

ك.ك.

فهم قصدها

حققت مغنية الاوبرا الشهيرة ماريا كالاس نجاحا هائلا عندما احيت حفلاتها في برلين الشرقية. وبلغ اعجاب الهير فالتر اولبريشت (رئيس الدولة آنذاك) بها درجة انه اعلن استعداده لتلبية كل ما تطلب السيدة كالاس. وكانت رغبتها في أن يزال الجدار بين برلين الشرقية وبرلين الغربية. فعلق الهير اولبريشت قائلا: "آه، فهمت قصدك!"

سفانت لوفغرن (مجلة "اكسبرسن" ستوكهولم)

١٠ تمارين لتقوية عضلات البطن

لما كانت الاستجابة للتمارين الجسدية، أياً تكن، تتفاوت بين شخص وآخر، فان خبراء الصحة وخبراء اللياقة البدنية يلفتون الانتباه الى ناحيتين:

اولا: من الضروري ابقاء الانحناء في أسفل الظهر منبسطاً ما أمكن، وذلك في اثناء تمارين تقوية عضلات البطن وسواها من التمارين المتعلقة بأسفل الظهر.

ثانياً: إن التنفس البطيء المنتظم خلال هذه التمارين ضروري، الا متى طلب خلاف ذلك. وإمساك التنفس خلالها قد ينتج عنه إجهاد إضافي للقلب. صحيح أن المظهر الجميل والشعور بالرضا سببان كافيان للحفاظ على نحافة الجسم، الا ان وراء العوامل الجمالية والنفسية أسباباً وجيهة تجعل لقوة عضلات البطن أهمية بالغة.

من أهم وظائف تلك العضلات حماية بعض أعضاء الجسم الأكثر حيوية وزيادة فعاليتها. ويحتوي التجويف البطني على الكبد والمرارة والمعدة والامعاء والبنكرياس والطحال والمثانة والكليتين. وتحمي عضلات البطن الأغشية التي تثبّت هذه الأعضاء في مواضعها وتمكنها من العمل الطبيعي.

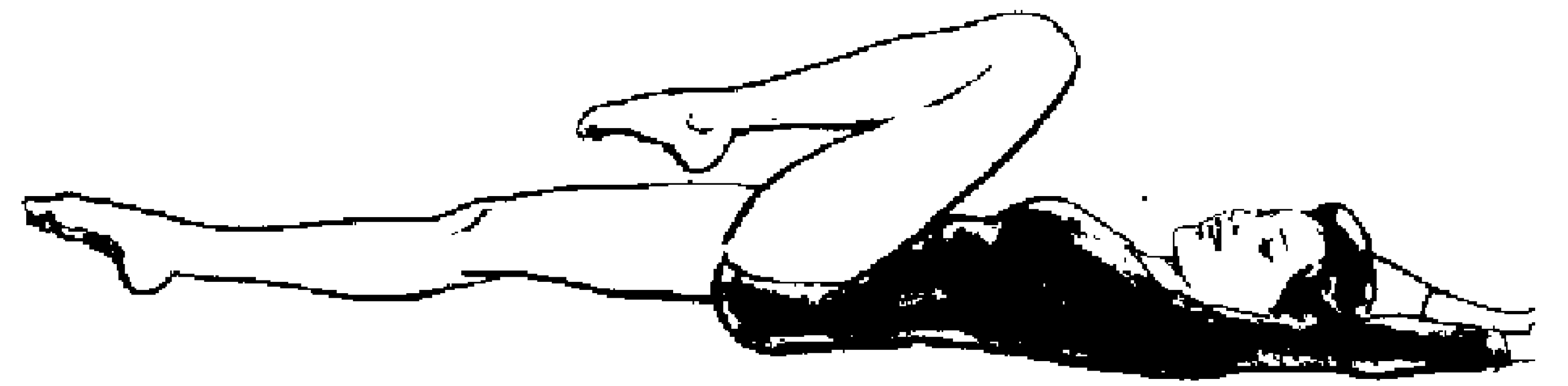
وتدعم عضلات البطن المنطقة السفلى من العمود الفقري. وتساعد متانتها على إزالة الألم من أسفل الظهر كما تساعد على تفادي بعض مشاكل الامساك.

إن في استطاعتك الحفاظ على معدة قوية سليمة إذا أضفت الى نشاطك اليومي بضعة تمارين لتقوية عضلات البطن. وليست هذه التمارين بديلا عن انظمة الحمْية أو التمارين الأخرى التي تهدف الى إزالة الشحم الزائد، بل هي مكملة لها.

إليك نصائح أولية تبدأ بها:

- استشر طبيبك قبل مباشرة اي تمرين. إن مدى التمرين الذي تبدأ به يعتمد اساساً على عمرك وحالتك الجسدية.
- إبدأ بترو، إذ تراوح هذه التمارين بين بسيطة ومعقدة، وعليك مقاربتها تدريجاً. ابدأ بنصف هذه التمارين مع إعادة واحدة، ثم بنصفها الآخر. واذا شعرت بتصلب أو ألم في اليوم التالي، فذلك يعني أنك تماديت فيها.
- قلّل أنواع التمارين تدريجاً وضاعف تكرارها إلى درجة تشعر معها بالارتياح. إني أقوم حالياً بثمانية تمرينات في ١٢ إعادة، لكن تحقيق ذلك استغرق وقتاً طويلا. وإذا لم تستطع القيام بها كلها فلا تقلق، بل قم بما تستطيع. وإذا بدا لك أحد التمارين معقداً او مسبباً للألم، فاتركه وعد اليه بعد أشهر. فإذا تطلب جهداً كبيراً دعه ثانية.

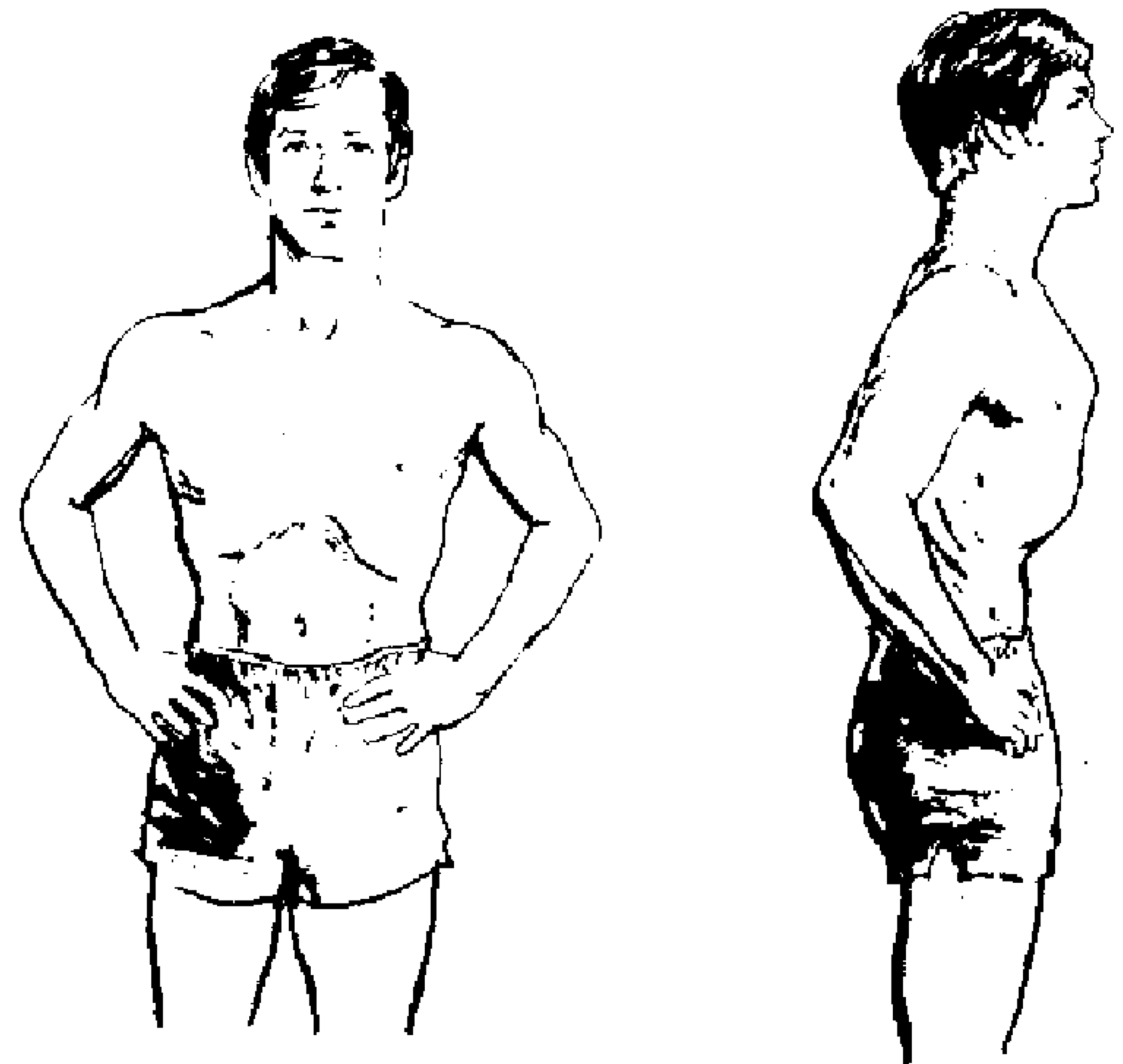
ـ عليك ممارسة هذه التمارين يومياً في اي وقت. إلا أن ممارستها صباحاً تقلل من إمكان ملّها والكف عنها.
ـ خذ أولا قياس جسمك عند الوسط مرخياً معدتك، ثم قلّص عضلات معدتك كي تنكمش الى الداخل وأعد القياس. سجل القياسين وأعد القياس مرة كل شهر. قد تشعر بقوة جديدة في عضلات البطن بعد أسابيع قليلة، لكنك لن تلمس هذا التحسن قبل شهر أو أكثر. واصل التمرين.



١ ـ تمدد على ظهرك ويداك فوق رأسك على الأرض. اتكىء بردفَيك على الأرض وركبتاك مرفوعتان قرب صدرك. مدّ رجلك في موازاة الأرض من دون ان تلمسها (الرسم)، ثم أعدها كما كانت، باسطاً رجلك الأخرى وكأنك راكب دراجة. أعد هذه الحركة اربع مرات.

٢ ـ لقد كنت، طوال حياتك، تمدد صدرك لدى الشهيق وترخيه عند الزفير. لكن في إمكانك تمديد صدرك حتى بعد الزفير الكامل. خذ نفساً عميقاً متحسساً تمدد صدرك، ثم احصر تفكيرك في مد صدرك وليس في إدخال الهواء. سترى أن في إمكانك مَدّ صدرك حتى من دون إدخال الهواء الى الرئتين. أخرج الهواء كلياً من الرئتين ثم مُدّ صدرك. إذا فعلت ذلك على نحو صحيح، تقلصت معدتك إلى الداخل. عندها حاول هذا التمرين:

قف، وقدماك في موازاة الكتفين، واضعاً يديك على الوركين. ازفر بقوة ثم مُدّ صدرك بمقدار استطاعتك. اكمش معدتك الى الداخل لمدة ست ثوان ثم عد الى وضعك الأول.



٣ ـ تمدد على ظهرك ورجلاك مثنيتان وركبتاك الى أعلى. ثبت قدميك وضع يديك خلف رأسك جاعلا أصابعهما متشابكة. أزفر، مرتفعاً بجذعك، وادخل رأسك بين ركبتيك (الرسم) اشهق عائداً الى وضعك الاول. ان وضع قدميك تحت قطعة أثاث، كخزانة او كرسي، يساعد على تثبيتهما.



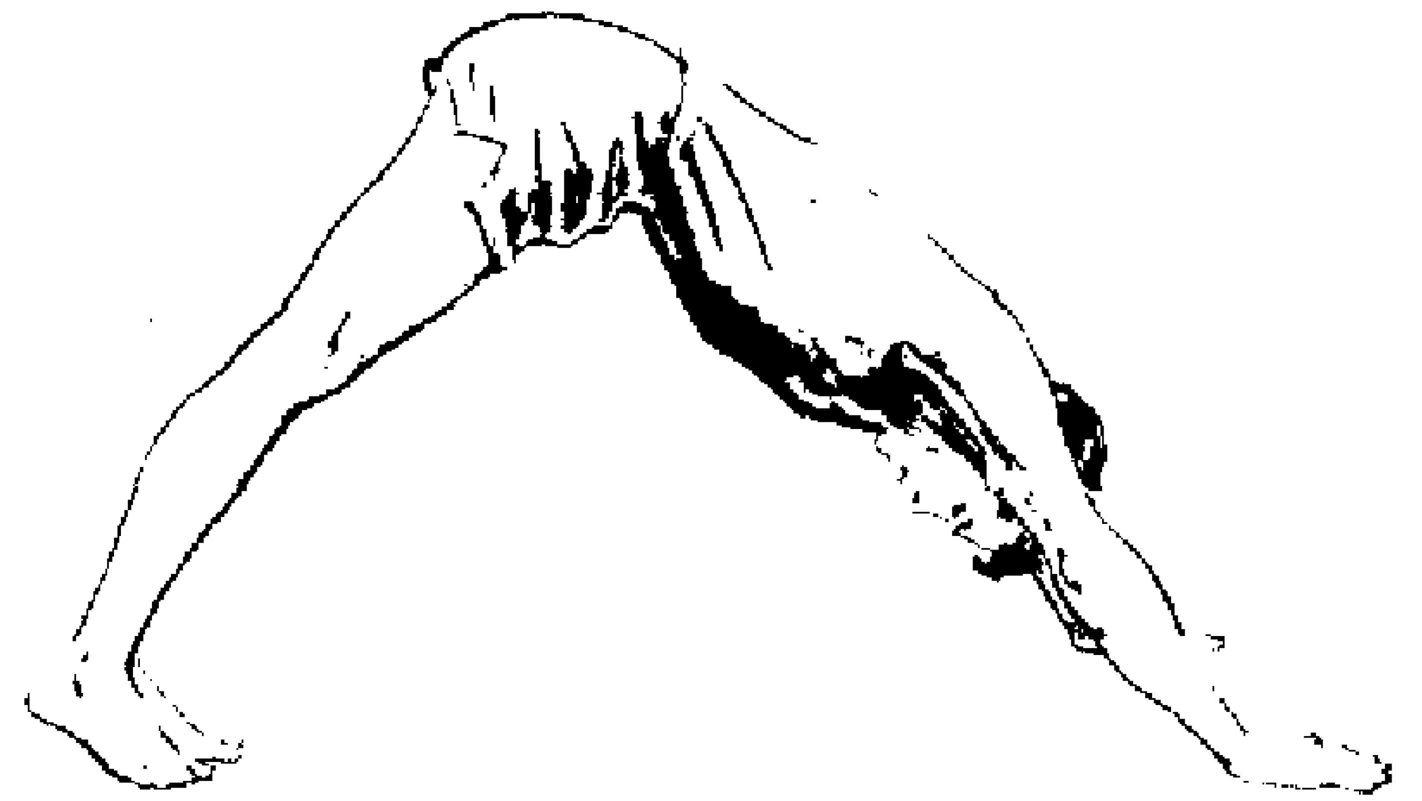
٤ ـ قف وقدماك متباعدتان، باسطاً ذراعيك جانبياً في موازاة الارض. ثبت قدميك وانحرف بجذعك يميناً بمقدار ما تستطيع (الرسم)، ثم تمطى الى اليمين بيديك الممدودتين. عُد إلى وضعك الاول وكرر الحركات ذاتها إلى اليسار.



٥ ـ قف وقدماك متباعدتان بمقدار مريح، رافعاً يديك عالياً في موازاة الكتفين.. انحنِ بسرعة إلى الأمام، ثانياً ركبتيك، والمس الأرض وراء قدميك ما استطعت ويداك ممدودتان بينهما (الرسم).



٦ ـ تمدد على بطنك وكفاكّ على على الارض أمام الوركين وفي اتجاه الكتفين، ومرفقاك إلى أعلى. ثبّت كفّيك



وقدميك وارتفع برأسك وذراعيك وصدرك، مقوّساً ظهرك ما استطعت، ثم ارفع مؤخرتك حتى يصبح جسمك في شكل ٨. اتكىء على قدميك جاعلا ذراعيك ورجليك في وضع مستقيم، وشد عضلات معدتك كي تنكمش الى الداخل (الرسم). إبقَ في هذا الوضع ستّ ثوان، ثم انزل مؤخرتك إلى التقوس السابق وعد إلى وضعك الأول.

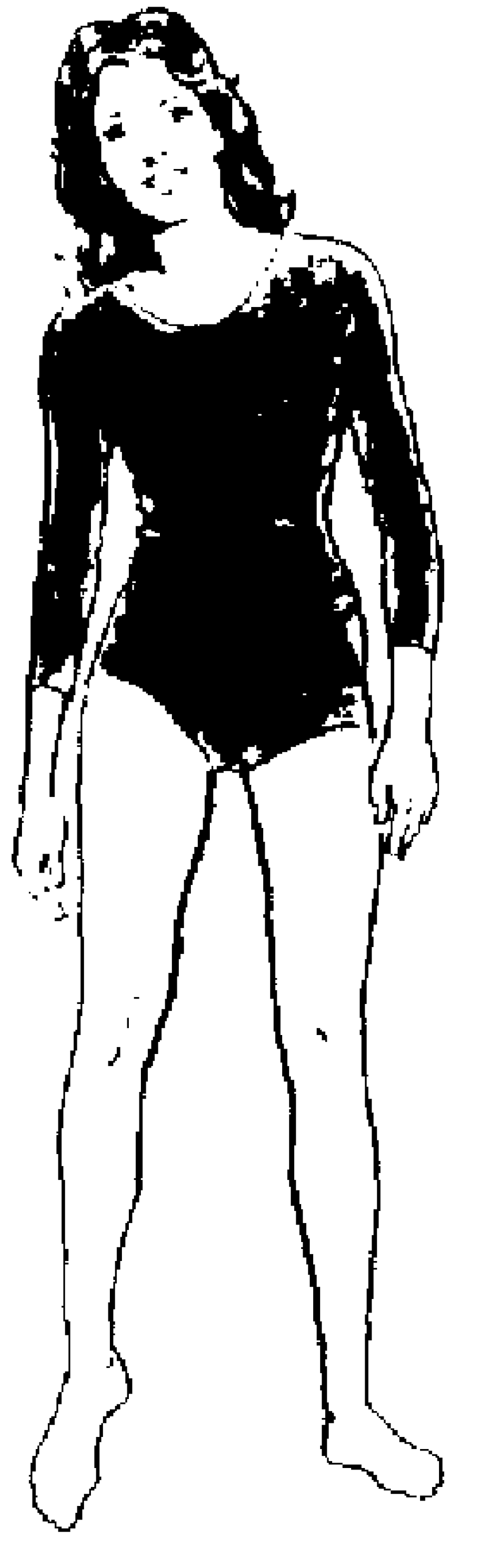
٧ ـ اجلس وركبتاك مثنيتان الى أعلى وقدماك على الأرض (يفضّل تثبيتهما بقطعة أثاث) ويداك متشابكتان وراء رأسك. إنحنِ إلى الخلف حتى يشكل جذعك زاوية من ٤٥ درجة مع الأرض. استدِر ما استطعت، يميناً ثم شمالا (الرسم).



عد إلى وضعك السابق (جالساً)، واستدر شمالا ثم يميناً.

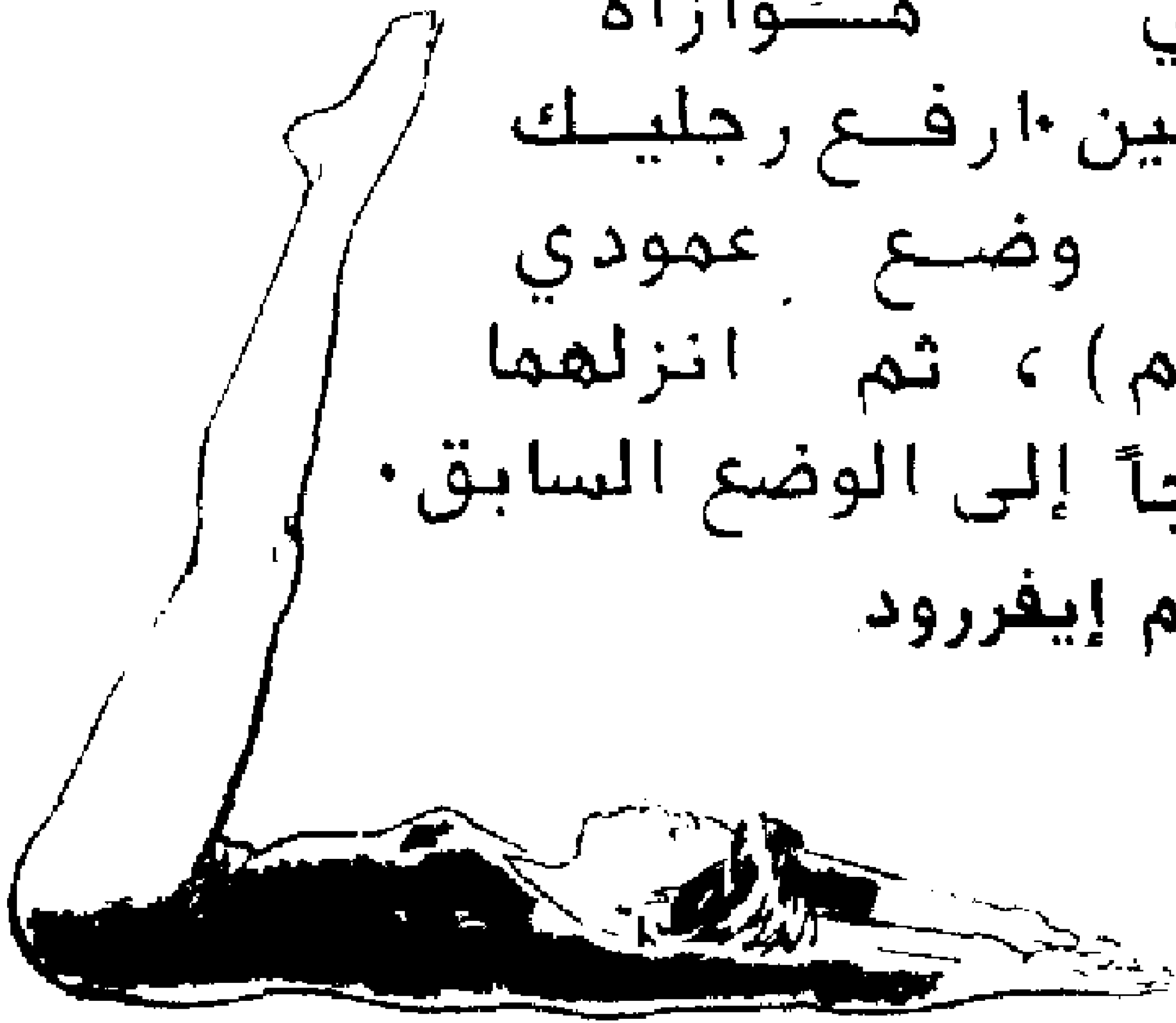
٨ ـ قف وقدماك في موازاة الكتفين، سانداً يديك إلى الوركين. مُرّ بيدك اليسرى فوق رأسك والمس أذنك اليمنى. انحنِ جانبياً إلى اليمين، منزلقاً بيدك اليمنى على رجلك الى اسفل ما استطعت (الرسم)، من دون الانحناء الى الامام او الى الخلف. عد الى وضعك السابق وكرر التمرين الى الجهة اليسرى.





٩ ـ قف وقدماك في موازاة الكتفين، مرخياً ذراعيك. إرفع وركك اليمنى جانبياً في اتجاه الكتف، رافعاً قدمك اليمنى عن الأرض. لا تحرك رجلك اليمنى جانبياً ولا تتعمد رفع قدمك. حاول ان تلامس بوركك الضلع السفليّ (الرسم). عد إلى وضعك الأول وكرر الحركة على الجانب نفسه، ثم أعد التمرين على جانبك الأيسر. وهكذا!

١٠ - استلق على ظهرك، ضاماً قدميك وأصابعهما موجهة، وابسط يديك على الارض فوق رأسك في موازاة الكتفين. ارفع رجليك الى وضع عمودي (الرسم)، ثم انزلهما تدريجاً إلى الوضع السابق.



■ جيم إيفررود

كتب الشاعر البريطاني الكبير رديارد كيبلنغ الى صحيفة اوردت خطأ خبر وفاته:
"لما كانت صحيفتكم حسنة الاطلاع عموما، فلا بد من ان يكون الخبر صحيحا. لذا ارجو الغاء اشتراكي اذ لن يعود بفائدة عملية علي".

م.ر.

منفعة الثقافة

كان الكاتب اوريليان شول في حاجة الى المال، فأرسل المذكرة الآتية الى أحد اصدقائه:
اسمح لي بالاستشهاد بأقوال عظماء الكتّاب:
- ان تغتنم الفرصة لأداء جميل، يعني ان تضاعف قيمته.

ح.د.

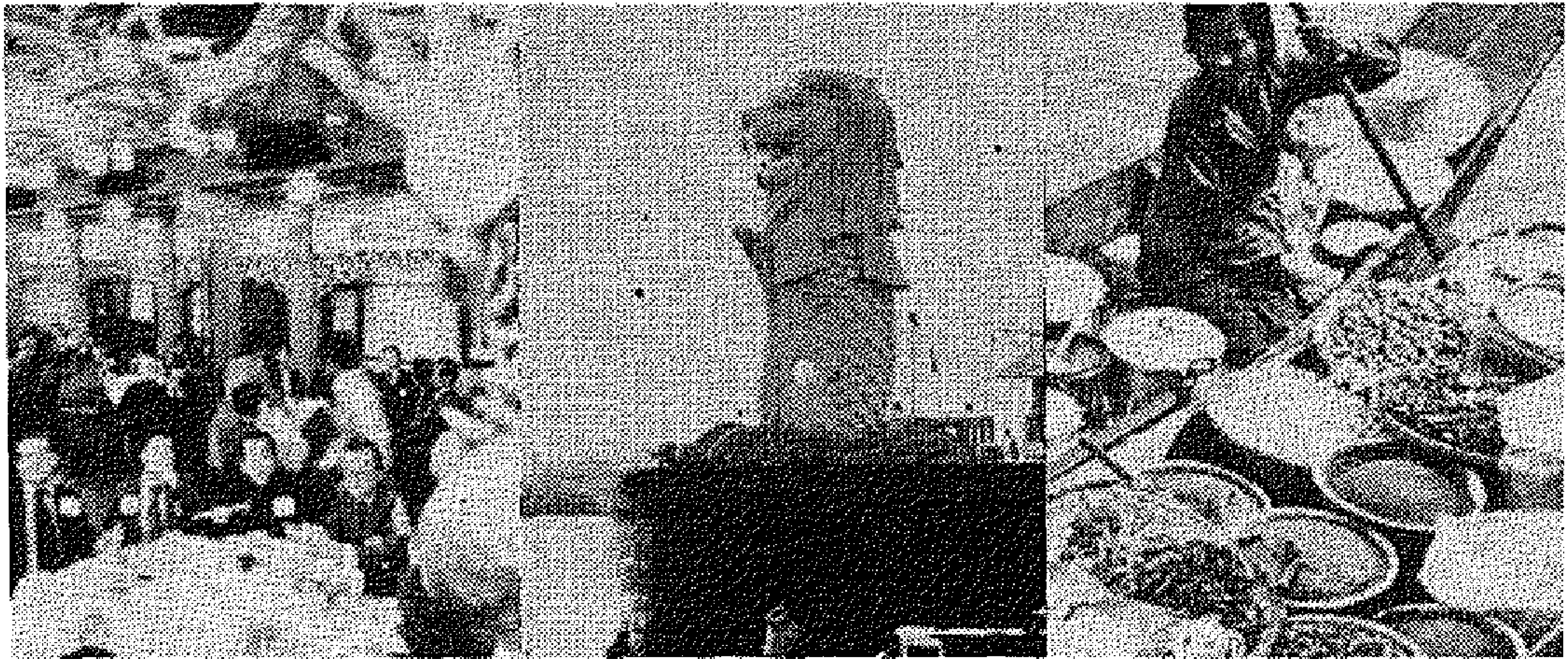
أنواع العطر

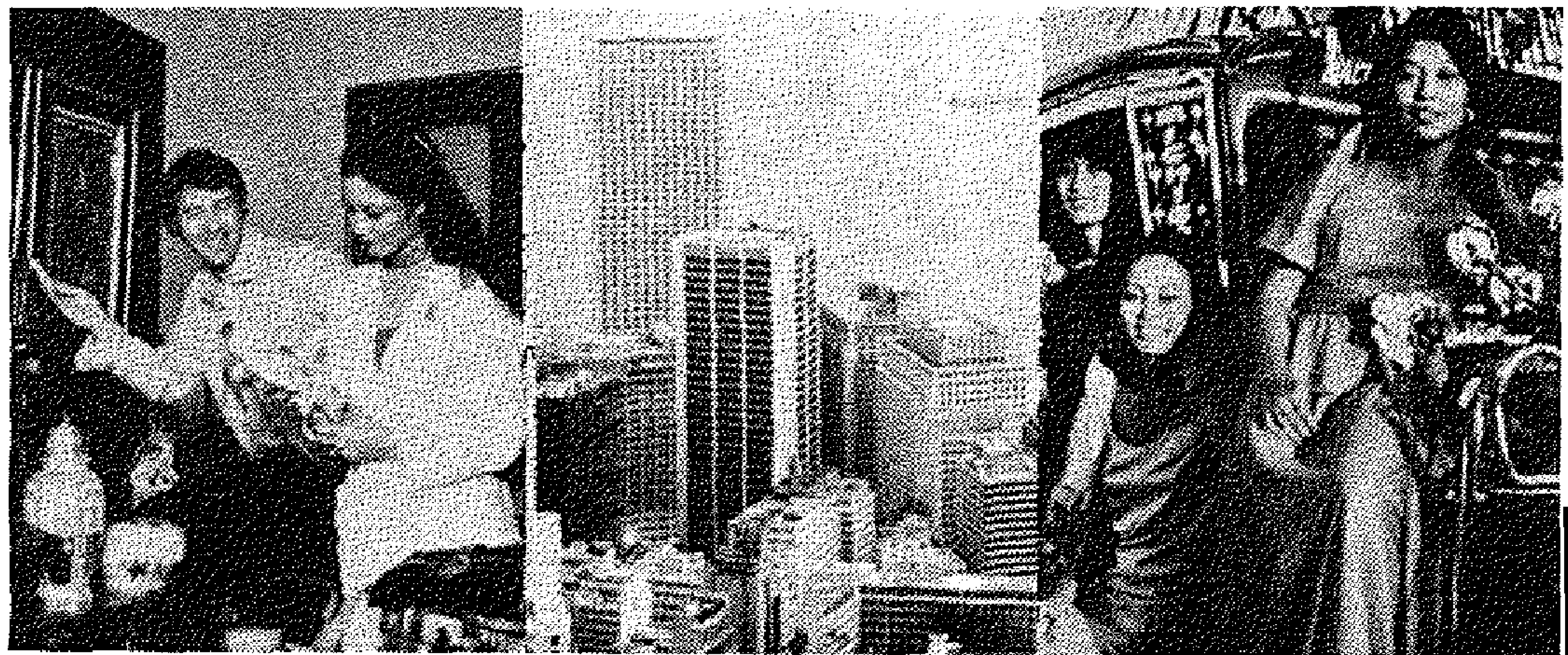
لكثرة ما اجتذبتني العطور الغريبة التي تضعها بعض زبونات مخزننا، قررت ذات يوم ان أضع عطراً عبقاً للغاية، واكثرت من كميته. وبينما كنت اسوي هندامي دخل احد الزبائن الدائمين الى المخزن وتنشق الهواء ثم علق: "استطيع القول ان الصيف على الابواب، فها هم رشوا المخزن بقاتل الذباب ثانية".

ف و.

رحلات كاثي باسفيك إلى الشرق الأقصى

رحلات من القلب إلى القلب، لأكثر مناطق آسيا سحراً وروعة





CX53

بانكوك/سنغافورة/هونغ كونغ
٩٤٥ دولار أمريكي

١٤ يوماً و١٣ ليلة .. رحلة اسبوعين من اللهو والمرح
في ثلاث مدن آسيوية مشهورة ..
للتسوق والسياحة والليالي الساهرة ..

بانكوك/بتايا
٦٤٠ دولار أمريكي

٧ أيام و٦ ليالي بين روعة وهيبة معابد بانكوك المشهورة ..
وسوقها الاسطوري العائم .. وهدوء الطبيعة الساحرة في مصيف
بتايا، أشهر مصايف تايلاند الساحلية ..

بانكوك/مانيلا/هونغ كونغ
٩٥٠ دولار أمريكي

١٤ يوماً و١٢ ليلة .. إن بانكوك وهونغ كونغ مكانان لابد لكل
سائح من زيارتهما إلا أن هذه الرحلة تشمل أيضاً مباهج مانيلا حيث
يجد الزائر متعة في شراء الهدايا بالثمن الذي يناسبه،
وحيث يستقبله الناس بكل بشاشة ومودة كما أن الانطلاق منها في
جولات خلوية في الارياف يزيد من قيمة وروعة هذه الرحلة.
ستجد وأنت على متن طائراتنا في كل هذه الرحلات كل ترحيب
وعناية وستحيطك مضيفاتنا المتعددات الجنسية واللواتي يأتين
من ٩ أقطار مختلفة، بكل رعاية،
وبخدمة لايقدمها غيرهن.

من صميم آسيا.

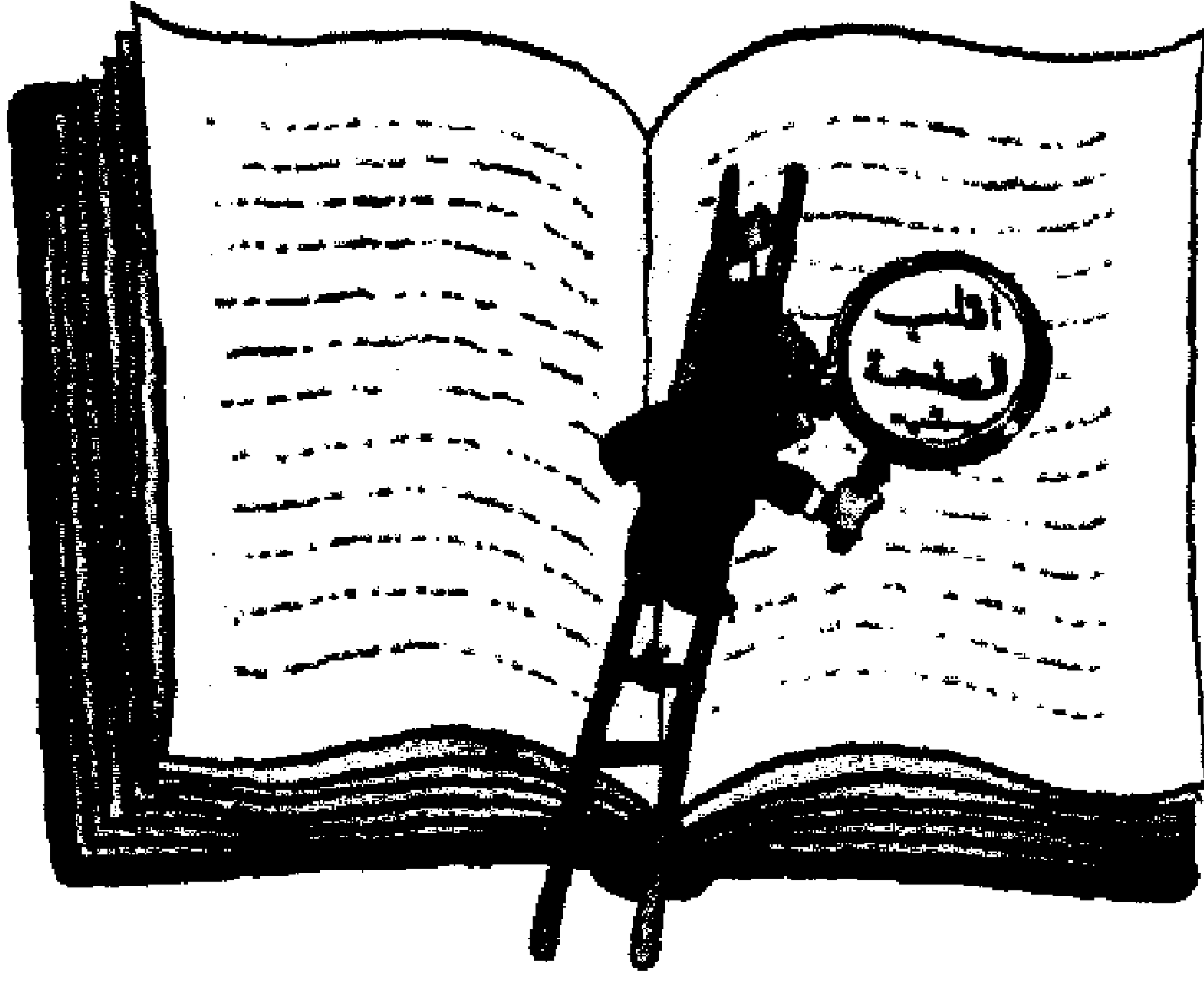
Hong Kong's discovery airline
CATHAY PACIFIC
The Swire Group



يمكنكم مراجعة الاسعار والحصول على كتيب الرحلات من اقرب مكتب لشركة طيران كاثي باسفيك

البحرين ٢٥٨٨٥٠ - الخبر ٨٦٤٢٧٢٧ - جدة ٤٦٢٢٥ - الرياض ٤٦٤٥٦٦١ / ٤٦٥٠٤١٢ - الكويت ٤٣٢١٠٦ - الدوحة ٣٢٠١٨٢ - ابوظبي ٣٢٣٢١٠ - دبي ٢٢٤١٥٦ -
مسقط ٧٠٢٩٥٢ - بيروت ٢٥١٢٠٠ - دمشق ٢٢٨١٥٥ - عمان ٢٤٢٦٣ - القاهرة ٤٣٣٣٦

دائرة المعارف



كلمات الدائرة في هذا العدد مفردات عربية، استعارتها أكثر من لغة أوروبية، ولا تزال تستعملها في شكل أو آخر.

وقد وضع أمام كل كلمة أربعة معانٍ، واحد منها فقط صحيح. والمطلوب من القارىء ان يستعين بخلفيته اللغوية ودقة الملاحظة ليختار المعنى الذي يعتبره صحيحاً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الأجوبة.

٠١ غَرّافة: رفش - عالمة بالغيب - ابريق - ملعقة.

٠٢ طُنبور: آلة موسيقية - عربة - صف طويل - وَرَم.

٠٣ إنبيق: حيوان بحري - ابريق - زئبق - أداة للتقطير.

٠٤ كافور: من المخدرات - مادة عطرية - شيطان - بيض السمك.

٠٥ إكسير: علاج - حجر الفلاسفة - رائحة منعشة - اوكسيجين.

٠٦ هَوْدج: خيمة - تمثال - قافلة - محمَل.

٠٧ شادوف: آلة لرفع الماء - زورق - جبل شاهق - ظِلّ.

٠٨ سائس: قائد - متشقق - مروّض الدواب - سهل.

٠٩ زَعْفران: حجر كريم - نبات بصيلي - زفير - من النجوم.

١٠ طِلَّسم: صلاة - عديم الذكاء - سِرّ - تعويذة.

١١ خَمْسين: ريح حارّة - زهرة - لعبة رياضية - قميص.

١٢ يَرْبوع: حيوان قارض - بستان - نبع - سمكة.

١٣ نارَنْج: شطرنج - نارجيلة - برتقال - من الطيور.

١٤ قيثار: فاكهة - آلة موسيقية - حجاب - وحدة قياس.

١٥ سُمّاق: شجر - سمسم - حشرة سامة - ثعبان.

١٦ توتياء: حامض - شجر مثمر - مومياء - معدن.

١٧ قِرمزي: نسيج فارسي - أخضر - أحمر قاتم - لَزِج.

١٨ صافِن: نائم - وريد - سيف حاد - ساهٍ.

١٩ عَنْبر: مِسْك - دفة السفينة - ثعلب - مادة صمغية.

٢٠ صُفّة: قُنْفذ - صوف - لُبْدة الأسد - أريكة.

٢١ كمُّون: نبات عشبي - شاي - صابون - كَمان.

٢٢ لَيْلَك: بحيرة - ليل - لون أرجواني - أسْوَد.

٢٣ قات: طعام - شجر - شاطىء - هِرّ.

٢٤ سَمُوم: سريع الغضب - حادّ - ريح صحراوية - ثعبان.

٢٥ دِمَقْس: نسيج حريري - سَمَك - لون أحمر - خشب.

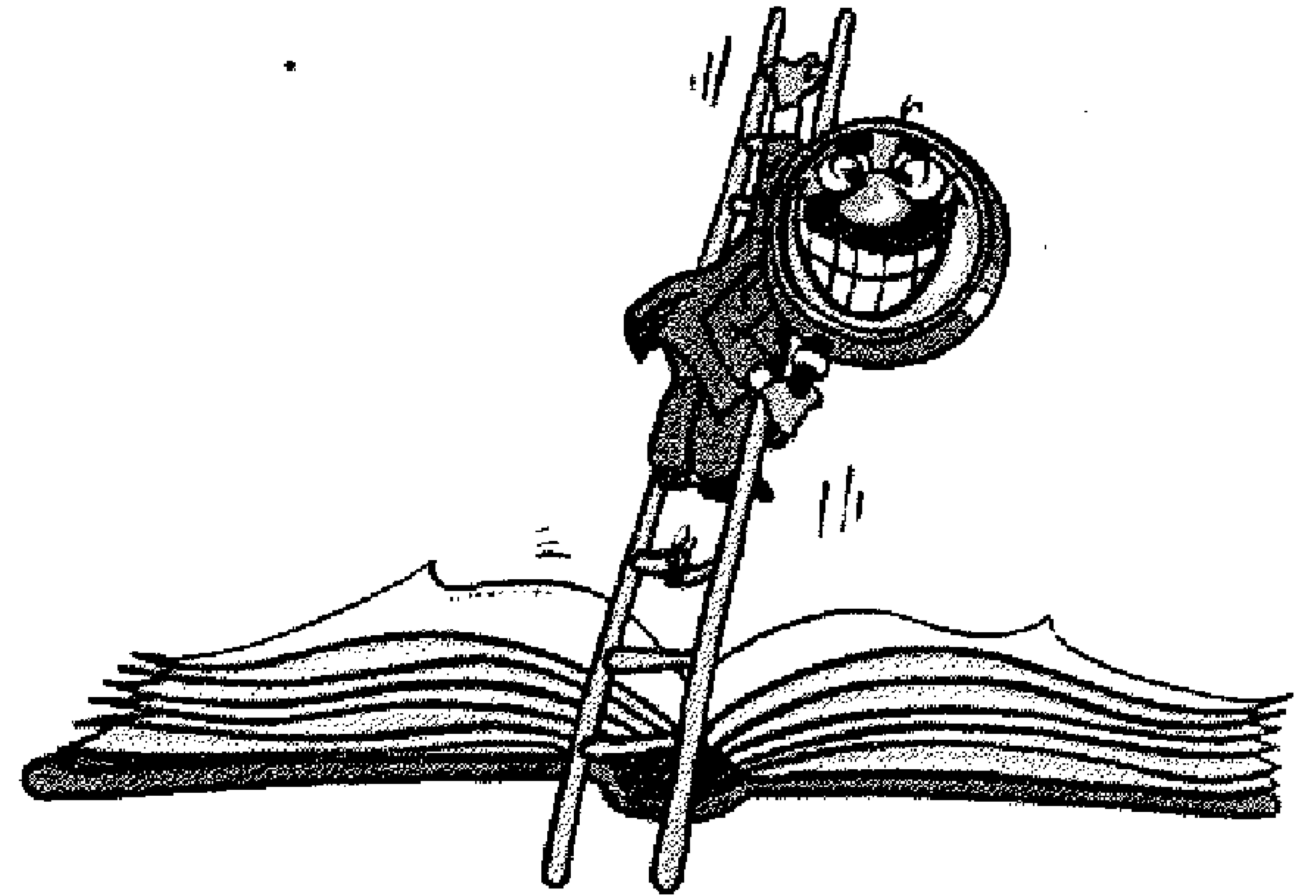
٢٦ قِلْيٌ: مَوْت - فَحْم - مِقلاة - مادة كيميائية.

٢٧ كَبَاب: حيوان ذو أشواك - نُفاية - لحم مشوي - قُبَّعة.

٢٨ ناعورة: شوكة حادة - مطحنة - أداة لرفع الماء - حفرة.

٢٩ رُخّ: طائر خرافي - صَخْر - سجّاد - ضُعف.

٣٠ لازَوَرْد: بحر - أزرق سماوي - أسد - معدن أصفر.



الأجوبة الصحيحة

١ · غـرّافة: إبريق زجاجي· مشتقة من فعل غـرَف·

٢ · طـُنبور: آلة موسيقية وترية ذات عنق طويل·

· إنبيق: أداة للتقطير مصنوعة من زجاج او معدن·

٤ · كافور: مادة عطرية حادة المذاق تستخرج من لحاء شجر·

٥ · إكسير: حجر الفلاسفة· مادة وهمية تحوّل المعادن ذهباً·

٦ · هـودج: محـْمل على ظهر جمل أو فيل·

٧ · شادوف: آلة قديمة لرفع الماء·

٨ · سائس: مروّض الدواب·

٩ · زَعـْفران: نبات بصيلي ذو زهر برتقالي·

١٠ · طِـلـْسم: تعويذة تدفع الشر بتأثير سحر·

١١ · خـَمـْسين: ريح حارّة تهب على مصر طوال خمسين يوماً·

١٢ · يـَرْبوع: حيوان قارض ينشط في الليل ويتنقل قفزاً·

١٣ · نارَنـْج: برتقال·

١٤ · قيثار: آلة موسيقية ذات ستة أوتار عادة·

١٥ · سُمـَّاق: شجر له ثمر كالعناقيد يستعمل في الطعام·

١٦ · توتياء: معدن يعرف بالزنك·

١٧ · قِـرمزي: لون أحمر قاتم مائل الى الزرقة·

١٨ · صافِـن: وريد رئيسي في الساق·

١٩ · عـَنبر: كهرمان· مادة صمغية متحجرة·

٢٠ · صُفة: أريكة· وهي في الأصل مقعد مظلل قرب المسجد·

٢١ · كمون: نبات عشبي تستعمل بزوره توابل·

٢٢ · لـَيـْلـَك: لون أرجواني فاتح·

٢٣ · قات: شجيرة ذات اوراق مخدرة تمضغ او تغلى·

٢٤ · سَمـُوم: ريح صحراوية رملية ينفذ حرّها في المسام·

٢٥ · دِمـَقس: نسيج حريري نسب إلى دمشق، مهده·

٢٦ · قِـلـْي: مادة كيميائية تتفاعل مع الحوامض لينتج منها ملح وماء·

٢٧ · كـَبـاب: لحم مشوي·

٢٨ · ناعورة: آلة قديمة لرفع الماء، تسيرها الدواب أحياناً·

٢٩ · رُخّ: طائر جارح ضخم، ورد ذكره في الأساطير·

٣٠ · لازَوَرْد: لون أزرق سماوي· حجر كريم·

المستوى

٢٥ - ٣٠ : ممتاز

١٩ - ٢٤ : جيد

١٢ - ١٨ : مقبول

خاص I



القسطنطينية:
الأيام الأخيرة الحاسمة

بقلم غوردون غاسكل

القسطنطينيّة: الأيّام الأخيرة الحاسمة

بسطت الامبراطورية الرومانية سلطانها في الماضي على معظم انحاء العالم المعروف. وكان حكمها في البدء حكماً مركزياً، ثم انتقلت السلطة الى القسطنطينية، العاصمة الاسطورية في الشرق. وتضاءلت رقعة الامبراطورية الجبارة مع الزمن، وانكمشت بحيث لم تتعدّ بضعة آلاف من الهكتارات او اكثر قليلا داخل نطاق العاصمة نفسها. ومع ذلك فقد بقيت القسطنطينية تعدّ عام ١٤٥٣ دولة الامبراطورية الرومانية، واعتبر حاكمها قسطنطين التاسع، الخلف الثامن والستين بعد المئة للامبراطور الروماني الأول.

تصدى السلطان التركيّ الشاب محمد الثاني للامبراطور قسطنطين. وكان السلطان ذا ارادة حديدية لا تغلّ، وحاكماً مطلقاً لامبراطورية عثمانية عسكرية فتية امتدّت حدودها الشاسعة حتى تجاوزت اطرافا اوروبية، جاعلة من مدينة القسطنطينية جزيرة مسيحية وسط بحر اسلاميّ. ولطالما استنجدت المدينة بالغرب اذ شعرت باستمرار عجزها وفقرها. إلاّ ان الغرب لم يستجب. وكان مبعث الصد، الى حدّ بعيد، رفض الكنيسة الارثوذكسية اليونانية في القسطنطينية الاعتراف بالبابا الكاثوليكي في روما زعيماً روحياً لها.

على ان الاباطرة الرومانيين في آخر العهد كبتوا كبرياءهم وبدأوا يعترفون بالسيادة البابوية مقابل الحصول على عون عسكري. وادرك السلطان محمد الثاني انه لا بدّ من الاسراع في توجيه الضربة، فنجمت عن ذلك معركة مفعمة بالاحداث المثيرة والترقبات المحيرة التي لم يأت التاريخ بمثيل لها. وها نحن نسرد وقائعها على نهج ما كان سيفعله المراسلون لو انهم نقلوا أخبارها فور حصولها.



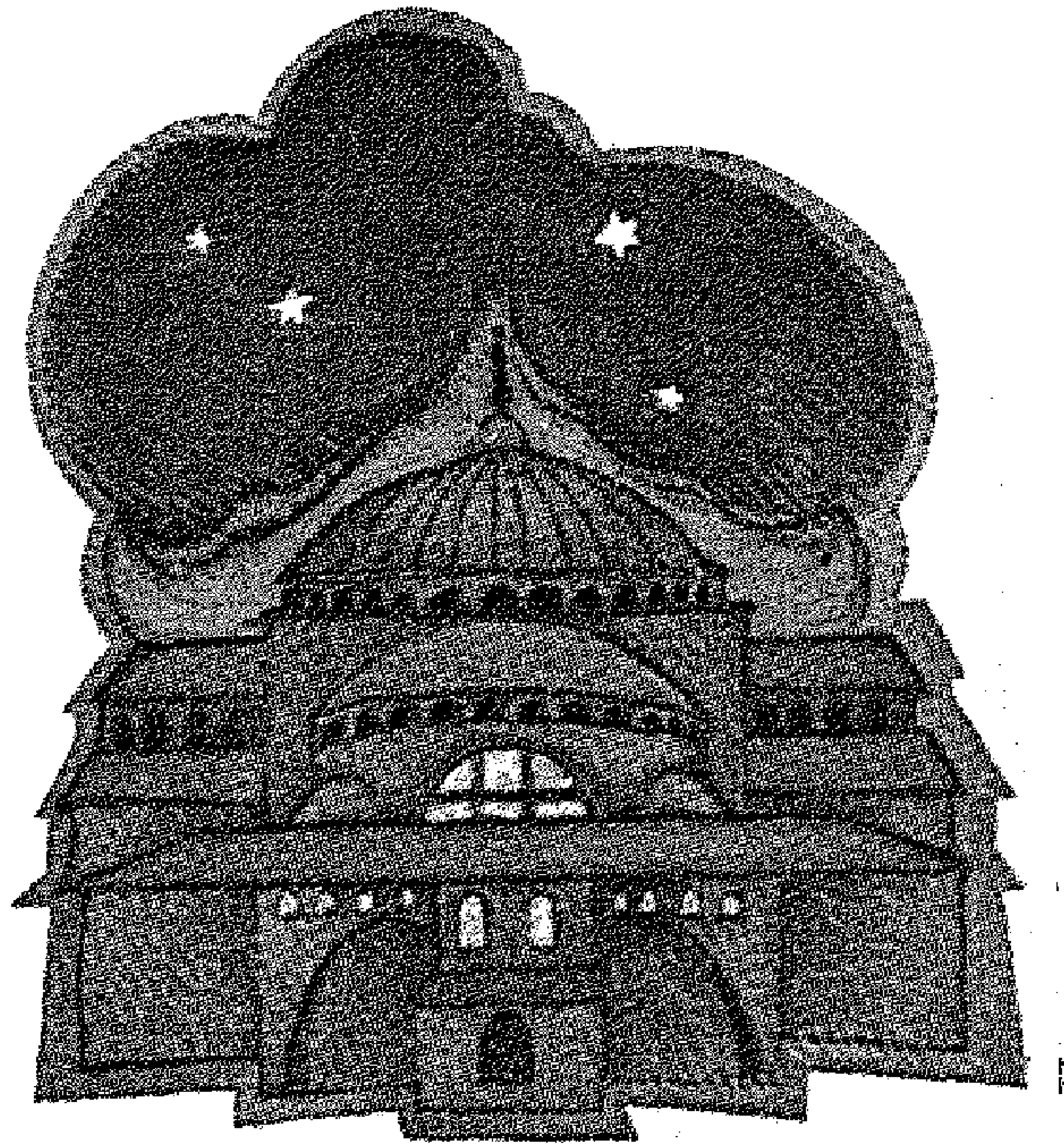
القسطنطينية، ١٥ ابريل (نيسان) ١٤٥٢ ــ شرع اليوم السلطان محمد الثاني ــ في ما يعتبر انتهاكاً سافراً للاتفاقات السابقة مع المدينة ــ ببناء قلعة ضخمة على بعد ثمانية كيلومترات من سور المدينة على الجانب الاوروبي من مضيق البوسفور. والمعروف ان للسلطان الشاب، الذي يناهز العشرين، قلعة ثانية قائمة على الشاطىء الآسيوي المقابل، عند نقطة من المضيق لا يزيد اتساعها على ٨٠٠ متر. وما ان باشر ما يقرب من الف بناء والفي عامل مساعد اعمالهم في القلعة حتى احتشد جميع اهالي القسطنطينية، ابتداء من الامبراطور حتى اصغر المواطنين شأناً، فوق سور المدينة المرتفع وراحوا يسرحون النظر نحو الشمال في خوف صامت.

القسطنطينية، ٣٠ يونيو (حزيران) ــ اتخذ الامبراطور قسطنطين ومجلس وزرائه قراراً بارسال بعثة رسمية الى السلطان. وتجدر الاشارة الى ان الامبراطور الذي يبلغ الثامنة والاربعين من عمره ــ وهو رجل مديد القامة، نحيل الجسم، اسمر الوجه، عسكري المظهر ــ كان قد بذل قصارى جهده لتسوية الامور مع السلطان الشاب، حتى انه ارسل في بادىء الامر وجبات الطعام الى البنائين والعمال الذين يشيدون القلعة قبالة مدينته. لكنّ الجنود الاتراك اطلقوا العنان لخيولهم في ما بعد لترعى في حدائق المسيحيين حتى اتلفوها. وعندما احتجّ القرويون على ذلك، أبادهم الاتراك عن بكرة أبيهم. عندئذ ارسل الامبراطور مبعوثاً شخصياً ليرفع الشكوى الى السلطان. لكنّ محمد الثاني ردّ على المبعوث بقوله انه سيفعل ما يشاء، واذا جاءه الرسل مرة اخرى فسيقطع رقابهم. ولهذا فان الامبراطور ينتظر الآن نتائج بعثته الأخيرة بقلق شديد.

ادرنه (ل) ١٥يوليو (تموز)ــ أصغى السلطان بوقار الى كلام السفراء عن المعاهدات السابقة، وانصت الى التماسهم اللبق للتأكيدات على ان اقامة القلعة الجديدة لا تعني انه ينوي مهاجمة القسطنطينية. ولما فرغوا من حديثهم ردّ السلطان عليهم بجواب بسيط ومقتضب. لقد أمر بقطع رؤوسهم.

القسطنطينية، ٣٠ يوليو (تموز) ــ انهمكت المدينة باسرها في جمع المواد التي تحتاج اليها في الحصار الذي لا بدّ من ان يُضرب حولها. فكدّسوا الاسلحة والحجار وزيت الوقود ومركبات سرية تستخدم في صنع "نار الأغريق" التي دأبت المدينة على استخدامها عبر القرون، وهي سائل لزج سريع الاشتعال يحرق الضحايا حرقاً مروعاً حتى الموت.

وانشغل الحدّادون وصانعو الدروع في طرق المعادن وصنع السلاح. وأمر الامبراطور بسدّ عدد كبير من أصغر بوابات المدينة الخمسين، فهي، في رأيه، كثيرة جداً، فضلا عن انها قد تصبح مصدر خطر عظيم. وفي داخل اسوار المدينة التي كانت تعجّ بالناس والحركة، أمست بعض

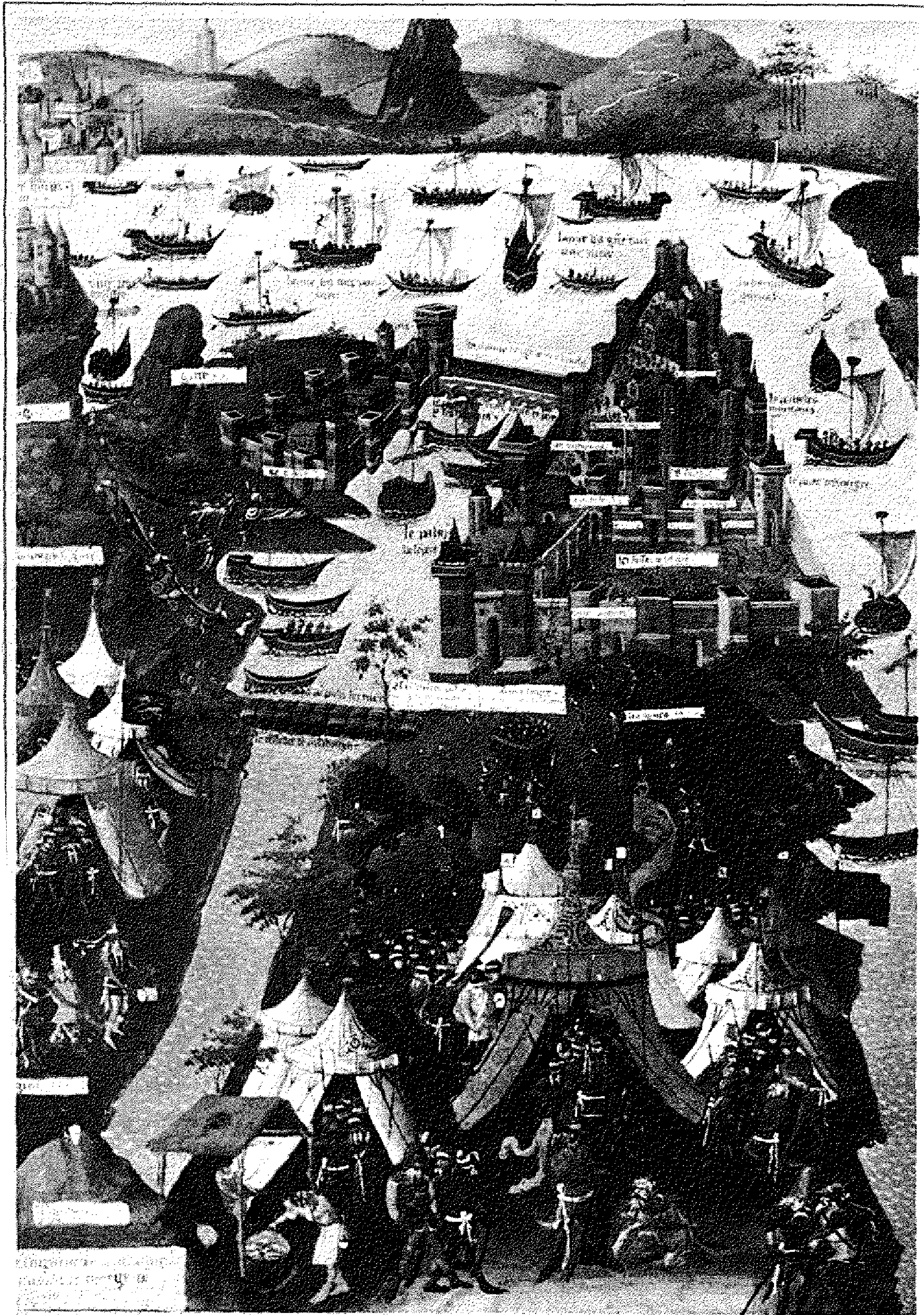


الاراضي الزراعية المهملة بوراً. وكان في الامكان استغلالها لانتاج غذاء وافر، الا ان الظروف حتمت استيراد المزيد منه من الخارج، فأرسل الامبراطور سفناً لهذه الغاية. أما ماء الشرب فلا خوف عليه، اذ حفرت أحواض ضخمة تحت ارض المدينة منذ قرون، وفيها من الماء ما يكفي لمئة عام.

القسطنطينية، ٣١ اغسطس (آب) - اكتمل اليوم بناء القلعة التركية الهائلة التي سماها الاتراك "خانقة المضيق" وهو اسم يليق بها فعلا، فالسلطان الآن يسيطر سيطرة تامة على حركة المرور من الناحية الشرقية للقسطنطينية بعدما اصبحت له قلعة على كلّ جانب من المضيق. فسدّد بذلك ضربة خطرة الى المدينة التي قطعت كل رجاء في العون من الخارج الا بحراً من الناحية الغربية.

ادرنه، ٣٠ سبتمبر (ايلول) - اجرى الاتراك اليوم تجربة ناجحة لاضخم مدفع يتمّ صنعه في العالم. وكان صانع المدفع، وهو مجري مسيحيّ يُدعى اوربان، قد عرض خدماته اولا على الامبراطور الذي عجز عن دفع اجوره وتزويده بالمواد التي يحتاج اليها. ثم توجه اوربان الى الاتراك، فقدم له السلطان اربعة اضعاف ما طالب به وأمده بكل ما احتاج اليه من مواد، ولم يشترط عليه سوى امر واحد هو الاسراع في صنع مدافع تبلغ من الضخامة ما يمكنه من دكّ أسوار المدينة التي تعذر قهرها على كل مهاجم قبله. وسُرّ السلطان لنتائج التجربة، فأمر اوربان بصنع مدفع آخر يوازي حجمه ضعفي حجم المدفع الاول.

القسطنطينية، ٢٦ اكتوبر (تشرين الاول) - هللت المدينة لوصول السفن محملة باول مساعدة ملموسة من الغرب، وهي ٢٠٠ رام من اعظم الرماة في نابولي أرسلهم البابا نقولا الخامس. لكنّ حماسة الترحيب سرعان ما اعتراها الفتور عندما شاهد الناس اثنين من كبار رجال الكنيسة اللاتينية اوفدهما البابا ايضاً لتمثيله في القسطنطينية، هما المفوض البابوي الكاردينال ايسيدور والاسقف ليوناردو الجنوي من جزيرة خيوس القريبة. ووجم الناس خلال مرورهما



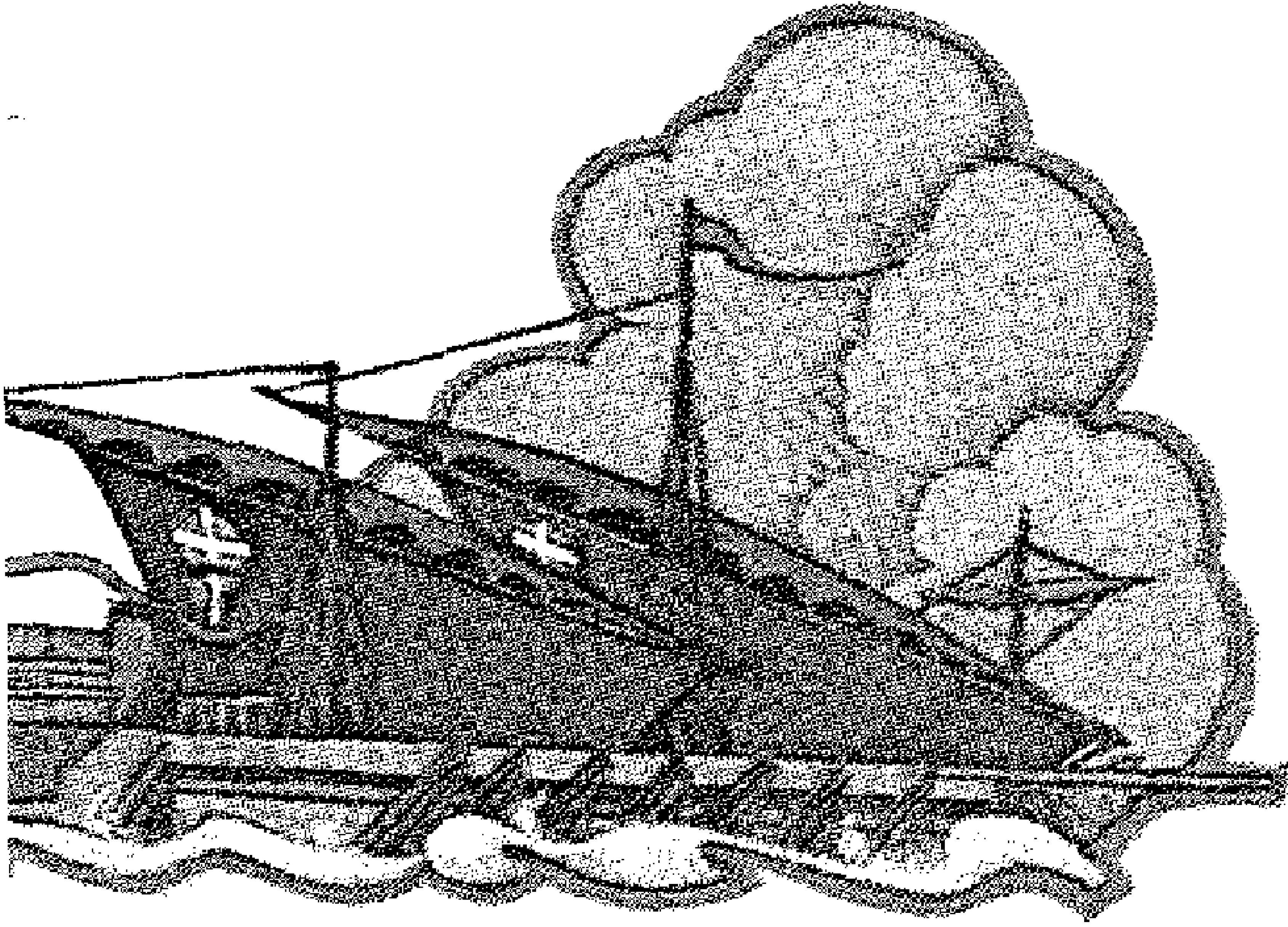
القسطنطينية محاصرة: لوحة حديثة تمثل قوة الأتراك.

في شوارع المدينة، مدركين انهما قدما لفرض "الاتحاد" الموعود مع روما، وهذا ما يرفضه معظم المسيحيين الشرقيين. ولم يتورع بعض الناس عن كيل الشتائم على مسمع منهما.

ادرنه، ٢٠ نوفمبر تشرين الثاني) - اصدر السلطان حكمه هذا اليوم على بحارة سفينة البندقية التي رفضت الامتثال لأمر التوقف عند "خانقة المضيق" على البوسفور. وعندها اطلقت الحامية العسكرية التركية على السفينة قذيفة واحدة من مدفعها الجديد، فأغرقتها. وقبضت على ربان السفينة وثلاثين بحاراً من طاقم الملاحين، وساقتهم الى ادرنه حيث امر السلطان بقطع رؤوس البحارة وبتعليق الربان حياً على خازوق. فدُفِع بجسمه فوق وتد حاد الطرف، وترك يموت بآلامه.

القسطنطينية، ١٢ ديسمبر (كانون الاول) - وافق الامبراطور بمضض، بعد اصرار المفوض البابوي، على اقامة صلاة "الوحدة" هذا اليوم في كنيسة آيا صوفيا التي شيدت قبل ٩٠٠ سنة. وأحسّ معظم الناس بالخزي والاهانة لسماع شعائر القداس باللاتينية بدلا من اليونانية. ونُقل عن دوق نوتاراس الكبير، وهو المسؤول الثاني في القسطنطينية، قوله: "رؤية عمامة السلطان في هذا المكان افضل عندي من رؤية قبعة الكاردينال أو تاج البابا المثلث".

ادرنه، ٢٨ يناير (كانون الثاني) ١٤٥٣ - تسرّبت انباء لتوّها تؤكد ان محمداً الثاني اتخذ قراراً بمهاجمة "التفاحة القرمزية" - وهذا هو اللقب الذي يطلقه الاتراك على مدينة القسطنطينية. وكان السلطان قد امر قبل بضع ليال بايقاظ رئيس وزرائه خليل باشا من نومه في ساعة مبكرة جداً. وكان خليل يظنّ انه اقنع السلطان بعدم مهاجمة المدينة. وعندما دخل على السلطان كان يرتجف خوفاً. لكنه وجد ايناساً ووداً من



جانب السلطان، على رغم ارقه. واشتكى السلطان من أرقه قائلا: "كيف يتسنى لي النوم؟ عليك يا خليل ان تأتيني بهدية عظيمة - القسطنطينية!" وصدم خليل مما سمع، غير انه لم يقو الا على الانحناء والقول: "رغبات مولانا اوامر مطاعة".

القسطنطينية، ٢٩ يناير (كانون الثاني) - ارتفعت معنويات المدينة مرة أخرى. فقد وصلت سفن من جنوى وعلى متنها ٧٠٠ رجل من أشدّ المقاتلين بأساً بقيادة القائد الجنوي العظيم جيوفاني جوستينياني، الخبير في شؤون حرب الحصار. وقد عمت شهرته اوروبا، وبلغت لباقة تصرفه هنا واحترام الناس له حداً

جعل جنود البندقية، الذين يمقتون اهالي جنوى، يوافقون على الخدمة تحت امرته بصفته القائد الاعلى.

ادرنه، ٣٠ يناير (كانون الثاني) - قذف المدفع الضخم الثاني الذي صنعه اوربان في تجربته الاولى كلة من الصوان تزن ٥٥٠ كيلوغراماً الى بعد كيلو مترين تقريباً. وبلغ طول المدفع، الذي صنع من البرونز الخالص، ثمانية امتار وقطر فوهته متراً واحداً، مما يتيح لرجل ضخم الجثة ان يتحرك داخله بسهولة. وقد سُمع دويّ المدفع على بعد ١٥ كيلومتراً. واغدق السلطان الذهب على اوربان، وأمره بصنع عدد كبير آخر من المدافع الضخمة.

البندقية، ١٨ فبراير (شباط) - اتخذ مجلس الاعيان قراراً بارسال سفينتي نقل كبيرتين للمساعدة في نقل الامدادات الى القسطنطينية، اضافة الى ارسال ١٥ قادساً حربياً حالما يكتمل تجهيز هذه السفن الشراعية الكبيرة ذات المجاذيف. لكنّ بعض المشككين يذكرون ان الاعيان صوتوا في شهر اغسطس (آب) الماضي الى جانب قرار يطالب بارسال العون الى القسطنطينية، من غير ان يدعموا اقوالهم بالافعال.

القسطنطينية، ٢٧ فبراير (شباط) - تسلل ليلة أمس ٧٠٠ ايطالي وابحروا بعيداً طلباً للنجاة، خشية الموت في حصار القسطنطينية المقبل. وهزت انباء هربهم المدينة، وعم الناس شعور بازدراء الايطاليين واحتقارهم. غير ان القائد البحري غبريال تريفيسان من البندقية أقسم

بانه هو وبحارة سفنه الست القوية سيبقون هنا حتى الموت اذا اقتضت الضرورة، "من اجل جلال الله وكرامة العالم المسيحي".

القسطنطينية، ٢٨ مارس (آذار) - راقب المسيحيون صباح اليوم بحر مرمرة وكاد يحجبه سلاح السلطان السري الجديد - اسطول بحري! انها صدمة مروعة، اذ لم يكن للاتراك من قبل اي اسطول بحري لكن محمداً الثاني عكف على بناء سفنه سراً، وها هو اليوم يجاهر بها ليبث الهلع في النفوس. وكان بعضها مزوداً بمجاذيف فقط والبعض الآخر باشرعة بيضاء. ولم يتفق الرأي حول عددها، ولكن يرجح ان يكون بينها ٥٠ سفينة حربية كاملة التجهيز وزهاء ٣٥٠ سفينة اصغر حجماً. وهكذا اصبح اسطول السلطان يهدد الآن الطريق الوحيدة الباقية التي تصل المدينة بالعالم الخارجي، وهي الممرات البحرية من ناحية الغرب.

القسطنطينية، ٣٠ مارس (آذار) - ارتعب الامبراطور من نتائج الاحصاء السري الذي اجري لمعرفة عدد القادرين على القتال والذين يجدون في انفسهم استعداداً للمقاتلة، كالرومان القدماء، حتى الرمق الاخير. والواقع ان غالبية السكان الساحقة (٦٠ الف نسمة)، بمن فيهم الامبراطور نفسه، هي يونانية لغة ومذهباً، وعرقاً وثقافة. وبين الاحصاء ان هناك ٤٩٨٣ يونانياً فقط صالحين لتحمل اعباء الجندية، فضلا عن قرابة ٢٠٠٠ اجنبي، اي ان هناك اقل من ٧٠٠٠ رجل لحراسة ٢٢ كيلومتراً و٤٠٠ برج في وجه السلطان الذي بدا كأن "العالم كله منخرط في جيشه".

القسطنطينية، ١ ابريل (نيسان) - اليوم هو أحد الفصح، وهو ابهج الاعياد عادة في التقويم الارثوذكسي. وقد حلّ فصل الربيع أخيراً، فأزهرت اشجار الفاكهة وصدحت البلابل وبدأت طيور اللقلق في بناء اعشاش لها فوق سطوح المنازل وغصت الكنائس بالمصلين الا كنيسة آيا صوفيا التي ظلت مهجورة لان المصليين رفضوا حضور "الوحدة" فيها. وعلى ورغم مناسبة العيد، فقد عمّ الوجوم محيا الناس واستغرق المسيحيون في التفكير وقد استبدّ بقلوبهم جميعاً خوف واحد: ترى أيكون هذا آخر فصح في حياتنا؟

القسطنطينية، ٢ ابريل (نيسان) - بدأ اليوم الحصار المتوقع منذ زمن طويل. واحتشد خارج الاسوار الجنود الاتراك وقد رفرفت فوق رؤوسهم مئات الرايات الخضر. وأمر الامبراطور بتدمير كل جسر من الجسور المؤدية الى المدينة وباغلاق جميع البوابات. ثم امتطى صهوة جواده وتفقد مواضع الذخيرة، ومواقع الجند على طول اسوار المدينة.

ان مدينة القسطنطينية مثلثة الشكل تقريباً، وتحميها مياه البحر من جانبين ترتفع ضفة احدهما عمودياً فوق بحر مرمرة الى علوّ يتعذر اقتحامه. ولم يحاول احد في الماضي شن هجوم من هذه الناحية اما الجانب المائي الثاني فيقابل خليجاً ضيقاً على هيئة الهلال، وهو ميناء المدينة المسمى بالقرن الذهبي

نظراً الى شكله. ويطوق مدخل الخليج حاجز من السلاسل الضخمة تعومها فوق سطح الماء عشر طوافات وتحرسه ٢٦ سفينة حربية تسدّ القرن الذهبي في وجه المهاجمين بحراً.

لهذا جاءت معظم الهجمات التي شنت خلال الاعوام الالف الماضية عن طريق الممر" البري" الوحيد الى المدينة. لكنّ احداً من الغزاة لم يستطع ان يخترق حتى الجدار الاول من جبهة السور الامامية الهائلة، وهي ثلاثية الجدران وتمتدّ مسافة ثمانية كيلومترات. ويتحتم على الغازي اولا ان يعبر خندقاً مائياً عرضه ١٨ متراً وعمقه عشرة امتار. ويقع وراء الخندق من ناحية المدينة جدار منيع منخفض نسبياً، يليه جدار ثان بارتفاع ثمانية امتار، وأخيراً جدار ثالث بعلو ١٣ متراً وسمك اربعة امتار عند قاعدته. وتعلو الجدران ستة وتسعون برجاً، يبلغ ارتفاع بعضها ١٨ متراً. انها جدران رائعة، لكنها مغرقة في القدم.

القيادة التركية خارج الاسوار، ٥ ابريل (نيسان) ــ وصل هذا اليوم السلطان نفسه وسط ضجة عارمة من قرع الطبول ونفير الابواق، ونصب خيامه الحمر والذهبية على بعد أقلّ من ٥٠٠ متر عن بوابة القديس رومانوس التي كانت على الدوام اضعف حصون المدينة.

وراح السلطان يوجه بنفسه عمليات

توزيع الجنود والمدافع. ونصب المدافع الكبرى التي عقد عليها الامل في دك الاسوار وتقويضها على مقربة من خيامه. وتجدر الاشارة الى ان نقل اضخم المدافع حجماً من مدينة ادرنه الى هذا المكان استغرق مدة شهرين. وقد رُكب المدفع فوق ٣٠ عربة شدت بعضاً الى بعض وقام بجرها ٦٠ ثوراً، بينما تولى مئات الرجال تمهيد الطريق امام العربات وموازنة المدفع فوقها خشية جنوحه وسقوطه.

وقد ضرب السلطان حول مقره طوقاً من ١٢ الف "انكشاري" هم صفوة جنده. ويتميز هؤلاء الانكشاريون بشدة ولائهم للسلطان. وكان معظمهم في الاصل ينتمي الى اسر مسيحية، لكنهم انتزعوا من عائلاتهم عندما كانوا صغاراً ونشئوا تنشئة اسلامية ودربوا وسلحوا على خير وجه. ولعلهم كانوا خيرة الجنود في العالم.

وجعل السلطان قوة من الجنود النظاميين، قوامها ٨٠ الف رجل، ترابط على ميمنته. ومعظمهم من الاتراك الاناضوليين، وبينهم عدد قليل من الصرب المسيحيين الملتزمين ادبياً بخدمة السلطان حتى وان عنى ذلك مقاتلة اخوانهم المسيحيين داخل الاسوار.

ونُشرت وراء هذه القوات قوة أخرى تتألف من ١٠٠ رجل، سميت تحقيراً بقوات "الباشبوزوق" (الجنود غير النظاميين). ولم يكن الباشبوزوق جنوداً على الاطلاق، ولم يدربوا على فنون القتال، وانما كانوا افراد قوة سيئة التسليح، همها السلب والنهب والتخريب. واغلب الباشبوزوق اتراك، الا ان بينهم آلافاً من اجناس اخرى، بمن فيهم بعض المسيحيين الذين اغرتهم اجور الالتحاق بالقوة ومطامع الفوز بغنيمة ثمينة.

وفي المساء بعث السلطان برسول الى القوم المحاصرين يحمل انذاراً نهائياً جاء فيه انه اذا استسلمت المدينة له فوراً فسيحتلها ويصون ارواح جميع مواطنيها وممتلكاتهم، والا فسيهلكهم بالسيف. وردّ الامبراطور على الانذار باجابته المتوقعة: ان الله عهد اليه بالذود عن حمى الدين المسيحي واوكل اليه مهمة الدفاع عن هذه الامبراطورية والمدينة، وان الشرف يأبى عليه ان يتخلى عن هذين الواجبين.

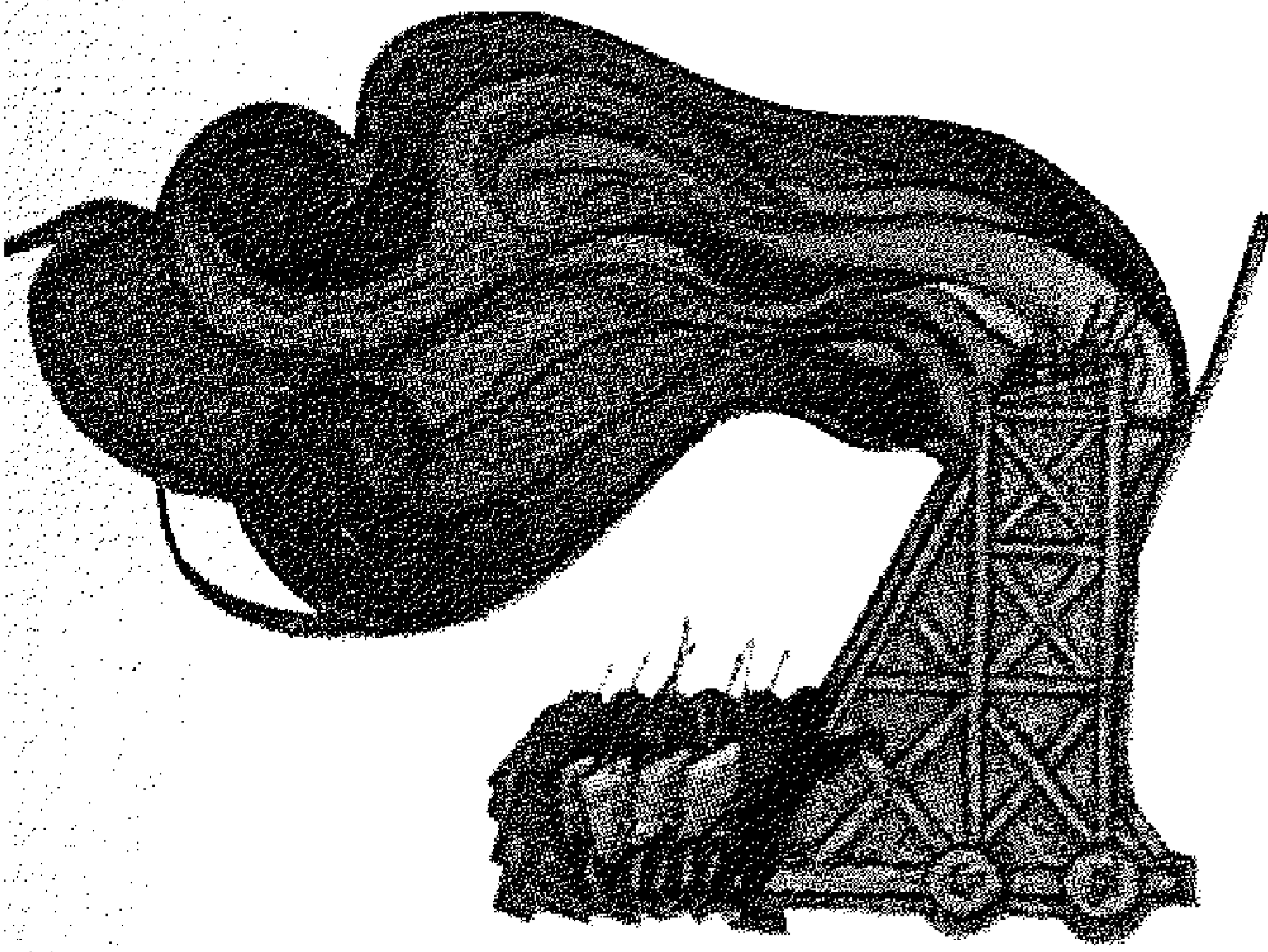
داخل اسوار القسطنطينية، ٦ ابريل (نيسان) — بدأت المدافع التركية هجومها هذا الصباح. ولما كان هدف السلطان الرئيسي الواضح مهاجمة منطقة بوابة القديس رومانوس، فقد نقل الامبراطور مقره الرئيسي الى هذه البقعة وجعل على مقربة منه مقرّ رئيس اركانه جوستينياني. وكان اكبر المدافع التركية لا يطلق سوى سبع قذائف او ثماني في اليوم الواحد. غير ان كل كلة صوان تزن ٥٥٠ كيلوغراماً كانت تهدم كتلا ضخمة من بناء الجدران الذي ضعف مع تقادم العهد. وكان الجند الاتراك تحت حماية هذه النيران يجلبون المواد لردم الخندق المائي والعبور فوقه. ولم يكن لدى المدافعين سوى مدافع صغيرة وكميات قليلة من البارود لمقاومة الهجوم.

مقرّ القيادة التركية، ٧ ابريل (نيسان) — امر السلطان، الذي استاء الى حدّ من مدفعيته، بوقف

الهجمات ريثما يتمّ احضار المزيد من المدافع. وقد تمكن المدافعون من رأب الجدران المهدمة بسرعة مذهلة، مستخدمين الاشجار والصناديق وبراميل التراب. وكانوا احياناً يعلقون فوقها رزماً من الصوف او القطن للتخفيف من اثر ارتطام الكلل المدفعية. وفي هذه الاثناء احتلّ السلطان قلعتين مسيحيتين صغيرتين خارج المدينة. وتمكنت مدافعه من هدم جدرانهما بسهولة وقتل جميع المدافعين عنها في الداخل، باستثناء ٧٦ شخصاً علقوا على الخوازيق تحت اسوار المدينة ليدرك المسيحيون اي مصير ينتظرهم.

داخل اسوار القسطنطينية، ١٩ ابريل (نيسان) - شهدت الايام الاخيرة هجوماً لا يتوقف ودفاعاً لا ينقطع ودماً يُراق باستمرار. لقد قاتل الاتراك بضراوة. (وكان السلطان يدفع بالحرس خلف صفوف المقاتلين، فاذا احجم احد المقاتلين عن الهجوم قتله الحرس). وسقط كثيرون منهم وهم يقاتلون ببسالة. وكلما مات جندي منهم، كان في امكان السلطان ان يعوض عنه بعشرة آخرين، لا بل بمئة. في حين انه اذا سقط جندي مسيحي مدرّب، فلا بديل له اطلاقاً. وتمكن الاتراك من ملء الخندق في اماكن عدة، ثم اقتحموا الجدار الخلفي المنخفض الذي فتحت فيه المدافع فجوة طولها ٤٥٠ متراً. لكن الجنود المدافعين امطروهم بوابل من النشاشيب والرماح الخفيفة التي تطلق من الاقواس وبرصاص في حجم الجوز وبسيل من النار اليونانية المروعة. وجند كلّ مسيحي غير مقاتل لنقل الاقفاص والصناديق والواح الخشب والبراميل المملوءة تراباً لسدّ فجوات خط الدفاع المتداعي.

القيادة التركية، ٢٠ ابريل (نيسان) - دهش خفر السواحل الاتراك من رؤية اربع سفن شراعية مسيحية كبيرة تندفع مع الرياح القوية هذا الصباح في اتجاه المدينة.



وفجأة خمدت الريح، مما اضطر السفن الى التوقف في مكانها دونما حراك. فطوّقتها على الفور نحو مئة سفينة تركية اصغر منها حجماً، وكأنها سرب من الثعالب يدهم قطيعاً صغيراً من الفيلة. الا ان الريح هبت بقوة مرة أخرى في اللحظة الاخيرة، فتمكنت السفن المسيحية من مراوغة مهاجميها والابحار بأمان الى القرن الذهبي. وعلى اثر ذلك، أمر السلطان بجلد امير البحر التركي بقضيب من ذهب.

داخل اسوار القسطنطينية، ٢١ ابريل (نيسان) - تفقدّ الامبراطور هذا اليوم السفن التي حملت اليه المواد الغذائية الاساسية ومزيداً من

الجنود الذين كان يعول على مجيئهم. وشكر الامبراطور ربابنة السفن، واستفسر بقلق عما اذا كانت هناك امدادات اخرى في طريقها من الغرب. الا ان اخبارهم لم تبشر بالخير: لقد دفع البابا من صندوقه الخاص الجزء الاكبر من اكلاف عشر سفن، لكنه وضعهاتحت امرة ملك نابولي الاسباني الاصل، فغدر الملك بالامانة وابحر بها الى مكان آخر، اذ كان يطمحالى ان يصبح هو نفسه امبراطور القسطنطينية. أما أهالي البندقية فقد تشدقوا بالحديث عن ارسال العون، الا ان كلامهم لم يتجاوز الاقوال. ولم يكن احد يعلم ما اذا كان الاسطول المرتقب سيبحر ام لا.

القيادة التركية، ٢٢ ابريل (نيسان) - تمكن السلطان من وضع ٧٠ سفينة حربية صغيرة داخل القرن الذهبي. فبعد شنه هجومين بحريين على القرن الذهبي واخفاقهما في كسر طوق السلاسل الطافية فوق الماء، امر السلطان بنقل سفنه براً على حاملات ذات دواليب جرتها الثيران مسافة ١٥ كيلومتراً فوق طريق رصفت بالالواح الخشبية على هضبة يبلغ ارتفاعها ٧٥ متراً. وانزلت السفن هذا اليوم الى الميناء الاعلى من القرن الذهبي وسط مياه ضحلة يتعذر على السفن المسيحية الكبيرة عبورها من اجل شن هجوم. وعزز السلطان سفنه بعدد من المدافع الثقيلة. وهو ويكاد يطير فرحاً اذ اصبح في امكانه مهاجمة المدينة من ناحيتين في آن واحد. وقد كانت وسائل الدفاع عن القرن الذهبي على

الدوام اضعف كثيراً منها في الخطوط الدفاعية الاخرى.

داخل اسوار القسطنطينية، ٤ مايو (ايار) ـ حاول المجلس الامبراطوري اقناع الامبراطور قسطنطين بالتسلل ليلا الى اوروبا، لان حضوره الشخصي هناك هو وحده الذي سيضمن تقديم المساعدات. غير ان الامبراطور شكر لهم مشورتهم وقال: "كلنا يعلم ما سيحدث قريباً. كيف استطيع التخلي عن كنائس الله ـ وكهنته، وعن هذا العرش وعن شعبي؟ كلا، كلا، لن اترك هذا المكان. اني مصمم على الموت هنا معكم". وغصت اعين مستمعيه بالدموع، ولم يتفوه احد منهم بكلمة.

بدأت المدافع التركية تطلق قذائفها بمعدل قذيفة في الدقيقة طوال ساعات الليل والنهار. ولم تتوقف الكنائس عن قرع نواقيس الخطر لصد هجمات متكررة ورأب فجوات جديدة. وتناقصت كميات الطعام وقامت سوق سوداء لتفي بحاجات الموسرين.

القيادة التركية، ١٩ مايو (ايار) ـ أقامت قوات السلطان قبل ليلتين برجاً خشبياً ضخماً فوق دواليب، فيه كوى مستطيلة يحتمي الرماة خلفها ومنصات ناتئة يثب الجنود منها الى الجدران. وجُرّ البرج على دواليبه يوم امس الى بوابة القديس رومانوس التي انهار معظمها بفعل نيران المدافع. لكنّ الليل جاء، فأمر السلطان بوقف الهجوم. وتحت ستار من الظلمة، شنّ المسيحيون هجوماً خاطفاً على البرج فأحرقوه، واقبلوا على البوابه فرمموا معظمها وعندما شاهدها السلطان صباحاً دهش من امرها وصاح: "والله لو جاءني ٣٧ الف شاهد واخبروني عن هذا الامر لما صدقت ان في امكان المسيحيين ان ينجزوا ما انجزوه في مثل هذه السرعة".

القيادة التركية، ٢٠ مايو (ايار) ـ حاول السلطان شنّ الهجمات على المدينة بشتى الاساليب، ومنها هجومان رئيسيان في اليومين السابع والثاني عشر من شهر مايو (ايار) الجاري. وفي الهجوم الاول لقي حامل اللواء التركي مصرعه على حدّ سيف جندي مسيحي شقّ جسمه نصفين فسقطت راية الحرب المقدسة ارضاً، وفي ذلك نذير شؤم. والانكى من ذلك تواتر التقارير عن وصول اساطيل كبرى من الغرب لنجدة المدينة. الا ان السلطان عقد العزم على شنّ هجوم اخير للاستيلاء على المدينة، فاستدعى منجمه المفضل ليختار اليوم الانسب لذلك الهجوم الاخير. فقال المنجم بعد اجراء عدد من الاحصاءات الغامضة ان النجوم تشير بالنصر يوم الثلثاء الواقع فيه التاسع والعشرون من هذا الشهر. واعلن السلطان انه سيشن هجومه الاخير في هذا التاريخ، فان اخفق رفع الحصار عن المدينة نهائياً.

داخل اسوار القسطنطينية، ٢٣ مايو (ايار) ـ رمى احد الجواسيس ـ او ربما كان الرامي صديقاً مسيحياً في القوات التركية ـ سهماً فوق اسوار المدينة ربط به رسالة مقتضبة تقول: "السلطان يشنّ هجومه يوم الثلثاء في التاسع والعشرين من شهر مايو

(ايار)". وفي وقت لاحق من هذا اليوم عادت السفينة الكشافة التي انسلت الى عرض البحر قبل عشرين يوماً، للتحقق من وصول اسطول النجدة من البندقية. لكن السفينة لم تقع على أثر للاسطول.

داخل الاسوار، ٢٧ مايو (ايار) - في محاولة لاحداث البلبلة في صفوف الاتراك الذين بدأوا يحشدون القوات ويكدسون التعزيزات استعداداً للهجوم الكبير، شن نفر قليل من المسيحيين هجوماً صاعقاً من قطاع غير متوقع. فقد تذكر بعض المتقدمين في السن وجود بوابة خلفية صغيرة غير مستعملة ومقفلة باحكام منذ بضع سنوات، اسمها "بوابة المدرج"، ففتحها هؤلاء الجنود المسيحيون عنوة واندفعوا خارجها في هجوم تخريبي، ثم قفلوا راجعين بسرعة خاطفة.

القيادة التركية، ٢٨ مايو (ايار) - هذا يوم الراحة والكفارة بالنسبة الى قوات السلطان. انه يوم الصلوات والوضوء او الغسل سبع مرات مفروضة. وهو يوم الدراويش والائمة الذين يحضون الرجال على القتال ويذكرونهم بالجنة: فمن سقط في مقاتلة الكُفار وعلى شفتيه اسم الله، فله الجنة يدخلها على الفور آمناً مطمئناً.

وامتطى السلطان صهوة جواده العربي الابيض، وجال بين الجند معتمراً عمامة بيضاء ذات عقدة ارجوانية كبيرة. واكدّ لجنوده ان الاستيلاء على القسطنطينية بات امراً مفروغاً منه. ووعدهم بمضاعفة اجورهم وأباح لهم نهب المدينة وسلبها ثلاثة ايام كاملة،وحذرهم بشدة قائلا: "ولكن لا تخربوا المباني او اي نصب تذكاري لان المدينة ملكي، وسأجعل من التفاحة القرمزية عاصمة لي!".

داخل الاسوار، ٢٨ مايو (ايار) - غصت الشوارع بآلاف الناس في مسيرات طويلة، حاملين الايقونات والصلبان وهم ينشدون الترانيم ويرتلون "كيرياليسون" (يا رب ارحم"!). وتجمعت المسيرات كلها في كنيسة آيا صوفيا الرائعة حيث عكست آلاف المصابيح والشموع اضواءها على الفسيفساء الذهبية التي تصور السيد المسيح وامه وعشرات القديسين وسلسلة طويلة من الاباطرة والامبراطورات السالفين. وفي قتام الكنيسة العابقة بأريج البخور، قام المصلون بشعائر الدين الاخيرة، فاعترفوا للكهنة بخطاياهم وتناولوا القربان المقدس،ولم يكترثوا هذه المرة ما اذا كان الكاهن كاثوليكياً لاتينياً او ارثوذكسياً شرقياً. فالكل يعلم ان الليلة هي عشية المعركة الكبرى وان كلّ الخطايا مغفورة.

وأشار الناس بخوف الى ضوء بدا متوهجاً فوق قبة آيا صوفيا الصقلية: لربما كان انعكاساً للنار المضرمة في معسكرات الاتراك، او قبساً من نور القمر، او وهجاً لاحد القديسين. لكن المصلين توجسوا فيه نذير شؤم،فصرخوا: "ان الله تخلى عن المدينة!" وصعق الامبراطور لمرأى القبة، وترنح في خطواته وكاد يسقط مغمياً عليه، فأحضر ماء الورد لانعاشه. ثم توجه الى قصره وودّع

افراد اسرته وحاشيته وطلب اليهم الصفح عن اي اساءة بدرت منه. وعند انتصاف الليل سار الامبراطور في الشوارع بصحبة رفيق واحد هو اقرب الاصدقاء اليه وكبير رجال بلاطه، وتوجها الى كنيسة آيا صوفيا للاعتراف بخطاياهما وتناول القربان للمرة الاخيرة. ثم امتطيا جواديهما واتجها معاً نحو الاسوار عند بوابة القديس رومانوس التي لا بدّ من ان تدور رحى المعركة حولها. فتعانقا عناقاً حاراً ثم توجه كلّ منهما الى موقعه.

القيادة التركية، ٢٩ مايو (ايار) - انفجر العالم فجر هذا اليوم بآلاف الطبول تستحث الهمم والعزائم للقتال. وملأت الابواق الفضية الجوّ دوياً ودندنت الصنوج. وامر السلطان شراذم قوات الباشبوزوق ان يهاجموا المدينة، وان لم يكن يتوقع منهم تحقيق اي انجاز مهم. لكنه كان في غنى عنهم واراد بواسطتهم بلبلة المدافعين عن المدينة وانهاكهم على الاقلّ. فتدافع الباشبوزوق بثيابهم الرثة الى الجدران افواجاً افواجاً بصياح وصراخ عظيمين، حتى ان كلّ ضربة وقذيفة وجهها المسيحيون اصابت هدفاً لها. واندلعت نار الاغريق المخيفة فوق الجدران، فقتلت المهاجمين واحرقت معدات خشبية كثيرة، وكذلك العيدان والحطب التي ملأت الخندق. وبلغت الحرارة درجة لا تطاق. وبعد ساعتين من هجوم مخفق تراجعت قوة الباشبوزوق.

وفي الساعة الثامنة صباحاً، امر السلطان جنوده النظاميين بدخول المعركة. وكانت احدى الكلل المدفعية قد اصابت مصادفةمكاناً ضعيفاً من الجدران الدفاعية ودمرت جزءاً كبيراً منه. فدفع الاتراك بمئات الجنود اليه. الا ان المدافعين تصدوا لهم فقتلوا العديد منهم وردّوا الباقين على اعقابهم. وفي أماكن اخرى كان الاتراك يحتمون بالدروع فوق رؤوسهم ليمنعوا عنهم الحجار الضخمة التي قذفتها راجمات المسيحيين ووابلا مستمراً ومسدداً من الحجار الصغيرة والرصاص والنشاشيب. وقد تمكن بعض الجنود من اسناد السلالم على الجدران. وأخذت زمر، قوام، كلّ منها عشرون جندياً، تتسلق تلك السلالم. لكن المدافعين اسقطوهم بعدما غرسوا النشاشيب غرساً في اجسامهم، وبعد مرور ساعتين لم تحرز هذه القوات النظامية اي تقدم، فأمرها السلطان القلق بالتراجع.

وقبيل الساعة العاشرة صباحاً قرر السلطان ان يرمي بآخر سهم في جعبته، الا وهو قوة الانكشاريين المخيفة.

تقدم هؤلاء الجنود الاشداء البارعون الذين لم ينهزموا اطلاقاً في اي معركة بخطى ثابتة نحو اسوار المدينة، غير عابئين بنيران المدافعين. وكانوا كلما سقط منهم جندي احتل مكانه جندي آخر على الفور. وقد وعدهم السلطان بأن يجعل اول واحد منهم يعتلي الاسوار حاكماً لاجمل اقليم في امبراطوريته. وقاد احد عمالقة الانكشاريين، واسمه حسن، ثلاثين من رفقائه فوق احد الابراج المحطمة، لكن ١٨ منهم

سقطوا · الا ان الاثني عشر الباقين صمدوا وراء قائدهم · وصاح الاتراك صيحة النصر لما رأوا حسناً واقفاً منتصب القامة فوق السور ليفوز بجائزة السلطان · لكن المسيحيين قذفوه وراء السور وقتلوه بوابل من الحجار والنشاشيب ·

داخل الاسوار، ٢٨ مايو (ايار) ـ بدأ المدافعون عند الظهيرة يترنحون من شدة الانهاك، اذ انهم قاتلوا خمس ساعات دامية دونما توقف · وفجأة دوت صرخة الانذار بينهم عندما شاهدوا راية النبي الخضراء ترفرف على برج فوق بوابة المدرج المهملة · فقد اكتشف خمسون انكشارياً امر البوابة ووجدوا انها لم تكن مغلقة باحكام، فانسلوا داخلها وتسلقوا برجها ورفعوا العلم فوقه · فانطلق المدافعون اليهم وقتلوهم · ثم علت بين المسيحيين صرخة ذعر : ان جوستينياني العظيم، القائد الباسل الذي حافظ حتى الان على رباطة الجأش وهدوء الاعصاب اصيب بجرح مميت من قذيفة تركية · فانهارت عزيمته وطالب بنقله الى احدى سفن جنوى للعلاج · وهرع اليه الامبراطور متوسلا بقاءه في مكانه، مؤكداً له ان تخليه عن موقعه على مرأى من الجميع سيقوض الدفاع بأسره · لكن جوستينياني هزّ رأسه رافضاً، وتم نقله الى السفينة · وانتشرت الكلمة كالنار في الهشيم ·: لقد استعفى جوستينياني العظيم··· ان كلّ شيء ضاع الآن · وهكذا انهار دفاع المسيحيين ·

القيادة التركية ـ لاحظ السلطان الذي قاد قواته الانكشارية الى حافة الخندق للتو حدوث البلبلة في صفوف المدافعين فوق السور، فصاح: "ان المدينة لنا". وأمر القوات اجمعها بالهجوم من جميع النقاط. فلم يلقوا الا مقاومة ضئيلة. وتسلقت حشود غفيرة منهم الجدران وفتحت بوابات الاسوار. وفي غضون ١٥ دقيقة كان ما لا يقل عن ٣٠ الف تركي داخل المدينة.

بقي قسطنطين مع عدد قليل جداً من الجنود يحرسون بوابة القديس رومانوس. ولكن عندما شاهد الاتراك يندفعون داخل مدينته، ادرك ان كلّ شيء قد انتهى. وكان يعلم ان السلطان وعد بجائزة ثمينة لمن يأتي به حياً او ميتاً، والافضل ان يؤتى به حياً كي يكون هُزأة بين الناس في ارجاء امبراطورية السلطان. لهذا خلع الامبراطور زخارفه الملكية، ثم اقتحم غمار اشدّ المعارك الدائرة حوله كثافة سعياً الى مقتلة في ساحة الحرب تليق بالاباطرة.

آيا صوفيا ـ هرع الآف المسيحيين هاربين أمام صيحات الجنود الاتراك المنتشين بحمى النصر الى هذا المكان المقدس. وتسمرت عيون كثيرين منهم على عمود المرمر الطويل المنتصب في ساحة كنيسة آيا صوفيا الخارجية. وكانت نبوءة قديمة تقول ان الاعداء، اذا اخترقوا المدينة حتى هذه النقطة، فسيهبط ملاك على العمود وفي يده سيف سحري يصدّ به الاعداء. الا ان الملاك لم يهبط.

وتدافع الناس داخل الكنيسة واقفلوا ابوابها الضخمة. لكن الاتراك حطموا الابواب بالفؤوس واقتحموا الكنيسة في دقائق ليستولوا على السبايا والغنائم. وكانت حمىّ سفك الدماء قد فترت. وبدأ الجنود يدركون ان السبي خير من القتل، اذ يمكن بيع الرق او الحصول على فدية لهم. وبدأوا بتجميع أغنى الضحايا البشرية من الاعيان والكهنة والراهبات والنسوة الثريات المختبئات اللائي يرتدين البرقع باستمرار،واستولوا على الصلبان المرصعة بالجواهر، والكؤوس المسكوبة من الذهب الخالص والاردية الكهنوتية الثمينة، ثم حطموا جميع هياكل الكنيسة العظمى.

أماكن أخرى من المدينة ـ كان لصيحات الخوف ولأنات الجرحى المشرفين على الموت اصداء تتردد في ارجاء القسطنطينية الدامية. والاتراك يهاجمون كل بيت ودير وكنيسة، يغتصبون النساء بالآلاف ثم يقتلونهن او يأخذونهن سبايا. وخشي البحارة في الاسطول التركي ان يستأثر الجنود بالغنائم كلها، فهجروا سفنهم واقتحموا المدينة طالبين نصيبهم منها وتركوا الميناء بلا حراسة، فابحرت السفن المسيحية بأمان مثقلة بالفارين.

وعند العصر دخل السلطان في موكب رسمي المدينة التي قاومته ٥٣ يوماً دامياً. فهتف الجنود له هتافاً طغى على هدير الطبول والابواق والصنوج. وترجل عند بلوغه آيا صوفيا ودخلها. وبينما هو يسير في اتجاه الهيكل ابصر جندياً تركياً

الصوت الستيريوفوني الذي ينتقل بأمان .

حيثما تذهب ، لصيد السمك أو صيد الطيور ، الى الشاطىء أو في بيتك ، بإمكانك الإستماع الى البث الستيريوفوني بفضل راديو ومسجل - كاسيت AJ500/FS الجديد ، من إنتاج أكاي .
إن جهاز AJ500/FS ليس جميلاً فحسب ، بل إنك حين تستمع الى نقاوة صوته المدهشة تنساب من المضخم المزدوج للتردد المنخفض (١٦ سنتم) والمضخم المزدوج للتردد العالي (٥ سنتم) ، ستجزم بأنك وجدت البديل لجهاز هاي فاي الموجود في بيتك .
أما الآن فاستمع الى مميزات أخرى لجهاز AJ500/FS نظام IPLS ، مثلاً ، الذي يكتشف أول البرنامج المختار ، بفضل مستوى الصوت ومدة السكوت بين البرنامج والبرنامج . ليتم لك ذلك ، تضغط على مفتاح التشغيل وكذ مفتاح IPLS ، إما للاسراع الى الخلف أو للاسراع الى الأمام ، فيقف الشريط بداية البرنامج ثم يشتغل من جديد . وهذه أيضاً بعض المميزات الاخرى لجهاز AJ500/FS سوف تتوقع أن تعثر في الجهاز على عدد أكبر من الوحدات . الثمينة جداً وهي تشتمل على ٣ أوضاع لنتقي التسجيل (عادي - FeCr-CrO2) ، تسجيل ستيريوفوني من الموجة المعدلة FM ، نظام تحكم ذاتي بالمستوى ALC ، وميكروفونين مكثفين داخل الجهاز . إذن ، حيثما تذهب ، احمل AJ500/FS واصطحبه معك .

AJ500/FS

الصوت الستيريوفوني الذي ينتقل بأمان .



سمعيات وبصريات

AKAI

AKAI ELECTRIC CO., LTD.
Ohta-ku Tokyo, Japan

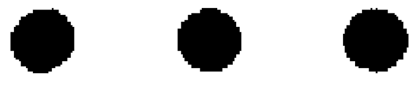
يحاول خلع بلاطة من المرمر الثمين، فضربه ضربة مؤلمة بالطرف غير الحاد من سيفه المعقوف قائلا: "الم آمرك بسلب الغنائم وترك المباني بلا ضرر؟ ان هذه المدينة لي!".

وأجال السلطان نظره بفخر في هذه الكنيسة التي تعدّ اعظم كنيسة في العالم، وامر بتحويلها الى جامع اسلاميّ واضافة المنارات اليها وتعليق الستائر فوق الايقونات الفسيفسائية لان الدين الاسلامي يحرم التصوير البشري.

وركب السلطان جواده واتجه ببطء نحو القصر الملكي المهجور الذي كان آخر مقرّ لآخر امبراطور روماني. وبينما كان يتجول في قاعات القصر المهدمة، تمتم بأبيات من قصيدة فارسية عن المجد الداثر: "في القصر الملكي نسج العنكبوت بيته، وعلى ابراج افراسيا نعق البوم". والحّ السلطان بالسؤال عما اذا كان الجنود عثروا على الامبراطور. وجاءه جنديان برأس مقطوع، قال بعض اليونانيين انه رأس سيدهم. لكن عدداً آخر كبيراً شكك في هويته. ووقع آخرون على جثة. بلا رأس، وعلى قدميها حذاء الامبراطور الارجواني. لكن التعريف لم يكن جازماً ايضاً.

وفي الخارج كان الآف من الجنود المنتصرين يحيون السلطان ويهتفون بحياته لما غنموه من ذهب وفضة وسبايا واسرى موثوقين بالحبال. ودوت هتافاتهم لهذا الرجل ذي الارادة الحديدية الذي اتاح لهم هذه المكاسب. وكان السلطان حتى تلك الساعة يحمل القاباً تقليدية: السلطان محمد الثاني، الامبراطور التركي، سيد البحار الثلاثة، شقيق الشمس، ظلّ الكون، امير المؤمنين، نائب النبي على الارض.

أما الآن فقد خلعوا عليه لقباً سيتميز به ابد الدهر: محمد الفاتح!



القسطنطينة الآن هي مدينة اسطنبول. الا ان ذكرى الحصار العظيم ما زالت عالقة في الاذهان. لقد استبدل اسم بوابة القديس رومانوس القديمة باسم "توبكابي"، اي بوابة المدفع. وعلى مقربة منها برج يدعى "برج حسن" تكريما للانكشاري العملاق الذي كان اول من اعتلى اسوار المسيحيين. وفي التاسع والعشرين من مايو (ايار). من كل عام يحتفل الاتراك بذكرى فتح المدينة بالخطب الوطنية والموسيقى العسكرية واطلاق المدافع.

وقد خلفت المعركة القديمة ايضاً عداء مستفحلا بين اليونانيين والاتراك. ولأكثر من خمسة قرون ظلت شعلة عدائهم المبطن تلتهب احياناً فتنفجر في اعمال عنف متفرقة، كان آخرها ماوقع في جزيرة قبرص قبل خمسة اعوام.

وتعدّ اسطنبول اليوم اقصى حصن شرقي لاوروبا وابعد قاعدة امامية ضد اي هجوم من الشرق، تماماً كما كانت القسطنطينية قبل اكثر من ٥٠٠ سنة. ووضعها الآن مضعضع كما كان في السابق بسبب الانقسامات العميقة في الغرب. وتلك لعمري تركة ورثتها المدينة عن ذلك اليوم الدموي... يوم الثلثاء من عام ١٤٥٣.

■ غوردون غاسكل

مكافحات الأتربة والأوساخ "هوفر"

كل ماكينة من ماكيناتنا مشحونة بالسمات والمزايا التي استنبطت من أجل مساعدتك على الفوز في مكافحة الأتربة والأوساخ. سمات وخصائص تجعل التنظيف أسهل وأسرع وأكمل مما كنت تظنينه ممكناً من قبل. مهما كان نوع جهاز التنظيف الذي تبحثين عنه. أصرّي على طلب هوفر – أعظم أجهزة التنظيف جداً وكداً في مكافحة الأتربة والأوساخ. يمكنك شراؤها على الاطلاق.

«هوفر كماتيك ١١٠٠»
أعظم الغسّالات تقدّماً اليوم.

«هوفرماتيك دي لوكس»
أعظم غسالة أوتوماتيكية ذات برميلين.

«هوفر إلكترونيك ١٠٠٠»
قوّة ١٠٠٠ واط تحت سيطرتك التامة.

هوفر – كل ما تختارينه منها مثالي لك.

HOOVER®





اصداء من عالم الطب

هل ينتهي حب الشباب؟

احدث تطور في علاج حب الشباب عقار اسمه ١٣ - حامض سيسريتينويك اختبره فريق برئاسة الدكتور غاري بيك من المعهد الوطني الامريكي للسرطان. وقد حققت التجربة نجاحاً فائقاً لدى ١٤ مريضاً يعانون حباً قاوم كل انواع العلاج الاخرى. وكما يشير تقرير نشرته مجلة نيو انغلاند الطبية، تسبب هذا العقار في شفاء ١٣ مريضاً كلياً من تلك الآفات الناشطة، بينما شفي المريض الرابع عشر بنسبة ٧٥ في المئة. وحتى اليوم، بعد ان مضى على علاجهم ٤٢ شهراً، لم تظهر لديهم دمل جديدة.

لكن اي تفكير في ان حب الشباب عولج نهائياً قد يكون سابقاً لاوانه. فلا تزال امام العلاج فترة سنتين على الاقل حتى يغدو جاهزاً للتوزيع التجاري، كما قد لا يكون صالحاً لكل انواع هذا الحب. ويظن الدكتور بيك ان الاختفاء الملاحظ لحب الشباب قد لا يكون شفاء بل "مجرد فترة طويلة يهدأ فيها المرض". وفي اي حال يبدو العلاج خطوة اولى مثيرة.

م.ك.

أمل في علاج سرطان الرئة

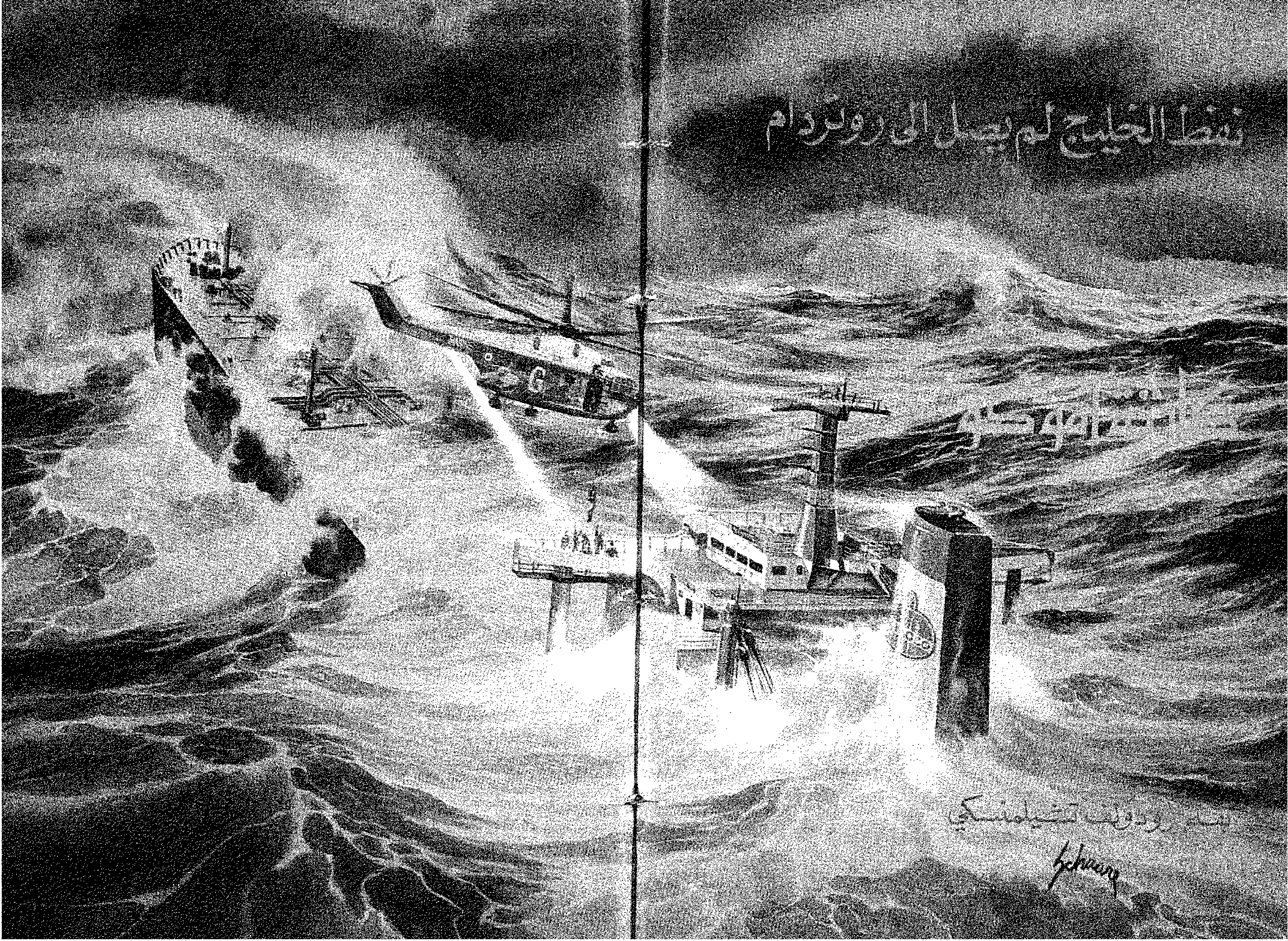
توافرت انباء مشجعة عن نجاح العلاج الكيميائي في بعض اشكال سرطان الرئة، وهو اكثر انواع السرطان تسبباً في الوفاة واشدها مقاومة للعلاج. وجاءت هذه الانباء بعد محاولتين منفصلتين:

- في محاولة للعلاج بحفز الاجسام المكونة للمناعة، تم تحضير المادة المضادة من نسيج سرطاني في الرئة بفضل جهود الدكتور آريل هولنشيد من جامعة جورج واشنطن في مدينة واشنطن (مقاطعة كولومبيا الامريكية). ومن بين ٥٣ حالة مرضيةمبكرة عولجت بجراحة رئة على يد الدكتور ت. ستيوارت من جامعة اوتاوا في كندا، تم التوصل الى ابقاء ٨١ في المئة من المرضى على قيد الحياة بعد المعالجة.

- تفيد تقارير معهد السرطان الامريكي ان ١٠٨ مرضى يعانون سرطاناً في الرئة تنمو خلاياه اسرع من اي سرطان آخر ويسمّى سرطان الخلية الصغيرة، بقوا على قيد الحياة فترة تراوح بين سنتين وست سنوات بعد التشخيص واتباع علاج يحتوي على مركبات جديدة من المواد الكيميائية المضادة للسرطان. وعلى رغم ان هؤلاء المرضى لا يمثلون الا نسبة ٧ الى ١٠ في المئة من مجموع المرضى، فان موتهم كان مؤكداً لو لم يجربوا العلاج الكيميائي.

ويحد من النتائج الايجابية لهذه الاخبار ان تأثيرها يشمل عدداً قليلا من الناس، كما ان العلاج بحاجة الى مزيد من التجارب. لكنها تقدم املا في مجال كاد الرجاء فيه يكون معدوماً.

ف.ك.

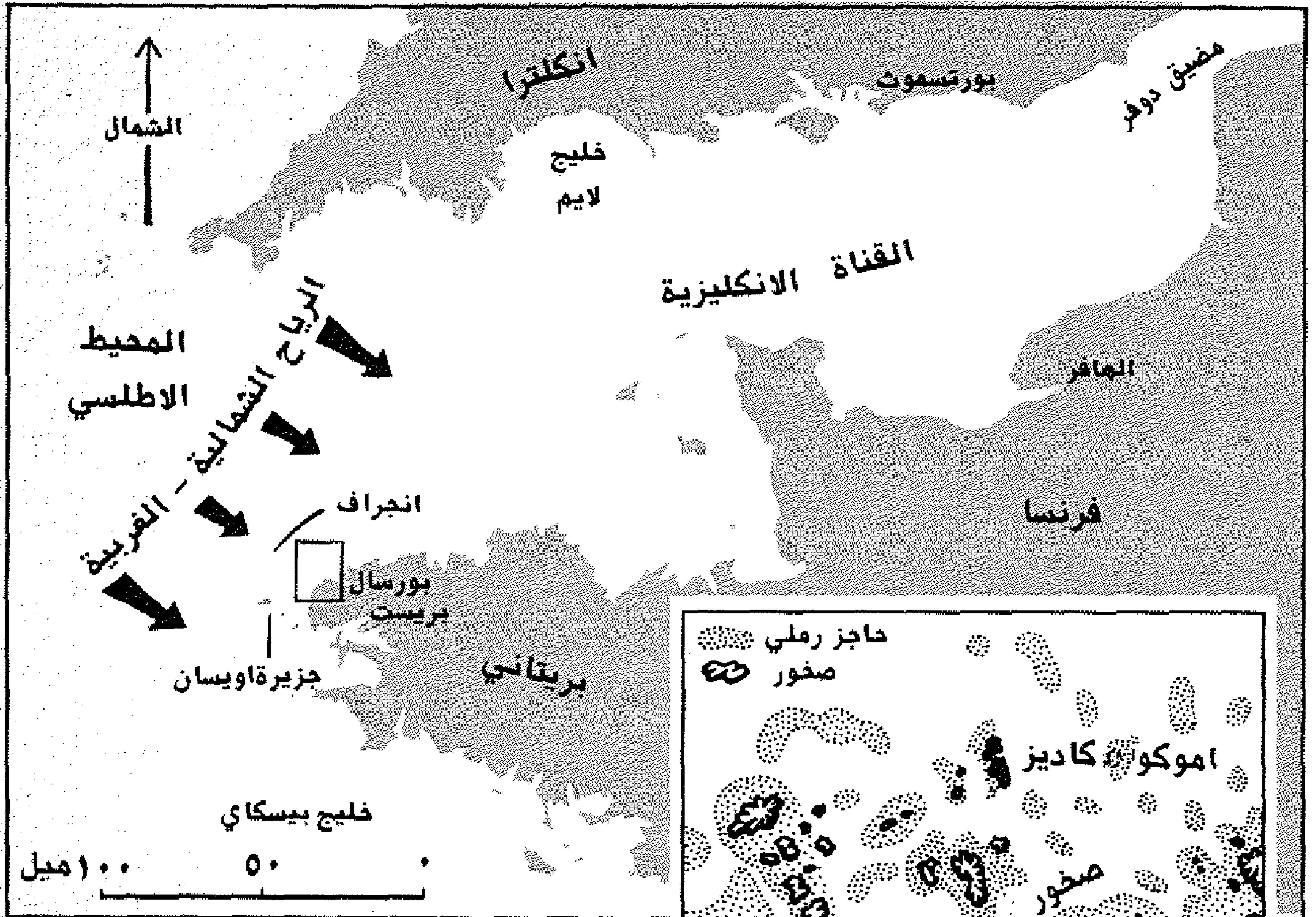

نفط الخليج لم يصل الى روتردام

كارثة اموكو

تقاذفت امواج البحر الهائج اموكو كاديز ، الناقلة العملاقة التي يبلغ طولها ٣٣٤ متراً وعرضها ٥١ متراً والتي كانت تحمل ٢٢٠ الف طن من النفط الخام، فجنحت شمالا تحت وطأة الموج والمطر الغزير والريح الهوجاء نحو الطرف الاعلى من خليج بسكاي. وكانت اموكو كاديز مثقلة بحملها لكنها اندفعت في عناد بسرعة ١١ عقدة نحو مسارها من شبه جزيرة بريتاني الفرنسية الى فوهة القناة الانكليزية لكي تصل الى هدفها في ميناء روتردام في هولندا. غير ان الرحلة انقلبت كابوساً وانتهت بكارثة بحرية لم تخطر في بال احد.

اجمع الملاحون على انهم لم يحروا قط في ظروف مناخية اسوأ ما شهدوا ذلك اليوم، الخميس مصادف ١٦ مارس (آذار) ١٩٧٨. عند الساعة السادسة صباحاً ادرك بطان السفينة باسكال بارداري، لبالغ من العمر ٣٥ عاماً، ان النوم لم طرق اجفانه. فالامواج المرتطمة مؤخر السفينة نزعت بضعة براميل من زيت المحركات من وثقها وتركتها تقعقع على ظهر الباخرة في رقصة همجية غريبة. واتجه القبطان الى منصته وامر بخفض السرعة والتوجه يساراً حتى باتت الناقلة تيمم مباشرةصوب العاصفة.

وعلى رغم ان الموج اندفع نحو مقدم اموكو كاديز، الا ان مؤخرها غدا الآن في منجى من الجو العاصف.



سرعة المحرك، فعما قليل ستجتاز الناقلة جزيرة اويسان الفرنسية، ولن يبقى امام القبطان وفريقه ذي الاربعين ملاحاً سوى القليل من المناورة عبر القناة الانكليزية لكي يصلوا الى خليج لايم على الساحل الجنوبي لانكلترا. وهناك يمكن اجراء بعض التصليحات في الناقلة. لقد كان ذلك اليوم الاخير من رحلة تجاوزت خمسة اسابيع، منذ تزودت السفينة بحمولتها من الخليج العربي.

في الثامنة من صباح اليوم ذاته كان القبطان الالماني هارتموت فينرت وهو رجل متين البنية عمره ٣٧ سنة، على ظهر "الباسيفيك"، باخرة الانقاذ العابرة للمحيطات التي يتولى هو قيادتها. فقد تلقى نداء هاتفياً

فجمع روزاريو سترانو مساعد الربان وسلفاتوري ميلتو كبير المهندسين فريقاً من البحارة وقضوا ٩٠ دقيقة يطاردون البراميل المتدحرجة فوق ظهر الباخرة الزلق ذي اللون الاحمر. وفي الساعة السابعة والنصف كان كل شيء على ما يرام.

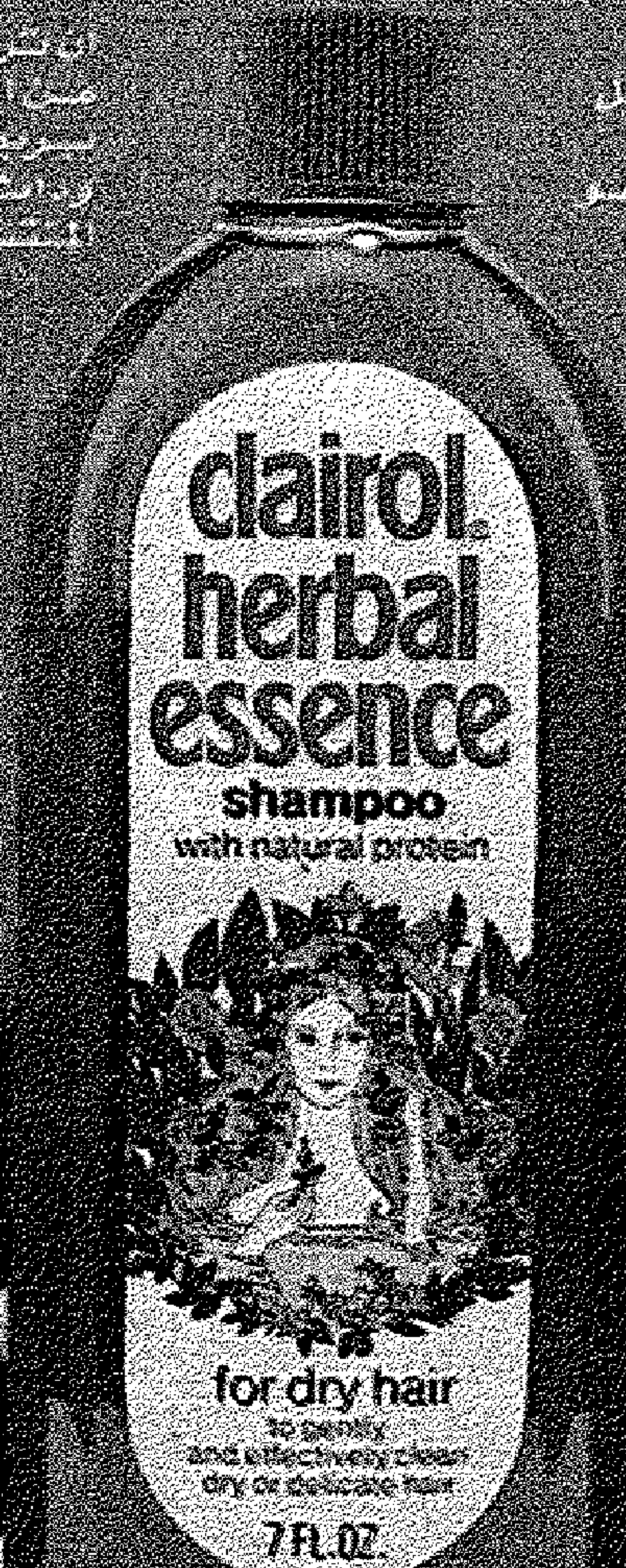
ومن جديد يمم القبطان بارداري شطر الشمال الشرقي وأمر بزيادة

كليرول
هربل اسنس
شامبو

الطبيعة وحدها تلائم شعركِ.

ان تركيبة كليرول شامبو الخالية من القلويات تضفي على شعرك بريقا وحيوية ونضارة طبيعية ودائما زكية كرائحة الأزهار المتفتحة في اولى ايام الربيع

كليرول هربل اسنس شامبو
كليرول شامبو بالأعشاب ، جعل ما أختبر من شامبو في العالم .
كليرول شامبو الأخضر الرقيق هو مزيج من أريج ١٩ عشبة طبيعية وزهرة برية .





من هامبورغ للتوجه من مرفأ بريست على ساحل مقاطعة بريتاني الى مضيق دوفر لكي يساعد باخرة انقاذ اخرى كانت تواجه صعوبة في قطر ناقلة نفط الى الساحل. ولم يضع القبطان فينرت وقته، فاستدعى على الفور طاقم باخرته المؤلف من ١٩ ملاحاً ليلتحقوا بعملهم.

ولم تكن الباسيفيك بالقارب الصغير، فطولها ٧٠ متراً وطاقتها عشرة آلاف حصان. ومع ذلك، فما ان خاضت البحر الهائج بسرعة ١٤،٥ عقدة حتى باتت اشبه بريشة في مهب الريح منها بسفينة قطر ضخمة.

وكان على اموكو كاديز ان تستخدم قدرتها على الاستدارة من جديد مرتين ذلك الصباح، الاولى في الثامنة والنصف حين انزلق خرطوم مكافحة الحرائق واثنتان من اسطوانات زيت التشحيم على سطح الباخرة الامامي فانحرف القبطان بارداري بالباخرة ٢٠ درجة نحو اليمين لمدة عشر دقائق حتى استطاع فريق العمل انقاذها. ولم يكد يعدل مسار السفينة حتى لاحظ في التاسعة والنصف، حسب قوله، ناقلة صغيرة تتجه نحوه متخذة المسار "الاعلى" من مجرى عزل السفن، وهو اسلوب تحاول البلدان المشرفة على القناة ان تؤمن بواسطته بعض التنظيم في واحد من اكثر مجاري المياه ازدحاماً بالسفن في العالم. وانعطف بارداري يميناً ليكتشف، بعد زوال الخطر، انه يبعد ١٢ كيلومتراً عن اليابسة، اي انه كان اقرب كثيراً الى اليابسة مما اراد.

وزاد الطين بلة ان الرياح الدائمة التقلب عند اويسان لم تكف عن العصف بالسفينة من جهة الجنوب الغربي طوال الصباح. وهكذا كانت الباخرة تنحرف نحو الشمال الغربي وتقترب من اليابسة مباشرة.

وبينما كان القبطان يتفحص مجرى الملاحة بمنظاره في التاسعة والدقيقة الخامسة والاربعين، ابلغه مدير الدفة فرنسيسكو فيد ان مقدم السفينة ينساق يساراً وانه صحح المسار نحو الميمنة،لكن السفينة لا تنقاد في ذلك الاتجاه. وتبادل القبطان وفيد نظرات الدهشة. وهما يراقبان انحراف مؤشر زاوية الدفة على اللوحة المواجهة لهما الى اليسار تدريجاً حتى استقر عند الطرف القصي من اللوحة. وكان فيد يحكم قبضته الثابتة على العجلة في اتجاه ٢٠ درجة يميناً. واخيراً قال: "لقد فقدنا السيطرة يا قبطان".

حدق بارداري الى اللوحة ثم تناول سماعة جهاز الارسال البرقي الذي يصله بغرفة المحرك واداره بسرعة نحو اشارة "ابطىء السير". وبعد لحظة من التفكير عاد مغيراً الاشارة الى "قف"، واتصل هاتفياً بغرفة السيطرة قائلا: "اننا نواجه مشكلة تتعلق بعجلة القيادة المحشورة يساراً. نبهوا كبير المهندسين فوراً".

واستدل بارداري ببصره وبالردار على امتلاء المنطقة المحيطة بالسفن. وهو يواجه الان انفلات عجلة القيادة كما اوضحت اللوحة المواجهة له، وبات مثل راكب سيارة في طريق خارجي عريض تفلت العجلة من يده ويوشك ان ينحرف نحو اقصى اليسار ويخرج عن مسار الشارع الى مصير لا يعرفه الا الله.

يندر ان نجد على متن ناقلات النفط الحديثة ما يوازي محرك الدفة

من حيث البراعة والاتقان الميكانيكي الظاهر. لكنه في الاساس لا يعدو كونه ذراعاً من فولاذ تدفع الدفة جيئة وذهاباً، مثلها في ذلك مثل اليد البشرية اذ تندفع لتغير زاوية دفة القارب البسيط. ولكن حجم دفة ناقلة النفط العملاقة يماثل جداراً هائلا يبلغ طوله، في حال اموكو كاديز، ١٣ متراً وعرضه ثمانية امتار، ويقارب وزنه ١٦٠ طناً. ويتطلب تحريك هذه الكتلة المستطيلة في بحر عاصف محركاً ذا قوة استثنائية.

والحل الحديث لهذه المشكلة هو المكبس المائي الذي يمكن عبره توليد طاقة هائلة بوحدات صغيرة نسبياً. وطريقة عمل المكبس هي كالآتي: حين تدار العجلة عن منصة القيادة، تدب الحركة في مضختين متماثلتين تدفعان الزيت عبر أنابيب الى "تقاطع حركة" مائي يعرف باسم كتلة التوزيع. وهناك تحول الصمامات الزيت بالمقدار المطلوب الى اربعة مكابس هائلة. ويرتبط كل من هذه المكابس، التي يشبه الواحد منها عمود الهاتف من حيث ضخامته ولمعانه، بالمكبس المعاكس لاتجاهه، فتتخذ شكل اربعة مدافع صوبت فوهة احدها نحو الآخر. وبين هذه المكابس تقوم دفة الباخرة، وهي محور غليظ من الفولاذ المطروق طوله ثلاثة امتار. فاذا تم تشغيل مجموعتي المضخات معاً في المكابس الاربعة، أمكن تحريك الدفة الضخمة من اقصى طرف الى اقصى الطرف الآخر في اقل من نصف دقيقة، حتى وان تكن السفينة تبحر باقصى سرعتها.

والطاقات المائية التي يروضها نظام قيادة كهذا ترتبط بظاهرة تجعل الامر محفوفاً بالاخطار، وهي الضغط العالي. والامر شبيه بمارد جبار احتجز في انابيب النفط هذه. وكلما ازداد ضغط المكابس على الدفة ازدادت قدرته على الانفجار. لذا لا بد من ان يتأكد مصممو السفن وبناؤوها من ان الانابيب والحواجز ونقاط الاتصال مؤمنة كلياً.

لم يبد على جهاز قيادة اموكو كاديز اي عرض طارىء خلال السنوات الاربع الاولى من حياتها. ولم تتطلب مقصورة القيادة، وهي قاعة واسعة تعادل مساحتها مساحة بيت صغير، طاقماً من المشرفين الدائمين. اما الصيانة فلم تتجاوز عملية فحص يومي وتزويد خزانها الاساسي بالوقود مرة كل اسبوع. ومتى كانت خزاناتها وانابيبها واسطواناتها معبأة، فان ذراع قيادة اموكو كاديز كانت تعمل بجدارة، من دون ان يصدر عنها غير ازيز محركاتها الكهربائية وخفقان المضخات التي تزودها بالنفط. بيد انها كانت تصدر وجيباً هائلا بين الحين والاخر كلما ارتطمت امواج البحر بالدفة على الجانب الاخر من هيكل السفينة الفولاذي. فاذا لطمت موجة هائلة الدفة زادت المضخات تلقائياً كمية النفط الذي يغذي المحركات لاعادة التوازن الى الناقلة. وهذا يعني ان المارد في القمقم، اي في شبكة الضخ، يمط عضلاته وان الضغط يرتفع.

صخور بورسال

وصل مساعد المهندس الاول ميشال كاليز الى مقصورة القيادة ليجد النفط منتشراً في كل مكان، مغطياً الأرض

ومقطّراً من اجهزة القيادة، وعند الحواجز كانت تتشكل برك منه كلما انحرفت السفينة الى احدى الجهات. والاخطر من ذلك كله ان كتلة التوزيع تفجرت زيتاً على شكل نافورة مروحية يتجاوز ارتفاعها قامة انسان.

اخذ كاليز يطأ الارض الزلقة بحذر شديد حتى بلغ المنصة عند الطرف الامامي من المقصورة، وكان ارتفاعها يحاذي مستوى صدره. وكان واضحاً ان مصدر النزف كسر اصاب الانبوب الفولاذي الذي يبلغ طوله ٧،٥ سنتيمترات ويربط مضخة اليسار بكتلة التوزيع. وكانت المضخة كجندي تملكته الطاعة العمياء وهو ذو ذكاء محدود، ولا حيلة لهسوى القيام بمحاولة يائسة لاطاعة اوامر الدفة في ضرورة تعديل مسارها بضخ كميات اكبر من النفط، على رغم ان النفط كان ينبجس نحو الاعلى من خلال الانبوب المكسور. وسارع كاليز الى نقر الزر على لوحة السيطرة لوقف الضخ. وما ان فعل ذلك حتى توقف ضخ الميمنة. وقد صممت المحركات على هذا النحو ضماناً للسلامة. وهكذا اخذت المضخات تزبد بالنفط المتدفق على شكل نافورة.

اندفع كاليز متعلقاً بالمنصة ليجد ان السبب لم يكن انفجار الانبوب، بل ان الصمولة البيضوية التي سمر الانبوب بواسطتها على الكتلة قد انحلت من مكانها، وان خمساً من ست خشبات علقت الصمولة عليها خلعت من مكانها. واشاح كاليز ليتقي تدفق النفط، واخذ يغلق الصمامات ليمنع تسربه.

ولم تمض بضع دقائق حتى لحق به كبير المهندسين ميلتو بعد ان روع وهو يرى مشهداً مذهلا. كان النفط يتدفق الى اعلى بقوة هائلة مغطياً ارضية الباخرة كسجادة دبقة لامعة. واخذت الدفة تتمايل من جهة الى اخرى مع تمايل السفينة. وبدلا من ان تخضع لسيطرة المكابس، كانت الدفة تسيطر على حركة المكابس نفسها.

اجتاز ميلتو المقصورة بحذر وتسلق السلم جاهداً ليعالج الصمامات بدلا من كاليز، واوعز الى هذا بان يتجه لاغلاق زوج آخر من الصمامات في مؤخر كتلة التوزيع. وهكذا يستطيع الاثنان عزل المضخة اليسرى ووقف الدفق، واخيراً اخذت النافورة تخفت تدريجاً كمرشة العشب. وبات ملحاً تنظيف الشبكة المصابة من الهواء واعادة ملئها بالنفط وترويض الدفة الهائجة.

وفي وضع مرتبك ومحفوف بالاخطار، حشر اربعة مهندسين انفسهم قرب اسطوانات المكابس، وكانت ثيابهم تقطر نفطاً. وتناوبوا على فتح حنفيات التطهير واغلاقها بما يتناسب وحركة المكابس، املا في ان تزفر هذه الهواء ثم تمتص النفط من الخزان. وبدا ان الامر يسير على ما يرام لولا اخفاق الخطة بعد قليل، اذ انقلبت العملية رأساً على عقب. فأخذت الاسطوانات تزفر النفط وتشهق الهواء. وهكذا اخفقت الشبكة على رغم براعة تصميمها.

في الوقت نفسه كان بارداري يرسل نداءه الاول في سلسلة من نداءات "الامان". ومن بين ثلاث درجات من التنبيه، حسب اشارات البث، تعتبر رسالة الامان اقلها

أيّ رحّالة دوليّ حقّ يجدُ في ساعته رولكس ما لا يقدّر بثمن

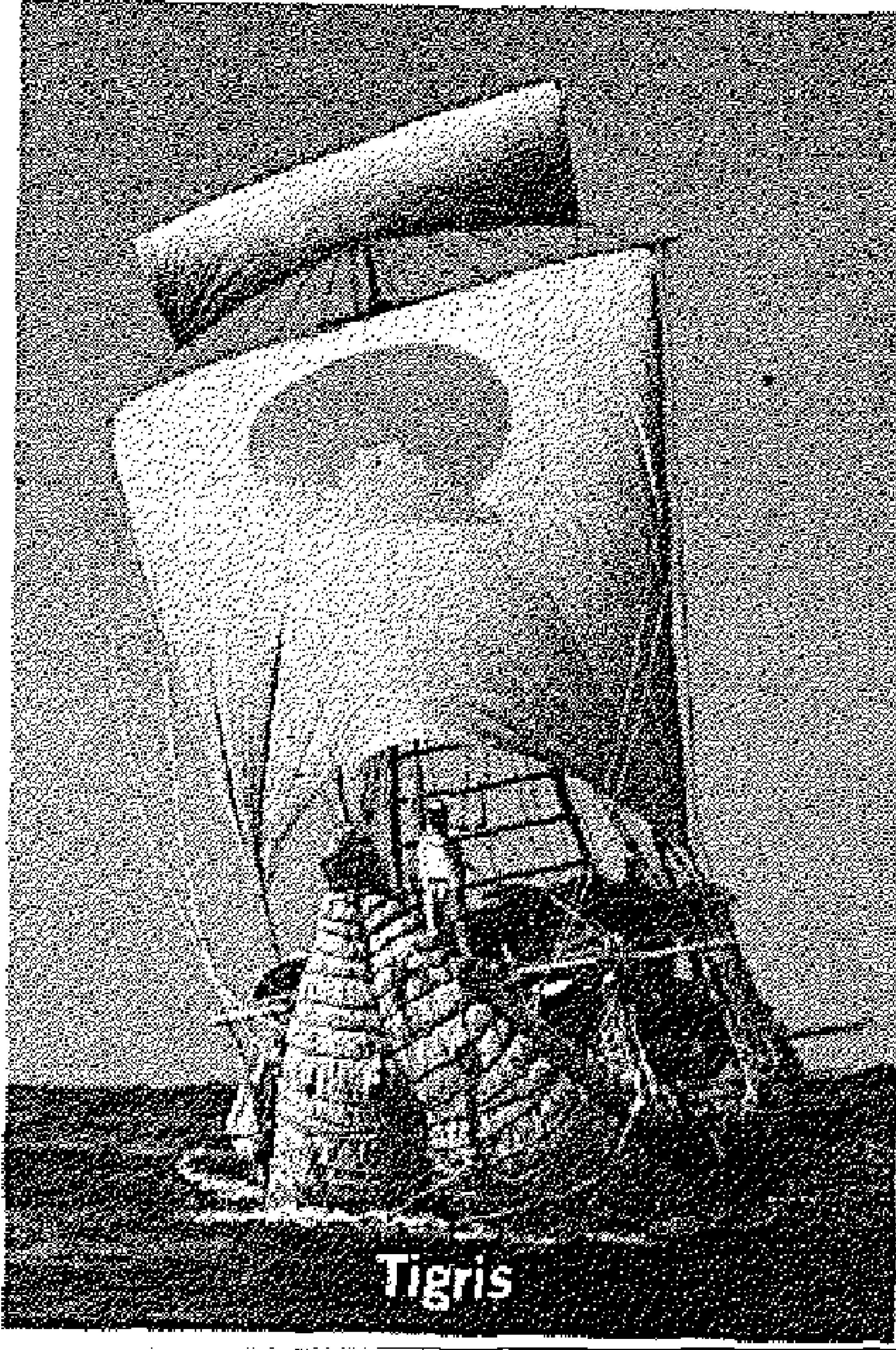
في عَام ١٩٣٧، رَاح يَراود مخيّلة "ثور هَيَردَال" حلم حَول مَا إذا كانتْ الحَضارات القديمة لكل من المكسيك والبيرو وَجزر الباسفيك ومَصر وَوادي مَا بَين النهرَين تنبع من مصدر واحد، حلم أراد أن يثبت معه ان عبور المحيطات الثلاثة كان ممكنًا قبل إقدام الأوروبيّين على تحقيق ذلك بأمد بعيد.

وَبعد عشر سَنوات، عام ١٩٤٧، أقلع هيَردَال من سَاحل البيرو بطوْف من خشب "البلزا" أطلق عليه إسم "كوْن - تيكي". مرّ مئة يوم ويوم رَسا الطوْف "كون - تيكي" بعدها على جزر البَاسفيك.

وَفي عَام ١٩٧٠، غادرَت أفريقيا "رَع ٢"، سَفينة "ثور هيَردَال" المصنوعة من قصب البَردي. وبَعد سَبعة وخمسين يومًا، وصَلت "رع ٢" الى "بَربَادوس" في الجانب الآخر من الأطلنطي.

وَفي العراق، خلال ١٩٧٧ - ٧٨، قام "هيَردَال" ببناء السّفينة "تايغرس"، أي دجلة، من القصب، وأبحر فيها مارًا بمحاذاة باكستان وسلطنة عمَان حتى مدخل البَحر الأحمر حيث حَالت الحرب المحليّة دون مواصلة الابحار. ورغم ذلك، أثبتت "تايغرس" انه كان من الممكن ان تتفاعل الحضارات القديمة لكل من سومر وَوادي الأندوس ومصر بطريق البحر.

وَيقول هيردَال، "المحيطات لم تفصل بَين الحضارات القديمة، بل انها ربطت فيما بينها."



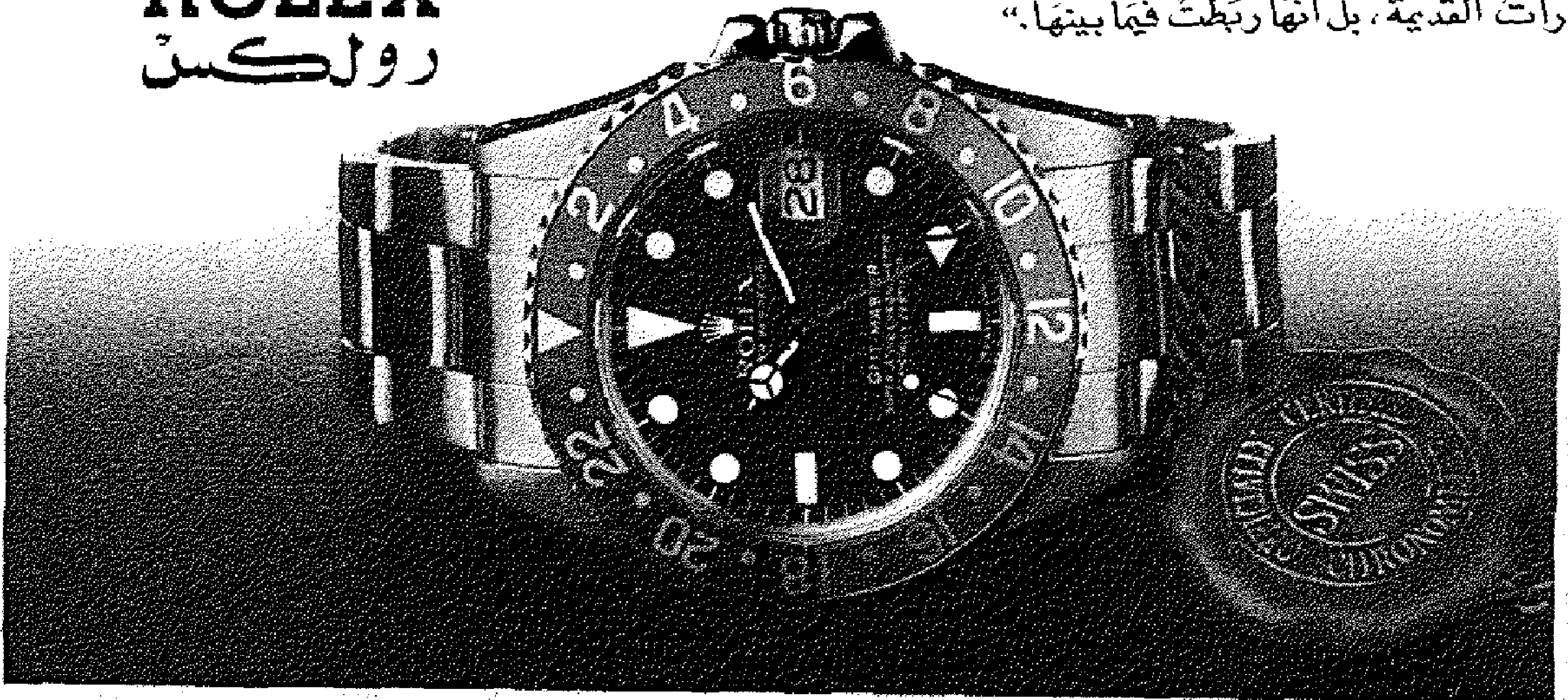
ويستند نجاح حملات "هيردال" الى التخطيط الواضح والدقة التامّة في كل شاردة وواردة.

ويضيف هيردال. "لقد أنزلنا الى البحر نماذج مطابقة تمامًا للسّفن الأولى التي بناها البحّارة القدماء. واستخدمنا طرقهم في شدّ الحبال والأشرعة والصّواري وفي التوجيه، واقتتنا بما كانوا يقتاتون، واخترنا أجهزة الملاحة البدائيّة التي استعملوها. ولكن، من أجل تحديد المسار بطريقة علميّة دقيقة وبالاتصال اللاسلكي الاضطراري لدى دخولنا الموانئ الحديثة والطرق الملاحيّة، كنّا بحاجة الى ما كان باستطاعة الانسان القديم الاستغناء عنه: ساعة حديثة بالغة الدقة جديرة بالاعتماد."

إنّه الاطراء في توجيه مجاملة كهذه الينا، خاصّة وقد جاءت على لسان أشهر رحّالة دوليّ في العالم.

السّاعات التي كان يلبسها "ثور هيردال" وبحّارته هي من صنع رولكس.

ROLEX
رولكس



ساعة رولكس "ماستر جي. ام. تي"، المصنوعة من الذهب عيار ١٨ قيراطًا، أو من فولاذ لا يصدأ، مع سوار ينسجم معها.

الحاحاً إذ لا تعدو كونها تنبيهاً على وجود خطر ملاحي·

في العاشرةوالدقيقة الخامسة مرّ عشرون دقيقة على اغلاق محرك اموكو كاديز الرئيسي· وفقدت السفينة خلال ذلك قوة دفعها الذاتي، فاخذت تنحرف يساراً دائرة حول نفسها حتى جنحت في اتجاه يقع بين الجنوب والجنوب الشرقي· وكانت تندفع نحو الشاطىء، ولم يكن ايصالها الى هناك صعباً على ضباط منصة القيادة لو هدأت العواصف التي اجتاحت المنطقة طوال اليوم·

وخلال الدقائق الخمس والاربعين اللاحقة اتصل القبطان بارداري بمقصورة القيادة ثلاث مرات او اربعاً، وكان قد زارها قبل ذلك· وفي كل مرة لم تتعد إجابة ميلتو ان العمل مستمر، ولكن حين هبط مساعد الربان الثاني في العاشرة والنصف ليتأكد بنفسه مما يجري، ذهل لرؤية قطع المعدن المتطاير بكثرة في الهواء· لقد كان المحرك يتهشم·

وبعيد الحادية عشرة اتصل القبطان بارداري براديو بريست للاستفسار عن وجود سفن انقاذ، اذ ان فرنسا ليس لديها حرس لخفر السواحل، ولم تكن لاي شركة انقاذ فرنسية بواخر قطر في منطقة بريست، والسفينة الوحيدة القريبة كانت الباسيفيك·

حين بث جهاز الراديو انباء ناقلة النفط المعاقة، كان القبطان فينرت يقضي نهاراً شاقاً· لكنه مضى الى المنصة وامر الباسيفيك بالاستدارة لكي تعود في اتجاه اويسان· وقدّر ان امامه ساعة لكي يصل الى محل الاصابة· وما ان اكملت الباخرة دورتها حتى اطلت على مرفأ صيد فاتن يقع على المياه الضحلة، ويدعى بورسال·

ويعتمد معظم سكان بورسال في معيشتهم على البحر· فهم يتعاطون صيد السمك والمحار كما يجنون الاعشاب البحرية· ويختبىء المرفأ شبه الدائري بعيداً عن المحيط، تحده ارض رملية مرتفعة من اليسار وبيوت القرية المبنية بالجص الابيض من اليمين· وهو لا ينفتح الا على المياه المواجهة له في منطقة تعرف على الخرائط باسم "صخور بورسال"·

اربع ساعات حرجة

هنا تتفرع قصة اموكوكاديز الى روايتين، تعتمد احداهما على ذاكرة القبطان بارداري والاخرى على ذاكرة القبطان فينرت· ويتركز الخلاف بين الروايتين المتباينتين على قطعة ورق تعرف باسم "استمارة لويد المفتوحة"·

والاستمارة ليست سوى عقد تقليدي من اربع صفحات تعده شركة لويد للتأمين في لندن لاغراض عمليات الانقاذ المحتملة· وعلى القبطان ان يملأ الاستمارة باسمه واسم طاقمه· فاذا قبلت الاستمارة، بدأت عمليات انقاذ السفينة فوراً، من دون اي مساومة على الاتعاب· وتلزم الاستمارة الموقعين عليها بأن يقبلوا النتائج التي يتوصل اليها حكم موضوعي ومحايد في لندن ما لم يتوصلوا هم الى تسوية في ما بينهم· والغرض الرئيسي من الاستمارة تحاشي اضاعة الوقت والمال او التضحية بالركاب في عملية المماحكة·

ما ان لاحت الباسيفيك في الافق بعد الظهر الباكر حتى اتصل فينرت بالراديو مستفسراً: "احسب انك موافق على استمارة لويد المفتوحة؟

ويقول بارداري انه اجاب بالنفي وانه يود معرفة كلفة قطر الباخرة الى خليج لايم..

واشار فينرت الى ان تقاليد شركته في ظرف كهذا هي العمل استناداً الى استمارة لويد. اما اجور القطر فتحددها مقدماً مكاتب الاعمال. لكن استمارة لويد ضرورية لعمليات الانقاذ. وتعليمات الشركة في هامبورغ تمنع فينرت من تقديم اي خدمات خارج هذا الاطار. ويقول القبطان بارداري انه اصر على معرفة كلفة القطر الى خليج لايم.

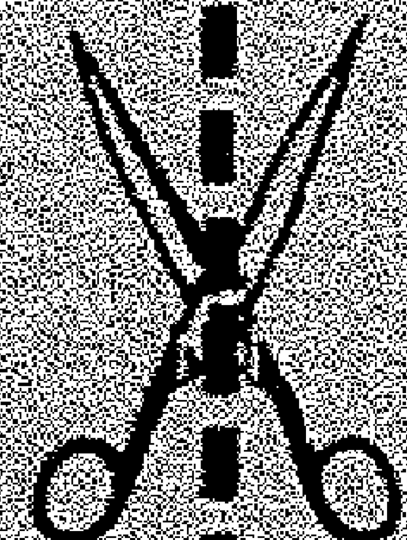
دار فينرت بباخرته حول الباخرة المصابة وتفحصها جيداً، ثم فكر في الطريقةالفضلى لسحب الباخرة، آخذاً في الاعتبار حال المدّ وقوة الامواج والريح. ومن جديد عرض على القبطان الايطالي القبول باستمارة لويد. لكن الاجابة جاءت بالرفض مرة اخرى.

فقال لهفينرت: "ان وضعكك سيىء جداً، وانتم في حاجة الى قطر". وهو يتذكر ان بارداري اجابه: "نحن كذلك حقاً". فكان رده: "دعني اولا امد سلسلة بين الباخرتين، ونستطيع من ثم ان نتحادث حول نوع العقد". ويصر فينرت حتى الساعة على ان الرد الوحيد الذي تسلمه في مقابل عرضه كان الرفض والاقتراح بأن يتصل هو بمكاتب شركة النفط الامريكية "اموكو" في شيكاغو. اما القبطان بارداري فيؤكد ان فينرت تراجع عن رفضه سحب الباخرة واجاب اخيراً: "حسناً" وهيأ سلسلة على متن باخرته. ولعل بارداري الذي كان يتحدث بلغة اجنبية مثل فينرت (الاتصالات بين اموكو كاديز والباسيفيك كانت تتم باللغة الانكليزية ذلك اليوم) تمسك بكلمة "حسناً" السحرية هذه ولم يفهم بقية الرسالة.

ولو ان بارداري وافق على استمارة لويد منذ البدء، لجرت الامور بسهولة اكبر. فهذه الاستمارة غدت احدى تقاليد الملاحة، وليس في قبولها ما يثلم كرامة قبطان. لكن كلفتها اعلى من كلفة الجر العادية.

اما الموقف الرسمي الذي تتبناه شركة اموكو فهو ان القبطان بارداري كان على الدوام سيد سفينته وله الخيار في اتخاذ القرار الذي يراه ملائماً. غير ان هناك تسجيلا يؤكد ان بارداري كان على اتصال بالهاتف البرقي مع شيكاغو طوال نهار ذلك اليوم وليله. ثم ان مقر اموكو في شيكاغو اتصل بانحاء اوروبا يطلب بلهجة آمرة من فروع الشركة البحث عن باخرة قطر لانقاذ اموكو كاديز في الوقت الذي كانت هي تجنح محتضرة نحو سواحل بريتاني.

ومهما يكن الامر، فقد تم تثبيت سلسلة قطر بين السفينتين في الاولى والنصف بعد الظهر، وان تكن رواية قبطان اموكو كاديز وملاحيها تنص على ان فينرت، الذي اخفق في اقناع بارداري بقبول استمارة لويد، وافق اولا على سحب السفينة، فارسى السلسلة على متن باخرته وسحبها قليلا ليظهر قدرته على ذلك، ثم اطفأ





محركه وبدأ يهدد قبطان ناقلة النفط. وحسب هذه الرواية، رد القبطان بارداري بتهديد مضاد: "اذاً قطعت السلسلة فسأتصل بخفر السواحل".

اما رواية فينرت للحادث فمختلفة تماماً فهو يقول ان الباسيفيك ظلت تسحب السلسلة بكل طاقتها طوال الوقت، لكن قوتها لم تكن كافية لجبه التيار والريح وثقل الناقلة الجسيم.

واستجابت اموكو كاديز قليلا لعملية الجذب، لكن سلسلة القطر سرعان ما ضعفت وأخذت تصطك منذرة بالخطر. وارخى فينرت مزيداً من طول السلسلة مما دفع اموكو الى الوراء، ثم تقدمت عشر درجات او عشرين فحسب. وهنا ادرك فينرت انه لم يعد في امكانه سوى الامساك بالناقلة على ذلك النحو حتى تصل باخرة قطر اخرى كانت فعلا في طريقها نحوهما في ذلك الوقت.

عند هذا الحد، اي في الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والثلاثين بعد الظهر، يقول القبطان بارداري انه قبل استمارة لويد. لكن فينرت يخالفه في ذلك، فيما تؤيد السجلات رأي الاخير. فقد كان على متن اموكو رجل انكليزي ذو لحية سوداء اسمه لسلي جون مينارد، وهو خبير انقاذ وصل بحوامته قبل بضعة ايام وسجل ترتيباً زمنياً للحوادث يتبين منه ان الاستمارة رفضت في الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والثلاثين. لكن بارداري اجرى حواراً لمدة خمس دقائق عبر الهاتف اللاسلكي مع مدير العمليات البحرية لشركة اموكو في شيكاغو في الثالثة والدقيقة الخامسة والخمسين وحين دخل مينارد غرفة اللاسلكي، كان القبطان ينزع عن اذنيه لاقطة الصوت ويقول: "هكذا إذاً. لقد وافقت شيكاغو".

ورد مينارد: "حسنا، سابلغ سفينة الانقاذ". واعلن من جهاز ارسال القيادة ذي الذبذبات الفائقة قبول الاستمارة وطلب من الباسيفيك ان تبدأ القطر. واراد فينرت تأكيداً رسمياً. لكن بارداري لم يبعث برسالته التي يوافق فيها على شروط باخرة الانقاذ الا في الرابعة والربع وعبر محطة ارسال الشاطىء. وكانت اربع ساعات حاسمة قد مضت على وصول الباسيفيك.

ولم يطرأ على الوضع اي تغير. لقد توارى الزبد وراء الانبوبين اللذين غلفا لوالب الباسيفيك، ولولاهما لارغت المياه وازبدت. كل ما كان ظاهراً من عملية القطر سلسلة ربطت السفينتين اللتين فصلتهما مسافة ٧٥٠ متراً. وانعم مينارد النظر في عدسته ليدرك ان عملية السحب قد توقفت، على رغم رؤيته السلسلة تعلو وتهبط وسط البحر الهائج.

لكن عملية السحب ظلت جارية في الواقع وبقوة كافية لتمزيق السلسلة الضخمة التي وصلت الباخرتين. ففي الرابعة والدقيقة السادسة عشرة سمع القبطان بارداري صوت خلع عنيفاً. فالقى نظرة على مقدم الباخرة ليرى ان السلسلة قد انفصلت.

محاولة أخيرة

تدهور الوضع فجأة وما كان مزعجاً فحسب غدا مثيراً لليأس. فقال القبطان بارداري: "لا بد من ان نحاول السحب من الوراء". واتصل

بميلتو طالباً منه ان يدير المحرك باقصى قوته الى الوراء. وعلى متن الباسيفيك استسلم القبطان فينرت لرؤية سفينته تجنح فيما كان ملاحوه يحاولون رفع سلسلة القطر واعادة تثبيتها لسحب اموكو كاديز من مؤخرها، اذ كان مقدمها يواجه اليابسة وهم لم يريدوا التوجه الى هناك. ولما كان من المستحيل ادارتها في اتجاه الريح، فقد علقوا الامل على ربطها من مؤخرها وسحبها بمعونة محرك الناقلة نفسها، والتشبث بهذا الوضع بعيداً عن الساحل حتى تصل سفينة الانقاذ الاخرى.

غير ان مهمة احكام سلسلة القطر من جديد سارت ببطء شديد في ظل الجو العاصف، بحيث ان العملية التي لا تستغرق عادة اكثر من نصف ساعة امتدت قرابة ساعتين ونصف ساعة. ولما اصبحت الباسيفيك جاهزة للمحاولة الثانية، كانت الساعة قد بلغت السابعة مساء، والظلام هبط منذ وقت طويل. وكان الجميع موقنين بأن تلك ستكون المحاولة الاخيرة.

ومذ انهارت السلسلة الاولى ازداد جنوح اموكو كاديز نحو الساحل مسافة تزيد على ستة كيلومترات، متخذة زاوية بين الشمال والشمال الشرقي. ومع تولي فينرت المهمة، بدا كل شيء متحركاً في الاتجاه الخاطىء. وهناك بون شاسع في تفاصيل رواية كل من ابطال هذه المأساة لما حدث ولمن يتحمل التبعة. واني تكمن الحقيقة، فالخاتمة كانت كما يأتي: صوب ملاحو الباسيفيك ما لا يقل عن خمس سلاسل حتى علقت احداها، - ولعلها كانت السادسة او السابعة - بمتن اموكو. واستغرقت هذه العملية ساعة اخرى. وحين شد حبل الجر اخيراً بعد الامساك به، كانت ناقلة النفط على وشك الاصطدام بالارض.

في الوقت نفسه حاول القبطان بارداري، بعيد السابعة والنصف، إتيان عمل يائس، وهو ان يلقي المرساة الى الساحل. ومن المبالغة القول ان المرساة عديمة الفائدة لناقلة نفط (إذ لا تزال تؤدي عملها في الخليج العربي المستقر الموج). ولكن ما أن تتجاوز سرعة الباخرة العقدة الواحدة حتى يغدو وجودها عديم الجدوى. في تلك اللحظة كانت اموكو تتأرجح غائصة بسرعة تقارب العقدتين.

وتحت الماء بدأ، ٢٢ طناً من الحديد الثقيل ينغرس في الرمال وفي كسرات حجار الجرف القاري لفرنسا. ولم يستغرق رمي المرساة طويلا حتى تعلق احد مخالبها بقطعة صوان صلبة، ما كان من المرساة الا ان قصتها كما لو كانت من طين. وسرعان ما واجهت الرمية الثانية المصير ذاته.

كانت السفينتان مقيدتين احدهما بالاخرى حين اندفعتا نحو مياه بورسال الضحلة متجاوزتين عوامة ارشاد السفن الدالة على حدود المنطقة، والتي اجتازتها باخرة الانقاذ قبل تسع ساعات ونصف ساعة ويتذكر القبطان فينرت بوضوح ان العوامة اخذت تدور على غير هدى، مارة بحجرة التوجيه في باخرته، على رغم مراوح الباسيفيك المثيرة للامواج. ولم يكن في الوقت متسع يكفي لمد سلسلة القطر. وجل ما

استطاعه في ذلك الظرف الايعاز بابطاء محركات سفينته، اذ كانت اي زيادة في السرعة كافية لقطع السلسلة من جديد.وسحب نحو الشمال، لكن الامور لم تسر على ما يرام هنا ايضاً. وكان قصده من وراء ذلك ابقاء اموكو في المياه العميقة. ولكي يتحقق له ذلك، كان لا بد من ابقاء حركة رفاصاتها الى الخلف. فاذا بها تدور حول نفسها وتواجه الجهة المعاكسة تماماً. وبات مجبراً الآن على محاولة ادارة مؤخرها بعيداً عن الساحل.

وعند الثامنة والدقيقة السابعة والخمسين، كانت قد مرت دقيقتان والباسفيك تسحب في ذلك الاتجاه. فاتصل فينرت ببارداري راجياً توجيه سير محركه عكسياً.

صرخ القبطان بارداري: "كلا. لقد اجتازت اموكو العوامة ولم يعد بينها وبين الدمار سوى ثوان، فاراد القبطان ان يتجه الى الامام. وفي ذروة الخطر كان القبطانان على خصام تام.

وفي التاسعة والدقيقة الرابعة جاء صوت الربان عبر المذياع اليدوي، وقوراً ومهيباً: "سيدي، اننا نغرق".

حشرجة الاحتضار

ارتطم مؤخر السفينة اولا، اذ دفعت موجة عالية الباخرة فوق ذروة احدى الصخور. وحين هبطت كانت قد استقرت على قمة الصخرة، فاحدثت هذه قطعاً حاداً في الجزء السفلي من السفينة التي غارت عميقاً نحو شبكة الضخ ومحركات المقصورة، ممزقة الجدار الخلفي لخزان الحمولة رقم ٤.

ومن فوق منصة القيادة بدت النتيجة مذهلة وواضحة للعيان. ويتذكر مينارد ان الحطام كان هائلا، فاندفع الهواء من مراوح غرفة الضخ ومن الغرفة نفسها وانفتحت الابواب على مصاريعها. ولم تمض ثماني ثوان حتى كان مقدم منصة القيادة مغطى بالنفط الخام".

اما الملاحون فيعترفون: "اصبنا ببعض الذعر وتأهبنا جميعاً بارتداء اطواق النجاة، ثم هرعنا لرؤية ما حدث. كان البحر مروعاً حقاً، غير اننا تلك اللحظة شممنا رائحة الغاز المنبعث من المخازن المحطمة. وفيما كنا نحاول القاء زوارق النجاة في البحر، كان القبطان على المنصة يطلق صواريخ الانذار. ولما كان الغاز منتشراً فقد اصبنا بخوف. كانت موجة لاسلكية أو شحنة كهربائية كافية للتسبب في انفجار. واول ما فعلناه اطفاء جميع الانوار".

لكن الظروف اجتمعت للتآمر على اموكو كاديز. ففي مارس (آذار) تكون الامواج في ذروة ارتفاعها. والمياه الشديدة الارتفاع مكنت الباخرة المشلولة من ارتقاء كثير من الصخور التي، لولا ارتفاع الموج، لاوقفت السفينة قبل وصولها الى المياه الضحلة.

وعند التاسعة والنصف انهت اموكو حركاتها التائهة. فقد اصطدم مؤخر السارية اولا، وانشقت الباخرة من اسفل تحت حجرة المحرك. وهذه المرة لم يعد ممكناً، ان تأتي موجة ترفعها، مهما بلغ علوها.

وكانت تلك فاتحة ساعتين ونصف ساعة من انتظار النجاة، المرعب

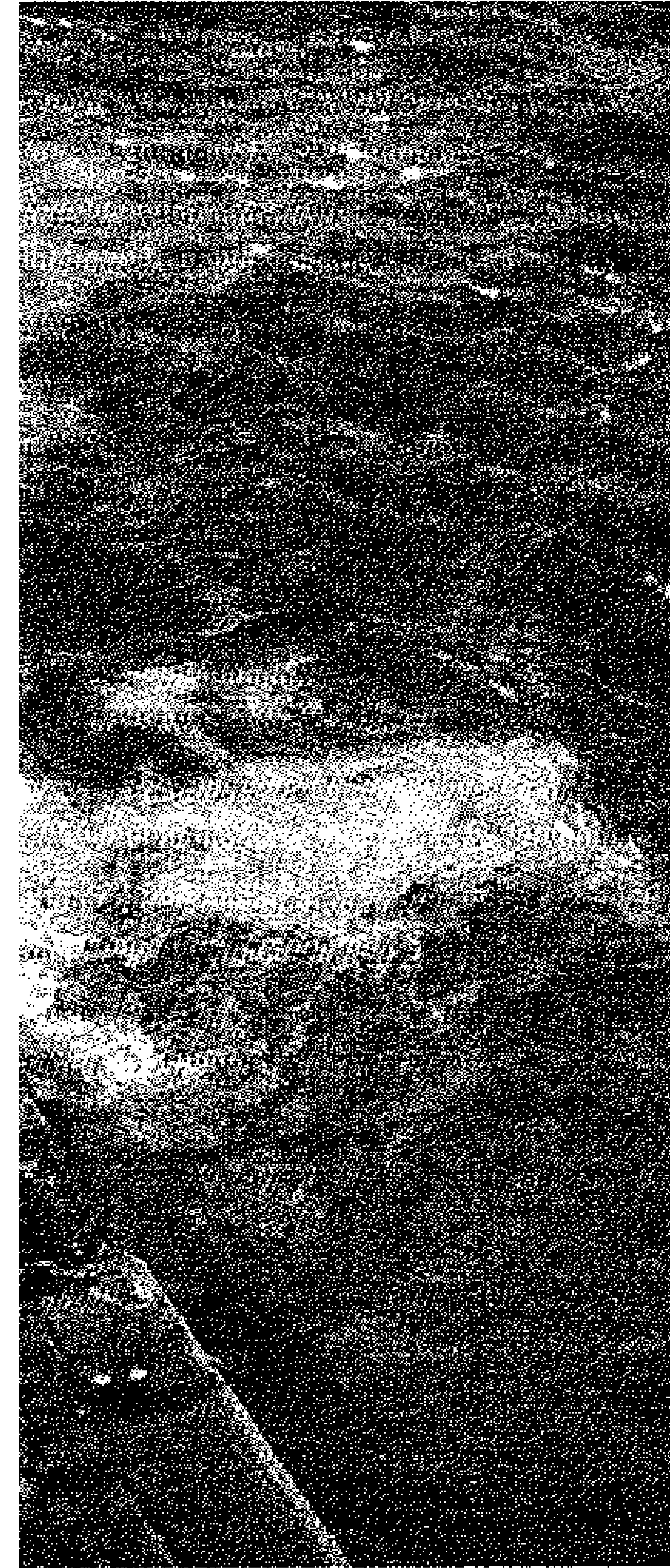
والمزري. وجيء بجهاز بث الطوارىء من زورق النجاة الى منصة القبطان بارداري الذي بث، بواسطة مولده المدار باليد، اشارة من ١٢ مقطعاً، تلتها اشارة طلب الانقاذ مكررة. ومع ان مجال استقبال جهاز البث هذا يتجاوز الثمانين كيلومتراً، الا ان بارداري لم يحصل على جواب اطلاقاً. وحتى الباسيفيك لم ترد على رسالته. لقد كان جهازها معطلا.

وبحلول العاشرة والنصف وصلت سفينة الانقاذ الثانية الى المسرح. فقد استطاع القبطان مارتن ونتر اختصار وقت وصوله نصف ساعة عبر ابحار شديد الجرأة والمخاطرة. وعلى رغم ذلك، لم يكن في امكانه عمل شيء لان الوقت فات.

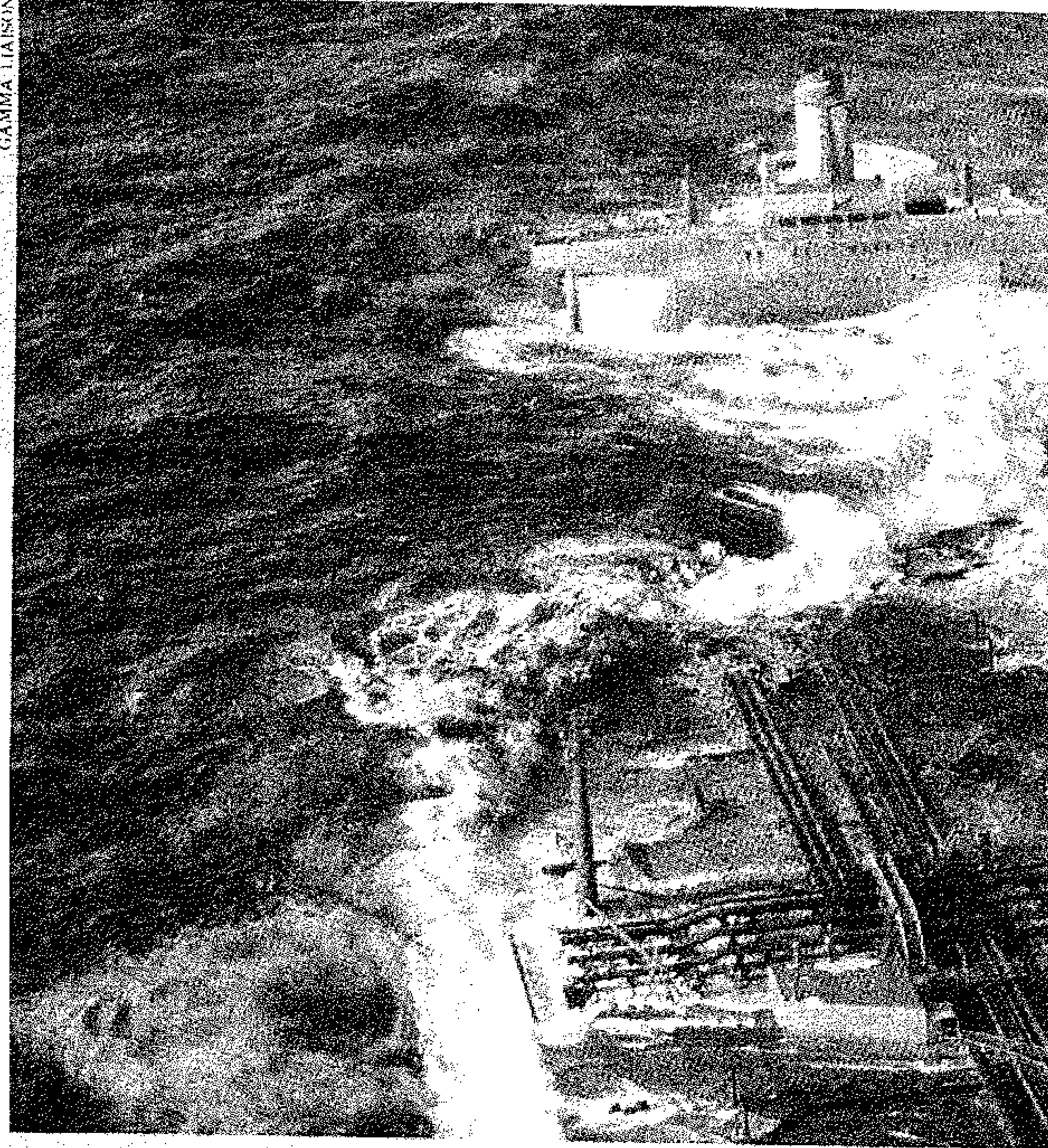
الخلاص

واخيراً اتخذ البحر قراره نيابة عن ملاحي اموكو. فقد رفست موجة هائجة هيكل الباخرة، ولم تنحسر الا بعدما انزلت قارب النجاة المعلق على الجانب الايسر وهشمته. اما قارب الميمنة فظل يقاوم الجو بعناد، لكن تحريكه من مكانه كان متعذراً. وهكذا سدت سبل النجاة ولم يعد هناك غير طريقين: الحوامات او السباحة.

بدا منظر الملاحين مثيراً للشفقة. فالعياء يهدهم، والبرد نفذ الى اجسادهم وامتلأت رئاتهم بالغازات السامة من جراء تنفس ابخرة النفط. واستولى عليهم خوف من انفجار يودي بهم في اي لحظة. وانتظر القبطان بارداري نصف ساعة اخرى، ثم قرر الا مناص من المخاطرة. فطلب من عامل اللاسلكي الهبوط الى حجرته وتشغيل جهاز بث الطوارىء



الذي يعمل بالبطارية. وفيما انزلق الرجل هابطاً، امسك الجميع انفاسهم خوفاً. ودبت الحياة في الجهاز وبدأ الرجل يتصل مستخدماً اشارات "المورس"، من دون ان ينفجر الجهاز. وفي ضوء بطارية صغيرة



انشطار ناقلة النفط العملاقة عند صخور بورسال بعد أن ضربتها الرياح والأمواج.

اضعفت انارتها الابخرة المتصاعدة من الغازات، بعث الرجل باول رسالة استغاثة. وكم كانت فرحته كبيرة اذ حصل على رد سريع.

وبعد مضي ١٢ دقيقة على تسلم الرسالة، انطلقت اولى الحوامات، "برافو الفا"، من الارض، على رغم ان قائدها الملازم رينيه مارتن لم يعرف بالضبط عما يبحث، ولعله تخيل الامر متعلقاً بقارب صيد. وحين وصل لم ير سوى شعاع ضوء واحد، لكنه كان كافياً. وكانت الباسيفيك توجه

نورها الكشاف بقوة ٣٠٠٠ واط نحو هيكل الحطام الملطخ. وانقض مارتن على ضالته وحام حولها، ثم "سار" بحوامته في المجرى الذي ارشدته اليه اضواء الباسيفيك. ولم يدرك انه يواجه مهمة انقاذ ناقلة نفط الا حين قارب الهبوط فوق اموكو كاديز.

لا بد من تخيل العقبات التي واجهت مارتن لكي نقدّر مهارته حق التقدير. فالوقت ليل. ودرجة الرؤية تراوح بين "ضعيفة" و"منعدمة". وقوة الريح لا تقل عن سبع درجات، وان عصفت بلغت ثماني درجات او عشراً. ودرجة الحرارة تكاد لا تزيد على مستوى التجمد، مما يضع الطيار امام توقع المطر في افضل الاحوال والمطر المتجمد في اسوأها. كما ان اضطراره الى الطيران على مستوى منخفض جعله هدفاً للعواصف الناجمة عن لطمات الموج لاموكو. وحين عاد الى قاعدته، اكتشف زملاؤه ان اسفل طائرته كان ملوثاً بالنفط الخام وان اعشاب البحر علقت بالعجلات.

ودنا مارتن بحوامته الى ارتفاع عشرة امتار فوق منصة قيادة الباخرة، ثم طلب من الغواص المرافق ان يقفز. فدس غي لونابات عدته تحت ذراعه، ثم اومأ الى رفيقه وقفز. وسرعان ما احاطت به غيمة الغازات الرديئة، لكن هبوطه مضى متقناً. وما ان حط على متن الباخرة حتى تولى القيادة، موجهاً الملاحين الى الامام واحداً تلو الآخر.

وبحلول الثانية عشرة والدقيقة الخامسة والثلاثين، كانت الحوامة تنقل ٢٨ شخصاً، اي بزيادة رجل واحد على طاقتها. وفي اثناء ذلك، كانت حوامة اخرى في طريقها الى الموقع. وقد سجل سلاح الطيران البحري الفرنسي هذا الانجاز لاحقاً باعتباره رقماً قياسياً عالمياً، اذ تم انقاذ ٢٨ شخصاً خلال ٤٣ دقيقة.

حام مارتن حول الحطام مدة ربع ساعة حتى تناهى اليه هدير "برافو كيلو" يقودها صديقه ميشال ديسكيراك الذي يروي ما حدث: "كان الجو مليئاً بضباب من ابخرة النفط. وقادني تحليقي الى الاقتراب من الهيكل الضخم الى حد ان اطراف مراوح حوامتي لم تبعد اكثر من عشرة امتار عن صارية الرادار عندما كنت في وضع التأهب لاستلام الناجين. ولم استطع رؤية اي شيء على يساري عدا رذاذ متدفق بين الحين والآخر".

واندفع مارتن عائداً الى القاعدة ليفرغ حوامته من الركاب ويتزود بالوقود من دون اطفاء محركات الحوامة. ولم تمض بضع دقائق حتى قفل عائداً الى بورسال في الاولى والنصف حيث انضم الى ديسكيراك الذي كان قد انتهى من انقاذ تسعة رجال، فيما التقطت "برافو الفا" الدفعة الاخيرة من الرجال، وكانوا خمسة ملاحين وغواصاً اما القبطان بارداري فقد رفض مغادرة السفينة، واختار مينارد البقاء الى جانبه.

وفي الرابعة صباحاً تحطم ظهر اموكو ويتذكر مينارد: "كنت اقف الى جانب المنصة، وظننت اني رأيت برقاً يتوهج. كانت السفينة تنشطر نصفين وينطلق صوت حاد من المعادن المتحطمة ومعه رذاذ من الشرر دام

قرابة عشر دقائق. كان المعدن يتشقق متوهجاً ثم يشتعل. وناديت القبطان، ثم اشعلنا الاشارات النارية الثلاث المتبقية لنا".

غير ان الفضل في انقاذ بارداري ومينارد لا يعود الى الاطلاقات النارية، بل الى مساعد الربان سترانو الذي كان يعلم ان اموكو لن تستطيع الصمود في منطقة كهذه. لذا، فما أن عاد الى دفء القاعدة الجوية حتى الح في اقناع المسؤولين، فرضخوا أخيراً وقرروا ارسال "برافوألفا" من جديد على ان يقودها ضابط الصف الاقدم ميشال اومن. وفي هذه المرة لم يكن الرجلان في وضع يمكنهما من رفض الانقاذ، فمضت العملية بهدوء. وفي الخامسة والدقيقة الخامسة كانا على متن حوامة الانقاذ، فالقيا نظرة اخيرة على موقع سفينتهما، ولم يميزا شيئاً عبر الظلام والمطر عدا بقع من الزبد تذريها الريح.

الشاطىء

لم تنعم الطبيعة على الطرف الشمالي من ساحل شبه جزيرة بريتاني ببريق مقاطعة نورماندي او اغراء الشاطىء اللازوردي. انما هو منطقة صيد ساحلي في المناطق القريبة من اليابسة عموماً. ويتجه الصيادون يومياً، حسب حركة المد، داخل المرفأ وخارجه بحثاً عن سمك موسى وسمك الترس والبوري واسماك الاطلسي والدسقمري والورنك. واذ يحاذي المرء الصخور اكثر، يجد انواعاً من محار بريتاني وسرطان البحر والاسماك الصدفية، وهي انواع من السرطان الصغير لكنه ذو قيمة غذائية عالية. وفي كثير من الخلجان الصغيرة تكمن اصداف المحار. فاذا هبط الغطاس في المياه العميقة، ظهرت له قرابة ٩٠ في المئة من اعشاب البحر التي تجنيها فرنسا (لاستخدامها في صنع الاسمدة والمكثفات الصناعية) متعلقة بالصخور والحصى.

وهكذا كانت آثار تحطم اموكو عند هذا الساحل موجعة للغاية. فالباخرة ضخت الى بورسال كمية النفط التي حملتها من الخليج العربي من دون نقصان. وكانت الشحنة من الضخامة بحيث استمر تدفق النفط الخام حتى مرفأ بورسال.

من ضحايا التلوث النفطي.



واشبع الجو صباح ذلك اليوم بغازات النفط حتى غدا مجرد التنفس امراً غير صحي. ومع ارتفاع المد بدا المرفأ بركة سوداء هادئة. اما عند هبوط الموج فبات كل شيء مغطى بطبقة سوداء لامعة. وكان الصمت المحيط اكثر المشاهد ترويعاً للنفوس. فاصوات تكسر الموج على الشاطىء هي خفقات القلوب التي الفها سكان بريتاني كما الفوا دقات قلوبهم. وهاهي تخمد متحولة الى صفعات خرساء، محدثة ضجيجاً هادئاً مثيراً للاشمئزاز.

وتشقق جسم ناقلة النفط من مواضع عدة. وطوال الايام اللاحقة تهاوت الحواجز الفاصلة بين خزانات الشحن واحداً بعد الآخر، ولم يعد النفط يضخ من قاع السفينة المثقوب فحسب، بل اخذ يتدفق من فتحات التهوية الصغيرة دافعاً الماء، اذ ان النفط يطفو فوق الماء.

والمفارقة الفاجعة ان الايام الثلاثة التالية للحدث شهدت صفاء في الجو، فازدهرت الآمال بايجاد حلول للمشكلة وطرحت بضعة مخططات. وتركز احد هذه المخططات على قطر ناقلة النفط، او جزئها الامامي على الاقل، بتخليصها من الصخور وسحبها الى ميناء لتفريغ حمولتها. واقترحت خطة اخرى. ترمي الى دعوة اسطول من الناقلات. الصغيرة لضخ النفط من اموكو. بل ان خطة ثالثة ارتأت ان يتم الضخ على اليابسة، وذلك بأن تبقى المضخات عليها فيما تمد خراطيم الى الباخرة فوق اطواف. لكن تجدد العواصف قضى على تلك الآمال. وحتى الاربعاء، الثاني والعشرين من مارس (آذار)، كان النفط يتدفق بغزارة من خمسة خزانات. اما في اليوم التالي فقد تشققت الخزانات الثمانية الباقية. وبحلول يوم الجمعة - اي بعد مضي اسبوع على تحطم الباخرة - قُدر ان ناقلة النفط تقيأت نسبة تراوح بين ٨٥ و٩٠ في المئة من حمولتها.

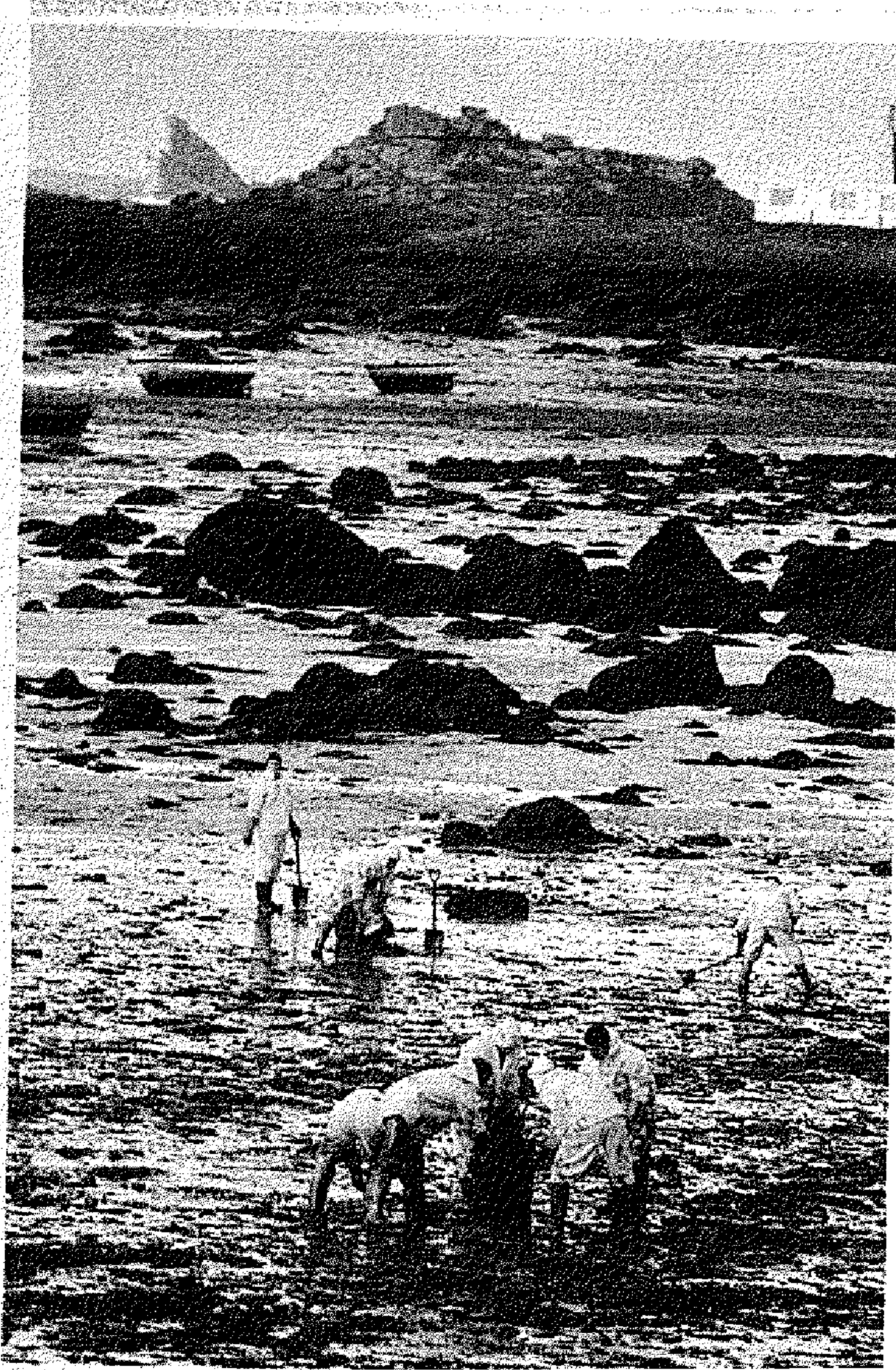
وخلال الساعات الاربع والعشرين الاولى، انصب النفط على الساحل، ملوثاً منطقة يراوح قطرها بين ستة وثمانية كيلومترات حول الحطام. الا ان اموكو انهت مهمتها وقد لوثت حوالي ٤٠٠ كيلومتر من الساحل.

ومن المفترض ان تكون البيئة دفعت ثمن هذه الكارثة غالياً. فقد بلغ مجموع الطيور التي نفقت ٣٠ الفاً، ولعل عدد الاسماك التي واجهت المصير نفسه لا يقل عن هذا الرقم. وابيدت من المحار نسبة تراوح بين ٢٠ و٥٠ في المئة. اما عدد الرخويات والمحار المروحي والاسماك الصدفية والحلزون والسرطان، وغيرها من المخلوقات المائية الساكنة في الاعماق فيقدر بالملايين. ولا بد من مرور سنوات قبل ان تستطيع المياه التخلص من آثار النفط الذي ابتليت به.

استشرى الذهول من بورسال الى مدن ساحل بريتاني الجريحة وصحا سكانها من اثر الصاعقة التي حاقت بهم، وبدأوا يحاولون وقاية انفسهم من الوباء الغازي. ولم يكن في متناول ايديهم سوى ادوات تقليدية كالمعاول والمجارف والدلاء المطاطية وعلب النفايات. ومن سخريات القدر ان الاشهر التالية برهنت على ان تلك

كانت خير الادوات التي تمكن مكافحة الفاجعة بها، بعدما اخفقت معظم المعدات الحديثة أخفاقاً ذريعاً.

ويصعب تحديد الرقم الدقيق لعدد الذين ساهموا في عملية التطهير. لكن الرقم الذي يلاقي قبولا، عاماً يدور حول العشرة آلاف شخص، بمن فيهم جنود البحرية ورجال الجيش والمستخدمون والمتطوعون والسكان المحليون. وقد شكل هؤلاء جيشاً متنافراً، لكنهم عملوا بجهد محمود. ولنتذكر حادث غرق ناقلة النفط "توري كانيون" قرب سواحل انكلترا. فقد كان ذاك اضخم حادث غرق لناقلة نفط سبق فاجعة اموكو كاديز. آنذاك استعمل البريطانيون مواد منظفة قوية لازالة النفط. اما السلطات الفرنسية فقد اتعظت بما حل بالسواحل "المنظفة" من بوار، فاختارت عن حكمة السبيل الابطأ والاكثر مشقة. ومهما سبب ملء الدلاء وجرها من انهاك الا ان ازالة النفط بالوسائل اليدوية كان اكثر فائدة للمحافظة على البيئة النباتية والحيوانية.


JOHN LAUNOIS BLACK STAR

يجرفون برفوشهم الخشبية مخلفات الجَزْر.

وقضى نحو ٦٠٠ متطوع اجنبي (معظمهم من بلجيكا وآخرون من بريطانيا وهولندا والمانيا) اجازات عيد الفصح تحت امطار برتاني وضبابها، وهم يتخبطون في امواج النفط الخام طوال النهار ويرتجفون برداً في خيام غير مدفأة طوال الليل. ويجدر الا ننسى العائلات الفرنسية التي تبرعت طوعاً بالمال والملابس، واصحاب المصانع الذين قدموا الاحذية الواقية ومعاطف المطر.

لكن الابطال الحقيقيين كانوا سكان بريتاني انفسهم. فهم تغلبوا سريعاً على اليأس الذي اصابهم، ثم توجهوا الى محاربة "الغزاة" بجهد وعزم يجسدان افضل التقاليد الفرنسية في الشجاعة والصلابة. ايام المحن. فهم الذين نظفوا سواحلهم وخلجانهم بالمجارف والدلاء وخراطيم الحريق. وهم الذين رموا كل ما وقعت ايديهم عليه من قش وخرق وصحف قديمة في النفط للتخلص منه. ويصح القول ان اروع صور المعركة ضد التلوث لا تكمن في الحوامات الدائرة دونما كلل حول الحطام، ولا في قوارب البحرية التي تطارد بقع الزيت والنفط، بل في منظر صف من الشيوخ الذين انتعلوا الاحذية المطاطية وحملوا المجارف، وراحوا يجرفون بصبر طبقةموج براقة وقد مال ضوء النهار الى الغياب.

خاتمة

مهما تكن الاثار البيئية البعيدة الامد الناجمة عن اسوأ تدفق نفطي على الاطلاق، فان قصة اموكو كاديز تقدم درساً مرشداً، وان يكن قاسياً، حول غطرسة الانسان وجشعه وجرأته. انها عبرة يمكن ان تفيد منها الاجيال القادمة. ويصعب ان يعلن احد براءته مما حدث. فمع انه لم يكن هناك ذنب صريح ارتكبه اي فرد او مجموعة بمفردها، الا ان اخطاء سوء الحساب وخداع الذات والاستخفاف بالخطر التي انطوى عليها ذلك العمل الآثم اذا صح هذا التعبير، كانت من الكثرة بحيث لا يمكن الا تعميم مسؤولياتها على الجميع.

وفي الوقت نفسه، فان كثيراً من المعاهدات الدولية المتقنة الصياغة لا تزال تنتظرتصديق الحكومات عليها. وفي انتظار ذلك تبقى السواحل عزلاء فيما تمخر قوافل الناقلات البحار وهي تجوب الكرة الارضية.

لقد اختفت ٣٣٦ سفينة في حوادث مختلفة خلال ١٩٧٧. وكما نستطيع الجزم بأن النفط اخف من الماء كذلك يمكن الجزم بان المحركات التي يضعها البشر معرضة للخطأ. فالسفن تنضح نفطاً او تحترق او تتصادم او تفقد السيطرة على اجهزة توجيهها او على محركاتها ودفاتها او تصطدم بسفن نصف غارقة (وهذا كثير في منطقة القناة الانكليزية). فحياة البحر، اذاً، تواجه، اكثر من الحياة على اليابسة، اموراً ليست في الحسبان.

لكن هناك امراً واحداً مؤكداً، فلو اخذنا في الاعتبار عدد الناقلات المتزاحمة على حيز محدود من خطوط نقل النفط البحرية، كذلك الوضع الراهن لفن تصميم السفن والاخطار المتعددة الملازمة للتجارة، فان كوارث مشابهة لا يمكن ان تحدث فحسب، بل انها ستحدث حتماً ما لم نكن مهيأين لفعل ما يمنعها.

■ **رودولف تشيلمنسكي**

سمع احدهم في الدور الارضي للحافلة يقول: "اني لا أشعر بالامان قط في الدور العلوي، ولعل ذلك يعود الى عدم وجود سائق هناك".

(مجلة "عالم المرأة"، انكلترا)


كرونومتر كوارتس اوميغا كونستاليشين
حصيلة الانسجام المثالي بين التقنيات العصريه
ومهارة صانعي الساعات
OMEGA
Constellation
OMEGA
Constellation
أحدث ابتكارات أوميغا على صعيد التقنيه والدقه وروعة الذوق والأسلوب .
يتمّ الاختيار والاختبار لكل جزء بعناية خاصه قبل انجازه وصقله بالمهارة والعناية
والدقــة اللامتناهيه ، والتي تتحلّى بها جميع ساعاتنا دون استثناء .
أضف الى ذلك أن كل ساعة تمرّ بالفحوصات الشديده والنزيهه في المعهد
السويسري الرسمي لاختبار الكرونومترات . وعند ذلك فقط ، يصبح في الامكان تسمية
الساعـه باسم كرونومـتر كوارتس أوميغـا كونستاليشـن .
أوميغـا كونستاليشـن ، الاسم الذي يعبر عن كـلّ شيء .
Ω
OMEGA



